
المقتطف



المقتطف

الجزء الاول من المجلد الرابع والثلاثين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٩ — الموافق ٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٦

الدكتور يوحنا ورتبات

مات بشيبة صالحة شيخاً وشبعان ايام بعد ان خدم جيله

يندر ان يصدق هذا القول على احد كما يصدق على استاذنا الدكتور ورتبات صاحب الترجمة فقد جاز الثمانين وقضى عمره كله بالتعلم والتعليم والبحث والتنقيب والارشاد والتطبيب. كان طبيباً للاجساد وطبيباً للنفوس والعقول وخلف كتباً كثيرة ومقالات شتى في الطب وفروعه وحفظ الصحة والحث على الآداب والفضائل وله ايضاً كثير من الكتب الدينية بين موضوع ومترجم. حياة كلها عمل ونفع وسيرة تتضوع كالمسك عبيراً

رأيناه اول مرة منذ اثنتين واربعين سنة في مدرسة عبيه بلبنان جاءها زائراً وكان الشيب قد وخطهُ ووقف في منبر الوعظ فوعظ بالعربية بلغة فصيحة وكنا نظنهُ انكليزياً من لبسه ومخاطبته المرسلين الاميركيين بالانكليزية فقط. ثم وعظ بالانكليزية في ذلك اليوم عينه وسمعنا اساتذتنا يعجبون ببلاغته في اللغة الانكليزية كما يعجبون ببلاغته في العربية وحسن اسلوبه في الوعظ والانذار ويقولون انهُ من نوابغ رجال المشرق الذين تلقوا العلوم على المرسلين الاميركيين. ولم يخطر لنا حينئذٍ اننا سنكون من تلامذته واخص اصدقائه وناشري لواء فضله

وبعد سنة انشئت المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واختير في السنة التالية لتدريس التشريح والفسيولوجيا فيها فصرنا من تلامذته ودرسنا عليه مبادئ علم الفسيولوجيا وكان شارعاً في تأليف كتابه المشهور فيه فجعل يلقيه علينا خطباً ونسلمنا كراريسه لننسخها ورأينا

منهُ حينئذٍ عالماً عاملاً يقرن العلم بالعمل والقول بالامتحان يرينا خلايا الدم وتلافيف الدماغ وصمامات القلب وفصوص الكبد وحبيبات الطحال واقسام الامعاء ويغرينا بتشريح الحيوانات ودرس وظائف اعضائها ولا يكتفي بالقاء الدرس وشرحهِ وايضاحهِ بالرسوم والرموز والمستحضرات التشريحيَّة والفسيولوجيَّة بل يسائلنا كل يوم عمَّا درسناهُ في سابقهِ حتى ترسخ المعارف في الذهن بالمراجعة والتكرار وهذا من المزايا التي تمتاز بها المدرسة الكلية الاميركية على كثير من الجامعات العلميَّة لان التلميذ قد لا يفهم ما يقولهُ الاستاذ ولاسيما اذا كان مبتدئاً او يفهمهُ خطأً ويجري على الخطإِ فالامتحان اليومي يردهُ الى الصواب ويغريهِ بالدرس حتى يصير مغرماً بالعلم مدركاً لاصولهِ فيسهل عليهِ فهم ما يلقيهِ الاستاذ من الشروح واستيعابها . ولم يكن يرهق التلامذة فهم ما يعسر عليهم فهمهُ او لا فائدة لهم منهُ . ومضت السنون بعد ذلك وهو مثال لنا في الهمة والاجتهاد والدعة وكرم الاخلاق . مرشد حكيم نتَّبع قدوتهُ وصديق مخلص تفيد مودتهُ وهذا رأي تلامذتهِ كلهم الذين تعلَّموا منهُ كما هو رأي معارفهِ الذين عاشروهُ وعاملوهُ

وقد علمنا منذ ثلاث سنوات انهُ صار على حدود الثمانين فعزمنا مع بعض تلامذتهِ ومريديهِ ان نهدي اليهِ هدية تليق بشأْنهِ اعراباً عن شكرنا لهُ وتذكاراً لفضلهِ على ابناء العربيَّة فكتبنا اليهِ نسألهُ عن بعض الامور في تاريخ حياتهِ ونطلب منهُ ان يختار لنا صورةً من صورهِ لننشرها مع ترجمتهِ (وكنا عازمين ان نجعل الترجمة تمهيداً للهدية او للتذكار) فابى علينا ذلك اولاً ثم اجابنا الى طلبنا بعد المحاجة الشديدة ولكنهُ لم يجبنا الاَّ بعد ان وعدناهُ اننا نوجز المقال جدًّا ونجعل ترجمتهُ علمية محضة خالية من الاطراء. ثم علم غرضنا من نشر الترجمة وهو التمهيد الى تقديم الهدية او اقامة التذكار فكتب الينا ينهانا عن ذلك ويظهر كراهتهُ لهُ ولم يكف حتى كتبنا اليهِ اننا ائتمرنا بامرهِ وعدلنا عمَّا قصدناهُ . اما الترجمة التي نشرناها حينئذٍ فخلاصتها في ما يلي

"هو ارمني الاصل كما تدلُّ كنيتهُ وملامحهُ وُلد في بداءَة سنة ١٨٢٧ . وشرع وهو في الخامسة يتعلَّم مبادئ القراءَة . ولما انشئت المدرسة الاميركية الاولى في بيروت سنة ١٨٣٦ انتظم في عداد تلامذتها وبقي فيها ست سنوات وكان التعليم فيها باللغة الانكليزية فاتقن هذه اللغة حتى لا يفرق عن فصحاء اهلها لفظاً وانشاء . وبعد خروجهِ منها قرأَ النحو والبيان على الشيخ ناصيف اليازجي من علماء الشام والعروض والمنطق على الشيخ عقل الزويتيني من علماء حلب ولازم افاضل المرسلين الاميركيين ثماني سنوات وقرأَ عليهم العبرانيَّة واللاتينيَّة

واليونانيَّة والعلوم اللاهوتية وعلى ثلاثة من اطبائهم اكثر فروع الطب ثم اكمل دروسهُ الطبية في ادنبرج ونيويورك ونال الشهادة الطبية بعد الامتحان

ولما فُتح الفرع الطبي من المدرسة الكلية في بيروت سنة ١٨٦٧ جُعل فيهِ استاذًا للتشريح والفسيولوجيا على ما تقدم فدرَّس هذين العلمين ست عشرة سنة متوالية والَّف فيهما كتابين جليلين بالعربيَّة لا يزالان اوسع ما وضع في هذين العلمين بها حتى الآن. ثم انتُدب لتدريس الطب الباطني بعد استعفاء الدكتور فان ديك فدرَّسهُ اربع سنوات. وكان طبيبًا للمستشفى البروسياني في بيروت المعروف بمستشفى فرسان مار يوحنا فاهدى اليهِ اصحابهُ وسام الاستحقاق الذهبي وساعة ثمينة نقشوا عليها اسمهُ وذكروا خدمتهُ في ذلك المستشفى خمس عشرة سنة. ومنحتهُ الدولة العثمانية الوسام المجيدي الرابع اعترافًا بخدمتهِ مدة الكوليرا سنة ١٨٧٥ والعثماني الرابع جزاء ما الَّفهُ ونشرهُ من الكتب العلمية فقابل الوسامين بالشكر لانهُ نظر الى الدلالة المقصودة منهما

ويمتاز في تأليفهِ وتدريسهِ وتطبيبهِ ومعاشرتهِ ولهُ في كل امر من ذلك خطَّة معلومة ترى باقل نظر

ففي التأليف يتوخى الفائدة والسهولة كما يبين من الكتب التي الَّفها او ترجمها ومن المقالات التي كتبها بالعربيَّة او بالانكليزية

ولهُ من الكتب العلمية كتاب التشريح. وكتاب الفسيولوجيا. وكتاب صغير في التشريح والفسيولوجيا مع اطلس كبير. وكتاب في حفظ الصحة. واكثر من ثلاثين مقالة اكثرها باللغة الانكليزيَّة بعضها في المواضيع الطبية كالجذام والطاعون والكوليرا والحمى التيفويدية والتريخينا ونحوها. وبعضها في مواضيع ادبيَّة كوصايا الشيوخ للشبان والتربية المدرسية والمصريين القدماء ونحو ذلك من المقالات التي تراها منشورة في المقتطف. وترجم كثيرًا من الكتب الدينية والتفاسير ورأينا لهُ كتابًا كبيرًا بالانكليزية موضوعهُ تاريخ الكنائس الشرقية فلما رأينا احدًا اشار اليهِ وسيأتي الكلام على كتابهِ الاخير في حكمة العرب بالانكليزية.

واسلوبهُ في الكتابة خالٍ من التعقيد ومقصور على ايراد المعنى المراد من غير التفات الى تنميق الالفاظ والتراكيب. وقد عرف الاوربيون والاميركيون قدرهُ العلمي لما رأوهُ من تآليفهِ فانتخب عضوًا في المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج ومجمع لندن في علم الامراض الوافدة والاكادمية الطبية في نيويورك. ومنحتهُ مدرسة ييل الجامعة الدكتورية الاكرامية

واسلوبهُ في التدريس مثل اسلوبهِ في التأليف فلا يترك امرًا جوهريًا الّا بعدان يفهمهُ

تلامذتهُ حق الفهم نظرًا وعملاً . والتشريح من اصعب العلوم في تدقيقاتهِ وكثرة ما يجب حفظهُ منهُ ومع ذلك كان تلامذتهُ لا يتركون شيئاً منهُ جوهريًا الاَّ ويستظهرونهُ اقتداء بهِ . والفسيولوجيا من العلوم الدقيقة النامية فكان يصل في تدريسها الى آخر حدٍ وصلت اليهِ حينئذٍ في ايدي علماء اوربا ويرسّخ قواعد العلمين في ذهن التلميذ بالتشريح العملي والبحث الفسيولوجي . وهو مثال في المواظبة والمحافظة على الوقت فلا يضيع دقيقة من اوقات التدريس بل يضيف اليها كل ما يلزم لقرن العلم بالعمل وجعلهِ بحيث يرى التليمذ فيهِ لذةً ولولم يكن مما يُرغب فيهِ عادة كعلم التشريح

ومن غريب امرهِ انهُ كان يتذكر كل الاسماء التشريحيَّة على كثرتها فلا يشار الى عظم من عظام الجسم ولا الى عضل منهُ ولا الى شريان او وريد او وتر الاَّ ويذكر اسمهُ واسم كل ما يتعلق بهِ ومع ذلك ينسى اسماء تلامذتهِ فلم تكن لهُ اقل عناية بحفظ الاعلام لقلة اعتنائهِ بالاعراض

ومدار اسلوبهِ في التطبيب الاعتماد على الوقاية والتدابير الصحية ومساعدة الطبيعة للتغلب على المرض والاقلال من العلاجات الدوائية على قدر الامكان وبث الثقة في نفس المريض بتخفيف الامر عليهِ . وهذا الاسلوب قد لا يفيد الطبيب مالاً ولكن المال ليس الغرض الذي كان يرمي اليهِ وهو من ازهد الناس في الدنيا

روى لنا ثقة منذ نحو خمس وعشرين سنة حادثة يصحُّ نشرها في هذا المقام . قال " مرضت زوجتي فاستدعيتهُ لما نجمل يعالجها ويعودها كل يوم وانا ادفع اليهِ اجرة العيادة حسب العادة . وذات يوم ابنتُ لهُ اني افضّل ان لا يعودها كل يوم فلحظ انني استثقلت دفع اجرة العيادة فوقف وسألني عن عملي وراتبي فاخبرتهُ فمضى ثم عاد ومعهُ كل الدراهم التي اخذها مني فردها اليَّ واضطرَّني الى اخذها وواظب على عيادة زوجتي من غير اجرة " . هذا ما وعتهُ الذاكرة من هذه القصة وقد نكون مخطئين في بعض تفاصيلها لبعد المدة ولكن مجملها كذلك . ولا يبعد ان يكون لها امثال كثيرة . وليس الغرض من ذكرها التنويه بفضلهِ واحسانهِ بل الاشارة الى انهُ كان يعدُّ الكسب من صناعة الطب امرًا ثانويًا

الى هنا كان النظر اليهِ من حيث كونهُ رجل علم منقطعاً لافادة ابناء نوعهِ والآن ننظر اليهِ من حيث مقامهُ بين معاشريهِ

اذا نظر اليهِ المرء ولو مرةً واحدةً لا ينسى ما يراهُ في وجههِ من امارات الهيبة والوقار وقد يظنهُ لاول وهلة عبوساً غير انيس المحضر ولكنهُ اذا عاشرهُ ولو قليلاً رآهُ على جلالة قدرهِ من اكثر الناس بشاشة وافكههم حديثاً . ويغلب الوقار عليهِ في مقام التعليم والارشاد كما اذا

وقف واعظاً او خطيباً . والمواضيع التي يبني كلامهُ عليها حينئذٍ مدارها في الغالب الحث على الفضائل واقامة الادلة العلمية والتاريخية على فائدتها فكم من مرة اتخذ موضوعاً لعظاتهِ قول الكتاب ان التقوى لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة وما يماثل ذلك من الآيات الكتابية. وخطبتهُ المعنونة وصايا الشيوخ للشبان اوضح مثال لذلك وهي منشورة في المجلد التاسع عشر من المقتطف. ولكن الحياة ليست كلها تعلماً وتدريباً بل جانب كبير منها معاشرة ومعاملة فاذا رأيتهُ في حديقة بيتهِ يعتني بازهارها ورياحينها او رأيتهُ يلعب الالعاب الرياضية فيهامع الشبان والصبايا او رأيتهُ مع عشرائهِ يطربهم بفكاهة حديثهِ ويقص عليهم النوادر الغريبة اورأيتهُ يضحك لنكتة كما رأيناهُ مرةً اغرب في الضحك لكلمة قالها احد التلامذة فجاءت تورية مضحكة — من رآهُ كذلك قال ان الوقار والبشاشة اجتمعا فيهِ احسن اجتماع من غير افراط ولا تفريط.

هذا جل ما نشرناهُ من ترجمتهِ سنة ١٩٠٥ وبعث الى المقتطف في السنة الماضية (سنة ١٩٠٧) بثلاث مقالات الاولى حكم من اقوال الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي مهد لها تمهيدًا حسنًا ذكر فيهِ خلاصة ترجمتهِ ثم ترجم امثالهُ وعارضها بما يقابلها من الامثال العربيَّة نثرًا ونظمًا وهي في كثير من المواضيع الادبيَّة كالكرم والبخل والاحسان والتواضع والكبرياء والعلم والظلم والقناعة والامانة

والثانية وصايا فتاح هوتب لابنهِ وكان فتاح هوتب وزيرًا للملك ايسومي من الدولة الخامسة المصرية وكتابهُ اقدم ما وصل الينا من كتب المصريين القدماء يمتدُّ تاريخهُ الى اكثر من ثلاثة آلاف وخمس مئة سنة قبل المسيح وهي من افضل الوصايا التي اطلعنا عليها في العربيَّة وغير العربيَّة

والثالثة حكم وامثال من التلمود واكثرها من جوامع الكلم مثل تعلَّمْ ثم علِّم . الآس آس ولو في قفر . مناظرة العلماء تزيد العلم

وقد اختار هذه الحكم الفارسية والمصرية والعبرانية من كتب حكم المشرق التي طبعت حديثًا في البلاد الانكليزية وألَّف لطابعيها كتابًا جمع فيهِ كثيرًا من الحكم والامثال العربيَّة فراجت سوقهُ ونفدت نسخهُ حتى طلب طابعوهُ منهُ ان يردفهُ بكتاب آخر اوسع منهُ . وكتب الينا قبيل وفاتهِ يقول انهُ انجز ذلك الكتاب ولا ندري هل طبع او لم يطبع حتى الآن

ولما اطلع على ما كتبناهُ عن اسابيا بلادينو والشفاء الغريب في المجلد الثاني والثلاثين من المقتطف بعث الينا بمقالة يفسر بها تلك الغرابة ويذكر بعض الحوادث التي وقعت لهُ من هذا القبيل فنشرناها في الجزء الاول من المجلد الثالث والثلاثين اي منذ اثني عشر شهرًا

واعتراهُ مرض في حنجرتهِ منعهُ من الكلام وكاد يمنعهُ من التنفس حتى اضطرَّ الجراحون ان يشقوها لهُ فصبر على هذه البلوى صبر الكرام وكتب الينا بعد ذلك مراراً وهو يقول ان الداء منعهُ الكلام ولكنهُ لم يمنعهُ الكتابة ويود النجاة من تلك الآلام والخلاص من قيد هذا السجن الارضي وظلَّ كذلك الى ان طفئ سراج حياتهِ في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر الماضي وقد كتب الينا احد الادباء من بيروت يقول

" كانت الساعة الرابعة ونصف من بعد ظهر امس السبت عند ما انطفأ ذلك السراج المنير ووقفت حركة ذلك القلب الخافق في صدر ذلك العلامة الكبير وانعقد ذلك اللسان الناطق بالحكمة وصعد ذلك النفس الاخير وفاضت تلك الروح الطاهرة بين ذويهِ وتلامذتهِ . بين محبيهِ واصدقائهِ . بين سكون الطبيعة وبساطة المعيشة . بين عمل الخير ومحبة البائس . بين المسيحي والمسلم واليهودي . بين السوريين والاجانب . قضى الاستاذ الدكتور يوحنا ورتبات شيخ الاطباء ومات كبير الحكماء . صديق سورية والسوريين الصادق وفانديك الثاني الحبيب

قضى فاجتمع بعض الافاضل من اصدقائهِ ومنهم اسبر افندي شقير ومراد بك البارودي والسادات غندور اخوان وخليل افندي سركيس وجرجس افندي صيقلي وغيرهم وارسلوا خبر وفاتهِ الى ارباب المقامات العالية واطباء البلدة وعلمائها وافاضلها ورؤَساء مدارسها . فاخذوا يتواردون الى بيتهِ معزين ابنتهُ الآنسة ادلا نادبين الاستاذ الكبير والشيخ الحكيم معددين صفاتهِ ومناقبهُ متأسفين على صديق صادق وحبيب مكرَّم

فما كانت الساعة الثانية ونصف بعد ظهر الاحد وهو الوقت المعين لنقل الجثة حتى احتشد جمع غفير من نخبة القوم وسراتهِ فساروا بالنعش موضوعاً في عربة بسيطة الى الكنيسة الانجيلية ووضعوا النعش على منصة وهو مغطى بالاكاليل الطبيعية والاصطناعية . وكانت الكنيسة ملأى بالناس من قناصل وموظفين واطباء وعلماء ووجهاء وادباء . مسلمين واسرائيليين ودروز ومسيحيين وطنيين واجانب

فصلى عليهِ حضرة الفاضلين القس اسعد عبدالله والدكتور مكي وقد اوصى الفقيد ان لا يتولَّى الصلاة عليهِ غيرهما . ثم حمل النعش ثانية واشترك في حملهِ سوريون واجانب مسلمون ومسيحيون الى المقبرة الاميركانية حيث دفن بالاكرام والاجلال ولولا وصيتهُ بان لا تُتلى على قبرهِ التآبين والمراثي لكنا سمعنا الكثيرين من خطباء بيروت وادبائها الذين كانوا مستعدين للقيام بهذا الواجب المقدس

هكذا دفن العالم العامل والحكيم الكبير فكان بسيطاً في حياتهِ وبسيطاً في مماتهِ . ولكن

من تلك البساطة ظهرت عظمتهُ فاجمعت القلوب على احترامهِ وحبهِ واكرامهِ

هذا صديق السوريين واستاذ الكثيرين منهم رأينا في حفلة جنازتهِ المسيحي والمسلم واليهودي والدرزي جسماً واحداً وعضواً واحداً في الاسف عليهِ والاشتراك في اكرامهِ واعظامهِ"

وقد كتب الينا غيرهُ بمثل ذلك والكل مجمعون على ان ابناء سورية ودَّعوا بوداعه اصدق صديق واخلص مرشد. وحبذا لو اهتمَّ تلامذتهُ ومريدوهُ باظهار الاكرام لهُ الذي منعهم من اظهارهِ في حياتهِ وهو الاكتتاب بقدر من المال ينشأ بهِ تذكار يليق بمقامهِ بوضع فوق لحدهِ او في مكان آخر حيث يراهُ ابناؤُنا فيتذكرون فضلهُ

الصناعة العربية

لما كان العرب في جزيرتهم لم يكن لهم صناعة تذكر بين الصناعات القديمة المشهورة لا في البناء ولا في النقش . وكل ما رأيناهُ من رسوم آثارهم وتماثيلهم التي وجدت في مدائن اليمن وحضرموت لا يدلُّ على تفوُّق في الصناعة يُقابَل بما وجد في بابل وفينيقية ومصر والهند والصين. ولما ظهر الاسلام وخرج العرب من جزيرتهم ودوَّخوا الاقطار وورثوا ممالك الفرس والروم وقطعوا الى اوربا حوَّلوا الكنائس الى مساجد واستخدموا الصنَّاع من الفرس والروم في بناء المباني وزخرفتها ومرَّت القرون وهم يستقدمونهم مأجورين كما فعل الوليد لما بنى الجامع الاموي في دمشق او يجلونهم في جملة الغنائم كما فعل تيمورلنك بصناع دمشق لما فتحها

هذا ما ظل الغزاة يفعلونهُ حتى القرن التاسع فما قولك بما كانوا يفعلونهُ في القرون الاولى . الَّا ان الصناع الذين استخدمهم ملوك العرب سواء كانوا من الروم او الفرس او من العرب انفسهم او من ابناء البلدان التي تسلطوا عليها لم يعتنوا برسم الصور ونقش التماثيل الَّا في الاندلس وكانوا يكتفون برسم الاوراق والازهار والاشكال الهندسيَّة فنشأَت من ذلك صناعة خاصَّة نعرف الآن بالصناعة العربيَّة . ومهروا فيها مهارة فائقة وادخلوها في كل مصنوعاتهم من الحجر والخشب والعظم والعاج والصدف والحديد النحاس والفضة والذهب . وترى مصنوعاتهم في مساجدهم وقصورهم وبيوت كبرائهم تستوقف الابصار بحسن روائها واحكام اجزائها وقد خلَّفوا منها في اسبانيا ما لا يزال آية في الجمال

وشاعت هذه الصناعة في المساجد وفي الكنائس ايضاً فتجدها في كنائس القبط القديمة

كما تجدها في مساجد المسلمين · وقد احتفظ بعض ابناء هذا القطر بها ومنهم المرحوم ابادير وهبه الخرّاط واخوهُ وابنهُ تادرس افندي ابادير وقد رأَينا لهم مصنوعات بالغة حد الاتقان في مساجد مصر ومدافنها ولاسيما في جامع الرفاعي ومدافن امراء العائلة الخديويَّة وهي في الخشب والعاج والرخام والنحاس والفضة وتشمل النوعين القطع الهندسيَّة والاوراق المتداخلة

ومنذ عهد قريب اراد لورد كرزن حاكم الهند السابق ان يهدي هدية نفيسة الى بعض اصدقائهِ في بلاد الهند فاختار ان يصنع لهم قنديلاً مثل القنديل الشهير الذي كان معلقاً في مدفن السلطان بيبرس فاستشار مدير دار التحف المصرية فاشار عليهِ ان ينتدب لصنعهِ تادرس افندي ابادير فصنعهُ لهُ نجاء طبق الاصل تماماً في كل شيء وهو المرسوم في الشكل المقابل وكتب لورد كرزن اليهِ كتاباً انكليزيًّا يقول فيهِ ما ترجمتهُ

"يقول لورد كرزن بمزيد السرور ان تادرس ابادير صنع لهُ قنديلاً من النحاس المطعَّم بالذهب والفضة على مثال القنديل الشهير الذي كان معلقاً في ماضي الزمان في مدفن السلطان بيبرس الثاني وان هذا القنديل الذي سيعلق في مدفن التاز بمدينة اگرا في بلاد الهند قد بلغ من دقة الصنعة ومزيد الاتقان ما يشهد بالحذق العظيم لصانعهِ تادرس ابادير"

وقد قضى تادرس افندي على صنع هذا القنديل ثمانية عشر شهراً فجاء آية في الصناعة · ومصنوعاتهُ ومصنوعات المرحومين والدهِ وعمهِ تشهد لهم انهم احتفظوا بهذه الصناعة واتقنوها · وقد رسمنا في الشكل التالي صورة باب من ابواب الخزائن التي صنعوها وهو من الخشب والعاج والابنوس وكلهُ قطع محكمة على اشكال هندسيَّة يتصل بعضها ببعض من غير غراء فتأتي متينة كأنها قطعة واحدة ولا يؤثر فيها جفاف الهواء في القطر المصري

ولهذه الصناعة شأن كبير عند الاوربيين فترى المستشرقين منهم يأخذون اثاث بيوتهم من القطر المصري ويتباهون بهِ · دعانا الاستاذ سايس الاثري المشهور الى بيتهِ في مدينة لندن فلما دخلنا غرفة الاستقبال ظننا انفسنا في القطر المصري في غرفة اثاثها كلهُ من عمل المشربيَّة · واهدينا امتعة سوريَّة الى بعض اصدقائنا في اميركا فكتبوا الينا ان كل الذين شاهدوها من الاميركيين اعجبوا بها وفضلوها على ما يصنع في اوربا واميركا

فعسى ان يحتفظ ابناء مصر والشام بصناعتهم القديمة ويزيدوها اتقاناً فانهُ لا يبعد ان تصير من جملة ابواب الكسب الكبيرة ولا نعني صناعة الخشب والعظم والعاج وحدها بل ايضاً صناعة النسيج المنقوش والمعرَّق · وعسى ان يزيد اهتمام الوطنيين بها فيعتمدوا عليها في فرش بيوتهم بدلاً من اعتمادهم على المصنوعات الاوربيَّة فيقوى الصناع على زيادة اتقانها

الخلل في تركيب جسم الانسان

الخلل في وظيفة حفظ النوع

برهنتُ في المقالة التي نشرت في العدد السادس من المجلد ٣٣ من المقتطف ان نظام التركيب في الانسان ليس كاملاً لانهُ بلغ ما هو عليهِ من النمو والارتقاء تبعاً للناموس الطبيعي الذي يقضي بنمو عضو او انحطاطهِ حسبما يطرأ عليهِ من الطوارىء والحوادث التي تقضي بذلك وبيّنت ان عضواً رئيسياً يتوقف عليهِ عمل مهم من اعمال الحياة وهو القناة المضمية فيهِ من سوء التركيب وخلل النظام ما يؤيد هذا الرأي ويثبت ان تركيب الانسان ليس كاملاً ونظامهُ ليس بالنظام البديع الخالي من العيب والتشويش. وقد وعدت ان اعود الى البحث في هذا الموضوع وسأبسط في هذه المقالة الخلل في نظام حفظ النوع وخلل الغرائز

يظهر لاول وهلة وقبل انعام النظر في الموضوع ان حفظ النوع في الانسان بالغ حد الكمال وان عاطفة الحب المتمكنة فيهِ تبعدهُ عن الحيوان الاعجم بعداً شاسعاً لان الحيوان الاعجم وان انعطف على صغارهِ فانعطافهُ قصير المدة وينسى الوالدان اولادهما سريعاً وان اكثر الحيوانات تقتل صغارها وليس لها جامعة عائلية ولا جامعة قومية. ولكننا نرى بعد البحث ان الانسان وان ارتقى فالاصل الحيواني متمكن فيهِ وانهُ يحفظ في كل جزء من اجزائهِ وفي كل عاطفة من عواطفهِ او غريزة من غرائزهِ اثراً لذلك الاصل كما ذكر في غير هذا المكان وكما يتضح مما يأتي

اذا فحصنا جهاز حفظ النوع في الكائنات الادنى من الانسان رأيناهُ افضل نظاماً واكمل تركيباً مما هو في الانسان واذا اخذنا النبات مثالاً لذلك رأينا ان حياة النوع فيهِ تقوم بمجموع اجهزة ووظائف تامة الترتيب والاتقان وان حفظ النوع فيهِ نظام بديع لا خلل فيهِ ولا تشويش

اما الانسان فاعضاؤُهُ المختصة بحفظ النوع منها ما لا وظيفة لهُ لانهُ خسرها بطول الزمن للاستغناء عنها واصبحت اثرية يستدل بوجودها على اصلها السابق وهي كغيرها من الاعضاء الاثرية عرضة للعلل والامراض التي كان الانسان سليماً عنها لو لم توجد. ويظهر باقل بحث ان الانسان خنثوي في الاصل لان اعضاء النوعين موجودة كاملة او اثرية في كل من الرجل والمرأة. ولا ينحصر وجود هذه الاعضاء الاثرية في الانسان بل يشمل اكثر

ذوات الفقرات ويستدل من ذلك على انها كانت في الزمن السابق والبعيد جدًّا خنثوية اي كل فرد منها ذكر وانثى معاً ثم انفصل النوعان وترك كلٌّ منهما للآخر اثرًا دالاً على اصلهِ وهذا الاثر قد يكون واضحاً كظهور الثديين في الرجل او قليل الوضوح كبوقي المبيض في الرجل . واذا قابلنا بين ما هي عليهِ هذه الاعضاء الاثرية في الانسان وما هي عليهِ في الحيوانات رأينا انها اكثر ضمورًا في الانسان مما هي في الحيوانات ومنها ما اختفى في الانسان وبقي واضحاً في الحيوان مثال ذلك قناة الكلية الجنينية المعروفة بجسم ولف فهي موجودة في الحيوان ونادرة في الرجل البالغ على ان الجهاز التناسلي الباطن يحتوي في الانسان على كل انواع الاعضاء الاثرية التي لا فائدة لهُ منها وكثيرًا ما تضرُّ بصحتهِ وحياتهِ لان الاعضاء الضامرة التي لا تقضي وظيفة هي بمثابة جسم غريب في الجسم الحيّ وعلاقتها بحياتهِ تجعلها عرضةً لعيوب خلقية وامراض مرضية . فالبروستاتا في الرجل عديمة الفائدة وكثيرة الامراض والاضرار كما يعلم الاطباء والجراحون واذا نمت ولَّدت نوعاً من الخنثوية الشاذة ومثلها بعض الاكياس المائية التي تنمو على اثريات الجهاز البولي في الرجل . والمبيض في المرأة وان كانت لهُ وظيفة معينة فهو يحفظ بقايا جهاز مفقود تتولد منهُ متولدات مرضية كالاكياس الغشائية والاورام السرطانية

اما الاعضاء الكاملة النمو بحسب الظاهر فتقضي وظيفتها في التوليد ولكنها مع ذلك كثيرة الخلل والعيب وهي كغيرها مما سبق ذكرهُ تدل على خلل في تركيب الجسم الانساني

ولنبدأ اولاً بفحص ظاهرة من الظواهر التي رسخ في ذهن العموم انها طبيعية وانها ليست في شيء من خلل التركيب واعني بها الطمث . فقد اجمعوا على انهُ وظيفة مفيدة للمرأة لانها واسطة لمنع احتقانات قد تكون مضرة ببنيتها ومخلة بصحتها لان العضو الذي يتعرض للنزف يحكم عليهِ بدون تردد انهُ عضو مريض فنزف الدم من الانف والرئتين والامعاء ومجرى البول يدل على وجود علة في تلك الاعضاء كثرت اهميتها او قلت ونزف الدم في الطمث علامة مرض رحمي ويدل غالبًا على وجود اورام في الرحم ويشذ عن ذلك سيلان الدم حينئذٍ الذي تخسر فيهِ المرأة من ١٠٠ الى ٦٠٠ غرام من دمها وهو السائل الثمين والمهم في الجسم فيجدر بنا اذًا ان نبحث فيهِ بحثًا دقيقًا لنقف على مصدرهِ ونفهم معنى وجودهِ

نقول اولاً ان الطمث ليس من خصوصيات النوع الانساني لان في الحيوان الاعجم شيئًا شبيهًا بهِ . ويحصل لاناث القرود في حدائق الحيوانات سيلان دوري يشبه عادة النساء الشهرية

والظاهر ان هذه العادة قد اكتسبت صفة جديدة وانها بلغت الحالة التي هي عليها الآن بسبب تنويع احوال المعيشة التي تتابعت في تاريخ ارتقاء الانسان وابطال الزواج الباكر مما لا محل لبسطهِ هنا وبهذا الاعتبار يكون الطمث حالة غير اصلية في الانسان ويمكننا ان نعتبرها حالة مرضية لان السيال الدموي الغزير الذي يسبقهُ ويرافقهُ آلام واضطرابات عصبية وعقلية لا يعتبر ظاهرة اصلية من ظواهر الحياة الفيسيولوجية . ولذلك فاكثر شعوب الارض تعتبر الطمث حادثاً غريباً وتحسب الطامث قذرة وتحذر عليها الدخول الى المعابد . ويعتقد العامة ان الطامث اذا امتطت فرساً اماتتها او اسقطتها كما لا يخفى وفي كتب الاديان ما يشير الى ذلك

ويوجد ايضاً ظاهرة ثانية ليست اصلية في وظيفة حفظ النوع بل اكتسبها الانسان في اطوار نشوئهِ وهي آلام الولادة لان الظاهرة الفيسيولوجية او الوظيفة الطبيعية القانونية لا يرافقها ألم بل الالم من اعراض خلل في تلك الوظيفة . وقد كانت الولادة في الاعصر السابقة خالية من الالم ويقول بعض المولدين ان ولادة اللواتي يتزوجن من سن ١٢ الى ١٨ تكون غالباً سهلة واسهل كثيراً من ولادة اللواتي يتزوجن متأخرات والسبب في ذلك هو مرونة الغضاريف في الحديثات السن التي بها يسهل توسيع الحوض فيسهل مرور رأس الجنين الأ ان هذه السهولة لا يجوز ان تتخذ قاعدة للزواج الباكر لان الوفيات فيهِ عقيب الولادة كثيرة . ومما يجدر ذكرهُ هنا ان النساء البدويات قلما يشعرن بآلام الولادة وقد تلد المرأة منهنَّ وهي راحلة مع قومها فاذا احست بالمخاض تحولت الى منعطفٍ فتلد وتقطع لطفلها الحبل السري وتذرّ تراباً على مطاويهِ ثم تلف الطفل وتحملهُ وتعود الى قومها بعد بضع دقائق . اما الحضريات فآلام الولادة فيهنَّ شديدة ومخاضهن صعب ومدة نفاسهنَّ طويلة ولعلَّ التأنق في المعيشة الذي فرق بينهنَّ وبين البدويات يفسر لنا اسباب الألم ويدلنا على انهُ حادث في الانسان وليس اصلياً

ان ما تقدم من الكلام يقودنا الى البحث في مسألة من اهم مسائل الخلل في النظام وهي ان البلوغ في الجنسين يحصل في السن الذي لا يمكن فيهِ الزواج سواء كان من حيث ضعف البنية او من حيث الظروف الاقتصادية لان بلوغ البنت يظهر بين سن ١٢ و ١٣ وهي باقية على اخلاقها الصبيانية وعظام الحوض فيها غير نامية النمو الكافي للحمل والولادة . والصبي تظهر فيهِ عاطفة الحب وهو دون العاشرة ويبلغ في الرابعة عشرة اي في سن لا يستطيع فيهِ الزواج فالخلل اذاً واضح لعدم وجود نسبة بين البلوغ وبين نمو الجسم او بين المراهقة والبلوغ

الصحيح التام · وينتج عن ذلك مضار كثيرة ولا سيما للفتيان لانهم يعتادون رذيلة من اشد الرذائل ضررًا على البنية ومن اكثرها شيوعاً حتى يجوز لنا ان نحكم انها رذيلة كامنة في اعماق الطبيعة البشرية وتظهر باقل تنبيه لها وهي بدون شك نتيجة عدم انتظام الطبيعة البشرية في النمو · وعواقب هذه الرذيلة سيئة جدًّا على الاولاد وقد تكون سبباً لامراض وبيلة ولانحرافات مهمة كالصرع والجنون والسل والبله والهزال وغيرها مما لا يسع المقام شرحهُ ولهذا شددت الاديان بتحريمها واوصت كثيرًا بالعفاف وجعلتهُ تكريمًا للالوهية واستندت في وصاياها على فساد الطبيعة البشرية

اما البلوغ فيظهر في الذكور في الرابعة عشرة والزواج لا يتم الَّا في الثلاثين تعديلاً وتبلغ البنات في سن ١٢ او ١٣ ويتزوجن في سن ٢٠ تعديلاً فالمدة بين البلوغ والزواج طويلة وهي شر اضطراري يدعو اليهِ خلل في تركيب الانسان وعليهِ فوظيفة حفظ النوع في الانسان مشوشة ومختلة النظام الدكتور امين ابو خاطر

خليل الخوري اللبناني

الصحافي

انشأ المترجم اول جريدة عربية سماها (حديقة الاخبار) سنة ١٨٥٨ وطبعها في مطبعتهِ السورية التي انشأها في تلك السنة ايضاً وصدَّر اول عدد منها بقصيدة شائقة في مدح السلطان عبد المجيد وسماها (بهجة العصر) وختمها بقولهِ

يا جيرةَ الشرق هبُّوا من رقادكمُ   انَّ العلوم لها في قطركم ذممُ
راقت كؤُوسُ المنا بالعدل فارتشفوا   وذي (حديقة) هذا العصر فاغتنموا

ولقد ارهف قلمهُ لكتابة المقالات الادبية والسياسية والروايات الفكاهية ولهُ مباحث اخلاقية تدل على كثرة اطلاعهِ ونشر فيها روايتهُ الاخلاقية التي عنوانها (وَي اذن لست بافرنجي) ولقد طبعها بمطبعتهِ السورية جامعاً اياها من حديقتهِ سنة ١٨٦٠ في ١٦٢ صفحة وكان كثيرمن اصدقائهِ يعربون بعض الروايات والمقالات ويبعثون بها اليهِ لينشرها كالمرحومين سليم دي بسترس واسكندر بك التويني وغيرهما · ولما تعين بمعية فؤاد باشا المعتمد السلطاني سنة ١٨٦٠ خصص الحديقة بخدمتهِ وجعلها شبه رسمية للحكومة فنال عليها راتباً خاصاً ومكافآت · ولما نصب المغفور لهُ فرنكو باشا متصرفاً للبنان اتخذ الحديقة كجريدة رسمية

للمتصرفية وصدرت اذ ذاك بالفرنسية والعربية واجازهُ المتصرف بثلاثة آلاف غرش كل شهر واتخذ اعوانًا يساعدونهُ في كتابتها منهم المرحوم سليم شحاده وشقيق المترجم المرحوم سليم الخوري صاحب آثار الادهار وغيرهما وهكذا بقيت الحديقة تخدم الدولة والوطن الى ان كثرت شواغل المترجم فعهد بانشائها الى شقيقهِ وديع افندي ولكنها وقفت في العام الماضي (سنة ١٩٠٧) ولما اتمت الخمسين في اثناء السنة الماضية نوى فريق من الادباء ان يحتفلوا بيوبيلها الذهبي فامتنع المترجم واعتذر

واقد اشتغل بالترجمة والتأليف مع الصحافة فوضع روايةُ الاخلاقية التي ذكرناها آنفًا وعرَّب (تكملة العبر) الذي وضعهُ صبحي باشا بالتركية في جزئين مطبوعين وهو تتمة لتاريخ ابن خلدون وتولَّى ادارة ترجمة الدستور الهمايوني عن التركية وقام بذلك المرحوم نوفل نعمة الله نوفل الطرابلسي وطبع في مجلدين وطبع كثيرًا من الكتب المفيدة في مطبعتهِ · ولهُ من المؤلفات والمجموعات المخطوطة خطبة في خرابات سورية تلاها سنة ١٨٥٩ ومقتطف تاريخي من كتاب (روضة الاوائل والاواخر لابن الشحنة) وكتاب (الروضتين في اخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسي) · وديوان شعر كبير يجمع منظومهُ من بعد سنة ١٨٨٤ الى وفاتهِ · ومجموعة شعرية تاريخية كبيرة · ورواية النعمان وحنظلة التي نظمها المرحوم الشيخ خليل اليازجي بعنوان (المروَّة والوفاء) وترجمها بالفرنسية ميشال بك مرسق · ولهُ خطب كثيرة القاها في المنتديات والحفلات · واهمُّ مؤلفاتهِ التي لم تطبع تاريخ مصر الذي اقترحهُ عليهِ الخديوي سعيد باشا فانجزهُ سنة ١٨٦٤ بعد اربع سنوات من اقتراحهِ وحملهُ الى اسماعيل باشا الخديوي اذ ذاك فاجازهُ بألفي ليرة انكليزية ولم نعرف عنهُ شيئًا ولعلهُ في المكتبة الخديوية

السياسي

بدأت حياتهُ السياسية سنة ١٨٦٠ لما قدم سورية فؤاد باشا معتمدًا سلطانيًا فاتخذ المترجم من خاصتهِ فكان يعرّب الأوامر والمناشير ويترجم لهُ فولع بخدمة الدولة ومدح السلاطين والوزراء بقصائد شائقة وانعم لهُ فؤاد باشا بالوسام المجيدي فقال :

نعم لا استحق نوال فخرٍ ولكن قد اردتَ فقلت اهلا
لأني فيهِ اكتسب الترقي وأصبح للظهور لديك أهلا
فدم بالسعد للدنيا فؤادًا ولا زالت لك العليا محلاً

وكثرت علاقاتهُ مع وزراء الدولة وعمالها ومعظمهم كان يتولى احكام سورية وما يجاورها

من الولايات العثمانية وله معهم مراسلات كثيرة وفيهم مدائح بليغة . ولما نُظمت ولاية سورية عهد اليهِ بادارة مطبعة الولاية وجريدتها الرسمية (سورية) بموجب ارادة سنية سلطانية لخبرتهِ الواسعة . ثم نصّب مفتشاً للمدارس غير الاسلامية في الولاية ومفتشاً لمكاتب لبنان بارادة سنية ايضاً وسنة ١٨٨٠ م صار مديراً للشؤون الاجنبية في ولاية سورية وسنة ١٨٨٦ م ساح في فرنسا وانكلترا وتزوج بالسيدة ظافر نوفل التي كان عازماً على الاقتران بامها وعاد الى سورية

واشتهر بسياستهِ السورية العثمانية واعتمد عليهِ الولاة لسديد آرائهِ وواسع حنكتهِ وكان يعيَّن في اللجان التي تنظَّم للاحتفال باستقبال الملوك والامراء الذين يزورون سورية وآخرهم كان جلالة غليوم الثاني امبراطور المانيا . ولقد سعى باستحصال بعض الامتيازات للمجلات والجرائد العربية في سورية اخصها المقتطف والجنان وانتدبهُ الولاة لفض كثير من المشاكل ولاسيما في ولاية سورية ومتصرفية لبنان فقام باعباء ذلك احسن قيام ونال الرضى العالي حتى انعمت عليهِ دولتنا العلية بكثير من الاوسمة الرفيعة والرتب السامية منها الرتبة الاولى سنة ١٨٨٦ والمجيدي الثاني سنة ١٨٩٣ والعثماني الثاني سنة ١٩٠٠ ونال مثل ذلك من الدول الاوربية كوسام ايزابلا الكاثوليكية من اسبانيا وكوردون دي لابروس من بروسيا وشير خورشيد من ايران وفرنسوى جوزف من النمسا والمجر وكوردون دي ايطالي وموريس لازار من ايطاليا وصوفور من اليونان والنسر الاحمر من المانيا وغيرها

ولهُ فوق كل ذلك عناية بلجان الخير فكان من مؤسسي الجمعية الخيرية الارثوذكسية في بيروت ورؤسائها ومن مساعدي جمعية زهرة الآداب وغيرهما ولهُ فيها آثار حسنة وايادٍ بيضاء وهكذا صرف حياتهُ مشتغلاً بالسياسة والأدب الى ان اقعدهُ الهرم فاعتزل الخدمة في آخر ايامهِ وعاد الى بيتهِ في بيروت فدعتهُ المنون في ٢٦ اكتوبر (ت ١) من السنة الماضية (١٩٠٧) واحتفل بمأتمهِ احتفال شائق فأبَّنهُ سيادة المطران جراسيموس مسرة الارثوذكسي والشيخ اسكندر العازار والياس افندي الحنيكاتي وخليل افندي زيدان

وكان طويل القامة قوي البنية معتدل العضل بين البدين والهزيل ابيض اللون اشهل العينين اسود الشعر حيوي المزاج لطيف المخالطة لين العريكة حسن المحاضرة دقيق الاحساس رقيق الشواعر جمع الى الوجاهة والسياسة الأدب

عيسى اسكندر المعلوف

اصل المصريين الحاليين

ونسبتهم الى قدماء مصر

[خطبة القاها الموسيو ماسبيرو مدير مصلحة الآثار المصرية في نادي رمسيس مساء ١٩ نوفمبر سنة ١٩٠٨ وعربها توفيق افندي حنين ونشرتها جريدة مصر فنقلناها عنها بتصرُّف قليل]

ايها السادة

ان جميع الشعوب التي كان لها ماضٍ مجيد تهتم اهتماماً دائماً بامر اصلها . فهي تناجي نفسها قائلة "هل نحن السلالة الحقيقية لذلك الشعب العظيم الذي اشتهرت بهِ سابقاً البلاد التي نحن اليوم فيها ام جدَّ بيننا و بينهُ عنصر آخر نشأ عن الامتزاج البطيء غير المحسوس او عن الغزو والفتح بشكل اشد . ولم يهدأ احد تلك الشعوب عن الاهتمام بهذا الامر . ففي فرنسا وفي ايطاليا وفي اليونان تعرض هذه المسألة على بساط البحث بان يتساءل فرنسويو هذه الايام وايطاليوها ويونانيوها هل هم سلالة قدماء الغاليين والرومان واليونان

اما الجواب على هذا السؤال فهو على الدوام " نعم نحن سلالتهم " وهو جواب تقضي بهِ العظمة الوطنية كما انهُ مطابق للصواب بوجه الاجمال

وقد عرضت المسألة نفسها على معرض البحث في مصر . واني اعتقد وجوب الاجابة عليها بنفس هذا الجواب . فان الشبه بين سكان القطر المصري واسلافهم بقي متسلسلاً حتى ايامنا هذه . على ان المصريين قد مرَّ عليهم في آلاف السنين التي قطعوها من طوارق الحدثان ما يجعل الذين اخلفوا الفراعنة الاول والذين حلوا محلهم هذه الايام محقين في التساؤل هل كانوا من سلالتهم رأساً او لا

وقبل الاجابة على سؤال كهذا او للاجابة عليهِ على الاصح يلزم اولاً ان نتساءل عن ماهية العنصر المصري السابق . فهذه هي الطريقة الوحيدة التي نعرف بواسطتها هل هو يتفق مع عنصر هذه الايام

على ان الخطاء عام في تعريف مسألة العنصر او الجنس . اذ عند ما بدأ الالمام باصول الاجناس يتثبت في الاذهان في اوائل القرن التاسع عشر فهم " الجنس " بانهُ مجموع رجال من دم واحد يتكلمون لغة واحدة و يقطنون بلداً واحداً . ولكن الاشياء متى نظرت من جهة قريبة ظهر الاختلاف في منظرها . فانهُ من الممكن ان يوجد حتى اليوم بعض مجتمعات

من الناس تتكلم لغة واحدة وتقطن بلداً واحداً ويكون دمها واحداً حقيقة لم يمتزج بدم آخر على التقريب فاذا وجد شيء من هذا القبيل عد مستثنى · والمؤكد ان هذا الجنس المستقل (اي الذي لم يمتزج بجنس آخر) اما ان يكون موجوداً بحالة استثنائية او انهُ غير موجود اصلاً · اذ قد اصبح كل بلد بفعل الامتزاج والاتحاد بشعوب اخرى كبوتقة واسعة تذوب فيها العناصر المختلفة وتحد بعضها ببعض بلا انقطاع · ومن هذا الاتحاد يتكون سكان ذلك البلد · فكل شعب يعدُّ اذن نتيجة الاختلاط المستمر الذي تتعين طبيعتهُ من طبيعة البلاد التي يقطنها ذلك الشعب

ومهما توغلنا في ماضي مصر — بغير تعليق اهمية على الزمن الذي يختلف فيهِ العلماء — فلسنا نصادف فيها عنصراً نقياً · بل نجد شعباً مكوناً من عناصر مختلفة لا يزال اكثرها مجهولاً لدينا

اننا اذا نظرنا الى الشعب المصري من الوجهة اللغوية وجدناهُ في مركز متوسط بين الشعوب الافريقية والشعوب السامية · واذا نظرنا اليهِ من الوجهة الادبية (١) ظهر لنا انهُ ينتسب على الاكثر الى العناصر الافريقية البيضاء ولكن مع بعض اختلاط بالعناصر الاسيوية

وهناك امر واحد تحققناهُ من بين الاصول الاولية المحاطة بالشكوك التي تكوّن منها العنصر المصري · ذلك الامر هو ان الامتزاج كان دقيقاً جداً حتى انهُ يظهر لنا من اقدم الآثار عهداً وجود التماثل بين مصر في الازمنة البعيدة في القدم وبينها في الازمنة القريبة وقد كان تمدنها في تلك الازمنة افريقياً محضاً · فان العلامات الهيروغليفية التي هي اقدم شاهد على ذلك التمدن مأخوذة من اشكال الحيوانات والنباتات الافريقية الاَّ بعض الرموز كالتي تشير الى الخيل مثلاً فانها ادخلت الى مصر على مر الاجيال

وقد كان الشعب نفسهُ على مثل الاوصاف الجسدية والادبية التي تراها فيهِ اليوم · ففي ما يختص بالاوصاف الجسدية اذهبوا الى متحفكم (٢) تجدوا في التماثيل والنقوش الاشكال التي انتم عليها اليوم نفسها. فانكم ترون اشخاصاً طوال القامة نحيفي الاجسام عليهم سمات النبل والشرف · ثم ترون بجانبهم عنصراً صغيراً ثقيلاً تظهر عليهِ قليلاً العلامات العامية · وفي كلتا الحالتين تتغلب علامات اللطف والبشاشة على اكثر الهيئات

وقد كان هذا الشعب يميل الى الجذل كشعب اليوم · فكثيراً ما صوّر الاشخاص بهذه التماثيل وهم يمزحون فيما بينهم ويضحكون كما يؤخذ ذلك من الفصول المضحكة التي تتخلل رسوم

(١) الطبائع والاخلاق (٢) متحف قصر النيل

حوادث الصيد والرقص ومعارك الفلاحين . ولم ترَ في تلك الرسوم اثرًا للقسوة بخلاف ما نراهُ في رسوم الشعوب المعاصرة كالكلدانيين والاشوريين الذين لم يخشوا ان يعرضوا فوق تماثيلهم افظع المناظر الوحشية

ولم تكن علامات البشاشة والدعة في الدروج المكتوبة التي اتصلت بنا — من قوانين ادبية ومدنية — باقل مما هي في الصور والتماثيل اذ قد نصّ فيها عن العلاقات بين الطبقات العليا والسفلى . ولم تخلُ كتابة منها من تعاليم الرأفة بالضعيف وحب العائلة وطاعة الوالدين وان هذه التعاليم والحكم موضوعة بروح البساطة في شكل يمثل رب عائلة لا يجعل القوة مصدر سلطتهِ بل يريد ان تكون تلك السلطة نتيجة طبيعية لحب متبادل. واحيانًا لم تكن العائلة تراعي لربها خاطرًا او مزاجًا

وقد اكتشفت درج عجيب من البردي وهو محفوظ الآن في متحف "ليد" (١) يظهر منهُ ان زوجة اخذت تقلق راحة زوجها بعد مماتها فشكا حالهُ بلطف قائلاً "لقد اعطيتك كل ما اردت من الخبز والفاكهة والمشروبات . وكنت افعل كل ما كنت تريدين . وانت الآن تعودين لتزعجيني بعد موتك"

وقد اغار على مصر كثيرون من الغزاة من اول عهدها. فقحت المرة بعد المرة في القدم. واقدم اغارة عرفنا خبرها هي التي شنها الهيكسوس او "الملوك الرعاة" . فانتشر بهم في مصر عنصر جديد متبربر. واصبح زعماؤهُ فراعنة حقيقيين وتزيّوا بزي الفراعنة السابقين وانشأوا لهم بلاطًا كبلاطهم

وبقي معظم الجيش الفاتح معسكرًا في جهة منعزلة شرقي الدلتا الاَّ ان قسماً منهُ تفرق في وادي النيل واقام فيهِ فاضيف بذلك الى العناصر الاصلية عنصر اسيوي جديد . اما ان ذلك العنصر هو "سوري" او "فينيقي" او "عربي" او "حثي" فذلك امر لا يهمنا بل يكفي ان نعرف الآن انهُ كان يختلف عن العنصر المصري القديم وانهُ لم يمضِ قرن على زوال حكم "الملوك الرعاة" حتى فني بامتزاجهِ ببقية السكان دون ان يلحق بهم تغييرًا بوجه من الوجوه كما يظهر لنا ذلك من تماثيل "طيبة"

على انهُ كان يتهدد العنصر المصري خطر اشد من ذلك بكثير. فان عظماء الفاتحين من ملوك العائلة الثامنة عشرة والعائلة التاسعة عشرة جلبوا اليها في مدة اربعة قرون الوفًا من الاسرى رجالاً ونساء واسكنوا بعضهم في المدن حيث اتخذهم اهلها عبيدًا واماء واقام بعضهم في

(١) وهي مدينة شهيرة في هولندة

المزارع ليفلح الارض. غير ان فريقاً منهم بقي في حالة الاسباط والعشائر كالعبرانيين مثلاً وانهُ بالرغم عما امتزجت بهِ العناصر الاصلية من الدم الاجنبي الذي كان يفد الى مصر بلا انقطاع من الحبشة او من آسيا فلسنا نرى تغييراً محسوساً في صفات السكان العامة . فاذا فحصتم اللغة وجدتم انها اقتبست عن اولئك الاسرى بضعة الفاظ سامية وليبية او بربرية ولكن تلك الالفاظ ليست بذات اهمية تقتضي تغييراً من اللغة او قواعدها . اذهبوا الى المتحف تروا اشكال الناس في تماثيل ذلك العصر وفي تماثيل العصر السابق له واحدة على الغالب

ولو اعتبرتم ان مصر كانت كجميع البلاد الفنية ذات مدارس لكل منها تقاليد محلية خاصة واغفلتم خصائص الافراد وازياءهم واسلحتهم وزينات رؤوسهم وتصورتم التماثيل عارية عن الكساء لوجدتم الرجل الذي تمثلهُ مماثلاً بجملتهِ للرجل الذي تمثلهُ تماثيل عصر الاهرام فان العناصر الاجنبية اجتازت البلاد وامتزجت بعناصرها ولكنها لم تغير شكل سكانها

ثم عقب ذلك مجيء "الليبيين" الى مصر . وكيفية مجيئهم انهُ بالنسبة لرقة المصري وكرههِ للحرب — ولو انهُ يحارب بثبات جاش عند الضرورة — قد رأى الفراعنة ان يستعيضوا عن نقص الروح الحربية في المصريين بتجنيد رجال اسيويين او افريقيين بالاجرة . وكان "الليبيون" في ذاك الحين قبائل تتكلم بلغات بربرية وتقطن الواحات والبلاد الواقعة في الصحراء الغربية . فاسكنهم فراعنة العائلتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين في عواصم القطر . ثم ان كلاً من الاكابر وامراء الاقطاعيات الذين كانوا مقتسمين البلاد في ما بينهم في ذلك العهد جمع حولهُ من وجدهُ منهم في دائرة اقطاعيتهِ لكي يتولى الدفاع عنها من هجمات الامراء الآخرين

وتبع "الليبيين" "الاشوريون" والفرس فاليونان فالرومان

وقد بقي اليونان متسلطين على مصر وبقيت لغتهم لغة حكومتها الرسمية ما يقرب من تسعة قرون . ومع ذلك فانهُ حالما سقط النفوذ "البيزنطي" من مصر على يد عمرو بن العاص لم يكن الشعب المصري — ذلك الشعب الخالد يختلف في شيء عما كان عليهِ في زمن ملوكه الوطنيين الاقدمين

وبالاختصار لم يأتِ زمن الفتح العربي الا وكان الشعب المصري قد استوعب جميع العناصر الاجنبية التي جاءت بلادهُ على التتابع . وقد كان التأثير الذي انتجتهُ تلك العناصر على تركيبهِ من الوجهتين المادية والادبية ضعيفاً الى درجة لم يتغير معها شكلهُ اقل تغيير ظاهر على انهُ قد حدث حوادث ذات شأن كان يمكنها ان تغير المصريين تغييراً كبيراً .

ذلك ان الديانة الوثنية القديمة تلاشت وحلّت محلها ديانة جديدة هي الديانة المسيحية . وليس في العالم شيء له سلطان على تغيير امزجة الشعب كلاشاة ديانة قديمة واحلال ديانة جديدة محلها . وعلى ذلك كان يظن ان طباع المصريين تتغير بعد ان يصيروا مسيحيين

ولكي نفهم من هم المصريون نقول : ان الصفات التي تقوّم شعباً من الشعوب ليست في الحقيقة الاّ صفات افراد قليلين جدًّا من افراده وهم الذين تضعهم معارفهم او ثروتهم او مزايا موروثة فيهم فوق غيرهم اما عامة الشعب فهي في الواقع ككتلة لا شكل ظاهر لها ولا صفات معينة تعرف عنها فهي تتشكل بشكل الاقلية وتتشخص بشخصيتها

فلو اعتنق عامة الشعب فقط الديانة المسيحية فقد كان يمكن الاشخاص الذين هدوهُ اليها ان يبدلوا اخلاقهُ وخاصياتهِ الاولى بالاخلاق والخاصيات المسيحية الجديدة ولكنهُ تبع الطبقات الوثنية العالية . وتلك الطبقات بعد ان قاومت المسيحية زمناً اندفعت في تيارها . فاعتنقها ابناء قدماء الكهنة الوثنيين والمتعلمون وكبار الامراء اصحاب الاقطاعيات الاّ انهم احتفظوا بكثير من الروح المصرية القديمة

وقد قيل ان الكنيسة المسيحية الاولى كانت ترضع من ثديين هما "انطاكية" و"الاسكندرية" . فاما المصريون المتنصرون فقد مثّلوا دورًا يمكننا معرفتهُ بمعرفة ما كانوا عليهِ قبل اعتناقهم الديانة المسيحية . وواضح ان المصريين كانوا في زمن عبادة الاوثان حاذقين متوقدي الذهن كثيري الاشتغال بالمباحث الروحية واللاهوتية . وقد بقيت معهم كل هذه المزايا الى ما بعد تنصرهم . ولست في حاجة لان اطيل الكلام عما ادخلوهُ من التغيرات الدقيقة في مبادىء "الجنوستيك"

ولو اردنا ان نذكر اعاظم اللاهوتيين المسيحيين الذين تعترف بمكانتهم الكنائس الشرقية والغربية فهل نجد اعظم ذكاء واكثر تعمقاً من "اكليمندس الاسكندري" و"اوريجانوس" والاباء الذين استطاعوا نشر قانون الايمان المعروف بقانون "اثناسيوس"

وقد عاد الى مصر مع الدين في ذاك الحين حركتها وصناعتها ونبغت في ذلك حيث لم تكن تستطيع ان تصرف شيئاً من قواها الى المسائل السياسية التي كان قياصرة مملكة الروم يحرّمون عليها البحث فيها

ثم نشأ في مصر جمهور من الكتّاب الاقباط . وكان اهم نوابغهم قسوساً ورهباناً نذكر من بينهم (باخوم) و (شنوده) و (ساويرس الاشموني) و (بسنتي) . ففي هؤلاء انفجرت روح الذكاء المصري القديم الذي كان معروفاً عن اجدادهم في الازمنة الفرعونية

وعند ما نفحص الصور والنقوش البارزة الموجودة على جدران الاديرة نرى في القديسين الشكل الذي نراهُ على مقابر (طيبة) او (ممفيس)

ولكن في هذا الحين وجد عامل جديد هو الفاتح العربي . فهل كان ذلك الفاتح قادراً على هدم عمل الماضي وقطع التقاليد والحلقات الجنسية التي بقيت متصلة حتى مجيئهِ

ان الفتح العربي قد تم في كل انحاء العالم في قرن واحد تقريباً فانتشرت القبائل العربيَّة في اثنائهِ بين كل الشعوب في جهات اسيا وافريقيا ووصلت في اوربا حتى جبال البيرينيه (١) وبما ان الفتح قد اشغل العرب فقلما كانت تسمح لهم الفرصة بتنظم فتوحاتهم . حتى انهم في مبدإِ الامر عهدوا الى البلاد التي اخضعوها ان تحكم نفسها بنفسها . وقد علمنا من اوراق البردي اليونانية والعربيَّة التي اكتشفت ان العرب اقتفوا هنا وفي الامكنة الاخرى اثر مملكة (الروم) ووضع خلفاؤُهم انفسهم موضع الامبراطرة واتبعوا خطتهم وباشروا سلطتهم من كل الوجوه فكانوا يحكمون البلاد بعدد قليل من القواد والجنود ولم يحاولوا استعمارهُ بسكان منهم . وقد كان عدد المهاجرين الاعراب قليلاً الاَّ في نقطتين او ثلاث جعلوها مقرّاً لهم كمصر والاسكندرية واصوان . وفي ما عدا هذه الاماكن لم يكن يوجد غير عدد قليل من الحاميات العربيَّة

وقد بقي المصريون قابضين على زمام الادارة وبقيت الاوراق الرسمية تكتب باللغة اليونانيَّة او القبطية . اما اللغة العربيَّة فلم تبلغ المكان الاول الاَّ ببطء شديد

ولم يكن كل ما اجراهُ العرب حتى ذلك الحين يكفي لتغيير العنصر المصري فضلاً عن انهم لم يعملوا في مبدإِ دخولهم على دعوة المصريين الى الاسلام بل تركوا للمسيحيين اعظم نصيب في شؤُون الادارة . على ان هذا الامتياز الذي تمتع بهِ المسيحيون ربما كان احد الاسباب التي آلت بهم الخراب . فانهم اغتروا بما وجدوهُ بين ايديهم من السلطة واستهانوا بقوم سادوا عليهم فقاموا بثورات اقتضى قمعها معاملتهم باشد انواع القسوة

واني اعتقد ان الاسلام لم يدِن بهِ عدد يذكر من المصريين قبل زمن الخلفاء الفاطميين الذين صار الاضطهاد الديني من عهدهم مريعاً لا يطاق . ويمكن الحكم على قسوتهِ وفظاعتهِ من اخبار الشهداء التي وصلت الى ايامنا . وقد بقي الاقباط المسيحيون من ذلك الحين مهددين بالاضطهاد الدائم . وكانت تتناوب ايامهم فترة من السلام وفترة من المصائب المتكررة على ان الحاكم المسلم لم يكن في استطاعتهِ الاستغناء عن المسيحي الذي كان يدير لهُ

(١) وهي المتاخمة لحدود اسبانيا من الشمال وفرنسا من الجنوب

املاكه غير انه كان من الجهة الاخرى دائماً يحسده على ثروته ولم يكن امام الاقباط غير طريق واحد لتحسين حالتهم وهو اعتناق الاسلام . ففعل بعضهم ذلك . ومع هذا فقد حافظت الاغلبية على دينها وقاومت مقاومة الابطال حتى انهُ عند دخول الاتراك في القرن السادس عشر كانت هي الاكثرية في الوجه القبلي . غير ان الاتراك كانوا اشد قسوة من المماليك فاتبعوا افظع الطرق لاخضاعها . وذلك انهُ نشبت ثورة من مسيحيي الوجه القبلي ما بين سنتي ١٥٣٠ و ١٥٥٠ فقبض الاتراك على الثائرين وذبحوهم ولاشوا المدن المسيحية الواقعة في سهل "طيبة" اثناء تلك الفظائع

اما الذي جرى بعد ذلك فلم ندرِ عنهُ شيئاً لاننا لم نعثر على كتابات تتعلق بهِ . ولكن الامر المؤكد هو ان سكان الصعيد كانوا يتكلمون و يكتبون باللغة القبطية حتى السنين الاولى من القرن السادس عشر اي في بدء حكم الاتراك . ويؤخذ من بقايا المكاتب التي كانت في ذلك العصر ان العنصر القبطي كان قوياً عزيز الجانب في تلك الانحاء

لم يمر على ذلك غير قرن ونصف حتى قُدّم لاحد السياح من معاصري لويس الرابع عشر آخر قسيس قبطي يجيد التكلم باللغة القبطية وعجوز تنازعه ذلك الامتياز . ومن ذلك الحين اقتصرت اللغة القبطية على ان تكون لغة الطقوس الدينية

ومع استعمال الاقباط للغة العربية فقد بقوا محافظين على دينهم غير ان كثيراً منهم اكره على تركه في احوال نجهلها . والذي نعلمهُ فقط هو ان الاقباط الذين انضموا الى "علي بك" في ثورتهِ ضد الترك نالهم اضطهاد وبيل . وقد وصلوا الى احط الدرجات في آخر القرن الثامن عشر

وها نحن قد وصلنا الى القرن التاسع عشر ومن هذا البحث البسيط الذي انتهيت اليهِ ترون الجواب المطلوب على السؤال الذي طرحتموهُ في مبدإ الامر

ينقسم سكان القطر المصري اليوم دينياً الى قسمين عظيمين . يتألف احدهما من الاقباط ومعظمهم ارثوذكس . ويتألف الاخر من المسلمين . فاما الاقباط فهم سكان البلاد الاقدمون الذين بقوا على ما كانوا عليهِ بلا تغيير . ولكن من هم المسلمون

ان اكثر المسلمين مسيحيون اصلاً اعتنقوا الاسلام . فهم اذاً مصريون ايضاً . ولكن هل بقي دمهم مصرياً نقياً كالاقباط

ان القبطي لا يتزوج باكثر من زوجة واحدة وقلما يتزوج بالاجنبيات حتى في هذه السنوات الاخيرة فهو اذن قد بقي على ما كان عليهِ في اواخر العصر البيزانطي . اما المسلمون

فيتزوجون باكثر من زوجة واحدة · ثم ان جلب الرقيق قد ساعدهم من الجهة الاخرى على التزوج بكثير من النساء الاجنبيات أُتي بهن من الخارج فادخلن الى العائلة الاسلامية دماً جديداً · فعلى ذلك تكون نسبة الدم الاجنبي في المسلمين اكثر منها في الاقباط · ومع ذلك فقد بقي في شخص المسلم الشكل القديم الى درجة يصعب معها على الاجنبي ان يميز اليوم للنظرة الاولى فلاحاً مسلماً من فلاح قبطي

ففي هذا الدور ايضاً قد قامت مصر بعملها في تشكيل العناصر الاجنبية بشكلها وتطبيعها بطبعها فعلت بالمسلم ما فعلتهُ بالوثني في العصور الماضية وابقتهُ مصرياً

النتيجة

ان النتيجة بسيطة جدًّا وهي انهُ لا يوجد مصران واحدة مسلمة والاخرى قبطية · بل توجد مصر واحدة

وان مسألة مسلم وقبطي هي مسألة دينيَّة فقط · ونحن ايضاً لدينا في بلادنا وطنيون من اديان مختلفة ما بين بروتستان وكاثوليك ولكن جميعهم فرنساويون

وان قليلاً من التسامح وقليلاً من حسن الادارة من الجانبين يكفيان لان تدركوا ايها المسلمون والاقباط انكم شعب واحد

نشوء الاجرام السموية

لا مشاحة أن الذ بحث ترتاح اليهِ النفس واهم معرفة يتوق العقل الى الوصول اليها الوقوف على اسرار الكون وكيفيَّة نشوء الاجرام السموية اي كيف وجدت السيارات والاقمار وما علاقتها بالشمس · او ما هو ماضيها ومستقبلها ومصيرها وما هي العلاقة بين الاجرام على اختلاف انواعها من سُدام وقنوان وثوابت

نعم ان الاجوبة على هذه الاسئلة من باب الظن او الترجيح وليست من باب الجزم والتأكيد لكن الطرق الموصلة الى ذلك تنطبق كلَّ الانطباق على قواعد العلم الصحيح وتختلف عن غيرها من الابحاث العلمية في طول الازمنة المعلقة بها حتى تُعدُّ بملايين السنين وعدم المقدرة على اجراء التجارب والامتحانات

ولم تكن مطامع الانسان لتقف بهِ عند حد ما وصل اليهِ الاقدمون من وضع القواعد والحسابات الرياضية التي تتوقف على قوانين الجاذبية لتعليل سير السيارات وغيرها مما هو

قريب الينا ومعرفة مواقعها في اي وقت كان واوقات عبورها على خط الهاجرة وغير ذلك مما هو مدون في الرزنامات (التنائج) التي تنشرها المراصد الكبيرة سنوياً · ولا خارت عزائمهُ ازاء الصعوبات على اختلاف انواعها بل شمّر عن ساعد الجد ووالى البحث والتنقيب فبلغ درجةً لم يكن يحلم بها وهو لا يزال يطمح الى الوقوف على كل ما هو غامض وهذا الميل قد يفضي بهِ الى معرفة ما نحسبهُ الآن من باب المستحيل · وقبل الخوض في موضوعنا سأتلو على مسامعكم شيئاً من تقدم علم الفلك في مدة خمسين السنة الاخيرة

بعد ان وُضعت قواعد كپلر وعرفت نواميس الجاذبية وحُسّن التلسكوب حتى كاد يبلغ ما هو عليهِ الآن وتمكن الفلكيون من النظر الى الاجرام القريبة وقياس ابعاد القليل منها ظن العلماء قاطبة ان علم الفلك سيقف عند هذا الحد وجلّ ما يمكن التقدم فيهِ قياس ابعاد ما بقي من الاجرام وتحسين التلسكوب قليلاً وكل ذلك ليس من الاهمية بمكان حتى ان الفيلسوف اغست كونت نصح في كتابهِ (Popular Astr.) المطبوع سنة ١٨٤٤ بترك هذه الابحاث اذ لا مطمع بالحصول على اكثر مما عُرف · ولكن بعد موتهِ بثلاث سنوات اكتشف التحليل السپكترسكوپي واستُخدم في علم الفلك وبواسطتهِ وفّق الفلكيون الى معرفة طبائع الشموس البعيدة التي يعبر عنها بالنجوم الثوابت والمواد التي تتركب منها واكتشاف عدد كبير من النجوم التي لم تكن ترى قبلاً وتعيين افلاكها ومعدل سيرها وجرمها

لا يخفى انهُ اذا مرّ شعاعٌ من النور في موشور زجاجي انحلّ الى الالوان السبعة التي يتألف منها وحصل الطيف الشمسي وسببهُ اختلاف طول التموجات التي يتكون منها كل لون واختلاف معدل سرعتها · وعليهِ اذا وجدت الالوان السبعة في مصدر النور فانها تظهر في طيفهِ متتابعة بدون انقطاع حسب ترتيبها ولكن اذا نقدت احدى تموجاتهِ او نالها عائق عن الوصول الى الراصد فاماكنها الخاصة بها تبقى فارغة ويرى عوضاً عنها خطوط سود · ويتبع الطيف اشعة لا ترى كنور ولكن يشعر بها كحرارة قبل اللون الاحمر وتؤثر فوتوغرافياً (اي كيماوياً) بعد البنفسجي · اما النتائج التي توصّل اليها العلماء فهي كما يأتي : —

(١) ان طيف كل جسم حامٍ الى درجة الانارة جامداً كان او سائلاً او غازاً مضغوطاً ضغطاً عظيماً يكون متصلاً لا متقطعاً اما طيف الاجسام الغازية تحت الضغط الاعتيادي فمتقطع اي مؤلف من خطوط لامعة · ولكل عنصر من العناصر البسيطة خطوط تختص بهِ وتميزهُ عن غيرهِ يختلف عددها باختلاف العناصر وهي كثيرة في البعض وقليلة في البعض الآخر فللحديد مثلاً اكثر من الفي خط بين ان الرصاص والپوتاسيوم لكل منهما

خط واحد فقط وهكذا يسهل تعيين العناصر بواسطة الخطوط التي تختص بها. وتعليل هذا الاختصاص ان دقائق كل عنصر تتركب تركيباً يختلف عن تركيب دقائق غيره فعند ما يكون العنصر غازاً حامياً الى درجة الانارة وتحت الضغط الاعتيادي تتحرك دقائقهُ بطريقة غريبة خاصة بهِ وتحدث طيفاً معلوماً يختلف عن طيف ما سواهُ اما اذا ضغط فتتلاز دقائقهُ وتموج وتسبب طيفاً مستمرًا

(٢) النور ذو الطيف المتصل اذا مرَّ في غاز فالغاز يمتص منهُ الاشعة التي تصدر من ذلك الغاز لو كان مشتعلاً . فالطيف الذي توجد فيهِ خطوط سود يدل على انهُ مرَّ في جوٍ من الغاز وتعرف بهِ العناصر التي يتألف منها ذلك الغاز

(٣) التغيرات في الضغط والحرارة التي تطرأ على العناصر تسبب تغيرًا في حالة الطيف ولقد دُرست طبائع هذه التغيرات درساً مدققاً في المعامل الكماوية الطبيعية ومن نتائجها يمكن الاستدلال على حالة الجسم الصادر عنهُ النور

(٤) اذا كان الجسم المنير متحركاً الى جهة الراصد او مقترباً اليهِ فالخطوط تنتقل الى جهة اللون الازرق اما اذا كان مبتعدًا عنهُ فتنتقل الى جهة اللون الاحمر وهذا يطابق قوانين تموج النور والصوت وسببهُ ان الجسم المنير يبعث في حالتهِ الطبيعية تموجات ذات طول معلوم فاذا كان الجسم مقترباً الينا فتموجاتهُ تتتابع باكثر سرعة وتنتقل الى جهة النور الذي تكون تموجاتهُ اقصر من غيرها اي الى الازرق والعكس بالعكس وهذا ما يعرف بمباديء دوپلر واضعها ولكي يسهل فهم ذلك اضرب الامثلة الآتية :

اذا وقفنا قرب شاطيء البحر وكان النسيم يهب الى الجهة التي نحن واقفون فيها وكان احد المراكب راسياً على بعد ميل او ميلين منا نرى المياه تموج فاذا عددنا خمساً منها في الدقيقة ثم ركبنا قارباً ومخرنا الى جهة المركب فاننا نلتقي بامواج اكثر وقد يبلغ عددها ثمانياً في الدقيقة

والذي يشاهد قطار السكة الحديدية آتياً نحوهُ يعلم ان نغمة صفير القاطرة تشتد وترتفع كثيرًا كلما قرب اليهِ ولكنها تنخفض كلما بعد عنهُ وما سبب ذلك سوى سرعة تتابع التموجات وابطائها

من منافع السپكتروسكوب قياس معدل السير في خط النظر بواسطة مباديء دوپلر فلقد كانت قضية تركيب حلقات زحل فيما مضى شغلاً شاغلاً للفلكيين حتى قام كلارك مكسول وبرهن بطريقة رياضية انها مؤلفة من عدد لا يحصى من الاجرام الصغيرة التي تدور حول السيار في افلاكها الخاصة . اما برهانهُ فكان مقبولاً كرأي كافٍ لتعليل ظواهرها

لا لاثبات حقيقتها ولكن منذ عشر سنوات أُثبت برهانهُ لان الاستاذ كيلر الاميركاني وُفق الى اخذ صورة فوتوغرافية يظهر فيها جليًّا ان الحلقات تقترب الينا من الجهة الواحدة وتبتعد عنا من الاخرى اي انها تدور حول السيار وكذلك ظهر ان الاجزاء الداخلية تتحرك بسرعة اكثر من الاجزاء الخارجية وسرعتها تنطبق على النتائج الحسابية التي استخرجها مكسول وبذلك فسد زعم الذين ادعوا ان الحلقات جسم واحد صلب فلو كان ذلك صحيحًا لوجب ان تكون سرعة الاجزاء الخارجية اعظم من سرعة الاجزاء الداخلية حسب القوانين الطبيعية . والامتحانات التي اجريت في قياس معدل السير في خط النظر بالغة درجة عظيمة من الدقة والاتقان و يظهر ذلك من مقابلتها بالحسابات الرياضيَّة كما في سير الزهرة اذ ان معدل سيرها حسب القوانين الرياضية ثمانية اميال وربع في الثانية وحسب مبادىء السپكتروسكوب ثمانية اميال فيكون معدل الفرق ربع ميل لا غير

ذكرت سابقًا انهُ بواسطة السپكتروسكوب اكتشف عدد كبير من النجوم التي لا ترى ولا باعظم النظارات اما لبعدها الشاسع وضعف نورها او لكونها مظلمة . وعُينت افلاكها ومعدل سيرها وجرمها وعرف سبب تغير بعض النجوم وهي التي يختلف مقدار نورها من قدرٍ الى قدرٍ في اوقات معينة قصيرة كانت او طويلة

فان النجوم المزدوجة على انواع مختلفة فمنها ما يتكون من نجمين يظهران للعين المجردة كنجم واحد ولكن بواسطة التلسكوب يميز الواحد من الاخر ومنها ما لا يتميز اما لقرب النجمين واما لكون احدهما مظلماً . والقسم الاكبر من النجوم المتغيرة من النوع الاخير ولكن قبل ان استخدم السپكتروسكوب لم يكن ذلك معروفاً لعدم المقدرة على رؤية النجم المظلم ولم يكن ثمت من وسائط للشعور بوجوده فالنجم المسمى بالغول عرف انهُ من النجوم المتغيرة منذ زمن قديم ومعدل نوره من القدر الثاني وفي مدة معينة (المدة يومان وعشرون ساعة وتسع واربعون دقيقة) يفقد خمسة اسداس نوره في مدة اربع ساعات ونصف و يبقى نورهُ ضعيفاً مدة عشرين دقيقة ثم يعود الى حالتهِ الاولى في مدة ثلاث ساعات ونصف

فتكرار هذا الامر في مدة معينة وكيفية انحراف نوره يدلان على حدوث خسوف جزئي بتوسط نجم آخر قريب منهُ والاثنان يدوران معاً حول مركز ثقليهما وسطح فلكيهما اما في خط النظر او قريب منهُ . وهذا الراي قدّم في اواخر القرن الثامن عشر واثبت بعد مضي مئة سنة بعد ان كان نُقض خطاء لخلل في آلة السپكتروسكوب التي كانت تستعمل في ذلك الوقت . وكيفية اثباتهِ انهُ وجد قبل ابتداء الخسوف ان خطوط الطيف تتراجع الى

الوراء اي الى جهة اللون الاحمر وعند انتهائهِ وبعدهُ تتقدم الى جهة اللون البنفسجي اي ان النجم كان يبتعد عنا قبل الخسوف ويقترب الينا بعد انتهائهِ وهو يطابق كل المطابقة ما يحدث لو كان النجم وتابعهُ يدوران معاً حول مركز الثقل الذي يقع بينهما. وبمبادئ دوپلر عرفوا معدل سير كلٍ منهما وطول قطرهِ وحجمهُ وكثافتهُ

واهم منافع السپكتروسكوب لكلامنا معرفة درجة حرارة النجوم والعناصر التي تتركب منها وطبائعها والحالة التي توجد فيها. فقد عرف ان حرارة النجوم ليست متساوية بل تختلف كثيرًا فبعضها غازٌ حامٍ جدًّا وبعضها اخذت اجزاؤُهُ بالتحوُّل الى سائل كحالة شمسنا التي قسمها المسمَّى بالفوتوسفير غيوم حصلت من تحول غازات بعض المعادن الى نقط صغيرة سائلة عائمة في جو الغازات الأُخر كما يتحول البخار المائي الى غيوم تعوم في جو الكرة الارضية وان السدام مكونة من غازات حامية جدًّا وليست اجساماً جامدة ولا قنواناً كما كان يظن سابقاً وترى بالتلسكوب كغيوم منتشرة في الفضاء على اشكال مختلفة. ومن وسائط البحث المستعملة الآن آلتا التصوير الفوتوغرافي بواسطة التلسكوب وبواسطة السپكتروسكوب وهذا الفن قد اتقن الى درجة سامية حتى انهُ يمكن تعريض الزجاجة مدة اربع ساعات واكثر دون ان تتشوه او ترسم الاشباح غير واضحة وبهذه الطريقة وجدوا القسم الاكبر من النجوم المعروفة الآن التي لا ترى بالعين لان نورها ضعيف جدًّا لا يؤَثر في عصب البصر

اما كيف تكونت الاجرام السموية فالحكم فيهِ من باب الظن والترجيح واشهر آراء العلماء في ذلك رأْي لاپلاس الشهير وهو انَّ كل الاجرام السموية نشأَت من السدام التي كانت مالئة الفضاء فلو فرضنا ان سديماً جواهرهُ متفرقة منتشرة في الفضاء شاغلة حيزًا كبيرًا اخذت حرارتهُ تقل بالاشعاع حسب النواميس الطبيعيَّة فتتحرك جواهرهُ وتتقارب بالجذب وتسير في خطوط منحنية لوجود مادة السدام التي تعيقها في سيرها ويبقى الامر على هذا الحال الى ان تقل الحرارة الى درجة معلومة فتتحد الجواهر وتتكون الدقائق وعندئذٍ ترتفع الحرارة الى درجة عظيمة ولكنها تفقد حالاً بالاشعاع ثم تتقارب الدقائق وتكوّن قطعاً او كتلاً تدور في وسط من الغاز واذ ذاك يكون السديم في ابسط الحالات التي نراهُ فيها ذا شكل غير قيامي ولكن بعد ان تتحد كل دقائقهِ او القسم الاكبر منها يدور كلهُ في طريقة لولبية وهكذا ينتقل من طور الى طور الى ان يصير كرةً غازية تدور على محورها كالشمس

اما كيفيَّة تطبيق هذا الرأي على النظام الشمسي فكما يأْتي: كانت الشمس وسياراتها اصلاً غازًا محمياً الى درجة الانارة ممتدًّا الى ابعد ما يصل اليهِ نپتون ولربما اكثر من ذلك

بكثير وكان شكله كرويًا بسبب قوة الجذب وقوة الدفع وعندما ابتدأت الحرارة تقل بالاشعاع بردت اجزاؤهُ وتقلصت وجعلت تدور بسرعة اعظم من سرعتها السابقة طبقًا لقوانين الميكانيكيات ولكن هذه السرعة تزيد قوة الدفع ايضًا واخيرًا اتى وقت تساوت فيهِ قوة الجذب وقوة الدفع على الاقسام الخارجية من المحيط الاستوائي فاصبحت عندئذٍ قائمة بنفسها لا تميل الى السديم ولا تميل عنهُ. اما بقية الاجزاء التي لم تتساوَ فيها القوتان فبقيت تتقلص وتبتعد طالبة مركزها وهكذا انفصلت حلقة من محيط السديم الاستوائي وبقيت في مكانها دائرة في الجهة التي كانت تدور فيها قبل الانفصال ثم انفصلت حلقة بعد اخرى الى ان انفصل تسع حلقات . ثم ان اجزاء كل حلقة تختلف كثافة فالاكثف تلززت دقائقها وتكتلت اولاً وجذبت اليها الاقسام الخفيفة واخيرًا تكوّن عوضًا عن الحلقة جسم اكثف مما سواهُ يحيط بهِ غاز حامٍ الى درجة الانارة وهكذا تكوّن السيارات طرأ عليهِ ما طرأ على السديم الاصلي من انفصال حلقة او حلقات حسب مقتضى الحال دارت حولهُ وهذه الحلقات بردت وتقلصت فصارت اقمارًا. هذا اذا كانت اقسام الحلقة تختلف كثافة اما اذا كانت اجزاؤها متساوية في الكثافة فتتقلص كلها سوية في نفس الوقت وحينئذٍ اما انها تبقى على حالها ثابتة وتتغير تغيرًا بطيئًا جدًّا كحلقات زحل او تتكسر الى قطع صغيرة كثيرة العدد كما يظن انهُ حدث للحلقة التي بين المريخ والمشتري . وما بقي من السديم الاصلي ما زال يتقلص حتى صار شمسًا وهو شمسنا يحيط بهِ السيارات المعروفة بدل الحلقات ويحيط بالسيارات الاقمار. ثم ان المواد التي بقيت من فضلات السيارات والاقمار لا تزال تدور حول الشمس وتسبب ظهور النور البرجي الذي يرى بعد غروب الشمس في ايام الربيع وقبل شروقها في ايام الخريف

وبهذا الرأي يعلل ما يشاهد ويعرف من العلاقات الشديدة والارتباطات المحكمة بين اعضاء النظام الشمسي التي لا يمكن ان تكون قد وُجدت بطريق الاتفاق او الصدفة اما العلاقات والظواهر فهي :

اولاً افلاك السيارات كلها تقريبًا مستديرة وفي سطح واحد ما عدا بعض السيارات الصغيرة بين المشتري والمريخ

ثانيًا كلها بدون استثناء تتحرك في جهة واحدة

ثالثًا ابعادها على نسبة واحدة ما عدا نبتون

رابعًا السطح الذي يدور فيهِ السيار على محورهِ (الدورة اليومية) ينطبق على فلكهِ (ربما يستثنى من ذلك اورانس)

خامساً السيار يدور دورتهُ اليومية اي على محورهِ في الجهة التي يدور فيها دورتهُ السنوية اي من الغرب الى الشرق (ربما يستثنى اورانوس ونبتون)

سادساً التوابع والاقمار تدور في الجهة التي تدور فيها السيارات. وافلاكها تنطبق على سطوح دوران السيارات اليومي

سابعاً السيارات الاكبر حجماً اسرع من غيرها في دورانها

ثامناً معدل كثافة السيارات يزداد كلما اقتربت من الشمس وبعدت عن زحل الذي هو اخفها

تاسعاً لقد ثبت بالامتحان والتجربة ان اكثر العناصر الارضية موجود في الاجرام السموية والنيازك والمذنبات فالقسم الخارجي من الشمس يتضمن ثلاثة وعشرين عنصراً اكثرها معدنية كالحديد والنكل وما شابهها

نعم انهُ يمكن تعليل كل العلاقات التي بين اجزاء النظام الشمسي بالرأي السديمي ويوجد ادلة كافية على ان درجة حرارة السيارات وتوابعها كانت فيما مضى اكثر مما هي الآن وارضنا وقمرها اكبر شاهد على ذلك فما جوها الأ غاز معدنين باقيين على حالتهما القديمة وما من سبيل اخر لتعليل البراكين والغيامر وارتفاع الحرارة بازدياد التعمق في جوف الارض الأ بفرض انها كانت فيما سبق ذائبة لعظم الحرارة. ومما يثبت صحة الرأي السديمي راي حرارة الشمس بتقلصها فقد اختلفت آراء العلماء سابقاً في اصل هذه الحرارة ومصدرها وعن اي شيء هي مسببة. فذهب فريق الى انها ناتجة عن اشتعال بعض المواد القابلة الالتهاب لكن فاتهم ان اصلح مواد الالتهاب لا يمكن بقاؤُها اكثر من خمسة الاف سنة وذلك يناقض ما ثبت بالعلم من ان الشمس وجدت منذ ملايين من السنين. وذهب غيرهم الى انها مسببة عن اشتعال المواد التي تسقط على سطحها من النيازك والشهب والكمية الساقطة سنوياً يجب ان يكون مجموعها يساوي حجم القمر ولكن لا دليل على سقوط كمية كهذه لعدم وجودها بكثرة في نظامنا ولو سلمنا بسقوطها لوجب ان يسقط على ارضنا كمية كافية ان تحرقها وتقتل كل ذي حياة وتجعلها قاعاً صفصفاً وخراباً بلقعاً ويُعلم من الاحصاءات التي اخذت في اوقات سقوط النيازك بكثرة ان الحرارة الجويَّة بقيت على ما كانت عليهِ من غير ان تتأثر

والرأي الاخير المعول عليهِ الآن يتوقف على المبادىء الطبيعيَّة الراهنة وهو انهُ اذا تحرك جسم او اصطدم بجسم آخر فقوة سرعتهِ تتحول الى حرارة وبما ان الشمس حامية جداً وهي تشع حرارتها الى الفضاء فلا بد اذاً ان يتقلص حجمها وذلك يعني ان دقائقها واجزاءها

تتحرك طالبة المركز فتصطدم بغيرها وتتحول قوة سرعتها الى حرارة اعظم من الحرارة التي فقدتها بالاشعاع وقد وجدوا بالطرق الرياضية الميكانيكية معدل طول المسافة التي تتحرك فيها الدقائق لاحداث هذه الحرارة وبعبارة اخرى قصر قطر الشمس مئتا قدم في السنة او اربعة اميال كل مئة سنة وبهذا الواسطة استخرجوا عمر الشمس او الوقت الذي ابتدأ فيهِ التقلص حين كان جوها ممتدًا الى ابعد ما يصل اليهِ النظام الشمسي الى ان بلغ حجمهُ الحالي فبلغ ثمانية عشر مليونًا من السنين ويقدرون انهُ يقتضي مضي خمسة ملايين من السنين لمجيء الوقت الذي تقل فيهِ الحرارة الناتجة من الاحتكاك عما يفقد بالاشعاع فتبرد الشمس وتصير جسمًا جامدًا كالارض

هذه اشهر الآراء التي يعلل بها مصدر حرارة الشمس ولكن بقي امر آخر يجب ذكرهُ وهو ربما ان تكون هذه الحرارة ناتجة عن ظواهر كهربائية · اما وجود الظواهر الكهربائية في الشمس فلا شك فيهِ لكن طبائع الكهربائية ونواميسها ليست معروفة عند العلماء ولذلك لا ذكر لها في آرائهم · منذ زمن قصير برهن الاستاذ رمسي ان الهاليوم ناتج عن (انحلال) الراديوم فاذا ثبت ان ذلك هو الطريقة الوحيدة لوجوده وكيانهِ وجب ان يكون في الشمس كمية وافرة من الراديوم لوجود الهاليوم بكثرة في جوها وعندئذٍ يكون ذلك السبب كافيًا لتعليل مصدر حرارتها · وهناك امر آخر يثبت الرأي السديمي وهو ان كل سيار يدور في فلكهِ حول الشمس في وقت يعدل الوقت الذي كانت حلقتهُ تدور فيهِ حول مادة السديم الاصلي اي ان الشمس كانت تدور على محورها حينما كانت اجزاؤها ممتدة الى فلك ذلك السيار في نفس الوقت الذي يدور فيهِ الآن ذلك السيار حولها وبناء على ذلك حسبوا كم يقتضي من الوقت لدوران جرم الشمس على محورهِ لو امتد جوها الى فلك كل سيار على حدة فوجدوا ان الاوقات المستخرجة تكاد تنطبق على الاوقات التي تدور فيها السيارات وما يقال عن الشمس ينطبق على كل من السيارات بالنسبة الى اقمارها

وقبل ان اختم الكلام عن الرأي السديمي اقول انهُ توجد صعوبات كثيرة في اقامة البرهان على بعض موادهِ واهمها العجز عن تعليل كيفية تحول الحلقة الغازية (هذا اذا امكن ان يتكون حلقة في مثل تلك الاحوال) الى جسم كروي يتبعهُ تابع كروي او اكثر وقد جرَّب فريق كبير من العلماء اثبات قضية لابلاس بالطرق الرياضية ولكن لم يتوصل احد الى ذلك

ومنها الاعتراض على الفرض الاول اي على القول بان مادة السديم كانت غازًا حاميًا

الى درجة الانارة فان غازاً كهذا تكون قوة التماسك والجذب بين دقائقهِ ضعيفة جدًّا وعليهِ يجب انفصال قطع منهُ لا حلقات

الرأي الثاني الرأي النيزكي وهو ان الاجرام السموية تكونت من دقائق صغيرة جامدة مالئة الفضاء طبائعها وكيفية تركيبها كطبائع الاجسام التي تتركب منها النيازك او الشهب التي تسقط الى ارضنا من وقت الى آخر ومن المؤكد ان هذه الاجسام توجد بكثرة في الفضاء ومنها تتركب حلقات زحل ويظن ان الاكليل الذي يرى حول الشمس والنور البرجي واذناب المذنبات ليست الاَّ اجساماً نيزكية صغيرة جدًّا او مكروسكوبية مدفوعة بقوة الدفع الكهربائي الصادر عن الشمس. اما خلاصة تكوُّن النظام الشمسي بحسب هذا الرأي فكما يأتي:—

ان الحيز الذي يشغلهُ هذا النظام او ما هو اكبر منهُ كان مملوءًا بالاجسام النيزكية من كل انواع المادة التي تتألف منها الارض والشمس والنجوم وهذه المادة كانت متفرقة بدون انتظام لكنها متحركة طبقاً لناموس الجاذبيَّة الذي يتطلب ان تكون كل الاجسام متحركة الى مركز خاص او دائرة حولهُ. وحيث تكون الاجسام اكثر تجمعاً يكون مركز الجاذبية وبواسطة الجذب يكثر التجمع. واصطدام المواد واحتكاكها يسببان ظهور الحرارة وحيث ان المواد كانت كثيرة كما هو المفروض في كل الآراء فلا يمضي وقت طويل الاَّ وتتكوَّن الشمس. والحرارة المسببة عن الاحتكاك والاصطدام تبلغ درجة عظيمة جدًّا فتذيب كل الاجسام وتحولها الى غاز

وفي اثناء هذه المدة يتكون مراكز ثانوية تجذب اليها المواد التي تكون سائرة تحت جذب المادة المركزية الكبرى اي الشمس ولوجود هذه العلاقة تدور الاجسام التي تكوّن المراكز الثانويَّة حول الشمس وهي السيارات ويبرهنون بقواعد الممكنات ان اكبر مركز ثانوي تجتمع فيهِ المواد الخارجية واوَّلها في التكون يكون بعيداً عن الشمس ولكن غيرهُ من المراكز يكون صغيرًا وبالاخص التي بينهُ وبين الشمس وعلى هذا المبدإ يكون المشتري اول السيارات التي تكونت ثم زحل واورانوس ونبتون اما السيارات التي بين المشتري والشمس فيصغر حجمها كلما اقتربت الى الشمس لان جاذبية الشمس تتغلب على جاذبيتها. وقد برهن الاستاذ جورج دارون نجل دارون الشهير بطريقة رياضية ان الاجسام النيزكيَّة اذا وجدت في حيز النظام الشمسي وكانت تسير او تدور في جهات مختلفة فبعد مضي وقت طويل تصبح في حالة كحالة السديم التي فرضها لابلاس ولهذا السبب يعتقد الفلكي پون ان الرأيين متفقان

منصور جرداق

الخطابة

ان اعادة الدستور الى الممالك العثمانية وتأليف مجلس النواب فيها قد حرَّرا لسان الخطيب ومهَّدا السبيل لفن الخطابة فرأينا ان نجمع بعض قواعد هذا الفن وهي من كتيب للمستر ابورث طمسن

(القسم الاول في الامور العقلية)

امتلك ناصية موضوعك

اي تعرَّفْ الموضوع جيدًا بالبحث فيهِ والقراءة عنهُ . فابحث عنهُ في افضل الكتب التي تتكلم فيهِ واكتب خلاصة ما تراهُ فيها عنهُ وتفهمها جيدًا حتى تصير كأنها من بعض معلوماتك فانهُ لا يليق بالخطيب ان يخاطب جمهورًا في موضوع لا يعلمهُ حق العلم لئلاَّ يكون محتقرًا لسامعيهِ

ذاكر فيهِ غيرك

المذاكرة من افضل الاساليب لترسيخ المعاني واستجلاء الغوامض . كان من عادة جون بريط الخطيب الانكليزي المشهور ان يذاكر اصدقاءهُ في كل موضوع ينوي الخطابة فيهِ ليرى تأثير كلامهِ وادلتهِ فيهم قبل الوقوف على منبر الخطابة

اكتب رؤُوس الاقلام

اي اكتب الامور الرئيسيَّة التي يدور عليها كلامك كمن يكتب فهرس كتاب لكي ترشدك للكلام ارشادًا ولكن لا تلتفت اليها وقت الخطابة ولا تمسكها بيدك

اختصر جدًّا في كتابة رؤُوس الاقلام

قال احد الخطباء المشهورين اكتب رؤُوس الموضوع واشر الى الامثلة التي تريد ان تذكرها ولا تنساها واعدَّ جملتين او ثلاثًا لفاتحة الخطبة وجملاً قليلةً لخاتمتها واستظهرها جيدًا . واجتهد لتتذكر المعاني اما الالفاظ فتأتيك من نفسها عفوًا

وقال سبرجن الواعظ المشهور إني كنت اكتب رؤُوس الاقلام على ظهر ظرف من ظروف المكاتيب اما الآن وقد ضعف بصري حتى لا ارى الكتابة الدقيقة فصرت اكتبها على صفحة اكبر من الكف قليلاً وحبذا لو عوَّدت نفسي على عدم الكتابة مطلقاً لان الذاكرة تودُّ ان يُعتمد عليها . والذي يعتمد على ذاكرتهِ يجد انها تلبيهِ سريعًا

❖ اذا كتبت خطبتك فلا تأخذها معك الى منبر الخطابة ❖

يقف بعض الخطباء وفي يدهم ورقة او كرّاسة ينظرون اليها من وقت الى آخر فلا يكون لكلامهم اقل وقع في النفوس. فاذا كنت لا تستطيع ان تتكلم من غير ان تنظر الى اوراقك من وقت الى آخر فاقرأها قراءةً فذلك خير من تلاوة بعضها غيبًا وقراءة بعضها خلسةً . وما من مُحيَّل يخفى امرهُ عليهم وهم ينظرون اليهِ بعين الازدراء

والاوراق في يد الخطيب وامامهُ قيد لهُ يعيق جريان افكارهِ ويفقدهُ الثقة بنفسهِ وكثيرًا ما يمسك الخطيب ورقة في يدهِ وهو يحسب انها تساعدهُ على تذكُّر ما يريد ان يقولهُ فيجدها آفةً عليهِ تنسيهِ ما كان يتذكرهُ فيدعكها بيدهِ ويضعها في جيبهِ ليتخلص منها

❖ اكثِرْ من الامثلة الصالحة لايضاح ما تريد ❖

ونريد بالامثلة القصص والنوادر والتشابيه التي يؤيد مغزاها ما تريد اثباتهُ وقد شبَّهها بعضهم بالكوى التي يدخل منها النور . ويحسن بمن تطلَّب منهُ الخطابة ان يجمع كتابًا من الامثلة والنوادر فيرجع اليهِ كلما اراد ايضاح امر يمكن ايضاحهُ بمثَلٍ او بنادرة . قيل ان دانيال وبستر الخطيب الاميركي الشهير ذكر في احدى خطبهِ نادرة جاءَت طبق المراد فقيل لهُ من اين اتيت بهذه النادرة فقال لقد خزنتها في ذاكرتي منذ اربع عشرة سنة ولم تسنح لي فرصة استعملها فيها الاَّ الآن

وقال الاستاذ بلاكي الفيلسوف الانكليزي " ان عقل الانسان يرتاح الى الاشباهِ والنظائر فيحسن بالخطيب ان يستفيد من ذلك ويذكر لسامعيهِ ما يرتاحون اليهِ ويجعلهُ مرقاةً الى ما يريد ايضاحهُ وفكاهةً في ما يثقل سمعهُ بدونهِ وجامعًا لافكار سامعيهِ اذا خيف من شرورها " . ولكن عليك ان تتجنَّب المبتذل من الامثلة والنوادر لانهُ كالثوب الخلق الذي زالت ديباجتهُ

❖ واظب على ما انت فيهِ ❖

لا نجاح الاَّ بالمواظبة فقد تتوهم للخطابة فلا تفلح وتشعر من نفسك كأنك ثقلت على سامعيك فسئموا وملّوا لكن ذلك ينبغي ان لا يصرفك عن الخطابة فان البعض من اشهر الخطباء لم يحسنوا في اول امرهم ثم واظبوا فافلحوا

قيل عن تشارلس فوكس الوزير الانكليزي والخطيب المفلق انهُ شرط على نفسهِ ان يتكلَّم كل ليلة في مجلس النواب سواءٌ اجاد او لم يجد فتكلم كل ليلة الاَّ ليلة واحدة مدة خمسة فصول متوالية واسف لانهُ امتنع عن الكلام تلك الليلة. ومن اقوالهِ المأثورة انهُ ما من

احد يستطيع ان يمتلك ناصية الخطابة في كهولته الاَّ اذا مارسها زماناً طويلاً في شبابهِ غير هيَّاب ولا وَجِل

والخلاصة انهُ ينبغي للخطيب ان يعلم موضوعهُ جيدًا ويملأ عقلهُ بهِ ويمارس الخطابة الى ان يبرع فيها . وما احسن ما قالهُ المستر بت الوزير الانكليزي للورد مورنجتون وهو انك لم تفلح في الخطابة لانك تهتم بانتقاء الالفاظ فتضيع منك المعاني فاذا كانت المعاني في ذهنك فالالفاظ تأتيك عفوًا . فاعتبر لورد مورنجتون بكلام المستر بت وصار من افصح خطباء الانكليز

(القسم الثاني في الامور الجسدية)

❖ الصوت الجهوري الجلي ❖

لا شيء اهم لحفظ الصحة من الرياضة الجسديَّة في الهواء النقي . والصوت الجهوري الجلي لا يكون في الجسم النحيف السقيم ويستحيل ان يقوى الصوت ويجهر ويؤثر في السامعين ما لم يكن الجسم سليماً قويًا ولذلك يجب على الخطباء ان يبذلوا جهدهم في ترويض اجسامهم وتقويتها . ولقوة الجسم شأن كبير في قوة الصوت وتمكُّن آلاتهِ من العمل الطويل المتعب ولذلك تجد الخطباء الاقوياء الابدان يخطبون ساعة بعد ساعة بصوت جهوري من غير تعب وغيرهم لا يستطيع ان يخطب نصف ساعة ما لم ينهكهُ التعب و يبح صوتهُ

❖ جهر الصوت ❖

يصير الصوت جهوريًا بالتمرُّن على تلاوة الفصول المختصرة بصوت عالٍ ويجب ان تكون تلك الفصول مما يستدعي علو الصوت وتفخيمهُ فيتعب المرء اولاً ولكنهُ لا يعود يتعب بعد ان يتمرَّن على التلاوة بصوت جهوري حتى لقد يعجب الذين يعرفونهُ مما اكتسبهُ من فخامة الصوت فاذا كان صوتك ضعيفاً فلا شيء يقويهِ مثل تمرينهِ على النداء والصياح

❖ فتح الفم ❖

لا بدَّ من فتح الفم جيدًا لكي يكون الصوت عالياً و يُسمع جلياً من بعيد . ولقد كان من عادة المعلمين ان يقولوا للتلميذ افتح فمك وذلك بمثابة قولهم لهُ ارفع صوتك لان فتح الفم يرفع الصوت

❖ التمرُّن قبل الخطابة ❖

اذا دعي احد للخطابة وكان الوقت قصيرًا فليبادر الى مكان منفرد ويتلُ بعض الجمل بصوت مرتفع ثم بصوت منخفض حتى يمرّن صوتهُ ويلينهُ قبل الوقوف على منبر الخطابة

❖ المهارة في المحادثة اساس المهارة في الخطابة ❖

لا يمهر الانسان في الخطابة ما لم يمهر في المحادثة والمسامرة . والمهارة في المحادثة ليست

بالامر السهل لانها تقتضي ان يعتاد الانسان استيعاب ما يقولهُ غيرهُ وذخر كثير من المعلومات في ذهنهِ والتعوُّد على التعبير عنها بسهولة تامة ومخاطبة الناس على قدر افهامهم

﴿ عوائق الخطابة ﴾

اولاً شرب الماء وقت الخطابة فانهُ لا يسهلها بل يعيقها لان ريق الخطيب لا يجف من العطش بل من فعل عصبي بعصب ريقهُ فاذا زال هذا الفعل العصبي عاد الريق الى جريانهِ ولذلك فعصب الريق يصيب المبتدئين في الخطابة ومتى تقدموا فيها لم يعودوا يشعرون بهِ ولو كان ناتجاً عن عطش لوجب ان يزيد لا ان يزول

ثانياً تدخين التبغ فانهُ يعيق الخطابة وقد يكون الخطيب من مدمني التبغ ولكنهُ اذا انقطع عن التدخين بضع ساعات قبل الخطابة اجادها اكثر مما لو دخن قبلها

ثالثاً المنبهات كالخمور على انواعها فانها تضعف ذاكرة الخطيب وتزيد عطشهُ وتجفف حلقهُ وقد يبحُّ بها صوتهُ

﴿ مقومات الخطيب ﴾

مما يسأل عنهُ من امر الخطيب الامور التالية وهي بمثابة مقوماتهِ

(١) هل يتنفس تنفساً طبيعياً من غير كلفة والاَّ فما سبب ذلك

(٢) هل صوتهُ واضح رنَّان مطرب

(٣) هل لفظهُ واضح صحيح من غير تصنُّع والاَّ فما سبب ذلك

(٤) هل يفتح فاهُ حتى تخرج الفاظهُ فخيمة واضحة من غير تقعُّر وتمحُّل

(٥) هل يرفع صوتهُ ويخفضهُ حسب الاقتضاء او يسير في خطبتهِ على نغمة واحدة

(٦) هل نغمتهُ عالية جداً او واطئة جداً

(٧) هل يغير نغمتهُ بسرعة اويكثرمن تغييرهامراراً وهل يغيرها في غيرالمحل اللازم لتغييرها

(٨) هل يسرع في الالقاء او يبطئ او يسير بالاعتدال

(٩) هل اسلوبهُ خاص بهِ او هو يقلّد غيرهُ تقليداً

(١٠) هل اشاراتهُ وحركاتهُ وسكناتهُ موافقة لموضوعهِ

(١١) هل ينظر في وجوه سامعيهِ او ينظر الى الخلاء كأنهُ لا يرى شيئاً

(١٢) هل اذا نظرت اليهِ تشعر كأنهُ ملتفت اليك ومتكلم معك

هذه اشهر المقومات التي يسأل عنها وتميز خطيباً عن خطيب والذين مارسوا الخطابة او سمعوا الخطباء البلغاء يعلمون موقعها من الصحة وموقع كل القواعد المتقدمة

امبراطورة الصين وسياستها



نوابغ الرجال قليل عددهم واقل منهم نوابغ النساء لكن لهن في شؤون الناس اثر لا يقل عن اثر النوابغ من الرجال كأن المزايا العقلية الفائقة لا علاقة لها بمقومات الجنس . وبينا كان المشارقة يشكون من انحطاط شأن المرأة عندهم كانت احدى نسائهم تتسلط على اكبر ام العالم على امة لا يقل عددها عن اربع مئة مليون من النفوس وبين شفتيها الحياة والموت والغنى والفقر وليس في دمها نقطة من الدم الملكي نعني بها امبراطورة الصين التي توفيت بالامس وقد كتب عنها السر هنري بلاك حاكم هونغ كونغ فصلاً في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية رأينا ان نقتطف منهُ بعض ما يلي قال

هي الابنة الصغرى من اولاد قائد تتري وكان اسمها يهونالا . توفي ابوها وهي طفلة وترك امها ولها منهُ ابنان وابنتان وهو ليس على شيء من الثروة فقامت باولادها واخذت

معها جثة زوجها وسارت في قارب الى بكين لكي تدفنهُ في مدفن آبائهِ · واتفق انها لما وصلت الى مدينة تشنكيانغ وصل اليها قارب آخر فيهِ حاكم احدى العمالات الصينيَّة فبعث اليهِ حاكم تشنكيانغ هدية على جاري عادة الصينيين مع بطاقة الزيارة لكنهُ اخطأ هو او رسولهُ في معرفة القارب المقصود فارسل الهدية والبطاقة الى قارب تلك الارملة فظنت ان الحاكم من اصدقاء زوجها وقد قصد زيارتها وتعزيتها كرماً منهُ فارسلت تشكرهُ على هديتهِ · ورأى هو خطأهُ ولكن كرم اخلاقهِ منعهُ من ان يظهر لها ذلك وكان في المدينة كثير من الاطعمة ومئتا ريال ولما عرف انها في ضنك بعث اليها بثلاثمئة ريال اخرى وزارها بنفسهِ كأنهُ من اصدقاء زوجها وقدَّم لتابوتهِ الاكرام الواجب عند الصينيين فكرَّرت لهُ شكرها واهدت اليهِ ابنتها الصغرى ليتبنَّاها · وهي عادة عند الصينيين تدلُّ على شدَّة الصداقة · فاخذ الابنة وتبناها فربيت في بيتهِ كاحدى بناتهِ الى ان بلغت السادسة عشرة من عمرها وحينئذٍ عُرضت مع غيرها من بنات كبراء المنشوريين اللواتي يعرضن على الامبراطور مرة كل ثلاث سنوات ليختار منهنَّ نساء بلاطهِ فاختارها مع غيرها

والنساء كثيرات في بلاط الصين اكثرهنَّ للخدمة والممتازات منهنَّ وصائف عند الامبراطورة ولا يراهنَّ احد من الرجال غير الامبراطور والخصيان المقامين على حراستهنَّ · ويزورهنَّ الامبراطور احياناً ويختار منهنَّ حظاياهُ فاختار يهونالا في احدى زياراتهِ وسميت حينئذٍ شي هسي ورزق منها ولداً ذكرًا وكانت الامبراطورة عاقرًا فارتفع مقام شي هسي وزادت سلطتها حتى جلست مع الامبراطورة على سرير الملك

واتفق بعد سنين كثيرة ان شكي على الحاكم الذي تبناها ورباها وحُكم عليهِ بالعقاب وكانت قد صارت امبراطورة فلما عُرض عليها اسمهُ لتؤيد الحكم عليهِ عرفتهُ فامرت بترقيتهِ فاعترض رئيسهُ على ذلك فزادت في ترقيتهِ فاسرع الى باكين ليشكرها على هذه المنة وهذا الالتفات السامي ومثل بين يديها راكعاً امام عرشها ومطرقاً الى الارض وهو لا يعلم انها ابنتهُ فقالت لهُ التفت الى هنا ألا تعرف ابنتك ثم جعلتهُ حاكماً على مرزوشين(١)

ولما توفي زوجها الامبراطور هسين فنغ خلفهُ ابنها الامبراطور تنغ شيه لكنهُ توفي سنة ١٨٧٥ فخلفهُ ابن عمهِ كوان هسو وكان عمرهُ خمس سنوات فلما بلغ سن الرشد سنة ١٨٨٧ أمسك زمام المملكة بيدهِ واراد اصلاحها دفعةً واحدة فانهُ قرأ عن ممالك اوربا وتقدمها فاراد ان يقتدي بها ويحذو حذوها وظن انهُ يسهل عليهِ الوصول الى غرضهِ باوامر يصدرها الى

(١) هي اكبر ولاية من ولايات الصين عدد سكانها نحو سبعين مليوناً من النفوس

وزرائهِ وعمالهِ . وكان في الصين كاتب من اشهر الكتاب اسمهُ كانغ يو واي وقد قرأ الامبراطور بعض كتاباتهِ فسحر بها وحسب انهُ يستطيع اصلاح بلادهِ بواسطتهِ فاستدعاهُ اليهِ واستوزرهُ وعزم على العمل برأيهِ . ويقال انهُ عزم مرة على لبس الثياب الافرنجية وإلباس جميع رجال بلاطهِ بها واستحضر الوفاً من البذل لهذه الغاية ولبس واحدة منها واتى الامبراطورة وقال لها ما رأيك في هذا اللباس فقالت انهُ حسن جدًّا ولكني انصح لك ان تمضي الى الدار التي فيها صور اسلافك وتقابل نفسك بهم وهم في ازيائهم القديمة وترى ايها اصلح لامبراطور الصين

ولا سبيل لنا لنعلم هل خاطبتهُ بمثل ذلك او بغيرهِ ولكن من المؤكد انها لم تكن تعبأ بآرائهِ في اول الامر بل كانت تحسبها من قبيل المزاح لاعتقادها ان التغيير الذي يقصدهُ غير ميسور كما يظن

اما هو فلم ينصرف عن عزمهِ بل وافق كانغ يو واي على اصدار ستة اوامر سامية توجب على الصينيين لبس الملابس الاوربية وقص ذؤابة الشعر التي يطلقها الرجال من قمة رؤُوسهم وتقضي بتغييرات كثيرة في ادارة البلاد . ونصَّب اربعة من الشبان ليساعدوا كانغ يو واي في الاصلاح المطلوب وامر بنزع السلطة من الامبراطورة . وظلَّ عشر سنوات وزمام السلطة في يدهِ ولكن لما شطَّ باوامرهِ هذه وقصد الايقاع بالذين حسبهم عثرة في سبيلهِ ومانعاً من اجراء مقاصدهِ نهض كبار رجال المملكة عليهِ وردوا السلطة الى الامبراطورة وهرب كانغ يوواي ولجأ الى سفينة انكليزية وهو من الكتاب المعدودين ومن المتفانين في حب الاصلاح وكتاباتهُ تسحر عقول الصينيين حتى اجمعت الطائفة المتعلمة منهم على جعلهِ زعيماً لها

ومن رأي السر هنري بلاك انهُ كان يستحيل على كانغ يو واي ان يغير العادات الراسخة في بلاد الصين لان ذلك بمثابة وضع الخمر الجديدة في الزقاق القديمة . وهو مثل يتمثل بهِ الاوربيون كلما استصعبوا اصلاح البلدان الشرقية لكن اصلاح اليابان ابان لهم ان الزقاق القديمة اصلح من الجديدة فقد بلغت تلك البلاد من السؤدد في عشرين سنة ما لم تبلغهُ ممالك كثيرة من الممالك الاوربية . وما كان ميسورًا لليابان كان ميسورًا للصين والصينيون ليسوا دون اليابانيين في شيءٍ من المزايا الجسدية والعقلية بل كانوا فوقهم باعتراف اليابانيين انفسهم فلو كان امبراطور الصين حازماً كامبراطور اليابان وساعدهُ رجالهُ كما ساعد اليابانيون امبراطورهم لأُصلحت الصين كما أُصلحت اليابان . ومن يعلم ما هي الدسائس التي دُسَّت في بلاد الصين حتى تحوَّل عن سبيل الاصلاح لاسيما وان كانغ يو واي اظهر العداء

للاجانب فلم يسعهم الصبر عليه كما يظهر من مقالة المستر هنري بلاك

ولما نزعت الامبراطورة السلطة من يد الامبراطور بمعونة رجال البلاط اصبحت الحاكمة المطلقة وسلم هو للسآمة والضجر فاعتلَّت صحتهُ ووافاهُ حتفهُ في ١٤ من نوفمبر الماضي وتوفيت هي في اليوم التالي بعد ان تسلطت على بلاد الصين وعلى ثلاثة من امبراطرتها نحو نصف قرن

وقد كتبنا فصلاً مسهباً عن هذه الامبراطورة منذ ثماني سنوات في جزء اغسطس سنة ١٩٠٠ قلنا فيهِ ما نصهُ

يتولى الملك في بلاد الصين الآن دولة منشورية الاصل اسمها دولة صنغ تغلبت على دولة منغ القديمة سنة ١٦٤٤ والامبراطور الحالي هو التاسع منها والامبراطورة تسي التي لها الشأن الاكبر في الحوادث الجارية هي ام سلفهِ لا امُّهُ ولكنها تبنَّتهُ . وهي عجوز في السادسة والستين من عمرها لم تكن من بيت الملك ولكنها من الامة المنشورية التي تغلَّبت على بلاد الصين وملكتها منذ مئتين وخمسين سنة كما تقدَّم . وقد اختلف الكتَّاب في اصلها على روايتين الاولى ان اباها كان ضابطاً في شمالي الصين فاختى عليهِ الدهر وعضهُ ناب الفقر حتى اضطرت ان تبيع نفسها امةً لكي يستعين ابوها بثمنها على حالهِ وتعلمت القراءة والكتابة في بيت سيدها ورأَت ذات يوم منشوراً من امبراطور الصين يدعو بهِ كل فتاة منشورية عمرها بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة لتعرض نفسها عليهِ لانَّ الامبراطورة زوجتهُ كانت عاقراً فاراد ان يتزوَّج باخرى ليولد لهُ نسل . فعرضت نفسها عليهِ مع غيرها من البنات ونالت الحظوة في عينيهِ فاقترن بها وجعلها زوجتهُ الثانية . هذه هي الرواية الاولى والرواية الثانية انها ابنة ضابط كبير من رؤَساء المنشوريين تعلمت وتهذبت في صغرها ونالت الحظوة في عيني الامبراطور فاقترن بها بعد ان رأَى زوجتهُ الاولى عاقراً كما تقدَّم (ولعلَّ رواية المستر هنري بلاك اصدق الروايات كلها او اقربها الى الصواب) . وكانت في السابعة عشرة من عمرها فولدت لهُ ولداً ذكراً جعلهُ ولي عهدهِ وعظمت منزلتها في عينيهِ لا سيما وانها عرفت كيف ترضي ضرتها زوجتهُ الاولى وتعيش معها على تمام الوئام . وقد ابى طمع الانسان بل ناموس الطبيعة القاضي على كل حي بالسعي والكسب ان يبقى الصينيون منقطعين عن سائر الممالك مستأْثرين بخيرات ارضهم وثمار اعمالهم فسلط عليهم الانكليز والفرنسويين فاتوا تاكو سنة ١٨٦٠ وهدموا حصونها بمدافعهم وساروا الى بكين فهرب منها الامبراطور وزوجتهُ وولي عهدهِ وعمرهُ ست سنوات الى مصيفهِ حيث كان يقضي اوقات الانس بالصيد والقنص ودخلت الجنود الاوربية بكين ونهبت ما في قصر الامبراطور ثم احرقتهُ

قال الجنرال غوردون (باشا) وكان من الذين شاهدوا ذلك المنظر الفظيع . ان قائد الجنود الاوربية امر بحرق قصر الصيف وفيه من التحف والاثاث والرياش ما يساوي اربعة ملايين من الجنيهات . والصينيون ودعاة ولكن عظماءهم يكرهوننا ولا غرابة في ذلك بعد ان فعلنا ما فعلنا بقصر امبراطرتهم فان جماله يفوق الوصف ولا يرى امرؤ النار مضطرمة فيهِ الاَّ ويدمى فؤاده عليهِ فان فيهِ من بديع الصناعة وبدائع العمران ما لا تراه في قصر وندزور. وقد حطم الفرنسويون كل شيء فيهِ ولم يبقوا ولم يذروا

وتوفي امبراطور الصين سنة ١٨٦١ وعمر ولي عهدهِ سبع سنوات ولما حضرتهُ الوفاة اقام لهُ مجلساً من الاوصياء يتولى شؤون المملكة الى ان يبلغ سن الرشد وعهد في تربيتهِ الى امهِ وضرتها . فلما رأَت امهُ ان ادارة البلاد كلها اصبحت في يد هذا المجلس لم يرضها ذلك وكانت مقاليد البلاد في يد اخي زوجها البرنس كنغ قبلما اقام زوجها مجلس الاوصياء فتواطأَت معهُ على التخلص من هذا المجلس والقت القبض على اعضائهِ بحجة إغفالهم بعض الرسوم في الاحتفال بجنازة زوجها فحكم عليهم بالقتل وصارت مقاليد البلاد في يدها ويد ضرتها . وبقي البرنس كنغ يدير شؤون الامبراطورية بمهارتهِ ودهائهِ ثلاث سنوات فانفتحت في ايامهِ وعزي الفضل كلهُ اليهِ فلما رأَت ذلك اوجست منهُ خيفةً فامرت بعزلهِ لانهُ قدر نفسهُ فوق قدرها فاعتزل طائعاً وللحال وقع الارتباك في ادارة البلاد حتى اضطرت ان ترجعهُ الى منصبهِ بعد خمسة اسابيع وردَّت اليهِ كل الخطط التي كان فيها ما عدا رئاسة الوزراء

ولما بلغ ابنها سن الرشد اختارت لهُ زوجةً من بنات الامراء فاتي ببنات المنشو كلهنَّ ومررنَ امامها رباعَ رباعَ ومع كل فتاة ورقة فيها اسمها وسنها حتى اذا اعجبتها واحدة منهنَّ سألتها بعض المسائل وكتبت جوابها عنها فابقاها الخصيان عندهم وصرفوا الباقيات ثم عرض عليها هؤلاء الفتيات المختارات ثانيةً وثالثة وهي تغربل فيهنَّ الى ان قرَّ قرارها على فتاة منهنَّ فاختارتها زوجةً لابنها واحتفل باقترانهِ بها احتفالاً عظيماً وكان ذلك سنة ١٨٧٢ لكنهُ توفي سنة ١٨٧٥ ولا يعلم من امرهِ شيءٌ كثير . وكانت زوجتهُ حاملاً وتقضي شريعة الصين ان ينتظر ما تلده فان كان ذكرًا فهو الامبراطور وهي التي تكفلهُ وتكون نيابة الملك لها ولا يبقى شأن لجدتهِ وضرتها وان كان انثى تبنَّت لها ابناً فيكون الامبراطور وهي التي تكفلهُ وتكون لها نيابة الملك ايضاً لكن الامبراطورة شي داست شريعة البلاد واغضت عن كنتها قبلما تلد وتبنَّت ابن الامير تشن اخي زوجها وعمرهُ اربع سنوات فبقيت النيابة في يدها ويد ضرتها والبرنس كنغ يدير شؤون البلاد الى سنة ١٨٨٤ وحينئذٍ عزلتاهُ ونصبتا مكانهُ الامير تشن

ابا الامبراطور الصغير ويقال انهُ من الشعراء وبينهُ وبين الامبراطورة ثي مطارحات شعرية لكنهُ ليس من رجال السياسة فاعتمدت الامبراطورة في ادارة الشؤُون على الوزير لي هنغ تشنغ الداهية المشهور

ولما اشتدت المجاعة في ولاية شانسي نشرت هي وضرتها امرًا امبراطوريًا قالتا فيهِ انهما رأتا ثمن اللحم الذي يؤكل في قصرهما يبلغ مئة ريال كل يوم فعزمتا ان لا تأكلا لحمًا ما دام شعبهما جائعًا وامرتا ان تضاف المئة الريال ثمن اللحم الى اموال الاعانة التي تنفق على الجياع . فكان لهذا الامر الامبراطوري اعظم وقع في النفوس . ثم ان الامبراطورة ثي اختارت لتعليم الولد الذي تبنتهُ ليكون امبراطورًا رجلاً مشهورًا بالعلم والحكمة وبُعد النظر في العواقب فرباهُ وهذبهُ وتوفيت الامبراطورة الاولى سنة ١٨٨١ فاستقلت الامبراطورة ثي بالسلطة وحدها الى سنة ١٨٨٨ حينما بلغ الامبراطور الجديد سن الرشد فاختارت لهُ زوجة ونشرت امرًا امبراطوريًا قالت فيهِ

امرٌ خاص من الامبراطورة الارملة

لقد تأهل الامبراطور لميراثهِ المجيد وهو يزيد رشدًا يومًا فيومًا ولذلك لاق بهِ ان يختار لهُ زوجة فاضلة تساعدهُ في شؤُون بلاطهِ وتتولى ادارة خاصتهِ وتساعدهُ ليسير سيرةً صالحةً مستقيمةً لذلك جعلنا تتهونالا ابنة الجنرال كوي هسيانغ التي اخترناها لهُ زوجةً لاجل فضائلها امبراطورة على الصين

وامرنا ايضًا ان تكون تتالا بنت تشنغ هسي وعمرها خمس عشرة سنة زوجةً ثانيةً لهُ واختها تتالا وعمرها ثلاث عشرة سنة سرية لهُ من الدرجة الثانية

وقد اختلف الكتَّاب كثيرًا في اوصاف الامبراطورة ثي فمدحها بعضهم حتى جعلها مجمع الفضائل وذمها البعض الآخر حتى جعلها قرارة الرذائل . والظاهر ان الصينيين لا يعبأُون بالكذب فاذا اصاب احدُهم خيرًا منها مدحها على قدر ما تحتمل اللغة الصينيَّة من الغلو في المدح واذا اصاب آخر ضيرٌ منها ذمها على قدر ما تحتملهُ لغتهُ من الذم . وكذلك الاوربيون الذين ينقلون عنهم يجارونهم غير محاذرين . الاَّ ان جمهورهم يقول انها تفوق نساء الصين علمًا وادبًا وانها تصوّر وتنظم الشعر الحسن وقد اهدت الى مدرسة هملن الكلية سبعمئة مقطع من نظمها . وكتب بعضهم في جريدة الورلد الاميركية سنة ١٨٨٨ يقول "انها مهيبة الطلعة تمشط شعرها وتعقصهُ بيدها بدبابيس من الذهب وهي مستقلة في رأيها لا تتقيد بآداب السلوك الصينيَّة . تروض جسمها بالرماية داخل اسوار قصرها وتمرّن على الملاكمة .

اخبرني السفير دنبي انها تدرس كل المواضيع التي تعرض عليها وهي كثيرة الاشتغال جدًّا ومن رأيهِ ان التاريخ سيذكر اسمها مثل اعظم الملكات وهي التي رقَّت الصين الى درجتها الحاضرة بين ممالك الارض "

وقد وصفها واحد رآها حديثًا فقال انها طويلة القامة معتدلة القوام سوداء الشعر والعينين سمراء الوجه قدماها في الشكل الطبيعي لم تصغَّرا كاقدام الصينيات لان بنات منشو لا يصغرن اقدامهن"

ولما استقبلت نساء السفراء قبل الحوادث الاخيرة كتب سفير انكلترا يصف استقبالها لهن" فقال انها ابدت غاية الدعة والبشاشة واللواتي مضين الى القصر وهن" يحسبن انهن" يلاقين امرأة متكبرة متعظمة استغربن كثيرًا ما وجدنهُ في جلالتها من اللطف والدعة ولين الجانب

ويقول خصومها انها مغرمة بالمال والمقامرة غدَّارة تقتل خصومها بالسم فلم تبقِ على خصم وانها قتلت ضرتها وكنتها. لكن الناظر في احوال الصين قبل ايامها وفي ايامها لا يستطيع ان يبخسها حقها من الاهتمام بترقية بلادها اكثر من كل مَن سلفها

وبلغ الامبراطور الحالي سن الرشد سنة ١٨٨٧ وسُلّم مقاليد الاحكام بالفعل سنة ١٨٨٩ فوقع الخلاف بينهُ وبينها لانهُ كان يحب الاستقلال عنها وهي قد شبَّت وشابت على ادارة الاحكام بيدها فشق" عليها ان تربي ولدًا تحسبهُ برًّا بها فتجدهُ عقوقًا . والظاهر من وصف السفراء لهُ انهُ كان نحيف البنية كثير الشغل يميل الى الاستبداد في الرأي ويشتغل بامور ليس من شأنهِ الاشتغال بها فيتعب نفسهُ على غير طائل مثل تعرضهِ لديوان الامتحان فان المناصب تعطى في بلاد الصين بعد امتحان دقيق فطلب مرةً اوراق الامتحان وبقي يطالعها ثلاثة ايام كاملة ثم عين درجات الممتحنين حسبما تراءى لهُ فرقَّى البعض الى اعلى المناصب وخفض البعض الى ادناها على ضد ما اقرّت عليهِ لجنة الامتحان

ولما نشبت الحرب بين الصين واليابان قال البعض انها كانت برضى الامبراطورة شي وعلى غير رضاهُ ويقول غيرهم انها كانت برضاهُ وعلى غير رضاها فوقع الخلاف بينهما بسببها وقام حينئذٍ كانغ يوواي زعيم الاحرار في بلاد الصين وهو شاب من مدينة كنتون كان يعلّم فيها فقرأ تاريخ بطرس الاكبر قيصر الروس واعجب بهِ وخطر لهُ انهُ يمكن النهوض ببلاد الصين في سنوات قليلة كما نهضت بلاد الروس وكتب رسالةً في هذا الموضوع اطّلع عليها امبراطور الصين فاعجب بها

وقد اشار هذا الرجل على الامبراطور ان يأمر وزراءهُ وكل الذين في مناصب عالية

في بلاد الصين بان يمضوا الى المعابد ويحلفوا هناك الايمان المغلظة انهم يساعدونهُ في ترقية البلاد وادخال كل طرق الاصلاح اليها · ومن طرق الاصلاح هذه تنقيح قوانين الادارة كلها واقامة مجلس من الرجال الذين درسوا في اوربا او تعلموا الاساليب الاوربية لكي يساعد في اصلاح المملكة وتنظيم دوائر الحكومة على اسلوب دوائر الحكومة في اوربا واستخدام الاجانب فيها مشيرين ومساعدين · وتغيير نظام جباية الاموال فتصير اموال الامبراطورية كلها ترد الى خزينة الحكومة بدلاً من انفاق اموال كل ولاية فيها فيصير عند الحكومة مال كافٍ لتعبئة الجنود وتقوية الاساطيل وانشاء المدارس الحربية

وقرأ ولاة الصين هذه الرسالة فاستخفوا بها وقالوا لن نغير عادات اسلافنا واما الامبراطور فاعجب بها وعزم على الجري بموجبها واخذ من ساعتهِ يغير ويبدل و يعزل وينصب فعزل مرة خمسة آلاف موظف دفعةً واحدة ووظائف كثيرين منهم وراثية توارثوها ابًا عن جدٍ · وامر ان ترسل اوامرهُ الى الولاة والحكام بالتلغراف · واطلق حرية الصحافة واباح لكل احد ان يرفع اليهِ ظلامتهُ مباشرة وكانت الظلامات ترفع الى دواوين الحكومة المختلفة فتنتقل من ديوان الى ديوان ولا يصل منها شيء الى الدواوين العليا

وكان في ديوان الشعائر الدينية كاتب صغير اسمهُ وان هش فلما رأى نجاح كانغ يو واي قدَّم عريضة الى الامبراطور طلب فيها منهُ اصلاحات اخرى · فاغتاظ الوزراء والولاة من وقاحتهِ ووبخوهُ توبيخًا صارمًا اما الامبراطور فاصدر امرًا مدحهُ فيهِ على جسارتهِ وشجاعتهِ الادبية ورقاهُ الى منصب لم يكن يستطيع الارتقاء اليهِ الأَّ بعد امتحانات كثيرة وعزل رئيسي مجلس الشعائر الدينية ونائبيهما وكثيرين من كبار الموظفين لانهم تجاسروا على حجز حرية غيرهم من رعاياهُ وقاوموا رغبتهُ في اصلاح بلادهِ

فلما رأى عظماء الصين ذلك من امبراطورهم جاۤؤوا الى الامبراطورة فامرت بقتلها اما هي فجمعت حولها خواصها واكتنفت قصرهُ بفريق من الجند المخلصين لها واضطرتهُ ان يمضي امرًا ملكيًا في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ يقول فيهِ انهُ تنازل عن الملك لانهُ وجد نفسهُ غير كفوءٍ لهُ ويتوسل اليها فيهِ ان تستلم زمام الاحكام بيدها · وللحال فرَّ بعض المصلحين وقُبض على البعض الآخر فقتلوا او نفوا وسُجن الامبراطور في قصرهِ ولكن بقيت الاوامر تصدر باسمهِ وباسمهِ سُلبت الصين كياو شاو وبورت ارثر ووي هاي واي ونحو ذلك مما جرَّ الى الويلات الحاضرة · وباسمهِ ايضًا صدر امر في الرابع والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٠٠ يقول فيهِ انهُ لا يستطيع ان يخلف نسلاً وانهُ توسل الى الامبراطورة لتختار وريثًا للملك

فاختارت يوتشنغ ابن البرنس توان وهو فتى في الرابعة عشرة · فنقم حزب الاصلاح عليها واخذ ينشر المنشورات ضدها وهي تصادره بكل ما وصلت اليه يدها وعينت مئة الف ريال لمن يقتل زعيم الاصلاح كانغ يو واي ورفيقه لينغ شي شاو

وقابلها البرنس هنري لما ذهب الى بلاد الصين وهو اول اوربي رأى وجهها · ويقال انها هي التي قوّت جمعية الملاكمين وغيرها من الجمعيات الوطنية المعادية للاجانب لكي يقوى بها حزبها على حزب الاصلاح وتطرد الاجانب من بلادها

هذا ما نشرناه عنها منذ ثماني سنوات اقتطفناه من اصح المصادر وهو مطابق في جملته لما ذكره السر هنري بلاك · ويقيننا انها لو ساعدت الامبراطور المتوفى في تحقيق امانيه لجارت الصين اليابان او فاقت عليها والام بقوادها ومراتها

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

القواضم RODENTIA

السِنجاب (فارسية معرّبة [1]) Sciurus. E. Squirrel. F. Écureuil.

جنس من الحيوان من فصيلة القواضم اكبر من الجرذ كبير الاذنين ذو ذنب طويل كثيث الشعر يرفعهُ صعداً · ويعرف في الشام بالسنجاب والقرقذون والقرقذان

وقد جاء في كتاب نظام الحلقات لاستاذنا الدكتور بوست ان لفظة السنجاب تطلق على القرقذون والسمّور M.Zibellina وفي دائرة المعارف ان تسمية القرقذون بالسنجاب خطأ وان السنجاب هو M. Zibellina ولا ريب عندي في ان السنجاب هو المسمى بالقرقذون في الشام فان لفظة السنجاب مستعملة في بعض انحاء الشام لهذا الحيوان بعينهِ وهي الترجمة المعوّل عليها في كل المعجمات التي وقفت عليها · ثم ان السنجاب المذكور في المؤلفات العربية صنف منهُ يوجد في روسيا وسيبيريا يتخذ من جلدهِ الفراء المشهورة ويسمى عند الافرنج Petit-gris ولونهُ ازرق رمادي وليس احمر او اصفر كالدلق او السمّور وهو معروف عند الفرّائين وقد سألت واحداً منهم ان يريني جلد السنجاب فأراني فروة بهذا اللون

(١) الالفاظ الفارسية المعربة

الازرق . ثم ان مشاهير المستشرقين مثل كاترمير (١) ولكلرك (٢) ولاين وغيرهم ترجموا لفظة السنجاب Petit-gris بالفرنسوية و Grey squirrel بالانكليزية

وهذا ما جاء عنهُ في الدميري قال " السنجاب حيوان على حد اليربوع اكبر من الفار وشعرهُ في غاية النعومة يتخذ من جلده الفراء يلبسهُ المتنعمون ..... واحسن جلوده الازرق الاملس وقد احسن القائل

كأنما ازرقٌ لون جلدي من البر د تخيلتُ انهُ سنجابُ "

فاللون السنجابي هو اللون الازرق الرمادي وليس اللون الاحمر

﴿ السنجاب الطائر ﴾ E. Flying squirrel. F. Ecureuil volant جنسٌ من السنجاب لهُ غشاءٌ بين يديهِ ورجليهِ يطفر بهِ من شجرة الى اخرى . وقد سماهُ القزويني السناس الطائر وابن الفقيه الهمذاني السنور الطائر (كتاب البلدان طبع ليدن صفحة ١٠)

﴿ الصَّبْرة (سودانية) ﴾ Xerus. E. Spiny squirrel. جنسٌ من السنجاب لكنهُ لا يقيم في الاشجار بل يتخذ لهُ بيتاً في الارض ويوجد منهُ انواعٌ كثيرة بعضها مخطَّط الظهر طولاً

﴿ القُنْدُز . البِيدَسْتَر (فارسيتان) الخَارُوذ (٣) ﴾ Castor. E. Beaver F. Castor. جنسٌ من القواضم المائية ذنبهُ قويٌّ مفلطح لونهُ احمر قاتم ولهُ غشاءٌ بين براثن رجليهِ يعينهُ على السباحة . ويوجد القندز في سيبيريا واميركا الشمالية . ويتخذ منهُ الفراء والمادة المعروفة عند الاطباء بالجندبيدستر

وفي كثير من المؤلفات العربية القندس هو القندز وقد اطلق ابن البيطار لفظة القندس على الحيوان الذي نحن بشانهِ وعلى نوع من النبات وسماهُ الكندس ايضاً وقد بحث في ذلك السيد ادّي شير في كتابهِ الالفاظ الفارسية المعرَّبة وارجع اللفظتين الى اصلهما الفارسي وذكر الكندس ايضاً وهي فارسية ويظهر من قولهِ ان القندس خلاف الكندس (راجع الالفاظ الفارسية المعربة وابن البيطار باللغة الفرنسوية ورأي لكلرك في الكندس)

اما كلب الماء فاكثر مؤلفي العرب اطلقوهُ على القندز ولا يخفى ان كلب الماء في الشام حيوان آخر مرَّ ذكرهُ

﴿ المَرْمُوط (معرَّبة) ﴾ Arctomys. E. Marmot. F. Marmotte

﴿ الزُّغْبة ﴾ Myoxus. E. Dormouse. F. Loir جنسٌ من القواضم في شبه

(١) ترجمة جامع التواريخ لرشيد الدين (٢) ترجمة مفردات ابن البيطار (٣) ابن البيطار

الفار وجمعهِ. تقيم في الاشجار وتستكنُّ[1] في الشتاء. والزغبة في الكتب العربية دويبة تشبه الفارة ولم يزيدوا على ذلك وقد اطلقها احمد فارس على الحيوان الذي يسميهِ الانكليز Dormouse

﴿ اليَرْبُوع ﴾ Dipus E. Jerboa F. Gerboise جنسٌ من القواضم وهو شبيه بالفار الَّا انهُ قصير اليدين طويل الرجلين لهُ ذنب طويل يرفعهُ صعدًا . ويعرف ثلاثة انواع من اليرابيع عند العرب وهي الشفاريّ والتدمريّ وذو رُمَيح وقد وصفوها وصفاً مدققاً ولا يمكن معرفة حقيقة امرها تماماً الآن لان حيوانات بلاد العرب لم يدرسها العلماء درساً وافياً

﴿ الخُلْد ﴾ Spalax typhlus. E. Mole-rat. F. Rat-taupe وجمعها مناجذ جنسٌ من القواضم التي تعيش تحت الارض وهو ليس لهُ اذنان ولا عينان ويسمى في مصر ابو اعمى وقد اشرت قبلاً الى كثرة الخطإ في ترجمة هذه اللفظة فالمسمى Taupe بالفرنسوية وMole بالانكليزية غير الخلد ولا وجود لهُ في مصر والشام اما الخلد فكثير الوجود فيهما

﴿ الفأرة ﴾ E. Mouse. F. Souris

﴿ الجُرَذ ﴾ E. & F. Rat

﴿ فأر البوص ﴾ Aulacaudus Swinderianus E. Cane-rat. F. Aulacaude

جنسٌ من القواضم شبيه بالجرذ الَّا انهُ اكبر ويوجد في اواسط افريقية وهو الاسم الذي يعرف بهِ في السودان[2]

﴿ خنزير الهند. خنزير غانة (غينيا) ﴾ Cavia. E. Guinea-pig. F. Cochon d'Inde.

جنسٌ من القواضم شبيهٌ بالارنب واصغر منهُ وجلدهُ مبقَّع بالوان مختلفة ويعرف في مصر بالارنب الرومي

﴿ الدُلْدُل. الدُلْدُول. الشَيْهَم. الشَيْظَم. الضَرْب. النَيْص. المُدَجَّج ﴾

Hystrix. E. Porcupine. F. Porc-épic

جنسٌ من القواضم على ظهرهِ شوك طويل كأنهُ المسالّ ويوجد منهُ انواعٌ كثيرة ويعرف في السودان بابي شوك وفي الشام بالقنفذ وبالنيص (انظر قنفذ في مقتطف اكتوبر من السنة الماضية)

---

(١) استكنَّ الرجل استتر ورجع الى كنهِ والكنّ ما يرد الحرّ والبرد من الابنية والمساكن ولم ار اصلح من الاستكنان لما يسميهِ الافرنج Hibernation

(٢) The Heart of Africa, by Dr. Schweinfurth.

﴿الارنب﴾ Lepus. E. Hare F. Lièvre.

﴿الارنب الاهلي﴾ Lepus cuniculus. E. Rabbit F. Lapin

يوجد في اللغة العربية اسماءٌ كثيرة للارنب لكنهُ لا فرق عندهم بين المسمَّى Lièvre و Lapin فاطلقت على الثاني منهما لفظة الارنب الاهلي لانهُ يدجن في البيوت

وفي اللغة العربية اسماء كثيرة لعدة انواع من القواضم وقد وصفوا بعضها وصفاً حسناً لكن لا يمكن التحقيق عنها علميًّا لان حيوانات بلاد العرب وخصوصاً القواضم غير معروفة جيدًا عند علماء الحيوان فمن هذه الحيوانات الزباب والمرنب والهبير والجلهم وغيرها

الدرداء (1) EDENTATA

﴿الكسلان﴾ Bradypus. E. Sloth. F. Paresseux جنسٌ من الحيوانات الدرداء وهو طويل اليدين والمخالب ويقيم في الاشجار في حراج اميركا . ولفظة الكسلان هذه وضعها المرحوم احمد فارس وهي ترجمة اللفظة الافرنجية

﴿آكل النمل﴾ E. Ant-eater F. Fourmilier جنسٌ من الحيوانات الدرداء وهو طويل الرأس صغير الفم لزج اللسان قوي الاظفار . منهُ انواعٌ كثيرة جميعها في اميركا الجنوبية

﴿ابو الاظلاف﴾ Orycteropus. Dutch. Aard-vark F. Oryctérope جنسٌ من الحيوانات الدرداء وهو اجرد قبيح المنظر طويل الاذنين قصير القوائم قوي الاظفار لهُ خطم كفنطيسة الخنزير . يوجد منهُ نوعان كلاهما في افريقية ويعرف في السودان بهذا الاسم . سمي بهِ لقوة اظفاره

﴿المدرَّع﴾ E. Armadilio. F. Armadille, tatou جنسٌ من الحيوانات الدرداء جسمهُ مغطى بمادة قرنية كانها الدرع ولذلك اطلق عليهِ الاسبانيول هذا الاسم . ولفظة المدرَّع هذه وضعها صاحب مجلة الهلال وهي ترجمة اللفظة الافرنجية (السنة السادسة عشرة صفحة ١٦٩)

﴿ام قرفة﴾ E. & F. Pangolin جنسٌ من الحيوانات الدرداء واكلة النمل

(1) بعض حيوانات هذه الفصيلة لا قواطع لها وبعضها درداء اي لا اسنان لها مطلقًا وقد سماها علماء الحيوان Edentata فلم ارَ اوفق من تسميتها بالدرداء وهي ترجمة اللفظة اللاتينية حرفيًّا . واني اشكر صديقي خليل بك سعد لانهُ نبهني الى هذه اللفظة وكنت سميتها قبلاً درماء ولا ريب في ان درداء افضل

وجسمهُ مغطى بقشورٍ قرنية شبيهة بحراشف السمك . وهذه التسمية وردت في دائرة المعارف ويغلب على ظني انها سودانية ولكنني لم اسمعها في السودان

ذوات الكيس MARSUPIALIA

القَنْقَر (معرب كنغرو بلغة استراليا) E. Kangaroo. F. Kangourou
جنسٌ من ذوات الكيس . قصير اليدين طويل الرجلين والذنب . يوجد في استراليا فقط . وهذه اللفظة اول من استعملها فيما اعلم المرحوم احمد فارس ونقلها عنهُ المقتطف فشاعت وهي افضل كثيرًا من تعريب هذه اللفظة بالكنجرو كما تجد ذلك في حديقة الجيزة

الابوسوم (اميركية معرَّبة) E. & F. Opossum. جنسٌ من ذوات الكيس يوجد في اميركا وهو انواع كثيرة

ذوات النقر (1) MONOTREMA

خلد الماء Ornithorhynchus paradoxus. E. Duckbill F. Ornithorhynque
نوعٌ من الحيوان من ذوات النقر وهو من اغرب الحيوانات لهُ منقار كمنقار البط ويبيض ويرضع بخلاف سائر الحيوان ويوجد في استراليا فقط

ويوجد اجناس وانواع كثيرة من ذوات الكيس وذوات النقر لا اسماء لها بالعربية ولا بدَّ من تعريبها وقد اكتفيت بذكر هذه الحيوانات الثلاث لشهرتها

الحيتان (2) CETACEA

البال . الفال . الوَال . الأُوال . البَغَان Balæna. E. Whalebone whale. F. Baleine
جنسٌ من الحيتان لا زعنفة لهُ على ظهره . يبلغ طولهُ بين الخمسين والستين قدمًا لا اسنان لهُ ومكان الاسنان مادّة قرنية تعرف بالبالين تدخل في ملابس النساء ولفظة البال اكثر هذه الالفاظ شيوعًا ثم الوال والفال (انظر عجائب الهند صفحة ١٥ و ١٠١ والملحق الذي لهُ) وهي الأُوال في مروج الذهب (طبع باريس ٢٣٤) والأَفال في النسخة المطبوعة في مصر على هامش نفح الطيب . والمشابهة كبيرة بين هذه الالفاظ وبين Phalaina باليونانية

---

(1) وضعها المرحوم الدكتور زلزل (في كتاب لهُ كان قد شرع في طبعهِ)

(2) الحوت في اللغة السمك . وقد غلب على الكبير منهُ وهي معرَّب Ketos باليونانية (الالفاظ الفارسية المعربة) ولا يخفى ان الحيتان ليست من الاسماك بل من الحيوانات اللبونة التي تعيش في الماء

و Balæna باللاتينية واللغات المشتقة منها وايضاً لغات اوربا الشمالية (راجع لفظة Whale في المطولات الانكليزية ولفظة وال في دوزي)

واما البتان فقد جاء في كتب اللغة انهُ حوتٌ هائل من حيتان البحر وسماهُ فورسكال Balæna وهو من العلماء الذين يعول عليهم وقد دوَّن ما سمعهُ ورآهُ بنفسهِ[1]. وورد ذكرهُ ايضاً في كتاب نخبة الدهر للدمشقي صفحة ١٣٦

جَمَل البحر . الكِنْدَارَة Megaptera böops. E. Humpback whale. F. Mégaptère

نوعٌ من الحيتان طولهُ نحو خمسين قدماً ولهُ شيء يشبهُ السنام على ظهرهِ سمي بهِ جمل البحر ويوجد في اكثر البحار . وقد جاء عنهُ في الدميري ما يأتي "جمل البحر سمكة طولها ثلاثون ذراعاً كذا قالهُ ابن سيده وللعجاج فيها رجزٌ حسن قالهُ الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وفي حديث ابي عبيدة رضي الله تعالى عنهُ انهُ اذن في اكل جمل البحر وهو سمكة شبيهة بالجمل" ولا ريب في انهُ يقصد بذلك هذا النوع من الحيتان . وقال عن الكندارة انها سمكة لها سنام معروفة عند اهل البحر . ولعلَّ هذه اللفظة فارسية الاصل (انظر لفظة كنادر في الالفاظ الفارسية المعرَّبة)

القَاطُوس والتَيْطَس والقِيْطَاس (معرب Ketos) . **المنارة . حوت الحيض** Balænoptera. E. & F. Rorqual

جنسٌ من الحيتان يختلف عن البال بوجود زعنفة على ظهرهِ وهو انواع كثيرة اكبرها يبلغ طولهُ ٨٥ قدماً والبالين الذي يستخرج منهُ ادنى من البالين الذي يستخرج من البال

وقد ذكر الدميري هذه اللفظة في باب الفاء وكتبها الفاطوس وحقها ان تكتب قاطوس بالقاف وذكرها القزويني في باب القاف بعد فرس الماء وقبل قندر . وهي قاطوس في نسخة غوتنجن صفحة ١٤١ وكذلك في النسخة التي على هامش الدميري طبع مصر صفحة ٢٠٩ والبعض يقولون عاطوس وغاطوس وكلهُ محرَّف قاطوس على ما اظن . ويصعب كثيراً معرفة الفرق بين البال والمنارة من وصفها في كتب العرب فقد قالوا عن الاثنين ان على ظهرها مثل الشراع والحوت الذي يسميهِ علماء الحيوان Balæna لا يوجد لهُ مثل ذلك فاطلقت لفظة البال على ما يسميهِ الافرنج Balæna لتشابه الاسم والقاطوس والمنارة على المسمى Rorqual

(١) فورسكال احد افراد البعثة الدنماركية التي سافرت الى بلاد العرب في اواخر القرن الثامن عشر وكانوا ستة من العلماء توفي خمسة منهم وبقي نيبور حياً فنشر كتابةً عن بلاد العرب وكتاب صديقهِ فورسكال عن حيوانات بلاد العرب ونباتاتها

﴿العَنْبَر﴾ Physeter macrocephalus. E. Spermwhale. F. Cachalot

نوعٌ من الحيتان يبلغ طولهُ نحو ٦٠ قدماً ويمتاز عن غيرهِ بضخامة رأسهِ وهو ذو اسنان بخلاف البال · ويستخرج منهُ الدهن المعروف بمنّ القاطوس والمادة المعروفة بالعنبر

وقد ظن بعضهم ان هذه الدابة هي القِرْش وهو خطأ فالقرش هو ما يسميهِ الانكليز Shark والفرنسويون Requin ويعرف بالقرش الى يومنا هذا في سواكن وغيرها من موانئ البحر الاحمر وقد وصفهُ الدمشقي وصفاً حسناً في كتابهِ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (طبع بطرسبرج ١٦٤) قال "القرش ويسمى سبع البحر اخضر اللون بزرقة خشن البشرة حتى ان رقبتهُ وظهرهُ شبيه بالمبرد ···· ولهُ خرطوم عظيم اقصر من ذراع وبدنهُ اطول ما يطول اربعة اذرع وخرطومهُ شبيه بالمنشار وخدان يضرب بهما يمنة ويسرة" · وفي لسان العرب "القرش دابة في البحر الملح وقريش دابة في البحر لا تدع دابة الا اكلتها فجميع الدواب تخافها"

﴿حَرِيش البحر · كَرْكَدَن البحر · القُوْقِي﴾ Monodon monoceros. E. Narwhale. F. Narval.

نوعٌ من الحيتان طولهُ نحو ٢٠ قدماً ولهُ نابٌ مستطيل كأنهُ الخرطوم ويعرف عند الافرنج بما ترجمتهُ حريش البحر ولذلك سمي حريش البحر في دائرة المعارف وكركدن البحر في كتاب نظام الحلقات · ويغلب على ظني انهُ القوقي الذي ذكرهُ القزويني (طبع غوتنجن ١٤٢) قال "القوقي صنفٌ من السمك عجيب جداً على رأسهِ شوكة قوية يضرب بها · حكى الملاحون ان هذه السمكة اذا جاعت ترمي بنفسها الى شيء من الحيوان حتى يبتلعها ثم تضرب بشوكتها احشاءهُ وتهلكهُ وربما تخرج من شقّ بطنهِ وتتغذى منهُ هي وغيرها واذا قصدها قاصد في الماء تضربهُ بالشوكة فتهلكهُ وقيل تضرب السفينة بالشوكة فتثقبها وتغرق اهلها وتأ كل منهم والملاحون عرفوا ذلك والبسوا السفينة جلد هذه السمكة فان شوكتها لا تعبر عليهِ"

﴿النُّخَس · الدُّخَس · الدُلْفِين (معرب Delphis باليونانية)﴾ Delphinus. E. Delphin. F. Dauphin

جنسٌ من الحيتان الصغيرة طولهُ نحو عشر اقدام زعم القدماء انهُ ينجي الغريق ولا نصيب لذلك من الصحة · ولا ريب في ان النخس والدُخس عند العرب هو الدلفين فكتب اللغة كلها مجمعة على ذلك وقد ذكر نيبور في رحلتهِ الى بلاد العرب ان احد تجار ابي شهر اطلق لفظة Dachs على الدلفين او خنزير البحر وذكر الكولونل جايكر في حياة الحيوان الكبرى الانكليزية صفحة ٣٥٤ ان الدلفين يسمى في مسقط Ad-dugs ويظهر من ذلك ان لفظة الدخس مستعملة في وقتنا الحاضر للدلفين (انظر بغر في العدد الماضي)

﴿خنزير البحر﴾ Phocœna. E. Porpoise. F. Marsouin جنس من الحيتان شبيه بالدلفين الَّا انهُ اصغر منهُ وخطمهُ اقصر ويظهر ان مؤلفي العرب مثل ابن البيطار والدميري حسبوا الدلفين وخنزير البحر حيواناً واحداً لشدة الشبه بينهما

بنات الماء[1] SIRENIA

﴿الأطوم . المِلصة . الزاخة . بقرة الماء﴾ Halicore. E. & F. Dugong

جنس من الحيوانات اللبونة التي تأوي الى الماء مؤخرهُ يشبه السمك ولهُ يدان كأنهما زعنفتان ولا رجلان لهُ . طولهُ نحو ثماني اقدام ويوجد في المحيط الهندي والبحر الاحمر ويتخذ من جلدهِ النعال للجمالين على سواحل بلاد العرب ويعرف عندهم بالاطوم وابي سلامة

وقد زعم العرب وغيرهم انهُ يوجد نوع من السمك شبيه بالانسان ومن الاسماء التي اطلقوها عليهِ بنت الماء وانسان الماء وشيخ البحر وعند اليونان Seiren و Naias وعند الانكليز Mermaid و Merman وعند الفرس ملك دريا اي ملك البحر واصل هذه الخرافات كلها الفقمة Phoca والاطوم Halicore والاخيرة مشتقة من كلمتين يونانيتين معناهما فتاة البحر . وقد مر بنا ان شيخ البحر هو الفقمة ولا ريب في ان بنت الماء عند العرب هي هذا الحيوان المسمى الأطوم في كتب اللغة . وللعرب عن بنات الماء حكايات كثيرة اورد واحدة منها فقد جاء في كتاب عجائب الهند صفحة ٣٩ ما نصهُ " وحدثني بعض من دخل الزيلع وبلاد الحبشة ان في بحر الحبشة سمكاً لهُ وجه كوجه بني آدم واجسامهم لها الايدي والارجل وان الصيادين الفقراء المتطرفين في اطراف السواحل المهجورة والجزائر والشعاب والجبال التي لا تسلك المعالجين فيها طول اعمارهم اذا وجدوا ذلك السمك المشابه لبني آدم اجتمعوا بهِ فيتوالدوا بينهم نسلاً شبيهاً لبني آدم يعيش في الماء والهواء وربما كان الاصل في هذا السمك من بني آدم اجتمعوا بجنسٍ من اجناس السمك فيتوالد بينهم هذا السمك الشبيه لبني آدم ثم كذلك على مر الدهور والازمنة كما يجتمع الآدمي ببعض الوحوش مثل الضبع والنمرة وغيره من حيوان البرّي فيتوالد بينهم القردة والنسانيس وغير ذلك مما يشبه بني آدم" . الى ان قال " ويقال ان سمك يقال لها الظلوم (وفي نسخة اخرى الظلوم) على صورة الآدمي . . . . ولهُ جلد اثخن من جلد الفيل يدبغ ويستعمل للاخفاف "

(١) لفظة Sirenia المستعملة عند علماء الحيوان مشتقة من Seiren باليونانية وهي جنس من بنات الماء في خرافاتهم فلم ارَ انسب من تسمية هذه الفصيلة ببنات الماء بالعربية

وجاء في كتاب عجائب المخلوقات (طبع غوتنجن ١١٣) " ومنها سمكة وجهها كوجه الانسان وبدنها كبدن السمك وعلى وجهها نقط تظهر على وجه الماء " . وفي الكتاب نفسهِ صفحة ١٠٩ " ومنها سمكة يقال لها الاطم وعليها شعرٌ وليس لها فلوس (اي حراشف) . . . . ووجهها كوجه الخنزير " . وفي كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر للدمشقي (طبع بطرسبرج ١٥٨) " ولهذا البحر (اي الهندي) ايضاً سمكة يقال لها اللطم لها وجه خنزير وبدن انسان وبدنها مشعر كثير الشعر " . وفي مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني (طبع ليدن ٩) " وفي البحر سمكة يقال لها الأطمر. . . وجهها كوجه الخنزير" . وقد سماها اهرنبرغ وهمبرخ [1] H. lottum وكتبا اللفظة بالعربية اللطيم مع ان كتابتها باللاتينيةً اقرب الى اللطوم منها الى اللطيم . وقد ذكرا ايضاً ان جلدها يدبغ ويستعمل نعالاً في سينا . وفي لسان العرب " الأطوم سمكة في البحر يقال لها الملصة والزالخة . والاطوم السلحفاة البحرية . وفي المحكم سلحفاة بحرية غليظة الجلد في البحر يشبه بها جلد البعير الأملس وتتخذ منها الخفاف للجمالين وتخصف بها النعال "

والذي اراهُ من الشواهد المتقدمة ان هذا الحيوان هو الاطوم المذكور في كتب اللغة وكل هذه الالفاظ التي وردت وهي " الظَلُوْم والظُلُوْم والأَطَمّ والإطمر والأطم واللَّطيم " محرفة وبما ان اهرنبرغ وهمبرخ ذكرا هذا الحيوان بلفظهِ العربي اي اللطيم ويظهر انهما سمعاهُ في سينا سألت صديقي نعوم بك شقير ان يكتب الى الطور او السويس ويستفهم عن هذا الحيوان فاتاهُ ما يفيد انهُ يوجد سمكة في البحر الاحمر طولها نحو اربع اذرع يُدبغ جلدها ويتخذ منهُ النعال وتسمى هذه السمكة عندهم اللطوم . ولا يخفى ان العرب كثيراً ما يحذفون الهمزة في اللفظ عند ادخال ال التعريف فينطقون بلفظة الاسد مثلاً ألَسد فيتوهم السامع ان اللفظة المقصودة هي اللطوم حال كونها الاطوم ولهذا السبب كتبها اهرنبرغ وهمبرخ lottum ايضاً كما سمعاها . وقد ورد ذكر هذا الحيوان كثيراً في كتب الافرنج وقالوا ان جلدهُ يستعمل للنعال في سينا [2]

وسمى القزويني هذا الحيوان بقر الماء ايضاً وكذلك الافرنج فانهم سموها Vache marine وذكر الدميري بقر الماء نقلاً عن القزويني ونقل الكولونل جايكر ذلك الى الانكليزية وسماها Hippopotamus ويفهم من رواية القزويني والدميري ان بقر الماء يقيم في البحر الملح فلا

(١) Symb. Physic. etc.

(٢) Smith's Dictionary of the Bible, Hart's Animals of the Bible, etc.

يمكن ان يكون المقصود بهِ فرس الماء فان لم يكن بقر الماء هو الاطوم فهو ليس فرس الماء · وقد جاء في القزويني ايضاً عند ذكرهِ بحر القلزم (اي البحر الاحمر) " ومنها سمكة على خلقة البقر تلد وترضع بخلاف سائر السمك فانها تبيض "

﴿ خروف البحر ﴾ Manatus. E. Manatee. F. Lamantin جنسٌ من بنات الماء يوجد في الاتلانتيكي وفي الانهار التي تصب فيهِ وهو الاسم الذي اطلقهُ العرب الذين كانوا برفقة الدكتور شوينفورث على هذا الحيوان (1)

الدكتور امين المعلوف

دولة آل عثمان

٣

ختمنا الكلام في الفصل السابق بوفاة السلطان مراد ومبايعة ابنهِ السلطان بايزيد · ونحن موردون الآن خلاصة اخبار هذا السلطان

لُقب بلدريم بايزيد اي الصاعقة لسرعة سيرهِ وفتوحهِ وقد لقبهُ الخليفة العباسي الذي كان مقيماً في مصر حينئذٍ بسلطان اقليم الروم بعد ان كان يخاطب اباهُ وجدهُ بلقب امير · اما مؤرخو العرب المعاصرون فظلوا الى ذلك الحين وما بعدهُ يسمون سلاطين آل عثمان باسم ابن عثمان كما سيجيء

وكانت فاتحة اعمالهِ انهُ ضرب الجزية على السرب ولم يضمها الى املاكهِ واتجه الى اسيا الصغرى وفتح مدينة فيلادلفيا وهي اخر مدينة بقيت للروم في اسيا الصغرى واستولى على جانب كبير من املاك علاء الدين صاحب قرمان وعاد الى اوربا واستعد لفتح بلاد اليونان ومنع الامبراطور يوحنا من تحصين القسطنطينيَّة فمات كمدًا وخلفهُ ابنهُ منوئيل وكان محالفاً لبايزيد لكن محالفتهُ لهُ لم تمنع بايزيد من الاستيلاء على سالونيكي وحصر القسطنطينيَّة وفتح ترنوڤو عاصمة البلغار وودن ونيكوبوليس وسلستريا وذلك من سنة ١٣٩١ الى سنة ١٣٩٣ · وبلغهُ ان علاء الدين صاحب قرمان نقض عهد الطاعة وجهز جيوشهُ وقصد مدينة انقره فقصدهُ بجيش جرار والتقى بهِ في موضع يقال لهُ آق جاي واسرهُ واسر ابنيهِ محمدًا وعليًّا وحاصر مدينة قونية ورفق باهلها واذن لهم في حصد غلاتهم فاطاعوهُ وسلموهُ مفاتيح مدينتهم فاقتدى بهم غيرهم

(1) The Heart of Africa, by Dr. Schweinfurth, II, p. 95

من اهالي المدن المجاورة مثل قيصيرية ونيكدة وقره حصار وفتح ايضاً سواس واماسية وتوقات وصاصون فلم يبقَ شيء من الامارات التي قامت على اطلال دولة آل سلجوق الا امارة قسطموني وكان اسم اميرها بايزيد فغزاه وفتح بلاده فآلت كل بلاد السلاجقة الى آل عثمان

وعاد الى الروملي فدوّخ البلغار وجانباً من السرب ومكدونية وتساليا واجتازت جنوده نهر الطونا ودخلت بلاد الفلاخ وبلاد المجر وحاصر القسطنطينية عشر سنوات وقطع المدد عن اهلها ليعضهم الجوع فيسلموا اليه. واتضح حينئذٍ انهُ سيتسلَّط على كل ما بقي من مملكة الروم في اوربا كما تسلط عليها في آسيا فنهض سجسموند ملك المجر ونادى بالنفير العام في اوربا وجمع جيشاً كثيفاً فيهِ الفان من اشراف الفرنسويين وحاصر مدينة نيكوبوليس من عواصم البلغار لكي يصرف بايزيد عن القسطنطينية فبادر بايزيد اليهِ واوقع بهِ واسر جمًّا غفيرًا من رجالهِ وحلفائهِ ونجا سجسموند بنفسهِ ولكن حلفاءهُ الفرنسويين أُسروا كلهم وقتل اكثرهم وكانوا هم سبب هذا الاندحار لتسرُّعهم وقلة صبرهم. ولولا قيام تيمورلنك (اي تمور الاعرج) حينئذٍ ووصولهُ الى بر الاناطول لاستصفى السلطان بايزيد كل مملكة الروم الشرقية

وتيمورلنك من اعظم غزاة المشرق وهو ابن رئيس من رؤساء المغول ولد في كش على خمسين ميلاً من سمرقند سنة ١٣٣٦ واستولى على سمرقند وجيَّش الجيوش ودوَّخ مملكة ايران وجانباً كبيرًا من بلاد الهند ثم شنَّ الغارة على البلدان الغربية ففتح حلب وحماه وحمص وبعلبك ودمشق ودخل بر الاناضول فاسرع السلطان بايزيد لملاقاتهِ ورد غاراتهِ

وهنا نلجأُ الى مؤَلف من الذين اسرهم تيمور ونشأوا في عهدهِ ووصفوا ما رأوهُ مرأى العين او سمعوهُ من الذين رأوهُ وهو القاضي شهاب الدين الدمشقي الانصاري المعروف بابن عرب شاه فان تيمورلنك سباهُ مع مَن سبي من اهل دمشق وهو في الثانية عشرة من عمرهِ واخذهُ معهُ الى سمرقند فالتقى بها ائمة من العلماء مثل محمد الجرجاني وشمس الدين الجزري والواعظ الترمذي وغيرهم من المشاهير فدرس عليهم واخذ عنهم لغة الفرس ثم خرج من سمرقند ورحل مع اهلهِ الى خوارزم واجتمع بعلمائها ودرس اللغة التركية وتوجه الى بلاد القرم وسكنها مدة ثم دخل بلاد الروم ونزل في ادرنه في عهد "الملك غياث الدين ابي الفتح بن عثمان" (وهو السلطان محمد جلبي الغازي) فاكرم مثواهُ وامرهُ بترجمة كتاب جامع الحكايات من الفارسية الى التركية ثم بعد وفاة ابن عثمان انتقل الى حلب ثم الى دمشق وطلب الديار المصرية وتصوف بها وتوفي فيها سنة ١٤٣٧ ولهُ من الكتب عجائب المقدور في اخبار تيمور واخبار الترك والتتر. ولما التقى تيمور بالسلطان بايزيد سنة ١٤٠٢ كان عمر ابن عرب شاه ١٤ سنة فلا يتعذَّر عليهِ ان

يدرك الاخبار التي كانت تصل الى سمرقند ثم لما جال في الاقطار ولقي العلماء وبحث ودقق حتى يؤلف كتابهُ عجائب المقدور وقف على اصح الاخبار وسهل عليهِ تمحيصها. ويؤخذ عليهِ انهُ لم ينسج كتابهُ على منوال الكتب التاريخية بل على منوال القصص الروائية والاشعار الحماسية وتحامل فيهِ على تيمور اشد التحامل لكن لا يصعب تجريد الحوادث التاريخية منهُ وهي ان تيمور راسل السلطان بايزيد وطلب منهُ ان يطرد السلطان احمد بن ادريس صاحب بغداد وقرا يوسف امير التركمان اللذين لجأا اليهِ. وكان ابن عرب شاه يسمي السلطان بايزيد في اول كتابهِ "بابي يزيد بن مراد بن ارخان حاكم ممالك الروم" ثم جعل يسميهِ بايزيد ولا ندري هل الاختلاف في التسمية من تحريف النسَّاخ او انهُ جمع كتابهُ من تعليقات كانت عندهُ فكناهُ بابي يزيد قبل ان دخل بلاد الروم حاسباً اسمهُ كنية ثم جعل يسميهِ باسمهِ الحقيقي بعد اقامتهِ في بلاد الروم

والظاهر ممَّا اوردهُ ابن عرب شاه ان السلطان بايزيد كان يتمنَّى لقاء تيمور فان القاضي برهان الدين ابا العباس حاكم قيصرية وتوقات وسيواس كان قد مثَّل برسل تيمور وقطع رؤوسهم وارسل بعضها الى الملك الظاهر ابي سعيد برقوق صاحب مصر والبعض الآخر الى السلطان بايزيد فاستحسن السلطان بايزيد هذا الفعل واستصوبهُ وارسل اليهِ يقول ان ارتدع تيمور عنهُ وانتهى والاَّ فلأتينهُ بجنود لا قبل لهُ بها. قال ابن عرب شاه واما الملك الظاهر فما رأيت لهُ كتاباً ولاحققت منهُ لهُ جواباً. والظاهر ان جواب الملك الظاهر ابي سعيد كان شقيق جواب السلطان الغازي ابي يزيد. ثم قال في وصف السلطان بايزيد وكان ابن عثمان عندهُ ابن رقاعة وشجاعة ولم يكن عندهُ صبر ساعة. مع انهُ كان من الملوك العادلين وعندهُ تقوى وصلابة في الدين وكان اذا تكلم وهو في صدر مكان فلا يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان و بواسطة عدلهِ ساعدهُ الزمان وقويت شوكتهُ في كل مكان فاستصفى ممالك قرمان وقتل ملكها السلطان علاء الدين وأمر لهُ عندهُ ولدان.. وصفا لهُ من حدود جبل بالقان من ممالك النصارى الى ممالك اذربجان. فاغتاظ من كتاب تيمور وكتب اليهِ الجواب يتحداهُ فيهِ ليجيء اليهِ فبادرهُ تيمور بجنودهِ. وقال ابن عربشاه ان تيمور لجأ الى الحيلة واستمال التتار الذين في جند السلطان بايزيد وكانوا هم صلب العسكر حتى قيل انهم كانوا نحوًا من ثلثيهِ "وكان مع ابن عثمان (اي السلطان بايزيد) من اولادهِ اكبرهم الامير سليمان فلما رأى ما فعلتهُ التتار علم انهُ حلَّ بابيهِ البوار فاخذ باقي العسكر وقهقر من ميدان المصاف وتأخر فلم يبقَ مع ابن عثمان الاَّ المشاة ومن داناهم وبعض من الكماة

وقليل ما هم ثبت للمجادلة بمن معهُ من الرفاق الى ان اخذ اسيرًا · وكانت هذه المعركة على نحو ميل من مدينة انقرة يوم الاربعاء في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة اربع وثمانمائة (٢٨ يوليو سنة ١٤٠٢) ووصل الامير سليمان الى برصى معقل بني عثمان فاحتاط على ما فيها من الخزائن والاموال والحريم والاولاد ونفائس الاثقال واشتغل بنقل ذلك الى بر ادرنه

ثم فصَّل ابن عرب شاه كيف عامل تيمورلنك السلطان بايزيد اسيرهُ باللين تارة وبالعنف اخرى واكَّد انهُ كان مع تيمور مكبَّلاً في قفص من حديد وانما فعل ذلك قصاصاً كما فعل قيصر مع شابور وكان قد استصحبهُ الى ما وراء النهر فتوفي معهُ في بلاد الروم في آق شهر في ربيع سنة ١٤٠٣ (اي سنة ٨٠٥ هـ)

والذين نجوا من اولاد السلطان بايزيد وهم سليمان وموسى ومحمد تنازعوا الملك مدة احدى عشرة سنة فاستقلت البلغار والصرب والفلاخ ولكن ممالك اوربا الكبيرة لم تغتنم تلك الفرصة السانحة لاخراج الاتراك من اوربا لانها كانت مشغولة بامر الانشقاق في الكنيسة بل تزلَّف امراؤها الى السلطان سليمان حالما بويع الملك · ثم قتل السلطان سليمان قرب ادرنه في اواسط سنة ١٤١٠ وهو منهزم من وجه اخيهِ موسى وتغلب محمد على موسى وقتلهُ قرب صوفيا وذلك سنة ١٤١٣ فتوسد الملك لهُ بعد ان حالف منوئيل امبراطور القسطنطينيَّة واستعان بهِ على محاربة اخيهِ موسى ورد اليهِ كثيرًا من الاماكن في مكدونية وتساليا وخفض المكوس عن بضائع البلدان المحالفة كالبندقية وجنوى وورودس وكان لهُ اخ اسمهُ مصطفى اختفى في المعركة التي اخذ فيها ابوهُ اسيرًا فظهر حينئذٍ وطالبهُ بالملك واغار على اقليم تساليا ثم هرب من وجه جنود اخيهِ واحتمى عند حاكم سلانيك وكانت قد اعيدت الى امبراطور الروم فاحتفظ بهِ وجعل لهُ اخوهُ راتباً سنوياً

وتوفي السلطان محمد سنة ١٤٢١ (٨٢٤) وكان محبًّا للعلوم والعلماء وهو الذي قرَّب ابن عرب شاه فترجم لهُ كتاب جامع الحكايات من الفارسية الى التركية وسماهُ غياث الدين ابا الفتح بن عثمان كما تقدَّم · وخلفهُ ابنهُ السلطان مراد الثاني وكان شابًّا في الثامنة عشرة من عمرهِ فاطلق الامبراطور منوئيل عمهُ مصطفى لينازعهُ الملك فتغلَّب السلطان مراد عليهِ وامر بخنقهِ وبعث بالجنود الى بلاد اليونان بقيادة الوزير طرخان فقهر امراءها ووضع عليها الجزية · واصيب الامبراطور منوئيل بالفالج فاعتزل الملك لابنهِ يوحنا الثامن فعقد الصلح مع السلطان مراد ودفع اليهِ جزية بلاد المورة · واخذ السلطان مراد مدينة سالونيك واستعان الامبراطور يوحنا بالبابا فاهتم البابا بضم الكنيسة الشرقية الى الكنيسة الغربية والاستعانة

بملوك اوربا كلهم على اخراج الاتراك منها الّا ان كهنة الكنيسة الشرقية ابوا ذلك هم وعامة الشعب الارثوذكسي ولم يجب نداء البابا الّا اهالي بولونيا والفلاخ والمجار فجيش ملك بولونيا الجيوش وتغلب على جنود الاتراك في نيش ووصل الى صوفيا وثار الالبانيون بقيادة اسكندر بك لكن ملك المجار عقد هدنة مع السلطان مراد الى مدة عشر سنوات وبموجب هذه الهدنة اخذت المجار الفلاخ وبقيت البلغار للاتراك ورُدت السرب الى ملكها جورج براكوفيك وجعل الدانيوب حدًّا فاصلاً بين الاتراك والمجار. ثم نقض المجار شروط الهدنة فحاربهم السلطان مراد وفاز عليهم فوزًا مبينًا في واقعة وارنه وقتل ملكهم ولدسلو فخاف الامبراطور يوحنا وترضَّاهُ بالهدايا وخاف البنادقة على تجارتهم فعقدوا معهُ شروط الصلح فوجَّه عنايتهُ الى تدويخ مدن اليونان ففتحها عنوةً واسر منها ستين الفاً. وتوفي الامبراطور يوحنا الثامن في اكتوبر سنة ١٤٤٨ وخلفهُ ابنهُ قسطنطين الحادي عشر وهو الاخير من ملوك الروم وكانت مملكتهُ قد صارت محدودة بقصرهِ وما يجاورهُ

ولم يكن فوز السلطان مراد في اسيا باقل من فوزهِ في اوربا فاسترد الامارات التي اعاد تيمورلنك استقلالها اليها وتنحى عن الملك مدة ثم عاد اليهِ وتوفي في الخامس من فبراير سنة ١٤٥١ وخلفهُ ابنهُ السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية

الانسان ظهير اعدائهِ

عدوان للمرء نارٌ وماء ... وضدان هذي الثرى والسماء
اذا ساءهُ كونهُ في الظلام ... فما سرهُ يا هذيم الضياء
لقد ملئ الكون بالمزعجات ... وهل قطُّ في الكون يلفى خلاء

خُلقتَ ولوعاً يحب البقاء ... وساق الفناء اليك البقاء
اغطَّى البصيرة منك العمى ... متى عنك يكشف ذاك الغطاء
تقلبت لكن بحجر الخطوب ... وما انت في الكون الاَّ هباء
علمتَ وعلمك جهلٌ وجهلك علمٌ ومن ذين كان البلاء
ومن كان من نفسهِ داؤُهُ ... فقد عزَّ يوماً عليهِ الدواء

وهبهُ اطاعك هذا (البخار) ... والقى اليك القيادَ (الهواء)

واولاك ما تبتغيهِ (الاثير) واعطتك امرارها (الكهرباء)
فسيّرتَ (سيارةً) في الهواء وما إنْ لفكرٍ اليها ارتقاء
تراها وقد عاقت بالريا حِ والريح ان هبَّ فيهِ رخاء
تطير باجنحةٍ عندها تناهى النهى وتناهى الملاء
تضيق النفوس على وسعها بها مثلما ضاق فيها الفضاء
تُريك الغمامة مرجوَّةً ويعطرك الياسَ ذاك الرجاء
أفي ذا شفاءٌ لما في الصدور وهل للنهى عند هذا انتهاء

اصمَّ نداؤك سمع الكيان وقد اسمع الصم ذاك النداء
وانطقت في الكون هذا (الجماد) فأطرب منهُ الزمانَ الغناء
اذا ما ارتمت في مرامي الغيوب عقول ففيك لهنَّ ارتماء
اراك (التمدن) في جرمهِ نجوماً ضياها القنا والسِراء
اندفع داءك في دائهِ وداء التمدن داءٌ عياء

هو العلم (اكسير) هذي الحياة وما غير اسرارهِ (كيمياء)
طويتَ قروناً واسرارها يحجبها عن نهاك الخفاء
ولعتَ زماناً باكسيرها أأكسيرها لك هذي الدماء
لموتَ زماناً بشرب الدماء فهل ترتوي بالدماء الظماء

تود الهلالَ حساماً اذا بدا ولهُ في السماء انحناء
وتطمع ان تجعل الشهب يوماً (كرات) اذا جدَّ فينا القناء
اذا امتحتَ يوماً دماء الرجال فما لك غير المواضي دِلاء
وان رُمتَ ارشيةً للدلاء فما غير سمر العوالي رشاء
وخير حديثٍ حديث الحروب لديك وما جرَّ فينا العداء

تضيء الجاهل في حكمةٍ ومجهل نفسك لا يستضاء
ونروى بغيث الفنون الموات وانفسنا ما لهنَّ ارتواء
امورٌ يشبن قرونَ القرون ويسودُّ منهنَّ هذا الضياء
امورٌ تركن بوجه الزمان ندوباً فقلّص ذاك البهاء
امورٌ فكم عاد ذو اللب منها وللفكر منهُ بهنَّ التواء

أللارض خصب بجل الجسوم ومن دم تلك الجسوم استقاه
حنانيك رفقاً بهذي الرؤوس فما هي للعلم الأ وعاه
اتجعلها مرتعاً للسيوف كأن الطلى للمواضي كلاه
وتركز صم القنا في القلوب ومنها الحنان ومنها الاخاه
اذا اوردتنا الفناء العقولُ على مسرب تلك العقول العفاه
وان اخلقت ثوب هذي الحياة فماذا يفيد الحياة الرفاه
فكم جرَّ فينا القنا مقنباً وما ردَّ عنا الفناء القضاه
حياة ولكنها شعلة فلا يعرها من يديك انطفاه
ستسرع فينا دواعي الدثور ويذهب ذاك البها والرواه
ونمسي رفاتاً يبطن الفلاة ولم تبكنا ارضنا والسماه

التبطيه — سورية سليمان ظاهر



ابسط مبادئ الرياضيات (١)

المسائل الرياضيَّة عبء الاذهان رغول الزمان ولذَّة ادراكها خير اللذَّات مع انها نتاج الآلام والأنات واني ممن قُسم لي ان أُولع بابكارها وأُسجن دهراً في دارها . وشغلت وقتاً طويلاً بتدريسها والفتُ وحشها وانيسها . فوجدتها من خير مميزات الاذهان والحاملات على بغض التقليد وحبّ البرهان واقوى المعينات على علم الميزان (وهو علم المنطق) . ولكن رأيتها تصعب على اكثر الطلاَّب وتدقّ عن ادراك اقوى الألباب وتضلّ فيها عن الابواب لتشعب العقاب وكثرة الشعاب . فبذلت الجهد في البحث عن اصول دقائقها الى ان يسر الله الوصول الى حقائقها

ان كل المسائل الرياضيَّة في المقادير الصحيحة المنطقة مبنيَّة على ثلاث سلاسل

(١) وردت الينا هذه الرسالة من حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ ابرهيم افندي الحوراني نزيل القاهرة فنشرناها افادة لطلاَّب العلوم الرياضية

الاولى سلسلة الاعداد الطبيعية وهي

١ ٢ ٣ ٤ ٥ الخ

والثانية سلسلة الاعداد الوترية وهي

١ ٣ ٥ ٧ ٩ الخ

والثالثة سلسلة المثلثات وهي

١ ٣ ٦ ١٠ ١٥ الخ . وهي تنشأ عن جمع حلقات السلسلة الطبيعية على هذه الصورة

٠+١ ١+٢ ١+٢+٣ ١+٢+٣+٤ الخ

ولهذه السلاسل خواص كثيرة لا محلّ لها في مثل هذه المقالة الوجيزة فاقتصر على ذكر ما الحاجة اليه في بيان المراد

من خواص السلسلة الاولى ان مجموع حلقاتها يعدل نصف مربع عدد الحلقات والحلقات فاذا فرضنا عدد الحلقات ع كان المجموع $\frac{ع^٢+ع}{٢}$. فان كانت الحلقات عشراً كان المجموع ٥٥ اي $\frac{١٠^٢+١٠}{٢}$

ومن خواص الثانية ان مجموع حلقاتها يعدل مربع عدد الحلقات فاذا كانت الحلقات ١٠ كان مجموعها ١٠٠ . وهذه السلسلة اسّ المربعات فاذا كان $ك^٢$ = ٢٥ كانت ك = ٥ اي عدد الحلقات التي هي ١ ٣ ٥ ٧ ٩

ومن خواصّ السلسلة الثالثة ما يأتي

(١) ان مربع عدد الحلقات يعدل مجموع الحلقتين الاخيرتين مثالهُ السلسلة ١ ٣ ٦ ١٠ ١٥ حلقاتها خمس ومربعها ٢٥ = ١٠ + ١٥

(٢) ان مجموع حلقاتها يعدل سدس فضلة مكعب مجموع عدد الحلقات وواحد ومجموع عدد الحلقات وواحد فاذا كان عدد الحلقات ع كان المجموع $\frac{(ع+١)^٣-(ع+١)}{٦}=$

$\frac{ع^٣+٣ع^٢+٢ع}{٦}$

مثالهُ ١ ٣ ٦ ١٠ = ٢٠ او $\frac{٤^٣+٣\times٤^٢+٢\times٤}{٦}$

دخول السلاسل المذكورة في المربعات

من دخول تلك السلاسل في المربعات دخولها في تحصيل عددين مربعين مُنْطَقَين يعدل مربعَ عددٍ مُنطقاً ولذلك نظامان كما ترى في الجدول الآتي وقد عبّرتُ عن الاولين بالساقين وعن الثالث بالوتر والعلّة ظاهرة

النظام الاول			النظام الثاني		
الساق الصغرى	الكبرى	الوتر	الصغرى	الكبرى	الوتر
٣	٤ × ١	٥	٤ × ٢	٥ × ٣	١٧
٥	٤ × ٣	١٣	٤ × ٣	٧ × ٥	٣٧
٧	٤ × ٦	٢٥	٤ × ٤	٩ × ٧	٦٥
٩	٤ × ١٠	٤١	٤ × ٥	١١ × ٩	١٠١
١١	٤ × ١٥	٦١	٤ × ٦	١٣ × ١١	١٤٥

في النظام الاول سطر الساق الصغرى العمودي سلسلة الاعداد الوترية على التوالي وسطر الساق الكبرى العمودي مضاريب حلقات سلسلة المثلثات في ٤ والاوتار كلها وترية والفرق بين الوتر وساقها الكبرى واحد . وتختلف هذه النسبة بضرب الاعداد الثلاثة في عدد واحدٍ من الاثنين فما فوق

وفي النظام الثاني كلٌّ من الساق الكبرى والوتر عدد فردٌ وكل من اعداد الصغرى زوج والوتر فردٌ والفضل بينهُ وبين الساق الكبرى ٢ وتتغير هذه النسبة في الضرب كما ذُكر

دخول سلسلة المثلثات في المكعبات

ان سلسلة المثلثات اسّ المكعب مثالهُ

ك٣ = ٦٤ الحلّ

١ + ٦ × ٠ = ١
١ + ٦ × ١ = ٧
١ + ٦ × ٣ = ١٩
١ + ٦ × ٦ = ٣٧

} = ٦٤ فقيمة ك = ٤ وهي عدد الصفوف

مثال آخر

٨ ك٣ = ٢١٦ الحلّ

٨ + ٨ × ٦ × ٠ = ٨
٨ + ٨ × ٦ × ١ = ٥٦ } = ٢١٦. ك = ٣ عدد الصفوف
٨ + ٨ × ٦ × ٣ = ١٥٢

مثال آخر

ك٣ ــ ك = ٢٤ الحل

١ ــ ١ + ٦ × ٠ = ٠
١ ــ ١ + ٦ × ١ = ٦ } = ٢٤. ك = ٣ عدد الصفوف
١ ــ ١ + ٦ × ٣ = ١٨

فرع فضلة مكعب عدد صحيح وجذره الكعبي تقسم على ٦ بلا باقٍ

مثال آخر

ك٣ + ٣ ك٢ + ك = ٥٧ او ك + ٣ ك٢ + ك٣ = ٥٧ الحل

١ + ٣ × ١ + ١ + ٦ × ٠ = ٥
١ + ٣ × ٣ + ١ + ٦ × ١ = ١٧ } = ٥٧ . ك = ٣
١ + ٣ × ٥ + ١ + ٦ × ٣ = ٣٥

ولك ان تخرج ٣ ك٢ من العبارة بفرض ك = ي ــ ١ فتصير المعادلة ي٣ ــ ٢ ي = ٥٦ وبالحل ي = ٤ وك = ٣

اذا كان المعلوم عدداً كبيراً طال العمل فيمكن تصغير المعلوم بفرض المجهول حرفاً آخر مع عدد معلوم كما تقتضي النباهة

ك٣ + ك = $\frac{٥}{٨}$ افرض ك = $\frac{١}{٢}$ ي فتصير المعادلة $\frac{١}{٨}$ ي٣ + $\frac{١}{٢}$ ي = $\frac{٥}{٨}$ او ي٣ + ٤ ي = ٥ ي = ١ ك = ٢

ك٣ ــ ك = ١ هذه المعادلة لا تحل في الطريق المذكورة لانها جذر عدد أصم فانما تحل بالطرق الموضوعة لها ولامثالها ولا موضع لذكرها هنا

دخول السلسلة الوترية وسلسلة المثلثات في الجيوب

اذا ضربت جيب درجة واحدة في ٢ كان لك جيب درجتين و ٠٫٠٠٠٠٥٣ اي الفضل بين جيب ضعفي درجة واحدة وجيب الدرجتين ذلك الكسر ثم بضرب الدرجة في ٣ و ٤ و ٥ الخ واخذ الفضلة كان لك سلسلة الفضلات

٥٣ ٢١٢ ٥٣١ ١٠٦٣ ١٨٦٠ الخ هذا اذا اخذت القيمة الى المنزلة السابعة

من الكسر واذا اردت اخذها الى المنزلة السادسة كانت سلسلة الفضلات

٥ ٢٠ ٥٢ ١٠٤ ١٨٤ الخ

حل حلقات السلسلة الاولى

١ × ٥٣ ٤ × ٥٣ ١٠ × ٥٣ + ١ ٢٠ × ٥٣ + ٣

٣٥ × ٥٣ + ٥ ٥٦ × ٥٣ + ٧ الخ فترى مضارب الحلقات مجاميع سلاسل من سلسلة المثلثات

١ ٤ ١٠ ٢٠ ٣٥ ٥٦ الخ ولكن الفضلات تبتدئ من جيب درجتين ثم تتغير في ما فوق جيب الثانية عشرة لعلتين الاولى ان الجيوب في الجداول ليست المقادير التامة والثانية انها جذور اعداد صماء ما سوى جيب ٩٠ درجة وجيب ٣٠ درجة

قد علمت جمع سلسلة المثلثات فلنا بمقتضى ذلك ان جيب ع = ٠١٧٤٥٢٤، ع — $\frac{٥٣ ع^٣ - ٤١ ع - ٤٢}{٦}$ وقيمة ع جيب اقل من ثانية الى جيب ١٢ درجة وبعض الدرجة الى المنزلة السادسة على ما هي في جداول الجيوب بلا فرق فاذا قيل ما جيب ٩ درجات فالجواب ٩ × ٠١٧٤٥٢٤، — $\frac{٥٣ × ٩^٣ - ٤١ × ٩ - ٤٢}{٦}$ = ١٥٦٤٣٤٥، وجيب ثانية على ذلك ٠٠٠٠٠٤٨،

وقد استنبطت مع هذه العبارة عبارة اخرى يستخرج بها جيب ١٣ درجة فما فوق الى ٢٩ ويستخرج بالمعادلتين جيب ثانية فما فوق الى جيب ٨٩ درجة وكسر وجيب ٩٠ معلوم انهُ واحد · فان جيب ثلاثة امثال قوس يعدل الفضل بين ثلاثة امثال جيبهِ واربعة امثال مكعب ذلك الجيب كما برهنت ذلك بالهندسة · فاذا فرضنا جيب قوس ع كان جيب ثلاثة امثاله ٣ ع — ٤ ع^٣ مثالهُ نريد جيب ٣٦ درجة فنستخرج جيب ١٢ درجة بالمعادلة فيكون ٢٠٧٩١١، ثم ٣ × ٢٠٧٩١١، — ٤ (٢٠٧٩١١،)^٣ = ٥٨٧٧٨٥،

فائدة ان ضلع المخمس وتر ٧٢ درجة فهو ٢ × ٥٨٧٧٨٥، = ١٧٥٥٧٠، ١ وعلى هذا يمكنك ان تستخرج اضلاع كل الاشكال القياسية بان تأخذ جيب نصف درجات القوس وتضاعفها

واما المعادلة الثانية فهي

$$ج ع = ٠٠١٧٤٥٢ ع^{\circ} - \frac{٥ع^{٣} + ١٢ع^{٢} - ١٧٣ع + ٧٨٦}{٦}$$

ولا يرهبك تكعيب الجيب فانهُ سهل لتعيين المنازل ستة بالطريق المختصرة المشهورة في فن الحساب فارجع اليها

وسننشر ان شاء الله في هذه المجلة طريق رسم الاشكال القياسية كلها وقيمتها العددية بلا تكعيب والله ولي الامر والتدبير ابرهيم الحوراني





باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

عظمة الامهات

عثرت على مقالة القاها المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق في مؤتمر الامهات لاول مرة عقد في القصر الابيض فآثرت تعريبها لقراء المقتطف الكرام قال الخطيب

"حضرت جمعيات كثيرة التأمت في هذا القصر كانت مؤلفة من افاضل الرجال وكرائم السيدات وكلها ترمي الى غاية واحدة هي نفع الامة والبلاد والحث على ترقية الهيئة الاجتماعيَّة واصلاح فاسدها . على انني لم انشرح بواحدة منها انشراحي بهذا المؤتمر الحميد المسمى فاني اعدهُ في طليعة جمعيات الاصلاح بل افضلهُ على حرب الحرية كيف لا والام "الام وحدها" خير عضو نافع في المجتمع الانساني بل هي افضل من الجندي الذي يدافع عن وطنهِ . ان مقام الام الفاضلة التي تربي بنيها ليكونوا رجال الجيل القادم وامهاتهِ اعظم شأناً من مقام الرجل العظيم بل هو اسمى مقام في الهيئة الاجتماعية

وغني عن البيان ان المرءَ لاينال شيئاً لهُ قيمة في هذه الحياة الَّا بالجد والتعب فالمسرات التي تنشأ عن الانهماك في الملاذ لا تعد شيئاً مذكوراً في جانب الجزاء العظيم الذي تنالهُ

المرأة على انكارها نفسها واتعابها وآلامها في الولادة وعنائها الكثير الممل في تربية البنين وتهذيبهم التهذيب الصحيح

لا تكون مشروعات التعليم سديدة ولا الجمعية العلمية والادبية نافعة ما لم تؤسس على الاعتراف بوجوب تربية البنات تربية تجعلهن يدركن ما لدور الامومة من الاهمية العظيمة والقيمة الكبرى

فان لم يكن النساء وهن زوجات وامهات عالمات بواجبات الام وان لم يلدن عددًا كافيًا من الاولاد يضمن ازدياد الجنس البشري وعدم تناقصهِ وان لم يربَّ هؤلاء الاولاد تربية جيدة تخرجهن الى العالم اصحاء العقول والاجسام قويي المبادىء فلا تؤمل ترقية العقول ولا النجاح المادي ولا النمو في العلوم والفنون والصنائع نموًّا يقي النوع الانساني من الدمار والانقراض

الام حلقة عظيمة في سلسلة الحياة الوطنية وهي اعظم شأنًا واهم عملاً من الرجل السياسي المدرب ومن مدير الاعمال العظيمة والاستاذ في الفنون والعلوم

اني اكره الرجل الذي يعامل المرأة معاملة قاسية . معاملة تشتم منها قلة المبالاة والاهتمام معاملة تشف عن حب الذات ولاسيما اذا كانت المرأة التي يعاملها هي من اهل بيتهِ اوشريكة حياتهِ . ان آلام الولادة تكفي لان تجعل كل الرجال مدينين للنساء

حقير هو الرجل الذي لا يميز عمل المرأة المحفوف بالمشقات والمصاعب . الرجل الذي لا يدرك ما تفعلهُ الام التي تلد الاطفال وتربيهم . تلك الام التي لا تنام ليلة كاملة (ما دام اولادها صغارًا) وهي مستريحة

نعم اني اكره وازدري الرجل الذي لا يعترف بشكرهِ للمرأة التي تقوم بواجباتها كما انني احط من قدر المرأة التي تنفر من اتمام واجباتها الزوجية . هذه المرأة يجب ان تنبذ من الهيئة الاجتماعية ويقضى عليها كما يقضى على الجندي الذي يهمل واجباتهِ ويظهر عليهِ الجبن في موقف القتال

فكما نجل رجل الحرب الباسل الذي يقوم بخدم جليلة للحكومة والوطن يجب علينا ان نجل المرأة الفاضلة التي تقوم بواجباتها القيام التام

على ان المرأة التي تقصر عن اتمام ما عليها من الواجبات كزوجة وام سواء كان تقصيرها عن جبن او محبة الذات او الافكار الدنيئة تستحق السخط والاحتقار ومثلها مثل الرجل الذي

يؤثر فيهِ عامل ما فيجبن عن القيام بما يفرضهُ عليهِ نظام الحرب في الدفاع عن البلاد والذود عن حياض الامة

فالاسباب التي تجعلنا نجل رجال السياسة الذين يسوسون الرعية والبلاد بحكمة واخلاص ونقدر ارباب الاعمال المجتهدين حق قدرهم ونجل الجنود البواسل الذين يخدمون بلادهم بكل جوارحهم ونمقت الذين يتهاملون ويتواكلون في عملهم وتزدري كل من يكون زوجاً غاشماً وابا جاهلاً ومن لا يقوم بواجباتهِ نحو عائلتهِ وحكومتهِ ويتخاذل عن اداء وظيفتهِ العسكرية — هذه الاسباب هي التي تجعلنا ان نعجب بالمرأة الفاضلة التي تنكر ذاتها لزوجها وبنيها وتكون بعيدة النظر في الامور متممة لجميع واجباتها فنرفعها ونمجدها وهي ايضاً التي تلجئنا ان لا نصبر على المرأة التي تقصر في واجباتها ". انتهى رحمة صرّوف

كم يجب ان تنام

كم يجب ان تنام وكم يجب ان نأكل وكم يجب ان نروّض اجسامنا . هذه المسائل جوهرية كلها ولكن لا يمكن تعيين كمية واحدة تصلح لكل احد على حدٍّ سوى . فعن السؤال الثالث نقول روّض جسمك الى حد التعب ولا تتجاوزهُ . وعن الثاني كُلْ الى حد الشبع ولا تتجاوزهُ . واما عن الاول فلا دليل في الجسم يشعر بهِ حال الاكتفاء من النوم ولكن اختبار الناس في كل الازمنة والامكنة يدل على ان البالغ يحتاج الى نحو ثماني ساعات من النوم وان خير الاوقات لذلك الليل بين الساعة العاشرة مساء والسابعة صباحاً . وقد رأينا بالاختبار الطويل اننا اذا اخللنا بهذه القاعدة فنمنا اقل من ذلك كثيراً لم نستطع ان نعمل في النهار التالي قدر ما نعملهُ عادةً . ولكن اذا تيسر لنا ان ننام ولو بضع دقائق قبيل الظهر او بعيدهُ زال ما كنا نشعر بهِ من التعب كاننا نمنا نوماً كافياً في الليل الماضي غير ان ذلك لا يكفي اذا توالى السهر ليلة بعد اخرى

وقد سأل المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية فئة من مشاهير بلادهِ عن مقدار الساعات التي ينامونها كل يوم او يحتاجون ان يناموها لكي تبقى قواهم العقلية على مضائها وعن الساعة التي يبتدئ نومهم فيها والساعة التي يستيقظون فيها والوسائل التي يستعملونها لدفع الارق وقسم الاجوبة بحسب ذلك ورتبها من حيث عدد الساعات في جدول اخترنا منهُ الاسماء المشهورة عند قراء المقتطف وهي

الاسم	العمل	العمر	ساعات النوم
السر روبرت بول	فلكي	٥٧	٨ الى ٩
السر راي لنكستر	عالم طبيعي	٦٢	٨ الى ٩
السر جون غورست	سياسي	٧٢	٨
فردرك هرسون	مؤَلف	٧٦	٨
السر وليم هجنس	فلكي	٨٤	٨
بنامين كد	فيلسوف	٥٠	٨
السر اوليفرلدج	عالم طبيعي	٥٦	٨
ارل ميث	محسن	٨٣	٨
مركيز ربن	سياسي	٨٠	٨
السر هنري رسكو	كيماوي	٧٥	٨
لورد افبري	طبيعي وسياسي	٧٣	٧
السر حيرام مكسم	مخترع	٦٨	٧
السر فردرك ترفس	جرَّاح	٥٤	٧

ويلي ذلك اسماء الذين قالوا انهم ينامون ست ساعات او اقل واكثرهم ليسوا من المشاهير عندنا الاَّ السر هنري جنستن الرحالة الذي قال انهُ ينام من ٦ ساعات الى ٧ وهو في الخمسين من عمرهِ والسيدة الن تري الممثلة المشهورة وقد قالت انها تنام من ٤ ساعات الى خمس فقط والاستاذ السر وليم رمسي المؤَرخ فقد قال انهُ ينام من ٣ ساعات الى اربع . وهول كاين الروائي فقد قال ان نومهُ غير منتظم . ويظهر من ذلك ان اكثر اصحاب الاشغال العقلية نومهم منتظم وينام الواحد منهم ثماني ساعات في اليوم . وقد كتب اكثرهم انهم يقيلون دقائق قليلة كل يوم

اما من حيث الساعة التي يبتدئ النوم فيها فالاكثرون ينامون بين الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة ولكن الاوقات تختلف باختلاف الفصول والعمل فاذا كانوا في زمن العطلة فالغالب انهم ينامون باكرًا

وسأَلهم عن خير علاج يعالجون بهِ الارق فاجابوهُ اجوبة مختلفة قال واحد منهم وهو صحافي ولا ينام الاَّ اربع ساعات الى خمس انهُ يصاب بالارق اذا اصابهُ ما يشغل بالهُ وان

خير علاج للارق ان يكون للانسان دخل كافٍ مستمر وان الارق لاصحاب الاشغال العقلية نعمة من الله لان قرائحهم تجود فيهِ

وقال هول كاين انهُ مصاب بالارق دائماً وقد استعمل كل علاج وُصف لمنعهِ فلم يستفد شيئاً فخير علاج لهُ تحمُّلهُ بالصبر

نقول ولقد كنا نستغرب من امر هذا الرجل سوء ظنهِ بالناس وغلوهُ في التحامل على الذين يتوهم فيهم عدم الاخلاص فعلمنا الآن سرّ ذلك وهو ضعف في الدماغ من قلة النوم اي من قصر المدة اللازمة لاراحتهِ وتغذيتهِ

ومن الاجوبة التي اظهر المستر ستد سرورهُ بها في معرض الغيظ جواب الجنرال ايان هملتن وهو "اقرأ مجلة المجلات". والظاهر ان كثيرين يتخذون القراءة وسيلة لجلب النوم ومنع الارق وعندنا انها عادة غير حميدة . وسنعود الى اجوبتهم في فرصة اخرى

اللبن وعدم صلاحيتهِ للطعام

اخذ العلماء الآن يغضون من كرامة اللبن وينادون بضررهِ كطعام للبالغين لكثرة ما يقع وينمو فيهِ من الميكروبات . وهم لا ينكرون انهُ اصلح غذاء للطفل ولصغار الحيوانات اللبونة اذا رضعهُ الطفل من ثدي امهِ من غير ان يتعرّض لنمو المكروبات فيهِ اما اذا تعرض لنموها فوقعت فيهِ ونمت فالغالب انهُ يبتليهم بالامراض حسب نوع الميكروبات التي تنمو فيهِ اما البالغون فمعدهم غير محتاجة اليهِ وهم لا يرضعونهُ رضاعةً حتى يكون خالياً من الشوائب بل يشربونهُ ممَّا تحلبهُ الحلابات وهنَّ في الغالب قذرات وقلما يتركنهُ صرفاً بل يمزجنهُ بماء قذر . وعلى كل حال يضعنهُ في آنية لا تعرف النظافة . ورؤْية بائعات اللبن تكفي لان تقزز النفس من شربهِ ولولا العادة التي شاعت عندنا الآن وهي اغلاء اللبن قبل شربهِ لتفاقمت مضارهُ جداً . ولا عبرة باعتياد البدو على شرب اللبن الحليب فان معدهم وابدانهم تألف ما يقع فيهِ من الميكروبات من صغرهم فكأنها تتطعم بها كما يتطعم الانسان من الجدري فلا تعود تؤثر فيهم

ثم ان اللبن ليس من الاطعمة الضرورية للكبار لان الوفاً والوفاً من الناس يشبون ويشيخون من غير ان يعتمدوا عليهِ في طعامهم . ولا هو ضروري للاطفال اذا لم يكن في الامكان ان يرضعوهُ رضاعةً بل يمكن الاستغناء عنهُ بمستحلب اللوز والجوز والبندق وما اشبه او بعصير الاثمار ولاسيما في فصل الصيف حين يتعرض اللبن للفساد . اما اذا وجدت

المرضع السليمة الجسم فلبنها خير غذاء للطفل اذا رضعهُ من ثديها رضاعةً

والمخيض او اللبن الذي نزعت زبدتهُ اقل غذاء من اللبن الصحيح الذي لم تنزع زبدتهُ فيجب ان لا يباع مثلهُ بثمن واحد . وقد وضعنا في الجدول التالي ما في اللبن وما يصنع منهُ من المواد المغذية لتظهر نسبة الغذاء في هذه المواد

	ماء	مواد نيتروجينية	سمن
الزبدة	١١	١	٨٥
الجبن الاميركاني	٣٢	٢٩	٣٦
" الفلمنكي	٣٥	٢٧	١٨
جبن نيوشتل	٥٠	١٩	٢٩
" روكفور	٣٤	٢٦	٣٠
" سويسرا	٣١	٢٨	٣٦
القشدة	٦٦	٣	٢٧
اللبن الرائب	٨٩	٤	٤
اللبن الحليب	٨٥	٤	٤
اللبن المخيض	٩١	٣	١

فيرى من ذلك ان الغذاء من الزبدة لا يكاد يكون شيئاً مذكوراً لولا ما فيها من السمن او المواد الدهنية وان الغذاء في الجبن اكثر كثيراً من الغذاء في اللبن والقشدة

الفول السوداني والطعام

لقد احسن الذين سموا هذه البزور بالفول السوداني فانها من انواع الفول ولو نمت من الجذور تحت الارض لا من الجوز كما تسمَّى ببعض اللغات الاوربيَّة . والفول السوداني من اكثر المواد غذاء وزراعتهُ تجود في القطر المصري فيمكن ان يرخص ثمنهُ جداً وهو مغذٍ مثل اللحم وارخص منهُ جداً فهو لحم الفقراء ويجب ان يحمَّص قليلاً قبل اكلهِ ولا يزاد تحميصهُ لئلاَّ يحترق دهنهُ . ثم يؤكل اداماً مع الخبز فان فيهِ ٥٠ في المئة دهناً و٣٣ في المئة مواد نيتروجينيَّة . ويمكن عمل الزبدة منهُ بتحميصهِ قليلاً وسحقهِ او بسلقهِ وتحميصهِ واكلهِ مع الملح



الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٤) زراعة الشعير

يُزرع الشعير في جميع انحاء القطر المصري من اصوان الى حدود البحر المتوسط وتختلف اوقات زراعته باختلاف الاقاليم . فمن اصوان الى ادفو تزرع الجزُر الكبيرة والاراضي التي على ضفتي النيل في اواخر نوفمبر بعد جمع محصول الذرة فيسوّون الارض ويقسمونها الى مربّعات ويسقونها "بالشادوف" او بواسطة السواقي ويزرعون نصف اردب في كل فدان

وفي هذه الجهات يستخدم المزارعون لكل خمسة او ستة افدنة ثمانية رجال وثمانية صبيان يقومون بخدمة الارض في اثناء ثلاث زراعات مختلفة سنوياً

وعندما يبلغ الزرع يحصدونهُ بالمناجل حصاد الحنطة التي تسقى بالآلات . ويدرسونهُ باستخدام الثيران تدوسهُ الى ان ينتثر الحب وتتكسر السوق فتصير تبناً يستعملونهُ علفاً للبهائم

ومحصول الفدان ما بين اصوان واسنا من ٥ ارادب الى ٦ . وفي سني الخصب يبلغ ٨ ارادب او ٩ . وغلة التبن بنسبة حمل جمل لكل اردب شعير

ويختلف ثمن اردب الشعير من ٣ فرنكات الى ٦ . وثمن حمل الجمل تبناً من غرش الى ثلاثة

وفي جهات اسنا يسقى بعض الاراضي المزروعة شعيرًا بالآلات وبعضها بالفيضان اما في سائر جهات الصعيد البحرية فلا يزرعون الشعير الاّ في الاراضي التي يغمرها الفيضان ويستثنى من ذلك مديرية الفيوم حيث لا تبقى مياه الفيضان على الارض الاّ زمناً يسيرًا . ويتوقف مقدار البذار (التقاوي) على حالة حرث الارض . فاذا زرعوها قبل الحرث يلقون في كل فدان ¾ اردب او اردباً كاملاً من البذار اما اذا ما حرثوها قبل الزرع فيكفي لزرعها نصف هذا المقدار

ويبلغ المحصول من ٦ ارادب الى ١٠ تبعاً للخصب . وزراعة الشعير البياضي هذه تماثل زراعة الحنطة في حالاتها وما يلزم لها . فيقتضي لجمع مزروعات الفدان حينما تجف اربعة انفار اجرة كل منهم يومياً ½ من الاردب

ومتوسط ثمن اردب الشعير في جرجا واسيوط نحو ٣ فرنكات وسعر الشعير عموماً في مصر نصف سعر الحنطة ·

اما في الوجه البحري فيروون الشعير كما يروون الحنطة ويزرعون من ½ الى ¾ اردب في الفدان المماثل لفدان الصعيد· ويختلف محصول الفدان باختلاف الجهات · فهو ٣ ارادب فقط في جوار منوف و٧ ارادب في جهات طنطا. ويبلغ احياناً ٨ ارادب الى ١٠ في جهتي رشيد والمنصورة

ومتوسط غلة التبن نصف حمل جمل لكل اردب شعير

واكثر ما يستعمل الشعير عليقاً للخيل· وفي جهات الصعيد يدفعون منهُ الضرائب عيناً كالقمح وما تبقى يباع بعضهُ في اسواق القاهرة ويصدر البعض الآخر الى الخارج من موافي القصير ودمياط ورشيد

(٥) زراعة العدس والحمص والترمس

زراعة العدس قاصرة على الاراضي من ادفو الى الجيزة ومن ضمنها اراضي الفيوم· ولا يصلح لها الأ الاراضي التي تروى ريًّا طبيعيًّا من الترع او النيل فلا يلزم لها كثير من العناء وفي بعض الاحيان يحرثون الارض قبيل زرعها . اما اذا كان الري وافياً ولم تجف الارض حينما يأتي وقت الزرع فيكتفون بالقاء البذار فيها وهي بعدُ في حالة الوَحَل· فيبذرون من ½ الى ¾ الاردب في الفدان . ويغطون التقاوي بحرث الارض او بان يمروا عليها قطعة من الخشب يجرها اربعة انفار او خمسة ويقيم الزرع في الارض نحوًا من اربعة اشهر اي اقل من اقامة القمح بثلاثين يوماً او خمسة وثلاثين · ويحصدونهُ قلعاً بالايدي اذا زرع معهُ نبات آخر كما هي الحال في الصعيد او جزًّا بالمناجل اذا زُرِع على حدة كما يفعل في الفيوم وضواحي القاهرة

ويستعمل تبن العدس علفاً للجمال والماعز وهو حمل جمل لكل فدان · ويباع الحمل منهُ من اربعة غروش الى خمسة

ومتوسط محصول العدس ما بين ٦ ارادب و٧ لكل فدان· وثمن الاردب ١٣ غرشاً في الصعيد ونحو ٢٠ غرشاً في القاهرة ومديريَّة الجيزة

واهمُّ الاماكن لزراعة العدس اسيوط والمنيا · وجميع جهات الصعيد تدفع الضرائب عليهِ عيناً فيجتمع منهُ شيءٌ كثير في مخازن مصر القديمة ومنها يرسل الى اسواق الوجه البحري ويصدَّر الى الخارج

الحمص — يزرع الحمص كالعدس في الاراضي التي يغمرها النيل ويعامل معاملتهُ قبل الزرع وبعدهُ . ويزرعون من ١/٢ ١/٤ الى ١/٣ ١/٦ من الاردب في الفدان . ويبقى الزرع في الارض سبعة اشهر . ويستخدمون لدرس غلة الفدان اربعة انفار واربعة ثيران يدرسونهُ في يوم باجرة ١/٤ الاردب

ويختلف محصول الفدان في الصعيد حيث يزرع منهُ كمية وافرة من ٤ ارادب الى ٨ . ويتراوح ثمن الاردب بين ٧ غروش و ١٧ غرشاً ويستعمل الحمص طعاماً ويحمصون منهُ كمية غير قليلة في المدن الكبيرة مثل القاهرة ورشيد ودمياط وغيرها من مدن الوجه البحري ويأكلونهُ محمصاً

الترمس — ما ذكرناهُ عن زراعة الحمص ينطبق ايضاً على زراعة الترمس . غير ان " تقاوي " الفدان منهُ تبلغ من ١/٢ الى ٢/٣ الاردب تبعاً للكمية التي يزرعونها من حبهِ اما بذراً واما غرزاً في حفر يحفرونها باليد . ويحصدونهُ بعد خمسة اشهر من زرعهِ ويستخرجون حبوبهُ دقاً بالعصي . ويستعملون سوقهُ وقوداً ويعملون منها فحماً يستخدمونهُ في عمل البارود البلدي للمدافع

(٦) زراعة الفول

يزرعون الفول بكميات وافرة في اراضي جرجا واسيوط والمنيا التي تروى مباشرة فيبدأون زرعهُ في اوائل نوفمبر بدون اعداد الارض بالحرث

ويلزم من اردب الى اردب و ١/٣ من " التقاوي " لكل فدان تبعاً لرطوبة الارض . وبعد الزرع تغطى الحبوب بان يجر على سطح الارض قطعة من خشب يستخدم لجرها خمسة انفار

ويمكث زرع الفول في الارض ثلاثة اشهر ونصف فيحصدونهُ في اواسط شهر فبراير .

ويقتضي لدرس محصول الفدان بالنورج اربعة ثيران واربعة انفار يعملون يومين

وبعد دفع جميع النفقات عيناً يبقى من محصول الفدان ٧ ارادب وفي سني الجدب يهبط الى اردبين او ثلاثة . ويتراوح ثمن الاردب بين ٧ غروش و ٢٤ غرشاً . اما في الجهات التي يسهل تصديرهُ منها الى الخارج فيبلغ ٢٦ غرشاً

وتستخدم سوق الفول المدروسة بالنورج علفاً للجمال والثيران والمعزى . ويبلغ محصول الفدان منها نحو ٣ احمال جمل او ٤ يباع الحمل منها بنحو ستة غروش

اما اذا زرع الفول بعد حرث الارض كما هي الحال في بعض جهات الفيوم والوجه

البحري حيث زراعتهُ قليلة فعوضاً عن حصد الزرع بالمناجل يقلعونهُ بالايدي . ومحصول هذا من الزرع يزيد قليلاً عن غيره

ولا تجاوز زراعة الفول قوص جنوباً ولا منوف شمالاً

ويصدر منهُ كميات كبيرة الى بلاد العرب من طريق القصير والى الشرق من موانئ البحر المتوسط ويرد الى اسواق القاهرة والمدن المهمة في الوجه البحري مقادير وافرة منهُ مما تتقاضاهُ الحكومة عيناً في الصعيد بدلاً من الاموال الاميرية

القطن في بربادوس

ذكرنا غير مرة ان الحكومة الانكليزية مهتمة بتنشيط زراعة القطن في جزائر الهند الغربية وقد وقفنا الآن على تقرير عن محصولهِ في بربادوس من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٠٧ وخلاصتهُ في الجدول التالي

السنة	الفدن	المحصول بالقنطار	الثمن بالجنيهات	متوسط ثمن القنطار ريالات	متوسط محصول الفدان ريالات
١٩٠٢	١٦	٥٥	٣١٨	٣٠	١٠٠
١٩٠٣	٨٠٠	١٩٠٠	١٣٤٤٣	٣٥	٨٢½
١٩٠٤	١٦٤٧	٣٤٤٢	٢٢٧٥٩	٣٣	٦٩
١٩٠٥	٢٠٠٠	٤٧٩٤	٣٢٩٩٦	٣٥	٨٢½
١٩٠٦	٥٠٠٠	٨٥٢٤	٧٩٨٧٦	٤٧	٨٠
١٩٠٧	٦٩٣٥	١٣٨٧٠	١١١٤٢٩	٤٠	٨٠½

ويرى من هذا الجدول ان زراعة القطن تزيد اتساعاً هناك سنة بعد سنة فقد كانت ١٦ فداناً فقط سنة ١٩٠٢ فبلغت ٦٩٣٥ فداناً سنة ١٩٠٧ . وظل متوسط محصول الفدان واحداً تقريباً اي نحو ثمانين ريالاً او ١٦ جنيهاً وهذا بمثابة ما لو كان محصول الفدان اربعة قناطير او خمسة والمحصول هناك اقل من ذلك ولكن سعرهُ اعلى من سعر قطننا ويكاد يماثل سعر قطن السي ايلند لانهُ نحو ثمانية جنيهات وعليهِ فمحصول الفدان نحو قنطارين فقط ولولا ارتفاع السعر ما وفى بنفقات زرعهِ وخدمتهِ . فما هو السبيل لاجادة نوع القطن المصري حتى يصير ثمن القنطار منهُ مثل ثمن هذا القطن

الواردات الزراعية والاقتصاد

لم يصدر تقرير الجمارك المصرية عن شهر دسمبر حتى الآن لكي تعلم منهُ حال السنة الماضية (١٩٠٨) بالتدقيق ولكن يظهر من تقريرها عن شهر نوفمبر ان الحال سيئة جدًّا لا لان قيمة الواردات زادت عمّا كانت عليهِ في العام الماضي بل لان قيمة الصادرات نقصت نقصاً فاحشاً وقد بلغ هذا النقص في قيمة الصادر من القطن اكثر من ستة ملايين ونصف مليون من الجنيهات المصرية . ولا سبيل لنا لابطال النقص في قيمة الصادر الاَّ اذا تألفت شركة مالية كبيرة في البلاد احتكرت القطن المصري ورفعت سعرهُ . وهذا بعيد الاحتمال الآن ان لم يكن محالاً . واذا مرَّت على القطر المصري سنة اخرى مثل هذه السنة ولم تبذل الوسائل في تلافي الداء زادت الازمة المالية ضيقاً

ولا نرى لذلك علاجاً قريباً الاَّ بذل الجهد في تقليل النفقات وزيادة كمية الصادرات ويجب ان يكون هذا الامر شعار كل احد وايضاحاً لذلك نقول

(١) انهُ ورد على القطر المصري في الاحد عشر شهرًا الماضية من اللحم والجبن والزبدة وما اشبه ما ثمنهُ اكثر من مليون جنيه . وهذه كلها يمكن الاقتصاد فيها جدًّا حتى نستغني عن اكثرها او عن نصفها على الاقل

(٢) انهُ ورد في هذه المدة من الدقيق والحبوب والزيوت ما ثمنهُ اكثر من ثلاثة ملايين وثلث من الجنيهات . ونحو نصف ذلك ثمن دقيق وهذا لا يمكن الاستغناء عنهُ لانهُ لا يمكن ان يحرم الناس اكل الخبز. ولو كان موسم الحنطة والذرة كافياً ما جلب القطر دقيقاً من الخارج ولكن بعض هذه الواردات من الكماليات لا من الحاجيات كالاثمار والخضر الخضراء والمقددة وثمنها اكثر من نصف مليون جنيه والسمسم وثمنهُ نحو مئة الف جنيه ومواد اخرى نباتية وثمنها اكثر من مئة الف جنيه والجملة اكثر من ٧٠٠ الف جنيه يمكن الاستغناء عنها عند الضرورة

(٣) انهُ ورد من السكر والبن والشاي والمسكرات ما ثمنهُ اكثر من مليون جنيه . وبكل سهولة يمكن الاستغناء عن نصف ما ورد او ثلثيهِ فالذي يشرب عشرة فناجين قهوة في يومهِ يمكنهُ ان يكتفي بخمسة او بثلاثة والذي يحلي طعامهُ برطل من السكر يمكنهُ ان يحليهُ بنصف رطل والذي يأكل المسكرات يمكنهُ ان يبطل اكلها فيوفر على معدتهِ تعباً وعلى جيبهِ نفقةً ولا نبالغ اذا قلنا انهُ كان يمكننا ان نقتصد من هذا الباب ٧٠٠ الف جنيه

(٤) انهُ ورد على القطر من الخمور على انواعها والمياه المعدنية ما ثمنهُ ٤٣٠ الف جنيه وبعضها غير لازم مطلقاً ويمكن الاستغناء عنهُ تماماً وبعضها يسهل الاستغناء عن اكثره ويمكن الاقتصاد في هذا الباب بمبلغ ٣٠٠ الف جنيه

(٥) ورد من اثاث الخشب ما ثمنهُ اكثر من مئتي الف جنيه وقد ورد في العام الذي قبلهُ ما ثمنهُ اكثر من ثلثمئة الف جنيه فكما اقتصدنا في سنة مئة الف جنيه يمكننا ان نقتصد في سنة اخرى مئة الف جنيه اخرى لاسيما وهذا الاثاث من الكماليات لا من الحاجيات

(٦) وورد من الرخام والجير والسمنت والخزف الصيني ما ثمنهُ ٣٥٠ الف جنيه ويمكن الاستغناء عن مئتي الف جنيه منها

(٧) وورد من الحرير والمنسوجات الحريرية ما ثمنهُ نحو ٣٣٠ الف جنيه ومن الدانتلات والثياب ونحوها ما ثمنهُ اكثر من ٦٦٠ الف جنيه والجملة مليون جنيه يمكن اقتصاد نصفها على الاقل

والجملة ثلاثة ملايين من الجنيهات يمكن توفيرها بسهولة ويضاف الى ذلك جانب كبير من ثمن التبغ الذي يرد الى هذا القطر وقد ورد منهُ في هذه المدة ما بلغ ثمنهُ نحو ٧٨٠ الف جنيه وعليهِ يبلغ المتوفر في سنة نحو اربعة ملايين من الجنيهات من غير ان تمس الحاجيات كالدقيق والفحم الحجري والمنسوجات القطنية ومن غير ان تمس المواد اللازمة لترقية البلاد كالخشب والآلات الجديدية ومركبات سكك الحديد وقاطراتها والورق على انواعهِ وآلات الكتابة والطباعة والمساحة ولا يتناول الاقتصاد الا الكماليات التي يمكن الاستغناء عنها والمضرات بالصحة كالخمور والتبغ

الزراعة والضيق المالي

يظهر من النبذتين المتقدمتين انهُ اذا توفق زارعو القطن في هذا القطر الى زرع الانواع الغالية الثمن جداً كقطن السي ايلند وهو اصل القطن المصري يتضاعف ثمن محصول القطن من غير أن تتسع زراعتهُ او يزيد مقدارهُ فان متوسط ثمن القنطار من القطن الناتج من جزيرة بربادوس بلغ ثمانية جنيهات فلو بلغ متوسط ثمن القنطار من القطن المصري ثمانية جنيهات لبلغ ثمن محصول القطن المصري ٤٠ او ٥٠ مليوناً من الجنيهات . وهذا وحدهُ كافٍ لادرار الغنى الوافر على هذا القطر

ويرى منهما ايضاً ان محصول الحبوب كالقمح والشعير والذرة لم يكفِ حاجة القطر وقد ثبت بالامتحان ان السباخ الكيماوي او ما يقوم مقامهُ من تطعيم البذار بالميكروب النيتروجيني يزيد المحصول حتى يتضاعف فالسبيل الى زيادة محصول الحبوب ميسور لكل احد اذا اعتنى باستعمالهِ . لذلك لا يزال الامل كبيراً ان اهل الزراعة يهتمون بتكثير محصولاتهم اما بتسميد اراضيهم بالسماد الكيماوي اذا تعذَّر وجود السباخ البلدي الكافي او بالميكروبات التي تفيد زراعة الحبوب والقطاني . واذا تعذَّر على الفلاحين جلب هذه الميكروبات فلا يتعذر على ادارة الزراعة والصناعة التي في نظارة المعارف ان تجلب مقداراً كبيراً منها وتوزعها على الفلاحين وترشدهم الى كيفيَّة استعمالها وهذا من اسهل الامور التي تطلب منها

المواشي وضعف الزراعة

لا شبهة في ان طاعون المواشي وغلاء العلف قد اضرَّا ضرراً كبيراً بمواشي القطر المصري ويقدّر بعض العارفين انهُ ينقص القطر الآن ٢٤٠ الف ماشية مما يلزم لخدمة زراعتهِ والمواشي الباقية فيهِ اكثرها ضعيف جدًّا من قلَّة العلف فلا يمكنها ان تقوم بخدمة الارض . وهذه حال لا يمكن تلافيها ولا اصلاحها الَّا بالاكثار من الآلات البخارية لحرث الارض وعمل اكثر الاعمال التي تعمل على المواشي فعلى اصحاب الزراعات الكبيرة ان لا يتهاونوا في هذا الامر والاَّ ساءت العاقبة جدًّا . وعلى الحكومة المصرية ان تقتدي بالحكومة العثمانية حتى قبل اصلاحها وذلك باعفاء الآلات الزراعيَّة من رسوم الجمرك تنشيطاً للناس على جلبها والاعتماد عليها . وفائدتها ولا سيما آلات الحراثة منها تفوق الوصف فان الذين استعملوها يجمعون على ان الحرثة الواحدة بها بمثابة حرثتين او ثلاث على الثيران

القطن المصري

ظهر الآن ان الموسم الماضي اقل مما كان ينتظر فقد بلغ الوارد منهُ الى الاسكندريَّة حتى الخامس والعشرين من الشهر اقل من اربعة ملايين قنطار وقد كان في العام الذي قبلهُ اربعة ملايين و٦٧٤ الف قنطار ومع ذلك فالمتأخرات في الاسكندرية تزيد الآن عما كانت عليهِ في العام السابق ثلثمائة الف قنطار



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

فتح مصر في خلافة عمر

الى العالمين الفاضلين صاحبي المقتطف الزاهر

سلام من الله عليكم ورضوان وبعد فالمتواتر المشهور والشائع المأثور في كتب التواريخ العربية التي ظهرت قديماً وحديثاً ان العرب لما زحفوا على بيت المقدس وحاصروهُ في اخريات عام ٦٣٦ م الى اول عام ٦٣٧ م ثم رضي صوفرونيوس بتسليمهِ للامام عمر نفسهِ سأل عمرو بن العاص الامام عمر والحَّ عليهِ ان يجهزهُ بجيش فيفتح بهِ مصر وبيَّن لهُ مزايا هذا الفتح وفائدتهُ للمسلمين الى آخر ما هنالك . وقالوا ايضاً ان عمراً لما الحَّ في الطلب جهزهُ عمر باربعة آلاف فارس من اشداء العرب وقال لهُ ما مؤداهُ ان سرْ على بركة الله فان ادركك كتابي الذي سأرسلهُ اليك بعد مسيرك وقد جاوزت ارض مصر فسر على بركة الله واني مدك وان وصلك ولم تكن وطأت شيئاً من ارضها فارجع عنها . ثم ان عمراً تجهز وسار ثم وصلهُ الرسول بخطاب امير المؤمنين فلحذقهِ ودهائهِ لم يفضهُ الَّا في العريش في صلاة الصبح فقرأهُ على اصحابهِ وسألهم اين نحن فقالوا في ارض مصر فقال اذن نسير اليها طوعاً لكتاب امير المؤمنين واشارتهِ

الناظر الى هذه القصة التاريخية بعين المتأمل البصير الذي يسبر الامور بمسبار التفحص والتدقيق يستنتج نتيجتين (اولاهما) ان الشرط الذي اشترطهُ عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ على عمرو بن العاص شرط واهٍ كما لا يخفى وقد ابطلهُ عمرو بن العاص بعدم فضهِ الكتاب الى ان وصل ارض مصر . (ثانيتهما) كيف يمكن ان الامام عمر يأمر بحشد جيش كبير وتكليفهِ مشقة السفر مسافة طويلة ثم يستدعيهم راجعين قانعين من الغنيمة بالاياب . وكيف يكون

الحال اذا قضى الامر ونشبت حرب بين فرنسا والمانيا ثم جهز امبراطور الالمان قائدًا بعسكر جرار فوصل هذا الى الحدود الفرنسوية وكاد يتخطاها فامره الامبراطور بالرجوع لغير سبب معقول. ومما يمكن ملاحظتهُ ايضاً ان عمرو بن العاص وصل الى العريش في العيد الكبير الموافق ١٢ دلسمبر سنة ٦٣٩ م على ما حققهُ المحققون ثم انهُ خرج بجيشهِ من عند عمر في بيت المقدس في اول سنة ٦٣٧ م كما تقدم فكأن عسكرهُ قطع المسافة بين بيت المقدس والعريش في نحو ثلاث سنوات على ظهور الجياد العربية والابل السريعة. فكيف ذلك والمسافة قصيرة كما لا يخفى. والحقيقة ان عمرو بن العاص لم يذهب من فلسطين الى ارض مصر توًّا بل اشترك في فتح قيسارية بعد فتح بيت المقدس ثم عرض عمر بن الخطاب عليهِ فتح مصر ووافقهُ عليهِ وارسل لهُ خطابًا بذلك وهو في قيسارية على نحو ما رواهُ البلاذري المؤرخ العربي الذي عاش قبل ابن الاثير بزمن بعيد فسار في جناح الليل مستترًا. اما الخطاب الذي زعموا ان عمرًا قرأهُ على اصحابهِ في العريش بعد صلاة الصبح فمكذوب على عمر بن الخطاب (رضه) على ما يظهر

هذا ما عنَّ لنا ابداؤُهُ في هذا البيان التاريخي المختصر جئنا بهِ على صفحات المقتطف راجين ان نرى ما يقولهُ علماء التاريخ فيهِ ولهم الفضل

حسين لبيب

بالقسم العالي من مدرسة المعلمين

الخديوية بمصر

القاهرة في ١٦ دلسمبر سنة ١٩٠٨

تعليم الانشاء

سيدي صاحب المقتطف الاغر

تناولت العدد الثاني عشر فرأيت السؤالين اللذين تكرمتم بالاجابة عليهما. غير اني لم اقصد بسؤالي الاول ان استفهم عن طريقة تعلُّم الانشاء فان ذلك قد ورد جوابهُ على صفحات المقتطف غير مرة. انما اردت ان استشيركم عن افضل طريقة لتعليم هذا الفن للطلبة. فانني قد مارست تدريسهُ مدة طويلة جربت في اثنائها عدة كتب فلم ارَ بينها ما يناسب الحال تمامًا. وقد رأيت كما ربما رأى غيري صعوبة تعليم هذا الفن خصوصاً في الصفوف الابتدائية ومن جملة تلك الصعوبات ان الكتابة العربية مهما كانت بسيطة لا تستغني عن الحركات الاعرابية. واتقان تركيب الجملة لا بدَّ لهُ من الالمام ببعض قواعد النحو الرئيسة. وبمناسبة ذلك اذكر لكم ما يخطر لي من هذا القبيل لتروا فيهِ رأيكم

بين ايدينا كتب انكليزية متناسقة لتعليم الانشاء الانكليزي تجمع بين القواعد اللغوية والاصطلاحات الكتابيَّة والاملاء ويتبع كل ذلك تمارين خاصة بكل من تلك الفروع يتخللها قصص تتدرج في الطول وحسن السبك وبلاغة التعبير · ويتبع ذلك دروس في مواضيع علمية وادبية ثم اصلاح اغلاط الى غير ذلك وقد استعملنا هذه الكتب فرأيناها وافية بالغرض وصار الطلبة امهر في الكتابة الانكليزية منهم في العربية

وعندي انهُ ان كان الانكليز قد رأوا انفسهم محتاجين الى تلك الطريقة فنحن احوج منهم اليها بل هي مما لا يمكننا الاستغناء عنهُ للصعوبات اللغوية المذكورة — وعليهِ التمس منكم ان تقترحوا على القراء انتقاد هذه الطريقة حتى اذا رأوا انها مناسبة يتحفنا احد الادباء او المدرسين بكتاب في الانشاء على هذا الاسلوب مؤَلف من عدة حلقات تكون كل حلقة منهُ موافقة لسنة من سني الطالب ولا يخفى ما في ذلك من التسهيل على المعلم والتلميذ

هذا رأيي اعرضهُ على علمكم الواسع واختباركم الطويل فان كان لكم طريقة افضل فارجو ان تكرموا بالاشارة عليَّ بها وتدلوني على افضل الكتب التي يعول عليها

القدس الشريف توفيق زريق

[المقتطف] نشرنا رأيكم واقتراحكم ليرى القراء رأيهم فيهما . ولا يخفى ان التفوُّق في الانشاء من المزايا الطبيعيَّة كالتفوق في الغناء والتصوير فلا ينتظر ان ينبغ الجميع فيهِ على حدٍّ سوى ولو تعلموا وتدرَّبوا على طريقة واحدة وقد ينبغ فيهِ المرءُ من غير ان يُعلَّم ويدرَّب لكن ذلك لا ينفي فائدة التعليم والتدريب

كتاب في المنطق

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

نشرتم في العدد الماضي من المقتطف اسماء بعض كتب المنطق التي يحسن تعلُّمها وعندي نسخة خطية للدروس التي كان يلقيها علينا في المدرسة الكلية استاذنا الفاضل ابرهيم افندي الحوراني وهي من افضل ما وضع في هذا الفن لانها سهلة المأخذ وقريبة المثال وحسنة الترتيب والتنسيق وياحبذا لو كان حضرة الاستاذ يئل كتابهُ هذا للطبع او يسمح لبعض تلامذتهِ بطبعهِ

الدكتور امين ابو خاطر

مقدمة الطبعة الثانية

من شرح بخنر على مذهب دارون

اخويَّ الفاضلين منشئي المقتطف

نفد شرح بخنر على مذهب دارون الذي ترجمتهُ وطبعتهُ منذ خمس وعشرين سنة. ورغب اليَّ كثيرون في اعادة طبعهِ فنقحتهُ وقدمت لهُ مقدمة مسهبة بحثت اليكما بالقسم الاول منها راجياً ان تنشراهُ ليطلع عليهِ قراء المقتطف شبلي شميل

كم انت متمسك بما نشأت عليهِ؟ فانا كنت مثلك واكثر. وما استمساكك بهِ عن تروٍ في اول الامر لانك كنت صغيرًا لا تستطيع ان تقيم احكاماً لك من نفسك تستقرُّ عليها بل عن اعداد لك بالوراثة وانطباع فيك بالتربية وعليهِ الحديث " يولد الطفل على الفطرة وانما ابواهُ يهودانهِ او ينصرانهِ او يمجسانهِ ". فالتربية تجد الطفل على الفطرة ليناً غير قاسٍ فلا تجد صعوبةً في تكييفهِ فتؤثر فيهِ تأثير الطابع في الشمع وبالتكرار والاستمرار يستقيم المرءُ على المطبوع وينفر اذا حاولت تحويلهُ عنهُ كما يستقيم العود على اعوجاجهِ وينكسر اذا حاولت تقويمهُ وعليهِ المثل " العلم في الصغر كالنقش في الحجر " ثم ينتقل هذا التكييف في النسل بالوراثة فيولد الطفل وبهِ استعداد غريزي للميل مع هذا الانعطاف او ذاك

ثم لما كبرت وصرت قادرًا على التفكير والحكم بنفسك لم تفتكر غالباً لتمحيص ما نشأت عليهِ بل كنت دائماً تحاول تأييدهُ بكل قوى عقلك كلما سنحت لك الفرصة بحيث لم تكن في احكامك مستقلاً البتة عن فعل المؤثرات التي نشأت عليها من التربية البيتية والمدرسية والاجتماعية ولهذا كان اكثر الناس غير مستقلين في احكامهم خاضعين فيها للمؤثرات السابقة المكسوبة والراسخة فيهم مهما اتسعت دائرة معارفهم وسمت مداركهم ولا يشذُّ عن ذلك الا النزر اليسير لاسباب خاصة تخف فيها عليهم وطأة هذه التربية واشد هؤلاء استقلالاً اذا سمت مداركهم قليلاً يرجعون في عواطفهم الى بديهاتهم فيناجي الكافر ايمانهُ ويقع المصلح الاجتماعي في خطاء النظام الذي يشكو منهُ حتى اذا فكر قليلاً انكر عملهُ هذا على نفسهِ. وهذا يدلك على ما للتربية الاصلية من السطوة على العواطف والعقول. وكثيرًا ما يتخذ ذلك اصحاب هذه المبادىء دليلاً على صحة مبادئهم ويقولون ان مثل هذا الانعطاف الذي يعبرون عنهُ بالوجدان ايضاً غريزي في الانسان فلو لم يكن صحيحاً لما كان كذلك. والحال ان ما نشاهدهُ في الطفل الذي لا يزال على الفطرة لا يؤيد هذا القول بل

يناقيهِ في اكثر الاحيان فما منا الاّ من سمع من اطفال عند اول نطقهم اعتراضات معقولة ضد مبادئنا المقررة كثيرًا ما يتعوّذ منها الجاهل و يبتسم لها العاقل ولكننا نصرفهم عنها بما لنا عليهم من السلطة حتى يقرُّوا اخيرًا على ما هو مقرَّر عندنا

فالانسان في اكثر اعماله وافكاره ليس ابن غرائزهِ بل صنع تربيتنا من المهد الى اللحد ولو ترك لغرائزه لكان في مجموعه ارقى منهُ اليوم بكثير ولكن كيف يتسنى لهُ ذلك ونحن بتربيتنا لهُ نشرع بقتل كل مميزاتهِ وهو طفل في البيت اولاً ثم في المدرسة حتى اذا خاض الاجتماع وبهِ بقية باقية تكفّلت كتبنا الدينية والادبية واقاصيصنا الخيالية والخرافية ونظاماتنا الاجتماعية بالاجهاز عليها فيزول الانسان الطبيعي بالكلية ولا يبقى الاّ الانسان المصنوع على خلاف الطبيعة

والحق يقال ان الشر الاكبر من التربية المدرسية لانها تربي الطبقة الراقية من الامة التي عليها المعول في تدبير شؤُون الاجتماع. فالتعليم في اكثر هذه المدارس حتى في ارقى المعمورة اليوم وخصوصاً التعليم الاعدادي قاتل لهذه المميزات فعوضاً عن ان تعد العقل وتمهدهُ لقبول زرع العلم على الاطلاق وتقوي فيهِ مزية الاستقلال في الاحكام تراها تشغل عقل الطفل منذ حداثتهِ وهو الين من الشمع طواعية وتعدهُ اعدادًا مخصوصاً لغاية مخصوصة فتنزع منهُ استقلالهُ وكل مميزاتهِ وهي بذلك تخدم مبدءًا معلوماً لا مطلق العلم فيشب الطفل في عقلهِ ضيق الفكر قليل التسامح اعور افلج لا يبصر بعلمهِ الاّ من جهة واحدة ولا يسير بهِ الاّ في سبيل معلوم

ولا نقتصر على ذلك بل نعلمهُ بجانب هذه المبادىء مبادئ العلوم الاخرى الحقيقية وهي مناقضة لتلك ولكنها تحاول ان تطبقها عليها فتوسع مجال الاجتهاد وتزيد العقل ارتباكاً بما كان في غنى عنهُ لو اقتصر التعليم على العلوم الحقيقية وعلاقتها بالحياة العملية عوضاً عن هذا الاجتهاد العقيم في تطبيق المبادىء المتناقضة على حياة خياليَّة دينيَّة او ادبيَّة لا تتفق مع الواقع في شيءٍ وتزيد الانسان شقاء في حياتهِ الاجتماعية فوق شقائهِ الطبيعي المحتوم. فالتعاليم الدينيَّة تفصل الانسان عن هذا العالم حتى لا يعود يعتدُّ بهِ وهو بالواقع لا يفصلهُ عنهُ شيءٌ حتى ولا الموت. والحياة الأَدبية تصوّرهُ فوق حقيقتهِ بكثير كما تتخيَّل هي لا كما هو فتزيدهُ ضعفاً على ضعفهِ وتجعل حياتهُ تكلفاً ورياء. وهاتان الحياتان الخياليتان تصطدمان في الاجتماع بالحياة العملية التي لا يسع الانسان ان ينفك عنها طرفة عين فتتنازعهُ كل هذه العوامل المتناقضة وتمزّقهُ اي ممزّق وهو الخاسر في هذا التنازع. ولو بني دين الانسان على علاقتهِ

الحقيقيَّة بالطبيعة واقيمت آدابهُ على نواميس الاجتماع الطبيعي لكان في كل اعماله متناسباً مع نفسهِ متوافقاً مع تعاليمهِ غير مضطرٍ ان يقاوم تعاليمهُ في كل خطوةٍ يخطوها كعقبات اقامها هو نفسهُ في سبيله. * وكم ذا يلاقي ان يشأ دكها عني * ولاستغنى عن تلك الفلسفة النظريَّة المضلّلة المبنيَّة على الخيال واقام مقامها الفلسفة العملية المادية الى السبيل القويم المبنيَّة على العلم الحقيقي ولما كان بهِ من حاجة الى اقامة تلك العلوم التي هي اشبه شيء بهذيان المصدَّعين الا وهي علوم الكلام على الاطلاق لتفسير ما لا يفسَّر وتأويل ما لا يؤوَّل وتطبيق ما لا يُطبَّق التي اضلَّت عقولاً كثيرة وغلَّت عن العمل ايدياً كثيرة فلم تنفع الاجتماع بشيء بل اضرَّتهُ اذ اضلَّتهُ واصبحت عالةً عليهِ وهي فوق ذلك اغتصبت مقاماً ممتازاً لها فيهِ حتى انطبق عليها مثل هذا القول

اذا شئت ان ترقى ذرى كل مقولٍ فاكثر بهِ من كل لاغٍ ومهملِ
وحافظ على خلطٍ تقادم عهدهُ كأنك فيهِ بين ربٍّ ومُنزلِ
وحدِّث بآلاء الكتاب وآيهِ وان انت لم تفهم ففسر وأوّلِ
ولو انت تأتي فيهِ كل غريبةٍ وتأتي في تأويله كالمعضلِ
فان كلام الله ما انت جاهلٌ وان كلام الفذ ما ليس ينجلي

ولقد حلَّ طيف هذا النهج في النظر على سائر اعمال الانسان و نظاماتهِ حتى علومهِ فصارت علوم اللغة مماحكات لا طائل تحتها لا كلاماً وضع للتعبير عن الفكر. والشعر اغراباً لا ابداعاً في وصف الحقائق. وعلوم الفقه مخافات يتنزَّل العقل فيها الى حد التبذل. والطب شعوذة لاستنزال الاسرار وتحويل الاقدار لا تعرُّف نواميس الطبيعة تجديها. وعلوم القوانين لاهوتاً ثانياً لا يفهم. وعلم المحاماة مخرقة وتفنناً في المشاغبات لا دليلاً مرشداً الى الحق رادعاً للباطل. وصارت علوم الآداب والفلسفة المترتبة على ذلك كلهِ هياماً في الاوهام لا ضابط لها الَّا الخيال وعلى هذه المبادىء النخرة شاد الانسان بنيان نظاماتهِ الاجتماعية المتقلقلة التي طالما أنَّ الاجتماع منها حتى بلغ صراخهُ عنان السماء

وليس العجب من ان طائفة البداغوجيين يرفعون شأن هذه العلوم الى حدٍّ فائق و يطلقون عليها اسم الآداب العالية بل العجب من تهجم بعضهم على الحط من شأن العلوم الحقيقية بالنسبة اليها كما جاء في احدى خطب افتتاح الجامعة وجعلها سلَّماً يرتقى بهِ اليها ومصقلاً للعقول. نعم لو كان ينحى في تدريسها منحى الطبيعيين اي النظر الى نشوئها وتقلب الانسان في صوابهِ وخطائهِ فيها كما يفعل اليوم في الكلام على نشوء الكون لكانت

سمّاً سلياً ومصقلاً لصقل العقول واما وهي كما هي مخافات تاريخية لحكايات الغول والعنقاء وفلسفة خارقة العقول وآداب كزينة القبور المكلسة فهي سلّم واهي الدرجات متناخر القوائم وصقال كصقال العقدة التي لا تحلّ. ولو استقرينا تاريخ هذه الجامعات والغاية التي وضعت لاجلها في اولها وآثار هذه الغاية فيها حتى اليوم لما فُتِنّا باقتباسنا نظاماً اوشك ان يتداعى في ارض منشإِهِ ولاعتضنا منهُ باقامة الكليات المنطبقة على احتياجات العصر والتي هي بالحصر سلّم الارتقاء الحقيقي

وضرر هذه التعاليم على الانسان وعلى الاجتماع واضحٌ من انها قائمة على تخرصات واوهام بعيدة جدًّا عن الحقائق الطبيعيةً التي هي بالحقيقة المدرسة الاولى للانسان. ولو اقتصر العيب فيها على هذا الامر فقط لما كان الضرر كبيرًا جدًّا ولكان هذا الخطأ مما لا بدَّ منهُ لجهل الانسان علاقتهُ بالطبيعة في اول الامر لقلة تعرُّفهِ لها ولامكن لهُ الانتقال فيها من الخطاء الى الصواب شيئاً فشيئاً من غير عناء كما زاد فيها اختبارًا. ولكنهُ لم يفعل فانهُ لم يقف امامها صامتاً يسألها ان تفتح عليهِ بما استغلق من اسرارها بل لاسباب كثيرة اختلط الامر عليهِ فوقع في الشبهات وبنى على هذه الشبهات مذاهب وتعاليم كان المبدأُ فيها خارجاً عن الطبيعة مستولياً عليها وحاكماً عليهِ ولكنهُ غير خاضع فيها لناموس الاَّ ما شاءت الاقدار ثم استمسك بهذه المبادىء متقلباً فيها معددًا وموحدًا ولم يتحوَّل عنها فاقامها عقبات حالت بينهُ وبين سهولة تعرُّفهِ للعلاقة التي بينهُ وبين الطبيعة وما زال يتعثر فيها حتى اليوم ولن يزال كذلك زماناً طويلاً ايضاً لشدة رسوخ هذه المبادىء فيهِ بتقادم العهد

وبقي الانسان يتقلب على هذه المبادىء ويتخبط فيها عصورًا متطاولة جدًّا ولم يتحول عنها قيد شبر في آدابهِ وعلومهِ ونظاماتهِ حتى عصور التمدن اليوناني فقد قام حينئذٍ فلاسفة بنوا فلسفتهم على الحدس الصادق لا على العلم الصحيح وصرحوا بعلاقة الانسان بالطبيعة علاقة شديدة. على ان الوحيد الذي قال بهذه العلاقة وبناها على العلم الطبيعي هو ابو الطب ابقراط فانهُ اول من صرَّح بان اسباب الامراض طبيعية مع انها لذلك العهد كانت تعتبر الهية وتعالج في المعابد وهذا واضح من كتابهِ الاهوية والمياه والبلدان وكتابهُ هذا اعظم اثر وصلنا عن الاقدمين لا من حيث الكلام على علاقة الامراض بالطبيعة فقط بل من حيث كلامهُ ايضاً على تأثير الاقليم والغذاء والتربية في تكييف الاحياء. فابقراط اول واضع حجرًا على وجه علمي في اساس مذهب النشوء قبل لامرك وجفروى سنتيلار وداروِن بزمان طويل. ومع ذلك فابقراط نفسهُ لم يستطع او لم يجسر في ذلك الوقت ان يجعل اسباب

الامراض كافة طبيعية بل فصل الامراض العصبية عنها كالصرع وجعلها تحت سلطان قوى فائقة الطبيعة وهذا يدلك على شدة تأثير التربية الاولى وسلطان التعاليم السابقة على العقول

على انهُ مهما بلغنا عن تمدن الاقدمين فان الاجتماع لم يرقَ بهِ كثيرًا رغمًا عن الدلائل التي يتخذها البعض حجة على هذا الارتقاء بسبب مبادىء التعليم السالف ذكرها . وبالحصر فهذا الارتقاء لم يكن الاَّ في بعض الصنائع المتعلقة بالبناء والفنون الجميلة كاقامة الآثار الضخمة والتماثيل المتقنة وهي تدل دلالة واضحة على الضغط الشديد الى حد العبودية من جهة والسيادة المطلقة الى درجة التألُّه من جهة أُخرى . وشرائع الاجتماع في كل تلك العصور السابقة كانت مبنيَّة على هذا التقسيم والاجحاف بمصالح الجمهور . واني لا اتمنى لك تمدنًا كتمدن عصر سقراط ولا تمدن باني الاهرام ولا تمدن الرومان حتى ولا تمدن عصر العباسيين ولا تمدن الامم النصرانية بعد خروج الاسلام من الاندلس وقبل الثورة الفرنسوية والاَّ فاكون قد تمنيت لك ان تكون عبدًا ذليلاً لا تملك ادنى حرية لا في القول ولا في الفكر ولا في العمل ومع ذلك فكل هذه العصور قد امتازت بهذه الآثار البديعة التي لا تعادلها آثار بعدها . ويمكن الجزم بانهُ لا يمكن ان تعادلها آثار في المستقبل ولكنها بالحقيقة آثار لا قيمة لها في المنافع العموميَّة التي تعظم قيمتها وتعظم الاعمال التي تقام لها كلما ارتقى الاجتماع . فالوثنيَّة قد ابدعت في فن النقش لانها ارادت ان تقيم الاصنام لآلهتها فاقامت لها الهياكل الفخيمة ونصبت لها التماثيل البديعة . والنصرانيَّة اتقنت فن التصوير لانها ارادت ان تشخص وقائع دينها وصور قديسيها فتركت لنا من ذلك آثارًا لا تبارى . وما بناء الاهرام وبعلبك وتدمر وسواها من الآثار التي تعد من معجزات العصور السالفة الاَّ دليل ناطق على ما بلغ اليهِ البشر في تلك العصور من الذل والعبودية والتفاني في عبادة معبوداتهم والخضوع لملوكهم الذين رفعوهم درجات فوقهم حتى خلطوهم بالآلهة و باتوا بهم اذل من الحيوان

مصرُ هل انت غير ما هنَّ ان كا شدادًا وان قسونا ركاكا

ذاك خلق من صنع فرعون لما شاد اهرامها تناغي السكاكا

وهي كلها بالحقيقة آثار تخدم اغراضًا خاصة ولا قيمة لها في المنافع العمومية

واذا كان التمدن الاسلامي لم يترك لنا شيئًا يعتد بهِ من مثل هذه الآثار فليس لان حال الانسان بهِ كان اصلح منهُ في الماضي خصوصًا بعد ان اوغل في الفتح واستتبت السيادة لهُ واستأثر سلاطينهُ بالسلطة واستبدوا بالرعايا بل لان الدين نفسهُ قام لنقض الوثنية وهدم الاصنام ونفي تعدد الآلهة فعبد الهًا واحدًا مجردًا لذاتهِ لا لصفاتهِ فلم يمثلهُ لئلا تعود العبادة

الى الاصنام . وقد تغالى بالامر فحظر نقش التماثيل الاعتيادية حتى الدمى ولولا الامم الاخرى لبادت بهِ صناعة التصوير بالقلم والحفر وهو مع ذلك لم يترك شيئًا عظيمًا من آثار المنافع العمومية التي تدل على صلاح حال الانسان في دنياهُ وارتقاء المجتمع . واعظم ما تركهُ آثار ادبية لخدمة الغاية الدينية وقد فاق بهذه الآثار جميع الامم التي تقدمتهُ

ولما كانت هذه مبادئ الانسان في حياتهِ كان كل منحاهُ في علومهِ ومعارفهِ وشرائعهِ وآدابهِ وسائر نظاماتهِ متجهًا الى هذه الغاية الادبية منصرفًا بها عن الحياة العملية ولم يجتهد في ان يتعرف ما حولهُ الاَّ بالقدر الذي لم يكن لهُ غنى عنهُ بما يضمن لهُ الغذاء والكساء يتقي بهما ألم الجوع والبرد ولذلك ابطأ جدًّا في تعرف اسرار الطبيعة وما لها من القوى وما بينها من الروابط للتصرف فيها والانتفاع بها فعرف كيف يروي الزرع ويستدر الضرع وينسج الكساء ويقيم البناء ويذلل الحيوان للنقل وقطع المفاوز بل عرف نواميس الضغط والخل والثقل النوعي فبنى السدود ورفع الاثقال وركب البحار الخ . ولولا طمعهُ لما وضع اساس الكيمياء ولكنهُ لم يحاول ان يتعرَّف طبائع ما فيها من القوى ليصرفها الى غرضهِ فيقاوم الرياح بقوَّة البخار ويقرب الشاسع من الاقطار بقوَّة البرق ويأتي بها اعمالاً تكاد تكون في عداد العجائب لاعتبارهِ ان هذه القوى غريبة عنها

ولم يكن هذا الابطاء عن مجرد تذبذبٍ منهُ في الاهتداء اليها لشدة استغلاقها عليهِ مما هو ضروري في استكشاف كل أمر بل عن مجرد انصرافهِ عنها بما تقدم والدليل على ذلك ان النواميس التي اكتشفها والمنافع التي اهتدى اليها والمار ذكرها يصح ان يقال انهُ عرفها منذ اول الامر اي مذ اليوم الذي دخل فيهِ في طور الانسانية ولكنهُ بقي واقفًا بها حتى اليوم . خذ الاضاءة مثلاً فان السراج الذي نعرفهُ منذ اربعين سنة هو نفس السراج الذي كان مستعملاً منذ اربعة او خمسة آلاف سنة المكتشف في خرائب مصر ليس في الزيت الذي يضيء بهِ بل في نفس شكلهِ حتى يمكن ان يقال انهُ هو هو الذي كان منذ خمسة عشر الف سنة ايضًا واكثر . ثم قابل ذلك بانواع الاضاءة المختلفة التي استجدت في الخمسين او الستين سنة وخصوصًا في العشرين سنة الاخيرة اي بعد انصراف عقل الانسان الى درس الطبيعة وتعرُّف قواها وتخلصهِ شيئًا من ربقة تلك المبادىء التي كانت تصرفهُ عنها والطالخة في تعاليمهِ وسائر آرائهِ القديمة وقل لي بعد ذلك هل تلك العلوم العالية والآداب الرائعة كما يسمونها هي مرقاة يرقى بها او سلَّم يصعد عليهِ الى العلوم الحقيقية ام هي بالحقيقة عقبات في سبيلها

وكيف يصحُّ ان ينسب ذلك لا الى الاسباب المذكورة بل لتعذرهِ على عقل الانسان

قبل هذا العهد لضعفهِ وقلة اختبارهِ وهو قد اظهر في العلوم الاخرى التي اضطر الى البحث فيها لضرورتها ولعدم حيلولة هذه المبادىء بينهُ وبين النظر فيها تفوقاً عجيباً اريد بذلك علم الاعداد والمساحات فقد تفوّق في هذه العلوم الى درجة لم يبقَ بعدها من مزيد حتى يصح ان يقال ان العلوم الرياضيَّة بلغتنا عن الاقدمين ناضجة بل محترقة لم يستطع المتأخرون ان يزيدوا عليها شيئاً يذكر . واما في العلوم الطبيعيَّة فبقي واقفاً كالبليَّة رأسها في الوليَّة لانصرافهِ عن النظر في قواها بالنظر في قوى ما فوق الطبيعة واكتفائهِ منها بالقليل الضروري كما تقدم

فالعلوم الطبيعية هي امّ العلوم الحقيقية ويقتضي ان تكون ام العلوم البشرية كافةً وان تقدَّم على كل شيءٍ وان تدخل في تعليم كل شيءٍ فيصحّ نظر الانسان حينئذٍ في لغاتهِ وينتظم قياسهُ في دليلهِ وتقوى فلسفتهُ بارتباطها وتعلو آدابهُ لانطباقها على العمل وتصلح شرائعهُ لتطبيقها على نظام الاجتماع الطبيعي ويتسع عقلهُ لانطلاقهِ من قيودهِ المتناقضة وتقيدهِ بنظام واحد شامل ذي اتساع لا يحدُّ وتصحّ احكامهُ لتربيتها على القياس الصحيح ويسرع ارتقاؤهُ لانطباقهِ في سيرهِ بهِ على نواميس الكون

واذا علمت ان دائرة معارف الانسان الطبيعية لم تتسع بعض الشيء وان قوى الطبيعة لم تربط بعضها ببعض بعض الربط الَّا في القرن الماضي ورأيت ارتقاء الانسان هذا السريع خصوصاً في الربع الاخير منهُ تبدَّت لك اهميَّة العلوم الطبيعيَّة . ولكن من الاسف ان هذا الارتقاء الذي هو في بدئهِ والذي ينتظر منهُ شيءٌ فوق احلام العقل في المستقبل وان كان قد عمَّ الزراعة والتجارة والصناعة والطبّ ايضاً ان لم يكن من حيث شفاء الامراض فمن حيث طرق منعها الَّا ان الانسان لم يستفد منهُ كثيراً حتى الآن في شرائعهِ وحكوماتهِ وان كانت الحروب قد قلَّت بهِ قلَّة تذكر وتقرَّرت بهِ سيادة الامم واخذ الملوك يهبطون من سماء أولمبهم الى محاذاة البشر فما ذلك الَّا لصعوبة ازالة الاثر العالق بها من تلك التعاليم الراسخة فيها مدى كل تلك الاجيال المتطاولة والتي ما زالت الحكومات تؤيدها وتنشئ لها المعاهد وتقيم لها الجامعات التي يتغنَّى بها بعض الشعوب حتى اليوم والتي لا يزول ضررها الَّا بانقراضها ولكنها ستنقرض وستنقرض معها كل تلك العلوم العالية كما يسمونها اليوم حتى يعفو اثرها وهي من يوم خطا الانسان الخطى الصائبة في علوم الطبيعة في احتضار يجهز عليها وكل سنة الآن في هذا السبيل بمقام قرون في الماضي

وكأنَّ الاجتماع لا يصلح صلاحاً تامًّا يتكفل بعفاء اثر تلك التعاليم الَّا اذا توحَّدت اللغات وتوحَّدت الامم وهذا ايضاً لا بدَّ منهُ والسبيل اليهِ لم يعد بالممتنع اليوم ونهوض امم

المشرق من سباتها دليل عليهِ · انظر الى اليابان كيف ان نور العلم الطبيعي امتدَّ اليها ونهض بها الى اوج الامم الراقية في زمن قليل بعد ان لبثت في سبات عميق مئات السنين بل انظر الى امة الصين العظيمة الراقدة منذ الف سنة ولم تتغير في ضجعتها كيف انها تحركت واخذت تفتح عينيها · ولا نظن ان نهوض الامم اليوم يكون كما كان في الماضي انتصارًا وحشيًّا وفوزًا همجيًّا تقوم فيهِ دول على اطلال دول وامم على انقاض امم بل سيكون عدوى سليمة تمتدُّ من السليم الى الاجرب فتبرئهُ فيصح هو ويبقى سواهُ صحيحًا وما مثال انقلاب الامة العثمانية في ثورتها السلمية العجيبة ببعيد وكان مثل ذلك في الماضي تجري الدماء فيهِ انهارًا

كل ذلك من معجزات العلم الطبيعي على حداثة عهدهِ وانحصار دائرتهِ وقلَّة عدَّتهِ وغلبة التعاليم القديمة عليهِ واين منها معجزات العلم الالهي المصبوغة بالدم · فتوحيد الامم واللغات وانتشار الانسانية الحقيقية والنظر الى البشر كأنهم اخوة واعتبار العالم وطنًا واحدًا كل ذلك لم يتم بهذا العلم الاخير مع انهُ من اقصى مراميهِ وما تمَّ بهِ حتى الآن الاَّ معجزات الحروب والتفريق وقيام الاخ على اخيهِ . ولن يتمَّ ايضًا ولا يتمُّ الاَّ اذا انتشرت العلوم الصحيحة انتشار تلك وعرفت اسرار الطبيعة معرفة اتمّ · ومن غريب المفارقات ان الانسان مع شدَّة علاقتهِ بالطبيعة لم ينظر اليها نظر المستنطق لمعرفة اسرارها الاَّ من عهد قريب جدًّا بل صبا عنها الى ما لا علاقة صريحة لهُ بهِ وعلى ذلك شاد كل آثارهِ وافرغ كل مجهودات جسدهِ وعقلهِ والذي وصل الينا من تلك الآثار الحسية والمعنوية بالنظر الى ما لم يصل الينا شيء قليل جدًّا ومع ذلك فهذا الشيء القليل كثير جدًّا بالنسبة الى ما تركهُ لنا الاقدمون من مبادىء العلوم الصحيحة . خذ مثال الكتب الادبية من فلسفة نظرية وفقه على انواعهِ وتواريخ مكذوبة ملفقة واقاصيص خرافية مما لا يزال بين ايدينا وتلدهُ قرائحنا حتى الآن مما لا ينطبق على عقل او نقل فكم هو كثير في كل امة فاذا كانت منقولات التاريخ عن هذه الآثار صحيحة من انها كانت تعدُّ بعشرات الالوف وتشرى بالوف بدرات الاموال على ما تشاء مخيلة المؤرخ الشعرية فلا أسف عليها ان كانت قد فقدت ويكون عمر قد احسن بحرقهِ نظائرها اذا صحت الرواية عنهُ فهذه الآثار التي يتغنى بها التاريخ ويبالغ في كثرتها مبالغة في الفخر وما كثرتها الاَّ اتفاق معانٍ واختلاف روي والتي يعتبرها جمهور الناس حتى اليوم كنوز كل امة هي بالحقيقة آثار مخلدة لضلال الانسان صارفة اياهُ عن النظر في ما لديهِ من الحقائق مانعة لهُ عن السلوك في الصراط المستقيم · ولكن العلوم الطبيعية وقد اخذ كعبها يعلو اليوم ستتكفل في المستقبل بما لم تستطعهُ الايام

ستأتي البقية

شفاء السل

سيدي الفاضل مدير مجلة المقتطف الاغر

سلام واحترام وبعد فقد طالعت في احدى المجلات الانجليزية ما ترجمتهُ بالحرف الواحد "يصاب بالسل نصف العالم على الاقل فبعضهم يشفى منهُ دون ان يدري بهِ وبعضهم يموت ولذلك سموهُ " داء الانسانية " اما سبب هذه الآفة فهو الافراط في كل شيء ويقولون انهُ ينقل بالوراثة وهذا رأي ضعيف اما دواء هذا الداء فبسيط جداً وان شفاءَهُ اسهل بكثير من شفاء الحمى التيفوئيدية والجدري ولا دواء لهُ غير شيء واحد وهو الهواء النقي والغذاء الكافي . اما ما يقال عن العلاجات والادوية فهو كلهُ تدجيل في تدجيل وكثيراً ماتناول المصدورون ادوية فنفعتهم شهراً او شهرين ثم انتكسوا بعد ذلك من فعل تلك الادوية وانتهى اجلهم ولا ينبغي للمسلول ان ييأس من شفائهِ ابداً فان بعض الاطباء داوى المرضى بالسل عشرين سنة ومع ذلك رزقوا اولاداً وعمروا طويلاً الخ " هذا ما طالعتهُ واني مفوض اليك الامر ومنتظر رأيك انتظار المريض للشفاء او الساري للضياء لاقف على حقيقة الامر

ت . الرافعي

[المقتطف] يظهر لنا ان ما ذكرتموهُ لم تقرأوهُ في كتاب طبي لعالم من الاطباء الثقات بل في اعلان عن دواء للتغذية او ما يشبه ذلك . اما كون السل على انواعهِ كثير الانتشار فامر حقيقي ولكن لا يعلم هل يصاب بهِ نصف الناس او ثلثهم او اكثر او اقل . والهواء النقي والغذاء الكافي خير الوسائل للشفاء منهُ وقد شفي بهما كثيرون من المصابين وهم في الدرجة الاولى من الاصابة اي قبلما تمكن الداء منهم ولكن قلما شفي احد منهُ من الذين وصلوا الى الدرجة الثالثة . وقد رأينا كثيرين اصيبوا بالسل وماتوا بهِ ولم نرَ الا اثنين بلغا الدرجة الثالثة ثم شفيا منهُ على ما يظهر . وسبب السل نموُّ ميكروبهِ في الجسم فاذا كان الجسم قادراً على مقاومة ذلك الميكروب لم ينمُ فيهِ والأَ نما وتغلب عليهِ . واذا كان الميكروب كثيراً كما اذا استنشق الانسان هواء كثير ميكروبات السل زماناً طويلاً او شرب الطفل لبناً فيهِ كثير من ميكروبات السل فالغالب ان الجسم يعجز عن مقاومتهِ ولاسيما اذا لم يكن الهواء الذي يستنشقهُ نقياً . وتصاب القرود بالسل كما يصاب الانسان ولاسيما اذا وضعت في اماكن قليلة الهواء النقي وتشفى منهُ اذا اطلقت في الحراج والقفار حيث الهواء نقي . ولا يعلم للسل دواء شافٍ حتى الآن

باب التقريظ والانتقاد

دليل الآثار المصرية

في دار التحف البريطانية

A GUIDE TO THE EGYPTIAN COLLECTIONS IN THE BRITISH MUSEUM, BY E.A.W. BUDGE.

وضع هذا الدليل العالم الاثري المشهور الدكتور بدج حافظ الآثار المصرية في دار التحف البريطانية وجعلهُ تاريخاً للقطر المصري من اول عهدهِ الى آخر عهد العرب و بداءة عهد الاتراك. قال في مقدمتهِ ان في دار التحف البريطانية نحو خمسين الفاً من الآثار المصرية وهي تمثل تاريخ مصر وحضارتها من الزمن السابق لزمن الدول المصرية الى انقضاء ملك آخر ملكة مصرية ملكة مروي في السودان المصري وذلك في القرن الثالث للميلاد وفيها ايضاً كثير من الآثار القبطيَّة من القرن السادس الى الحادي عشر

وفي هذا الدليل رسوم كثيرة تمثل اهم الآثار التي في التحف البريطاني والمباني المصرية التي في القطر المصري فاذا قرأهُ الانسان وحدهُ وقف على اكثر ما يعلم من تاريخ مصر والحضارة المصرية واذا استعان بهِ على مشاهدة الآثار التي في دار التحف البريطانية كان ذلك ادعى الى فهمها وحفظ دلالاتها في ذهنهِ. ولو وضع دليل مثلهُ بالعربية للآثار التي في دار التحف المصرية لزاد عدد زوارها من ابناء هذا القطر والقطر السوري وزاد دخلها منهم ما يفي بنفقات تأليف الدليل وطبعهِ وزادت معرفة السكان باثار بلادهم واسلافهم

وقد رأينا ان نعرّب فصلاً وجيزًا من هذا الدليل للدلالة على اسلوبهِ فاخترنا الفصل الذي يتكلم فيهِ عن مساكن المصريين قال :—كان الملك يقيم غالباً في قصر مبني داخل حرَم الهيكل او على مقربة منهُ والمرجح ان قصرهُ كان مثل بيوت مصر الكبيرة في العصر الحاضر اي كان لهُ دار فيها اشجار في وسطها وتحيط بهِ حديقة فيها بركة ماء وفاكهة ونخيل وسنط وازهار ورياحين وخيام يتعرَّش عليها الكرم واللبلاب والبستاني يسقيها يومياً بالشادوف او بالساقية ودار القصر مفروشة بالبلاط او بالاجر او بالخزف المدهون وكانت جدران الغرف وسقفها مزوَّقة بالصور والنقوش وفي بعض الغرف كوًى قرب سقفها لدخول النور والهواء.

ويرجح ايضاً ان الاثاث كان مرصعاً بالعاج والابنوس والخزف الصيني . ثم كثرت الآنية المعدنية في زمن الدول الحديثة . وكان الملوك يستقبلون زوارهم في غرف كبيرة والمرجح انهُ كان في تلك الغرف مقاعد عالية على جوانبها لجلوس الضيوف . وكان المطبخ وغرف المؤونة والاسطبل ودار الخدم خارج القصر واما حرس الملك الخاص وحرس الملكة الخاص وامين الخرج ومراقب الغرف فكانوا ينامون داخل القصر . وقلما كان في القصر اكثر من طبقتين ويوصل الى الطبقة العليا بدرج من الدار او من احدى الغرف السفلى

وكانت بيوت الاشراف مثل قصور الملوك في شكلها واقل منها فخامة وزخرفة وقلما كان فيها اكثر من طبقتين فكان البيت منها مؤلفاً من دار على ثلاث جهات منها غرف صغيرة ورواق في الجهة الرابعة وعلى السطح مناور يدخل منها الهواء الشمالي (البحري) الى غرف البيت وفي اعالي الجدران كوًى لدخول النور وقرب البيت معصرة الخمر وبيت الجعة واسطبل الخيل او حظيرة المواشي واهراء الحنطة ومخازن الاثمار والخضر وحول البيت بستان كبير فيهِ بركة ماء واشجار مثمرة وازهار ورياحين ويحيط بهِ سور من الطوب النيء (اللبن)

وبيوت كبار الفلاحين طبقة واحدة وفي كل بيت منها غرفة للجلوس وغرفة للنوم ومخازن للحبوب والاثمار وعلى السطح غرفة يصعد اليها رب البيت في المساء . وتطحن الحبوب ويخبز الخبز في دار البيت وهناك ازيار كبيرة للماء يصب فيها ماء النيل في الصباح والمساء ويحيط بالبيت سور من الطوب

وبيوت صغار الفلاحين اكواخ من الطوب النيء سقفها من سعوف النخل او عشش من القصب وسعوف النخل مبطنة بالطين

واشار الى امثلة هذه البيوت في دار التحف البريطانية ورسم بيتاً وكوخاً منها

التقرير المتيورولوجي عن سنة ١٩٠٦

METEOROLOGICAL REPORT FOR 1906 PART II.

تناولنا الجزء الثاني من هذا التقرير وهو في اكثر من مئتي صفحة بقطع كبير جدًّا مملوءة بالجداول والارقام الدقيقة . وخلاصتهُ ان شهر يناير كان صحوًا في الغالب وكان ضغط الهواء فيهِ اكثر من المعتاد والحرارة اقل من المعتاد في مصر واعلى من المعتاد قليلاً في السودان وزاد هبوب الشمال عن المعتاد فيهِ ووقع المطر في شمالي القطر المصري واكام البحر

الاحمر وسواحله ولم يقع مطر في بقية القطر ولا في السودان وكان مقدار المطر في شمالي القطر المصري اقل من المعتاد

وفي فبراير خف ضغط الهواء عن جبال البلقان وعن البحر المتوسط وزاد البرد عن المعتاد واما في السودان فكان الهواء احر من المعتاد وهبت الجنوب اكثر من المعتاد وزاد ضغط الهواء والمرجح ان سبب ذلك انخفاض الضغط في جنوبي السودان وبلاد الحبشة وهطل هناك مطر غزير كما يظهر من مقاييس النيل ووقع المطر في مصر الوسطى وفي وادي حلفا ايضاً بسبب انخفاض ضغط الهواء في اواسط الشهر

وجاء مارس مخالفاً لفبراير فزاد الضغط في الثلثين الاولين منهُ وهبت العواصف شمالاً من جهات بربادوس وبلغت واحدة منها القطر المصري في آخر الشهر ومعها ريح حارة من نوع الخماسين ومرت عاصفة فوق السودان في العشرين من الشهر وزاد الضغط عن المعتاد وكذلك زاد الحر عن المعتاد في بلاد الحبشة وزاد بهِ البحر الازرق ومقياس نهر السبت وذلك على خلاف المعتاد

وزاد تقلب الهواء في شهر ابريل وزاد ضغطهُ عن المعتاد وزاد هبوب الجنوب وزادت قوتها كذلك وكانت الحرارة فوق المعتاد وابتدأت الامطار في بلاد الحبشة تؤثر في البحر الازرق

وقل ضغط الهواء في ابريل تابعاً في ذلك لقلة ضغطهِ في اوربا فدعا ذلك الى هبوب رياح الجنوب الحارة على القطر المصري وزاد البرد شمالي بربر عن المعتاد وزاد المطر على شاطىء افريقية الشرقي عن المعتاد فاضرَّ بفيضان النيل

وقلَّ تقلب الهواء في شهر يونيو ولكن هبت الخماسين على مصر وكان الحر تحت المعتاد في غربي البحر المتوسط وفوق المعتاد في مصر والسودان . وكثر هبوب الرياح الشرقية في مصر والغربيَّة في السودان وزاد المطر فوق اواسط السودان وكان معتدلاً في الحبش وكان ارتفاع البحر الازرق بطيئاً في اول الامر ثم زاد تدريجاً لكنهُ بقي دون متوسط السنوات الست السابقة

وقل تقلب الهواء في شهر يوليو حسب المعتاد وزاد ضغطهُ فوق القطر المصري حتى الخرطوم ولكنهُ قل فوق خليج العرب وكان مركز رياح الموسم اقرب الى السودان منهُ في السنتين السابقتين . وكان الشهر احر في مصر وابرد في السودان منهُ في السنوات السابقة والمطر في السودان اكثر من المعتاد والظاهر انهُ كان كذلك في بلاد الحبشة . وزاد البحر الازرق زيادة غير مضطردة في العشرين يوماً الاولى من الشهر ثم زاد زيادة مضطردة في

العشرة الايام الاخيرة فصار اعلى مما كان عليهِ في السنوات الست السابقة بعد انخفاض الهواء شمالاً وغرباً في شهر اغسطس فزاد ضغطهُ في القطر المصري عن المعتاد وزاد الحر في الوجه البحري فوق المعدل ولكنهُ كان تحت المعدل كثيرًا في السودان وتغلب هبوب الريح الشمالية الشرقية وكانت تهب شمالاً وغرباً وكانت سرعتها اقل من المعتاد في مصر والسودان وغزرت الامطار في السودان الاوسط وبلاد الحبش . وحسن الفيضان بعد ان كان يخشى ان يكون رديئاً

وقل تقلب الهواء في سبتمبر ايضاً وزاد ضغطهُ عن المعتاد في مصر ولكنهُ نقص في السودان وبحر العرب . وكان الشهر ابرد من المعتاد وكانت سرعة الريح اكثر من المعتاد في مصر واقل من المعتاد في السودان وزادت الجنوب في السودان عن المعتاد ووقع المطر في بلاد الحبشة في اول الشهر ثم انحبس فنقص مجموعهُ عن المعتاد وزاد وقوعهُ على البحر الابيض وبحر الجبل واخذ البحر الازرق يهبط عند الرصيرص في التاسع من الشهر

وبقي الهواء معتدلاً في اكتوبر الى الخامس والعشرين منهُ وحينئذٍ مرت زوبعة كهربائية فوق القطر المصري بسبب وصول انخفاض الهواء اليهِ وتقلب ضغط الهواء في السودان كما ينقلب عادة في نوفمبر . وبرد في مصر عن المعتاد وفي شمالي السودان ايضاً وزاد المطر في مصر عن المعتاد وشعر بهِ حتى اسيوط وكثر وقوعهُ في السودان

وكان ضغط الهواء في نوفمبر فوق المعتاد في مصر واقل من المعتاد في السودان الشرقي وفوق المعتاد قليلاً في اواسط السودان وكان الحر فوق المعتاد في كل مكان ما عدا اماكن قليلة في شمالي السودان واواسطهِ . وامطرت على آكام البحر الاحمر في السابع من الشهر وكان المطر في السودان اقل من المعتاد . وكان ارتفاع الماء في البحر الازرق فوق متوسط السنوات السبع السابقة وفي البحر الابيض تحت متوسطها

وكان دسمبر ابرد من المعتاد في اوربا واحر من المعتاد في مصر وسورية والسودان وقلَّ المطر في القطر المصري عن المعتاد . وكان علو البحر الازرق فوق المعتاد قليلاً وعلو البحر الابيض تحت المعتاد

والخلاصة عن السنة كلها ان ضغط الهواء فيها كان فوق المعتاد الاَّ في اواسط السودان وجنوبيهِ ومعدل الحرارة كالمعتاد . والمطر اقل من المعتاد الاَّ في السودان فانهُ كان اكثر من المعتاد . ووقعت الامطار في بلاد الحبش وجنوبي السودان في فبراير ومارس فزاد بها ارتفاع النيل . وزادت الامطار في اغسطس وسبتمبر فزاد بها النيل ولم يبقَ منخفضاً عن

المعدل سوى عشرة في المئة وكان تحت المعدل كثيرًا في السنوات السبع السابقة · انتهى ملخصاً من مقدمة هذا التقرير المفيد

هياكل انس الوجود

A Report on the Temples of Philæ by Captain H.G. Lyons D.Sc. F.R.S.

لما قرَّ القرار على انشاء الخزان قامت قيامة علماء الآثار في اوربا على الحكومة المصرية زاعمين ان انشاءه يتلف هياكل انس الوجود· وظاهر الامر انهم يفضلون حفظ تلك الهياكل ولو حرم حفظها سكان مصر من ري اطيانهم واماتهم جوعاً · والظاهر ايضاً ان رجال مصلحة الري في الحكومة المصرية يخشون شغب اولئك العلماء فحملوا الحكومة المصرية نفقات باهظة لاجل تقوية تلك المباني حتى لا يؤثر فيها بناء الخزان فقووها وبني الخزان وملئ ماء خمس سنوات متوالية وغمر الماء جانباً كبيرًا من الهياكل وما يتصل بها ولم يلحق بها ضررًا يذكر. ثم اريد تعليتهُ ايضاً لكي يزيد ما يخزنهُ من الماء فقامت قيامة العلماء ثانية فرأت مصلحة المساحة ان تفحص تلك الابنية جيدًا ووضعت تقريرًا مسهباً عنها وهو المفتوح امامنا الآن واثبتت فيهِ ان غمر الجانب الاكبر من تلك المباني لم يضر بها واذا زاد ارتفاع الماء في الخزان حتى غمرها كلها فلا يضر بها ايضاً وعسى ان يكون ذلك مسكتاً لجلبة الجالبين

وحفظ تلك المباني الجميلة حسن لذاتهِ ومنهُ فائدة علمية وفائدة مالية ايضاً لانها من المرغبات للسياح في زيارة القطر المصري · ولكن هل تلك الفائدة العلمية وهذه الفائدة المالية تعادلان ما أُنفق على تقوية تلك المباني لحفظها؟ هذه مسألة فيها نظر ولو كانت مصر في ثروة انكلترا وعزتها لهان عليها ان تنفق مئة الف جنيه على حفظ اثر من آثارها اما وهي عاجزة من بناء مدرسة جامعة فالانفاق من غير تقدير ليس من شأنها · وكان الواجب على العلماء والقصَّاصين الذين يتمتعون بالآثار المصرية ويبنون عليها مقالاتهم وقصصهم ان يقوموا بالنفقات اللازمة لحفظها لا ان يلقوا عبئها كلهُ على الفلاح المصري المسكين

وفي هذا التقرير ٣٢ صفحة كبيرة جامعة خلاصة المباحث التي ثبت منها ان غمر تلك الهياكل بالماء لم يضر بها وثلاث صور بديعة تمثل الهياكل كما ترى من الجنوب الشرقي والخزان مملوء وتمثل هيكل تراجنس والرواق الشرقي · واحد عشر رسماً كبيرًا للجزيرة والمباني التي فيها والى اي حد يصل الماء الآن وقتما يملأ الخزان والى اي حد يصل بعد ما يعلَّى ·

و يظهر من هذا التقرير باوضح بيان ان الاعمال التي عملت لتقوية تلك المباني ونزع الاتربة الشيخة من حولها وغمر الماء لها سنة بعد سنة قد زادتها متانة. ولكننا لا ندري ما الفائدة الآن من حفظها بعد ان استقصي كل ما يمكن ان يعرف من امرها ووضع في بطون الكتب والصور. اما من امة غنية تريد ان يكون فيها اثر مثل هذا فتبتاعهُ منا وتنقلهُ الى بلادها فتحفظهُ لاهل التاريخ وتكفينا مؤُونتهُ واجرها على الله

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) عثمان الحويرث

مصر. داود بك عمون. ذكرتم في تقريظكم كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ان هرقل ولَّى عثمان على مكة بعد ان تنصَّر وذلك سنة ٦١٠ للميلاد اي قبل الهجرة باثنتي عشرة سنة وقلتم انهُ ان كان هذا الخبر صحيحاً فلهُ شأن كبير في تاريخ العرب. فمن هو عثمان هذا ومن ذكر خبر توليتهِ على مكة

ج هو عثمان الحويرث وقد ذكرهُ الدكتور كول في تاريخ محمد والاسلام المطبوع سنة ١٨٨٩ وقال ان هرقل اعطاهُ كتاباً الى قريش يحثهم فيهِ على طاعتهِ فاستعمل عثمان اللين والتؤدة لكي يقبلهُ اهالي مكة والياً عليهم والاَّ فهرقل يصادر تجارتهم فقبلوهُ اولاً ثم خرجوا عليهِ بتحريض ابن عمهِ ابي حمزة فعاد الى هرقل واخبرهُ بما حدث فبعث هرقل الى عمرو حاكم اليمن ليسجن كل تاجر يأتيهِ من مكة و يشير عليهِ عثمان بسجنهِ. وقد اشار ابن اسحق الى ذهاب عثمان هذا الى هرقل وصيرورتهِ مسيحياً وبلوغهِ مرتبة عالية عندهُ

(٢) علاج الزهري

منتريال بكندا. الخواجه جرجس حنا جبور....

ج عرضنا سؤالكم على الدكتور امين ابي خاطر فاجاب انهُ يظهر من وصف الحادثة ان المريض مصاب بالزهري بدليل فائدة الزيبق بعد خيبة بقية الادوية. واما مراجعة

الاعراض فلأن المريض لم يستعمل العلاج الخصوصي (النوعي) اسي الزيبق المدة الكافية للشفاء. وكثيرًا ما يشفى المصاب بحسب الظاهر في وقت قريب ولكنهُ لم يشفَ بالحقيقة بل تحسنت اعراضهُ وبقي المرض كامنًا في جسمهِ فتعود الاعراض الى الظهور بعد مدة طالت او قصرت. وقد اجمع العلماء الاختصاصيون على وجوب استعمال العلاج مدة ثلاث سنوات وبعضهم يقول ست سنوات يتخللها فترات راحة اي انقطاع عن الدواء فيؤمن رجوع المرض وشر عواقبهِ وتحفظ صحة النسل واما طريقة المداواة فلا حاجة لبيانها هنا اذ لا بدَّ من مراقبة الطبيب للحكم بتنويع العلاج واوقات الفترات ومداواة التلعب الذي يحصل بعد استعمال الزيبق. واما اولاد المصاب فقد لا يصل الداء اليهم بالوراثة ولا بالعدوى

(٢) الوراثة الادبية

مصر. علي افندي شمس الدين. ما قولكم في مسألة الوراثة الادبيَّة وهي ان يرث الطفل اخلاقًا طيبة او رديئة من احد ابويهِ او منهما كليهما فقد دارت المناقشة بيني وبين احد اصدقائي في هذا الموضوع فاحدنا يقول انهُ اذا كان الاب كذابًا فلا بد وان يكون اولادهُ كذابين ولو فصلوا عنهُ منذ نعومة اظفارهم ونشأوا في وسط يكره الكذب. ويقول الآخر انهُ اذا كان الاب كذابًا واتفق ان جاء ابنهُ كذابًا ايضًا فيكون ذلك لانهُ ربي عند والدهِ الكذاب منذ صغرهِ فتعلَّم الكذب منهُ وشبَّ عليهِ لا لانهُ ورث الكذب منهُ وراثة وقد جئنا نستفتي المقتطف في ذلك

ج اذا كان الخلق الادبي متمكنًا في احد الوالدين او فيهما كليهما اي ظهر فيهما وفي اسلافهما اجيالاً متوالية ترجع ظهورهُ في نسلهما ايضًا بالوراثة ولكنهُ اذا كان عارضًا غير متمكن فقد يظهر في النسل وقد لا يظهر مثال ذلك الميل الى الكذب فالامَّة التي تربت تربية دينية تحرّم الكذب واستمرَّت على ذلك قرنين او ثلاثة ترى الميل الى الكذب قليلاً في ابنائها. والامَّة التي تربت تربية لا تحرم الكذب بل تلجأ اليهِ عادةً لدفع الاذى ترى الميل الى الكذب كثيرًا في ابنائها وهم يأتونهُ عفوًا ولا يستحيون من ارتكابهِ. فاذا وجدت امَّة لا تكذب وعرضت لها عوارض اجتماعية تدعوها الى استخدام الحيلة والكذب لجلب النفع او لدفع الضر واستمرَّت تلك العوارض سنة بعد سنة وقرنًا بعد قرن استمرَّ ابناؤُها على ممارسة الكذب والتفنن فيهِ فتتكوَّن في ادمغتهم مراكز او دقائق خاصة بهِ وتصير تنتقل بالوراثة كما تنتقل بعض الصفات النوعية مثل سمرة الوجه وسواد الشعر ثم اذا زالت تلك العوارض الاجتماعية وعرضت عوارض غيرها تدعو الى الصدق في القول وابطال الكذب كأَن تديَّنت تلك الامَّة بدين يحرم الكذب مطلقًا

اوحكمتها حكومة تعاقب الكذاب عقاباً صارماً فان ابناءها يبطلون هذه العادة فتضعف دقائق الدماغ المتسلطة عليها رويداً رويداً وينتقل ضعفها بالوراثة ويزيد من عقب الى آخر الى ان يعود الصدق ملكة في النفس بدل الكذب. ولا يخفى ان الصفات الموروثة قد تتخطى نسلين او ثلاثة ثم تظهر في النسل الثالث او الرابع وان الولد يرث من والديهِ معاً وقد يرث من ابيهِ صفةً تقاوم صفةً يرثها من امهِ فتبطل الواحدة منها الاخرى كما يرث من امهِ صفة توافق الصفة التي يرثها من ابيهِ فتقويها وتأتي التربية بعد ذلك فتقوي الصفات الموروثة او تضعفها ولذلك يتعذر بت الحكم في ما تكون عليهِ اخلاق الولد. وما قلناهُ سابقاً هو المرجح

(٤) وسائل السمن والنحافة

مصر. م. ك. الخادم: ما احسن دواء يجمل الانسان واحسن وسيلة للسمن واحسن وسيلة للنحافة

ج ان افضل المحسنات الطبيعية الصحة الجيدة فكل ما يجيد الصحة كالاعتدال في الاكل والشرب والعمل والراحة والرياضة يحسّن المنظر واذا كان في الوجه عيب فقد لا تتعذر ازالتهُ بواسطة عملية جراحية كنزع الشعر الزائد ومساواة الانف وما اشبه. واذا كان العيب في القامة سهلت ازالتهُ ايضاً بالتعود على انتصاب القامة. والاكثار من اكل الاطعمة الدهنية والنشوية والسكرية يزيد السمن بشرط ان لا يبلغ حد الضرر. والاقلال من اكلها ومن الطعام مطلقاً يدعو الى النحافة. ويجب ان يتدرج الانسان في الاكثار من الطعام او الاقلال منهُ تدرجاً لا ان يفعل ذلك دفعة واحدة

وسنجيب على بقية المسائل في الجزء التالي

باب الاخبار العلمية

مجلس المبعوثان

فتح مجلس المبعوثان اي مجلس النواب العثماني في السابع عشر من شهر دسمبر فتحهُ جلالة السلطان بنفسهِ ومعهُ انجالهُ الخمسة وتلي النطق الهمايوني وهذه ترجمتهُ

اعيان مبعوثان

منحت رعيتي القانون الاساسي حينما استويت على العرش ثم اوقفت العمل بهذا القانون بناء على ما عرضهُ علينا رجال الدولة في ذلك العهد لما لقوهُ من المصاعب في انفاذهِ وذلك الى ان يرتقي افراد رعيتنا في العلوم

والمعارف . فتوقف انفاذ مواده وتأجل اجتماعهُ الى زمن آخر

ومن ذلك الحين وقفت قواي على ترقية الرعية في المعارف في جميع انحاء السلطنة وقد بلغنا والحمد لله الغاية الآن . وبفضل انتشار المعارف ارتقت مدارك الرعية وبناء على الرغبة التي عرضت علينا في اعادة انفاذ هذا القانون لم نتأخر عن اعلان الدستور رغماً عن اعتراض بعض الذين عارضوا في ذلك . وذلك لان هذه الرغبة تضمن سعادة البلاد في الحال وفي الاستقبال . فامرنا باعادة الانتخاب وجمعنا مجلس المبعوثان مرة ثانية ولما تغير نوع الحكم الاداري عهدنا في زمام الادارة الى الصدر الاعظم كامل باشا . ولكن بينما كانت الوزارة المؤلفة برئاستهِ تشتغل بتنظيم الامور على النظام الدستوري الجديد نقض امير البلغار ووالي الروم ايلي حقوق التابعية لسبب من الاسباب واعلن استقلال بلغاريا واعلنت حكومة النمسا والمجر على اثر ذلك ضم ولايتي البوسنه والهرسك اللتين عهدت اليها ادارتهما موقتاً بموجب معاهدة مؤتمر برلين وابلغت ذلك الى الباب العالي والدول . وقد احدثت لي هاتان الحادثتان اللتان خرقتا معاهدة برلين ومستا علاقاتنا الدولية اسفاً شديداً

ولما خرقت هذه المعاهدات عهدنا الى وزارتنا في اجراء ما يجب دفاعاً عن حقوق سلطنتنا ونحن نطلب من مجلس المبعوثان ان يساعدنا في ذلك ولما كانت صلاتنا الودية مع جميع الدول حسنة بتنا نؤمل ان هذه الدول تساعدنا على حل هذه المشكلات ونحن نرغب من صميم القلب في اصلاح المالية وتنظيم الميزانية وزيادة رفاه الرعية . وزيادة عدد المدارس لانارة الاذهان ونشر المعارف واتمام ارتقاء نظام الجندية والبحرية واصلاح الدوائر المختلفة التي وضعت لها بعض النظامات . وستعرض هذه النظامات على المجلس ومجلس الاعيان للمصادقة عليها وأملنا وطيد ان النواب يبذلون غاية جهدهم في هذا العمل . فنحن نعلن اليوم افتتاح مجلس المبعوثان ورغبتنا الوحيدة هي سعادة الامة ورفاهها وغايتنا الكبرى هي ان ندير البلاد بحسب القانون الاساسي . بل هذا هو اقصى ما نودهُ (تصفيق على مقاعد كثيرة خصوصاً في لوج الصحافيين) فنسأل الله ان يوفق مجلس المبعوثان الى خدمة البلاد

وبعد تلاوة النطق والدعاء للسلطان التفت جلالتهُ الى الاعضاء وقال لهم بصوت ضعيف اني مسرور جدًّا بوجودكم في هذا المكان اليوم واسأل الله ان يوفقكم الى خدمة سلطنتي السنية وادعو لكم من صميم فؤادي . ثم سلم على الاعضاء وخرج وسنأتي على تفصيل ذلك في الجزء التالي وعلى جواب مجلس المبعوثان على النطق السلطاني

الجامعة المصرية

احتفل بافتتاح المدرسة الجامعة المصرية في الحادي والعشرين من شهر دسمبر افتتحها الجناب الخديوي وقرأ البرنس احمد باشا فؤاد رئيس مجلس الادارة خطبة بالنيابة عن الجامعة قال فيها

مولاي

انقدم اليك بلسان الجامعة رافعاً لاعتابك آيات الشكران لانك مصدر حياتها ووجودها

ونحن لا نجهل ان هذا العمل الكبير ستطرأ عليهِ تغيرات كثيرة قبل ان يأخذ شكلهُ النهائي . ولكننا لم ندخر وسعاً في تثبيت قواعدهِ ليكون البناء الآتي قائماً على اساس مكين وافياً بما تدعو اليهِ الحاجة في مستقبل الايام

ولقدجاء اليوم الذي تقضي فيهِ الضرورة على الشبيبة المصريةَّ بورود مناهل التربية العملية المحضة في نفس القاهرة دون ان تتغرب في ربوع العلم التي نالت بفضلهِ مكانة عالية في العمران

وانني ابتهل اليهِ تعالى ان يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العلم عموماً ولشبيبتنا المصرية خصوصاً . اذ اننا لم نقدم على هذا العمل الجسيم ولم نسهر الليالي بسببهِ الا لترقية هذه الشبيبة التي لا يكفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد بل نرى انهُ يحتم عليها ايضاً ان تتحلى بفضيلتي الصبر والاستمرار لانهما سر النجاح . ولا ريب عندنا في انها ستكتسب هاتين الخلتين الحميدتين لتكون جديرة بتحقيق الآمال التي وضعها فيها مجلس ادارة الجامعة والامة بامرها

وفي هذا اليوم المشهود ويمن طالعك السعيد انقدم يامولاي بين يديك الكريمتين راجياً منك ان تتكرم بافتتاح الجامعة المصرية

وقرأ الجناب الخديوي جواباً عليها وهذا نصهُ

لقد حاز مشروع الجامعة المصرية لديَّ ارتياحاً عظيماً منذ توجهت اليهِ الافكار

ولذلك فانني ارحب اليوم بظهورهِ في عالم الوجود اذ جاءت الجامعة في اوانها مكملة ومتوجة لنظام التعليم الذي وضع اساسهُ جدي المجيد محمد علي وقوى اركانهُ اسلافي الكرام

فاشكركم وجميع الذين عاونوكم بعلمهم وعملهم ومالهم على تحلية وطننا العزيز بهذا المعهد العلمي الجليل الذي اتمنى لهُ كل النجاح

واوكد لكم انني مع حكومتي السنية سنواليهِ بالعناية والرعاية ولي امل وطيد في ان اغنياء القطر وفضلاءهُ يستمرون على التنافس في امدادهِ بمعونتهم حتى تبلغ الامة غايتها منهُ ان شاء الله

وانني اشاركم يا دولة الرئيس في تلك النصائح الحكيمة التي القيتموها على الشبيبة المصرية وانا على يقين بانها ستواظب على

العمل بما يضمن لها استحقاق ثقتي وثقة البلاد

فباسم الفتاح العليم اعلن افتتاح الجامعة المصرية واسأله تعالى ان يجعلها منهلاً عذباً لطلاب العلم والعرفان على اختلاف الاجناس والاديان

ثم وقف سعادة عبد الخالق باشا ثروت احد اعضاء مجلس ادارة الجامعة وقرأ خطبة عربية وتلاهُ حضرة احمد زكي بك سكرتير مجلس الادارة وخطب بالعربية وقام بعدهُ المسيو بوفيله استاذ الآداب الفرنسوية في الجامعة وتلا خطبة فرنسوية وسنأتي على هذه الخطب في الجزء التالي

الورق من عيدان الذرة

اهتم كيماويو الحكومة الاميركية بعمل الورق من عيدان الذرة اي الاصول التي تحرق في القطر المصري فاكتشفوا طريقة لعملهِ منها وصنعوا خمسة اشكال من الورق احدها رمادي اللون متين كالرق والثاني رمادي ايضاً ولكنهُ اشد بياضاً من الاول والثالث والرابع ضاربان الى الصفرة والخامس ابيض ناصع البياض . والاربعة الاولى تصنع من المادة المشة التي داخل العيدان والخامس من المادة الصلبة الظاهرة منها . والنوعان الضاربان الى الصفرة يشبهان الورق المصنوع من خرق القطن والكتان

وطريقة عمل الورق من عيدان الذرة مبنيَّة على اغلاء العيدان في الصودا من ساعتين الى ساعتين ونصف ويقال ان الورق المصنوع من الذرة لا يكلف الآن اكثر من الورق المصنوع من الخشب ومتى اتقنت الآلات المعدة لعملهِ يصير ارخص من ورق الخشب بخمسين في المئة

وكل انواع الذرة تصلح عيدانها لعمل الورق . فاذا امكن الاستغناء عن حرق عيدان الذرة وقوداً في القطر المصري لم يبقَ ما يمنع عمل الورق فيها . نعم ان مقطوعية الورق غير كثيرة حتى الآن في القطر المصري ولكنها آخذة في الازدياد عاماً بعد عام . ولقد كانت معامل ورق البردي كثيرة في هذا القطر وكان يصدر الورق منها الى اوربا حينما لم يكن في اوربا معمل واحد من معامل الورق فهل يدور دولاب الدهر وتعود معامل الورق اليهِ ويصير الورق يصدر منهُ الى البلدان الاخرى

اكبر الكراكات

اكبر الكراكات او الجرافات كراكة وضعت في مرفإِ المرسي Mersey ببلاد الانكليز طولها ٤٨٧ قدماً وعرضها ٦٩ قدماً وعمقها ٣٠ قدماً وفيها طلمبات تجرف من الارض عشرة آلاف طن من الرمل في خمسين دقيقة من عمق سبعين قدماً وتحمل هذا الرمل وتسير بهِ الى البحر لتلقيهُ فيهِ وسرعة سيرها

عشرة اميال بحرية في الساعة

مخاطبة البلون بالتلغراف

ثبت انهُ يمكن مخاطبة البلون وهو في اعالي الجو بالتلغراف الذي لاسلاك لهُ

الخطب الزراعية

ارسلت مصلحة سكة الحديد في بنسلفانيا باميركا قطرًا يطوف في شرقي بنسلفانيا وفيهِ بعض علماء الزراعة ليلقوا خطباً في المواضيع الزراعية على الفلاحين في اثنتين وعشرين محطة ومدة الخطبة ٤٥ دقيقة والخطب في مواضيع زراعية مختلفة مما يتعلق بوسائل الخصب وتربية المواشي والاعتناء بالمزروعات وما اشبه

المصل الواقي من الطاعون

ذكرنا غير مرة ان الدكتور هفكن اكتشف مصلاً يقي من الطاعون و يشفي منهُ واستعملهُ في بلاد الهند وقد شاع استعمال هذا المصل الآن في كل البلدان الشرقية . وهو ميكروبات الطاعون نفسها تستنبت في لحم المعزى او دقيق الحنطة الذي اضيف اليهِ مقدار معلوم من الحامض الهيدروكلوريك ثم من الصودا الكاوي و يعقم بعد ان ينمو و يمات ويحقن بهِ تحت الجلد بين الكتف والمرفق وتدخل ابرة الحقنة افقية تحت سطح الجلد حتى لا تصل الى الاوعية الدموية الكبيرة ولا تخرق العضلات

و يعقب الحقن حمى تدوم ٢٤ ساعة الى ٣٦ ساعة والم محل الحقنة يدوم ثلاثة ايام او اربعة ومقدار الحقنة من خمس السنتمتر المكعب للطفل او اربعة سنتمترات مكعبة للبالغ

وهذا المصل يقلل الوفيات بالطاعون جدًّا فقد اصيب في البنجاب ببلاد الهند ٤٩٧٢٣ من ٦٣٩٦٣٠ نفساً ومات منهم ٢٩٧٢٣ اي اكثر من ستين في المئة من المصابين . وفي تلك الجهة نفسها كان ١٨٦٧٩٧ نفساً قد طعموا بهذا المصل فطعن منهم ٣٣٩٩ نفساً فقط ولم يمت من هؤلاء بالطاعون سوى ٨١٤ اي اقل من ٢٤ في المئة من المطعونين وكانت فائدة المصل في اماكن اخرى اعظم من فائدتهِ هناك حتى لم تبقَ شبهة عند اولياء الامور في فائدتهِ . اما طريقة استحضار المصل فصعبة جدًّا وتقتضي تدقيقاً كثيرًا

الاكسجين في جو السيارات

يعلم الذين قرأُوا شيئاً من السبكترسكوب انهُ يرى بهِ في طيف الشمس خطوط سوداء سببها امتصاص اكسجين الهواء لبعض اشعة النور الآتي من الشمس . وهذه الخطوط يكون اكثرها في اللون الاحمر وما تحتهُ من الوان الطيف ولم تكن تظهر في انوار السيارات البعيدة لضعف اللون الاحمر في

نورها لكن الاستاذ لول صنع الواحاً للتصوير الشمسي شديدة التأثر من النور ولو كان ظفيفاً جدًّا وصوَّر بها طيف السيارات فظهرت الخطوط الدالة على وجود الاكسجين في جوها وهو فيهِ اكثر منهُ في جو القمر ولذلك فجو تلك السيارات لا يخلو من الاكسجين وهناك ادلة على انهُ لا يخلو من الهيدروجين وعلى ان فيهِ بخارًا مائيًّا وهو كثير فيهِ بسبب حموها اي ان سطحها اسخن من سطح الارض كأنها لا تزال حامية كما كانت الارض في سالف عهدها ويحيط بها غلالة اكثرها بخار مائي

قياس بعد المراكب بالكهربائية

استنبطت طريقة لقياس بعد المراكب وتعيين مواقعها بالكهربائية وذلك ان توضع في كل مركب ساعة فيها عقرب يتحرك بواسطة الكهربائية التي تأتيهِ عن بُعْد من غير سلك ويوضع فيهِ مدفع يحرك الآلة الكهربائية حالما يطلق فاذا وقع مركب في ضيق واطلق مدفعاً فحالما يطلق المدفع يدير الآلة الكهربائية التي فيهِ فتؤثر كهربائيتها بالآلات الكهربائية التي في المراكب الاخرى حالاً ثم يسمع الذين في تلك المراكب صوت المدفع بعد اطلاقهِ بمدة تطول او تقصر حسب بعد المركب لان الصوت يقطع مسافة معلومة كل دقيقة فيرى الفرق في الساعة التي تُحرك بالكهربائية بين ابتداء حركتها وسماع صوت المدفع فان كان عشرين ثانية من الزمان فبعد المركب نحو اثنين وعشرين الف قدم. واذا سمع الصوت مركبان في جهتين مختلفتين امكنهما ان يعرفا موقع المركب الذي اطلق المدفع بالضبط التام

الخسارة من مياه القاهرة

حسب بعضهم مقدار الخسارة التي يخسرها سكان مدينة لندن بسبب الدخان الذي يصعد من مداخنها فوجد انهُ يساوي اربعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات ومن ذلك نحو ثلاثة ملايين تذهب في غسل الثياب وتلفها من الدخان الذي تتسخ بهِ. ونحن في عاصمة الديار المصرية لا نشكو من الدخان ولكننا نشكو الآن من الماء الذي يدبغ الثياب ولا يرغي فيهِ الصابون والمرجح اننا نضطر الآن ان نستعمل خمسين في المئة من الصابون زيادة عما كنا نستعملهُ حينما كان الماء من النيل مباشرةً. فاذا كان في العاصمة ١٦٠ الف بيت واستعمل كل بيت اثنتي عشرة اقة من الصابون في السنة زيادة عما كان يستعملهُ قبلاً فالخسارة على العاصمة تبلغ ثمانين الف جنيه في السنة وهي خسارة كبيرة جدًّا فليكن الالتفات اليها من اول اعمال المجلس البلدي الذي يراد انشاؤهُ في العاصمة

عيد حديقة الاخبار

نشرنا في هذا الجزء تتمة ترجمة المأسوف عليهِ خليل الخوري منشىء اول جريدة عربيَّة في ديار الشام وهي حديقة الاخبار وقد جاء هناك انهُ كان في النيَّة الاحتفال بمضي خمسين سنة منذ انشائها. ثم جاءنا من بيروت ان الاحتفال المشار اليهِ تمَّ في الثالث عشر من دسمبر . قال المكاتب كان في النيَّة الاحتفال بيوبيلها الذهبي لو لا ما طرأ على صاحبها من الاعتلال الذي اودى بحياتهِ فكان ذلك سبب احتجابها عن القراء الى ان منح الدستور فعزم شقيقا الفقيد حنا افندي ووديع افندي على اصدارها يوم فتح مجلس المبعوثان واحتفلا بيوبيلها الذهبي قبيل ذلك وعينا يوم الاحد في ١٣ دسمبر موعداً للاحتفال في دارها وحضر الاحتفال صاحب الدولة ناظم باشا والي سورية وخطب فيهِ خطبة تركية هذا تعريبها

انني اشعر في هذه الدقيقة بالتأثر من وجهين . الاول شعائر الاسف على هذه الخسارة الادبيَّة الابديَّة التي قلما تعوض . فان ذكرى خليل افندي الخوري الاديب الشهير لا تمحى من الاذهان

والثاني هو تأثير السرور لاحتفالنا بمضي الخمسين سنة على جريدتهِ حديقة الاخبار وكيف لا نسر وهو اول من انشأ جريدة عربيَّة في سوريا والثانية في اللغة العربيَّة . ولا مندوحة لي الآن ان اقرن سروري الى بيان شكري

فان هذا النابغة في الفضل والعرفان قد اظهر من ترقي المطبوعات والافكار بين قراء العربيَّة اثرًا يجب ان يحمد عليهِ على الدوام من جميع العثمانيين

وقد كان على فضلهِ سليم الطبع لبيباً ذا حصافة سياسية تدعو الى الاعجاب بهِ من كل من عرفهُ

اما الخدم التي اداها للحكومة والدولة وخصوصاً لاسلافي ولاة سوريا فهي معروفة لديكم جميعاً واني قد عاشرت وسامرت تلك الحية المجسمة مدة تسع سنوات فكانت من لذيذ ايامي

وكنت اعجب طورًا بمكارم اخلاقهِ وتارة بسمو مداركهِ واني لمفتخر بحضوري هذا الاحتفال الذي اعدهُ احتفالاً للمطبوعات السورية . واهدي روحهُ سلامي

الحرير الصناعي

لا يخفى ان القطن الجيد كالقطن المصري توضع خيوطهُ في الصودا الكاوي وتمط فتصير لامعة كالحرير لكن لمعانها لا يكون شديدًا كلمعان الحرير . وقد تمكن الصناع الآن من تلبيسها مادة حريرية فتصير مثل الحرير في لمعانها ومتانتها وتكون امتن من الحرير الصناعي

القوة المائية والكهربائية

تقدَّر القوة المائية التي في بلاد سويسرا بمليون حصان ويمكن تحويل ثلثيها الى قوة كهربائية واستخدامها وستكون من اكبر المسهلات لارتقاء الصناعة في سويسرا . ويظهر لنا ان القوة المائية في جبال لبنان وما حولها تبلغ الوفاً كثيرة من الاحصنة فان نبعاً واحداً مثل نبع صنين يعلو عن سطح البحر نحو الفي متر فيمكن استخدامهُ في مئة موقع ويكون ارتفاع الماء في كلٍّ منها نحو عشرين متراً فلا تقل قوتها كلها عن ثلاثين الف حصان وقس على ذلك نبع العسل ونبع اللبن ونبع الباروك ونبع الصفا ونبع قاديشا ونبوعاً اخرى من هذا القبيل فهي كنوز ثمينة تنتظر من يفتحها وينتفع بها

الماسة الكبرى

ذكرنا قبلاً ان الماسة الكبرى التي اهديت الى ملك الانكليز اعطيت للعمال ليقطعوها ويصقلوها وقد جاء في الجرائد الاخيرة انها قطعت فخرج منها تسعة حجارة كبيرة و ٩٦ حجراً صغيراً الاول منها ثقلهُ ٥١٦ قيراطاً ونصف قيراط . والثاني ثقلهُ ٣٠٩ قراريط وسدس قيراط وهذان الحجران اكبر حجارة الماس المعروفة فان الحجر المعروف بجبل النور لا يزيد وزنهُ على ١٠٣ قراريط . والثالث وزنهُ ٩٢ قيراطاً . والرابع وزنهُ ٦٢ قيراطاً . والخامس وزنهُ ١٨ قيراطاً و $\frac{3}{8}$ القيراط والسادس وزنهُ ١١ قيراطاً و $\frac{1}{2}$ قيراط . والسابع وزنهُ ٨ قراريط و $\frac{9}{32}$ من القيراط والثامن وزنهُ ٦ قراريط و $\frac{3}{8}$ القيراط والتاسع وزنهُ ٤ قراريط و $\frac{9}{32}$ من القيراط والستة والتسعون حجراً الصغيرة وزنها كلها ٧ قراريط و $\frac{3}{8}$ القيراط . وهذه الحجارة كلها شديدة اللمعان خالية من كل شائبة وهي بيضاء ضاربة الى الزرقة من اجمل حجارة الماس المعروفة . والعادة ان يكون في الحجر الكبير ٥٨ وجهاً لكن الحجرين الكبيرين من هذه الحجارة جعل للاول منهما ٧٤ وجهاً وللثاني ٦٦ وجهاً فزاد ذلك في اشراقهما

زلزلة ايطاليا

جاءت الانباء البرقية في اواخر دسمبر ان جزيرة صقلية وساحل ايطاليا المقابل لها اصيبا بزلزلة من اشد الزلازل عنفاً ويقال ان سبعين الفاً قتلوا بها في صقلية وثلاثين الفاً في كلبريا وقيل بل قتل فيهما مئتا الف وانقطعت الملاحة في بوغاز مسينا وفتحت الارض فاها وابتلعت جانباً من مدينة رجيو

لورد روص

نشأ لورد روص وابوهُ لورد روص الثالث الذي صنع اكبر نظارة من النظارات العاكسة

فرنجي في معهد العلم واشتغل بهِ واكرم رجالهُ وانفق عليهِ من ثروتهِ الواسعة وبقي منتظماً في خدمتهِ الى ان ادركتهُ الوفاة في التاسع والعشرين من شهر اغسطس الماضي وكان اكثر اشتغالهِ بعلم الفلك

نجاح الطيران

طار المستر ولبور ريت في ١٨ دسمبر خمسة وتسعين ميلاً قطعها في ساعة و ٥٤ دقيقة وكانت الخطة التي سار فيها قد عينت لهُ في شكل مثلث ووضعت فيها اعلام يراها وهو طائر فطارفيها تماماً. وقد تدرَّج الطيران من اواخر سبتمبر سنة ١٩٠٥ الى اواخر دسمبر سنة ١٩٠٨ فكان ١١ ميلاً في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٠٥ وبلغ ٤٥ ميلاً في ١٢ سبتمبر سنة ١٩٠٨ و ٩٥ ميلاً في ١٨ دسمبر واطول مسافة طارها المستر فارمن ٢٤ ميلاً واطول مسافة طارها المستر ريت ٩٥ ميلاً

مذنب مورهوس

بحث المسيو فلاميون الفلكي في صور هذا المذنب الفوتوغرافية فاستنتج منها ان الاثير كثيف وكثافتهُ غير متماثلة في كل اجزائهِ او ان الشمس تدفع منها مادة الى ما بين سياراتها وهذه المادة تعيق الابخرة التي يتكون منها ذنب المذنب. او ان في الفضاء اجساماً نيزكية منتشرة فيهِ وهي التي اثرت في ذنب هذا المذنب وكادت تفصلهُ عنهُ ورجح الفرض الثالث على غيرهِ ولعلَّ الفرض الثاني المبني على رأي ارهنيوس وجيه مثلهُ

خسوف القمر

سيخسف القمر خسوفاً تامًّا في ٣ يونيو سنة ١٩٠٩ ليلة ٤ يونيو ويبتدئ الخسوف نحو الساعة الثانية بعد نصف الليل وينتهي نحو الساعة الخامسة ويخسف خسوفاً آخر تامًّا في ٢٦ نوفمبر

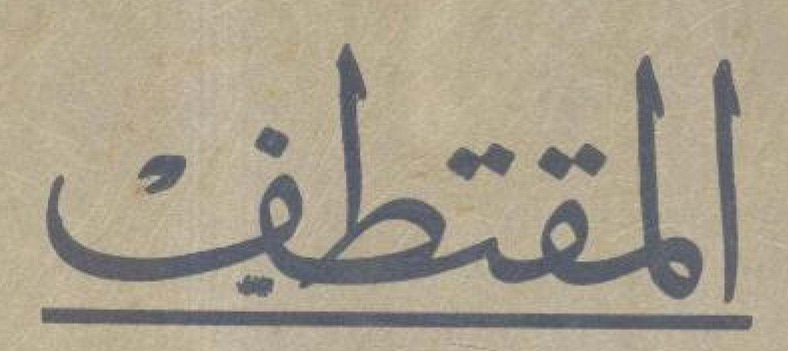
حلقة جديدة لزحل

اعلن الرصد في مرصد جنيفا انهم اكتشفوا حلقة اخرى لزحل تحيط بحلقتهِ المنيرة

قطع الحديد بالاكسجين

اذا أُحمي الحديد الى درجة البياض ومرَّ عليهِ مجرًى دقيق من الاكسجين تأكسد حيث يصيبهُ الاكسجين وذاب حالاً لان اكسيد الحديد اشد ذوباناً من الحديد نفسهِ وقد استنبطوا آلة تحمي الحديد وتلقي عليهِ مجرًى دقيقاً من الاكسجين فتقطعهُ او تخرقهُ حيث يقع الاكسجين عليهِ حتى ان اللوح الذي سمكهُ اكثر من نصف قدم وطولهُ اكثر من متر يُقطع بهذه الواسطة في عشر دقائق وسيكون لها شأن كبير في معامل الحديد والفولاذ

فهرس الجزء الاول من المجلد الرابع والثلاثين


المقتطف



المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩ — الموافق ٨ محرم سنة ١٣٢٧

زلزلة مسينا

يستدلُّ علماءِ طبقات الارض على ان اوربا كانت متصلة بافريقية ومحل الاتصال ايطاليا فصقلية فتونس . ثم تمزقت هذه الصلة بفعل بركاني وبقي منها طرف ايطاليا الجنوبي وجزيرة صقلية ورأس بونة في افريقية في الشمال الشرقي من تونس كما ترى في الرسم المقابل. وقد حدث هذا التمزق بانخساف الارض فان حرارة جوفها هناك دفعت بعض ما فيها من المواد فتكوَّن مكانها تجاويف كبيرة تقوَّضت سقوفها لشدة الضغط عليها فهبطت وعلاها الماء. وهذا الفعل البركاني لا يزال جارياً حتى الآن وهو سبب البراكين التي في ايطاليا وصقلية وسبب انتياب الزلازل لها

ومن اشهر زلازلها القديمة التي وصل الينا وصفها الزلزلة التي حدثت سنة ١٦٣٨ ووصفها الاب كرخر اليسوعي ونشرنا خلاصة وصفهِ لها منذ احدى وثلاثين سنة في المجلد الثالث من المقتطف قال :— "وفي الرابع والعشرين من اذار (مارس) نزلتُ من مرفإ مسينا في سفينة صغيرة قاصداً مدينة اوفاميا فوصلنا في ذلك اليوم الى راس بلورس حيث بقينا ثلاثة ايام لمضادة الريح لنا ولما مللنا الاقامة اخذنا نحاول السير وكان البحر هائجاً هيجاناً فوق المعتاد حتى وصلنا الى خليج خاربوس فرأيناهُ يدور دوراناً عنيفاً . ثم حانت مني التفاتة الى جبل اتنا فرأيتهُ يقذف دخاناً كثيفاً حجب الجزيرة عن عيوننا وسمعت لهُ دمدمة مهولة وشممت منهُ الروائح الكبريتية وكان الهواءُ ساكناً والجو نقياً فانذرتُ رفاقي بقدوم زلزلة شديدة فاسرعنا الى البر ونزلنا عند تربيا ولم نبلغ مدرسة اليسوعيين حتى صمَّت آذاننا بصوت كصوت مركبات كثيرة تزدحم بعنف شديد على اراضٍ محجرة ثم تلاهُ زلزال شديد جداً فمادت

بنا الارض حتى لم اتمالك الوقوف فسقطتُ غائباً عن الصواب ولما عدتُ الى نفسي كانت الارض لم تزل تهتز فهرولت طالباً الفرار حتى اتيت الشاطئ فوجدت السفينة التي كنت فيها فركبتها وسرنا الى روشنا حيث قصدتُ منزل المسافرين الاَّ اني رأيتهُ قد اوشك على السقوط فانقلبت الى السفينة وبعد نصف ساعة التفتُّ اليهِ فاذا بهِ قد دُكَّ الى اسسهِ هو واكثر ابنية المدينة معهُ فاقلعنا من هناك واتينا الى لويزيوم على منتصف الطريق بين تربيا واوفاميا وكنت كيفما وجهت نظري ارى خراباً تقشعرُّ منهُ الابدان وبينما انا اعتبر تلك العبر اذا بزلزلة اقبلت علينا وتعاظمت حتى صار البر يضطرب كاضطراب البحر فلبثنا ريثما هدأ قليلاً ثم هرعنا الى السفينة طالبين الهرب والتفتنا الى المدينة فاذا بسحابة مدلهمة قد اكتنفتها ولما انقشعت لم نرَ لها عيناً ولا اثرًا فابتلعتها الارض بمن فيها وغادرت مكانها بحيرة كدرة" انتهى

واصابت صقلية زلزلة اخرى عنيفة سنة ١٦٩٣ فخربت اربعاً وخمسين مدينة منها عدا القرى والضياع وفي جملتها مدينة قطانيا قصبة ملوك الجزيرة . قال الاب سروقينا انهُ رأى سحابةً كبيرة اكتنفت المدينة وجبل اتنا يقذف النيران بغزارة والبحر هائجاً هياجاً شديداً والطيور والحيوانات مذعورة والارض تهتز بعنف شديد وبينما هو ينظر الى ذلك مدهوشاً اذا بصوت كالرعد القاصف فاندكَّت مدينة قطانيا الى الارض وكان فيها ١٨٩٠٠ نفس فلم ينجُ منهم سوى ٩٠٠ . وقتل في صقلية كلها بهذه الزلزلة ٩٣٠٠٠ نفس . ولكن لم يذكر المؤرخون ان تلك البلاد اصيبت بزلزلة قتلت من اهلها قدر ما قتلت الزلزلة التي حدثت في اواخر دسمبر الماضي نعم انهُ حدثت زلازل في بلدان أُخرى قتلت نحو ذلك من السكان كزلزلة انطاكية التي حدثت سنة ٥٢٦ م وقتلت نحو مئتين وخمسين الفاً من اهلها وزلزلة سنة ٨٩٣ التي قتلت نحو ١٨٠٠٠٠ من اهالي الهند وزلزلة سنة ١١٣٨ التي قتلت نحو مئة الف نفس من اهالي ايران وزلزلة سنة ١٧٠٣ التي قتلت نحو ٢٠٠٠٠٠ من اهالي يدو عاصمة اليابان ولكن كلابريا وصقلية لم تصابا بزلزلة فتاكة مثل هذه على كثرة انتياب الزلازل لهما

وقد شملت هذه الزلزلة كل البلاد بين مدينة بزُّو غربي الجانب الضيق من كلابريا الى مدينة رجيو في جنوبيها مسافة خمسين ميلاً واصابت في طريقها من المدن منتليوني وبالمي وبغنارا وخربت من مدن صقلية مدينة مسينا وغزي واصابت مدناً اخرى باضرار جسيمة مما يدل على انهُ لم يكن لها مركز واحد بل مراكز متعددة كأنَّ الانخساف الذي حدث قرب مسينا اثر في كل الاماكن الضعيفة من قشرة الارض المجاورة فانخسفت معهُ . وقد كان الانخساف كبيرًا جدًّا فاهتزت لهُ قشرة الارض كلها وماج بهِ البحر موجة هائلة بلغ ارتفاعها

ثلاثين قدماً طغت على ساحلي مضيق مسينا وجرفت ما عليهما ووصل فعلها الى جزيرة مالطة .
قال قبطان السفينة هوبول وكانت مارّة في ذلك المضيق ان سفينته علت في الجو كأنّ لغماً نُسف تحتها ثم مرّت موجة كبيرة بلغت سطح السفينة

وقال ضابط من ضباط سفينة الطربيد سافو وكانت آتية مسينا بالخبز للجنود انهُ رأى ماء البحر يرتفع بغتة الساعة الخامسة والدقيقة ٢٠ صباحاً فاهتزّت بهِ السفينة وكل السفن التي في المرفإ واندفع الماء في موجة كبيرة الى رصيف المرفا وكسر اكثر السفن التي فيهِ ولم يكن الاّ دقيقة حتى انتشرت الكسر على وجه الماء وانتشر معها شحن السفن وصناديق زيت البترول والاثمار وغطّت مدينة مسينا سحابة كثيفة من الغبار . ثم اتضح بعد ذلك ان اكثر المدينة صار كوماً من الانقاض وارتفت منها السنة النيران وركام الدخان

وقال قبطان جوّالة روسية كانت هناك ان الهزّة الكبرى دامت ٣٧ ثانية وتبعتها اربع موجات واستمرّت الهزّات الصغيرة بعد ذلك . ووصلت الموجة الكبرى الى مدينة رجيو وعلت فيها عشرة امتار فوق سطح البحر فامتلأت بها الطبقة السفلى من البيوت التي قرب البحر وتخربت كل محطات سكة الحديد وكان رجل في قارب ذاهباً من مسينا الى رجيو فرأى القارب قد غاص بهِ الى قاع البحر ثم ارتفع اثنتين وثلاثين قدماً وقذفتهُ الموجة الى البر وكسّرتهُ تكسيراً

وقال واحد من الذين كانوا في مسينا انهُ رأى الارض تقذف بالحجارة الى ابعاد شاسعة

وقال كل الذين نجوا من الموت انهم سمعوا اصواتاً كالزئير من جوف الارض حال حدوث الهزّة الاولى ودامت هذه الاصوات مدة الهزات التالية

ونجا الاستاذ رزو مدير مرصد مسينا وقال انهُ لم يكن فعل موجة البحر شديداً في مسينا كما كان في رجيو لان البحر ماج من جهة صقلية الى جهة كلبريا وان الارض خسفت قرب المجلس البلدي نحو عشرة امتار

وتقدّم هذه الزلزلة مطر غزير وقع في السابع والعشرين من دسمبر واشتدّ وقوعهُ في الليل وفي الساعة الخامسة والدقيقة ١٥ من صباح الثامن والعشرين شعر اهالي مسينا بثلاث هزات ووقع مطر قليل في النهار ولكن كثر وقوعهُ في الليل التالي واشتد عصف الريح . وكان البرد شديداً في شمالي روسيا فزال حالاً بعد الزلزلة

والظاهر ان فعل الزلزلة كان في رجيو اشد منهُ في مسينا تخربت بها المدينة وتشققت ارضها ولم تبقَ قرية قائمة من القرى المجاورة لها على شاطىء البحر . وكان اكثر فعل الزلزلة في الاماكن المنخفضة في رجيو ومسينا اما الاماكن المرتفعة فبقي بعض مبانيها قائماً وكذلك

البيوت القليلة الارتفاع قاومت فعل الزلزلة اكثر من غيرها وسيعتمد على مثلها اذا جدد بناه المدينة

وهذه الزلزلة ليست من اقوى الزلازل وان كانت من اشدها فتكاً بالنفوس فاذاحدثت زلزلة اقوى منها في صحراء افريقية او سهول سيبيريا او في عرض البحر الواسع فقد لا يُقتَل بها احد ولا يشعر بها الاَّ آلات رصد الزلازل واذا حدثت زلزلة اضعف منها في مدينة مزدحمة بالسكان كلندن او باريس او نيويورك فقد يقتل بها اكثر ممَّا قتل في مسينا ورجيو وما جاورهما من المدن والقرى

وقد ظهر بالمراقبة منذ عشر سنوات الى الآن ان الزلازل تكثر في عشر بقاع من بقاع الارض البقعة الاولى تشمل بلاد يابان وما جاورها شرقاً والثانية جزائر الهند الشرقية وما يجاورها من استراليا وملقا والثالثة الجهات الجنوبية من زيلندا الجديدة والرابعة الطرف الجنوبي من الهند الى شرقي جزيرة مدغسكر والخامسة تمتد من غربي الصين شرقاً الى سويسرا غرباً ومن اواسط روسيا شمالاً الى خليج العجم جنوباً فتشمل بلاد ايران وبلاد الدولة العلية الى حد مصر وما حول البحر الاسود وبحر قزبين وبلاد اليونان وايطاليا والنمسا . والسادسة تشمل جزائر ازورس وما حولها والسابعة بين زيلندا ونروج . والثامنة في الاوقيانوس الاتلنتيكي شرقي الولايات المتحدة والتاسعة بين اميركا الشمالية والجنوبية . والعاشرة في غربي اميركا الجنوبية . والحادية عشرة في غربي بلاد المكسيك والولايات المتحدة . والثانية عشرة في غربي الاسكا من اميركا الشمالية . والظاهر ان افريقية خالية من الزلازل الآن

والناظر الى هذه البقاع كلها يرى انها في البحر او قريبة منهُ او من الجبال الشامخة ممَّا يدل على ان لعدم التوازن في الضغط ولماء البحر الذي يتخلل طبقات الارض شأناً في حدوث الزلازل

الحالة العادية ٤,٣٠ صباحاً ٤,٣٧ اشتداد الهزات المدة الاخيرة ٥ صباحاً
٤,٣٣ ٤,٤٩ ٦,٣٠

وقد سجلت آلة رصد الزلازل في مرصد سنت مور بباريس زلزلة مسينا صباح الثامن والعشرين من دسمبر الماضي بين الساعة الرابعة ونصف والساعة السادسة ونصف فدام فعلها ساعتين وكان اشدهُ في ١٦ دقيقة كما ترى في الرسم المتقدم

ويظهر من تقرير الاستاذ ركو ان تخريب الزلزلة للمباني انتشر اربعين ميلاً من كاسترو ريل في صقلية الى بالمي في كلبريا . وفعلها بالمباني امتدَّ ٨٦ ميلاً من ربستو وبني في صقلية الى بزو في كلبريا والشعور بها شديدةً امتدَّ ١٨٦ ميلاً من مسترتا ونوتو في صقلية

الى كوسنزا في كلبريا . وشعروا بها ايضاً في مرسيليا ونابلي . وشعرت بها آلات الرصد في اماكن شتى حتى في غربي استراليا ودوّنت آلة الرصد في مرصد ميلتو بكلبريا ٢٨ هزّة قبلما تخربت . وتوالت الزلازل بعد ذلك في ايطاليا وغيرها ولا تزال تتوالى وثار بركان سترمبولي في الثالث من يناير

وكان عدد سكان مسينا قبل الزلزلة نحو ١٥٠ الفاً وعدد سكان رجيو ٤٤ الفاً والمظنون انهُ قُتل اكثر سكانهما وسكان القرى المجاورة لهما . ولذلك قدَّر المقدرون عدد القتلى باكثر من مئة الف نفس وزادهُ بعضهم حتى ابلغهُ مئتي الف ولا تعلم الحقيقة حتى الآن

ثمار الدستور

لقد كان من اول ثمار الدستور العثماني الجواب الذي ردّ بهِ مجلس المبعوثان على النطق السلطاني فأيّد بهِ حقوق الامة العثمانية واستعدادها لتولي شؤُونها مثل غيرها من الامم الدستورية . وها نحن موردون بعض ما جاء فيهِ نقلاً عن ترجمتهِ في المقطم

" ان والدكم وضع بفرمان الكلخانة السلطاني بعض اساسات شرعية مهمة تأميناً للحقوق الشخصية وتأييداً للمساواة بين جميع المذاهب والعناصر المختلفة فانال بها الدولة العثمانية حياة جديدة مطابقة لما يقتضيهِ العصر

ولما كان من اللازم ضمان الحقوق الشخصية وتقويتها على وجه امتن واثبت واشمل وكان من الواجب لذلك ابدال شكل الحكومة السابق وقبول الاصول الدستورية المبنية على مبدإ كون الحكم للامة اصدرتم حين جلوسكم امراً بوضع القانون الاساسي ونشرهِ وفتح مجلس المبعوثان اتباعاً لذلك اللزوم والوجوب وتوفيقاً لرغائب اعيان الامة الذين كانوا في ذلك الزمان خلاصة الرأي العام

ولا يخفى ان طريق المشاورة والدستور هو اصلٌ في الحكومة وان صوَر الحكومة المنافية لهذا الاصل الشرعي والمغايرة لشكل الدستور المعروف منكرَة في كل زمان لانها عبارة عن تغلّب القوة على الحق والظلم على العدل . ولقد عرفتم جلالتكم وصرّحتم في امركم السلطاني بظهور كفاءة الامة واستعدادها في ذلك الزمان وبأن القانون الاساسي قد وضع على وجه مطابق لتلك الكفاءة وذلك الاستعداد

غير ان ما احدثهُ بعض رجال الحكومة من المشاكل جعل مستقبل سعادة امة عظيمة

ينقلب من الشيء الى ضده فانحلّ مجلس المبعوثان على صورة غير موافقة للقانون الاساسي بوجه من الوجوه

ثم ان الذين احدثوا تلك المشاكل الوهمية وخدعوا ذاتكم السلطانية لم يكتفوا بتجاوزهم احكام القانون الاساسي الذي هو قوام حريّة الامة وسعادتها بل ادعوا ان الامة غير متحدة رأياً وطلبوا تأخير العمل بالقانون المذكور مستخفين بمدارك الامة

ونحمد الله على ان جلالتكم تحققتم في هذه النوبة الخطر الجسيم الذي لم يعد يخفى الأ على عيون رؤساء الحكومة وعرفتم السعادة العظمى التي ستنعم بها الدولة والمملكة في الحاضر والمستقبل من تحقيق الآمال العمومية فاصدرتم امركم السلطاني بتجديد انتخاب المبعوثان ودعوتهم للاجتماع توفيقاً لاحكام القانون الاساسي .... ولو ان جلالتكم على اقتداركم سعيتم في ماضي الزمن للتغلب على تمويهات اصحاب الاغراض لحلّ العمران في هذه الثلاثين سنة محل الخراب والتقدم محل التأخر في كل اقطار المملكة ولما فتحت جروح كثيرة في قلوب الامة لمنفعة شرذمة قليلة استفادت وحدها من الاستبداد ولادرك الوطن رفاهيتهُ وسعادتهُ من كل وجه ولا حرزت الدولة العثمانية المنزلة التي تستحقها بين الدول"

ثم اشار المجلس الى اعلان امارة البلغار استقلالها واعلان دولة النمسا انها ضمت اليها البوسنه والهرسك وأمل ان وكلاء الدولة (اي مجلس النظار) يحلون هاتين المشكلتين بالحكمة حلاً حسناً بصدق مساعدة الدول العظيمة الواثقة بحسن نيات المجلس واميالهِ السلمية واستطرد الى مالية الدولة فقال

"وسيجتهد مجلسنا في تنظيم مالية الدولة التي هي من اول الامور الداخلية المهمة ولا يسمح البتة بان تخرج بارة واحدة من جيب الامة ولا بان يصرف درهم من خزينة الدولة على غير ما هو مقرَّر في الميزانية العثمانية وسيجعل للايرادات العمومية محافظاً صادقاً ولمصاريف الدولة مفتشاً غيوراً يقظان على انهُ وان كان الوصول الى توازن الايرادات والمصروفات عسراً جداً لما كان من الاسراف والتبذير اللذين تواليا منذ اعوام طويلة توالياً قلما سبق لهُ نظير في التاريخ المالي فنحن لا ندَّخر وسعاً في التمسك بكل التدابير اللازمة

وعلى كل حال فان حصر مصروفاتنا في الوجوه الشرعية فقط سيزيد اعتبارنا و به تبرهن دولتنا للملاءِ على انها ليست دولة مسرفة بل دولة مقتصدة تدبر اموالها طبقاً للقواعد المالية

ثم اننا استكمالاً لرفاهية كل ابناء المملكة من كل المذاهب والعناصر المختلفة نوجه عنايتنا الى توطيد دعائم الامن والسلام . ونشر العدل . وصيانة حقوق الجميع . وتأمين اجراء

القضاء بكمال الاستقلال . وتربية اولاد الامة تربية سياسية حرة وطنية على وتيرة واحدة في المكاتب العمومية وتكثير واصلاح المكاتب والمدارس وكل نوع من المعاهد العلمية والفنية التي ستعم في اقطار المملكة · وزيادة الطرق والسكك ووسائط النقل لايجاد منافذ جديدة خارجية وداخلية لحاصيل المملكة · وانماء الحرف والصنائع وتوسيع نطاق التجارة · وسنعتني على الخصوص بترقية الزراعة

وبما ان الامة العثمانية المحبة للصلح والسلم مضطرة ان تكون دائماً دولة قوية لا تتعدى على حقوق غيرها بل تحفظ مصالحها الوطنية الشرعية وتدافع عنها فيجب اذاً ان نجتهد في تنظيم قوانا البرية والبحرية واكمالها على ما يوافق موقعنا الجغرافي لانها هي الكافلة لصيانة وطننا وحكومتنا الدستورية

وعلى هذا فاننا سندقق النظر في اللوائح والقوانين التي ستضعها الحكومة او التي يرى المجلس لزوماً لها ونجتهد في سن قوانين موافقة لحاجات الوطن ولائقة باعتبار الامة العثمانية وحسن قبولها

وعلى كل حال اننا نشكر جلالتكم على عزمكم الثابت الذي لا يتغير على ادارة مملكتنا حسب القانون الاساسي الضامن الحقيقي للتوفيق والنجاح في جميع آمالنا الجليلة

ونحن نحسب انفسنا سعداء ايضاً بان نعرض لجلالتكم ان عزم الامة العثمانية عموماً في هذا الشأن وطيد ثابت على دعائم لا تزعزعها قوة مهما كانت عظيمة ونظهر لكم عظيم الافتخار والسرور الذي شعرنا به عند مشاهدتكم امامنا في يوم افتتاح مجلسنا الذي هو عنوان حكم الامة فدلت تلك المشاهدة دلالة صريحة على زوال الحوائل والموانع التي كانت بين الحاكم والامة

واخيراً نقول ان قلوبنا لا تفيض الأ بمحبة الامة والوطن . وان جميع ما نؤمله هو القيام باعمال خيرية للدولة وللامة ومرشدنا هو مصباح المساواة والاتحاد · وغايتنا الحق والعدل "

ولا نتذكر اننا قرأنا لمجلس من مجالس النواب كلاماً اصرح من هذا الكلام في تأييد حقوق الامة واستعدادها للاحتفاظ بها مهما تقلبت الاحوال

ومن ثمار الدستور ايضاً ان جلالة السلطان اولم وليمة فاخرة لنواب الامة في قصره حضرها اكثرهم وجلس هو في صدر المائدة والى يمينه كامل باشا الصدر الاعظم والى يساره احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان · ولما انتهوا الى تناول الحلوى وقف جواد بك باش كاتب المابين وقرأ النطق السلطاني التالي

" يا حضرات النواب

زادكم الله سبحانهُ غبطة وسعادة انني في الحقيقة ممتنٌ جدًّا هذه الليلة اذ جمعت هذه المأدبة وكلاء امتي العثمانية وتبعتي الشاهانية واعني انها جمعت كل رعيتي في هذا المساء وهذه الحادثة الميمونة حدثت لاول مرة على ما اظن في تاريخ دولتي العلية . فابارك لكم واسأل الله ان يكرر امثالها عليكم . والفضل في هذا الاجتماع السعيد لقانون دولتنا الاساسي ادامهُ الله الى الابد فائض النور وادام مبدأهُ الجديد بالتبجيل

تعلمون حضراتكم ان اول حارس للحقوق في السلطنة والمملكة والدولة الشوروية هو الله ثم الامة ثم مجلس المبعوثان وبناء على ذلك فان وظيفتكم مهمة ومقدسة ايضاً فسعيكم وغيرتكم وقصدكم ونيتكم التي لها هذه الاهمية وهذه المزية العظيمة هي مطلوبي قطعيًّا. فاحكام القانون الاساسي ضامنة لهذه الحقوق المقدسة وكافلة لها بعناية الله تعالى . وكل رجل يخالف ذلك يكون اعدى عدوّ لي واشد خصم للخليفة فبكوني سلطانًا وخليفة اوكد لكم واؤمنكم كل التأمين فليمدنا الله تعالى في غيرتنا وسعينا الى سعادة وسلامة دولتنا وملتنا ووطننا المقدس " . انتهى

وهذا النطق السلطاني من اصرح الاقوال الدالة على تأييد حقوق الامة وجري سلطانها على موجب دستورها

وقبلما انتهى الشهر عرضت دولة النمسا على الدولة العلية مليونين ونصف مليون من الليرات العثمانية تعويضاً عمَّا لها في البوسنه والهرسك فقبلت الدولة العلية منها ذلك واقتدت بها امارة البلغار ولكنها لم تعرض حتى الآن المبلغ الذي ترضى بهِ الدولة العلية . وعرض كامل باشا على مجلس المبعوثان تصريحًا وافيًا بسياسة الوزارة الداخلية والخارجية فصادق المجلس عليهِ والفت لجنة لتنقيح القانون الاساسي حتى تصير السلطة كلها في يد مجلس المبعوثان

فاقترحت اللجنة تنقيح المادة السابعة حتى لا يصدر السلطان ارادة سنية الا وتذكر فيها المادة التي بنيت عليها في القانون ويوقعها الناظر المختصة بنظارتهِ . وتنقيح المادة السابعة والعشرين حتى يصير تعيين النظار منوطاً بالصدر الاعظم . وتنقيح المادة الثالثة والاربعين حتى لا يفض مجلس المبعوثان ومجلس الاعيان الا متى انتهت المدة المعينة لاجتماعها او اذا قرَّ قرار مجلس الوكلاء على ذلك . وتعديل المادة ٧٢ حتى يحق للاهالي ان ينتخبوا ايًّا كان من اهالي الممالك العثمانية ولو لم يكن من دائرتهم . وتعديل المادة ١١٣ تعديلاً يبطل سلطة الحضرة السلطانية في نفي انسان من الممالك المحروسة . وفي كل ذلك ما يؤيد حقوق الامة وحريَّة نوابها ويجعل السلطة في يدهم

مقدمة الطبعة الثانية

لشرح بخنر على دارون

(تابع ما قبله)

فالعلوم الطبيعيّة هي المعوّل الوحيد الذي يزعزع اركان تلك العلوم ويهدم بنيانها بل هي المخل الذي سيتكفل بقلب ما بني عليها من النظامات المتقلقلة والشرائع الجائفة التي هي سبب كل ما نراه من الاضطراب في الاجتماع لفقد التوازن فيهِ . فالشرائع التي تسوس الاجتماع حتى اليوم والمبنيّة على تلك العلوم شرائع استبدادية لاتنطبق على نواميس الاجتماع الطبيعي التي لا يصلح الاجتماع الأ بها . وسواءٌ كانت الهيّة او بشرية فالفارق فيها بين اعضاء المجتمع البشري في حقوقهم وواجباتهم عظيمٌ جداً . ولا يغرّنك ما فيها من الاصول المنطبقة في ظاهرها على العقل والعدل فالعبرة انما هي في تطبيقها على العمل والتمسك بغير حبلِ أربابنا لا بدّ من ان يضل في تيه هذا الكون وهذا الحبل ليس الأ الطبيعة نفسها ونواميسها . فبالشرائع الثيوقراطية يترفّع الرؤساء عامةً عن الشعب ويستأثرون بامتيازات يحملون بها واجبات هذا الشعب كثيرة جداً الى حدّ الاستماتة بالتقشف وحقوقهُ معهم قليلة الى حدّ الاستهانة بنفسهِ . وبالسلطة الروحيّة التي لهم عليهِ يسطون على عقلهِ وعواطفهِ فيقيمون عليهِ من مخاوف اوهامهِ ضاغطاً يجعلهُ يقتنع بانهُ لا يجوز لهُ ان يكون في غير الحالة التي هو فيها . وبالشرائع الأوتوقراطيّة الاستبداديّة البشريّة يرهب الملوك هذا الشعب حتى تموت نفسهُ ويخيم الجهل عليهِ فيسلبونهُ حقوقهُ . ولافرق بين عالم وجاهل في هذا الذل وموت النفس فكلاهما شرعٌ في التبذّل هذا يزحف ببطنهِ على الارض حتى يعفر جبينهُ بالتراب وذاك يتنزّل بقريحتهِ فيذلها الى مواطىء الاقدام تزلفاً الى ملوك السيف وملوك المال ولو انك تأبى عليهم ان ترمقهم شزراً لو جرّدتهم من ذلك كلهِ . فتضحى المصلحة العامة على مذبح الافراد ويموت الفكر لدى مظاهر القوة الغاصبة والمجد الفارغ حتى يصير الملوك آلهة جبابرة يسلبون ويفتكون ولا وازع لهم من شرائعهم والشعوب عبيداً ارقاء لا يستهويهم الأ رضى ظالميهم وحتى يصير المجد كل المجد لدى اطفال الرجال الالتفاف حولهم لنيل رتبة يلبسون لها ثوباً مزركشاً يبرزون بهِ في زيّ يضحك حتى ارباب المساخر او للحصول على وسام يعلقونهُ على صدورهم ويبتهجون بهِ كما يبتهج صغار الاطفال بلعبهم فيموت الفخر بالافكار النبيلة والاعمال الجليلة مجرّدةً عن سفساف هذه الزخارف

ويلحق بهذا النظام عيب آخر يجعل الشرائع اشد ضررًا على المجتمع من ضرر الاستبداد نفسهِ وهو جمودها من طبيعتها تارةً ولاستمساك اصحاب السلطة بها اخرى . فلا يسهل تغييرها طبقاً لاحتياجات الاجتماع بحسب الزمان والمكان خلافاً لناموس الاجتماع الطبيعي الذي هو في طبيعتهِ خاضع لناموس التحوُّل العام . ولا تتغير فيهِ الاَّ بشق الانفس لشدة بواعث الضغط المتجمعة فيهِ على مدى الزمان فتنفجر بهِ انفجارًا هائلاً تبعاً لناموس تجمع القوى الطبيعي الذي تحدث بهِ النكبات الطبيعيَّة في الارض كالزلازل ونحوها . ولذلك كان انتقال الانسان بشرائعهِ ونظاماتهِ في التاريخ مصحوبًا دائمًا بثورات تجري الدماء فيها انهارًا كثيرًا ما ترجع بالاجتماع القهقرى او تقف بهِ عصورًا متطاولة

ولا ينكر ان في اصول هذه الشرائع ما تراعى فيهِ مصلحة الاجتماع بل مصلحة كل فردٍ فيهِ وانما صبغها احيانًا كثيرة بما يلبسها حلة الجمود وعدم معرفة تطبيقها على نظام الاجتماع الطبيعي لجهل نواميسهِ يفقدانها مزاياها الحسنة وهذا هو سبب قيام المصلحين من وقت الى آخر على اختلاف نزعاتهم بغض النظر عن مطامعهم الخاصة لمقاومة هذه الشرائع تارةً بالعنف وتارةً باللين وكان السيف فيها دائمًا اصدق انباء من سواهُ . ولهذا السبب عينهِ كان مصلح الامس يبدو رزءًا كبيرًا على مصلح الغد . والاجتماع هو الذي يحمل مغبَّة كل ذلك . ولما كان كل هذا الشر لو سير في نظامهِ على منهاج الاجتماع الطبيعي

ولا نريد بهذا القول ان الناس في طبائعهم يكونون بعيدين عن كل شر بل ان مهولة انتقالهم في شرائعهم وتحوّلهم في نظاماتهم يلطف من هذا الشر ويزيل كثيرًا من اسبابهِ . بل بمعرفتهم نواميس نظام الاجتماع الطبيعي يحسنون تطبيق نظاماتهم عليهِ فيقدرون فيها ناموس التكافل القاضي بتقاسم المنفعة على قدر العمل حق قدرهِ ويجتنبون بذلك شر ناموس التكافوء القاضي بشدَّة التنازع لشدَّة المباينة بين هذا التقاسم والعمل ويتقّون بذلك شرّ تبذير القوى في الاجتماع عملاً بناموس الاقتصاد الاجتماعي الطبيعي . فيعلمون الانسان حقيقة واجباتهِ من نفس احترام حقوقهِ اذ لا شيء اقدر على تعريف الانسان واجباتهِ للقيام بها مثل معرفتهِ المنافع المترتبة لهُ عليها فباحترام الحقوق تعرف الواجبات فتقلُّ الجنايات المترتبة على الجهل بها وبمراعاة كل افراد المجتمع في احوالهم المعاشية تحسن صحتهم فتقلُّ امراضهم وتتقى الاوبئة اذ تقلُّ اسباب تولّدها وانتشارها . ولا يخفى ما يتبع ذلك من تحسُّن اخلاقهم واستقامة طباعهم فلا يفشو الكذب بينهم هربًا من عقاب او مراعاةً لمصلحة وتقلُّ السرقة المترتبة على الحاجة . وهل يصحُّ ان يكون الامر على غير ذلك ؟ افلسنا نحن

الذين علّمنا الانسان ان يكذب لانّا عاقبناه على الصدق وان يسرق لانّا حجبنا عنه ما يحتاج اليه ؟ اوَ ليس شرائعنا هي التي تمنعنا عن تلك الشجاعة الادبية التي تسمو بها اخلاق الانسان وتحملنا كرهاً على احترام هذا الحجب المغتصب بالارهاب ؟ ولا فرق في ذلك بين شرائعنا الاوتوقراطيّة والثيوقراطيّة ففي كل فقرة منها ما يرعد الفرائص بالتهديد والوعيد. ولماذا كل هذا الغضب على هذا الانسان الضعيف الذي اقل احتياج من احتياجاته كافٍ لان يدفعهُ الى ارتكاب الجريمة لان الاحتياج موئلم فالجوع فضّاح والحاجة قاتلة. فلماذا لا ننظر الى ذلك بالنظر الصائب ونكفي الانسان حاجتهُ ونكتفي شرّهُ بل ننتفع كل النفع بهِ ؟

ونحن اذا طلبنا ان يكفي الاجتماع حاجتهُ وتدرأ عنهُ عللهُ وامراضهُ فلا نكون قد تمنّينا حلماً او قصدنا وهماً بل نكون قد تحدّينا نظام جسم الحي نفسهِ الذي كل عضوٍ منهُ بل كل جزءٍ مهما كان دقيقاً من اجزائهِ يعمل لنفسهِ وللكل معاً والكلّ نفسهُ يعمل لهُ وعلى صحة هذا الجزء تتوقف صحة الكل والاّ اضطرب جسم الحي كلّهُ وساء مصيرهُ. فدرس نواميس الاجتماع البشري يجب ان يكون بدرس نواميس الجسم الحي نفسهِ ووضع نظاماتهِ على نفس نظاماتهِ لان الاجتماع البشري نفسهُ ليس الاّ جسماً حيّاً ايضاً ولكنهُ حيوان هائل كما قال عنهُ المقتطف منذ سنين تعقيباً على بحثٍ لي في تاريخ الاجتماع الطبيعي نشرفيهِ في ذلك الحين

ولقائل ان الاجتماع على الصورة التي هو فيها سائرٌ على نظام الطبيعة نفسها وهو متحوّل شيئاً فشيئاً بالتدريج متذبذبٌ مثلها وثوراتهُ مثل نكباتها فالاسراع في ارتقائهِ واجتناب تذبذبهِ وثوراتهِ مخالفٌ للنظام الطبيعي. وهذا القول حقٌ لولا ان الاجتماع عاقل والطبيعة عمياء فهو قادرٌ ان يتصرف باسرارها ويصرفها الى مصلحتهِ حتى يصح القول ان الانسان من يوم اهتدى الى الكساء وشاد البناء لم يتغيّر بدنهُ كثيرًا ولكنهُ في شرائعهِ لم ينظر الى نواميس الطبيعة لتطبيقها عليها واختيار الانفع منها بل صبا عنها الى ما سواها وخالف بذلك نظامها فكأن عقلهُ هنا جنى عليهِ فصرفهُ عن تعرّف اقرب الاشياء اليهِ والصقها به حتى اوغل في الضلال وصار ردّهُ الى الصواب صعباً جدًّا. اوَ ليس من العار ان ترى الانسان حتى الآن مشغولاً عن حاضرهِ بماضيهِ يبني عليهِ مستقبلهُ منصرفاً بالبحث في ما لا يجدي عن البحث في ما يجدي وما مثلهُ الاّ مثل من يمشي الى الامام وهو ملتفتٌ الى الوراء فلا غروَ اذا وقع في حفرة منجم الاسكندر وهو يمشي ويعدّ نجوم السماء حتى قيل فيهِ المثل « من اشتغل بعلم ما فوقهُ بلي بجهل ما تحتهُ » — فلم يكن بدٌّ لوضع الاجتماع في صراط يصون لهُ توازنهُ ويسرع ارتقاءهُ من صرف قوى الانسان فيهِ عن تلك المباحث الرثّة المضيّقة للعقل المضللة لهُ من

فلسفة نظريَّة وتواريخ كنسج العناكب وعلوم عالية ككفة الميزان الفارغة واقاصيص كتمام عفاريت الف ليلة وليلة وتوجيهها الى البحث الجدّ الذي يضمن لهُ ذلك ألا وهو العلوم الطبيعيَّة بما فيها من فلسفة اختبارية متينة واسعة التي هي المعوَّل الوحيد كما تقدَّم لهدم تلك العلوم السخافية وما بُني عليها من النظامات الاجتماعيَّة الفاسدة والاساس المتين الذي يشاد عليهِ بنيان الاجتماع الباسق في المستقبل

واذا علمت ان شأن العلوم الطبيعية لم يأخذ يتعاظم الاَّ في القرن الماضي وان النواميس الكبرى التي تسوس الطبيعة لم تنجلِ حقيقةً الاَّ في النصف الثاني منهُ ونظرت الى النتائج العظمى التي ترتبت على ذلك في هذا الزمن القصير من ارتفاع شأن المنافع العموميَّة وتقدم الصناعة والزراعة والتجارة ونشر التعليم ومعرفة حقوق الانسان وتقرير سيادة الامم وخصوصاً اتجاه قوى العقل الى النظر في القريب الداني وتولُّد حب البحث فيهِ عن الحقائق الملموسة لم يبدُ لك شيءٌ من الغلو في ما تقدم من القول . فان تحوُّل مجرى افكار الانسان في جميع مباحثهِ الى هذه الجهة سيكشف لهُ اسراراً كثيرة في الطبيعة ليس المعلوم منها لهُ اليوم الاَّ نزراً يسيراً بالنسبة اليها تزيدهُ علماً وقوةً وتضطرهُ بحكم الضرورة الى قلب سائر ما بناهُ على غير هذا الاساس بسرعة لا يعادلها الاَّ تباطؤُهُ في ما مضى عن الاندفاع في هذا السبيل القويم . — واذا علمت ان سر قوتهِ ليس بتعرُّفهِ خصائص المادة وخواص القوى البادية فيها كالحرارة والكهربائيَّة والنور والجاذبيَّة على اطلاقها والالفة الكيماويَّة حتى القوى الحيوية بل بمعرفة تحوُّل هذه القوى بعضها الى بعض وربطها بناموس عام يشملها جميعها أعظمت شأن مذهب النشوء والتحوُّل الذي هو موضوع هذا الكتاب والذي هو من منتجات القرن الماضي وحدهُ بل نصفهِ الاخير . بل لو علمت كم كلَّف من العناء تقرير هذا المبدإِ الذي يبدو اليوم للعلم بسيطاً وكم اثار من الحروب القلميَّة واللسانية بين علماء النظر والاختبار بل بين علماء الطبيعة انفسهم قبل ان يقرَّهُ العلم مما يزيدك دلالةً على ما للاعتقادات الموروثة من الشأن في الضغط على العقول حتى الراقية لاعظمت جدًّا الفكرة الاستنتاجيَّة التي حملت دارون على التصريح بهِ بل صبرهُ واجتهادهُ في جمع الادلة لتأييدهِ ولأعظمت جسارة اتباعهِ واطلاقهم اياهُ على العالم باسرهِ وتطبيق اعمال الفكر نفسهِ عليهِ

والحق ان فضل دارون العظيم ليس في فكرة وضع اساس هذا المذهب بل بتأييدهِ لهُ بالادلة العلمية الطبيعية . وجعلهِ صالحاً لا لان يطبق على الاحياء وحدها فقط بل لان يشمل الطبيعة كلها لا في الارض ومواليدها الجماد والنبات والحيوان فقط بل في السماء

واجرامها ايضاً . فقد سبق دارون فلاسفة وعلماء طبيعيون قالوا بهذا المذهب قبله او بما يدل عليهِ واخصهم بالذكر عالمان طبيعيان كبيران وهما لامرك وجفروى سنتيلير في اوائل القرن الماضي ولكن ابحاثهما فيهِ كانت قاصرة لقلة الادلة العلمية فلم تستطع ان توجه الافكار اليها وان تحدث الثورة التي احدثتها ابحاث دارون فاقامت العلماء واقعدتهم واثارت بينهم حرباً شعواء كانت هي السبب في جلاء هذا المذهب وانتصاره

والغريب ان دارون أيّد مذهبهُ بشواهد وادلّة اخذها من ابحاث علماء اعلام قبلهُ وبعضهم كان من معاصريهِ ومع ذلك فقد لاقى من هؤلاء المعاصرين انفسهم مقاومات عنيفة وما مثلهم كما قال هيكل الأ مثل رجل دخل غاباً كثيفاً فاخذ ينظر في كل شجرة من اشجاره ولكنهُ لم يمتدّ ببصرهِ الى الغاب كلهِ المؤلف من مجموعها كما ان الفلاسفة الذين قالوا بمذاهبهم في الكون نظروا الى الغاب جملةً ولكنهم لم يدخلوا فيهِ لتعرّف كل شجرة من اشجاره على حدة فاتت مذاهبهم مغلوطة او غير ناضجة بخلاف دارون فانهُ تعرّف كل شجرة من اشجاره ثم رجع ونظر فيهِ جملة . وهذا شأن اكثر الناس في مباحثهم فمنهم من يقف عند تعرّف الجزئيات ولا تجد عندهُ اقل ميل للنظر في الكليات ومنهم من يمتد بنظره حالاً الى الكليات وما مثل الاولين الأ مثل الفاعل الذي يقطع الحجارة وينحتها والآخرين مثل البناء الذي يبنيها . فان ابحاث علماء الاجسام الحيَّة في تركيبها والفوارق التي بينها والاعضاء الاثريَّة التي فيها واختلافهم في عدد الانواع واختلاطها في آفاقها كل ذلك كان قد زعزع مذهب الخلق النوعي المستقل . وكانت ابحاث ليل في طبقات الارض قبل ذلك قد اثبتت حصول التغيُّر التدريجي فيها ونفت القول بمذهب النكبات الجيولوجية الكلية الفجائية واجهزت على القول بمذهب الخلق الكلي ثم جاءت الاحافير التي اكتشفت في هذه الطبقات مؤيدة للتحوُّل البطيء في الاحياء نفسها . فلما جاء دارون لم يكن عليهِ الأ النظر في ذلك جملةً لتأييد مذهب التحوُّل ونسبتهِ الى اسباب مختلفة طبيعيةً حدت بهِ الى وضع مذهبهِ الشهير وهو الانتخاب الطبيعي تبعاً لناموس المطابقة القائم على تنازع البقاء وبقاء الانسب . وعزّز قولهُ بانهُ تحدَّى الطبيعة وايَّد عملها بالانتخاب الصناعي

واغرب مما تقدَّم ان دارون نفسهُ مع انهُ واضع اساس مذهب النشوء والتحوُّل الطبيعي لم يستنتج من مذهبهِ كل ما يترتَّب عليهِ من النتائج الصريحة اما لانهُ لم يستطع او لم يجسر لشدَّة تأثرهِ بالمذاهب الشائعة واما لانهُ لم يرد ليردَّ عنهُ مقاومة اصحاب الخلق النوعي لصعوبة اقامة الدليل العلمي على التولد الذاتي . فقال ان الاحياء نشأت في اول الامر من

خمسة او ستة اصول تامة الخلق ومنها تفرَّعت سائر الاحياء المعروفة اليوم والبائدة بفعل نواميس الطبيعة نفسها. ولكن التخفظ لم يغنهِ شيئًا فقد لاقى مذهبهُ مع ذلك مقاومات شديدة جدًّا من اصحاب مذهب الخلق النوعي وخصوصًا من اذنابهم اصحاب المبدإ الحيوي . على ان الذي لم يتصل اليهِ دارون او لم يشأ ان يصرّح بهِ فعلهُ معتنقو مذهبهِ بعدهُ على اثر انتشارهِ حالاً واطلقوهُ على سائر الطبيعة . واكبر زعمائهم هكسلي وسبنسر في انكلترا وهكل وبختر في المانيا

وسواءٌ هبطت اصول الاحياء من السماوات العلى كما يفهم من قول دارون او وصلت الينا من بعض الاجرام محمولةً على بعض النيازك كما ذهب السير وليم طمسن المعروف باللورد كلفن ايضًا صاحب المباحث الكبرى في فلسفة الكون وواضع مذهب الحلقات الزوبعية في الهيولى لتعليل الجواهر الفردة فان ذلك لا يؤيد مذهب الخلق الفجائي الذي هو كالتولد الذاتي ليس لنا عليهِ ادنى دليل علميّ او شاهد عيانيّ ولا ينفي كون التولد الذاتي حاصلاً في الاجرام التي هبطت الجراثيم منها او ممكنًا في الارض التي نمت وتحولت فيها وانما يثبت شدة تأثر العقول بالمذاهب الشائعة ولو انها بقايا اساطير تخالف العلم . وخصوصًا انقيادها لمذهب القائل بان القوى الحيويَّة لا علاقة لها بالقوى الطبيعية وكل علاقتها بها انما هي عارضة . وهو بقيَّة رثَّة من مذهب تعدُّد القوى في الطبيعة لا تنطبق على فلسفة ناموس النشوء والتحوُّل الذي صار اليوم في حكم المقرَّر لدى جمهور العلماء والذي لا يعترف الاَّ بوحدة هذه القوى لثبوت تحوُّلها بعضها الى بعض . وكأَن زعماءهُ انخفض صوتهم جدًّا اليوم

وواضع اساس هذه الوحدة في نواميس الطبيعة هو بالحقيقة المحقق نيوتون الفيلسوف الرياضي الانكليزي الشهير وذلك في القرن السابع عشر . فانهُ لسبب طفيف يعرض لكلٍّ منا في كل دقيقة ولا يقف في الخاطر وهو سقوط تفاحة من الشجرة الى الارض اكتشف نواميس الجاذبية العامَّة وأقرَّها على اساس علميّ واطلقها على كل الكون . وقد اشار فلاسفة اليونان الى هذه الجاذبية في نظرهم الى الكواكب واعتبارها علَّة دورانها بعضها حول بعض . وقد نقل العرب عنهم ذلك وعبَّروا عنهُ بلفظة الشوق ولم يزيدوا على ذلك . وقد استعملت عنهم هذه اللفظة للتعبير عن الجاذبيَّة في قولي

لولا الهوى وبديع الشوق يهديهِ ما صحَّ في الكون معنًى من معانيهِ
ولا سرى النجم في العلياء وانتظمت لهُ المواقع تقصيهِ وتدنيهِ

فمرجع الفضل في اكتشاف نواميس الجاذبية وتطبيقها على العلوم الرياضية انما هو لنيوتن

وحده كما ان الفضل في تقرير مذهب النشوء والتحوّل على مبادىء علمية اختبارية ثابتة هو لدارون وحده. على ان نيوتن وقف في مذهبه عند هذا الحدّ ولم يشر الى العلاقة بين جاذبيته وسائر قوى الطبيعة ليردّ هذه اليها او يجعل تلك منها حتى انتشر مذهب النشوء والتحوّل فاتمّ الرابط وصارت هذه النتيجة لازمة لدى معتنقي هذا المذهب كما في هذا القول

شوق تكامل من ادنى الوجود الى ... اعلى فأعلى الى أعلى أعاليه
حتى تنهاهى وقلب المرء تلهبهُ ... نارٌ من الحبّ يذكيها وتذكيه

ولاسيما انهُ كان قد تقرّر قبلهُ تحوّل قوى الطبيعة بعضها الى بعض كالحرارة والنور والكهربائية واعتبارها جميعها من اصل واحد

الدكتور شميل

الاجتماع

والخلل في الغريزة العائلية والنقص في القانون

بيّنت في المقالة التي صدرت في مقتطف الشهر الماضي الخلل الذي يرافق وظيفة حفظ النوع واقتصرت في البيان على ما يسمح المقتطف بنشره وضربت صفحاً عمّا شاهدت من الحوادث الغريبة التي تؤيد ذلك ولا تبقي مجالاً للريب. وسأبين في هذه المقالة الخلل في الغريزة العائلية وقد قصرت الكلام عليها هنا دون بقيّة الغرائز لانها فرع من وظيفة حفظ النوع والصفة التي يتوقف عليها حب العائلة وينشأ منها النظام الاجتماعي. وسنرى فيما يأتي ان الغرائز في الحيوان والانسان لا يصح الاعتماد عليها في الاعمال الحيوية ولا في الاوضاع الادبية لان في عملها خللاً تابعاً لخلل الاصل الذي نشأت منهُ. ولا غروَ اذا وجد الخلل في غريزة الانسان العائلية لانها احدث عهداً في تاريخ النشوء من الغريزة الجنسية ولانها في الحيوان اضعف منها في الانسان واقل وضوحاً من بقية الغرائز

ومما يدعو الى تدقيق البحث في هذا الموضوع ما نراهُ دائماً من زعم بعض الكتّاب والمفكرين لاثبات بعض النظريات في فلسفة الاجتماع العائلي والجنسي ان الاجتماع بلغ في سلّم الارتقاء الغاية التي لا غاية بعدها والانسانية بلغت حدّاً من الكمال لا يقبل المزيد لان العقل البشري ضمنَ السعادة للانسان بما اكتشف من اسرار الطبيعة وبما سنّ من الشرائع والقوانين والنظامات. على ان حكمهم هذا لا تؤيدهُ البراهين الوضعية ولا تنطبق موادّهُ على

العوامل والظواهر الطبيعية ولو تعمقوا في درس النظام الطبيعي لعرفوا فساد مقدماتهم ومن ثم فساد نتائجها · والفيلسوف الحقيقي لا يخدع بالظواهر بل يدعم النظر في كل ما يقع تحت حواسهِ ويرجع بهِ الى مصدرهِ ولا ينفك حتى ينكشف لهُ سرهُ ويفهم معنى وجودهِ

لا صحة لما يزعمهُ عامة الناس ان الغريزة في الحيوان دليل امين للعمل الحيوي لانها مختلة في عملها وفاسدة في نظامها وقد بيَّنت في المقالة السابقة الفساد الذي يرافق غريزة حفظ النوع في الانسان لانها تنحرف عن قضاء العمل المعينة لهُ الى عمل آخر هو ضد الطبيعة · والغريزة الاجتماعية او العائلية تنحرف ايضاً عن عملها الى عمل آخر هو ضد الاجتماع ويظهر ذلك في الحيوان بقتل صغارهِ وفي الانسان بالاسقاط ومنع التوالد · فالانسان لا يختلف بذلك عن الحيوان الاَّ بكونهِ يتذرع بما عندهُ من العلم والمعرفة لاتخاذ الطرق المانعة الحمل او المسهلة الاسقاط فقلَّ بذلك اضطرارهُ الى قتل الاطفال · فالغريزة العائلية فيهِ ارتقت كثيراً عما هي في الحيوان ولكن بقي فيها اثر الضعف الحيواني

من مفاسد الاجتماع الراقي ميل الانسان فيهِ الى تقليل نسلهِ لانهُ في الاصل كثير التوالد فاستنبط الوسائط المتعددة لتقليلهِ وغلب في الامم المتوحشة او القليلة التمدُّن الالتجاء الى الاسقاط وفي الامم المتمدنة والراقية الالتجاء الى ما يمنع الحمل · والاسقاط معروف منذ القديم لان فلاسفة اليونان كانوا يجوزونهُ في بعض الاحوال واليهود والفرس كانوا يعاقبون عليهِ وهو لا يزال كثيراً عند الهنود المستقلين وغير قليل عند الهنود الخاضعين لحكم الانكليزي والبعض يجريهِ علناً دون خشية العقاب من اية سلطة كانت · ولو وقف هذا الخلل عند الامم المنحطة لقلنا ان الاثر الحيواني لا يزال راسخاً فيها وانها لا تستطيع ان تتغلب عليهِ الاَّ بارتقاء الانسانية · على ان وجودهُ عند الامم الراقية دليل على رسوخهِ في الانسان ولو علا في سلم المدنية لانهُ ليس بنادر حتى عند ارقى الامم مدنية رغماً عن مراقبة السلطة ومعاقبة القانون · ومن الامثلة على ذلك ان بعض الاتراك يعتقدون ان حياة الجنين الحقيقية لا تبتدئ قبل الشهر الخامس فلا يحسبون الاسقاط قبلهُ جريمة على انهم لا يقفون عند هذا الحد ولا يمتنعون عن اجرائهِ بعد اعتبارهِ جريمة فقد حكم في الاستانة في مدة عشرة اشهر من سنة ١٨٧٢ بثلاثة آلاف حادثة اسقاط · وهو في اوربا اقل منهُ في الشرق لان المراقبة هناك اشد ولان الحكومة اقامت الملاجئ للاولاد غير الشرعيين فقلَّ الاسقاط عندهم وزاد عدد اللقطاء وهذا هو السبب في زيادة الاسقاط في الشرق وقلة اللقطاء

وقد كثر الميل لتقليل النسل الى درجة توجب الاسف حتى اصبحت النساء المتمدنات

تفتخرن بالاسقاط كما تفتخر بهِ نساء الامم المنحطة وعذرهنَّ في ذلك عدم استطاعتهن اعالة عائلة كبيرة في احوال المدنية الحاضرة · ويميل السواد الاعظم في هذه الايام الى الوقوف في الولادة عند حد ولد او ولدين

اما الحيوانات فليس في وسعها ان تجري عملية دقيقة ومركبة كعملية الاسقاط فتقلل نسلها بقتل صغارها وقد انتقل هذا العيب الغريزي فيها الى الانسان لانهُ عدا عما هو فيهِ من فساد الغريزة بمنع التوالد والاسقاط لا يزال يحفظ في غريزتهِ اثرًا من الغريزة الحيوانية بقتل الصغار فاليونان والرومان كانوا يعتبرون الطفل المولود حديثًا غير متمتع بحق الحياة والالمان كانوا يهجرون اولادهم والعرب قبل الاسلام كانوا يئدون بناتهم اي يدفنونهنَّ احياء والهنود واهل الصين يقتلون نحو ثلثي بناتهم ولا يزال ذلك جاريًا عند الشعوب المنحطة في سلم المدنية او الآخذة بالانقراض كسكان جنوب غاليا الجديدة وغينيا الجديدة. ويمكن ايراد شواهد كثيرة على ذلك استنادًا على بعض العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع وعلى تقارير المرسلين نضرب عنها صفحًا اكتفاء بما ذكر · على ان اوضح دليل على ضعف الغريزة العائلية هو وجود هذه العادة عند الامم الراقية حيث قامت الطرق العلمية التي لا خطر منها على صحة المرأة مقام الطرق الخشنة التي تستعملها الامم المتوحشة

واذا بحثنا عن انقراض بعض الشعوب علمنا انهُ من ضعف الغريزة العائلية فيها او من عدم نموّها الاَّ ان ذلك لا يوجب الاعتقاد بامكان انقراض الجنس البشري لان هذه الغريزة متأصلة كثيرًا في الانسان وأصلها الحيواني قد يؤدي الى انقراض بعض الشعوب او بعض الانسان ولكن يبقى منها فيهِ ما يكفي لحفظ نسلهِ الى مدى الاجيال · ولعلَّ العلم يدفع المدنية المستقبلة بوضع نظام للمعيشة سهل وبسيط ويسهل الكسب والسعة للعموم فتقوى بذلك الغريزة العائلية ويقل الميل لتقليل النسل

لا ريب ان الانسان كائن اجتماعي والغريزة الاجتماعية فيهِ وان تكن حديثة الاَّ انها فيهِ ارقى جدًّا منها في كل جمعية حيوانية حتى ان القرود الشبيهة بالانسان لم تتقدم من هذا القبيل تقدُّمًا كبيرًا وبعضها وان اظهر من عواطف الحب ما يدل على اهليتها للعيشة الاشتراكية كما تراها وهي في الامر الاَّ انها في الحالة الفطرية لا تعيش الاَّ عيشة عائلية ولا تتألف جمعيتها الاَّ من افراد العائلة ويندر ان يجتمع منها عشرة معًا · روى بعضهم اجتماع خمسين فردًا يلعبون معًا على ان ذلك نادر واذا ثبت فهو لا يدل الاَّ على دور اجتماعي في اول نشأتهِ · والاجتماع الانساني هو بدون شك ارقى واعلى بما لا يقدر حتى ان الشعوب

المنحطة كثيرًا في سلم المدنية والاقرب الى الفطرة الاصلية كأهالي استراليا الاصليين تظهر الغريزة الاجتماعية فيهم باكثر وضوح مما هي في القرود

ان رسوخ الغريزة الاجتماعية في الانسان مال بالفلاسفة والمفكرين الى الاعتقاد بانها خاصة طبيعية يمكن للهيئة البشرية ان تتخذها قاعدة لسعادة الحياة ٠ وقد افرغ العلماء مجهودهم لوضع نظام ادبي على اساس علمي لا يكون فيهِ دخل للقوى التي فوق الطبيعة فاخفقوا ولم يستطيعوا الوصول الى الغرض الذي يرمون اليهِ لانهُ لم يكن عندهم ما يرجعون اليهِ في مطالبهم سوى اضطرار الانسان الغريزي الى العيشة الاجتماعية وكان هذا المعوَّل عليهِ منذ القرن الماضي الى الآن فذهب بختر وهو من اركان العلماء الماديين " ان ما يدعى بالحس الادبي ينشأ من الغرائز الاجتماعية او من العادات التي تنمو في الجمعية حيوانية كانت او انسانية وان الناموس الادبي ينشأ من الاجتماع ويتكيف في جمعية معلومة بمقتضى التصوُّرات والحاجات التي تتغلب في تلك الجمعية . وذهب ايضًا الى ان الانسان كائن اجتماعي ولا يمكن اعتبارهُ خارجًا عن الاجتماع الأحيوانًا مفترسًا فمن الواضح ان الحياة الاشتراكية توجب عليهِ واجبات اشتراكية وتتألف ثمة منها مبادىء ادبية خصوصية " وبقي هذا الرأي معتمدًا الى عهد قريب لان هكل وهو من اركان العلماء المعاصرين يرتأي " ان الشعور بالواجب لا يتوقف على حكم القانون بل على مدلول الغرائز الاجتماعية الموجودة في كل الحيوانات العليا التي تعيش مجتمعة والتي غايتها العظمى في الحالة الادبية التوفيق بين الانانية والغيرية ٠ اي بين حب الذات وحب الغير فاذا شاء الانسان ان يعيش في جمعية حسنة النظام وان يكون سعيدًا وجب عليهِ ان يسعي للحصول على سعادتهِ الخصوصية وعلى سعادة المجتمع الذي يختص هو بهِ وسعادة امثالهِ الذين يؤلفون ذلك المجتمع وعليهِ ان يعرف ان نجاحهم هو نجاحهُ وان شقاءهم هو شقاؤهُ ٠ وهذا الناموس الاساسي الاجتماعي بسيط وطبيعي حتى يتعذر علينا معاكستهُ نظريًا او عمليًا وهو جارٍ اليوم كما كان يجري منذ الوف من السنين " ٠ على ان علماء هذه الايام يخالفون هذا الرأي لانهم تيقنوا وجود الفساد في الغريزة وعدم صحة الاسترشاد بها فالادب الذي يعزوهُ هكل الى الغريزة الاجتماعية ونموها في الانسان والحيوان يرجع في وضعهِ الى نمو القوى العاقلة كما لا يخفى ٠ وقد اوضحنا في ما سبق ان الغرائز الجنسية قد تقوم بمطالبها افعال ضد الطبيعة والغرائز الاجتماعية قد ترضى بافعال ضد الاجتماع لان منع التوالد والاسقاط وقتل الاطفال افعال ضد الاجتماع وتسير جنبًا لجنب مع حب الزوجة وحب الاولاد ونرى ايضًا ان لاعداء الهيئة الاجتماعية اي الاشقياء والقتلة وسفاكي الدماء نوعًا خصوصيًا من الاخلاق

الادبية فهم امناء بعضهم لبعض ويميل بعضهم الى بعض ويكرهون سواهم وقد يكون لاحدهم وهو اكثر الناس شرًا وافظعهم عملاً واشدهم رهبة انعطاف خاص لأحد امثالهِ ٠ فالغريزة الاجتماعية ليست ان يكون لكل انسان او لكل فيئة غريزة اجتماعية خصوصية بل هي التي تؤهل افراد الهيئة الى عمل مشترك يكون فيهِ من التضامن العام ما يضمن السعادة للعموم والاَّ بقيت الغريزة الاجتماعية في الانسان دون درجة البلوغ لبنيان الاجتماع وتشييدهِ على اركان السعادة

رغماً عمَّا بلغ الانسان من المدنية والعلم لا تزال غريزتهُ الاجتماعية ناقصة لانها لا تستطيع ان ترشدهُ الى الخطة التي يجب عليهِ ان يتبعها ولا ان تدلهُ على الحدود التي يصح ان يقف عندها وهذه هي العقدة التي لا يمكن حلها حلاً مرضياً لا بالنظريات العقلية ولا بالتعاليم الدينية ٠ لان تشويش الغريزة في عملها يشوش على الانسان عملهُ واذا استرشدها ارتبك بين ان يحصر ميلهُ في اقاربهِ او ابناء ملتهِ ودينهِ او فيمن كانوا على مشربهِ وآرائهِ وتصوراتهِ او ان يتوسع فيهِ الى كل الجنس البشري سواءٌ في ذلك السود او البيض والصالحون والطالحون ٠ ومن المعلوم ان الآراء لحل هذا الاشكال قد اختلفت كثيرًا باختلاف الازمنة والتصورات فكان الشعور الديني قبل هذه الايام متغلباً على كل شعور سواهُ وكان الدين الصلة القوية بين الشعوب والحروب الدينية يثور ثائرها بدون انقطاع والدين المسيحي وهو من اشد الاديان تسامحاً لم يقوَ على تسكين ثورة هذا الشعور المختل والامم المسيحيَّة التي يقول لها مشترعها من لطمك على خدك الايمن حوّل لهُ الايسر كانت اشد الامم حماساً للقتل وسفك الدم ولم تقتصر في ذلك على عداوة الامم التي لم تكن على دينها بل انتشرت العداوة بين نحلها المختلفة فاثارت حروباً دموية بعضها على بعض رخصت فيها الارواح ودلت اوضح دلالة على فساد الغريزة الاجتماعية وعلى عدم استطاعة الدين على اصلاح فسادها ٠ ثم ضعف الشعور الديني وحلَّ محلهُ الشعور الوطني ولكنهُ لم يكن اقل منهُ انحرافاً ولا اضعف نظاماً لانهُ أثار ايضاً من الحروب اكثر مما أثار ذاك وهدم من بنيان الاجتماع اكثر مما هدم ذاك والتاريخ الماضي والحاضر شاهد على ذلك ٠ وقد اخذ في هذه الايام ينتشر مبدأ التضامن العام وعليهِ اجتمعت امم مختلفة الدين واللغة والعوائد والاخلاق وحملوا على الصين حملة مشتركة ولم تجمعهم لذلك الجنسية لان الجنس المغولي انضم الى الاجناس الاوروبية ولا الرابطة الدينية لانهم كانوا مؤلفين من كاثوليك وبروتستانت وارثوذكس وبوذيين على ان ذلك ليس من التضامن العام بل هو تضامن فيئة كبيرة مشتركة في المنافع ومتشابهة في التدريب العسكري والسياسي

فالتضامن العام هو ان يشعر كل فرد من افراد الهيئة البشرية بواجب العمل بما فيهِ سعادة الكل . ويزعم البعض ان هذا الميل سيزيد انتشاراً حتى يشعر البشر كلهم انهم متضامنون على ان ذلك مما يعسر او يستحيل تحقيقهُ لما فيهِ من التشويش لان الميل المتطرف مضر ويدعو احياناً الى الانعطاف على الاشرار المضرين بالهيئة الاجتماعية وقد حمل بعض الامم على الاشتراك في الحرب بدون ان يكون لها منها فائدة ولهذا يفضل ان نقيد الغريزة بفائدة الناس المجتمعين لغاية مشتركة . وقد ظهر من احتكاك الاجناس المختلفة بعضها مع بعض في المعايش والمرافق صعوبة كبرى في تطبيق هذا المبدإ ونرى النزاع قائماً على الدوام في اميركا بين البيض والسود . ونرى الصينيين يحرمون في اميركا واوستراليا من بعض الحقوق التي يتمتع بها اهل البلاد

اتضح مما تقدم ان الغريزة الاجتماعية هي من مكتسبات الانسان الحديثة وانها لا تزال فيهِ ضعيفة او غير بالغة حدَّ النمو بحيث لا يصح الاسترشاد بها لوضع نظام ثابت يصح العمل بهِ والسير بمقتضاهُ فاضطر الحال منذ الازمنة القديمة للالتجاء الى سُنَّة الوحي او الشريعة الدينيَّة لربط العلائق بين الناس وللتوفيق بين مصالحهم . وبعد ما تشعبت المصالح وتعددت المطالب اضيفت اليها الشريعة الوضعية او القانون المدني فتوصلوا بذلك الى نوع من نظام الحياة المشتركة على ان ذلك لم يأتِ الانسانية بضالتها المنشودة بل هو اشبه بمحاولة الطبيب في مداواة مرض عضال لا يرجى منهُ الشفاء فهو يحاول ان يدفع الالم عن المريض او ان يطيل اجلهُ اذا استطاع لانهُ عند وقوع الكوارث التي تقوم فيها الفوضى مقام النظام وينسدل فيها النقاب على وجه القانون تظهر الغريزة باقوى مظاهرها من الخلل ومن امثلة ذلك ما شاهدتهُ في كارثتين مهمتين احداها في مدينة بيروت سقطت فيها منازل كبيرة على سكانها فاحتشد الناس لمساعدة المنكوبين واخراج المردومين وتشاغل الكثيرون عن المساعدة بسلب ما وقعت عليهِ ايديهم . والثانية في مدينة زحلة احترقت فيها السوق الكبيرة فاسرع الناس الى تخليص البضائع لاصحابها ولكن ضاع منها بالنهب بقدر ما ضاع بالحريق . وما كدت افرغ من كتابة هذه الاسطر حتى ابدت ذلك الانباء البرقية عن زلزلة مسينا فان الغرائز الطبيعيَّة انحلت من قيودها وانقضَّ اللصوص على المخازن ينهبونها واضطرت الجنود ان تفرقها بالسلاح

فالاجتماع اذاً لم يبلغ منتهى امل الانسانية بتشييد بنيانهِ على اركان ثابتة تثبت معها سعادة الانسان . وارى من الصعب او المستحيل تحقيق هذه الامنية ما دامت الغرائز مختلة في عملها ومضلة في دلالتها وما دامت المنافع متعددة ومتنوعة والكل يعمل للاستئثار بها لان

حب الاثرة والسلطة من مظاهر الحيوانية او بالحري من الافعال الطبيعية التي تأصلت ونمت في كل الكائنات الحية وجعلت الحي يسعى لحفظ كيانهِ باستئصال ما يقدر على استئصالهِ مما يعارض كيانهُ او بمحاربة ما لا يقوى عليهِ بما سلحتهُ بهِ الطبيعة من الاجهزة التي تدفع عنهُ الأذى بحيث اصبحت الحياة حيوانية كانت او نباتية جهاداً مستمراً يبتدئ منذ اول وجود الحي الى ان تنتهك قواه وتخل عزيمتهُ ويضمحل من عالمهِ. وهذا هو الناموس الطبيعي المعروف بتنازع البقاء. ومهما بلغ القانون من الكمال فلا بد من بقاء اثر فيهِ للنقص الدال على نقص في الغريزة وان يبقى فيهِ تقصير لعدم امكان احاطتهِ بكل ما يتفرع من المسائل التي تعرض عليهِ وهو يحاول حلها بتطبيق موادهِ التي وضعت للنظر الاجمالي في اعمال اجمالية فتطبيق المادة على اعمال افرادية قد لا يكون صحيحاً او لا يفي بالغرض المطلوب

وقد حاول الانسان منذ مئات من السنين تهذيب القانون وبالتوسع في موادهِ حتى يمكن تطبيقها على كل قضية يعرض حلها عليهِ وربما زعم واضعوهُ والمشتغلون بهِ انهم وصلوا الى الغاية التي يرجونها منهُ وهي بسط العدالة وسعادة الاجتماع ولكنهم متى اضطروا الى التطبيق وجدوا من العثرات والصعوبات ما لم يكن في الحسبان فيعودون الى التغيير والتبديل والتحوير والتحويل وتبقى مع ذلك الحالة على ما هي من التعقيد والاشكال ولو رجعوا الى النظام الطبيعي لعرفوا ان الخلل من سوء هذا النظام وان لا مناص في اشتباك عناصر الاجتماع من ارتكاب المظالم ولا مناص ايضاً من وجوب تحملها

ولا ينكر ان الاجتماع قد ارتقى كثيراً ولا سيما في العصر الاخير ولكن في ارتقائهِ شذوذاً وفي قانونهِ خروجاً عن الحدود لا يمكن التعليل عنهما الا بفساد الغريزة فقد تطرف محبو الانسانية بتأليف الجمعيات للرفق بالحيوان وزعموا ان ذلك من واجبات الانسانية ويحتم على كل فرد العمل بهِ ولكن فاتهم ان تطرفهم شذوذ عن الواجب الانساني لانهم يرفقون بالحيوان ويجورون على الانسان فيحذرون على الحوذي ان يضرب البهيم بسوطهِ ولكنهم لا يستنكرون ضرب الحوذي باسواطهم ويرفقون بالحيوان الآهل الذي ينفع الانسان بخدمتهِ ولكنهم يذبحون الحيوان الآهل الذي ينفعهُ بغذائهِ. فالرفق بالحيوان ان هو الا من انانية الانسان وحبهِ للأثرة وليس هو في شيء من كمال الاجتماع

وقد شرعت رسل السلام في هذهِ الايام تبشر بسعادة الاجتماع وتطلب من اصحاب الأثرة والسلطة نزع السلاح والنزوع الى التضامن العام. ولكن اني لمستأثر ان يرضى بذلك وهو يرى الملايين تأتمر بامرهِ وتتفانى في خدمتهِ فيقودها على اهوائهِ كما يقود الراعي قطيعاً

من الانعام فلا يرضى ان ينزل عن عرش الالوهية ويستوي في مصاف الرعية . وارى ان الحكومة الدستورية لا تبعد كثيرًا عن حكومة الفرد في تأدية الوظيفة الاجتماعية ولا تختلف عنها الاَّ من حيث توزيع الاثرة لان الحق في كلتيهما هو في جانب القوة ولان القانون يخوّل رجال الحكومتين ان تهدر الدماء وتذهب بالارواح بلا حساب ولا مبالاة . والفرق بينهما ان الحرب في الاولى تشهر بارادة الفرد وفي الثانية بارادة افراد وفي الاولى لارضاء رغائب الفرد وفي الثانية للدفاع عن مصالح الوطن وشرفهِ ولكنها هي الحرب على الحالين والدماء تهرق فيها في الحكومتين . فالحكومة الدستورية التي تفضل كثيرًا حكومة الفرد لم تقم بالواجب المطلوب منها نحو الاجتماع بنشر السعادة وبسط العدالة بل بقيت هذه المسئلة فيها كما كانت في الحكومة المطلقة من المسائل المعقدة التي لا تحل او لا يحلها الاَّ الزمن الآتي البعيد

ومن غريب التمويهات ادعاء الحكومات الدستورية ان الغاية من زيادة المعدات الحربية هي حفظ السلام العام ولو اجمعوا على العدول عنها ورفعوا عن اكتاف العامة عبء اثقالها لما كان في عملهم هذا ما يخل بالسلام العام بل كان هو السلام بعينهِ ولكانت الالوف العديدة تخلص من قيود الجندية وتشترك في العمل لخدمة الهيئة الاجتماعية وكانت العقول الثاقبة التي انصرفت الى اختراع معدات القتل تنصرف الى اختراع معدات العمران ولكانوا يستغنون عن القانون العسكري وعن المحكمة الدولية التي وضعت اصلاً لتوطيد دعائم السلام فانصرفت الى سنّ قوانين الحرب واشتغلت بفصل الخلاف في توزيع الغنائم

يزعم اهل السياسة ان محكمة لاهاي هي من محاسن هذا العصر لانها محكمة السلام وبها تجتنب الحروب ويمنع هرق الدماء ولكنها منذ تشكيلها الى الآن لم تمنع حربًا ولا حقنت دمًا فقد دعى لعقدها كبير من كبار العصر ورئيس من اعظم رؤساء الحكومات الذي يقبض على زمام اكثر من ١٢٠ مليونًا من البشر وما كادت تتألف حتى القى شعبهُ في حرب دموية شابت لهولها الاطفال ولم يذكر التاريخ حربًا اكثر منها شؤمًا واشد هولاً وافتك في النفوس واقتل في المهج فاشتغلت محكمة لاهاي حينئذٍ بوضع قانون للحياد ولتموين السفن الحربية ولغير ذلك من المسائل الخارجة عن وظيفتها الاصلية . وذاك الرجل العظيم الشان الذي تنحني لهيبتهِ الرؤوس اجلالاً ولا يذكر اسمهُ الاَّ بالتعظيم والاحترام ما كاد يخرج من تلك الحرب المشؤومة حتى انتشرت الثورة في بلادهِ وفاضت بها الدماء وعمَّ البلاء ومع هذا كلهِ فمحكمة لاهاي التي قامت بدعوتهِ لم تاتِ عملاً ولا اوقفت حربًا ولا حقنت دمًا ولا وجهت لهُ لومًا فوجودها اذًا لا يبرهن على حصول التضامن العام بل بالعكس يدل على خلل الغريزة الاجتماعية ويؤيد

ما قلناهُ سابقاً انهُ لا يجوز الاسترشاد بها الى سن القانون فهو اشبه بغريزة انتخاب الطعام التي لا يهتدي بها الانسان الى انتخاب ما يلائمهُ من الغذاء فلجأ الى العلم الذي هداهُ الى معرفة الغذاء الموافق لهُ في كل احوال المعيشة. ولهذا يجب ان نعرف اولاً ما هي مطالب الغريزة الاجتماعية ومن ثم نبحث في الوسائل التي تساعد على سعادة الافراد من المجتمع الانساني لان السعادة المطلقة يتعذر الحصول عليها والسعادة الحقيقية غير محدودة ولا معروفة وما نعتبرهُ سعادة في الواحد قد يكون شقاء في الآخر ورب قائل يقول عن نفسهِ انهُ سعيد والعموم ينكر عليهِ ذلك او يحكم لهُ العموم بالسعادة وهو ينكرها على نفسهِ هذا عدا عن ان الشعور بالسعادة التامة كثيرًا ما تكون عرضاً كما في الجنون او الفالج العام والحصول عليهِ يجب ان يكون كل الناس مجانين وعليهِ فالسعادة التامة والحقيقية ليست بموجودة لانها ترتبط ارتباطاً متيناً بالسعادة الاجتماعية وما دامت هذه بعيدة الحصول فتبقى هي والعدالة من العقد التي لا يسهل حلها

يقول البعض ان القوانين وضعت في اجتماع يختلف عن الاجتماع الحالي فيجب نقضها برمتها وسن قانون جديد يوافق المدنية الحاضرة لان اصلاح البناء المختل لا يجود العمل فيهِ كما يجود في البناء الجديد على ان ذلك لا يأتي بالغاية المطلوبة لان المدنية ليست واحدة بل تختلف باختلاف الامم في عوائدها واخلاقها وآدابها فلا يمكن ان يكون القانون شاملاً وثابتاً الاَّ ان تكون المدنية واحدة واخلاق الامم كلها واحدة وثابتة وما دام الناموس الطبيعي يقضي بعدم الثبوت على حالة واحدة فالقانون لا يمكن ان يكون ثابتاً بل يتنوع بحسب تقدم الامم في المدنية

وقد اصاب صديقي الدكتور شميل بانتقادهِ القانون في رسالتين بليغتين نشرهما المقطم واخطأ الذين حملوا عليهِ وسفهوا رأيهُ لانهُ فاتهم انهُ بعيد المرمى وشريف الغاية ولذا تطفلت على البحث في هذا الموضوع من الوجه الفلسفي والعلمي لايضاح ما اشكل على مناظريهِ وفضلت نشرهُ في المقتطف لسعة باب البحث فيهِ وانما ولجت هذا الباب اظهارًا للحقيقة من جهة واستدرارًا لمعارف الادباء من جهة اخرى وما انا في هذا البحث سوى ملتقط فتاتاً من موائد اهل العلم ولعلَّ صديقي الدكتور شميل يتحف القراء بنفثات قلمهِ السيال لانهُ غزير المادة وواسع الاطلاع في هذه الابحاث وقلَّ من يجاريهِ فيها ويقتفيهِ علماء القانون وغيرهم من رجال العلم والادب الذين يهمهم ارتقاء الاجتماع ووضع نظام لنمو الانسانية يكون فيهِ اقل ما يمكن من الشوائب ليتمكن افراد المجتمع من الحصول على قدر ما يمكن من السعادة والتمتع بقدر ما يمكن من العدالة

الدكتور امين ابو خاطر

شعر الشريف الرضي

قالوا ان الشاعر الذي يطمع في تخليد ذكرهِ يجب ان يكون مجيدًا وغير المجيد من الشعر لا يبقى بعد ناظمهِ ولا عبرة بالاكثار لان الاكثار وحدهُ لا يكفي لجعل الشاعر في مصاف الشعراء المفلقين فهذا السموأل مثلاً يعدُّ في الطبقة الاولى على اننا لا نذكر لهُ غير القصيدة التي مطلعها

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضهُ فكل رداء يرتديهِ جميلُ

وامرؤُ القيس ديوانهُ صغير ولم يشع منهُ سوى معلقتهِ المشهورة الاَّ ان الشريف الرضي قد جمع بين الاكثار والاجادة حتى انهُ دعي في وقتهِ اشعر قريش لان شعراءهم لم يكثروا او ان المكثر منهم لم يكن مجيدًا والمجيد لم يكن مكثرًا والرضي قد فاز بالامرين فكان شاعرًا معدودًا ولم يزل يحسب من عداد الشعراء النابغين مثل المتنبي وابي تمام والبحتري . ومن الناس من يفضلهُ عليهم والظاهر انهُ فاقهم بمقدرتهِ الفائقة على امتداد النفس في نظم القصائد الطويلة فكان ينظم القصيدة ويبلغ بها المئة بيتًا ثم هو لا تبدو عليهِ امارات الكلفة التي كثيرًا ما تظهر في شعر غيرهِ اذا عمد الى التطويل . وكان مطبوعًا على السهل من النظم فهو يشبه بهاء الدين زهيرًا من هذا القبيل على انهُ كثيرًا ما كان يغرب في شعرهِ شأن سائر الشعراء فيستشف منهُ انهُ انحرف عن فطرتهِ وحاد عن سليقتهِ واليك مثالاً من شعرهِ اللطيف السهل

بلونا ما تجيءُ بهِ الليالي فلا صبح يدوم ولا مساء
وانضينا المدى طربًا وهمًّا فما بقي النعيم ولا الشقاء
اذا كان الاسى داء مقيمًا ففي حسن العزاء لنا شفاء
ولا ينجي من الايام فوت ولا كدٌّ يطول ولا عناء
تنال جميع ما نسعى اليهِ فسيَّان السوابق والبطاء

ومن غريبهِ

ما يصنع السير بالجرد السراحيب ان كان وعد الاماني غير مكذوب
لله امرٌ من الايام اطلبهُ هيهات اطلب امرًا غير مطلوب
لا تصحب الدهر الاَّ غير منتظر فالهمُّ يطردهُ قرع الظنابيب
واقذف بنفسك في شعواء خابطة كالسيل يعصف بالصوان واللوب

ان حنّت النيب شوقاً وهي واقفة فان عزمي مشتاق الى النيب

وكان يحفظ شعر المتنبي و يعجب بهِ ولولا ذلك ما كان علق في ذهنهِ واصبح من جملة محفوظاتهِ على ان البعض رووا عنهُ انهُ كان في احد الاوقات يبحث في شعر المتنبي و ينتقدهُ ويظهر معايبهُ ويقول ان المتنبي ليس بشاعر وكان ابو العلاء المعري في مجلسهِ فسألهُ الشريف عن رأيهِ في ابي الطيب فقال ابو العلاء على الفور ان لم يكن للمتنبي غير قصيدتهِ التي يقول في مطلعها

لكِ يا منازل في القلوب منازل اقفرتِ انت وهنَّ منك اواهلُ

لكفاهُ ذلك ان يكون شاعرًا عظيمًا فاحتدم غيظ الرضي من ابي العلاء وقال للجماعة اطردوا هذا الاعمى من مجلسي فخرج ابو العلاء من مجلس الشريف ثم سألهُ اصحابهُ فقالوا ان ابا العلاء لم يقل الأخيرًا فلماذا حنقت عليهِ فقال لهم انكم لا تعلمون ماذا قصد فانهُ قصد من هذه القصيدة البيت الذي يقول

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كاملُ

وقد تكون هذه الرواية صحيحة وقد تكون موضوعةً ولكنها اذا اتخذت دليلاً على احتقار الشريف للمتنبي فهي موضوعة • يدلك على ان الرضي لم يكن ينتقص المتنبي وانهُ حفظ من شعرهِ الشيءَ الكثير انهُ كان يتحداهُ في بعض المواطن ويضرب على قوالبهِ وكثيرًا ما كان يستعمل الفاظ المتنبي التي علقت في ذهنهِ شأن كل شاعر يتوخى طريقة غيرهِ او يحفظ كلام غيرهِ من الشعراء قال الشريف

كلامي غبار الخيل في كل غارة وثوبي العوالي والحديد المذربُ

وللمتنبي

يريد بك الحسّاد ما الله دافع وسمر العوالي والحديد المذربُ

وللشريف

اذا شئت فارقت الحبيب وبيننا من الشوق ما يملي عليَّ واكتبُ

ولابي الطيب

واخلاق كافور اذا شئت مدحهُ وان لم اشأ تملي عليَّ واكتبُ

وللشريف

فلا زال ممدودًا عليك ظلالهُ ولا زلت في نعمائهِ تتقلبُ

وللمتنبي

واظلم اهل الظلم من بات حاسدًا لمن بات في نعمائهِ يتقلبُ

ولم يكن هذا التوارد اللفظي في الخواطر كثيرًا في شعر الرضي وانما جاء في بعض ابياتهِ مما يدل على انهُ قرأ المتنبي كثيرًا. ورأيت في غضون قراءتي لشعر الشريف قصائد حكمية كثيرة ومنها ما يماثل منظوم المتنبي في المعاني الحكمية وهاك نموذجًا منها

اذا قلَّ مالي قلَّ صحبي وان نما فلي من جميع الناس اهل ومرحبُ
غنى المرء عزٌّ والفقير كأنهُ لدى الناس مهنوءُ الملاطين اجربُ
تطالبني نفسي بكل عظيمة ارى دونها جاري دم يتصببُ
ويأمرني الذلاَّن ان لا اطيعها واعلم من طرق العلى اين اذهبُ
ولا علم لي بالغيب الاَّ طليعة من الحزم لا يخفى عليها المغيَّبُ

وهي مثل حكم المتنبي والغالب ان الشريف كان يجيد في الحكم وشكوى الزمان والاخوان اكثر من اجادتهِ في سائر ابواب الشعر فاذا مدح كان يبتدئ بالحكم ويتوصل بعد ان يكثر منهُ الى مدح الممدوح وسبب ذلك انهُ لم يمدح احدًا طمعًا بمنصب لانهُ كان رفيع المنزلة عزيز الجناب فهو بهذا يختلف عن المتنبي كثيرًا لان المتنبي كان يمدح الامراء استجداء فاذا اخفق مسعاهُ عاد الى الهجاء كما جرى لهُ مع كافور. اما الشريف فكان اعظم قومهِ وكان يترشح للخلافة وكان ابو اسحق الصابي يطمعهُ فيها ويذهب الى ان طالعهُ يدل على ذلك ولهُ في هذا شعر ارسلهُ الى القادر بالله قال فيهِ

عطفًا امير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ ابدًا كلانا في المعالي معرقُ
الاَّ الخلافة ميزتك فانني انا عاطل منها وانت مطوقُ

ومن يقول هذا القول ليس في حاجة الى التزلف الى الخليفة او الى غيرهِ. وكانت دارهُ مباءة للعلماء واهل الادب ولم يكن اقل من المتنبي حكمًا وقد يفوقهُ في بعض المواقع ولو قيض لهُ ان يُعنى بديوانه فيشرح شرحًا وافيًا مثل ما شرح ديوان المتنبي لكان الآن مرجع اللغة على العموم. ومعلوم ان المرء يميل بطبعهِ الى قراءة الشعر السهل فان هو رأى ما يتعذر عليهِ فهمهُ تحاشاهُ ولم يأبهْ لهُ ولا يخفى ان شعر الشريف بعيد التناول الاَّ على الادبب لما فيهِ من ترامي المعاني واغلاق المغازي على انهُ لم يأتِ ذلك لضعفهِ في اللغة او عدم مقدرتهِ على التركيب السهل وانما كان ذلك منهُ لانهُ كان يميل الى اتيان المعاني الفائقة

التي لا تدرك الا بعد اعمال الفكرة واعنات الروية . ومن شعرهِ اللطيف الذي يلج الاذان بدون استئذان قولهُ وهو من اوائل شعرهِ

فداؤك نفسي يا من لهُ ... من القلب ربع منيع الجنابِ
فلولاك ما عاق قلبي الهوى ... وعزَّ على كل شوق طلابي
اذا ما صددت دعاني الهوى ... فملت الى خدعات العتابِ
فيا جنتي ان رماني الزمان ... ويا صاحبي ان جفاني صحابي
دفعت بكفي زمامي اليك ... وقد كنت ابطي على من حدا بي
فلا تحسبني ذليل القياد ... فاني ابيٌّ على كل آبي

ومن نسيبهِ قولهُ

اقول وقد ارسلت اول نظرة ... ولم ارَ من اهوى قريباً الى جنبي
لئن كنت اخليت المكان الذي ارى ... فهيهات ان يخلو مكانك من قلبي
وكنت اظن الشوق للبعد وحدهُ ... ولم ادرِ ان الشوق للبعد والقربِ
خلا منك طرفي وامتلا منك خاطري ... كأَنك من عيني نقلت الى قلبي

ولهُ من هذا النمط شيءٌ كثيرٌ وكلهُ مما يأخذ بمجامع القلوب ويلعب بالعواطف والنفوس فكأَنك وانت تقرأُ شعرهُ السهل الممتنع تقرأُ شعر شاعرٍ من المعاصرين لا شعرًا مضى عليهِ الف عام . وقد لحظت ان الشريف كان يجيد كثيرًا في الشعر الخيالي كالغزل والوصف وقلَّ ان يرى في قصائدهِ التي من هذا القبيل امارات التكلف او التعقيد وما ذلك الا لانهُ كان يقول في هذه المعاني ما توحيهِ قريحتهُ فلم يتقيد ولم يضطر الى الاغراب كما كان يفعل في القصائد التي يمدح بها احدًا والتي يتوخى ان تنشر وتنشد بين الشعراء والادباء وهذا مما يدلُّ على انهُ اذا لم يعمد الى الاغراب وترك نفسهُ تملي عليهِ ويكتب ما تمليهِ فلا يودع شعرهُ الا في قالب من الالفاظ سهلٍ خالٍ من حوشي الكلام ومعاظلة التراكيب . ثم ان ما كان يحدث لهُ كان يحدث ايضاً للمتنبي فكلاهما متفق من هذه الوجهة . وكان الشريف يتوخى القاء هيبتهِ ورهبتهِ بين شعراء العصر حتى لا يجرأ احد على انتقاد شعرهِ . ومعلوم ان معاصريهِ كانوا من كبار الشعراء وحسبنا ابو العلاء المعري فانهُ كان معاصرًا لهُ فلما نال الشريف منزلة عالية بين اهل الادب اجهد نفسهُ في المحافظة على تلك المنزلة فاغرب واغلق في حالات عديدة حتى كسب فوق اعتراف الناس بشاعريتهِ اعترافهم بانهُ حجة اللغة وامام البلاغة

وكان شاعرًا مطبوعًا نظم الشعر وهو في سن الصبا ومن شعرهِ وكان لهُ عشر سنين في ما قيل قولهُ

المجد يعلم ان المجد من اربي ... ولو تماديت في غيّ وفي لعبِ
اني لمن معشر ان جمعوا لعلى ... تفرقوا عن نبيّ او وصيّ نبي
اذا هممت ففتش عن شبا(١) هممي ... تجدهُ في مهجات الانجم الشهبِ
وان عزمت فعزمي يستخيل قذى ... تدمي مسالكهُ في اعين النوبِ
ومعرك صافحت ايدي الحمام بهِ ... طلى الرجال على الخرصان من كثبِ(٢)
حلّت حباها المنايا في كتائبهِ ... بالضرب فاجتثّت الاجساد بالقضبِ
تلاقت البيض في الاحشاء فاعتنقت ... والسمهري من الماذي واليلبِ(٣)
بكت على الارض دمعًا من دمائهم ... فاستعربت من ثغور النور والعشبِ

وقد اجاد في الرثاء واكثر رثائهِ كان في اقربائهِ واهلهِ واصدقائهِ فاذا ابتلي بفقد احد منهم كان يتأثر شديد التأثر فينظم الشعر عفوًا يبعثهُ عليهِ انفعال حقيقي في النفس. ومن بعض مراثيهِ ما نهج فيهِ منهج السهولة واحسنها رثاه ابي اسحاق الصابي الكاتب المشهور ومطلعها

أعلمت من حملوا على الاعوادِ ... أرأيت كيف خبا ضياء النادي

وهذه المرثية مأثورة عن الشريف الرضي وكم من راثٍ جعل مطلعها ديباجة رثائهِ وبدء كلامهِ. وقد برَّز في قصائدهِ الفخرية واخص منها القصائد التي افتخر فيها باجدادهِ من الامام علي ابن ابي طالب وابنهِ الحسين حتى ابيهِ الطاهر. وكان يحسب ان لا شرف اعظم من الانتماء الى ذلك البيت الطاهر. وكثيرًا ما نظم القوافي في مدح اسلافهِ وخصوصًا في رثاء الحسين ومقتلهِ وذم الجماعات الذين قاموا على الامام علي وعلى اولادهِ. وهذا النهج الذي نهجهُ الرضي في مدح آلهِ اصبح بعدهُ القالب الذي ضرب عليهِ جميع شعراء الشيعة ممن جاؤُوا بعدهُ حتى اليوم وكلهم اجادوا في ذلك. وتوخوهُ ايضًا في التغزل بارض الحجاز ومدح اهل البيت ولولم يكن شعرهُ بالغًا حد الاعجاز في هذه الموضوعات لما ابقى ذلك الاثر في من اتى بعدهُ من شعراء الشيعة. وكانت قصائدهُ في رثاء الحسين مثال الكمال الشعري وقد اجاد كل الاجادة فيها وكثيرون من الذين يتوجعون لمقتل الحسين يحفظون مراثي الرضي وينشدونها. وقد حذا حذوهُ في رثاء الحسين اكثر الشعراء الذين اتوا بعدهُ ومن بعض شعرهِ في رثائهِ قولهُ

---

(١) حد (٢) الطلى الاعناق والخرصان جمع خرص وهو القناة (٣) الماذي الدروع اللينة والسهلة والسلاح كله واليلب والدروع من الجلود

يا يوم عاشوراء كم لك لوعة تترقص الاحشاء من ايقادها
ما عدت الأ عاد قلبي غلّة حرّى ولو بالغت في ابرادها

وكل قصائده التي من هذا القبيل غاية في حسن الانسجام ومتانة التركيب بل كل ما قاله في الرثاء ابدع فيه منتهى الابداع لان مقام الرثاء ابعد المقامات عن التنطس وليس فيه مجال للاغراب والاتيان بالتراكيب المشوشة ولا يبقي فضلة في القلب للاشتغال بغير مناجاة الخيال . وعثرت في قصائده الرثائية على واحدة يرثي بها بنت سيف الدولة ابي الحسن علي ابن حمدان التي كانت تسمى تقية مصر وقد انتقلت اليها من الشام وكانت من فضليات النساء في قومها وقيل انها كانت تشغف بشعره فرثاها بقصيدته التي مطلعها

نغالب ثم تغلبنا الليالي وكم يبقى الرّميُّ على النبالِ

وبين هذه القصيدة والتي رثى المتنبي بها والدة سيف الدولة مشابهة في البحر والقافية وبعض المعاني ومطلع الثانية

نعدُّ المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتالِ

وعلى الجملة فاني ارى ان الشريف الرضي قد ابدع في اواخر ايامه اكثر مما ابدع في اوائلها وكان يشوب شعرهُ في اوائله تعقيد كثير وتانق على انهُ خفف من هذا الميل بعد ان اكتهل فصارت اشعارهُ مما يسهل فهمهُ ويقرب مأخذهُ وان من يتصفح ديوانهُ يتبين هذا الفرق بين شعره الاول وشعره الاخير فقد كان يتعمد الاغلاق في مبتدإ نظمه على ما يظهر وهذا دأب كل مبتدىء في نظم الشعر فانهُ يتعنى انتخاب الالفاظ الغريبة والابهام حتى ينسب اليه بُعد الغور في اللغة والادب على انهُ اذا مضى عليه هذا الزمان فينضج فكرهُ ويصبح يعنى بالمعاني دون المباني الأ ما وجب منها للافصاح عن الفكر باحسن بيان وهذا يشبه ما حدث للمتنبي ولغيره من الشعراء المجيدين

وعلى الجملة فقد كان الشريف الرضي شاعرًا مولدًا لكثير من المعاني حافظًا لشوارد اللغة والفاظها والاكثرون على انهُ من طبقة الشعراء المشهورين مثل البحتري والمتنبي وابي تمام وديوانهُ من كتب الادب ويخلق بكل اديب ان يقرأهُ ويتقصى ما ورد فيه من مبتكرات المعاني ولطائف الاختراع في الشعر ويا حبذا لو انتخل من هذا الديوان الكبير مجموع صغير وشرح شرحًا وافيًا مثلما شرح ديوان المتنبي فيسهل فهمهُ ويعم نفعهُ

دمشق خليل يعقوب الخوري

السرطان

وخلاصة البحث عن سببهِ وعلاجهِ

يعلم قراء المقتطف انهُ تألَّفت لجنة من كبار العلماء في بلاد الانكليز في اواخر سنة ١٩٠٢ للبحث عن سبب السرطان وعن افضل الطرق لعلاجهِ وجُمعت لها الاموال الوافرة لتمكنها من هذا البحث. وقد اصدرت هذه اللجنة الآن تقريرها الثالث وضمَّنتهُ خلاصة اعمالها وما وصلت اليهِ بعد البحث الدقيق والعناء الشديد ومفادهُ ان سبب السرطان غير معروف حتى الآن وحقيقتهُ غير معروفة ايضاً ولم يكتشف لهُ علاج يمكن استعمالهُ فيشفيهِ او يقي منهُ وخير الوسائل للنجاة منهُ حتى الآن نزعهُ بعملية جراحية

نعم ان اللجنة لم تكتشف علاجاً يمكن استعمالهُ لشفاء الانسان من السرطان او لوقايتهِ منهُ ولا عرفت حقيقتهُ ولكنها حققت اموراً كثيرة مما يرجح انهُ يوصل الى ذلك وسنبين خلاصة الامور التي حققتها في ما يلي وهي

اولاً ان السرطان كثير الانتشار جداً فقد حققوا ان الذين يموتون في بلاد الانكليز وسنهم ٣٥ سنة فاكثر يكون منهم رجل مصاب بالسرطان من كل احد عشر رجلاً وامرأة مصابة بهِ من كل سبع نساء اي تسع الرجال والنساء يموت بالسرطان فلا تكاد عائلة تخلو منهُ وقلما يجتمع عشرة الأ وبينهم واحد على الاقل مصاب بهِ. ولم يثبت حتى الآن ان هذا الداء آخذ في الازدياد كما زعم البعض ولاثبت انهُ بين الامم المتمدنة بالتمدن الاوربي اكثر منهُ بين غيرهم من الامم. وقد زعم البعض انهُ نادر في بلاد اليابان ولكن الاحصاءات الحديثة اثبتت انهُ غير نادر بل هو كثير فيها كما في غيرها

ثانياً ان السرطان يصيب كل الحيوانات ذوات الفقار كما يصيب الانسان فلا تسلم منهُ الاسماك كما لا تسلم منهُ الحيوانات العليا حتى الانسان

ثالثاً ان اكثر حدوثهِ في الثلث الاخير من عمر الحيوان سواء كان عمرهُ الطبيعي طويلاً او قصيراً

رابعاً لم يثبت انهُ ينتقل بالعدوى كالامراض المعدية فقد وضعت الوف كثيرة من الفيران المصابة بهِ مع غيرها من الفيران السليمة منهُ في مكان واحد واستمرَّ ذلك ست سنوات متوالية اي نحو ثلاثة اضعاف عمر الفار الطبيعي فلم تعدَ السليمة من المصابة

مطلقاً ولم يعدَ احد من الناس الذين كانوا يجرون التجارب فيها . ويقدَّر ان في انكلترا وويلس نحو خمسين الفاً من المصابين بالسرطان فلو كان معدياً كالجدري لانتشرت العدوى منهم الى غيرهم وعمَّ البلاء لكنهُ ينتقل بالتطعيم اي ليس لهُ ميكروب يمكن تجريدهُ من الجسم الحي ونقلهُ من حيوان الى آخر كميكروب السل والكوليرا والتيفويد بل لهُ ميكروب يبقى عالقاً بالجسم الذي هو فيهِ فاذا قطعت قطعة من ذلك الجسم اي من الورم السرطاني وطُعِم بها حيوان آخر اي زرعت في جسمهِ نمت فيهِ وأُصيب بالسرطان . اما الناس الذين يظهر السرطان فيهم فلا يكون تولدهُ فيهم بالعدوى وكذلك الحيوانات التي يظهر فيها من نفسهِ لا يكون ظهورهُ بالعدوى بل يتولَّد في الحالين تولُّداً على ما يظهر

خامساً ان انتقال السرطان بالتطعيم يكون على هذه الصورة : — اذا قطعت قطعة من ورم سرطاني في فارة وطُعِمت بها فارة اخرى فبعض حويصلات تلك القطعة ينمو وبعضها يموت فالحويصلات التي تنمو هي الحويصلات السرطانية والتي تموت هي الحامل لها . والحويصلات التي تنمو تولّد ورماً سرطانياً في الفارة الثانية فاذا قطعت منهُ قطعة وطُعِمت بها فارة ثالثة اصابها ما اصاب الثانية اي ماتت الحويصلات الحاملة ونمت الحويصلات المحمولة المتولدة من الحويصلات السرطانية . وتختلف الحويصلات الحاملة باختلاف الاورام السرطانية اما الحويصلات السرطانية نفسها فلا تختلف على ما يظهر ولكنها لا تستطيع ان تعيش من غير الحويصلات الحاملة لها

سادساً . ان السرطان لا ينتقل من حيوان الى آخر من غير نوعهِ فلا ينتقل من الفار الى الجرذ ولا من الجرذ الى الفار بل ينتقل من الفار الى الفار ومن الجرذ الى الجرذ

سابعاً ان نسبة الورم السرطاني الى ميكروب السرطان او الى الحويصلات السرطانية كنسبة المشيمة الى الجنين اي ان الورم يغذي الحويصلات السرطانية لا غير

ثامناً ان الاورام السرطانية المختلفة لا يستحيل بعضها الى بعض كأنَّ الحويصلات السرطانية لا تولّد الاَّ نوعها

تاسعاً ان صغار الحيوانات اقبل من كبارها لان تنطعَّم بالسرطان مع ان السرطان يظهر من نفسهِ في الكبار اكثر مما يظهر في الصغار . ونريد بالصغر والكبر هنا السن لا الجسم

عاشراً اذا اختلفت تنوعات النوع الواحد من الحيوان عسر على الحويصلات السرطانية ان تنتقل من تنوع الى آخر في اول الامر ثم يسهل عليها ذلك بعد حين فقد طعموا فيراناً انكليزية بمادة سرطانية من فيران دنماركية فلم يُصب منها بالسرطان في اول مرة الاَّ خمسة

في المئة ثم نقلت المادة السرطانية من هذه الى غيرها من الفيران الانكليزية فزاد فعلها رويدًا رويدًا واخيرًا صار السرطان يظهر في ٩٠ في المئة من الفيران المطعمة كأَن في جسم الحيوان شيئًا يمنع بعض الدقائق السرطانية من النمو فيهِ ولا يمنع البعض الآخر فتزول الاولى وتنمو الثانية وتتكاثر وتستأْثر بالحيوان

حادي عشر انهُ يمكن جعل الجسم غير قابل لنمو الحويصلات السرطانية وذلك بان يطعم الحيوان بمادة سرطانية مأْخوذة من حيوان اخر مثلهُ مصاب بالسرطان عند اول ظهورهِ او بنسيج سليم من حيوان سليم. وتشتد الوقاية في الحالة الثانية اذا تماثل العضوان كما اذا طعم ثدي فارة سليمة بمادة من ثدي فارة اخرى سليم او مصاب بالسرطان في اول ظهورهِ. وما يصدق على الفارة يصدق على الجرذ ولكن الفارة لا تقي الجرذ والجرذ لا يقي الفارة. والمادة السرطانية المأْخوذة من السرطان الجلدي مثلاً تقي من غير السرطان الجلدي ايضًا ولكن وقايتها من السرطان الجلدي اتم وقس على ذلك بقية انواع السرطان. وقد ظهر ان بعض انواع السرطان متشابه وبعضها متخالف فالمتشابه يقي بعضهُ من بعض والمتخالف لا يقي او ان وقايتهُ قليلة

ثاني عشر ان الحيوانات التي لا تُعدَى بالسرطان لا يخرج منها مصل يقي منهُ او يشفي منهُ. ولا يوجد حتى الآن مصل يشفي من السرطان بعد ظهورهِ ونموهِ. والام التي لا تعدى بالسرطان لا تنتقل المناعة منها الى نسلها كما يحدث في الدفتيريا فالوقاية من السرطان المشار اليها آنفًا خاصة بهِ ولا مثيل لها في غيرهِ من الامراض المعدية. والظاهر ان الحيوان الذي يوقى من السرطان لا يعود جسمهُ قادرًا على تقديم الحويصلات اللازمة لنمو حويصلات السرطان فتموت تلك الحويصلات لقلة الغذاء او تضعف وتفترسها خلايا الجسم المعروفة بالفوغوسيت التي تفترس الاجسام الغريبة والميكروبات المرضية وتنجي الجسم منها. ولا يعلم كيف تتم هذه الوقاية في الجسم كلهِ ولكن ما تقدم يفسر لنا كيف يشفى السرطان لذاتهِ احيانًا ويدعو الى الامل بالوصول الى طريقة لعلاجهِ وشفائهِ او لوقاية الجسم منهُ

ثالث عشر انهُ يمكن جعل الجسم شديد القبول للسرطان كما يمكن جعلهُ غير قابل لهُ فاذا نما فيهِ ورم سرطاني سهل نمو ورم آخر سرطاني آخر فيهِ. ولذلك لا يسهل ان يوقى حيوان ظهر السرطان فيهِ كما يسهل ان يوقى حيوان لم يظهر السرطان فيهِ

هذه اهم الامور التي رأَينا فائدة من اقتطافها لقراء المقتطف وهي تدل على ان البحث عن حقيقة السرطان وعلاجهِ لم يزل في دائرة الامتحان ولم يخرج الى دائرة العمل حتى الآن والظاهر ان العلماء المشتغلين بهذه المباحث قد امتحنوا كل العلاجات التي وصفت للسرطان

فلم يجدوا لها نفعاً حقيقياً ولكنهم وجدوا امراً لا يستطيعون انكاره وهو ان السرطان يشفى احياناً لذاتهِ فان كانت حوادث الشفاء المنسوبة الى بعض العلاجات المجرَّبة صحيحة وتلك العلاجات لا تفيد دائماً الفائدة المنسوبة اليها فذلك يشير الى ان الشفاء حدث في الحالين من سبب آخر ولعلهُ فعل نفساني يقوي دقائق الجسم على التخلص من دقائق الداء

اما ما قيل من فائدة التطعيم فهو السبيل العلمي المفتوح الآن لاكتشاف طريقة لمعالجة السرطان ولا يبعد ان يصل العلماء بهِ الى الغاية المطلوبة في هذه السنة او التي تليها لان دائرة البحث قد ضاقت واتجهت الى هذه الجهة · وتبقى الصعوبة في امتحان التطعيم الواقي في الناس فاننا لا نظن ان احداً يسلّم بان يُطعَّم بمادة سرطانية على امل انها تقيهِ من السرطان بعد ذلك كما توقى الفارة بالتطعيم ولا مَن يجيز ذلك لان التطعيم قد يعدي الانسان ولا يقيهِ · ولا وجه للتطعيم بمادة غير سرطانية حيث لا دليل على احتمال تولّد السرطان · ولكن يُحتمل ان يتطوع احد الاطباء المعتقدين صحة التطعيم لامتحان التطعيم فيهِ ومتى ثبت ان التطعيم قد وقاهُ من السرطان اي لم يعد السرطان يظهر فيهِ ولو طعم بهِ يقتدي بهِ غيرهُ من الذين ثبتت لهم فائدة التطعيم الى ان يشيع ويصير الناس يقدمون عليهِ من انفسهم كما يقدمون الآن على التطعيم الواقي من الجدري · ويحتمل ايضاً ان تبيح الحكومات امتحان التطعيم الواقي من السرطان في المحكوم عليهم بالقتل · والاحتمالان بعيدان واقرب منهما ان تكتشف طريقة لشفاء السرطان بالتطعيم بعد ظهورهِ كما تشفى الدفثيريا ولا صعوبة حينئذٍ في الامتحان

واننا نرى في المباحث العلميَّة امراً غريباً تختصر بهِ الطرق الطويلة الشاقة فانك تجد جمهوراً كبيراً من العلماء يبحث في جهة واحدة ويحقق ويدقق كأنهُ قصر نظرهُ عليها دون سواها وقصد ان يستقصيها الى آخرها واذا بعالم آخر او عويلم قام في جهة اخرى واكتشف امراً جديداً لم يكن في الحسبان او انتبه الى حقيقة قديمة اغفى عنها غيرهُ من العلماء فوصل بها الى الغرض المطلوب من اقصر سبيل كما فعل مورس في اختراعهِ التلغراف المنسوب اليهِ وكما فعل مركوني في اكتشافهِ التلغراف الذي لا سلك لهُ · وعسى ان يوفَّق الناس الى اكتشاف الدواء الشافي او الواقي من هذا الداء الوبيل سواء كان بالبحث والتقصي او بالعثور والاتفاق

افتتاح الجامعة المصرية

ذكرنا في الجزء الماضي ما كان من افتتاح الجامعة المصرية ووعدنا بنشر بعض الخطب التي تليت حينئذٍ لانها تدلُّ على منهاج التدريس فيها

خطبة عبد الخالق باشا ثروت احد اعضاء مجلس الادارة

قال مخاطباً الجناب الخديوي

مولاي

ان تاريخ الجامعة المصرية لصحيفة من صحف مآثركم الجليلة بل هو لسان صدق ينطق بما في نفسكم الشريفة من الميل العظيم لرقي البلاد واسعادها

وان نهوض الامة الى احياء العلم لوحي تلقتهُ عن ارادتك العالية. فلا غرو ان أخذت حركة العناية بنشر التعليم تنمو وتزداد الى ان عمت جميع الطبقات واقبل الناس اقبالاً محموداً على انشاء دور العلم وتسابقوا الى تشييدها

الأَّ ان الامة المصرية لم تقف بها عند هذا الحد رغبتها في بلوغ الدرجة المبتغاة لها بين الامم الراقية بل تطلعت الى ما هو اسمى من ذلك من درجات التعليم

نظرت فاذا التربية العملية في مصر الآن لا تزال ترمي الى اعداد ناشئة تقوم بحاجات البلاد وتخريج شبيبة يشتغل كل منها في فنهِ وصناعتهِ وان دائرة التعليم قد قصرت لذلك على القدر الضروري للوصول الى هذه الغاية فخلت البلاد من منهل علمي يستقي منهُ طلاب المزيد عن هذا القدر

رأت ان حاجة الامة الآن الى علماء راسخين في العلم ليست بأقل من حاجتها في الازمان السابقة الى متعلمين عاملين وانهُ قد حان الوقت لتخريج شبيبة تأخذ بيد الامة فتحلها المقام الذي يجب ان يكون لها بين الامم الراقية ذلك المقام الذي لن تنالهُ الأَّ اذا اقبل ابناؤُها على العلم حباً في العلم ولم يقتصروا منهُ على ما يستفقون بهِ ابواب الكسب والارتزاق

رأت ان العلماء في البلاد الاخرى يكادون يأتون في كل فرع من فروع العلم بالمعجزات فكم من مبتكرات نخالها خلقاً سماوياً جديداً جاءنا خبرها من اوربا وغيرها ونحن نكتفي من ذلك البحر الزاخر بمصة الوشل ! وكم من مخترعات مبدعات وآيات بينات فتح الله بها على اولئك العلماء وحظنا منها حظ المتفرج !

رأت انهُ من النقص ان تبقى مصر عالة على الامم بعد ان كانت تغذيها بالعلم والعرفان وان تظل في مثل هذا العصر خلوًا من جامعة تصوغ لها طائفة تجدد ذكرها كما كان ذكرها مجدًا في ماضي الايام والعصور الخالية

رأت كل ذلك وحق لها ان تراهُ وتتدبرهُ . فلا جرم ان قامت قومة واحدة تدعو الى انشاء تلك الجامعة

فولت وجهها بادئ الرأي شطر الحكومة ونظرت في المسألة من وجهة الواجب عليها فرأت ان الحكومات في جميع بلاد الدنيا لا تستطيع وحدها النهوض بالامة من طريق التعليم وانهُ ليس من امة فقهت الى مثل ما فقهت اليهِ الامة المصرية من الحاجة العلمية الّا واخذت يد حكومتها في هذا السبيل وان الفضل في ترقية التعليم في البلاد الاخرى يرجع اكثرهُ الى جمعيات اسست دورًا للعلم وتكفلت هي بادارتها واقتصرت مهمة الحكومة فيها على تعضيدها ومساعدتها بقدر الامكان

فلما احست الامة بما هو واجب عليها بازاء هذا المشروع توجهت عنايتها الى الحث عليهِ وتحقيق الغرض منهُ وهنالك انقسم الناس الى متطير يخاف على المصريين ان يقدموا على هذا المشروع فيحبط عملهم فينالهم من العار ما كانوا في غنًى عنهُ . ومستبشر يرى في يسر الحال وهمة المصريين وأريحية شمائلهم ما يحمل على الاعتقاد بان عملهم سيكلَّل بالفوز ويتوج بالنجاح

وقد دل الواقع على ان المصريين والحمد لله اهل لهذا المجد المحمود فقد تبرعوا ولم يثنهم عن العطاء شدة نزلت بالبلاد فاستحقوا لهذه الاريحية عطف كل محب لترقية العلوم والمعارف

بيد ان ما جمع من تلك العطايا المشكورة ما كان يكفي وحدهُ لابراز هذا العمل الكبير من ظلمة الفكر الى نور الوجود

هنالك يا مولاي هبت على الجامعة وهي وليدة لا تعلم حياتها من موتها هبت عليها نفحة مباركة من تعطفاتك السامية . فدبت فيها روح الحياة فكان لا بد من ان تخطو وتدرج

تفضلت حفظك الله فتقبلت ان تكون الجامعة تحت رعايتك العالية وشرفتها برئاسة الامير ولي عهدك الكريم رئاسة شرف وبرئاسة صاحب الدولة عمك الامير الجليل احمد فؤاد باشا رئاسة فعلية وامرت رعاك الله فاجريت عليها اعانة سنويّة

بفضل تلك الرعاية السامية وفي ظلها الوارف تكونت الجامعة ووضع دستورها واخذت لجنة ادارتها في البحث عن اقرب الطرق لاظهارها في الوجود وادخالها في طور العمل

ولما كان من الضروري ان يكون التدريس فيها باللغة العربية عولت اللجنة على ان تبعث بارساليات الى البلاد الاوربيَّة حتى اذا ما اتم اعضاؤُها دروسهم واستقصوا العلوم التي انقطعوا لها هناك عادوا فقاموا بالتدريس باللغة العربية كلٌّ في علمهِ الذي اختص بهِ

وقد اوفدت الجامعة لهذا القصد الشريف في اوائل الصيف الماضي جماعة من خيرة النابغين من الشبيبة المصرية وهم الآن مغتربون في ربوع تلك الاقطار المتنائية لتحصيل العلم العالي وادخارهِ ليوم رجوعهم الى مصر فيبثُّونها بعلمهم وتعليمهم كما برَّتهم بعنايتها بتربيتهم ويكونون عدتنا واساطين جامعتنا في نيل امانينا

ولما كان تحقيق هذا المقصد يستلزم زمناً طويلاً فتعجيلاً بالفائدة تقرر ان يقوم من الآن بعض العلماء بتدريس بعض العلوم التي لم تنل الى الآن في مصر حظًّا وافرًا من العناية مع ما لها من الاهمية والاثر الحسن في ترقية المدارك وانارة البصائر

ولما كان من المحقق ان جميع الامم عند ما تأخذ باسباب النهضة لا مندوحة لها عن محاكاة الشعوب التي اصابت اوفر قسط من الحضارة الراقية وكان الاخذ عن امة من الامم يوجب الوقوف على اساليبها ودرجة تصوراتها وكيفيَّة تدرجها في ترقيها فقد اختارت الجامعة ان تمشي مع ذلك الناموس الطبيعي بتلقين الطلاب فنون الادبيات عن الامتين الكبيرتين اللتين انتشرت لغتهما بين المصريين انتشارًا كبيرًا فقرَّرت تدريس علوم الادبيات عند الفرنسويين وعند الانكليز كذلك رأَت من اول الواجبات عليها ان يكون في مقدمة ما يدرس في جامعة مصريَّة تاريخ الحضارة القديمة في مصر والشرق وتاريخ الحضارة الاسلامية تلك الحضارة التي لا يزال اهل الفضل من كل الامم الراقية يذكرونها مقرونة بالاعجاب والاحترام . ومَن اولى من المصريين بالوقوف علي حقائق هاتين الحضارتين لتحقيق نهضتهم الحالية واسترجاع ما كان لاسلافهم من مجد عظيم ومقام كريم

وها نحن أُولاء نحتفل اليوم باول خطوة تخطوها الامة المصريَّة للترقي الى مستوى الامم الناهضة . نحتفل بوضع اول درجة من سلم العروج الى اوج العزة والفخار

فاليك يا سيد البلاد واميرها ترفع الجامعة فروض الشكر والثناء على ما اوليتها من نعم حققت بها آمال المستبشرين وامَّنت بها روع المتطيرين الخائفين

وان كل محب لخير بلادهِ ليخط لك في سويداء فؤادهِ ذكرى تشريفك هذا الاحتفال متوجاً نعماك السابقة باعلان رضائك السامي عنها وفقك الله لتحقيق ما ترجوهُ لامتك من الخير والسعادة وأَتم نعمتهُ عليك من التوفيق والسداد

خطبة احمد زكي بك احد اعضاء مجلس الادارة وسكرتير الجامعة

مولاي

بلادك مهد الحضارة والعرفان

لذلك كان حقاً على الجامعة المصرية ان تستفتح بتوجيه الانظار الى مفاخرها في قديم الزمان والى مآثرها في دولة الاسلام : تمهيداً لما ترتجيه من النجاح في خدمة هذه البلاد وفي اعادة العلوم الى لسان العرب الذي وعاها واستوعبها في ايام هارون والمأمون

تلك الامنية العالية ستحقق للجامعة بفضل الله لانها مرموقة بعناية العباس

∴

ازهرت الحضارة على ضفاف النيل الغناء واينعت ثمراتها في عهد الفراعنة الاقدمين وها هي بقايا آثارهم تحدثنا بما بلغوهُ من المكانة العليا في تحصيل المعارف والاجادة في كل انواع الفنون والصنائع . ولا يزال اهل البحث والاستقراء يكشفون لنا في كل يوم من خفايا علومهم ومخزون اسرارهم ما يقضي بالعجب العجاب و يشهد لهم بالاسبقية والرجحان

انتقلت الحضارة الى الاسكندرية في عهد البطالسة فكانت دار العلم والتعليم وحفظت لبلادنا في سجل التاريخ تلك المزية التي تفردت بها مصر في العالم القديم . وكللتها بتاج من الفخار ما زال بهاؤُهُ ساطعاً رغماً عن تصاريف الزمان وعبث الايام

جاء الدور للاسلام . فرفع رايتهُ على المشارق والمغارب . واخرج من بطون الرمال الذهبية مدينة القاهرة التي قامت على اثر طيبة ومنف وعين شمس وصارت كعبة للعلم ومنهلاً يتزاحم عليهِ طلاب الفضل وعشاق المعالي

∴

كما كانت اثور تسابق مملكة الفراعنة في احراز السيادة السياسية وتوسيع دائرة المعلومات البشرية كذلك ظلت بلاد العراق تجاري وادي النيل في هذا المضمار عند ما اشرقت عليهما معاً انوار الاسلام . ولقد بلغت المناظرة الادبية والمزاحمة العلمية بين القاهرة وبغداد حداً يقضي بالدهشة والاستغراب . اذ كانتا تتخاطفان اهل العلم وكتب العلم استئثاراً بالفضل واهل الفضل . حتى ان ابناء العراق اوفدوا رجلاً اتفق مع احد علماء مصر فاشترى منهُ عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب العربية وهي ثلث مجموعتهِ . واتصل الخبر بوزير مصر الافضل فقام وقعد واستكبر هذا الخطب واستنكرهُ . وقال : كيف تحرم مصر من ذخائرها واعلاقها وكيف ترضى بتجردها من حللها وحليها وهل يصح انتقال كنوزها الى غيرها

ونحن احق بها واهلها اعرف الناس بقدرها ? تالله هذا لا يكون ابداً . ثم بعث من مالهِ الخاص الى العالم المصري بجملة الثمن الذي ساومهُ عليهِ رسول العراق ونقل الكتب الى خزائنهِ وكتب عليها القابهُ

امة هذه عناية فرد من عمالها وتلك غيرة واحد من رؤُوسها لا يبعد عليها ان يكون في دار خلافتها مكتبة جامعة عدها اهل الدراية من عجائب الدنيا . وقالوا انهُ لم يكن في بلاد الاسلام اعظم منها. وغير الاسلام في ذلك الوقت لم يكن شيئاً مذكوراً . بلغ عدد المجلدات في هذه المكتبة النادرة ١٦٠٠٠٠٠ مجلد وقد ضاعف بعضهم المليون بجملهُ اثنين. وكانت تحوي ١٢٠٠ نسخة من تاريخ الطبري البغدادي منها واحدة بخط المؤَلف. وكان فيها ٦٥٠٠ جزء من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصة و ١٨٠٠٠ كتاب في علوم الاقدمين. فضلاً عن كرة من النحاس تمثل السماء بكواكبها من عمل بطليموس القالوذي صاحب المجسطي واخرى من فضة صنعها عبد الرحمن الصوفي الفلكي المشهور لملك عضد الدولة البويهي . وهذه الكرة من ذخائر بغداد التي استحوزت عليها مصر كما امتازت ايضاً بحيازة تاريخ الرسل والملوك الذي كتبهُ الطبري بخط يدهِ . فهل يكون من العجب اذا قلت ان الخليفة الفاطمي كان يكثر من التردد على مثل هذه المكتبة البديعة فيجيء اليها راكباً ثم يترجل عندها ويجلس على دكة مخصوصة فينظر في كتب العلم ويستعير منها ما يستفيد منهُ . وكان من تقاليدهم انهُ بعد فراغهِ من المطالعة يدخل اليها ويمشي فيها لتشجيع الطلبة بالمخالطة وحضهم على الاتقان بالمجالسة والمؤَانسة

تلك ايام قد خلت

ولكن التاريخ ما زال يعيد نفسهُ على الدوام . ولذلك ترجو الجامعة المصرية ان تعيد هذه الايام كرة اخرى . وما ذلك على الله بعزيز

∴

هذا كان شأن الشرق من حضارة الاسلام . ولكن الغرب لم يكن اقل منهُ حظاً . فلقد قضت نواميس العمران ان الحضارة تتولد وتنمو على شواطىء البحار وخصوصاً على مجاري الانهار . فكما كان لها شأن كبير في ايام الاقدمين والاسلاميين على ضفاف النيل ودجلة والفرات كذلك كان للحضارة الاسلامية اثر مشكور على شواطىء الوادي الكبير فلقد كانت قرطبة قاعدة الاندلس عروساً في بلاد الغرب ومنبعاً للعلم والفضل حتى افاضت على ديار اوربا تلك الاشعة الاولى من علوم الاسلام . اشعة استنارت بها في ابان نهضتها اثناء

القرون الوسطى وكانت كمقدمة تمهيدية لما وصلت اليهِ الآن مما صيّر الغرب مشرقاً لنور العلم والتمدن في هذه الايام

ماذا اقول عن قرطبة وقد اطبق العارفون على انها كانت اكثر بلاد الدنيا كتباً ? أوَ لم يأتكم حديث الفيلسوفين ابن رشد وابن زهر حينما تناظرا بحضرة المنصور بن يعقوب ملك المغرب في المفاضلة بينها وبين اشبيلية ? قال ابن رشد لصاحبهِ وهو يحاوره: "ما ادري ما تقول . غير انهُ اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبهِ حملت الى قرطبة حتى تباع فيها . وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاتهِ حملت الى اشبيلية"

وفي هذا المقام لا ارى مندوحة عن التذكير بان الاسلام لم يكن خلوًا من الجامعات فقد اشتهرت بغداد بكثرتها وان كان لها نظام غير المألوف الآن . واشهرها المدرسة النظامية فقد تحدى بها اهل العراق صنيع المصريين الذين سبقوهم بتأسيس الازهر المعمور . غير ان القاهرة لا تزال تفتخر بهِ الى الآن . وكذلك كان في البلاد الاخرى التي بسط الاسلام عليها رايتهُ حيناً من الدهر جامعات اخرى مثل التي كانت في بلرم عاصمة صقلية وفي القيروان بتونس وفي معظم مدائن الاندلس . بل قد اوجدها في غير البلاد التي دانت لسلطانهِ فان فرنسا مدينة للعرب بتأسيس وانجاح احد معاهدها العلمية الكبيرة . واعني بهِ مدرسة الطب في مونبلييه . هذه المدرسة التي لا تزال زاهرة يانعة الى الآن مع ان الجامعات الاسلامية قد دخلت في خبر كان . نعم فان عرب الاندلس ويهودها هم الذين ادخلوا التعليم الطبي اليها وقد استمر فيها مدة اربعة قرون تقريباً واساسهُ تآليف ابن سينا وابن رشد وقسطا بن لوقا وحنين وابنهِ اسحاق وابن ماسويه والرازي حتى كانت سنة ١٥٧٦ للميلاد فاستبدل القوم اساتذة المشرق بالمعلمين اليونانيين عندما عثروا على تصانيفهم الاصلية التي اهتدى العرب بنبراسها

وهذه مصر حينما شرعت في اعادة العلوم الى حظيرتها اوفدت عددًا كبيرًا من ابنائها لاغتراف العلم في مونبلييه من ذلك المعهد الذي يعود فخارهُ الحقيقي الى اجدادنا الكرام . وها هي اليوم تستقدم الاساتذة من انكلترة وايطاليا ومن غيرها من البلدان التي امتازت بالعلم والفضل

والايام دول ونواميس الكون اخذ وعطا

***

نرجع للاندلس ونقول ان اهلها قاطبة قد توفروا على العلم لذاتهِ وللذّاتهِ . لا فرق في

ذلك بين الغني والفقير والصعلوك والامير · بل كانوا كلهم سواسية في التهافت عليهِ وعلى اقتناء الكتب لا للافتخار ولكن للمذاكرة والمحاضرة · ولم يكن هذا الولع قاصراً على عامة الناس بل شاركهم فيهِ ملوكهم ايضاً · فان الخليفة الحكم جمع لنفسهِ مكتبة خصوصية احتوت على ٤٠٠٠٠٠ مجلد كلها من النفائس والغرر · هذا عدا المكاتب العمومية الحافلة التي ازدانت بها قرطبة وغرناطة وأُمهات المدائن بالاندلس

فاذا رجعنا ادراجنا الى بلاد الشرق رأينا للاسلام في بلاد الشام هذا الاثر المحمود ايضاً · وحسبي ان اشير الى المكتبة التي جمعها بطرابلس بيت من بيوت القضاة وهم آل عمار فانها بلغت ٣٠٠٠٠٠٠ مجلد ولكنها قضى عليها نحس الطالع فذهبت كلها طعمة للنار · كما ابادت الفتن مكتبة القاهرة وكما دمر التتر مكاتب بغداد التي كانت فوق الوصف والتعريف وفاقت كل ما سبقت الاشارة اليهِ · احرق هؤلاء الهمج تلك المجاميع الثمينة وخلطوا كثيراً منها بالطين والماء واستخدموا هذه العجينة الغريبة في بناء جسر (كوبري) للمرور على نهر دجلة

تلك ايام قد خلت

فهل تعود للجزيرة بهجتها السابقة وحضارتها الفائقة

هذا ما نتمناه من صميم الفؤاد خصوصاً وقد اخذت اسباب الاصلاح والعمار تتراجع الى ما بين النهرين في هذه الايام

∴

بماذا تقدم الاسلام

بالرحلة في طلب العلم وتقييد اوابدهِ ونشر فوائدهِ

فقد كان المسلم رهين الاسفار كما هو شأن الامم الراقية الآن · كان المسلم كلما فارق دياره ولو على سبيل الكسب والتجارة فكأنما هو موكل بالاكتشاف والاستطلاع يحمل الى ما يزوره من البلدان بضاعتهُ المادية ومعها بضاعة اخرى غير مزجاة : بضاعة مضمون لها الرواج واعني بها ما وصل اليهِ من حقائق العلوم وطرائف الآداب · وكان لا يغفل عن ان يسجل في صحائف اسفارهِ ما يعثر بهِ من ثمرات رقي القوم · حتى اذا انقلب الى اهلهِ كان قد افاد واستفاد ونفع وانتفع وعلَّم وتعلَّم · وهذه فرائد اللغة العربية في أَلسنة الامم المتمدنة شاهدة بما كان للمسلمين من الاثر الحميد في بلاد الامم الاخرى كما ان في الكتب والعلوم التي ابقتها

لنا تصاريف الايام من تراث اجدادنا الكرام كثيرًا من الاصطلاحات الاجنبيَّة الدالة على رواج سوق المعارضات العلمية وعلى ان اهل النهى والبعيدي الانظار لا يستنكفون من تبادل الثمرات التي يصلون اليها من طريق البحث والدرس

اما الآن وقد تعددت الصلات بين الشرق والغرب وسهل تناول الفوائد العلميَّة بفضل البخار والكهرباء فستكون جامعتنا ان شاء الله كحلقة اتصال بين العالمين حتى نأخذ بلا استكبار ما تلقفهُ الفرنج عن اجدادنا ونضيف الى سلسلة معارفنا حلقات جديدة لم يعرفوها وقد جاد بها الزمان على ما تقضي بهِ نواميس الارتقاء

هذه هي ايها السادة بعض الاسباب التي دعت هذه الجامعة الى الابتداء بالابتداء فقررت تدريس الحضارات الاسلامية والقديمة وأضافت اليهما ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها باوربا

***

نعم ان الشرق عاد بعد تلك الحركة الهائلة الى سبات عميق فنزل الى الحضيض . وبعد ان وقف في مكانهِ ساكنًا جامدًا اخذ الآن يتنبه ويتحرك حركةً خفيفة . فابصر المعارف قد ترقت في بلاد الغرب الى درجة تتضاءل دونها القوى والافهام . احست امم الشرق بما يتهددها من خطر الجمود والوقوف واصبحت كلها وهي شاعرة بالحاجة الماسة الى تلقي ثمرات العلوم التي وصلت اليها اوربا وتمثيلها بما يوافق طبيعتها ومزاجها . فكانت اليابان في الشرق الاقصى اول من نفض غبار الكسل والخمول ووصلت في نصف قرن الى درجة الامم الراقية بل بذَّت كثيرًا منها . وها هي الامة المصرية في الشرق الادنى قد ادركت ايضًا هذه الحاجة فهبت عن بكرة ابيها وتعاون ابناؤها لاحراز الفخار بالسعي في اعادة القطر الى مجدهِ السابق . فاسست الجامعة المصرية التي ستعمل على ارجاع اللغة العربية الى مقامها المجيد في ميدان العلم وفي حلبة الامم

كيف لا تتوصل الجامعة المصرية لتحقيق هذه الغاية الكبيرة وقد هبت عليها نفحة من نفحات مولانا العباس : نفحة تضمن لمصر وللاسلام عودة تلك الايام الزواهر التي ازدان بها عصر بني العباس

فبسعد الخديوي عباس تفتح الجامعة ابوابها للناس

مستقبل البلاد العثمانية

من خطبة لعزتلو افندم سعيد بك شقير مدير عموم حسابات السودان تلاها في الخرطوم ليلة الاحتفال بافتتاح مجلس المبعوثان العثماني في ١٧ دسمبر الماضي

ابناء وطني الكرام

اسمحوا لي اول كل شيء ان اشكر لكم حسن ظنكم بي لانتخابكم اياي لارئس هذا الاجتماع لان كلاً منكم احق بالرئاسة مني . فان دعوتكم هذه التي اسعدني الحظ بتلبيتها سرتني سرورًا مضاعفًا . سرورًا بالغاية التي اجتمعنا من اجلها واشركتني معكم في الاجتماع وسرورًا لانها ضمتني وفريقًا كبيرًا من خيرة اخواني الذين مكنتهم احوالهم الخصوصية وعلاقاتهم العائلية والمادية ان يهجروا البلاد السورية العثمانية كما هجرتها انا إما فرارًا من الجور في زمن العسف والاستبداد او سعيًا وراء الرزق وقد ضاق فيها على كل عزيز نفس يأبى ان يعيش متملقًا لحاكم مستبد او خادمًا لاغراض ذي نفوذ ديني او سياسي يأتمر باموره ويميل حسب اميالهِ مع علمهِ انها اميال نفسانية او اغراض ذاتية مضطرًا ان يوالي من لا يريد موالاتهُ وان يعادي من لا يريد معاداتهُ يصبح بالذي امسى فيهِ مكتئبًا مغلول اليدين ولسان حالهِ يردد ما قالهُ ابو الطيب

ومن نكد الدنيا على الحرّ ان يرى عدوًّا لهُ ما من صداقتهِ بدُّ
يروح ويغدو كارهًا لوصالهِ وتضطرهُ الايام والزمن النكدُ

فعواطفهم عواطفي والمرّ الذي يتجرعونهُ في غربتهم مما صارت اليهِ بلادهم اتجرعهُ معهم ومضض العيش الذي يصبرون عليهِ انا فيهِ صابر عليهِ صبرهم من جميع وجوههِ المختلفة شكلاً والمتفقة معنًى . والغريب في بلاد اذا كان في ضيق يعطف على الغريب نظيرهِ الواقع في ضيق من نوع ضيقهِ ويسرُّ باجتماعهِ معهُ ليكون واياهُ في الشدة اخوانًا وعلى تفريجها اعوانًا مهما اختلفت مشاربهما فكيف بهِ اذا لقي ابن وطنهِ وكانت بلواهُ نفس بلواهُ وشكواهُ نفس شكواهُ وكان اجتماعهُ بهِ وداعًا لضيق مرَّ وكان امرّ من الصاب واستقبالاً لسعادة باتت على الابواب . هذا هو شعوري وهذه هي احساساتي وقد ضمتني هذه الحفلة معكم

وغايتنا من اجتماعنا في هذه الحفلة ايها الاخوان ان نحيي ليلة انس نفرح فيها في غربتنا بما نالتهُ امتنا من النعمة والهناء بعد ان قضينا دهرًا طويلاً والصدور منقبضة والحزن مخيم على النفوس لا ينقضي نحس حتى تليهِ نحوس — فقد اجتمعنا لنشترك مع باقي اخواننا العثمانيين

في جميع انحاء السلطنة العثمانية وغيرها حيث العثمانيون مقيمون في الاحتفال بافتتاح مجلس المبعوثان عنوان مجد الامة واساس تقدمها وفخرها او بعبارة اخرى بانتقال السلطنة من حكومة مطلقة استبدادية لا شأن للامة في تدبير شؤونها الى حكومة شورويَّة دستورية تديرها فئة من الامة تنوب عنها فتسن قوانينها وتنظم شرائعها بحسب الزمان والمكان وتضع للحاكم حدًّا لا يتعداهُ فهو يسير حسب ارادتها ولا تسير هي حسب اهوائهِ وهو خاضع لمشيئتها وليست هي خاضعة لمشيئتهِ فلا يستطيع ان يظلمها ليزيد في تنعمهِ ولا ان يفقرها ليزيد في غناهُ ويتمتع بكل ما تشتهيهِ نفسهُ ولا يقيّد افكارها ويكمّ افواهها كي لا يعارض في شيء ينويهِ او امرٍ يأتيهِ

اذا اكثرت من الضرب على هذه النغمة او اطلت الكلام اكثر مما يحتملهُ المقام فلاعتقادي ان هذا الحديث مما لا تملهُ الصدور رغمًا عن قصور المتكلم وسوء تعبيره فانهُ منذ ٢٤ يوليو وهو اليوم الذي بُعثت فيهِ الحياة في جسم السلطنة العثمانية والخطباء مئات والوفًا يخطبون في اجتماعاتهم الخصوصية والعمومية في كل انحاء السلطنة العثمانية والكتبة يكتبون في نشرات خصوصية وعلى صفحات الجرائد العربية والاعجمية ولا يزالون حتى الساعة على هذا المنوال . والمشاهد انهُ لا يكتب كلمة في موضوع الحرية والدستور والمزايا التي اكتسبتها الامة في الحصول عليهِ الاَّ وجدت من النفوس ارتياحًا كانها السحر الحلال — ولا يعقد اجتماع في هذا الصدد الاَّ ويكون لهُ من العثمانيين على اختلاف نحلهم ومللهم كل اقبال

والعجيب انهُ ظهر في القوم من الخطباء والكتبة والشعراء ما لم يكن يحلم بوجودهم قبل ان أُطلق اعلان الدستور الالسنة والاقلام من عقالها . ولا شك انهُ سيظهر الاداري والمالي والسياسي والمهندس والقائد والمخترع والفيلسوف وقد انفسح المجال للكل في ميدان التقدم والعمران — والامل انهُ لا يمضي ربع هذا القرن حتى تصبح الدولة العثمانية من الدول العظام تفتخر بادارة داخليتها وبماليتها وحربيتها وبحريتها وزراعتها وصناعتها وتجارتها وتهاب سطوتها الدول العظام كما تهاب الواحدة منهنَّ الاخرى في هذه الايام

وآمالنا هذه كما ذكرنا في تلغرافنا(١) الذي ارسلناهُ اليوم معقودة بمجلس المبعوثان والمساعي

(١) هذه صورة التلغراف الذي أرسل

رئيس مجلس المبعوثان — الاستانة

العثمانيون هنا واكثرهم سوريون وارمن يحتفلون الليلة بافتتاح مجلس المبعوثان ويشتركون مع سائر العثمانيين بالابتهاج في هذا اليوم السعيد ويقدمون تهانيهم الى اعضاء المجلس لنيلهم ثقة الامة التي توجه اليهم انظارها وتعلق بهم آمالها ويؤملون ان بمساعيهم تتحد عناصر الامة وتنتشر المبادئ الحقة ويبسط لواء العدل والحرية والامن في انحاء السلطنة فتنهض الى اوج العز والمجد سعيد شقير

التي سيبذلها في هذا الشأن معضوداً من افراد الامة وجميع عناصرها في كل مكان

وهل اصلاح هذه السلطنة بالامر اليسير يا ترى بعد ان مرَّ عليها هذا الزمن وهي مرمح للفساد فانفصل من اجزائها ما انفصل واعتلت ادارتها واختلت ماليتها و بارت تجارتها وانحطت صناعتها واهملت زراعتها وهجرها سكانها وتضاربت مشارب العناصر المؤلفة منها ٠ وهل هي قابلة للاصلاح وبلوغ درجة الارتقاء التي نرجوها لها اذا توفرت فيها الاسباب لذلك — جوابي على هذه الاسئلة جواب عثماني يحب بلاده فلا يرى لها سوى مستقبل باهر تتحقق فيهِ كل هذه الاماني

ولكني لا ادَّعي اني ملمٌّ بكل مواضع الخلل وان كنت ملماً بكثير منها او اني اعرف كل الطرق الكافلة للاصلاح وان كنت اعرف بعضها فان هذه تستلزم خبرة كبيرة باحوال السلطنة لم تتهيأ لي وتفصيلها اذا وُفي حقهُ من الاشباع يستغرق وقتاً طويلاً لا يحتملهُ هذا المقام ولكني سأذكر شيئاً من اليسير الذي اعرفهُ عنها مما لي فيهِ خبرة اكثر من سواهُ

(المالية)

ماليتنا حتى الآن ليس لها نظام يعرف ولا شكل معقول يوصف فقد شاءت الحكومة الماضية ان لا تطلع الامة على دخلها وخرجها بل ان تدفع الامة الضرائب صاغرة دون ان تنبس ببنت شفة سائلة عن السبيل الذي تنفق فيهِ ٠ يكدح العامل والزارع والتاجر والصانع آناء الليل واطراف النهار حتى اذا ما حصل شيئاً يقتات بهِ يومهُ ويدخر منهُ لشيخوخته جاءهُ جابي الاموال فابتزَّ منهُ ما جمعهُ بعرق جبينهِ تحت اسماء مختلفة من الضرائب والرسوم والعوائد فالتهم منها ما شاء وارسل الى الخزينة ما شاء ٠ وما وصل الى الخزينة كانت حكومة الاستبداد تنفق معظمهُ فيما حرمهُ الله من السبل غير مصغية الى تبكيت ضمير او استغاثة فقير

حالٌ اذا لم تكن في ذاتها عجباً فانما صبرنا فيها هو العجبُ

ولكن الذي يقولهُ المخبرون هو ان دخل الخزينة العثمانية يبلغ نحو ١٨ مليوناً من الليرات العثمانية يذهب منها نحو ثلاثة ملايين ونصف فائدة للديون التي اقترضتها الحكومة فيما سلف ومقدارها نحو ١١٠ ملايين وقسم كبير لا يعلم مقدارهُ الَّا الله كان ينفق على الجواسيس والمتملقين وما بقي يستخدم قسم منهُ في دفع رواتب الموظفين الكبار وفي ما كان اضطرارياً من نفقات الادارة والباقي في دفع رواتب صغار المأمورين وانفار الجند حماة الوطن الذين لولاهم لما كانت الامة العثمانية على ما هي فيهِ الآن من النعمة — هؤلاء الجنود كانوا يتركون

اليوم بعد اليوم والشهر بعد الشهر والسنة بعد السنة وليس على اجسامهم سوى خرق بالية لا تقيهم حر النهار ولا تدفع عنهم برد الليل وهم لا يكادون يحصلون اليابس من الخبز بلا ادام ليحفظوا اجسامهم وارواحهم معاً . ولكن الامر العجيب الذي يفتخر بهِ العثمانيون في هذه الاحوال هو هؤلاء الجنود انفسهم فانهم رغماً عن هذه المعاملة السيئة لم يفقدوا عزة نفوسهم ولا فترت هممهم بل تحملوا الضيم صابرين وكانوا في كل معركة انتُدبوا لها لحماية الاوطان موضوع اعجاب الصديق والعدوّ حتى شهدت لهم ام الارض انهم من اقوى جنود العالم بأساً واصعبهم مراساً واعظمهم شجاعة واشدهم اخلاصاً لدولتهم رغماً عن الظلم الذي قاسوهُ وسوء الحالة الذي وصلوا اليهِ

كذا كانت الطريقة التي كان ينفق فيها دخل المملكة ولم يكن هذا الدخل يكفي نفقاتها فكانت في معظم السنين تقترض النقود من مصادر مختلفة سدّاً لعجز الميزانية وقياماً بنفقاتها الادارية حتى بلغ دينها ما بلغ (١) وضاعت ثقة الماليين بها فلم تعد تستطيع ان تقترض درهماً الاَّ بفائدة ثقيلة وبعد ان ترهن للحصول عليهِ شيئاً من دخلها او تتنازل عن كنز ثمين من كنوز السلطنة فاقترضت مليوناً ومئتي الف جنيه سنة ١٩٠١ بفائدة ٥ في المائة وثمانية ملايين سنة ١٩٠٢ وما ينيف على ٣٥ مليوناً سنة ١٩٠٣ ولكن القرضين الاخيرين كانا لتحويل بعض ديونها السابقة الى ما فائدتهُ ٤ في المائة. وتمكنت من استخدام قسم منهما لسد عجز الميزانية في العامين المذكورين وسنة ١٩٠٤ اقترضت ٢٢٠٠٠٠٠ لسكة حديد بغداد وسنة ١٩٠٥ اقترضت نحو ثمانية ملايين جنيه لمآرب شتى ذهب قسم كبير منها كما ذهب سواهُ وسنة ١٩٠٦ و ١٩٠٧ اقترضت نحو تسعة ملايين جنيه تحويلاً لبعض ديونها السابقة ايضاً ولكنها استخدمت قسماً كبيراً من هذا القرض في سبلها المعهودة . وفي

---

(١) يبلغ دين الحكومة العثمانية نحو ١١٠ ملايين ليرة عثمانية منهُ نحو ١٩٠٠٠٠٠٠ ليرة مضمون بالجزية التي تدفعها مصر للدولة ومقدارها ٧٥٠٠٠٠ ليرة عثمانية ونحو ٨٠٠٠٠٠٠٠ ليرة مضمون بقسم كبير من موارد دخلها ونحو ١١٠٠٠٠٠٠ غير مضمون على ما يظهر . وفي الاستانة ادارة مخصوصة للديون العثمانية اشبه شيء بصندوق الدين المصري وهي تستولي على ريع الموارد المرهونة وتدفع منهُ الفائدة لارباب الديون والموارد المرهونة في رسوم الملح والمشروبات الروحية وورق الدخان وحلقات الاسماك والحرير والتبغ وجزية الروملي وبعض رسوم الكمارك ونحو ذلك والدخل من هذه الموارد يقدر باكثر من ثلاثة ملايين ومائتي الف ليرة عثمانية

ولا شك انهُ متى ظهرت ميزانية الحكومة في السنة الاولى بعد انعقاد مجلس المبعوثان تتمكن الامة من معرفة حقيقة دخلها ونفقاتها ومقدار دينها والكيفية التي انفق بها

اواخر سنة ١٩٠٧ واوائل سنة ١٩٠٨ كانت ساعية في عقد قرض آخر لكي تدفع بهِ عنها بعض نتائج نفقاتها غير مبالية بالحالة التي ستجرها اليها هذه الديون ما دام الاستحصال عليها يعطيها نفقات اليوم ولا يهمها امر المستقبل

هذه حالتنا الى امس فما الذي نأمل ان نراهُ في القريب العاجل بهمة مجلس المبعوثان وعضد الامة لهُ كما سبق الكلام

(الزراعة)

من المعلوم والتاريخ اصدق دليل ان كل بلاد انتبهت الحكومة فيها الى موارد ثروتها وامنت الزارع على زراعتهِ والصانع على صناعتهِ والتاجر على تجارتهِ والمتملك على عقارهِ فرفعت الضرائب الجائرة وابقت ما كان خفيفاً عادلاً وبسطت راية العدالة والمساواة في الحقوق بين افراد الرعية صارت تلك البلاد الى التقدم سيراً عظيماً لم يكن يقدَّر لها فنمت تجارتها وزادت ثروتها اضعاف ما قدرهُ لها المصلحون والمتفائلون لها بالخير. ولست احتاج ان اذهب بعيداً لشواهدي فهذا السودان الذي نحن فيهِ رغماً عن رمالهِ المحرقة واهمال اكثر اراضيهِ وقلة سكانهِ وما خرب الدراويش منهُ والاحوال الخصوصية التي تقضي على مصلحيهِ ان لا يطمحوا بابصارهم في الوقت الحاضر الى النيل لريّ اراضيهِ ولا يسمحوا بزراعتها شيئاً يعود بالضرر على مالية القطر المصري كزراعة التبغ مثلاً زادت ايرادات خزينتهِ في اقل من عشر سنوات ثلاثين ضعفاً اي من ٣٥٠٠٠ جنيه الى ما ينيف على مليون جنيه وزادت قيمة وارداتهِ وصادراتهِ معاً من نصف مليون جنيه الى ما ينيف على مليونين ولا يبعد ان يكون عدد سكانهِ قد تضاعف لو امكن تعدادهم في الماضي واليوم والامن فيهِ سائد يسير الغريب كيف شاء في طولهِ وعرضهِ حيث بسطت الحكومة ظلها فاذا لم يؤذهِ الوحش لا ينالهُ اذى. كل ذلك نتيجة سهر حكام نزهاء يسعون في سبيل الاصلاح

وهذه مصر جارتنا وكلنا يعرف تاريخها الحديث منذ ربع قرن الى اليوم — فان ايراد خزينتها رغماً عن تخفيض الضرائب المستمر زاد من تسعة ملايين جنيه الى ١٦ مليوناً في ١٩٠٧ وقيمة صادراتها وواردتها معاً زادت من ١٩٥٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٨٨٠ الى ٥٤ مليوناً سنة ١٩٠٧ واراضيها الزراعية زادت في هذه المدة اكثر من مليون فدان ومحصولها من القطن ارتفع من مليونين وربع مليون قنطار الى نحو سبعة ملايين قنطار وبلغت قيمتهُ في ١٩٠٧ نحو ٢٣٦٠٠٠٠٠ جنيه وعدد سكانها الذي هبط في عهد الحكومات الاستبدادية من ٨ ملايين الى نحو ٣ ملايين عاد فارتفع في عهد الاصلاح الى ان بلغ احد عشر مليوناً وربع مليون .

كل هذه حقائق ثابتة تثبتها السجلات الرسمية وكنت احب ان اورد سواها ولكن هذين الشاهدين يكفيان لنقبس حالة البلاد العثمانية ومستقبلها عليهما اذا بدأت فيها يد الاصلاح

ان مساحة البلاد العثمانية في اوربا واسيا وافريقيا في الوقت الحاضر عدا ما انفصل عنها من البلدان نحو مليون و ١٥٨ الف ميل مربع (١) وهذه المساحة تزيد على مجموع مساحات انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا والمجر وايطاليا واسوج ونروج واسبانيا واليابان معاً وفيها من الاراضي الزراعية ما يكفي اضعاف اضعاف سكانها الحاليين فان فيها قامت اعظم دول الارض منذ عهد التاريخ فالكلدانيون والبابليون والاشوريون والسلوقيون والفرس والعباسيون تقلبوا عليها فعمروا واستعمروا واثروا وكانت الارض تفيض لهم لبناً وعسلاً والمظنون ان وسائط الري لم تكن متيسرة لمهندسي تلك الازمان كما هي متيسرة لمهندسينا هذه الايام ويكفي ان اذكر ان بين الفرات ودجلة فقط منطقة من الارض طولها ٩٠٠ كيلومتر ومساحتها نحو ثلاثة عشر مليون فدان اي ضعفا اراضي مصر الزراعية وهذه المنطقة ذات تربة خصيبة قلَّ ان تفوقها تربة في العالم وهي المنطقة التي زارها منذ امد غير بعيد السر وليم ولككس ووضع فيها تقريره المشهور فابان فيه الطريقة اللازمة لاصلاح الري هناك ووصف حالة التربة وصفاً مستوفياً وذكر ما يصلح للزراعة فيها من المزروعات التي تعود بربح وافر فتغني الامة والحكومة معاً . ولكن تقريره هذا بقي حبرًا على ورق شأن كل مشروع حميد في عهد الحكومة الماضية حتى انقلبت فقامت الحكومة الدستورية اليوم غيورة على البلاد راغبة في الاصلاح فتمسكت بذلك المشروع وسواه مما طرح في زوايا الاهمال في العهد القديم واستدعت السر وليم ولككس صاحبهُ كما هو معلوم ليستوفي درسهُ ويخرجهُ من حيز القول الى حيز الفعل . وقد اتفق لي قبل تركي مصر اني قابلت صديقي يوسف افندي افتيموس المهندس الشهير فاخبرني انهُ طالع ما كتبهُ السر وليم ولككس في هذا الصدد بالتدقيق وعلمت منهُ ان كلاً من نهري الفرات ودجلة يصب في الثانية نحو ثلاث مائة متر مكعب من

(١) مساحة الاملاك المحرزة للدولة العثمانية وعدد سكانها كما يأتي

	اميال مربعة	عدد السكان بوجه التقريب
في اوربا	٦٥٣٥٠	٦٢٠٠٠٠٠
في اسيا	٦٩٣٦١٠	١٧٧٠٠٠٠٠
في افريقيا	٣٩٨٩٠٠	١٠٠٠٠٠٠
والجملة	١١٥٧٨٦٠	٢٤٩٠٠٠٠٠

المياه مدة التحاريق وتزيد هذه الكمية الى خمسة آلاف مدة الفيضان اي ان كلاً من النهرين يصب من المياه مقدار ما كان يصب النيل قبل عمل الخزان. وفي المنطقة التي سبقت الاشارة اليها فصل حار يدوم زهاء ستة اشهر في السنة وهو كافٍ لزراعة القطن وقصب السكر. والارض كما سبق القول ذات خصب عجيب ينمو فيها كل ما ينمو في البلدان الحارة وصرف المياه منها اهون من صرفهِ من ارض مصر كما تبين بالتحليل والدرس

فهذه بقعة واحدة في بلادنا العثمانية كافية لان تخرج لنا بعد اصلاحها واصلاح ريها ضعفي ما تربحهُ مصر من حاصلاتها . وغير هذه البقعة بقاع اخرى اذا لم تكن واسعة نظيرها فهي ليست بقليلة الشان في زيادة ثروة السلطنة ولقد ذكر لي يوسف افندي كثيرًا منها في البلاد العثمانية ولكني لست اشير الآَ الى المعروف منها لاخواني السوريين فان في الحولة نحو ١٥٠٠٠ فدان مغمورة بالمستنقعات يستطاع تجفيفها واصلاحها بنفقة قليلة وهذه الاراضي اخصب تربة من ارض مصر وتصلح لزراعة القطن والبن وقصب السكر والحبوب على انواعها وتبعد عن خط سكة حديد حيفا نحو ثلاثين كيلو مترًا فقط. وبين صور وصيداء بقعة من الارض يبلغ طولها نحو ٤٠ كيلومترًا وهي من اجود الاراضي تربة ويمكن ريها بعمل قناطر حجز على نهر القاسمية والمشروع لا يقتضي نفقة تذكر بالنسبة الى الفائدة التي تنجم عن ري هذه الاراضي. وهو الان يدرس هذا المشروع درساً مدققاً ولا يبعد ان يتولى اخراجهُ من حيز القول الى حيز الفعل وعند النهر الكبير والنهر البارد قرب طرابلس الشام اراضٍ متسعة يمكن ريها بسهولة من هذين النهرين وهما لا يبعدان عن طرابلس اكثر من ثلاثين كيلومترًا ومثل ذلك يمكن ري اراضٍ كثيرة متسعة قرب حمص من بحيرة قريبة منها

ويطول بي الوقت اذا اسهبت في ذكر ما يمكن ريهُ من الاراضي وهو لا يروى الآن وفي اصلاح ري كثير من الاراضي التي تروى ريًّا غير مستوفٍ ولكني اكتفي بما ذكرت بيانًا لما يمكن عملهُ لاصلاح الزراعة في المملكة العثمانية وكلٌّ يعلم انهُ اذا تقدمت الزراعة زادت ثروة البلاد واتسع نطاق تجارتها وزاد عدد سكانها وتحسنت مالية حكومتها وساد الامن فيها لان الفلاح متى اثرى اصبح محافظاً على الامن والسكينة من طبعهِ ليتمتع بمالهِ وثروتهِ

(المعادن)

هذا من حيث الزراعة وعدا هذه فان البلاد ولاسيما المنطقة الواقعة منها في اسيا غنية بمعادنها فان فيها كثيرًا من المعادن المعروفة التي تعود عليها بالثروة اذا انتبه الى استخراجها ولكنها مهملة لاسباب شتى ففيها معدن الكروم ويستخرج منهُ الآن من بقعة واحدة عرف وجودهُ

فيها نحو ١٥٠٠٠٠ طن سنوياً. وفيها الرصاص الفضي والزنك والمنغنيس والانتيمون والنحاس فان في ارغني في ولاية ديار بكر منجماً من النحاس يقول الخبيرون انهُ من اكبر مناجم الدنيا واغناها وفيها البورق والذهب والفضة والزرنيخ والسنباذج والزئبق والحديد والكبريت والرخام على اختلاف انواعهِ وفيها الفحم الحجري واهميتهُ في الصناعة وفي نجاح البلدان لا تحتاج الى بيان. فان في هرقله على البحر الاسود منجماً يستخرج منهُ سنوياً نحو ٤٠٠٠٠٠ طن ولا يبعد ان توجد مناجم غيره في بقاع اخرى . وفيها منابع بترول في اواسط وادي الفرات وفي اماكن كثيرة في اسيا الصغرى وعلى الشاطئ الشمالي من بحر مرمرا وفيها غير ذلك من المعادن التي لا شك انهُ في عهد الدستور يسهل على ارباب الاعمال والاموال استقصاؤُها واستثمارها فتجري منها ميازيب ثروة على البلاد والحكومة. ومتى اثرت البلاد وتحسنت مالية حكومتها امكن تنظيم داخليتها واصلاح جيشها وعمارتها البحرية وترقية جميع شؤُونها

(المستقبل)

فالاصلاح اذًا ميسور والبلاد قابلة لهُ من حيث اراضيها الزراعية ومعادنها وهواؤُها واستعداد سكانها للتقدم فقد نبغ منهم في كل زمان افراد ظهر منهم من الهمة والذكاء في جميع الفنون العلمية والادبية والصناعية والسياسية ما يمكن اتخاذهُ دليلاً على ان الامة لا تحتاج الى مساعدة الاجانب طويلاً حتى تصير غنية عنهم بابنائها في كل ما يلزمها — واني اسرح نظري في عالم الخيال وانظر الى ما يمكن ان تصير اليهِ المملكة العثمانية في الاستقبال فتتجلى امامي مملكة عظيمة الشأن قوية الاركان تضاهي بعظمتها وضخامة ملكها اعظم ما وصلت اليهِ دول الارض فيما سلف من الزمان من الكلدان الى الرومان واليونان والانكليز في هذه الايام . فارى ايراد خزينتها ١٤٠ مليوناً من الجنيهات كايراد الخزينة البريطانية لا ثمانية عشر وقيمة صادرتها نيفاً وخمسمائة مليون من الجنيهات كقيمة صادرات بريطانيا ومستعمراتها لا خمسة وعشرين مليوناً كما هي الحالة الآن وارى لها جنداً ضخماً تخفق فوقهُ رايات النصر اينما سار فيهِ المسلم والمسيحي والاسرائيلي على السواء من تركي وعربي وارمني وسوري وغير ذلك من العناصر المؤلفة منها السلطنة يحارب الواحد مكاتفاً الآخر وهو اخوهُ في الوطنية وشريكهُ في السراء والضراء وان خالفهُ ديناً ولغة وارى لها عمارة بحرية تباهي بها عمارات اعظم الدول البحرية . والبحري فيها كالجندي في الجيش مدرب احسن تدريب على الحركات العسكرية لابس احسن لباس يقبض راتبهُ في حينهِ وتعتني الحكومة بطعامهِ وشرابهِ وراحتهِ كما يعتني الاب ببنيهِ وارى التعليم الزامياً في كل انحاء المملكة والمدارس منتشرة فيها من علمية وطبية

وزراعية وصناعية وصناعنا العثمانيون يحوكون ما تلبسهُ على اختلاف انواعهِ وهم يبنون دورنا ويشيدون قصورنا ويصنعون وينسجون كل ما نحتاج اليهِ من الاثاث والرياش وسائر الادوات التي في المنازل والقصور ويخترعون ويضعون كل ما يلزم للزارع في زراعتهِ والكاتب في كتابتهِ والتاجر في تجارتهِ والصانع في صناعتهِ والجندي والبحري في دفاعهما عن الاوطان ولكل عامل في عملهِ مهما كان — وارى العثماني عزيزًا مكرمًا في عين الاجنبي فلا تداس حقوقهُ لضعفهِ ولا يستخف بهِ لانهُ تركي او سوري او رومي او ارمني علمًا من الاجنبي ان ليس لهُ دولة ذات شأن تدافع عنهُ او جند عظيم قوي يهب لحمايتهِ والذود عن حقوقهِ ولا يساق مكتوفًا في قلب السلطنة العثمانية الى السجن اذا اختصم مع اجنبي ويترك الاجنبي يسرح ويمرح ريثما يحصل التحقيق الابتدائي وارى الجنسية العثمانية فخرًا وعزًّا يتمسك العثماني بها تمسك الانكليزي بانكليزيتهِ والفرنساوي بفرنسويتهِ والالماني بالمانيتهِ ولا يسعى كما كانت الحالة حتى امس وراء حماية دولة من هذه الدول العظام ويعرض نفسهُ وامتهُ امامها وصمة الذل والعار لينجو من ظلم يلحق بهِ من نفس حكامهِ العثمانيين الذين افسدت الحكومة السالفة اخلاقهم

وارى عدد سكان المملكة قد نما فارتفع من ٢٥ مليونًا الى ٥٠ بل الى مئة مليون والمهاجرة من الاوطان التي حتى ٢٤ يوليو كانت مني كل انسان اصبحت اثرًا بعد عين بل ارى انهُ قد عاد النازحون الى اوطانهم من سوريين ويونانيين وارمن واتراك على اختلاف طبقاتهم وتنوع الاسباب التي هاجروا من اجلها وهي وان اختلفت صورة كان مرجعها الى الاستبداد (١) اراهم كلهم قد عادوا من جميع اطراف الارض من اوربا واميركا واستراليا ومصر والسودان والصين والهند واليابان حيث تنتاب فقيرهم الامراض وكل ضروب الذل التي ترافق الفقر وتنتاب ذا اليسار منهم انواع اخرى من الذل لا تقل عن ذل الفقر بل قد تكون آلم وامر

وارى حكام المملكة من اكبر وزرائها الى اصغر عامل فيها يضرب بهم المثل في الهمة والنشاط والنزاهة والكل يتفانون في خدمتها وحب الاصلاح. دينهم بعد الله العدل والمساواة

(١) تصعب معرفة عدد المهاجرين من المملكة العثمانية منذ اخذ يدب الناس فيها الى آخر عهد الاستبداد ولكنهُ لا شك يبلغ عددًا كبيرًا فان النازحين من لبنان وحدهُ وهو من الولايات الممتازة يبلغون نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس ناهيك عما نزح من باقي السلطنة العثمانية التي كانت يد الظلم ايسر وصولاً اليها واشد فتكًا باهاليها فقد اخبرني احد اعضاء جمعية تركيا الفتاة ان عدد الذين نزحوا من السلطنة العثمانية او فتكت بهم ايدي المابين وعمالهُ في عهد الحكومة الحميدية فقط لا يقل عن المليونين

بين الرعية وديلنهم العمل لزيادة ترقيتها المادية والادبية وارى مجال التقدم متسعاً لافراد الامة على اختلاف اجناسهم واديانهم والمساواة في الحقوق عامة فلا يقام حاجزٌ حصين بين النابغ منهم واعظم مراكز الدولة لانهُ مسيحي او عربي او ارمني او سوري او غير ذلك كما كان يقام في وجههِ في اكثر الولايات العثمانية اذا لم يكن تركيًّا او صنيعة المابين

هذه هي المملكة ايها السادة التي اراها في الخيال للعثمانيين في الاستقبال فهل تحقق هذه الآمال ام تذهب كلها كانها اضغاث احلام . كل ذلك يتوقف على مجلس المبعوثان وعلى ما اذا كان وراءهُ امة حية تعضدهُ وقد بدأت تذوق طعم الحريَّة فتؤيد مطالبهُ وتبذل في الوصول الى هذه الغاية كل ما عزَّ وهان

هذه آمالنا التي نعيش عليها الآن وشتان بين هذه الآمال الحية وما كانت عليهِ آمالنا بالامس . ولكن الفضل في ذلك كلهِ الفضل فيهِ الى ضحايا الحرية وشهداء النهضة الدستوريَّة منذ ايام السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز الى يومنا هذا ولاسيما اولئك الابطال الذين لم يرهبهم الوعيد ولا غرَّتهم الوعود بل قاموا ينتصرون للدستور والحرية تحت خطر الموت منذ فضِّ مجلس المبعوثان الاول . فلنشرب على ذكرهم وذكر الجيش ولنقل جميعًا ليحيَ ابطال الحرية وليحيَ الجيش العثماني ولنقم لهم التماثيل في كل انحاء السلطنة اقرارًا منا بفضلهم الى الابد واعترافًا بجميلهم المرسوم على الصدور باحرف من نور ومثالاً لابنائنا من بعدنا يقرأون تاريخهم ويقتفون آثارهم اذا لاسمح الله عاد الظلم عصر في ايامهم وطمحت ابصار حكامهم للاستئثار بالسيادة والعبث بحقوق الامة

ويجب الَّا ننسى ايضاً فضل الامة البريطانية في هذه النهضة العثمانية فقد كان لها يد قويَّة في هذه الحركة تقوَّى بها الاحرار واشتدَّ ازرهم فمنعت عنهم مطامع الدول الطامعة فيهم وساعدتهم في الفوز بامنيتهم فقازوا بها دون ان يثور ثائر الثورة في البلاد وتراق دماء الالوف من العباد وهذه الامة اشتهرت في كل عصر بحب الحرية ونشر مبادئها وعضد طالبيها في كل صقع استطاعت لمساعدة اهليهِ سبيلاً وما هبَّ العثمانيون في طلبها حتى هبت لنجدتهم ووقفت في وجه من رام عرقلة مساعيهم . والحق يقال انهُ لولاها لما كانت نتيجة هذه النهضة باهرة كما نراها ولعلنا لم نكن في هذه الآمال التي نبنيها للاستقبال فلنشرب على ذكرها هذه الكاس وندعُ لها بالبقاء ولرايتها بالفوز ولصداقتها للعثمانيين بالدوام . فلتعش الامة البريطانية

الخرطوم في ١٧ دسمبر سنة ١٩٠٨

سعيد شقير

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

ذوات الظلف والحافر والخف[1] UNGULATA

❖ البقر الاهلي ❖ Bos taurus

❖ الغَوْر[2] (هندية معرّبة) ❖ E. & F. Gaur Bos Gaurus. نوعٌ من البقر الوحشي[3]. وهو في حجم الجاموس وشبيه بهِ

❖ الجيال (هندية معربة) ❖ E. & F. Gayal Bos frontalis. نوعٌ من البقر الوحشيّ الهندي

❖ الجاموس (معرّب گاوميش بالفارسية ❖ Bos bubalis. E. Buffalo. F. buffle حيوانٌ من جنس البقر وهو اكبر من البقر الاهلي واصعب مراساً منهُ . والجاموس الداجن اصلهُ من الهند ويوجد منهُ اصنافٌ وحشية في افريقية

❖ البَيْسُون (معرّبة) ❖ E. & F. Bison B. bonasus & B. americanus جنسٌ من البقر الوحشيّ يوجد منهُ نوعان احدهما أُوربي والآخر اميركي وهما نادرا الوجود الآن وكادا ينقرضان

❖ الضأن ❖ Ovis aries. E. Sheep. F. Mouton

❖ الأُرْوِيَّة . الضأن الجبلي . الكبش الجبلي[4] ❖ Ovis tragelaphus. E. Barbary wild-sheep or arui. F. Mouflon à manchette ou aroui الاروية الضأن الجبلي وهي ادماء اللون وعنقها وصدرها مكسوَّان بصوف طويل ولها قرنان اعقفان اقصر من قرني الوعل وذنبها اطول من ذنبهِ وهي من الضأن لا من الماعز كالوعل وتوجد في شمال افريقية حيث تُعرف بالأَرْوي وفي جبال القطر المصري الشرقية والسودان الشرقي وجبال سينا[5]

---

(١) الظلف للبقرة والظبي والشاة والحافر للفرس وغيره من الدواب والخف للبعير بمنزلة الظفر للانسان (٢) تعريب دائرة المعارف (٣) المقصود بالبقر الوحشيّ هنا ان هذه الحيوانات من جنس البقر Bos الأَ انها وحشية وهي خلاف البقر الوحشي المعروف عند العرب فهو ليس من البقر بل من الظباء الكبيرة وسيأتي ذكرهُ (٤) مفردات ابن البيطار (٥) انظر قاموس الكتاب المقدس لسمث صفحة ١٤٦ ولفظة سِهاة في قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست

حيث تعرف بالكبش وكانت كثيرة الوجود في جبال المقطم على مقربة من القاهرة وصيدت واحدة منها عند ابواب المدينة منذ نحو مئة سنة[١]

والأُروِيَّة في كتب اللغة الانثى من الوعول وهذا ما جاء عنها في لسان العرب قال "الأُروِيَّة ... الانثى من الوعول ... قال ابو زيد يقال للانثى اروِيَّة والذكر اروِيَّة وهي تيوس الجبل . ويقال للانثى عنز وللذكر وعل ... وهو من الشاء لا من البقر ... وهي الايائل وقيل غنم الجبل". واطال في البحث عن اصل هذه اللفظة ووزنها ووزن جمعها مما استغرق اكثر من صفحة ولم يصفها بغير ما ذكرت . وفي غيره من كتب اللغة مثل ذلك تقريباً ووصفها مشوّش لا يفهم منهُ هل هي حقيقةً انثى الوعول لانهم قالوا ان اللفظة تطلق على الذكر والانثى وقالوا انها شاة الجبل وغنم الجبل . ولا يخفى ان الشاء والغنم يطلقان على الضأن والماعز . وعندي ان الاروية خلاف الوعل فهي ليست انثى الوعول كما قالوا بل حيوانٌ قائم بنفسهِ يعرف بهذا الاسم في وقتنا الحاضر . فالضأن الجبلي كان معروفاً عند العرب ولا يزال معروفاً عندهم ولا يعقل انهم يتركونهُ بلا اسم خاصٍ بهِ مع ان للتيس الجبلي اسماء كثيرة منها الوعل والبدن والتالب الخ . والاروِيَّة شبيهة بالوعل فالتبس امرها على اللغويين وقالوا انها الانثى من الوعول وخصوصاً لانها في صيغة المؤنث . والتذكير والتأنيث عندهم كان موقوفاً في غالب الاحيان على كبر الحيوان او كبر قرنيهِ فقالوا الشيهم ذكر القنافذ لانهُ اكبر منها او لان شوكهُ اطول وقد مرَّ بنا ان الشيهم حيوانٌ قائم بنفسهِ وهو خلاف القنفذ وقد ورد ذكرهُ في ابن البيطار على حدة ولم يقل عنهُ انهُ القنفذ بل قال الشيهم ويسمى الضرب وهو صحيح . وقالوا ايضاً ان الأيّل ذكر الوعول وذلك لانهُ اكبر ولان قرنيهِ اكبر من قرني الوعل وتشعبان . وقالوا اليأمور ذكر الايّل والحقيقة انهُ حيوانٌ قائم بنفسهِ . ولدينا امثلة كثيرة خلاف ذلك في اللغة . وعندي ان عرب البادية لا تخطئ بين هذه الحيوانات فالخطأ من الذين نقلوا كلامهم فالبدوي الذي عرف ثلاثة انواعٍ من الظباء وهي الادم والعفر والآرام وهي اسماء لم تزل معروفةً عند العرب لهذا العهد كما سيجيء لا يخطئ بين الضأن الجبلي والمعز الجبلية . وقد سألت اعرابياً من المطرية عن الكبش الجبلي وهل يوجد في جبال مصر الشرقية فاجابني بالايجاب فقلت لهُ لعلك تقصد البَدَن (اي الوعل) قال البدن شيءٌ وكبش الجبل شيءٌ آخر

ونعرف الاروية بهذا الاسم في وقتنا الحاضر ويسميها عرب شمال افريقية الأُرْوي

(١) وصف مصر للبعثة الفرنسوية مجلد ٢٣

ونقل الافرنج هذه اللفظة عنهم وسموها Arui او Aroui او Lerwee ومن اسمائها عند علماء الحيوان Ovis lervia واللفظة الاخيرة مأخوذة من لفظة الاروي العربية على ما اظن. وقد جاء في كتاب التاريخ الطبيعي الانكليزي ما تعريبهُ "يظهر ان لفظة اوداد المستعملة في كتب التاريخ الطبيعي غير معروفة في البلاد التي يوجد فيها هذا الحيوان بل يسمونهُ الأَرْوِي[1] "Arui" "وورد ذكر الاروي في رحلة الدكتور شو في شمال افريقية وقال ان العرب يسمونهُ Lerwee اي الاروي ويظهر ان العلماء في ايامهِ لم يعرفوا حقيقة امر هذا الحيوان فسمَّاهُ Tragelaphus وهو الاسم الصحيح الذي يعرف بهِ الآن لكنهُ ظنهُ من الماعز والمعروف عند العلماء الآن انهُ من الضأن ورحلة الدكتور شو هذه منذ ٢٠٠ سنة تقريباً. وورد ذكر هذه اللفظة ايضاً في كتابٍ فرنسوي[2] طبع حديثاً فتجد فيهِ صورة الضأن الجبلي وتحتها ما تعريبهُ "وهذا الحيوان الجميل يسمى الأَروي بالعربية". وقد ظن بعضهم ان الاروية نعاج الدست اي نعاج الصحراء المقصودة بقول الشاعر

تحذتهُ من نعجات ستِّ سودٍ نعاجٍ من نعاج الدستِ

والغالب ان الشاعر يقصد نوعاً من بقر الوحش فان اناثها تُسمى نعاج الوحش ونعاج الرمل والاروية اي الضأن الجبلي لا تسكن الرمال والصحاري بل الجبال فقط. وكانوا يصيدون نعاج الوحش على النوق ويسمون الناقة السريعة التي تصاد عليها نعاج الوحش الناعجة فلا يمكن ان يكون المقصود بنعاج الوحش الضأن الجبلي لان النوق لا تسلك الجبال التي يقيم فيها. واما وصف الشاعر لها بالسواد فلم اقدر ان افهمهُ فلا البقر الوحشي اسود ولا الضأن الجبلي اسود

وقد جاء في التوراة (تث ١٤ : ٥) ذكر حيوان اسمهُ زَمَر بالعبرانية ويظن علماؤُها انهُ الضأن الجبلي فان صحَّ ذلك وجب ان تترجم هذه اللفظة بالاروية لا بالمهاة لان المها نوعٌ من بقر الوحش كما سيجيء

❁ المَفْلُون[3] (فرنسوية معرَّبة) Ovis musimon. E. & F. Mouflon نوعٌ من الأَروي يوجد في كورسيكا وسردينيا

---

(1) The Royal Natural History, II. 232

(2) Les Animaux Vivants du Monde, I, 223

(3) تعريب احمد فارس

الوعل Capra nubiana. E. Ibex or wild-goat. F. Bouquetin

نوعٌ من المعز الجبلي وهو آدم اللون ولهُ قرنان قويان منحنيان كسيفين احدبين يلتقيان حول ذنبهِ من اعلاه ُويعرف في صحراء مصر الشرقية والسودان الشرقي بالبَدَن ووعل عيسو وفي سينا و بلاد العرب بالبَدَن والوعل ولهُ بالعربية اسماء كثيرة غيرهذين الاسمين تجدها في الجزء الثامن من المخصص لابن سيده · وقد ورد ذكر الوعل في التوراة وهو يعل بالعبرانية واللفظان العربي والعبراني من التوعُّل اي الصعود في الجبال[1] وهو مرسوم على الآثار المصرية واسمهُ وعتي[2] بالهيروغليفية واللفظة كما لا يخفى مشابهة للاسمين العربي والعبراني

وقد ترجم بعضهم لفظة Stag الانكليزية بالوعل وهو خطأٌ فهذه اللفظة تطلق غالبًا على ذكور الايائل ويجب ان تعرَّب بالأيّل مثل لفظة Hart

البَزْل · البازِن (فارسيتان) · الوعل الفارسي C. ægagrus. E. Beozar goat F. Egagre

نوعٌ من الوعول الفارسية وهو الحيوان الذي يستخرج منهُ البازهر الحيواني ومن اسمائهِ عند الافرنج Pasen و Paseng وكلاهما من بازن الفارسية · والبزل في كتب اللغة عنزٌ وفي الالفاظ الفارسية المعرَّبة ان هذه اللفظة مشتقة من بازن الفارسية فان صح ذلك يكون البزل نفس الحيوان المسمى بازن عند الفرس والافرنج وهو الوعل الفارسي

والبازهر وفيها لغات يعرف عند امراء لبنان بحجر السم وهو مادة حجرية توجد في جوف هذا الحيوان زعم اطباء الفرس والعرب انهُ مضادّ للسموم · وفي كثيرٍ من الكتب العربية انهُ يستخرج من بطون الايائل والحقيقة ان البازهر الاصلي يستخرج من الوعل ولذلك اسمهُ حجر التيس بالعربية (البرهان القاطع ومعجم فولرس الفارسي) وهذا ما جاء عنهُ في كتاب الباهر في الجواهر للشيخ ابرهيم السويدي الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٠ هجرية قال " البازهر الحيواني يستخرج من بطون الاوعال الجبلية ··· ويسمى خرزة التيس نسبة الى المعز الجبلية " · وذكر المسيو لكلرك في ترجمة مفردات ابن البيطار نقلاً عن البيروني انهُ يستخرج من الوعول. وقد ذكرت ذلك لان الدميري في باب الايل خلط بين الوعل والمارخور والايّل وقال ان البازهر يستخرج من بطون الايائل وظن الكلونل جايكر ان الايل هو Bezoar goat لعلمهِ ان البازهر يستخرج منهُ فترجم لفظة الايل Bezoar goat وحقها ان

---

(١) Encyclopedia Biblica

(٢) بغية الطالبين لاحمد بك كمال

تترجم Fallow-deer ولا لوم عليهِ في ذلك لان وصف الايل في الدميري مشوش جدًّا وسأوضح ذلك في باب الايل

﴿ المعز الاهلية ﴾ Capra hirsuta. E. Goat. F. Chèvre

﴿ المارخور[1] (فارسية) ﴾ Capra falconeri. E. & F. Markhor نوعٌ من الوعول الهندية زعموا انهُ يأكل الحيات ولذلك سمي مارخور بالفارسية اي آكل الحيات

﴿ المرعز . المرعزى ﴾ C. angoriensis E. Angora goat F. Chèvre d'Angora صنفٌ من الماعز يوجد في اسيا الصغرى وهو طويل الشعر ناعمهُ . وقد ورد ذكرهُ في مفردات ابن البيطار لكنهُ لم يصفهُ والمرعز في اللغة الشعر الذي تحت شعر العنز واللفظة مستعملة في وقتنا الحاضر في العراق والشام ومصر والسودان لهذا الصنف من المعز الاهلي ويقتني اهل السودان فراء المرعز ويلبسون بها سروج دوابهم وجمالهم

﴿ الأَرْلَند (معرَّبة) ﴾ Oreas canna. E. Eland. F. Oreas نوعٌ من الظباء[2] وهو من اكبرها جثة وفي عظم الثور ولهُ قرنان طويلان مفتولان . وطنهُ اواسط افريقية

﴿ المرامريّ (سودانية) ﴾ Strepsiceros E. Kudu F. Coudou نوعٌ من الظباء الكبيرة وهو احمر اللون ومخطط بخطوط بيض . للذكر منهُ قرنان كبيران لولبيان والانثى جمَّاء اي لا قرون لها . ومن اسماء هذا الحيوان في السودان النيالت ففضلت لفظة المرامري وهي مستعملة في جهات الرصيرص

﴿ النلجاي[3] (معرب نيل كاو بالفارسية اي البقر الازرق) ﴾ B. Tragelaphus. E. Nilgau F. Nilgaut نوعٌ من الظباء الكبيرة . شبيهٌ بالبقر ازرق اللون لذكره قرنان صغيران والانثى جمَّاء

﴿ بقر الوحش ﴾ البقر الوحشي في كتب اللغة وغيرها الايل واليحمور والوعل والثيتل والمهاة الآن العرب خصُّوا هذا الاسم بثلاثة انواعٍ من كبار الظباء كما يشهد بذلك وصفهم للبقر الوحشيّ في اشعارهم كابيات النابغة التي ذكرها المقتطف وشرحها في الصفحة ١٩٠ من المجلد الثامن عشر واولها " من وحش وجرة موشيّ اكارعهُ " . فالايل واليحمور من ذوات القرون المصمتة المتشعبة واسماؤها العلمية معروفة كما سيجيءُ وقد مرَّ بنا ان الوعل

(١) تعريب المقتطف (٢) الظبي في اللغة الغزال المعروف وقد اطلق المقتطف هذه اللفظة على ما يسميهِ العلماء Antelope قال « اطلقنا كلمة الظباء على الحيوانات المجترَّة المجوفة القرون التي يطلق عليها علماء الحيوان اسم Antelopes ومنها الغزال وبقر الوحش الخ » (مجلد ١٩ صفحة ١٨٨) (٣) تعريب المقتطف (مجلد ١٩ صفحة ١٨٩)

من الماعز والعرب لهذا العهد لا يطلقون هذا الاسم اي البقر الوحشيّ الاّ على الظباء الكبيرة المجوفة القرون ولا يوجد من هذه الظباء سوى ثلاثة انواع في بلاد العرب وهي (Addax, Oryx, Bubale.) والاخير منها يعرف بالثيتل في وقتنا الحاضر. بقي علينا الادكس والاركس ولهما اسماء كثيرة بالعربيَّة اشهرها المهاة وقد جاء في وصفهم لها انها بيضاء اللون وهذه الصفة تصدق على الادكس والاركس الاّ ان الاول منهما عيناهُ اجمل كما يتضح من مشاهدة الاثنين في حديقة الجيزة فاذا صدق ابن الجهم في قولهِ

عيون المها بين الرصافة والجسرِ جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

ولا اظنهُ كاذبًا تكون المهاة الحيوان المعروف بالادكس عند العلماء وهي الترجمة التي عوّل عليها القانون ترسترام والكلونل جايكر ولا ارى وجهًا لمخالفتهما . اما الاركس فلهُ اسماء كثيرة بالعربيَّة منها المارية والميطلة والارخ الخ واللفظة الاخيرة تشبه كثيرًا لفظة Oryx التي وردت في كتاب النعوت لارسطو ويستعملها العلماء لهذا العهد ولا اعلم اصلها فهل اخذها ارسطو عن الشرق كما اخذ غيرها من اسماء الحيوانات او هي يونانية الاصل ونقلت الى العربيَّة

المارية. البهثة . الميطلة . الماريّ . اللأي . الأرخ . الناشط[1] Oryx beatrix نوعٌ من الظباء الكبيرة المعروفة عند العرب ببقر الوحش وهو ابيض اللون مع حمرة قليلة في العنق ولهُ قرنان طويلان كسيفين احدبين ويُعرف في نجد والحجاز والعراق بالوُضَيحي[2] لبياض لونهِ على ما اظن وفي عمان بابي سرولع[3] واظن سبب ذلك ما ذكروا عن الجاهلية انهم كانوا اذا اجدبت ارضهم يأخذون اغصانًا من السلَع (او السَّولع وهو نوعٌ من الصبر) والعُشَر[4] ويعلقونها باذناب ثيران الوحش ويحدرونها من الجبال بعد ان يشعلوا النار في تلك الاغصان يستمطرون بذلك والمسلَّع ما علق عليهِ السلع قال شاعرهم

لا درّ درُّ رجالٍ خاب سعيهمُ يستمطرون لدى الازمات بالعُشَرِ
اجاعلٌ انت بيقورًا مسلَّعةً ذريعةً لك بين اللهِ والمطرِ

فان صح رأيي تكون هذه التسمية ابو سولع من بقايا هذه العادة القديمة في الجاهلية . وبقر الوحش مرسومٌ على الآثار المصرية وسماهُ الباحثون الماريَّة بالعربيَّة . وظن بوخارت وترسترام وغيرهما من علماء التوراة ان هذا الحيوان يسمى رئمًا بالعربية والرئم بالعربية نوعٌ

(١) لها اسماء كثيرة غير ما ذكرت تجدها في المخصص (٢) هذه اللفظة سمعتها من سليمان افندي البستاني وكان عندهُ حيوانٌ منهُ وهي مذكورة في رحلة دوطي في بلاد العرب (٣) الكلونل جايكر
(٤) Asclepio gigantea

من الظباء الصغيرة في حجم الغزال المعتاد ويعرف بهذا الاسم لهذا العهد وسأبحث في ذلك عند ذكر الرئم

﴿ المهاة ﴾ Addax nasomaculatus E. & F. Addax نوعٌ من الظباء الكبيرة وهي بيضاء اللون مع سواد قليل في العنق ولها قرنان كبيران لوليان وتعرف في المغرب بأبي عدس[1] Abou Addas وذكر بلينيوس هذا الحيوان وقال انهُ يسمى Addace في المغرب واظنها لفظة بربريَّة الاصل وعربت بابي عدس بعد دخول العرب · ولفظة المهاة هذه تشبه مأو بالمصرية القديمة ولا اعلم هل سميت بالمهاة لبياض لونها كما جاء في كتب اللغة او هي ومأو المصرية من اصل واحد وقد ذكرها احمد بك كمال وقال لعلها المهاة

الدكتور امين المعلوف

الامانة سر النجاح

لما نشرنا القصة المعنونة تفوُّق العقول في الجزء الاخير من السنة الماضية عقَّبنا عليها بقولنا " يا حبذا لو لم يلجأ اورلوف الى الخداع ··· فان الخداع يفسد اشرف المناقب ونجاح المخادع لا يفرق عن نجاح السارق " · وقد وقفنا الآن على خطبة للاستاذ جون برنر من اساتذة مدرسة ستنفرد الجامعة باميركا موضوعها " الامانة " القاها على تلامذة تلك المدرسة عسام يدربون انفسهم على الامانة لمستخدميهم والذين يشتغلون معهم بعد خروجهم من المدرسة لانها سر النجاح . ومما قالهُ لهم ان الامانة افضل المناقب سواء كانت من الغرائز الطبيعيَّة او من الملكات المكتسبة وهي على انواع بحسب ما تضاف اليهِ كالامانة للمبادىء والامانة للنظامات والامانة للجماعات والامانة للاشخاص · واسماها كلها الامانة للمبادىء الصحيحة فاذا اعتقد الانسان صحة امر فعليهِ ان يكون اميناً لهُ مقيماً عليهِ مهما تغيَّرت الاحوال والشؤُون وسواء انتفع من التمسُّك بهِ او نالهُ منهُ ضرر

اما الامانة للنظامات والجماعات والاشخاص اي الامانة للذين نعيش معهم ونعاملهم سواء كانوا حكَّاماً او شركاء او عشراء فليست في درجة الامانة للمبادىء الصحيحة سموًّا ولكنها ضرورية ايضاً وهي من لوازم النجاح في الاعمال ومن المناقب التي يجب ان يتحلَّى بها كل انسان ولا يُعفى منها الَّا اذا خالفت المبادىء الصحيحة . ويراد بالامانة في ما تقدَّم وما

(١) دائرة المعارف الفرنسوية

يأتي الاخلاص التام لمن يجب لهُ الولاء مخدوماً كان او شريكاً او حاكماً

قال الخطيب المشار اليهِ مخاطباً اولئك التلامذة انكم حينما تُتمون دروسكم وتخرجون لمعاطاة الاعمال فاما ان تَخدموا او تُخدموا فاذا استخدمتم احداً وكنتم حكماء فاوّل صفة تلتفتون اليها ويكون لها المقام الاسمى في نفوسكم امانتهُ لكم واذا وجدتم انكم لا تستطيعون ان تأتمنوهُ فلا يليق بكم ان تسلموهُ اعمالكم مهما كان ماهراً فيها . واذا استخدمكم احدٌ فهو ينتظر منكم الامانة التامة وتكون اهميتكم لديهِ حسب امانتكم لهُ . وجملة القول انهُ ما من احد يريد ان يستخدم رجلاً وهو يعلم انهُ غير امين لهُ يخاتلهُ او يفشي اسرارهُ او يغتنم الفرص للانتفاع على حسابهِ

وحسبنا مثالاً لما تقدَّم القصَّة المشار اليها آنفاً قصة ذلك الشاب الرومي الذي استعمل اموراً تختص بالشركة لنفعهِ الخاص فلو سألتَ مديري الشركة عن رأيهم فيهِ لقالوا انهُ خدعهم وانهُ يتعذَّر عليهم ان يأتمنوا مَن كان مثلهُ وهو نفسهُ لو استخدم شاباً ثم علم انهُ سيخدعهُ كما خدع هو رؤساءهُ لاقصاهُ من خدمتهِ حالاً ولم يستخدم من يعتقد انهُ غير امين لهُ يطّلع على اوراقهِ وتلغرافاتهِ ويستعملها لنفعهِ الخاص . واذا انتفت الامانة من بين الناس تعطلت الاعمال وبارت المتاجر والمزارع وفسد نظام الاجتماع

- اي تاجر يستخدم كاتباً وهو يعلم انهُ غير امين لهُ او يستخدم مديراً لتجارتهِ وهو يعلم انهُ لا يسعى جهدهُ في ترويجها واي مالك يستخدم ناظراً لزراعتهِ وهو يعلم انهُ لا يبذل جهدهُ في خدمة الزراعة واستخدام العمال

قال احد الفضلاء ان الامانة اغلى ما يستخدم اي ان ارباب الاعمال يفتشون عن الامين ويعطونهُ اكبر الرواتب

وقال الخطيب رأيت بالامس كتاباً من مدير اكبر شركات المعادن يقول فيهِ ان مَن يخون مخدومهُ لا يليق بهِ الأ المعول والرفش . اما انا فاقول ان المعول والرفش كثيران على مَن لا يؤتمن . واصحاب الاعمال يغتفرون قلة الذكاء وقلة المهارة وقلَّة الحنكة ولكنهم لا يغتفرون قلَّة الامانة ولو مع الذكاء والمهارة والحنكة

واذا اشترك كثيرون في عمل واحد كما في الشركات الصناعية والتجاريَّة وفقدت الامانة منهم بعضهم لبعض فقدَ النظام وتعذَّر النجاح لان اول شرط من شروط المشاركة المعاونة على العمل والسعي في انجاحهِ من غير ان يفضّل احد الشركاء مصلحتهُ على مصلحة شركائهِ في ما هم مشتركون فيهِ او في ما يكتسب من شركتهم ادبياً او مادياً

قال الخطيب ورب معترض يقول انطلب من الشاب الحر الشمائل ان يخدم غنياً متغطرساً ويتذلل لهُ او يخدم شركة مستبدة ويخضع لارادتها. فاجيب كلاً والخادم الامين لا يضطرّ ان يتذلل بل هو الذي يستطيع ان يرفع رأسهُ لان استقامة السيرة تجعل المرء يقف منتصباً مستقيماً غير هيّاب ولا وجل. واذا كان رئيسك مستبداً صعب المراس فاتركهُ ولكن لا تخنهُ ولا تلوّث سمعتك بدنيئة تأتيها وخير لك ان تخرج من خدمتهِ طاهر الذيل من ان تبقى معهُ وتخدعهُ وتخونهُ فتخسر من اخلاقك ما لا يثمَّن بمال

ثم ان الامانة لا تستلزم ان يخدع الانسان زيداً لكي يكون اميناً لعمروٍ ولا تستلزم ان يسعى في مصلحة زيد ولو كان غير محق فيها

والذين يطلبون الامانة من مستخدميهم يجب ان يكون عملهم شريفاً يستحق ان يعملوا بهِ ويكونوا امناء لهُ والاَّ فالامانة غير مطلوبة ولكن لما كان نظر الناس مختلفاً في تقدير الاعمال من حيث وجهتها الادبيَّة فقد يحسب المستخدم عملاً غير شريف وصاحب العمل يحسبهُ شريفاً فاذا لم يرَ المستخدم وجه الصواب في عمل رئيسهِ فعليهِ ان يتركهُ وشأنهُ لعلَّ الرئيس على هدًى وهو على ضلال. فاذا كنت في خدمة احد ولم تستحل عملهُ فاتركهُ ولكن لا يجوز لك ان تغدر بهِ وتخونهُ بوجه من الوجوه وكذا اذا كنت مشتركاً مع جماعة في عمل ما ورأيتَ العمل غير جائز في اعتقادك فاترك الجماعة وشركتها ولكن لا تخنها لانك قد تكون مخطئاً في اعتقادك والخيانة خلة تلصق بك ويقع ضررها عليك. وما دمت مشتركاً مع الجماعة فعليك ان تبقى اميناً لها

والامانة تجب على المخدوم كما تجب على الخادم. تجب على رب العمل كما تجب على العمال فيجب على المخدوم ان يكون اميناً لخدمهِ وعلى رب العمل ان يكون اميناً لعمالهِ. وهذه الامانة المتبادلة هي سر نظام الاعمال ونجاحها ولا يحق للمرء ان يطلب من غيرهِ ان يكون اميناً لهُ وهو غير امين لذلك الغير لانهُ يتعذر على المرء ان يكون اميناً لمن يمتهنهُ او يغتابهُ. وما قيل عن امانة الشريك لشريكهِ والخادم لمخدومهِ والمخدوم لخادمهِ يقال عن امانة المرء لشرائع بلادهِ وقوانينها ونظاماتها واحكام الطائفة التي هو منها. والامانة المتبادلة كالحب المتبادل تزيل المصاعب وتدوس على المشاكل وتربط الناس برباط واحد ولكن على الحكيم ابن الدهر ان لا يتوقَّع من الناس فوق ما يستطيعون بل يغتفر الزلات والهفوات ويقول مع القائل

اذا انت لم تشرب مراراً على القذى ظمئتَ واي الناس تصفو مشاربه

دولة آل عثمان

٤

السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح

خلف اباهُ السلطان مراداً سنة ١٤٥١ مسيحية الموافقة لسنة ٨٥٥ هجرية . وهو الذي فتح القسطنطينية وكانت قد بلغت حضيض الضعف . قال جودت باشا في تاريخهِ المشهور انهُ "حدث حينئذٍ نزاع مذهبي بين الاروام ووقع الضعف والوهن في امبراطورية الاستانة حتى انهُ لم يبقَ للامبراطور من السلطة الَّا مجرَّد الاحتشام والرسوم والعادات البسيطة . ويروى ان وكلاءهُ لمَّا بلغهم ان حضرة السلطان محمد خان الثاني بنى قلعة بوغازكسن وسدَّ عليهم خليج القسطنطينيَّة اختبطت عقولهم واضطربت افكارهم وعقدوا للمذاكرة في هذا الامر مجلساً كبيراً في ايا صوفيا فاخذوا يتزاحمون في اوقات الاجتماع على التقدُّم في الجلوس ولم يراعوا حقوقهم بحسب مراتبهم فادَّى بهم ذلك الاختلاف الى التضارب بالكراسي على الرؤُوس . وفتحُ الاستانة وان كان ممكناً قبل هذا الاوان نظراً لارتباك احوال اهلها فان عوارض الزمان قد حالت دونهُ ثم لما صار الامر الى حضرة ابي الفتح محمد خان المشار اليهِ تمكَّن من حل هذه العقدة وفاز بما كان يأملهُ وذلك انهُ في سنة ٨٥٧ جهَّز عساكر جرارة ومدافع عظيمة وزحف عليها من جهة ادرنه وفتحها . فاهتدت الدولة العلية بذلك الى مركزها الحقيقي واصبح حضرة الفاتح بعد ان تمت لهُ لوازم السلطنة بهذا الفتح جديراً بلقب ملك الملوك . ولا يخفى ان سعادة الامة ناشئة عن اتحاد الكلمة واتفاق الرأي وكرم السجايا كما ثبت في هذه القضية فان الروم كانوا على غاية القوة المالية والمعرفة بامور السياسة الدولية حتى ان اوربا استفادت منهم لما انتشروا فيها بعد فتح القسطنطينيَّة لكن العثمانيين الذين كانوا شرذمة قليلة مقيمة في ضواحي الاناطولي غلبوهم وما ذلك الَّا لدخول الفساد على اخلاقهم وشدة الشقاق بينهم فلم تنفعهم قواهم المالية ولا معارفهم السياسية

" وبعد فتح القسطنطينيَّة احرزت الدولة العلية في مدة وجيزة اسطولاً كامل العدَّة والذخيرة واستولى حضرة الفاتح على القريم وعلى قلاع ومواطن كثيرة في اسيا واوربا وضمها الى ممالكهِ وحيث كانت الدولة العلية تراعي جانب العلماء كانوا يؤُمونها من كل فج عميق واصبحت القسطنطينيَّة في ذلك العصر داراً للعلوم والفنون "

هذا ما قالهُ جودت باشا في تاريخهِ عن فتح القسطنطينيَّة وعن السلطان محمد الفاتح

واكتفى بهِ. والظاهر ان السلطان لم يهتمّ باديءَ بدءٍ بفتح القسطنطينيَّة بل جدَّد عهود الصلح والصداقة مع امبراطورها وغيرهِ من اصحاب البلدان المجاورة وكان صاحب اثينا قد توفي لما توفي السلطان مراد فبعث اليها بابن انطونيو اكسياجولي الذي كان مقيماً في بلاطهِ فاحتفل بهِ الاثينيون من الروم الارثوذكس وزادوا ولاءً للعثمانيين. ووجَّه السلطان همَّهُ الى اسيا لان صاحب قرمان كان قد شقَّ عصا الطاعة فما كان من الامبراطور قسطنطين امبراطور القسطنطينيَّة الّا انهُ طلب راتباً مضاعفاً للامير أرخان الذي كان اسيرًا عندهُ فاغتاظ السلطان من ذلك وعقد الصلح مع صاحب قرمان وارضى الانكشارية بالهبات لان عقد هذا الصلح حرمهم من الغنيمة وشرع في بناء قلعة على اضيق مكان في البسفور حيث لا يزيد عرضهُ على ٥٥٠ مترًا وهو المضيق الذي عبر منهُ زركسيس ملك الفرس. وهذه القلعة المعروفة عند الاتراك بقلعة بوغاز كسن وعند الروم بالليموكوبيون اي قطاعة الرؤُوس حصن منيع سمك جدرانهِ ٢٥ قدماً وارتفاعها ٦٠ قدماً ويقابلهُ على الجهة الاخرى من البسفور الحصن الذي بناهُ السلطان بايزيد واسمهُ اناطولي حصار فصار مضيق البسفور بين حصنين منيعين حتى يتعذر وصول المدد والميرة الى القسطنطينية من جنوى والبندقية

ولما رأى الامبراطور قسطنطين انهُ لا يستطيع المقاومة انحاز الى اللاتين وعزم على اعادة الاتحاد بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية فارسل اليهِ البابا الكردينال ايسيدور ومئتين من الجنود ورئيس الاساقفة ليونارد. ولرئيس الاساقفة هذا كتاب وصف فيهِ حصار القسطنطينية وكيفية فتحها. واحتُفل باتحاد الكنيستين في الحادي عشر من سبتمبر سنة ١٤٥٢ في كنيسة ايا صوفيا ودعي فيها للبابا وللبطريرك غريغوريوس. فاغتاظ اكليروس الروم الارثوذكس من الامبراطور واشتدَّ الشجار بين الفريقين حتى قال الارشديوك لوقا نوتاراس امير البحر وقائد مدفعية الروم اننا نفضل ان نرى عمامة (السلطان) محمد في مدينتنا على ان نرى فيها تاج البابا. وكان للجنويين والبنادقة اموال واملاك كثيرة في غلطه وبيرا فساعدوا الامبراطور للدفاع عن مصالحهم وكان الجنويون قد حصنوا غلطه واقاموا فيها برجهم المشهور واتوا بسفينتين و ٧٠٠ جندي لمساعدتهِ اما البنادقة فكانوا قد جددوا المعاهدة مع السلطان ولذلك امروا امير اسطولهم اوامر مبهمة حتى لا يؤاخذوا بنقض عهدهم اذا دارت الدائرة على الروم. واتت عشر سفن من سفن البابا لكنها لم تعمل عملاً يذكر

وزحف السلطان من ادرنة في الثالث والعشرين من شهر مارس سنة ١٤٥٣ الى ان صار على نصف ميل من القسطنطينيَّة وكان معهُ في ما قيل ١٦٥ الفاً من الجنود ولم يكن

عند الامبراطور لمقاومة هذا الجيش الجرار سوى ٤٩٧٣ من الجنود اليونانية المسلحة و٢٠٠٠ من الغرباء من البنادقة والجنوبين والكريتيين والرومانيين والاسبانيين · ونصب السلطان اثني عشر مدفعاً كبيراً في الاماكن المشرفة على المدينة فجعلت تقذفها بالحجارة الكبيرة وثقل بعضها خمسة قناطير مصرية · واستبسل الامبراطور وجنوده ولكن بعض الرهبان تنبأوا للشعب ان الاتراك يبلغون عمود قسطنطين امام كنيسة ايا صوفيا ثم ينزل ملاك من السماء ويطردهم ويبعدهم الى حدود بلاد الفرس فصدّق كثيرون من الروم قولهم ولم يهتموا بالدفاع عن مدينتهم

وكانت النار اليونانية قد منعت السلطان اولاً من مهاجمة المدينة ولم يستطع ان يصل اليها بسفنهِ فجرّ السفن على البر وانزلها في المكان المعروف الآن بقاسم باشا وبعث جنوده المدينة ودخلتها عنوة ليلة التاسع والعشرين من شهر مايو سنة ١٤٥٣ واعملت السيف في اهلها وقُتل الامبراطور مع من قتل ووجدت جثتهُ بين جثث اعوانهِ وكان السلطان قد عرض عليهِ التسليم وامّنهُ على حياتهِ فابى مفضلاً الموت في سبيل الدفاع عن بلادهِ وقُطع رأسهُ ووضع على قمة عمود يوستنيانوس وقيل انهُ ارسل الى الولايات الاسيوية ليعتبر بهِ ولاتها . وخلع الكردينال ايسيدور ثوبهُ الارجواني ولبس ثياب جندي من الجنود المقتولة فاسر مع الذين اسروا · ثم هرب الى المورة ومنها الى البندقية وقصَّ على اهالي اوربا ما اصاب عاصمة مملكة الروم · واحتشد الالوف من السكان في كنيسة ايا صوفيا فاسروا كلهم · قال احد مؤرخي اليونان انهُ لو نزل ملاك من السماء حينئذٍ وخيَّرهم بين اتحاد الكنيستين والوقوع في يد الاتراك لفضلوا الثاني على الاول

ووصل خبر هذا الفتح الى الديار المصرية بعد نحو ستة اشهر قال ابن اياس في حوادث ذي القعدة سنة ٨٥٧ "وفيهِ وصل قاصد ملك الروم محمد بن عثمان يخبر السلطان (1) بفتح القسطنطينيَّة العظمى وقد صنع المكايد في فتحها وكان الفتح في يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الاولى من هذه السنة (٨٥٧ هـ) فلما بلغ ذلك دقَّت البشائر بالقلعة ونودي في القاهرة بالزينة ثم ان السلطان عيَّن برسباي امير اخور ثاني رسولاً الى ابن عثمان يهنئهُ بهذا الفتح العظيم فخرج برسباي وتوجه الى بلاد ابن عثمان" · وقال في حوادث السنة التالية "وفيهِ (اي في جمادى الاخرى) قدم برسباي الذي توجَّه قاصدًا الى محمد بن عثمان وخلع عليهِ" · واكتفى ابن اياس بذلك ولم يزد . وهو يلقب صاحب مصر حينئذٍ بالسلطان واما السلطان محمد الفاتح فيكتفي بتسميتهِ محمد بن عثمان ملك الروم

(1) اي سلطان مصر والشام الملك الاشرف اينال العلائي الظاهري .

ونقل الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ المشهور ما خلاصتهُ " ان السلطان محمداً الفاتح فشل في اول الامر وعزم على رفع الحصار عن القسطنطينية وجمع وزراءهُ واستشارهم فاشاروا عليهِ بالاستمرار على الحصار وبعد ثلاثة ايام هجمت جنودهُ على المدينة وهدموا بعض اسوارها ودخلوها عنوة ووجدوا الملك قسطنطين قد ديس تحت الارجل من تزاحم الجنود وكان ذلك في السابع والعشرين من شهر ايار وكان ابتداء حصارها في شهر نيسان واطلقت يد الجنود للقتل والسلب والنهب ثلاثة ايام ثم امر السلطان بتأمين الباقين احياء وامر الاساقفة والقسوس ان يختاروا لهم بطريركاً جديداً لان البطريرك الاول غريغوريوس كان قد ترك كرسيهُ ولجأ الى الكرسي الروماني فاختاروا الصالح الذكر جرجس شكولاريوس الذي كان قاضياً وسموهُ جناديوس وامر السلطان فاحتفلوا بسيامتهِ كما كان يحتفل في زمن ملوك القسطنطينية"

والظاهر انهُ ليس في العربية تاريخ لفتح القسطنطينية كتب حين فتحها اما الاتراك فكتبوا تواريخ كثيرة في زمن محمد الفاتح استشهد بها كنتمير في تاريخهِ المشهور وذكرها فون همر لكننا لم نرَها ولا رأينا ترجمتها واما الروم واليونان ففصلوا ذلك الفتح تفصيلاً مسهباً وقد جمع المؤرخ جبن الشهير تواريخهم ولخص منها ما يملأ اربعين او خمسين صفحة من المقتطف ومما قالهُ فيها — ان الروم هم الذين احرجوا السلطان على فتح مدينتهم بحماقتهم فعوضاً عن ان يلزموا السكينة لكي ينسى وجودهم بعثوا رسلهم وراءهم يتبعونهُ من مكان الى آخر و يطالبونهُ بزيادة الراتب المقرر للامير ارخان وكان الوزير خليل باشا مخلصاً لهم فسفهَ رأيهم وقال لهم " ايها الحمقى ان السلطان مراداً الذي كان كثير التودد قد توفي ونحن الآن بين يدي شاب شديد العزيمة قوي الشكيمة النفخ شيمتهُ ولا يقف شيء في طريقهِ فاشكروا ربكم اذا نجوتم من يدهِ. فان كنتم تحرجونهُ لتخرجوهُ وتتهددونهُ باطلاق ارخان وجعلهِ سلطاناً على رومانيا واستدعاء المجار من وراء الدنيوب وامم اوربا لمحاربتنا فانكم تقضون على انفسكم". اما السلطان فلم يتوعدهم بل طيَّب خاطرهم وقال لهم انهُ ينظر في طلبهم حال رجوعهِ الى ادرنه . ولما رجع امر بقطع الراتب وشرع في بناء الحصن المشار اليهِ آنفاً على خمسة اميال من القسطنطينية وجمع لبنائهِ الف بنَّاء وحاول رسل الامبراطور ان يصرفوهُ عن عزمهِ فاجابهم انهُ يبني الحصن في ارضهِ لا في ارضهم لان مملكة امبراطورهم صارت محدودة باسوار مدينتهِ ثم قال لهم ارجعوا واخبروا مولاكم اني لست مثل سلفائي وان مقاصدي لا تتوقف على مشيئتكم وانكم اذا عدتم اليَّ ثانية سلخت جلودكم

ولما عاد الرسل واخبروا الامبراطور بما سمعوا ورأوا عزم ان يشهر الحرب و يمنع تقدم

العثمانيين لكنَّ رجالهُ صرفوهُ عن عزمهِ كأنَّ ذلك يصرف السلطان عمَّا قصدهُ ومضى الشتاء والخطر محدق بالروم وهو يتعاظم يوماً فيوماً وهم نيام او متناومون

وشرع السلطان في بناء الحصن في السادس والعشرين من شهر مارس (اذار) وجعلهُ مثلَّث الجوانب وبنى ثلاثة ابراج على زواياهُ الثلاث وكان سمك جدرانها ثلاثين قدماً وسقفهُ بالرصاص وجلب حجارة الكنائس واعمدتها لبنائهِ · واطلق بعض فرسان الاتراك خيولهم في مزارع الروم حول القسطنطينيَّة فرعت ما فيها من الزرع ووقع الشجار بين اصحابها واصحاب الزروع فهدمت المزارع وقتل اربعون من اصحابها · ورأى الامبراطور حينئذٍ ان الحرب صارت على قاب قوسين فاقفل ابواب القسطنطينيَّة وكتب الى السلطان يقول اني القيت اعتمادي على الله لعلهُ يلين قلبك و يصرفك عن عزمك والَّا فاني خاضع لمشيئتهِ واحتكم اليهِ وهو خير الحاكمين وما دمت حيًّا فاني ادافع عن شعبي واموت في الدفاع عنهم

اما السلطان فانهُ اتمَّ بناء الحصن واقام فيهِ رقيبًا يتقاضى جعلاً من كل السفن الداخلة · وحاولت سفينة من سفن البندقية الدخول من غير دفع الجعل فاطلق الرقيب عليها مدفعاً اغرقها · وهذا المدفع من عمل اربان المجري سبكهُ للسلطان كما سبك غيرهُ من المدافع الكبيرة التي هدمت حصون القسطنطينيَّة وسهلت فتحها · ونجا ربان السفينة وثلاثون من بحارتها في قارب فقبض عليهم وقيدوا بالسلاسل فقطعت رؤُوس البحَّارة وسلخ جلد الربان · وقد رأى المؤَرخ دوكاس اجسادهم مطروحة للوحوش · وأُخر حصار القسطنطينيَّة الى الربيع التالي ولما حان الوقت استدعى السلطان وزيرهُ خليل باشا واخبرهُ بما عزم عليهِ · قيل انهُ استدعاهُ ليلاً فهرول اليهِ بعد ان ودَّع زوجتهُ واولادهُ واخذ معهُ الهدية المعتادة من الذهب على جاري العادة وقدمها الى السلطان فقال لهُ السلطان ان هذه الهدية لا تكفيني وانا اطلب منك هدية اثمن واسنى اطلب منك القسطنطينيَّة · فقال الوزير ان الذي وهبك الجانب الاكبر من مملكة الروم لا يضن عليك بالبقية الباقية منها فانت موفق الى ما تريد بعون الله وانا وكل عبيدك الامناء وقف على خدمتك · فقال السلطان لقد مضى الليل وجفني لم يذق الكرى فاياك وذهب الروم وفضتهم نحن اشد منهم بأساً واقوى عدةً وسنفوز عليهم بعون الله وجاه نبيهِ

ثم شرح المؤرخ جِبُن كيفية حصار القسطنطينيَّة وفتحها والاعمال المنكرة التي عملت على اثر ذلك الفتح ممَّا كرَّه الينا قراءة التاريخ · وتوفي السلطان محمد الفاتح وهو في الحادية والخمسين من عمرهِ بعد ان استولى على المورة وطرابزون (وكانت امبراطورية) وتهدَّد ڤينا وحارب رودس واستولى على مدينة اترنتو من مدن ايطاليا



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن برالا منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

مقدمة الدكتور شميل

[نشرنا في هذا الجزء جانبًا من المقالة العلمية الفلسفيَّة التي انشأها الدكتور شميل ليجعلها مقدمة لكتاب شرح بخنر على داروِن الذي عزم ان يعيد طبعهُ . ثم بعث الينا بجانب آخر من تلك المقالة وطلب الينا ان ننشرهُ في باب المراسلة والمناظرة لكي يتجه اليهِ نظر المنتقدين ويبدوا رأيهم فيهِ لانهُ ضمنهُ رأيًا علميًا ارتآهُ في سبب شفاء الامراض التي تشفى ولا تعود كالجدري والتي تشفى ثم تعود كالحمى الملاريَّة والتي لا تشفى كالسرطان فارتأى ان الميكروبات التي تسبب الامراض الاولى انواع ثابتة والتي تسبب الامراض الثانية تباينات متغيرة والتي تسبب الامراض الثالثة انواع اثبت في النوعية من الانواع الاولى . كما ترى في ما يلي]

لما كان القول بمذهب النشوء يستلزم ضرورة القول بمادية الكون لم يكن تقريرهُ من السهل لدى اصحاب المبدإ الحيوي لصعوبة تأييد التولد الذاتي بالوسائل التي لنا اليوم . وقد استمسك علماء النظر بهذا المبدإ استمساك الغريق بحبل النجاة . وبلغ التحمس في المناظرة بين الفريقين حدًّا حدتهِ بين سنة ١٨٥٩ وهي السنة التي نشر داروِن فيها كتابهُ في اصل الانواع وسنة ١٨٩٠ وهي السنة التي بدأت جلبتهم فيها تخف . وكان جلُّ اعتراضهم ان التولد الذاتي لم يثبت علميًا كأن هذا الاعتراض لا يجوز عليهم كما يجوز على سواهم . فان كان اصحاب النشوء لم يروا حيًا نبت من غير حي فهل رأى اصحاب الخلق انسانًا خُلق من غير انسان فكلاهما في جواز الاعتراض العلمي سواءٌ مع الفرق بان هؤلاء يخالفون كل قضايا العلم في التحقيق والاستقراء بخلاف اولئك فانهم في كل قضاياهم متفقون مع العلم الطبيعي . ولو اقتصر اصحاب الخلق على الاستمساك بمذهب الخلق الكلي فقط لما اشتد النزاع بينهم

وبين اصحاب النشوء للزوم اتفاقهم بعد ذلك على تكون الاحياء وتحولها بقوى الطبيعة نفسها ولكنهم ابوا الاَّ الاستمساك بالخلق النوعي الذي يجعل كل نوع من الاحياء موضوع خلق خاص ليفصلوا الانسان بذلك فصلاً تاماً ويجعلوهُ في مقام ممتاز لا في سلم التحول الراقي بل في نوع الخلق نفسهِ لئلا يكون وجوده على تلك الصورة نتيجة يترتب عليها مشاركتهُ الذاتية لسائر المخلوقات وهم يريدون ان لا تكون لهُ هذه المشاركة الاَّ في الاعراض فقط تأييداً لتعاليمهم من انهُ الغاية المقصودة بالذات والتي لاجلها خلق كل ما في الكون وهو قول لا يقبلهُ العلم اليوم

على ان هكل وهو من كبار العلماء الطبيعيين اكتشف في قاع البحار جسماً متعضياً يصح ان يكون حلقة الاتصال بين الجماد والحي ودليلاً على التولد الذاتي وقد أطلق عليهِ اسم المونير وهو عبارة عن ابسط الكريات الحية القائمة بنفسها ومهما يكن من ذلك ومن القول بالباثيبيوس ومن زعم آخرين ايضاً بانهم تمكنوا من احداث هذا التولد فحلُّ مسألة النشوء الطبيعي لم يعد متوقفاً على ذلك بعد ما ثبت تحوُّل القوى بعضها الى بعض وتحوُّل المادة بها كذلك وتحول الاحياء نفسها تبعاً لناموس المطابقة كما ان حلَّ مسألة الهيولى لم يعد متوقفاً على رد العناصر كلها الى بسيط واحد . والوقوف عند ذلك بعد ما ثبت كل هذا الارتباط تعنت اذا جاز لاصحاب المذهب الواحد جاز اكثر لخصومهم

وقد علا هتاف اصحاب المبدإ الحيوي جداً لما قام بستور واكتشف سر الاختمار . واثبت علمياً انهُ ناشيءٌ عن جراثيم اي احياء دنيا لا ترى الاَّ بالمناظير المعظمة أطلق عليها اسم المكروبات وايد قولهُ بالبرهان اذ منع الاختمار واوقف كل فساد بقتل الجراثيم في الجسم المختمر وصدها عن النفوذ اليهِ واكتشف بذلك طريقة التعقيم العلمية واقرَّ مذهب الجراثيم على اساس علمي متين . فزعموا ان اكتشاف بستور هذا قد جاء بالضربة القاضية على مذهب القائلين بالتولد الذاتي

على ان لياذ اصحاب المبدإ الحيوي بجراثيم بستور لم يقدم شيئاً جديداً لاثبات مبدإهم او لدحض مذهب خصومهم وانما هذا الاكتشاف ابعد حل المسألة اذ اثبت ان الاحياء الدنيا اجسام تامة التكوين مختلطة التركيب قديمة العهد ليست الاولى في سلم الاحياء وان حل مسألة التولد الذاتي يجب ان يبحث عنهُ في ما هو ادنى منها مما قد تعجز عنهُ مناظيرنا المكبرة وقد يكون مونير هكل نفسهِ من الصور الراقية بالنسبة اليهِ

ولكن جراثيم بستور اذا كانت لم تفدنا شيئاً من هذا القبيل فقد افادت العلم فائدة كبرى اذ كشفت لنا عالماً كبيراً جداً في التاريخ الطبيعي لم يكن معلوماً لنا من قبل واثبتت

ان لهذا العالم اتصالاً شديدًا بنا فدرسهُ اذن يفيدنا جدًّا لتعرُّف ما لهُ من المضار وما يحرز من المنافع لتطبيق ذلك على مصالحنا الاجتماعية زراعية كانت او صناعية او طبية . وقد كان لهذا الاكتشاف شأن عظيم جدًّا خصوصاً في علم الطب اذ اثبت ان الامراض ليست الا اختمارًا وان سببها جراثيم فقلب كل المذاهب الاجتهادية التي كانت شائعة قبلهُ واقرَّ علم الباثولوجية على قرار مكين وتقدمت بهِ صناعة الشفاء تقدماً بيّناً بتعرُّف طبائع الاحياء الدنيا والوقوف على الوسائل المقاومة لها . وعلى ذلك اكتشف بستور طريقة التلقيح العلمية بالمصل الشافي والواقي معاً وهي اعظم اكتشاف في علم الشفاء ختم القرن الماضي بهِ حسناتهِ وفي طليعة ذلك اهمية وثبوتاً مصل الدفثيريا الذي اكتشفهُ تلامذتهُ بعدهُ والذي ينقذ كل سنة مئات الالوف من الاطفال من مخالب الموت المحتوم . وانما قلت طريقة التلقيح العلمية لافصل بينها وبين طريقة التلقيح الواقي التجريبية التي اكتشفها اتفاقاً جنر قبل بستور بزمان طويل كما ان لستر كان اسبق منهُ الى القول بالجراثيم واعتبارها سبب التعفن واستعمال العلاج المعقم في الجراحة ولكنهُ قال قولهُ هذا بناء على التجربة لا على العلم الحقيقي فالفضل انما هو لبستور وحدهُ في اسناد ذلك كلهِ الى علم واسع الاكناف قوي الدعائم . على ان الفرع الذي استفاد من هذا الاكتشاف فائدة كبرى هو علم الصيحيين اي علم منع الامراض والوقاية منها . ولو كانت نظامات الاجتماع اصلح مما هي اليوم لعرفت كيف تستفيد منهُ كل الفائدة المترتبة عليهِ ولمنعت كثيرًا من الامراض التي لا تزال تفتك بالناس حتى اليوم فتكاً ذريعاً

وعدا ذلك فقد استفاد الطب من هذا الاكتشاف فائدة اخرى عملية عظيمة سيكون لها شأن عظيم جدًّا في المستقبل متى توجهت الافكار اليها وهي ان علم الامراض صار بهذا الاكتشاف فرعاً من التاريخ الطبيعي داخلاً في مذهب النشوء والتحول فلا بدَّ من اطلاق نواميسهِ عليهِ : فقد كنا بالامس ندرس الامراض بمظاهرها اي اعراضها ونعتمد في مقاومتها على التجربة واما اليوم فقد انفتح امامنا باب واسع لدرسها من حيث اسبابها الحقيقية ايضاً والاعتماد في مقاومتها على العلم ولقد خطونا في ذلك حتى اليوم خطوات واسعة ولكنها ليست شيئاً يذكر بالنسبة الى ما ستفتحهُ علينا نظرنا فيها بهذا النظر وتمسكنا فيها بهذا الحبل المادي

وكأن مسألةً من اهم مسائل الطب العلمية والعملية حلّت بذلك او اوشكت . فقد كنا في الماضي لا نعرف كيف نعلل سير الامراض واما اليوم فقد صار من السهل ان نعرف لماذا هذه الامراض تعرض كثيرًا وتشفى كثيرًا ولماذا غيرها لا يعرض الا مرة في العمر غالباً وسواها اذا عرض فقلما يفارق حتى الموت . فاذا علمنا ان الاحياء الدنيا التي تحدث هذه

الامراض كالاحياء العليا انواع وتباينات وعلمنا كذلك ان صفات الانواع ثابتة او هي بطيئة التغير جدًّا وان التباينات متغيرة كثيرًا لا تثبت زمنًا طويلاً انجلى لنا سر اختلاف سير هذه الامراض. فاذا كانت الامراض الميازمية كما بسموتها تعرض كثيرًا وتشفى كثيرًا فلان اسبابها احياء دنيا من رتبة التباينات المتغيرة كثيرًا القليلة الثبوت. واذا كانت الامراض التفاطية تشفى وقلما تعود فلان اسبابها الحية من رتبة الانواع الثابتة واذا كان السرطان والتدرن والجذام لا تشفى غالبًا ولا تفارق حتى الموت فلانها ارقى في رتبة النوعية ايضًا فصفاتها اشدّ ثبوتًا لذلك. واذا علمنا ان الشفاء من المرض والمناعة عليه سيان في طبيعتهما مهما كانت اقوال العلماء في تعليلهما ولعلهما نوع من التكافوء والائتلاف سهل علينا ان نفهم لماذا كانت المناعة ضعيفة قصيرة المدة في امراض الرتبة الاولى ثابتة طويلة المدة في امراض الرتبة الثانية ممتنعة (او هي غلبة المرض في هذا التنازع بينهُ وبين الجسم) في امراض الرتبة الثالثة

وعلى هذا العلم تترتب فائدة اخرى عملية لاستكشاف المصل الواقي والشافي معًا تقوي عزائمنا في بعض الامراض وترشدنا الى السبيل الاقوم في البعض الآخر فلا تدعنا نضيع الوقت عبثًا في محاربتهِ من حيث لا تجدي المحاربة نفعًا لعلمنا حينئذٍ ان نجاحنا انما هو في تحدي الطبيعة نفسها لخيبنا لا تنجح هي فالاولى ان لا تنجح نحن فنصرف قوانا عن الممتنع الى سواهُ مما يكون ممكنًا ليكون اهتداؤُنا اليهِ اذا نجحنا طريقة عمليَّة شاملة هي اهم جدًّا من مكتشفات التجربة التي وان افادت كثيرًا احيانًا الاَّ انها لا تفيد فائدة عمليَّة حقيقية للتعويل عليها في العلم

وبناءً على ما تقدم يمكن الجزم اليوم بان استكشاف المصل الشافي والواقي ممكن في جميع الامراض التي تشفى على اسلوب استحضار المصل الدفثيري وان صعب تعيينهُ في امراض الرتبة الاولى لقصر مدة المناعة فيها بسبب شدة تحولها واختلاط آفاتها ولكن ذلك اذا افقدهُ الفائدة الخاصة فلا يفقدهُ الفائدة العامة فيها للسبب عينهِ • ويجب ان يكون ممكنًا في الطاعون والهواء الاصفر ايضًا. ولا ينبغي ان يتولانا اليأس من استكشافهِ في الامراض الاخرى الحادة الخاصة • وهو ليس بالممتنع في الزهري وان كان صعبًا لبطوءِ سير هذا الداء ولعلهُ ممكن اذا عرف كيف يستخرج من المريض بعد مجموع اعراضهِ الثانوية مجموعًا تامًا • واما التدرن والجذام والسرطان فكيف يمكن ذلك فيها على نفس الطريقة المستعملة للوقاية من الامراض الاخرى وشفائها وهي نفسها لا تشفى فكأن ذلك على هذه الصورة ممتنع فيها فلم يكن بدٌّ من توجيه النظر الى مقاومتها من سبيل آخر. ومعلوم ان المرض تنازع بين الجسم والاحياء الدنيا المرضية • ومعلوم كذلك ان الامراض تختلف بحسب الاسنان والاحياء

المختلفة لاسباب يجب ان تكون في الجسم نفسهِ فلعل توجيه النظر الى هذه الجهة او الى سواها ييسر لنا استكشاف مصل من جنس آخر بعيد للجسم صفاتهِ المانعة او يكسبهُ هذه الصفات لمقاومة الامراض التي لا تشفى والجملة امنع ايضاً على الامراض التي تشفى. فالطب العلمي الحقيقي هو هذا لا طب العقاقير وسيكون لهُ في المستقبل شأن عظيم جدًّا الى ان يتيسر للاجتماع ان يعرف بنظاماتهِ كيف يستفيد من حسنات العلم فيسهل للطب غرضهُ الاول وهو العلاج المنعي لقتل جراثيم الامراض في مكامنها وصدها عن التعلق بالجسم. — ولا انكر ما في القول المتقدم من الجسارة ولكنهُ قول مبنيٌّ على تطبيق مذهب النشوء على علم الامراض بناء على ما يعلم من ثبوت الاحياء في التنازع بحسب رتبتها في النوعية وكأن الواقع يؤيدهُ اليوم

الدكتور شميل

إشكال وايضاح

حضرة الدكاترة الافاضل

جاء في الصفحة ٩٢٥ من المجلد الثالث والثلاثين من المقتطف ان معنى سياه كوش وقره قولاق الاذن السوداء والصواب اسود الاذن فان امثال هذه التراكيب في اللغتين الفارسية والتركية اوصاف تركيبيةٌ لا صفة وموصوف فيقولون سياه جشم وقره كوز لاسود العين لا للعين السوداء. وفي الصفحة ٩٢٩ في ذيل ترجمة الفهد انهُ يوز و پارس عند الفرس وكان الفرس يقولون پارسجي كما كانت العرب تقول فهاد. اقول ان پارس لفظة تركية وپارسجي كذلك كما يقال بوسطه جي وخانجي وليست بفارسية بل هي تركية جيغتائية ايغورية والمعهود عندنا في حقها انها النمر اي پلنك لا الفهد اي اليوز وعليهِ فترجمتها نمّار لا فهاد. وما قالهُ كاترمير من انها لفظة تركية فهو الصحيح وما قلناهُ من انها بمعنى النمر فمأخوذ مما ترجمهُ صاحب الزيجات الاخيرة كالزيج الخاقاني لنصير الدين الطوسي وقد الفهُ في زمان هلاكو خان المغول وزيج الوغ بيك التركي الكوركاني وغيرهم فانهم ترجموا پارس الواقعة اسماً لاحدى السنين التركية الدائرة على اثني عشر اسماً بالنمر اي پلنك وكذلك ترجمهُ الاحكاميون عند ذكرهم لاحكام دخول پارس ييل اي سنة بارس وكذا ترجمهُ في كتاب النصاب الفارسي المنسوب الى ابي نصر الفراهي التركي اللسان

هذا ما حضر في ذهني الآن ولا يحضرني شيءٌ من الكتب اللغوية التركية لتشتت الشمل والله يفعل في ملكهِ ما يشاء

تبريز احد مشتركي المقتطف

[المقتطف] بعثنا برسالتكم الى حضرة منشئي المقالة التي اشرتم اليها فاجاب عنها بما يأتي

وقفت على رسالة حضرة المعترض التبريزي الفاضل واجيب عليها بما يأتي

اولاً ان حضرتهُ مصيب في قولهِ ان معنى سياه كوش اسود الاذن وليس الاذن السوداء كما ذكرت وكنت اخذت ذلك عن محيط المحيط في باب تفف حيث عرّبها بالاذن السوداء فنقلت ذلك بالحرف الواحد . واني اشكر لهُ تنبيهي الى ذلك

ثانياً ان لفظة پارس لم ابحث عن اصلها وهل هي فارسية او تركية الاصل بل وجدت في " الالفاظ الفارسية المعرَّبة " انها فارسية وفي كاترمير انها تركية فذكرت ذلك ولم ابدِ رأياً . ثم قلت " ان الفهد يوز و پارس عند الفرس وكان الفرس يقولون پارسچي كما كانت العرب تقول فهَّاد " وهو صحيح وان تكن اللفظتان الاخيرتان تركيتين . وهذا تعريب ما جاء بهذا الصدد في ترجمة جامع التواريخ لكاترمير . قال " قلت آنفاً ان النمر الصغير المسمَّى يوز عند الفرس يسمَّى پارس عند الترك وقد اخذ الفرس عنهم هذه اللفظة كما جاء في كتاب ظفر نامه قال (پارس شكار افكن) وصيغت من هذه اللفظة كلمة پارسچي وذكرها صاحب كتاب تاريخ وصَّاف حيث قال (رسوم قوشچيان و پارسچيان) وفي كتاب جامع التواريخ (قوشچيان و پارسچيان در ولايت جانور گرفتند) " . وذكرها ڤولرس في معجمهِ الفارسي اللاتيني وفسرها كما فسرها كاترمير . وقد علمت الآن من سعادة زعيم الدولة ورئيس الحكماء الدكتور ميرزا مهدي خان التبريزي ان هذا التركيب ركيك بالفارسية والتآليف التي استشهد بها كاترمير كتبت لملوك المغول فدخلت عليها التراكيب التركية . وعليهِ يحسن ابدال العبارة المعترض عليها بما يأتي " والفهد يسمى يوز بالفارسية و پارس بالتركية الجغتائية والتركية العثمانية وكانوا يقولون پارسچي كما كانت العرب تقول فهَّادًا "

واما قول حضرتهِ ان پارس بالتركية الجغتائية هي پلنك بالفارسية ونمر بالعربية ففيهِ نظر فالفرق بين الفهد والنمر لم يكن معروفاً تمام المعرفة عند كثيرين من الشعوب القديمة ولم يميز بينهما علماء الافرنج الاَّ في القرن الماضي لكن امرهما كان معروفاً عند الهنود والفرس والعرب وعندهم اسماء فارقة لهما منذ القديم ولدينا شواهد كثيرة على ذلك اذكر واحدًا منها وهو ان احد الاكاسرة اهدى نمرًا الى قيصر الروم فظنهُ هذا فهدًا لتشابهِ الوصف فتغافل عنهُ فقتل غلاماً لهُ (مروج الذهب للمسعودي صفحة ٢٣٩ على هامش نفح الطيب) فلفظة پارس عند المغول قديماً كلفظة پاردس عند اليونان والرومان و پارد عند الانكليز والفرنسويين اطلقت بدون تمييز على عدة انواع من هذه الحيوانات وقد ذكرت شيئاً من هذا في باب الفهد .

وهذا التغيير في اسماء الحيوانات كثير الحدوث كما سيأتي عند ذكر الرئم . فالشواهد التي اتى بها حضرتهُ حقيقية فلفظة پارس بلغة الايغور والقبجاق تطلق على النمر لكنها باللغة الجغتائية والعثمانية خصت باليوز اي الفهد والبارسجي هو الفهاد لا النمار . وهذا ما جاء في البرهان القاطع لحسين بن خلف التبريزي ترجمة السيد عاصم العنتابي ويقال انهُ احسن المعجمات الفارسية التركية قال " پلنك خدنك وزننده قپلان تعبير اولنان يرتجى جانوره دينور . عربيده نمر دينور " اي پلنك على وزن خدنك حيوان مفترس يسمى قپلان وهو النمر بالعربية .وفي باب يوز ما نصهُ "ويارس تعبير اولنان جانور اسميدر عربيده فهد دينور" اي يوز حيوان يسمى پارس وهو الفهد بالعربيةَ . وفي نزهة القلوب نقلاً عن كاترمير ما تعريبهُ (عن الفرنسوية) " پلنك المسمى بالعربية نمرًا الخ . ويوزاو الفهد ويسمى بالتركية پارس حيوان شرس غضوب كثير النوم مولع بالصيد يتعلم بسهولة " والالفاظ التركية والعربية والفارسية نقلتها عن كاترمير بالحرف الواحد لانها مكتوبة بالحروف العربية . واعظم برهان ان پارس عند الترك هو المسمّى يوز عند الفرس قولهم پارسجي اي فهاد وهو معلم الفهود ولا يمكن ان يكون نمّارًا لان النمر پلنك لا يتعلم الصيد وقلما يستأنس ولم يسمع ان احدًا صادبهِ والمشهور ان الحيوان الصائد هو ما يسمى يوز بالفارسية وجيته بالهندية وفهدًا بالعربية فهل كان الترك يصيدون بالنمر حتى قالوا پارسجي . وقد قيل عن ملوكهم ان الواحد منهم كان يقتني نحو الالف من الفهود (دائرة المعارف الانكليزية لفظة جيته) وذكر كاترمير ان الفرس سموا اليوز جيته ايضاً نقلاً عن الهنود فالنمر والفهد كما قلت شبيهان في الظاهر وكلاهما منقطان وتغلبت عليهما اسماء كثيرة في لغات كثيرة الاّ ان الفرس والعرب حافظوا على يوز و پلنك وفهد ونمر . والخلاصة ان لفظة پارس بلغة الايغور والقبجاق تطلق على النمر(پلنك) وباللغة التركية الجغتائية والعثمانية تطلق على الفهد (يوز) والفرق بين هذه اللغات عظيم . واما البارسجي فهو الفهاد فقط على ما ارى

وفي الختام اكرّر الثناء على حضرتهِ لغيرتهِ على العلم ولانهُ نبهني الى اغلاط يجب اصلاحها في المستقبل فان الغاية من نشر رسائلي في المقتطف عرضها على الباحثين . ويسرّني ان اوّل انتقادٍ جاءني كان من مدينة العلم تبريز ولاسيما في احوالها الحاضرة

وقد اطلع سعادة زعيم الدولة ورئيس الحكماء الدكتور ميرزا محمد مهدي خان التبريزي على رسالتي هذه لاني اجهل الفارسيةَ فوافق عليها الدكتور امين المعلوف

غرائب الاحلام

سيّدي اصحاب المقتطف الفاضلين

طالما مرّ على مسامعي من غرائب الاحلام ما كنت اعدهُ من قبيل تلبك في المعدة وسوء الهضم الى ان ظننتُ ان لأرواح الناس رحلات ليلية بعد رقاد الجسد فتنتقل من بلاد الى اخرى وتشكو الواحدة الى الاخرى ما بها وتدور في البيوت وترى ما هو جارٍ فيها وعند اليقظة تخبر اصحابها بخلاصة رحلاتها

والآن نرجو منكم ان تعللوا لنا سبب مطابقة الاحلام لحوادثها في الزمان والمكان كما في الاحلام التالية

(١) في الخامس عشر من شهر تشرين الاول سنة ١٩٠٨ عند مطلع الفجر ايقظتني إمرأتي وقصّت عليّ ما خلاصتهُ

حلمتُ أننا زرنا بيت صديقنا الشيخ قسطنطين جحا في بشمزين بلبنان وكنا ننتظر ان نرى لهفة حسب العادة في استقبالنا لكننا لم نجد هذه المرة من ردّ علينا السلام وشاهدنا الوالد يأكل على مائدة والكدر بادٍ على محياهُ واناساً تروح وتجيء والكل مظهرون الانهاك والارتباك الى ان اطللنا من نافذة البيت فرأينا الاخ الاكبر مخائيل افندي جحا ملقىً على فراشهِ اشبه بالاموات. وهنا حدث حركة في البيت فاستيقظت امرأتي والانقباض آخذ منها مأخذهُ مما رأت ومضى على هذا الحلم ٥ ايام حيث وصلت البوسطة فتناولنا منها تحريراً من الصديق داود افندي بشير تاريخهُ ١ تموز سنة ١٩٠٨ وفيهِ الفقرة التالية

"الشيخ قسطنطين جحا — هذه السنة افكارهُ متعوبة لان ميخائيل افندي مريض لدرجة اخيرة والآن تحسن غير ان حالتهُ تظهر غير محمودة للنهاية"

وميخائيل افندي هو نفس من قالت امرأتي انها رأتهُ مريضاً في حلمها فوقفت عند هذا مبهوتاً

(٢) وقبل وصول البريد بثلاثة ايام اخبرني اخي انهُ حلم ان شقيقتي في سوريا رزقت ولداً ذكراً . وعند وصول البريد اخذنا تحريراً من صهرنا يفيد ذلك تماماً

(٣) حلمت امرأتي في السنة الماضية ان شقيقتي رزقت غلاماً في كذا من شهر كذا وبعد قليل جاءنا تحرير فيهِ ان الشقيقة رزقت غلاماً في الشهر واليوم الذي عينتهُ في منامها هذه ثلاث غرائب من الاحلام وقعت في بيتي كتبت بها اليكم طالباً حلها بما يدركهُ الفهم

(٤) اشكل عليَّ مرة حل مسأَلة فبقيت الى الساعة الواحدة بعد نصف الليل ولم اهتدِ الى حلها الى ان اعياني الافتكار فرقدت وقلم الرصاص والورقة بجانبي وبعد ما نمت نحو ثلاث ساعات نهضت مذعوراً لصوت حدث في البيت فوجدت اني اهتديت الى حل المسأَلة فقصصت هذه القصة على احد الاصحاب فعلل لي التعليل الآتي قال

يحتمل ان يكون غيري في مكان آخر كان يفتكر في حل المسأَلة نفسها وقد حل شيئاً منها واشكل عليهِ امر كنت انا حللتهُ وهو حلَّ ما كان اشكل عليَّ الى ان رقدنا وبعد الرقاد سارت الارواح بجولانها الى ان التقت روحي بروح رصيفي فتحادثنا وتطرقنا الى ذكر المسأَلة نفسها فاخبرت كل منها الاخرى ما كانت حلتهُ منها وبهذه الطريقة حلت المسأَلة لدى روحي وروحهِ فقمت اعرفها تماماً فهل لكلام صديقي شيءٌ من الصحة او ما رأيكم في ذلك

كروزادو دوسول بالبرازيل جرجي مرعي

[المقتطف] لا شبهة في غرابة الاحلام التي من قبيل ما ذكرتم ولكن اذا دقق المرء نظرهُ في روايتها والحوادث التي تشير اليها زالت الغرابة غالباً . كتبت الينا سيدة في اوائل الصيف الماضي وهي مسافرة في عرض البحر انها حلمت بان ابنة لنا ولدت صبياً وقرأنا كتابها وبقي في ذهننا منهُ انها عينت فيهِ اليوم والساعة فجاء ذلك منطبقاً على يوم الولادة وساعتها وشرعنا في كتابة مقالة في هذا الموضوع وهي المنشورة في الجزء الثامن من السنة الماضية. ثم خطر لنا ان نقرأ الكتاب ثانية ونقابل بين ما فيهِ وبين يوم الولادة وساعتها فرأينا ان ما رسخ في ذهننا اولاً من قراءة الكتاب لم يكن على تمام الصحة لان السيدة لم تعين ساعة الولادة بل قالت ان الوالدة ولدت ابنها ليلاً وهي ولدتهُ صباحاً فكأنها عينت يوم الولادة فقط ولم يكن تعيينهُ صعباً جداً عليها بل كانت نسبة الاصابة فيهِ الى الخطإِ كنسبة ١ الى ٢٦ والاصابة مرةً من كل ٢٦ مرةً ليست من الخوارق

اما الحادثة الاولى التي ذكرتموها فيحتمل فيها ان تكون زوجتكم قد سمعت عن مرض ابن الشيخ بجا من اناس اتاهم خبر مرضهِ لكنها سمعت الخبر وهي مشغولة بالحديث مع آخرين فلم تنتبه لهُ الاَّ ان الصوت يدخل الاذن على كل حال وقد يبقى تأثيرهُ في الدماغ سواء انتبه لهُ السامع او لم ينتبه فلما نامت التفت عقلها الى الاثر الذي بقي في الدماغ من سماع الخبر وبني عليهِ الحلم المذكور . هذا احد الاحتمالات وقد توجد احتمالات اخرى تسهل عليكم معرفتها اذا بحثتم ودققتم

والحادثة الثانية تعليلها اسهل من تعليل الاول وهو انكم سمعتم ان شقيقتكم حامل فهدس

اخوكم بذلك وحلم انها ولدت ابناً وكان يحتمل ان يخطئ ويحلم انها ولدت ابنة ونسبة الاصابة الى الخطإ كنسبة واحد الى واحد · ثم ان الرغبة في ان يكون المولود ابناً يرجع الحلم بولادة الصبي لا البنت

والحادثة الثالثة تشبه الحادثة التي ذكرناها نحن في مقالتنا المشار اليها آنفاً

والحادثة الرابعة تعليلها سهل وهو ان العقل يبقى يشتغل بما كان الانسان يشتغل بهِ قبل نومهِ فيهتدي الى حل المسائل في النوم كما يهتدي اليها في اليقظة وقد يكون حلها اسهل في النوم لانتفاء الشواغل الاخرى حينئذٍ وانقطاع العقل اليها كما يغمض الانسان عينيهِ حينما يفكر في امر عويص او حينما يريد ان يحفظ شيئاً غيباً لكي يتجه عقلهُ كلهُ الى الموضوع الذي يفكر فيهِ · وتعليل صاحبكم لا وجه لهُ لانهُ لا يعقل ان الروح تخرج من الجسد ويبقى حيّاً ولا حاجة بنا الى فروض لم يقم دليل على صحتها ولدينا تعليلات كثيرة معقولة



زراعة التبغ (الدخان)

تمهيد

لما منعت الحكومة المصرية زراعة التبغ في بلادها بنت هذا المنع على ان التبغ المصري (البلدي) غير جيد لا يستطيبهُ جمهور كبير من الناس بل يفضلون عليهِ التبغ التركي والكوراني والاميركي ولا يسهل اصدارهُ من البلاد فتبقى زراعتهُ محصورة في فدن قليلة حسب مقطوعية القطر فليس من منع زرعهِ ضرر كبير ولكن هذا المنع يفيد الحكومة فائدة كبيرة لانها تضع ضريبةً كبيرة على التبغ الوارد من الخارج تستعملها في المصالح العموميَّة كأنها فرضت ضريبة على المدخنين تأخذها منهم وتعمل بها الاعمال العموميَّة التي تفيدهم وتفيد غيرهم كحفر الترع والمصارف واقامة الجسور والكباري والاعتناء بالصحة العموميَّة ونحو ذلك من الاعمال التي تعملها الحكومة · ويبلغ ايراد الحكومة الآن من جمرك التبغ نحو مليون ونصف من الجنيهات فاذا وجدت ان هذا الايراد يبقى على حالهِ او لا ينقص الا قليلاً باباحة زرع التبغ فلا شيء يمنعها عن اباحة زرعهِ

وقد اخبرنا احد الوجهاء انهُ علّل التبغ المصري (الدخان البلدي) وصنع منهُ سيكارًا مثل سيكار هاڤنا وعرضهُ على بعض الخبيرين بالتبغ فدخنوهُ واستطابوهُ وحسبوهُ من سيكار هاڤنا . وهو الذي عرض على الحكومة ان تعيد زراعة التبغ حتى اذا تعهّد لها جمهور من المزارعين انهم يزرعون خمسين الف فدان ويدفعون ضريبة الفدان ثلاثين جنيهًا اجتمع لها من ذلك مليون ونصف من الجنيهات اي قدر ما تأخذهُ الآن جمركًا على التبغ الوارد الى القطر المصري . ومن رأْي ذلك الوجيه انهُ اذا اعتني بزرع التبغ وتعليلهِ امكن اصدار مقدار كبير منهُ بعد ذلك . فاذا استطاع القطر المصري ان يصدر محصول مئة الف فدان وفرضنا غلة الفدان الف كيلو وبيع الكيلو بخمسة غروش فقط بلغ ثمن الصادر من التبغ خمسة ملايين من الجنيهات واذا بلغت غلة الفدان الفي كيلو كما هو المرجح بلغ ثمن الصادر عشرة ملايين من الجنيهات

وكل ذلك ثابت مقرر الاَّ جودة التبغ البلدي حتى يساوي التبغ التركي او اليوناني او الاميركي فاذا ثبت بالتجارب ان التبغ البلدي جيّد مثل غيرهِ لم تبقَ صعوبة في اباحة زراعتهِ واتساعها وكثرة ما يصدر منهُ

وتربة القطر المصري صالحة لزراعة التبغ ونموهِ وقد شاهدنا التبغ يزرع في لبنان حيث يعتنى بهِ اشد الاعتناء ولكننا لم نرَهُ يبلغ هناك في نموهِ ما كان يبلغهُ على ساحل النيل في الجيزة قبلما مُنعت زراعتهُ فان ارتفاعهُ كان يبلغ ثلاثة امتار او اكثر وهذا لم نرَ ما يماثلهُ في اجود حواكير لبنان . واخبرنا غير واحد انهم استغلوا من الفدان الفي اقة فلا شبهة اذًا من قبيل النمو ولكن الشبهة من قبيل الجودة فان التبغ قد ينمو كثيرًا ويكون هشًا لا طعم لهُ فلا يستطيبهُ شاربوهُ . ويقال ان البلاد الحارَّة التي يكثر شروق الشمس فيها ويقل الغيم لا يجود التبغ فيها فان كان ذلك صحيحًا فالقطر المصري ليس من البلدان التي يجود تبغها ولو نما كثيرًا . ثم ان التبغ لا يجود الاَّ اذا كثرت املاح البوتاسا في الارض واملاح الجير وهي غير كثيرة في تربة القطر المصري

ومهما كانت الارض جيدة وصالحة لزرع التبغ ومهما نما التبغ فيها فهو لا يكون من التبغ الجيد الاَّ اذا علّل تعليلاً مخصوصًا في قطفهِ وتجفيفهِ . وعسى ان يثبت بالامتحان ان التبغ المصري من اجود انواع التبغ فتنتشر زراعتهُ في هذا القطر ويكثر الصادر منهُ فتزيد بهِ ثروة البلاد . واذ قد تمهّد ذلك نشرح كيفيَّة زرع التبغ وقطفهِ وتجفيفهِ على ما نعلم بالخُبْر والخبر

الارض الصالحة لزرعه

اصلح الأراضي لزرع التبغ الاراضي الطينيَّة التي فيها قليل من الرمل الغنيَّة بالبوتاسا والجير (الكلس)والمواد النباتية لان في التبغ كثيرًا من البوتاسا والجير والمركبات النيتروجينيَّة اي ان الارض الطينيَّة المحلولة الاجزاء تكون صالحة لزرع التبغ اذا كثرت فيها المواد التي يغتذي بها كالبوتاسا والمركبات النيتروجينيَّة واذا كانت هذه المواد قليلة فيها فلا بدَّ من تسبيخها كثيرًا بالسباخ البلدي (الزبل) وهو من اجود انواع السباخ

كيفية زرع البزر (التقاوي)

يزرع التبغ من بزره ويختار البزر من اجود انواع التبغ فيحسن بالحكومة المصرية ان تجلب البزر من هافنا او من الاماكن التي يجود فيها التبغ في تركيا وبلاد اليونان . وبزر التبغ صغير جدًّا كحبوب الرمل وهو يزرع اولاً في مساكب تختار من ارض جيدة جدًّا تركس اولاً وينعم ترابها وتمزج بالرماد او يبسط عليها القش ويحرق فيها حتى تمتزج برماده وتموت الحشرات منها ويحسن ان يكرر ذلك مرَّة اخرى اي تعزق ثانية وتغطى بالقش ويُحرق فيها . ويكون طول المسكبة ثلاثة امتار وعرضها مترًا او مترًا وربع متر حتى يسهل وصول اليد الى اطرافها ويحسن ان تكون تحت شجرة تظللها . ويمزج بزر التبغ بالرماد او بالتراب الناعم قبل بذره لكي لا تقع منهُ بزور كثيرة في مكان واحد . وتركس الارض قليلاً بعد بذر البذار فيها لكي يغطيهُ التراب ثم تسقى واذا نبتت الاعشاب بينهُ وجب اقتلاعها حالاً . ومتى صار ارتفاع نبات التبغ سبعة سنتيمترات الى عشرة يقلع ويزرع في مزارع التبغ

اعداد الارض

تحرث ارض المزارع جيدًا وينعَّم ترابها حتى تتخللها جذيرات النبات بسهولة فلا بدَّ من حرثها مرارًا طولاً وعرضاً وتكسير ما يكون فيها من القلاقيل (الثلع) . ثم تخطط خطوطاً عمقها نصف قدم والبعد بين الخط والخط ثلاث اقدام وتزرع الترقيدة (الشتل) في هذه الخطوط وبين النبتة والاخرى قدم ونصف او اكثر ولا بدَّ من تسميد الارض جيدًا قبل حرثها الحرثة الاخيرة . واهالي سورية يسمدون الارض بزبل المعزى او يزربون المعزى في الحواكير التي يزرعون التبغ فيها حتى تسمد بزبلهِ

كيفية زرع الترقيدة (الشتل)

الترقيدة وتسمَّى في سورية شتلاً هي النبات الصغير الذي يقلع ليزرع حيث يراد زرع النبات اخيرًا . ويختار لزرعها يوم رطب غير جاف الهواء . والزرع قرب المساء خير من الزرع

في الصباح حتى لا يشتد حر النهار على النبات بُعَيد زرعهِ فيذبل كثيراً وقد ييبس من شدة حر الظهيرة · ويجب ان لا يعلو التراب عليهِ حتى يغطي اوراقهُ ولا بدَّ من ارواء النبات المزروع مرةً بعد اخرى حتى ينمو اذا لم يروَ من المطر ولا بدَّ من الترقيع اذا يبس (نشف) بعض المزروع

الخدمة

حينما تظهر ورقتان او ثلاث من الاوراق الجديدة يقلب قليل من جانبي الخط على النبات بالفاس (معول صغير) ويكرَّر ذلك مرةً كل اسبوعين حتى تزول الخطوط كلها ويرتفع التراب حول اصول النبات · ولا يجوز هذا العزق اذا كانت الارض شديدة الرطوبة لئلاَّ تتماسك اجزاؤُها حول اصول النبات . ولا يجوز ان يبقى شيء من الاعشاب البرية في الارض التي يزرع فيها التبغ

خصي النبات

يبتدئ ازهار التبغ بعد زرعهِ بثلاثين يوماً الى اربعين يوماً واهالي اميركا يخصونهُ حينئذٍ اي يقطعون راسهُ الذي يظهر الزهر فيهِ الاَّ النبات الذي يريدون اخذ التقاوي منهُ فيبقون ازهارهُ فيهِ · اما اهالي سورية فلا يخصونهُ بل يتركون زهرهُ فيهِ واذا خصي النبات لم يبقَ فيهِ سوى عشر اوراق الى ١٤ ورقة فتترك الى ان تبلغ اشدها من النمو

ومن قبيل ذلك نزع الفروخ التي تنمو في ابط الاوراق لانها تمتص غذاء الاوراق فتضعفها ولا فائدة منها . ويسمَّى هذا العمل تفريكاً في بعض انحاء لبنان

حشرات التبغ

يسطو على نبات التبغ ديدان تأْكل ورقهُ وتتلفهُ واهالي اميركا يطلقون الدجاج الرومي (الحبشي) في مزارع التبغ فتنقيها من الدود وهم يقتنونها لهذه الغاية · ولا بدَّ من تنقية الدود من مزارع التبغ مرتين كل يوم لان الدودة الواحدة قد تأْكل كل اوراق الشجرة اذا تركت عليها اربعاً وعشرين ساعة

قطف التبغ

حينما يبلغ ورق التبغ يقطف ويبسط في الشمس حتى يذبل واهالي كوبا يقطعون النبات كلهُ وينصبون قضباناً طويلة على اعمدة متشعبة حتى تكون القضبان افقية ويقطعون الورق بسكين حادة حتى تبقى كل ورقتين متقابلتين متصلتين معاً وينصبونهما على القضيب الافقي حتى تركبا عليهِ ويضعون الورق الجيد وحدهُ وغير الجيد وحدهُ ويترك الورق حتى

يذبل . وقد يضعون النبات كلهُ واوراقهُ فيهِ في الشمس حتى يذبل من الجانب الواحد ثم يقلبونهُ حتى يذبل من الجانب الآخر واهالي سورية يشكون ورق التبغ بخيط ويجففونهُ كذلك في الشمس او في الهواء في مكان ظليل حتى يذبل ويجف

ولا يجوز قطف التبغ قبلما يبلغ جيدًا وهو يبلغ في نحو ثلاثة اشهر بعد زرعهِ من البزر ومتى بلغ يصير ملمس ورقهِ صمغيًا ويضرب لونهُ الى الصفرة وتظهر فيهِ نقط وتلتوي حروف الورقة الى الاسفل ولا يقطف الورق والندى عليهِ

اما معالجة التبغ بعد قطفهِ فسيأتي الكلام عليها في الجزء التالي

ويظهر مما تقدم انهُ لا يسهل على الرجل الواحد ان يقوم باكثر من زراعة نصف فدان وان نفقات الزراعة والخدمة كثيرة جدًّا ولا نظن ان نفقات زراعة الفدان وتسميدهِ وخدمتهِ تقل عن خمسة عشر جنيهًا فاذا كان مال الفدان ٣٠ جنيهًا وايجارهُ ١٥ جنيهًا كايجار اراضي الجزائر الجيدة ونفقات الزراعة والخدمة ١٥ جنيهًا بلغ مجموع ذلك ٦٠ جنيهًا فلا تفي الزراعة بالنفقات ما لم يبلغ محصول الفدان الف اقة على الاقل اذا بيعت الاقة باكثر من ستة غروش ولم يحصل تلف للزراعة من الدودة ولا من الآفات الجوية واما اذا حصل تلف فالخسارة كبيرة جدًّا لانهُ لا بدَّ من دفع الاموال والنفقات وهي تساوي ما يدفع عادة على عشرة افدنة . فاذا زرع رجل عشر اطيانهِ تبغًا وتلف محصولهُ خسر محصول اطيانهِ كلها . ولذلك فالحكمة تقضي ان لا يزرع احد الاَّ جانبًا صغيرًا من اطيانهِ تبغًا . واذا لم تتدبَّر الحكومة ذلك حين الترخيص بزراعة التبغ فقد تضرُّ القطر اكثر مما تنفعهُ

تقليم الاشجار

ان لم تكن الاشجار المثمرة قد قلمت فيجب ان تقلم الآن حالاً قبل ظهور البراعم الجديدة فيها فتقطع كل الاغصان المشتبكة حتى لا يبقى في الشجرة الاَّ الاغصان والقضبان التي تصل اليها اشعة الشمس ويجري بينها الهواء بسهولة ولا يجوز ان يبقى في الشجرة غصنان او قضيبان واحدهما يماس الآخر . ويعتنى وقت التقليم بمنظر الشجرة حتى يكون منتظمًا

واذا لم تحمل الشجرة بعد تقليم اغصانها المتوالي فلا بدَّ من تقليم جذورها وذلك بان يحفر حول اصلها على بعد اربع اقدام منها حفرة تحيط بها عرضها نحو قدم وتقطع كل الجذور الصقيلة التي تعترض هذه الحفرة بمقص الجنائن او بسكين ماضية فان الجذور الصقيلة اي التي لا جذيرات كثيرة فيها لا فائدة منها للشجرة وانما الفائدة من الجذور التي فيها كثير من

الجذيرات الصغيرة · وبهذا العمل يرتد الخصب الى الشجرة وتصير كثيرة الثمر

قال بعضهم كان عندي شجرة تفاح لم تكن تحمل سوى اربع تفاحات في السنة فحفرت حول جذورها في شهر فبراير الماضي وقطعت كل الجذور الصقيلة منها فلما كان اكتوبر الماضي قطفت منها نحو ستمائة تفاحة · ويحسن بعد طمر الحفرة ان يبسط السباخ البلدي (الزبل) حول الشجرة لكي يغذيها ويمنع البرد عن جذورها اذا كانت البلاد باردة

غرس الاشجار

الحفر التي تحفر لغرس الاشجار يجب ان تكون واسعة حتى تنبسط الجذور فيها على هيئتها ولا تلوى · ثم تغطى بالتراب الناعم عن وجه الارض وتطمر جيدًا

موسم القطن

يظهر من قلة الوارد من القطن الى الاسكندرية هذا العام ان الموسم قلما يزيد على ستة ملايين وربع مليون قنطار فينقص عن الموسم الماضي نحو مليون قنطار وهو نقص كبير جدًّا لذاته فوق نقص الثمن وهذا مما اوقع اصحاب الاطيان في ضنك شديد ولذلك احسنت الحكومة صنعاً في اهتمامها بارجاع زراعة التبغ الى القطر المصري لان هذه الزراعة اذا نجحت فربحها كبير جدًّا يسد مسدَّ ما ينقص من موسم القطن

اصل القطن العفيفي

قال المستر بولتر نباتي الجمعية الزراعية الخديوية ان السر وليم ولككس اخبرهُ عن كيفية تولد القطن العفيفي في القطر المصري وهي ان القطن القديم الاحمر الذي كان يزرع في مصر (ولعلهُ القطن الاشموني) زرع في جزيرة في بلدة مت عفيف على فرع دمياط وارض هذه الجزيرة رملية يغمرها ماء النيل وقد رآها مغمورة سنة ١٨٨٥ وسنة ١٨٨٧ وكانت نتيجة انغمارها بالماء ان المزارعين لم يتمكنوا الأ من جمع اللوزات التي فتحت بدريا والسبب في تفتيحها قبل غيرها راجع اما الى خاصيةٍ في بعض النباتات لتتلقح قبل غيرها او الى مؤثرات اخرى ومن تلك اللوزات كان يؤخذ البذار (التقاوي) للسنة التالية وباستمرار انغمار الجزيرة واخذ التقاوي من اللوز البدري تكاثر هذا الصنف من القطن وهو القطن العفيفي ولكن الذين يتذكرون العفيفي القديم والعفيفي الحالي يقولون انهُ تغيَّر عن اصلهِ وفقد

خاصة التفتيح البدري التي كانت له وسبب ذلك اختلاط بزوره ببزور غيره من القطن وتلقح بعضها من بعض وزد على ذلك ان القطن العفيفي لم يكن نقياً اي لم يكن كلهُ حاوياً على الصفات الجديدة التي تولدت فيهِ بل كان بعضهُ حافظاً لصفاتهِ القديمة اي تأخر البلوغ فعاد الى اصلهِ وهذا السبب الاخير كافٍ لعود العفيفي الى اصلهِ ثم قال ان الطريقة الاسهل للحصول على صنف من القطن ينضج باكرًا هي انتقاء الاوزات البدرية التفتيح واخذ البذار (التقاوي) منها فقط . وهذه الطريقة تفيد ايضاً في منع انتشار القطن الهندي اذا اخذت التقاوي من الجمعة الاولى لان القطن الهندي لا ينضج باكرًا فالجمعة الاولى تكون خالية منهُ

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٧)

زراعة البصل والبطيخ والباميا والملوخية

البصل — يزرع البصل في كل انحاء القطر المصري ما عدا جهات طيبة العليا ونواحي الدلتا السفلى . فتحرث الارض اولاً ثم تسوَّى بجذع نخل وتقسَّم الى مربعات بنفقةٍ قليلة

ويزرعون البصل في الاراضي التي تروى مباشرةً بمياه الفيضان بعد استغلال الحنطة والبرسيم وسائر الحبوب فيحفرون اثلاماً صغيرةً يلقون فيها البذار (التقاوي) . ويمكن لعشرة انفار ان يتموا ما يلزم من العمل لزرع فدان في يوم . فيزرعون فيهِ ١/١٢ من الاردب بزرًا . واذا كانت الارض التي يزرع فيها مرتفعة يسقونهُ كل اسبوع مرةً

وبعد ٥٠ او ٦٠ يوماً من زرعهِ ينقلون البصل الى غيط آخر يكون قد حُرث ثلاث دفعات . وما ينقلونهُ من فدان واحد يكفي لزرع اثني عشر فداناً

ويقلعون البصل اخضر في اوقات مختلفة ويابساً بعد نقلهِ بثمانين او تسعين يوماً

وتبلغ غلة الفدان من ٢٠ الى ٣٠ اردباً يباع الاردب منهُ بثلاثة فرنكات في اسيوط والمنيا ويبلغ ثمنهُ ٦ فرنكات في ضواحي قنا من حيث يصدَّر منهُ جانب عظيم الى بلاد العرب بطريق القصير . وتؤخذ الضرائب على البصل نقدًا بمعدل عشرين فرنكاً على الفدان

البطيخ — يزرع البطيخ في جزائر النيل وعلى شواطئهِ بعد انكشافها في زمن التحاريق . وفي اكثر الاماكن تكون هذه الشواطئ كمنحدرات كثيرة الميل مغطاة بطبقة من الرمل الناعم . فيزرعون البطيخ ضمن حفر يحفرونها فيها متحاذيةً قائمة الزوايا طول الحفرة منها متر وعرضها عشرون سنتيمترًا وعمقها كافٍ لحفظ رطوبة الماء الذي يجلب اليها من الداخل او

او يجرّ اليها من النيل . ويتقون سفي الرمال على مزروعات البطيخ في بدء نموها بحواجز من القش تدفع عنها الرمال وتقيها حرّ الشمس معاً. وتنتج كل نبتة عادةً ثلاثة رؤوس او اربعة

وفضلاً عن الجزر وشواطىء النيل يزرع البطيخ احياناً في الاراضي الواطئة المجاورة للترع حيث تبتدئ زراعته في اوائل فبراير فيحفرون حفراً متباعدة بعضها عن بعض يضعون في كلّ منها حفنة من زبل الحمام يتركونها مكشوفة نحو عشرة ايام ثم يزرعون التقاوي بمعدل $\frac{1}{8}$ $\frac{1}{4}$ من الاردب للفدان

وقد يبلغ جنى الفدان من البطيخ ٩٦ فرنكاً ويهبط احياناً الى ١٢ او ١٥ فرنكاً ويجود البطيخ في لسان الارض الفاصل بين بحيرة البرلّس والبحر المتوسط حيث يزرعهُ اهالي قرية بلطيم بمقادير كبيرة ويبيعونهُ في الاسكندرية ورشيد ودمياط وخلافها

الباميا والملوخية — تزرع الباميا مرتين في السنة احداها في مارس والاخرى في يوليو وغلة الفدان منها في جهات قنا من ٦ غروش الى تسعة يومياً مدة ثلاثة اشهر

وتزرع الملوخية في ازمنة واماكن مختلفة وغلة الفدان منها يومياً نحو ستة غروش الى سبعة ويبلغ مال البساتين التي تزرع خضراً وبقولاً من ١٦ فرنكاً الى ١٩ فرنكاً سنوياً وتقضي زراعة النباتات البستانية بالتعب الدائم في سقيها والاعتناء بها فتزيد بذلك نفقاتها

عجز الصادرات الزراعية

انتهى العام وظهر العجز الكبير في قيمة صادراته فقد بلغت ٢١ ٣١٥ ٦٧٣ جنيهاً وكانت في العام الذي قبله ٢٨ ٠١٣ ١٨٥ جنيهاً والفرق بينهما ٦ ٦٩٧ ٥١٢ اي نحو ستة ملايين وثلاثة ارباع المليون من الجنيهات المصرية. واليك جدول اهم الصادرات وما في قيمتها من العجز

	سنة ١٩٠٧	سنة ١٩٠٨	الفرق
القطن	٢٣ ٥٩٧ ٨٤٤	١٧ ٠٩١ ٦١٢	٦ ٥٠٦ ٢٣٢
بزرة القطن	٢ ٥٥٥ ٠٦٧	٢ ٤٧١ ٠٠١	٨٤ ٠٦٦
الكتان	١٠٣ ٩٧٦	٥٣ ٦٤٦	٥٠ ٣٣٠
البيض	٩٩ ٤٩٩	٨٥ ٦٦٥	١٣ ٨٣٤
الفول	١٩ ٦٤٥	٩ ٧٩٣	٩ ٨٥٢

وزادت قيمة الصادر من البصل ٣٦ ٤٠٨ جنيهات ومن السكر ١٨ ٠٤٣ جنيهاً . ونقصت قيمة الصادر من العاج والصمغ العربي ولعلّ سبب ذلك كثرة صدورها من بورت سودان

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم أهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

طحن القمح

ضمنا منزل مع جماعة من الادباء فتجاذبنا اطراف الحديث واستوقفني سؤال لاحدهم وهو لماذا يكون الدقيق المطحون بوابور ذا لون ابيض ولزوجة ويزداد حجمهُ حين عجنهِ ولهُ طعم وخواص مميزة لهُ عن المطحون في وابور آخر . فالعامة تعلل ذلك بلون الحجر اي اذا كان لونهُ ابيض كان دقيقهُ ابيض والضد بالضد

اما الحقيقة العلمية فغير ذلك وقبل بيان السبب يلزمنا ان نعلم كيفيَّة تركيب الدقيق فدقيق القمح الجيد لونهُ ابيض مائل الى الاصفرار ناعم عند اللمس اما التجاري الوارد من الخارج فاغلبهُ مخلوط بدقيق البطاطس واللوبياء وغيرهما من الحبوب والبقول التي هي ارخص من القمح . ولفحص هذا الدقيق يكفي ان يرى بالنظارة المعظمة فان حبيبات كل دقيق تظهر مختلفة الحجم والشكل عن نظيراتها لا سيما اذا بلَّت بالماء وايضاً اذا عولجت باليود فيظهر لكل دقيق لون مختلف عن الآخر . اما التحليل المنزلي فيدل على ان الدقيق مكون من دقيق ناعم ونخالة واما التحليل الكيماوي فيدل على ان فيهِ مواد آلية متعادلة بنسبة ٧ في المئة الى ١٥ في المئة كالجلوتين والالبومين (الزلال) والفبرين والكاسين . ومواد متعادلة غير محتوية على الازوت كالنشا والدكسترين والجلوكوز

وفي نخالتهِ اولاً مواد دسمة وزيوت عطرية خصوصية . وثانياً املاح معدنية كفصفات الجير وفصفات المانيزيا واملاح البوتاسا ومواد نشوية

فالجلوتن مادة لزجة مرنة غذائية وهي تحتوي على عدد كبير من الحبيبات المجتمعة بعضها مع بعض في شكل الياف داخلها جلوتيين والبومين وسكر ولعاب نباتي ونشاء

والالبومين مادة هلامية بيضاء وهي التي يتكون منها زلال البيض ومصل الدم والشعر والاظافر والغضاريف وتدخل في تركيب العين والمخ وهي التي تعطي للدقيق الخواص والمزايا المطلوبة آنفاً

والفبرين مادة بيضاء صلبة او سنجابية عديمة الطعم والرائحة مرنة وهي تدخل في تركيب الدم وتكوين لحم العضلات

والكاسين مادة بيضاء عديمة الطعم والرائحة وهي التي تجمد من اللبن وتصير جبناً

والنشاء مادة بيضاء توجد في الحبوب والبقول وتركيبها فيهما واحد . وهي التي تعطي الدقيق لونهُ الابيض

والدكسترين مادة بيضاء مائلة الى الاصفرار السنجابي تحصل من النشاء اذا سخن الى ١٦٠ وتركيبها كتركيب النشاء اذا تركت عجينة النشاء فتستحيل الى دكسترين خصوصاً في فصل الصيف الحار

والجلوكوز من الدكسترين المعالج بالحامض الكبريتيك المركز . وكلٌّ منهما مغذٍّ

والنخالة مغذية ومساعدة على نمو العظام لاحتوائها على الفصفات والاملاح

ومن هذا يرى ان العجين ذا العرق هو الذي في دقيقهِ مادة الالبومين والنشاء بنسبة اكثر مما هما في الدقيق الذي ليس لهُ عرق والسبب في ذلك سرعة ادارة حجر الطاحون عن المائة دورة في الدقيقة الواحدة لانهُ بازديادها يزداد الاحتكاك والحرارة فيجمد جزءٌ من الالبومين وتعدم خواصهُ ويستحيل بعض النشاء الى الدكسترين وهذا هو السبب في الفرق بين دقيق الطاحونين . ولهذا قد استعمل من زمن نوع من طواحين الفلال لا يسخن الدقيق وتطحن فيهِ الحبوب باسطوانات من الفولاذ ولكن دقيقها قليل فقل استعمالها مع ما لها من المزايا الميكانيكية والفوائد الكيماوية

فايق جرجس

مهندس محل ستيمان ومباردي

الملح في الطعام وضررهُ

الشائع ان الملح ضروري للطعام وكل طعام يملح بملح وان الانسان لا يعيش من غير ملح ولقد كنا نسمع في صغرنا قصصاً يقال فيها ان قوماً من الاسرى اجبروا على اكل طعامهم من غير ملح فتولَّد الدود في ابدانهم وقتلهم . وهذه القصص موضوعة فان بعض هنود شمالي اميركا لم يكونوا يملحون طعامهم بالملح ولا يزال جمهور منهم يعيش من غير ان يملح طعامهُ . وكثيرون من سكان اواسط افريقية لا يملحون طعامهم . والناس الذين يملحون طعامهم متفاوتون جداً فبعضهم لا يأكل شيئاً الاَّ وفيهِ كثير من الملح وبعضهم يكره الملح حتى في الطعام الذي لا يؤكل عادةً الاَّ مملحاً بهِ . ونحن نعرف كثيرين لا يأكلون الموز ولا التفاح ولا البرتقال الاَّ

وهي مملحة بكثير من الملح مع ان اكثر الناس يأكلون هذه الاثمار من غير ملح او مذروراً عليها السكر بدل الملح

والظاهر ان استعمال الملح عادة يعتادها المرء فيصير يشعر بالحاجة اليهِ والحيوان قد يعتاد اكل الملح كما يعتادهُ الانسان فيصير يستطيبهُ ويفتش عنهُ ولكنهُ اذا لم يعتدهُ لم يعبأ بهِ فترى المواشي التي اعتادت لحس الملح تستطيبهُ جدًّا والمواشي التي لم تعتدهُ لا تلتفت اليهِ والاولى ليست اصلح من الثانية

والملح مهيج للغشاء المخاطي فاذا اذبتهُ بالماء ومصصتهُ بانفك كثر افراز المخاط منهُ فهو يفعل بالغشاء المخاطي في الفم والمعدة كما يفعل بالغشاء المخاطي في الانف فاذا اكثر الانسان من استعمال الملح فلا بدَّ من ان يصيبهُ منهُ زكام مزمن في معدتهِ وامعائهِ. والمقدار الكبير من الملح مقيّئ ومسهل لهذا السبب عينهِ . ويقال ان بعض امراض القلب والكليتين مسبب عن الاكثار من اكل الملح ولذلك يستفيد المصابون بامراض الكليتين من الاقتصار على اكل اللبن لانهم يمتنعون بذلك عن اكل الملح وهذا هو السبب في فائدة الاقتصار على اكل العنب

ولا دليل مطلقاً على ان ملح الطعام لازم للهضم لان الطعام يهضم بدونهِ وفي الاطعمة الطبيعيةِ ما يكفي من الاملاح . وقد قدَّر بعضهم ان الملح الذي يجوز ان يأكلهُ الانسان في اليوم يجب ان لا يزيد على ثلاثين قمحة فاذا زاد على ذلك اضطرت الكليتان واضطرَّ الجلد الى افراز الزيادة . فالقليل من الملح مفيد ولكن الكثير منهُ ضار

ثم ان الاكثار من الملح يدعو الى العطش كما لا يخفى لان الملح يخرج السوائل من الجسم فيشعر بالحاجة اليها

والخلاصة ان الإكثار من الملح لا يخلو من الضرر والاقلال منهُ لا يضرُّ بل ينفع

السكَّر ومضارهُ

السكَّر طعام مفيد جدًّا اذا كانت كميتهُ معتدلة ولكنهُ اذا زاد عن الاعتدال زاد ضررهُ على نفعهِ. ومن نتائج الاكثار منهُ السِمَن الزائد وحصاة المرارة واليرقان وامراض الكبد والبول السكري ومرض بريط وسوء المضم وتمدد المعدة ولاسيما اذا بلع السكر قبل ان يمزج باللعاب المزج الكافي . ولكن اذا أكل السكر بالاعتدال ومزج باللعاب جيداً قبل ازدرادهِ فلا ضرر منهُ . ولا بدَّ من مزج السكر والاطعمة السكرية باللعاب جيداً سواء اكان السكر كثيراً او قليلاً والاَّ حمَّض في المعدة واضرَّ بالصحة وسبَّب اضطراباً في الكبد والكليتين وزكاماً

في المعدة وانتشر الزكام منها الى كل الاغشية المخاطية في الحلق والانف والعينين والشعب والكبد· وما قيل عن السكر يقال عن الاطعمة النشوية على انواعها فانها كلها تضرُّ اذا زادت عن الحاجة او لم تمزج باللعاب جيدًّا

وما يقال عن السكر الاعتيادي اي سكر القصب لا يقال عن سكر الاثمار اي المادة الحلوة التي في الاثمار الناضجة كالعنب والتين والتفاح لان سكر الاثمار سهل الهضم ولا ضرر منهُ . والمصابون بمرض البول السكري يمكنهم ان يأكلوا الاثمار الحلوة ولا يضروا منها لان الجسم يمتص سكر الاثمار بسهولة

وكذلك العسل ينفع ولا يضر وهو انفع انواع السكر الطبيعيَّة ولذلك فالذين يجدون من انفسهم ميلاً شديدًّا الى اكل الاطعمة المحلاة بالسكر الكثير يستطيعون ان يأكلوا بدلاً منها العنب والتين والتمر والزبيب والعسل وان يقللوا من السكر ويعتنوا بمضغهِ حتى يمتزج باللعاب جيدًّا فيزول ضررهُ



باب التقريظ والانتقاد

كتاب مشهد العيان

بحوادث سوريا ولبنان

لما كتبنا تاريخ الجزار وابرهيم باشا اشرنا الى كتاب كتبهُ المرحوم الدكتور ميخائيل مشاقه واقتبسنا جانبًا كبيرًا منهُ في ذينك التاريخين وفي رواية امير لبنان التي ألفناها والحقناها بالمقتطف . وقد اقتصرنا في كل ما اقتبسناهُ على ما نظن ان المؤلف رحمهُ الله كان يودُّ نشرهُ لو بقي حيًّا الى الآن لانهُ قد يكون بين ما يكتبهُ الانسان في مذكراتهِ لعائلتهِ وبين ما يسمح بنشرهِ للملإِ بون كبير· وما كل ما يخال يقال ولا كل ما يكتب في الاوراق يحسن نشرهُ في الآفاق· والظاهر ان نسخة من ذلك الكتاب وقعت لحضرة الاديبين ملحم افندي خليل عبده واندراوس افندي حنا شخاشيري فطبعاها وسمياها مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ويظهر لنا انهما حذفا من الكتاب امورًا حرية بالذكر كوصف ما عانتهُ عائلة مشاقه بعد نكبة الجزار لها وابقيا فيهِ امورًا حريَّةً بالحذف في حوادث دمشق ولبنان

كتاب ثمار القلوب

في المضاف والمنسوب

من تأليف ابي منصور الثعالبي طبع حديثاً بمطبعة الظاهر بمصر

لما تناولنا هذا الكتاب لنقرظهُ قرأنا بعض فصولهِ فاعجبنا ما فيها من الفوائد التي يعزُّ الوقوف عليها في غيرهِ الى ان وقع نظرنا على الصفحة ١٢٣ وقرأنا بعض ما فيها فطرحنا الكتاب من يدنا واستغفرنا الله على ما نشرناهُ في المقتطف من ترجمة الخليفة المأمون في الجزء الخامس من السنة الماضية وقلنا اين احمد بك زكي مدرس تاريخ الحضارة العربيَّة في الجامعة المصرية يرى ما كان يفعلهُ خلفاء العرب وقضاة العرب وينصف التاريخ. ويا طابعي الكتب العربيَّة نناشدكم الله ان تعدلوا عن نشر هذه القبائح فاننا من احوج الناس الى نسيانها

رحلة الحبشة

هذا الكتاب من انفس الكتب التي وقع نظرنا عليها في هذه الاثناء وهو رحلة الفريق صادق باشا العظم الى بلاد الحبشة موفداً من قبل الحضرة السلطانية بهدية الى امبراطور الحبشة. والظاهر انهُ وضعهُ باللغة التركيَّة وعربهُ ابنا عمهِ رفيق بك العظم وحقي بك العظم وقد جمع المؤلف فيهِ وصف الطريق وما رآهُ فيها من البلاد والمناظر الطبيعية ومن لقيهم من الرجال والنساء واسهب في وصف اديس ابابا عاصمة الحبشة وامبراطورها ورؤَساء رجالهِ وتاريخ بلاد الحبشة من اول عهدها الى الآن. واورد كل ذلك استطراداً حتى كدنا نقرأُ الرحلة كلها ونحن لا نقصد الاَّ ان ننظر فيها نظرة عامة لتقريظها. وقد شاقنا ما فيها من وصف مدينة هرر وقصر الراس ماكونن قال ان المدينة مكتنفة من كل جوانبها بالرياض الغناء والآكام الخضراء فهي تشبه دمشق الشام او تشبه قصراً كبيراً قائماً في وسط حديقة واسعة الاطراف ويزرع في حدائقها قصب السكر والموز والبن والعنب والليمون والبرتقال والقرع والخيار والباذنجان واللوبياء وما اشبه ولكل منزل فناءٌ واسع مكشوف وفيهِ الاشجار الباسقة التي تتجاوز بعلوها سطوح المنازل فتزين منظر المدينة وتزيد في رونقها

ويبلغ سكان المدينة ٤٠٠٠٠ نفس المسلمون منهم ٣٥٠٠٠ والباقون خليط من الاحباش والافرنج والارمن والروم ويظن الانسان لاول وهلة ان الحر فيها شديد جداً

لوقوعها قرب الدرجة العاشرة من العرض ولكن ارتفاعها البالغ ١٨٥٦ مترًا عن سطح البحر والرياض والحقول المحيطة بها تجعل هواءها معتدلاً لطيفاً جداً وقد قال لي القناصل الذين هناك ان درجة الحرارة لا تتجاوز الستة والعشرين في فصل الصيف لان هواءها يعتدل بسقوط الامطار الغزيرة كما يعتدل برد فصل الشتاء بحرارة الشمس. وفصل المطر في هذه البلاد وفي سائر الاقطار الجبشية هو الصيف اما فصل الشتاء فلا يقع فيهِ مطر ويبتدئ وقوع المطر في مايو وينتهي في اواخر سبتمبر ويبلغ اغزرهُ في يونيو ويوليو واغسطس

وبعد ان اسهب في وصف السكان ومتاجرهم واستيلاء الاحباش على هرر انتقل الى وصف القصر الذي نزل فيهِ ضيفاً وهو قصر الراس ماكونن فقال انهُ مشيد في اعلى نقطة من المدينة وليس بين ابنيتها ما يماثلهُ في الفخامة والانتظام والمتانة وهو ثلاث طبقات من الحجر وفيهِ كثير من الغرف والبهوات والشرفات يضاهي في شكلهِ منازل الاستانة واوربا وغرفهُ متسعة ونوافذها صغيرة بالنسبة الى اتساع الغرف لكي لا يكون النور الداخل منها زائداً عن اللزوم وقد طليت الغرف من الداخل بالنقوش والالوان غير الزاهية وفرشت بالطنافس الشرقية ووضعت في بهو الاستقبال الكراسي ذات الايدي والمتكئات والموائد وفي صدر الغرفة رسم الامبراطور منليك مرفوعاً تحيط بهِ الاعلام الحبشيَّة وعلى اطراف القصر فضاء واسع مسوَّر جعل قسم منهُ حديقة والقسم الآخر الى الجهة الامامية ترك كفناء للقصر

ووصف المراحل مرحلة مرحلة وما لقيهُ فيها الوفد السلطاني من الحفاوة والاكرام فان الامبراطور كان قد امر السكان ان يحتفلوا بهذا الوفد جهدهم فكانوا يأتونهُ بكل ما يحتاج اليهِ من مواد الطعام والشراب كالدجاج والبيض والاثمار وهم يحسبونها من الاموال الاميرية التي تدفع للحكومة . والبلاد على غاية الخصب مروجها ونجودها والمزروعات على غاية النماء قال في وصف مرحلة بككا : — قمنا اليوم (١٧ مايو) باكرًا وبينما كنا نشرب القهوة ونتناول المرق ونسرح الطرف في تلك الحقول البديعة التي تحاكي الجنان ونتأمل في طلوع الشمس اذ رأينا سرب نساء من الغالا يبلغ عددهنَّ العشرين سائرات في الحقول البعيدة وصوت غنائهنَّ واصل الينا وبعد السؤَال علمنا ان هؤلاء النسوة ذاهبات الى اشغالهنَّ في الحقول وفي هذه الاثناء اشرقت الشمس من وراء الاكمة ونشرت اشعتها النيرة على نسيم الصباح الرطب فكان المنظر بين جمال الهضاب الزمردية وشروق الشمس وغناء النساء بهيجاً بديعاً لا يستطيع وصفهُ الاَّ الشاعر البليغ او المصور الماهر

ثم قال وبعد ان سرنا مرة في اراضٍ مزروعة اخذنا نتسلَّق اكمات جبل قلوبي فصرت

اري نفسي كأني في جبال سو يسره او جبال الاناضول وغاباتها وكنا نرى من اشجار الراتينج والصنوبر ما يزيد علوه على ٢٥ مترًا ومن اشجار العفص ما ينيف طوله على ١٥٠ مترًا ومن اشجار الزيتون والجوز ما يزيد جسامة عن جسامة الدلب. والارض تحت هذه الاشجار مغطاة بطبقة خضراء من الحشائش كالزمرد هذا عدا الاشجار الغريبة الجنس التي لا نعلم اسماءها. والطيور التي تنتقل بين الاغصان كثيرة الاصناف كاصناف الشجر وكلها تغرد باصواتها الشجية حتى كأن يد القدرة خلقت هذه الغابات لتكون معرضًا او انموذجًا للاشجار والاطيار ولم نكن نحتاج الى فتح المظلة لاننا لم نكن نرى اشعة الشمس الّا نادرًا من خلال الاغصان

وبعد ان سرنا ثلاث ساعات ونصف ساعة وكنا قد خرجنا في طريقنا من الغابات ودخلنا بين حقول الذرة نزلنا تحت بعض اشجار الراتينج وجلسنا على الطنافس التي كانت معنا فتناولنا طعامنا في هذه الروضة الطبيعيَّة وكنا نرى كثيرًا من المعز ترعى في هذه الحقول والغريب من امرها انها لا تمس الذرة وعيدانها بل تأكل ما تجدهُ من الحشائش النامية بينها

والوصف على هذا النسق لسبع وعشرين مرحلة فمن يعرف بلاد السودان وقفارها المحرقة والصحاري التي تحيط بوادي النيل يظن ان بلاد الحبشة على هذا النسق ولكن يظهر من هذه الرحلة انها من اجمل بلدان الدنيا وان الاحباش ليسوا في درجة التوحش التي يصورها لنا الوهم ولكنهم لا يزالون بعيدين عن حضارة البلدان الراقية

ووصل الى العاصمة اديس ابابا في ٣ يونيو ووصف دخولهُ اليها فقال

استيقظنا اليوم (٣ يونيو) مبكرين واخذ كل منا يتهيأ ويلبس استعدادًا للدخول الى عاصمة الحبشة وبعد ان تناولنا فطورنا قمنا في الساعة الاولى والدقيقة ٤٥ على الحساب العربي قاصدين (جولا) ويرافقنا جم غفير من المستقبلين وبعد قليل اقبل علينا كثير من اعيان الجنود والاحباش والمسلمين الوافدين من العاصمة وكانوا راكبين على خيول مطهمة وعليها السروج المزركشة ومرتدين بافخر اللباس وهم يطلقون بنادقهم في الهواء ترحيبًا بنا. ولما اقتربوا من موكبنا نزلوا عن الخيول ووقفوا امامنا رافعين اكف التضرع الى الله بالدعاء للحضرة السلطانية وبعد ان تم الدعاء اخذوا يرشون المياه المعطرة علينا ويعطون لكل منا باقة من الزهر ومناديل حريرية ذات روائح عطرية وعلقوا على رأس الحصان الذي كنت راكبًا عليهِ طوقًا من الزهر ثم استأنفنا السير جميعًا وبعد بضع دقائق لقينا جماعة آخرين من المستقبلين وهكذا اخذت الوفود تكثر الى ان قربنا من (جولا) فلاح لنا على بعد بضع مئات من الامتار المسيو (ايلغ) السويسري الذي كان بمثابة رئيس نظار الامبراطور منليك

ومستشارهِ الخاص ومعهُ ثلاثون فارساً ولما تقاربنا نزل هو ورجالهُ عن الخيل فترجلنا نحن ايضاً وبعد التحية ابلغنا ان جلالتهُ يهدينا تحياتهِ الخصوصية ثم قال ان الحكومة الحبشية ستستقبل الوفد السلطاني بصفة رسمية في اليوم التالي بكثير من الجنود ورجال الحبشة

وبعد ان انتهى ذلك استأذن المسيو (ابلغ) بالاياب الى العاصمة لتلقي الاوامر الامبراطورية الخاصة باليوم التالي فرجوتهُ ان يقدم ويعرض بالتلفون شكري العظيم لجلالتهِ ثم ذهب ونصبنا نحن الخيام والصواوين ونزلت قافلتنا هنا لقضاء هذه الليلة واخذت ترد الوفود افواجاً افواجاً من اديس ابابا وكان بينهم هذه المرة كثير من الارمن والاروام

وفي الساعة الثالثة ونصف صباحاً جاء المسيو ابلغ والمندوبون لاستقبالنا رسمياً ومعهم جميع الحرس الملكي الخاص بالامبراطور والامبراطورة الموجودة في اديس ابابا واخذ المسيو ابلغ يعرفنا بالذين جاءوا معهُ وكان بينهم من الاحباش (رأس ولدي) حاكم مقاطعة الجرد السابق والنائب الامبراطوري الآن (وغراج كزو) و (فيتواري آبردي) قائد الحرس الخاص بالامبراطورة ووكيلهُ (دجاج آباتا) ومن العرب عبد الله عقيل وعبد الله صادق ومن الجنود المسلمين جراح وكيل غلام علي ويوسف علي وكيل محمد علي والحاج صالح المصري والشيخ ابو زرعة والحاج محمد ابو بكر . وبعد التعارف والاستراحة قليلاً ركبنا الخيل واخذنا بالسير قاصدين عاصمة الحبشة والجنود الحبشية سائرة امامنا وخلفنا . ولم نقطع مسافة طويلة حتى قدم علينا المسيو مارتن ده كا الملحق الحربي في فرنسا لابساً ملابسهُ الرسمية لاستقبالنا من قبل المسيو لاغرد السفير الفرنسوي لدى بلاط النجاشي

كنا نسير والحديث متواصل تارة بيني وبين المسيو ابلغ والمسيو مارتن ده كا وتارة بيني وبين رأس ولدي بواسطة الترجمان . وكان منظر الوهاد كزمردة خضراء والعاصمة قائمة امامنا كأنها معسكر جسيم وفي أعلى هضبة منها القصر الامبراطوري . وكان جميع الذين اتوا من اديس ابابا لاستقبالنا بالالبسة الرسمية الحربيَّة فعلى رؤوس اناس منهم شعر رقبة الاسد (وهم الذين قتلوا اسدًا) ومنهم من هو واضع على رأسهِ خوذة يتدلى منها على وجههِ وصدرهِ حلقات وسلاسل دقيقة ومنهم من هو معلق في اذنيهِ اقراطاً وآخرون لابسون اساور في معاصمهم وكل من هذه الاشياء علامة فارقة وبمثابة وسام . واما الجنود فانهم كانوا حفاة الاقدام سوى قوادهم والرأس ولدي والذين كانوا يرافقننا فانهم لابسون في ارجلهم حذاء من لباد ثخين ومحل الاصبع الكبير من الرجل خارج من الحذاء كاصبع القفاز وذلك لاجل وضع الاصبع الكبير في الركاب عند الركوب

ولما دخلنا اديس ابابا وجدنا الشوارع والساحات وسطوح المنازل ملأى وغاصة بالناس وقد خرجوا ليتفرجوا على دخول الوفد السلطاني وليروا (الجنرال التركي) . وكان الناس من كل صوب يرحبون بنا واستمر هذا الموكب هكذا حتى وصلنا الى المنزل الخاص بنزولنا فترجلنا وصافحت المستقبلين وشكرتهم وطلبت الى كبار المستقبلين ان يعرضوا شكري لجلالة الامبراطور والامبراطورة ثم دخلنا منزلنا وانصرف رجال الحكومة الى منازلهم

ولم يكن النجاشي وقتئذٍ في عاصمتهِ بل كان في مصيفهِ في محل يسمى آديس علم وهولنا يبني بعض قصور منذ مدة . وقد اخذت رأي المسيو ابلغ في الذهاب الى المحل المذكور لاداء ما علينا فقال لي انتم الآن في حاجة الى الراحة من التعب الذي نالكم من هذه السفرة البعيدة وان النجاشي سيحضر بعد بضعة ايام الى اديس ابابا بصفة خصوصية لمقابلة الوفد السلطاني

والمنزل الذي نزلنا فيهِ ملك الحاج احمد افندي الذي مرَّ ذكرهُ آنفاً قد خصصهُ الامبراطور لنزولنا فيهِ بناء على التماس احمد افندي من جلالتهِ وكان المأكل والمشرب وكل ما يلزم لنا يأتي من قصر النجاشي . وكانت المؤن التي ارسلت اليوم عبارة من عجل كبير وثلاثة خراف كبيرة وثلاثة خراف صغيرة (قوزي) ومائة رغيف من الخبز وخمس جرار من المشروب المسمى (تيج) وقدرة كبيرة من السمن وقدرة اخرى من البربري (وهو صالصة الفلفل الاحمر المقلي) واشياء اخرى . وقد ارسل محمد ابو بكر على طريق الهدية ثوراً وثلاثة خراف وثلاث قزايز من الشراب

ومنزلنا هذا ذو دورين مع ان جميع منازل آديس ابابا ما فيها الّا دور واحد فقط ولمنزلنا بهو كبير على اطرافهِ شرفات واسعة والمنزل امام ساحة واسعة حيث تقام سوق المدينة والبهو الذي كان طولهُ ١٥ متراً وعرضهُ ٨ امتار كان مفروشاً بالطنافس الجميلة وابوابهُ وشبابيكهُ مزينة بالستائر المزركشة التي نراها عند بائعي الآثار القديمة (الانتيكات) في الاستانة . وقد عمل صاحب المنزل الحاج احمد افندي كل ما في وسعهِ وأحضر كل ما يلزم لراحتنا وكان على سرور عظيم من وجود الوفد بمنزلهِ يستقبل الزائرين بوجه باش ويناظر اعمال الخدمة والطهاة ومحضري القهوة والخوانات (سفر الاكل) وبالجملة كان يريد ان يقوم بكل الاعمال بنفسهِ والناس من حولهِ تهنئةً على نزولنا في منزلهِ . وقد سافرت كثيراً وجلت في بلاد كثيرة فلم ارَ اكراماً بهذه الدرجة

وبعد ان اسهب المؤلف في ذكر تاريخ الحبشة واتى على امور كثيرة متعلقة بها وصف كيفية مقابلة الامبراطور له فقال

كان اليوم موعد مقابلتنا مع جلالة النجاشي فلما اصبحنا ارتدينا ارديتنا الرسمية الكبرى وقبل ان نذهب ارسلنا الهدايا السلطانية مع خدامنا وجنودنا وصحبتهم رجل ارسلهُ المسيو ايلغ . وبعد ذلك خرجت الى الشرفة منتظرًا ورود الجماعة الذين سيصحبوننا الى القصر الملوكي . وكان في المدينة حركة كبيرة والطرق مزدحمة بالناس وبينهم مئات من الرؤوس والقواد والضباط والجنود وكلهم بالملابس الرسمية يمتطون ظهور البغال ووراءهم عبيدهم وهم ذاهبون الى القصر وبعضهم مصطفون في الطريق

ويرى الرائي هنا انواعاً كثيرة من الالبسة الرسميَّة (التشريفة) ويمشي امام اكابر الاحباش عبيدهم يحملون احسن اسلحتهم من رمح او ترس او حربة ويضع بعض قواد الجند على رؤوسهم شعور الاسد والنمور فتتدلى من وراء رؤوسهم والحاصل ان للجنود هنا هيبة تأخذ بالقلوب ويظن الناظر الغريب لاول وهلة انهُ يرى امامهُ اناساً في شكل اسد او نمر

بينما كنت امرح الطرف في المارة على الطريق اذ رأيت في اول الشارع جندًا يقرب عددهم من الف قادمين علينا وبعد قليل وصلت هذه الاورطة (طابور) ثم جاء المسيو ايلغ ورأس ولدي وغراج كزو مدير القصر الملوكي واحد قرناء الامبراطور وفيتوراري ردى احد حجاب الامبراطورة وغيرهم من رجال القصر ليرافقونا وكلهم بالاردية الرسمية

وفي الساعة الثالثة ركبنا وسرنا قاصدين القصر والجنود محيطة بنا من كل جانب وامامنا جوقة موسيقية عسكريَّة مؤلفة من نايات وزمر وبعض آلات لا اعرفها . وكانت الطرق وسطوح المنازل والشرفات والدكاكين غاصة بالناس الذين كانوا يحيوننا وكان بعض المأمورين بيدهم العصي يطردون بها الناس ليفتحوا الطريق للموكب . وصلنا الى القصر ودخلنا بين الازدحام الذي يفوق الحصر والوصف وعبرنا من الباب الاول الى ساحة فسيحة محاطة من كل جانب بجدار ثم دخلنا من باب آخر الى ساحة اخرى والساحتان كانتا غاصتين بالجنود وفي الساحة الثانية كانت بطارية مدافع واقفة تؤدي التحية باطلاق البارود . وبعد الساحة الثانية وجدنا مرآة كبيرة جدًّا وهنا يوجد البهو الملكي الكبير المسمَّى آدرش . دخلنا من باب البهو فوجدنا جلالة الامبراطور منليك جالساً على عرش جسيم وهو محاط بحاشيتهِ ورجال بلاطهِ وعددهم يقرب من مائة . فلما دخل الوفد الى البهو اخذت المدافع تدوي فقام الامبراطور حينئذٍ ثم جلس ولما اقتربنا منهُ انتصب قائمًا للمرة الثانية فقمت امام جلالتهِ بخطاب وجيز في ما يخص مهمتي التي اتيت من اجلها ثم اعطيتهُ الكتاب السلطاني والنيشان فأخذهما مني بكل تجلة واحترام وفاه بعبارات الشكر للحضرة السلطانية . وبعد ان تمت هذه الرسوم

اشار بيدهِ الى مقعد امام العرش الملكي كان احضر بصفة خصوصية فجلست عليهِ . وبعد ذلك اخذ جلالتهُ يسألني عن صحة جلالة مولانا السلطان الاعظم وعن الامن والراحة في البلاد العثمانية وعما اذا كنا تعبنا في الطريق ام لا . وبعد قليل قدمت الهدايا السلطانية فصار يفحصها بنفسهِ واحدة واحدة ويظهر مزيد سرورهِ . ثم اخذ يشرح امتنانهُ وشكرهُ للحضرة السنية السلطانية التي تفضلت وافتكرت بجلالتهِ (اي بالامبراطور) . واما الهدايا السلطانية فكانت مؤلفة من طاقم شاي وبسط من صنع فابريقة هركة السلطانية واقمشة للملابس والفرش وجوز شمعدانات من الفضة وكلها من احسن ما صنع وابدع ما عمل

كانت حاشية الامبراطور كلها واقفة وراء العرش وعلى جانبيهِ ما عدا ثلاثة كانوا جالسين على مقاعد موضوعة على يمين العرش الملكي وهؤلاء الثلاثة هم رأس ماكونين ورأس جورجيس ورأس تسما . وقد عرفني بهم المسيو ايلغ الذي كان يؤدي وظيفة الترجمان فتصافحنا وشكرت للرأس ماكونين ما رايتهُ من الاكرام في منزلهِ بهرر

ودامت هذه المقابلة نصف ساعة تكلمنا في خلالها مع جلالة النجاشي في مواضيع مختلفة وكان جلالتهُ مرتديًا بالملابس الرسمية ومتقلدًا وساماتهِ المرصعة والتاج الملوكي المرصع كان موضوعًا على العرش بجانب جلالتهِ . وكان على راسهِ كوفية يلبسها دائمًا حتى تحت القبعة وهو جالس فوق العرش على الاصول الشرقية (متربع) وحولهُ الوسائد يتكئ عليها

تاريخ الحضارة

اهدى الينا صديقنا العالم الفاضل محمد افندي كرد علي منشئ مجلة المقتبس الجزء الاول من هذا الكتاب وقد ترجمهُ عن الفرنسوية وطبعهُ طبعًا متقنًا . وياحبذا لو وضع فيهِ اسم المؤلف بالحروف الفرنسوية وتاريخ طبع النسخة التي ترجم عنها لان الثقة بهذه الكتب تختلف باختلاف الزمن الذي وضعت فيهِ او طبعت فيهِ . ويظهر لنا من استضعاف المؤلف دليل اللغة على الجنس انهُ متابع لمذهب وجيه من المذاهب العلمية وهو المذهب الذي اتبعهُ الاستاذ دجواي رئيس قسم الانثروبولوجيا في خطبة الرئاسة التي القاها في الصيف الماضي

وفي هذا الجزء كلام وجيز على عمران المصريين والاشوريين والبابليين والفينيقيين والاسرائيليين والفرس وقد وقع كل ذلك في ٥٧ صفحة وكلام مسهب على عمران اليونان والرومان وهو باقي الكتاب والكلام على اديان هذه الامم سقيم كأن كاتبهُ لم يطلع على مباحث علماء الاديان الانتقادية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اصابة العين وتأثير الوحام

جرجا. اسكندر افندي مشرقي. ارجو جنابكم التكرُّم بافادتي عن السؤَال الآتي واكرر الرجاء ان لا تحيلوني على اعداد المقتطف السابقة لان الاعداد ليست محفوظة عندي والسؤَال هو

ذكر في الكتاب المقدس كلمة "عين شريرة" ويفسر البعض هذه الكلمة بان بعض العيون تؤَثر في المنظور اليهِ بما يقال لهُ الحسد (الاصابة بالعين) ويؤَيد البعض هذه المسألة ايضاً بشواهد كثيرة من الحوادث الواقعية. وقد ورد في الكتاب ايضاً في مسألة يعقوب عند رعايتهِ لغنم خالهِ لابان ان الغنم ولدت حسب الشكل الذي كان يضعهُ امامها عند شرب الماء

ويوافق هذا ايضاً ما تراهُ من توحم النساء وتأثير ما يرينهُ من الاشياء في اجسام اجنتهنَّ اثناء الحمل — فقالوا كما ان العين تتأثر مما تراهُ لا بد ان تؤَثر في ما تراهُ بما يقال لهُ الحسد المعروف باصابة العين. غير اني لم ارَ برهاناً علمياً يؤَيد هذه المسألة فارجو الافادة هل هذا الحسد حاصل فعلاً وهل ما تراهُ الحامل يؤَثر في جنينها

ج. لم يقم حتى الآن دليل علمي على صحة الاصابة بالعين ولا على صحة تأثير ما تراهُ الحامل في جنينها على نحو ما جاء في قصة يعقوب ولابان اي ان العلماء الذين امتحنوا الاصابة بالعين وتأثر الجنين بما تراهُ امهُ لم يروا ما يؤَيد هذا ولا ذاك. ومعلوم ان النتيجة السلبيَّة لا تنفي امكان حدوث الحوادث المقول انها حدثت ولكنها توقع الشك فيها. واذا تكرر الامتحان وبقيت النتائج سلبيَّة قوي هذا الترجيح حتى صار في درجة اليقين ويحسن حينئذٍ البحث عن السبب الذي دعا الى القول الاول. فاذا قال لك قائل انهُ وضع مسامير الحديد في الماء القراح فصار لونهُ ازرق وامتحنت انت ذلك فوضعت مسامير الحديد في الماء القراح فلم يزرق بل صار ضارباً الى الحمرة ارتبت في صحة قول هذا القائل ويشتد

ارتيابك اذا كررت الامتحان فلم يزرق الماء حتى تكاد تقطع بعدم صحتهِ . ثم اذا عُلمت خواص المواد الكيماوية وعُرف منها انهُ اذا وضع الحديد في الماء تكوَّن منهُ اكسيد الحديد وهو محمر اللون لا ازرقهُ وعُلم ايضاً ان بصر بعض الناس يكون مختلاً فيرون الاحمر ازرق استنتجت ان مخبرك رأى اللون الاحمر ازرق فاخبر بما رأى ولم يقصد الخداع . ومن المحقق ان بعض الناس يرون ما لا يراهُ غيرهم لاسباب لا محل لبسطها الآن فيخبرون بما رأوا

اتفق لنا في صبانا ان رأينا طفلاً مرض وقال ذووهُ انهُ اصيب بالعين فاذابت امهُ رصاصة على النار وصبتها في اناء ماء فوق رأسهِ فجمدت في شكل كثير المرتفعات والمنخفضات والتخاريب فنظر النساء الحاضرات اليها وقالت واحدة منهنَّ اني ارى فيها صورة الرجل الذي اتى الى هنا امس مسلحاً بفردين في منطقتهِ ويطقان على جنبهِ وها هو . ورأى بقية النساء ذلك ووافقنَ على قولها واتفقن على انهُ هو الذي اصاب الولد بعينهِ . ونظر كاتب هذه السطور الى الرصاصة وكان عمرهُ لا يزيد على ست سنوات فلم يرَ فيها شيئاً من ذلك وبقي هذا الامر في ذهنهِ دليلاً على تأثير الاعتقاد في النفوس ثم رأى كثيراً من امثالهِ حتى بين اكابر العلماء والفقهاء والخلاصة انهُ لم يقم دليل علمي حتى الآن على صحة الاصابة بالعين ولا على صحة تأثير الوحام بالجنين على نحو ما ذكر في قصة لابان ويعقوب

(٢) الطيران وجاذبية الارض

فيدمين بالفيوم . م . ح سمعت باسم المراكب الهوائية فخطر ببالي ما يأتي . اذا كانت الارض دائرة على محورها حقيقةً ودورتها عكس دورة الشمس فلماذا لا يستطيع راكب بالون مثلاً ان يقطع كل اقطار المسكونة بغير ان يتحرك اي وهو متربص في محلهِ والارض تحتهُ تدور فينزل في المكان الذي يريد السفر اليهِ بغير ان يتحرك

ج . سبب ذلك بسيط جداً وهو ان الارض جاذبة لكل ما عليها فنحن دائرون معها في دورانها من الشرق الى الغرب سواء وقفنا عليها او صعدنا في الهواء ولا نخلص من جذبها الا اذا بعدنا عنها مئات الوف من الاميال فان القمر وبعدهُ عنها نحو ٢٣٩ الف ميل خاضع لجذبها ولذلك فاذا صعدنا في الهواء صعوداً عمودياً ثم نزلنا وصلنا الى المكان الذي صعدنا منهُ تماماً لاننا ونحن في الجو نكون دائرين مع الارض في دورانها على محورها

(٣) عمل المرايا

بيروت . ادوار افندي طوقاتلي . ارجو الافادة عن تركيب المزيج الذي يستعمل الآن عند ارباب الفن لتحويل الزجاج الى مرايا

ج كانت المرايا تصنع ببسط ملغم من الزيبق والقصدير على لوح الزجاج وسنة ١٨٤٠ اشار بعضهم بترسيب الفضة من املاحها بدل ملغم القصدير وكانت ترسّب اولاً بواسطة الزيوت الروحيَّة ثم صارت ترسّب بواسطة الحامض الطرطريك. ومن الطرق المستعملة لذلك الآن ان يذاب ١٢ قمحة من طرطرات الصودا والبوتاسا (ملح روشل) في ١٢ اوقية من الماء ويغلى المذوب ويضاف اليهِ وهو يغلي ١٦ قمحة من نيترات الفضة مذابة في اوقية من الماء النقي ويستمر الاغلاء عشر دقائق ثم يضاف الى المزيج ماء حتى يصير ١٢ اوقية ويصنع مذوب آخر باذابة اوقية من نيترات الفضة في عشر اواقي من الماء ويضاف اليهِ من ماء الامونيا حتى يذوب اكثر الراسب الاسمر ثم يضاف الى ذلك اوقية من الالكحول وما يكفي من الماء لجعل المزيج ١٢ اوقية وحينما يراد عمل المرايا تؤْخذ مقادير متساوية من المذوب الاول والثاني ويمزجان معاً جيدًا ويبسط لوح الزجاج على مائدة افقيَّة وينظف جيدًا بالصودا ويغسل بالماء النقي ويصب المزيج عليهِ وهو لا يزال رطبًا فترسب الفضة منهُ على لوح الزجاج ويسرع رسوبها اذا كان الهواه حارًّا او كان تحت اللوح رمل حار. ويغسل لوح الزجاج بعد ذلك ويصب عليهِ فرنيش يقي غشاء الفضة من الاحتكاك

ولا بدَّ من استعمال الماء المقطر في كل ما تقدَّم ويحسن بكم ان تراجعوا ما كتبناهُ عن تجاربنا في عمل المرايا. هذا اذا اريد معرفة صناعة التفضيض معرفة نظرية اما اذا اريد معرفتها معرفة عملية ومجاراة عمال المرايا في اعمالهم فلا بدَّ من مزاولة هذه الصناعة في معمل من معامل المرايا

(٤) العلوم والمعيشة

سان باولو بالبرازيل. الخواجه خ. س رجل في السادسة والعشرين يتعاطى الاعمال التجارية ويميل الى تعلُّم علم يكتسب بهِ معيشتهُ فهل تشيرون عليهِ بذلك وما هو العلم الذي تشيرون عليهِ بهِ واي العلوم اصلح وما هي نفقات اكتسابها

ج اننا نشير عليهِ بالبقاء في اعمالهِ التجارية ودرس بعض العلوم المتعلقة بها مباشرة كالحساب والجغرافيا وهذه العلوم يسهل تعلمها في مدرسة ليليَّة. اما العلوم التي تستخدم للمعاش كالطب والصيدلة والهندسة والحقوق فتقتضي دروساً تمهيدية لا يظهر من سؤالكم ان من تشيرون اليهِ درسها ويصعب درسها على من بلغ السادسة والعشرين. ونفقات تعلمها وتعلُّم فن من الفنون المتقدمة كثيرة جدًّا ولاسيما في اميركا حيث انتم مقيمون ولا نظن انها تقل عن مئتي جنيه في السنة مدة ست سنوات او سبع

(٥) زرع التبغ

الفيوم . جرجس افندي مومي . لقد ذاع ان الحكومة عازمة على اعادة زراعة التبغ الى القطر المصري فنرجو ان تكتبوا لنا مقالة ضافية في هذه الزراعة

ج لقد اجبنا سؤالكم وسؤال غيركم في باب الزراعة في هذا الجزء

(٦) كتابة قديمة

المتن بلبنان . فاضل افندي عرنوق . نزلت صاعقة في احد الاماكن فكشفت عن قبر قديم وُجد فيهِ خاتم من نحاس عليهِ رسوم ارسلنا صورتها اليكم ونرجو ان تخبرونا عن اللغة التي كتبت بها تلك الرسوم

ج لا نرى انها تنطبق على لغة من اللغات التي نعرف حروفها او هي تشبه حرف اللام الفينيقيَّة واليونانية القديمة مكرَّرًا او حرف الجيم او الفاء بالفينيقيَّة مكرَّرًا ونرجح انها نقوش رمزيَّة لا غير ونستغرب بقاء هذه النقوش على النحاس في قبر بلبنان حيث يكثر وقوع المطر ولا تخلو الارض من مواد يتأ كل بها النحاس وتزول النقوش عنهُ كما ترون في النقود النحاسيَّة القديمة . وممَّا يزيد الغرابة ان النقوش بارزة وقلما تكون كذلك على الخواتم ونخاف ان يكون هذا الخاتم خنفشاريًّا لكننا لا نقطع بشيء من ذلك لانهُ يحتمل ان يكون صحيحًا وتكون الرسوم التي عليهِ كتابةً صحيحة بلغة لا نعلمها

(٧) صبغ الرخام

انيس افندي قربان . بينما كنت اقتطف ثمار المعارف من جنات مقتطفكم عثرت على نبذة في الجزء الثاني من المجلد التاسع عنوانها تنظيف تمثال ليبك خلاصتها ان رجلاً صنع مزيجًا من مذوب نيترات الفضة وبرمنغنات البوتاسيوم ورش بهِ التمثال المذكور فاكتسى سطحهُ بالنقط السوداء . وقد صنعت مزيجًا من مذوب المادتين المشار اليهما وكتبت بهِ على صفيحة من نوع التمثال ثم غسلتها بالماء فزالت المغنسيا وبقيت الفضة مرسومة بلون رصاصي لا اسود فكيف ذلك

ج ان الذي بقي هو المطلوب والنبذة التي تشيرون اليها مترجمة عن الانكليزية وفي الانكليزية كلمة dark بمعنى مظلم فنترجمها غالبًا بكلمة اسود توسُّعًا . وقد صنعنا نحن هذا المزيج الآن ووضعنا منهُ نقطة على قطعة من الرخام فلما جفَّت بقيت منها بقعة رمادية داكنة ترى عن بُعد سوداء

(٨) الكتابة على الرخام

ومنهُ . هل من طريقة للكتابة على الرخام بمادة يصبغ بها صبغًا اسود محل الكتابة

ج اذا احمي الرخام جيدًا حتى تتسع مسامهُ وكتب عليهِ بمذوب نيترات الفضة (حجر جهنم) ظهرت الكتابة عليهِ بعد حين سوداء رمادية او بنفسجيَّة ولا سبيل غير هذا الى الكتابة السوداء الثابتة ولذلك يكتب

على القبور بالرصاص ينزّل في حفر الحروف تنزيلاً

(٩) ارخميدس والتاج

مصر . احد المشتركين . اجبتم في شهر دسمبر عن سوءال يتعلق بارخميدس ان هيرو كلفهُ بفحص تاج لمعرفة ما اذا كان مصوغاً من الذهب الخالص او مخلوطاً بالفضة. وان ارخميدس دخل الحمام ذات يوم ولما غطس في المغطس رأى الماء قد خرج منهُ فارشدهُ ذلك الى حل المسألة . والمشهور ان هذه الحادثة هدت ارخميدس الى معرفة قانونهِ المشهور الذي موءداهُ ان كل جسم غُمر في الماء يفقد من وزنهِ مقدار وزن الماء الذي ازاغهُ فكيف ارشدت هذه الحادثة ارخميدس الى حل مسألة التاج

ج لا بدَّ من ان الصائغ جعل وزن التاج كوزن الذهب الذي اعطاهُ اياهُ الملك وقد كان ارخميدس يعلم كما يعلم كل احد ان الذهب اثقل من الفضة اي ان العقدة المكعبة من الذهب اثقل من العقدة المكعبة من الفضة واثقل ايضاً من العقدة المكعبة من مزيج من الذهب والفضة . ولو كان التاج جسماً منتظماً تسهل مساحتهُ المكعبة لامكن الاستدلال من ثقلهِ ومساحتهِ على ما فيهِ من الذهب والفضة ولكنهُ غير منتظم فلا تعلم مساحتهُ بالتحقيق فلما غطس ارخميدس في المغطس وارتفع الماء منهُ انتبه الى ان الماء الذي خرج من المغطس يعادل حجم الجسم الذي غطس فيهِ فسهلت عليهِ معرفة حجم التاج فصارت المسألة هكذا ان وزن التاج الف غرام مثلاً فلو كان من الذهب الخالص لرفع الماء في الاناء ٥٢ سنتمترًا مكعبًا اذا غطس فيهِ ولو كان من الفضة الخالصة لرفع الماء ٧٧ سنتمترًا مكعبًا ولكنهُ رفعهُ مقدارًا متوسطاً ولنفرض انهُ ٦٥ سنتمترًا فليس هو ذهب خالص ولا فضة خالصة بل مزيج منهما و بالحساب يعرف اي وزن من الذهب واي وزن من الفضة اذا مزجا يكون ثقلهما الف غرام وحجمهما ٦٥ سنتمترًا مكعبًا

(١٠) ماء النشع والاساسات

ومنهُ . هل ماء النشع مضر باساسات البيوت في القطر المصري

ج ما دامت الاساسات مغمورة بالتراب وغير مكشوفة للهواء فلا ضرر من ماء النشع ولكن ما يكون مكشوفاً منها ومن البناء الذي فوقها يتأكل اذا كان في الارض املاح يذيبها الماء . ويتقى الضرر بغسل الارض من الاملاح او بالفصل بينها وبين البناء بمادة تمنع وصول الاملاح الذائبة الى البناء

(١١) و ابطل التدخين

ومنهُ . اذا أبطل شرب الدخان والاشربة الروحية فماذا يعمل تجار هذين الصنفين وهم ثلث التجار كلهم على ما اظن . أوَ ليس اباحة بيع الدخان والاشربة الروحية

افضل من ترك هؤلاء التجار بلا باب للتعيُّش

ج كلاً وابواب التعيش كثيرة ولا يُعدَم المجتهد سبيلاً للمعيشة · ومنع بيع التبغ والاشربة الروحيَّة ليس في الامكان ولكن الذي في الامكان هو تقليل ربح بائعيها حتى يقل اهتمامهم ببيعها وطريقة ذلك ان تبيح الحكومة لكل احد ان يبيع التبغ والاشربة الروحيَّة على شرط ان يمسك لذلك حساباً مدققاً ويعطيها اكثر ما يربحهُ ولا يبقي لنفسهِ الا عشرة في المئة بالنسبة الى رأس مالهِ فاذا رأى بائعو التبغ والخمر ان ربحهم قليل جدًّا لم يعودوا يهتمون بترغيب الناس فيهما

(١٣) تعليم الفقراء

ومنهُ · ان تعليم اولاد الفقراء من صنَّاع ومزارعين يجعلهم يتركون حرف آبائهم واجدادهم وذلك غير حسن ولكن هل يستحسن منع التعليم عنهم مع اننا نرى كثيرين من هؤلاء الابناء ينبغون في العلوم والمعارف ويدركون اعلى المناصب اذا احسنت تربيتهم واعتني بتعليمهم · ويقول البعض بتعليم اولاد القرى بعض العلوم الزراعية والصناعيَّة فقط حتى يشتغلوا في المستقبل بحرفة والديهم فهل يصح التمييز بين ابناء الوطن الواحد بان يُعلَّم بعضهم على كيفيَّة بسيطة ويعلَّم البعض الآخر على طريقة راقية

ج · ان مسألة تعليم اولاد الامة من المشاكل التي يصعب حلها فاذا كانت الامَّة قادرة على اشراك كل ابنائها في التعليم العالي على السواء وجب عليها ان تفعل ذلك كما يجب على المرء ان يساوي بين اولادهِ في الميراث ولكن الامَّة لا تقدر على ذلك فيترتَّب عليها والحالة هذه ان تعلّم ابناءها حسب استعدادهم وقابليتهم حتى لا تنفق على البليد نفقات تذهب سدًى ولا تقصّر في الانفاق على النجيب وهي لو انفقت عليهِ لافادت بلادها بهِ ولذلك يكون من الحكمة ان تنفق اولاً على التعليم الابتدائي الصرف الذي لا بدَّ منهُ اي تعليم القراءة والكتابة والقليل من الحساب وتشرك فيهِ ابناءها كلهم اذا استطاعت وما يبقي لديها من مال التعليم تنفقهُ على الذين تتوسَّم فيهم النجابة اكثر من غيرهم وتعلمهم علوماً عالية فاعلى حسب طاقتها وحاجة بلادها · ومما يريح البال ان المجتهدين يتعلمون ويفلحون سواء ساعدتهم الحكومة او لم تساعدهم وغير المجتهدين لا يتعلمون او لا يستفيدون من التعلُّم ولو انفقت على تعليمهم مال قارون · ولقد رأينا اناساً لم يدخلوا مدرسة عالية وهم من ابرع الناس واناساً غيرهم اتمُّوا دروسهم في اعلى المدارس العالية وهم لا يعرفون ان يحلوا مسألة بالحساب البسيط · ومدرسة العلم الحقيقي هي مدرسة العَمل · وعلى الحكومة ان تبذل جهدها لكي لا تنفق اموال الامَّة عبثاً



فائدة تلغراف مركوني

اتفق في السادس والعشرين من يناير الماضي ان صدمت الباخرة فلوريدا الايطالية الباخرة ريبلك من شركة النجم الابيض وكادت تشطرها شطرين وكان في الريبلك آلة تلغراف مركوني في غرفة فيها وقد خربت تلك الغرفة من الصدمة لكن الآلة بقيت سليمة وعليها رجل اسمهُ بنس وكان حينئذٍ يرسل رسالة برقية الى مدينة نيويورك فقطع الرسالة بغتةً وارسل بدلاً منها الحروف الثلاثة C. Q. D. ومعناها الوقوع في الخطر وطلب النجدة . وانتشرت امواج الاثير في الفضاء حول السفينة فشعرت آلات مركوني بها في كثير من السفن التجارية ومراكز التلغراف الاثيري . ثم ارسل رسالة مفصلة قال فيها ان الريبلك صُدمت واشرفت على الغرق . فبادرت السفن اليها من كل صوب ووصلتها السفينة بلطيق قبل غيرها واحتملت وسقها وركابها وركاب السفينة فلوريدا وعددهم ١٤٠٠ ونجتهم من الغرق والفضل في ذلك لمركوني بل لرجال العلم الذين اكتشفوا نواميس الكهربائية واستخدموها في ما ينفع الناس . اما السفينة ريبلك فغرقت بعد خروج الركاب منها ولم يقتل بهذا الاصطدام الأ رجلان من ركابها واربعة من الذين كانوا في السفينة فلوريدا

زلزلة مسينا

وصفنا هذه الزلزلة وصفاً مسهباً في اول هذا الجزء وانقضى شهر يناير ولا تزال الهزات تنتاب تلك البلاد ولكنها خفيفة . ولا يزال النقب جارياً في مسينا ورجيو عن المدفونين تحت الردم وقد وجد البعض منهم احياء ونشرت الصحف اخباراً كثيرة عمَّا قاساهُ الذين نجوا من المشاق قبلما فازوا بالنجاة وتبرع اهل البر والاحسان باموال طائلة لمساعدة الاحياء واشتركت الحكومات كلها في ذلك حتى الحكومة الصينيَّة

اكبر فوز للتلغراف

من حين استعمل التلغراف الكهربائي الى الآن لم يبلغ الفوز الذي بلغهُ في اواخر الشهر الماضي فقد أُرسلت بهِ الرسالة البرقية

الاولى بين منشستر وكلكتا رأساً والمسافة بينهما ٧١٠٠ ميل وكان فيها ٣٠٠ كلمة فارسلت في سبع دقائق ونصف دقيقة ثم ارسلت رسالة برقية بين رنجون في اقاصي الهند ومنشستر والمسافة بينهما ٧٧٠٠ ميل وقد افتتحها مرسلها بقوله "سلام على الغربيين من الشرقيين"

بناء مسينا

لما نظر مجلس النواب الايطالي في امر مسينا اقرّ على ان تنفق الحكومة عليها وعلى رجيو ثلاثين مليوناً من الفرنكات وقال رئيس النظار انهُ "لا بدَّ من بناء المدينتين ثانيةً". والظاهر انهُ اذا كان البناء من الحديد والخرسانة قاوم فعل الزلازل اشد المقاومة وسيكون للحديد المقام الاول في مباني المستقبل

الحمى الملارية في بلاد اليونان

تألفت لجنة في بلاد اليونان لمقاومة الحمى الملارية باتلاف البعوض ومنع تولده في المستنقعات. وقد كان المصابون بالملاريا في سهل مراثون سنة ١٩٠٦ تسعين في المئة من المرضى فبلغوا سنة ١٩٠٧ سبعة واربعين في المئة وسنة ١٩٠٨ اثنين في المئة لا غير. وهذا من اقطع الادلة على ان الحمى الملارية مسببة عن لسع البعوض الذي يحمل جراثيمها ويلقح بها الاصحاء

اولاد النوابغ

ظهر بالاستقراء ان اولاد كبار العقول يكونون من كبار العقول ايضاً ولو كانت هذه القاعدة غير مطردة. وقد بحث المسيو الفونس ده كندول منذ سنة ١٩٧٣ عن اصل الذين ينتخبون اعضاء في الجمعيات العلمية فوجد ان اكثرهم من اولاد القسوس. وبيَّن العالم فرنسيس غلتون ان اكثر النوابغ هم من اولاد النوابغ واكثر المشهورين بالعقل والدراية هم اولاد المشهورين بالعقل والدراية ولذلك فالصفات العقلية تنتقل بالوراثة كالصفات البدنية

وفيات الاطفال وزيادة السكان

ان متوسط وفيات الاطفال الذين عمرهم اقل من سنة في الممالك الاوربيَّة يبلغ اكثرهُ في روسيا واقلهُ في انكلترا وهو فيهما وفي سائر الممالك كما ترى في هذا الجدول

في روسيا	٢٦٨	في الالف
" النمسا	٢٢٣	" "
" رومانيا	٢١٨	" "
" المجر	٢١٥	" "
" المانيا	١٩٩	" "
" اسبانيا	١٧٨	" "
" فرنسا	١٤٩	" "
" انكلترا	١٤٧	" "

ولكن زيادة السكان السنوية ليست تابعة لقلة وفيات الاطفال بل لكثرة المواليد فانها كانت في العشر السنوات من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٠٥ كما في هذا الجدول

في روسيا	١٥,١	في الالف
« المانيا	١٤,٦	« «
« رومانيا	١٣,٣	« «
« انكلترا	١١,٩	« «
« النمسا	١١,٥	« «
« المجر	١١,٢	« «
« اسبانيا	٧,٣	« «
« فرنسا	١,٥	« «

هذا متوسط زيادة السكان السنوية قبل سنة ١٩٠٥ ولو قلت وفيات الاطفال لزاد عدد السكان ايضاً

كنوز الصين العلمية

وجد الدكتور ستين رئيس الوفد الذي اوفدتهُ حكومة الهند الى اواسط اسيا كهفاً كبيرًا على حدود الصين فيهِ اكثر من اربعة آلاف كتاب من كتب الصينيين تاريخ كتابتها من القرن الاول للميلاد الى القرن العاشر وهي بسبع لغات مختلفة والظاهر ان اصحابها خافوا عليها من غارات الامم المتوحشة التي كانت تغير على بلادهم فاخفوها في ذلك الكهف وسدوا بابهُ سدًّا محكماً حتى لا يدري بها احد وقد وجدت فيهِ سليمة

عيد وط مخترع آلة البخار

احتفل اهالي غلاسكو بعيد ميلاد جمس وط مخترع الآلة البخارية وبينما في الاحتفال جاءهم تلغراف من طوكيو عاصمة اليابان من امير البحر كروبي يقول فيهِ " ان مستعملي الآلات البخارية في بلاد اليابان رغبوا اليَّ في ان اقدم تهنئاتنا القلبية الى اخواننا في الصناعة في غلاسكو . نعم ان رداء وط تناولهُ الجميع بغير استثناء لكننا نقدم احترامنا الاول للذين تناولوهُ اولاً ونفعوا بهِ "

كلام الموتى

ادعى الرئيس جون جراهم في مجلة هبرت العلمية الفلسفية ان نفس ميرس (وكان من الباحثين في العلوم النفسية) تكلمت بعد موتهِ وقالت انها احيا الآن مما كانت قبل الموت ولا تود الرجوع الى هذه الارض ولكنها لا تزال تتذكر علاقاتها بها ولا تزال ايضاً بعيدة عن العزة الالهية وانهُ يمرُّ على النفس نحو ست سنوات بعد خروجها من الجسد وهي في حالة الخمول فاقدة كل وجدان ثم تبتعد عن الارض ومشاغلها ولا يعود لها علاقة بها ولعل نفس ميرس بقيت قرب الارض عمدًا لكي تملن ذلك للناس

نقول انهُ ان كانت النفوس تبقى نحو

ست سنوات على مقربة من الناس ففي الارض الآن نحو اربع مئة مليون نفس تجول فيها ولم يقدم على التكلم الا نفس واحدة منها . ان تصديق ذلك اعجب من تصديق اي امر آخر سواه

ضرر الشركات المالية

لا شبهة في ان اكثر الاعمال الكبيرة ان لم نقل كلها عملتها الشركات المالية ولا جدال في فائدة الشركات ولكن لا شبهة ايضاً في ان كثيراً من الشركات لا ينفع بل يضر بتبذير اموال المشتركين فيهِ فقد حققت ادارة تسجيل الشركات في بلاد الانكليز انها سجلت ١٠١٠١٥ شركة في اربع واربعين سنة بين سنة ١٨٦٢ وسنة ١٩٠٦ رأس مالها كلها ٦٧٨١ مليون جنيه ولم يبقَ الى الآن من هذه الشركات سوى ٤٠٩٩٥ شركة رأس مالها كلها ٢٠٠٣ ملايين جنيه ففي هذه السنوات الاربع والاربعين انحل اكثر من ستين الف شركة رأس مالها ٤٧٧٨ مليون جنيه وجانب كبير من هذه الاموال ضاع جزافاً وخسره المشتركون

ساعة وفونوغراف

صنع رجل من جنيفا ساعة صغيرة فيها فونوغراف يعلن عدد الساعات بكلام يسمع على بعد عشرين قدماً

ضعف العقل وكثرة النسل

قال السركليفرد البوت انهُ رأى بالاختبار ان ضعاف العقول يكونون كثيري النسل وقد قال بذلك غيره من الباحثين في هذا الموضوع واثبتوه بالاستقراء الطويل فقد وجد ان متوسط عدد الاولاد في مئة وخمسين عائلة من ضعاف العقول ٧ وثلاثة اعشار ومتوسط عدد الاولاد في عيال سليم العقل في ذلك المكان عينهِ اربعة فقط . ويموت كثيرون من اولاد ضعاف العقول ولكن الذين يعيشون منهم اكثر كثيراً من الذين يعيشون من اولاد كبار العقول . ثم ان اولاد المعتوهين وضعاف العقول يكونون اميل من غيرهم الى الجنون وارتكاب الجرائم هذا في البلاد الانكليزية ولا نعلم هل ذلك مضطرد في كل البلدان او هو خاص بتلك البلاد

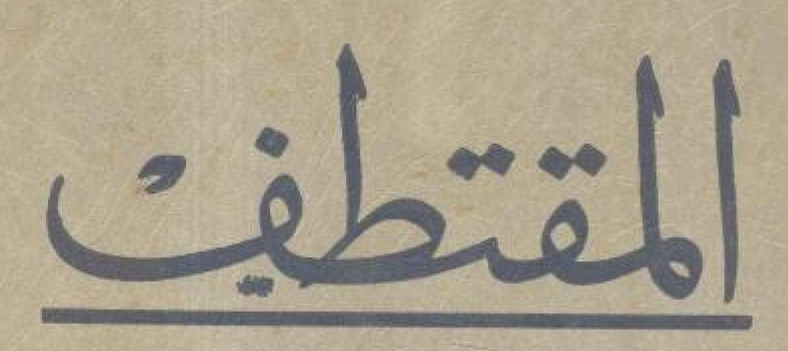
ثوران بركان

ثار بركان كاغوى في جزيرة من جزائر فيلبين بغتةً في التاسع عشر من شهر يناير وجرت المواد المصهورة على جوانبهِ كالانهر فاضرَّت بالبلاد المجاورة

بنوك التوفر

تقدَّر المبالغ المجموعة في بنوك التوفير الانكليزيَّة باربع مئة مليون جنيه وفي بنوك التوفير الالمانية بستمائة مليون جنيه

فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين


المقتطف



المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين

١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٩ — الموافق ٩ صفر سنة ١٣٢٧

مجلس المبعوثان والوزارة العثمانية

حدث في الشهر الماضي حادث كبير في المالك العثمانية . اجتمع مجلس المبعوثان واسقط الوزارة اي اقترع على عدم الثقة بها وقبل جلالة السلطان ذلك واستدعى وزيراً آخر لتأليف وزارة اخرى ترضى بها الامة . وهي اول مرة اسقطت فيها الامَّة العثمانية وزارتها او اضطرت الوزارة ان تستعفي لانها رأت ان الامة غير راضية عنها

وقد رأينا في تفصيل ذلك في المقتطف فائدة تاريخية وبلسماً لجراح القديمة لا من حيث استعفاه كامل باشا فانهُ من افضل الوزراء العثمانيين ان لم يكن افضلهم بل من حيث اعطاء الامة حقوقها والرضوخ لارادتها

وتفصيل ذلك ان كامل باشا امر رضا باشا ناظر الحربيَّة ان يرسل فرقاً من الجيش الذي في الاستانة الى يانيا لتسكين المياج فيها فاحال الناظر الطلب الى هيئة اركان الحرب فرفضت ذلك بحجة ان لا حقَّ للصدر الاعظم في تعيين صنف الفرق والجنود التي ترسل بل لهُ ان يطلب ارسال جنود وهيئة اركان الحرب تعينها فساء ذلك الصدر الاعظم وعزل رضا باشا ناظر الحربيَّة من نظارتهِ وعينهُ قومسيراً عالياً لمصر فرفض هذا التعيين وشكا منهُ الى مجلس المبعوثان . وكان ناظر البحرية عارف باشا قد استعفى منذ خمسة عشر يوماً ورفض الصدر الاعظم قبول استعفائهِ فعاد وقبلهُ حينئذٍ وعيَّن حسني باشا بدلاً منهُ . ولما عُلم ما فعلهُ الصدر الاعظم استعفى حلمي باشا ناظر الداخلية وحسن فهمي باشا رئيس شورى الدولة ورفيق بك ناظر العدلية وبنوا استعفاءهم على ان عزل كامل باشا لناظري الحربيَّة والبحريَّة مخالف لاصول الحكومات الدستورية

واجتمع مجلس المبعوثان يوم السبت في ١٣ فبراير وطلب من كامل باشا ان يحضر اليهِ ويجيب عن سبب عزلهِ لناظر الحربيَّة وناظر البحريَّة . وكانت بعض الجرائد قد اشاعت ان الصدر الاعظم عزل الناظرين لانهُ اكتشف موءامرة تدبرها جمعيَّة الاتحاد والترقي على خلع السلطان ولهما ضلع فيها ولكن جمعية الاتحاد والترقي كذَّبت خبر الموءامرة كل التكذيب وبيَّنت ان لا اساس لهُ . وافتتح احمد بك رضا جلسة مجلس المبعوثان الساعة الثانية عشرة وقرئ محضر الجلسة السابقة والاقتراحات وكلها تتعلق بسوءال الصدر الاعظم عن عزل ناظري الحربيَّة والبحريَّة فأمر الرئيس كاتب السر ان يقرأ اعتذار الصدر الاعظم عن الحضور حينئذٍ وطلبهُ ان يوءجل حضورهُ الى جلسة يوم الاربعاء

فهاج المجلس وماج وقامت قيامة النوَّاب عليهِ ألا نواب الاحرار فانهم صوَّبوا طلبهُ قائلين ان القانون يبيح لهُ ذلك . ولكن الفريق الاكبر من النواب الحوا طالبين حضورهُ حينئذٍ وفسَّروا عزلهُ لناظري الحربية والبحريَّة بقولهم ان الصدر الاعظم يشاهد طوابير الجنود تتمرَّن حوالي يلدز فيرى انهُ لا يمكن العود الى الحالة القديمة ما دامت تلك الجنود هناك فسعى في ابعادها عن الاستانة ومرادهُ ان يعين للبحرية ناظرًا يوافقهُ على مرامهِ ويحبس الاسطول العثماني . فاذا حبس الاسطول وذهبت العساكر والجمت ألسنة الجرائد بقانون المطبوعات الجديد سهل حل مجلس المبعوثان وارجاع الحكم السابق . فلما رأى رئيس المجلس الحاحهم طالبين حضور كامل باشا حالاً وايضاحهُ لما جرى قال انهُ سيبلغهُ ذلك تلفونيًّا وينتظر جوابهُ وتوقفت الجلسة ساعة ونصف ساعة ولما وصل جوابهُ عادت الجلسة الى الانعقاد وتلي جوابهُ فاذا هو يقول فيهِ ان اعداد الاوراق اللازمة لذلك وبعض المهام السياسية يضطرانهِ ان يوءجل الايضاح المطلوب الى يوم الاربعاء فلا يستطيع المجيء الى المجلس قبل ذلك اليوم

فزاد النواب حينئذٍ هياجًا ووقف اسمعيل حقي بك مبعوث بغداد وطلب الاقتراع على الثقة بالوزارة او بالصدر الاعظم فاقترع المجلس على احقية طلبهِ فوافق عليهِ بمئة صوت وصوتين وباشروا الاقتراع على الثقة وكُلّم الصدر الاعظم حينئذٍ بالتلفون ان المجلس هائج ضدهُ وان الاغلبيَّة عليهِ لامعةُ فارسل احد ياورانهِ الى الرئيس يقول اذا كان المجلس يرفض تأجيل الايضاح الى يوم الاربعاء فانا اقدم استعفائي وانشر ايضاحي على صفحات الصحف والقي كل تبعة في ذلك على المجلس

اما اعضاء المجلس فقابلوا قول الصدر الاعظم انهُ يستعفي بالتصفيق الشديد وأكمل جمعُ الاصوات على الثقة بالوزارة فنال الصدر الاعظم ٨ اصوات من ٢٠٤ اي ان ١٩٦ مبعوثًا

صوتوا ضده . وزار رضا بك (رئيس مجلس المبعوثان) مساء يوم السبت سراي يلدز وعرض الامر على جلالة السلطان فاستطلعهُ جلالتهُ رأيهُ في هل يرضى المبعوثان بتعيين حسين حلمي باشا صدرًا اعظم فاجابهُ بالايجاب فاصدر جلالتهُ الامر باستدعائهِ واليهِ وناط بهِ تأليف الوزارة . اما شيخ الاسلام فاراد جلالتهُ ان يبقيهُ في منصبهِ لكنهُ اصرَّ على الاستعفاء فطلب جلالتهُ منهُ كشفًا باسماء الذين يصلح تعيينهم لهذا المنصب واختار سماحة ضياء الدين افندي شيخًا للاسلام

ونشرت جرائد الاستانة يوم الاثنين نص الخط الهمايوني بتعيين حسين حلمي باشا صدرًا اعظم وهذا تعريبهُ

وزيري سمير المعالي حسين حلمي باشا

بناء على انفصال كامل باشا بسبب الاحوال الحاضرة وبناء على صداقتكم واهليتكم عهدنا اليكم مسند الصدارة والى ضياء الدين افندي قاضي عسكر روملي مسند المشيخة وكلفناكم بانتخاب بقيَّة النظار وعرض اسمائهم علينا . وحيث ان الزم ما عندنا المحافظة على القانون الاساسي ودوام الامن والسلام في المملكة وعمرانها وسعادة رعايانا واستكمال اسباب الرفاهية فاقصى رغائبنا ان تصرفوا مساعيكم وغيرتكم في سبيل ذلك جعلكم الحق مظهرًا للتوفيقات الالهية

٢٢ محرم ١٣٢٧ عبد الحميد

وأرسل باش كاتب المابين التلغراف التالي الى مجلس المبعوثان

الى رئاسة مجلس المبعوثان الجليل

احيطكم علماً انهُ قد عهد مقام الصدارة مع نظارة الداخلية الى حضرة حسين حلمي باشا ومقام المشيخة الى حضرة ضياء الدين افندي قاضي عسكر روملي كما عهد الى حضرة حسين حلمي باشا تأليف الوزارة الجديدة

فاجتمع حسين حلمي باشا بالرجال الذين اراد تأليف وزارتهِ منهم وبعد بحث طويل تألفت الوزارة الجديدة هكذا

حسين حلمي باشا للصدارة والداخلية

ضياء الدين افندي للمشيخة الاسلامية

رفعت باشا (السفير في انكلترا) للخارجية

حسن فهمي باشا لرئاسة شورى الدولة

علي رضا باشا للحربية

رضا باشا (ناظر الطوبخانة السابق) للبحرية

ضيا باشا للمالية

رفيق بك للعدلية

عبد الرحمن باشا للمعارف

نوردنجيان افندي للنافعة

ماوروقورداتو افندي للمعادن والحراج

ضيا بك (مستشار الصدارة) للاوقاف بالنيابة

وعرضت اسماء النظار على السلطان وصدرت الارادة السنية بتعيينهم ومثلوا بين يدي جلالتهِ يوم الاثنين وحلفوا يمين الاخلاص

وارسل حزب الاتحاد والترقي الى جريدة التيمس تلغرافاً يقول فيهِ انهُ وان كان كامل باشا قد اضطرنا الى اسقاط وزارتهِ بسبب افعالهِ المخالفة للدستور فنحن نرى من الواجب علينا ان نعلن للامة الانكليزية صريحاً ان الواجب على كل صدر اعظم يخلفهُ ان يتبع و يرقي سياستنا الصريحة الحب والوداد لانكلترا طبقاً لمشيئة الامة العثمانية كلها ونحن واثقون مع ذلك ان صداقة انكلترا القديمة العهد العظيمة الثمن لبلادنا لا ينظر فيها الى الافراد بل الى الامة العثمانية باسرها وواثقون ايضاً انهُ يمكن لحكومتنا ان تعتمد على ميل انكلترا اليها لكونها امة صديقة لها

وخلاصة ما جرى ان مجلس المبعوثان تسلَّح بالدستور العثماني واسقط الوزارة سواءٌ كانت تستحق ذلك او لا تستحقهُ فاستدعى جلالة السلطان رجلاً يرضى بهِ مجلس المبعوثان وكلفهُ تشكيل وزارة جديدة وقد تمَّ كل ذلك طبقاً للقانون كأنهُ جرى في انكلترا اقدم البلدان في الجري على الحكم الدستوري وهذا ما تتمناهُ كل امة تريد ان يكون حكمها في يد نوابها

ثم ان الصدر الجديد اتى مجلس المبعوثان في ١٦ فبراير وخطب فيهِ خطبة وجيزة اعرب فيها عن خطة وزارتهِ وهي لا تختلف عن خطة الوزارة السالفة ومدارها بذل الهمة في توطيد دعائم الامن والعدل ونشر التعليم والاحتفاظ بصداقة الدول وحل المشاكل السياسية بالحكمة وحسن التدبير · وكل الذين يعرفون كامل باشا واصالة رأيهِ آسفون لتركهِ مقاليد الحكومة وهم آسفون ايضاً لان ناظم باشا لم يعين في هذه الوزارة وعسى ان يرى فخامة الصدر سبيلاً لضمهِ اليها

مجاري العاصمة

صممت الحكومة المصرية اخيرًا على عمل مجاري العاصمة اي على الاعمال الهندسية اللازمة لتنظيف مدينة القاهرة من مياه الامطار ومما يتجمع في كنف منازلها ونقل كل ذلك الى مكان بعيد في جهة الخانقاه حيث يعالج بطريقة تصيره ماء وسمادًا وتروى به نحو الف فدان من الاراضي الرملية وتسمدها فتصير مثل اجود الاطيان الزراعية . وعزمت ان تزيد عوائد الاملاك في العاصمة حتى تصير عشرة في المئة من ايجارها وهي الآن ٨ وربع في المئة وجمعت الجمعية العمومية واخذت مصادقتها على ذلك

وقد وضع سعادة اسمعيل باشا سري ناظر الاشغال العمومية مذكرة في هذا الموضوع تلاها في الجمعية العمومية هذا نصها بقليل من التصرف

لما كانت الشروط الصحية في المدينة غير مستوفاة حتى في المساكن المستجدة التي فيها خزانات منتظمة لما فيها من العيوب ولما كانت المجاري المعدة لتصريف مياه الامطار لا تعم الا جزءا يسيرًا من المدينة فعند نزول الامطار ولو قليلاً تغطي الاوحال الشوارع والحارات التي لم ترصف في الاحياء الوطنية لكثرة المرور فيها والاحياء التي شوارعها مرصوفة يكون تنظيفها في ايام المطر صعبًا وكثير التكاليف اهتمت الحكومة منذ عشرين سنة بايجاد الدواء الشافي لهذه العلة فقررت استقدام احد المهندسين الاختصاصيين في سنة ١٩٠٦ لتحضير مشروع كافل بتنظيف مساكن المدينة وطرقها بصفة مستديمة فقام هذا الاختصاصي بتحضير المشروع وقد اتمهُ ورفع بهِ تقريرًا الى الحكومة مؤداه ان تسلط المرتفقات والبالوعات التي في المساكن والمساجد وغيرها على مجارٍ توضع تحت دكة الشوارع والحارات وهذه المجاري تصب في مجرى عام يمرُّ بترعة الجبل الى حد عزبة العرب ثم في ترعة اسكندر حتى ينتهي قرب كفر الجاموس . وفي نهاية المجرى العام المذكور تقام طلمبات لرفع المواد الى مجرور آخر مرتفع يمر في ترعة اسكندر حتى يصل الى نقطة في ذيل التلال الرملية شرقي اسبتالية المجاذيب بالخانقاه وفيها تبنى حياض التطهير

وبعد تطهير المواد في الحياض المذكورة واماعتها تستعمل لري مساحة من الاراضي الرملية تبلغ نحو الف فدان وبالنظر لما تحويهِ من العناصر المغذية للنبات فلا شك في جودة المحصولات التي تُنتج منها وقد تقوم بايفاء جزء كبير من نفقات حفظ المجاري وصيانتها

هذا ونظرًا لوجود المدينة في منخفض ولان المواد يلزم توصيلها الى مكان بعيد عنها

فلا يمكن تصريفها بالراحة انما يوجد جزء يمكن تصريف موادهِ بهذه الكيفية في المجرى العام الموصل الى الطيبات وهذا الجزء يشمل جهات العباسية والمطرية ومدينة عين شمس الجديدة وسراي القبة وما جاورها من المساكن

وفيما عدا هذا الجزء فباقي المدينة بما فيهِ جزيرة الروضة (التي ستوصل مجاريها بسحارة تحت النيل الى المجرى العام) تصرف موادها بالطريقة المعلومة في عرف المهندسين بطريقة المناطق وهي تنحصر في تقسيم المسطح الذي يراد تصريف المواد منهُ الى مناطق يعمل لكل منها جهاز يرفع المواد الى مجرى مرتفع يصب في المجرى العام

ولاعتبارات فنية ومالية قد قرَّ الرأي على استعمال الهواء المضغوط في الاجهزة المعدة لرفع المواد في كل منطقة وهذه الاجهزة تتحرك من نفسها وتوضع في باطن الارض حتى لا يشم منها ادنى رائحة

اما الهواء المضغوط فيولَّد بآلات تقام عند فم الترعة الاسماعيلية القديم قرب قصر النيل ومنها يوزع على الاجهزة الرافعة الخاصة بالمناطق المختلفة

ولتصريف مياه الامطار تبقى المجاري الموجودة الآن التي يصب بعضها في الترعة الاسماعيليَّة والبعض الآخر في النيل ثم تعمل مجارٍ اخرى لتصريف مياه الامطار التي تقع في الزيتون وما جاورها في ترعة الجبل اما باقي جهات المدينة فتصرف مياه الامطار منها في مجاري المواد . ومياه الامطار التي تقع في جزيرة الروضة تصرف في النيل

ومن ضمن مشروع المجاري بناء نحو اربعمائة محل للمرتفقات في كل منها عشرة مراحيض وجميع الشوارع والحارات الواقعة في الاحياء الوطنية التي لم ترصف بالمكادام يقضي المشروع برصفها بهِ اذ بدون ذلك لا يمكن منع الاوحال ونزولها في المجاري وسدها حين وقوع الامطار

وقد اشغلت الحكومة كثيرًا مسأَلة المواد اللازمة لبناء المجاري اذ كان يظن في بادىء الامر انهُ يلزم جلبها كلها من الخارج باثمان باهظة ولكنها وجدت في جهة اصوان ما يلزم من الطين الابليز الجيد لعمل الطوب وبرابخ الفخار اللازمة للمجاري لانهُ يلزم ان تكون كلها من الآجر المتين . وتفهم اهمية المسأَلة عند ما يعلم ان المقادير اللازمة هي ٢٥ مليون طوبة و٢٠٠ كيلو متر من البرابخ الفخار

ومن المنظور ان تستغرق اعمال المجاري عشر سنوات على الاقل

ويظن كثير من الناس انهُ عند حفر الشوارع والحارات لوضع المجارير ستسوء الحالة الصحية فلتطمينهم نقول انهُ نظرًا لقلة عرض الحفر وعمقها لا يحصل شيء مما يظن خصوصًا

وان الاتربة تطهر حال استخراجها من تلك الحفر وما كان منها غير لازم للردم فوق المجاري ينقل بعيداً

اما تكاليف المشروع فقدرت كما يأتي

٤٠٠٠٠	جنيه للاراضي التي تروى من المواد بعد تطهيرها واماعتها
٧٤٠٠٠	لعمل حياض التطهير
٣٩٤٨٠	للمجرور العام المرتفع الواصل بين الطلمبات وحياض التطهير
١١٤٤٠٥	للطلمبات التي توضع قرب كفر الجاموس وقوتها ٩٠٠ حصان
١٧٦٨٨٠	للمجرور العام الواصل الى طلمبات كفر الجاموس
٢٤٠٦٨٠	للمجاري الصغيرة وطولها ٢١٨٨٠٠ متراً
٣٢٧٢٠٠	آلات واجهزة الهواء المضغوط
٥٠٨٢٠	وسائط الصرف في جهة الزيتون وما جاورها
٣٥٠٠٠	تحسين وتعديد مجاري صرف مياه الامطار الحالية
١٠٨٨٤٦٥	
٠١٦٣٢٧٠	احتياطي وهو ١٥ في المئة
١٢٥١٧٣٥	والجملة

ويضاف الى هذا المبلغ تكاليف رصف الشوارع والحارات في الاحياء الوطنية غير المرصوفة وهي بحسب تقدير مصلحة اعمال المدينة ٥٠٠٠٠٠ جنيه فتكون الجملة العمومية ١٧٥١٧٣٥ جنيه

وقدرت تكاليف ادارة وحفظ وصيانة اعمال المجاري سنوياً كما يأتي

٩٦٠	جنيه خدمة عملية (دائمة)
١١٨٨	« ظهورات وانفار مياومة لطلمبات كفر الجاموس
١٣٢٠	« « لآلات الهواء المضغوط
١٥٧٠٠	فحم وزيت الخ
٢٧٤٨	خدمة متنقلون
٢١٩١٦	والجملة

وزيادة على ذلك يلزم ان يضاف الى هذا المبلغ ثمن المياه التي تلزم للمراحيض العمومية ولطرد المواد ومنع رسوبها في المجاري . وحيث ان كمية المياه التي تلزم لهذا الغرض سنوياً هي

٨٠٠٠٠٠ متر مكعب وثمن المتر المكعب بحسب شروط شركة المياه هو ٨ مليمات يكون الثمن الكلي ١٤٤٠٠ جنيه ولكن لما كان المنظور ان الشركة تتساهل مع الحكومة حتى تجعل ثمن المتر المكعب ٤ مليمات يكون المبلغ اللازم دفعهُ ثمناً للمياه سنوياً ٧٢٠٠ جنيه وتكون جملة ما يلزم صرفهُ على المجاري سنوياً من ادارة وثمن مياه وحفظ وصيانة ٢٩١١٦ جنيهاً

هذا ويلزمنا ان لا ننسى ايضاً قيمة ما سيصرف سنوياً لحفظ وصيانة الشوارع والحارات المزمع رصفها بالمكادام في الاحياء الوطنية وقد قدرت بمبلغ يتراوح بين ٨٠٠٠٠ جنيه و٩٠٠٠٠ جنيه . انتهى

يظهر مما تقدم ان الاموال اللازمة لانشاء مجاري العاصمة تبلغ مليوناً وربع مليون من الجنيهات وان الاموال اللازمة لاستعمالها وحفظها بعد عملها مع ثمن الماء اللازم لذلك تبلغ ثلاثين الفاً الى اربعين الفاً من الجنيهات اي فائدة مليون من الجنيهات وعليهِ فستكون الاموال اللازمة لانشاء مجاري العاصمة واستعمالها وحفظها مليونين وربع مليون ولا يبعد ان تصل الى ثلاثة ملايين من الجنيهات

ولا شبهة ان نظافة العاصمة من الاقذار والادران والاوحال امر لازم ومستحبٌ لذاتهِ فضلاً عن انهُ يقلل امراضها ويزيد صحة سكانها ويرغب السيَّاح في اطالة الاقامة فيها فتربح منهم ربحاً مالياً لا يستهان بهِ

ولا شبهة عندنا ايضاً ان الذي وضع هذا المشروع وقدَّر نفقاتهِ امين يوثق بهِ ولكننا نجد في المشروع امرين حريين باعادة النظر

الاول انا لا نرى وجهاً لجعل مشروع المجاري يعم العباسية والمطرية ومدينة عين شمس الجديدة فان اراضيها رملية تغور فيها المياه بسهولة

والثاني ان في ارض القاهرة وكل اراضي القطر المصري شيئاً لا مثيل لهُ في بلاد أُخرى. والمهندسون الصحيون الذين لا يلتفتون اليهِ بل يبنون احكامهم على ما يرونهُ في اوربا يخطئون. وهذا الشيء هو ان مياه النيل تصعد في الارض على اثر ارتفاعهِ وتهبط على اثر انخفاضهِ فتذيب كل ما في آبار الكنف وتأخذهُ معها حينما تغور في الارض فلا يبقى منهُ شيء ضارٌ ابداً لان التراب افضل المطهرات اما اذا بنيت الآبار مصمتةً فالمبرزات تحتفظ فيها ويجب كسحها حينئذٍ وهو الاسلوب الذي اوجبتهُ الحكومة في كل المباني الجديدة ولعلها اخطأت فيهِ. فهل تدبَّر واضعو هذا المشروع ذلك ورأَوا انهُ لا يمكنهم ان يستفيدوا من هذه الحالة الخصوصية بوجه من الوجوه

الهجاء

اني على كراهيتي للهجاء قدر رأيتني مضطرًا الى انشاء مقالة فيهِ اودعها تعريفهُ وذكر المشاهير من رجالهِ ودواعيهُ واساليبهُ وابيّن ان مدح من يتنكّب المنهج القويم اكبر هجوٍ للمادح وان هجوهُ والتشنيع عليهِ حسنة يتبرّع بها الشاعر على الانسانية بل قربة يتقرّب بها الشاعر من ربهِ

الهجاء سيف الشاعر يجرّدهُ متى غضب وسنانهُ يطعن بهِ اذا حنق بل علاجهُ الذي يعالج بهِ الاخلاق المعتلّة وعقابهُ الذي ينزلهُ باعداء الامانة والوفاء. فكم من كهلٍ (١) رمى بهِ الشعراء في جحيم العار يصلي نارها ما اوقد الناس نارًا وكم من جائر طاغية القوة في جهنم الهمجيّة والوحشيّة وتركوهُ يقاسي من عذابها فوق ما قاسى الضعفاء منهُ. فيا ما امرّ ما انزل ابو نواس بمن قال فيهِ

سيان كسر رغيفهِ   او كسر عظم من عظامهْ
فارفق بكسر رغيفهِ   إن كنت تطمع في كلامهْ

ويا ما اضنك موضعًا القى اليهِ مهجوًا لهُ بقولهِ

خان عهدي عمرو وما خنتُ عهدهْ   وجفاني وما تغيّرتُ بعدهْ
ليس لي مذ حييتُ ذنب اليهِ   غير اني يومًا تغدّيتُ عندهْ

ويا ما احرّ هجو القائل في لئيم

رأى الصيف مكتوبًا على باب دارهِ   فصحّفهُ ضيفًا فقام الى السيفِ
وقلنا لهُ خيرًا فظنّ بأننا   نقول لهُ خبزًا فمات من الخوفِ

ويا ما أوجع هجو القائل في ظالم يتظاهر بالصلاح

قد بلينا بأميرٍ   ظلمَ الناسَ وسبَّحْ
فهو كالجزار فينا   يذكر الله ويذبحْ

ومن نيران الهجاء المتأجّجة هجو ابي العباس الكوراني اهل فاس بقولهِ

مشى اللؤم في الدنيا طريدًا مشرّدًا   يجوب بلاد الله شرقًا ومغربا
فلما اتى فاسًا تلقّاهُ اهلها   وقالوا لهُ اهلًا وسهلًا ومرحبا

وهجو الطرمّاح لبني تميم

(١) الكهل الغني الشحيح

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلّتِ
ارى الليل يجلوهُ النهارُ ولا ارى خلال المخازي عن تميمٍ تجلّتِ
ولو انَّ برغوثاً على ظهر قملةٍ يكرُّ على صفّي تميمٍ لولّتِ

وهجو الخوارزميّ لطبيبٍ

لم ارهُ الاَّ خشيت الرّدى وقلت يا روحي عليكِ السلامْ
يبقى ويفنى الناس من شؤمهِ قوموا انظروا كيف نجاة اللئامْ
ثم تراهُ آمناً سالماً يا ملك الموتِ الى كم تنامْ

وهجو حبيبٍ الطائي ابا الوليد محمد بن ابي دؤاد

أتطمع ان تُعَدَّ كريم قوم وبابك لا يطيف بهِ كريمُ
كمن جعل الحضيض لهُ مهاداً ويزعم انَّ اخوتهُ النجومُ

وهجوهُ لمحمد بن حسن الشاعر

تكلَّم فيَّ من يعلو بذكري ويخفضني بذكريهِ الكلامُ
يلوم على تهاجيهِ الكرامُ وإن لم اهجهُ لام اللئامُ
فكيف تصرَّفت في ذاك حالي تعاورَني من الناسِ الملامُ

وقول جرير

فغضَّ الطرف انك من نميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

المشاهير من المجائين

قلَّ شاعر لم يرشق بنبال المجاء من يحقرهُ او يؤذيهِ من اهل عصرهِ غير ان في الشعراء من تجافى طباعهم ان ترد مواردهُ فاذا ثقل على واحدٍ من هؤلاء امرٌ ما او ضاق صدرهُ عن حال ما عاذ بالمجاء ذاهباً بهِ مذهب الحكيم تفادياً من التصريح باسم المهجوّ واشفاقاً عليهِ من لصوق العار بهِ او تحاميَ اذاهُ ومن ذلك هجو ابي تمام لبعض بني حميد

اذا جاريت في خُلُقٍ دنيًّا فانت ومن تجاريهِ سواهُ
رأيت الحرَّ يجتنب المخازي ويحميهِ عن الغدرِ الوفاهُ
فلا واللهِ ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا اذا ذهب الحياهُ
اذا لم تخشَ عاقبة الليالي ولم تستحيِ فاصنعْ ما تشاهُ

وهجوهُ لمن سرق شعرهُ

مَنْ بنو مجدلٍ مَن ابن الحبابِ ... مَن بنو تغلب غداة الكُلاب (١)
مَنْ طُفَيلٌ مَنْ عامرٌ ومَنِ الحا ... رث أم مَن عُتَيبة بن شهابِ
انما الضيغم الهصور ابو الاشـ ... ـبالِ مناع كل خيسٍ (٢) وغابِ
من عدت خيلهُ على سرح (٣) شعري ... وهو للحين راتعٌ في كتابي
غارةً اسخنت عيون القوافي ... واستحلّت محارمَ الآدابِ

فمن يقرأ مثل هذا الهجو فان كان ممن لهُ علم بواقعة الحال عرف المعرَّض بهم كما يُعرف الشيء بالايماء اليهِ والاَّعدَّ ذلك من باب الحكم والنصائح

وفي الشعراء من اذا خُيب املهُ او رُدَّت شفاعتهُ او لم تُسن جائزتهُ اشتاط غضباً وانقد سخطاً على مَن اخذ عليهِ طريق الوصول الى مقصودهِ حتى تخيلهُ كبريتاً مسّتهُ النار بل باروداً القيت عليهِ الجمار

فهؤلاء حملة لواء الهجاء وناشرو اعلامهِ . ومن مشاهيرهم الحطيئة وابن المنيّر الشاعر وبشّار بن برد الاعمى . والسائب ابو العباس الاعمى الشاعر المكيّ . وعز الدين الاربلي وابن شيرويه الديلي ومحمد بن سعيد القيرواني وابن رشيق وابو سعد الكرماني وابن الجهم والبحتري وابو تمام وابن القطان وابن عُنين وابن بسام صاحب الذخيرة وابن الرومي وابو الطيب المتنبي وجرير والاخطل والفرزدق . ولا يخلو عصر من شاعرٍ يشتهر بقرض الاعراض وهتك الاستار

⁂

مقام الهجاء في الناس

ان للهجاء مظاهر تختلف باختلاف المهجو فتارة يظهر رجلاً مهيباً بل اسداً مفترساً تخشى وثبتهُ او افعواناً تقتل لدغتهُ فاذا سأل أُسئِل واذا شفع شُفِع واذا عتب أُعتب وذلك كلهُ اتقاء شرهِ وحذر الوقوع في لسانهِ . وقد جرى هذا المجرى مروان فانهُ بعد ان كان في نيتهِ ان يحدّ الفرزدق ويسجنهُ قيل لهُ اخطأت فيما فعلت فانك عرضت عرضك لشاعر مضر. فوجه وراءهُ رسولاً ومعهُ مائة دينار وراحلة خوفاً من هجائهِ . ولا غرو «فعداوة الشعراء بئس المقتنى» وبمثل هذا يعظم شأن الهجاء ويعلو امرهُ وتقبل عليهِ الدنيا

ولكن اعلم انهُ لا يراهُ اسداً ولا افعواناً الاَّ ضعفاء الانام او من لهم من الرؤساء فعلات

(١) الكلاب بالضم : ماءٌ جرت فيهِ وقعة بين اخوين شرحبيل وانصارهِ وسلمة وانصارهِ فقتل شرحبيل
(٢) الخيس : غابة الاسد (٣) الابل الراعية

تحت الستار او قبائح تحت الحجاب · وطوراً يظهر طريدة صائد او فريسة سبع او قنص خبيث وذلك متى انزل هجاءَهُ بذي سلطةٍ لا يغلّ يدهُ شيء عن مدها اليهِ بالاذى فقد ينزلهُ من ظهر الارض الى بطنها وقد يقتصر على اذلالهِ بالحبس او التغريب فهذا ابن المنير قد هجاهُ بوري اتابك صاحب دمشق وعزم على قطع لسانهِ ثم شفع فيهِ فنفاهُ · وهذا ابن الجهم قد هجا المتوكل فغرّبهُ الى خراسان ولما انتهى الى شاذياخ نيسابور هجنهُ طاهر بامر المتوكل ثم اخرجهُ فصلبهُ مجرداً نهاراً كاملاً · وهذا الحطيئة القاهُ الامام عمر في البئر لهجوهِ الزبرقان ولم يخرجهُ حتى استعطفهُ بابياتٍ من الشعر · وقد بلغ الهجاء بابن الرومي الى ان دُس لهُ السم في الطعام فكان آخر عهدهِ بالحياة · وقد اورد الهجاء بشاراً حوض المنية قال البطري* كان سبب قتل المهدي لبشار ان المهدي ولّى صالح بن داود اخا يعقوب بن داود الوزير ولاية فهجاهُ بشار بقولهِ :

همُ حملوا فوق المنابر صالحاً   اخاك فضجت من اخيك المنابرُ

فبلغ يعقوب هجاهُ فدخل على المهدي وقال لهُ ان بشاراً هجاك فطلبهُ المهدي فخاف ان يدخل عليهِ فوجه من القاهُ في البطيحة فمات

وممن نصب لهم الهجاء احابيل الهلاك ابو الطيب المتنبي فانهُ لما كان راجعاً من عند عضد الدولة بن بويه الديلمي عرض لهُ عند دير العاقول فاتك بن ابي جهل الاسدي في عدةٍ من اصحابهِ وكان المتنبي في جماعةٍ من اصحابهِ فقتل ابو الطيب وابنهُ محسَّد وغلامهُ مفلح وما جرّ اليهِ الموت الاّ هجاؤهُ لاخت فاتك المذكور

∴

المهاجاة

لكن اذا دارت المهاجاة بين الشاعرين يخلع الهجاء صورة الاسد الوثاب والافعوان المنساب ولا يظهر بمظهر الطريدة او الفريسة بل ينقلب عدوًّا مهاجماً او خصماً مدافعاً · وكلا الشاعرين يتأهب للقاء الآخر ويكرّ عليهِ بكتائب من الاستهزاء والتحقير وبيان المثالب حتى يسوّد اسمهُ ويمزق عرضهُ · وامضى الشعراء هجواً من كان مرّ النفس مترفعاً عن الفحش فانهُ بالبيت الواحد يكاد يسقط بالمهجو عن مقامهِ وهو لا يخرج عن ادبهِ ولا ينحط عن رتبتهِ وذلك كقول زهير يهجو آل حصن

فما أدري ولست اخال ادري   أقومٌ آلُ حصنٍ ام نساءُ

وهذا خير مذاهب الهجاء وانقى اساليبهِ ولا يلتزمهُ الاّ من يحاذر ان يصاب بسهمهِ او يجرح

بمساوئه · وافضل الهجاء ما لا يقبح بالعذارى ان ينشدنهُ في خدورهن · وعندي ان الهجاء الذي يرافقهُ خوف من سطوة المهجو يخرج بحلةٍ طاهرةٍ غير ملوثةٍ بدنس المباذأة والمقاذعة والمقاذفة فان الخوف خير مؤدّب فيكون كالسهم الصائب وقد موّه بالذهب · ومتى كان الهجاء لا يأنف من الفحش ولم يكن وراءهُ ما يخيفهُ كان قلمهُ كقصبة بيت الماء فتنصرف النفوس عن انشاد اهاجيهِ واذا كان في الديوان بيوت دنسة وقصائد بذيئة اعرض الادباء عنهُ اعراض الناس عن الجيف

وفي المهاجاة التي وقعت بين جرير والفرزدق والاخطل ابيات يخجل الكاتب ان يتمثل بها كما يخجل المتكلم ان ينشدها ولاسيما في عصر التهذيب وكان الخليق بهؤلاء الثلاثة ان تكون طريقتهم في الهجو كطريقتهم في علوّ النظم حتى يقتدى بهم في الادب كما يقتدى بهم في اساليب البلاغة وتحبير الكلام . وما احراهم ان يرعى كلٌّ حرمة الآخر ولاسيما وهو يعلم انهُ ينازل من هو كفؤهُ وفي طبقتهِ ولكنها الاعصار تتباين فيها العادات وتتباعد المشارب ولولا هذا ما كنت ترى كلاً منهم يقذف الآخر بماء القذر اقلّ نجاسة منهُ · ولولا هذا ما كان يجري على السنتهم من اللفظ البذيء مثل ما اودعتهُ دواوينهم بل كان كل هجائهم من مثل قول جرير في الاخطل

لو ان تغلب جمّعت احسابها يوم التفاخر لم تزن مثقالا

والحاصل ان الفحش في الهجاء يغضّ من الهاجي فوق ما يغضّ من المهجوّ · وهنا يخطر لي ما جاء في الامثال من قولهم "كلّ اناء يرشح بما فيهِ" ومن قولهم ايضاً "كمالك تحت طيّ لسانك لا تحت طيلسانك"

ومن الاهاجي ما هو كحصاةٍ ترشق على جدار فلا تضرُّ المهجوَّ شيئاً وذلك كأن يهجى المرء بخمول ابيهِ او باحترافهِ الحرف الدنيئة او بسبب وطنهِ وذلك كقول بعض الشعراء في هجو المتنبي

اي فضلٍ لشاعرٍ يطلب الفـ ـضل من الناس بكرةً وعشيّا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما ء وحيناً يبيع ماء المحيّا

وكهجو ابي الفرج الاصفهاني لابي سعيد السيرافي

لست صدرًا ولا قرأت على صد رٍ ولا علمك البكيُّ بشافِ
لعن الله كلَّ نحوٍ وشعرٍ وعروضٍ يجيءُ من سيرافِ

وينتظم في هذا السلك هجو احد الشعراء للمبرّد صاحب كتاب الكامل

سألنا عن ثمالة كلّ حيٍ فقال القائلون ومَن ثمالهْ
فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهالهْ

وكذا هجاء نفطويه لابن دريد اشعر العلماء واعلم الشعراء

ابن دُرَيدٍ بقرهْ وفيهِ عيٌّ وشرَهْ
ويدَّعي من حمقهِ وضع كتاب الجمهرَهْ
وهو كتاب العين الَّا انهُ قد غيَّرَهْ

فلم يغضّ الهجاء من المتنبي ولا السيرافي ولا المبرّد ولا ابن دريد ولم ينزل بواحد منهم عن منصة الكرامة ولا زحزحهُ عن مرتبة الفضل. ألا وان آثارهم شاهدة لهم بطول الباع مكذبة لاهاجيّ حسّادهم. هذا وفيما زيَّنت بهِ اعيان الفضلاء تراجمهم من القاب الاجلال اكبر دليل على ان سهام من يهجوهم قد طاشت واخطأَت الغرض وكذا هجاء الحاسدين يكون

∴

دواعي الهجاء

لا داعية للهجاء النافع في تهذيب الاخلاق كالتوغل في المذام والمساوىء التي تجتاح آلاداب وتهدم اسوار القوانين فهو حينئذٍ كالعقوبة على الجناية. واما ما كان داعيةُ الحسد والغرض منهُ الغض من كبيرٍ فاضل او عالم نافع فلا يأْتيهِ الأمن لاخلاق لهُ من الادب. فهذا عصرنا الذي لا يعدد فيهِ من كسروا قيود الشرائع لم نرَ الشعراء قالوا في واحدٍ منهم اهجوّة تبقى عقوبةً لهم ومن يحذو حذوهم على وجه الدهر. فما كان اسير الاهاجي التي تساق اليهم وتنضي سيوفها على كل مما لهم. فهؤلاء هم احق بالهجاء من ممدوح لا يجيز المادح ومن شحيح لا يجود على فقير. ولو سلك الشعراء هذا المسلك في من يفسدون الاخلاق الكريمة ويدخلون العادات الذميمة ويأْكلون حقوق الناس لكانوا من اعاظم اعوان النجاح واكابر انصار الانسانية ولرُزقوا من حظ الاشتهار ما لا يرزقونهُ في غيرهِ من ابواب الشعر ولنالوا من شرف الاستشهاد باشعارهم ما تنالهُ الآيات المنزلات وكانت هيبتهم في النفوس هيبة الحاكم العادل ومقامهم في الناس مقام المهذب الفاضل. هذا وانَّ الاخلاق والآداب تستصرخ الشعراء والكتّاب ليداووا جراحها بمقالات وقصائد تصور شناعة المثالب وتمثل قباحة المذام وتأبى المروّة الَّا ان يجيبوا والله من وراء الاجر

سعيد الخوري
الشرتوني

الحشوية والوهابية

قلما قام بين المصلحين احدٌ بفكرة اصلاحية او مشروع جديد ولم يقم في وجههِ من ابناء جلدتهِ مناهضٌ ينوص للفتنة كل مناص فيتخذهُ سبةً يتقوَّل عليهِ مختلق الاقاويل وينقل عنهُ مختلف الاحاديث مما هو ليس من الحقيقة في شيء . . فان كان من اهل الحكمة والسداد وُصم بخرق في الرأي او من اولي الخير والصلاح رمي بشبهةٍ في الدين . او كان من حملة العلم الصحيح غمطوا من قدرهِ ولم ينصفوهُ وربما ألَّبوا عليهِ طغمة الجهل وزعانف القوم فيذهبون بارائهِ مذاهب شتى وقد يوقعونهُ في الردى فيجنون على العلم والدين جناية تدور مع الأحقب كما وقع ذلك لكثير من مشاهير المشارقة والمغاربة

على حين ان ذلك المصلح لم يأتِ امرًا اذًا يأباهُ العقل والدين وما ذنبهُ سوى انهُ اتى بما لا عهد لابناء الوسط بهِ او لم يجدوا عليهِ آباءهم . وقد سمَّى حجة الاسلام الغزالي امثال هؤلاء المناهضين حشويَّة . وهم اليوم ضروب فمنهم حشويَّة الدين وحشويَّة العلم وحشوية السياسة

واشدُّ ما لقي المصلحون من شيوخ السوء حشويَّة الدين الجامدين في سبيل الدعوة الى الحق وما نالهم من النكبات ماديًا وادبيًا . ومهما يحاول هؤلاء عرقلة مساعي اولئك او اضطهادهم وظفرهم بامنيتهم في بعض الاحايين فانهم ليحاولون المستحيل في الضغط على تلك الموهبة الفكريَّة التي امتاز بها اولئك المصلحون عن غيرهم من البشر — الميزة التي ولدت لهم اعداء الداء يحسدونهم في السراء والضراء ويرمونهم بما هم منهُ براءٌ كما هو الحال الآن في حشويَّة الدماشقة ورميهم علماءهم الاطهار واحرارهم الاخيار بالوهبنة تارةً والزندقة تارةً اخرى

ألا وان التاريخ يعيد نفسهُ فقد مثَّل لنا رمي هؤلاء الحشويَّة للمصلحين بالوهابيةِ رمي الروافض لاهل السنة بالنواصب وتلقيب القدرية لهم بالجبرة وتسمية الجهميَّة لهم بالمجسمة المشبهة . على ان هذه الاقاويل لا تغمط من قدرهم ولا تحطُّ من علمهم شيئًا بل على العكس من ذلك فانها قد تكون واسطة لرفعة شأنهم وتألق شهرتهم كما قال الغزالي : « واستحقر من لا يحسد ولا يقذف واستصغر من بالكفر او الضلال لا يعرف فاي داعٍ اكمل واعقل من سيد المرسلين (صلعم) وقد قالوا انهُ مجنون من المجانين واي كلام اجمل واصدق من كلام رب العالمين وقد قالوا انهُ اساطير الاولين . . . » ومن ذلك قول ابن حزم : « ومن حقق النظر وراض نفسهُ على السكون الى الحقائق وان آلمتها في اول صدمة كان اغتباطهُ

بذم الناس اياه اشد واكثر من اغتباطهِ بمدحهم اياه ...

بيد اني مع كل هذا وذاك اراني في حاجة شديدة تدفعني الى ان ألفت انظار الجمهور الى انهُ لا يسوغ الاعتماد في مثل هذه الحال على نقول الخراصين من اولئك الطغام الحشوية انصار الحزب القديم او الاخلاد الى الجمود على ما نقل عنهم هؤلاء ومن لفَّ لفهم من الغاغة. اذ لو اخذنا القول على عواهنهِ كما يلقى على مسامعنا جزافاً دون بحث ولا نظر لاختلط الحابل بالنابل والعالم بالجاهل ولم نعد نميز بين من كان في قومهِ مثال الكمال فاتى باعمال عظيمة واحسن صنعاً وبين من كان شرًّا مجسماً فعاث في الارض فسادًا وساء عملاً

وللوقوف على جليَّة الامر يجب ان نقلب صفحات التاريخ وننظر ما أُثر عنهم من نثر وقول وما ابقوا من عمل. ولا يكفي ذلك لمعرفة حقيقتهم تمام المعرفة بل يجب ان نستقرئ حركاتهم ايام حياتهم استقراءً علميًّا دقيقاً ثم بعد ذلك يخول لنا ان نحكم عليهم بعد ان كنا تصورناهم حق التصور فان وجدناهم طبق ما يقال عنهم قبلناهُ وحولنا مجرى افكارنا والا رفضناهُ باخمص اقدامنا وضربنا بهِ عرض الحائط

ومما يجري هذا المجرى وتجدر العناية بهِ واعطائهِ جانباً من التمحيص والتدقيق مسألة (الوهابيَّة) التي طار في عامة الاقطار نبأها واستلمت زمامها (الحشويَّة) فاصبحت تديرها ما شاءت وشاء لها الهوى حتى غمض الحق على طالبيهِ فذهب بين جهل شيوخ السوء واغراض اعداء التجديد. وما كان احرى بهؤلاء ان لا يخوضوا في هذه المسألة فقد آل نبأ الوهابيَّة الى ان صار سمرًا وفكاهات ومن ذلك ان كل من روى من المدرسين او الخطباء احاديث في الشرك جليًّا او خفيًّا يتناجون بانهُ يرمز للوهبنة ويسمونهُ (وهابيًّا) وهكذا اشاعتهم عن غرف القراءة العامة التي أسست في حاضرتنا حديثاً ونوهت بها جرائد سورية وبيروت بانها منتدى الوهابيَّة. ومن النكت الغريبة ان احد الشيوخ عندهُ لوح مكتوب عليهِ كلمة (ياوهاب) وعليهِ أطار نفيس فقيل عنهُ انهُ لم يؤثر هذه القطعة الا لانهُ مغرىً بالوهابيَّة ومغرم. وكذلك من كان اسمهُ (عبد الوهاب) صار يقال لهُ ان اباهُ كان وهابيًّا حتى أثر تسمية ابنهِ باسم زعيم تلك الفئة مع ان زعيمهم يدعى "محمد بن عبد الوهاب" فكان الاجدر تسميتهم (محمديَّة). وهكذا قل عن تلقيبهم الاهرام والمقطم واشباههما بانها جرائد الوهابيَّة. ومثلهُ تشهيرهم بان كل من هاجر من وجه الاستبداد نازحاً عن بلادهِ هو من الوهابيَّة وكذلك ابطال الحريَّة وخطباء الدستور مما يضحك الثكلى ويبكي العاقل

وهكذا الحال الآن فلا نسمع في المنتديات عامة كانت او خاصة الا الوهابية والوهبنة

لكل من انكر منكرًا او ناقش في امرٍ او بحث في مسئلة · وقد عرف الجميع سر المسئلة بل انقلب على القائمين على الوهابيَّة الأمر وانعكست القضيَّة اذ زرعوا في اذهان العامة من الرجال حتى النساء متفرداتهم وما يؤثر عنهم واصبح كثير يدقق في تلك المسائل ويلهج بها ويسائل عنها النبهاء المنورين ليصل الى اصلها · وكثيرٌ من اولي السذاجة والفطرة توهبن بفضل تلك الثورة التي هاج ثائرها منذ عهد غير بعيد

ولقد كان بعض الفلاسفة يسرجدًا باشهار بعض المسائل ولفظ العامة بها او اضطهاد الحكومة لاجلها فيقول : " لا انجع من ذلك لاشهار امرها وادخالها الى كل اذنٍ ودار " وكان يقول : " لو شعر الثائرون في وجه امرٍ والقائمون عليهِ ماذا ينتج ثوبرهم وهياجهم من رد الفعل وانعكاس الامر عليهم لقبعوا رؤُسهم ولم ينبسوا ببنت شفة "

***

قالوا : " الحقيقة بنت البحث " نعم · وهذا ما حدا بي الى ان آتي في هذه العجالة على نتفٍ من حقيقة امر هؤلاء الوهابيَّة ليتبين الرشد من الغي ويعلم اولئك المموهون ان للحق انصارًا وان التاريخ لا يترك كبيرةً ولا صغيرةً الاَّ احصاها · وبعد فمن هم اولئك الذين يُفترى عليهم ما يفترى ؟

هم اولئك الطائفة الحنابلة التي تتمذهب بمذهب الامام احمد وعقيدتهِ لم يخرجوا عنها قيد شبر وهم يتبرأُون من الشرك الجليّ والخفيّ الذي حذر منهُ النبي (صلعم) وهم يعتقدون ان الله سبحانهُ اقرب الى الانسان من حبل الوريد وانهُ على كل شيءٍ شهيد وانهُ امر ان يدعى وحده ُ كما جاء في الاية : " قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن " وفي أُخرى " ادعوني استجب لكم " وانهُ يتوسل اليهِ باسمائهِ الحسنى وصفاتهِ العليا

هم اولئك الذين يقدمون احاديث النبي (صلعم) وآثار اصحابهِ على غيرها ومذهبهم في صفاتهِ تعالى مذهب السلف لا تشبيه ولا تعطيل " ليس كمثلهِ شيءٌ وهو السميع البصير "

هم اولئك الذين على مذهب اهل السنة والجماعة (السلف) يمقتون المعتزلة والخوارج وكل فرقةٍ ليست على مشرب السلف الصالح ولا همَّ لعلمائهم الاَّ البحث في الاصول والفروع ولا لعامتهم الاَّ السعي وراء الاكتساب والاتجار وهم لا يأكلون لحم اخ بغيبة ولا يمشون بنميمة ولا تبدر على أسلات السنتهم بوادر القذف ولا يسلسون لانفسهم العنان فينهمكون في الفحش والموبقات وهم ليسوا بثعالب روَّاغة يمكرون او يخدعون وهم احرارٌ جادون في طلب العلم اينما حلوا وحيثما وجدوا

وانك لا تراهم مرة لاعبين او عابثين وهم يفرون من البدع فرارهم من المجذوم وبالجملة فماذا يقال عن اخلاص قوم عُرفوا بالتمسك في الاسلام وهم في مقدمة كل طوائفهِ ايماناً وايقاناً . ويرحم الله احد الافاضل حيث قال : " لو تجسم الاسلام بانسان لكان اهل نجد رأسهُ "

هذا ما نعرف عنهم كما دلتنا عليهم مصنفاتهم التي ألفها اهل الراي الراجح والعلم الصحيح منهم كما رأينا ذلك في غير واحدٍ من التواريخ التي تبين سيرتهم احسن تبيان كتاريخ (الجبرتي) وغيرهِ . واذا لم تكن هذه الطائفة كما ذكرنا فليأتنا المعاندون ببرهان من كتبهم يناقض ما نسطرهُ هنا او فليدلوا بحجة ما تخالف ما نقولهُ ان كانوا من الصادقين

ليت شعري بما يجيب ذلك المعاند الذي يرميهم بانواع الكفر والضلال اذا قلت : بانهم يقيمون الصلوات الخمس باوقاتها ويؤدون زكاة اموالهم بانصبائها وانهم يصومون شهر رمضان ويزورون البيت الحرام على الطريقة المأثورة ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً

ماذا يكون جوابي اذا رفعت عقيرتي قائلاً انهم فئة يكدون ويكدحون في جهاد هذه الحياة ويفارقون الاهل والاوطان ابتغاء النفع والانتفاع والكسب من الحلال فيتجرون بالعقود المشروعة ولا يتحيلون لشبهاتها بل ولا يرضون ان يعيشوا عيشة الاذلاء الانذال كلاً على غيرهم

نحن نسأل ذلك الرجل الذي يرميهم بشبهة في دينهم : هل رأى واحداً منهم في حانات الخمور ثملاً معربداً او بين اذرع المومسات ضاحكاً مستبشراً ؟ .. او هل يقدر ان يثبت انهم اكلوا اموال الناس بالباطل واختلسوا المدارس باموالها واوقافها

ولقد علم قيامهم بشعائر الدين في حلهم وترحالهم وتصلبهم في ذلك والتورع في معاملاتهم كل من خبرهم كما عرف ذلك منهم معاملوهم من التجار في كل قطر ومصر. بيد انهُ انتقد عليهم مسائل اشتهرت ويرى الجمهور فيها نظراً وقد كثرت عليهم الردود لاجلها وربما كان في تلك الردود شية من الحق ولكن على الباحث ان ينصف . والحق يقال ان زعيمهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يأتِ بشيءٍ من عندهِ وانما دعا الى نصوص ظفر بها وعثر عليها وهي لمن تقدمهُ من الائمة المشاهير ممن سبقوا على عصرهِ بنحو ستمائة سنة

ولا ريب ان من تقدمهُ كانوا ائمة مجتهدين عرفهم التاريخ والمجتهد مأجور باتفاق علماء المذاهب على الاطلاق ولا ينكر على امام مجتهد على كل حال

وانها لكلمة ذهبية فاه بها الامام مالك (رضي الله عنهُ) قائلاً : ما منا إلا من ردَّ او رُدَّ عليهِ الا صاحب هذا القبر (يعني النبي صلعم) والحق ضالة كل احدٍ المنشودة تؤخذ من

اي وعاء خرجت وعن اي صدرٍ صدرت . وما على الراد الاَّ ان ينبذ الهوى والعصبيَّة وان يقف عند حدود آداب الجدل والمناظرة وينظر في اقوال محاوره نظر المنصف الحكيم وكما يجب ان يراجع الردود يجب عليهِ ان ينظر في ردود الردود ليزداد بصيرة وعلماً ويتجلى لهُ الحق تمام الانجلاء

ولئن كان يؤثر عنهم تنطع وغلوٌ في بعض المسائل فما من احدٍ الاَّ وعُدت عليهِ هفوات ما خلا المعصومين . والاصل الاصيل هو الاعتصام باصول الايمان وقواعد الايقان . وعلى فرض تنطعهم وغلوهم فهم لم ينفردوا بذلك اذ لم يخلُ مذهبٌ من متنطعين غالين يرون ما هم عليهِ صواباً وما لغيرهم خطأً إلا ان كل متنطع في اي مذهب كان اول من يبرأُ منهُ المنصفون المعتدلون من اهل مذهبهِ فاحرِ بغيرهم

ويكفي مريد الحق وطالب الانصاف في شأن الوهابيَّة ما كتبهُ شيخ الفقهاء الحنفيَّة بمصر المؤرخ الشهير الامام الجبرتي فليتتبعهُ المنصف بدقة وليتأمل ما يقضيهِ العقلاء وما يحكم بهِ المنصفون . وحرامٌ على من لم يراجع تاريخ الجبرتي في شأنهم ان يبهتهم رجماً بالغيب وهو مطبوع ومتداول يمكن ان يستقرىء هذا البحث منهُ في نحو يوم فليمهل الطالب همتهُ ولينزع عنهُ عصبيتهُ ليرى صدق ذلك الفاضل بقولهِ " لو تجسم الاسلام بانسان الخ . . " ويعلم ان بعض الظن اثم

ما كان الجبرتي وهابيًّا ولا نجديًّا ولا حنبليًّا وانما كان حنفيًّا بل مفتي الحنفية في مصر في عهد المرحوم محمد علي باشا الذي حاربهم . ما منع الجبرتي وهو مفتي عاصمة مصر تدر عليهِ مرتبات محمد علي ان يتكلم بالحق في الوهابيَّة ومحمد علي يحاربهم ما احتفظ عليهِ بذلك ولا كادهُ ولا اضمر لهُ السوءَ ولا رمتهُ علماء الازهر بالوهينة مع انتشار كتابهِ في ايديهم والشغف بنسخهِ وعدّ الظفر بهِ من اعظم الكنوز العلميَّة التي تتزين بها المكاتب

لِمَ ذلك يا ترى ؟ . .

لان محمد علي عاقل حكيم منصف محب للعلم والحقائق لا يرى ان حربهم الأَلامر سياسي وهو الاستعمار وان لا حرب في المسائل الدينية ولان العلماء في الازهر أئمة فضلاء يذعنون للحق وينقادون لهُ وهم يرون أمثال ماينشرهُ الجبرتي عنهم حقائق لا تشوبها شائبة وهم ولا إيهام

وبعد فلسنا نقول ذلك تشيعاً لهم او تحزباً فان ذلك من شأن المتعصبين الجامدين بل دلالة على مكان المدح وحذراً من بخس الناس اشياءهم واستبراء للدين من قذف البريء وبهت المؤمن وفي ذلك عبرة لقوم يذكرون

باحث دمشقي

ندوة العلماء ودار العلوم

انشأ مسلمو الهند جمعيَّة علميَّة دينيَّة سموها ندوة العلماء وقد اهتمت هذه الندوة بانشاء مدرسة كبيرة سمتها دار العلوم واحتفلت في آخر شهر نوفمبر الماضي بوضع حجر زاويتها. وقد وصفت ذلك مجلة البيان التي تطبع في مدينة لكنؤ ببلاد الهند فقالت ما خلاصتهُ

عقدت حفلة ندوة العلماء في ٢٨ و٢٩ و٣٠ نوفمبر الفارط في مدينة لكنؤ فامها المسلمون من كل الاصقاع من الامراء والعلماء والوجهاء وكانت الحفلة ببهجة لم يرَ الناس مثلها في حسن انتظامها وبلاغة ما أُلقي فيها من الخطب الداعية الى نشر المعارف واعادة مجد العربية في بلاد الهند ومحو المراسم والبدع التي تجري عليها العامة باسم الدين ورفع الخصام الملي واصلاح ذات البين وتوطيد الاخاء والوئام بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم. وتمت الحفلات ولم يحدث فيها ما يريب ذوي الالباب او يشين الجمعية المعروفة بندوة العلماء

وقد اجتمع في هذا الاحتفال جمهور كبير من صنوف الناس فيهم المسلمون والافرنج والهنود وكان بين المسلمين اهل السنة وعلماؤهم والشيعة ومجتهدوهم والمقلدون والمستقلون والصوفيَّة والاحناف والوهابية والمتفرنجة. وهو اول اجتماع ديني حفل اهل المدن المختلفة كأنما هو طاقة رياحين مختلفة نفحاتها والوانها

ولما حانت الساعة المعينة اتى الوالي السرجون هويت وقرينتهُ فاستقبلهما اعضاء الندوة واتوا بهما الى الدكة المقامة لجلوسهما فجلسا على كرسيين من الفضة وافتتح الاحتفال بعد ان تلا القارئ آيات من القرآن الحكيم وقُدمت الى الوالي عريضة الحال فاجاب عنها بخطبة مسهبة اثنى فيها على الخطة التي سارت عليها الندوة من رفع الخصام ونشر المعارف الحديثة ممزوجة بعلوم الدين وعدَّ اعضاء الندوة من مخلصي دولتهِ. وقام بعد ذلك مع جماعة من وجهاء المسلمين ووضع حجر اساس المدرسة

اما عريضة الحال التي قدمتها الندوة اليهِ فهذا نصها على ما في مجلة البيان

مولانا الاكرم: نحن اعضاء ندوة العلماء نرحب بكم من حيث كونكم نائب الحكومة في هذه الايالة ونشكركم على اجابتكم دعوتنا لوضع حجر اساس دار علوم الندوة فيشكركم على ذلك كافة المسلمين فان الندوة كأنها لسان حال الامة ولا يوجد قيد شبر من الارض الاَّ وفيهِ انصارها وحماتها وقد استبان بهذا ما للدولة الانكليزية من التسامح الديني الذي هو من مزايا الامة الانكليزية خاصة والذي هو ملاك والحكومة عمودها فان الندوة ليست الاَّ جمعية دينيَّة

مولانا الاكرم : نحن نستدعي من حضرتكم ان تسمحوا لنا بابداء مطالب الندوة وطوارئها التي من احد مظاهرها الجلية دار علومنا هذه

مولانا الاكرم : ان المسلمين منذ وجدوا الى يومنا هذا لم تزل فيهم طائفة تلقّب بلقب العلماء وهم قادة الحزب الاسلامي في امور الدين واحكامهِ والامة كانت تقفو اثرهم وتتبع هداهم في كل ما يتعلق بالدين ولو في امور الدنيا وكانوا انموذجاً لتمدن الاسلام ومكارم اخلاقهِ. والامر الذي استوجب وجود هذه الطائفة هو ان ما تتقوم بهِ جنسية المسلمين ليس خصوصية الاقليم ولا الشعب ولا الامرة كما هي للامم الاخرى بل كل من اعتنق دين الاسلام يحصل لهُ كل ما كان للمسلمين قاطبةً على اختلاف جنسيتهِ وعشيرتهِ ومبدئهِ ولما لم يكن للمسلمين حزب ليختص بدعوة الدين كانت الامة تحتاج الى مثل هذه الطائفة لكي لا تحيد عن قصد المحجة وهذا الامر دعي الى ان نشأت طائفة كبيرة من العلماء لا يقل عددهم عن امثالهم في الامم الاخرى. ومن مزية امم الاسلام ان العلم كان فيها يكتسب لاجل العلم فقط مع صرف النظر عن كل مرعًى . وغاية ما في هذه الامة من احترام العلم والخضوع لهُ والتفاني فيهِ امر لا تشاركها فيهِ امة حتى ان الرؤُوس المتزينة بالتيجان كانت تخضع لهُ كرامة والحق ان تأخر الامة ما كان الّا بعد ما فقدت هذه الطائفة مزاياها فذهب ما كان لها من المكانة عند القوم وحينئذٍ حرمت الامة من قيادتها وتبدد نظامها وعند ذلك اشتغلت هذه الطائفة بمحقرات الامور وبلغ الحال الى ان رفعت الشكاوي الى المحاكم السلطانية فقام حينئذٍ حزب من العلماء لسد الخلل واقامة معالم الاصلاح وكان من اول مظاهرهم هذه الجمعية المسماة بالندوة انعقدت حفلتها الاولى في كانفور سنة ١٨٩٣ م وفي سنة ١٨٩٨ م صادقت الحكومة عليها رسميًّا وبلغت حفلاتها اثنتي عشرة حفلة اجتمعت فيها العلماء وعامة الناس على اختلاف اهوائهم واذواقهم . اما مطالب الندوة فتنحصر معانيها في اربعة امور

(١) ترقية المدارس العربية واصلاحها

(٢) رفع المخاصمات الدينية

(٣) اصلاح امور المعاشرة والاخلاق

(٤) نشر الاسلام وكل ما يتعلق بالمنافع العمومية

في بدء الامر ظهر الترحيب بالندوة من جميع الامة كافة فتوسعت حينئذٍ في مطالبها وكان من اول مساعيها انها اجتهدت في رفع الخصام الحادث في احزاب الامة واصلاح ذات البين وفازت في ذلك الى حد لا يستهان بهِ وكذلك سعيها بتخفيض نفقات عوائد الفرح والالم

لم يذهب ادراج الرياح ثم ان الندوة اقامت دارًا للافتاء في لكنوء ومحلاً للايتام في كانفور

ولكن كان اهم مطالبها امر التعليم لأُصلح ما فسد منهُ ليكون سببًا لوجود شرذمة تهدي الناس في الامور الدينية · ومن البيّن ان التعليم الصحيح هو الذي يزيل كل داء اعترى الامة وعجزها عن سبيل رقيها ونظرًا الى ذلك اسست الندوة في سنة ١٨٩٨ م مدرسة سمتها بدار العلوم كانت في اول الامر مدرسة ابتدائية ثم تحولت الى كلية في سنة ١٩٠١ م وصارت كأنها اساس جامعة دينية

ولما كان امر التربية اعظم خطرًا من التعليم تأسست دار اقامةٍ للطلبة

ولكن كان من شؤم الحظ ان الامة لم تقدر مسعى الندوة حق قدرهِ فالفئة القديمة اساءت الظن ان ادخال الفلسفة الجديدة في نصاب التعليم يورث وهنًا في الدين حتى الفت كتب ورسائل في تكفير حزب الندوة

وفوق ذلك ان الناشئة الجديدة ايضًا كانت تتقاعد عن الاخذ بناصرنا فانها كانت تحسب ان الندوة تقيد حرية الافكار وكانوا عاجزين عن فهم منافع احياء العربية اصلاً ومع ان الندوة كانت درية لسهام كلتا الطائفتين لم تزل لها قدم ولزمت محجتها واختارت لنفسها جادة وسطًا فرتبت نصابًا جديدًا رجح فيهِ جانب الادب والعلوم الدينية ومع ان دار العلوم لم يمضِ عليها ردح من الزمان انشأت تلاميذ يقدرون على ارتجال الخطب من غير روية وهذا شيءٌ لم يسبق لهُ مثيل وكان يعد امرًا نادرًا في ابان الحكومة الاسلامية ايضًا وقد اضفنا في نصاب التعليم الفلسفة الجديدة وكانت هذه بدعة تعد كفرًا في المدارس القديمة · ومما زادت الطين بلة انا ادخلنا في نصابنا تعليم اللسان الانكليزي لزومًا فكان من ثمرتهِ حرمان الندوة من بعض المساعدات المالية حتى ان بعضًا منهم استرجع ارضًا كان وقفها على دار العلوم ولم نالُ جهدًا في الاستفادة مما لاهل الغرب من الاكتشافات الجديدة في العلوم العربية

وخزانتنا تحتوي على اكثر ما كتبهُ المستشرقون في امثال هذه المسائل وعلى كتب غير هذه تصلح ان تكون زينًا لكل متحف علمي وتلامذتنا لهم مزيد شغف في الاستفادة عن تلك الخزانة ويوجد فيهم من يكتب في مجلة الندوة مقالات علمية يستحق التنويه بها

والآن اردنا ان تنشئ لجنة يكون اعضاؤها تلامذة مدرستنا الذين يقفون حياتهم على الفحص عن المسائل العلمية المهمة

فبناء على ما توارثنا من آبائنا لا نأخذ للتعليم اجرة ونريد ان نوسع نطاق التعليم حسبما تعيننا على ذلك المساعدات المالية ومن اهم مزايا مدرستنا ان الذين بقوا على الحيادة عن

المدارس الدولية لاجل التعصب الديني او لاجل عدم الثروة لا يخون الا الى مثل التعليم الذي اختارتهُ الندوة فانها جعلت تعليمها تحت سيطرة التعليم الديني

ونحن نجترئ على ان نعرض على مسامعكم ان دار علومنا مع قلة بضاعتها وقصر باعها اربت على امثالها من كلا النوعين بنوع خاص فانهم ابعد ذيلاً عن التقشف وبراءًمن الفخفخة الفاسدة ومع ان مدرستنا لا تقدر على احداث طائفة يصلحون للتوظف في اعمال الدولة ولكن نحن على ثقة ان مدرستنا تنشئ رجالاً يقدرون على اطفاء الثورات الحالية التي تريد امحاء سيطرة الخالق والمخلوق معاً رجالاً يكون من شيمتهم الاستكانة للاكابر والمواساة للجار والتواضع للعامة وفوق كل ذلك الانقياد للحكومة والخضوع لها

فمدرستنا تنفخ في طلبتها روح المسامحة الدينية التي فتحت ابوابها لكل حزب فلم تعتنِ طلبتنا ولا اساتذتهم بالمشاجرات التي حدثت اليوم بين الفئتين العظيمتين من المسلمين وعلماء لجنتنا لا يزالون يدعون الناس الى الخير والصلح فنرجو من دار علومنا والمدارس التي تتبع سبيلها انها تخرّج طلبة سيسودون الامة ويملكون ازمتها مرة اخرى ويحسمون التشاق ويشقون عصا النفاق ويصيحون لتوسعهم في المعارف الحديثة والقديمة واسطةً موصلةً بين الفئة الناشئة وحزب التقهقر العتيق ونحن على يقين من ان المسلمين كما يسلم اذعانهم لحكومتهم يزيدون من هؤلاء العلماء الناشئين طاعة وانقياداً للحكومة . والآن نقدم الى جنابكم ازكى التشكرات حيث تفضلتم علينا بقطعة من الارض لترفع عليها قواعد مدرستنا وبعد ذلك نحن نشكر الذين بلغنا من مساعدتهم ومساعيهم الى هذا الحد ونخصّ من بينهم اولاً سمو النظام امير حيدر اباد الذي نعترف جود امارتهِ من نعومة اظفارنا وان لم نرزق زيارتهُ حتى الآن وبعد ذلك نؤدّي مفترض الولاء الى سمو الملكة اميرة بوفال التي تمنحنا وظيفة سنوية ونبث ايادي امارة باولفور التي رفدت اميرتها غير ما تسمح بهِ امارتها سنوياً بمنحة تساوي خمسين الف روبية هيأتنا لنتشرف بان يضع سعادتكم حجر اساس كليتنا

ونرى من واجباتنا ان نذكر من غير هؤلاء الكرماء الذين اخذوا بايدينا وساعدونا بما توخينا من الخير كرنل خان بهادر عبد المجيد خان وزير خارجية امارة پلياله ونحن نشكر المستراي ال ساندرس والمستراس ايج بطلرمي . اي . اي والمسترال ام جاپانك الذين نصرونا بتحصيل القطعة التي انعمتم بها علينا وفي الختام نحن نشكر جنابكم من صميم افئدتنا حيث نصرتمونا بما ثنيتم الينا من اعنة فضلكم ونعيد مرة اخرى تشكرنا الذي نقدمهُ الى جنابكم حيث قبلتم ان تضعوا يدكم الكريمة حجر الاساس . والآن نسألكم ان تأخذوا بهذا العمل الخطير الذي يبقى على كر الدهر

الحالة المالية

انتهى العام بخسارة على القطر المصري لم تقع في عام من الاعوام السالفة منذ الاحتلال البريطاني الى الآن فان قيمة الواردات زادت فيهِ على قيمة الصادرات نحو اربعة ملايين من الجنيهات فاضطر القطر ان يدفع هذه الاربعة الملايين من النقود التي كانت عندهُ او يستدينها او تبقى ديناً عليهِ · وقد ذكرنا في الجدول التالي قيمة الصادرات والواردات في كل سنة من السنين العشرين الاخيرة

السنة	قيمة الصادرات	قيمة الواردات
١٩٠٨	٢١ ٣١٥ ٦٧٣	٢٥ ١٠٠ ٣٩٧
١٩٠٧	٢٨ ١٠٣ ١٨٥	٢٦ ١٢٠ ٧٨٣
١٩٠٦	٢٤ ٨٧٧ ٢٨٠	٢٤ ٠١٠ ٧٩٥
١٩٠٥	٢٠ ٣٦٠ ٢٨٥	٢١ ٥٦٤ ٠٧٦
١٩٠٤	٢٠ ٨١١ ٠٤٠	٢٠ ٥٥٩ ٥٨٨
١٩٠٣	١٩ ٥٣٩ ٥٢٤	١٦ ٧٥٣ ١٩٠
١٩٠٢	١٨ ٠٤٦ ٩٣٩	١٤ ١٨٤ ٦٨٤
١٩٠١	١٦ ١٥٣ ٩٦٤	١٥ ٢٤٤ ٩٣٨
١٩٠٠	١٧ ١٢٤ ١١٤	١٤ ١١٢ ٣٧٠
١٨٩٩	١٥ ٦٥٨ ٩٥٦	١١ ٤٤١ ٨٠٢
١٨٩٨	١٢ ٠٧٠ ٠١٢	١١ ٠٣٣ ٢١٩
١٨٩٧	١٢ ٥٥٢ ٦٣٩	١٠ ٦٠٣ ٦٧٢
١٨٩٦	١٣ ٤٤٢ ٢٧٩	٩ ٨٢٨ ٦٠٤
١٨٩٥	١٢ ٨٤٦ ٥٩٧	٨ ٣٨٩ ٩٣٣
١٨٩٤	١٢ ٠٧٨ ٣٨٤	٩ ٢٦٦ ١١٦
١٨٩٣	١٢ ٩٥٤ ٣٥٢	٨ ٧١٨ ٧٣٥
١٨٩٢	١٣ ٥٠٥ ٧٩٦	٩ ٠٩١ ٤٨١
١٨٩١	١٤ ٠٢٠ ٣٧٠	٩ ٢٠١ ٣٩٠
١٨٩٠	١٢ ٠٠٤ ٢٥١	٨ ٠٨١ ٢٩٧
١٨٨٩	١٢ ٠٦٦ ٤٩٩	٧ ٠٢٠ ٩٦١

ويظهر من ذلك ان قيمة الصادرات كانت تزيد دائماً على قيمة الواردات ولاسيما في اوائل سني الاحتلال ولم تختل هذه القاعدة الا سنة ١٩٠٥ فزادت قيمة الواردات قليلاً عن قيمة الصادرات ثم كان ما كان في السنة الماضية اذ نقصت قيمة الصادرات عن قيمة الواردات نحو اربعة ملايين من الجنيهات اي ان القطر المصري اضطرّ ان يوفي من قيمة صادراته ثمن كل الواردات اليه ويوفي ايضاً فائدة دين الحكومة ودين الاهالي للبنوك فان كان قد اوفى كل ما يطلب منهُ فقيمة الصادرات لا تفي بذلك ولا بدَّ من ان يكون قد استعان بنقود كانت مدَّخرة عندهُ او بنقود استدانها من البنوك . وسيظهر مما يلي انهُ فعل الامرين اي اوفى بقية ثمن الوردات وفوائد الديون من نقود كانت عندهُ ومن اموال استدانها من البنوك

وظاهر الامر ان الحالة سيئة جدًّا لان قيمة الصادرات نقصت عن قيمة الواردات مبلغاً طائلاً ترزح تحتهُ بلاد غنية وهو نحو اربعة ملايين جنيه كما تقدم وفائدة دين الحكومة نحو ثلاثة ملايين ونصف وفائدة ديون الاهالي واقساطها للبنوك نحو ثلاثة ملايين ونصف والجملة ١١ مليوناً من الجنيهات بقيت مكسورة على القطر في العام الماضي

ولكن الحالة المالية ليست في هذه الدرجة من السوء للاسباب الآتية

اولاً . ان قيمة الصادرات تقدَّر في الجمارك المصرية باقل من قيمتها الحقيقيَّة بعشرة في المئة . والقطن منها خاصة جُعل متوسط ثمن القنطار منهُ في العام كلهِ ٢٦٨ غرشاً اي ثمن القنطار المحلوج المرزوم الواصل الى السفن في الاسكندرية لان اجرة حلجهِ وحزمهِ ونقلهِ الى السفن يأخذها اهالي القطر . ولا نبالغ اذا قلنا ان هذا التقدير ينقص عن الثمن الحقيقي عشرين في المئة وكذا ثمن البزرة فاذا اضفنا الى تقدير الجمارك عشرين في المئة لا نكون بعيدين عن الصواب وهذا يجعل الزيادة في ثمن الصادرات اربعة ملايين من الجنيهات على الاقل

ثانياً . ان سكان القطر المصري يكتسبون من السيَّاح والسفن ومما عندهم من الاسهم والسندات سواء كانت من الدين المصري او من القروض والشركات الاجنبيَّة نحو مليوني جنيه في السنة

ثالثاً . ان قيمة الواردات في العام الماضي من الآلات الحديدية ونحوها بلغت نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات واكثرها لسكة الحديد فالحكومة دفعت ثمنها من اموالها الاحتياطية . وجانب كبير من خشب البناء استعملتهُ الحكومة في مبانيها وما بقي من الآلات والادوات والخشب والحجارة ونحوها استعمل في تشييد المباني فهو رأس مال باقٍ في البلاد .

ولا نخطئ اذا قلنا ان الحكومة ابدلت ثلاثة ملايين من اموالها الاحتياطية ودخلها السنوي بآلات وحجارة واخشاب زادت بها ثروة القطر فهي رأس مال فيهِ . وعليهِ يجب ان يضاف الى حساب القطر اولاً اربعة ملايين جنيه من ثمن الصادرات . ثانياً مليونا جنيه مما ينفقهُ السياح والسفن ومما يناله السكان لما عندهم من الاسهم والسندات . وان يطرح من ثمن الواردات ثلاثة ملايين جنيه مما استبدلتهُ الحكومة واضافتهُ الى الثروة العمومية فيصير مجموع الداخل ٢٧ مليوناً من الجنيهات وصافي الخارج ٢٩ مليوناً من الجنيهات فلم ينكسر على القطر والحالة هذه سوى مليونين من الجنيهات استدانهما الاهالي من البنوك

فحالة القطر المالية ليست سيئة جدًّا كما يظهر بادئ بدء وقد كنا نظن انها اسوأ مما ظهر لنا بعد حساب الداخل والخارج على ما تقدَّم ومع ذلك لا يزال السبيل واسعاً لزيادة "الايرادات" وتقليل "المصروفات" والزيادة تقوم بزيادة الاعتناء بالزراعة حتى يزيد محصولها . فلو بُذلت العناية في العام الماضي لاتلاف دودة القطن ومنع تولُّد الندوة لما نقص محصول القطن كما نقص ولما كان نوعهُ واطئاً كما جاء والفرق من هذا الباب وحدهُ يبلغ اربعة ملايين او خمسة من الجنيهات . واذا زاد الاعتناء بحرث ارض الحبوب وتسميدها فلا يبعد ان يزيد محصول الفدان اردبًّا على الاقل وهذا يجعل فرقاً في محصول القمح والذرة لا يقل ثمنهُ عن اربعة ملايين من الجنيهات

واذا اعتنت الحكومة واصحاب الفنادق بترغيب السياح في المجيء الى القطر المصري وقضاء فصل الشتاء فيهِ فلا حدَّ للربح الذي ينالهُ من ذلك فقد احصى بعضهم ان اهالي مصر يسرا يربحون من السياح كل سنة اكثر من ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات . ولا عبرة بما يقولهُ بعض قصيري النظر من ان ربح الفنادق يذهب الى الاجانب لان اموال الفنادق تنفق كلها في البلاد واذا اشترت بعضها مواد آتية من اوربا فتكون قد دفعت ثمنها عن القطر كأنها اخرجتها من قيمة الواردات التي يجب ان نحاسب اوربا عليها

هذه ثلاثة مصادر كبيرة لزيادة الايراد الاول دفع الآفات عن القطن . والثاني الاعتناء بزراعتهِ وزراعة الحبوب على انواعها حتى يكثر محصولها ويجود . والثالث ترغيب السياح حتى يزيد ورودهم الى القطر المصري وتزيد رغبتهم في الاقامة فيهِ

اما تقليل النفقات فلا يكون في مواد الطعام كالحنطة والدقيق والرز والسكر واللحوم على انواعها لانَّ هذه المواد من الحاجيات فاذا كان المستخرج من البلاد لا يكفي لحاجة سكانها فلا بدَّ من جلبهِ من الخارج ولا يكون في مواد الكساء الضرورية لطبقات السكان

ولكنهُ يكون في جلب الصحيح الخالي من الغش من هذه المواد كما سيجيء في مقالة اخرى وفي الكماليات وما لا فائدة منهُ كالخمور على انواعها والتبغ والتنباك . وهاك ثمن ما ورد من هذه الاصناف في العام الماضي بالجنيهات المصرية

الخمر	١٦٦٠٠٢
البيرة	١٠٠٧٤٠
الالكحول	٠٣٩٨٤٧
سائر الاشربة الروحية	١٤٠١٣٤
التبغ	٨٠٨٦٥٧
التنباك	٠٣٢١٤١
السيكار والتبغ المفروم	٠١٩٧٤٤
	١٣٠٧٢٦٥

فهذه مليون وثلث من الجنيهات يمكن الاستغناء عن جانب كبير منها

اما الحبوب على انواعها فمسألتها هامة جدًّا و يظهر لنا انهُ يمكن ان يزيد مقدارها كثيرًا اذا سمدت ارضها بسماد كيماوي يزيد المحصول فقد ثبت لكثيرين ان ما ثمنهُ جنيه من السماد الكيماوي يزيد محصول الذرة نحو ثلاثة ارادب او اربعة و يزيد محصول القمح اردبين او ثلاثة

وقد بلغ ثمن مواد اللباس اربعة ملايين من الجنيهات وبينها اشياء كثيرة يمكن الاستغناء عنها قد لا يقل ثمنها عن مليون جنيه اضف الى ذلك الاثاث الفاخر والطيوب وسائر ادوات الزينة مما يبلغ ثمنهُ نحو مليون جنيه ويمكن الاستغناء عن نصفهِ بسهولة والمرجح انهُ يسهل اقتصاد مليون جنيه من ثمن هذه المواد كلها وسيضطر القطر اضطرارًا الى ذلك اذا بقيت الضيقة المالية على ما هي عليهِ الآن

وزبدة القول ان السنة الماضية سنة غير عادية في نقص قيمة صادراتها عن قيمة وارداتها ولكن خسارتها ليست كبيرة جدًّا كما يظهر لاول وهلة وانهُ اذا توفرت الحكومة والامة على الاعتناء بالزراعة وترغيب السياح في المجيء الى القطر وتقليل النفقات غير الضرورية زادت الثروة العمومية زيادة كبيرة وكل ذلك من الامور الميسورة

المكتشفات الكبيرة ووسائلها الحقيرة

نشرت مجلة البال مال التي صدرت في اول فبراير مقالة للاستاذ رمسن الكيماوي بيَّن فيها كيف ان كثيرًا من المكتشفات الكبيرة كشف ووسائل المكتشفين حقيرة جدًّا وذكر امثلة لذلك من تاريخ الكيمياء فقال ان دلتون ابا الكيمياء كان مدرسًا وكان يبحث في الكيمياء وليس لديهِ سوى ابسط الادوات مما صنعهُ بيدهِ . وهاك مثالاً من التجارب التي جرَّبها فاكتشف بها حقيقة مهمة من الحقائق الطبيعية قال انهُ اخذ كاسًا عادية واسعة من اعلاها ضيقة من اسفلها قطر فوهتها بوصتان ونصف بوصة وعمقها ثلاث بوصات (اي من الاكواب التي توجد الآن في كل بيت) وملأها ماء مما كان في غرفتهِ وحرارتهُ مثل حرارة الغرفة ووضع ثرمومترًا في الماء بصلتهُ التي فيها الزيبق في اسفل الكاس وقصبتهُ الطويلة التي تقرأ عليها الدرجات خارج الكاس . ثم احمى محراك النار الى درجة الحمرة وغطس رأسهُ الحامي في الماء الى عمق نصف بوصة وابقاهُ في الماء نصف دقيقة فقط ووضع بصلة الثرمومتر حيث كان رأس المحراك فوجد ان الماء قد سخن هناك وبلغت حرارتهُ الدرجة ١٨٠ (فهرنهيت) ثم انزل البصلة الى اسفل الكاس فوجد الحرارة هناك بعد خمس دقائق ٤٧ درجة وبعد عشرين دقيقة ٥٢ درجة فاثبت ان الماء ينقل الحرارة من دقيقة الى اخرى خلافًا لما قالهُ الكونت رمفورد العالم الطبيعي قبلهُ

واكثر المباحث الطبيعية التي بحث فيها لم يستعمل لها سوى بعض الخناجر والانابيب وكثيرًا ما كانت تعوزهُ انابيب الزجاج فيستعمل انابيب الخزف بدلاً منها . وقد كانت نتيجة بحثهِ في الغازات والسائلات انهُ توصل الى التعليل البديع المعروف بالرأْي الجوهري اي ان عناصر الاجسام مؤلفة من جواهر تتحد بعضها مع بعض على نسب محدودة فتتكون منها المركبات الكيماوية . وهذا الرأْي او التعليل افاد علم الكيمياء فائدة لا تقدر وصارت بهِ الكيمياء علماً معقولاً

ومن الذين افادوا علم الكيمياء ووضعوا اساسهُ شيل الاسوجي ولعلهُ اكبر العلماء المكتشفين . نشأ في اواخر القرن الثامن عشر وكان فقيرًا سقيمًا واضطرَّ ان يتعاطى بيع الادوية ليكتسب منها ما يسد رمقهُ . ومن مكتشفاتهِ العظيمة عنصر الاكسجين وهو اهم العناصر الطبيعية كلها وقد كان اكتشافهُ اكبر مرغب في المباحث الكيماوية واكتشف ايضًا عنصر الكلور الذي يستعمل في قصر المنسوجات واكتشافهُ مما زاد رغبة العلماء في هذا العلم . وقد

اكتشف هذين العنصرين وليس لديهِ الا ما يوجد في احقر الصيدليات او دكان من دكاكين الادوية من الخناجر والانابيب

ومن مكتشفاتهِ الكيماوية الكثيرة الحامض الهيدرفلوريك والطرطريك والبنزويك والزرنيخوس واللبنيك والشتريك والمليك والاكساليك والعفصيك واكتشف الباريتا وغاز الهيدروجين المكبرت وصنع املاح المغنيسيا وزرنيخيت النحاس واثبت ان الهواء مؤلف من عنصر يعين على الاشتعال وهو الاكسجين وعنصر يمنع الاشتعال وهو النيتروجين وكان شغلهُ في التحليل والتركيب معاً على غاية الدقة والاحكام مع قلة وسائطهِ كما تقدم

ومن الكيماويين الذين اكتشفوا اكتشافات كثيرة في علم الكيمياء على قلة وسائطهم برزليوس وهو اسوجي ايضاً. وقد وصف وهلر الكيماوي الالماني معملهُ الذي كان يشتغل فيهِ قال وقفت امام بيت برزليوس وقرعت الجرس وقلبي يخفق ففتح لي رجل سمين وهو برزليوس نفسهُ وسار بي الى معملهِ وانا لا اصدق اني وصلت الى حرم العلم الذي كانت نفسي تتوق اليهِ. وكان المعمل غرفتين سادجتين لا غاز فيهما ولا حنفية ماء ولا اتون. وكل ما فيهما مائدتان من الخشب الابيض احداهما لبرزليوس والاخرى معدة لي وكان هناك بعض المواد الكيماوية وحوض من الزيبق وقناديل واناء كبير من الخزف لصب الماء وغسل الآنية وتحتهُ نصف برميل من الخشب يصب الماء الوسخ فيهِ والمطبخ ملاصق للغرفة وفيهِ حمام رملي

هذا هو المعمل الذي اشتغل فيهِ برزليوس واكتشف اكتشافاتهِ الكثيرة ووضع العلامات الكيماوية واكتشف كثيراً من العناصر حتى عدَّ من اكبر واضعي علم الكيمياء الحديث

وليبغ الذي صار اكبر كيماوي في الدنيا كانت وسائطهُ نسيلة مثل وسائط برزليوس ولما جعل استاذاً لعلم الكيمياء في مدرسة جيسن لم يكن في المانيا كلها معمل كيماوي فاستعمل مكان عاف المواشي معملاً وصنع الآلات والادوات اللازمة لذلك وكانت من ابسط ماصنع وجعل يعلم الكيمياء بالعمل واكتشف اكثر مكتشفاتهِ الكيماوية وهو هناك ولما ذاع صيتهُ وعرف فضلهُ ونقل الى مدرسة مونخ الجامعة وتيسر لهُ انشاء معمل كيماوي كبير كثير الآلات والادوات لم تعد اشغالهُ كثيرة ولا مكتشفاتهُ مهمة

ذكر لورد ريلي انهُ زار هيوز مخترع الميكروفون فلم يجد عندهُ من الآلات والادوات التي استعان بها على اختراعهِ سوى بعض علب من العلب التي توضع فيها خيطان الكبريت وقضيب او قضيبين من شمع الختم وبعض المسامير وبطرية صغيرة صنعها من كاس عادية من كؤوس الشرب

وقال الاستاذ رمسن ان الاستاذ رولند الاميركي كان يعمل التجارب الطبيعية والكيماوية في المطبخ ويستخدم كل ما تجدهُ يدهُ من الادوات والآنية . واكثر هؤُلاء العلماء لم يكونوا يعرفون ما تأول اليهِ مكتشفاتهم فلم يخطر على بال دلتن وهو يجري التجارب في الغازات والسائلات انهُ وضع اساس علم الكيمياء ولا على بال شيل ان تجاربهُ تؤَدي الى اكتشاف الاكسجين والكلور وما ينتج عن اكتشافهما علماً وعملاً

وما كان ميسورًا لعلماء اوربا منذ مئة سنة لا يزال ميسورًا لهم ولغيرهم الآن ولكن المكتشفات التي يتيسر اكتشافها بهذه الوسائل الحقيرة قد كشفت كلها ولم يبقَ منها خفيًّا الاَّ ما لم ينتبه لهُ احد. فاذا أُريد الآن اكتشاف شيءٍ لم يكشف قبلاً فلا بدَّ من الالتجاء الى وسائل التحليل والتركيب التي يتعذر وجودها في غير المعامل الكيماوية والطبيعية الكبيرة. ومَن يقرأُ وصف الاعمال التي عملتها مدام كوري وزوجها حتى اكتشفا عنصر الراديوم يجد انهما تعبا على استخلاص هذا العنصر اكثر مما تعب دلتن وشيل على اكتشاف اكثر مكتشفاتهما. ومن يقرأُ عن الاعمال التي عملها مواسان لاجل اكتشاف وسيلة لعمل الماس يجد انهُ تعب في هذا السبيل اكثر مما تعب برزليوس في اكتشاف مكتشفاتهِ كلها وما ذلك الاَّ لان القدماء اكتشفوا ما كان اكتشافهُ ميسورًا ولو كان من الحقائق الاساسية الكبيرة وهذا لا ينفي ان يكون في حيز الخفاء حقائق اخرى جوهرية واكتشافها ميسور وهي مغطاة بقشة كما يقول العامة وتنتظر من يرفع القشة عنها ويظهرها للعيان وقد يكون الرافع لهذه القشة من غير العلماء المتبحرين لكن ذلك نادر لا يبنى عليهِ حكم والغالب ان اكتشاف الحقائق الجديدة يكون بالبحث عنها والاستعداد لها حتى يكون الباحث يقظاً لينتبه الى كل ما يراهُ ولو عثر عليهِ عثورًا

ولم يقفل الباب في وجه طالب علم وباحث عن حقيقة فان اليابانيين على حداثة عهدهم قد اكتشفوا من المكتشفات الكيماوية والباثولوجية والبكتيريولوجية ما يحق لهم ان يفاخروا بهِ. وقس على ذلك الايطاليين والروسيين فلم تنحصر المكتشفات العلمية بالانكليز والفرنسويين والالمانيين والاسوجيين بل بابها مفتوح لكل الباحثين المدققين الذين يطلبون العلم لذاتهِ ويغوصون وراء دررهِ . ولعلنا نحن ابناء الممالك العثمانية من اضعف الناس همة واقلهم اهتماماً بالبحث العلمي فقد اشاع المعمل الكيماوي الخديوي منذ سنوات كثيرة انهُ اكتشف عنصرًا جديدًا اطلق اليهِ اسم المصريوم وحتى الآن لم يعلم خواصهُ ولا حقق وجودهُ

ولا خير في العيدان الاَّ صلابها ولا ناهضات الطير الاَّ صقورها

مناجاة الارواح

نبهتنا اسئلة سُئلناها في الشهر الماضي الى مقالة للاستاذ نيوكم الفلكي الاميركي الذائع الصيت نشرت في جزء يناير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية يظهر منها ان بحثهُ اوصلهُ الى ما اوصلنا اليهِ البحث في ما يقال عن مناجاة الارواح وصدق الاحلام وما اشبه. ثم ردَّ عليهِ السر اوليفرلدج العالم الطبيعي في جزء فبراير من تلك المجلة فرأينا ان نلخص المقالة الاولى والثانية لان الموضوع من اهم مواضيع البحث في هذه الايام

قال الاستاذ نيوكم ما خلاصتهُ : — اذا ادَّعى كبار العلماء انهم اكتشفوا اكتشافاً مهمَّا فالغالب ان الناس يصغون اليهم بالوقار و يقبلون قولهم بالاجلال ما لم تقم عندهم ادلة قوية على نقضهِ او على الشبهة فيهِ وقد شذَّت عن هذه القاعدة دعويان لهما شأن كبير فيحق ان نوجه اليهما نظرنا وهما دعوى تفاعل العقول بعضها ببعض ودعوى فعل المادة بالعقل والعقل بالمادة وما كان من هذا القبيل فانهما قديمتان جدًّا سابقتان لعصر التاريخ والناس ميالون الى تصديقهما ومع ذلك نرى جمهور العلماء ينكرونهما و يعدونهما من قبيل الخرافات القديمة التي اهملها العلماء بعد ارتقاء العقل فقد اهملوا السحر واهملوا معهُ كل ما يقال عن فعل العقول بعضها ببعض بغير واسطة الحواس الظاهرة . ولكن قام الآن اناس من كبار العلماء وقالوا ان اسلافنا لم يخطئوا في ما كانوا يعتقدونهُ من هذا القبيل وان ما نحسبهُ من قبيل الخرافات لهُ اصل حقيقي لا شبهة فيهِ . ومن هؤلاء ثلاثة لهم القدح المعلَّى بين العلماء وهم السر اوليفرلدج والاستاذ برت والسر وليم كروكس . وقد قالوا ان العقول تتفاعل عن بُعد وان نفوس الموتى محيطة بنا وهي تقرع ابوابنا . فاذا كان ذلك من الحقائق المقررة فهو من اهم الامور لانهُ يخرج اعتقادنا ببقاء النفوس من حيز الايمان بما لا يدرك بالحواس الى حيز العلم بما يدرك بها ويجعلهُ من الحقائق العلمية ويفتح لنا مجالاً واسعاً لتربية عقولنا على ادراك ما في عقول غيرنا فنصير نتحادث مهما كانت المسافات شاسعة بيننا ويقرأ بعضنا افكار البعض الآخر كما نقرأ صحف الاخبار . واذا كان الامر كذلك وجب على من ينكرهُ ان يبين الاسباب التي تحملهُ على الانكار والاَّ فسكوتهُ دليل على احتقارهِ لشأن الموضوع

واذ التفتنا الى جمهور الناس رأينا منهم فريقاً صغيراً جدًّا يؤيد ما تقدم من تفاعل العقول ومناجاة الارواح وفريقاً كبيرًا ينكر ما تقدم او يقول انهُ خالٍ من كل دليل . وفريقاً ثالثاً بَيْن بين يصدق الاخبار التي تروى عن تفاعل العقول ومناجاة الارواح ولكنهُ يقول

ان العلم لم يجد لها حلاً حتى الآن وهذا الفريق كبير ايضاً واعضاؤُهُ من اهل العلم

قال الاستاذ نيوكم انهُ لما كان ولدًا كان يحاول جعل امهِ تفتكر بهِ بمجرد افتكارهِ بها فلم يفلح . ثم لما شاعت اعمال المدَّعين مناجاة الارواح منذ خمسين سنة بقرع الابواب والموائد امتحن بعضها فرأى فيها من السخافات ما جعلهُ يهزأ بها و يستخف بهذا الموضوع كلهِ

وسنة ١٨٥٨ احتدمت نار الجدال في جريدة من جرائد اميركا في امر مناجاة الارواح والوسطاء وانتهى الجدال بان واحدًا عرض مبلغاً طائلاً من المال جائزة للوسيط الذي يحرّك مائدة من غير ان يلمسها او يقرأ ورقة من غير ان يراها او يقرع قرعة لا يُعرَف سببها . واشترط ان يكون ذلك امام لجنة يعينها هو . فقبل رئيس المعتقدين بمناجاة الارواح طلبهُ واتى باشهر الوسطاء من اماكن مختلفة . وألّفت اللجنة من ثلاثة وهم الاستاذ لويس اغاسز واستاذان آخران من اساتذة مدرسة كمبردج الاميركية وجرى الامتحان في نزل بوسطن فلم يفلح الوسطاء في شيءٍ واستصغر اولئك الاساتذة انفسهم لما رأوا انهم جلسوا ساعة بعد ساعة ولم يروا شيئاً يستحق الذكر . ولم يعمل الوسطاء الاَّ بعض ما يعملهُ المشعوذون عادةً وكان عذرهم عن فشلهم ان الارواح لا تظهر امام اناس لا يؤْمنون بها . ومن ثم لم يعد الاستاذ نيوكم يعبأُ بما يسمع عن مناجاة الارواح بل كان يقول للذين يكلمونهُ في هذا الموضوع ايتوني بوسيط تعتقدون صدقهُ ودعوني امتحنهُ على انفراد واخيرًا وجد الوسيط المطلوب وهو فتاة اسمها لولو هرست عملت اعمالها المدهشة امام جماعة كبيرة وهو بينهم لكنها لم تدَّعِ انها فعلت شيئاً خارق العادة بل اظهرت كيف فعلت كل ما فعلتهُ . واتضح حينئذٍ ان كل ما سمعهُ الاستاذ نيوكم عنها قبلاً كان من قبيل المبالغة والوهم . وكان هناك جمهور من مخبري الجرائد فصدرت جرائدهم وفيها اغرب الاخبار كأَنَّ الفتاة فعلت اعجب ما يدعيهِ مناجو الارواح

ثم انشئت جمعية اميركية للبحث في المسائل النفسيَّة على نسق الجمعية الانكليزية المنشأة لهذا الغرض وجُعل الاستاذ نيوكم رئيساً لها فبحث ودقَّق وحقق فلم يجد ما يخرج عن حد المألوف او عن حد الافعال الطبيعيَّة المعروفة

ومن غريب الاتفاق ان الخطة التي جرى عليها الاستاذ نيوكم جرينا عليها نحن في حدود الرابعة والسبعين اشتهر امر التنويم المغنطيسي ومناجاة الارواح في مدينة بيروت وكان هناك امرأة ايطالية تدَّعي انها تكتشف الخفايا وتقرأ الافكار و بلغنا عنها امور كثيرة خارقة العادة واخيرًا دُعينا لمشاهدتها مع جماعة من الادباء وقيل لنا انها هي طلبت ذلك لتقنعنا فرأيناها ولم نرَ غير مخافات يستطيعها كل محتال . ثم اشتهر كمبرلند بقراءة الافكار

واستعظم الناس امره ولاسيما بعد ان جاء القطر المصري ورأى الخديوي السابق ورسم صورة كان الخديوي يفكر فيها . ففسرنا فعله في المقتطف قبل ان رأيناه ثم عرض اعماله امام جمهور كبير في نزل شبرد فلم نرَ فيها غير ما فسرناه سابقاً وفسر هو اعماله كما فسرناها نحن على مسمع ذلك الجمهور ومع ذلك سمعنا كثيرين منهم يتحدثون باعماله بعدئذٍ وينسبونها الى قوة روحية تفوق الطبيعة ولا يزالون على اعتقادهم هذا الى اليوم

وبعد ان مهد الاستاذ نيوكم التمهيد السابق طرق الموضوع من جهة اخرى فاشار الى نوعين من البحث بحث فيهما السر وليم كروكس احدهما اكتشافه الاشعة التي تصدر من القطب السلبي في الانابيب المنسوبة اليهِ وهي التي شرحناها في بعض المجلدات السابقة حالما اكتشفها واكتشف ايضاً حركة في بعض المواد لم يعلم لها سبباً . ومرت السنون من غير ان تظهر اهمية هذين الاكتشافين . وسنة ١٨٩٥ اكتشف الاستاذ رنتجن ان بعض الاشعة الصادرة من انابيب كروكس تخترق الاجسام غير الشفافة وتؤثر في الواح التصوير الشمسي وفي نحو ذلك الوقت اكتشف بكرل ان اشعة مثل هذه تصدر من الاورانيوم وللحال تناول العلماء هذين الاكتشافين واشتغلوا بهما في كل مكان ووسعوا نطاق البحث فاكتشفوا الراديوم وفعل الاشعاع وكادت المكتشفات الحديثة في هذا الباب تقلب نظام العلوم الطبيعية رأساً على عقب

هذا من قبيل اكتشاف كروكس الاول والآن ننظر الى ما تم في اكتشافهِ الثاني :—
انشئت جمعية المباحث النفسية قبلما قام رنتجن بعشر سنوات وغرضها البحث عن القوى الخفية وتأثير العقول بعضها ببعض من غير توسط المادة واكتشف حينئذٍ اكتشاف قدر له قلب العلوم العقلية كلها لا سيما وان امتحانهُ بسيط جداً فانهم اجلسوا شخصاً على كرسي واغمضوا عينيهِ ووضعوا في يدهِ قلماً وورقة ووقف واحد وراءه وبيدهِ اشكال هندسية ينظر اليها ويمعن نظره فيها وكلما نظر الى واحد منها صوَّر الرجل المغمض العينين صورتهُ بيدهِ . وظاهر الامر ان عقل الرجل الذي كان ينظر الى الشكل الهندسي اثر في عقل الرجل المغمض العينين فارشد يده الى رسم شكل مشابه له . وأُبدلت الاشكال الهندسية بصور اخرى فصوَّرها الرجل المغمض العينين وظهر من ذلك ان عقل الواحد يؤثر في عقل الآخر من غير وسائط التأثير العادية كالكلام واللمس

ولا يخفى ان هذا العمل بسيط لذاتهِ يسهل اجراؤهُ في كل مكان وفي كل بيت لانهُ لا يقتضي الا ورقة وقلماً من الرصاص لا مثل امتحان انابيب كروكس وما تقتضيهِ من

الآلات الكهربائية الكبيرة الثمينة . فكان المنتظر ان اكتشاف طريقة انتقال الافكار او تأثير العقول بعضها في بعض يذيع ويشيع في كل الدنيا اكثر مما يذيع استعمال اشعة رنتجن بالف مرة وقد مضى الآن خمس وعشرون سنة على هذا الاكتشاف ولكن ما هي نتائجهُ العملية . لا شيء . وما ذلك الأ لان ما قيل عن انتقال الافكار لم يثبت ثبوتاً علمياً ولا دلَّ على ناموس طبيعي يمكن اتباعهُ والجري عليهِ وان اشعة رنتجن وفعلها حقيقة علمية لان كل احد يستطيع ان يولّدها ويستعملها اذا استخدم الآلات اللازمة لتوليدها واستعمالها

اما انتقال الافكار فاذا ظهرت الطرق التي يتم فيها حتى اذا جربها ايٌّ كان نجح كما نجح غيرهُ اي نقل افكارهُ كما ينقل الذين يدَّعون نقل الافكار افكارهم صار انتقال الافكار حقيقة علمية . وقد حاولت جمعية المباحث النفسية معرفة الاحوال التي تنتقل فيها الافكار بالامتحان فوجدت ان الافكار تنتقل تارة ولا تنتقل تارةً اخرى ولم اجد في ما نشرتهُ في السنوات العشر الاخيرة انها تقدَّمت اقل خطوة في هذا الموضوع والظاهر ان النجاح في نقل الافكار يكون على اقلهِ اذا كان التدقيق في تجنُّب الخطإ على اكثرهِ دلالة على ان الخطأ سداهُ ولحمتهُ . وقد كثر الاهتمام بموضوع آخر وهو " التلبثي " اي الشعور عن بُعد او نقل الافكار الى الاماكن البعيدة ولكن ان كانت الافكار تجد صعوبة في الانتقال من انسان الى آخر والبعد بينهما بضع اقدام فكيف تنتقل من مدينة الى اخرى البعد بينهما شاسع جدًّا . وقد رووا حوادث كثيرة من هذا القبيل نشرت في الكتاب المعنون بتخيُّلات الاحياء وهي على هذا النسق :—يهجس انسان او يحلم ان صديقاً او نسيباً اصيب بمكروه ويؤثر ذلك في ذهنهِ تأثيرًا شديدًا حتى يخاف من صدق ما هجس او حلم بهِ . وفي الصباح او حالما يصل البريد يأتيهِ كتاب وفيهِ خبر المكروه الذي اصاب صديقهُ او نسيبهُ في الساعة التي هجس او حلم فيها . وقد اجتهد جامعا ذلك الكتاب وهما الاستاذان غرني وميرس في جمع كل الادلة التي تثبت صحة ما ذكراهُ فيهِ من الاخبار فرأَيا ان كثيرًا منها يدل دلالة قاطعة على علاقة سببيَّة بين الحادثة وشعور من شعر بحدوثها . ولكن أَلا يمكن تعليل ذلك باسباب معلومة غير انتقال الافكار فاذا كان ذلك ممكناً فلا داعي لفرض انتقال الافكار لانهُ لا ينبغي فرض اسباب مجهولة حيث يمكننا تعليل المعلولات باسباب معلومة ولا سيما اذا كانت الاسباب المجهولة بعيدة عن المألوف او عن المحتمل كانتقال الافكار

اما الاسباب التي تدعو الناس الى الاعتقاد بانتقال الافكار فكثيرة اولها مزج الصدق بالكذب على اسلوب يجعل التمييز بينهما صعباً فيدعي الذين يثبتون انتقال الافكار حدوث

امور لم تحدث حقيقةً ولكنهم توهموا حدوثها توهماً لكثرة ما سمعوا عنها كأَن يقولون لك ان فلاناً نوَّم فلانة وهو بعيد عنها وهي لا تدري انهُ يقصد تنويمها في الوقت الذي نامت فيهِ والحقيقة انهُ لم ينومها الاَّ وهي عالمة انهُ يقصد تنويمها في الساعة التي نامت فيها

وثانياً حذف امور مهمة من الخبر لو ذكرت فيهِ لكشفت سببهُ وازالت غرابتهُ . وقد تفحصت مرةً حادثة من هذا القبيل فقد قيل ان سفينة حربيَّة غرقت وغرق ربانها واكثر بحارتها وقبلما سافرت سفرتها الاخيرة هجس احد رجالها انها ستغرق وطلب ان يعفى من البقاء فيها فلم يجَب طلبهُ فعصى امر روِّسائهِ وترك السفينة فحوكم في مجلس عسكري كهارب من الخدمة ثم كان من غرقها ما كان . وقد ثبت لي لدى البحث ان القصة صحيحة بنوع عام ولكن ينقصها امر يزيل كل غرابتها وهو ان ذلك الرجل كان كثير المواجس وقد هجس مراراً كثيرة ان السفينة ستغرق ولم تغرق ولا سافرت سفرتها التي غرقت فيها الاَّ بعد ما خرج منها ببضعة اشهر وقد سافرت سفرات كثيرة بعد ما خرج منها وقبلما سافرت سفرتها الاخيرة التي غرقت فيها . فلما علمت واقعة الحال زالت الغرابة كلها

اذا حدثت حادثة لشخص ما وتأثر شخص آخر بعيد عنهُ وقت حدوثها لا يجوز ان يقال ان التأثير ناتج عنها الاَّ اذا كانت هي حقيقية وكان التأثير غير عادي . وفي اثبات ذلك كلهِ مجال واسع للخطإِ فاننا كلنا معرَّضون للخطإِ في ما نتذكرهُ ولاسيما اذا اردنا ان نعين الوقت الحقيقي الذي حدثت فيهِ الحادثة وحدث فيهِ التأثير . وما اقل الذين يستطيعون ان يتذكروا ما حدث لهم امس او اول امس ساعة بعد ساعة من غير خطإٍ بزيادة او نقصان او ادخال امور حدثت في ايام سابقة . والظاهر ان الذين يكتبون عن انتقال الافكار لا يحسبون حساب ما يقع في ذلك من الخطإِ . والغالب ان الخطأ يمازج الصواب ويبقى كذلك ولا سبيل الى اصلاحهِ . وما ادرانا ان ليس كل الاتفاقات الغريبة هي من قبيل الخطإِ ولا يعلم الخطأ من الصواب الاَّ اذا وجد دليل قاطع على حدوث الحادثة كما وقعت تماماً ويجب ان يكون مكتتباً ومؤرخاً بحيث تنفى كل شبهة وهذا قلما يوجد او لا يوجد مطلقاً

ولا اتذكر الاَّ حادثة واحدة استُشهد فيها بشهادة شخص خارج عن المشتركين فيها فقد ذكر غرني وميرس سنة ١٨٨٤ حادثة جرت للسر ادمند هرنبي قاضي مجلس القضاء القنصلي في شنغاي مفادها ان مخبراً من مخبري الجرائد زارهُ ليلاً وطلب منهُ صورة حكم كان عازماً ان يصدرهُ في اليوم التالي فقام من سريرهِ واملى على المخبر ما كان عازماً ان يقولهُ في الصباح وصرفهُ بعد ان وبخهُ لانهُ اقلقهُ . ولما قام في الصباح ونزل الى المحكمة بلغهُ

ان المخبر المشار اليهِ مات بغتةً في الليلة الماضية ولما بحث عن الساعة التي مات فيها وجد انها تنطبق على الساعة التي تخيل فيها ان المخبر ايقظهُ فقام واملى عليهِ صورة الحكم . وقال غرني وميرس ان زوجة القاضي وافقت على صحة ما قالهُ زوجها

ولما وصل ما نشراهُ الى شنغاي رآهُ بعض العارفين بواقعة الحال فاثبتوا ان بين وفاة المخبر والحلم الذي حلم بهِ ذلك القاضي شهوراً كثيرة وأُخبر القاضي بذلك فأعترف انهُ كان يعتقد صحة ما رواهُ لما رواهُ . وواضح من ذلك ان الحادثة الوحيدة التي تدل دلالة قاطعة بشهادة شاهد على صحة انتقال الافكار وجدت لدى البحث مبنية على الوهم

ولا بد من احصاء الحوادث التي تصدق والتي لا تصدق حتى يعلم هل صدق التي صدقت مبني على سبب او هو من قبيل الاتفاق فاذا وضعنا مليون حبة من حبوب الحنطة البيضاء في كيس ووضعنا معها حبة واحدة سوداء واغمضنا عيني ولد وجعلناهُ يمد يدهُ الى ذلك الكيس ويستخرج منهُ حبة واحدة فالاحتمال انهُ يستخرج الحبة السوداء قليل جداً جداً فاذا مد يدهُ واستخرجها اول مرة استغربنا ذلك ثم اذا اعيدت الى الكيس ومدَّ يدهُ ثانية فاستخرجها ايضاً حكمنا ان الامر خارق العادة فاما انهُ استعمل حيلة ما او توجد جاذبية خصوصية بين يدهِ وحبة الحنطة . ولكن اذا استدعينا ثلاثين مليون نفس وطلبنا من كل واحد منهم ان يمد يدهُ الى الكيس ويستخرج منهُ حبة ثم يردها اليهِ حق لنا ان ننتظر ان اولئك الثلاثين مليوناً يستخرجون الحبة السوداء نحو ثلاثين مرة واذا استخرجوها عشر مرات فقط حكمنا انهُ يوجد سبب يبعد اياديهم عنها او انهُ وقع غلط في عدد المرات . فالمسألة اذاً متوقفة على احصاء المرات التي تصيب فيها الحوادث والمرات التي تخطئ فيها فاذا أُحصيت الحوادث التي وقعت فيها الاصابة واهملت الحوادث التي وقع فيها الخطأ فالحكم المبني على الحوادث المصيبة غير صحيح

وقد ظهر من استقراء جمعية المباحث النفسية ان عشر الناس معرَّض للخيالات والتخيلات والمواجس والاحلام وعليهِ فالذين يتخيلون ويهجسون من بين الناس كلهم يعدون بالملايين الكثيرة فاذا تخيلوا موت اقربائهم وانسبائهم ولم يمت منهم حينئذٍ الا شخص واحد من كل مليون فعدد الذين يموتون حينما يتخيلونهم يجب ان يكون كثيراً . ومعلوم اننا نتذكر ما يصدق من احلامنا وهواجسنا وننسى ما لا يصدق فلا تناسب بين ما يصدق وما لا يصدق . وزد على ذلك اننا اذا حلمنا حلماً ثم حدث ما حلمنا بهِ نعلقهُ بالحلم وزمانهِ ولو حدث بعدهُ ونوفقهُ عليهِ ولو كان مخالفاً لهُ من وجوه كثيرة على غير قصد منا

لما نشرت مقالة الاستاذ نيوكم وتعقبها المستر ستد في مجلة المجلات الانكليزية وعنون

ما كتبهُ عنها بكلام مأثور عندهم وهو " لا اشد عمىً من الذين لا يريدون ان يبصروا " وذكر حادثة جرت له يعتقد انها حجة قاطعة على انتقال الافكار قال ان سيدة من صديقاته تكتب بيده اي تحرك يدهُ حينما تريد مهما كانت بعيدة عنهُ فتكتب ما تملي عليها باسهل مما تكتب هي بيدها . وكانت هذه السيدة قد مضت الى هسلمير مكان يبعد عن لندن نحو اربعين ميلاً واراد المستر ستد ان يعرف هل هي باقية هناك فاخذ القلم بيده ووضعهُ على القرطاس وسألها في ذهنهِ هل رجعت الى لندن فكتبت يدهُ ما ترجمتهُ

"يسوءُني ان اخبرك انهُ اصابني ما غاظني جداً واكاد اخجل من ذكرهِ وهو اني خرجت من هسلمير بعد الظهر بساعتين و ٢٧ دقيقة وكان معي في مركبة سكة الحديد امرأتان ورجل فلما وصل القطار الى غودلمن نزلت المرأتان وبقيتُ وحدي مع الرجل فلما سار بنا القطار قام من مكانهِ وجلس الى جانبي فخفت وابعدتهُ عني فحاول ان يبوسني فقبضت على مظلتهِ وضربتهُ بها فانكسرت وخفت ان يتغلب عليَّ ولكن القطار خفف سيرهُ حينئذٍ لانهُ دنا من محطة غلدفورد فخاف الرجل وتركني ونزل قبلما وصل القطار الى الرصيف وركض هارباً وترك المظلة معي"

قال المستر ستد وارسلت كاتبي اليها وارسلت معهُ كتاباً اقول فيهِ ان ما جرى لها كدرني وطلبت منها ان تحضر مظلة الرجل معها حينما تأتي اليَّ . فكتبت اليَّ الجواب تقول لقد ساءني اطلاعك على ما جرى لاني كنت عازمة ان لا اخبر احداً وسآخذ المظلة معي ولكنها مظلتي لا مظلتهُ

وبمثل هذه القصة يريد المستر ستد ان يثبت ان عقل هذه المرأة يحرك يدهُ من غير ان تشعر هي بما يفعلهُ عقلها . ولماذا لا يفسر ذلك بان الرجل كتب الحادثة كما وقعت في احدى الجرائد ولم يذكر اسمهُ واكتفى بوصف المرأة عن ذكر اسمها (والجرائد الانكليزية تذكر كل ما كان من هذا القبيل) ووقع نظر المستر ستد على الكتابة وهو مشغول بموضوع آخر فنسي انهُ قرأها وتوهم انهُ كتبها بيدهِ وهذا مما يقع لكل احد وهو اقرب الى العقل من ان عقل تلك المرأة يؤثر في يد رجل بعيد عنها اميالاً كثيرة ويفشي له ما لا تريد افشاءهُ وهي غير شاعرة بشيء من ذلك . ولا ندري كيف يسهل على بعض الناس ان يبلعوا جبلاً لكي يتخلصوا من بلع فولة

اما مقالة السر اوليفر لدج فسنأتي على خلاصتها في الجزء التالي

غش البضائع

اشرنا غير مرة الى مخافة البضائع التي يجلبها تجارنا من اوربا و يتاجرون بها في الاقطار الشرقية ولاسيما ما كان منها من نوع المنسوجات · فان المنسوجات الوطنية التي تنسج من غزل وطني تفني الزمان ولا تفنى · وحتى الآن نجد في المدافن المصرية القديمة منسوجات نسجت منذ ثلاثة آلاف سنة او اربعة آلاف سنة او اكثر وهي لم تبلَ بل لا تزال امتن من المنسوجات التي يتاجر بها تجارنا اليوم · والذين يحفظون في بيوتهم اكسية قديمة مما كانت تلبسهُ جداتهم من نسج القطر المصري او الشامي او الحلبي او البغدادي اذا قابلوا بينها وبين المنسوجات التي ترد الآن من اوربا او المنسوجات البلدية المنسوجة من غزل اوربي وجدوا بين الاثنين فرقاً كبيرًا في المتانة وثبوت الالوان · واسباب ذلك معلومة وهي ان المنسوجات الاوربيَّة تقصر وتصبغ بمواد كيماوية تعرضها للبلى الباكر حتى ان بعضها يبلى من نفسهِ ولو لم يلبس او هي محوكة من ادنى انواع القطن والكتان والصوف والحرير وما اشبه · وقس على ذلك اكثر المصنوعات الاوربية التي يتاجر بها في الاقطار الشرقية كالاقفال والسكاكين والامتعة البيتية فانها تصنع من مواد سخيفة ولا يعتنى بعملها حتى تكون متينة

وقد كنا نظن ان هذا الحكم يُطلَق على البضائع الاوربيَّة التي تستعمل في اوربا نفسها كما يطلق على البضائع التي يجلبها تجارنا منها لكننا رأينا بالاختبار ان الامر على غير ذلك فاتفق لنا في سفراتنا الى اوربا اننا اشترينا بعض البضائع منها من الثياب والاحذية ونحوها فوجدنا ان منسوجات فرنسا وانكلترا الحريرية لا تبلى ولو كانت مصبوغة بالصباغ الاسود الذي يبلي الحرير عادةً · وعندنا منها الآن ثياب مضى عليها خمس عشرة سنة ولا تزال على جدتها وهذا شان منسوجات انكلترا وسويسرا الصوفية والكتانية التي اشتريناها منهما فاننا وجدناها تقيم بضع سنوات ولا تبلى ولا يظهر عليها انها عتقت كثيرًا مع ان ما كان شبيهاً بها من المنسوجات التي نشتريها من القاهرة لا يقيم سنة

وقس على ذلك الاجربة والاحذية وما اشبه من المصنوعات الجلدية والمعدنية فان ما يصنع منها في اوربا لاهالي اوربا يكون امتن واجود مما يتجر بهِ في هذه البلاد كأَنَّ التجار يوصون على البضاعة السوقية السخيفة عن قصد لكي تتلف سريعاً او لا يشترون الأَّ بالاسعار الرخيصة فيضطر اصحاب المعامل ان يصنعوا لهم بضاعة سخيفة توافق الثمن الذي يشترون بهِ

وقد اشترى القطر المصري في العام الماضي من المنسوجات القطنيَّة والكتانية والصوفية

والثياب والبسط ونحوها ما ثمنهُ ستة ملايين ونصف من الجنيهات وفي العام الذي قبلهُ ما ثمنهُ سبعة ملايين من الجنيهات هذا عدا المصنوعات الخشبية والجلدية والمعدنية والاشربة الروحية وثمنها خمسة ملايين من الجنيهات . أضف الى ذلك ان اكثر دقيق الحنطة الذي يرد الى القطر مغشوش بدقيق البطاطس ان لم يكن مغشوشاً بغيره . فهذه اثنا عشر مليوناً من الجنيهات يدفعها القطر المصري سنوياً ثمن بضاعة اكثرها مغشوش لا يستعملها اهالي اوربا انفسهم بل تصنع للامم المنحطة التي تطلب الرخيص المزوق مهما كان نوعهُ واطئاً . ولا نبالغ اذا قلنا ان خسارة القطر السنوية من ابتياع هذه البضائع لا تقل عن خمسة ملايين او ستة ملايين من الجنيهات . وعلاج هذا الداء عسير ولكنهُ ليس من المستحيلات وهو يقوم بامور كثيرة

اولها تشجيع الصناعة الوطنيَّة بكل واسطة ممكنة . ولا نعني بالصناعة الوطنية الاقتصار على خياطة الثياب من المنسوجات الاوربية وعلى عمل الاحذية من الجلود الاوربية ونسج المنسوجات من المغزولات الاوربية بل استعمال المواد الاصليَّة الوطنية او التي يمكن جلبها من البلدان المجاورة وهي في حالتها الاصلية قبلما يدخلها الغش فالقطن موجود في البلاد وكذلك الصوف والكتان . والحرير يمكن جلبهُ صحيحاً نقياً من بلاد الشام فاذا نسجت المنسوجات من هذه المواد الاصلية قبلما يدخلها الغش فالثوب الذي يبلى في نصف سنة اذا كان من نسيج اوربي مما يجلبهُ التجار عادة لا يبلى في خمس سنوات اذا كان من نسيج وطني خالٍ من الغش . والجلود موجودة في هذه البلاد وفي بلاد السودان والحبشة وترسل منها الى اوربا فاذا دبغت هنا وصنعت منها الاحذية صنعاً متقناً لم تبلَ سريعاً كالاحذية التي تصنع من جلود اكثرها صناعي اومصبوغ بصبغ يبليها

وليس عندنا معادن لتصنع الادوات المعدنية منها ولا سبيل للغش في المعادن الاصلية ولكن الغش الكثير يقع في ما يصنع منها فان المصنوعات السخيفة او التي لا تكون اجزاؤها على تمام الاحكام لا تقيم مثل المصنوعات المتينة المحكمة

اما تشجيع المصنوعات الوطنية فيكون باعفائها من الرسوم وبفرض استعمالها في كل المصالح والدوائر الاميريَّة فيكون منها ثياب الجنود ورجال البوليس ومستخدمي سكة الحديد والبوسطة وتفرش منها دواوين الحكومة واذا اريد استعمال المصنوعات في دوائر الحكومة كالموائد والكراسي والاقفال ووجد الوطني منها وجب تفضيلهُ على الاجنبي بشرط ان يكون متقناً مثل الاجنبي ومتيناً مثلهُ على الاقل

ومتى جرت الحكومة هذا المجرى في تنشيط المصنوعات الوطنية . اقتدت بها الدوائر

والمعامل الكبيرة التي تستخدم عدداً كبيراً من العمال وزادت رغبة الناس فيها

ثانيها الاكثار من الكلام على هذا الموضوع واظهار الفرق الكبير بين المصنوعات الوطنيَّة والاجنبيَّة من حيث الجودة والفرق بين الجيد وغير الجيد من المصنوعات الاجنبيَّة حتى يصير جمهور الناس يميز الفرق بينهما ويشتري الجيد ويرفض ما سواهُ

وثالثها ترقية آداب التجار بالتعليم والتهذيب حتى لا يبيعوا الاَّ البضائع الجيدة الخالية من الغش سواء كانت وطنية او اجنبية حاسبين ذلك واجباً وطنياً تقتضيهِ الذمة منهم. فان آداب بعض التجار قد انحطت الى درجة تفوق الوصف فتراهم يبيعون القطن حريرًا والنحاس ذهباً وزيت القطن زيت زيتون والزبدة الصناعية زبدة طبيعية ولا يصعب عليهم ان يمزجوا الصابون بنصفهِ تراباً واللبن بنصفهِ ماء

وما قلناهُ عن الديار المصرية يقال عن سائر ولايات السلطنة العثمانية فان قيمة الواردات اليها في السنة من المغزولات والمنسوجات الاوربية نحو عشرة ملايين من الجنيهات واذا كان الغش جارياً في كل جماركها كما كان في جمرك بيروت فلا تقل قيمة هذه البضائع عن خمسة عشر مليوناً من الجنيهات وقيمة الواردات من سائر المصنوعات قد لا تقل عن ذلك فكم تقتصد البلاد العثمانية اذا نشطت صناعتها الوطنية واعتمدت عليها لا سيما وان فيها جميع المواد الاصلية كالحرير والصوف والقطن والجلد والمعادن على انواعها والفحم الحجري والبترول والاسفلت وما اشبه ولماذا تجلب من البلاد الانكليزية كل سنة ما ثمنهُ احد عشر مليوناً من الجنيهات ولا ترسل اليها الاَّ ما ثمنهُ نحو ستة ملايين من الجنيهات وتجلب من بلاد النمسا ما ثمنهُ ستة ملايين ونصف مليون من الجنيهات ولا ترسل اليها الا ما ثمنهُ مليونان من الجنيهات وتجلب من روسيا ما ثمنهُ مليونان من الجنيهات ولا ترسل اليها الا ما ثمنهُ نصف مليون وتجلب من ايطاليا ما ثمنهُ مليونان ونصف مليون وترسل اليها ما ثمنهُ اقل من مليون. هذا امر يجب تدبُّرهُ ولا يحسن ان يوكل الاهتمام بهِ الى الحكومة لان لديها مشاغل كثيرة بل يجب على الامة ان تتدبرهُ وتسعى في اتقان الصناعة الوطنية وترويجها بكل جهدها

وخلاصة المقال ان البضائع التي يجلبها تجارنا من اوربا سخيفة ضعيفة مغشوشة لا كالبضائع التي تستعمل في اوربا نفسها وخسارة الممالك العثمانية بذلك كبيرة جدًّا تقدر بملايين كثيرة من الجنيهات وتقوم مداواة هذه الحال بتنشيط المصنوعات الوطنية وتعليم الناس التمييز بين الجيد وغير الجيد من المصنوعات والصحيح والمغشوش من البضائع. وترقية آداب التجار بالتعليم والتهذيب حتى لا يبيعوا الاَّ البضائع الجيدة الخالية من الغش وطنية كانت او اجنبية

الشعر الوصفي

بينما كنت اتصفح المجلد الثامن والعشرين من المقتطف قرأت في صفحة ٤٣٨ منهُ اقتراحهُ على "ابناء هذا العصر ان يحذوا حذو الثعالبي وابي تمام بجمع ما يستحق الجمع والحفظ من اشعار الذين نبغوا بعد زمانهما الى الآن ولو جاء ذلك في مجلدات. ويجب ان لا يقتصروا على ما اقتصرا عليهِ من الابواب بل ان يذكروا ايضاً ما يدخل في باب الوصف الطبيعي كوصف المدن والمباني والبلدان والرياض والحيوان والنبات والشمس والقمر والغيم والمطر ونحو ذلك ... الخ" وقد جمعت كتاباً سميتهُ (شحذ القريحة في القطعات البليغة الفصيحة) وقسمتهُ الى جزئين احدهما في الشعر والشاعر والفنون الشعرية على اسلوب جديد ومباحث دقيقة في المطالعة والحسن والخيال وتوليد المعاني الخ يقع في نحو ثلاثمائة صفحة بقطع كبير. وثانيهما في المقطعات والقصائد مبوبة على اسلوب جديد يوافق اقتراح المقتطف وينقسم الى وصف العوالم العلوية كالسماء واديمها والسيارات وتوابعها كالقمر سواء كان بدراً او هلالاً والثوابت والشمس ثم الظواهر الجوية كالاقتران والكسوف والخسوف والنيازك والرجوم والمذنبات والفجر والشفق وقوس قزح والبرق والرعد والغيم والمطر والثلج والآل والسراب والظل والنسيم والهواء. ثم وصف العوالم السفلية كالانسان وما يتعلق بهِ والحيوانات على اختلافها والنباتات واشكالها ووصف الرياض والاثمار والازهار ثم وصف الجمادات كالابحار والانهار والغدران والفوارات والبرك والشلالات والخلجان ثم وصف العلوم والفنون والاكتشافات والاختراعات والمدن وما يتصل بذلك مما ملأ نحو الف ومائتي صفحة بقطع كبير. ولقد مثلتهُ بالطبع منذ سنوات ونشرت عنهُ مقالة سميتها (لمحة في الشعر والعصر) جعلتها كمقدمة او فذلكة لمواضيعهِ وطبعتها سنة ١٨٩٨ م ولكنَّ كساد بضاعة الادب يؤخرني عن طبعهِ ولا سيما انهُ يقتضي نفقات كثيرة لكبر حجمهِ ولقد رأيت الآن ان انتخب من بعض مواضيعهِ مثالاً يدل على ما تضمنهُ من الاساليب فاقتصرت على انتخاب فصل من القسم الثاني منهُ وهو في وصف الثالث

من ذلك في وصف الرياض قول بعضهم :

روضٌ بهِ اشياء ليست في سواهُ تؤلفُ
فمن الهزار ترنمٌ ومن القضيب تقصفُ
ومن النسيم تلطفٌ ومن الغدير تعطفُ

وقول الآخر:

والروض قد راق العيون بحلةٍ قد حاكها بسحابهِ آذارُ
وعلى غصون الدوح خضر غلائلٍ والزهرُ في اكمامهِ ازرارُ

وقول ابن الأزرق:

تأملتُ من حسن الربيع نضارةً وقد غرَّدت فوق الغصون البلابلُ
حكت في غصون الدوح قسّاً فصاحةً لتعلم أنَّ النبت في الروض باقلُ

وقول احمد الحلبي الصنوبري:

خجل الوردُ حين لاحظهُ النرجسُ من حسنهِ وغار البهارُ
فعلت ذاك حمرةٌ وعلت ذا صفرةٌ واعترى البهار اصفرارُ
وغدا الاقحوان يضحك عجباً عن ثنايا لثامهنَّ نضارُ
ثم نمَّ النمامِ واستمع السوسنُ لما اذيعت الاسرارُ
عندها ابرزَ الشقيقُ خدوداً صار فيها من لطمهِ آثارُ
سكبت فوقها دموعٌ من الطلِّ كما تسكب الدموع الغزارُ
فاكتسى البنفسج الغضُّ اثواب حدادٍ دخانها الاصطبارُ
واضرَّ السقام بالياسمين الغضِّ حتى آذى بهِ الاضرارُ

وقول ابي الفضل الميكالي:

روضٌ يروض هموم قلبي حسنهُ فيهِ لكأس اللهو ايُّ مساغِ
إن تنثني قضبانُ ريحانٍ بهِ حيث بمثل سلاسل الاصداغِ

وقول بعضهم:

في روضة ابدت ثغورُ زهورها لما بكى فيها الغمامُ تبسما
مدَّ الربيع على الخمائل نورهُ فيها فاصبح كالخيام مخيما
تبدو الاقاحي مثل ثغرِ أشنبٍ أضحى المحبُّ بهِ كئيباً مغرما
وعيونُ نرجسها كأعين غادةٍ ترنو فترمي باللواحظ اسهما
وكذلك المنثورُ منثورٌ بها لما رأى ورد الخدود منظما
والطير تصدح في فروع فنونها سحراً فتوقظ بالهديل النوَّما

وقول الآخر:

ورياض تختال منها غصونٌ في برودٍ من زهرها وعقودِ
فكأنَّ الادواح فيها غوانٍ تتبارى زهواً بحسن القدودِ

وكأن الاطيار فيها قيانٌ ... تتغنى في كلّ عودٍ بعودِ
وكأن الازهار في حومة الروض سيوفٌ تُسَلّ تحت بنودِ

وقول ابي الوليد اسماعيل بن حبيب :

فالارض في بزّة من يانع الزّهرَ ... تزري اذا قستها بالوشي والحبرِ
قد احكمتها اكفُّ المزن واكفةً ... وطرّزتها بما تهمي من الدررِ
تبرّجت فسبت منا العيون هوًى ... وفتنةً بعد طول الستر والخفرِ

وقول علاء الدين بن غانم

فللهِ روضٌ زرتهُ متنزّهاً ... فأبدى لعيني حسن مرأى بلاديا
غدا الغصن فيهِ راقصاً ونسيمهُ ... يكرُّ على من زارهُ متعديا
ترجلت الاشجار والماء خرّدٌ ... نسيم الصبا اضحى بهِ متمشيا
تغني لديهِ الوُرق والغصن راقصٌ ... فيعرق وجه الارض من كثرة الحيا

وقول يوسف بن لؤلؤ :

باكر الى الروضة تستجلها ... فثغرها في الصبح بسّامُ
والنرجس الغضّ اعتراهُ الحيا ... فغضّ طرفاً فيهِ اسقامُ
وبلبل الدوح فصيحٌ على الايكة والشحرورُ تمتامُ
ونسمة الصبح على ضعفها ... لها بنا مرٌّ وإلمامُ
فعاطني الصهباء مشمولةً ... عذراء فالواشون نوّامُ
واكتم احاديث الهوى بيننا ... في خلال الروض نمّامُ

وقول ابن الورديّ يصف وادي الباب او باب بزاعة في نواحي حلب :

ان وادي الباب قد ذكّرني ... جنّةَ المأوى فللهِ العجبْ
فيهِ روح يحجب الشمس اذا ... قال للنسمة جوزي بأدبْ
طيرُهُ معربةٌ في لحنها ... تُطرب الحيّ كما تحيي الطربْ
موجهُ مبتسمٌ مما بكت ... سُحُبٌ في ذيلها الطيب انسحبْ
فيهِ روضاتٌ انا صبٌّ بها ... مثلما اصبح فيها الماء صبّْ
نهرُهُ إن قابل الشمس ترى ... فضةً بيضاء في نهر ذهبْ

ومن وصف الازهار قول مجد الدين الاربلي وقيل انها لجوبان القواس في الورد :

أصغي الى قول الوشاة بجملتي ... مستفهماً عنهُ بغير ملالِ

لتلقطي زهرات ورد حديثكم ... من بين شوك ملامة العذّال

وقول ابي الفتح البستي فيهِ ايضاً :

لا يغرّنك انني لين الملمس فعزمي اذا انتضيتُ حُسامُ
انا كالورد فيهِ راحةُ قوم ... ثم فيهِ لآخرين زُكامُ

وقول بعضهم فيهِ ايضاً :

ارى الورد عند الصبح قد مدّ لي فماً ... يشير الى التقبيل في حالة اللمس
وبعد زوال الشمس القاهُ وجنةً ... وقد اثّرت في وسطها قبلة الشمس

وقول الآخر في النرجس :

وقضب زمرّدٍ تعلو عليها ... عيونٌ لم تذق طعم الغماض
توهمت الغمامَ لها رقيباً ... فنكست الرؤُوس الى الرياض

وقول جمال الدين بن مطروح في الشقائق والبهار مشبهاً :

لما وقفنا للوداع وصار ما ... كنَّا نظنُّ من النوى تحقيقا
نثروا على ورق الشقائق لؤلؤاً ... ونثرتُ من ورق البهار عقيقا

وقول الآخر في الياسمين :

والأرض تبسم عن ثغور رياضها ... والافق يسفرُ تارةً ويقطبُ
وكأنَّ مخضرّ الرياض ملاءةٌ ... والياسمين لها طرازٌ مذهبُ

وقول مهيار الديلمي في الخزامى :

بكر العارض يحدوهُ النعامى ... فسقاكِ الريّ يا دار إماما
وتمشت فيك أرواح الصبا ... يتأرجن بأنفاس الخزامى

وقول ابن الساعاتي في الاقحوان والشقيق والنرجس :

ما الجوُّ الاَّ عنبرٌ والدوح الاَّ ... جوهرٌ والروض الاَّ سندس
صفرت شقائقها فهمَّ الاقحوان ... بلثمها فرنا اليهِ النرجسُ
فكأنَّ ذا خدٌّ وذا ثغر يحاولهُ ... وذا أبدًا عيونٌ تحرسُ

وقول بعضهم في الآس (الريحان) وتفضيلهِ على الورد :

محاسنكم كالورد لوناً وريحةً ... وعما قليل تنقضي مدة الورد
وحبي لكم كالآس في اللون والبقا ... مقيم على الحالين في الحرّ والبرد

ومن وصف الاثمار قول ابن المعتز في الرمان :

يا رب بيت زرتهُ فكأنما قد ضمني من ضيقهِ سجنُ
لم يحسن الرمانُ جمع أحبةٍ في قشرة الأَ كما نحنُ

وقوله ايضاً في النارنج :

وكأنما النارنج في اغصانهِ من خالص الذهب الذي لم يخلطِ
كرةٌ رماها الصولجان الى الهوا فتعلقت في جوّهِ لم تسقطِ

وقول الآخر في الأُترج :

جسم لجين قميصهُ ذهبٌ مركَّبٌ في بديع تركيبِ
فيهِ لمن شمَّهُ وابصرهُ لون محبٍّ وريح محبوبِ

وقول ابن الشقاق في عنب اسود مغطًّى بورق اخضر مرتجلاً :

عنب تطلّع من حشى ورقٍ لنا صبغت غلائل جلدهِ بالإِثمدِ
فكأنهُ من بينهنّ كواكب كسفت فلاحت في سماء زبرجدِ

وقول عبد الرحمن المشهور بابن الحموي في بطيخة مقطّعة وفيهِ تشبيه سبعة بسبعة

يقطّع بالسكين بطيخةً ضحًى على طبقٍ في مجلس لا صاحبهْ
كبدرٍ ببرقٍ قدَّ شمس اهلّةٍ لدى هالةٍ في الأُفق بين كواكبهْ

وقول بعضهم في الباذنجان :

ومستحسن عند الطعام مدحرج غذاهُ نمير الماء في كلّ بستانِ
تطلّع في اقماعهِ فكأنهُ قلوب نعاجٍ في مخاليب عقبانِ

وقول ابن اسرائيل في تفاحة :

حمراء في صورة المرّيخ عاطرةٌ يزري بنشر الحميّا نشرُها العطرُ
اتى بها قاتلي نحوي فهل احدٌ قبلي تمشّى اليهِ الغصنُ والثمرُ

وقول ابن المعتز في الجزر :

انظر الى الجزَر الذي يحكي لنا لهب الحريق
كمذبةٍ من سندسٍ وبها نصابٌ من عقيق

ولهُ ايضاً في القثاء :

انظر اليها انابيباً منضّدةً من الزمرّدِ خضراً ما لها ورقُ
اذا قلبت اسمهُ بانت ملاحتهُ وصار مقلوبهُ اني بكم اثقُ

عيسى اسكندر المعلوف

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

❖ البَيسَة . المِتهَت (سودانيتان) ❖ Oryx beisa

❖ ابو العُرف (سودانية) ❖ Hippotragus equinus. E. Roan antelope. F. Égocère bleu

❖ الثَيتَل ❖ Bubalis boselaphus. E. Bubale hartebeeste. F. Bubale.

نوعٌ من الظباء الكبيرة المعروفة عند العرب ببقر الوحش وهو اشقر اللون طويل الوجه مرتفع الحارك منحدر الكفل . قرناهُ اقصر من قرني الوعل ولا ينعطفان الى الوراء الاَّ قليلاً ويلتقيان فوق رأسهِ وهو ليس جميل المنظر كالمهاة ولذلك قلما نرى لهُ ذكرًا في اشعار العرب . ويوجد في فلسطين وبلاد العرب وشمال افريقية . وفي المتحف المصري في القاهرة حيوانٌ محنط منهُ

ووصف الثيتل في المؤلفات العربية مشوّش جدًّا فهو في الدميري " الذكر المسن من الاوعال " وفي محيط المحيط " الوعل او مسنهُ او ذكر الاروى وجنس من بقر الوحش " وفي كتاب الحيوان للجاحظ " الثيتل شبيهٌ بالوعل " اي انهُ خلاف الوعل (الجزء السادس صفحة ٩٨) وقد ذكر الوعل على حدة في الصفحة نفسها . وفي الدميري ايضاً في باب بقر الوحش " الثيتل جنس من بقر الوحش " وهو الصحيح . وفي لسان العرب " الثيتل الوعل عامة وقيل هو المسن منها وقيل هو ذكر الاروى .... الثياتل تكون صغار القرون والثيتل ايضاً جنسٌ من بقر الوحش ينزل الجبال .... الثيتل من الوعول لا يبرح الجبل ولقرنيهِ شُعَب والوعول على حدة . الوعول كدر الوان في اسافلها بياض والثياتل مثلها في الوانها وانما فرق بينهما القرون . الوعل قرناهُ طويلان يلتقيان من حول ذنبهِ في اعلاه " . فنجد انهُ التبس عليهم امر الثيتل فلا هو من الوعول اي التيوس الجبلية ولا هو متشعب القرون كالأيائل بل الثيتل جنسٌ من بقر الوحش يعرف بهذا الاسم لهذا العهد واللفظة شائعة في السودان ويطلقونها على عدة انواع من كبار الظباء التي يسميها الافرنج Hartebeestes والثيتل الموجود في بلاد العرب نوعٌ منها يسميهِ العرب ثيتلاً في يومنا هذا وقد اخذ الافرنج عنهم هذه اللفظة وسموهُ (١) Titel hartebeeste

(١) The Royal Natural History, II,

وورد ذكر الثيتل في التوراة وهو تأُو او تو بالعبرانية وعرّبت هذه اللفظة في الترجمة الاميركية بالثيتل في تث ١٤ : ٥ وبالوعل في اشعياء ٥١ : ٢١ وحقها ان تعرّب بالثيتل دائماً كما هي في الترجمة اليسوعية

❖ الوحش . النُّوُ (١) (معرّبة) ❖ Connochœtus. E. Gnu or wildebeeste F. Gnou

❖ الغزال ❖ Gazella. E. & F. Gazelle

❖ الرِئم ❖ E. White gazelle. F. Gazelle blanche جنسٌ من الظباء

وهو في حجم الغزال الاعتيادي المعروف ابيض اللون يعرف منهُ نوعان احدهما يوجد في بلاد العرب Gazella marica والآخر في شمال افريقية الى مديريَّة الفيوم جنوباً Gazella leptoceros وكلاهما يعرفان بالرئم الى يومنا هذا (٢) . فاستعمال العرب لهذه اللفظة ينطبق على وصف الرئم في كتب اللغة وهي مجمعة على ان الرئم الظبي الخالص البياض. وظن بوخارت وترسترام وغيرهما ان لفظة الرئم تطلق عند العرب على الوضيحي اي الاركس لان الوضيحي ابيض اللون لكن الرئم عند عرب البادية وفي كتب اللغة نوع من الظباء والظبي عندهم هو الحيوان الذي نسميهِ غزالاً وهو كذلك عند الاشوريين والعبرانيين ولم يطلق العرب هذه اللفظة الأعلى ثلاثة انواع منهُ وهي الآرام والأُدم والعُفر كما ذكر ابن سيده وغيرهُ من ائمة اللغة . اما الوضيحي فهو نوعٌ من بقر الوحش عند العرب ولهُ اسماء كثيرة ذكرت بعضها في العدد الماضي والظباء عندهم على حدة . و يظهر ان لاين من القائلين ايضاً ان الرئم هو الوضيحي وزعم ان لفظة الظبي تطلق على الكبير الحجم من هذه الحيوانات وذلك ليفسّر قولهم ان الرئم الظبي الخالص البياض وارى ان وصف الظبي واضح في كتب اللغة فهو نفس الحيوان الذي نسميهِ غزالاً (٣) . ولعلهُ في زمن ترسترام ولاين لم يكن هذا الغزال الابيض معروفاً فتبادر الى الذهن ان الرئم هو الوضيحي لان هذا ابيض اللون ايضاً و يظهر ان موسوعات التوراة المطبوعة حديثاً اعتمدت على قول ترسترام و بوخارت (٤)

---

(١) كلاهما تعريب المقتطف مجلد ١٩ صفحة ١٩١

(٢) Ad-Damiri by Lt.-Col Jayakar. Sportman's Handbook by Roland Ward.

(٣) انظر لفظتي رئم وظبي في معجم لاين ولا يلتبس على القارىء استعمال لفظة الظبي في الوقت الحاضر فهو اصطلاحيٌّ فقط وقد اطلقها المقتطف على ما يسميهِ الافرنج Antelope وهي تشمل بقر الوحش والظباء المعروفة عند العرب

(٤) Encyclopedia Biblica, Art. unicorn

اما الرئم المذكور في التوراة فهو حيوان آخر خلاف الرئم المعروف عند العرب وقد قامت بسببهِ مشاحنات كثيرة بين العلماء وعبّر عن هذه اللفظة بمعان والفاظ مختلفة في كثير من اللغات التي نقلت التوراة اليها فهي Monokeros في الترجمة السبعينية و Unicornis في الترجمة اللاتينية وكلاهما بمعنى وحيد القرن وهو الحريش عندالعرب . واما في الترجمات العربية القديمة واخصها ترجمة سعيد الفيومي (١) فهي الرئم في بعض الآيات ووحيد القرن والكركدن والجاموس في غيرها . وقد وجدوا بعد البحث ان صفة الكركدن لا تنطبق على صفة الرئم المذكور في التوراة والرأي المعوّل عليهِ الآن هو ان لفظة رئيم بالعبرانية وريمو بالاشورية ورئم بالعربية اطلقها قدماء الساميين على نوعٍ من البقر الوحشي العظيم الجثة وقد باد هذا الحيوان من الشرق فبقيت اللفظة عند العرب واطلقوها فيما بعد على هذا النوع من الظباء من اول عهدنا بتآليفهم الى يومنا هذا وهو رأي القانون ترسترام الا انهُ قال ان العرب اطلقوا هذه اللفظة على الوضيحي وهو ما اخالفهُ فيهِ اذا جاز لي مخالفة عالمٍ مثلهِ . ومما يرجح هذا الرأي وجود الرئم مرسوماً على الآثار الاشورية بشكل ثور عظيم الجثة وعليهِ فقد ابدلوا وحيد القرن في التوراة الانكليزية بالثور الوحشي كما تجد ذلك في الترجمة المنقحة الحديثة

اما في التوراة العربية الحديثة فاللفظة مترجمة بالرئم في بعض الايات وبالثور الوحشي والبقر الوحشي في غيرها ولا اعلم سبباً لهذا الاختلاف فاما ان تبقى كما هي اي الرئم في كل الآيات او تعرّب بالثور الوحشي كما وردت . ثم انهُ يوجد حيوان آخر خلاف الرئم يسمى ديشون بالعبرانية وعرّب بالرئم ايضاً والمرجح عند علماء التوراة انهُ الادكس اي المهاة والآية هي "والرئم والثيتل والمهاة" تث ١٤ : ٥ وارى ان صحة ترجمتها ما يأتي "والمهاة والثيتل والاروية" (انظر المهاة والاروية في العدد الماضي)

ومن شاء زيادة البحث عن الرئم فليراجع ما كتب علماؤهم في هذا الموضوع مثل قواميس التوراة وحيوانات الكتاب المقدس وحيوانات الآثار الاشورية لهوطن ورحلة بروس في الحبشة الجزء الخامس ورحلة دوطي في بلاد العرب وغيرها

﴿ الاعفر ﴾ Gazella arabica. E. Arabian gazelle. F. Gazelle d'Arabie

العفر من الظباء التي يعلو بياضها حمرة وهي قصار الاعناق واضعف الظباء عدواً تسكن

(١) سعيد بن يوسف الفيومي ويسميهِ الافرنج سعديه احد احبار العبرانيين ومن علمائهم المشهورين وكان معاصراً للمسعودي في اوائل القرن الرابع للهجرة

القفاف وصلابة الارض (الجوهري) وهذا الوصف ينطبق على الظبي المعروف عند علماء الحيوان بالظبي العربي ويعرف بالاعفر لهذا العهد (انظر رحلة دوطي الجزء الثاني صفحة ١٤٥)

﴿ الآدَم ﴾ Gazella dorcas. E. Dorcas gazelle F. Gazelle dorcas

الأُدْم من الظباء غبر الالوان تعلوهنّ جُدَد (الجدتان الخطان على جانبي الظبي) طوال القوائم والاعناق بيض البطون سمر الظهور (ابن سيده بتصرُّف) وتعرف بهذا الاسم الى يومنا هذا كما جاء في رحلة دوطي المذكورة آنفاً واما في المغرب فانهم يطلقون هذا الاسم على نوع آخر من الظباء شبيه بالمتقدم ذكرهُ ويعرف عند علماء الحيوان بغزال كوفيه

﴿ الأَدْرَع ﴾ Gazella ruficollis. E. Addra gazelle. F. Gazelle a cou rouge

نوعٌ من الظباء في حجم الغزال الاعتيادي المعروف اغبر اللون احمر العنق والصدر. والادرع في اللغة ما كان لون رأسهِ ونحرهِ مخالفاً للون سائر البدن واظن اللفظة الانكليزية عربية الاصل ولعلّ اهل السودان يطلقونها على هذا النوع من الغزال لكني لم اسمعها منهم والاسم الذي يعرف بهِ هذا الظبي عند علماء الحيوان معناهُ الغزال الاحمر العنق

﴿ الأَرْبَل ﴾ Gazella dama. E. Ariel. F. Gazelle dama جنسٌ من الظباء اكبر من الغزال الاعتيادي المعروف ابيض البطن والكفل. وهذه اللفظة لم ترد في كتب اللغة على ما اعلم ويطلقها اهل السودان على عدة انواع من الغزلان الكبيرة الحجم وجاء في رحلة بركهارت في سورية ان اهل الشام يطلقونها على الأيل وهو محتمل فقد عثرت على كتاب مخطوط لعبدالله بن جبريل بن بختيشوع ذكر فيهِ الايّل عدة مرات بالحبر الاحمر واللفظة منقحة بالاربل بخطٍ غير الخط الاصلي كأن الذي عثر على هذا الكتاب لم تعجبهُ لفظة الايل فاصلحها حسب زعمهِ بالاربل (انظر اربل في وبستر ودوزي)

﴿ الكَتَمْبُور ﴾ . ام حنيت (سودانيتان) Cobus ellypsiprimnus E. Waterbuck. F. Cobe

﴿ الدقدِق ﴾ (سودانية) Madoqua جنسٌ من الظباء الصغيرة وهو في حجم الارنب جميل المنظر جداً الذكر ناصية بين قرنيهِ والانثى جماء

﴿ الإِيَل والأَيِّل (ايّل بالعبرانية وايلو بالاشورية وأيول وأيور بالمصرية القديمة وايولا بالقبطية) ﴾

الايائل Cervus. E. Deer. Stag. Hind. F. Cerf جنسٌ من ذوات الظلف لذكورها قرون متشعبة مصمتة اي لا تجويف فيها كما في قرون الظباء وهي تنسلخ عنها في كل سنة وتتجدد واما اناثها فجماء اي لا قرون لها . والايل المعروف عند العرب والمذكور في التوراة

يوجد في الشام والعراق وشمال افريقية ويسمى عند علماء الحيوان Cervus dama وهو Fallow-deer بالانكليزية وDaim بالفرنسوية

وقد خلط الدميري بين الايّل والوعل الفارسي والمارخور فترجم الكولونل جايكر لفظة الايّل Bezoar goat وحقها ان تترجم كما ذكرت · ولا بأس من ايراد عبارة الدميري قال "الايّل ذكر الاوعال ويقال هو الذي يسمى بالفارسية كوزن واكثر احواله شبيه" بقر الوحش وهو اذا خاف من الصياد يرمي نفسهُ من رأس الجبل ولا يتضرّر وعدد سني عمرهِ عدد العقد التي في قرنهِ (الوعل) واذا لسعتهُ الحية اكل السرطان (عن ارسطو الاّ ان الاخير قال اذا اكل الشبث [1]) وهو مولع باكل الحيات يطلبها حيث وجدها (المارخور حسب زعمهم) وربما لسعتهُ فتسيل دموعهُ الى نقرتين تحت محاجر عينيهِ يدخل الاصبع فيها فتتجمد تلك الدموع وتصير كالشمع فيتخذ درياقاً لسم الحيات وهو البازهر الحيواني (الوعل الفارسي) · · · وهذا الحيوان لا تنبت لهُ قرون الاّ بعد مضي سنتين من عمرهِ فاذا نبت قرناهُ نبتا مستقيمين كالوتدين وفي الثالثة يتشعبان ولا يزال التشعب في زيادة الى تمام ست سنين · · · · وقرنهُ مصمت لا تجويف فيهِ" . وقد اصاب في وصف القرون فقط واخذ ذلك عن كتاب النعوت لارسطو [٢] (الكتاب التاسع الفصل السادس الفقرة الثانية) وسماهُ ارسطو إلافوس باليونانية وهو الحيوان المعروف عند الانكليز بالايّل الاحمر. فالايّل عند العرب هو هذا الحيوان المتشعب القرون وليس الوعل او ذكرهُ كما جاء في كتب اللغة وذلك للاسباب الآتية

اولاً — وردت هذه اللفظة كثيرًا في التوراة وهي نفس اللفظة العبرانية واجمع علماء التوراة على ان المقصود بها هذا الحيوان المتشعب القرون المسمى Cervus dama

ثانياً — يسمى الايّل بلغة اشور ايلو ووجد مرسوماً على الآثار الاشورية متشعب القرون

ثالثاً — يسمى الايل باللغة المصرية القديمة أيول وايور (والراء واللام تتبادلان في هذه اللغة كما فهمت من احمد بك كمال) وهو مرسوم على الآثار المصرية بقرون متشعبة ايضاً

رابعاً — قال اطباء العرب قرن الايل كما قال اطباء الافرنج Cornu cervi وهي الترجمة التي عوّل عليها لوسيان لكلرك في نقلهِ مفردات ابن البيطار الى اللغة الفرنسوية

---

(١) Phalangium

(٢) كتاب نعوت الحيوان لارسطو نقله العرب الى لغتهم والنسخة العربية مفقودة فيما اعلم ويظهر ان اكثر الحقائق الموجودة في حياة الحيوان منقولة عنهُ

والذي يطلع على هذه الترجمة يعلم مكانة المترجم من العلم وتدقيقهُ في البحث . وكذلك فورسكال فانهُ ترجم قرن الايل Cornu cervi اي Hartshorn بالانكليزية(١)

خامساً — جاء في عجائب المخلوقات للقزويني ونقل عنهُ الدميري ان الايل يسمى كوزن بالفارسية وهي Cervus dama في معجم ڤولرس الفارسي اللاتيني

سادساً — يظهر من وصف الايل في الكتب العربية ان قرونهُ متشعبة ومصمتة كما جاء في آخر العبارة من وصف الايل في الدميري وكذلك في وصف اليحمور حيث قال "وقرونهُ كقرون الايل يلقيها كل سنة وهي صامتة لا تجويف فيها " واليحمور نوع من الايائل كما سيجي . وقد وصف الجاحظ الايل وصفاً مدققاً قال " والايل ينصل قرنهُ كل عام فيصير كالاجم وقرنهُ مصمت وليس في جوفهِ تجويف ولا هو وصمت الاعلى اجوف الاسفل " . وقال ايضاً " ورأينا بعضها ينصل قرنهُ في كل سنة كما تسلخ الحية جلدها وتنفض الاشجار ورقها وهي قرون الايائل " . ولا عبرة بما جاء في كتب اللغة من قولهم ان الايل ذكر الاوعال فالوعل لهُ ما يكفيهِ من التذكير والجاحظ من ايمة اللغة كما لا يخفى وهو اقدم من مؤلفي كتب اللغة المتداولة بيننا(٢) . وقد اصاب الاب لويس المعلوف في صورة الايل في المنجد حيث تجد الايل مرسوماً بقرون متشعبة

استدراك

الاروى — بعد كتابة المقالة التي نشرت في العدد الماضي عثرت بين مخطوطات المكتبة الخديوية على كتابٍ اسمهُ عقد الجمان في منافع وطبائع الحيوان لعبد الله بن جبريل بن بختيشوع وهو اشهر بني بختيشوع واوسعهم علماً ألف هذا الكتاب وغيرهُ للخليفة المتقي في اوائل القرن الرابع للهجرة وقد ورد ذكر الاروى في هذا الكتاب وقال عنهُ ما نصهُ بالحرف الواحد " اروى وهو الضأن الجبلي " ثم ذكر خواصهُ ومنافعهُ في الطب وكرر لفظة الاروى عدة مرات وذكر المعز الجبلي على حدة في باب آخر وهذا يثبت ما قلتهُ سابقاً اي ان الاروى الضأن الجبلي وليست انثى الوعول كما جاء في كتب اللغة . وهناك فائدة اخرى وهي ان الضأن الجبلي كان معروفاً عند العرب وموجوداً في بلادهم والّا لما ذكرهُ النابغة في قولهِ

بتكلمٍ لو تستطيعُ كلامهُ لدنت لهُ اروى الهضاب الصخدِ

---

(١) Materia Medica Kahirina, Forskal

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ الجزء الثالث ٧١ والسابع ١٥

(٣) توفي الجاحظ سنة ٢٥٥ هجرية فيكون اقدم من الجوهري وابن سيده والفيروزبادي وغيرهم ويظهر من عبارتهِ انهُ رأى الايل ووصفهُ عن خبرة

وكان علماء التوراة حتى الآن في ريب من وجود الضأن الجبلي في بلاد العرب وما يجاورها فان بعضهم فسَّر لفظة زمر العبرانية (تث ١٤ : ٥) بالضأن الجبلي واعترض على ذلك بان الضأن الجبلي لم يكن معروفاً عند العبرانيين ولا وجود لهُ في فلسطين وسينا والحقيقة انهُ معروفٌ عند العرب ولا بد من انهُ كان معروفاً عند العبرانيين ايضاً وهو موجودٌ في جبال مصر الشرقية ولا مانع من وجودهِ في الجهة الثانية من البحر الاحمر

السِّمْع — ذكرت في احدى مقالاتي السابقة اني لم اسمع هذه اللفظة في السودان وقد علمت الآن من مصدر يوثق بهِ ان لفظة السمع معروفة عند عرب كردوفان ويطلقونها على الحيوان الذي ذكرتهُ وهو ليس من خرافات العرب بل حيوانٌ قائمٌ بنفسهِ يوجد واحد منهُ في حديقة الجيزة على مقربةٍ من الفهد والنمر الاسود الدكتور امين المعلوف

دولة آل عثمان

٥

السلطان بايزيد الثاني

ختمنا الكلام في الفصل السابق بوفاة السلطان محمد الفاتح وقد سقطت كلمة في ذلك الفصل اخلَّت بالمعنى وهي كلمة مستعمرات قبل كلمة جنوى والبندقية في السطر ١٣ من الصفحة ١٦٦ فانهُ كان لهما مستعمرات على سواحل البحر الاسود

ذكر ابن اياس وفاة السلطان محمد الفاتح في اخبار سنة ٨٨٦ قال " وفي ربيع الاول جاءت الاخبار بوفاة السلطان المعظم المفخم المجاهد المغازي ملك الروم وصاحب القسطنطينيةّ العظمى .... وكان ملكاً جليلاً عظيماً ساد على بني عثمان كلهم وانتشر ذكرهُ بالعدل في سائر الآفاق وحاز الفضل والعلم والكرم الزائد وسعة المال وكثرة الجيوش والاستيلاء على الاقاليم الكفرية وفتح الكثير من حصونها وقلاعها وكان نائب ملك مملكة الروم في حياة ابيهِ ثم استقل بهِ من بعدهِ ومكث فيهِ مدة طويلة تزيد على احدى وثلاثين سنة ومولدهُ بعد الاربعين والثمانمئة ولما مات تولى بعدهُ ولدهُ ابو يزيد يلدرم الموجود الى تاريخهِ فلما سمع ذلك السلطان (اي الملك الاشرف قايتباي صاحب مصر) اظهر الحزن والاسف عليهِ

ومن يطالع تاريخ ابن اياس يجد انهُ لم يذكر احداً من سلاطين آل عثمان بهذا التبجيل . والظاهر انهُ جرى على المثل العامي القائل ابعدوا حتى احبكم واقربوا حتى ابسكم فان

السلطان سليماً كان اعظم من السلطان محمد الفاتح ومع ذلك لم يذكره بالتبجيل بل اكثر من لومهِ وتعنيفهِ كما سيجيء . او ان ما ذكر عن وفاة السلطان محمد الفاتح مقحم في تاريخ ابن اياس

ولم يكد السلطان بايزيد يجلس على سرير الملك حتى ثار اخوهُ عليهِ وقصد مدينة برصي ودخلها عنوةً فقصدهُ السلطان بايزيد اليها وحاربهُ وتغلب عليهِ فالتجأ الى البلاد المصرية .

قال ابن اياس في اخبار سنة ٨٨٦ " وفي جمادى الآخرة جاءت الاخبار من حلب من عند الاتابكي ازبك بان الجام بن عثمان ملك الروم قد وقع بينهُ وبين اخيهِ ابي يزيد وان الجام وصل الى اطراف بلاد السلطان وبعث يستأذن في الدخول الى حلب . فعاد الامر من السلطان للاتابكي ازبك بان يرسلهُ الى القاهرة في قليل من عسكرهِ واستعد لملاقاتهِ . . . وفي شعبان خرج الصاحب خشقدم الزمان لملاقاة الجام بن عثمان ومدَّ لهُ اسمطة حافلة ببلبيس والخانكاه ثم لاقتهُ الامراء المقدمون والعسكر ورؤُوس النوَب والحجاب الى المرج والزيات فسار في موكب حافل حتى طلع الى القلعة من بين الترب فاقام لهُ السلطان الموكب بالحوش . فلما مثل بين يدي السلطان وهو جالس على الدكة تحرّك ولم يقم لهُ ثم خلع عليهِ كاملية بسمور حافلة واركبهُ فرساً خاصاً من مراكبهِ بسرج ذهب وكنبوش زركش (١) ونزل من القلعة في موكب حافل وقدامهُ الامراء ورؤُوس النوب وكان لهُ يوم مشهود . وقد قيل في المعنى

يا ايها الملك الهمام ومن لهُ اسدُ الفلا تأتي اليهِ ملجمه
قد فاق قدرك في الملوك تعاظماً مذ صحَّ بين يديك نطق الجمجمه

(وكانوا يسمون هذا الامير جاماً وجمجمة) وانزلوهُ في دار ابن جلود كاتب المماليك التي في فم الخور . وحضر معهُ والدتهُ واولادهُ وعيالهُ وقد فرَّ من اخيهِ ابي يزيد خوفاً على نفسهِ من القتل فالتجأ الى سلطان مصر "

ثم ذكر احتفال السلطان بالامير جام في اوقات مختلفة وقال انهُ سافر الى مكة مع ركب المحمل هو وامهُ وعيالهُ

وقال في حوادث سنة ٨٨٧ ان الحج وصل الى القاهرة في محرم ومعهُ الامير جام لكنهُ قلق من اقامتهِ في مصر وطلب التوجه الى بلادهِ ليحارب اخاهُ فجمع السلطان الامراء واستشارهم في ذلك ثم اذن لهُ في السفر الى بلادهِ على كرهٍ منهُ وكان ذلك عين الخطإ

(١) الكنبوش البرذعة التي تجعل تحت سرج الفرس والزركش الحرير المنسوج بالفضة وقد كان الفرسان في القرون الوسطى يسدلون ملاءة كبيرة من الزركش على ظهور خيولهم تحت السرج فتكاد تغطي الفرس كلهُ وتقيهِ من السهام

ولجأ الامير جم او جام الى فرسان مار يوحنا اصحاب جزيرة رودس فابقوهُ عندهم اسيرًا ثم قتلهُ البابا اسكندر السادس ويقال ان اخاهُ السلطان بايزيد اعطى البابا ثلثمئة الف دوكا من اجل ذلك

ونشبت الحرب بين نائب حلب والسلطان بايزيد ويقول ابن اياس ان الدائرة دارت على عسكر ابن عثمان وكانت هذه الحركة اول الفتن مع ابن عثمان . الّا ان سلطان مصر اراد استرضاءهُ واشار عليهِ خواصهُ ان يرسل اليهِ هديةً تزيل هذه الوحشة فانصاع لكلامهم وعين الاميرجاني بك حبيب ليذهب بالهديَّة الى ابن عثمان فتوجه اليهِ بحرًا من الاسكندريَّة وارسل السلطان معهُ تقليدًا من الخليفة بان يكون مقام السلطان على بلاد الروم وما سيفتحهُ الله على يدهِ من البلاد الكفرية وكتب اليهِ الخليفة ما يدعو الى اخماد الفتنة التي قامت بينهُ وبين السلطان . قال ابن اياس والذي استفاض بين الناس ان سبب هذه الفتنة بين السلطان وبين ابن عثمان ان بعض ملوك الهند ارسل الى ابن عثمان هدية حافلة على يد بعض تجار الهند فلما وصل الى جدَّة احتاط عليها نائب جدَّة واحضرها صحبتهُ الى السلطان وكان من جملة تلك الهدية خنجر قبضتهُ مرصعة بفصوص مثمنة فطمع السلطان في تلك الهدية واخذ الخنجر فلما بلغ ابن عثمان ذلك حنق وجاء عقب ذلك ان علي دولات ترامى على ابن عثمان وشكى اليهِ من افعال السلطان وما يصدر منهُ فتعصب لعلي دولات وامدَّهُ بالعساكر فارسل السلطان الخنجر المذكور والهدية التي بعث بها ملك الهند وارسل يعتذر الى ابن عثمان عن ذلك بعد ان صار ما صار فكان كما قيل

جرى ما جرى جهرًا لدى الناس وانبسط وعذر اتى سرًّا يؤكد ما فرط
ومن ظن ان يمحو جليٌّ خفائهِ خفيُّ اعتذار فهو في غاية الغلط

لكن ابن عثمان (اي السلطان بايزيد) لم يكف عن تدويخ اطراف الممالك المصرية فارسل نائب حلب يستحث سلطان مصر على الخروج لقتالهِ ثم قال ان جاني بك حبيب الذي ارسلهُ السلطان الى ابن عثمان عاد من سفرتهِ وخلا بالسلطان واخبرهُ عن احوال ابن عثمان وانهُ لم يرَ منهُ اقبالاً ولا اكرمهُ وانهُ غير راجع عن اذية عساكر مصر . فكثر القال والقيل بسبب ذلك ثم نشب القتال بين جنود حلب وجنود ابن عثمان فدارت الدائرة على جنود ابن عثمان وغنمت الجنود المصرية منهم غنائم كثيرة واسرت جماعة من امرائهم وغنمت مئة وعشرين صنجقًا وقطعت كثيرًا من الرؤوس وارسلتها الى مصر وكانت اكثر من مئتي رأس فلما وصلت اليها زينت القاهرة

وبعث السلطان بايزيد ستين سفينة حربية مشحونة بالسلاح لمقاتلة الجنود المصرية فعصفت بها الرياح واغرقتها. وتوالت الحروب بين الجنود المصرية والجنود العثمانية وكان النصر غالبًا للجنود المصرية على ما رواه ابن اياس واخذت مدينة ادرنة بعد ان حصرتها ثلاثة اشهر

وقال في حوادث جمادى الاخرى من سنة ٨٩٣ وفيهِ قدم قاصد من عند داود باشا وزير ابن عثمان يشير على السلطان بان يبعث قاصدًا الى ابن عثمان لعلهُ يكون الصلح فرد له الجواب انهُ اذا اطلق تجار المماليك الذين عنده وبعث مفاتيح القلاع التي اخذها كانبناه في الصلح وارسلنا اليهِ قاصدًا . ثم جرّد السلطان جيوشًا جرارة لقتال ابن عثمان فوصلوا الى قيسارية واجتاحوها ونهبوا عدة من ضياعها واحرقوها

والظاهر ان الفوز لم يكن دائمًا للجنود المصرية فقد ذكر ابن اياس في حوادث سنة ٨٩٦ ان السلطان جمع رجال دولتهِ وقال لهم ان ابن عثمان ليس براجع عن محاربة عسكر مصر وان احوال البلاد الحلبية قد فسدت وآلت الى الخراب والتجار منعوا ما كان يجلب الى مصر من الاصناف والمماليك الجلبان يرومون مني نفقة وان لم انفق عليهم شيئًا نهبوا مصر والقاهرة وحرقوا البيوت . ومتى رجع عسكر ابن عثمان الى البلاد الحلبية لا يخرج العسكر من مصر لقتالهِ الاّ بعد ان انفق عليهم . ثم جعل يقسم بالله تعالى انهُ ما بقي في الخزائن شيء من المال وطلب ان يفرض على الاوقاف والاملاك التي بمصر والقاهرة اجرة سنة كاملة يستعين بها على خروج التجريدة . فسكت المجلس ساعة ثم قال القاضي الشافعي لعلّ الله تعالى يكفيكم مؤنة ذلك . وقال القاضي المالكي ان اجرة سنة كاملة تثقل على الناس ولا يطيقون ذلك فان كان لا بدّ من ذلك فلتفرض عليهم اجرة خمسة اشهر ..... ثم آل الامر الى ما قالهُ قاضي القضاة المالكي وانفضّ المجلس

واسهب ابن اياس في وصف المظالم التي نتجت عن ذلك ثم قال في حوادث جمادى الاخرى من سنة ٨٩٦ انهُ حضر الى الابواب الشريفة قاصد من عند ابن عثمان وهو من اجلّ قضاتهِ وكان متوليًا القضاء بمدينة بروسه واسمهُ الشيخ علي جلبي فلما صعد الى القلعة اكرمهُ السلطان وبالغ في تعظيمهِ جدًّا واحضر مفاتيح القلاع التي كان ابن عثمان قد استولى عليها فسلمها الى السلطان واشيع امر الصلح . واطلق السلطان الاسرى الذين كانوا مأسورين من عسكر ابن عثمان وكساهم واحسن اليهم فتوجهوا الى بلادهم صحبة القاصد

وجاء في التواريخ الافرنجية ان السلطان بايزيد انشأ اسطولاً قويًا نازل اسطول البنادقة وتغلّب عليهِ وكان ذلك اول غلبة بحرية للعثمانيين وانهُ كان محبًا للسلم غير ميال الى

الفتوح فلم يضف الى مملكة آل عثمان الأ مدناً قليلة من بلاد اليونان ولذلك خرج عليهِ الانكشاريَّة واضطروهُ ان يتنازل عن الملك لابنهِ سليم فتنازل وتوفي بعد ايام قليلة وذلك في ربيع الاول سنة ٩١٨ ولم يذكر تاريخ ابن اياس المطبوع خبر وفاتهِ لانهُ ناقص تاريخ ١٥ سنة

السلطان سليم الاول

هو اعظم سلاطين آل عثمان واشدهم بطشاً واوسعهم فتوحاً قتل اخويهِ لكي لا ينازعاهُ في الملك وقتل اولادهما ايضاً وزحف على بلاد الفرس وقتل خمسة واربعين الفاً من اهل الشيعة الذين على تخوم بلادهِ لكي لا يعاونوا الفرس عليهِ ونازل جيوش الفرس في وادي جال ديران فاثخن فيهم ودخل تبريز عنوة واستولى على خزائن صاحبها الشاه اسمعيل الصوفي وارسلها الى القسطنطينيَّة وكان قد دوخ ديار بكر وكردستان في طريقهِ الى بلاد ايران. ثم نشبت الحروب بينهُ وبين العساكر المصرية وقد فصَّلها ابن اياس تفصيلاً مسهباً ولعلَّهُ تحامل على الجنود العثمانيَّة ولكنهُ لم يحابِ ولا اخفى الحقائق فنعتمد عليهِ في تلخيص ما يلي لان اكثرهُ من الحوادث التي شاهدها عياناً قال ما خلاصتهُ

ويوم الخميس سلخ صفر من سنة ٩٢٢ اتى ساعيان بكتاب من نائب حلب فيهِ ان الشاه اسمعيل الصوفي ملك العراقين جمع من العسكر ما لا يحصى وهم زاحفون على بلاد ابن عثمان وكان في سنة ٩٢٠ قد حصل بينهُ وبين سليم شاه ملك الروم واقعة مهولة وانكسر اسمعيل شاه فاستمرَّ من حين جرى لهُ ما جرى وهو في جمع العساكر واستعان بملوك التتار وزحف على آمد وقتل من كان فيها من العثمانيَّة واستخلصها من يد جماعة ابن عثمان. فلما طرق هذا الخبر مسامع السلطان (اي الملك الاشرف ابو النصر قانصوه الغوري) اجتمع بالامراء في الميدان وتشاوروا الى قرب الظهر وانفضَّ المجلس على تجريد جيش يقيم في حلب ويحرس البلاد الحلبيَّة. ثم جاءت الاخبار بان ابن عثمان كتب الى نائب حلب يقول لهُ انت والدي واسأَلك الدعاء واني ما زحفت على بلاد علي دولات الأ باذنك وهو الذي أثار الفتنة بين والدي والسلطان قايتباي حتى جرى بينهما ما جرى وهذا كان غاية الفساد في مملكتكم وكان قتلهُ عين الصواب. وان البلاد التي اخذتها من علي دولات اعيدها اليكم وجميع ما ترومونهُ ويريدهُ السلطان فعلناهُ. فبعث نائب حلب بهذا الكتاب الى السلطان قانصوه الغوري فاستبشر بالصلح

ومن رأي ابن اياس ان كتاب السلطان سليم ضرب من الحيلة والخداع اما السلطان

قانصوه الغوري فسار بالجيوش المصرية الى ان بلغ دمشق ووردت الاخبار منهُ في جمادي الاخرة انهُ دخل دمشق يوم الاثنين ثامن جمادى الاولى وكان معهُ الخليفة المتوكل على الله والقضاة الاربعة والجيش المصري كلهُ ويقال انهُ دخل في موكب لم يتفق لسلطان مثلهُ بعد الاشرف برسباي وزينت لهُ مدينة دمشق سبعة ايام ثم رحل عنها وسار الى حمص ومنها الى حماه فحلب ودخلها يوم الخميس عاشر جمادى الاخرى وكان لدخوله يوم مشهود فمشى الخليفة والقضاة امامهُ وحُملت القبة على رأسهِ حملها ملك الامراء خاير بك نائب حلب. وحال دخوله حضر من قبل سليم شاه بن عثمان ملك الروم قاضي عسكر يقال لهُ ركن الدين واحد الامراء واسمهُ قراجا باشا وقالا ان استاذهما فوّض اليهما امر الصلح وقال ان كل ما اختارهُ السلطان افعلهُ ولا تشاورني . قال ابن اياس وكل هذا حيَل وخداع حتى تبطل همة السلطان عن القتال. ثم ان قاضي ابن عثمان احضر فتاوى من علماء بلادهم وقد افتوا بقتل شاه اسمعيل الصوفي وان قتلهُ جائز شرعاً . وارسل ابن عثمان يقول للسلطان في كتابهِ انت والدي واسأَلك الدعاء وبعث اليهِ بالهدايا الفاخرة وطلب منهُ ان يرسل اليهِ سكرًا وحلوى فارسل اليهِ مئة قنطار سكر وحلوى في علب كبار. ثم انجلى الامر واتضح غرض السلطان سليم فانهُ قبض على رسول سلطان مصر الامير مغلباي ووضعهُ في الحديد . وكان السلطان قد بعث اليهِ بالامير كرتباي الاشرفي بهدية سنية تساوي عشرة آلاف دينار وخلع على قاضي عسكرهِ ووزيرهِ قراجا باشا خلعاً سنيَّة فلما وصل الامير كرتباي الى عينتاب بلغهُ ان ابن عثمان ابى الصلح وقبض على الامير مغلباي ووضعهُ في الحديد فرجع الى حلب واخبر السلطان بما بلغهُ وبان طلائع عسكر ابن عثمان وصلت الى عينتاب وملكت قلعة ملطية فاضطرب السلطان ورجالهُ واستعد للاقاتهِ واخيرًا التقى الجيشان في مرج دابق قرب حلب في الخامس عشر من رجب وكان حول سلطان مصر اربعون مصحفاً في اكياس من حرير اصفر على رؤوس جماعة من الاشراف وفيها مصحف بخط الامام عثمان بن عفان وجماعة من الفقراء وهم خليفة السيد البدوي ومعهُ اعلام والسادة الاشراف القادرية ومعهم اعلام خضر وخليفة السيد احمد الرفاعي ومعهُ اعلام والشيخ عفيف الدين خادم السيدة نفيسة باعلام سود. والمماليك الذين معهُ كانوا اسودًا لا يهابون الردى فهزموا عساكر ابن عثمان وغنموا منهم سبعة سناجق واخذوا المكاحل التي كانت على العجل ورماة البندق. وهمَّ السلطان سليم بالهرب وقد قتل من عسكرهِ اكثر من عشرة آلاف ولكن بلغ المماليك القراصنة ان السلطان قال لمماليك الجلبان لا تقاتلوا ابدًا وخلوا المماليك القرانصة وحدهم فلما بلغهم ذلك ثنوا عزمهم عن القتال. ثم قتل الاتابكي سودون العجمي

وملك الامراء سيباي نائب الشام فانهزم جانب كبير من ميمنة العسكر ثم انهزم خاير بك نائب حلب فكسر الميسرة · وقيل ان خاير بك كان خائنًا وضلعهُ مع ابن عثمان وهو اول من هرب من العسكر ونادى بالهزيمة فبقي السلطان واقفًا تحت السنجق في نفر قليل من المماليك فشرع ينادي يا اغوات هذا وقت المروءة هذا وقت النجدة فلم يسمع لهُ احد قولاً وصاروا ينسحبون من حولهِ وهو يقول للفقراء ادعوا الله تبارك وتعالى بالنصر وهذا وقت دعائكم · وكان اليوم شديد الحر والنصب غضب الله فيهِ على عسكر مصر وغلّت ايديهم عن القتال وقد قلت في هذه الواقعة هذه الابيات

لما التقى الجيشان مع سلطاننا في مرج دابق قال هل من مسعفِ
فلهُ اجاب لسان حال قائلاً عرّضت نفسك للبلا فاستهدف

ولما اضطربت الاحوال وتزايدت الاهوال خاف الامير تمر الزردكاش على السنجق السلطاني فانزلهُ وطواهُ واخفاهُ وتقدم الى السلطان وقال لهُ يا مولانا ان عسكر ابن عثمان قد ادركنا فانجُ بنفسك وادخل حلب · فلما تحقق السلطان ذلك اصابهُ فالج عطل شقهُ وارخى حنكهُ فطلب ماء فاتوهُ بهِ في طاسة من ذهب فشرب قليلاً والفت فرسهُ لكي يهرب فمشى خطوتين وانقلب عن الفرس الى الارض فاقام نحو درجة (اي اربع دقائق) وخرجت روحهُ من شدة قهرهِ · ولما اشيع موتهُ هجم عسكر ابن عثمان على من كان حول السلطان فقتلوا الامير بيبرس احد المتقدمين وجماعة من الخاصكية ممن كان حولهُ واما السلطان فلم يُعلم لهُ خبر ولا وقف لهُ على اثر ولا ظهرت جثتهُ بين القتلى . وفقد المصحف العثماني ايضًا وزال ملك الاشرف الغوري في لمح البصر بعد ما تصرّف في ملك مصر واعمالها والبلاد الشامية واعمالها خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وعشرين يومًا فانهُ ولي ملك مصر في مستهل شوال سنة ست وتسعمائة وتوفي في الخامس والعشرين من رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وكان طويل القامة ابيض اللون مدور الوجه مشحم العينين جهوري الصوت مستدير اللحية لم يظهر بلحيتهِ الشيب الاّ قليلاً وكان مهيبًا جليلاً تملأ العيون طلعتهُ ولولا ظلمهُ وكثرة مصادراتهِ للرعية لكان من خيار ملوك الجراكسة بل من خيار ملوك مصر قاطبةً وكان ينزل يوم الاثنين والخميس الى الحوش السلطاني ويوم السبت والثلاثاء الى الميدان فينزل من السبع حدرات وقدامهُ طوالتان من الخيل بسروج ذهب وكنابيش زركش وكان يلبس في اصابعهِ الخواتم الياقوت والفيروز والزمرد والالماس وعين الهر وكان مولعًا بشم الرائحة الطيبة من المسك والعود والعنبر ترفًا في ملبسهِ يحب رؤية الازهار والفواكه مولعًا

بغرس الاشجار وحب الرياض وسماع الاطيار المغردة بهماً في الاكل والشرب . وكان لهُ محاسن ومساوئ لكن مساوئهُ اكثر من محاسنهِ . ومن محاسنهِ انهُ كان رضيّ الخلق يملك نفسهُ عند الغضب شديد الاعتقاد بالفقراء والصالحين ويعرف اقدار الناس ويفهم الشعر ويحب سماع الآلات والغناء وكان مغرماً بقراءة التواريخ والسير ودواوين الاشعار ويحب المزح ولم يكن عندهُ شمم ولا كبر نفس

وذكر ابن اياس اسماء الامراء الذين قتلوا او اسروا من الجيش المصري وقال ان المماليك الجلبان لم يقاتلوا فلم يسلّوا سيفاً ولا هزوا رمحاً بل وقفوا كأنهم خشب مسندة وان ابن عثمان (السلطان سليم) غنم كل ما كان في معسكر السلطان الغوري ثم دخل حلب وامتلكها وان اهل حلب قتلوا من لجأ اليهم من العسكر المصري لانهم كانوا ناقمين على المماليك السلطانية لقبح فعالهم فهرب من نجا منهم الى دمشق فوصلوها وهم في اسوإ حال . ثم قال اما الخليفة امير المؤمنين وثلاثة من القضاة وهم الشافعي والمالكي والحنبلي فمضوا الى ابن عثمان وهو في ميدان حلب فاكرم امير المؤمنين واجلسهُ بين يديهِ وانعم عليهِ بمال كثير وردّهُ الى حلب اما القضاة فقيل انهُ وبخهم وقال لهم انكم تأخذون الرشوة على الاحكام الشرعية وتسعون بالمال حتى تتولوا القضاء وما منكم من يرشد الى الخير لانكم لم تمنعوا سلطانكم عن المظالم . واخبرني من رأى سليم شاه ابن عثمان انهُ مربوع القامة واسع الصدر اقنص العنق مكرفس الاكتاف واسع العينين دريّ اللون وافر الانف مليء الجسد حليق اللحية ليس لهُ غير الشاربين كبير الرأس عمامتهُ صغيرة دون عمائم امرائهِ . فلما جاء الى حلب سلمهُ اياها اهلها من غير نزاع وهرب قانصوه الاشرفي نائب القلعة وتوجه الى الشام مع العسكر وترك ابوابها مفتوحة فدخلها ابن عثمان ورأى فيها ما ادهشهُ من مال وسلاح وتحف ورأى من السروج الذهب والبلور والجم المرصعة والفصوص المثمنة والسيوف المسقطة بالذهب والزرديات والخوذ الفاخرة وغير ذلك من السلاح ما لم يرَ مثلهُ

ثم بيّن ان بعض اخصاء الغوري كانوا معهُ ظاهراً ومع ابن عثمان باطناً فكانوا يكاتبونهُ ويكشفون لهُ عورات الغوري واولهم خاير بك نائب حلب فخلع عليهِ ابن عثمان وسماهُ خاين بك لانهُ خان مولاهُ ولبس زي التراكمة العمامة المدوّرة والدلامة وقص لحيتهُ

ولا يسعنا تلخيص كل ما ذكرهُ ابن اياس عن هذه الواقعة وما يليها لان وصفهُ مسهب جدًّا وفيهِ كلام كثير لغيرهِ كما يظهر من اسلوبهِ فاجتزينا بما تقدم . ووصل فلّ العسكر المصري الى القاهرة وهم في اسوإ حال من العري والجوع والضعف ولما وصل الامراء الذين نجوا اجمع

رأيهم على تمليك طومان باي الدوادار وحلفوا له انهم لا يخونونهُ وسمي بالملك الاشرف ابي النصر طومان باي وهو السابع والاربعون من ملوك الترك واولادهم في الديار المصرية والحادي والعشرون من ملوك الجراكسة واولادهم وكان اصلهُ من كتابية الاشرف قايتباي اشتراهُ الملك الاشرف قانصوه الغوري ولهذا يدعى طومان باي بن قانصوه . وبايعهُ ابو الخليفة وكان نائباً عنهُ وقاضي الحنفية ونواب القضاة الثلاثة الآخرين ومن حضر من الامراء واحضروا له خلعة السلطنة وهي الجبَّة السوداء والعمامة السوداء والسيف البدوي وافيض عليهِ شعار الملك وقبَّل الامراء الارض قدامهُ ونودي باسمهِ في القاهرة وفرح الناس بهِ لانهُ كان محباً للعوام لين الجانب قليل الاذى غير متكبر ولا متجبر

وجاءت الاخبار الى مصر بان السلطان سليماً زحف على الديار الشامية وامتلكها. ولخص الامير حيدر ذلك في تاريخهِ لكنهُ لم يوردهُ بعبارة المعاصرين كما اوردهُ ابن اياس فقال ما خلاصتهُ

كانت الديار الشامية في حكم ملوك مصر الشراكسة وكان خير بك نائباً في حلب والغزالي في دمشق (جان بردي الغزالي) فكاتبهما السلطان سليم ووعدهما انهُ اذا انتصر على الشراكسة يوليهما على الايالات المصرية والشامية ولما التقت العساكر في مرج دابق امر السلطان الاشرف خير بك والغزالي ان يقودا عسكرهُ ويقدما الى الحرب وكان ابن معن وامراء جبل الشوف (بلبنان) مع خير بك والغزالي فقال الامير فخر الدين (المعني) لمن معهُ دعونا ننفرد وننظر لمن يكون النصر فنقاتل معهُ ولما اضطرمت نار الحرب فرَّ الغزالي وخير بك الى ناحية عسكر السلطان سليم بمن معهم من الديار الشامية . ومن شدة ما جرى على الغوري من الضيق والغضب بسبب خيانة النواب له ضرب نفسهُ بخنجر فقتل وقيل ان احد العساكر قتلهُ . واقام السلطان سليم في حلب الى ان رتب امورها وخُطب باسمهِ في الجوامع ثم ملك حماه وحمص وسار بالعسكر الى دمشق فخرج اهلها للقائهِ فاعطاهم الامان وكتب بالامان الى امراء جبل لبنان فحضر اليهِ الامير فخر الدين المعني والامير جمال الدين اليمني والامير عساف التركماني وغيرهم لكن الامراء التنوخيين لم يحضروا لانهم كانوا من احلاف الشراكسة فاقرَّ الامير فخر الدين على بلاد الشوف والامير جمال الدين على بلاد الغرب والامير عسافاً على بلاد كسروان وبلاد جبيل ورتب عليهم مالاً قليلاً

ثم اسهب ابن اياس في وصف ما لقيهُ السلطان سليم من المماليك في الديار المصرية الى ان استتب له الامر فيها وسنلخص ذلك في الجزء التالي

انباء الاموات

يدّعي جماعة من الكتّاب انهُ وصلتهم انباء من الاموات لا شبهة في صحتها وهم يقولون ان ارواح بعض الاموات حاولت التأثير في الاحياء بطرق مختلفة وفي جملتها روح المستر ميرس الذي كان لهُ الشأن الاكبر في المباحث النفسية وروح المستر وليم ستد بن ستد المشهور محرر مجلة المجلات الانكليزيَّة وقد توفي في اواخر سنة ١٩٠٧ والارواح لا تستطيع ان تؤَثر الاَّ في بعض الناس الذين فيهم استعداد خصوصي للتأَثر بها ولذلك يقلُّ فعلها جدًّا

ومن الناس الذين تؤَثر فيهم الارواح على ما رواهُ المستر ستد سيدة لم يذكر اسمها لكنهُ قال انها كتبت لهُ خلاصة ما اوحت بهِ اليها روح المستر ميرس وهذه ترجمتها

"ان الاتفاق قد تمَّ حديثًا بين العالمَين (اي عالم الاحياء وعالم الاموات) اجابة لرغبة شديدة بدت منهما كليهما معًا على اظهار ادلة عملية لبقاء شخصيَّة الانسان حيَّة بعد خلع الجسد الفاني وعلى انها تبقى قادرة على التجلي ولو وقتيًّا بصورة جسميَّة تشبه جسمها السابق

"ونحن في هذا العالم (عالم الارواح) وانتم في العالم الآخر (عالم الاجساد) متفقون على السعي وراء ذلك ولكن لكل فريق منا غرض خاص يختلف عن غرض الفريق الآخر. فانتم مهتمون باثبات التجسُّد وبانهُ حقيقة مقررة واما نحن اي الذين يعتقدون منا ان التجسُّد حقيقة مقررة فغرضنا ان نعلم ما هي الوسائل اللازمة لجعل هذا التجسُّد امرًا فعليًّا

"والنجاح بطيءٌ في هذا الامر عندنا كما ان النجاح بطيءٌ عندكم في كل الامور المبنيَّة على التجربة والامتحان. وقد فشلنا مرارًا كثيرة والصعوبة عندي انا قائمة في انتقاء الوسطاء واما الآن فلم اعد اعنى بهذه الصعوبة لانني وجدت السيدة طمسن وفيها قوة نفسيَّة فائقة تفوق ما في زوجها لان الهيولى[1] التي تنبعث من نفسها تستطيع ان تتكيف بكيفية جسميَّة ولا يُعلم حتى الآن ما هو سبب ذلك. وانا حاصر همي الآن في الاشتغال بهذا الموضوع وقد وجدت انهُ لا بدَّ من توفر بعض الوسائل ليصير التجسم امرًا فعليًّا وان هذه الوسائل متوفرة في السيدة طمسن وقد يكون بعضها موزعًا بين الحضور على درجات مختلفة فاذا اجتمعوا واتفقوا صاروا كحلقات البطرية الكهربائية وحصل من مجموع قواهم ما يماثل القوة التي في السيدة طمسن

(١) الكلمة الانكليزية aura وهي يونانية معناها الهواء المتحرك او النسيم ويراد بها اصطلاحًا شيءٌ لطيف يزعم اهل الارواح انهُ يكون حول بعض الناس وان الارواح تتجسم بهِ

" ولا بدَّ لاظهار هذه القوة من الاتفاق التام. والشك عدو ألد للنجاح وما هو الاَّ انكارٌ في صورة الريب ولكن يظهر انهُ اذا مزج الشك العلمي بما يكفي من الاتفاق واخلاص النية سهل اجراء التجارب من الجهتين

" ولذلك رضي الذين كانوا شركائي (في المباحث النفسيَّة) ان يشتغلوا مع المستر ستد واول جلسة حدثت في بيتهِ في ٩ يناير كانت من النوع الغوائي وجرى فيها التدقيق التام لمنع الغش ولقد كان لها شأن كبير عندي ورأيت فيها لاول مرة ما هي الشروط اللازمة لجعل التجسُّد ممكناً ورأيت اسباب الفشل الظاهر والاساليب التي ستؤدي الى النجاح اخيراً

" ولذلك فالجلسة الاولى كانت بالنسبة الينا حسنة جدًّا وانكاري امكان التجسُّد بمثابة انكاري شهادة حواسي. ولكن السيدة طمسن شديدة التأثر العصبي ولذلك تعذَّر عليها ان تحتمل ما احتملتهُ زماناً طويلاً. ولا حاجة بي الى وصف الاعمال التي تمت حينئذٍ. وقد طلب المستر ستد بناء على رغبتي الشديدة ان لا يحدث شيء الاَّ ما يشاءهُ الله

" وقد وقفنا في ذلك النور الضئيل نَرَى ولا نُرَى ونضحك رغماً عنا اذ نرى كيف يتأثر الجلوس على صور مختلفة حينما رأوا الظاهرة الاولى (وهي طاقة كبيرة من الازهار المختلفة الانواع). ولكن اظهار هذه الظواهر ليس الغاية التي نسعى اليها

" ولقد شاهدت الارواح تخرج من الخزانة المظلمة مترديَة اردية مختلفة لكي تثبت للحضور بالكلام والاشارات انها موجودة ملموسة ويمكن الشعور بها "

وقد قدَّم المستر ستد لهذا الكلام مقدمة قال فيها انهُ احضر السيدة طمسن الى بيتهِ وكان هو وجماعة من نخبة القوم فعروها والبسوها ثياباً احضروها لها وانهُ هو صنع لها الخزانة التي اقامت فيها من الستائر وان السر اولفر لدج رآها ووضع الستائر بعضها مع بعض. وطبع المستر ستد شهادة من الحضور تدلُّ على انهم عرَّوا تلك المرأة واكدوا انها لا تحمل شيئاً مما اظهرتهُ بعدئذٍ. والثياب التي البسوها اياها كانت سوداء

نقول ونحن احضرنا حاوياً منذ نحو عشرين سنة وادخلناهُ غرفةً في بيتنا وعريناهُ من ثيابهِ ومع ذلك صفر واستخرج حية من تحت مائدة كانت في تلك الغرفة. ولما اعيتنا الحيل ولم نستطع ان نكتشف كيف استخرجها اعطيناهُ ريالاً فكشف لنا الحيلة التي استعملها وخدعنا بها وهي انهُ كان ينقل الحية من مكان الى آخر وهو يخلع " زعبوطهُ " واخيراً نزعها عن جسمهِ مع الزعبوط وكان قد ارانا ان الحيات كلها في كيس معهُ وقد ابعدنا الكيس عنهُ اما زعبوطهُ فاتقنا من لمسهِ بايدينا لجمعهِ في احدى يديهِ والحية فيهِ ثم احتال حتى نقلها

الى اليد الاخرى وكان قد مدها الى تحت المائدة وهو يصفر لحية واخرجها منها

واذا كانت المرأة التي عرّاها المسترستد ورفاقهُ قاصدة ان تغشهم لا يتعذَّر عليها ذلك. وامرأة لا تأنف ان تتعرى امام الرجال لا يكبر عليها ان تغشهم ولو كانوا شيوخاً طاعنين في السن. واذا كانت امينة صادقة ولم تقصد ان تغشهم فلا يبعد ان يكونوا هم انفسهم قد تخيلوا ما رأوهُ وسمعوهُ تخيلاً كما يتخيل النائم اموراً كثيرة لا وجود لها الاَّ في ذهنهِ وان يكونوا قد حركوا اقلامهم فكتبت ما في اذهانهم وهم يحسبون ان القوة المحركة لها آتية من الخارج ولذلك امثلة كثيرة في كثير من الآفات العصبية

اما الاعمال التي عملتها تلك المرأة فهي اولاً انها اخرجت من الغرفة المظلمة ازهاراً مختلفة. ثانياً ظهرت خارج الغرفة بثياب بيضاء لاصقة بجسدها وعليها نقاب ابيض مع انها لما دخلت الغرفة كانت لابسة ثياباً سوداء. ثالثاً اظهرت ارواحاً مجسمة قال بعض الحضور انها تشبه اقاربهم المتوفين في الهيئة والكلام والحركات وقال المسترستد ان ابنهُ كان بينها وانهُ رآهُ جلياً وسمعهُ يقول لهُ يا ابي يا ابي يا ابي وامسك المسترستد القلم وطلب من ابنهِ ان يحرك يدهُ ويصف كيف تجلَّت تلك الارواح فكتب ما ترجمتهُ

"ان حول الوسيط(١) هالة من الهيولى اكثف من الهالة التي حولك وهي تنبعث منها كما تنبعث الاوردة الدقيقة من الشرايين الكبيرة ومن هذه الهيولى تؤخذ المادة اللازمة للتجسم والتقمص وفي الحالة الثانية تصنع الارواح اقمصة من هذه الهيولى وتلبسها كما تلبس الخياطات الاثواب لتمثال من الخشب. وهيولى الوسيط كافية لالباسهِ اللباس الذي تختارهُ وجعلهِ مشابهاً للشخص الذي يراد تشبيههُ بهِ. اما التجسم اي لبس الروح جسماً فاصعب من ذلك لانهُ يستلزم عمل جسم جديد ولا يعمل هذا الجسم كاملاً في كل اجزائهِ بل يعمل منهُ ما يكفي لتمييزهِ ولا حاجة حينئذٍ الى تكوين اعضائهِ الداخلية بالتفصيل فالجسم الذي صُنع لي ليس فيهِ الاَّ رأسي وجذعي ولم تتم يداي ولا رجلاي فلم يكن في طاقتي ان امشي وكان مقداراً من الجبس افرغ على جسمي الروحي وشعرت انهُ لا يسهل على جسمي الروحي حمل رأسي وجذعي الماديين وكنت كمن أُسبغ عليهِ درع من الفولاذ ولكنني كنت قادراً على استعمال اوتاري الصوتية وقد تلفظت بثلاث كلمات. واذا أُريد ان يكون التجسم تاماً وجب اخذ المواد اللازمة لهُ من هيولى الوسيط ومن هيولى غيرها من الحضور. والارواح تستعمل الهيولى كما يستعمل الخزاف الطين فتكثفهُ وتكيفهُ كما تشاء وهذا العمل يستحق النظر وقد

(١) اي المرأة طمسن وكل شخص تظهر الارواح بواسطتهِ او تظهر بواسطتهِ اعمال المنوتزم يسمى وسيطاً

ساعدتْ فيهِ روح جوليا (كانت من رفيقات المستر ميرس في المباحث النفسيَّة) اما انا فلم اساعد فيهِ بل بقيت واقفاً ارى ما يجري . واذا وزنت الوسيط حينما صُنع جسمي من هيولاها وجد وزنها اخف مما كان واذا وُزنت انا وهي فوزنتا كلينا اثقل من وزنها وحدها لان بعض جسمي أُخذ من هيولى غيرها من الحضور . ولم يؤخذ منهم على السواء لان بعضهم لا يعطون شيئاً من هيولاهم . والعمل دقيق ولا يخلو من الخطر ونحن في عالم الارواح نحتاج الى موازرتكم لنا في الفكر فاذا وازرتمونا فلا حدَّ لما يمكن ان نفعلهُ"

وبعد ان ذكر المستر ستد ما كتبهُ بيدهِ وقال ان روح ابنهِ كانت تحرك يدهُ اتمَّ ما قيل ان روح المستر ميرس حرَّكت يد احدى السيدات لتكتبهُ ثم قال قد لا يكون المستر ميرس هو الكاتب لما تقدَّم ولا تكون روح ابني هي التي حركت يدي للكتابة ولكن لا شبهة عندي انني رأيت وجه ابني وسمعت صوتهُ وقد رآهُ ايضاً وسمع صوتهُ الشخص الذي كان جالساً امام باب الخزانة . فما رأيتهُ وسمعتهُ وكتابتي لامور اوحيت اليَّ كل ذلك جعلني اعتقد ان في السيدة طمسن قوة روحيَّة يمكنها ان تستعملها احياناً لاظهار ظواهر مثل هذه في احوال تنفي وجود الغش . والذين ينكرون ذلك يتعذَّر عليهم ان يفسروا ما رأيتهُ وسمعتهُ وكتبتهُ

هذه خلاصة ما كتبهُ المستر ستد في هذا الموضوع في مجلتهِ ويا حبذا لو أُغريت السيدة طمسن بالمال حتى تكشف سر عملها ان كانت تستعمل الحيلة والخداع واما اذا كانت صادقة وكانت ارواح الموتى لا تزال في هذه الارض وهي تتجسم احياناً وتظهر للاحياء فيكون ذلك اعظم اكتشافات العصر العلمية

ومما استغربناهُ ان ما كتبتهُ الكاتبة بالهام روح المستر ميرس على ما تقدم لغتهُ محكمة كابلغ ما يكتبهُ كبار الكتاب . وتكوين الازهار من الهيولى على ما فيها من اختلاف الانواع والالوان من اصعب الاعمال . فاذا كانت الارواح تستطيع ان تنشئ مثل ذلك فلماذا لا تعلم الاحياء بتفصيل الاحوال التي هي فيها فان ذلك اهمُّ لنا من تفصيلها كيف تكوّن اجسامها من هيولى الوسطاء . وما من احد الاَّ وهو يود ان يعرف ما آل اليهِ حال احبائهِ بعد موتهم . وعسى ان لا يكون تجلي الارواح هذا وهماً في وهم بل يكون امراً حقيقياً تحلُّ بهِ اهم مسألة شغلت عقول الناس من قديم الزمان الى الآن وهي الى اين نحن سائرون وماذا يكون بعد الموت



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فغتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن برآء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

الدستور والاسلام

ما كادت مظاهرات العثمانيين يوم نودي بالدستور تبلغ بهجة التبسط في الفرح حتى انفرد بعضهم اسفاءه منهُ لاقتضائهِ الحرية والمساواة . ولا غرابة فان الاختلاف في الجديد لا تخلو منهُ امة من امم العالم والعثمانيون اقل اختلافاً من سواهم واقربهم الى الاتفاق وخصوصاً متى ادركوا الحقيقة فانك لا تجد حينئذٍ فيهم من يكابر ولكنهم اختلفوا في الدستور على علمهم بفضلهِ وعلى ما تحملوهُ من ضغط الاستبداد وقهرهِ بدسائس اعدائهِ اولئك الذين قد طرقوا الطعن فيهِ من باب ديني تعزيزاً لمقاصدهم ولذلك جعلنا موضوع كلامنا (الدستور والاسلام) حتى يتأكد لحضرات الذين قد شوَّشت المطاعن اذهانهم وكدَّرت افهامهم ان الدستور ليس بالشيء الحادث الذي لم يعهد قبلُ . وفضلاً عن ذلك ان الاختلاف ولاسيما في المسائل العمرانية ضرب من التخريب فمن الضرورة ان نفهم الحرية والمساواة بمعناها الصحيح حتى يمكن لنا الوصول الى الحقيقة فان لم نفهمها كذلك فليس وراء المفهوم غير حرية محظورة ومساواة مستحيلة واليك البيان .

ان جميع ما يرى على الارض من شرور الانسان صادر عن حريتهِ المحضة اي الحرية المفطور عليها ولولاها لما دعت الحاجة الى اقامة حكومة . فوالحالة هذه ما استطاع الانسان ان يجتمع منقيداً بشريعة تحفظ حقوقهُ حتى باع حريتهُ المحضة للعدل وأصبح مسئولاً امامهُ عن كل ذنبٍ يقترفهُ وهو انما رضخ لذلك لعلمهِ ان باجراء العدل حرية اجتماعية تخولهُ التمتع بخير الحضارة والعمران

تلك هي حرية الدستور التي نستفاد منها وهي في حصر المعنى عبارة عن اجراء العدل وليست

في وحدها كذلك بل المساواة وسائر الاحكام الدستورية بدليل وجود الكل حيث يكون الاجراء وليس ثمَّ دستور . فان قيل ان لهذه الحرية معنى آخر يضر بالعوائد والعقائد . قلنا : ان المقول محمول على اشتراكها في الاسمية مع الحرية المحضة ألا ترى كيف ان العامة عندنا وبعض خاصتنا الذين يدعون الخاصة بدون حق لم يفهموا لها معنًى غير ما يستفاد منهُ عدم المسئولية بالاطلاق حالة كون مسماها على طرفي نقيض — هذه للخير وتلك للشر . فما حرية الدستور الاَّ لوقوفنا ازاء السلطة الحاكمة احراراً نتكلم بالسنتنا ونكتب باقلامنا ونسعى بالاشتراك مع حكومتنا في ما يوفقنا الله اليهِ من اسباب التقدم والنجاح مغذين حياتنا الاجتماعية بالغذاء الذي نجدهُ نحن انفسنا صالحاً لها بدون ان يكون فوقنا يد تغلبنا على امورنا

وغني عن البيان ان شر الانسان في ازمنة الاستبداد اكثر منهُ في ازمنة الدستور وسبب ذلك ان المظالم تقوي فيهِ حريتهُ المحضة حتى يغدو كل فرد من الهيئتين (الحاكمة والمحكومة) لا همَّ لهُ الاَّ الجري وراء مصالحهِ الخصوصية فتكثر حينذاك الشرور وتستولي الرذيلة وتنحدر البلاد باهلها وبعوائدهم وعقائدهم معاً في دركات الشقاء والانحطاط . وهذا كلهُ مشاهد فينا وفي كل امة يتأمرها حكام ظلام فاذا كنا نخشي في حال الدستور ان يلحق بعوائدنا وعقائدنا اضرار ادبية ودينية فبالاحرى ان نخشي ذلك في حال الاستبداد زمان لا يكون غير الرياء والخداع والكذب والنفاق الى آخر رذيلة مضرَّة بالدين والآداب . على ان حرية الدستور قد تجري مجرى الحرية المحضة اذا لم تتهيأ لها اسباب الخير او تهيأ بعضها وأُغفل البعض الآخر كما هي الحال عند الامم الراقية وسنأتي على ذلك في وقت آخر ان شاء الله . فعلينا اذن ان نهتم باستعمال حرية الدستور في ما وضعت لهُ دفعاً للشر فما الاستياء منها الاَّ ضغث على ابالة

تقدم ان المظالم تقوّي في الانسان حريتهُ المحضة وتحقيق ذلك نقول : كما ان هذه الحرية قد باتت اسيرة العدل من يوم اجتمع الانسان تحت ظل الشرائع والاحكام كذلك الحرية الاجتماعية المعروفة بحرية الدستور اسيرة الظلم لما ان كلاً منهما (اي العدل والظلم) عامل على معاكسة الآخر . وعليهِ فاذا حلَّ الظلم محل العدل أُطلق سراح الحرية المحضة كما ان العدل يطلق سراح الحرية الاجتماعية ولا اشكال في كل ذلك

هذا ولا بدَّ لنا وان نعلم ان من الاضرار التي نخشاها ما يعدهُ غيرنا نافعاً — اولئك الغير الآخذون بحقائق الامور الذين من حوضهم نغترف فعلينا ان نحذو حذوهم في جميع امورنا العمرانية حتى لا يبقى لهم مطمع في الانتفاع من ضعفنا كما هي الحال الحاضرة . فان لم نفعل

عليه ما حرموهم اياهُ من الحقوق الوطنية فان ذلك الحرمان لم يكن من الشريعة اصلاً وانما اقتضتهُ السياسة زمانئذٍ لضعف الثقة بهم اذ كانوا حديثي العهد بالمواطنة وكانت الفتوحات مدار السياسة الاسلامية

ولا جدال ان دولة الاسلام الاولى كانت تحكم باحكام دستورية محضة . ولا يشكل بعدم قيام مجالس نيابية فيها فانهُ لا علاقة بينها وبين الدستور الأ من حيث الخوف من الرجوع الى الاستبداد خصوصاً وان الدستور لم يكن منهُ الأ احكامهُ اي ان اسمهُ ما كان معروفاً عندهم فكان الدين قائماً مقامهُ لمنع السلطة عن الاستبداد . وواضح ان انتشار روح الدين ايامئذٍ بقوة راسخة واتخاذ الشريعة اساساً لكل عمل اغناهم عن كل ذلك اذ لم يكن قط ما يدعو الى الخوف من استيلاء الاستبداد

غير ان الانسان يبطر والايام تتغير فلم يكن الأ ردح من الدهر حتى دبَّت عقارب الضغط والقهر فتوارى العدل وتنوسي الفضل وبرز الظلم وانطفأ نور العلم

ولذلك اسباب سياسية منها تجزُّؤ المملكة العربية زمان لم يبقَ في وسع الخلفاء اخضاع العمال الذين مرقوا من طاعتهم وتحكموا في رقاب الناس كيف شاؤوا . ومنها غارة جبابرة اجتاحوا البلاد بحملاتهم وهتكوا حرمة العدل باستبدادهم . واخيرًا مظالم الالتزام ايام كانت البلاد تباع اقساماً لمدَّات معينة والحكم لمن يدفع الاكثر وكان الشارون يدخلونها فاغري الافواه لابتلاع اموال الناس . واظن ان سوريا لا تخلو اليوم من شيوخ قد لحقوا شيئاً من ذلك البلص . على ان الاستبداد الاخير قد رجع بالبلاد الى مثل ذلك الالتزام اذ كان الولاة والمتصرفون يبتاعون مراكز الحكم بالمال كما هو معلوم

فامر مسلَّم هو ان تلك الشدائد السياسية مع انطفاء نور العلم الديني والدنيوي معاً وابتداع تعاليم فاسدة اتخذها الناس قاعدة للظالم — كل ذلك جعلنا وراء سائر الامم بين ان وسائل التقدم منا على قاب قوسين — ولكن ما الحيلة اذا كنا نأبى الأ ان نعيش لعوائد راسخة نجد بها لذة التفوق والسيادة على علمنا بان اسلافنا الاقدمين كانوا يستخرجون من مكنونات الدين الاجتماعية جواهر باهرة وباننا كلنا اخوة في البشرية والوطن . ألسنا نعلم ان تلك العوائد هي غرسة يد الجهل لا غرسة الدين فحتى مَ اذن نتقاعد عن استخدام قوة الارادة لقلعها . فان كان ولا بد لنا من الامتيازات الدينيَّة فلنتوقعها في السماء دون الارض لان للامتيازات الارضية احوالاً اخرى لا تعلق لها بالدين وهاك بيان ذلك

ليس يخافى ان المساواة التي اسمعنا اياها الدستور هي المساواة في الحقوق ليس غير

لان المساواة في غير الحقوق مستحيلة على الارض . ثم من المعلوم ان كل فرد من افراد الانسان يختلف عن غيره في الاخلاق والمدارك والاستعداد الى آخر ما هنالك من المميزات بين الافراد حتى يستحيل وجود اثنين متساويين . وعليهِ فاذا طالب احد منا غيره بالمساواة في غير الحقوق فانما يطالبهُ بالمستحيل ولعل هذه المساواة لا توجد حتى ولا في عالم واحد من عوالم الاكوان كلها لاختلاف طبائع الكائنات . اذن اية مساواة جاءنا بها الدستور ان لم تكن المساواة في الحقوق حال كونهِ لا يستطيع ان يوجد لنا مساواة اخرى غيرها ولو عززناهُ بملايين من الدساتير

هذا ومن آفات الحياة الاجتماعية التي نجدها في بلادنا دون سائر بلاد الله ان نرى زيدًا من الناس يدعي التفوق على عمرو لاختلافهِ عنهُ دينًا كأن الدين جاء ليعلو بالوضيع على الرفيع . مع ان مقامات الناس انما تكون بحكم التأثير في الهيئة الاجتماعية فكل مقام لا تأثير لهُ فيها كمقام الغني اللئيم مثلاً هو باطل . فالوثني المحسن الصالح مثلاً أعلى مقامًا في نظر الارض والسماء معًا من اللئيم المسيء المتدين باحد الاديان المنزلة لمجرد التفاخر بدينهِ . ومقام العالم الوثني فوق مقام الجاهل مهما كان دينهُ . ومقام فيلسوف من فلاسفة اليونان كارسطو وسقراط يعلو على جميع ما في شرقنا الآن من المقامات . فاذا رأيت عطلاً يحدثك عن معبودهِ او عن جدودهِ فاولهِ ظهرك وامشِ لان المقامات الصحيحة انما تقوم بالذاتية

مرسين جرجس خولي

المكاتب العربية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اطلعت على الخطب التي تليت يوم افتتاح الجامعة المصرية ونشرتموها في جزئي يناير وفبراير وقد وقفت امام عبارة تاريخية وردت في خطبة حضرة احمد بك زكي سكرتير الجامعة وهي قولهُ " ان المكتبة التي جمعها بطرابلس بيت من بيوت القضاة وهم آل عمار بلغت ٣٠٠٠٠٠٠ مجلد ولكنها قضى عليها نحس الطالع فذهبت كلها طعمة للنار "

فهل يريد حضرة زكي بك انهُ كان في طرابلس الشام مكتبة لبعض قضاتها تحوي ثلاثة ملايين من المجلدات افلا تظنون انهُ وقع خطاءٌ مطبعي والصواب حذف صفرين من الاصفار الستة فان ذلك اقرب الى العقل وثلاثون الفًا من المجلدات ليست مما يستهان بهِ بل هي مكتبة كبيرة جدًا اذا احتواها بيت انسان واحد اما اذا حوت تلك المكتبة ثلاثة ملايين

مجلد فتكون اوسع مما استطاع جمعهُ المتقدمون والمتأخرون في مكتبة واحدة فارجو ان تفصحوا لنا عن رأيكم في ذلك ولكم الفضل

احد الطلبة بيروت

[المقتطف] لا ندري عمن نقل حضرة الخطيب ما نقلهُ . وقد جاء في تاريخ سورية الذي الفهُ حضرة المؤرخ جرجي افندي يني الطرابلسي في الصفحة ٣٨٢ ما نصهُ " ان خزائن طرابلس كانت ملئت من الكتب المفيدة التي احالها الافرنج رماداً فخسر العالم بفقدها كنزاً عظيماً فان بين مجلداتها كثيراً من كتب الفرس والعرب واليونان وكان فيها عديد من الكتبة يشتغلون على الدوام بنسخ كتب الخط وقال ابن طيء المؤرخ العربي ان عدد هذه الكتب كان ثلاثة ملايين من المجلدات غير ان مؤرخاً آخر يقول ان عددها لم يتجاوز المائة الف مجلد وان جامعها القاضي ابو حسن طالب وهو نفسهُ قد ألف كثيراً وانهُ كان متولياً البلدة وقد بعث برسائل الى الاقطار مفتشاً عن الكتب النادرة مهما كان ثمنها عظيماً وقد ندب مؤرخو العرب فقدان تلك المكتبة على ان المؤرخين الصليبين القدماء لم يذكروا عنها شيئاً ليستروا زلة قومهم "

وواضح مما تقدم ان احد مؤرخي العرب جعل عدد تلك الكتب ثلاثة ملايين اي اكثر مما استطاع جمعهُ اي ملك كان من الملوك العظام واكثر مما في المكتبة الانكليزية الكبرى والمكتبة الالمانية الكبرى ومثل ما في المكتبة الفرنسوية الكبرى او اكثر منهُ وان مؤرخاً آخر قال ان عددها مئة الف فقط وان اسم جامعها هو القاضي ابو حسن طالب . وقد نقل كترمير في تاريخ المماليك ان عددها مئة الف ايضاً وان الذين جمعوها آل عمار ونقلت ذلك الانسكلوبيذيا البريطانية في كلامها على طرابلس اما ابن الاثير وابن خلدون فذكرا اخذ الافرنج لطرابلس ولم يذكرا شيئاً عن حرق كتبها وواضح مما جاء في ابن الاثير ان آل عمار كانوا ولاة طرابلس او على الاقل القاضي فخر الملك ابو علي ابن عمار . وقد قال ابن الاثير ان الافرنج نهبوا من اهل طرابلس الاموال والامتعة وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يحدُّ ولا يحصى ولم يقل انهم احرقوها وكان ذلك سنة ٥٠٣ للهجرة وكان ابن عمار والياً على طرابلس فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٠١ ان القاضي فخر الملك ابا علي ابن عمار صاحب طرابلس الشام ورد الى بغداد قاصداً باب السلطان محمد مستنفراً على الفرنج طالباً تسيير العساكر لازاحتهم عن طرابلس . اما اهالي طرابلس فراسلوا الافضل امير الجيوش بمصر يلتمسون منهُ والياً يكون عندهم ومعهُ الميرة في البحر فسيَّر اليهم شرف الدولة بن ابي الطيب والياً ومعهُ الغلة وغيرها مما تحتاج اليهِ البلاد في الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة

من اهل ابن عمار واصحابهِ واخذ ما وجدهُ من ذخائرهِ وآلاتهِ وغير ذلك وحمل الجميع الى مصر في البحر فاذاً نهب اموال آل عمار والٍ من قبل مصر لا الافرنج على قول ابن الاثير وان كان ذلك الوالي قد ارسل الامتعة الى مصر وترك الكتب فيكون ذلك لقلة احتفالهِ بها وان صحَّ ان آل عمار هم الذين جمعوا تلك الكتب فالذين جمعوها من ولاة طرابلس لا من آحاد الناس فهي مكتبة عمومية ويبقى امر الاختلاف بين ما نقلهُ تاريخ المماليك وما نقلهُ تاريخ سورية في اسم الجامع لهذه الكتب وبين المؤرخين الذين استشهد بهما تاريخ سورية . وان كان اغفال المؤرخين الصليبيين القدماء ذكر احتراق هذه المكتبة هو لستر زلة قومهم فلماذا اغفل ذكرهُ ابن الاثير وابن خلدون ايضاً . هذه امور تستحق البحث المدقق اما القول ان تلك المكتبة كانت تحوي ثلاثة ملايين من المجلدات اي اكثر مما تحويهِ المكتبة الخديوية ستين ضعفاً فما يصعب تصديقهُ

الوحام والاجنة

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

ذكرتم في الجزء الماضي في ما اجبتم بهِ عن السؤال الاول انهُ لم يقم دليل علمي حتى الآن على تأثير الوحام في الاجنة على ما جاء في قصة لابان . والمتعارف عندنا ان الوحام يؤثر في الاجنة ويذكر الناس اشياء كثيرة غير عادية ظهرت في الاجنة ولا تعليل لظهورها غير ان امهاتهم توحمن عليها وهن حوامل كأن يولد الطفل وفي وجههِ علامة مثل التفاحة لان امهُ توحمت على التفاح وهي حامل بهِ او يولد وفي ذراعهِ علامة تشبه القثاء لان امهُ توحمت على القثاء . افلم يذكر العلماء ولا سيما الاطباء امثلة مثل هذه وكيف تعللونها

مصر باحث مستفيد

[المقتطف] نعم ذكر الكتاب امثلة كثيرة من هذا القبيل ذاهبين فيها الى ان وحام المرأة او ما يعرض لها اثناء الحمل يؤثر في جنينها جسداً وعقلاً وقد جمعت الدكتورة فلورنس درسلر الامثلة التالية على ذلك

المثال الاول . قال الدكتور بنكوست ان امرأة رأت زوجها دخل بيتهُ ووجههُ وارم مشوَّه من لطمة اصابتهُ وكانت حبلى فولدت ابنةً وجهها وارم محمرٌ

المثال الثاني . جاء في كتاب الاحاديث الطبيعية ان ولداً حرق وجههُ وتشوه ورأتهُ

امهُ على تلك الحال وكانت حبلى فلما جاء وقت ولادتها ولدت جنيناً ميتاً ورأسهُ كبير بالنسبة الى جسمهِ وعليهِ نقاط كأنهُ محروق ·

المثال الثالث · روى الدكتور اشبرتن طمسن ان رجلاً اصيب بآفة واضطرَّ الجراح ان يخرق رقبتهُ ويدخل فيها انبوباً يتنفس منهُ · ورأتهُ امرأة حامل وهو على تلك الحال فرسخ في ذهنها ان جنينها سيولد مشوَّهاً كذلك فولدت طفلاً في عنقهِ شق كالشق الذي رأتهُ في عنق ذلك الرجل

المثال الرابع · خُرقت اذنا ابنة للبس الحلق وكان ذلك على غير رضى امها وكانت حبلى واعتقدت انها ستلد طفلاً اذناهُ مخروقتان فكان كذلك

المثال الخامس · ولد طفل وفي احدى قدميهِ اربع اصابع فقط وهي فاقدة الاصبع الاصغر وقالت امهُ انها لما كانت حبلى كان زوجها يقص اظافر قدمها فلما وصل الى الاصبع الاصغر قال لها مازحاً الاحسن قص هذا الاصبع فصرخت وابعدت رجلها عنهُ غنجاً فأثر ذلك في جنينها

المثال السادس · روى الدكتور ملنجن ان امرأة رأت قريباً لها والطبيب يعلق لهُ العلق (الدود) على رجله فنفرت من ذلك وكانت حبلى فولدت طفلاً على رجلهِ شيء كالعلقة لاصق بها

المثال السابع · كان ولد مغرماً بالمراهنة يراهن رفاقهُ التلامذة على كل شيء ويكسب منهم ولا يكلم احداً الاَّ ويدعوهُ الى المراهنة حتى ضاق بهِ معلموهُ ذرعاً وقاصوهُ كثيراً ولم يرتدع وبحث طبيب العائلة عن سبب ذلك فوجد ان ابا الولد كان يركب خيل الرهان ويعلم ايهما يسبق غيرهُ ويخبر زوجتهُ لكي تذهب وتراهن وكانت تفعل ذلك دائماً وهي حبلى بهِ ثم تركت الرهان وترك زوجها ركوب الخيل واحترف حرفةً اخرى وولد لهما اولاد آخرون ولكنهم لم يكونوا مثل الولد الاول المغرم بالرهان

المثال الثامن · كان رجل سائراً مع امرأتهِ في غابة ليلاً ورأيا شيئاً خافت المرأة منهُ وطلبت من زوجها ان يهرب بها وكانت حبلى في شهرها السادس اما هو فامعن نظرهُ في الشيء الذي اخافها فوجد انهُ رجل سكران ملقى على الارض يتمرَّغ ثم ولدت تلك المرأة ابنةً معتوهة كالسكران

المثال التاسع · قال الاستاذ فولر اصيب ولد على رأسهِ بشيء سلخ جلدهُ وأُتي بهِ الى البيت على هذه الصورة ورأتهُ امهُ وكانت حبلى فولدت طفلاً مشوَّهاً معتوهاً

المثال العاشر . قال الدكتور بنكوست ان امرأة أُجبرت على رؤية عجل يذبح ويشق بطنهُ وتنزع امعاؤُهُ منهُ وكانت حبلى فولدت طفلاً امعاؤُهُ خارجة من بطنهِ

المثال الحادي عشر . راى رجل خنوصاً صغيراً راكضاً يفتش عن امهِ ليرضع منها فضربهُ بعصاً كسرت ظهرهُ فزعق زعيقاً مؤلماً وكانت زوجتهُ واقفة ورأت الخنوص وسمعت صوتهُ وقالت انهُ خرق اذنيها وكانت حبلى فلما ولدت جاء طفلها فاقداً قوة الحركة في ظهرهِ ورجليهِ

ويقال ان ام نبوليون بونابرت رافقت زوجها في واقعة حربية وهي حامل وساعدتهُ في تنظيم حركات الجنود فولد نبوليون وهو رجل حرب لا يهنأ لهُ عيش الاَّ اذا كان على ظهر جوادهِ يدير الوقائع الحربية ولم يكن احد من اخوتهِ كذلك

وان موزار الموسيقي المشهور كانت امهُ تشتغل بالموسيقى وهي حامل بهِ ثم اهملت الموسيقى بعد ولادتهِ فجاء اولادها بعدهُ ولا ميل لهم اليها

وان ابنة مدام بورغي مامو كانت تغني كل اغاني الاوبرا وهي في الثالثة او الرابعة من عمرها من غير ان تتعلم وذلك لان امها كانت تغني في الاوبرا وهي حامل بها

وزارح كلبرن الرياضي كان نابغة في الرياضيات وسئل وهو في السادسة من عمرهِ كم يوم وكم ساعة في ١٨١١ سنة فاجاب بعد ثلث دقيقة ان فيها ٦٦١٠١٥ يوماً و١٥٨٦٤٣٦٠ ساعة وقد كانت امهُ حائكة تحيك المنسوجات المعرقة وتعدّ الخيوط وتحسب ما يلزم ان يؤْخذ من كل لون لتكوين العروق اللازمة وكانت تعمل ذلك وهي حامل فولد حساباً كما تقدم

وقد ذكروا امثلة كثيرة من هذا القبيل ولاسيما من حيث ولادة الاولاد الجمال المنظر المعتدلي القامة وتعليل ذلك بان امهاتهم كنَّ ينظرن الى الصور الجميلة في حال حملهن

ولكن من يمعن نظرهُ في هذه الحوادث وامثالها يجد ان التعليل يوجد بعد الحادثة اي اذا وُلد ولد وفيهِ علامة ما غير عادية ادَّعت امهُ انها رأَت ما يشبه تلك العلامة فاثّرت رؤيتها فيها . ولم يُذكر ان امرأة حبلى رأَت شيئاً غير عادي وانبأَت هي او غيرها ان طفلها سيولد وفيهِ ما يشير الى ذلك الشيء وكتب ذلك في كتاب حتى لا يقع غلط فيهِ لانهُ لا يعتمد على الذاكرة في هذه الاحوال

واذا كانت الحوادث المتقدمة صحيحة فلماذا لا تتخذ قاعدة لتحسين نوع الانسان شكلاً ولوناً وقواماً وعقلاً وادباً

ثم انا رأينا بعض العلامات التي قيل انها تشبه شيئاً رأتهُ الحامل فلم نرَ اقل مشابهة بينها وبين ما قيل انها تشبههُ فقد قيل لنا مرةً ان ولداً ولد وفي جنبهِ صورة سمكة وان ذلك

ناتج عن ان امهُ اشتهت السمك وهي حامل وحكّت جنبها فجاء ابنها وفي جنبهِ صورة سمكة ولما اظهرنا الريب في ذلك اتونا بالولد وكان فتًى فرأينا في جنبهِ مشحة بنيَّة اللون لا تشبه السمكة الّا في كونها طويلة ضيقة وليس لها رأس ولا ذنب ولا زعانف ولا شيءٌ من مقومات صورة السمك

وقيل لنا مرةً اخرى ان ولدًا ولد وفي عنقهِ صورة كبش من كبوش التوت الشامي لان امهُ اشتهت التوت الشامي وهي حامل وحكّت عنقها فرايناهُ واذا في عنقهِ شامة كبيرة مستطيلة لا غير ولم نرَ شبهًا بينها وبين التوت الشامي

وكل حامل ترى امورًا كثيرة تؤثر فيها مدة حملها وتشتهي اشياء كثيرة فلو كان ذلك يؤثر في الجنين لما وجدنا حدًّا لاختلاف صور الناس المقدَّمة لاشكالهم

ولا شبهة ان حالة الحامل الصحيَّة تؤثر في جنينها وانهُ يرث منها ومن ابيهِ واسلافهما كل ما فيهِ جسدًا وعقلاً وانهُ قد يشذُّ عنهما في اشياء لان الدقائق التي تصل اليهِ منهما تتركَّب فيهِ على صور تخالف الصور الاصلية التي كانت فيهما . ومن المحتمل ان الامور التي تؤثر فيها تأثيرًا شديدًا تؤثر في جنينها ايضًا ولكن الذي يعلم كيف يتكوَّن الجنين وكيف انهُ خلاصة تاريخ والديهِ واسلافهما منذ الوف والوف الوف من السنين ولم تثبت صفة فيهِ الّا بعد ان توالت على اسلافهِ اعقابًا كثيرة لا يصدّق ان رؤْية المرأة وجه زوجها وارمًا تؤثر في جنينها فيولد ووجههُ وارم

ومهما يكن من ذلك فالامر يحتاج الى تحقيق علمي وتجارب كثيرة حتى يثبت او ينفى بالامتحان

مذهب جديد في تعليم اللغة العربية

يا صاحبي المقتطف الزاهر

سلام عليكما ونفع الله بعلمكما الناس وبعد فارجو ان تفسحا للبيان الآتي مجالاً في صحيفتكما الزاهرة

لا يخفى على المشتغلين بتعليم اللغة العربيَّة او تعلُّمها انها من اصعب لغات الارض وان الناشئ قد يصادفهُ من العقبات ما لا يصادفهُ من اللغات الاوربيَّة واكثر المصاعب وضوحًا في اللغة العربيَّة ما يأتي :

١ ان اللفظ الواحد فيها يمكن ان ينطق على صور مختلفة ويؤدي معاني مختلفة فلفظ (فهم) مثلاً يقرأ فُهِمَ وَفَهِمَ وفَهْمٌ وعلم يقرأ عَلِمَ وعُلِمَ وعَلَمٌ وعِلْمٌ

٢ ان اللغة المكتوبة والمقروءة في الكتب الصحيحة واسفار العلم وصحف الادب ونحوها هي اللغة الفصحى وهنالك غيرها لهجات شائعة بين عوام الناس وتختلف باختلاف الاقليم الواحد والقطر الواحد ويشاهد برهان ذلك ان فلاح مصر لا يمكنهُ فهم لغة رجل من المغرب الاقصى او الجزائر او الشام · فالعربي في الحقيقة يتعلم لغة للتفهم اليومي ولغة لفهم ودرس الكتب الفصيحة

امام هاتين الصعوبتين الرئيسيتين في اللغة العربية ترى ان اللغات الاوربية خالية من كل ما يصعب تعلمها ويجعل السبيل اليها وعرًا · فالاختلاف بين لغتهم المكتوبة والمقروءة والمتكلم بها قليل او معدوم ولذلك تجدهم يكتبون تحاريرهم ونحوها بدون تكلف وتراهم يجيدون فيها باقل عناء. زد على ذلك ان اللفظ الواحدعندهم لهُ رسم واحد فلا يلتبس بغيرهِ ففي الانكليزية مثلاً لا يمكن ان يحتمل اللفظ الواحد من المعاني غير الدال عليهِ وذلك لعدم الاحتياج الى ما يماثل الشكل في اللغة العربية

ولذلك قد فكر الضعيف صاحب هذه السطور في استنباط طريقة مبنية على اساس بيداجوجي بها يسهل تعليم وتعلم اللغة العربية الشريفة ولو ان اهل التفكير واصحاب الرأي السليم يشفعون مقالي هذا بما يبدو لهم استحسانًا واستهجانًا وما يؤيد كلاً لعملوا الواجب نحو لغتهم الشريفة

في الفرق الاولية من المدارس النظامية لا يستحسن تعليم شيء من اجرومية اللغة العربية ونحوها وصرفها بل الاولى ان ينصرف التلاميذ الى الامور الآتية

(اولاً) حفظ قسم كبير من القرآن الكريم بالضبط والشكل الكامل مع فهم المعاني فهماً جيدًا ويكون الحفظ عن ظهر قلب

(ثانياً) حفظ ما استسهل واستعذب وجاد من اشعار العرب بعد الاسلام ويكون الحفظ عن ظهر قلب المتعلم

(ثالثاً) تكليف التلاميذ بانشاء منشآت مع ادخال المناسب مما حفظوهُ

(رابعاً) الخطابة يلزم ان يتدرب عليها التلاميذ وتفرض لها جوائز · ومناظرة بعضهم بعضاً واستعمال اللغة العربية الفصيحة في جدلهم من اول الامور الواجب الاهتمام بها اهتماماً عظيماً · ويلزم ان لا يتكلم التلاميذ مع معلميهم اومع رفاقهم الا باللغة الفصحى

ويجب في الفرق الراقية ان يكثر التلاميذ من عمل المنشآت ويتدربوا على تنسيق الموضوعات وابداء الآراء بطريقة منطقية راقية في قالب فصيح عذب . وبالجملة فاني ارى ان التلميذ يلزم ان يرمي بسهمين في آن واحد اولها حفظ الكثير من اشعار العرب وكلامهم والقرآن الكريم ثانياً استعمال العربية الفصحى كثيراً في المخاطبة والجدل

اما النحو والصرف وعلوم الادب فتعلم في الفرق الارق وبالطرق البيداجوجية الصائبة فيلزم ان تستخرج القواعد من امثلة كثيرة لا ان يذكر المدرس القاعدة ويمثل لها بامثلة قليلة مبتذلة ويلزم الاعتناء والاكثار من التمرينات فالتمرين ليس كمثله شيء في ازالة العقبات وتذليل المستعصيات ولقد يأتي الانسان بالمدهش والمعجب ويصير وحيد دهره وعالم عصره باي شيء مهما صعب وذلك كلهُ بالتمرن عليهِ والتدرب فيهِ

مصر حسين لبيب
مدرسة المعلمين الخديوية

تنازع البقاء بين العلوم

نشر المقتطف في الجزئين الاول والثاني من مجلدهِ الرابع والثلاثين الصادرين في شهري يناير وفبراير (كانون الثاني وشباط) من العام الحاضر جانباً من مقالة علميَّة وضعها الدكتور شبلي شميل لتكون مقدمة لكتاب عزم على اعادة طبعهِ وهو "شرح بختر على داروين". وقد اشتملت هذه المقالة على آراء غريبة لم يأتلف قراءة شيء يماثلها الناطقون بالضاد الاَّ من تفرَّغ منهم لدرس العلوم العالية واشتغل بالبحث عن الحقائق الملموسة وغير الملموسة

ولما كنت من الذين اهتموا بمثل هذه المباحث وقد عكفت على تمحيصها منذ حداثة سني جئت اذكر هنا ما جال في خاطري عند مطالعتي تلك المقالة . فاقول

ان المقالة التي وضعها الدكتور شميل اذا حللناها الى عناصرها الاخيرة على مذهب الكيماويين او نظرنا في مقدماتها ونتائجها على مذهب المنطقيين رأيناها تحوم حول نقطة واحدة هي هدم ركنين من اركان الاجتماع البشري وهما : الدين والشرع : وما ذلك الاَّ ليقيم مقامهما ركناً اوهى من خيط العنكبوت هو : الطبيعة ونواميسها المسيِّرة : ولم يراعِ حضرتهُ الفرق العظيم الموجود بين الحوادث البشريَّة والحوادث الطبيعية فاراد ان يطبّق الشرائع البشرية التي اساسها الاختيار على الشرائع الطبيعيَّة التي اساسها الاضطرار . وقال " ان

درس نواميس الاجتماع البشري يجب ان يكون بدرس الجسم الحي نفسهِ ووضع نظاماتهِ على نفس نظاماتهِ لان الاجتماع البشري نفسهُ ليس الأجسماً حياً ايضاً "

ومن الغريب انهُ مع اعتقادهِ وجوب المبادرة الى هذا التطبيق فقد اقرَّ هو نفسهُ " ان الاجتماع (البشري) عاقل والطبيعة عمياء " فلا نعلم كيف انهُ يريد تطبيق ما هو عاقل على ما هو اعمى الأ اذا حاول سلخ الحرية من افراد بني البشر ونزع مسؤوليتهم عن اعالهم . وبغير ذلك يكون هذا التطبيق معمًى لا يدرك لهُ معنًى

اما البراهين التي اتى بها لهدم ما بناهُ عقلاء بني البشر في مدة تتجاوز عشرين قرناً فهي قولهُ :

" ان العلوم الدينيَّة تفصل الانسان عن هذا العالم حتى لا يعود يعتد بهِ وهو بالواقع لا يفصلهُ عنهُ شيء حتى ولا الموت . والحياة الادبيَّة تصوّرهُ فوق حقيقتهِ بكثير كما تتخيل هي لا كما هو فتزيدهُ ضعفاً على ضعفهِ وتجعل حياتهُ تكلُّفاً ورياء . وهاتان الحياتان الخياليتان تصطدمان في الاجتماع بالحياة العملية التي لا يسع الانسان ان ينفك عنها طرفة عين فتتنازعهُ كل هذه العوامل المتناقضة وتمزّقهُ ايَّ تمزيق وهو الخاسر في هذا التنازع . ولو بُني دين الانسان على علاقتهِ الحقيقية الطبيعيَّة وأُقيمت آدابهُ على نواميس الاجتماع الطبيعي لكان في كل اعمالهِ متناسباً مع نفسهِ متوافقاً مع تعاليمهِ ...... ولاستغنى عن تلك الفلسفة النظرية المضللة المبنية على الخيال واقام مقامها الفلسفة العملية المادية الى السبيل القويم "

وقد توصل الدكتور شميل بتلك الاقوال الى هذه النتيجة العظمى وهي : " ان العلوم الطبيعيَّة هي المعول الذي يزعزع اركان تلك العلوم (اي العلوم النظرية) ويهدم بنيانها . بل هي الخل الذي سيتكفل بقلب ما بني عليها من النظامات المتقلقلة والشرائع التي هي سبب كل ما نراهُ من الاضطراب في الاجتماع لفقد التوازن "

وانتقل حضرتهُ من الطعن على العلوم النظرية الى الطعن على الشرائع الثيوقراطية والشرائع الاوتوقراطية . كأنَّ الفلاسفة هم الواضعون لتلك الشرائع المسؤولون عما سببتهُ من استبداد السلطتين الدينية والمدنية واعتدائهما على حقوق الافراد ومصلحة الجمهور استئثاراً بمنفعة ائمة الدين والدنيا الشخصية

اما حدة انتقادهِ العلوم الفلسفيَّة والادبية فقد بلغت بهِ الى درجة حملتهُ على اعتبارها عقبة في سبيل ارتقاء الانسان وجعلتهُ يشدّد النكير على الحكومات التي " ما زالت تؤيدها

وتنشئ لها المعاهد وتقيم لها الجامعات التي يتغنى بها بعض الشعوب حتى اليوم والتي لا يزول ضررها الاَّ بانقراضها"

ومن غريب غلوّهِ بالحمل على هذه العلوم انهُ استحسن حرق مكتبة الاسكندرية لان كتبها الثمينة لم تكن سوى "آثار مخلدة لضلال الانسان صارفة اياه من النظر في ما لديهِ من الحقائق مانعة لهُ عن السلوك في الصراط المستقيم"

وحيث ان هذه العلوم لم تفقد بين الناس بحرق تلك الكتب لاهتمام الخلف بلمّ شعثها وجميع شتاتها في كتب طبعت اليوم طبعات تعدّ بعشرات الوف الالوف فقد تمنّى لها الانقراض بل تنبأ بانقراضها في القريب العاجل بقولهِ: "ولكنها ستنقرض وستنقرض معها كل تلك العلوم العالية كما يسمونها اليوم حتى يعفو اثرها وهي من يوم خطا الانسان الخطى الصائبة في علوم الطبيعة في احتضار سيجهز عليها وكل سنة في هذا السبيل بمقام قرون في الماضي"

فاذا صدقت نبوة الدكتور شميل تمّ لا محالة هذا الانقراض بفعل ناموس تنازع البقاء وتغلب العلوم الطبيعية القوية على العلوم النظرية الضعيفة · واصبحت هذه العلوم الاخيرة حلقة من الحلقات المفقودة في سلسلة المعارف البشرية سوف يبحث عن آثارها خلفاؤُنا كما نحن اليوم نبحث عن الحلقات المفقودة في سلسلة الكائنات

ثم انهُ لما كان تاريخ العلوم الفلسفية لا يتجاوز القرن السابع قبل المسيح وكان من ثم دهر هذه العلوم نحو ستة وعشرين قرناً فاذا حسبنا كل سنة الآن في سبيل احتضار هذه العلوم بمقام ثلاثة قرون على الاقل فتكون المدة الباقية لها اقل من تسع سنوات على حساب الدكتور شميل

على انني أرى الدكتور شميل قد نسي اليوم ما قالهُ امس . والاَّ لما ناقض بقولهِ هذا ما قالهُ في رسالتهِ "الحقيقة" التي طبعها منذ اعوام . فقد جاء في تلك الرسالة ما يأتي بالحرف الواحد :

"نعم ان صلاح الهيئة الاجتماعية صلاحاً تاماً لا يكون الاَّ اذا كان العلم الصحيح تاماً عامّاً ولا بدّ منهُ يوماً ما الاَّ ان ذلك بعيد جداً وربما لزم لهُ الوف من الاجيال لان ازالة ما رسخ في العقل من المبادىء في الوف من الاجيال ليست بالامر السهل"

فاين التسع السنوات الباقية لانقراض العلوم النظرية على ما قالهُ الدكتور شميل من الوف الاجيال التي ظنها ضرورية لتغلب العلوم الطبيعية عليها ونشر هذه العلوم بين الناس ورسوخها في عقولهم

وخلاصة القول ان الغرض الوحيد الذي من اجله وضع الدكتور شميل مقدمتهُ التي نحن في صددها هو تعظيم العلوم الطبيعية وجعلها وحدها معيار الحق وقسطاس اليقين . فدعاها العلوم الحقيقية الصحيحة . ووصف العلوم الاخرى البشرية بالالفاظ الآتية : مماحكات لا طائل تحتها . مخافات يتنزل العقل فيها الى حد التبذل . مخرقة وتفنن في المشاغبات لا دليل مرشد الى الحق رادع للباطل . هيام في الاوهام لا ضابط لها الا الخيال . حكايات كحكايات الغول والعنقاء " وشبهها " بسلم واهي الدرجات متناخر القوائم . وزينة كزينة القبور المكلسة . وصقال كصقال العقدة التي لا تحل " وغير ذلك من التشابيه الغريبة في بابها .

اما العلوم الطبيعية فهي على رأيهِ . " ام العلوم الحقيقية . ويقتضي ان تكون ام العلوم البشرية وان تقدم على كل شيء وان تدخل في تعليم كل شيء . فيصح نظر الانسان حينئذٍ في لغاتهِ وينتظم قياسهُ بدليلهِ وتقوى فلسفتهُ بارتباطها وتعلو آدابهُ لانطباقها على العمل وتصلح شرائعهُ لتطبيقها على نظام الاجتماع الطبيعي ويتسع عقلهُ لانطلاقهِ من قيودهِ المتناقضة وتقييدهِ بنظام واحد شامل ذي اتساع لا يحد وتصح احكامهُ لترتيبها على القياس الصحيح ويسرع ارتقاؤهُ لانطباقهِ في سيرهِ بهِ على نواميس الكون "

ومعنى ذلك ان الانسان اذا نقب الارض ليدرس معادنها واكبَّ على انبيق الكيماويين ليحلل المادة الى عناصرها ودخل الغابات ليبحث عن انواع اشجارها وطباع حيواناتها وعالج مشراط الجراح وتعاطى صناعة الطب او البناء او الفلاحة والزراعة فقد صار لغوياً فصيحاً . ومنطقياً مصيباً . وفيلسوفاً حكيماً . واديباً فاضلاً . ومشترعاً عادلاً . كيف لا والعلوم العملية هي العلوم الحقيقيةُ الصحيحة ذات المعجزات العجيبة . وما العلوم الاخرى الا اوهام في اوهام . ومخافات اضلت العقل واغوتهُ . وافسدت الآداب والاخلاق . وبلبلت نظام الاجتماع . وبذرت بذور البغضاء والشحناء بين الافراد والجماعات . اما العلوم الطبيعية فهي التي سوف تغير اخلاق الانسان وفلسفتهُ وشرائعهُ وحكوماتهِ وغير ذلك مما يتعلق بهيئتهِ الاجتماعية

ان العاقل منا اذا نظر في مثل هذه الاقوال نظر المتبصر يقف حائراً مدهوشاً مما يراهُ فيها من الغلو والتهور اللذين تجل عنهما الابحاث الفلسفية والعلمية

ولا يخفى ان كلام العلماء لا يقدَّر الأ بقدر ما يتضمنهُ من الادلة والبراهين لا الطعن والتنديد . ومن ثم كان اول واجب على من يذهب مذهباً حديثاً في العلوم او الفلسفة يناقض

المذاهب المتقدمة ويريد ان يبرهن على بطلان هذه وحقيقة تلك ان يراعي شعور خصومهِ فلا يقول لهم ان آراءهم : هذيان · ومخافات · ومماحكات . ومشاغبات · وتضليل وغير ذلك من الالفاظ التي تمسّ باحساسهم دون ان تقوي حجتهُ

قلت ذلك لان الحدة التي يبديها الدكتور شميل كما ذكر العلوم النظريَّة لو ابداها عالم نظري فقال عن مذهب العلماء الطبيعيين مثلاً : انهُ تضليل وغواية وهذيان وغير ذلك من قوارص الكلام تحول البحث العلمي الى مشاحنة وضاعت الفائدة المقصودة منهُ · وليس هذا بمقام من جعل وجهتهُ البحث عن الحقائق العلمية للاستفادة والافادة

هذا ما جال في خاطري عندما طالعت المقدمة التي وضعها الدكتور شميل تعظيماً للعلوم الطبيعيَّة

ولست انا ممن ينكرون ما للعلوم الطبيعية الجليلة من اليد البيضاء على الهيئة الاجتماعية وما يجنيهِ منها بنو البشر من الفوائد الجزيلة · وغاية ما اتمناهُ ان تسير هذه العلوم بجانب الفلسفة لتتفقا معاً على تبديد غياهب الجهل السائد بين الناس في ما يختص بامر دينهم ودنياهم

واستلفت هنا نظر الدكتور شميل الى حقيقة غابت عنهُ وهي ان الانسان يدرك العلوم بعقلهِ . وان الفلسفة هي علم العقل · فالفلسفة اذًا هي ام العلوم لا العلوم الطبيعية كما يدعي

ثم انني استأذنهُ ان اجول معهُ في ميدان البحث عن موضوع هو مدار الخلاف بين العلم والفلسفة ونقطة النزاع بين العلماء الماديين والعلماء الروحيين وهو : وجود النفس : وذلك اذا فسح لي المقتطف الاغر مجالاً لوضع مقالة عنوانها "المادة والروح" كنت قد شرعت في نشر جانب من مقدماتها في مجلة ادبيَّة منذ احدى عشرة سنة ثم توقفت لتوقف تلك المجلة عن الظهور

يوسف شلحت

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فصل الخطاب في الرجل والمرأة (١)

هذا موضوع كان قد كتب فيهِ بعض المتأدبين في جرائد هذه المدينة (بيروت) ايام لم تكن هذه القصيرة اليد قادرة على الدخول في مثلهِ موضوعاً . وكثرت المحادثات فيهِ في الاجتماعات المنزلية على ما عرفت وظهر للمرأَة انصار يوجبون مساواتها للرجل ظن انها في حالها المألوفة لها من صدور الدهر منحطة قدرًا عن الرجل . وقد جرى امامي محادثة بين سيدتين متعلمتين تمادتا فيها وانتهتا الى أن المرأَة ينبغي ان يكون لها من الحقوق في مناصب الحكومة مثل ما للرجل فمنذ ذلك اليوم جعلت افكر في هذه المسألة والتفت اثناء تفكيري فيها الى الحالة الاجتماعية التي جرت عليها المرأَة من اوائل الدهر الى يومنا هذا فخطر لي ما انا كاتبتهُ وهو فيما اعتقد القول الفصل في المسألة المشار اليها فاقول

من المعلوم لكل احدٍ ان الرجل والمرأَة مصدر الكائنات البشريَّة والعلة في بقائها فاذا انقرض احدهما انقرض النوع البشري برمتهِ حتى لا يبقى على سطح الغبراء ديَّار ولا نافخ نار وقد صاغ الخالق الحكيم كلاًّ منهما صيغة مناسبة لما اراد بهِ كما صاغ كل واحدةٍ من المشاعر الخمس صيغةً لا يحصل المقصود من تلك الحاسة الاَّ بها

وهذا المبدع الذي لا حدود لحكمتهِ . ولا تخوم لقدرتهِ قد جعل البشر طبقات وجعل كلَّ طبقة محتاجة الى غيرها فكانت الحاجة هي الرابطة بين تلك الطبقات . فالملوك على مقامهم هم في حاجةٍ الى رجال السيف والقلم او الى الجند والوزراء . والاغنياء مع بسطة ثروتهم هم في حاجة الى الفقراء . وترى الجهال من اية طبقة كانوا في حاجةٍ الى العلماء والمرضى في حاجةٍ الى الاطباء ولا رزق لهؤُلاء الاَّ العلل والاسقام فكأَنما كرومهم و بساتينهم وحقولهم الحمى وذات الجنب والنقرس وانتفاخ الكبد ومرض القلب وهلمَّ جرًّا الى سائر

(١) للكاتبة الاديبة المرحومة انيسة كريمة الاستاذ سعيد الخوري الشرتوني

انواع المرض · وللفقراء اعمال ضرورية لا يستطيع الاغنياء أن يقوموا بها · فهل من غنيّ يكفيك مؤونة الزرع والحصاد والدياس والطحن والخبز ام هل من متمول يحمل لك الامتعة الى منزلك

ولكن الغنيّ يجلب لك القمح ويبيعك اياهُ بربح فلولاهُ لكان يتعسر عليك او يتعذر جلب القمح من البلاد القاصية اعوام القحط فهذا بثروتهِ نفعك لينتفع منك · وعلى هذه القاعدة وزّع الخالق الحكيم اعمال الحياة بين الرجل والمرأة وبتعاونهما واتحادهما يحفظ النوع وتستتب احوال البيوت ويستمر الكون معمورًا

ماذا اراد الخالق بالمرأة

اذا نظرت المرأة الى الغرض العظيم الشان الذي كونت تكوينًا كافلاً القيام بهِ رأت انها منبت الورى كلهم اجمعين من ضعيف وقوي ومسكين وغني وجاهل وعالم وسوقة وملك · وعلمت علم اليقين انهُ لم يأتِ العالمَ رجل الاَّ خاضعًا لسلطانها منقادًا لحكمها لائذًا برأفتها مستخرجًا رزقهُ من ثديها. لا ملجأ لهُ سواها · وانها هي اوَّل استاذ لهُ واول حاكم عليهِ فما على وجه البسيطة من ملك لم يكن اول عهدهِ بالدنيا تحت يد المرأة وما من سلطان لم تعرك المرأة اذنهُ او تضرب خدهُ بكفها فاذا التفتت اختي المرأة الى ما ذكرت رأت انها في مقام عالٍ في الاجتماع الانساني بل رأت انها احد ركني الكون العظيمين واذا نظرت الى ذلك حق لي القول ان من العجب العجاب ما يقرأ من المقالات لبعض النساء اللواتي يطلبن اعمال الرجال كالقضاء مثلاً مع ان الطبيعة تشهد بغير لسان ان الصيغة التي صيغت عليها المرأة لم تعدها لمثل ما تطلب نساء البلاد الزاهرة الحضارة المستأثرة بحمل راية المعارف والصنائع دون سائر بلاد الله كلها جمعاء

عظمة العمل الذي اعدت له المرأة

يا لهُ من عمل خلقت لهُ المرأة يحط عندهُ كل عمل الا وهي التي خلقت لوقاية النوع البشري من الفناء والاضمحلال · وهي التي برئت لأن تهدي الى الدنيا الذرية البشرية الكافلة بقاء العمران ولان تربي الاطفال وتهذبهم ولان تكون ربة البيت وسائسة العائلة · وحسبي من بيان عظمة هذه الامور ان أوجه نظر المطالع اليها وحسبُ الرجل ان يراعي ذلك حق يقدّم للمرأة حقها من التكريم بل حق يضعها على منصة التعظيم ولما كان ذلك هو الغرض الذي ارادهُ الخالق بها صوّرها صورة تسهل الطريق الى ادراكهِ فهي مقضيٌّ عليها بالنظر الى جبلتها ان تكون ملازمة بيتها معتنية بشؤونهِ قائمة بتدبيرهِ كافية الرجل مؤونة

الاهتمام بما يلزم البيت من اعداد المآكل والملابس وتربية الاطفال ليكون هو متفرّغاً للاشغال الخارجية التي يستخرج منها نفقة عياله . وعلى وجه الاستطراد اقول ومن عجيب امر المرأة اقبالها على تربية طفلها بلذّة فوق لذّة اقبالها على التحلي بعقود الجمان وقلائد الياقوت والخروج الى المنازه في العجلات الفاخرة فلو لم يكن للمرأة من صنيع في الكون الا هذا لوجب ان تكرَّم لولا نهي الله عن السجود لغيره بالسجود . فايّ رجل لم يكن وديعة رحمتها وامانة رأفتها ام ايّ رجل ليس هو ابن امرأة . فهي امّ العلماء والاطباء والفلاسفة . وهي امّ العظماء والوزراء . وهي امّ الملوك . وهي امّ رؤساء الدين ووعّاظ المنابر . وهي امّ الرسل والانبياء كما انها امّ اهل الزراعة والصناعة والتجارة فلا ادري كيف تطلب بعد هذا مساواة الرجل ومشاركتهُ في ما لم تخلق لهُ من الامور والاعمال

ما يجدر بالمرأة ان تباري الرجل فيهِ

ان الذي يجدر بالمرأة ان تباري الرجل فيهِ انما هو الاعمال التي يصلح لها كيانهُ وكيانها من نحو الكتابة والشعر والتصوير والنقاشة مما لا يدفع العامل الى التعرُّض للاعمال الشاقة . وفي الحقّ ان من بنات جنسي من بارينَ الرجل في الكتابة والشعر كالخنساء وابنتها عمرة وجليلة بنت مرّة زوجة كليب واخت جسّاس قاتلهِ وعمرة بنت دُريد وعمرة الخثعمية والفارعة بنت شدّاد والفارعة بنت طريف وفاطمة الخزاعية ولُبانة ومحبوبة ومفضلة الفزاريّة وميّة بنت ضرار . وميّة بنت عتيبة واسماء بنت ابي بكر الصدّيق الى كثيرات غيرهنّ ممن حفظت اسماؤهنّ بما بقي لهنّ من الشعر

وليس في الادباء من يجهل مقام الخنساء ومقام جليلة والفارعة بنت طريف وليلى الاخيليَّة . واذا اردت الاطلاع على ما لهؤلاء الشواعر وغيرهنّ من الشعر فعليك بديوان الخنساء الذي نشرتهُ المطبعة اليسوعية وضمّت اليهِ قصائد في الرثاء لستين شاعرة من شواعر العرب . وتتبع كتب التراجم فترى عدة شواعر مثل عليّة بنت المهديّ العباسيّة اخت امير المؤمنين هارون الرشيد التي توفيت سنة ٢١٠ للهجرة فهذه لها ديوان شعر ومثل عائشة الباعونية صاحبة البيتين المشهورين وهما

بنى سلطاننا برقوق جسرًا بعدل والعباد لهُ مطيعهْ
مجاز بالحقيقة فاسلكوهُ وامر بالسلوك على الشريعهْ

والباعونية هذه من اصحاب البديعيَّات

وكما بارت الرجل المرأة الشرقية في الكتابة والشعر فقد بارتهُ المرأة الغربية ايضاً كالسيدة

سيفينه وابنتها وحفيدتها والسيدة سيفينه عشرة مجلدات من الرسائل التي كتبتها الى ابنتها وهي عند الافرنج مثل مضروب في السهولة والانسجام وقد ذكر المقتطف ترجمتها ورسم صورتها

ومن كاتبات الافرنج السيدة منتنون التي طبعت رسائلها من بعد موتها والسيدة ستايل وهي اشهر النساء والمؤلفات في القرن الثامن عشر الى كثيرات غيرهن

وقصارى القول ان استمرار النوع البشري في دار الدنيا قائم باثنين الرجل والمرأة فهما الركنان اللذان لا تعمر الارض بدونهما وان كلاً منهما ميسر بالصورة التي صوّر بها لضروب من اعمال الحياة لم يتيسر لها الآخر . وان من الاعمال ماهو موافق للاثنين وعلى هذا مشى الناس من صدور الدهر ولم يزالوا عليهِ الى اليوم ولن يزالوا ما بقوا فلا يظنن بعض اخواتي من اديبات العصر ان المرأة لا تستوفي حقها من الكرامة الاَّ بمساواة الرجل ومشاركتهِ في كل ما اهلتهُ الطبيعة للانفراد بهِ كالجنديَّة وصناعة البناء وصناعة الحدادة وسوق العجلات

فان العناية بتدبير البيت وترتيب احوال العائلة اس للراحة والاطمئنان وسبب لتفرغ الرجل لما يتعاطاهُ من صناعة او تجارة او خدمة وهو مما انفردت بهِ المرأة وهذا على اهميتهِ لا يُعدّ شيئاً بالقياس الى ما تهدي الى الدنيا من النسل وتعنى بتربيتهِ وتحتمل المشاق في سبيل تنشئتهِ

فاكتفي ايتها المرأة الحكيمة بالاستقلال بحمل هذا العبء العظيم الذي من اجلهِ يجب على الرجل ان يقدم لك أقصى ما يتصوَّر من التكريم

واما هذه الآراء الجديدة فلا أراها الاَّ من باب مخالفة الطبيعة ولا يُعرَف في الكون عمل خالف الطبيعة ونجح

وعلى سبيل الاستطراد اقول ان من شوائب هذا العصر ان جمهور اهلهِ يتهالكون على الجديد ولو باطلاً وينفرون من القديم ولو حقاً وهو انحطاط عقلي يزري باهل عصرٍ يسمونهُ عصر العلم . فسبيل كلٍّ من اهل العصر ان يعرض على عقلهِ ما يراهُ من الاقوال الجديدة المخالفة لعادات او قواعد او نواميس قديمة ويوازن بين الجديدة والعتيقة حالاً ومآلاً ونتيجة وسبباً ومسبباً وعليهِ قبل ان يفضل الجديد ان يكرّر هذه الموازنة مرَّات فاذا رأى ان الصواب اتباع الجديد اتبعهُ والاَّ بقي مستمسكاً بالقديم وهو على علم ان من الصواب البقاء عليهِ وان من الضلال اتباع الجديد الذي ولَّدهُ الغرور

هذا ولقد صار من اللائق ان نفكه المطالع بشيءٍ من شعر ربَّات الخدور مما تتراءى فيهِ العواطف الشريفة تحت ضياء العقل ونور الحكمة . قالت جليلة من قصيدة تخاطب بها

اخت كليب وهي من طيب الشعر

يا ابنة الأقوام ان لمتِ فلا … تعجلي باللوم حتى تسألي
فاذا انتِ تبينت الذي … يوجب اللومَ فلومي واعذلي
ان تكن اختُ امرئٍ ليمت على … شفق منها عليهِ فافعلي
جلٌّ عندي فعل جساس فيا … حسرتي عمّا انجلى او يجلي
فعل جساس على وجدي بهِ … قاطعٌ ظهري ومدنٍ أجلي
لو بعين فقئت عين سوى … أختها فانفقأت لم احفل
تحمل العين أذى العين كما … تحمل الامُّ اذى ما تفتلي
يا قتيلاً قوّض الدهر بهِ … سقف بيتيّ جميعاً من علِ
هدمَ البيت الذي استحدثتهُ … وسعى في هدم بيتي الاول
ليس من يبكي ليومين كمن … انما يبكي ليوم ينجلي
يشتفي المدركُ بالثار وفي … دركي ثاريَ ثكل مثكلي
انني قاتلةٌ مقتولةٌ … ولعلَّ الله ان يرتاح لي

وقالت الخنساء من قصيدة ترثي بها اخاها صخراً

يا عينُ جودي بالدمو … ع المستهلاّتِ السوافح
فيضاً كما فاضت غرو … بُ المترعات من النواضح
وابكي لصخرٍ اذ ثوى … بين الضريحة والصفائح
رمساً لدى جدث تذيـ … ع بتربهِ هوجُ النوافح
السيدُ الجحجاج وابـ … ـن السادة الشمّ الجحاجح
الحاملُ الثقل المهمَّ … من الملمات الفوادح
الجابرُ العظم الكسيرَ … من المهاصرِ والمامح
الغافر الذنبَ العظيم … لذي القرابة والمامح

الى ان تقول

فاصابنا ريبُ … الزمان فنالنا منهُ بناطح
فكأنما امَّ الزما … نُ نحورنا بمدى الذبائح
فنساؤنا يندبن نوحاً … بعد هادية النوائح
يندبن فقد اخي الندى … والخير والشيم الصوالح
والجود والايدي الطوا … لِ المستفيضات السوائح

فالآنَ نحن ومن سوا … نا مثل اسنان القوارحِ

وقالت الفارعة بنت طريف ترثي اخاها الوليد الذي قتل سنة ١٧٩ للهجرة من قصيدة

بتلِّ نُهاكى رسمُ قبرٍ كانهُ … على جبلٍ فوق الجبال منيفِ
تضمَّن مجدًا عدمليًا وسؤددًا … وهمة مقدامٍ ورأي حصيفِ
ايا شجر الخابور مالك مورقًا … كانك لم تجزع على ابن طريفِ
فتى لا يريد العزَّ الأمن التقى … ولا المال الاَّ من قنًا وسيوفِ

الى ان تقول

حليف الندى ما عاش يرضى بهِ الندى … فان مات لا يرضى الندى بحليف
خفيف على ظهر الجواد اذا غدا … وليس على اعدائهِ بخفيف
وما زال حتى ازهقَ الموتُ نفسهُ … شجًا لعدوٍ او نجًا لضعيف

وقالت الحارثية بنت زيد ترثي زياد بن عبيد القرشي من قصيدة

صلى الالهُ على قبرٍ وطهرهُ … عند الثوية تسفي فوقهُ المورُ
زفت اليهِ قريش نعش سيدها … ثمَّ كل التقى والبر مقبورُ

الى ان تقول

قد كنت تفشي وتعطي المال من سعة … ان كان بيتك أضحى وهو مهجورُ

هذا وفي ظني ان المرأة اذا كتبت في التربية والتهذيب يتيسَّر لها نظرًا الى مزاولتها لذلك ان تذكر طرقًا تصل بالمربي الى ما ينوي من تقويم الطباع بصورةٍ لطيفةٍ ويخطر لها في هذا الباب ما قد لا يخطر للرجل لعدم مزاولتهِ لتربية الصغار وتثقيفهم. فعسى بعض اديبات العصر ان تندفع لتأدية هذه الخدمة على احسن ما ينتظر في مثل هذا الزمان ويعلم الله ان في نفسي شوقًا الى انشاء رسالة في هذا الموضوع وان كنت معترفة بقصر اليد لكن وقتي اقلّ من ان يسع الاشتغال بمثل هذا الموضوع المحتاج الى اعمال الفكر للاتيان بما هو افضل نتيجةً من كلام من تقدَّموا فأدعهُ لمن يسمح لها الوقت ان توفيهُ حقهُ والسلام . انتهى

طعام لا طبخ

قال احد العلماء اننا مهما عملنا لا نستطيع ان نعمل احسن مما عملتهُ الطبيعة فكل طعام نستطيبهُ من غير طبخ يجب ان يؤكل من غير طبخ. فالفاكهة على انواعها نأكلها من غير طبخ ونستطيبها فهي اصلح لنا واكثر غذاء اذا اكلناها ناضجة في حالتها الطبيعية من غير طبخ

وقد علل بعضهم ذلك بقوله ان نور الشمس يذخر في الاثمار قوة حيوية وهي التي تفيدنا في اكلها ولو كنا لا نستطيع استخراجها منها وتحليلها بالوسائط الكيماوية

وقد بين المسيو جاك لوب في مباحثه الفسيولوجية الحديثة ان الجسم يستمد من الاطعمة القوة الكهربائية التي تكون مذخورة في دقائقها وان الحرارة المتكونة من الطعام ليست الشيء المقصود بالذات بل هي من نتائج الاشتعال وانما الامر المقصود بالذات هو القوة الكهربائية التي ينالها الجسم من الطعام

ويقول بعضهم ان تناول هذه القوة الكهربائية او الحيوية من الاطعمة اسهل وهي غير مطبوخة منهُ وهي مطبوخة ولاسيما اذا كانت من الفواكه والاثمار والحبوب وان حرارة النار وقت الطبخ تزيل هذه القوة من الطعام كما تزيل منهُ قوة النمو ولكن حرارة الطبخ لا تتلف كل دقائق الطعام كما تتلف بعضها فيغتذي الآكل مما لا يتلف منها واما ما يتلف فيصير فضولاً لا فائدة منهُ بل قد يكون منهُ ضرر ولا سيما في الشيخوخة اذ يكثر الحامض البوريك في الجسم فتكثر فيهِ المواد الجامدة التي تصلّب الاوعية الدموية وتزيل مرونتها وليونتها

وسواء كان اصحاب هذا المذهب مصيبين في قولهم او مغالين فيهِ فلا شبهة ان الاثمار كلها كالعنب والتين والتفاح والبرتقال وما اشبه يجب ان تؤكل بلا طبخ وهي كذلك الذ منها مطبوخة . والبزور مثل الجوز واللوز والبندق يجب ان تؤكل من غير طبخ وهي كثيرة الغذاء جدًّا . وهاك قائمة ما في بعض الفواكه والبزور والحبوب والاثمار من عناصر الغذاء وهي البروتيدات اي المواد النيتروجينية التي يتكون منها اللحم . والسكر والكربوهيدرات والدهن والهلام اي المواد التي يتكون منها الدهن وتتكون منها حرارة الجسم

	ماء	سكر	بروتيدات	هلام
الاناناس	٨٩	٩و٨	٤و٠	٢و٠
البرتقال	٨٧	٥و٤	٨و٠	
البرقوق (خوخ)	٨٥	٦و٣	٤و٠	٦و٤
التمر (بلا نوى)	٣٨	٥٧	٠و٣	٢و٠
التفاح	٨٥	٨	٥و٠	٠و٥٠
التين الاخضر	٧٩	١٨	٥و١	٥و٠
التين اليابس	٣١	٥٠	٠و٤	٠و٢
الخوخ (الدراقن)	٨٠	٥و٤	٧و٠	٠و٧

الزبيب	٣٢	٥٥,٠	٢,٥	٠,٧
الشمام	٩٠	٨	٠,٥	
الكرز	٨٠	١٠,٠	٠,٧	١,٨
العنب	٧٨	١٤	٠,٦	٠,٢
الكمثرى (اجاص)	٨٣	٨,٢	٠,٤	٣,٣
الليمون الحامض	٨٩	٢	١,٠	
البطيخ	٩٢	٧	١,٠	
المشمش	٨١	٤,٥	٠,٥	٦,٥
الموز	٧٧	٢٠,٠	١,٥	

	ماء	بروتيدات	دهن	كربوهيدرات
البندق	٣,٧	١٥,٦	٦٥,٠	١٣,٠
الجوز	٢,٥	٢٧,٦	٥٦,٣	١١,٧
الجوز الهندي	١٤,٠	٦,٠	٥١,٠	٢٨,٠
الزيتون	٦٧	٢,٥	٢٢,٧	٣,٤
الصنوبر	٣,٤	١٤,٦	٦٢,٠	١٧,٣
الفستق	٤,٢	٢٢,٣	٥٤,٠	١٦,٠
الفول السوداني	٥	٣٢,٦	٤٧,٣	١٢,٦
القمح	١٠	١٤	٢	٧٢
الكستنا الجاف	٦	١٠,٧	٧,٠	٧٤,٠
اللحم المدهن	٥٤	١٦	١٦	٠
اللحم المبر	٧٢	٢٢	٦	٠
اللوز	٤,٨	٢١,٠	٥٤,٩	١٧,٣
العدس	١١,٦	٢٦	١	٥٩
الفول	١٢,٦	٢٢,٥	١,٨	٥٩,٦
اللوبياء اليابسة	٩,٥	٢٤,٦	١,٥	٦٢,٧
البيض	٥٦,٥	١٣,١	٩,٣	
اللبن	٨٧	٣,٣	٤	٥

فترى من ذلك ان الفواكه والاثمار والحبوب ليست قليلة الغذاء لان الغذاء يتوقف على ما فيها من البروتيدات والسكر والهلام والدهن وان اللحم لا يفوقها في ما فيه من الغذاء ففي كل مئة درهم من اللحم المبر ٢٢ درهماً من البروتيدات وستة دراهم من الدهن والباقي ماء . وفي كل مئة درهم من الجوز اكثر من ٢٧ درهماً من البروتيدات و٥٦ درهماً من الدهن فالجوز اكثر غذاء من اللحم وقس على ذلك اللوز والفستق والصنوبر وما اشبه والفول واللوبياء والعدس واكثر هذه المواد يؤكل نيئاً من غير طبخ كما لا يخفى



باب الزراعة

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٨)

زراعة البرسيم والحلبة والجلبان والبسلة

زراعة البرسيم من اهم زراعات القطر المصري واعمها . وهي تشمل جميع انحاء الوجه البحري حيث يخصص لها قسم متسع من الاراضي . وتتناول ايضاً معظم جهات الصعيد لغاية فرشوط فلا تتخطاها لان الاراضي وراءها سريعة الجفاف فلا تصلح لهذه الزراعة

ويزرع البرسيم دائماً في الاراضي التي تروى بالراحة فيبذرون بزره في الارض قبل حرثها وهي بعد رطبة بمعدل ثلث اردب لكل فدان ويبدأون يقطعونهُ في الصعيد بعد ٤٠ او ٤٥ يوماً من زرعهِ . وفي اسيوط والمنيا تباع الحشة الاولى منهُ بستة وعشرين فرنكاً لكل فدان . وبعد ذلك بثلاثين يوماً يقطعونهُ ثانية وتباع هذه الجنية بخمسة فرنكات

اما الاراضي التي يخصصونها لاخذ التقاوي منها فلا يقطعون زرعها الّا مرة واحدة يبيعونهُ أخضر ويتركون ما يفرخ الى ان ييبس فيدرسونهُ بأن تدوسهُ الثيران على البيادر . فيستغلون عادةً نحو اردبين بزراً من الفدان يباع الاردب منهُ بثلاثين غرشاً الى خمسين

وفي مديرية الفيوم حيث الري بالآلات اسهل مراساً يزرعون البرسيم في حقول الذرة قبل جناها بشهر فيقتصرون على زرع ⅓ اردب في كل فدان يقوم بامره نفر واحد في نصف

يوم . فينمو البرسيم سريعاً ويجنون الجنية الاولى حالاً بعد حصد الذرة . وتكفي غلة الفدان من البرسيم اليابس (الدريس) لعلف ثورين شهراً

وبعد الجنية الاولى يسقون البرسيم مرتين في اثناء عشرين يوماً ويقطعونهُ ثانية فيجنون منهُ اقل من المرة الاولى . وفي بعض الاوقات يأخذون " التقاوي " من الجنية الثالثة فتبلغ غلة الفدان بزراً بين اردبين وثلاثة . واذا كان الفيضان موافقاً يستخرجون البذار من الجنية الرابعة على معدل اردب ونصف للفدان

اما في الجيزة فيزرعون اردباً في كل فدان . ويبدأُون بقطع البرسيم بعد زرعهِ بستين يوماً ويقطعونهُ مرة ثانية بعد ذلك بثلاثين يوماً ومرة ثالثة بعد الثانية باربعين يوماً . وتبلغ غلة الفدان من الجنيتين الاولى والثانية ٧٧ فرنكاً غير انهُ اذا كان الفيضان شحيحاً لا يقطعون البرسيم الأ دفعتين ويحتفظون بالجنية الثانية لزرع بزرها في السنة المقبلة فيستغل من الفدان نحو اربعة ارادب بزراً اما بدوس البرسيم بالنورج واما بدقهِ بالنبابيت

ويباع من البرسيم الاخضر في الشتاء واليابس في الصيف مقادير وافرة في القاهرة حيث يكثر استعمالهُ علفاً للخيل والحمير

اما في الوجه البحري فاكثر ما يستعمل البرسيم علفاً للثيران والجواميس ترعاهُ بعد زرعهِ بستين يوماً . ويؤجر الفدان المزروع برسيماً بستة عشر الى تسعة عشر فرنكاً . وفي مديرية المنوفية يقدَّر ما يكفي لرعاية ثورين يومياً بمعدل $\frac{1}{24}$ من الفدان

وفي اطراف الدلتا الشمالية يزرع البرسيم حالاً بعد استغلال الارز ولا يلزم من اعداد الارض لزراعتهِ سوى سقيها . ويقطعون الجنية الاولى بعد الزرع بستين يوماً . والثانية بعد ذلك بثلاثين يوماً وكل من الثالثة والرابعة بعد عشرين يوماً من التي قبلها

وعلى العموم يقتضي لري عشرة افدنة ستة ثيران ويخصصون لرعايتها مزروعات ثلاثة افدنة ويجففون غلة السبعة افدنة الباقية فتكفي علفاً للثيران والجواميس جانباً من السنة . ويقدر ما ترعاهُ البهائم عموماً من البرسيم هنالك بثلاثة اخماس البرسيم وما يجفف علفاً بخمسيهِ

الحلبة — انما تزرع الحلبة في الجهات المتوسطة من القطر المصري في الوقت الذي يزرع فيهِ البرسيم وطريقة زرعها كطريقة زرعهِ . ويختلف جنيها عن جنيهِ بكونها تجنى قلعاً لا قطعاً وذلك بعد زرعها بستين او سبعين يوماً فيطلقون عليها حينئذٍ البهائم فترعاها .

و يستفرخون جانباً من بزره بنقعهِ في الماء ويبيعونهُ على تلك الحالة للاكل

وبلغ ما يزرع في الفدان من الحلبة ١/٤ من الاردب وتباع مزروعات الفدان علفاً بنحو ٣٠ فرنكاً

وهي تبلغ حباً من اردبين الى خمسة ارادب تبعاً للمحل او الاقبال . ويدرسون سوق الحلبة اليابسة بالنورج ويستعملونها علفاً للجمال

الجلبان — تعدُّ الارض لزرع الجلبان على نحو اعدادها لزراعة العدس . ويزرعونها بمثل الطريقة التي يزرع بها البرسيم والحلبة . فيبذرون ٣/٤ الاردب منها في الفدان ويقلعونها خضراء بعد زرعها بستين يوماً فيطعمونها للبهائم . ويبلغ محصول الفدان بين ١٠ و ١٥ حمل جمل تباع جميعاً بستة الى ثمانية فرنكات

اما النباتات التي يخصصونها لاخذ "التقاوي" منها فتبقى مائة يوم قائمةً في الارض ويجنون من الفدان ٥ ارادب حباً . و يدرسون سوقها بالنورج فيستخدمونها علفاً للجمال فقط

البسلة — في جهات طيبة وقنا حيث تتعذر زراعة الجلبان بمقادير كافية يستبدلون الجلبان بالبسلة فيزرعونها في نفس الوقت الذي يزرع هو فيهِ ويكاد يكون مقدار جنى هذين الصنفين واحداً . وعندما يأخذ نبات البسلة في الجفاف يطلقون عليهِ البهائم على اختلاف انواعها ما عدا الخيل فترعاهُ . ويستبقون عشرهُ لاخذ "التقاوي" منهُ

وفي مديرية الفيوم حيث لا يقيم الفيضان كثيراً يزرعون الحلبة والجلبان والبسلة في حقول الذرة قبل ايناع هذه باربعين يوماً . ولا يروونها الاَّ في اثناء هذه المدة مع الذرة . واهل هذه المديرية يستعملون البسلة غذاء لهم

زراعة التبغ

تعليلهُ

شرحنا في الجزء الماضي كيفية زرع التبغ من حين بذر البذور في الارض الى حين قطف الورق وتجفيفهِ ووعدنا باستطراد الكلام الى تعليلهِ او معالجتهِ حتى يجود فانهُ مهما كانت الارض جيدة ومهما اينع نبات التبغ فيها لا يصير طيباً غالي الثمن ما لم يعلل جيداً وقت تجفيفهِ وبعدهُ حتى يختمر وتتولد فيهِ مواد كيماوية تجعل لهُ الطعم والنكهة الخاصين بهِ

وقد كان الشائع ان الحكومة المصرية ستلبي طلب نوّاب الامة الذين طلبوا ان تباح لهم زراعة التبغ في الجمعية العمومية. اما نحن فكنا نرجح انها لا تفعل وانها ان فعلت واشترطت ان تأخذ ثلاثين جنيهاً على الفدان الذي يزرع تبغاً كما عرض عليها بعضهم لم يستفد احد من زرع التبغ كما اوضحنا في الجزء الماضي . والظاهر ان الحكومة لم تكن تنوي اجابة هذا الطلب او انها عدلت عن اجابتهِ فقداخبرت الجمعية العمومية انها غيرعازمة على اباحة زراعة التبغ . وحبذا لو اهتمت من الآن بامتحان زرعهِ في مساحة ضيقة حتى اذا ثبت لها انهُ يكون جيداً مثل اجود انواع التبغ وانهُ يمكن تصدير مقدار كبير منهُ لم يبقَ ما يمنع اباحة زرعهِ وفرض ضريبة معتدلة على ما يزرع منهُ وعلى ما يصدر منهُ فيبقى دخلها على حالهِ ويزيد دخل القطر

وسواء شكت اوراق التبغ بخيط كما يفعل اهالي سورية او بسط النبات كلهُ واوراقهُ فيهِ او قطعت الاوراق حتى تبقى كل ورقتين متقابلتين عالقتين معاً ونصبت على عود افقي فانها تترك حتى تذبل وتجف ويجف ضلعها الاوسط وقد لا تجف كذلك في اقل من ثلاثين يوماً الاّ اذا وضعت في الشمس بضع ساعات كل يوم فانها تجف حينئذٍ في بضعة ايام ومتى جفت الاوراق تقطع من الساق اذا كانت لم تزل متصلة بهِ وترصف بعضها فوق بعض وتترك حتى تختمر ويختار لرصفها كذلك يوم رطب وتبسط بسطاً حيثما ترصف ورؤوسها الى جهة واحدة ويكون ارتفاع كل عرمة قدمين او ثلاثاً وتغطَّى باوراق الموز وتوضع اجسام ثقيلة عليها وفي اليوم التالي تفتح هذه العرم ويغير وضع اوراقها اي ان الاوراق الموضوعة داخل العرمة توضع خارجها وذلك برصفها في عرمة أُخرى ووضع الاوراق التي كانت خارجاً في قلب العرمة . ويكرر ذلك مراراً كثيرة لكي لا يزيد الاختمار عن القدر اللازم ومتى مرَّ على العرم ثلاثون او اربعون يوماً تكون قد صارت في حالة صالحة فتفتح وتحزم حزماً في كل حزمة ثلاثون ورقة واهالي سورية يلفون مشاكيك التبغ لفاً منتظماً ويربطونها ربطاً محكماً ولا بدَّ من ضغطها جيداً حين ربطها لكي لا يتخللها الهواء . واهالي كوبا يرشونها حينئذٍ بنقاعة التبغ اي ينقعون التبغ حتى يعطن ويبلى ويرشون ربط التبغ بنقاعتهِ ويضعونهُ بعضهُ فوق بعض

والخلاصة ان زراعة التبغ وقطفهُ وتجفيفهُ وتعليلهُ من الاعمال الصعبة التي تقتضي كثيراً من التعب والنفقة . فهل يقدم عليها اهل الزراعة في هذا القطر. هذا امر لا يعلم الاّ بالامتحان ولا يحسن ان يجازف بهِ مجازفة

باب التقريظ والانتقاد

احكام الصكوك التجارية

يتضمن احكام البولسة (الكمبيالة) والسند المحرر لامر (الذي تحت اذن) وسند محل الاقامة والسند المحرر لحامل واوراق الحوالات الواجبة الدفع بمجرد الاطلاع عليها والاوراق المتضمنة امرًا بالدفع ورسالة الاعتبار والشك . الفهُ حضرة باسيل افندي جنادري المحامي امام محكمة الاستئناف المختلطة وفصل ابوابهُ تفصيلاً حسنًا والحقهُ بذكر بعض المصطلحات المصرية والعثمانية المتعلقة بهذا الموضوع وقد طبع بمطبعة العرب في مصر

اسباب الانقلاب العثماني

كتاب صغير الحجم كبير النفع الفهُ حضرة الكاتب السياسي الاديب محمد روحي بك الخالدي عضو القدس الشريف في مجلس المبعوثان بدأهُ بتمهيد حسن في الفرق بين الانقلاب والثورة فبيَّن ان ما حدث في البلاد العثمانية اخيرًا انقلاب لا ثورة وان سببهُ الاستبداد الذي هو منبع الشرور ومنبع الاستبداد قصر الملك والخلافة . ويلي ذلك تاريخ الانقلاب الاخير من حين ابتدأت اصولهُ في زمن السلطان محمود الى الآن وقد بين المؤلف ان اول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاضل باشا ابن ابرهيم باشا وهذا ما اوردهُ في هذا الصدد

" اول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاضل باشا ابن ابرهيم باشا المصري ثم صهرهُ خليل شريف باشا . ولد مصطفى فاضل في القاهرة سنة ١٨٣٠ م وحصل العلوم الجديدة حتى صار على جانب من العرفان والاضطلاع والوقوف على دقائق الامور . فخدم في مصر وبعد جلوس السلطان عبد العزيز بسنة عين ناظرًا للمعارف في الاستانة . ثم ناظرًا للمالية واجرى فيها عدة اصلاحات . وكان فؤاد باشا قد انتدب حكمًا لفصل الخلاف الحادث بين مصطفى فاضل باشا واخوتهِ على تقسيم ميراث ابيهم فحصل بينهما موجدة وعداوة . فلما تولى فؤاد باشا الصدارة تسبب في عزل مصطفى فاضل من نظارة المالية مع ما لهُ من

الخدم والاصلاحات المفيدة فشق ذلك على مصطفى فاضل وقدم للسلطان عبد العزيز خان لائحتهُ الشهيرة التي شدد فيها النكير على الاستبداد . وكشف الغطاء عن عورات الدولة . وبين اسباب الضعف والانحطاط وسوء الاستعمال بحرية لم يعتدها رجال المابين ولا سمعوا بمثلها قبل ذلك . ثم هاجر الى باريس سنة ١٨٦٥ ولحقت بهِ فئة من الشبان فاكرم مثواهم وانفق على تعليمهم . ونبغ منهم كثيرون في الادب والكتابة والسياسة . حدثني احدهم قال كنا في باريس في عيشة راضية لا يهتم الواحد منا بامر معايشهِ . فاذا فرغ من الدرس والتحقيق والمشاهدة عاد الى منزلهِ فوجد ما يحتاج اليهِ من الطعام والمنام . بخلاف احرار هذا الزمان الذين قاسوا اشد العذاب في امر معايشهم

فاشتغلت النابتة الجديدة بفنون الادب وعلوم التاريخ والسياسة والصناعات النفيسة . فنظموا الشعر والفوا القصص ونشروا المقالات في الجرائد . ونبغ منهم نامق كمال بك شاعر النشأة الجديدة واديبها وموجد الادب الجديد العثماني . ولد في الاستانة سنة ١٢٥٠ وقرأ في المكاتب وتعلم الفرنسية وصارت لهُ مهارة زائدة في الانشاء الذي نشر بهِ مقالاتهِ السياسية في الجرائد باسلوب مستحدث طريف هو من السهل الممتنع . واشعارهُ على نسق اشعار فيكتور هوجو في طلب الحرية وتدبير المملكة واصلاح شؤون الحكومة . ولهُ مؤلفات كثيرة منها التاريخ العثماني الذي لم يطبع . وقصة وطن او سليستره التي تمثل اليوم في الاستانة وسلانيك بعد حدوث الانقلاب . وتوفي نامق كمال بك وهو متصرف في جزيرة ساقز سنة ١٣٠٥ ومنهم ضيا باشا الاديب الشاعر . وسعدالله باشا سفير فينا الاسبق مترجم قصيدة لامارتين التي عنوانها (البحيرة) . ولهُ اشعار عصرية رائقة . ومنهم ابو الضيا توفيق بك الذي اصلح حروف الطبع وكتب الخط الكوفي . وطبع الكتب والرسائل والمجموعات بصنعة بديعة عجيبة لم تبلغها الى الآن مطابع الشرق ولا مطابع اوربا الشرقية . وعبد الحق حامد بك سفير بروكسل وصاحب قصة طارق بن زياد . وكثير غيرهم من الكتاب والادباء انصار حزب تركيا الفتاة الذي اسسهُ مصطفى فاضل باشا . ثم صهرهُ خليل باشا الذي جاء من مصر الى الاستانة وتوظف في نظارة الخارجية بسبب معرفتهِ الفرنسية وصار سفيراً في باريس وغيرها وناظراً للخارجية وتزوج باكبر بنات مصطفى فاضل باشا وهي الاميرة الشهيرة نازلي هانم التي اقتفت اثر والدها وزوجها الاول في تعضيد حزب تركيا الفتاة . وساعدتهُ بالمال والجاه هي وشقيقها الامير محمد علي باشا

والكتاب على هذا النسق من ذكر الذين لهم شأن في هذا الانقلاب وحبذا لو ذكر كل

الذين جاهدوا في سبيل الدستور واسماؤهم مذكورة في المقطم الذي حارب الاستبداد منذ اول انشائهِ الى الآن

لبنان والدستور العثماني

رسالة مسهبة جمعت فاوعت وضعها حضرة الفاضل بولس افندي مسعد بحث فيها بحثاً سياسياً قانونياً تاريخياً في موقف لبنان ازاء الدولة العثمانية قبل الدستور وبعدهُ وبدأَهُ بايضاح مذهبهِ او متمناهُ وهو

"ان يحتفظ اللبنانيون بامتيازاتهم الحاضرة — ان يطلبوا من الدولة العثمانية والدول الاوربية الست الموقعة على نظام لبنان اعادة حدود الجبل كما كانت في السنوات الاولى التي تلت فتنة سنة ١٨٦٠ — ان يطلبوا تنفيذ ما أُلغي من موادهِ او بطل العمل بهِ منها وذلك طبقاً لاعتراضات السفراء المدرجة في كل بروتوكول كان يحرر عند تعيين كل متصرف من متصرفي لبنان — ان يطلبوا تفسير هذا النظام لانهُ مبهم يمكن تأويلهُ كيفما شاءت السياسة — ان يطلبوا تعديلهُ من الدول بصورة يصير معها منطبقاً على احتياجاتهم وعلى روح العصر الحاضر — ان يحافظوا جهد طاقتهم على عثمانيتهم ويوردوا الشواهد الحسية على اخلاصهم للدولة العثمانية الدستورية وشدة تعلقهم بها ومشاركتهم لها في السراء والضراء — ان يؤلفوا منهم حكومة عادلة حازمة حكيمة رشيدة راغبة في خير لبنان رغبة حقيقية شعارها العدل والمساواة واحترام الحرية ومراعاة الحقوق الوطنية العامة تعمل لخير لبنان ومصلحتهِ بكل همة واخلاص — ان يزيلوا من بينهم عوامل التفريق والاختلافات المذهبية والطائفية ويؤلفوا جامعة لبنانية يكون غرضها التأليف بين عناصر الشعب اللبناني وتوحيد كلمتهِ في الشؤون العمومية والسعي الى ايجاد روح التآخي والتعاضد بين الطوائف المختلفة التي يتألف منها الشعب اللبناني وبث روح الوطنية الصادقة في صدور الناشئة اللبنانية والى انشاء الشركات الوطنية والمختلطة للقيام بمشاريع نافعة من شأنها ان ترقي البلاد مادياً وادبياً وتجعلها صالحة لان تصبح في مستقبل قريب مقصداً للمصطافين ومحجاً لطلاب النزهة والراحة والصحة من سكان القطرين الشقيقين المصري والسوري"

وما من احد من ابناء لبنان ومحبيهِ الا ويتمنى لهُ ما تمناهُ المؤلف ولكن الاماني لا تروي من عطش ولا تشبع من جوع فعلى اللبنانيين ان يقرنوا القول بالفعل وان يسعى كلٌّ منهم الى تحقيق هذه الاماني بما يصل اليهِ جهدهُ

تاريخ سولو
THE HISTORY OF SULU

ذكرنا غير مرة ان حضرة الشاب الذكي الدكتور نجيب صليبي اللبناني انتظم في سلك الخدمة في الحكومة الاميركية فارسلتهُ الى جزائر فيلبين تخدمها خدمةً نصوحاً. ولم يكتفِ بالقيام بما يطلب منهُ بل بحث في لغة الاهلين وتاريخهم ونشرت حكومة فيلبين الآن كتاباً مسهباً وضعهُ في تاريخ جزيرة سولو احدى جزائرها وهي جزيرة صغيرة متوسط طولها ٣٢ ميلاً ومتوسط عرضها ١٠ اميال وهي بركانية الاصل ساحلها مؤلف من صخور مرجانية وقد قال احد واصفيها انهُ ليس في الارض بقعة تفوقها في جمال منظرها فان اراضيها تغطيها المروج الخضراء والحراج الفيحاء ولا تحتاج الاَّ الى يد الصناع لتصيرها فردوساً ارضياً. وعاصمة الجزيرة مدينة جولو وسكانها الآن نحو الفي نفس وهم من امم مختلفة وبعضهم من العرب. وقد استخلص المؤلف تاريخ الجزيرة من كتابة قديمة عند وزير سلطانها واسمهُ الحاج بوتو عبد الباقي وهي مكتوبة بالملقية وقال كاتبها انهُ اتم كتابتها يوم الجمعة في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٨٥ للهجرة

وفي الكتاب فوائد كثيرة تدل على ان الدكتور صليبي صار من مهرة الكتَّاب في الانكليزية

بطل المروءة والسيف

تأليف المسيو فيفال الفرنسوي وتعريب حضرة المنشيء المجيد ادوار افندي مرقص اللاذقاني قال المعرب في ما ذكرهُ تمهيداً لها " اذا شاء القارىء ان يقف على اتم صورة للشجاعة الحسيَّة والادبيَّة والذكاء. واتم صورة للخبث واللؤم مع سعة الجاه والذكاء ايضاً. واتم صورة لامانة الصديق والزوجة والام. واتم صورة للضغط والتضييق واستبداد الفرد بالفرد. وذلك كلهُ بشكل مقبول معقول. فليطالع هذه الرواية التي لها شهرة مستطيرة بين المطبوعات الفرنسوية وليعلم ان حجمها في الاصل هو ثلاثة اضعاف حجمها معربة لان المعرب رحم القارىء وكفاه مؤونة الاطلاع على تفاصيل الاماكن والاشخاص وغيرها مما قد يهم القوم المؤلفة الرواية في لغتهم دون سواهم "

والمعرّب مشهور بين رجال الادب كما يعلم قراء المقتطف وقد افرغ هذه الرواية في قالب عربي قريب المأخذ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الاستهواء الكاذب

مصر. توفيق افندي الرافعي. طالعت في بعض المجلات قصةً غريبة يخالها القارئ لاول وهلة خرافة وهي مترجمة عن الفرنسوية واصلها لاحد كتّاب العصر ومؤَداها ان شابًّا احب فتاة رائعة الجمال وكانت هي تكرههُ وكان ماهرًا بالتنويم المغنطيسي فرآها مرةً وجعل يشير على ظهرها اشارات مستديرة فصارت ترتعش ثم نامت النوم المغنطيسي ثم كرر ذلك فصارت تخضع لارادتهِ وهي نائمة ثم تعصيهِ اذا افاقت فهل ذلك صحيح

ج. ان كان الرجل قد نوَّم الفتاة النوم المغنطيسي فلا بدَّ من انها تكون قد رأتهُ ينومها او اعتقدت انهُ يعمل اشارات لتنويمها ولو لم يعملها لان نومها ليس ناتجاً عن اشاراتهِ بل عن اعتقادها ان واحدًا يستعمل الوسائط لتنويمها واذا نامت لا يتعذر على منومها او غيرهِ ان يأمرها باي امر كان فتطيعهُ وهي نائمة وقد يبقى تأثير امرهِ فيها ولو استيقظت كما يحدث لمن يمشي في نومهِ فانهُ يسهل عليك ان تقودهُ كيفما شئت. اما اذا كان مراد الكاتب ان الرجل استهواها باشاراتهِ وهي لا تعلم فذلك غير صحيح بل هو موضوع وضعاً من المؤَلف

(٢) الاستهواء الصحيح

ومنهُ. الَّف بعضهم كتاباً قال فيهِ ان غلامًا اتهم اباهُ بقتل فتاة في قرية من قرى بلاد النمسا. وكان الابن مستهوًى فشهد على ابيهِ انهُ رآهُ يذبح الفتاة امام اناس آخرين ويطرحها في الماء فان صحَّ ذلك احدث ثورة في الدنيا وقلب نظام الحكومات فهل هو صحيح

ج. ان صحتهُ محتملة اي اذا كان انسان عصبيًّا فقد يستطيع مَن يمارس التنويم ان يستهويهُ ويجعلهُ يعتقد انهُ رأى ما لا حقيقة لهُ واذا تكرَّر عليهِ ذلك فقد يبقى هذا الاعتقاد راسخاً في ذهنهِ ولو استيقظ

(٣) التنويم

ومنهُ. هل كتبتم شيئًا في هذا الموضوع في المجلدات الماضية من المقتطف. وكيف تكون ممارسة التنويم

ج · نعم كتبنا فصولاً كثيرة فيهِ ولا سيما في المجلد الثاني عشر والثالث عشر والحادي والثلاثين والثاني والثلاثين · ورأينا ان لا تتعلموا التنويم ولا تمارسوهُ ولو تعلمتموهُ · واكثر الاطباء الذين يمارسونهُ دجّالون ولكن بعضهم امين يستعملهُ في ما يفيد ولهُ فوائد لا تنكر

(٤) اكل الطيور للحجارة

مونتريال باميركا · الخواجه جرجس حنا جرجور · يقال ان معد الطيور ولا سيما الحجل تهضم الحجارة حتى الصوان فهل لها فائدة من ذلك

ج · تلتقط الطيور الحجارة الصغيرة مع طعامها لكي تساعدها على هضم الطعام وبعضها يهضم مع الطعام حقيقة كالحجارة الكلسيَّة الرخوة وتتناول ابدانها الكلس منهُ لتكوين قشور بيضها

(٥) اول متكلم بالعربية

ومنهُ · من هو اول متكلم باللغة العربيَّة ومن هو اول من كتب بها

ج · يقول علماء اللغات ان الناس ابتدأوا ينطقون باصوات قليلة منذ الوف كثيرة من السنين ثم تدرجوا الى النطق بالكلمات القليلة المقاطع · ولما اقام كل فريق منهم في بلاد زماناً طويلاً وتنوعت لغاتهم على مرور الزمان كثر الفرق بين لغة وأُخرى فسكان جزيرة العرب اختلفت لغتهم عن لغات الشعوب الذين كانوا معهم من اصل واحد ثم اعتمد الذين جمعوها على فروع مخصوصة منها وهي اللغة العربية المحفوظة في الكتب فلم يكن وقت تكلمها فيهِ انسان واحد بل تولدت تولداً ومبدأها قديم جدًّا قبل عصر التاريخ فلا يعلم زمنهُ وكذلك لا يعلم من اول من كتب فيها لان الكتابة العربية تدرجت تدرجاً وارتقت ارتقاء في القرون الاولى من التاريخ المسيحي من اختلاط العرب باليهود والسوريين ونحوهم من الامم التي تكتب لغاتها

ويغلب على ظننا ان احد دعاة الدين اليهودي او المسيحي كتب فصولاً دينية للعرب بلغتهم واستعمل لها حروفاً تشبه الحروف السريانية او النبطية ثم تنوعت وصار منها الخط الكوفي والخط النسخي ولكن التاريخ لم يحفظ اسمهُ في ما نعلم

(٦) اهم الاكتشافات

بغداد · الخواجه منصور ايار · ما هي اهم وافضل الاكتشافات التي تحت التجربة

ج · من اهمها وانفعها تحقيق فعل الراديوم في شفاء السرطان كما ترون في صدور الاخبار العلمية في هذا الجزء · ومن اهمها ايضاً اكتشاف علاج شافٍ من السل واكتشاف طريقة لاستخدام القوة المذخورة في جواهر الاجسام واكتشاف الاساليب التي تمنع تولد الحشرات والآفات المضرة بالزراعة واكتشاف طريقة لتوليد الاسمدة

اللازمة لخصب الارض وتكثير غلتها حتى ترخص مواد الطعام. واهم من ذلك كله في نظرنا تحقيق ما يدعيهِ البعض من ان نفوس الاموات تبقى في هذا العالم تجول حول الاحياء وتؤثر فيهم احياناً فان حياة الانسان قصيرة جداً وهو يودُّ ان يعرف ما وراء الموت معرفة علمية اي معرفة مبنية على الحس والاختبار كمعرفتهِ ان السماد يزيد نمو المزروعات والنار تحرق الخشب والنور ينعكس عن المرآة والتطعيم يقي من الجدري. والمعرفة التي كذلك يسلّم بها كل احد مهما كان دينهُ وشعبهُ

(٧) هل تضيق الارض بسكانها

ومنهُ. هل يأتي يوم تضيق فيهِ الارض بسكانها نظرًا الى ما تراهُ من مساعي الدول في تسهيل اسباب العمران وتقليل الوفيات

ج. لا نظن لان الذين تقل وفياتهم بانتشار الوسائل الصحيَّة تقل ايضاً مواليدهم باحجامهم عن اخلاف النسل وتحمُّل مشاق الولادة والتربية. واكثر هذا الاحجام من قبَل النساء المتعلمات

ومما يسوء ذكرهُ ان الدول التي تسعى الى تلافي ذلك غرضها الاول ان لا يقل دخلها من رعاياها ولا تقل جنودها منهم

(٨) التمدن والدين

ومنهُ. هل ينتشر الدين ويتقوَّى بازدياد التمدُّن او يضيق نطاقهُ ويضعف

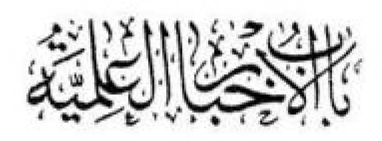
ج. اذا اريد بالدين الرسوم الدينية فالمرجح انها تقلُّ وتضعف واذا اريد بهِ البر والتقوى اي الجري على موجب القول القائل حد عن الشر واصنع الخير اطلب السلامة واسعَ وراءها فهو يزيد انتشارًا ورسوخاً

(٩) العلم والتمدن

ملوي. سعيد افندي ابو البقاء الملوي. هل العلم اصل التمدن وهل هو طبيعي في البشر او التمدن اصل العلم وهو اكتسابي

ج. اذا اريد بالعلم ادراك الجزئيات والتوصل منها الى الكليات فهو طبيعي الآن في الانسان ولعلهُ كان كذلك فيهِ دائماً اي ان اول من صحَّ ان يطلق عليهِ اسم الانسان كان يدرك بعض الجزئيات ويستنتج منها الكليات. واذا اريد بهِ تنسيق المعارف وتبويبها حتى تصير علوماً كالحساب والجبر والهندسة والكيمياء فهو اكتسابي ولو كان الكثير من اصولهِ بديهيًّا. والتمدن اكتسابي ايضاً وقد سار مع المعارف والعلوم وما من امة تحت السماء الا وعندها معارف تساعدها على معيشتها

تنبيه — لما عاد المقتطف الى الانتشار في الممالك العثمانية بعد الدستور زادت مسائل المشتركين جدًّا فسنوسع الباب المعد لها مبتدئين من الجزء التالي



المدرسة الكلية السورية الانجيلية

بعث الينا صديقنا الفاضل الدكتور هورد بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية المتجوّل الآن في اميركا نشرات نشرها هناك يظهر منها انهُ باذل جهدهُ هو وامناء المدرسة في جمع الاموال اللازمة من اهل البر لانشاء ثلاثة فروع اخرى في المدرسة فرع منها لتعليم الحقوق وفرع لتعليم الهندسة وفرع لتعليم الزراعة فتصير فروع المدرسة الكلية سبعة فرع العلوم بنوع عام ويدخل فيهِ كل العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية. وفرع تعليم الطب وفرع الصيدلة وفرع التجارة وهي الفروع الحالية ويضاف اليها فرع الحقوق وفرع الهندسة وفرع الزراعة ما عدا القسم الاستعدادي من المدرسة. ويظهر لنا ان حضرة الرئيس عازم على ان يباري والدهُ في هذا السعي المشكور فتصير المدرسة الكلية مثل اكبر الجامعات الاوربية والاميركية والفضل فيها كلها لكرم الاميركيين ولسعيهِ وسعي والدهِ والذين شاركوهما في ذلك من اساتذة المدرسة ومحبيها

معهد الراديوم والسرطان

اشار ملك الانكليز بانشاء معهد للراديوم في مدينة لندن لدرس خواصهِ وفوائدهِ ولاسيما في شفاء الامراض. وقد تبرع السر ارنست كاسل ولورد افياغ بان يقوما بكل ما يلزم لهذا المعهد من النفقات لبنائهِ وتأثيثهِ والانفاق عليهِ. والرجلان معروفان بكرمهما فالسر ارنست كاسل هو الذي وهب القطر المصري اربعين الف جنيه لاجل مستشفيات الرمد ولورد افياغ وهب معهد لستر الطبي ببلاد الانكليز مئتين وخمسين الف جنيه

وقد أُلفت لجنة لمعهد الراديوم اعضاؤُها السر فردرك ترفس الجراح الشهير والسر وليم رمسي الكيماوي الشهير والسر جوزف طمسن الطبيعي الشهير والسر لودر برنتن الطبيب الشهير والشريف ربرت سترت ابن لورد ربلي والسر ملكم مرس المشهور بطب امراض الجلد واثنان آخران يعينهما السر ارنست كاسل ولورد افياغ

ولا يخفى ان عنصر الراديوم اكتُشف حديثاً اكتشفتهُ مدام كوري منذ بضع

سنوات . ووجدت لهُ خواص غير عادية لا تماثلها خواص عنصر آخر من العناصر المعروفة بعضها طبيعي وبعضها كيماوي وبعضها طبي فبخواصهِ الطبيعيَّة ينير بعض الاجسام ويغير لون الزجاج وبعض الحجارة الكريمة ويخترق الاجسام غير الشفافة . وبخواصهِ الكيماوية يجعل الاكسجين اوزوناً ويركب الاكسجين مع الهيدروجين لتكوين الماء ويحوّل الفصفور من الحالة الصفراء الى الحالة الحمراء ويطلق اليود من بعض مركباتهِ

اما خواصهُ الطبيَّة وهي التي يراد البحث عنها بنوع خاص في هذا المعهد العلمي فهي انهُ اذا وُضع على الجلد مباشرة او كان مفصولاً عنهُ بالثياب فقط كواهُ كيّاً كما تكويهِ اشعة رنتجن . وقد ازيلت بهِ الوَحَم والخيلان والكلف والثآليل ونحوها من الآفات الجلدية . وشفيت بهِ الآكلة (القرحة الاكالة) وهي نوع من السرطان الجلدي كما تشفى باشعة رنتجن ولكنهُ افعل من اشعة رنتجن اي ان فعلهُ يغور في الجلد اكثر من فعلها . وقد مرَّ الآن خمس سنوات على آكلة شفيت بهِ ولم تُعدْ . فهل يكون الدواء الشافي من السرطان . هذا هو الامر الذي يهتمُّ العلماء الآن بتحقيقهِ ولهُ بنوع خاص انشئ هذا المعهد العلمي فقد ثبت انهُ يشفي سرطان الفيران والمظنون انهُ يشفي سرطان الناس ايضاً

وعنصر الراديوم نفسهُ لم يستحضر حتى الآن والذي استحضر منهُ هو بعض مركباتهِ والكمية التي استحضرت منها قليلة جدًّا وهي غالية غلاء فاحشاً لصعوبة استحضارها وتزيد غلاء يوماً فيوماً فقد كان ثمن المليغرام من بروميد الراديوم خمسة جنيهات اي ثمن الغرام الواحد خمسة آلاف جنيه والآن صار ثمن المليغرام ١٨ جنيهاً اي ثمن الغرام الواحد ثمانية عشر الف جنيه . والتجارب الطبيَّة لا يمكن اجراؤُها ما لم تكن كمية الراديوم كبيرة ولذلك تعذر اجراء التجارب الكثيرة فيهِ حتى الآن . اما المعهد الجديد فيتكفل بتقديم النفقات اللازمة لاستخراج المقدار الكافي من الراديوم لاجراء هذه التجارب

ومركَّبات الراديوم كانت تستخرج حتى الآن من اكسيد الاورانيوم الموجود بكثرة في بلاد بوهيميا وقد رأوا الآن انهُ موجود ايضاً في ناحية كورنول من بلاد الانكليز في اكسيد الاورانيوم ومركبات الاورانيوم والنحاس ويختلف مقدارهُ فيها من غرام الى نصف غرام في كل طن . وما دام المال اللازم لاستخراج المقادير الكافية منهُ قد وجد الآن فلا بدَّ من اكتشاف كل فوائدهِ عاجلاً او آجلاً

واذا اثبتت التجارب ان الراديوم علاج شافٍ من السرطان فيكون اكتشافهُ في هذا الزمن الذي اتجهت فيهِ همة العلماء الى البحث عن حقيقة السرطان وسيرهِ وطرق

علاجهِ توفيقاً قليل النظير . ولكن تبقى ندرتهُ عقبة كبيرة في سبيل هذا التوفيق ولا ينتظر ان توجد مقادير كبيرة منهُ لانهُ سريع الانحلال فينحل كلهُ في نحو ١٧٠٠ سنة ولولا انهُ يتركب دواماً من عنصر آخر لما بقي منهُ شيء في ارضنا الى الآن

خزان اسنا

انشأت الحكومة المصرية قناطر في اسنا ترفع ماء النيل منعاً للشرق في مديرية قنا مهما انحط الفيضان . واحتفلت باتمامها في ٩ فبراير الماضي ووضع آخر حجر فيها الجناب الخديوي وكان احدنا الدكتور فارس نمر قد اختير لينوب عن الصحافة المصرية العربية فانشأ مقالة في وصف الاحتفال نشرت في المقطم وسندرجها في الجزء التالي من المقتطف

مشاهير فرنسا

سألت جريدة البتي جرنال الفرنسوية قراءها ان يذكروا اسماء اثني عشر رجلاً من الذين يحق لهم ان يدفنوا في البنثيون (مدفن العظماء) فجاء اسم باستور في اول القائمة ونال من الاصوات ٣١٥٢٠٣ وبعدهُ اسم غمبتا وقد نال ٢٧٩٤٤٣ اي ان الفرنسويين قدموا رجل العلم على رجل السياسة

الزلازل والبراكين

لا تزال الزلازل تنتاب مسينا وكلبريا وقد حدثت فيهما زلزلة شديدة في ١٣ فبراير وجاء من بطرس برج انهم شعروا بزلزلة في سنش بولاية سكوم في ذلك اليوم ومن مكسكو ان بركان كوليما زاد ثورانهُ في ١٣ فبراير وجرت الحمم السائلة منهُ مسافة ميل وحدثت زلزلة في جنوبي البلغار في ١٦ فبراير

السل من البقر

تعزز رأي القائلين ان سل البقر يصل الى البشر بواسطة لبنها فيصاب بهِ الاطفال الذين يسقون ذلك اللبن . وان ميكروب السل يصل الى لبن البقر المصابة بالتدرن من تلوثهِ بمبرزاتها ونفسها فان في نفسها ومبرزاتها كثيراً من ميكروبات السل

هبة جديدة لركفلر

وهب المستر جون ركفلر مدرسة شيكاغو الجامعة مئتين وخمسين الف جنيه فصار كل ما وهبها اياهُ حتى الآن اكثر من خمسة ملايين جنيه

عيد دارون

احتفل في مدرسة اكسفورد الجامعة في ١٢ فبراير بمرور مئة سنة على ميلاد دارون وخطب الاستاذ بولتن فذكر المؤثرات التي اثرت في دارون من رجال العلم المعاصرين لهُ مثل ليل وهوكر وغراي . والتأثير العظيم الذي اثرهُ مذهبهُ في كل العلوم والفنون . وليس مذهب دارون ان الانسان مرتقٍ

من القرد كما يزعم المتهكمون عليهِ بل ان ارتقاء انواع الحيوان والنبات قد حصل بواسطة الانتخاب الطبيعي اي بقاء الاصلح للبقاء وانقراض ما سواهُ

تعقيم اللبن

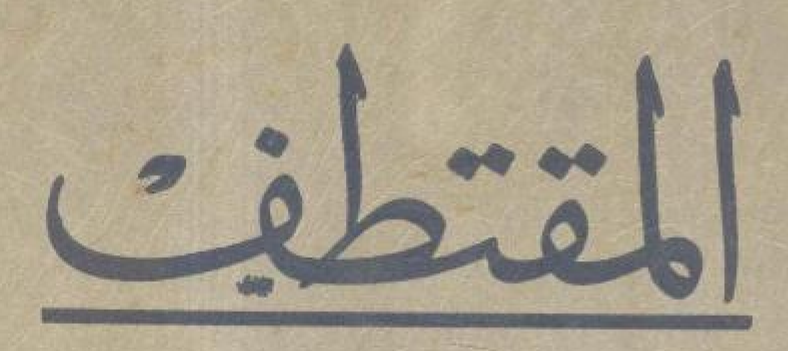
لم تبقَ شبهة في ان اللبن (الحليب) قلما يكون خالياً من ميكروبات الامراض ولا سيما في زمن الحر وانهُ هو سبب ما يصيب الاطفال الذين يسقونهُ من الآفات. والظاهر ان طرق التعقيم العادية لا تنقيهِ من كل الميكروبات لان بعضها يبقى حيًّا ولو اشتدت الحرارة التي يعقم بها حتى كادت تبلغ درجة الغليان. وقد استنبط الدكتور بود الدغاركي اسلوبًا لتعقيم اللبن حتى لا يبقى فيهِ شيءٌ من الميكروبات وهو ان يسخن الى الدرجة ١٢٠ بميزان فارنهيت وينفذ فيهِ براكسيد الهيدروجين فتموت الميكروبات التي فيهِ كلها ويصب حينئذٍ في زجاجات معقمة وتسد سدًّا محكماً

الحكمة الشرقية

حُكم بالامس على رجل من رجال كوريا بالقتل لجريمة سياسيةٍ فكتب قبل موتهِ الى ابنهِ يقول. « لقد حُكم عليَّ بالموت لاني جاهدت في سبيل الدفاع عن وطني وملكي فلا تجزع لذلك. وحينما يقضى الامر خذ جسدي وادفنهُ كما يدفن الفقراء ولا تحملني الى مدفن آبائي لان الشقة طويلة والنفقات طائلة واخوك صغير ويجب ان تنفق على تعليمهِ ونحن فقراء بل التمس من اقاربنا ان يعطوك قطعة ارض على مقربة من السجن وادفني فيها ولا تخلع عني ثيابي التي البسها وانا في السجن ولا تحزن لموتي لان نهاية الابرار مجيدة ولو ماتوا قتلاً ولذلك لا اخجل من هذه الميتة لاني كنت على هدًى. وبعدما تدفنني اذهب مع اخيك الى الجبال واحرث الارض وعلّم الاولاد ولازم الاجتهاد والاعتناء فتسرَّ نفس ابيك »

وكانت امرأة عجوز مسكينة من نساء اليابان واقفة تنتظر قطر سكة الحديد وعلى ظهرها حمل ثقيل فلما وصل القطر هرولت اليهِ وكان الجنرال نوجي القائد الياباني الشهير واقفاً هناك مع اركان حربهِ فلما رآها حاد من طريقها وامسك بيدها وساعدها على الصعود الى القطر بعد ان سند حملها بيدهِ وقال لها ديري بالك يا اماه. فشكرتهُ ولم تكن تعرف من هو وكان المسافرون معها يعرفونهُ فقالوا لها انهُ الجنرال نوجي فلما سمعت ذلك ابرقت اسرتها وحمدت ربها قائلة الآن اطمأَن بالي فان ابني كان في جيشهِ لما قُتل والقائد الذي يشفق على عجوز مسكينة مثلي لا بد من ان يشفق على جنودهِ ويعاملهم بالحسنى

فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين


المقتطف



المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٠ ربيع اول سنة ١٣٢٧

الشؤون العثمانية

ذكرنا في الجزء الماضي خلاصة ما جرى في سقوط وزارة كامل باشا وقيام وزارة حلمي باشا حسب رغبة مجلس المبعوثان. وقلنا في ختام ذلك " ان مجلس المبعوثان تسلح بالدستور العثماني واسقط الوزارة سواء كانت تستحق ذلك او لا تستحقهُ فاستدعى جلالة السلطان رجلاً يرضى بهِ مجلس المبعوثان وكلفهُ تشكيل وزارة جديدة وقد تمَّ ذلك كلهُ طبقاً للقانون كأنهُ جرى في انكلترا اقدم البلدان في الجري على الحكم الدستوري وهذا ما تتمناهُ كل امة تريد ان يكون حكمها في يد نوابها "

ثم نشرت جريدة الطان حديثاً لمكاتبها في سلانيك مع الدكتور نظيم بك من كبار اعضاء لجنة الاتحاد والترقي اخبرهُ فيهِ بما يأتي عن سقوط وزارة كامل باشا وقد نشرناهُ برمتهِ في المقطم وها نحن موردون خلاصتهُ هنا لانهُ جلا امراً غامضاً وبرأ لجنة الاتحاد والترقي مما اتهمت بهِ وبررها في عملها قال—

" لما توصلت لجنة الاتحاد والترقي الى اعادة الاحكام الدستورية وقرَّ قرارها على ان لا تستلم مقاليد الحكومة بنفسها اضطرت ان تبحث عن سياسي يقوم بمقتضى الحالة حينئذٍ فلم تكد تجد لسوء الحظ من تضع فيهِ بعض ثقتها الأ كامل باشا الذي كان السلطان قد اقصاهُ عن الاستانة وجعلهُ والياً على ازمير . فلم يمتنع عن قبول منصب الصدارة الثقيل الاعباء مع طعنهِ في السن ولم يعترض السلطان على تعيينهِ لان المشاكل الداخلية والخارجية كانت كبيرة وكان كامل باشا معروفاً بالدهاء السياسي . غير ان سعيد باشا ابنهُ تصرَّف تصرفاً اضطر لجنة الاتحاد والترقي ان تطلب من والدهِ ان يبعدهُ عن الاستانة ولكن كامل باشا

يحب ابنهُ حبًّا شديداً فرفض طلب الجنة رفضاً باتاً وهذا السبب الحقيقي في الخلاف بين لجنة الاتحاد والترقي والصدر الاعظم وفي اظهار كامل باشا للاستياء وعدم الرضاء. فجعل يشكو من انهُ غير حر في التصرف . ثم رفض ان يدعو مندوبي لجنة البلقان في لندن الى مأدبة حين مرورهم بالاستانة . فلما اتصل بالسلطان خبر رفضهِ هذا استدعاهُ اليهِ وكلفهُ بحضور ثلاثة من مندوبي لجنة الاتحاد والترقي مظهرًا رغبتهُ في ايداب تلك المأدبة تحت رئاستهِ فاذعن كامل باشا حينئذٍ ثم خاطب مندوبينا قائلاً " انكم تنسبون الفضل في اعادة النظام الدستوري الى انفسكم وحدكم دون سواكم مع اننا مديونون بهِ الى فضل جلالة السلطان " فاجابهُ احد مندوبينا قائلاً " انك تقول ما تقولهُ لتتملق السلطان علماً منك ان كماتك هذه ستنقل اليهِ والاَّ فانك تعلم حق العلم كيف جرت الحوادث في يوليو الماضي " . ووقع كلام كامل باشا هذا وقعاً اليماً في نفوسنا . وبعد ايام عقد اعضاء لجنة الاتحاد والترقي جلسة غير اعتيادية للنظر في الاحوال لانها جعلت تسوءُ وتظلم في داخل البلاد بسبب المطاعن التي كانت تنشرها جرائد ساقطة المبادىء والاراجيف التي كانت تشاع عن مؤامرة لاهلاك الاجانب وكذلك ساءت في الخارج بما كان يشاع عن صعوبة الاتفاق مع النمسا والبلغار . ثم ابلغونا على وجه شبيه بالرسمي انهُ اذا اضطر كامل باشا الى الاستعفاء لم تؤمن العاقبة لاننا نفقد ثقة اوربا بنا حتماً . ولذلك دامت جلستنا طويلاً وتدبرنا الاحوال من كل وجوهها بتأنٍ وسكون ورباطة جاش واتفقنا على ان واجباتنا الوطنية تقضي علينا بترك حرية التصرف التامة للصدر الاعظم فيبقى مطلق التصرف تام الحرية في آرائهِ وافعالهِ ولكن مع مراقبتهِ مراقبة شديدة

وهذا الامر الذي فعلناهُ عن اخلاص وحب لوطننا (لان مجلس المبعوثان لم يكن قد عقد بعد وكنا نريد ان نسير حسب الاحكام الدستورية) عدهُ كامل باشا دليلاً على ضعفنا وظن ان الجو قد خلا لهُ ليفعل ما يشاء بلا محاسب ولا مراقب . وانت تعلم ما جرى بعد ذلك بامر نظارتي الحربية والبحرية واقتراع مجلس المبعوثان الذي كانت الاكثرية فيهِ ضدهُ . وكانوا يشيعون في اروقة المجلس اشاعات مفزعة عن التأثير الذي سيؤثرهُ سقوط كامل باشا في اوربا ولكن المجلس لم يتردد مع ذلك في القيام بواجباتهِ والسلطان نفسهُ قبل قرار ذلك المجلس العالي وتصرف تصرف الملك الدستوري مع ان دستور سنة ١٨٧٦ يعطيهِ حق المعارضة في ما يقر عليهِ قرار المجلس في مثل تلك الاحوال

ومما تقدم ترى ان لجنة الاتحاد والترقي لم تتجاوز حدود حقوقها وواجباتها . فالواجب

عليها ان تستمر على السهر والمراقبة مدة طويلة بعد . واقول لك اننا سنقوم باعباء هذه المهمة التي اخذناها على عاتقنا واملنا وطيد ان الجرائد الفرنسوية تبسط الحقيقة لكي يعلمها الرأي العام ولا تجوز عليهِ الاراجيف والاوهام »

وسواء خلا هذ الحديث من كل مبالغة او لم يخلُ فالامر مؤكد ان وزارة حلمي باشا سارت سيرًا حسنًا حتى الآن فامضى الاتفاق مع النمسا على العوض المالي الذي تدفعهُ لتركيا وسائر الشروط المتعلقة بذلك . وعادت المصافاة بين دولتنا العلية ودولة النمسا الى سابق عهدها وابطل العثمانيون مقاطعة البضائع النمسوية وقد كان لهذه المقاطعة او المحاربة التجارية الشأن الاكبر في تسوية الخلاف بين الدولتين وتم الاتفاق مع البلغار على ان روسيا تتنازل لتركيا عن قسط الغرامة السنوية وهو ٣٥٠ الف ليرة عثمانية مدة اربعين سنة وذلك بمثابة اعطاء دولتنا خمسة ملايين او ستة ملايين من الجنيهات . ولما رأى المجلس ان اعمالهُ كثيرة والزمن المحدَّد لاجتماعهِ قصير طلب تطويلهُ فاطيل ثلاثة اشهر

ومن اهم اعمال الوزارة الحالية عمل ميزانية لدخل الحكومة وخرجها اي ايراداتها ومصروفاتها لسنة ١٣٢٥ المالية التي تبتدئ من شهر مارس الرومي فقدرت الايرادات بمبلغ ٢٥٣٩٤١٥٣ ليرة عثمانية والمصروفات بمبلغ ٢٩١٠٠٣٢٣ فتقل الايرادات عن المصروفات مبلغ ٣٨٠٦١٧٠ او نحو اربعة ملايين من الليرات . ولقد كان المأثور ان ميزانية الايرادات لا تتجاوز سبعة عشر مليونًا من الليرات وان المأمورين يبتزون من الامة ما يماثلها فلا يتعذَّر على الامة ان تدفع خمسة وعشرين مليونًا في السنة بل ثلاثين مليونًا وهوذا القطر المصري قد دفع لحكومتهِ في العام الماضي ١٥ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات او نحو ثمانية عشر مليونًا من الليرات العثمانية وسكانهُ اقل من ١٢ مليونًا وسكان الولايات العثمانية اكثر من ٢٥ مليونًا فلا يكثر عليهم والحالة هذه ان يدفعوا لحكومتهم ٤٠ مليونًا من الليرات اذا تمتعوا بحكومة ساهرة على مصالحهم وساعية في ترقية شؤونهم

ومن اهم اعمالها ايضًا الاهتمام باستخدام ابناء العرب اي المتكلمين بالعربيَّة في مناصب الحكومة السامية فعينت عارف بك الماردني واليًا على البصرة لكنها لم تنصف المتكلمين بالعربيَّة حتى الآن كما يجب عليها . واقلُّ ما ينتظر منها ان تنظر الى كفاءة الرجال لا الى جنسهم ولغتهم فانها اذا فعلت ذلك فالنجاح محقق لها والاَّ زادت الحالة سوءًا ولن تبلغ بلادنا ما تتمناهُ ولو مرَّت عليها السنون الطوال

مزارع النمل وفنادقهُ

ابان الشهير داروين ان لدود الارض المعروف بالخراطين شأناً كبيراً في توليد التربة في البلدان الباردة والمعتدلة وعليها يتوقف خصب تلك الاراضي. وابان غير واحد ان للنمل شأناً كبيراً في خصب الارض في البلدان الحارَّة. وبالامس اثبت بعضهم ان الطمي يصل الى ماء النيل من بيوت الطين التي يبنيها النمل في بلاد الحبشة. وفي اميركا الجنوبية نمل آخر يقطع اوراق الاشجار ويمزقها و يستخدمها مزارع للفطر ثم تنحل وتعود الى الارض وتزيد بها التربة ويزيد الخصب

وهذا النمل كثير في حراج اميركا الجنوبية وهو يدأب على العمل بهمة لا يعتريها الملل وقد اشرنا اليهِ في المجلد السابع عشر من المقتطف اي منذ ست عشرة سنة حيث قلنا ما نصهُ "ذكر العالم تترانهُ ربَّى قريتين من قرى هذا النمل ورأى العمَلة تذهب وتقطع قطعاً صغيرة من اوراق النبات وتحملها الى قريتها وتلقيها فيها فتتناولها العمَّال الكبار منها وتقبل عليها بألسنتها ومشافرها وايديها تحسها وتدعكها دعكاً الى ان تصير كل قطعة منها كرة صغيرة كحبة الخردق او اصغر الى ما يساوي حبة الخردل فتصفها بعضها بجانب بعض بقرب مكان من قريتها فيهِ فطر مزروع وتأتي العمال الصغار بقطع من هذا الفطر وتزرعها في هذه الكرات متفرّقة لكي لا يضعف بعضها بعضاً حينما تنمو فلا تمضي اربعون ساعة حتى تكتسي الكرات بالفطر الابيض فتغتذي منهُ وتطعم صغارها"

وذكر العالم توما بلت انهُ رأى جيشين كبيرين من هذا النمل احدهما ذاهب من قريتهِ الى الغاب والآخر راجع من الغاب حاملاً قطع الاوراق فتخرج النملة من القرية وتعدو مسرعة الى الغاب وتصعد على الشجرة وتقطع جانباً من اول ورقة تصل اليها وتنزل بهِ وتعود الى القرية لا تلوي على احد. ولا يمضي وقت طويل حتى تتعرَّى الشجرة من ورقها لكثرة النمل وسرعة حركتهِ. وقد وجد العالم ملَّر ان النمل لا يكتفي بعمل هذه المزارع وزرع الفطر فيها بل يخصُّها بنوع مخصوص من الفطر وهو الذي يغتذي بهِ واذا وقعت عليها بزور فطر آخر ونبتت فيها اقتلعها منها حالاً. والنمل الذي يفعل ذلك هو غير النمل الذي يقطع الاوراق ويجلبها الى قريتهِ. اي ان هذا النمل جارٍ على ناموس تقسيم الاعمال فيختص بعضهُ بعمل وبعضهُ بعمل آخر. وضع ملّر مزرعة من مزارع هذا النمل في اناء من الزجاج لكي يراقب حركاتهِ واعمالهُ ووضع معها نملاً قليلاً من النمل الذي يعتني بالمزرعة فنبت فيها الفطر الذي لاحاجة

لهُ بهِ فبادر اليهِ حالاً وجعل يقطعهُ ولكنهُ كان قليلاً كما تقدم فكثر الفطر وصار مثل غاب حول المزرعة حتى ضاق بهِ النمل ذرعاً

وقد ثبت من بحث ملران في كل قرية من قرى هذا النمل ثلاث فرق او طوائف · طائفة تقطع الورق وتحملهُ وتجلبهُ الى القرية · وفرقة تمهّد الطريق التي تسير فيها قطاعة الورق · وفرقة تصنع المزارع من الورق وتزرع فيها الفطر الذي يصلح لطعامها وتقتلع منها الفطر الذي لا يصلح اذا نبت فيها

ومن النمل اصناف تصنع مزارعها من الخشب البالي لا من اوراق الاشجار فتبني قراها في جذوع الاشجار النخرة وتصنع المزارع من خشبها ومن مبرزات الحشرات التي تنخرها

ومن يرى النمل يقطع اوراق الاشجار ويعريها منها يعجب كيف تبقى اشجار مورقة في البلاد التي يكثر فيها هذا النمل · لكن بعض الشجر يتقي النمل بما فيهِ من المادة الصمغية او الراتينجية او بصقال اوراقهِ لان النمل يزلق عليها ولا يستطيع الوقوف لقطعها · وبعضهُ يتقيهِ بواسطة النمل المحارب الذي يبني قراهُ في جذوعهِ فان هذا النمل يحارب النمل الزارع الذي يقطع الاوراق ويمنعهُ من قطعها · والنمل المحارب من اشرس الحشرات وهو يسير في جيوش جرارة فتهرب الحيوانات الكبيرة من وجهها ولا يسلم منها الانسان . قال بانتس في كتابهِ عن نهر الامازون ان الطيور تدري بقدوم جيش النمل المحارب فتنشر اجنحتها للرياح وتلجأ الى الفرار ويرى المنود ذلك فيهربون ايضاً واذا كان هناك اوربي ولم يقتدِ بهم هجم النمل عليهِ حالاً وغطى بدنهُ من رأسهِ الى اخمص قدميهِ واوسعهُ لسعاً ولذلك تخشاهُ سائر انواع النمل ولا تدنو من شجرة تراهُ معششاً فيها

والظاهر ان الشجر الذي يرى في النمل المحارب واقياً لهُ من النمل الزارع يجعل جوفهُ مضيفة للنمل المحارب او فندقاً او خاناً لهُ · لكن النمل المحارب لا يحتمل البرد الشديد فاذا قرَّهُ البرد لم يعد قادراً على محاربة النمل الزارع ووقاية الاشجار منهُ فيهجم عليها النمل الزارع ويعريها من ورقها

قلنا ان هذا الشجر يجعل جوفهُ فندقاً او خاناً للنمل المحارب وهذا الكلام حقيقة لا استعارة لان اغصان الشجر مجوفة وفي جوفها غرف كثيرة مفصولة بعضها عن بعض بغشاء رقيق يسهل على النمل خرقهُ فيتم الاتصال بين الغرف · وعند مغرز الاوراق في الساق مكان رقيق جدًّا يسهل على النمل خرقهُ والدخول منهُ الى داخل الساق وتحت مغرز ساق الورقة مادة مخملية ذات زغب بين زغبها ذرات بيضاء مستديرة تسمَّى اجسام ملر نسبة الى العالم

ملر مكتشفها وهي طعام هذا النمل ويقال انها مغذية جدًّا لاحتوائها على مادة لحمية ومادة دهنية فيأكلها النمل ويغتذي بها . فكأن هذه الاشجار شعرت بالخطر الذي يتهددها من النمل الزارع فلجأت الى النمل المحارب واستغاثت بهِ واعدَّت لهُ منازل في جوف اغصانها وهيأت لهُ الطعام اللازم لمعيشتهِ لكي يقيها من هجمات النمل الزارع

وهناك اشجار اخرى من نوع السنط لها شوك حاد مغرزهُ في الغصن مجوَّف يسكنهُ النمل المحارب ليدفع عنها النمل الزارع والشجر يقدم للنمل مؤُونتهُ اي انهُ يتعهد النمل المحارب بالمأوى والمأكل مقابل دفع الاعداء عنهُ . لكن لا عهد لهذا السنط بل هو مثل كل المستبدين يوليك زمامهُ ما دام محتاجاً اليك فاذا استغنى عنك لفظك لفظ النواة فانهُ اذا جاء الصيف وجفَّت الاوراق وسقطت ولم يعد السنط يخشى بأس النمل الزارع قطع الطعام عن النمل المحارب فيموت اكثرهُ جوعاً والبقية الباقية منهُ تحتمل الضيم وتبقى على عهد الولاء الى الربيع حتى اذا ظهرت الاوراق الجديدة جددت قوتها واخلفت نسلها وعادت الى الدفاع عن الشجر وعاد هو الى تقديم الطعام لها . وهذا الطعام مؤَلف من هنات صغيرة برتقالية اللون كمثرية الشكل تتولد عند رؤُوس الاوراق وتسمَّى اجسام بلت نسبة الى العالم بلت الذي حقق فائدتها . وقد بيَّن المستر فرنسيس دارون ابن دارون الشهير ان اجسام ملر واجسام بلت تنوعات من غدد الاوراق . ومن الغريب ان هذين الشجرين من نوعين مختلفين جدًّا ولكنهما يتقيان النمل الزارع على اسلوب واحد اي باعداد المأكل والمأوى في جوفهما للنمل المحارب حتى يقيم فيهما ويقيهما من النمل الزارع

وقد وجد الباحثون انواعاً اخرى من الشجر في بلدان مختلفة تعدّ المنازل في جوفها للنمل حتى يسكنها ويدافع عنها

ويعلل علماء النشوء وجود هذه المزايا في الشجر والنمل بالانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح فيقولون مثلاً ان النمل الزارع جارٍ على الاشجار وعرَّاها من ورقها واتفق ان بعضها اوى النمل المحارب فسلم من النمل الزارع واخلف نسلاً فقويت هذه المزية في نسلهِ وتكوَّنت فيهِ المعدات لايواء النمل المحارب وتغذيتهِ . والنمل الزارع صارت لهُ هذه المزية بان ظهر فيهِ ميل الى جمع اوراق الشجر واكل ما ينبت عليها من الفطر وقوي هذا الميل بالانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح اي ان الذي قوي فيهِ هذا الميل استفاد منهُ فعاش واخلف نسلاً والذي لم يتولد فيهِ هذا الميل او لم يقوَ فيهِ ضعف وانقرض او ظهر فيهِ ميل آخر وقاهُ من الانقراض وقوي فيهِ فصار منهُ صنف مخالف للصنف الاول وهلمَّ جرًّا

السكسوفون او دليل الجنس

نشر المستر ستد صاحب مجلة المجلات خبرًا في غاية الغرابة لا نرى له تعليلاً معقولاً ان كان صحيحاً ولم نرَ ما يؤيده في جريدة علمية لكن ذلك لا يمنعنا من نشره قال

ان المستر وليمس من المشتغلين بالاعمال الهندسية وتربية الدجاج رأى ذات يوم اهتزازًا في ادوات حديدية صغيرة معلقة في دكانهِ لغير سبب ظاهر ثم رأى تحت تلك الادوات سلة فيها بيض فرفعها ظانًا ان تحتها قطعة من المغنطيس وهي التي هزّت ادوات الحديد فلم يجد تحتها شيئاً . ولكن اهتزاز الادوات زال حينئذٍ فاعاد السلة الى مكانها فعادت الادوات الى اهتزازها فقال انهُ لا بدّ من علاقة بين سلة البيض واهتزاز ادوات الحديد . ومن ثم جعل يمتحن فعل البيض بها فوجد ان بعض البيض لا يحرّك الحديد مطلقاً وهو البيض العقيم وبعضهُ يحركهُ ذهاباً واياباً كرقاص الساعة وبعضهُ يحركهُ في دائرة فحضن البيض الاول الذي يحرك الحديد ذهاباً واياباً فنقف عن فراخ اناث وحضن البيض الثاني الذي يحرّك الحديد في دائرة فنقف عن فراريج (اي فراخ ديوك) واتضح لهُ من ذلك ان الذكر والانثى يؤثران في الحديد المعلّق وتأثيرهما مختلف فالذكر يحركهُ في دائرة والانثى تحركهُ في خط مستقيم ذهاباً واياباً وهما يفعلان ذلك ولو كانا لا يزالان في البيضة

قال المستر ستد رأيت المستر وليمس في معرض الدهلي مرور في اوتل سسل وهو يعرض آلتهُ دليل الجنس (السكسوفون) وقلت لهُ هل انت واثق بصحة ما تدّعي

فقال نعم وقد امتحنتهُ الف مرة ففرّخت في السنة الماضية مئات من البيض فاتت فراخها كما دلتني هذه الآلة وبديهي اني لم افرّخ البيض العقيم

فقلت اذًا جاءت الفراخ دائمًا حسب ما دلتك الآلة

فقال نعم ولم اكن كثير التدقيق في اول الامر فوقع بعض الخطإ اما الآن فان زوجتي تستطيع ان تمتحن مئتي بيضة في الساعة وكل البيض الذي تضعهُ في الحاضن يفرخ وتأتي فراخهُ ذكورًا او اناثًا حسبما تدلنا الآلة

فقلت لهُ وما هي هذه الآلة

فقال هاكها واراني سلكاً دقيقاً من الفولاذ (الصلب) وقد علّق بها كرة صغيرة من الفولاذ ايضاً

فقلت وهل جنس الحيوان يؤثر في هذه الالة على اسلوب واحد دائمًا

فقال نعم دائماً ابداً سواء كان رجلاً او امرأةً او طيراً او وحشاً او سمكاً . والآلة لا تخطئ ابداً خذها وجرّبها بيدك

فاخذتها من يدهِ ومسكتها فوق رأس الجنرال السر الفرد ترنر فارتجفت الكرة في اول الامر ثم صارت تدور واستمرّت على الدوران . ثم مسكتها فوق رأس احدى السيدات فابطلت حركتها المستديرة وجعلت تخطر ذهاباً واياباً مثل رقّاص الساعة . فقلت له لعلّ هذه الكرة تتحرك بارادتنا على غير قصد منا . فقال امتحنها في حيوان لا تعرف هل هو ذكر او انثى . هاك قنفذاً وارانب وفيراناً بيضاء ولا احد يعلم ايها ذكر وايها انثى الاّ بعد البحث الدقيق فامتحنها فيها

فامتحناها في تلك الحيوانات فدلّت على جنسها دلالةً صحيحة من غير خطإٍ . وكان مع المستر وليمس كلب في سلّة فهمّ باخراجهِ منها لامتحان الآلة فيهِ فقلت لهُ لا تخرجهُ من السلّة بل لتمتحن الآلة وهو فيها . فامسك الآلة فوق السلّة ولم يمضِ الاّ بضع ثوانٍ حتى جعلت تدور دوراناً فقلت ان الكلب ذكر فاخرجهُ لنرى فاخرجهُ واذا هو ذكر كما دلّت الآلة . وستعاد التجارب في مكتبي امام لجنة من المشهورين بتفريخ البيض وانشر نتيجة ذلك في عدد تالٍ من مجلة المجلات

انتهى كلام المستر ستد وهو في حد الغرابة وقد رسم صورتهُ بالفوتوغراف والآلة في يدهِ فوق رأس الجنرال السر الفرد ترنر وهي سلك دقيق طولهُ نحو شبر في اسفلهِ كرة كالجوزة . ولا ندري لماذا مسكها بيدهِ لانهُ لا بدَّ ليدهِ من ان تتحرك وتحرك الآلة حسب ما يعتقدهُ في نفسهِ وكان الواجب ان يعلق الآلة بشيءٍ كقب الميزان ويحيطها بما يمنع تحريك الهواء لها ويضع الحيوان تحتها فيعتمد على حركتها حينئذٍ اما اذا امسك الآلة بيدهِ فانهُ يحركها من تلقاء نفسهِ ولو على غير قصد منهُ فان كان يعلم جنس الحيوان فتكون حركتها مطابقة لما يعلمهُ وان كان لا يعلم جنس الحيوان فتكون دلالتها عليهِ من قبيل الاتفاق . والاتفاق هنا واحد من اثنين لانهُ لا يخلوان يكون الحيوان ذكراً او انثى . وقد علّقنا قطعة حديد فوق حيوان فلم نرَ لها حركةً مستديرة ولا غير مستديرة واشكل علينا تصديق المستر ستد لامر مثل هذا ونشرهُ لهُ ان لم يكن صحيحاً وهو لم يذكرهُ على سبيل المزاح بل على سبيل الجد وسنرى ما يكتبهُ في الجزء التالي ونذكر خلاصتهُ

الاحتفال بفتح قناطر اسنا

اختارني حضرات زملائي الافاضل ارباب الصحافة المصرية العربية لأنوب عنها بين مدعوي نظارة الاشغال العمومية في الاحتفال بفتح خزان اسنا وذلك بناء على كوني اقدمهم عهداً في صناعتنا الشريفة

فركبت القطر المتخر مع سائر المدعوين وبرحنا محطة مصر الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ في السابع من فبراير مساء فلم نبعد عنها الأ القليل حتى علمت ان اصحاب السعادة بطرس باشا غالي وسعد باشا زغلول وفتحي باشا زغلول ومحمود باشا صدقي محافظ العاصمة ارسلوا في آخر ساعة يعتذرون عن السفر الى خزان اسنا وان جناب السر وليم جارستن اعتذر كذلك ايضاً لانحراف مزاجه واعتذر قبلهم آخرون مثل سعادة عزيز باشا عزت و يعقوب باشا ارتين بحيث لم يسافر من المدعوين غير اربعين مدعواً وهم مع حفظ الالقاب وعدم مراعاة تقديم او تأخير في ذكر اسمائهم السر الدن غورست . والنظار اسمعيل باشا سري ورشدي باشا وحشمت باشا . والمستشارون المستر بول هارفي والمستر وب والمستر دنلوب والمستر شيتي . و بوغوص باشا نوبار . ومحمد شواربي باشا وكيل شورى القوانين . وعفيفي باشا ويحيي باشا ابرهيم رئيسا الاستئناف المختلط والاهلي . وعبد الخالق باشا ثروت النائب العمومي . ومحمد انيس باشا وفريد باشا يازوغلي وبوانه باشا من اكابر موظفي الاشغال . واللوا بلنت باشا مدير اللوازمات . والمستر فنسيترت سكرتير الوكالة البريطانية الثاني وحضرات مديري جرجا وقنا وحافظ بك حسن مدير اصوان . وحسن بك بكري ومحمد بك تمام حبار ير وقرشي بك احمد مندو بو قنا وجرجا واصوان . والمستر بري والمفتشون العموميون للري والحياض والمستر وليمس والمستر لنجلي والمستر ايرلند ومراقب عموم مجاري القاهرة المستر جيمس ومفتش ري جرجا محمود بك صدقي ومدير عموم الصحة المستر جرام ومدير عموم السجون كولس باشا . ومدير عموم المساحة الكبتن ليونس ورئيس شركة ري البحيرة المستر فوستر ووكيل شركة روتر المستر ريس ووكيل شركة هافاس المسيو فنسيه . ومندوب الصحافة الاوربية المسيو دوروجا والمستر برسفورد والسرشارلس متكاف والسر بهيلد فلر من اكابر الانكليز وكاتب هذه السطور

غير ان كثيرين من هؤلاء المدعوين لم يسافر في القطر المتخر بل قصدوا الخزان من جهات مختلفة كانوا يمرون فيها للتفتيش فجاؤوا خزان اسنا راكبين بواخرهم وآخرين انضموا الينا على الطريق فبلغنا الاقصر قبل الساعة التاسعة من صباح الاثنين اول امس وانتقلنا

منها الى باخرتين من بواخر شركة همبرج انجلو اميركان هما نوبيا وماي فلاور . وكانت نظارة الاشغال قد استأجرتهما لنقلا المدعوين من الاقصر الى خزان اسنا فذهب كل مدعو الى المحل المعد لهُ فيهما وبقيت امرة بل غرف كثيرة منهما فارغة لاعتذار المدعوين عن الحضور او لسفرهم في بواخر اخرى كما تقدم . فسارت الباخرتان في يوم صفا جوهُ واعتدل— بل احرّ هواؤُهُ فكنا نرى الزينات التي اقامها الاهالي واكابر المزارعين والشركات مصفوفة على ضفتي النيل مسافات طويلة . وقبيل الساعة الرابعة بعد الظهر رست الباخرتان وراء يخت الجناب العالي نسيم البحر ويخت معيتهِ هيبا . فاسرع حضرات النظار الثلثة الى سرادق مضروب على الضفة الغربية قرب طرف الخزان الغربي حيث تشرفوا بمقابلة سمو الخديوي المعظم . وكان حينئذٍ منتهى التشريفات وقد تشرف علماء مركز اسنا وموظفوهُ واعيانهُ وعمدهُ بمقابلة سموهِ

اما سموهُ فوصل بمعيتهِ الى محطة خزان اسنا ظهر يوم الاثنين راكبًا قطرًا خصوصيًا ونزل من هناك الى يختهِ . ثم شرف الصيوان في الساعة الثالثة بعد الظهر حيث جرت التشريفات كما تقدم

وكان اهل مركز اسنا قد عينوا لجنة من اعيانهم وفي مقدمتها حضرات الوجيهين حسن بك بكري ومتولي بك حزين فنصبت اللجنة السرادق المذكور وفرشتهُ بالرياش الفاخر والسجاد الوثير واقامت زينة عظيمة ممتدة من طرف الخزان الغربي الى البلدة . واراد الاهالي ان يستقبلوا سموهُ بميدان يتسابق فيهِ فرسانهم على متون خيلهم فنعوا من ذلك لانهُ لم يكن مقررًا في بيان الاستقبال

وكانت بواخر المدعوين ترد احداها بعد الاخرى وترسو بحري الخزان وقبليهُ حتى اجتمع في ذلك اليوم وصباح اليوم التالي عشرون باخرة بين كبيرة وصغيرة وكلها مزينة بالرايات والاعلام من اعاليها الى اسافلها

ثم نزلنا من الباخرة وزرنا حضرات اعضاء اللجنة وانتقلنا من هناك الى الخزان فرأينا في الطرف الغربي منهُ حويصًا تمر السفن فيهِ طولهُ ٨٠ مترًا ولهُ قرب طرفيهِ بابان كبيران من الحديد عرض كل منهما ١٦ مترًا وهما ينفتحان وينغلقان بكل سهولة وعلى هذا الحويص كبري متحرك عرضهُ ١٦ مترًا وثقلهُ ٩٠ طنًا ومع ذلك يفتحهُ ويغلقهُ رجل واحد بسهولة لانهُ يدور على اسطوانات سهلة التحريك . وقد وضع تحت هذا الكبري محرك كهربائي متصل بيد من الفضة قد نقش الشعار الخديوي على وجهها وكتب على قفاها بالانكليزية . قناطر اسنا . فتح

هذا الكبري المتحرك عباس حلمي الثاني في السنة الثامنة عشرة من حكمهِ ٩ فبراير ١٩٠٩

فمررنا على هذا الكبري الى ظهر القناطر المذكورة فوجدنا هناك طريقاً متقناً مبلطاً ببلاط السمنت ممتداً من اول القناطر الى آخرها مسافة ٩٠٠ متر وقرب حدهِ القبلي سكة حديد للعربات الصغيرة التي يسميها الانكليز ترولي ويسميها الاهالي العربات المكسحة. وعند هذا الحد القبلي حائط تسير عليهِ آلة رافعة للاثقال تعرف بالونش او العفريت وهذه الآلة من احدث طرز وابدع صنع اتوا بها ليرفعوا ابواب عيون القناطر بها وينزلوها ولم يسبق لها نظير في هذا القطر. وعلى الحد البحري من الطريق حائط قائم على بغلات القناطر وقد نصبت على بغلة كل عشر عيون راية وعدد العيون ١٢٠ عيناً فبلغ عدد الرايات المنصوبة عليها ١٢ راية كبيرة وهي من الغرب الى الشرق (١) مصرية (٢) مصرية (٣) انكليزية (٤) ايطالية (٥) انكليزية (٦) فرنسوية (٧) خديوية (٨) يونانية (٩) مصرية (١٠) ايطالية (١١) انكليزية (١٢) مصرية ولم تذكر الراية العثمانية لانها هي والمصرية واحدة

ثم ركبنا العربات المكسحة ومررنا من اول القناطر الى آخرها حيث وجدنا وكيل شركة رنسوم ورابيه التي صنعت كل ما في الخزان من الاشياء الحديدية وركبتها في اماكنها فارانا الونش الذي مر ذكرهُ وهو يدار بزيت البترول فيرفع ابواب عيون القناطر وينزلها وفي كل عين بابان من الحديد علو كل منهما ثلثة امتار. فيرفع الونش احدهما او يخفضهُ بجانب الآخر بحيث يحجزان الماء وراءهما الى علو ستة امتار عند الاقتضاء. واخبرنا انهُ يمكن رفع هذه الابواب او خفضها في العيون كلها في يوم ونصف بحيث يتيسر حجز ماء النيل كلهِ الى العلو المطلوب في تلك المدة. ثم رأينا بعض المباني التي بنيت شرقي هذه القناطر وشاهدنا ما في الخزان من الاعمال. ورأينا رسوم القناطر والمثال المصنوع لها ومنهُ يفهم الناظر كيفية شكلها وبنائها في طرفة عين

وقد وضع على الطرف الشمالي الغربي من القناطر حجر مربع من الجرانيت الاصواني نقش على جانبهِ الغربي بالخط الفارسي ما يأتي " وضع هذا الحجر سمو الخديوي المعظم عباس حلمي الثاني في ١٨ محرم سنة ١٣٢٧ " ونقش على جانبهِ القبلي بالانكليزية ما هو بمعناهُ بالتاريخ الميلادي

وعلى الطرف الشمالي الشرقي من القناطر حجر آخر نقش على جانبهِ بالعربية « الواضع لاول حجر في هذه القناطر صاحب السعادة حسين فخري باشا ناظر الاشغال العمومية في ٢٤ يناير سنة ١٩٠٨ م » ونقش على الجانب القبلي بالانكليزية ماهو بمعناهُ

هذا وبينما كنا عائدين على ظهر القناطر اذنت الشمس بالمغيب وكست السماء حللاً

بديعة الالوان بين اصفر ذهبي واحمر وردي واحمر قانٍ مما تعجز عن وصفهِ قرائح الشعراء واقلام البلغاء ثم التفتنا واذا الانوار الكهربائية قد اشرقت دفعة واحدة على الاعمدة الزينة التي نصبتها نظارة الاشغال العمومية ورفعت قلائد الانوار المتعددة الالوان على يخت الحضرة الفخيمة الخديوية ثم على يخت المعية السنية وباخرتي الشركة الانجلو اميركية وسائر البواخر الراسية بمجري القناطر وقبليها وانيرت زينة اهالي اسنا فانارت ضفة النيل الى البلدة . وكانت الزينات كلها ولا سيما زينة اليختين الخديويين من ابهج ما رأتهُ العين حتى شهد المشاهدون ان زينة قناطر اسنا كانت من الطف ما شاهدهُ ذوو الذوق السليم في هذا القطر كما شهد اهل اسنا ان بلادهم لم يرَ قط زينة ابهج من تلك الزينة ولا منظرًا اعظم من ذلك المنظر

واقبل حضرات الاعيان حسن بك بكري ومتولي بك حزين وغيرهما فدعوا بعض المدعوين الى وليمة فاخرة اولموها فاجاب سعادة الفاضل الشواربي باشا الدعوة واعتذر آخرون شاكرين لطفهم وفضلهم . وبات الجميع في انس وسرور تلك الليلة يتسابقون للتيمن برؤية مليكهم في كل فرصة تسنح لهم وحضرات مأمور المركز وحكمدار البوليس وسائر رجال البوليس يحفظون النظام بينهم بكل طاقتهم

وفي الساعة العاشرة من صباح الثلثاء ٩ نوفمبر توجه المدعوون الى الاماكن المعدة لهم في الطرف الغربي من الخزان وكان الاهالي مجتمعين الوفًا على الوف في الفسحة المعدة لوقوفهم.

فلما وصلنا الى هناك وجدنا حضرات مندوبي الصحف قد سبقونا الى الاماكن المعدة لهم قادمين من الاقصر في قطر خصوصي وجمعًا غفيرًا جالسًا بالقرب منهم . وفي الساعة العاشرة ونصف ضرب النفير فخرج سمو الخديوي المعظم من يختهِ واقبل وبجانبهِ جناب السر الدن غورست ووراءهُ حضرات النظار واكابر رجال المعية ورجال الاشغال العمومية فحيا سموهُ حضرات المدعوين الواقفين بقرب الهويس مصافحةً

وكان كبري الهويس قد فتح قبل ذلك بقليل فتقدم سموهُ وشد يد الفضة التي مر وصفها قبلاً فادارت المحرك الكهربائي وادار المحرك الكبري حتى اغلقهُ ثم تقدم سموهُ عليهِ الى دكة بجانب حجر الغرانيت الغربي الذي تقدم ذكرهُ وهناك قرأ سعادة اسماعيل باشا سري الخطاب التالي باللغة العربية

مولاي . قد دعتني واجبات الوظيفة التي تفضل جنابكم السامي فاسندها اليَّ ان اتقدم الى سموكم الفخيم في هذا اليوم المبارك باحدث الاعمال العظيمة ذات المنفعة العميمة التي قامت بها مصلحة الري في عصركم الزاهر وتحت رعاية جنابكم الرفيع ألا وهي قناطر اسنا

كان ري مديرية قنا مرتبطاً حتى الآن بدرجة فيضان النيل وكانت اراضيها تصاب بالشرق في السنين التي تنخفض فيها مياهه وهو ما حصل في سنة ١٨٧٧ حيث انحطت المياه وبقي نحو ال ٢٥٠٠٠٠ فداناً من غير ري وفي سنة ١٨٨٨ التي كان الفيضان فيها قليلاً كذلك بلغت مساحة الشراقي ١١٤٠٠٠ فداناً اما في سنة ١٨٩٩ فقد نزلت مساحة الشراقي الى ٨٠٠٠٠ فدان فقط وذلك بفضل الاعمال التي عملت بعد فيضان سنة ١٨٨٨ لتخفيف غوائل الشرق

اما الآن وقد تمت قناطر اسنا وصار الشراقي لا يمكن وقوعه في مديرية قنا حتى في احط السنين فيضاناً فسيكون هناك تحسن في حالة ري ال ٣٥٠٠٠٠ فداناً التي يتعلق ريها بالقناطر الجديدة مباشرة وبذلك نتوفر على خزينة حكومة جنابكم الفخيم تلك المبالغ الجسيمة التي كانت تخصص سنوياً بالميزانية لرفع ضرائب الاراضي الشراقي وفي هذا اعظم الفوائد لرعاياكم

مولاي . فكرة تشييد هذه القناطر العظيمة ترجع الى جناب السير وليم جارستن المستشار السابق لنظارة الاشغال وجناب المستر وب مستشارها الحالي

ان هذه القناطر واقعة على بعد ١٦٢ كيلومتراً تقريباً شمالي خزان اصوان وترتفع تسعة امتار ونصفاً فوق تسوية التحريق ويبلغ طولها تسع مئة متر وتشتمل على مئة وعشرين عيناً كل عين خمسة امتار وفي طرفها الغربي هويس للملاحة طوله ثمانون متراً وعرضه ستة عشر متراً وظهرها طريق عمومي عرضه ستة امتار يوصل بين شاطئي النيل . اما نفقاتها فقد بلغت مليوناً من الجنيهات وقد عهد بمقاولة بنائها الى الخواجات ايرد وشركائه وبمقاولة الاعمال الحديدية الى الخواجات رانسون ورابيه

وكان الشروع في عملها عقب فيضان سنة ١٩٠٦ وتمت قبل الموعد الذي كان محدداً لاتمامها بثمانية عشر شهراً بفضل الهمة الفائقة التي بذلها المقاولون والعناية التي ابداها المستر ماكدونالد مدير عموم الخزانات والمستر لويد مدير اعمال قناطر اسنا والذين عاونوهم في ذلك من وطنيين واوربيين فحق لهم جميعاً اعظم الفخر

ان في تفضل جنابكم الكريم بتشريف الاحتفال باتمام هذا العمل الجليل وتنازلكم الى ختم آخر حجر فيه بيدكم الكريمة تشجيعاً وفخاراً للذين ساعدوا على اتمامه بعلمهم وعملهم واظهاراً لحسن تعطفاتكم السنية لفريق من رعاياكم كانوا قبل الآن في حالة لا تسر فاصبحوا اليوم في نعمة كبرى وانهم دون شك سيقابلون على الدوام هذه المنة بعظيم الشكران

والمسؤول من الله سبحانهُ وتعالى ان يديم ذاتكم الكريمة ذخرًا للبلاد والعباد

وقرأ سموهُ الجواب التالي بالعربية ايضًا

يا سعادة الناظر . يسرني ان اشهد هذا الاحتفال الشائق بتمام قناطر اسنا التي هي حسنة جديدة من حسنات الري في قطرنا السعيد . وفي تشييدها اكبر دليل على اهتمام حكومتي بترقية شؤُون البلاد ترقية مادية حقيقية تعود على الاهالي بالنفع العظيم والخير العميم واني اشترك معكم يا سعادة الناظر في الثناء على السير وليم جارستن والمستر وب صاحبي هذا المشروع الجليل وعلى جميع الذين ساعدوهما في هذا العمل النافع العظيم سواء كان من الوطنيين او الاوربيين والآن باسم مفيض النعم افتتح قناطر اسنا لخير البلاد والعباد

وحينئذٍ انعم سموهُ بالنياشين على تسعة من الموظفين والمقاولين الذين بنوا هذه القناطر وهم المستر وب والسرجون ايرد ومكدونلد ولويد وجارو وستوكس وبري وجوردون ونيومن

وتقدم جماعة لابسون ثيابًا حمراء وبيضاء كالذين يعدون امام خيل المركبات وهم يجرون عربات مكسحة مغطاة بجوخ احمر فجلس سموهُ على اولها وجلس جناب السر الدن غورست عن يسارهِ وسعادة وطسن باشا وراءهما وتلتهم سائر العربات تقل اربعة اربعة من حضرات النظار واكابر رجال المعية ووجوه المدعوين على قدر ما تحمل العربات المكسحة الموجودة فساروا فوق القناطر وشاهدوا ما كنا قد شاهدناهُ ووصفناهُ في ما تقدم ثم ركبوا يختين وعادوا بهما في النيل ومروا في الهويس فهتف لهم جمهور المدعوين وغيرهم كثيرًا وتم بذلك الاحتفال بعد الساعة ١٢ بدقائق قليلة وكان حضرات مندوبي الصحافة قد عادوا الى قطرهم قبل ذلك وقفلوا راجعين الى الاقصر

هذا ما شاهدتهُ مما يختص بالصحافة ذكرتهُ في هذه العجالة

بقي عليَّ ان اذكر ولو بالايجاز حسن عناية الحكومة بمدعويها واهتمامها بكل ما يلزم لراحتهم ورفاهتهم فقد كانت غرف نومهم من احسن ما يمكن اعدادهُ في هذا القطر بل في سائر الاقطار وكان طعامهم في القطر المخفر من افخر ما يأكلهُ عيون اعيان المسافرين فيهِ وكان طعامهم في الباخرتين من افخر ما طهاهُ المسيو بارا الطاهي الشهير الذي جعل صناعة الطبخ علمًا من جهة وشبه فن من الفنون الجميلة من جهة أُخرى . وكان سعادة الفاضل فريد باشا بازوغلي يكلف نفسهُ كل تعب ومشقة لراحة المدعوين والاهتمام بكل كلي وجزئي من حاجاتهم حتى بات جمهورهم شاكرًا لهُ على ملاطفتهِ وحسن عنايتهِ وحامدًا الحكومة على ما رأى من كرمها واكرامها

١٠ فبراير سنة ١٩٠٩ فارس نمر

انتقال الافكار

اشرنا في الجزء الماضي الى ما ردَّ بهِ السر اوليفر لدج على ما كتبهُ الاستاذ نيوكم من قبيل مناجاة الارواح وانتقال الافكار ووعدنا بتلخيص الرد في هذا الجزء وايجازًا لذلك نقول

بدأ السر اوليفر لدج كلامهُ باعترافهِ ان كثيرين من اهل الغش والخداع ادَّعوا مناجاة الارواح وما يجري مجراها من الامور الغريبة غير المألوفة فكانت دعواهم عثرة في سبيل الباحثين . ولكنهُ لام الاستاذ نيوكم لانهُ اقتصر على ما قيل في هذا الموضوع منذ عشرين سنة وما قبلها ولم يلتفت الى ما تمَّ بعد ذلك ولا سيما لانهُ انكر "التلبثي" اي انتقال الافكار او تأثير عقول الناس بعضها ببعض عن بُعد ولا صلة بينها من المشاعر الخمس . قال واذا امكننا ان نجد تعليلاً آخر غير انتقال الافكار للافعال التي تفعلها مسز بيبر مثلاً كان ذلك غاية مُنانا لان كثيرين يعترضون على هذا التعليل ويحسبونهُ عثرة في سبيل البحث لاسيما وان انتقال الافكار قوة من القوى الخاصة ببعض الناس على ما يظهر فانا محروم منها مثل الاستاذ نيوكم ولكن حرماني منها لا يؤخذ دليلاً على نفيها فقد عرفتُ اناسًا ليس فيهم شيء من المقدرة على الغناء او ليس فيهم شيء من المقدرة على الاشتغال بالمسائل الرياضية ولكن ذلك لا ينفي وجود اناس مقتدرين في الموسيقى وفي الاشغال الرياضية

ثم اشار الى غرض جمعيَّة المباحث النفسية وهو تمحيص ما يروى من الامور الغريبة للوصول الى سببها الحقيقي . وقال ان ليس من غرضها التسليم بصحة كل ما يروى لها بل اعضاؤُها اميل الى الشك منهم الى التصديق . وكثيرًا ما لامهم البعض على شدَّة ريبهم . ووافق الاستاذ نيوكم على ان الاعتقاد بالسحر قد زال من عقول المتمدنين منذ قرنين وزال معهُ كل اعتقاد بتفاعل العقول الأَّ بواسطة الحواس الخمس . ثم قال ولكن حدث شيءٌ من الردَّة بعد ذلك واخذنا نرى اننا تطرفنا في الافكار فنفينا ما لاحقَّ لنا في نفيهِ لا سيما وان حواسنا الظاهرة التي ارتقت بارتقاء طبيعتنا الحيوانية لكي ترشدنا الى ما يلزم لمعيشتنا المادية لا يُنتظر منها ان تدرك كل الظواهر العقلية . ولا شيءَ ينفي ان يكون في هذا العالم امور كثيرة لا نعلم بوجودها وهذا مما جعل عالمًا كبيرًا مثل الاستاذ سدجوك يشتغل في هذه المباحث حينما كان جمهور العلماء ينظر اليها بالازدراء . وانا اعذر العلماء الطبيعيين الذين يأنفون من البحث في هذه الامور العقلية المبهمة ولكنني لا اعذرهم اذا وجدوا فيها سبيلاً للبحث فاغمضوا عيونهم عنهُ والشك ضروري في كل المباحث وويل للعالم اذا انقلب ابناؤُهُ من الانكار الى التصديق

دفعة واحدة من غير ان يبحثوا و يدققوا . فالدرس والبحث واجبان في كل الامور ولا سيما على رجال العلم ومتى ثبت لهم امرٌ وتحققوهُ تحققاً ينفي كل ريب وجب عليهم ان يعلنوهُ على رؤوس الاشهاد . والذين ينتقدونهم انما يدفعونهم الى زيادة البحث والتمحيص وقد يغلون ايديهم اذا مزجوا الانتقاد بالتهكم والازدراء ولكنني لا اظن ان ذلك يحدث بعد الآن لا سيما وقد انضم الى جمهور الباحثين كثيرون من رجال العلم والفضل وكبار المنشئين وارباب السياسة

الاّ ان الاستاذ نيوكم قد قال ان الغرائب التي تروى لا يبنى عليها حكم ولو كانت صحيحة لانها لا تجري على نسق واحد دائماً ولا تدلُّ على ناموس طبيعي يمكن اتباعهُ والجري عليهِ فاذا ظهرت الطرق التي يتم بها انتقال الافكار حتى اذا جرَّبها اي كان نجح كما نجح غيرهُ اي نَقلَ افكارهُ كما ينقل الذين يدَّعون نقل الافكار افكارهم صار انتقال الافكار حقيقة علمية . هذا ما قالهُ الاستاذ نيوكم وهو من الغرابة بمكان نعم ان جمع الحوادث المتفرقة التي لا يعلم ما بينها من الروابط لا يكفي لان يكون علماً قياسياً ولكن اكثر العلوم جرت هذا المجرى فظهور النيازك لم يعرف قياسهُ منذ مئة سنة وحتى الآن توجد حقائق كثيرة في علم البيولوجيا والجيولوجيا والميتيورولوجيا اذا قسناها بالمقياس الذي وضعهُ الاستاذ نيوكم وجب علينا ان نرفضها ولا نعتدَّ بها . وحكمهُ هذا ينفي كل العلوم الاستقرائية . والامتحان ليس شرطاً لازماً لصحة الحوادث والاّ لوجب علينا مثلاً ان ننفي ما يقال عن ظهور نجوم جديدة في الفلك لان ظهورها او اظهارها لا يقع تحت الامتحان

وقد اشار الاستاذ نيوكم الى اكتشاف السر وليم كروكس للاشعة الكهربائية السلبيَّة وتناول العلماء لهذا الموضوع واشتغالهم بهِ في كل مكان واكتشافهِ حركةً في بعض المواد لم يعلم سببها اشارة الى انتقال الافكار ولكن لم ينتج من اكتشافهِ هذا نتيجة مع ان جمعية المباحث النفيسة أُنشئت للبحث عن مثلهِ . وعندهُ ان سبب ذلك هو ان ما قيل عن انتقال الافكار لم يثبت ثبوتاً علمياً ولا دلَّ على ناموس طبيعي يمكن اتباعهُ والجري عليهِ وانا اوافقهُ على ذلك ولكنني اذكر لهُ تعليلاً آخر وهو ان انتقال الافكار اكتُشف قبلما كان رجال العلم مستعدين لهُ . ولو كانوا غير مستعدين للبحث في اشعة الكهربائية السلبيَّة لما كان لها اقل شأن عندهم ولم يكن لها اقل شأن عند جمهور الناس لولا استعداد رجال العلم للبحث فيها . ورجال العلم كانوا مستعدين كلهم او بعضهم للبحث في النور والكهربائية بما عندهم من الآلات والادوات ولكنهم غير مستعدين للبحث في انتقال الافكار لانهُ يتوقف على وجود قوى خصوصية في بعض الناس للتأثير في غيرهم وقوى خصوصية في غيرهم للتأثر منهم . والبحث الاول اي البحث

في الكهربائية والنور مطروق الآن لكل العلماء ولجمهور الناس ايضاً واما البحث الثاني فلم يزل في مجاهل لم يألفها الناس ولا هي مطروقة لهم كلهم . ولم يكن الامر كذلك في المباحث الاولى في غابر الزمان بل كان الحكم فيها كالحكم في المباحث الثانية فلما قام رجر باكن وبحث في المواضيع الاولى قوبل بالتعنيف وكان حظ بحثهِ الاهمال والنسيان لان الناس لم يكونوا مستعدين لها ولا كان عندهم معاهد طبيعيَّة للبحث فيها وكان المتنورون قليلين متفرقين. وكان يسهل على بعض العامة ان يعيدوا تجارب باكن و يثبتوها ولكن لم يكن لهم فائدة من ذلك بل كانوا يضطرون ان يهملوها ويهربوا . وكان اسلم الامور عاقبةً حينئذٍ ان ينسب الانسان ما يراهُ من الغرائب الطبيعيَّة الى فعل السحرة والابالسة وان يهزأ بالقائلين انها طبيعيَّة . اما الآن فالذين يسبقون غيرهم لا يعاملون بالجفاء كما عومل رجر باكون ولكن يُنظَر اليهم بعين الشفقة كأنهم من سخاف العقول وعليهم ان يكتفوا بذلك الا اذا كان طبعهم يأبى الازدراء. ولكن يحسن بهم ان يصبروا لان الزمان ابو العجب واذا ظهر اخيرًا انهم واهمون ضالون فلا افضل لهم من ان ينبَّهوا من وهمهم ويرشدوا من ضلالهم

ولننظر الآن الى انتقاد الاستاذ نيوكم بالتفصيل ولا سيما في الامرين اللذين انتقدهما بنوع خاص وهما نقل افكار وخيالات المحتضرين

ولا شبهة في ان التجارب التي جُربت في نقل الافكار اتخذت فيها الاحتياطات اللازمة لمنع كل اتصال بين الاشخاص بواسطة الحواس الظاهرة . ولا ندَّعي اننا منعنا كل اتصال ممكن لانهُ لا يمكن نقل شيءٍ من شخص الى آخر الاَّ بواسطة شيءٍ يصل بينهما فهل هذا الشيء هو التلبثي اي تأثير العقول بعضها ببعض عن بعدٍ وهل مُنع كل اتصال عادي . فان كانت الافكار قد انتقلت مسافة اميال كثيرة فلا شبهة في انهُ لم يكن بينها اتصال عادي وان كان ما حدث من انتقال الافكار لم يحدث اتفاقاً فلهُ سبب آخر

وقد قال الاستاذ نيوكم ان النجاح في نقل الافكار يكون على اقلهِ اذا كان التدقيق في تجنب الخطإ على اكثرهِ اما انا فلا اسلم لهُ بذلك على احتمالهِ وستبين التجارب صحة قولهِ او صحة قولي . ثم قال انهُ اذا أُحصيت الحوادث التي وقعت فيها الاصابة وأُهملت الحوادث التي وقع فيها الخطأ فالحكم المبني على الحوادث المصيبة غير صحيح . واتهمنا باننا نحصي الحوادث التي تصيب ونهمل الحوادث التي تخطيء . وهذا غير صحيح ومن يظن اننا فعلنا ذلك يكون قد اتهمنا باننا جارون في مباحثنا مجرى الاطفال السخاف العقول . والحقيقة التي لا شبهة فيها اننا في كل تجاربنا نحصي الحوادث التي لم تصب كما نحصي الحوادث التي اصابت . وقد

اهتم بعضنا ايضاً بمعرفة ما يمكن ان يحدث لو ترك الامر لمجرّد الصدفة والاتفاق

وقال ايضاً انهُ لم يجد في ما نشرتهُ جمعيةُ المباحث النفسية في السنوات العشر الاخيرة ما يدل على انها تقدَّمت اقل خطوة في هذا الموضوع . ولكنهُ لو طالع ما نشرتهُ في اكتوبر سنة ١٩٠٧ لوجد تجارب مس ميلز ومس رمسدن اللتين امتحنتا انتقال الافكار مسافات طويلة ثم ما نشرتهُ بعد ذلك عن تجارب مسز ڤيير. واذا كانت تلك الاعمال لا تفسَّر بانتقال الافكار فلا بدَّ من تفسيرها بقوة اخرى ولذلك اقول ولا اخشى معارضاً ان التجارب قد اثبتت امكان انتقال الافكار من شخص الى آخر ولا صلة بينهما من الصلات المعروفة

وقد استبعد الاستاذ نيوكم ان توجد قوة تقل الافكار في الناس ولم ينتبه لها قبل الآن اما انا فاقول ان قوة نقل الافكار قلما تكون قوية حتى يسهل امتحانها . وقد اتخذ ندرتها دليلاً على نفيها لكن ندرة الشيء لا تنفيهِ . نعم ان من عادة الناس ان يكتموا ما يجول في خواطرهم ويحفظوا افكارهم في نفوسهم ولكن ذلك لا يمنع ان يوجد منهم من ترشح افكارهُ من عقلهِ وهؤُلاء قلال جدًّا ولو كانوا كثارًا لانتبه الناس لهذا الامر من قديم الزمان

ولكن تأثير الناس بعضهم في بعض بواسطة ما يصدر من افكارهم ليس باغرب من تاثيرهم بعضهم في بعض بتموجات الهواء (في الكلام) وبعلامات يرسمونها على الورق (في الكتابة) . وعلى اي شيءٍ يستند الاستاذ نيوكم في دعواهُ وهي ان كل قوة توجد في اناس قليلين يجب ان توجد في كل الناس والاَّ فهي غير موجودة

ونتقدم الآن الى الامر الثاني وهو ان الحوادث التي تحدث لبعض الناس قد تؤَثر في غيرهم فيرون خيالات ونحوها تدلُّ على تلك الحوادث . فقد قال الاستاذ نيوكم ان بعض ما روي عن ذلك غير صحيح او مبالغ فيهِ . وانا اوافقهُ على قولهِ واقول ان اكثر ما روي من هذا القبيل غير صحيح ولا بدَّ من التدقيق والتمحيص لمعرفة الخبر الصحيح من الكاذب وهذا قد فعلتهُ جمعية المباحث النفسية كما يُرى في كتبها . وقد حُسب بعض هذه الاخبار صحيحاً ثم ثبت انهُ غير صحيح ولكن ما كان من هذا القبيل قليل جدًّا لا يزيد على اربع حوادث في ما اعلم ومن هذه الحوادث حادثة القاضي التي ذكرها الاستاذ نيوكم وقال انهُ لايتذكر غيرها من الحوادث التي استُشهد فيها بشهادة شخص خارج عن المشتركين فيها. فلماذا لا يتذكر غيرها أَلأنها اصح من غيرها او لأنها ابطل من غيرها وهل كان يتذكر غيرها من الحوادث لو أُقيمت الادلة على بطلانهِ

ثم التفت السر اوليفرلدج الى احصاء الحوادث التي تصدق والتي لا تصدق وبيَّن ان

التي تصدق اكثر كثيرًا مما لو كان صدقها من قبيل الاتفاق فالتفت الى الخيالات التي تدلُّ على موت الاقارب فقال ان احتمال موت الانسان في اي يوم كان من ايام حياته هو واحد من ١٩٠٠٠ (حسب ان متوسط عمر الانسان نحو ٥٠ سنة فيكون فيهِ ١٩٠٠٠ يومًا) فاذا تخيَّل انسان موت صديق لهُ ١٩ الف مرةٍ وصدق تخيلهُ مرةً واحدة فيكون ذلك من قبيل الاتفاق الواجب الحدوث حسب قواعد الممكنات او اذا تخيَّل ذلك ١٩ الف نفس وصدق واحد منهم في تخيلهِ فصدقهُ من قبيل الاتفاق الواجب الحدوث ولكن جمعية المباحث النفسية نشرت في تقريرها اجوبة ١٧ الف نفس ومن هؤلاء ١٦٨٤ قالوا انهم يرون الخيالات ومن هؤلاء ٣٨١ قالوا انهم رأوا خيالات حقيقية ٣٥٢ منها خيالات اناس ثبت انهم ماتوا حينئذٍ و٢٠ خيالات غير واضحة و ٩ خيالات اناس لم يموتوا. هذه هي الخيالات التي تذكَّروها والمرجح انهم هم او غيرهم رأوا خيالات اخرى لم تصدق فنسوها واذا فرضنا ان ما نسي مضاعف ما ذكر فتكون الخيالات التي رُئيت نحو ١٣٠٠ وقد ثبت بعد البحث الدقيق ان ثلاثين من الذين رُئيت خيالاتهم ماتوا في اليوم الذي رُئيت خيالاتهم فيهِ اي صدقت رؤْيةٌ واحدةٌ من كل ٤٧ رؤية وذلك بمثابة ٤٠٠ من ١٩٠٠٠ وقد تقدم ان قوانين الاتفاق تقضي بصدق رؤْية واحدة فقط من كل ١٩٠٠٠ فما صدق من رؤْيات هؤلاء الناس اكثر مما يقتضيهِ قانون الاتفاق ٤٠٠ ضعف هذا اذا حدثت الوفاة ورؤْية الخيال في مدى يوم كامل ولو كان الفرق بينهما نحو ٢٤ ساعة ولكن اذا كان الفرق بين الحادثين اقل من ٢٤ ساعة لم يعد مقتضى الاتفاق واحدًا من ١٩٠٠٠ بل اقل من ذلك كثيرًا. ولهذا حكمت جمعيَّة المباحث النفسية ان الحوادث التي بلَّغتها عن ظهور خيال الانسان يوم موتهِ تدل دلالة قاطعة على انها لم تحدث بالاتفاق المحض ولا يفسَّر حدوثها الَّا بوجود علاقة ما بين وفاة الانسان وظهور خيالهِ او بوجود الغش او الخطإِ في ذكر هذه الحوادث. وقد فسر السر اوليفرلدج هذه العلاقة بتأثير عقلي بين عقل المحتضر وعقل مَن يرى خيالهُ وقال انهم لجأوا الى هذا التفسير لانهم لم يروا تفسيرًا اقل بعدًا منهُ عن المألوف ولان بعض الناس حاولوا ان يؤَثروا في عقول غيرهم فنجحوا في ذلك. وسواء صح هذا التعليل او لم يصح فلا شبهة ان الخيالات الصحيحة لا تظهر بمجرد الاتفاق ولا بدَّ من علاقة سببيَّة بين الموتى وخيالاتهم التي تظهر للاحياء كما قالت لجنة المباحث النفسية التي بحثت في هذا الموضوع. انتهى. هذه زبدة الردّ الذي ردَّ بهِ السر اوليفرلدج على الاستاذ نيوكم وسنرى ما يكون رد الاستاذ نيوكم عليهِ

الشعر الوصفي

في المياه واوصافها

فمن وصف النهر قول بعضهم :

والنهر مكسوٌ غلالة فضةٍ فاذا جلا سيفاً فثوب نضارِ
واذا استقام رأيت صفحة منصلٍ واذا استدار رأيت عطف سوارِ

وقول الآخر فيهِ :

وليلٍ لنا بالسدّ بين معاطفٍ من النهر ينساب انسياب الأراقمِ
تمرُّ الينا ثم عنّا كأنها حواسدُ تمشي بيننا بالنمائمِ

وقول ابن ناهض في نهر النيل :

شاطئُ مصرٍ جنّةٌ ما مثلها في بلدِ
لا سيما مذ زخرفت بنيلها المطّردِ
وللرياحِ فوقهُ سوابغٌ من زردِ
مسرودةٌ ما مسها داودُها بمبردِ
سائلةٌ وهو بها يرعد عاري الجسدِ
والفلك كالأفلاك بين حادرٍ ومصعدِ

وقول القيراطيّ في نهر بردى بدمشق :

وكأنّ ذاك النهرَ فيهِ معصمٌ بيد النسيم منقّشٌ ومكتّبُ
واذا تكسّر ماؤهُ أبصرتهُ في الحال بين رياضهِ يتشعّبُ
فالوُرْق تنشد والنسيم مشبّبٌ والنهر يسقي والحدائق تشربُ
وضياعها ضاع النسيم بها فكم أضحى لهُ من بين روضٍ مطلبُ

وقول الآخر:

قد قال وادي جلّقٍ للنيل اذ كسروهُ اعين جبهتي لك ترفعُ
فاجاب بحر النيل لما ان طغى عندي مقابل كلّ عين إصبعُ

وقول ابن المرحّل :

ولما جلا فصلُ الخريف محاسناً وصفّق ماء النهر اذ غرّد القمري
اتاهُ النسيم الرطبُ ارقص دوحهُ فنقّط وجهَ الماء بالذهب المصري

وقول الآخر :

حيث التفتُّ رأيت ماءً سائحًا ورأيتُ ظلاً
والنهر يفصل بين زهر الروض في الشطّين فصلا
كبساطِ وشيٍ جرَّدت ايدي القيون عليهِ نصلا

وقول عبد الباقي العمري الفاروقي :

من قراب السحاب اذ جرَّد الودق سيوفَ الانهار كالسلسالِ
وبظلّ الاشجار في الروضة الغنّاء باتت مصحوبة الاذيالِ
قالت الدوحة الوريقة اني جنةٌ والسيوفُ تحت ظِلالي

ومن وصف الغدران قول موفق الدين الانصاري :

ارى غدير الروض يهدي الصبا وقد ابتّهُ سكونًا يدومْ
فؤادُهُ مرتجفٌ للنوى وطرفهُ مختلج للقدومْ

وقول ابن المعتز :

ومزنة جاد من اجفانها المطرُ فالروض منتظمٌ والقطر منتثرُ
ما زال يلطم وجه الارض وابلها حتى وقت خدها الغدران والنهرُ

ومن وصف الفوّارة قول بعضهم :

وبركةٍ ماؤها يسمو بها ابدًا اذا جرى مسرعًا من كل دستورِ
كأنهُ اذ بدا في الجو منتثرًا درٌّ تناثر من قضبان بلورِ

وقول ابن حجاج :

صنعتَ في دارك فوّارةً اغرقت في الارض بها الانجما
فاض على نجم السما ماؤها فأصبحت ارضك تسقي السما

ومن وصف الشلال قول يوسف بك لؤلوه :

بعيني رأيتُ الماء الذي بنفسهِ على رأسهِ من شاهقٍ فتكسّرا
وقام على اثر التكسّر جاريًا ألا فاعجبوا ممن تكسّر قد جرى

وقول حفني بك ناصف في تدفق الماء من قناطر الترعة السوهاجية باسيوط (مصر) يوم الاحتفال بفتحها في ١٤ اغسطس (آب) سنة ١٨٩٠ :

قد جرى الماء من خلال الحنايا فتبدّى لنا بشكل بهيِّ
كجيادٍ تسابقت في طرادٍ فتداعى الكميُّ فوق الكميِّ

او سهام قد فوّقت من بعيدٍ وتلاقت نصالها في الرميِ

ومن وصف البرك قول ابن المعتز:

كأن البركة الغنّاء لما غدت بالماء مفعمةً تموجُ
وقد لاح الدجى مرآة قين قد انصقلت ومقبضها الخليجُ

وقول البحتري يصف بركة المتوكل من قصيدة وهو مشهور باوصاف البرك:

تنصبُّ فيها وفودُ الماء معجلةً كالخيل خارجةً من حبل مُجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلةٌ من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حُبُكاً مثل الجواشنِ مصقولاً حواشيها
فحاجب الشمس احياناً يضاحكها وريق الغيث احياناً يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبتَ سماء ركّبت فيها
لا يبلغ السمك المحصورُ غايتها لبعد ما بين قاصيها ودانيها
يعمن فيهِ باوساطٍ مجنحةٍ كالطير تنقضُّ في جوّ خوافيها
لهنَّ صحنٌ رحيبٌ في اسافلها اذا انحططنَ وبهوٌ في اعاليها
صورٌ الى صورة الدلفين يؤنسها منهُ انزواءٌ بعينيهِ يوازيها
تغني بساتينها القصوى برؤيتها عن السحائب منحلاً عزاليها

ومن وصف الناعورة (الساقية) قول بعضهم:

وناعورةٍ قد أُلبست لحياتها من الشمس ثوباً فوق اثوابها الخُضْرِ
كطاووس بستانٍ يدور ويجتلي وينفض عن اثوابهِ بَلَل القطرِ

وقول ابن نباتة:

وناعورةٍ قسَّمتْ حسنها على واصفٍ وعلى سامعِ
وقد ضاع نشر الربي فاغتدت تدورُ وتبكي على الضائعِ

وقول ابي جعفر بن وضَّاح:

وباكية والروض يضحك كلَّما ألحّت عليهِ بالدموع السواجمِ
يروقك منها إن تأملت نحوها زئيرُ أُسودٍ والتفافُ أراقمِ
تخلّص من ماء الغدير سبائكاً فتنثرها في الروض مثل الدراهمِ

وقول الآخر:

وناعورةٍ حنّت وغنّت وقد غدت تعبر عن حال المشوق وتُعربُ

ترقص عطف البان تيهاً لانها تغني له طول الزمان ويشربُ

وقال ابن جنادة في تنفس الموج على شاطئ البحر :

أنظر الى البحر في أمواجهِ عجبٌ يأتي الى الشط احياناً وينعطفُ

كأنهُ ملكٌ تسعى الجيوش لهُ تقبل الارض طوعاً ثم تنصرفُ

وقول الآخر: وزاخر ليس لهُ صولةٌ الّا اذا ما هبَّت الريحُ

وهو اذا ما سكنت ساكنٌ كأنما الريحُ بهِ روحُ

عيسى اسكندر المعلوف

علة الفساد فساد الاعضاء

ما من امةٍ الّا وقد دلَّ ماضيها البعيد والمتوسط والقريب على ان لا فرق في السلطة بين ان تكون مطلقة العنان او مقيَّدة بدستور وانما الفرق في الرجال القابضين على زمام الاحكام لان ما يجيء بهِ الدستور قد تجيء بهِ السلطة المطلقة فربَّ ملكٍ مطلق السلطان يفيد بلادهُ ورعيتهُ من التقدُّم والتمتع بخيرات بلادهم ما لا تفيدهُ المجالس النيابية . ولا غرابة فان موالاة الملوك لرعاياهم بمثابة موالاة الآباء لاولادهم وبهذا الاعتبار هم خليقون بالسلطان المطلق لانهم اكثر شعوراً بالألم من جميع المجالس النيابية التي تتهافت عليها الامم في هذا الزمان . فان لم يكن الملك مطلق السلطان قلَّ شعورهُ بأوجاع الرعية لتمثُّل شؤونها بنوَّابها وذلك مما يسهل ادراكهُ على كل فرد من الناس

وعليهِ فعبثاً تجتهد الامم في تنويع سلطاتها وباطلاً تتعب لانهُ مهما كان الملك المطلق السلطان عادلاً محباً شفوقاً اذا لم يكن الرجال المحتفُّون بهِ ذوي كفاءة وامانة واخلاص فسدت امورهُ وتعذر عليهِ اصلاح بلادهِ وحدهُ . وهكذا قل عن الدستور اذا لم يكن رجالهُ امناء مخلصين لان العبرة برجال السلطة لا بانواعها

وبديهي ان الملك يحكم شعبهُ بواسطة الرجال الذين منهم تتألف دوائر الحكومة فاذا خبثوا تغلَّبوا على عواطفهِ مهما كان مستقيماً صالحاً واذا صلحوا فانهم ليردُّونهُ الى العدل ولو كان الظلم شيمتهُ وخصوصاً في هذا الزمان الذي لم يبقَ فيهِ حياة لاستبداد الملوك الّا اذا خلت قلوب رجالهم من الصلاح

وليس يخافِ ان طبيعة العدل واحدة مهما تعدَّدت انواع السلطات والشرائع فليس

القانون الاساسي بالشيء الجديد كما يتبادر الى الاذهان بل هو كائن في طبيعة العدل الذي هو قاعدة الشرائع ومدارها وانما يخفيهِ الظلم ويطمسهُ الاستبداد

وواضح ان لا وظيفة للدستور ولا عمل سوى منع السلطة من التقدُّم في التسلُّط الى درجة الاستبداد وبما ان العدل لا يحتاج الى دستور الاَّ اذا خيف الاستبداد فاحتياجهُ في الحقيقة الى رجال منفذين لاحكامهِ لان الظلم قد يكون مع الدستور اذا لم يُعضَد برجال مخلصين. أليست المجالس النيابية ذات سلطات فاي دستور يضمن لنا ان اعضاءها يرفعون فيها صوت الامة ولا يرفعون اصواتهم الخصوصية

وقد ارانا التاريخ استيلاء العدل في السلطات المطلقة احيانًا كثيرة فما من امة عاشت محكومة على الاطلاق الاَّ وقد قام فيها في بعض ادوارها رجال متَّعوها بملء العدل. والعثمانيون ما برحوا غير بعيدين من عهد السلطان عبد العزيز واكثرهم شاهد ملء التبسُّط في الحرية اذ كان ما يُعرَف اليوم عندهم بالاحكام الدستورية جاريًا بينهم ايا مثلٍ على احسن ما يكون حتى كأن عرش السلطة المطلقة قد صيغت جواهرهُ من معدن الدستور. طالع ايَّة جريدة تصل اليها يدك من الجرائد التي كانت تُطبَع في ايامهِ تجدها ليست بأقل حرية من جرائد الامم الراقية في هذا الزمان. ناهيك انهُ كان ساهرًا على راحة تبعتهِ ورفاهيتها بدليل انهُ افتقدها اكثر من مرَّة بارادات سنية واوامر عالية ايذانًا بالمساواة على اختلاف النحل والملل اذ كان ابغض شيء اليهِ ان يراها منقسمة على نفسها تحكم في قلوبها شياطين التفريق والتمزيق

ولا يشكل بما كان من ارتكاب الحكام واعتساف رجال الحاكم وبما ناب البلاد في آخر ايامهِ من القلاقل والمشاكل — لان علة ذلك الفساد كلهِ فساد الاعضاء. ما حيلة ملكٍ عادل مستقيم يعرف الالم في جسم شعبهِ كما يعرفهُ في جسمهِ اذا هو لم يلقَ رجالاً يتولون الرعية بما تقتضيهِ مقاصدهُ النبيلة هل في وسعهِ ان يخلق رجالاً والله وحدهُ القادر على الخلق

هذا ومما لا بد من الالماع اليهِ هنا هو ان العدل قائم في الارض على مقدار محدود فليس لأي نوع كان من انواع السلطة ان يزيد عليهِ شيئًا مما ينقصهُ فاذا اتفق لامةٍ ان ترى مزيدًا فلا يكون المزيد الاَّ قشرًا بدون لب. اما شرائع الانسان فلا تخلو من النقص لان من العدل ما قد اغفلهُ المشترعون لاسباب لا محل لذكرها هنا وهيهات ان يقوم على الارض مشترعون نزهاء يلمون بجميع فروعهِ. فمن المحال ان توجد الراحة التامة للانسان ما دام نظامهُ الاجتماعي عاملاً على اكل قويهِ ضعيفهُ

وسيان اغفلت الشرائع شيئاً من العدل او احاطت بجميع فروعهِ فلا مراء في انها مفتقرة في ذاتها الى اخلاص رجالها حتى تستولي قوّة الانتصار للحق والعدل فان لم يسعدها الحظ برجال يخدمونها بصدق وامانة تسمح بها ولا ترَها. ومعلوم ان هؤلاء الرجال قليلون حتى عند الامم الراقية ولسوء الحظ نجد القلة عندنا على نوع أخص. انظر في سلك رجال الحكومة رجلاً يحدّثك اليوم عن ظلمهم تجدهُ عمّا قليل قد صار في مقدّمتهم – وهذه مسألة ينبغي النظر فيها بعين الاهتمام لانها آفة كل اصلاح. وعندي ان انجع دواء لهذا الداء وضع نظام لاجراء النظام وسآتي على ايضاح ذلك في ختام الكلام

وواضح ان الحكومة اذا كانت مستقيمة الاحوال بعيدة عن مراعاة الخواطر والاغراض شديدة العزم في الاجراء لا تعرف للرشوة اسماً ولا للفساد معنىً متخذة القوانين والنظام اساساً لكل عمل فهي الدستور بعينهِ ولو بلغ اطلاق عنانها عنان السماء وهي على ضد ذلك اذا كانت دستورية ولم تكن كذلك. مثالهُ الحكم الجمهوري وهو موضوع الاطناب عند اكثر الامم فانهُ اذا لم يكن رجالهُ ممن يعيشون لغيرهم كما يعيشون لانفسهم ليس باخف وطأة من الاستبداد الملكي الجائر

فكل ما يوضع لأمرٍ ما اذا لم تتهيأ اسبابهُ انصرف الى عكسهِ ان خيرًا فالى شروان شرًا فالى خير. ادخل مدرسة تهذيبية ترقى بك في اوج الاستقامة والدماثة ثم اخرج منها الى قوم يتحكم الخبث في اخلاقهم فلا يمضي عليك حين من الزمن حتى تصير مثلهم. وعاشر قوماً متأدّبين فضلاء فلا تشعر بنفسك الاّ وقد صرت واحداً منهم ولو لم تدخل مدرسة. اذن كل شيءٍ في العالم خيرًا كان او شرًّا انما يكون باسبابهِ. فنحن اليوم نفرح بالدستور لاقتضائهِ الحريَّة الاجتماعيَّة ولكننا نخشى ان لا نجد لدينا من اسباب الخير ما يمكننا من استخدامها في سبيلهِ فتنصرف بنا الى الشر كيف لا وهي قد تكون كذلك حتى عند الامم الراقية فبالاحرى كثيرًا جدًا ان تكون عندنا لمحض الشر اللهمَّ الاّ اذا جاريناهم في ما هو معمول بهِ عندهم من اسباب الخير فنحصل اذ ذاك على الخير قدر ما يكون لدينا من الشر كما هي الحال عندهم وبذلك تبدو الموازنة بين الاثنين وويلٌ اهون من ويلين

هذا واذ كان كمال السياسة وتوفير سعادة الامة لا يتم الاَّ بكفاءة رجال السلطة واخلاصهم في الخدمة واستقامتهم في الجملة كان من السهل على كل امة ان تدرك هذه القاعدة فتعرف هل من الممكن ان تتمتع بسياسة مستقيمة اذا لم يكن فيها رجال اكفاء مخلصون

وليس المراد مما تقدم وقد ذقنا من الاستبداد أمرَّهُ ان لا حاجة الى مجالس نيابية . كلاَّ . لان الخير الذي نهتم اليوم بالسعي وراءهُ انما نتوقعهُ بما أُعطيناهُ من الحرية الاجتماعية. ثم انهُ لمن المعلوم ان مطالب الاصلاح كثيرة فما الحرية وحدها بالشيء الذي يفيدنا نفعاً فقبل كل شيء ينبغي ان نعلم ان المقدار الذي يمكن ان تصل اليهِ ايدينا من اشياء الاصلاح لا يكون الاَّ بنسبة ما فينا من المواهب والاستعداد وان تفاوت الامم في احراز القوة ونشر المدنية نتيجة تفاوتهم في الاصلاح وحدهِ دون سواهُ وعليهِ فكل امة ليس في وسعها ان تحصل منهُ على مقدار يضمن لها احراز القوة تبيت هدفاً لعوامل الضعف والتقهقر مهما كانت كبيرة

ومعلوم ان بلوغ الكمال في هذا العالم ضرب من المحال غير انهُ شتَّان بين امة قريبة من الكمال واخرى غير بعيدة عن النقصان التام. وواضح ان جميع الامم تجدُّ اليوم وراء الاصلاح وما نحن غير امة من امم العالم لا سيما واننا احوجهم اليهِ لكثرة عناصرنا وتباين نزعاتنا ووجود الخلل في دوائرنا وتقهقرنا بالنظر الى الامم الراقية ولدفع الهجمات الخارجية التي تنتابنا حيناً بعد حين وذلك مما لم يقوَ عليهِ الرومانيون قديماً على ما كان لدولتهم من امتداد السلطة وفخامة الملك . وفي الجملة فكيفما نظر العثماني في هذا الزمان رأى لهُ علاقة مهمة باصلاح الشؤون العمومية بحيث لم يبقَ في وسعهِ الاستمرار على الترقيع الموقت الذي تعودناهُ من يوم قعدت بنا ضخامة الملك والسلطان عن الاهتمام بما يحرزهُ غيرنا من مفاخر القوة والعلم والعرفان لانهُ قد عرف حق المعرفة ان ليس وراء ذلك الترقيع غير اتساع الخرق الى درجة تبطل عندها كل حيلة

لا جرم اننا لفي اشد الحاجة الى رجال يخدمون الدولة والامة بالصورة التي يخدمون بها انفسهم لان الاصلاح انما يتم بالعمل لا بمجرد الدستور فمن الباطل ان نكل امورنا اليهِ اذا لم يكن عندنا رجال تعمل . ويظن الكثيرون من العثمانيين ان وراء الاكمة رجالاً يبارون في مضمار الاصلاح اكابر رجال الامم الراقية . اما كاتب هذه السطور فانهُ يسأل الله ان يخيب ظنهُ تحقيقاً لما يظنون لان من يظن ان البلاد خالية ممَّن يشعر بالالم في غير جسمهِ وبالنقصان في غير مالهِ لا يستطيع ان يقول بصحة تلك الظنون . نعم كلنا نتحدث اليوم بالالم والنقصان غير ان شعورنا بذلك ضعيف جدًّا ألا ترى ان بعضنا لا يفرقون بين الدين والوطن وان البعض الآخر لم يتربوا على خدمة وطنهم لحرمانهم من حقوقهِ . على انهُ مهما يكن من امورنا فليس من العدل ان نقول بخلو البلاد من الرجال وانما ينبغي ان نحقق كونهم قليلاً جدًّا وان القلة لا تقوم مقام الكثرة

واقول في الختام ان لاسبيل الى تكثير الرجال الأ بوضع قانون شديد الوطأة سيف القصاص ينال كل فردٍ من افراد الهيئة الحاكمة بما يجنيهِ من ثمار الاعوجاج بلا استثناء. فقد آن للامم ان تعرف ان رجال المجالس النيابية انما يكونون في كثير من الاحوال نوَّابًا عن انفسهم لا عن الامَّة التي انتخبتهم للدفاع عن مصالحها وحقوقها. فلا يخدعنَّ الامم مجرد الاسم فان على هذه الارض اسماء كثيرة لا مسميات لها واكثر ما يكون ذلك عند الامم المتمدنة ألا ترى كيف انهم يغتصبون رزق الضعيف ثمَّ بعظونهُ لحمًا في الشتاء وثلجًا في الصيف ويسمون العطاء احسانًا . اولا ترى كيف يدعون المدنية واساسها الظلم وهنالك كثيرٌ من الاسماء الخيالية التي لا حقيقة لها

واعود فاقول ان لا سبيل الى تكثير الرجال الأ بوضع قانون شديد العقاب وعندي ولا اخشى لومة متعنت لا يعرف للقصاص مزية انهُ يجب ان تكون وطأة القصاص غير منظور فيها الى نسبة الجرم لان مَن يفعل الشر لا يقتصر فيهِ على مقدار محدود بل انما يفعل منهُ ما تصل اليهِ يدهُ قلَّ او كثر . ولا بد من جعل القانون قاضيًا في احوال كثيرة باعدام كل متعوّج من رجال دوائر الحكم ولو خطيرًا عالي المقام اذ لا شرف في هذا العالم يضاهي شرف الصدق في الاحكام التي عليها تُمشى الحقوق الافرادية والعمومية بل هو الشرف الحقيقي الوحيد الذي يمكن الاركان اليهِ . فقد آن للانسان ان ينزع عن العقائد الباطلة والخرافات السخيفة وان يخرج من هذه الصروح المؤسَّسة على الرمل الى خيامٍ مضروبة اوتادها في الارض التي يعيش عليها فان كان لا بد لهُ من ان يعيش لاصطلاحات قديمة قد اطلقتها الايام فما هو فضل تمدُّنهِ اذن . شدَّ ما كذب هذا التمدن وخدع . انظر اصلحك الله كيف يسوقون الى الاعدام كل مَن يخون دولتهُ فما الفرق بين مَن يخون الدولة ومن يخون الرعية . فاذا كان الانسان يعيش لهيئة حاكمة تأمر باعدام من يخونها ولا تبالي باعدام خائني الهيئة المحكومة فهل من فرقٍ في هذه السلطة المستبدَّة بين ان تكون للملك او للدستور او للجمهورية او للشيطان . كن على يقين ايها الانسان ان لا خير للامم في اي نوع كان من انواع السلطة الأ بالرجال ولا يكون هؤلاء الأ بالقصاص الصارم وما أصدق ذلك القائل " ولكل شيء آفة من جنسهِ " فان لم يُعاقب الاشرار بأشر العقاب فلا ترجُ لهذا العمران حياة والسلام

مرسين جرجس خولي

المدارس في القطر المصري

نشرت ادارة الاحصاء كتاباً مفيدًا عن تعداد المدارس في القطر المصري في العام الماضي وانواعها وعدد تلامذتها ونسبتهم الى عدد السكان ونحو ذلك مما يستدلُّ منهُ على سير التعليم في هذا القطر فرأينا ان نلخص منهُ الحقائق التالية

بلغ عدد سكان القطر في الاحصاء الاخير الذي احصتهُ الحكومة المصرية سنة ١٩٠٧ نحو ١١ مليوناً و١٧٥ الفاً المصريون منهم احد عشر مليوناً ونحو ٣٨ الفاً والباقون من امم مختلفة بين يونانيين وايطاليين وانكليز وفرنسويين ونمسويين والمانيين ما عدا جيش الاحتلال. ويعنى بالمصريين كل سكان القطر من مصريين وعرب وترك وارمن وما اشبه. وقد بلغ عدد اولادهم الذين يترددون على المدارس والكتاتيب من صبيان وبنات ٢٨٦٦٣٩ وهم على ما في هذا الجدول

الجنس	العدد			التلامذة			النسبة في المئة	
	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث
المصريون	٥٥٢٤٠٨٨	٥٥٠٤٤٧٥	١١٠٢٨٥٦٣	٢٣٧٠٥٣	٣٠٣٠٦	٢٦٧٣٥٩	٤٫٣	٠٫٥
اليونانيون	٣٥١٧٦	٢٧٧٩٨	٦٢٩٧٤	٤٦٢٩	٣٣٠٠	٧٩٢٩	١٣٫٠	١٢٫٠
الايطاليون	١٧٠٧٨	١٧٨٤٨	٣٤٩٢٦	٣٥٣٨	٢٨٤١	٦٣٧٩	٢١٫٠	١٦٫٠
الانكليز	٨٢٨٢	٦٤٧١	١٤٧٥٣	٩٠١	٧٦٣	١٦٦٤	١١٫٠	١٢٫٥
الفرنسويون	٧٤١٥	٦٩٧٦	١٤٥٩١	٩٧٩	٨٦٥	١٨٤٤	١٣٫٠	١٢٫٠
النمسويون	٣٢٤٨	٤٤٥٧	٧٧٠٥	٤٦٧	٤٧٧	٩٤٤	١٤	١١
الالمانيون	١٠٠٥	٨٤٢	١٨٤٧	٢٢١	٢٩٩	٥٢٠	٢٢	٣٥

ونظرة واحدة الى هذا الجدول تكفي للدلالة على قلة التلامذة المصريين بالنسبة الى عدد السكان فان الذكور منهم نحو اربعة في المئة والاناث نحو نصف في المئة فقط مع ان عدد التلامذة من سائر الامم القاطنة في القطر المصري يختلف بين ١١ في المئة و ٣٥ في المئة ومتوسطهُ نحو ١٥ في المئة اي نحو ستة اضعاف التلامذة المصريين نسبة الى السكان. واذا اخرجنا من المصريين كل السوريين والاتراك والارمن ونحوهم من الامم العثمانية غير المصرية قلَّت نسبة التلامذة من المصريين ايضاً

ولقد ظهر من تعداد السكان المصريين ان الذين سنهم بين ٥ و ١٩ اي هم في سن التعلم يزيدون على ثلاثة ملايين و ٧٠٠ الف وواضح مما تقدم ان الذين يترددون على المدارس منهم نحو ٢٣٧ الفاً لا غير فلا يتردد على المدارس عشر الاولاد الذين في سن التعلم . ولا ينسب ذلك الى ضيق المدارس لانها لم تزدحم حتى الآن ولكنها لو ازدحمت لما وسعت اكثر من عشر الاولاد الذين في سن التعلم لان هذا العشر يبلغ اكثر من ٣٧٠ الفاً فهل في الامكان ان يبلغ عدد الكتاتيب والمدارس من كل الانواع عشرة اضعاف ما هو الآن وان يزيد عدد المعلمين والمعلمات عشرة اضعاف ايضاً . واذا فرضنا انهُ يكفي ان يتردد على المدارس نصف الاولاد الذين في سن التعلم حتى يصير اجبارياً فهل يمكن ان يزيد عدد المعلمين والمعلمات خمسة اضعاف ما هو الآن حتى يصير التعليم اجبارياً وتصير المدارس كافية لنصف الاولاد الذين في سن التعلم و يصير المعلمون والمعلمات كافين لتعليمهم كلهم. واذا زادت مدارس الصبيان ومعلموها الى الحد المطلوب فهل في الامكان ان تزيد مدارس البنات ومعلماتها ايضاً الى ذلك الحد

قلنا ان عدد التلامذة المصريين يبلغ ٢٣٧٠٥٣ و يظهر من جداول الاحصاء ان الجانب الاكبر منهم في الكتاتيب لا في المدارس فان عدد اولاد الكتاتيب من الصبيان والبنات ١٧٥٥١٥ والباقون وهم ٦١٥٣٨ فقط في سائر المدارس

وقد كان عدد الكتاتيب ٤٣١٩ سنة ١٩٠٧ وعدد معلميها ٦٧٩٥ فكل معلم منهم يعلم نحو ٢٦ ولداً والمرجح ان الاولاد الذين في سن التعلم في الكتاتيب اي بين ٦ سنوات و ١٠ سنوات لا يقلون عن مليوني ولد من الصبيان والبنات فاذا اريد تعليمهم كلهم لزم لهم نحو ٧٧ الف معلم ومعلمة واذا فرضنا ان متوسط اجرة المعلم والمعلمة عشرون جنيهاً في السنة وهي اقل اجرة يقبل بها من يعرف القراءة والكتابة بلغت اجور المعلمين والمعلمات لهذه الكتاتيب اكثر من مليون ونصف مليون من الجنيهات في السنة واذا فرضنا ان الكتاتيب اللازمة لذلك تبلغ خمسين الف كتّاب وان متوسط ما يلزم لبناء كل كتّاب منها اربعون جنيهاً فيلزم لبنائها كلها مليونان من الجنيهات . والصعوبة الكبرى ليست في ايجاد المال اللازم لبناء الكتاتيب واجور معلميها بل في وجود المعلمين والمعلمات لها فانهُ قد لا يصعب ان يوجد الف معلم او الفا معلم الى خمسة آلاف او عشرة آلاف ولكن بين هذا العدد وبين السبعين الفاً بون شاسع وشقة لا نرى كيف يمكن اجتيازها لاسيما وان عدد هؤلاء الاولاد يزيد سنوياً زيادة كبيرة جداً لا تقل عن ثلاثين الفاً اي انهم يزيدون سنوياً زيادة تقتضي اكثر من الف

معلم ومعلمة فلو استطاعت المدارس الموجودة الآن ان تخرج سنوياً الف معلم ومعلمة مستعدين للتعليم في الكتاتيب لما كفوا للزيادة السنوية في عدد الاولاد الذين في سن التعلم

ولابدَّ لنا قبل ترك الكتاتيب من الالتفات الى مَن فيها من الصبيان والبنات فقد كان عدد من فيها من الصبيان ١٦٠٩٣٠ وعدد من فيها من البنات ١٤٥٨٥ اي ان عدد البنات اقل من عشر عدد الصبيان فاذا لزمنا ان نزيد عدد كتاتيب الصبيان ستة اضعاف لكي تكفيهم لزمنا ان نزيد عدد كتاتيب البنات اكثر من ستين ضعفاً لكي تكفيهن*

الا ان ما ظهر من الهمة في انشاء الكتاتيب منذ عشر سنوات الى الآن يدل على ان تعميم التعليم آخذ في الانتشار بسرعة عظيمة وقد يظهر لاول وهلة انهُ اذا استمرت زيادة الكتاتيب في السنوات العشر التالية على نسبة الزيادة في العشر السنوات السابقة بلغت بعد عشر سنوات ما يكفي لكل اولاد القطر ففي سنة ١٨٩٨ كان عدد الكتاتيب ٣٥٦ وكان عدد تلامذتها ١٠٤٥٩ فزاد عدد الكتاتيب في عشر سنوات اكثر من اثني عشر ضعفاً وزاد عدد تلامذتها نحو ١٧ ضعفاً

ومعلوم انهُ اذا زادت الكتاتيب اثني عشر ضعفاً صارت كافية لكل اولاد القطر ولكن الزيادة في السنوات العشر الماضية ناتج اكثرها من ان اكثر الكتاتيب لم يكن تحت مراقبة الحكومة فصار تحت مراقبتها لا ان تلك الكتاتيب قد انشئت جديداً . فالكتاتيب التي تحت مراقبة الحكومة وليس لها اعانة كان عددها ٢١٩٤ سنة ١٩٠٥ فصار عددها ١٤٢٠ سنة ١٩٠٧ وليس المراد بذلك ان بعضها أُقفل بل المراد أن بعضها صار يعطى اعانة فعُدَّ مع الكتاتيب التي تنال الاعانة . والكتاتيب التي لها اعانة من الحكومة كان عددها ١١٠ سنة ١٨٩٨ فصار عددها ٢٧٦١ سنة ١٩٠٧ فليس المراد ان ما زاد منها انشيء كلهُ في هذه السنوات العشر بل المراد انهُ لم يكن يأخذ اعانة فصار يأخذها واحصي مع الكتاتيب التي تأخذ اعانة . اما الكتاتيب الاميرية التي يدل عددها على ما انشيء منها حقيقة فقد زاد عددها في السنوات العشر الماضية على ما في هذا الجدول

السنة	عدد الكتاتيب	عدد المعلمين	التلامذة	التلميذات
١٨٩٨	٥٥	١٠٢	٢٤٨١	٤٤٣
١٨٩٩	٥٦	٩٨	٢٥٣٩	٥١٩
١٩٠١	٨٦	١٤٥	٣٣٢٣	٦٤٣
١٩٠١	٨٧	١٥١	٣٢٧١	٧٥٩

السنة	عدد الكتاتيب	عدد المعلمين	التلامذة	التلميذات
١٩٠٢	٨٨	١٥٨	٣٥٠١	٨٤٤
١٩٠٣	٩٣	١٩٧	٣٩٤٠	١٣٢٦
١٩٠٤	٩٤	٢٠٠	٤٣١٨	١٣٥٣
١٩٠٥	١ ٩	٢١١	٥٥٧٧	١٨٣٣
١٩٠٦	١٢٢	٢٦٦	٦٩١٠	٢١٣٥
١٩٠٧	١٣٨	٣١٥	٨١٦٩	٢٨٤٠

فالزيادة مضطردة في عدد هذه الكتاتيب وعدد معلميها وتلاميذها ولكنها ليست بالغةً حدًّا كبيرًا جدًّا فقد زاد عدد الكتاتيب نحو ضعفين وزاد عدد التلامذة نحو خمسة اضعاف وهي زيادة حسنة جدًّا وعسى ان تستمر على هذا النمط في السنوات التالية

ثم ان ادارة الاحصاء لم تدَّعِ انها احصت كل كتاتيب القطر بل قالت ان بعض الكتاتيب الاهلية لم تصل بياناتها الى ادارة الاحصاء · وقولها هذا يشعر بان تلك الكتاتيب قليلة ولعلها كذلك

ونترك فصل الكتاتيب الآن ونلتفت الى غيرهِ من فصول هذا التقرير المفيد واول فصل ننظر فيهِ منها فصل المدارس الاميرية

كان عدد التلامذة في المدارس الاميرية في العام الماضي ١٣٦٠٨ واكثرهم يدفعون ما تطلبهُ الحكومة منهم من اجرة تعليمهم والذين يتعلمون منهم مجانًا ١٨٢٩ فقط · واكثر هؤلاء التلامذة من المصريين فانهم ١٣٤٨٢ وليس بينهم من الامم الاخرى سوى ١٢٦ تلميذًا وهم ٣٩ من اليونان و١٨ من الفرنسويين و١٦ من الايطاليين و١٢ من الانكليز و ٩ من النمسويين و ٤ من الالمانيين و٢٨ من امم اخرى

ولا يخفى ان البلاد تنفق على نظارة المعارف اكثر من ٤٥٠٠٠٠ جنيه في السنة وكل هذا المال تقريبًا تنفقهُ على تلامذة المدارس وادارة ديوان المعارف فمتوسط ما تنفقهُ على التلميذ منهم نحو ٣٣ جنيهًا عدا ما يدفعهُ هو لنظارة المعارف واذا اضفنا الى هؤلاء التلامذة تلامذة كتاتيب نظارة المعارف انحطت نفقات التلميذ الى ١٨ جنيهًا في السنة وهي نفقة طائلة جدًّا لا مثيل لها في بلاد اخرى · فميزانية المعارف في بلاد اليابان نحو ستمئة الف جنيه وعدد التلامذة في مدارسها نحو ستة ملايين فتكون نفقة كل تلميذ عشرة غروش في السنة واذا اغضينا عن تلامذة الكتاتيب عندهم وحسبنا ان هذه النفقات كلها تنفق على تلامذة

المدارس المتوسطة والعالية فقط فعدد هؤلاء نحو ستمئة الف فتكون نفقات التعليم جنيهاً واحداً على كل تلميذ. وميزانية المعارف في فرنسا نحو احد عشر مليوناً من الجنيهات وعدد التلامذة في مدارسها خمسة ملايين ونصف مليون فيصيب كل تلميذ منهم جنيهان في السنة . وعدد التلامذة في مدارس بريطانيا العظمى نحو ستة ملايين ونفقات التعليم فيها نحو ١٥ مليون جنيه فيصيب كل تلميذ جنيهان ونصف جنيه في السنة وفرنسا وانكلترا اغنى ممالك الدنيا واكثرها انفاقاً على التعليم ولا تبلغ نفقات التلميذ فيها اكثر من جنيهين ونصف جنيه في السنة ومع ذلك يشكو نظار المدارس المصرية وتلامذتها من قلة رواتبهم . وللمرسلين الاميركيين ١٥٦ مدرسة في هذا القطر وعدد تلامذتها ١٢٦٤٠ فلو انفقوا على تعليمهم كما تنفق الحكومة على مدارسها لوجب ان تكون نفقاتهم السنوية ٢٣٠ الف جنيه ولا نظن انهم ينفقون عشر ذلك

ومما هو حريٌّ بالذكر بنوع خاص اهتمام النزلاء بالتعليم وكثرة مدارسهم على قلة عددهم في هذا القطر. واكثر التلامذة في مدارسهم من الوطنيين لا من ابناء جلدتهم ففي المدارس الاميركية ١٢٦٤٠ تلميذاً وتلميذةً والوطنيون منهم ١٢٣٥٦ والباقون وهم ٢٨٤ من سائر الامم القاطنة في القطر المصري . وفي المدارس الفرنسوية ١٧٨٠٥ والمصريون منهم ٩٦٩٢ .وفي المدارس الانكليزية ٣٢٨٧ والمصريون منهم ١٧٣٦ .وفي المدارس الايطالية ٥٧٦٦ والمصريون منهم ١٦٣٦ . فالاميركيون من اكثر الناس تعليماً للوطنيين ويتلوهم في ذلك الفرنسويون ثم الانكليز والايطاليون . الّا ان اكثر التلامذة الوطنيين في هذه المدارس من الاقباط ففي المدارس الاميركية ٩١٤٣ من التلامذة الاقباط وفي المدارس الفرنسوية ٣٥٠٥ وفي المدارس الايطالية ٨٩٥ . الّا المدارس الانكليزية فان اكثر تلامذتها من المسلمين لا من الاقباط

ومن الغريب ان التلامذة الذين يتعلمون التعليم الثانوي منهم المصريون ٣٧٦٧ والاجانب ١٨٠٠ مع ان عدد الاجانب نحو جزء من ثمانين من عدد السكان . واذا استثنينا تلامذة الازهر ونحوهم من تلامذة التعليم العالي وجدنا ان عدد الطلبة المصريين نحو ١٣٠٠ وعدد الطلبة الاجانب ٨٤٢

وكيفما قلبنا نظرنا في هذا الاحصاء رأينا اهتمام الاجانب بالتعليم اعظم جداً من اهتمام الوطنيين . ولكن اهتمام الوطنيين قد زاد كثيراً في السنتين الاخيرتين وعسى ان يزيد هذا الاهتمام سنة فسنة

سورية في عصر فولنه

منذ قرن وربع قرن زار مصر والشام عالم فرنسوي مشهور وهو الكونت فولنه وتعلّم العربيةَ وبحث في احوال البلاد الطبيعيةِ والاجتماعيةِ والَّف في ذلك كتاباً مشهورًا طبع بالفرنسوية والانكليزية سنة ١٧٨٧ ذكر فيهِ امورًا كثيرة قلما تخطر على بال كاتب شرقي ولكنها ضرورية لمعرفة احوال البلاد في ذلك العصر . مثال ذلك انهُ وصف اول مطبعة انشئت في جبل لبنان فقال ما خلاصتهُ : — انشأ اليسوعيين مطبعة في حلب في بداءة القرن الثامن عشر واتفق لشاب اسمهُ عبدالله زاخر ان قرأ العربيةَ على اربابها وتعلم فن الطباعة واتى جبل لبنان ونزل في دير مار حنا الشوير وانشأ فيهِ مطبعة وصنع حروفها بيديهِ وطبع بها المزامير وكان ذلك سنة ١٧٣٣ فراجت نسخهُ جدًّا في جبل لبنان فكرر طبعهُ مرارًا وصحح كتباً كثيرة من الكتب التي ترجمها اليسوعيون وطبعها وقد طبع حتى الآن (اي حتى عصر فولنه) ثلاثة عشر كتاباً وهي ميزان الزمان للاب نيرمبرج اليسوعي واباطيل العالم لدبداكو ستلاّ اليسوعي ومرشد الخاطىء للويس غرنايد اليسوعي ومرشد الكاهن ومرشد المسيحي وقوت النفس وتأمل الاسبوع والتعليم المسيحي وتفسير مزامير التوبة السبعة والمزامير والنبوات والانجيل والرسائل والسواعية . وكان يصنع الامهات بيدهِ ويصبُّ الحروف ويجمعها وتوفي عبدالله زاخر سنة ١٧٥٥ وخلفهُ تلامذتهُ ولكن شأْن المطبعة كان قد انحطَّ لما رآها فولنه . والظاهر ان فولنه لم يكن يعلم ان مطبعة الشوير قديمة وان المزامير طبع فيها سنة ١٦١٠ اي بعد اختراع الطباعة بزمن يسير ونستغرب كيف انهُ لم يعلم ذلك من رهبان ذلك الدير مع انهُ اقام فيهِ زماناً طويلاً ووصف مكتبة ذلك الدير وقال انهُ كان فيها من كتب الخط المسيحيَّة ما يأْتي

(١) تقليد المسيحي (٢) بستان الرهبان (٣) علم النيَّة (لبوزمباوم) (٤) مواعظ سينياري (٥) لاهوت مارتوما (٦) مواعظ فم الذهب (٧) قواعد النواميس (لكلودفرتيو) (٨) مجادلات الانبا جورجي (٩) المنطق (١٠) نور الالباب (١١) المطالب والمباحث (للمطران جرمانوس فرحات) (١٢) ديوان جرمانوس (١٣) ديوان الخوري نقولا اخي عبدالله زاخر (١٤) مختصر القاموس

ومن كتب الخط الاسلامية ما يأْتي : —

(١) القرآن (٢) قاموس الفيروزابادي (٣) الفية ابن مالك (٤) تفسير الالفية (٥) الاجرومية (٦) علم البيان للتفتزاني (٧) مقامات الحريري (٨) ديوان ابن الفارض (٩) فقه اللغة (١٠) طب ابن سينا (١١) مفردات ابن البيطار (١٢) دواة الاطباء ؟ (١٣) عبارات المتكلمين (١٤) نديم الوحيد (١٥) تاريخ اليهود (ليوسيفوس) (١٦) الهيئة على طريقة بطليموس

ثم قال ولم يكن في بلاد الشام حينئذٍ غير هذه المكتبة ومكتبة الجزار . ولا بدَّ من انهُ اخطأَ في حكمهِ هذا لانهُ كان في دمشق اكثر من مكتبة . ولما انشئت مدرسة عيه والجمعيَّة السورية لم يتعذَّر عليهما ان تجمعا كتباً كثيرة من الكتب الخطيَّة من انحاء سورية ولما الَّف الامير حيدر تاريخهُ كان في مكتبتهِ كثير من كتب التاريخ كاخبار الدول لابن العبري وتاريخ صاحب صور وتاريخ ابن سباط ومروج الذهب وتاريخ البيعة

ولقد كانت اديرة الرهبان ملاجئ للاسفار العلميَّة من قديم الزمان ولو جهل الرهبان ما فيها في غالب الاحيان ولكن قلما يخطر على البال انهُ كان في دير من اديرة لبنان مثل قاموس الفيروزاباداي والفيَّة ابن مالك ومقامات الحريري وديوان ابن الفارض ومفردات ابن البيطار ونحو ذلك من كتب اللغة والعلم والادب

هذا و يظهر من رحلة فولنه ان خيرات البلاد الزراعية كانت وافرة جدًّا رغماً عن فساد الاحكام . قال ما خلاصتهُ غادرت طرابلس في شهر فبراير (شباط) وكانت الاشجار قد ازهرت والخضر قد اينعت فلما بلغت عين طورا رأَيت النباتات في بداءة ظهورها ولما وصلت الى ديرمار حنا الشوير رأَيت الثلج يغطي الارض ولم ينكشف عن جبل صنين الا في اواخر ابريل مع ان الورد كان قد فتح في الوادي الذي تحتهُ . وكل الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة مجموعة في تلك البلاد الطيبة وفي ساعة واحدة ينتقل المرء من اقليم الى اقليم . ومما يزيد في نزهة البلاد ومزاياها تنوُّع حاصلاتها . ولو استخدمت الصناعة لمساعدة الطبيعة لانتجت تلك البلاد كل حاصلات المسكونة في ما لا يزيد اتساعهُ على عشرين غلوة . والآن رغماً عن فساد الاحكام وظلم الولاة تنذهل من تنوُّع خيرات البلاد فانها كلها تنتج القمح والمرطمان والشعير والفول والقطن و يختص بعضها ببعض المزروعات ففي فلسطين يجود السمسم الذي يستخرج منهُ زيت الشيرج والدخن وهو مثل دخن مصر . وتجود الذرة في سهل بعلبك والارز في سواحل الحولة وقد شرع الاهلون يزرعون قصب السكر بكثرة في سواحل صيداء و بيروت فوجدوهُ مثل قصب وادي النمل . وينبت نبات النيل من غير زرع على ضفاف الاردن في بلاد بيسان ولا يحتاج الأ الى قليل من العناية ليجود نوعهُ . ويزرع في آكام اللاذقية كثير

من التبغ وهو اكبر اصناف التجارة بين سورية ودمياط والقاهرة وقد انتشرت زراعتهُ في كل جبال سورية . اما من جهة الاشجار في البلاد شجر الزيتون ولاسيما في انطاكية والرملة . وعلى شجر التوت تتوقف ثروة بلاد الدروز بما يربى عليهِ من دود الحرير وحريره من اجود ما يكون والكروم قائمة على المساميك او متعرشة على شجر السنديان ويخرج من عنبها خمر بيضاء وحمراء تزريان بخمر بوردو . وكان في جنائن يافا شجرتان من اشجار القطن الهندي. وهي مشهورة بليمونها وقد رأيت واحدة من ليمون الكباد ثقلها ثمانية ارطال . وبطيخ يافا يفضل على بطيخ البرلس . وتمر غزة مثل تمر مكة ورمانها مثل رمان الجزائر وبرتقال طرابلس مثل برتقال مالطة وتين بيروت مثل تين مرسيلية وموزها لا يقل عن موز سنت دومنغو. وتمتاز حلب بشجر الفستق وتفتخر دمشق بكل الاثمار التي تمتاز بها فرنسا وحق لها الافتخار فتفاحها مثل تفاح نورمندي وخوخها مثل خوخ تورين ودراقنها مثل دراقن باريس وفيها عشرون صنفاً من المشمش . وينمو في سواحل سورية الصبر الذي يربى عليهِ دود القرمز وقرمزها على غاية الجودة مثل قرمز المكسيك وسنت دومنغو واذا اعتبرنا ان جبال اليمن التي تنبت اجود انواع البن هي امتداد من جبال سورية وان تربة البلادين واحدة واقليمها يكاد يكون واحداً حكمنا انهُ يمكن زرع البن في سورية . وبلاد ممتازة هذا الامتياز في اقليمها وجودة تربتها لا يستغرب حسبانها دائماً اطيب بلاد الله بقعة وقد عدها اليونان والرومان من اجمل بلدانهم كلها وقالوا انها ليست دون القطر المصري

وفي البلاد كل الحيوانات الاهلية المعروفة في اوربا وفيها ايضاً الجاموس والجمل ومن الحيوانات البرية الغزال والخنزير البري ولكنهُ اصغر من خنزيرنا البري واقل منهُ شراسة وفيها قليل من الذئاب والثعالب وكثير من بنات اوى وهي التي يسميها اهالي مصر ذئاباً. وفي بعض جهاتها الضبع والنمر ولكن ليس فيها اسود وتكثر فيها الطيور المائية والارانب والحجال

والتفت الى احوال الزراعة في الايالات السورية ايالة ايالة او لواء لواء فقال في الكلام على ايالة حلب ان فيها سهلين وسيعين سهل انطاكية الى الغرب وسهل حلب الى الشرق والارض شديدة الخصب لا يكاد المطر يقع فيها حتى تنبت نباتاً طيباً يدل على خصبها ولكن اكثرها بور لا يزرع الآن وقلما يوجد اثر للاعتناء بالزراعة حول المدن والقرى واكثر غلاتها القمح والشعير والقطن ويزرع في جبالها الكرم والتين والزيتون . ويزرع التبغ في جوانب اكامها المطلة على البحر ويكثر الفستق في عمل حلب

ويلتزم ايالة حلب محصل من الاستانة بثمانمئة كيس (اكثر من اربعين الف جنيه) في السنة

يضاف الى ذلك البابوجيَّة وهي نحو خمسة آلاف جنيه تقدَّم هدية الى الصدر الاعظم وحاشيتهِ. ويبلغ ايراد الملتزم نحو ستين الف جنيه . ويُعطى الوالي ٨٣٣٠ جنيهاً في السنة لنفقات الولاية لكنهُ يبتز اموالاً طائلة من الاكراد والتركمان وسائر السكان . ولقد جمع منهم عابدي باشا الذي كان والياً قبل عهد فولنه ١٦٠ الف جنيه في سنة واحدة وضرب ضريبة على كل احد وكل صناعة . واسهب فولنه في وصف الحكام والجنود في ذلك العهد وقد نعود الى ذلك في فرصة اخرى

ثم قال ولحلب تجارة واسعة مع بلاد الارمن وديار بكر و بغداد و بلاد فارس والهند ودمشق ومكة ومصر واوربا و يصدر منها القطن والفستق والمنسوجات الكتانية والحريرية والنحاس والبُرص والمرعزى والعفص وبضائع الهند كالشيلان والموصلين و يأتيها من اوربا المنسوجات القطنية والقرمز والنيل والسكر والبن الاميركي . و يقدر عدد سكانها بمئتي الف نفس . ولكني ارجح ان عدد سكانها لا يزيد على مئة الف نفس لان مساحتها ليست اكبر من مساحة مرسيليا واكثر بيوتها طبقة واحدة

وايالة طرابلس تمتد من اللاذقية الى نهر الكلب وساحلها سهل فسيح تجري فيهِ نهيرات كثيرة تزيدهُ خصباً ولكنهُ اقل زراعة من الجبال التي فوقهُ . ومن غلاتهِ الذرة والشعير والقطن . وفي جهات اللاذقية يزرع التبغ والزيتون بنوع خاص واما في جبل لبنان وكسروان فاكثر الاعتماد على التوت والكرم

ولوالي طرابلس التزام البلاد كلها فهو يجبي اموالها و يدير امورها و يدفع للدولة ٣٩ الف جنيه كل سنة وعليهِ ان يقدّم لركب الحج كل سنة ما يلزم لهُ من حنطة وشعير وارز وما اشبه و يبلغ ثمن ذلك نحو ٣٩ الف جنيه اخرى وعليهِ ان يشيع الركب بنفسهِ كل سنة ويلاقيهُ . وعندهُ نحو خمس مئة من الفرسان وبعض المشاة من المغاربة . وقد سلم بلاد كسروان للامير يوسف وضرب عليهِ ١٥٥٠ جنيهاً في السنة

ولطرابلس جنائن غضاة يزرع فيها التوت لتربية دود الحرير و يكثر فيها الرمان والبرتقال والليمون الآ ان توتها قديم جذوعهُ منخورة وحريرهُ خشن غير جيد واذا سئل احد لماذا لا تزرعون توتاً جديدًا اجابك ان من يزرع توتة يقول الباشا انهُ ذو مال فيغرمهُ واذا انكر امر بجلدهِ واذا اعترف راغ عليهِ بالضرب الى ان يعطي كل ما يملكهُ . مع ان اهالي طرابلس اباة ضيم وقد عصوا على واليهم منذ عشر سنوات او اثني عشرة سنة وطردوهُ من مدينتهم وظلوا ثمانية اشهر من غير والٍ فارسل اليهم الباب العالي رجلاً خبيرًا بطرق الخداع

فاستمالهم بالاقسام والمواعيد ففرّق جامعتهم وقتل منهم ثمانمئة في يوم واحد ولا تزال رؤوسهم الى الآن في كهف قرب نهر قاديشا

وتجارة طرابلس بيد الفرنسويين ولهم فيها قنصل وثلاثة بيوت تجارية ويصدرون منها الحرير والاسفنج ويأتونها بالمنسوجات والقرمز والسكر والبن

وبين اللاذقية وطرابلس قرى كثيرة كجبلة والمرقب وطرطوس وهناك جزيرة ارواد التي كانت مدينة عظيمة وجمهورية مستقلة مشهورة بصناعتها وتجارتها ولكنها الآن قفر بلقع

وايالة صيدا جنوبي ايالة طرابلس واقامة واليها الآن في عكاء وكانت قبل عهد ظاهر العمر تمتد من نهر الكلب الى جبل الكرمل وتشمل كل جبل الدروز ثم جاء الجزار فاضاف اليها بلاد صفد وطبرية وبعلبك وقيصرية وسكان قيصرية عرب اولاد صخر. ورأى الحصون التي اقامها ظاهر العمر في عكاء فنقل مركز الولاية اليها وصارت ايالةُ تشمل كل البلاد من نهر الكلب الى قيصرية ومن البحر الى لبنان الشرقي وفيها سهل عكاء ومرج ابن عامر وسهل صور والحولة والبقاع وهي سهول خصبة يجود فيها القمح والشعير والذرة والقطن والسمسم وتبلغ الغلة خمسة وعشرين ضعفاً من البذار. وفي قيصرية غابة كبيرة من شجر السنديان وينتج من صفد قطن ابيض يماثل قطن قبرص . وتبغ الجبال المجاورة لصور مثل تبغ اللاذقية ويخرج منها نوع من كبش القرنفل يرسل كلهُ الى الاستانة ويستعمل في السراي السلطانية . وبلاد الدروز كثيرة الخمر والحرير وقد التزم الوالي البلاد كلها على مال يدفعهُ الى الدولة وهو ٧٥٠ كيساً (٣٩ الف جنيه) وينفق على ركب الحج مثلها . لكن دخلهُ كثير جداً فيأخذ مكوساً على البضائع الداخلة الى البلاد اكثر من خمسين الف جنيه عدا الاموال الاميرية وجزية جبال الدروز وبلاد المتاولة وقبائل العرب . ولهُ في البلاد زراعة واسعة وهو شريك لاكثر التجار في متاجرهم . ويبلغ دخلهُ من هذه المصادر كلها نحو اربع مئة الف جنيه (عشرة ملايين فرنك) لكنهُ لا يتمتع بما يبقى لهُ من ذلك لان الدولة تصادرهُ من وقت الى آخر وتبتز منهُ الاموال التي جمعها

هذا بعض ما ذكرهُ فولنه عن احوال سورية المعاشية لما جاءها منذ نحو قرن وربع قرن اي حينما كانت في حضيض ذلها . ولقد جار عليها الدهر ولكنهُ عجز عن محو آثار عظمتها ومصادر ثروتها وهي الآن لا ينقصها الاَّ العدل والامن وان يجد ابناؤُها على رفع شأنها فيجدوا من خيراتها الطبيعيةِ وموقعها الجغرافي ما يرقى بها وبهم الى فوق ما كانت عليهِ في عهد الفينيقيين واليونان والرومان

شمس العدالة في تركيا

من خطبة للدكتور هورد بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجليزية القاها في الجمعية الجغرافية الوطنية باميركا في ١٨ دسمبر سنة ١٩٠٨ وقد ترجمت الى العربية بقلم سليم افندي خوري من مستخدمي مالية السودان

يعلم من اسعده الحظ منكم بزيارة الاستانة ان اليوم المطير فيها يكون قاتماً اسود الاديم واذا طالت اقامتهُ فيها علم ايضاً ان يوم الصحو يكون مبهجاً رائق الجلد كذلك كان يوم امس فانهُ كان يوماً في الدهر معدوداً ببهجتهِ وحسن روائهِ وسيبقى معدوداً في تاريخ السلطنة العثمانية . فارفع بالنيابة عنكم وعن سائر مواطنيَّ في انحاء البلاد خالص المنة والشكر لنوابنا في المجلس العام (الكنغرس) لانهم بعثوا بالتهانيء القلبية من وراء البحار الى العثمانيين يحتفون لهم خيراً بما نالوهُ يوم امس

إخال ان الخيال صوَّر لكم وانتم تقرأُون صحف امس وصحف هذا الصباح انكم تقتفون ذلك الجم الغفير الذي انحدر من غلطه كالبحر الزاخر الى الجسر وتوجه صُعُدًا الى جامع ايا صوفيا ورأيتم جلالة السلطان مغادرًا يلدز يسير في طريق لم يسلكها من قبلُ وشهدتم الشوارع في كل جهة ومكان تدل على ان ذلك اليوم يوم عيد وابتهاج . فهنا جنود تركية انيقة المنظر ليس لهم في العالم مثيل وهناك اعلام عثمانية خافقة وجماهير قد شق هتافها العنان وهنالك جماعات من النساء — وهنَّ الآن عضو جديد في المجتمعات التركية — ولم يقتصر احتشاد المتفرجين من الناس على الإشراف من النوافذ والشرفات بل قصدوا المساجد واطلوا منها على تلك المناظر الجديدة الغريبة

طالعت اليوم ما دوَّنهُ التاريخ في صفحاتهِ عن اجتماع مجلس المبعوثان لاول مرة سنة ١٨٧٧ فقرأْت مقالة طويلة لمكاتب التيمس من الاستانة يصف فيها افتتاح ذلك المجلس فرأَيتهُ قد استوفى الكلام عليهِ ولكن يظهر من مقالتهِ ان افتتاح ذلك المجلس كان خالياً من مزايا الحماسة والحمية العامة التي ظهرت اخبارها في صحف اليوم وهذه الحماسة والحمية مفعمة بالتيمن والتفاؤُل السعيد بالمستقبل

فمنظر ذلك المجلس حيث تليت خطبة السلطان في حضرتهِ وحيث اشترك جلالتهُ في الدعاء الذي فاه بهِ قاضي الاسلام ضارعاً الى الله ان يبارك المجلس كان منظرًا مهيبًا محفوفًا

بالجلال والوقار. ثم قام الوف ومئات الالوف من الرجال والنساء والاولاد بحفلات حماسية لم يسبق لها مثيل

يذكّرنا ذلك باحتفالات مرّت بنا منذ خمسة اشهر واعني بها احتفالات شهر يوليو. لم يخطر في بال واحد منا ان تلك الثورة كانت على الابواب . وانني وان كنت غائباً عن بيروت حينئذٍ فانا اعرف شيئاً مما جرى فيها لما اعلن الدستور — تلك المدينة التي هي اكبر ميناء في سورية والتي تضم مئة وعشرين الف نفس او مئة وثلاثين الفاً

اطلاق اللسان بعد حبسهِ ثلاثين عاماً في سجن المراقبة

لما ذاعت هذه البشرى لم يستطع الناس تصديقها بل زعموا انها خطاء ورد في التلغراف فلم يجرأوا على اظهار شيء من الحماسة والاستحسان ولا غروَ فقد تعودوا الصمت منذ اعوام وهم يكتمون آمالهم الخفية في صدورهم . وبقي السكون مخيماً فوق المدينة يوماً ويومين وثلاثة ايام واهلها بين اليأس والرجاء فيأسهم كان ناشئاً عن تخوفهم من ان يكون الخبر غير صحيح ورجاؤهم كان يضرم في صدورهم نيران المسرة والابتهاج كما أملوا صحة الخبر. وبينما هم كذلك اذ تحققوا صحتهُ فزال اليأس وصح الرجاء وانهمكت المدينة ثلاثة ايام تقيم الافراح والاحتفالات وجعل الناس يهنئون بعضهم بعضاً فكانت اياماً مشهودة لم يسبق لها مثيل في سورية . طير البرق اليهم ان جمعية تركيا الفتاة انتهزت فرصة سانحة فقالت لجلالة السلطان لقد حان الاوان الآن لاعطاء الدستور. ولا أرى ثم حاجة الى شرح الاحوال التي دفعت تلك الجمعية الى هذا الطلب ولكنكم تعلمون ان السلطان سلّم بقول حزب تركيا الفتاة ان الوقت قد حان لمنح الدستور . واعلن على رؤوس الاشهاد في مجتمع ضم مئة الف نفس انهُ يحتفظ بالدستور ويخلص لهُ . وليس ذلك فقط بل الاهم منهُ ان شيخ الاسلام صرّح على مسمع من ذلك الجمع ان جلالة السلطان اقسم يمين الاخلاص للدستور امامهُ فاظهر سماحتهُ بذلك للملإِ ان منح الدستور مطابق لنص القرآن . وليس ذلك فقط بل استدعى السلطان اليهِ السفراء والقناصل ونواب كل الدول الاجنبية وصرح امامهم بمصادقتهِ على منح الدستور . واجتمعت الجنود واقسمت يمين الاخلاص للدستور على مسمع من الناس

فكانت جميع الوسائل التي اتخذت والحالة هذه ضماناً قويًا بانّا على ان الحكومة ستحافظ حتماً على هذه السياسة الجديدة

كل هذه الاخبار وردت على بيروت في اثناء يومين او ثلاثة ايام وانبثت المدينة ايضاً ان الواجب عليها ان تستعد لانتخاب اناس من اهلها نواباً لمجلس المبعوثان الذي عقد امس .

فاطلقت حينئذٍ الحريَّة في المدينة ولم يعد الناس يتمالكون ضبط نفوسهم عن اظهار بهجتهم ومع هذا كلهِ فان بعضهم كان لا يزال غير مصدق هذه الاخبار

ان لي صديقاً سورياً ذكي الفؤاد شديد الحذر قابل اخي على قارعة الطريق ذات يوم في شهر اغسطس وقال لهُ لو اخبرني اصدق اصدقائي الذين اثق بهم عما يجري الآن في بيروت لما صدقتهُ . فقد كنت اليوم حاضراً الاحتفال الكبير الذي اقيم امام سراي حكومتها وذهبت الى البرج فرأيت ان هذه الامور العجيبة جارية فعلاً ومع ذلك فانا لا ازال مرتاباً من صحتها . ولقد جاهر الناس باشياء لم يجهروا بها طول ايام حياتهم فكانوا يقولون "إخاء" "مساواة" "حريَّة" ولو تلفظوا بهذه الكلمات قبل ذلك باسبوع لوقعوا في خطر مبين وصار الغلمان يجوبون المدينة وفي ايديهم الصحف والتلغرافات التي تحوي تلك الاخبار المدهشة بلا مراقب ولا رادع

اتفق ان صحافياً من اصدقائي في بيروت نشر اعلاناً في جريدتهِ منذ بضعة اشهر جاءت فيهِ كلمة عربيَّة سهواً كان مراقب المطبوعات قد حرم نشرها فلم يشعر الاَّ وقد طُلب وجوزي بايقاف الجريدة ثلاثة اشهر وكان السبب تلك الكلمة

اما الآن ففي كل جهة ومكان نسمع الرجال والنساء والاولاد يجهرون بتلك الكلمات التي كانت محرَّمة . فما كان ممنوعاً في خلال ثلاثين عاماً صار الآن مباحاً في كل انحاء المدينة . صار الرجال يتألبون جماهير والجمعيات تعقد هنا وهناك والخطباء يندفعون فيخطبون في الناس خطباً تتدفق الفصاحة منها تدفق السيل فيدوي صداها في الآذان دوياً يزري بشلالات نياغرا

المسيحيون والمسلمون يتعانقون امام الناس

هناك كان خليط من الناس . الناس الذين قضوا السنين الغابرة والعداوة بينهم مستحكمة صاروا الآن اصدقاء اعزاء في الحفلات والمجتمعات وصار رؤساء الدين من المسيحيين والمسلمين يتضامون ويتعانقون . قطعت الاغصان من الاشجار وأُتي بالبسط من المنازل واكتظت الشوارع بالناس فكانوا يضيفون اخوانهم الذين اضاعوا صداقتهم زماناً طويلاً . وكانت امارات المودة والإلفة ظاهرة في كل مكان حتى بين الرعاع وذوي الجرائم

بليت بيروت في السنين الاخيرة بزمرة من المعثرين المسلمين وزمرة من المعثرين المسيحيين اقلقوا راحتنا والقوا الرعب في المدينة . اما الآن فهوذا فجر الحرية وهوذا فجر الاخاء فقد قصدت عصابة من المعثرين المسلمين بامرة زعمائهم احياء زمرة المعثرين المسيحيين ودعوهم

الى مأدبة فاخرة صنعوها لهم في ساحة البرج وصاروا لهم نذلاً يخدمونهم . وبعد ايام قليلة قابل معشرو المسيحيين — الذين اقلعوا عن الشر وصاروا اخوانًا — الدعوة بمثلها فدعوا اصدقاءهم معشري المسلمين الى ساحة البرج فاكلوا وشربوا

ففي كل اقسام المدينة كان الناس يجتمعون جماهير مختلفة فيخطب فيهم المسيحي فالمسلم فالاسرائيلي . وخطب ايضًا بعض اساتذة الكلية وحبذا لو كان احد منهم من الذين قضوا من اربعة اعوام الى عشرة في كليتنا حاضرًا هنا هذه الليلة لكان يخطب فيكم فيثير حميتكم وليس ذلك فقط بل انهُ يخطب بلغة انكليزية لاغبار عليها ويا لهُ من تأثير في نفوسكم عندما يخطب فيكم مندفعًا بقوة تلك الحرية الجديدة وحميتها فانهُ كان يوقظنا وينبهنا . انني اشعر احيانًا باننا سائرون الى شيء من الفتور وعدم المبالاة في هذه البلاد . واشعر احيانًا ايضًا ان وطنيتنا في حاجة لان تذكى بنار حمية جديدة لتوطد وتمحص بتضحية جديدة . وانا متأكد انهُ اذا كان واحد من اولئك الخطباء السوريين هنا وخطب فيكم باللغة الانكليزيَّة استطاع ان يؤثر فينا تأثيرًا يجعلنا ننظر الى معنى حريتنا نظرًا جديدًا

فالعلَم التركي صار لهم علمًا جديدًا وهل خطر على بالكم ان العلَم التركي علم جميل . حينما نظرتم اليهِ ورأيتم الهلال والنجم على بساط احمر اعتدتم ان تفكروا انهُ نجم آفل . على انني مؤكد ايها الاصدقاء ان النجم الذي في ذلك العلَم ليس نجمًا آفلاً في عرف السوريين والاتراك وسائر العناصر المختلفة في المملكة العثمانية بل هو نجم الصباح وليس ذلك الهلال قمرًا سائرًا الى المحاق بل هلال في اول نموهِ

فؤاد باشا

وحدث في بيروت امور اخرى فقد صدر مع اعلان الدستور امر بالعفو عن المسجونين السياسيين وقيل ان ذلك العفو شمل ٤٢ الفًا والبعض يبالغون في هذا العدد فيجعلونهُ ٦٠ الفًا . وهم الذين طردتهم الحكومة من الاستانة في اثناء الثلاثين سنة الغابرة فتشتتوا في البلدان الاوربيَّة . فالرجال الذين كانت الحكومة الغابرة تعد تأثيرهم سمًّا ناقعًا برهنوا على انهم كانوا اليد البيضاء في اعلان الدستور

لا ريب ان بعضكم رأى دمشق فاذا كنتم قد زرتموها في السنوات الست الماضية ومررتم في الطريق المار فيها الى الفندق رأيتم على يساركم بناء كبيرًا وامامهُ حرَّاس فعراكم الريب فيهِ ليس لان عليهِ حراسًا فقط بل لان كل نوافذهِ مسدودة بدرف خشبية كبيرة وان كنتم قد سألتم من يسكن هناك ولماذا خفر ذلك البناء بالحراس فقد اُجبتم لانهُ مسكن فؤاد باشا .

ومن هو فؤاد باشا ؟ كان من الرجال النافذي الكلمة في الاستانة ومن الذين اشتهروا في المناصب العسكرية ولكن منذ ستة اعوام صار من المغضوب عليهم ونفي الى دمشق الاّ ان فؤاد باشا وهو في ذلك السجن المنيع كان لهُ تأثير اعظم منهُ لو بقي في الاستانة

فلما صدر العفو أُبلغ انهُ صار حرًّا يستطيع الرجوع الى الاستانة اذا شاء ولكن هذا الجندي الباسل قال انهُ لا يبرح مكانهُ حتى يعاد اليهِ ذلك الحسام الذي أُخذ منهُ في الاستانة وتوضع على صدرهِ تلك النياشين والاوسمة التي نزعت منهُ

فانتظر ريثما جيء اليهِ بالسيف والاوسمة وعاد الى الاستانة فرحاً مسرورًا . ركب القطار الى بيروت حيث استقبلهُ اهلها على المحطة ودفعتهم الحمية ان فكوا الخيل من العربة ليجرها الى الفندق والحق يقال انهم من شدة حماستهم الشرقية كانوا يودون حملها على اكفهم . على ان فؤاد باشا خاف على حياتهِ وطلب منهم ان يرجعوا عن عزمهم ويدعوا عربتهُ تسير كالمعتاد الى الفندق . وتلا هذه الحادثة اقامة عدة حفلات ومظاهرات اكرامًا لهُ والقيت خطب عديدة . ثم سافر هذا البطل الى الاستانة ويقال انهُ لما وصلت الباخرة بهِ الى مرفإها كان هنالك جمع غفير من اهلها في انتظارهِ وكان منظر استقبالهم لهُ مؤثرًا جدًّا فان ذلك الشيخ وقف على ظهر الباخرة ورأسهُ مشتعل شيباً والدموع تنهمر على خديهِ بلا خجل ولا استحياء فكانت دليلاً على تعلقهِ الشديد بابناء وطنهِ

الترك يكرمون شهداء المذابح الارمنية

كانت الاحتفالات والمظاهرات تتوالى على هذا المنوال ليس في بيروت والاستانة فقط بل في سائر المدائن والقرى الصغيرة حتى بانت المملكة كلها مشتركة في السرور قلباً وقالباً وقد احتفل بذلك ايضاً في المدينة المنورة على خط سكة حديد الحجاز التي شرع جلالة السلطان في مدها الى مكة المكرمة واتفق ان افتتاح هذه السكة واعلان الدستور جاءا في آن واحد. على ان اعظم ما شوهد من الشعور بالاخاء كان في الاستانة اذ قصد الارمن ومعهم كثيرون من الاتراك قبور الذين ذهبوا ضحايا المذابح الارمنية . هنالك اقاموا الصلاة وشكروا الله على حلول هذا اليوم واظهر الاتراك حزنهم واسفهم من تلك الحال التي اهرقت فيها دماء الكثيرين من رجال الارمن ودخل الارمن والمسلمون معاً الكنائس في اليوم التالي وانبرى الخطباء من الفريقين يخطبون و يشكرون الله على مجيء ذلك اليوم المبارك . ولما كان العمل الذي قامت بهِ لجنة الاتحاد والترقي فنشأ عنهُ منح الدستور قد انبعث من سالونيك امتازت تلك الولاية على سواها بالحماسة والابتهاج بهذا الفوز العظيم

ومما قيل لنا ايضاً انهُ لما اطلق سراح السجناء طبقاً للعفو الاخير لم يحدث اقل مكدر مما يطرأ عادة في مثل هذه الاحوال . والفضل في ذلك راجع الى المنهاج الذي انتهجوهُ فقد كانوا يأتون بكل مسجون الى رئيس ديانتهِ فيلجئونهُ الى وضع يدهِ على التوراة او القرآن ويلقون عليهِ الاسئلة الآتية :—

اتعهد انك تجتنب كل الجنايات والجرائم اذا اطلق سراحك ? اتعهد انك لا ترتكب عملاً مضراً بالامة والحكومة . ثم تؤخذ عليهِ المواثيق فيقسم بالله العظيم انهُ يبرّ بيمينهِ فيخلى سبيلهُ . وكان يقال لهم ايضاً ان اخوانكم بني الانسان قد اخلوا سبيلكم فحافظوا على حرية الناس واحترموها والأ صدر الامر في الحال باعدامكم شنقاً فكان السجناء يجيبون عن ذلك — اننا لا نشنق لانا عازمون عزماً اكيداً على ان نراعي مصالح الآخرين . وقد تنسبون ذلك الى تحمس وقتي كعادة الشرقيين ولكن الامر العجيب هو ان الجنايات تناقصت وقلما سمع ان دم احد اهرق في اثناء هذه الاسابيع او في اثناء الخمسة الاشهر الماضية ولقد ملئت العواطف خشوعاً وشعوراً بالدين وهما خلتان خليقتان بمن تعطش ساعات واياماً وسنين للحرية فاخذ اخيراً يبتهل الى الله ويحمدهُ على هذه المنحة الطاهرة ويستزيد من الحمد لانهُ نالها بلا انتظار

فتح ابواب جامع عمر للمسيحيين

احتشد خلق كثير من اليهود والمسيحيين والمسلمين في داخل ذلك السور العجيب سور الحرم المقدس في مدينة القدس في اثناء ثلاثة ايام . وانتم تعلمون الصعوبة التي تحول دون دخول ذلك المكان عادة فان الزائر يضطر ان يستأذن من قنصل دولتهِ ومن الحكومة المحلية ليتسنى لهُ الدخول اليهِ ولكن هذه الصعوبة زالت واذن للجميع في دخول الجامع ثلاثة ايام متوالية فكان ذلك برهاناً لامعاً على انتفاء التعصب الديني واحلال الاخاء محلهُ وكان الواحد منهم يقول

" انني عندما ارى رجلاً داخلاً الى الكنيسة اعلم انهُ مسيحي وعندما ارى آخر داخلاً الى الكنيس اعلم انهُ يهودي وعندما ارى ثالثاً داخلاً الى الجامع اعلم انهُ مسلم ولكن في غير تلك الامكنة وفي كل آن وزمان نعد بعضنا بعضاً عثمانيين وكلنا اخوان تجمعنا راية واحدة "

يبلغ عدد العثمانيين الاتراك خمسة ملايين فقط اما عدد العثمانيين كافة فيبلغ خمسة وعشرين مليوناً واذا عددنا البلدان التابعة للدولة العلية او التي كانت تحت سيادتها بلغ عدد

العثمانيين واحداً واربعين مليوناً او اثنين واربعين ولكن كلمة عثماني قد اطلقت الآن على جميع ابناء المملكة وذلك طبقاً لنص القانون القاضي بان جميع اتباع الحكومة العثمانية يلقبون بالعثمانيين فلم يبقَ بينهم الآن من يقول انا سوري او ارمني او مكدوني بل صار الجميع عثمانيين

هبت الثورة وانقضت ولم يحدث الاَّ قليل من التعدي

كل هذه الامور جرت باعتدال عجيب فالعداوات والحزازات التي كانت مستحكمة من الصدور في السنين الغابرة اندثرت فجأَة على ما يظهر وقام محلها الحلم والاعتدال ليس باخفاء الحقد ودفن العداء فقط بل بتجنب كل تعدٍ وشحناء . ولقد كان لهذا الحكم شواذ ولكن اذا تدبرنا الامر نعجب من قلة تلك الشواذ . فمنها قتل فهيم باشا الذي كان السبب في نفي فؤَاد باشا ومئات غيره وهو الذي نفي اخيراً الى بروسه بسعي سفيري انكلترا والمانيا . فلما بلغهُ وهو في منفاه ان الدستور قد منح استولى الرعب عليهِ ولاذ بالفرار ولكن الناس عثروا بهِ فلم يستطيعوا ردع نفوسهم عن الانتقام من رجل كان علة لقتل الكثيرين من اخوانهم او لنفيهم فهجموا عليهِ ومزقوهُ اربًا اربًا . على ان هذا الفعل لم يكن بارادة جمعية تركيا الفتاة التي بعثت من سالونيك فوقفت تيار تلك الحركة باسرع ما يمكن وهذه حادثة من ست حوادث فقط ومن المحتمل ان يكون قد حدث غيرها مما لم يتصل بنا خبرهُ

الى متى تستمر هذه الحال

اني لاعترف ان كل ما جرى عجيب لذاتهِ ولو استمرَّ يوماً واحداً فقط . فهو عجيب جداً لانهُ استمر اسبوعاً بل شهراً بل خمسة اشهر . ولو أُوقظت الثورة غداً وجرت مذبحة دموية لبقي ما جرى قبلها عجيباً لانهُ حدث في بلاد اشتدت فيها العداوات ويسهل فيها اعطاء النفس هواها

ارسل عثماني كتاباً الى اميركي على اثر اعطاء الدستور قال فيهِ " نحن نعلم اننا سنفشل في امور كثيرة ونعلم ان عقبات ستعترضنا وربما آلت بنا الى اليأْس والقنوط ولكن لا شيء يستطيع ان يسلبنا سرورنا وابتهاجنا في هذه الايام الاول "

اراكم تتساءلون الآن أَتدوم هذه الحال وهل تستمر والى متى تستمر ? والبعض منكم يراجعون تاريخ اجتماع مجلس المبعوثان الاول منذ اثنتين وثلاثين سنة . وتسلمون ان هناك فرقاً بين الحالة الماضية والحالة الحاضرة ولكن ربما قلتم ان مراسلي الجرائد لم يكونوا يبالغون في الوصف حينئذٍ كما يبالغون الآن والتسهيلات التلغرافية لم تكن متوفرة حينئذٍ لارسال الوصف المسهب ولذلك اهملت تفاصيل كثيرة فمن المحتمل ان مثل هذا الابتهاج وتلك

الحماسة كانا حينئذٍ ومع ذلك فكم بقيت تلك الحال كذلك . على انني اعتقد انكم تلاحظون ان الاحوال التي منح فيها الدستور الآن تختلف كثيرًا عن الاحوال التي منح فيها سنة ١٨٧٦ وكان بقاؤهُ قصيرًا جدًا فالتفاصيل التي ذكرتها الآن وانا استطيع ان اسرد عليكم كثيرًا مثلها مما يدل على الابتهاج العام هي اصدق دليل على ان القائمين بهِ سواء كانوا عارفين كثيرًا او غير عارفين وسواء كانوا مدركين تمامًا كل مقدار الصعوبات التي تعترضهم او غير مدركين فضائلهم المنشودة من وراء هذه الحركة هي الحرية فقد سئموا عيشة القرون الوسطى واشرأبوا باعناقهم الى عيشة القرن العشرين وسواء نجح مشروعهم او لم ينجح فلا بد ان يتلوهُ آخر يستطيع بهِ هؤلاء الرجال والنساء والاولاد ان يعيشوا كما يعيش معاصروهم في القرن العشرين

ان اسم جمعية تركيا الفتاة لا يقصد بهِ ان اعضاء هذه الجمعية فتيان . لا . فان كثيرين منهم رجال اشتعلت رؤوسهم شيبًا ولكنهم رجال شديدو العزيمة فهم فتيان في آمالهم وطموح نفوسهم فتيان في عزيمتهم وتصوراتهم . وقوة هذه التصورات هي أُسُّ هذه النهضة

والاخطار لا تعد ولا تحصى وكلٌّ يستطيع ان يشير اليها والاعداء كثيرون . اختلافات جنسية واختلافات دينيَّة وهذه يسهل ان ينتج عنها عدوان وشحناء وكذلك مساعي الدول الاوروبية — كل هذه اخطار تتهدَّد العثمانيين واي شيء يستظهر على هذه الاخطار

ليس في استطاعتي الخوض في السياسة الاوربية ولكنني اقول عن اوربا وعن الاخطار التي تتهدد هذه النهضة الجديدة بمساعي الدول انهُ ليس ثمَّ الاَّ رجاء واحد وهو ان تتوخى الدول المسيحية في اوربا العدل وكرم الاخلاق في معاملتها المسلمين وتأخذها هزة الشهامة نجوم فتستظهر في حرب صليبية جديدة ولكن ليس في ميدان القتال بل في ميدان السياسة السلمية . على ان بريطانيا العظمى التي لم تمت فيها الشهامة والمروءة سيكون لها والحمد لله صوت عظيم في ذلك . ثم ان الولايات المتحدة ايضًا لم تمت فيها المروءة والحمد لله فسيكون لها صوت مسموع في هذا الصدد

ولكن ما القول بالاخطار الاخرى التي تتهدَّد العثمانيين — العداء الذي كان ينمو ويزيد كل هذه السنين حيث الناس المختلفون مللاً ونحلاً كانوا دائمًا متحفزين لمناوأة بعضهم بعضًا ومناصبتهم العداء حتى لم يعودوا يهتمون الاَّ بعداواتهم وضغائنهم فماذا يقال عن هذه الاخطار وكيف يكون الفوز عليها سيأتي البقية

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

ذوات الظلف والحافر والخف UNGULATA

❖ اليَحْمُور . اليأْمُور (يحمور بالعبرانية والسريانية) ❖ Cervus capreolus. E. Roe deer. F. Chevreuil.

نوعٌ من الايائل لكلٍّ من قرنيهِ ثلاث شعب وهو قصير الذنب احمر اللون ابيض الاليتين اغبر البطن مصفرّهُ ويتصل قرنهُ كالايّل . وقد ورد ذكر اليحمور في التوراة بين الحيوانات المجترَّة المشقوقة الظلف (تث ١٤ : ٥) التي يحلّ اكلها لبني اسرائيل فلا يمكن ان يكون الحمار الوحشيّ كما جاء في بعض كتب اللغة . واللفظة مشتقة على الغالب من الاحمرار[1] ولا علاقة بينها وبين الحمار سوى المشابهة في اللفظ . واليحمور يعرف بهذا الاسم الى يومنا ويوجد في العراق والشام . وقد جاء في بعض المؤلفات العربية ما يثبت انهُ من الايائل فهو في المخصَّص " نوع من الايّل " وفي حياة الحيوان الكبرى " اليحمور دابة وحشية نافرة لها قرنان طويلان كانهما منشاران ينشر بهما الشجر فاذا عطش وورد الفرات يجد الشجر ملتفة فينشرها بهما وقيل انهُ اليأمور نفسهُ وقرونهُ كقرون الايل يلقيها في كل سنة وهي صامتة لا تجويف فيها ولونهُ الى الحمرة وهو اسرع من الايل وقال الجوهري اليحمور حمار الوحش " انتهى كلام الدميري

اما اليأمور فهو ذكر الايل في كتب اللغة ووصفهُ في القزويني والدميري يشبه وصف اليحمور ولعلَّ اللفظة محرَّفة عن اليحمور في الاصل . وفي معجم دوزي اليأمور هو اليحمور

❖ الرَّنَة (معرَّبة) ❖ Rangifer tarandus. E. Reindeer F. Renne واظنها تعريب الدكتور كرنيليوس فان ديك لانها وردت كذلك في جغرافيتهِ

❖ الأَلْك (معرَّبة) ❖ Alces. F. Elk F· Elan

❖ غزال المسك . دابة المسك ❖ Moschus moschiferus. E. Musk-deer.F. Porte-musk

وحقهُ ان يسمى ايّل المسك لانهُ من الايائل وليس من الظباء

---

(١) Encyclopedia Biblica

◆ الزَّرافة (مصرية الاصل) ◆ Giraffa camelopardalis E. & F. Giraffe

حيوانٌ من ذوات الظلف وهي في حجم البعير قصيرة الرجلين طويلة اليدين والعنق · جلدها مبقَّع ببقع حمر ولها قرنان صغيران · وتوجد الزرافة في افريقية فقط

وقد جاء في الاساطير الهندية ذكر حيوان يسمى سرايه بالسنسكريتية ونقل العرب هذه اللفظة وعرّبوها بالزرافة في بعض مؤلفاتهم وورد ذكرها في كتاب عجائب الهند لبزرك ابن شهريار وكتاب وصف الهند لابي الريحان البيروني . والزرافة حسب وصفها في هذين الكتابين حيوانٌ هائل عجيب الشكل وهو بلا ريب خلاف الزرافة المعروفة (انظر كتاب عجائب الهند صفحة ١٩٧ وتعليقات المترجم في الملحق · كذلك وصف الهند لابي الريحان البيروني الترجمة الانكليزية المجلد الاول صفحة ٢٠٣ ولم اقدر ان اقف على نسخة عربية من هذا الكتاب)

اما الزرافة المعروفة فيختلف في اصل تسميتها فهي في كثير من المعجمات الافرنجية عربيةُ الاصل وفي غيرها هندية او فارسية وفي لاروس من سَراف بالمصرية القديمة ومعناها الطويلة العنق وفي الالفاظ الفارسية المعربة من زرنابه بالفارسية وفي بغية الطالبين تسمى الزرافة سر بالمصرية القديمة ويرجح المؤلف ان اللفظة مصرية الاصل وهو الاقرب الى الصواب ولا بد ان العرب سمعوا بالزرافة قبل الهنود والفرس ولا يعقل انهم اخذوا هذه اللفظة عنهم اذ لا وجود للزرافة في اسيا ولا دليل على سابق وجودها فيها في عهد التاريخ وفضلاً عن ذلك يظهر ان اللفظة الفارسية تختلف في كتابتها فهي سرنايا وزرنايا وزرنابه وزرناف وزرنافة كما جاء في معجم ڤولرس ومعجم الالفاظ الفرنسويَّة المشتقة من اللغات الشرقية لمارسل دڤيك ولعل الزرافة الهنديَّة التي ذكرت آنفاً سبب هذا الارتباك

◆ الجَمَل (متشابهة في اللغات السامية) ◆ Camelus dromedarius.

E. Dromedary or Arabian camel. F. Chameau d'Arabie.

◆ الدُّهانج · الدُّهامج · الفالج · الفَلْج · القِرْمِل ◆ Camelus bactrianus.

E. Bactrian camel. F. Chameau de Bactriane

الجمل ذو السنامين وهو اقصر من الجمل العربي واضخم ووبرهُ اطول ويوجد في اواسط اسيا. اما البُخْتيّ فهو الجمل المتولد بين الفالج والجمل العربي ووصفهُ في كتب اللغة مضطرب لا يفهم منهُ هل هو الفالج بعينهِ ام المتولد بينهُ وبين العربي الّا ان القزويني خصهُ بالهجين كما جاء في آثار البلاد عند ذكرهِ الندهة في الهند قال " وبها الجمل الفالج ذو السنامين وهذا الصنف

من الابل لا يوجد الاَّ هناك يجلب منها الى خراسان وفارس ويجعل فحلاً للنوق العربية فتولد منها البخاتي" . وفي عجائب المخلوقات له ايضاً ما نصهُ "ومنها المتولد من الابل الفالج والعراب ويسمى البختي" . وفي المؤلفات الافرنجية الحديثة مثل ذلك ايضاً وجاء فيها ان اللفظة مستعملة في خراسان لهذا النتاج المركب[1] . وجاء في بعض كتب اللغة ان اهل مصر يطلقون هذه اللفظة على الابل مطلقاً ولا اعلم هل يفعلون ذلك الآن وانما هذه اللفظة لا علاقة بينها وبين الابل البختية الخراسانية بل هي نسبة الى بختة في بلاد البجة اي شرق السودان كما ذكر الادريسي في نزهة المشتاق (صفحة ٢٧) قال "ومن بلاد البجة بلد بختة وهي ايضاً قرية مسكونة وبها سوق لا يعوَّل عليها وحولها قومٌ ينتجون الجمال ومنها معايشهم وهي اكثر مكاسبهم والى هذه القرية تنسب الجمال البختية وليس يوجد على وجه الارض جمال احسن منها ولا اصبر على السير ولا اسرع خطىً وهي بديار مصر معروفة بذلك" . وقول الادريسي هذا لا مبالغة فيهِ فقد رأيت هذه الابل البجاوية وهي احسن ابل في الدنيا ومشهورة عند العرب من قديم الزمان

❖ اللاَّمة . [3] (معرَّبة) الجمل الاميركي[2] ❖ E. & F. Lama

❖ الالبكا[4] (معرَّبة) ❖ E. & F. Alpaca

❖ الخِنزِير ❖ Sus scrofa. E. Pig. F. Cochon

وهو حزير بالعبرانية واللفظة مشتقة من الخَزَر اي صغر العين وليس من الخنزرة اي غلظ العنق فتكون النون زائدة

❖ الرَّتّ (ورت بالمصرية القديمة[5]) . العِفر (من اصل سنسكريتي) المَلُوف[6] ❖ E. Wild boar. F. Sanglier.

الخنزير البرّي ويوجد في اسيا واوربا وافريقيا واوشك ان ينقرض من القطر المصري ولا يوجد منهُ الاَّ عدد قليل في وادي النطرون تحميهِ الحكومة ويقال انهُ يوجد على مقربة من دمياط ايضاً

والرتّ في اساس البلاغة "الجرئ من ذكور الخنازير" . وفي لسان العرب "الرتّ شيء يشبه الخنزير البرّي وقيل هي الخنازير الذكور (هو رَرّ بالمصرية القديمة والتاء للتذكير)

---

(١) The Royal Natural History.

(٢ و٣ و٤) تعريب المرحوم احمد فارس

(٥) بغية الطالبين لاحمد بك كمال (٦) المنجد للاب لويس المعلوف

والرتّ الخنزير الجلح*. اما المَلْوف فلم اجدها بهذا المعنى سوى في المنجد للاب لويس المعلوف وقد سألت حضرتهُ عنها فاجابني انهُ متأكد من صحتها . وفي غير المنجد من كتب اللغة المِلْوف الثقيل الجافي والكثير الشعر والجمل الضخم ولا يبعد انها اطلقت على الخنزير وحرّفها العامة وقالوا حلّوف كما هو شائع في مصر والسودان . وزعم امرنبرغ ان لفظة حلوف من اروبا او هرويا بالحبشية وهو بعيد . وذكر دوزي ان لفظة هلوف في معجم غوليوس وفريتاغ خطأٌ وان صحتها حلوف وقال انها ايلف بلغة البربر . لكني ارجح صحة تسمية الخنزير البرّي بالمَلْوف كما جاء في المنجد فتكون اللفظة العامية محرّفة عنها

فَرَس البحر. فرس النهر (وهو كذلك باليونانية واللغات الاوربية). جاموس البحر. البَرْنيق

Hippopotamus amphibius. E. Hippopotamus. F. Hippopotame

حيوانٌ من ذوات الحافر عظيم الجثة كبير الرأس قصير القوائم والعنق والذنب . لهُ اربعة حوافر في كلٍّ من قوائمهِ وجلدهُ غليظ جدًّا يُعمل منهُ السياط المشهورة ويوجد في النيل وغيرهِ من نهور افريقية وكان كثير الوجود في مصر سابقًا وآخر من ذكر وجودهُ فيها من مؤلفي العرب عبد اللطيف البغدادي في اواخر القرن السادس للهجرة وذكر المقريزي وجودهُ في النوبة ولم يذكر وجودهُ في مصر مع انهُ بقي في فرع دمياط الى سنة ١٦٠٠ مسيحية وهو الآن نادرٌ جدًّا شمالي الخرطوم ورأيت واحدًا منهُ في ولد حامد سنة ١٨٩٨ وذلك على مسافة ٦٠ ميلاً شمالي الخرطوم . ويسمى فرس النهر في السودان بالقِرِنتي (١) والعِسِنت

(١) عرب السودان يلفظون القاف كما يلفظها اهل الصعيد وعرب البادية لهذا العهد اي كما تلفظ الجيم في مصر القاهرة فتكون هذه اللفظة الجرنتي حسب نطق سكان القاهرة ورأيت ان انبه الى هذا الامر ولو خرجت عن موضوعي وذلك لكثرة الخطاء في كتابة الاعلام السودانية في بعض الجرائد المحلية وكتب الجغرافية التي تدرّس في مصر فيكتبون الاسماء الآتية جوز رجب وجوز ابي جمعه وجبل جدير والحلانجه وحقها ان تكتب قوز رجب وقوز ابي جمعه وجبل قدير والحلانقه اي كما يكتبها اهل السودان . وبعض هذه الالفاظ عربي فصيح ولا يجوز التصرّف في كتابتهِ مثل قدير وقوز فالقوز في اللغة الكثيب المرتفع من الرمل وكل الاماكن التي يطلق عليها اسم القوز في السودان مبنية على الكثبان المرتفعة . واغرب من هذا كله كتابة دنقله دنجله . اما ولد حامد وولد مدني فلا بأس بكتابتها ود حامد وود مدني وانما لا مسوّغ مطلقًا لكتابتها واد حامد وواد مدني فهذه اللفظة لا علاقة بينها وبين الوادي كما يتوهم البعض بل هي ولد وينطقها اهل السودان ود وليس واد وهذه الاماكن منسوبة الى اشخاص معلومين كانوا شيوخًا عليها او كانت ملكًا لهم فولد مدني اصلها حلة ولد مدني وهذه الاسماء مكتوبة على صحتها في تاريخ السودان لنعوم بك شقير فلتراجع هناك

والعِنسيث وهو البهيموت المذكور في سفر ايوب ويظن انهُ كان موجوداً في نهر الاردن في عهد التاريخ ولفظة البهيموت عبرانية

اما لفظة البرنيق فقد وردت في رحلة بركهارت في النوبة وفي معجم ريتشاردسون وهو مطبوع قبل رحلة بركهارت ولا اعلم اصلها وربما كانت مستعملة في مصر قبل انقراض هذا الحيوان

الوَبْر Procavia E. Hyrax. F. Daman حيوانٌ من ذوات الحافر وهو في حجم الارنب اطحل اللون اي بين الغبرة والسواد قصير الذنب والاذنين يحرّك فكهُ السفلي كأنهُ يجترّ لذلك عُدَّ في التوراة من الحيوانات المجترَّة (تث ١٤ : ٧) . ويوجد الوبر في لبنان حيث يعرف بالطَبْسُون وفي جبال سينا والحجاز حيث يعرف بالوَبْر والثُفُن وغنم بني اسرائيل وفي جبال مصر الشرقية والسودان المصري الى الكاب جنوباً وهو كثير في جبل كسله على مقربة من مقام السادة الميرغنية ومن اسمائهِ في السودان الكِيكو والأشكوكُو

وقد ورد ذكر الوبر في كثير من المؤلفات العربية عدا كتب اللغة وهو في محيط المحيط " دويبة كالسنور اصغر منهُ كحلاء اللون (اظن صوابها طحلاء) حسنة العينين لها ذنب قصير جداً تدجن في البيوت وتعلّم وتؤكل لانها تعتلف البقول " . ويظهر من كلام الجاحظ ان الوبر كثير الوجود في بلاد العرب وذكرهُ ابن البيطار في باب صنّ الوبر وهو بول هذا الحيوان المتجمع على صخور الحجاز وكانوا يستعملونهُ في الطب القديم

اما لفظة الثُفُن فاظنها عربيَّة ولو لم ترد في كتب اللغة بهذا المعنى وذلك لمشابهتها للفظة شَفَن العبرانية وهي بمعناها وكثيراً ما تبدل الشين بالعبرانية ثاء بالعربيَّة وبالعكس . ومن المحتمل ان عرب سينا اخذوا هذه اللفظة عن العبرانيين وبقيت شائعة بينهم الى اليوم . ولا اظن ان السيد ادّى شير مصيب في قولهِ ان لفظة الوبر فارسية الاصل فهذا الحيوان لا وجود لهُ في بلاد فارس ولا يوجد في اسيا سوى في الاماكن التي ذكرتها ولا يعقل ان العرب يأخذون عن الفرس اسماً لحيوان كثير الوجود في بلادهم ولا وجود لهُ في بلاد فارس وفضلاً عن ذلك فان وصف الوبر مضطرب في المعجمات الفارسية وهو الارنب في بعضها . وقد بحث علماء التوراة بحثاً دقيقاً في امر هذا الحيوان ولم يتركوا لنا مجالاً للريب في ان الوبر عند العرب نفس الحيوان المذكور في التوراة والمسمى وبراً في الزمن الحاضر وقد عُدَّ في التوراة من ذوات الظلف او الحافر فلا يمكن ان يكون الارنب واذا كانت لفظة الوبر اصلية في اللغة الفارسية فالوبر الفارسي خلاف الوبر العربي ولا علاقة بينهما سوى المشابهة في اللفظ

الدكتور امين المعلوف

دولة آل عثمان

٦

ختمنا المقال في الجزء الماضي بمقتل الملك الاشرف قانصوه الغوري في سهل دابق قرب حلب وزحف السلطان سليم على الديار المصرية . وقد نظم الشيخ بدر الدين ابو النجا الصوفي زجلاً يصف بهِ تلك المعركة وبوادرها ولواحقها وصفاً مسهباً يدل على احوال الناس في ذلك العصر فان المعركة حدثت في ايامهِ فوصف ما رآهُ وسمعهُ وذكر ما كان يتحدث بهِ اهل بلادهِ حتى ان مَن يقرأُ هذا الزجل يشعر انهُ في عصر الغوري يسمع ما يقولهُ الناس ويشعر بما يشعرون بهِ وقد بدأ الزجل بالشكوى من ابن عثمان (اي السلطان سليم) لانهُ منع التجار من جلب البضائع الى القطر المصري فقال نقلاً عن تاريخ ابن اياس

غربت شمس دولة الغوري ... وابن عثمان نجمو طلع ساير
وبهذا رب السما قد حكم ... والفلك دار ولم يزل داير
ابن عثمان باداه باخذ القلع ... ويمنع التاجر مع الجلاَّب
ان يجيبوا الى مصر مملوك ... ولا فروة بسمور ولا سنجاب
ولا وشق ولا ثعلب يجلبوا ... ومن الصوف ما عاد يجينا ثياب
على الصوف ياما قعدنا سنين ... ما يجي من عندو ولا تاجر
والامارة جوا للملك قالوا ... ابن عثمان باغي عليك جاير

∴

ضرب الكل بهم مشوره ... قالوا ملَّت منا القلوب والنفوس
نحن نخرج جميع لاجل القتال ... بالجنايب والسلاح واللبوس
ونجرد لنصرة السلطان ... نكسر الروم والاراضي ندوس
راهنوا بالنفوس وهم اقمار ... كل واحد بمجنو قاهر
ولا يدري ما خبي لهُ الغيب ... من تقادير القادر القاهر
خامس العشرين من ربيع آخر ... لتسعمائة اثنين وعشرين عام
كان خروج السلطان بتجريده ... لابن عثمان طالب بلاد الشام
والامارة في خدمته موكبين ... بالمماليك والطلب تتفاخر
وخروج الجميع من القاهره ... كان بتقدير الواحد القاهر

في محفه خرج معهُ القاضي كاتب السر المنتخب محمود
والخليفة المتوكل ولد يعقوب هو محمد فعلو الجميل محمود
وقضاة القضاة ومن معهم كاتب قد ابذل المجهود
دخلوا الشام اوكب فيهم موكب ما سمعنا موكب رئي مثله
ولا نالو ملك ولا سلطان في المواكب ولا احد قبله
ومن الشام خرج دخل في حلب وقطع من وعره الى سهله
وسليم شاه لما سمع اظهر ان طبعو منها بقي حاير
طلب الصلح ارسل لهم قاصد بالهدايا والملبس الفاخر
جو جواسيس الاشرف الغوري اعلموهُ انو عليهِ ماكر
قالوا احذر تركن الى صلحو واعلم انو خاين عليك غادر
حقق القول ومن حلب برز والعساكر معو لاجل القتال
وجد الروم مجهزين بالسلاح والتراكيش معمره بالنبال
ووقع بين العسكرين وقعه للفريقين شابت لها الاطفال
نصر الله المصري على الرومي وبخيلو اضحى عليهِ غاير
ولا يدري ما قد خبي في الغيب ولا يدري ما هو اليهِ صاير

ثم قال ما مفادهُ ان العسكر المصري اشتغل بنهب معسكر الروم فارتدَّ ابن عثمان عليهِ . ووصف مقتل الغوري وطلب من الله ان يكشف العار باخذ الثار "وبرد الكسره على الكافر" وغنيٌّ عن البيان ان هذا الزاجل ذكر ما جرى وعبَّر عمَّا كان يختلج في صدور قومهِ بلغتهم المألوفة

ولما بلغ المصريين ان السلطان سليماً اخذ الشام اوجسوا ان يزحف على مصر و يأخذها ايضاً فلجأُوا الى التوسل بالاولياء وفي ذلك يقول ابن اياس

يا ابن عثمان كفَّ عن اخذ مصر بلد شرفت بخير امام
حبرنا الشافعيِّ قطب وليٌّ نجل ادريس عمدة الاسلام
هي تدعى كنانة مَن غزاها قصم الله ظهرهُ بالحسام

ثم قال ما خلاصتهُ وجعل الملك الاشرف طومان باي يستعد لطوارق الحدثان ولا سيما بعد ان بلغهُ وصول الجنود العثمانية الى غزة واخذها فعرض عجلات من خشب تجرها ابقار وفيها رماة بالبندق الرصاص وكانت نحو ثلاثين عجلة او فوق ذلك وعرض جمالاً وفوقها مكاحل ورماة يرمون بالبندق الرصاص من المكاحل فوق ظهور الجمال وعرض طوارق خشب

للرماة بالنشاب فقوي قلب العسكر على القتال واظهر السلطان انهُ يخرج بنفسهِ الى قتال ابن عثمان واستحث بقية الامراء على الخروج بسرعة ولم ينفق على الامراء شيئاً وقال لهم اخرجوا قاتلوا عن انفسكم واولادكم وازواجكم فان بيت المال لم يبقَ فيهِ لا درهم ولا دينار وانا واحد منكم ان خرجتم خرجت معكم وان قعدتم قعدت معكم وما عندي نفقة انفقها عليكم

ويوم الاثنين في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ٩٢٢ خرج بعض المماليك السلطانية نحو المطرية فرأوا جماعة مقبلين من نحو بركة الحاج فلما قربوا منهم فاذا هم من جماعة ابن عثمان فقالوا لهم مَن انتم قالوا نحن قصَّاد من عند السلطان سليم شاه بن عثمان وكانوا نحو ١٥ وفيهم القاصد الكبير وهو رجل شيخ بلحية بيضاء وعليهِ ثياب مخملة ورأوا صحبتهم رجلاً من مصر يقال لهُ عبد البر بن محاسن كان كاتب الخزانة عند الاتابكي سودون العجمي فلما قتل وملك ابن عثمان حلب والشام تحشَّر فيهِ بواسطة يونس العادلي والسمرقندي فلما ارسل ابن عثمان هذا القاصد ما جسروا يجيئون من جهة غزة فان نائب الشام جان بردي الغزالي كان بالقرب من غزة يحاصر جماعة ابن عثمان الذين بغزة فبرطل القاصد بعض العربان بمال لهُ صورة حتى اتوا بهم من طريق الدرب السلطاني وطلعوا بهم من التيه واتوا بهم الى عجرود فما شعر بهم اهل مصر الا وهم في وسط المدينة . فلما صادفهم هؤلاء المماليك قبضوا على القاصد الكبير وعلى جماعتهِ وعلى ابن محاسن ووجدوا معهم ثلاثة من العربان فقبضوا على الجميع فبينما هم على ذلك اذ رأوا ثلاثة انفار من الاروام الذين في خان الخليلي قد اتوا اليهم وسلَّموا عليهم وباسوا ايديهم فقبض عليهم هؤلاء المماليك وقالوا لهم من اين علمتم ان هذا القاصد يجيء اليوم حتى اتيتم اليهِ ما انتم الاَّ جواسيس من عند ابن عثمان فقبضوا عليهم بعدما اشبعوهم ضرباً ..... ولما مثل عبد البر بن محاسن بين يدي السلطان شرع يطنب في اوصاف بن عثمان وفي تزايد عظمتهِ فمن جملة ما حكى عنهُ انهُ لما دخل الى حلب قطع في يوم واحد ثمانمائة رأس من جماعة اهل مصر من جملتهم خليفة سيدي احمد البدوي وآخرون من الاعيان ممن تخلفوا بحلب . واخبر ان عسكر ابن عثمان فوق الستين الفاً وانهُ خطب باسمهِ من بغداد الى الشام وان معاملتهُ ماشية من بغداد الى الشام وانهُ لما دخل الى الشام وملكها شرع في عمارة سور وابراج من القابون الى آخر مدينة دمشق ويقول ما ارجع حتى املك مصر واقتل جميع من بها من المماليك الجراكسة . واخبر ان ابن عثمان يحتجب عن عسكرهِ اياماً لا يظهر فيها ففي هذه المدة يقتل عسكرهُ خلقاً في المدينة ويجاهرون بالمعاصي وانهم لا يصومون شهر رمضان ويشربون فيهِ الخمر والبوزة ..... فلما اطنب ابن محاسن في اخبار ابن عثمان

حنق منهُ السلطان وقال لهُ انت جاسوس من عند ابن عثمان اتيت لتكشف اخبارنا وتطالعهُ بذلك فرسم بسجنهِ في البرج الذي بالقلعة . وقد قطع قلب العسكر بما حكاهُ

واضطربت احوال الديار المصرية واخذ كل احد حذرهُ من ابن عثمان وقالوا مثلما طرقتنا قصَّادهُ على حين غفلة كذلك هو يطرقنا ايضاً على حين غفلة فشرع الناس في تحصين اماكن في اطراف المدينة وجوانبها ليختفوا فيها اذا دخل ابن عثمان الى مصر

ثم ان السلطان نادى للعسكر ان اول النفقة يوم الاربعاء ٢٣ الشهر (ذي القعدة) فجلس في الحوش على الدكة وطلع العسكر لقبض النفقة فانفق عليهم لكل مملوك ثلاثين ديناراً وجامكية ثلاثة اشهر بعشرين ديناراً فرموا تلك النفقة في وجههِ وقالوا ما نسافر حتى نأخذ مئة دينار لكل مملوك فاننا لم يبقَ عندنا لا خيول ولا قماش ولا برك ولا سلاح فنزلوا كلهم من القلعة وهم على غير رضى فحنق منهم السلطان وقام عن الدكة وطلع الى المقعد وقال ما اقدر على مئة دينار لكل مملوك والخزائن فارغة من المال وان لم ترضوا بذلك فولوا عليكم من تختارونهُ في السلطنة وانا اتوجه الى مكة او غيرها من البلاد . فوقع في ذلك اليوم بعض اضطراب

وذكر ابن اياس اموراً كثيرة من هذا القبيل تدل على ان البلاد كانت فوضى ثم قال ان السلطان احتال على جمع المال ببيع ما في الخزائن من التحف والذخائر والصوف والسمور والبعلبكي وارضى المماليك فانفق على كل مملوك خمسين ديناراً وثمن اللحم والعليق المنكسر من خمسة اشهر وفرَّق الاموال على الفقراء في الزوايا والمزارات وقال لهم ادعوا بالنصر للسلطان وقرأ عدة ختمات عند الامام الشافعي والامام الليث

وفي الخامس من ذي الحجة وصل الامراء الذين نجوا من غزة وهم في اسوإ حال وذكروا عن ابن عثمان ان مع عسكرهِ رماحاً بكلاليب يخطفون بها الفارس عن فرسهِ ويلقونهُ على الارض . وذكر جان بردي الغزالي (الذي كان نائب دمشق) انهم رموهُ على الارض ولولا ان غلمانهُ قاتلوا عنهُ العثمانية لكانوا حزوا رأسهُ . وحكوا عن عسكر ابن عثمان انهم مثل الجراد المنتشر لا يحصى عددهم وان معهم رماة بالبندق الرصاص على عجلات خشب تسحبها ابقار وجاموس في اول العسكر

ورسخ في اذهان الناس حينئذٍ ان دولة الجراكسة قد آلت الى الانقراض وان ابن عثمان هو الذي يملك البلاد لكن السلطان بقي على عزمهِ وعرض الزردخانة في عيد الاضحى وهي مئة عجلة من الخشب وتسمَّى عند العثمانية عربات وكل عربة منها يسحبها ابقار وفيها

مكحلة نحاس ترمي بالبندق الرصاص ونزل من المقعد وركب وصار يرتب العجلات في مشيها بالميدان ثم انسحب بعد العجل مئتا جمل محملة طوارق نحو الف وخمس مئة طارقة ومحملة ايضاً باروداً ورصاصاً وحديداً ورماح خشب وقدام العجلات اربعة طبول واربعة زمور وقدامها من الرماة نحو مئتي انسان ما بين تركمان ومغاربة وبايديهم صناجق بعلبكي ابيض وكندكي احمر وهم يقولون الله ينصر السلطان وجماعة من النفطيّة ما بين عبيد وغيرهم يرمون بالنفط قدام العجلات

ووصف ابن اياس مرور هذا الموكب في شوارع القاهرة وقال انهُ اشيع حينئذٍ ان صاحب رودس ارسل الى السلطان الف رامٍ من جماعتهِ يرمون بالبندق الرصاص وارسل اليهِ عدة مراكب فيها بارود فوصلت تلك المراكب ثغر دمياط وهذه عونة من صاحب رودس الى سلطان مصر حتى يستعين بذلك على قتال ابن عثمان . ثم ثبت ان الاشاعة كاذبة

ووصلت الاخبار بان عساكر ابن عثمان وصلت الى بلبيس فاراد السلطان ان يخرج لقتالهم هناك فلم تمكنهُ الامراء من ذلك . قال ابن اياس ولو لاقاهم هناك لكان عين الصواب فان خيولهم كانت متعبة وهم في غاية التعب لانهم مشوا من حين خروجهم من الشام

وامر السلطان جنودهُ ان يبيتوا تلك الليلة قدام الوطاق وهم على ظهور خيولهم لابسين آلة حربهم وان لا يناموا الّا مناوبةً مخافة ان يهجم عليهم العثمانيون تحت جناح الليل . فلما قرب عسكر ابن عثمان من الخانكاه خرج منها غالب اهلها باولادهم وعيالهم وقماشهم واتوا القاهرة خوفاً على نفوسهم وكذلك غالب فلاحي الشرقية خوفاً من النهب والقتل وجعل عربان السوالمة يقبضون على كل مَن يصادفونهُ من العثمانية ويقطعون رأسهُ ويحضرونهُ الى بين يدي السلطان فيأمر بتعليقهِ في باب النصر او باب زويلة . ثم عرض العسكر بالزيدانية وهم لابسون آلة حربهم وعرض الامراء المقدمين والعشراوات وصار الى بركة الحاج ومعهُ الامراء والعسكر وعاد الى الوطاق وقدامهُ الطبول والزمور والنفوط فامتدت العساكر من الجبل الاحمر الى غيطان المطرية حتى سدّت الفضاء . ولما وصل ابن عثمان الى بلبيس امر السلطان بحرق الشون التي في بلبيس وما حولها حتى الشون التي في الخانكاه فاحرقوا التبن والدريس والقمح والشعير والفول

ويقال ان رجلاً اسمهُ ابرهيم السمرقندي من المدينة الشريفة طاف من بلاد العجم الى بلاد الروم وكان يعرف اللغة التركية ووصل الى مصر والتحق بالسلطان الغوري وصار من اخصائهِ فلما جرى للغوري ما جرى التفَّ على سليم شاه بن عثمان وصار من اخصائهِ . وقيل

انهُ هو الذي حسَّن لهُ ان يدخل مصر ويملكها ويستأصل الجراكسة منها واطمعهُ في ذلك واتى معهُ الى الديار المصرية فاحتال عليهِ بدوي واضافهُ وقطع رأسهُ واتى بهِ الى السلطان طومان باي وقال لهُ ماذا تعطي من يأتيك برأس ابرهيم السمرقندي فقال اعطيهِ الف دينار فاخرج الرأس من تحت برنسهِ فلما تحقق السلطان انهُ رأس السمرقندي اعطاهُ الف دينار

وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة وردت الاخبار ان جاليش عسكر ابن عثمان نزل بركة الحاج فاضطربت احوال مصر واغلق اهلها باب الفتوح وباب النصر وباب الشعرية وباب البحر وباب القنطرة وغيرها من ابواب المدينة واغلقت الاسواق وتعطلت الطواحين وقلَّ الدقيق والخبز من الاسواق ونادى النفير بالوطاق فركب العسكر قاطبةً وركب الامراء المقدمون والامراء الطبلخانات والعشراوات واجتمع من الصناجق نحو ثلاثين صنجقاً ومن المماليك السلطانية ومماليك الامراء والعربان نحو عشرين الف فارس وركب السلطان طومان باي وجعل يرتب الامراء على قدر منازلهم وصفَّ العسكر من الجبل الاحمر الى غيط المطرية ولم يقع في ذلك اليوم قتال بين الفريقين . وكان السلطان طومان باي قد نصب وطاقهُ في الريدانية وحصنهُ بالمكاحل والمدافع وصفَّ الطوارق ووضع عليها تساتير من خشب وحفر خندقاً من الجبل الاحمر الى غيط المطرية وجعل خلف المكاحل نحو الف حمل جمل من المليق لانهُ ظن ان القتال يطول بينهُ وبين ابن عثمان فجاء الامر على غير ذلك لان ابن عثمان اقام يومين في بركة الحاج ثم زحف يوم الخميس في التاسع والعشرين من ذي الحجة ووصلت طلائعهُ الى الجبل الاحمر وتلاقى الجيشان في اوائل الريدانية فكان بينهما معركة عظيمة اعظم من معركة مرج دابق وقتل من العثمانيين خلق كثير وقتل سنان باشا لالا ابن عثمان وكان اكبر وزرائهِ وانقسم العثمانيون فرقتين فرقة جاءَت من تحت الجبل الاحمر وفرقة هجمت على العسكر المصري عند الوطاق بالريدانية وطرشوهم (رموهم) بالبندق الرصاص وهجموا عليهم هجمة منكرة فقتل من عسكر مصر خلق كثير ومن الامراء المقدمين جماعة كبيرة ولم يكن الأ خمس عشر درجة (ساعة) حتى انكسر عسكر مصر وولى مدبراً وثبت السلطان طومان باي بعد الكسرة نحو عشرين درجة (ساعة وعشرين دقيقة) وهو يقاتل بنفسهِ في نفر قليل من العبيد الرماة والمماليك السلحدارية ولما تكاثرت عليهِ العساكر العثمانية خاف ان يقبضوا عليهِ فطوى الصنجق السلطاني ولاذ بالفرار

اما الفرقة العثمانية التي سارت من تحت الجبل الاحمر فانها نزلت على الوطاق السلطاني وعلى وطاق الامراء والعسكر ونهبت كل ما كان فيهما من قماش وسلاح وخيل وجمال وابقار

وغنمت المكاحل والطوارق والتساتير والعربات والبارود ولم تبق شيئاً ودخلت القاهرة عنوةً وسارت جماعة منها الى المقشرة واحرقت بابها واخرجت من كان فيها من المحابيس من العثمانية والديلم ووقع النهب في القاهرة وبولاق وفي ذلك يقول الشيخ بدر الدين الزيتوني

نبكي على مصرٍ وسكانها قد خربت اركانها العامره

واصبحت بالذل مقهورةً من بعد ما كانت هي القاهره

ويوم الاثنين سلخ سنة ۹۲۲ (۲۳ يناير سنة ١٥١٠) دخل القاهرة امير المؤمنين المتوكل على الله ومعهُ وزراء ابن عثمان والجم الكثير من العساكر العثمانية وملك الامراء خاير بك وقاضي قضاة الشافعية والقاضي المالكي والقاضي الحنبلي وكل هؤلاء كانوا في اسر ابن عثمان من حين مات السلطان الغوري . فلما دخل الخليفة من باب النصر شق القاهرة وقدامهُ المشاعلية تنادي للناس بالامان والاطمئنان والبيع والشراء والاخذ والعطاء وقد اغلق باب الظلم وفتح باب العدل وان كل من عنده مملوك جركسي ولا يغمز عليهِ وظهر عندهُ يشنق والدعاء للملك المظفر سليم شاه بالنصر. فضجّ لهُ الناس بالدعاء ولكن المناداة لم تجدِ نفعاً لان كثيرين جعلوا ينهبون البيوت بحجة انهم يفتشون عن المماليك الجراكسة واستمرَّ النهب والسلب ثلاثة ايام متوالية . ويوم الجمعة خُطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة وترجم لهُ بعض الخطباء في خطبتهِ فقال وانصر اللهمَّ السلطان ابن السلطان ملك البرين والبحرين وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين الملك المظفر سليم شاه اللهمَّ انصره [illegible] افتح لهُ فتحاً مبيناً يا مالك الدنيا والآخرة يا رب العالمين . وقال ابن اياس في ختام ذلك العام هذين البيتين

خُتم العام بحرب وكدرْ وجرى للناس غايات الضررْ

واتاهم حادث من ربهم كل هذا بقضاء وقدرْ

ثم قال ولما كثر العثمانية في القاهرة جعلوا يدورون في الحارات والازقة والاسواق وكل مَن رأوهُ لابساً زنطاً احمر وتخفيفة قالوا لهُ انت جركسي وقطعوا رأسهُ فلبس اولاد الناس كلهم عمائم حتى اولاد الامراء والسلاطين وابطلوا لبس التخافيف والزنوط من مصر. ويوم الاثنين ثالث المحرم دخل السلطان سليم القاهرة بموكب عظيم من باب النصر واستمرَّ سائراً حتى دخل من باب زويلة ثم عرَّج من تحت الربع وتوجه من هناك الى بولاق ونزل تحت الرصيف . ولما كانت ليلة الاربعاء خامس الشهر لم يشعر الاَّ وقد هجم عليهِ السلطان طومان باي بمن معهُ من العساكر واستمرَّ القتال الليل كلهُ واليوم التالي الى ما بعد المغرب . ثم نزل في جامع

شيخو العمري الذي بالصليبة وصار يكر على العساكر العثمانية . وانتشرت اجساد القتلى من بولاق الى قناطر السباع واعيدت الخطبة لهُ في القاهرة . واستمرت الحال على ذلك من فجر يوم الاربعاء الى يوم السبت ثامن المحرم وحينئذٍ تفرّق اتباعهُ عنهُ ولم يبقَ معهُ الاَّ نفر قليل فاركن الى الفرار وحلّت حينئذٍ المصيبة العظمى بالقاهرة فاحرق العثمانيون جامع شيخو والبيوت التي حولهُ في درب ابن عزيز واعملوا السيف في كل مَن وجدوهُ وطرحت الجثث في الطرق من باب زويلة الى الرميلة ومن الرميلة الى الصليبة الى قناطر السباع الى الناصرية الى مصر العتيقة فكان من قتل في هذه الواقعة من بولاق الى الجزيرة الوسطى الى الصليبة اكثر من عشرة الآف نفس في هذه الاربعة الايام . وقبض العثمانيون على نحو ثمانمئة مملوك وضربوا رقابهم

وصعد السلطان سليم الى القلعة بموكب حافل ومعهُ المماليك الذين طلبوا الامان وخرب اكثر الاماكن التي في القلعة وفك رخامها وبعث بهِ الى القسطنطينية

اما السلطان طومان باي فانهُ لجأ الى الصعيد وجيَّش الجيوش منهُ وكتب الى السلطان سليم يقول لهُ ذلك ان كنت تريد ان اجعل الخطبة والسكة باسمك واكون نائباً عنك في مصر واحمل اليك خراجها حسبما يقع الاتفاق عليهِ بيننا فارحل عن مصر انت وعسكرك الى الصالحية واحقن دماء المسلمين وان كنت لا ترضى بذلك فاخرج ولاقني في بر الجيزة ويعطي الله النصر لمن يشاء منا . فلما وقف السلطان سليم على ما كتبهُ السلطان طومان باي احضر امير المؤمنين (اي الخليفة) والقضاة الاربعة وجماعة من وزرائهِ وكتب صورة حلف الى السلطان طومان باي ووقع الاتفاق على ان الخليفة والقضاة الاربعة يذهبون بذلك الحلف اليهِ فذهبوا ومعهم قاصد السلطان سليم وبعض رجالهِ لكن الخليفة لم يذهب معهم بل ارسل نائبهُ فلما وصلوا الى البهنسا خرج عليهم جماعة من الجراكسة وقتلوا البعض منهم ونهبوا امتعة القضاة فاغتاظ السلطان سليم من ذلك ورأى ان لا سبيل الى الصلح فنقل وطاقهُ الى بركة الحبس وامر باحضار الامراء الذين طلبوا الامان وهم اربعة وخمسون اميرًا وضرب اعناقهم بثار قاصدهِ ورجالهِ الذين قتلوا في البهنسا . ثم عبر الى بر الجيزة لانهُ بلغهُ ان طومان باي وصل الى المنوات ومعهُ جيش كبير من العربان والمماليك الجراكسة . والتقى العسكران على وردان وقيل على المنوات وكان بينهما واقعة اعظم من واقعة الريدانية فدارت الدائرة اولاً على العساكر العثمانية ثم ارتدَّ هؤلاء وكسروا طومان باي ورجالهُ فلاذ بالفرار ولاقاهُ حسن ابن مرعي وشكر ابن اخيهِ من مشايخ البحيرة وطلبا منهُ ان يضيفهما ولم يكد يدخل منازلهما

حتى احتاطت بهِ العربان وقبضوا عليهِ ووضعوهُ في الحديد واتوا بهِ الى السلطان سليم فلما وقعت عينهُ عليهِ قام لهُ اجلالاً لكنهُ ابقاهُ عندهُ في الحديد الى يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الاول ثم أُركب على كديش وسير بهِ من برانبابه الى بولاق ومنها الى باب زويلة وشُنق هناك . وقد اسف عليهِ اهل مصر اسفاً شديداً لانهُ كان حسن الشكل كريم الاخلاق شجاعاً مقداماً ساس الناس احسن سياسة لما كان نائباً عن عمهِ السلطان الغوري ولما تسلط بعدهُ ابطل كثيرًا من المظالم

هذا وسنأتي على بقية اخبار السلطان سليم في الجزء التالي . وقد ابقينا على كثير من تراكيب ابن اياس والفاظهِ حيث لم نخشَ خفاء المعنى



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

المأمون ويحيى بن اكثم

حضرة الدكتور الفاضل منشئ المقتطف

قرأت في الجزء الثاني من مقتطف هذه السنة تقريظاً لكم على كتاب (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) فقلتم انهُ اعجبكم ما فيهِ من الفوائد الى ان وقع نظركم على احدى صفحاتهِ فانعكس الامر والقيتموهُ من يدكم مستغفرين الله مما كنتم نشرتموهُ في المقتطف من ترجمة المأمون . قائلين " اين احمد بك زكي مدرس تاريخ الحضارة العربيَّة في الجامعة المصرية يرى ما كان يفعلهُ خلفاء العرب وقضاة العرب وينصف التاريخ " قرأت هذا فتنسمت من خلال سطورهِ انكم لا تنقمون من احمد بك مبالغتهُ في وصف حضارة العرب وانتصارهُ على الحسن الجميل منها بل انكم تنقمون ايضاً ان يكون للعرب حضارة وقد نسب الرواة الى خلفائهم وقضاتهم ما نسبوا

وهذا هو موضوع عتابي . بل مثار عجبي واندهاشي

عجبت من جعل كتب الادب التي يقصد فيها عادة الفكاهة والاحماض — ميزاناً توزن بهِ رجال التاريخ . ويؤخذ عنها تراجم العظماء . ودهشت من جعل ما كان يفعلهُ خلفاء العرب وقضاتهم على فرض ثبوتهِ — آيةً على تجرّد العرب من الحضارة . ولو جعل آيةً على تجرّد اولئك الخلفاء والقضاة انفسهم من الفضيلة لكان اقوم قيلاً . واظهر دليلاً

فمن ثمَّ كان الحديث مع منشيء المقتطف الفاضل يتناول امرين : الاول ان نزوع عظماء الامة الى الملذات الجسدية لا ينفي ان يكون لتلك الامة حضارة راقية . والثاني تكذيب ما جاء في كتاب (ثمار القلوب) من نسبة الهنات الى المأمون وقاضيهِ يحيي بن اكثم . ونحن في بحثنا هذا لا نريد ان نفيد حضرة مناظرنا فائدةً يجهلها . او ان نحيلهُ على ما لا عهد لهُ بهِ من مسائل التاريخ واطوار الاجتماع الانساني . وانما نحب ان نحيلهُ على ما اختزن في ذاكرتهِ . وقد اذهلهُ عن تذكرهِ اغراق احمد بك زكي في وصف الحضارة العربية او الاسلامية . فنقول في الامر الاول : انهُ لا علاقة منافاة بين التفنن في الملذات مهما فحشت وبين الحضارة . فلا يحسن ان يقال ان الامة الفلانية لاحضارة لها لان رجالاً منها كانوا ذوي اميال فاسدة ويتعاطون من المنكرات ما قبح وسمج . نعم قد يكون تفشي الفواحش في الامم عاملاً على انحطاطها . واماطة حلية المدنية عنها " واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقَّ عليها القول فدمرناها تدميرا " — القرآن الشريف . فلو قال حضرة المنتقد الفاضل : ان ما كان يفعلهُ بعض الخلفاء والقضاة ادى الى ضعف الامة العربية . وانحطاط شأنها . والتواء امرها — لكان لهُ وجه . اما ان فعل اولئك الخلفاء والقضاة ينافي ان تنسب الى مجموع الامة العربية حضارة فهذا لعمري لا وجه لهُ . الاسترسال في اللذات والتفنن في تحصيلها اثر من آثار مدنيات الامم . ولا شيء من هذا الاثر في الامم ذات الهمجية . وكلما ارتقت مدنية امة ارتقى هذا الاثر فيها حتى يصبح اخيرًا ضربة قاضية يصيب مقاتلها فيصميها . اعتبر ذلك في الامم الغابرة . ولم تنجُ منهُ المدنيات الحاضرة . لولا ان قادة هذه المدنيات يحوطونها بشيء من التبصر وحسن التدبير من مثل تعميم علوم الصحة . وترتيب الاغذية . وفنون الرياضة الجسدية

ومدنية العرب في الاندلس وبغداد كان لها حظ وافر من التقلب في ضروب الترف والنعيم وصنوف الملذوذات الجسديَّة . وقد سارت فيها على آثار من تقدمها شبرًا بشبر وذراعاً بذراع : فقد جاء بعض السياح من الاندلس الى بغداد ليفحص حضارتها ويقارن بينها وبين

حضارة بلادهِ . فكان مما رآهُ فيها حمَّام لبعض امراء الخلافة . ثم وصف السائح الحمام ووصف حجرة فيهِ خاصة باغتسال الامير مع من يختارها من حظاياهُ وصفاً مدهشاً . ثم قال ان مترفي الاندلس على ما كان من امرهم لم يبلغوا هذا المبلغ في التورُّن وافانين التنعم

ولكنهم لما كشفوا في هذه الازمنة المتأخرة عن انقاض مدينة (بمباي) الرومانية وجدوا حجرة فيها لبعض غلاة مترفيها تحكي في وضعها وشكلها ونقشها حجرة اميرنا البغدادي

وليس من شرط المدنية الفاضلة ان يكون كل فرد من مشهوري رجالها طاهر الذيل كريم الخلوة . ولماذا يريدون هذا في حضارة العرب ولا يريدونهُ في حضارات الامم الاخرى

وانهُ ليبلغنا عن بعض ملوك اوربا وملكاتها لهذا العصر — دع عنك الاعصر الوسطى — وعن بعض رجال فرنسا ومترفيها المحنكين واغنياء اميركا وغرائبهم في تقحم الشهوات — يبلغنا عنهم ما يكاد ينكرهُ الساذج مثلي . ومنذ ايام حدثني زميل فاضل وقف على شيء من اسرار المعيشة الاميركية . ومارس بنفسهِ بعضاً من شؤونها : انهُ اذا استحكمت عرى المودة بين رهط من اغنياء الاميركيين المترفين كان لهم خلوات خاصة . يدعون اليها فتاة من فتيات اشتهرنَ بضرب من ضروب الرقص غاية في الخلاعة والمجون . بحيث لا يصدق ان قوماً خوطبوا بآية — من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبهِ — ينزعون الى مثل هذه الهنات . ولكن هي الشهوات والثروات والخلوات

اما ما يرويهِ لنا التاريخ القديم عما كانت تأتيهِ امة المتمدنة من افانين الفحشاء والمنكر فمن الغرابة بمكان . وقد قرأت في كتاب فرنسوي فصلاً ذكر فيهِ مؤلفهُ ما كان جرى بين ابن احد فراعنة مصر وبين ابنة رئيس الكهنة . مما يدل على ان الدين والمدنية في امة من الامم لا يمكن ان ينزعا الاميال الفاسدة من نفس كل واحد من ابنائها . اللهمَّ الَّا اذا نزعتها النفس نفسها . وربما ترجمت الفصل المذكور الى اللغة العربية ونشرتهُ في بعض اعداد المؤيد.

وهذه الخزاية التي تلطخ بها التمدن العربي وشوَّهت اسم بعض رجالهِ تلطخ بها التمدن اليوناني والروماني وتاريخ كثيرين من عظمائهِ : فلم يحكم على سقراط اشهر حكماء اليونان بالقتل لكونهِ ألحد في الآلهة فقط بل لانهُ افسد غلمان البلد ايضاً . وذكروا انهم لما اعطوهُ كاس السم ليتجرعهُ امسك الكاس بيد وجعل يعبث بشعر (السيبياد) عشيقهِ باليد الاخرى

وقد قالوا في يوليوس قيصر اقبح قول ووصفوا ميلهُ الفاسد بابلغ وصف . ومثلهُ في ذلك نيرون وادريان . وقلما يخلو متحف من متاحف اوربا من تمثال لانطونين عشيق ادريان المذكور فما عزي الى المأمون وقاضيهِ على فرض وقوعهِ لا ينافي ان يكون للعرب حضارة ذات

شأن . فما بالك اذا كان الخبر من اصله حديثاً مفترى . وهذا هو الامر الثاني الذي جئنا نعاتب عليهِ حضرة منشيء المقتطف الفاضل من حيث انهُ صدقهُ وبنى عليهِ حكمهُ الجائر

ذكر ثقات المؤرخين من عظمة الخليفة المأمون . وكبر نفسهِ . وعلو همتهِ . وطهارة اخلاقهِ . ما لا يجتمع قط مع هذه القاذورة التي اتهم بها . ولو صح ما قالهُ عنهُ صاحب كتاب (ثمار القلوب) لكان في الدرك الاسفل من الخسة والدناءة . واذكر ان بعض المحققين قال : انهُ ما كان يأخذ على المأمون سوى قولهِ بخلق القرآن . ولم يحملهُ على هذا القول الأ تعمقهُ في علم الكلام (اللاهوت) . ونسبة الفحشاء الى المأمون وقاضيهِ يحيى بن اكثم في البطلان كنسبة شرب الخمر اليهما : حتى زعموا ان القاضي سكر مرةً مع شربهِ فيهم الخليفة فأمرهم ان يدفنوهُ بالرياحين ففعلوا ثم افاق وانشد

يا سيدي وامير الناس كلهم قد جار في حكمهِ من كان يسقيني
إني غفلت عن الساقي فصيرني كما تراني سليب العقل والدين

يا سبحان الله : هل يعقل ان قاضياً وراوياً لحديث رسول الله مثل يحيى بن اكثم يقول وهو نشوان في حضرة اكبر خليفة ولأهُ اكبر وظيفة دينيةٍ — انهُ مسلوب العقل والدين !!!

وقد تناقل الرواة والقصاصون نسبة المعاقرة الى المأمون ويحيى حتى بلغت ابن خلدون فكذبها في مقدمة مقدمتهِ . وقال ان ما يعزى اليهما والى هرون الرشيد من المعاقرة لا اصل لهُ . وانما هم كانوا يشربون النبيذ . ولم يكن محظورًا عندهم (يعني لانهُ غير مسكر) . وقال ايضاً ثبت ان المأمون وقاضيهُ كانا يصليان الصبح جميعاً . فاين هذا من معاقرة الخمور . وارتكاب الفجور . وما ذكرهُ صاحب (ثمار القلوب) ظاهر عليهِ التردد والضعف : فهو تارةً يقول (يحكى) وطورًا (يقال) ومما استدل بهِ : ان المعتصم انما اتخذ الغلمان من الاتراك جنودًا لهُ اقتداء باخيهِ المأمون في الميل اليهم . مع ان محققي المؤرخين قالوا انهُ اتخذهم ليقاوم بهم عصبية الجند العربية التي ربما كانت تمالئ الخلافة العلوية . ومن التناقض البين ان صاحب (ثمار القلوب) قال في وصف يحيى "انهُ كان متقدماً في الفقه وآداب القضاة" ثم نقل بعد ذلك ما رواهُ الراوون عنهُ . فاي ادبٍ للقضاة مع هذه التهمة ؟ واذا ذكرنا لك ما قالهُ علماء الحديث في يحيى بن اكثم تبينت لك قيمة الخبر من الصحة وبتبع ذلك براءة المأمون نفسهِ لان مؤلف ثمار القلوب زعم ان يحيى هو الذي اغراهُ بهذا الشيء وزينهُ لهُ :

كان يحيى بن اكثم من كبار رجال الحديث . وقد خرج عنهُ الترمذي صحيحهُ . وروى عنهُ البخاري . واثنى عليهِ احمد بن حنبل . وذكرهُ ابن حبان في الثقات . اي عدهُ

في جملة رواة الحديث الذين يوثق برواياتهم . فاذا صدقنا بعد هذا كله ما قيل في يحيى نكون اسأنا الظن بهؤلاء الرجال من ائمة الحديث . وكذبناهم في اخص وظائفهم التي هي نقد رواة الحديث . وتمحيص اخبارهم . والكشف عن مساويهم . وهم لا يدوّنون اسم احد في الثقات ما لم يبلغوا الغاية في البحث والتنقيب فمن المستبعد جدًّا ان يؤدوا شهادة حسنة بيحيى . ويعدوهُ في الثقات الذين نتلقى عنهم احكام الدين وتعاليمهُ . ثم يكون امرهُ على الحالة التي وصفها القصاصون ورواها بعض الادباء في كتبهم . والثعالبي مؤلف (ثمار القلوب) مهما علت منزلتهُ في فن الادب فليست لهُ منزلة في فن الحديث . ونقد رجال الرواية . وما هو الأ أديب يحب الفكاهة . ويروي النكتة . ويدوّن كل ما لهُ علاقة بالشعر وفنون الادب . اما التمحيص والتحقيق فقد تركهُ للمشتغلين بهِ من علماء التاريخ والحديث

على ان هؤلاء لم يفتهم خبر تلك التهمة التي الصقت بيحيى . ولم يألوا جهدًا في تكذيبها وتسفيه رأي راويها : فقد قال ابن خلدون " وكذلك ما ينبذ المجان بهِ يحيي بن اكثم من الميل الى الغلمان بهتانًا على الله . وفريةً على العلماء . ويستندون في ذلك الى اخبار القصاص الواهية التي لعلها من افتراء اعدائهِ : فانهُ كان محسودًا في كمالهِ وخلّة (صداقتهِ) للسلطان . وكان مقامهُ من العلم والدين منزهًا عن مثل ذلك . ولقد ذكر لابن حنبل ما يرميهِ بهِ الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا ؟ وانكر ذلك انكارًا شديدًا . واثنى عليهِ اسماعيل القاضي (وهو من كبار رجال الحديث) فقيل لهُ ما كان يقال فيهِ . فقال معاذ الله ان تزول عدالة مثلهِ بتكذيب باغ وحاسد . واني ابرأُ الى الله من ان يكون فيهِ شيء مما يرمى بهِ . ولقد كنت اقف على سرائرهِ فاجدهُ شديد الخوف من الله . لكنهُ كانت فيهِ دعابة وحسن خلق فرمي بما رمي بهِ "

فدلّنا قولهم هذا على ان منشأ التهمة امران : وجود اعداء لهُ يحسدونهُ على تقربهِ من الخليفة . والدعابة التي فيهِ : فقد يفاكه غلامًا من كتّاب الدواوين لأثر حبر يراهُ في وجههِ مثلاً فيقول قائل ان القاضي يتعشق ذلك الكاتب حتى اذا وصل الخبر الى رئيس الديوان او غيرهِ من رجال قصر الخلافة وفيهم من يحسد القاضي ذكروا ذلك للخليفة . فيضحك الخليفة او يقطّب زجرًا للقائل . وعلى كل حال تعدّت التهمة اليهِ نفسهِ . فاذا بلغ الامر ابا نواس او غيرهُ من الشعراء شياطين النكتة اوغواة تلك الفاحشة نظموهُ شعرًا . وربما كان فيهم من يتعمد ترويجهُ في عقول الناس احتجاجًا بهِ على حسن فعلتهِ . واستقامة طريقتهِ وهكذا كل من ارتكب منكرًا . او اعتاد رذيلة . تراهُ احيانًا يتسقط اخبار الرؤساء

والفضلاء · حتى اذا توهم ان احداً منهم مبتلىً بما ابتلي بهِ هو اذاعهُ بين الناس : فالخائن والحقود واللئيم يسرهُ جدًّا ان يتهم كبار القوم بمثل ما اتهم هو بهِ · والمدمن يزعم ان فلاناً وفلاناً من الفضلاء يتعاطون الشراب سرًّا والمبتلي بالحشيش لا يقف عن هذا الحد بل يذهب الى ان الحشيش مما اكتشفهُ اهل الله وكبار رجال التصوف · وانهم يتعاطونهُ لاجل ان تصفو نفوسهم من الاكدار وتلحق بافق الملائكة الاطهار

فقد تحصل معنا كذب ما رواهُ الراوون عن المأمون وقاضيهِ كما تبين ايضاً ان هذه الرواية وامثالها مهما فرضنا صحتها لا تقدح في حضارة العرب ولا تنفي وجودها . واذا كان في هذه الحضارة ما يؤْخذ عليها كما اخذ على غيرها فان الكمال لله وحدهُ

القاهرة في ٧ مارس سنة ١٩٠٩ عبد القادر المغربي

[المقتطف] تدور رسالة حضرة المنتقد الفاضل على ثلاثة امور اولاً تنشمهُ من خلال سطورنا اننا ننقم ان يكون للعرب حضارة . والثاني نسبتهُ العيوب الى بعض العظماء ولا سيما الى سقراط كبير الحكماء لكي يستدل من ذلك على ان نزوع عظماء الامة الى الملذات الجسدية لا ينفي ان يكون لها حضارة راقية . والثالث وهو الاهم نفي ما جاء في كتاب ثمار القلوب عن نسبة الهنات الى المأمون وقاضيهِ يحيى بن اكثم

والامر الاخير هو الاهم و بهِ الغناء عن الامرين الاولين ولذلك نقدمهُ بالذكر ونقول اننا لما قرأْنا ما قرأْناهُ في كتاب ثمار القلوب لم يخطر ببالنا ان احداً نفى روايتهُ ولو خطر ذلك لنا لاشرنا اليهِ واظهرنا غيظنا من الثعالبي لذكرهِ هذه التهمة · ومن لا يغتاظ من نسبة امر قبيح مثل هذا الى مَن نعدهُ اساس النهضة العلمية العربية لا سيما وان الثعالبي من الثقات الذين يؤْخذ بقولهم لم يذكر القصة في معرض الريب بل ذكرها كأنها من الامور المتعارفة التي تضرب بها الامثال · ولا يخفى انهُ اذا تعادلت حجة الاثبات وحجة النفي فحجة الاثبات اقوى لان مَن حفظ حجة على مَن لم يحفظ · ولكننا اميل الى تصديق النافي في امر المأمون وقاضيهِ منا الى تصديق المثبت ونعتقد ان حجج النفي قاطعة في هذه المسألة · ولو اكتفى حضرة المنتقد الفاضل بتبرئتهما خلا كلامهُ من كل ما نؤَاخذهُ بهِ

والتعليل الذي اوردهُ لاصل هذه التهمة معقول ولكنهُ يبيض وجهين ويسوّد وجوهاً لانهُ حكم على الذين اتهموا المأمون وقاضيهُ انهم من مرتكبي ذلك المنكر ومعتادي تلك الرذيلة فتوهموا انهما مبتلَيَن بمثل ما ابتلوا هم بهِ

وعناية لنا على تصديقنا الخبر كان يصحُّ لو خلت كتب اللغة وكتب الادب وكتب التاريخ مما يعلمهُ ونعلمهُ . مَن فتح القاموس وقرأ صفحة فيهِ ولم يحمر وجههُ خجلاً ومن قرأ المستطرف وهو من نخبة كتب الادب ولم يرَ فيهِ من تلك الهنات بل الكبائر ما يحمرُّ منهُ جبين الادب . وان قيل ما علاقة ذلك بالحضارة قلنا هذه مسألة اخرى سنبحث فيها قريباً

الامر الثاني استشهاد حضرة المنتقد بمساوىء بعض الامم للاستدلال على ان الاسترسال في اللذات اثر من آثار المدنية . ولا ندري لماذا لا يقول انهُ داء يظهر في جسم المدنية فيميتها كما اشار الى ذلك اولاً وهب انهُ اثر من آثار المدنية فهل يؤخذ ذلك دليلاً على استحسانهِ اوعدم استهجانهِ او على تسويغ الاغضاء عنهُ ونحن نبحث عن اسباب ارتقاء الامم وانحطاطها . ولقد قال اننا لو قلنا ان ما كان يفعلهُ بعض الخلفاء والقضاة ادى الى ضعف الامة العربية وانحطاط شأنها والتواء امرها لكان لنا وجه . فان كان الامر كذلك افليس لنا ان نؤاخذ من يشرح مدنية العرب ولا يشير الى الهنات التي اضعفتها وحطَّت شأنها

واشارة المنتقد الى سقراط خطأ ادَّى اليهِ سوء الترجمة فان الكلمة التي ترجها بكلمة افسد غلمان البلد وترجمتها دائرة المعارف بافساد الاحداث معناها تضليل الاحداث او افساد اخلاقهم وآدابهم ولا تأتي هنا بغير هذا المعنى . وقد اوضح زينفون تلميذ سقراط كيف استدل خصوم سقراط على صحة هذه التهمة فقالوا انهُ " اولاً علم اتباعهُ ان يحتقروا قوانين البلاد ولاسيما الانتخاب بالقرعة . وثانياً عدَّ بين اصحابهِ كرسياس والسيادس واولهما من زعماء الحكم الاستبدادي والثاني من زعماء الحكم الجمهوري وكلاهما من اشد الزعماء خطراً . وثالثاً علَّم الاحداث ان يعصوا والديهم واوصياءهم وان يفضلوا سلطتهُ على سلطتهم . ورابعاً انهُ استشهد بابيات من هوميروس وهسيودس تضرُّ بالآداب العمومية والحكم الجمهوري " .

وما من احد قرأ عن سقراط الاَّ وهو يعلم انهُ من احكم الحكماء وافضل الفضلاء سيرةً وسريرة . ولكن هب انهُ كما فهم المنتقد وهب ان جمهوراً كبيراً من الملوك وقضاتهم كذلك فهذا لا يمحو وصمة العار عن المأمون ويحيى اكثم ان كان ما نُسب اليهما صحيحاً لان الاسودين لا يكونان ابيض كما يقول المثل الانكليزي . واستشهادنا بعيوب الغير تنصلاً من عيوبنا شنشنة قبيحة نجلُّ حضرة المنتقد عنها

ونأتي الآن الى الامر الثالث الذي قدَّمهُ المنتقد بالذكر وهو انهُ تنسَّم من خلال سطورنا "اننا ننقم ان يكون للعرب حضارة" وهو موضع عتاب كاتب هذه السطور ومثار عجبهِ واندهاشهِ فان المقتطف نوَّه بحضارة العرب وانشأ فيها الفصول الطوال قبلما ولد اكثر اصحاب القلم

من ابناء هذا العصر. ولما رأينا كتاب حضارة الاسلام في دار السلام لمؤلفهِ المأسوف عليهِ جميل المدور طبعناهُ على نفقتنا تنويهاً بحضارة الاسلام. وكلما رأينا اثراً من آثار تلك الحضارة اخذتنا هزَّة الطرب. وبالامس كان كاتب هذه السطور ماراً امام سواحل الاندلس فكادت العبرات تفيض من عينيهِ ومسك القلم ليصف ما شعر بهِ فكتب شعراً بدل النثر لشدة انفعالهِ قال

نصرَ الله امةً اذ تولَّى امرها العادلون بين الخلائق
قام صدّيقها باصدق امرٍ وتلاهُ الفاروق بالعدل فارق
وكماة في المكرمات تباروا وهم الاسدُ في صدور الفيالق
دوَّخوا الارض وطدوا الملك قاموا بفروض الكتاب تحت البيارق
ثم عزُّوا والملك صار عضوضاً فاستكنوا كأَنهم في حدائق
وتباروا في البذخ فالظلم فالايغال في ما يُعدُّ للملك ماحق
شمس عدل ضمَّت شعوباً فلما كسفت فرَّق الشعوب طرائق

وقال قبل ذلك

شمخ الروم قبل ذاك وجاروا هل اتاهم ان ليس للخلق خالق
واناخ الفساد والفرس جاسوا بحرة خانفين حتى الخانق
واذا الظلم والفساد اقاما نضب الحوض من حماة الحقائق

فلخص تاريخ الحضارة الاسلامية تلخيص من يعرف مقامها وبيَّن الاسباب التي نوَّضت اركانها كما قوَّضت من قبلها حضارة الروم والفرس

وان مَن يكتب تاريخ امة قامت وعزَّت ثم انحطت وضعف شأنها لا ينصف التاريخ ولا سامعيهِ اذا لم يذكر اسباب قيامها وعزتها واسباب انحطاطها وضعفها. وزبدة المقال ان المنتقد الفاضل احسن في دفاعهِ عن المأمون وابن اكثم واتى باحسن ما يقال في هذا الموضوع. واذا لم يكن للسطر الذي كتبناهُ من فائدة غير تنبيه حضرتهِ الى كتابة ما كتب في نفي هذه التهمة لكفى بها فائدةً. ولكنهُ لم يحسن في ما استنتجهُ من كلامنا لانهُ لا ينطبق على كل ما جاء في المقتطف منذ ثلاث وثلاثين سنة الى الآن ولا هو مرادنا ولا مقتضى ايرادنا والسلام

آمنت وصدّقت

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف المحترمين

ما جئت لاعترض على مقالة تنازع البقاء. غير ان صاحبها في آخرها يستأذنني من فضلهِ ان يجول معي — اذا سمح المقتطف — في موضوع اعدّ لهُ المعدّات منذ زمان طويل وحالت حوائل دون نشرهِ عنوانهُ "المادة والروح" فانا اشكرهُ على تفضلهِ واستئذاني والتمس منهُ ان لا يكلّف نفسهُ لاجلي هذا العناء

الدكتور
شبلي شميل

مصر في ٥ مارس سنة ١٩٠٩

الحالة المالية

استيضاح

حضرة الفاضل منشيء مجلة المقتطف الزاهرة

اولاً نشرتم في مقتطف الشهر الماضي مقالة شائقة عن الحالة المالية بالقطر المصري جديرة بالحفظ والادخار وحريّة بان يطالعها كل مصري ليعلم حالة قطرهِ في الحال والاستقبال وارجوكم ان تفيدوني عن امر اشكل عليَّ فهمهُ فيها وهو

قلتم ان الصادرات بلغت ٢١ مليون جنيه سنة ١٩٠٨ والواردات ٢٥ مليون جنيه فيكون العجز ٤ ملايين وان القطر يدفع ٧ ملايين فائدة دين الحكومة والاهالي فيكون المكسور على القطر ١١ مليوناً . ثم ذكرتم انهُ يلزم ان يضاف الى قيمة الصادرات ٤ ملايين فوق قيمة تقدير الجمارك ومليونان مما يحصل من السياح والسفن و ٣ ملايين مما تضيفهُ الحكومة على الثروة العمومية او بعبارة اخرى يضاف ٩ ملايين جنيه فيكون المكسور على القطر مليونين فقط لكن بينتم في الصفحة ٢٣٤ (من صحائف هذه المقالة) انهُ يجب ان يضاف على الصادرات (وهي ٢١ مليون) مبلغ ٦ ملايين (من فرق تقدير الجمارك و ٢ من السياح والسفن) فتكون الصادرات ٢٧ مليوناً وهذا صحيح ويطرح من الواردات ٣ملايين (ما تضيفهُ الحكومة على الثروة العمومية) فيبقى ٢٩ مليوناً مع ان هذه الواردات قيمتها ٢٥ واذا طرحنا منها ٣ يبقى ٢٢ مليون وبذا تزيد الصادرات عن الواردات (٢٧ — ٢٢) ٥ ملايين جنيه اي لا ينكسر على القطر شيء بل يكسب ٥ ملايين جنيه فما صحة ذلك

ثانياً — لا ينكر احد فائدة البضائع الوطنية وضرورة تشجيع الصناع والتجار الوطنيين

لكن ارى انهُ يجب عليهم ان يقلدوا الاوربيين في صنع وبيع البضائع الرخيصة غير المتينة حتى يسهل تداولها وتروج التجارة وتزيد حركة الاعمال والاَّ فما فائدة الاتجار بالبضائع التي تعيش طويلاً ولا تتغير. واضرب لذلك مثلاً . يصنع النساجون في الوجه القبلي من القطر المصري عباءات واحرمة تعيش العباءة منها ٥ او ٦ سنين والحرام ١٠ او ١٥ سنة فكيف يعيش صانعها او كيف يغتني مثل الاوربيين اذا كان الشاري (او الزبون) الذي يشتري منهُ حراماً هذا العام لا يعود اليهِ ويشتري منهُ آخر الاَّ بعد ١٠ اعوام او ١٥ عاماً

مشترك في المقتطف

مستفيد

[المقتطف] اولاً ان ما اشكل عليكم فهمهُ يتضح لكم مما يلي : —

(المصروفات) التي صرفها القطر ثمن وارداتهِ		٢٥ مليون جنيه	
يطرح منها ما هو باقٍ فيهِ كراس مال	٣		
فالباقي وهو المصروف الحقيقي		٢٢	مليون جنيه
يضاف اليهِ فوائد دين الحكومة والاهالي		٧	
فجملة المصروف		٢٩	" "
(الايرادات) ثمن الصادرات من القطر	٢١		
ما يضاف اليها فوق تقدير الجمارك	٤		
من السياح والسفن	٢	والمجموع ٢٧	" "
فالمكسور على القطر		٢	" "

ولم نقل في الصفحة ٢٣٤ انهُ يطرح من قيمة الواردات ٣ ملايين فيبقى ٢٩ بل قلنا ان صافي الخارج اي صافي ثمن الواردات مضافاً اليهِ ما تدفعهُ الحكومة والاهالي فائدة . لان هذه الاموال كلها خرجت من البلاد. والذي خرج من البلاد هو فائدة ديون الحكومة والاهالي اي ٧ ملايين وثمن الواردات مطروحاً منهُ ثلاثة ملايين اي ٢٢ مليوناً والجملة ٢٩ مليوناً

ثانياً اذا اعتبرنا الامة بما يفعلهُ زيد صانع العباءة وعمرو مشتريها فحكمكم صحيح اي ان زيداً يكسب ما يخسرهُ عمرو واذا لم يخسر عمرو شيئاً فلا يكسب زيد شيئاً ولكن الامة لا ينظر اليها هذا النظر بل تعتبر كجسم واحد او كشخص واحد . وهذا الشخص لهُ قوة

محدودة فاذا بذلها في عمل عباءة تقيم شهرًا وتتلف يكون اضاعها في شهر واذا بذلها في عمل عباءة تقيم عشر سنوات يكون قد استفاد منها عشر سنوات · والامة الراقية يعرف افرادها ان العباءة التي تقيم عشر سنوات افضل كثيرًا من التي تقيم سنة او بعض سنة فيشترون الاولى ويتركون الثانية واذا لم يكن جمهور افرادها كذلك فيجب ان نعلمهم حتى يصيروا كذلك· ولو عرف التجار انهُ لا يروج عندنا الاَّ البضاعة الخالية من الغش لاتونا ببضائع خالية من الغش فقط فيكون النفع منهُ للامة كلها · اما الحال الحاضرة فمآلها الخسارة والخراب

تعليم العربية

حضرة الفاضلين منشئي مجلة المقتطف الغراء

بينما كنت اسرح الطرف في رياض مقتطفكم الزاهر عثرت في باب المراسلة والمناظرة من عدد مارس على "مذهب جديد في تعليم العربية" لاحد الفضلاء وفيهِ وصف الداء والدواء في تعليم العربيَّة اي ذكر بعض الصعوبات وكيفية ازالتها حسب رأيهِ — والصعوبتان اللتان ذكرها اي امكان تشكيل الخط الغير المشكل على طرق مختلفة وعدم شيوع اللغة الفصحى هما بلا جدال من اكبر العقبات في تعلم العربية — اما الصعوبة الثانية فلا يمكن ازالتها الاَّ بعد تعميم التعليم وبعد ان تعلم اولاد كل طبقات الامة وتجعل اللغة الفصحى لغة الدرس والتدريس ولا بأس بعد ذلك اذا بقيت اللهجات المختلفة وكان للجميع ملكة التعبير عن الافكار باللغة الفصيحة — وهذا هو الحال في المانيا مثلاً فان نسبة اللهجات فيها الى اللغة الفصحى تكاد تكون كما هي الحال في العربية على أن الجميع هنالك يستطيعون متى ارادوا ان يتكلموا باللغة الفصيحة المكتتبة — وعسى ان يدنو الوقت لتنفيذ مواد التعليم في القانون الاساسي فيعم التعليم ويجعل الزاميًا في كل الممالك العثمانية

اما صعوبة تشكيل الكلمات فيمكن ازالتها بالدرس المتواصل والتمرين الكثير — وقد اقترح الكاتب الفاضل صرف النظر عن تعليم قواعد اللغة من صرف ونحو في "الفرق الاولية" الى استظهار الكثير من القرآن الكريم ومن اشعار العرب بعد الاسلام ثم تكليف الطلبة انشاء منشآت وتدريبهم على الخطابة — اما من جهة الامر الاول فاقول انهُ من المستحسنات ان يحفظ التلاميذ عن ظهر القلب بعض الفصول والآيات من الكتب المنزلة (القرآن عند المسلمين والتوراة والانجيل عند النصارى) وكذلك حفظ شيءٍ من الشعر والنثر ولكن لا يجوز على كل حال التثقيل على عقول التلاميذ فان الحفظ غيبًا يقتضي وقتًا كثيرًا وتعبًا شديدًا

يمكن صرفها في امور أخرى في التعليم وتكون الفائدة اكبر . وقد يورث التغيب الكثير التلميذ مللاً وضجراً يذهبان غالباً بكل لذة التعليم والمدرسة

ولست ادري كيف ينتظر حضرتهُ من " الفرق الاولية " ان ينشئوا منشآت ويخطبوا خطباً — ويناظروا بعضهم بعضاً قبل ان يتعلموا شيئاً من قواعد اللغة وهي من اصعب الامور فمن اين لهم الافكار والذوق والادراك والانشاء والمقالات والخطب — أليس الاجدر بنا ان نمرّن عقول التلامذة على الافتكار والتكلم بكل الوسائل الممكنة بواسطة الصور والحديث عن البيت والعائلة والحقل والبستان وهلمَّ جرّا — اوَ لا يليق بنا ان نمرّنهم على ابسط قواعد اللغة كما فعل المرحوم رشيد الخوري الشرتوني في كتابهِ " مبادىء العربية " ولماذا لا يمرّن الصغار في بعض مراد الصرف والنحو كالجمع المكسّر. ولِمَ لا يعوّدون النظر الى عدد أصول احرف الكلمة وما اشبه — ويحسن التدرج في تعلم قواعد اللغة حسب القاعدة المشهورة : من السهل الى الصعب ومن القريب الى البعيد ومن المعلوم الى المجهول ومن المألوف الى غير المألوف — وعلى كلٍّ يجب الانتباه الى القصد من تعليم اللغة في المدارس الابتدائية والى الوقت المسموح بهِ لذلك فليس القصد تخريج علماء في اللغة بل غاية القصد ان يفهم التلامذة ما يطالعونهُ في الكتب والجرائد والمجلات وان يتعلّموا كيفيَّة التعبير عن افكارهم بلغة صحيحة مهذبة مجتنبين الاغلاط الكتابية واللغوية

واما الانشاء في المدارس فلا يجوز ان يستهان بهِ فبعد ان تكون عقول التلامذة قد تمرّنت وصاروا يحسنون القراءة والكتابة وذلك قلما يكون قبل نهاية السنة الرابعة المدرسية يجب تدريبهم على كتابة انشاءات سهلة فصعبة فأصعب ولا بد من تصليحها وإلفاتهم الى اغلاطهم والى ما كان يمكن ان يكون التعبير بهِ اصح والكلام ابلغ

ولي كلمة في الختام على كتب القراءة المتداولة في المدارس الابتدائية — لا ينكر ان لهذه الكتب تأثيراً ليس بقليل في عقل التلميذ وآدابهِ واخلاقهِ وانشائهِ وذوقهِ فيجب بذل الهمة لجعلها صالحة لهُ ومهذبة اياهُ . قال المثل الالماني " الافضل والاحسن هو الحسن للاولاد ليس الا " واذا نظرنا الى كثير من كتب القراءة وصرفنا النظر عن الورق السخيف والتجليد الواهن نجد بين مقالاتها النفيسة مقالات تافهة ليس من ورائها نفع وقد نجد قطعاً تفوق كثيراً ما يدركهُ عقل الولد فيجب اختيار افضل ما كتب بالعربية نثراً ونظماً وما يناسب سن الاولاد وان يجتنب الكلم الوحشي غير المألوف ويبدل بكلام مألوف كثير الاستعمال — ويا حبذا لو نقحت هذه الكتب قبل اعادة طبعها وحذف منها ما هو غير نافع

وعوض عنهُ بما هو جزيل الفائدة وياحبذا لو أُعتني كل الاعتناء بطبعها ودقق كل التدقيق في تشكيل الكلمات في الكتب المشكلة منها لكي لا يعتاد التلاميذ تلفظاً مغلوطاً يكاد يستحيل اصلاحهُ في المستقبل ويا حبذا لو وضعت كل الحركات والسكنات والضوابط التي يؤْمن بها اللبس ولو كانت الكتب غير مشكولة عند التلفظ بها واصطلح على وضع علامات للاستفهام والنداء وما اشبه

ابرهيم مخائيل عطا



المعرض الزراعي الصناعي

افتتح سمو الخديوي المعظم المعرض الزراعي الصناعي يوم الاربعاء في الثالث من مارس بالاحتفال المعتاد . فابتدأ المدعوون الى الاحتفال رسمياً يفدون الى حديقة المعرض من الساعة العاشرة ونصف صباحاً وهم حضرات اصحاب الدولة امراء العائلة الخديوية وحضرات النظار ومستشاري الحكومة واكابر رجال المعية وسعادة محافظ العاصمة واعضاء الدومين وصندوق الدين وجناب السر الدن غورست وغيرهم من وكلاء الدول واكابر الاعيان والتجار ورجال الصحافة من وطنيين واجانب

وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً اقبل سمو الخديوي المعظم في موكبهِ الحافل وعن يسارهِ في مركبتهِ عطوفة بطرس باشا غالي رئيس النظار فصدحت الموسيقى بالسلام الخديوي وخف دولة البرنس حسين باشا كامل رئيس الجمعية الخديوية الزراعية وحضرات اعضاء مجلس اداراتها وغيرهم من اكابر رجالها فاستقبلوهُ بالاجلال والاكرام وحياهم سموهُ مصافحة وحيا كذلك حضرات البرنسات الفخام ووكلاء الدول ورجال الحكومة وغيرهم وتوجه الى دار المعرض حيث سار دولة البرنس حسين بمعيتهِ يشرح لسموهِ ما هو معروض فيها من محصولات القطر كالقمح والذرة والشعير والفول والارز وسائر انواع الحبوب والقطن على اختلاف اصنافهِ وقصب السكر والبنجر وبعض الحاصلات الحيوانية من لبن وجبن وزبدة وعسل وشمع وما شاكل . والخضر على اختلاف اصنافها وانواعها ومما استوقف الابصار هناك خصوصاً شجرتا قطن زرعتهما مصلحة الدومين في قطعتين متجاورتين من ارض واحدة

وخدمتهما خدمة واحدة من كل وجه ولكن الواحدة زرعت في ارض مصرفها عميق والاخرى في ارض ليست كذلك فنمت التي زرعت في القطعة الاولى اضعاف ما نمت التي زرعت في القطعة الاخرى وكان محصول الفدان من الارض ذات المصرف العميق ثمانية قناطير ومحصول الفدان من الارض الاخرى ثلثة قناطير فقط فالعبرة كلها بالري والصرف

وتوجه سموهُ بعد ذلك الى الصيوان الذي عرض فيهِ صنع الكسوة الشريفة وكان كل الصناع من الحاكة والمطرزين وغيرهم لابسين الطيالس المقصبة فوق ثيابهم المعتادة. وقد سر المشاهدون بعرض هذه الصناعة الجميلة المتقنة وشكروا عبد الله بك فائق مديرها على هذه الفكرة. ومما يستحق الاعتبار ان سر هذه الصناعة محصور الآن في شيخ جليل طاعن في السن وولديهِ لا يعرفهُ سواهم فهم يديرون العمل من حياكة ونسج وتطريز و يتوارثون هذا السر خلفاً عن سلف وهذا ليس من الحكمة ولا الصواب بل هو من الامور التي افقدت الشرق سر صنائع كثيرة بانقراض الذين كانوا حافظين سرها. وقد قيل لنا ان ذلك الشيخ عرض على الحكومة مرارًا ان يعلّم غيرهُ سر صناعتهِ اذا رتبت لهُ معاشاً يرثهُ ولدهُ من بعدهِ فلم يجب الى طلبهِ فيحسن بالحكومة تلافي هذا الامر بما يرغب الشيخ في تعليم كثيرين سر صناعتهِ. وقد رأينا نموذجات مما كان يصنع للكسوة في الماضي وما يصنع الآن وهو يفوق الماضي اتقاناً وجمالاً وحسن كتابة ولكن حرير هذه الايام ادنى من حرير الايام الماضية كثيرًا

وبعد ما طاف الجناب العالي باقسام المعرض الزراعي قسماً قسماً ودّع وعاد باليمن واقبال فوُدع بمثل ما قوبل من الاحتفال والاجلال وتم بذلك افتتاح المعرض

نظرة اجمالية

وقد تنقلنا في المعرض برهة مع جمهور المدعوين والقينا عليهِ نظرة اجمالية فوجدنا انهُ متقدم على ما سبقهُ من المعارض في القسم الصناعي خصوصاً ولكن المواشي والدواب المعروضة فيهِ اقل مما كان في المعرض الزراعي الاخير ولا غرابة في ذلك فعرض المواشي والدواب يقتضي نفقة كبيرة فلا يرغب فيهِ عامة الاهالي الَّا اذا نالوا منهُ عوض ما ينفقونهُ كأَن تعطى لهم جوائز نقود وهذا غير ميسور الآن فيكتفى بعرض المواشي في معارض الاقاليم

ومما يشرح الصدر في هذا المعرض خصوصاً معروضات الصنائع الوطنية ولاسيما معروضات المدارس الزراعية والصناعية ونحوها. فتلامذة مدرسة الزراعة المصرية يستقبلون المشاهدين بوجوه باشة ويعرضون عليهم معروضاتهم الزراعية المتعددة الاشكال ومدرسة محمد علي الصناعية بالاسكندرية عرضت معروضات على غاية بالاتقان من صنع تلامذتها وتلميذاتها

في التجارة وعمل الاثاث والحدادة وسكب الحديد والسروجية وصنع الاحذية وعمل الكراسي من الخيزران والتطريز البديع ومن جملة ذلك صورة جامع قايتباي وكلها من تطريز تلميذاتها ومدرسة الصنائع والفنون ببولاق ومدرسة الورش الصناعية عرضتا معروضات بديعة متينة من عملها · ومدرسة العميان عرضت مصنوعات متعددة الاشكال والالوان على غاية الاتقان · ومدرسة محفل الاتحاد بالمنصورة عرضت معروضات جميلة · ومعمل الجمعية الزراعية الكيماوي عرض معروضات عديدة

وقد عرض افراد الصناع والتجار وبائعو الآلات الميكانيكية معروضات عديدة كمحل الن والدرسن ومحل حسبو ومحل اورنستين وكوبل ومحل كوك ومحل هاجويان والكسندر يونغ ووابورات مكلارين وقصابيته ومحل سنجر صاحب آلات الخياطة وقد ارانا مديرهُ رسم الجناب العالي مصنوعاً بآلة خياطة من آلاتهِ وقال لنا ان المقطم انتقد رسم سموهِ الذي عرضناهُ منذ اربع سنوات واصاب في انتقادهِ فحملنا ذلك على الاعادة والتكرار حتى اتقنا هذا الرسم غاية الاتقان بفضل الانتقاد المصيب · وقد رأينا نولاً للخواجا حبيقه ينسج الحرير الكشمير نسجاً بديعاً · وشاهدنا من المعروضات الحريرية المصنوعة في المعامل الوطنية ما يعجز قلم البليغ عن وصفهِ وكذلك البسط والسجادات والمصنوعات الحريرية التي تصنع في معمل هركه الشاهاني وهي بديعة واعجبتنا العطور التي يصنعها معمل محمد التبراوي الماوردي · وكذلك مرشح شوقي الذي بيع منهُ للمحل الصحي في حلوان وآلة اطفاء الحريق المسماة مانيماكس وقد صنع حضرة ماريوس بك شميل آلة منها لعربية الجناب العالي · ومما يستحق الذكر ايضاً خصوصاً شمع الستيارين الابيض النقي الصلب الذي يصلح للبلاد الحارة وهو يصنع في معمل الكوكب المصري الذي انشئ في الحضرة منذ مدة غير طويلة وهو على اشكال مختلفة الى غير ذلك من المصانع والمصنوعات الكثيرة المقطم

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٩)

زراعة السلجم والخس والسمسم

يزرعون السلجم في مديريتي اسيوط وجرجا لاستخراج الزيت منهُ . فيبذرون "التقاوي" في الاراضي التي تروى مباشرةً بمياه الفيضان حالما تصرف المياه عنها

ويقيم السلجم في الارض ثلاثة اشهر فيقلعونهُ ويدقونهُ على البيادر بالنبابيت

ويلزم نحو ١٠ فعلة لقلع جنى الفدان في يوم و ٦ فعلة لدقهِ

ويذرّى السلجم وينظف وينقى كغيرهِ من الحبوب باجرة $\frac{1}{12}$ من الاردب لكل فدان ويجنى من الفدان بين ٤ و ٦ ارادب. وسوق هذا النبات لا تصلح الاَّ وقوداً. وكثيراً ما يتركها المزارعون على البادر فيجمعها فقراء الفلاحين لانفسهم

الخس — في انحاء طيبة الجنوبية وفي ما وراء قنا يستبدلون زراعة السلجم بزراعة الخس. فيزرعونهُ مع الشعير والعدس في الاراضي التي تروى بالراحة اومع الذرة في الاراضي التي تسقى بالآلات. في الحالة الاولى يمزجون $\frac{1}{4}$ اردب من " تقاوي " الخس مع اردب من حبوب العدس او الشعير. وفي الحالة الثانية يزرعون منهُ $\frac{1}{4}$ اردب في كل فدان ذرة وذلك قبل جنى الذرة بعشرين او خمسة وعشرين يوماً اي حين لا يبقى لزوم لإروائها

ولا يسقى الخس مطلقاً في مدة تفريخهِ. فيبقى ستة اشهر في الارض وحينما يدرك يقطعون رؤُوسهُ ويعرّضونها للشمس على البادر ستة ايام ثم يدقونها بالنبابيت

ويتراوح ريع الفدان من حب الخس بين اردبين وستة ارادب. وثمن الاردب منهُ في قنا ستة فرنكات

وتزهو زراعة الخس في ضواحي ادفو حيث يزرعون $\frac{1}{24}$ من الاردب في الفدان فيجنونهُ ٣٦ ضعفاً. ويباع الاردب منهُ هنالك بخمسة فرنكات

وكثيراً ما يستخدم الخس الاخضر علفاً للبهائم فيقل بذلك محصولهُ حباً

السمسم — يستخرج من السمسم شيرج صالح للاكل

وهو يزرع في جهات قنا من الوجه القبلي وفي جميع انحاء الوجه البحري

اما في جهات قنا فيحرثون الارض لزراعتهِ عدة مرات. وبعد ذلك يقسمون الارض الى مربعات على نحو ما يعمل في زراعة الذرة ويزرعون منهُ في كل فدان $\frac{3}{48}$ من الاردب. وتسقى الحقول " بالشادوف " ثلاثة اشهر. ويقوم الانفار الذين يزرعونهُ بنزع الاعشاب البريَّة من بين الزرع وبحصدهِ وقت ادراكهِ. فيلزم خمسة فعلة لجني محصول الفدان في يوم

وبعد حصدهِ بالمناجل يجمعونهُ حزماً يشدُّونها بحبل يحيط بها. وعندما تيبس رؤُوس السنابل التي تكون متجهة الى الاعلى يميلونها جانباً فتتناثر الحبوب من اوعيتها. واذا بقي شيء منها يعيدون الحزم الى سابق وضعها. وبعد ان تتعرض للشمس يومين او ثلاثة يعودون فيكفأُونها ويجمعون ما يتساقط منها من باقي الحب. فيستغلون من الفدان نحو ٦ ارادب

محمساً يباع الاردب منهُ بستة عشر الى تسعة عشر فرنكاً فضلاً عن السوق التي ينتفع بها وقوداً

اما في الوجه البحري فيخصصون لزراعتها اقرب الاراضي لمياه السواقي ويزرعون في كل فدان ١/٢٤ من الاردب بعد تغريق الارض جيداً بالماء عدة ايام . ويغطون "التقاوي" المزروعة بان يفلحوا الارض مرةً أخرى . ويسقونها من السواقي للمرة الاولى بعد زرعها بخمسة وعشرين يوماً ويعيدون سقيها كل عشرة ايام حتى يرتفع النيل فيقيمون على محيطها سداً صغيراً يثلمونهُ حيث يريدون جرَّ المياه الى الارض وقت لزومها . ويبقى السمسم في الارض خمسة اشهر اي لغاية اكتوبر . ويقتضي لجني الفدان عمل عشرة فعلة في يوم . وينقلون المحصول الى البيادر حيث يعرّضونهُ لحرارة الشمس شهراً يقلبونهُ في اثنائهِ يومياً ليبس جميعاً فيدقونهُ بالنبابيت الى ان يقع الحب منهُ

ويختلف ريع الفدان من ٤ الى ٥ ارادب وثمن الاردب من ٣٢ الى ٥٦ فرنكاً

زراعة القرطم

تتسع الارض لزراعة القرطم بين القاهرة واسنا غير انهُ لا يزرع في الفيوم ولا في الوجه البحري . ولزراعتهِ غايتان خاصتان احداهما الانتفاع بزهرهِ في الصباغة والاخرى استخراج الزيت من حبهِ

ويكثر زرعهُ في مديرية اسيوط حيث يزرعونهُ بذراً تارةً قبل حرث الارض وتارةً بعدهُ في اثلام يخطونها بالمحراث وفي هذه الحالة يزيد محصولهُ شيئاً يسيراً . اما فقراء الفلاحين فيزرعونهُ كالذرة في حفر يحفرونها بالاصابع . فتستغرق زراعة الفدان خمسة عشر يوماً يشتغل بها عامل واحد

ويبتدئ الازهار بعد ثلاثة اشهر من زرعهِ اي بين ١ و ٢٥ ابريل وفي بعض جهات طنطا يتأخر الى اوائل مايو . ويستخدم لكل فدان ١٢ الى ١٥ شخصاً من النساء والاولاد يجمعون في كل صباح ما يفتح من الزهر . وبعد ان يذبل الزهر في الظل يدقونهُ في هاون من خشب الى ان يصير بقوام العجين فيصنعون منهُ اقراصاً صغيرة يزن العشرة الى الخمسة عشر قرصاً منها جافة رطلاً

ويستخرج من زهر الفدان ثلاثة قناطير من هذه الاقراص التي تسمَّى بالعصفر (او الزعفران) يباع القنطار منها بين ٣٠ و ٦٠ فرنكاً تبعاً لجودتها ورواجها او كسادها

وفي مديرية جرجا يغشون معجون العصفر هذا بمزجهِ بدقيق الترمس فيخلطون رطلاً

منهُ بكل ستة ارطال من المعجون فتقلّ بذلك قيمتهُ . وافضل اقراص العصفر ما يعمل في طنطا و يتلوهُ اقراص اسيوط فالقاهرة

وخلافاً للمعتاد في اسيوط والقاهرة يزرع القرطم في انحاء طيبة وجرجا مع العدس ولذلك لا تزيد غلّة الفدان هنالك عن اردب ونصف

واشتهرت اسيوط بكونها مركز تجارة هذا الصنف فيصدر من اسواقها كميات وافرة الى القاهرة و بلاد العرب بطريق القصير

و بعد جني الزهر يتركون نبات القرطم في الارض الى ان ييبس فيقلعونهُ و يدقون الحب منهُ بالنبابيت فيجنون من الفدان الذي يكون قد قطف من زهرهِ اردبين او ثلاثة ارادب حبًّا . ويبلغ ريع الفدان الذي لا يجنى زهرهُ كما هي الحال في البلاد بين فرشوط واسنا نحو ستة ارادب حبًّا يباع الاردب منهُ من ٦ الى ١٠ فرنكات

اما سوق القرطم فتستعمل وقوداً يختلف ثمنها باختلاف الاماكن. فما يباع منها بفرنكين في اسيوط يباع بثمانية فرنكات في القاهرة

الهمّة والآفات الزراعية

يعجبنا من الفلاّح المصري اجتهادهُ في خدمة زراعتهِ فيثابر على الحرث والزرع والعزق والجني مثابرة مَن يعلم ان معيشتهُ متوقفة على زراعتهِ ولكن اذا عرضت آفة لمزروعاتهِ فاما انهُ لا يلتفت اليها او انهُ يجبن عن مقاومتها و يتركها تفتك بمزروعاتهِ امام عينيهِ كانهُ يسلّم للاقدار ولا يعوّل حينئذٍ على الاجتهاد والسعي كما عوّل عليها قبلاً

مررنا بالامس بزراعة كبيرة فيها القمح والفول والحلبة والبرسيم ورأينا فيها كلها من دلائل الاجتهاد ما يعود على المزارعين بالمدح ومن دلائل الاهمال ما يعود عليهم باللوم فالارض محروثة ومزروعة ومخدومة جيداً ولكن جوانب المراوي مثغورة حتى يتعذّر المشي عليها وقد نما الهالوك (خانق الذئب) بين الفول فكاد يهلكهُ ولو جمعهُ اصحاب الزراعة عند اول ظهورهِ وحرقوهُ لنجوا من شرهِ ولكنهم رأوهُ وتركوهُ كانهم حسبوا انهُ آفة الهية فلا تجوز مقاومتها . ورأينا بين القمح سنبلاً مضروباً بالارجوت وهو مادة فطرية سوداء كدقيق الفحم تتلف السنابل التي تقع فيها وتلصق بغيرها من حبوب القمح فتجعل لون دقيقها اسمر . وهو داءٌ موءذٍ والتخلص منهُ سهل جداً لانك قلما تجد في الفدان اكثر من عشرين سنبلة مصابة بهِ تجمع في عشر دقائق

ويجب ان يفهم الفلاحون ان المالوك والجدوار مضرَّان جدًّا وانهُ يجب ان لا يطرحا على الارض حين قلعهما ولا يرميا في مساقي الماء بل يجب ان يحرقا حتى تتلف بزورها

وممَّا يدخل في هذا الباب قلة الاعتناء بجسور الترع فان الفلاَّح يكسر جسر الترعة كما روى منها ويتحمل اشد المشاق هو وبهائمهُ في المشي عليهِ كل ذلك بخلاً ببضعة غروش ثمن بربخ من الخشب او الخزف وتراهُ اذا باع قطنهُ او قمحهُ للتاجر يتجاوز عمَّا ثمنهُ ريالات او جنيهات

طفي الشراقي

طلب البعض من اعضاء الجمعيَّة العمومية ان تأذن مصلحة الري لكل مزارع بالقدر الذي يحق لهُ من الماء وهو مخيَّر في استعمالهِ لري القطن او لري الذرة . والظاهر ان الحكومة لم تعبأ بهذا الطلب حتى الآن او لم ترَ وجهًا لاجابتهِ لان زراعة القطن يجب ان تقدَّم على كل زراعة اذ عليها يتوقَّف دفع الاموال الاميريَّة ولاسيما في الوجه البحري وعليها ايضًا يتوقف دفع ربا الديون المتراكمة على القطر وثمن الواردات كلها . ولكن ان صدق ذلك على الوجه البحري بنوع عام فهو لا يصدق على الوجه القبلي واذا فرضنا انهُ يصدق على الوجه البحري فرجال الري ليسوا ادرى بمصلحة الفلاَّح من الفلاَّح نفسهِ . ويمكن التوفيق بين طلب ارباب الزراعة وغرض رجال الري بتوزيع المياه بالقسط على زمام الاطيان وترك الخيار لارباب الزراعة ليزرعوا ما شاؤوا . وقد شرعت مصلحة الري في توزيع المياه حسب الزمام بانها امرت كل صاحب طين ان يضع ماسورة في الترعة التي يروي منها تكفي لري اطيانهِ فقط . وبلغنا من باشمهندس احدى المديريات انهُ لقي مشقة شديدة في اول الامر في اقناع اصحاب الاطيان بوضع هذه المواسير حتى اضطرَّهم الى ذلك اضطرارًا والآن توزع المياه هناك بالقسط . فاذا تمَّ توزيع المياه كذلك في كل المديريات وشُدِّدت المراقبة عليها لم يعد مانع من التصريح باستعمال المياه لري القطن او لري الذرة حسبما يشاء صاحبها . فاذا رأى ان ري القطن اربح لهُ لم يتلف قطنهُ لري الذرة واذا رأى ان ري الذرة اربح لهُ لم يفضل القطن عليها

ولم نكن نحسب ان تأخير اسبوعين في طفي الشراقي يؤثر كثيرًا في زراعة الذرة حتى قابلنا امس جماعة كبيرة من الفلاحين انفسهم في جهات مختلفة وسألناهم على انفراد عن زراعة الذرة وسبب ضعفها في العام الماضي فاجمعوا كلهم على ان سبب ذلك تأخير طفي

الشراقي اسبوعين فانهُ اضرَّ بالمحصول والضرر كبير جدًّا فالفدان الذي يبلغ محصولهُ عشرة ارادب عادة لم يبلغ محصولهُ اكثر من خمسة . اما اراضي الجزائر والسواحل التي تروى من النيل بواسطة الآلات مباشرة وقد اطفئت باكرًا فقد جاءت زراعتها على ما يرام وبلغ محصول الفدان فيها من عشرة ارادب الى عشرين اردبًا

ومتى تأخرت زراعة الذرة تأخرت زراعة القمح والفول بعدها وشمل التأخير المزروعات كلها ومن ذلك ضرر كبير في غالب الاحيان

فعلى اصحاب الاطيان من رجال الري ان يتدبروا ذلك ويسرعوا في تحديد المياه التي يمكنهم اعطاؤها للاطيان ويوزعوها عليها بالقسط ويتركوا لاصحابها الخيار في استعمالها على ما يرونهُ مناسبًا لهم

ولو كان اختيار مفتشي الري ومهندسيهِ في يدنا لاشترطنا على كلٍّ منهم ان يكون صاحب اطيان وان يشتغل بيدهِ في الزراعة بضع سنوات حتى يتعلم بالعمل ما يلزم للمزروعات من الري واوقات ريها . اما التعلم في المدارس الهندسيَّة ولاسيما المدارس الانكليزيَّة فلا يكفي لحاجة القطر المصري على الاطلاق . لان العلم النظري لا يغني عن العلم العملي ولاسيما في مصلحة الري

زراعة الاثمار

رأينا قبيل كتابة هذه السطور فكهانيًّا يخرج سباطات (اقراطًا) من الموز من صندوق كبير فسألناهُ عن نوع الموز فقال بلدي ولما رأى اننا ارتبنا في صدقهِ اعترف ان الموز اميركي اي من جزائر اميركا . وهذا ما ظنناهُ لانهُ مثل موز جاميكا الذي كنا نأكلهُ في اوربا . وقد انتبهنا منذ عهد طويل الى ان جانبًا كبيرًا من الموز الذي يباع الآن في عاصمة الديار المصرية وفي اكبر بلد زراعي واصلح البلدان لزرع الموز يؤْتى بهِ من جزائر الاوقيانوس الاتلنتيكي كما يؤْتى بهِ الى لندن وباريس وهذا مما يقضي بالعجب فان القطر المصري من اصلح البلدان لزرع الموز وهو يزرع فيهِ الآن وزراعتهُ رابحة جدًّا مثل زراعة كل انواع الفاكهة ولاسيما ما تنتجهُ البلاد الحارَّة والمعتدلة كالموز والبرتقال

قال المستر جونس احد تجار الانكليز وهو رئيس شركة السفن التجارية المعروفة بشركة دمبستر انهُ مرَّ بجزائر كناري مرةً فرأى فيها مستعمرة اسبانية اخذ الفقر من اهلها كل مأخذ لانهم كانوا يعيشون من زرع الصبير وتربية دود القرمز فلما صنع الكيماويون صبغ الانيلين

وبطل استعمال القرمز ساءت حالهم جدًّا فامسوا في فاقة شديدة ولم يخطر لهم ببال ان يلتفتوا الى زراعة اخرى يعيشون بها ورأى المستر جونس خصب ارضهم فاشترى كل ما قبلوا ان يبيعوهُ منها ووعدهم بانهُ يشتري منهم كل الاثمار التي يجتنونها وسلفهم نقودًا يستعينون بها على زرع البساتين وللحال ارتفع ثمن الارض حتى بلغ ثمن الفدان الف جنيه وبلغ دخل تلك الجزائر الصغيرة من الاثمار فقط مليون جنيه مع ان عدد سكانها لا يزيد على ٣٦٠ الف نفس

فاذا اتقن القطر المصري زراعة الاثمار التي تروج سوقها في اوربا كالموز والبرتقال والمجو والخضر التي تروج فيها اذا أُرسلت اليها باكرًا كالطماطم والبطاطس فلا يستحيل عليهِ ان يرسل اليها كل سنة من هذه الحاصلات ما يبلغ ثمنهُ بضعة ملايين من الجنيهات عدا عن انهُ يستغني بما يجني منهُ عما يرد اليهِ الآن من الخارج

وقد تقدَّم ان فدان الارض في جزائر كناري صار يساوي الف جنيه بعد ان يئس اصحابهُ من اكتساب شيء منهُ وكادوا يموتون جوعًا ولم يعلُ ثمنهُ كذلك الّا لان ريعهُ زاد كثيرًا فصار يستحق هذا الثمن . ولا شبهة ان تربة القطر المصري والقطر السوري لا تقلُّ جودة عن تربة جزائر كناري والسكان ليسوا اقل همة من الاسبانيين سكان جزائر كناري وان خيف من الآفات التي تعتري البساتين احيانًا كآفة الليمون فالحكومة الساهرة على مصلحة بلادها تجد سبيلاً للتخلص منها ولذلك يحق لنا ان ننتظر ان الاراضي التي تزرع اشجارًا مثمرة او تعد لزراعة الخضر يصير فدانها يساوي الف جنيه اي يصير ريع الفدان منها نحو مئة جنيه في السنة . وقد بلغنا ان لبعضهم احد عشر فدانًا قرب ميت غمر مزروعة جنائن وايجارها السنوي نحو الف جنيه . واخبرنا احد الاصدقاء انهُ زرع دوالي العنب في مكان قريب من دمنهور فلم يكد عنبها ينضج حتى اشتراهُ اهالي البلاد المجاورة وبلغ متوسط ثمن الاقة غرشين وهو ثمن غالٍ جدًّا للعنب اذا بيع في ارضهِ واذا هبط الى ربعهِ بكثرة المزروع من العنب يبقى منهُ ربح كبير جدًّا . واذا كثر حتى زاد عن المقطوعية صنع منهُ الزبيب والخمر وقس على ذلك التين والمشمش والبرقوق فانهُ يمكن تقديدها كلها اذا زادت عن المقطوعية او تعذر تصديرها الى الخارج ومن هذا القبيل الليمون الحامض فانهُ يمكن تكثيف عصيرهِ او تجميدهُ واصدارهُ الى اوربا

ولا يخفى انهُ لا يتيسر الاكثار من زرع الجنائن دفعةً واحدةً بل لا بدَّ من السير في ذلك حسب مقطوعية البلد وحسب الطرق التي تستعمل لنقل الاثمار ونحوها الى اوربا وتكثير سكك الحديد الواسعة او الضيقة في القطر المصري كلهِ حتى لا تبقى صعوبة في النقل بسرعة



تجارة مصر الخارجية (1)

اهدت الينا ادارة عموم الاحصاء تقريرها السنوي الاول عمّا دخل مرافئ القطر المصري وخرج منها ومرّ بها من البضائع والركاب . ويظهر منهُ ان عدد السفن التجارية التي دخلت موانئ القطر المصري في العام الماضي لتفريغ شحنها وركابها فيها ٣٢٤٥ سفينة وقد فرّغت من الشحن ٤٠٣٤٣٨٠ طناً ومن الركاب ١٢٥٤٠٧ . واكثرها دخل ميناء الاسكندرية ويتلوهُ ميناء بورت سعيد فالسويس فالطور . والسفن التجارية التي دخلت ميناء الاسكندرية ٢١٢٧ والتي دخلت ميناء بورت سعيد ٨٧٩ والتي دخلت ميناء السويس ٢٤٣ والتي دخلت الطور ٩٥

والسفن التي خرجت من هذه الموانئ في خلال السنة الماضية ٣٣٦٢ اخذت معها من الشحن ١١٥٦١١٢ طناً ومن الركاب ١١٦١٩٨ واكثرها خرج من ميناء الاسكندرية فبورت سعيد فالسويس فالطور

اما السفن الشراعية التي دخلت موانئ القطر المصري فبلغ مجموعها ٢٠٤٤ ومحمولها كلها ٢٢٢٦٦٨ طناً والتي خرجت منها ٢٠٠١ محمولها ٢٢٨٩٧١ طناً

والسفن التجارية والشراعية المذكورة آنفاً لا تشمل السفن التي مرّت ببورت سعيد وانزلت شحناً او ركاباً بقصد مروره الى بلاد اخرى (ترنست) ولا السفن التي مرّت ببورت سعيد ولم تنزل شحناً ولا ركاباً

اما السفن التي مرّت بقنال السويس في العام الماضي فبلغ مجموعها ٣٧٢٧ سفينة وصافي محمولها ١١٣٥٧١٧٩ طناً وهي لامم مختلفة كما نرى في هذا الجدول وقد ذكرنا فيهِ صافي محمول سفن كل امة على حدتها

(1) Shipping, Cargo and Passenger traffic in the ports of Egypt and Suez Canal transit for 1908.

بريطانيا	٦٨٥٨٦٩٥	دنمارك	٧٠٦٥٥
المانيا	١٩٢٧٦٣٤	اسبانيا	٦٤٨٨٤
فرنسا	٠٧١٤٧٢٩	نروج	٤٨٧٧٠
هولندا	٠٦٦٠٠٤٥	تركيا	٢٦٦٤٠
النمسا	٠٣١٤٧٩١	اليونان	٠٨٩٠٠
اليابان	٠٢٥٧٦٢٥	اميركا	٠١٢٥٢
روسيا	٠٢٠١٣١٥	امم اخرى	٣٧١٤٤
ايطاليا	٠١٦٤١٠٠	والمجموع	١١٣٥٧١٧٩

مساحة القطر المصري

THE CADASTRAL SURVEY OF EGYPT

لم يشأ الكبتن ليونس ان يودع القطر المصري قبل ان يتحفهُ بكتاب مسهب عن اعمال المساحة التي عملت فيهِ من قديم الزمان الى الآن. وقد نشر الكتاب بالانكليزية لكنهُ ترجم الى العربيةَ وهو يطبع بها الآن وهذا امرٌ طالما تمنيناه كلما رأينا كتاباً انكليزياً من كتب مصلحة المساحة

وقد جاء في هذا الكتاب ان كثيرين اهتموا بمساحة اراضي القطر المصري في ازمنة مختلفة من عهد المصريين القدماء الى زمن سعيد باشا بين سنة ١٨٥٣ وسنة ١٨٥٩ ولكن المساحة الاخيرة التي شُرع فيها سنة ١٨٧٨ ولم تزل جارية الى الآن هي المساحة الوحيدة التي صنعت فيها خرائط للاراضي الممسوحة حوضاً حوضاً

والمساحات الحديثة حدثت في الاوقات التالية على ما في هذا الكتاب

الاولى بين سنة ١٨١٣ و ١٨٢٢ على يد المعلم غالي والمسيومازي الايطالي ورسمت فيها خريطة ٦٠ قرية في الشرقية

الثانية سنة ١٨٥٣ على يد بهجت باشا

الثالثة سنة ١٨٦١ وهي مساحة طوبوغرافية على يد محمد باشا الفلكي

الرابعة من سنة ١٨٧٨ الى ١٨٨٨ لجزء من البحيرة والغربيةَ والمنوفية والقليوبيةَ والفيوم

الخامسة سنة ١٨٩٢ وما بعدها لسائر جهات القطر

وفي الكتاب فوائد جمة تتعلق بمساحة الاراضي والمقاييس المستعملة فيها وقد جاء فيهِ ان مقاييس المصريين القدماء كان مبدأها القبضة وهي اربع اصابع وفوقها الراحة وهي قبضة وربع والفتر وهو ثلاث قبضات والشبر وهو ثلاث قبضات ونصف قبضة والعضد وهي خمس قبضات والذراع القصيرة وهي ست قبضات والذراع الطويلة وهي سبع قبضات . وطول القبضة ٧٥ مليمترًا. الأ ان طول الذراع الطويلة لم يكن واحدًا دائمًا كما يظهر من مقاييس النيل الباقية الى الآن في جزيرة انس الوجود وجزيرة اصوان وهيكل ادفو وهيكل اسنا وهيكل لقصر . واطولها ٥٥ سنتمترًا واقصرها نحو ٥٤ سنتمترًا وكذا الذراع القصيرة فان اطولها ٥٢ سنتمترًا ونصف سنتمتر واقصرها ٥٠ سنتمترًا

اما القصبة فاختلف طولها فقد قال محمد باشا الفلكي انها كانت في عهد الرومانيين تساوي ٣ امتارو ٩٤ سنتمترًا وان القصبة الهاشمية تساوي ٦ اذرع و ١٨ قيراطًا بالذراع الهاشمية او ٣ امتار و ٨٨٤ مليمترًا وقال المسيو جومار انهُ وُجدت قصبة في جامع بالجيزة زمن الحملة الفرنسوية طولها ٣ امتار و ٨٥ سنتمترًا. ثم جُعل طول القصبة ٣ امتار و ٦٤ سنتمترًا في زمن محمد علي . وفي ١٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٧ (١٨٦١ م) امر سعيد باشا ان يكون طول القصبة ٣ امتار ٥٥ سنتمترًا وان تكون مساحة الفدان ٣٣٣ قصبة مربعة و ⅓ قصبة وهو الجاري الى الآن وتعتبر مساحة الفدان الآن ٤٢٠٠ متر مربع و٠٫٨٣٣ من المتر

وكان القدماء يجرون على طريقة تقريبيَّة في مساحة الارض كما يفعل المساحون الآن اي انهم كانوا يحسبون الارض ذات الاربع الجوانب قائمة الزوايا ويضربون متوسط الضلعين المتقابلين في متوسط الضلعين الاخرين المتقابلين. واذا كانت الارض مثلثة كانوا يستخرجون مساحتها بضرب ساقها في قاعدتها واخذ نصف الحاصل كأنها قائمة الزاوية واذا كانت كثيرة الاضلاع كانوا يقسمونها الى مثلثات ولا يخفى ان هذا العمل لا يصحُّ الأ اذا كان المثلث قائم الزاوية. وقد بلغت مساحة الاطيان الزراعية في القطر المصري على ما قالهُ المقريزي ٢٢٦٣٥٠٠ فدان اي اقل من نصف مساحة الارض الزراعية الآن

والكتاب كبير فيهِ اكثر من اربع مئة صفحة وكثير من الخرائط والرسوم البديعة

المدارس في القطر المصري

نشرت ادارة عموم الاحصاء كتابًا كثير الجداول والارقام قالت انهُ كشف احصاء التلامذة في المدارس العمومية والخصوصية في القطر المصري من سنة ١٩٠٧ الى ١٩٠٨

وقد اشرنا اليهِ في مقالة خاصة في هذا الجزء وهو مطبوع بالانكليزية والعربيَّة ايضاً ولا غناء عنهُ لمن يبحث في تقدم القطر المصري من حيث نشر العلوم والمعارف

التقرير الثالث

لدور البحث العلمي في الخرطوم

THIRD REPORT OF THE WELLCOME RESEARCH LABORATORIES AT THE GORDON MEMORIAL COLLEGE, KHARTOUM.

هذا التقرير او الكتاب اثر نفيس للبحث العلمي الذي قام بهِ علماء الانكليز في بلاد السودان هم والذين ساعدوهم في ذلك من رجال الحكومة وغيرهم

ومدار التقرير على الامراض والآفات التي تعتري الناس والحيوانات والنباتات في بلاد السودان وعلى كل ما يتعلَّق بالصحة العمومية . ففيهِ بحث مستفيض مثلاً في داء النوم ومرض المواشي . والاحوال الصحيَّة في الخرطوم والافاعي السامَّة والحشرات الضارة بالانسان والحيوانات التي تضرُّ بالمزروعات والاشجار . وطرق العلاج المستعملة عند الاهالي في بلاد السودان وكيمياء الصمغ العربي ونحو ذلك من المباحث التي تعود بالنفع على بلاد السودان

وفي هذا التقرير كثير من الرسوم الملونة بالوان بديعة تمثل جراثيم الامراض بالوانها الطبيعيَّة او كما ترى بالميكرسكوب وتمثل الحشرات المختلفة عدا رسوم الاهالي التي يستدل منها على سحنتهم والبستهم وما اشبه . وقد اطلعنا على كثير من تقارير الحكومة الانكليزية والاميركية فلم نرَ فيها ما هو اجمل طبعاً واكثر اتقاناً منهُ

والتقرير بالانكليزيَّة كما لا يخفى ولو ترجم الى العربية ولو تلخيصاً لكانت منهُ فائدة كبيرة لقرائهِ من سكان هذا القطر والقطر السوداني علماً وعملاً . مثال ذلك انهُ يصف الافاعي السامَّة ويرسم رسومها فاذا ترجم هذا الفصل الى العربية تلخيصاً ورسمت فيهِ الرسوم ارشد القراء الى تمييز الافاعي السامَّة وتجنبها . وكذلك فصل الحشرات المضرة بالزراعة فانهُ كبير الفائدة ويؤْخذ منهُ ان الجراد اضرَّ في بزراعة بربر سنة ١٩٠٦ بما يساوي ثلاثين الف جنيه . وربما لخصنا فصلاً او اكثر من فصول هذا التقرير في بعض الاجزاء التالية . هذا واننا نسدي وافر الشكر للدكتور بلفور الذي عني بجمع هذا التقرير ونشرهِ

كتاب مطالع الاضواء
في مناهج الكتاب والشعراء

لم يمرَّ بنا شهر جاءَنا فيهِ من الكتب المفيدة ما جاءَنا في هذا الشهر فكتاب الكبتن ليونس عن اعمال المساحة في القطر المصري وكتاب الدكتور بلفور عن المباحث العلمية في السودان وكتاب مطالع الاضواء هذا من الكتب العميمة الفائدة الدائمة النفع

وكتاب المطالع موضوع لتعليم الانشاء على اسلوب مطابق لحاجة هذا العصر فترى قواعد المعاني والبيان والبديع مفصلة فيهِ احسن تفصيل على طريقة السوءال والجواب. وقد قال موءلفهُ في التمهيد الذي مهدهُ لهُ ان الآلات التي يحتاج اليها المنشىءُ غير القريحة المولدة هي اولاً معرفة المتداول من اللغة المأنوس استعمالهُ من فصيح الكلام. ثانياً معرفة علم العربيَّة من صرف ونحو. ثالثاً معرفة تواريخ الامم والدول وتراجم العلماء والمشاهير. رابعاً معرفة وصف البلاد (الجغرافية). خامساً حفظ الجيد من كلام الكتَّاب وقصائد الشعراء. سادساً معرفة علم البيان. وحبذا لو اضاف الى هذه الآلات او الاصول آلة اخرى وهي معرفة مبادىءِ العلوم الطبيعية والرياضية لانها هي التي تغني المنشىءَ بالمادة المعنوية وتعصمهُ مما يحطّ من مقام الانشاء مهما كان بليغاً. فمن انشأ مقامة تفوق مقامات الحريري فصاحةً وقال فيها ان الارض اكبر من الشمس ومن نظم شعراً يزري بشعر المتنبي وقال فيهِ ان التراب عنصر بسيط سقط انشاوءُها ونظمها في عيون الخاصة كما يسقط انشاه من يقول ان البرامكة نكبوا في عهد الامويين وان تهامة في وادي النيل ولذلك كان لاشعار تنيسن المقام الاسنى عند الانكليز لانهُ جارى كل الحقائق العلمية المعروفة في عصرهِ فاذا اشار الى شيءٍ في الجيولوجيا او المتيورولوجيا او البيولوجيا او الكيمياء او الاقتصاد السياسي ذكرهُ على حقيقتهِ كما يذكرهُ ارباب هذه العلوم. ويلي قواعد المعاني والبيان والبديع خاتمة مسهبة كان الواجب على طابع الكتاب ان يفتتح بها صفحة جديدة لا ان يضع بداءتها في ذيل صفحة اخرى حتى لا يهتدي اليها الاَّ من يفتش عنها. وفي هذه الخاتمة فصول كثيرة تتناول مواضيع مختلفة لكنها مرتبطة كلها بعلم الانشاء اي بتعليم الطالب كيف يصير قادراً على الانشاء البليغ وهاك فصلاً من هذه الفصول انموذجاً لها وهو فصل طبقات الكلام

س هل الكلام البليغ طبقةٌ واحدة ام هو طبقات

ج ان الكلام المستوفي شروط البلاغة ثلاث طبقات · طبقة ساذجة · وطبقة مزخرفة · وطبقة عالية

س ألا يختلط بعض هذه الطبقات ببعض

ج بلى فقد تجد في الكلام الساذج عبارات من المنمّق المزخرف ومن العالي

س بأيّ اعتبار يُقسم الكلام الى هذه الطبقات الثلاث

ج باعتبار المعنى واختلاف وجوهه وباعتبار سبك العبارة وصياغتها وباعتبار مناسبة التعبير للمادة التي يدور عليها الكلام

س ما الكلام الساذج

ج ما كان مألوف النظم خالياً من تكلف التحسين صحيح المعنى مستقيم التركيب فهو كالمائدة النظيفة تقدَّم عليها الاطعمة الطيبة بآنية ساذجة نقيّة . فأيٌّ من سمعهُ يعتقد انهُ هيّن عليهِ ولكن متى كلف نفسهُ محاكاتهُ رأى يدهُ قاصرةً عنهُ ولذلك قيل لهُ السهل الممتنع

س أيّة المقامات تقتضيهِ

ج يقتضيهِ مقام القصص والاساطير والحكايات والقصائد الزهريّة والمراثي والرسائل والخطب والمحاورات العامة والكتب العلميّة · وفي الجملة فهو مقتضى كل مقام لا يهمّ المنشئ فيهِ الاّ ايصال معناهُ الى فهم السامع من اقرب سبيل كالمناشير وصحف الاخبار التي توجَّه الى كل طبقات البشر

س ألا اذكر لي مثالاً لهذه الطبقة من الكلام البليغ

ج اليك قطعة من ترجمة الحريري

«هو ابو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحرامي كان احد أئمة عصرهِ ورُزق الحظوة التامة في عملهِ المقامات وقد اشتملت على كثيرٍ من بلاغات العرب في لغاتها وامثالها ورموز اسرار كلامها. ومن عرفها حقّ معرفتها استدلّ بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادتهِ · وكان سبب وضعهِ لها ما حكاهُ ولدهُ ابو القاسم عبدالله. قال كان ابي جالساً في مسجد بني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليهِ أهبة السفر رثّ الحال فصيح الكلام حسن العبارة · فسألتهُ الجماعة من اين الشيخ قال من سروج . فاستخبروهُ عن كنيته فقال ابو زيد . فعمل أبي المقامة الثامنة والاربعين المعروفة بالحرامية وعزاها الى ابي زيد المذكور واشتهرت فبلغ خبرُها الوزير شرف الدين ابا نصر انوشروان بن خالد ابن

محمد القاشاني" وزير الامام المسترشد بالله فلما وقف عليها اعجبتهُ فأشار علي والدي ان يضم اليها غيرها فاتمها خمسين مقامة "

س ما الكلام المنمق المزخرف

ج هو ما لا ينفصل عن صورتهِ حتى تذهب طلاوتهُ

س ايَّة المواضيع تطلب النمط المنمق المزخرف

ج هي المواضيع المحبوبة لذاتها والروايات الافتراضية والشعرية وقصائد الوصف والاقاصيص الشعرية والقصائد الزهرية وخطب المحافل العلمية والمدائح واذا اردت امثلة على ذلك فعليك بمثل كتاب قلائد العقيان وكتاب نفح الطيب وديوان الفارض

س ما هو النمط العالي

ج هو ما حوى من المعنى والتخيل والشعور ما يملك القلب فهو برق القريحة يظهر ظهور الصاعقة ويختفي اختفاءها وهو مستقل* عن الصورة اعني ان اختلاف العبارة لا يخرجهُ عن كونهِ عالياً * والنهج من هذا النمط

س بماذا يقوم علو المعنى

ج بالاسلوب الوجيز المؤثر السريع التسلط على القلب. مثال الاول قول موسى في سفر التكوين " قال الله ليكن النور فكان النور " وقول علي " لا تنصبن نفسك لحرب الله " وقول المسيح " انا نور العالم " وقولهُ ايضاً " السماء والارض تزولان وكلامي لا يزول " . وفي المزامير " رأيت الكافر معتزًّا منبسطاً مثل شجرة ناضرة في ارضها ثم اجتزت فلم يكن والتمستهُ فلم يوجد " وفي الانجيل " لا تقدرون ان تعبدوا ربين الله والمال " . فليس في كل ما قيل في المال نثرًا ونظماً ما يصل في تمثيل سطوتهِ الى ما تصل اليهِ آية الانجيل

س بماذا يقوم التخيُّل

ج بشعور عالٍ عليهِ صورة بديعة كقول المزامير في تمثيل قدرة الله " من مجرَّد صوتهِ يهرب البحر وتتزلزل السماء " . ومنهُ قولك لمن يخيرك بين الحياة مع محاربة الوطن وبين الموت . اموت ولا احارب وطني

س بماذا يفترق العالي عن المنمق

ج بثلاثة امور (١) ان المنمق يذهب رونقهُ اذا ذهبت صورتهُ فهو مصحوب بالمحسنات اللفظية والعالي ساذج وقد يكون خشناً ومبتذلاً وهو ينفك عن الصورة ويبقى على طبقتهِ وهو عادة يملك النفس فجأة ويبث فيها كما يبث لهيب الشجاعة والحمية

و (٢) ان المتمق يجيء حتى في المواضيع الحقيرة واما العالي فهو ابداً كبيرٌ وغائص فيما لا حدَّ لهُ

و (٣) ان المتمق يدخل علينا الشعور الحلو اللطيف المحسّن

س أإلى اختلاف العصر راجع كل اختلاف في ديباجة الانشاء ام الى اختلاف الكتبة

ج بعض ذلك راجع الى اختلاف الاشخاص والدليل ان المتعاصرين يختلفون في الرقة والجزالة كابي تمام والبحتري والمتنبي وجرير والفرزدق والاخطل

س أليس للعصر سطوة على الذوق

ج نعم فكل من جاء فيهِ يضطرّ ان يستنّ بسنّة اهلهِ ويتّبع عاداتهم ولا يزال ذلك دأب اهلهِ حتى ينبغ فيهم رجل فيبدل من العادات والسنن في الكتابة وينهج مناهج لم ينهجها اهل عصرهِ فيجرّهم وراءهُ ويقودهم الى مناهجهِ لطول باعهِ وعلو كعبهِ فقد يمرُّ على الناس قرن واساليبهم في الكتابة باقية فكم انقضى على الكتّاب من الاعوام وهم يتعمّدون المحسّنات اللفظية في الرسائل والخطب كما كان الامر لعهد ابي حليم بطريرك النساطرة وعبد الرحيم بن نباتة الفارقيين. وقد يهجر تعمد المحسّنات اللفظية في ذلك ويكره استعمالهُ قطعة من الدهر ثم ينبغ كاتب تميل نفسهُ الى تلك المحسنات فيتراجع استعمالها كما يقع ذلك في المهجور من الالفاظ والازياء

ويلي هذه الخاتمة نبذة مسهبة في الشعر وابوابهِ وموازينهِ وما يطرأُ عليها وقد وضع هذا الكتاب حضرة العالم العامل الشيخ سعيد الخوري الشرتوني صاحب القاموس المشهور المعروف باقرب الموارد

تحفة الأنام

في مختصر تاريخ الاسلام

اهديت الينا نسخة من هذا الكتاب والظاهر انهُ طبع حديثاً لانهُ يذكر بين مآثر السلطان عبد الحميد السكة الحميدية الحجازية ومع ذلك نرى في الصفحة ٩٦ منهُ هذا الكلام " وقتل ملك الاندلس قتلهُ طارق وانهزم الكفار " اي مسيحيو اسبانيا . فهل يليق نشر كلام مثل هذا في عصر تريد الامم العثمانية ان تتصافى فيهِ وتتضافر

ديوان عبد الرحيم افندي شكري

لما وقع نظرنا على هذا الديوان ظنناهُ ككثير من دواوين الشعراء كلام موزون ومعانٍ مبتذلة اخلق الجديدان جدتها فلم نكد نقرأ صفحة او صفحتين منهُ حتى رأيناهُ شعرًا بكل معاني الشعر — صورًا خيالية جسمتها بصيرة الناظم حتى تكاد تراها وتلمسها كقولهِ

عمي الدجى عن مطلع الفجرِ   في ليلة كسريرة الدهرِ
ولع البكاه بناظريَّ كما   ولع الندى بيدائع الزهرِ
والروض ممتنع الرقاد وقد   نمت عليهِ مواقع القطر
والليل مشقوق الجيوب وقد   باح السحاب بطلعة البدر
والطرف بالافشاء متهم   والقلب مؤتمن على السرّ
واكاد ان لا استقر جوى   فكأنما خلس الدجى صبري
لا تلحَ مشتاقًا على شجنٍ   ان الشباب مطية العذر
والسعي رزق والهوى املٌ   والهجر يأكل جدة العمر
والصفو قد يفضي الى كدرٍ   واليسر قد يفضي الى عسر

ومن بديع قولهِ في الحث على الجود للجامعة

فيا حسن ذكر للذين تملكوا   لباب الغنى فاستمسكوا بالتكرمِ
ايدعى غنيُّ القوم سيد قومهِ   اذا غاب عنهُ فضل فعل معظم
اذا لم يكن طبع بجودوا تطبعًا   فرب جميل جاء من متندم
وانتم عماد للبلاد مشيد   فلا تتركوها كالبناء المهدم
ألم يكفكم فخرًا وعزًا وسؤددًا   رجاءٌ محلًّى بالثناء المفخم

وقولهِ في مخاطبة الاقباط

اذا الاواصر لم تجعل لنا سببًا   فحرمة الود فيما بيننا سببُ
اذا هفوتم رميناكم بمعتبة   فان هفونا فلا يملككم الغضب
يدان ان تقطعونا تقطعوا يدكم   كذاك نحن لنا في عزكم ارب
اني على شغفي بالاهل يطربني   اني اليكم اذا فاخرت انتسب
كانت لكم دولة غراء ثابتة   في مرتقى العز تبغي شأوها الشهب

والديوان صغير ولكنهُ حافل بمثل هذه الغرر

كتاب الاشتقاق والتعريب

ألّف هذا الكتاب حضرة العالم الفاضل الاستاذ عبد القادر المغربي احد محرري جريدة المؤيد وقال فيهِ ما يقولهُ كل من عانى التأليف والتعريب والتحرير من ابناء هذا العصر بل من ابناء كل العصور القريبة والبعيدة وهو ان اللغة حيٌّ نامٍ ونموها يكون من الداخل بالمجاز والنحت والاشتقاق ومن الخارج بالتعريب فتستعمل الكلمات لمعانٍ لم توضع لها مجازاً كما استعمل الصرف والبيان للعلمين المعروفين وتنحت كلمة من كلمتين او اكثر كما نحتت الحمدلة من الحمد لله وتشتق كلمة من اخرى كما اشتقت المزولة من الزوال . اما التعريب من اللغات فامثلتهُ في العربيَّة تفوق الحصر . قال المؤلف في فاتحة كتابهِ

" وبعد — فان أمتنا العربية في اشد الحاجة الى نشر العلوم بين ظهراني ابنائها . ولن يكون تعليم تلك العلوم وافياً بالحاجة مالم يكن بلغة المتعلمين التي نشأُوا على التفاهم بها . ولن تصلح اللغة العربية لاداء هذه الوظيفة مالم تنمُ وتتسع دائرتها وتتوفر فيها الكلمات المحتاج اليها في تلقين تلك العلوم والفنون . ولتوفر تلك الكلمات والاستكثار منها طريقان " الاشتقاق " و " التعريب " أعني جعل الكلمة الاعجمية عربية . وقد نرى الغريب عن اللغة البعيد عن معرفة اسرارها يرميها بضيق العطن وقلة الكلمات المحتاج اليها في المطالب العصرية المختلفة . وان اللغة غير صالحة بالجملة للتعليم والتعلم . واذا عذرنا هؤلاء فلا يحسن ان نعذر ابناء اللغة انفسهم الذين اعرضوا عن الانتفاع بالاشتقاق والتعريب . بل ربما اقاموا العواثير في سبيل ذلك الانتفاع . وليتني كنت ادري ما هو حدُّ التعريب عند اولئك الفضلاء ؟ وما هي طريقتهُ وشروطهُ في رأيهم ؟ وكيف اذا سمعوا بكلمة غريبة عن اللغة عربت وشاعت بين اهلها وطابت لها نفوسهم ومرنت عليها ألسنتهم — حوقلوا وسجلوا وعدوا دخولها في تراكيب اللغة كدخول ميكروب الامراض الخبيثة في تجاليد الانسان العزيز عليهم : فهم يعملون على اخراجهِ والتخلص من شرهِ بأية وسيلة كانت . وتراهم من جهة ثانية يرفعون اصواتهم بالانتصار للغة والاعجاب بخصائصها ومزاياها والاحتجاج على اولئك الذين يرمونها بالاملاق وضيق النطاق

واني لا أرى انتصارهم واحتجاجهم صحيحين . ما لم يعملوا على احياء هاتين القوتين " الاشتقاق " و " التعريب " وتمهيد السبل للانتفاع بهما

وقد اثبت في كتابي هذا ان التعريب قياسي او هو طبيعي في اللغة لا تتيسر مقاومتهُ وان المعرَّب عربي . فاستعمالهُ في الكلام الفصيح لا يحط من قدر فصاحتهِ . ولا يخرج البليغ

عن بلاغتهِ · فان اصبت في رأيي فتلك المثلى · وان كانت الاخرى فليست بالاولى"

وقد اقام المؤلف الادلة الكثيرة العقلية والنقلية على لزوم التعريب وعلى ان العرب جروا عليهِ من اول عهدهم · ويعجبنا قولهُ ان اسم المصحف الذي سمي بهِ القرآن نفسهُ معرَّب عن اللغة الحبشيَّة وهو مشتق من صحف ومعناها بالحبشيَّة كتب وكلمة قاموس التي سمَّى بها الفروزابادي معجمهُ الشهير في متن اللغة العربيَّة غير عربيَّة . وقولهُ ان القول المعتمد عند جهابذة اللغة وصيارف كلمها كسيبويه واضرابهِ ان مدار التعريب على الاستعمال فاذا استعملت الكلمة الاعجمية عندنا اصبحت معربة

اما قولهُ بتفسير "كلمة السكرتير بالناموس كما عرضت في كلامهم" فتساهل لا داعي لهُ لان كلمة سكرتير اشبع من كلمة ناموس · ولقد قرأنا مئات من الكتب العربيَّة ولا تتذكر اننا رأينا فيها كلمة ناموس بمعنى كاتب ولو مرةً واحدة . ولا ندري لماذا يأنف الكتَّاب من كلمة كاتب في ترجمة سكرتير فان معنى سكرتير الافرنجية كاتب ولا مدخل فيها للسر وكتابتهِ الآن بل هذا معنى قديم مهجور · ووظيفة الكاتب كانت اشرف الوظائف في دول العرب وقد تقلَّدها كبار الوزراء في عهد الخلفاء والسلاطين

تاج العروس الهادي لتهذيب النفوس

هذا الكتاب كما يدلُّ عليهِ اسمهُ نصائح وحكم في تهذيب النفس وضعهُ الامام الصوفي تاج الدين بن عطاء الله السكندري المتوفى سنة ٧٠٧ للهجرة اي منذ اكثر من ستمئة سنة وهو مثل غيرهِ من كتب الصوفية بل من كتب حكماء المشرق احكام مبني اكثرها على عقائد دينية او نفسية كقولهِ " ان الشياطين تغلُّ في شهر رمضان" وكقولهِ " الاحمق من مات ولدهُ وجعل يبكي عليهِ ولا يبكي على ما فاتهُ من الله عزَّ وجل" فكأنهُ يقول بلسان حالهِ انا ابكي على ما كان يشغلني عن ربي بل كان ينبغي لهُ الفرح بذلك ويقبل على مولاهُ لانهُ اخذ ما كان يشغلهُ عنهُ " . وكقولهِ " انما عصى الله مَن لم يعرف عقابهُ وانما ترك طاعة الله مَن لم يعرف ثوابهُ فلو اطلعوا على عذاب النار لما غفلوا ولو اطلعوا على ما اعدَّ الله لاهل الجنة لما تركوها طرفة عين" . وكقولهِ " الشك في الرزق شك في الرازق وما سرق السارق وما غصب الغاصب الا رزقهُ · ما دمت حيًّا لا ينقص من رزقك شيئًا"

وقد عني بنشر هذا الكتاب حضرة الفاضل صالح بك حمدي حماد على جاري عادتهِ في نشر الكتب المفيدة وقسمهُ الى مطالب طبع مضمونها على هامش صفحاتهِ

دواني القطوف

في تاريخ بني المعلوف

تأليف الكاتب الفاضل الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

اذا اردت مثالاً لعلو الهمَّة ومضاء العزيمة وطلبت الوقوف على اخبار سورية وسكانها من اول عهدها الى الآن فعليك بهذا الكتاب فقد جمع فيهِ مؤلفهُ ما ملأ اكثر من سبع مئة صفحة بقطع كبير وحرف دقيق من الاخبار والتراجم

ومدار الكتاب على تاريخ بني المعلوف ويقول المؤلف ان الخلفاء الراشدين تركوا الخراج للغساسنة فلقبوا بني المعيوف اي المعفين من الخراج ولما جاء الخلفاء العباسيون نزعوا ذلك الامتياز منهم فغير سكان دامة لقبهم المعيوف بالمعلوف لقرب الصيغة . وحبذا لو ذكر سنداً تاريخيًّا لهذه التسمية كما ذكر لاكثر ما اوردهُ في كتابهِ . ثم اورد قصة عن فتاة من بني المعلوف اسمها لطيفة كانت تسير سنة ١٥٢٠ مع خوادمها فلقيها بعض الخصوم واختطفوا الطعام من خوادمها فلما وصلت الى قومها انشدتهم ابيات ليلى بنت لكيز الوائلية التي تقول فيها

ليت للبراق عيناً فترى   ما اقاسي من بلاء وعنا

الى ان قالت

يا بني (المعلوف) سيروا وانصروا   وذروا الغفلة عنكم والكرى

فما اتمت كلامها هذا حتى سالت عيناها بالدموع واجتمع حولها اخوتها وبنو اعمامها واتباعهم فقصَّت عليهم احدى خوادمها ما جرى لها فحرك ذلك ساكن غيظهم ... وعقدوا اجتماعاً اقروا فيهِ على انهم بعد جمعهم زورعهم ودياستها وبيعها مع مقتنياتهم ينتكون بخصومهم ويتركون بلادهم قاصدين لبنان . وقال في الحاشية انهُ اتفق على هذه الرواية جميع بني المعلوف على اختلاف مواطنهم ولكنهُ لم يذكر لها سنداً تاريخيًّا قديماً

والكتاب حافل بالفوائد التاريخية وترجمات اعلام السوريين . ولقد اذهلنا صبر المؤلف على جمعهِ وتبويبهِ . وسواء صحت نسبة بني المعلوف الى الغسانيين او لم تصح فلا شبهة في انهُ قام منهم رجال يفتخر بهم مثل مؤلف هذا الكتاب وكثيرين من الادباء والفضلاء الذين ترجمهم فيهِ فلهُ الشكر على ما خدم بهِ فن التاريخ وما بذلهُ من العناية في جمع انساب اللبنانيين

الحرية والمساواة والمبعوثان

رسالة وضعها حضرة العالم الفاضل عبدالله افندي العلمي بيَّن فيها ان الشورى والحريَّة والمساواة من تعاليم القرآن لقولهِ وامرهم شورى بينهم. وشاورهم في الامر. ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون. وقولهِ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل عملاً صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون وقولهِ يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة . ومن سيرة الخلفاء كقول الامام عُمر لعمرو ابن العاص والي مصر موبخاً منذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً . وفي ما تقدم نصوص صريحة على وجوب الشورى والمساواة والحريَّة



فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) النوم المغنطيسي

اسنا . الياس افندي جرجس . ما هي منافع التنويم المغنطيسي ومضارهُ

ج . يفيد التنويم المغنطيسي في الامراض الكاذبة عموماً اي الناتجة عن الوهم فقد يتوهم الانسان انهُ مصاب بخفقان في قلبهِ او قرحة في معدتهِ او سل في رئتيهِ وليس بهِ خفقان ولا قرحة ولا سل فاذا نوّم النوم المغنطيسي وأُقنع انهُ شفي من الداء فالغالب انهُ يشفى منهُ اي لا يعود يشعر انهُ مصاب بهِ

ويفيد ايضاً في منع الحس لعمل بعض العمليات الجراحية لان النائم النوم المغنطيسي يفقد الحس او الشعور بالالم. فقد نام شاب سوداني امامنا وغرزت ابرة في رجلهِ أُدخلت من جهة واخرجت من اخرى ولم يحرّك رجلهُ ولما أُوقظ نُبّه الى رجلهِ فقال انهُ يشعر بشيءٍ من الالم ولكنهُ لا يعلم سببهُ

ويفيد في بعض الآفات العصبية فيقال

ان الالم العصبي المعروف بالنفرلجيا يزول بالتنويم وكذا الم عرق النسا. اما ضرره فيقوم بانهاكه القوى العصبية . فان للقوة العصبية مقدارًا محدودًا فاذا صرف الكثير منها وقت التنويم ضعفت الاعصاب بعد الاستيقاظ منهُ واذا تكرَّر ذلك صار فعلهُ في الانسان مثل فعل المنبهات او المخدرات القوية ولذلك منعت حكومات اوربا استعمالهُ بعد الوقوف على رأي المشاهير من اطبائها. راجعوا مقالة التنويم وفوائدهُ الطبيَّة في المجلد الثاني والثلاثين من المقتطف صفحة ٥٣٠

(٢) تعليم التنويم

ومنهُ . هل يوجد في مصر من يعلّم التنويم المغنطيسي

ج . فيها اطباء يستعملون التنويم احيانًا فاذا رأيتم واحدًا منهم ينوّم احدًا امكنكم ان تقلدوهُ بسهولة لان ليس في الامر صناعة مخصوصة واذا طالعتم المقالة المشار اليها آنفًا رأيتم فيها الاساليب المستعملة في التنويم

(٣) استطاعة التنويم

ومنهُ . هل كل انسان يستطيع ان ينوِّم وينوَّم

ج . ان المعرَّضين لان يناموا النوم المغنطيسي قلال ويقال انهم لا يزيدون على خمس الناس واذا كان الانسان معرَّضًا لان ينام النوم المغنطيسي فلا يتعذَّر على ايّ كان غالبًا ان ينوّمهُ اذا تمرَّن على استعمال الحركات اللازمة واقنع من يراد تنويمهُ انهُ قادر على تنويمه

(٤) التعليم بالمراسلة

ومنهُ . بلغني انهُ توجد مدارس باميركا وانكلترا تعلّم طالبي العلم بواسطة ارسال الدروس بالبوسطة فهل ذلك صحيح وهل يمكن تعليمهُ في مدة قصيرة وهل لكم ان تخبرونا بعنوان مدرسة منها

ج . نعم يوجد اناس يتعلمون بالمراسلة . ولا يخفى ان من الناس مَن يطلب العلم برغبة فيتعلم ولو لم يدخل مدرسة وهذا يتعلم بالمراسلة لانهُ يستفيد من كل شيء. ومنهم مَن لا رغبة لهُ في العلم فيدخل المدارس ويقيم فيها السنين ويقوم بما يطلب منهُ ولكنهُ ينسى ما تعلّمهُ فيها او لا يحفظ منهُ الاَّ القليل وهذا لا يتعلم بالمراسلة . وكل الذين عانوا التعليم يعلمون انهُ يكون في الفرقة عشرون تلميذًا فينبغ منهم ثلاثة او اربعة ويحصلون من غير ان يتعب الاستاذ في تعليمهم وهؤلاء يتعلمون بالمراسلة كما يتعلمون في المدارس او في بيوتهم والباقون يبذل الاستاذ جهدهُ في تعليمهم وتمرينهم فلا يتعلمون الاَّ قليلاً وهؤلاء لا يستفيدون من المراسلة ابدًا او لا يستفيدون الاَّ قليلاً جدًّا هذا اذا صبروا عليها ولم ينقطعوا عنها حالاً

وهاكم عنوان مدرسة تعلم بالمراسلة

International Correspondenee School Scranton Pen.
U. S. America.

(٥) مخترع الساعات

اسيوط . امين افندي لوقا . من هو مخترع الساعات وفي اي سنة كان ذلك

ج . الساعات مختلفة الانواع فاقدمها المزولة او الساعة الشمسيَّة التي يقاس الوقت فيها بظل الشمس وهي قديمة اشير اليها في عهد حزقيا ملك يهوذا واول من وصفها بيروسس المؤَرخ الكلداني الذي كان قبل المسيح بنحو ٥٤٠ سنة ولا يعلم من استنبطها . وقد اتى بها انكسيمندر الفيلسوف اليوناني من بلاد الكلدان الى بلاد اليونان بعد زمن بيروسس بمئتي سنة . والظاهر مما نقلناهُ من تاريخ ابن اياس عن السلطان سليم في هذا الجزء ان الاعتماد كان عليها في قياس الوقت في ذلك الزمن . وتلوها الساعة المائية ويقال انهُ اخترعها غلام من سكان الاسكندرية اسمهُ كتسيبيوس سنة ٢٤٥ قبل المسيح اي في اوائل حكم البطالسة ولكن يرجح الآن انها اقدم من ذلك كثيرًا وانها استعملت قبل عهد التاريخ وان كتسيبيوس انما وضع فيها آلة لقياس الساعة من كل اليوم على مدار السنة. والظاهر ان الساعة التي اهداها هرون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسا كانت ساعة مائية . واستنبط الاسكندريون الساعة الرملية بعد استنباط الساعة المائية لانهم رأَوا ان تفرُّغ الماء من الساعة المائية لا يكون واحدًا في كل الازمنة

والساعة ذات الثقل مخترعها مجهول قيل انهُ رجل اسمهُ بثيوس اخترعها سنة ٥١٠ للمسيح وقيل غيرهُ والمؤكد ان الراهب جربرت الذي صار بابا باسم سلفستر الثاني صنع ساعة لمغدبرج سنة ٩٩٦ ولم يتقن عمل هذه الساعات حتى القرن الثالث عشر فانهُ يقال ان الملك الكامل الايوبي اهدى الى الامبراطور فردرك الثاني ساعة متقنة سنة ١٢٣٢ وهي شبه كرة سموية فيها الشمس والقمر والسيارات تتحرك في مداراتها باثقال ودولايب وتدلُّ على ساعات النهار والليل بالتدقيق. واتقنت الساعات بعد ذلك ولكنها بقيت ضخمة الى ان استنبط الرقاص ويقول البعض ان مستنبطهُ عربي ويقول غيرهم انهُ افرنجي والاكثرون على انهُ غليليو الايطالي

اما الساعات الصغيرة التي توضع في الجيب فالظاهر ان اول من صنعها رجل اسمهُ بطرس هيلي وذلك سنة ١٤٩٠

(٦) الشعر العارية

ومنهُ . هل الشعر العارية الذي يضعهُ بعض النساء على رؤُوسهن طبيعي او صناعي وكذلك الشعر الابيض الذي تصنع منهُ المنشات

ج . كلهُ طبيعي الاول شعر نساء والثاني شعر اذناب الخيل

(٧) الراي السديمي

سان بدرو ما كورس . جمهورية دومينكو

الخواجه انطونيوس الدريبي · من المعلوم ان اول من قال بالرأي السديمي هو العالم الفلكي لابلاس ولكني بينما كنت اطالع في كتاب "الكون كإرادة ووجدان" للفيلسوف الالماني شوبنهور وجدتهُ ينتقد انتقادًا مرًّا على بعض العلماء الذين يأخذون بعض الآراء عن غيرهم ويدعون انها لهم ثم قال ان ذلك يذكرنا بما جرى بين الفيلسوف قنت ولابلاس اذ الاول هو اول من قال بالرأي السديمي سنة ١٧٦٠ في كتابهِ التاريخ الطبيعي والنواميس السموية ثم محصهُ وزاد عليهِ شرحًا سنة ١٧٦١ ذاكرًا في آخرهِ ان العالم لمبر اخذ عنهُ هذا الرأي وترجمهُ الى اللغة الافرنسية بدون ان يذكرهُ (اي يذكر قنت) تحت عنوان

" Lettres cosmologiques sur la Constitution de l' Univers "

الى ان قال ومن المحقق ان لابلاس نظرًا الى معرفتهِ الواسعة في علم الهيئة اخذ رأي قنت هذا ووضعهُ في قالب يفهمهُ الكبير والصغير وكانت نتيجة ذلك ظهور كتابهِ المعروف مدبجًا في تفصيل ذلك الرأي الذي خلَّد اسمهُ مع ان هذا التخليد كان يجب اعطاءه نصفهِ لقنت ان لم نقل كلهُ · فتعجبت من ذلك واتيت اسأَلكم عن منزلة كلام شوبنهور من الصحة

ج · ان شوبنهور شاعر وفي كلامهِ شيء من الصحة وشيء من التزويق فان قنت قال بالرأي السديمي قبل لابلاس ولكن لابلاس اقام الادلة الرياضيَّة على صحة هذا الرأي وعلى تطبيقهِ على الاجرام السموية وحركاتها · ويحتمل انهُ عرف بقول قنت كما يحتمل انهُ لم يعرف بهِ بل انتبه الى هذا الامر من نفسهِ كما انتبه اليهِ قنت · وهب انهُ انتبه اليهِ مما قالهُ قنت فذلك لا يمنع نسبة الرأي اليهِ لانهُ هو الذي اقام الادلة على صحتهِ وبين كيفية تولد الاجرام السموية من السديم · وحتى الآن لم تُحلّ كل العقبات التي تعترض هذا الرأي حلاً مقنعاً

(٨) لزوم النوم

مصر · الخواجه حزقيال هارون متالون قرأت في احدى الجرائد ان النوم ليس ضروريًّا للانسان بل هو عادة يمكن ازالتها بالتمرن على عدم النوم · فهل العلم يعزز هذا القول

ج · ان بعض الناس ينام ساعات قليلة ثلاث ساعات او اربع ساعات وتكتفي اجسامهم بها فلا يستحيل على غيرهم ان يقتدي بهم · ولا بدَّ لدقائق الجسم من ان تنقطع عن العمل مدة لتتنظف من الفضول وتذخر القوة اللازمة لها وقت العمل ولا يستحيل ان يُعوَّد بعضها على الراحة وذخر القوة وقتما يكون البعض الآخر عاملاً فان القلب مثلاً يعمل دوامًا نهارًا وليلاً مدى الحياة وبعض دقائقهِ يستريح وقتما يعمل البعض الآخر فهل

يتيسر تعويد كل اعضاء الجسم هذه العادة وهل يتم ذلك في سنة او في قرن بعد ان جرت كل طوائف الناس والحيوانات على النوم قروناً لا يحصى عددها حتى رسخ ذلك فيها ؟ هذه مسألة أُخرى ونرجح ان من يحاول الانقطاع عن النوم يصيبهُ ما اصاب الفرس الذي عوّد الانقطاع عن الاكل فلما تعوده مات

(٩) من الملام

يافا . الخواجه انيس فياض ما قولكم في المرأَة الزانية هل اللوم عليها او على الهيئة الاجتماعية وماذا قصد فكتور هيغو بقولهِ لا تلم المرأَة الساقطة تحت مهاوي عارها انك لا تدري تحت اي حمل سقطت من احمال الدنيا واثقالها . وهل يصدق ذلك على بعض النساء المترفهات اللواتي يحببن فعل المنكر

ج . الغالب ان اللوم على الذي اغراها اولاً ثم على الذين تلوهُ لان الانثى مطلوبة غير طالبة في الغالب . ولو كان سن الشرائع في يد النساء لا في يد الرجال او لو انصف الرجال الذين يغرون النساء لوقع العقاب على الرجل لا على المرأَة وهذا هو رأي جمهور الباحثين في هذا الموضوع . اما المرأَة التي تفعل المنكر من تلقاء نفسها فيجب ان يقع العقاب عليها

(١٠) مصدر الآداب

ومنهُ . ما هو مصدر الآداب

ج . المذهب المتغلب الآن ان مصدر الآداب إحكام الاعمال حتى يتمكن كل فرد من حفظ حياتهِ وتربية نسلهِ من غير ان يضر بسواهُ . والانسان الذي بلغ هذه الغاية من إحكام اعمالهِ يساعد غيرهُ على احكام عملهِ فيسهل احكام الاعمال على الاثنين بالتعاون وهذا هو الصلاح الذي تتوخاهُ الشرائع الادبية وهو علمي لا فلسفي لكن الفلسفة اخذت مأخذ العلم الطبيعي الآن وصار الفلاسفة يجرون مجرى العلماء الطبيعيين في مباحثهم واحكامهم . والسنن الادبية المبنية على الاصول العلمية اوسع نطاقاً من السنن الادبية الفلسفية لانها تتناول اعمالاً لا تتناولها السنن الفلسفية حسب مفهومها القديم فالذي يتعرض لمكروبات الامراض او يلبس ثياباً لا تدفئهُ حكمهُ في السنَّة الادبية العلمية حكم من يدمن المسكرات او يرتكب المنكرات ولكننا لم نسمع احداً من اهل السنن الادبية الفلسفية ينذر المتعرضين للميكروبات المرضية بالعقاب او المتعرضين للبرد بالعذاب

(١١) العصر الجليدي

بيت لحم الخواجه زخريا عيسى ابو مخيله المصور . ما هو السبب في حدوث العصر الجليدي في الازمنة الغابرة

ج . ظن السر تشارلس ليل ان سبب ذلك ظهور اراضٍ واسعة عالية قرب القطب الشمالي وظن غيرهُ من العلماء ان للعصر الجليدي اسباباً فلكية اخصها اختلاف اهليلجية

الارض فان هذه الاهليلجية كانت في اول القرن التاسع عشر ٠١٦٨, ٠ وكانت قبل ذلك بمئتي الف سنة ٠٥٦٧, ٠ وهذا زاد ايام الشتاء نحو ٢٩ يوماً حينئذٍ فزاد البرد والجليد وحدث العصر الجليدي

(١٣) بحيرة لوط

ومنهُ . يقال ان قاع بحيرة لوط آخذ في الارتفاع فما سبب ذلك وهل هو بفعل بركاني وهل توجد براكين في سورية

ج . لا نتذكر الآن اننا قرأنا لاحد بحثاً مدققاً اثبت منهُ ان قاع تلك البحيرة آخذ في الارتفاع وعيَّن مقدار ذلك الارتفاع . ولا يبعد ان يكون الامر كذلك ويحتمل ان يكون الارتفاع قليلاً وهو من الرواسب التي يحملها اليها نهر الاردن ويحتمل ان يكون كثيراً وسببهُ ارتفاع قاع البحيرة بفعل بركاني . وقد كانت البراكين كثيرة في كل البلاد السورية في غابر الزمن ولكن لم يثر فيها بركان في عصر التاريخ . نعم ان الزلزلة التي حدثت سنة ١٥٤٦ جففت ماء الاردن اي رفعت قاعهُ في بعض الاماكن بفعل بركاني وابقتهُ كذلك يومين ولكن لم يذكر ان الحمم خرجت من الارض حينئذٍ كما تخرج من البراكين عادة

(١٣) جنس الجنين

ومنهُ . هل يمكن ان يعرف كون الجنين ذكراً او انثى وهو في بطن الحامل

ج . كلاً

الاخبار العلمية

القطب الجنوبي

ان البعثة العلمية التي قصدت القطب الجنوبي برئاسة شاكلتن كادت تبلغهُ وورد تلغراف من شركة روتر في ٢٣ مارس يقال فيهِ

عادت بعثة شاكلتن التي كانت قد غادرت زيلاندا الجديدة في اول يناير سنة ١٩٠٨ (قاصدة القطب الجنوبي) وجميع رجالها بخير . وقد ارسل اللفتننت شاكلتن تلغرافاً الى الديلي ميل قال فيهِ ان الفئة الرئيسة من رجال الرسالة قطعت ١٧٠٨ اميال في ١٢٦ يوماً على مركبات من المركبات التي تجري على الجليد ووصلت الى الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي والدرجة ١٦٢ من الطول وعينت مركز القطب المغنطيسي في الدرجة ٧٢ والدقيقة ٢٥ من العرض والدرجة ١٥٤ من الطول الشرقي . ورفعت العلم البريطاني في ذينك المكانين . وصعدت

الى بركان اربيوس واكتشفت ثماني سلاسل من الجبال وعينت مراكز نحو مئة قمة · وفوهة اربيوس يبلغ طول قطرها نصف ميل وعمقها ٨٠٠ قدم ويتصاعد منها عمود غازي علوهُ الفا قدم

وقد سارت الرسالة في الاوتوموبيل مسافة ٤٠٠ ميل على البحر المتجمد وغادرت رأس رويد في ٢٩ اكتوبر وكان سطح الارض مستوياً والثلج يسد شقوقاً لا يعلم عمقها ولذلك كانوا كثيراً ما يتعرضون لاخطار عظيمة · وقد اصيبت خيل منشوريا الصغيرة بالبهر من انعكاس النور عن الثلج فاضطروا ان يقتلوا بعضها في الدرجات الثلاث الاخيرة · وكانوا يكافحون زوابع الثلج كل يوم والريح الصرصر التي تهب بسرعة ٧٠ ميلاً في الساعة · وقد هبطت درجة الحرارة الى ٥٨ تحت الصفر وتورموا من شدة البرد وكانوا ينامون في ثيابهم المصنوعة من جلود الحيوانات · ووصلوا في ٢٦ دسمبر الى نجود مرتفعة علوها عشرة آلاف قدم . فلم يروا جبالاً الى جهة الجنوب · واضطرت البعثة ان تعود بعدما انهكت قواها واصابتها الدوسنطاريا من اكل لحم الخيل وتركت اثنين من رجالها في مكان هناك وجعل اللفتننت شاكلتن ورفاقهُ يبحثون عن سفينة النمرود فوجدوها بالمرايا العاكسة النور ويظن اللفتننت شاكلتن ان القطب واقع في هذه النجود المرتفعة . ولا صحة لما يقال عن هدوء الجو حول القطب · ومسحت فئة اخرى سواحل بوغاز مكردو حتى اكوام الجليد المعروفة باسم دريجالسكي واكتشفت سلسلتين من الجبال مجاورتين للسواحل على عرض ٦٩° ٨َ ٤ً وطول ١٦٦° ولم يصب احد بالاسكربوط

خزنة كارنجي

تفنن اللصوص في فتح خزائن الحديد حتى صار يصعب حفظ الاموال والجواهر الثمينة . فصنع الاوربيون والاميركيون بيوتاً من الحديد يتعذر على اللصوص فتحها وعلى النيران حرقها وجعلوا فيها مخادع للاغنياء يحفظون فيها جواهرهم واموالهم · وامنع ما صنع من هذا القبيل خزانة تسمى خزانة كارنجي وهي صندوقان من الحديد الواحد فوق الآخر طول كلٍّ منهما ١٠٨ اقدام وعرضهُ ٣١ قدماً وعلوهُ ١٠ اقدام وهما مصنوعان من اصلب انواع الفولاذ (الصلب) الممزوج بالنكل ثقلها ١٤٠٠ طن وسمك فولاذهما خمس بوصات في الجوانب و١٨ بوصة عند الباب والواح الفولاذ معشقة بعضها ببعض ذكراً في انثى لا مسمار ولا قتير ولكل صندوق باب مستدير ثقلهُ ٢٥ طناً ولكل باب ٢٤ قفلاً على دائرهِ وثقل كل قفل مئة رطل وهي تقفل وتفتح باربع آلات كهربائية داخل

الصندوق وهذه الآلات تفتح الابواب في ساعة معلومة كل يوم ولا تفتحها في غيرها وكل آلة تكفي وحدها لفتح الباب واذا حدث ما يبطل فعلها لم يعد فتحهُ في الامكان مطلقاً

الديانة السورية في رومية

اكتشف تمثال من تماثيل بعل معبود السوريين في رومية ويستدل منهُ على ان عبادة بعل بقيت شائعة في رومية الى القرن الرابع بعد المسيح ثم ابطلت فجأة فاضطر كهنتهُ ان يخفوا تمثالهُ خوفاً من الاضطهاد

دليل الزلازل

دلت مقاييس الزلازل في آسيا واوربا وجنوبي افريقية على حدوث زلزلة كبيرة في ٢٣ يناير الماضي وعينت موقعها في اواسط اسيا من جهة الغرب وقد ثبت الآن ان هذه الزلزلة حدثت في بلاد ايران فدمرت خمسين قرية وقتلت خمسة آلاف من سكانها ولكن موقعها كان متجهاً الى الجنوب اكثر مما دلت مقاييس الزلازل وذلك لان الهزة الاولى لم يصل تأثيرها الى المقياس الذي في جنوبي افريقية

غرس الاشجار

تجد كتب الزراعة متفقة على ان الاشجار التي تغرس اي تنقل من مكان الى آخر يجب الاعتناء بجذورها حتى لا تتلف قبل غرسها ويجب ان تكون الحفرة التي توضع فيها واسعة حتى تبسط فيها الجذور على هيئتها لكن الامتحان العلمي نفى ذلك كلهُ واثبت انهُ اذا جمعت الجذور بعضها مع بعض ودُك التراب عليها دكاً شديداً كان ذلك اصلح لها واذا تلف بعض جذورها قبل غرسها لم يضرها ذلك بل افادها لان ليس العبرة بالجذور القديمة بل بالجذور الجديدة التي تنبت بعد غرسها . وقد نشرت جريدة ناتشر صوراً فوتوغرافية لاربع شجرات غرست اثنتان منها ولم يكبس التراب على جذورهما وغرست اثنتان وكبس التراب على جذورهما فنمت الاخريان اكثر مما نمت الاوليان

برج ايفل وتلغراف مركوني

استعمل برج ايفل في باريس للاشارات بتلغراف مركوني وقد وصلت اليهِ الاشارات بالامس من خليج غلانس بكندا والمسافة بينهما ٣٢٥٠ ميلاً ويراد نقل الاشارات اليهِ من املاك فرنسا في الهند الصينية على مسافة ٦٨٠٠ ميل

البعوض والسمك

ان جزائر بربادوس من جزائر الهند الغربية خالية من الحميات الملارية وقد اتضح ان سبب ذلك وجود نوع من السمك الصغير في بركها وغدرانها فان هذا السمك يأكل

يض البعوض الذي ينقل عدوى الحميات الملاريةِ . والسمك صغير جدًّا طول الانثى البالغة منهُ بوصة ونصف بوصة والذكر اصغر منها ولما رأَت الحكومة الانكليزية ذلك نقلت كثيرًا من هذا السمك الى سائر جزائر الهند الغربية فافاد في استئصال الحمى الملارية منها

علاج ادواء الزراعة

من المعلوم ان الآفات الزراعية التي تصيب المزروعات تبلغ حدًّا محدودًا ثم تقف عندهُ كأن الميكروب الذي يسبب الآفة يتلف نفسهُ حينئذٍ لا يبقى لهُ شيء يتلفهُ كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله

والحقيقة انهُ يتولد من الميكروب اخيرًا شيء يضرُّ بهِ ويميتهُ . وقد اشار بعضهم بالانتفاع من هذا الامر فانهُ ربى ميكروبًا من الميكروبات التي تضر بالمزروعات وتركهُ حتى يتولد منهُ السم الذي يميتهُ واستخرج ذلك السم وعالج بهِ المزروعات المصابة بذلك الميكروب فشفاها منهُ . ولا يزال هذا الاسلوب في بداءتهِ والمرجح انهُ يؤدي الى فوائد كبيرة في علاج الآفات الزراعية فعسى ان تنتبه لهُ الجمعيَّة الزراعيَّة الخديويَّة

اعلى الكباري

ان الجسر (الكبري) الذي صنع فوق نهر زمبيسي في قلب افريقية يعلو عن سطح الماء ٣٨٠ قدمًا وعن قاع النهر ٤٢٠ قدمًا وطول هذا الجسر ٥٦٠ قدمًا وعرضهُ ٣٠ قدمًا وهو اعلى جسور الانهار

السم في البضائع

توفي بالامس خمسة من الروسيين كانوا مسافرين في قطار ببلاد البلجيك وظن انهم مصابين بالكوليرا لان الاعراض التي اصابتهم مثل اعراضها ولكن لما بحث في امعائهم لم يوجد منها شيء من ميكروبات الكوليرا . ثم ثبت من التحقيق ان المركبة التي كانوا فيها كان قربها مركبة فيها مادة تسمى سليكون الحديد وهي تستعمل بكثرة في مسابك الحديد لعمل الفولاذ (الصلب) وهذه المادة لا ضرر منها اذا كانت جافة ولكنها اذا تبللت تولد منها غاز الهيدروجين المتفسفر وهو من اشد السموم فعلاً فاذا احتوى الهواء قليلاً منهُ صار سمًّا قاتلاً لمن يستنشقهُ

ترعة الفولاذ

عملت شركة كوم امبو في اعلى الصعيد عملاً هندسيًّا لم نسمع بمثلهِ في بلاد اخرى فانها لما رأَت المياه تغور في الترع لان الارض رملية هناك صنعت ترعة من الفولاذ (الصلب) طولها ٥٢٠٠ قدم وعمقها ١٢ قدمًا وعرضها ٢٠ قدمًا واسفلها كنصف دائرة وسمك حديدها ستة مليمترات اي اكثر من

نصف سنتمتر . ولقد عانت اشد المشاق في عملها وتركيبها لان الرياح كانت تسفي الرمال من تحتها فتهبط وحرارة الشمس تمددها فتطول وتنحرف يمنةً او يسرةً الى ان تم تركيبها وردمت الارض حولها وجرت المياه فيها

معاهد الراديوم

ذكرنا في الجزء الماضي اهتمام البلاد الانكليزية بانشاء معهد للراديوم في مدينة لندن وقد قرأنا الآن انهُ سينشأ معهد لدرس خواص الراديوم في مدرسة هيدلبرج الجامعة فتصير معاهد الراديوم خمسة في باريس ولندن وفينا وبرلين وهيدلبرج

تعقيم الماء بالفضة

ثبت ان القليل من املاح الفضة يعقم الماء حالاً ويميت منهُ كل الميكروبات ثم اذا رسبت الفضة بواسطة الكلوريد عاد الماء صالحاً للشرب . وقد امتحن ذلك في ايطاليا على هذه الصورة عقم الماء ثم زرعت فيهِ ميكروبات مرضية مختلفة كمكروب التفويد والدفتيريا واضيف الى ماء نقي فيهِ جزء من عشرة آلاف الى جزء من خمس مئة الف جزء من نيترات الفضة فالذي كانت الفضة فيهِ بمعدل جزء من عشرة آلاف جزء لم تتولد فيهِ ميكروبات والذي كانت الفضة فيهِ جزءا من خمس مئة الف جزء تولدت ميكروبات قليلة جداً فيهِ

ارز لبنان في بلاد الجزائر

كان المظنون في ارز لبنان انهُ خاص بجبل لبنان وانهُ اذا انقرض منهُ انقرض من المسكونة الأ اشجار قليلة منهُ زرعت في بعض الحدائق ولكن ثبت الآن ان في بلاد الجزائر حراجاً من الارز مثل ارز لبنان تماماً واشجارها كبيرة جداً . ولا يخفى ان خشب الارز من اصبر الاخشاب على البلى وكان القدماء يصنعون توابيت موتاهم منهُ لانهُ لا يبلى . وقد قال بلنيوس ان روافد هيكل ابولو في يوتيكا كانت من خشب الارز وقد مرّت عليها السنون الطوال ولم يعترها البلى

السكلوبيديا اليابانية

ألَّف علماء اليابان سكلوبيديا بلغتهم اشتغل في تأليفها ٢٣٩ عالماً من علمائهم وستصدر في سبعة مجلدات في كل مجلد منها نحو الف صفحة وقد احتفل الكونت اوكوما بنشر المجلد الاول منها

وفاة اكبر المعلنين

توفي المستر بيرس صاحب الصابون المعروف باسمهِ ولعلَّهُ كان اكبر المساعدين للجرائد والمجلات بما كان ينشرهُ فيها من الاعلانات عن صابونهِ ويقال ان مجموع ما دفعهُ اجرة اعلانات يبلغ ثلاثة ملايين من الجنيهات

قوات الدول الحربية

قلق الانكليز لما علموا ان المانيا تبني البوارج الكبيرة بسرعة فائقة وخافوا ان تلحقهم وتناظرهم مع انها لا تزال الرابعة بين الدول البحرية فان قوات الدول اي محمول سفنها الحربية الكبيرة تحسب هكذا

بريطانيا	١٨٧١١٧٦	طناً
فرنسا	٨٠١١٨٨	"
اميركا	٧٧٠٤٦٨	"
المانيا	٦٩٣٥٩٩	"
اليابان	٤٤٤٩٠٣	"
روسيا	٣٢٠٠٤٠	"
ايطاليا	٢٨٤٧٧٨	"
النمسا	١٤٨٣٥٠	"

لكن الالمان اعدوا المعدات لعمل البوارج الكبيرة وفاقوا الانكليز في ذلك وشرعوا في عمل اربع بوارج قبل الوقت المحدد لها بسنة من الزمان

قتل امبراطور الصين

كتب المسيو فرنسيس مري في المجلة الفرنسوية لا رفي يقول ان امبراطور الصين لم يمت حتف انفهِ بل انتحر مكرهاً وذلك انهُ لما ثبت ان الامبراطورة قد اشرفت على الموت وانهُ لا امل بشفائها اتفقت هي ووزراؤُها على انهُ لا بدَّ للامبراطور ان يموت بموتها فاتاهُ رئيس الخصيان مع اثنين من المقربين واخبروهُ ان الامبراطورة في حالة النزع ووضعوا بين يديهِ قرصاً من الافيون واوراقاً من الذهب وبنداً من الحرير وقال لهُ رئيس الخصيان انهُ سيأتيهِ في الغد فاذا وجد انهُ لم ينتحر بشرب الافيون او استنشاق ورق الذهب اضطرَّ ان يخنقهُ ببند الحرير . وعاد رئيس الخصيان في اليوم التالي فوجد الامبراطور ملقًى على مقعد وقد دخَّن قرص الافيون كلهُ وهو في حالة النزع فأُعلن سفراء الدول انهُ مريض وحالتهُ تنذر بالخطر ثم قبض الساعة الخامسة اما الامبراطورة فلم تمت الأ بعد اربع وعشرين ساعة

نفقة بناء البوارج

ينفق الانكليز على بناء البارجة الكبيرة التي محمولها ١٨٠٠٠ طن ١٥٢٠٠٠٠ جنيه والالمانيون ١٨٢٠٠٠٠ جنيه والفرنسويون ٢٠٨٠٠٠٠ جنيه

قانون المطبوعات

عادت الحكومة المصرية الى العمل بقانون المطبوعات الذي سنتهُ سنة ١٨٨١ في ما يختص بالجرائد بعد ان اوقفت العمل بهِ سنين كثيرة . وقد التجأت الى ذلك لان بعض الجرائد تعدت كل حد ولان المحكمة برأت بعضها في قضية لم ينتظر احد انها تبرئها منها . ويظهر لنا ان المراقبة على الجرائد والمطبوعات لا تزال في كل البلدان اشد مما صارت الآن في القطر المصري ولقد كانت المراقبة في الممالك العثمانية في العام الماضي اشد

مما صارت اليهِ الآن في القطر المصري بما لا يقدر ومع ذلك كانت الجرائد كثيرة والمطبوعات عديدة . ويقال ان الانكليز تأخروا عن نشر الجرائد في بلادهم الى سنة ١٦٤١ حينما نشرت اول نشرة دورية ثم نشرت اول جريدة يومية سنة ١٦٦٠ وما ذلك الَّا لشدة المراقبة على المطبوعات حينئذٍ لانهُ لم يكن يجوز طبع شيءٍ مالم يقرأهُ اولاً رئيس اساقفة كنتربري او اسقف لندن . والآن احكام الحاكم هناك على الجرائد صارمة جدًّا ولكنها لا تضر ولا تمنع الانتقاد

النور والنبات

لا يخفى ان النبات يحاول الاتجاه الى النور دائمًا واذا غرست شجرة بين بيوت تحجب عنها اشعة الشمس من جوانبها طالت بين البيوت حتى تقابل اشعة الشمس . وقد زرع بعضهم نباتًا مما ينبسط على الارض عادةً واحاطهُ بما يحجب اشعة الشمس عن جوانبهِ فنهض على اوراقهِ كما ينهض الجالس على رجليهِ لكي يعلو وسطهُ ويقرب من اشعة الشمس

١٤٠ سنة على المركبة البخارية

منذ مئة واربعين سنة صنع المسيو كينيو Cugnot مركبة بخارية سارت في شوارع باريس وكانت سرعتها ميلين ونصف ميل في الساعة وهي اول مركبة بخارية على ما يظهر ثم مرَّت السنون والهمم متجهة الى اتقان قاطرات سكك الحديد لا الى اتقان المركبات البخارية الى ان كانت سنة ١٨٩٣ فصنعت مركبة تسير بآلة فيها (موطركار) قوتها اربعة احصنة . ومن عشر سنوات الى الآن تقدم عمل هذه المركبات اكثر مما تقدم في المئة والثلاثين سنة التي قبلها

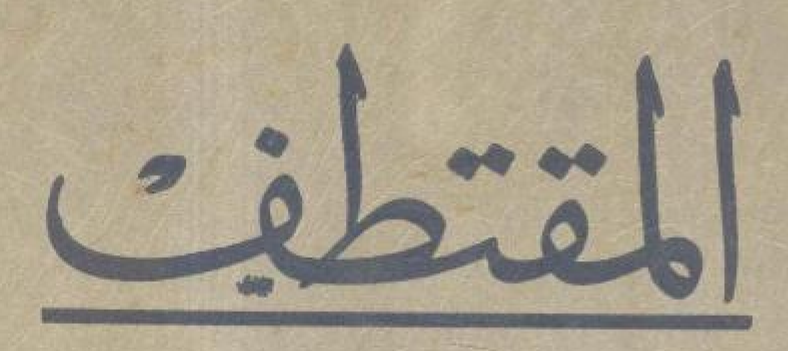
مدافع البالون

لم يكد البالون يبلغ درجة من الاتقان يصحُّ معها ان يستعمل في الحرب لرمي القنابل على الجيوش والحصون حتى صنع معمل كروب مدفعًا يرمي قنابلهُ في الجو الى علوٍ شاهق جدًّا ومتى وصلت قنابلهُ الى البالون تكون حامية فتشعل غازهُ وتحرقهُ كلهُ وهي تفعل بالطيارة كما تفعل بالبالون . وقد امتحن هذا المدفع فاطير بالونان صغيران ورميا بالقنابل فاصابت احدهما القنبلة الثانية من القنابل التي رمي بها واصابت الثاني القنبلة الخامسة مع ان الريح كانت تعصف شديدًا

اكان غاتي ملهمًا

اثبت المستر فرنل في مقالة كتبها عن غاتي الشاعر الالماني انهُ كان يعتقد بالالهام فاذا جاءهُ الالهام امسك القلم ونظم الاشعار الى ان يملأ الورقة التي بيدهِ . وكان الالهام يأتيهِ احيانًا ليلاً فيزيل همومهُ وينعش فؤادهُ . ولكن ألا يمكن تعليل ذلك براحة الدماغ وغزارة الدم النقي فيهِ

فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين


المقتطف



المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الرابع والثلاثين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١١ ربيع ثاني سنة ١٣٢٧

السلطان محمد الخامس

مرَّ بنا شهر لم ترَ الممالك العثمانية مثلهُ منذ امد بعيد فقد تراوحت فيهِ بين ان تحرَم الدستور ويثور ابناؤُها حتى يفني بعضهم بعضاً غدرًا وحربًا وتمسي البلاد طعمةً للطامعين فيها وبين ان يتأيد الدستور وتنزع اسباب العداء والخصام وتنفى عوامل التفريق والتمزيق. واخيرًا تغلَّب حزب الدستور اي جمعية الاتحاد والترقي وانصارها على الاحزاب المعادية لهم بعد ان صُبغت شوارع الاستانة بالدماء وتراكمت اشلاء القتلى بل شهداء التعصُّب الديني والجهل المطبق في ولايات الاناضول. وانقضت تلك الرزايا قبل كتابة هذه السطور بخلع السلطان عبد الحميد وتنصيب اخيهِ رشاد

ولقد كنا قبل اعلان الدستور نراقب احوال السلطنة العثمانية ونحن بين عاملَي الخوف والامل — الخوف من التعصُّب الديني والجنسي المستولي على عامَّة الاهلين وقد رسخ فيهم بالوراثة خلفًا عن سلفٍ واستُنبطت كل الوسائل التي تزيدهُ حتى يبقى بعض الخاصَّة مستأثرين بالسلطة يجزُّون صوف الرعية ويأكلون لحمها ويشربون دمها ولا رادع لهم — والامل ان اشتراك الناس في تحمُّل الظلم والقهر يؤلّف بين القلوب المتنافرة ويجمع شتات القوى المتفرقة فتقاوم المرهقين

وكان الأمل رائدنا ولاسيما بعد ان رأينا نهوض اليابان وصيرورتها دولة عظيمة كاعظم الدول الاوربية في سنوات قلائل ولا شعبها ارقى في جنسهِ من الشعوب العثمانية ولا بلادها افضل في خصبها وموقعها من البلاد العثمانية . فجعلنا نكتب انباء اليابانيين اغراء للعثمانيين بالجري على خطتهم والنسج على منوالهم وبقينا نتراوح بين الخوف والامل الى ان أُعلن

الدستور ورأينا الشيخ يعانق القسيس في الكنيسة والقسيس يعانق الشيخ في الجامع ويقولان ديننا الوطنية . والعربي والتركي واليوناني والارمني يتصافحون ويتعانقون ويقولون لقد تركنا جامعاتنا الجنسيَّة واتخذنا لنا جامعةً واحدة وهي العثمانية . لما رأينا ذلك قلنا لقد غلب الامل وتحقق الرجاء . ثم انتخب النواب لمجلس المبعوثان وساد السلام والوئام وحلف السلطان يمين الولاء للدستور وجعلت الحكومة تحلُّ المشاكل الكبار واحدةً واحدة والدول الاوربية تنظر اليها بعين الاجلال والتعظيم

لكن ابت سنَّة الكون ان تخالف نظامها وتقبل بهذا الانقلاب من غير سفك دم فان الذين كانوا ينتفعون من الحكم القديم وزال انتفاعهم في الحكم الجديد والذين توقعوا ان ينيلهم الحكم الجديد مغنماً فلم ينالوهُ دسوا الدسائس واستعانوا بجهل الجهلاء وتنطّع المتحمس بالدين لكي يقلبوا الحكومة الجديدة رأساً على عقب ويلغوا الدستور او يجعلوهُ آلةً في يدهم ووسيلة لنيل اغراضهم . ولقد نقلنا في الجزء الماضي من المقتطف كلاماً للدكتور نظيم بك من كبار اعضاء جمعية الاتحاد والترقي قال في خاتمتهِ انهُ يجب على الجمعيَّة ان تستمرَّ على السهر والمراقبة مدة طويلةً . فتم ما قالهُ ونجت السلطنة من العود الى الاستبداد القديم لكنها فعلت ذلك بشفار السيوف وقنابل المدافع فقد زحفت بالجنود العثمانية على الاستانة واحاطت بها واحتلتها وادَّبت العصاة وقبضت على السلطان لما ثبت لها انهُ مشترك في هذه الفتنة وافتى شيخ الاسلام بخلعهِ امام مجلس الامة المؤلف من المبعوثان والاعيان لانهُ عبث بكتب الدين وبذَّر اموال السلطنة وسفك دماء الابرياء فأسقط من الخلافة الاسلاميَّة والسلطنة العثمانية . وصعد الى مقام الخلافة وجلس على عرش السلطنة اخوهُ ولي العهد المشروع محمَّد افندي رشاد فمضى الى نظارة الحربية بصحبة محمود مختار باشا الغازي واستقبل الوزراء والكبراء ونواب الامة واقسم يمين الامانة للدستور وسمي محمَّد الخامس وكان ذلك في ٢٧ ابريل

والذين يعرفون سلطاننا الجديد محمد الخامس يقولون انهُ رجل حسن النية خالص الطوية محبَّاً لخير الدولة وخير الرعية وقد ذاق مرارة الاضطهاد من اخيهِ فشارك الامة في ما نالها منهُ وعلم ما ترومهُ وتبتغيهِ وايقن ان حكم الاستبداد لا يطاق ولا يؤْمن وان الحكم الدستوري خير للجميع ولذلك تناط الآمال بان يكون جلالتهُ حصناً حصيناً للدستور وعضداً متيناً لاركانهِ الثلاثة الحرية والاخاء والمساواة وان يحيي عهد الاصلاح الذي ابتدأ في زمن والدهِ السلطان عبد المجيد ويسعى في رفع شأن الدولة وترقية مصالح الامة فانهُ اذا فعل ذلك وجد من رعيتهِ امةً واحدة تفديهِ بارواحها وتصون ملكهُ بمهج ابنائها واموال رجالها

ولم يجد اهل الشر والفساد سبيلاً الى تكدير صفاء الامن وتمزيق احشاء السلطنة

ولقد قابلهُ مكاتب جريدة الديلي كرونكل الانكليزية بعد ارتقائهِ الى عرش السلطنة فقال لهُ من حديث طويل

ان جرائد العالم ولاسيما الجرائد الانكليزيَّة مطالبة بقضاء واجب عظيم فاني اعتقد ان الرجل الذي يدير السيف بيدهِ قوي ولكنني اعتقد ان الرجل الذي يحرك القلم بانامله اقوى جميع الناس. كن رسولي وابلغ اوربا والعالم كلهُ عني ما اقولهُ لك ليعلم الجميع اني كنت دائماً راغباً في الحرية والتقدم ومؤيداً لها ولا ازال كذلك وقد شاء الله سبحانهُ وتعالى ان ارتقي الى سرير آل عثمان وانا شاعر كل الشعور بالمسأولية الملقاة على عاتقي والواجبات المطلوبة مني والعبء الثقيل الذي اتحملهُ واؤمل بمعونة الله ان اسير في الصراط المستقيم واؤيد كل من كان شريفاً مستقيماً سواء كان من المسلمين او غير المسلمين بلا فرق ولا تمييز. نعم ان صوتي لم يسمع مدة ثلاث وثلاثين سنة ولكن صوت ضميري لم ينم

وهو كهل في الخامسة والستين من عمرهِ متوسط القامة مملوء الجسم لين العريكة لهُ المام بالعربيَّة والفرنسوية ومعرفة تامة بالفارسيَّة واطلاع تام على السياسة الاوربيَّة فاذا سار في الممالك العثمانية سيرة ميكادو اليابان في بلادهِ ومنع كل شغب فيها بعلة الدين فلا شيءٌ يمنع بلوغ الامة العثمانية اعلى المقامات بين الامم الاوربيَّة . لان الاجناس التي تتألف منها من ارقى اجناس البشر وقد كان لها تاريخ مجيد لا تفوقها فيهِ امة من امم الارض وبلادها اغنى بلدان المسكونة في خيراتها الطبيعيَّة واطيبها بقعةً واصلحها للتجارة ولا تحتاج الا الى حكومة تحفظ لها حقوقها ولا تقف في طريق ارتقائها

افتتاح ميناء بورت سودان

يظهر باقل نظر انهُ لا يرجى فلاح بلاد السودان ما لم تُصدِر شيئاً من حاصلاتها توفي بهِ ثمن ما تجلبهُ من البضائع والمواد التي لا توجد فيها . والتصدير منها بطريق القطر المصري كثير النفقة لطول الشقة فرأى اولياء الامر ان ينشئوا لها مرفأ تجارياً على البحر الاحمر فاختاروا لذلك مكاناً قريباً من مدينة سواكن فيهِ مرسىً امين للسفن فانشأوا هناك مدينةً ومرفأ يقال انهُ لا يفوقهُ مرفأ في المسكونة في بنائهِ واتقان وسائل الشحن والتفريغ التي فيهِ لاسيما وانها كلها تتحرك بالكهربائية . وقد فتح هذ المرفأ رسمياً في اول ابريل فخمة الجناب

الخديوي باحتفال عظيم حضره ُ جماعة من اعضاء مجلس شورى القوانين وارباب الصحف ومندوبيها من القطر المصري وسعادة السردار ورجال حكومة السودان من الخرطوم . وهاك ما بعث بهِ الينا مندوب المقطم نجيب بك صروف من بورت سودان في ١ ابريل

وصلت بنا الباخرة برنس عباس الى بورت سودان امس الساعة الثامنة مساء بعد سفر ٥٤ ساعة كان فيها البحر الاحمر ساكناً . والهواء هنا حار ولكنهُ مقبول وكلنا بتمام العافية . وقد زينت بورت سودان زينة باهرة وقد شاهدنا الرصيف فوجدنا طوله ُ ٦٣٠ متراً وهو مبني بناء متقناً على احدث طريقة والاثقال ترفع كلها بالقوة الكهربائية ونحن نستعد الآن للابتداء بالاحتفال

ومنها الساعة ٧ ١/٢ صباحاً

لما قامت بنا الباخرة من السويس ارسل سعادة السردار الحاكم العام تلغرافاً الى حضرة ستاك بك وكيل حكومة السودان الذي رافقنا في سفرتنا يحيي بهِ المدعوين ويتمنى لهم سفراً سعيداً . فتلي هذا التلغراف علينا وقت العشاء فاجاب حضرة عزتلو حسن بك بكري عليهِ شاكراً لسعادة السردار بالنيابة عن جميع المدعوين وكلف ستاك بك ان يبلغ سعادتهُ ذلك حال وصولنا . وفي هذا الصباح بكَّر سعادة السردار مستصحباً معهُ سعادة سلاتين باشا وياورانهُ واتى للتسليم على المدعوين ولاطفهم كثيراً . وهذه الكلمات تكتب الآن الساعة السابعة تماماً . والمدافع تطلق ايذاناً بدخول يخت المحروسة الى الميناء

ومنها الساعة ٩ صباحاً

قبلما يدخل اليخت الميناء استقبلهُ حضرة مراقب الموانى والفنارات ثم دخل بين صفين من الرايات والاعلام حتى رسا قرب الرصيف وحينئذٍ صعد سعادة السردار اليهِ مصحوباً بياورانهِ لتقديم واجب السلام والترحيب لسمو الخديوي المعظم . ثم نزل سموهُ من اليخت وكان يحيي المستقبلين بيدهِ وبمعيتهِ سعادة اسمعيل باشا سري ناظر الاشغال واحمد باشا حشمت ناظر المالية وما زال كذلك حتى وقف بين العلمين المصري عن اليمين والانكليزي عن اليسار . وكان قره قول شرف واقفاً هناك من العساكر المصرية والعساكر الانكليزية ومعهم الموسيقى السودانية فصدحت الموسيقى بالسلام الخديوي واطلقت الطوبجية ٢١ مدفعاً تسليماً وتعظيماً وقدم سعادة الحاكم العام اكابر موظفي حكومتهِ واركان حربيهِ الى سموهِ . ثم تعهد سموهُ قره قول الشرف . وبعد ذلك صعد مع سعادة الحاكم العام وناظري الحربية والمالية ورجال المعية والحكومة السودانية واعضاء مجلس الشورى ورجال الصحافة الى الايوان

المعد لسموهِ . فالقى فيهِ سعادة الحاكم العام الخطبة الآتية بالانكليزية . وقرأ حضرة عزتلو شاهين بك جرجس سكرتيرهِ العربي ترجمتها العربية وهي :

مولاي صاحب السمو المعظم

اني افتخر بالشرف الذي اناله اليوم اذ ارحّب بسموكم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن ضباط السودان وموظفيهِ وعلمائهِ ومشايخهِ واعيانهِ واهاليهِ واعرب عن امتناننا المقرون بالاحترام على الشرف السامي الذي يختصهُ سموكم للبلاد اذ تفضلتم ورضيتم ان تفتحوا هذا الثغر والميناء

ان تشييد بورت سودان لعمل يحق للعالم ان يفتخر بهِ وهو بمثابة خطوة جديدة في سبيل منح السودان واهاليهِ بركات السلام والعمران فاسمحوا لي ان اقدم الى سموكم التهاني المقرونة باوفر الاحترام بنجاح هذا المشروع الذي تم تحت عناية سموكم . واني ارحب ايضاً ترحيباً قلبياً باصحاب السعادة النظار واعضاء مجلس شورى القوانين وغيرهم من الاعيان الحاضرين هنا واسدي الشكر على المساعدة التي نالتها السودان من كبار رجال حكومة سموكم

وفي الختام اتشرف بان اذكر امام سموكم الهمة والمقدرة اللتين ابداهما صاحب العزة القائمقام كندي بك مدير قسم الاشغال والقائمقام دروري بك مراقب الموانئ والفنارات اللذين بمساعدة الضباط والموظفين الانكليز والمصريين والسودانيين الذين تحت امرهما قد كان لهما الفضل الاكبر في النجاح باتمام هذا العمل المعظم

واتشرف ان اذكر ايضاً اسماء صاحب العزة الميرالاي هيس سدلر بك مدير الجمارك والمستر هرنشون مورجان القاضي المدني وصاحب العزة القائمقام فلدن بك من ضباط حكومة السودان والدكتور كريسبن من ضباط مصلحة حكومة السودان الطبية الذين اتموا اعمالاً جليلة فيما يتعلق بتنظيم وادارة المدينة والميناء

وباذن سموكم سأطلب الآن من صاحبي العزة القائمقام كندي بك والقائمقام دروري بك ان يصفا بالايجاز اهم ما يتعلق ببناء المدينة والميناء وان يعرضا على مسامع سموكم اسماء الضباط والموظفين الذين قاموا بخدمات ممتازة

ثم تلا حضرة القائمقام كندي بك مدير قسم الاشغال خطبة باللغة الانكليزية وهذه ترجمتها العربية

مولاي صاحب السمو المعظم

بمناسبة افتتاح سموكم لهذا البناء الجديد اتشرف بان اعرض شرحاً موجزاً عن العمل الذي قد تم الآن مكللاً بالنجاح . ان اللجنة الخصوصية التي نظرت سنة ١٩٠٤ مسألة

اختيار افضل نقطة تكون ميناء السودان ومنتهى سكة حديد البحر الاحمر قررت اختيار بورت سودان وتفضيلها على سواكن الميناء القديمة التاريخية . وفي اوائل سنة ١٩٠٥ خصصت الاموال اللازمة للاعمال المختلفة التي قرَّ عليها القرار وارسلت الفرقة الاولى من المهندسين والعمال الى بورت سودان ولم تكن في ذلك الحين الاَّ شاطئاً مقفراً قاحلاً ولم يبلغ عمل البناء اتمهُ الاَّ في بدء سنة ١٩٠٦ . وعند تخطيط المدينة والميناء خصص الجانب الشرقي من الميناء بتمامهِ للارصفة التجارية ومستودعات الفحم ومخازن الجمارك ووراء هذه مكاتب ومخازن الترحيلات . اما المدينة نفسها فخططت على الارض المرتفعة الواقعة غربي الميناء حيث بنيت ابنية الحكومة المختلفة ومن جملتها الثكنات والمدارس والسجن والمستشفى ومكاتب البوستة والتلغراف ومكاتب الحكومة الاعتيادية واحياء السكن . وقد بنيت نقطة الكورنتينا على الارض المنفصلة الى الجنوب من الميناء . ويبلغ طول ما بني من الرصيف الى الآن ستمائة وخمسة وعشرين متراً ويمكن خمس سفن كبيرة ان تفرغ شحنها عليهِ في وقت واحد وعمق المياه على جانب الارض تسعة امتار في معظم الجزر. وقد وجدت صعوبة كبيرة في اعداد الاساسات عند بناء حائط الرصيف لان الشاطيء المرجاني غير متناسب فكان في بعض الاماكن ليناً للغاية وفي غيرها صلباً اقتضى استعمال كراكات من طرز مخصوص .

ومعدات الميناء الميكانيكية تامة وهي تشتمل على خمس ونشات كهربائية ذات زاوية تمكنها من تفريغ شحن اكبر البواخر المعروفة . وست آلات كهربائية لجر السفن على جانب الارصفة وسحب عربات السكة الحديدية على الارصفة . والرصيفان المعدان للفحم مجهزان بآلات خصوصية لتفريغ الفحم تتألف من اربع نقالات للفحم وجسر تفريغ . وآلات تفريغ الفحم هذه من احدث وامتن طرز وكافية لتفريغ ثلاثمائة طن في الساعة . ولما كان العمل الصناعي اليدوي في السودان كثير النفقة قليل الفائدة كان من اهم الامور اعداد معدات ميكانيكية وافية بالغرض للميناء . وكل الآلات تدار بالكهربائية وتشتغل من آلة مركزية كبيرة وتجهز هذه الورشة النور والقوة الميكانيكية اللازمة لورش الارصفة والنور للمدينة وللارصفة نفسها وتجهز القوة ايضاً لادارة الكبري المتحرك الذي تسير عليهِ سكة الحديد فوق الميناء .

وقد بني حوض شمالي الكبري لاجل اعمال الترميم العمومية للسفن والعمل جارٍ هناك في بناء مزلقان . ويرجى ان بورت سودان وان لم تكن كبيرة الاتساع فستكون من جهة معداتها من احسن موانئ العالم . ويجدر بي في هذا المقام ان اذكر ان مجموع ما انفق على كل الاشغال المتعلقة بمدينة بورت سودان وميناها قد بلغ ٩١٤ الف جنيه مصري

وفي الختام اسمحوا لي ان ارفع الى سموكم العالي اسماء الاشخاص الآتي ذكرهم الذين قاموا بمساعدات كبيرة في بناء مدينة بورت سودان الجديدة وميناها :—

حضرة البكباشي ه . ه . كلي . وحضرة المستر ب . بارنت . وحضرة المستر ف . ه . كوب . وحضرة المستر ج . ا . ما كلارن . وحضرة المستر ف . س . س . بالفور . وحضرة اليوزباشي موسى افندي فهمي . وحضرة الملازم الاول عارف افندي لبيب . وحضرة الملازم الاول عبد الحميد افندي توفيق

والتمس ايضاً توجيه انظار سموكم الى العمل المتقن الذي قام بهِ مقاولو حائط الرصيف الخواجات بنشيني وكوستانس من الاسكندرية الذين اتموا عملاً هندسياً فائقاً بطريقة مرضية الى الغاية في احوال شديدة الصعوبة . وقرأ بعده حضرة القائمقام درورى بك مراقب الموانئ والفنارات خطبة اخرى انكليزية وهذه ترجمتها العربية

مولاي صاحب السمو الاعظم

اتشرف بان ارفع الى مقام سموكم العالي بعض الافادات المهمة المتعلقة بميناء بورت سودان وفائدتهِ البحرية . فاول كل شيء كما لاحظتم سموكم ان مدخل الميناء حسن جدًّا فعرضهُ يزيد عن الف ومئتي قدم والدخول اليهِ سهل والمرسى فيهِ صالح وامين وطولهُ نحو ثلاثة اميال وعمقهُ يتراوح ما بين سبع قامات واربع عشرة قامة والسفن التي تدخلهُ تكون مصونة من كل ريح تهب او نوء يثور . وطريقة انارة الميناء هي كما يأتي :—

قد نصب في مدخلهِ في مكان ظاهر فنار من الدرجة الثالثة يختفي نورهُ كل عشر ثوانٍ ويرى في البحر عن بعد اربعة عشر ميلاً وقد صنع هذا الفنار بحيث ينبعث منهُ شعاع احمر علامة على الخطر الى شعب ونجت والبر الشمالي الذي يخشى منهُ على السفن وشعاع آخر احمر الى شعب توارتيت والبر الجنوبي الذي يخشى منهُ على السفن ايضاً وشعاع ابيض الى البوغاز الامين . وفي القسم الضيق من المدخل قد نصب فناران ثابتان من الدرجة الخامسة احدهما على الجانب الايسر للداخل الى الميناء ونورهُ احمر والآخر على الجانب الايمن ونورهُ اخضر وقد جعل لارشاد السفن الداخلة الى الميناء منارتان مصنوعتان من الحديد المشبك علو الاولى منهما اربعة وثلاثون مترًا وعلو الثانية ثمانية واربعون مترًا والمسافة بينهما تسع مئة واربعة وستون مترًا وينار على كل من هاتين المنارتين في الليل نوران احمران والمسافة بينهما عشرون قدماً (والفنارات التي تنبعث منها هذه الانوار هي من الدرجة الخامسة) وعند ما تكون المنارتان في خط مستقيم من السفينة ترى الانوار الاربعة الحمراء الواحد منها فوق

الآخر. وقد وضعت علامات على الشعب القريبة من الميناء لارشاد السفن في النهار ولذلك لا يوجد اقل خطر على السفن التي تدخل الميناء او تخرج منهُ ليلاً او نهاراً. ثم ان الارصفة وما لها من المعدات المتقنة والتسهيلات للشحن هي بحد ذاتها تجعل الميناء مرغوباً فيهِ واري انهُ يجب ان تغرى السفن القليلة الشحن بالمجيء الى هنا بدلاً من ان تنقل شحنها الى سفن اخرى من السويس او غيرها . ومما تقدم اظن ان سموكم تلاحظون ان الميناء الذي تكرمتم بفتحهِ اليوم يضاهي في فائدتهِ وحسن معداتهِ افضل الموانئ الواقعة شرقي السويس

وفي الختام اتشرف بان ارفع الى مقام سموكم العالي اسمي اللفتننت درابير من البحرية الملوكية الاحتياطية مساعد مدير الموانئ والفنارات والمستر بوكسال مهندس الاحواض اللذين قاما بخدمات جليلة فيما يتعلق ببناء البناء والارصفة

ثم رد سموهُ على هذه الخطب بخطبة عربية سنية هذه صورتها

يا سعادة الحاكم العام للسودان و يا ايها السادة

يسرني كثيراً ان احضر اليوم هذا المشهد الشائق للاحتفال باتمام هذا الميناء الجميل . فان افتتاح بورت سودان لمن الادلة الساطعة على ترقي اسباب العمران في بلاد السودان . و بتسهيلهِ طرق المواصلات يقرب النواحي القاصية بعضها الى بعض و يوسع نطاق التجارة ويزيد منابع الثروة في البلاد فيتمتع الاهالي ببركات الامن والسعادة

واني اشارك سعادتكم في الثناء على حضرة القائمقام كندي بك وحضرة القائمقام دروري بك وعلى جميع من ساعدوهما في هذا العمل العظيم من الضباط والموظفين الانجليز والمصريين والسودانيين

وتلا حضرة بروستر بك سكرتير سموهِ الانكليزي ترجمتها الى الانكليزية . ولما انتهى سموهُ من ردهِ قدم سعادة الحاكم العام اليهِ خطبتهُ في علبة من الذهب داخلها على شكل قبة ضريح الشيخ برغوث تذكاراً لفتح الميناء قائلاً اتشرف ان اقدم هذه العلبة الذهبية الى سموكم هدية من حكومة السودان لتكون تذكاراً لتشريفكم هذه الديار وافتتاحكم ميناء بورت سودان . فاجابهُ سموهُ قائلاً اني اشكر سعادتكم وسأحفظ هذه الهدية الجميلة لتكون لي ولابنائي من بعدي تذكاراً لافتتاح هذا الميناء

ثم ادار سموهُ اداة صغيرة متصلة برافعة (ونش) فتولدت قوة كهربائية رفعت آخر حجر من افريز الرصيف واعلن فتح الميناء رسمياً . فادى قره قول الشرف السلام وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوي وسلام جلالة ملك الانكليز

شمس العدالة في تركيا

(تابع ما قبله)

الاتراك شعب حريٌّ بالاعجاب

في البلاد العثمانية خمسة وعشرون مليونًا من السكان وخمسة ملايين منهم اتراك من سلالة رجال عثمان الاول الذين خرجوا من اواسط اسيا وامتدُّوا في فتوحهم الى اوربا وهم شعب يُعجب بهِ قويٌّ باسل . نتكلم هنا عن الشعب التركي بالاستخفاف لكنهُ ليس بالشعب الذي يستخف بهِ . وحسبكم دلالة على مقدرتهِ انهُ تسلط على الممالك العثمانية ستمئة سنة . والسلطان الحالي سلطان مقتدر والذين رأوهُ يعلمون انهُ ليس كما يصورهُ ارباب الصحف الهزلية فهيئتهُ تدل على انهُ رجل مقتدر وسياسي حاذق عالي الهمة مع انهُ صار في السادسة والستين من عمرهِ . ولقد كان في خلال الثلاثة والثلاثين عامًا الغابرة اي منذ تاريخ مجلس المبعوثان الاول الى الآن مهتمًا بفتح المدارس وبناء المساجد وانشاء المستشفيات واخذ الاحتياطات الصحية لتحسين صحة رعيتهِ ومد السكك الحديديَّة ولاسيما سكة حديد الحجاز العظيمة التي انشأها من دمشق الى مكة في السنين الاخيرة

ويلي العنصر التركي عناصر مختلفة كالارمن والاكراد والشراكسة والالبانيين والسوريين والمكدونيين والبلغاريين والسربيين واليونانيين كل هؤلاء عناصر ذات مقدرة وكفاءة وهناك العرب والتاريخ شاهد بمبلغ قوتهم وبسالتهم

اما المنافسة الناشئة عن اختلاف الاجناس والمذاهب فلا رجاء بالتغلب عليها الاَّ بقوة الوطنية وقوة العلم وانارة الاذهان وتأثير الدين

شيدت مدارس عديدة في المملكة العثمانية في الثلاثين سنة الماضية للمسلمين والمسيحيين واظن ان عددها اليوم نحو اربعين الف مدرسة يدرس فيها نحو مليون ونصف مليون من الصبيان والبنات . وطريقة التعليم غير راقية ومع هذا فقد كنت في جنوب سورية منذ بضعة اشهر فزرت قرية صغيرة على بعد من السكة الحديدية وعلى بعد مئات من الاميال من دمشق . في تلك القرية الصغيرة مدرسة اهلية وتلامذة . وكثير مثل هذه المدارس منتشر في جميع انحاء المملكة فهذه المدارس وان يكن التعليم فيها غير راقٍ فانها ناجحة ومتقدمة فالمدرسة مدرسة والتلميذ الذي يقصدها الآن قد قرع باب العلم والترقّي الذي يفتح الى القرن العشرين

الكليات الاميركية في تركيا

استطردُ الكلام الآن الى الكلية التي لي علاقة بها فاقول انها من طبقة المدارس والمعاهد العلميَّة العالية المتفرقة في جهات مختلفة من السلطنة العثمانية وحبذا لو وسعني الوقت للكلام على المعاهد العلمية الاخرى كالمدارس الكاثوليكية وامثالها. واني اتكلم عن المدرسة الكلية السورية الانجيلية لانها انموذج للكليات الاميركية في المملكة العثمانية واعتقد ان لهذه الكليات اعظم فضل في انارة اذهان الاهالي وتثقيف عقولهم وهي كثيرة فمنها واحدة في عينتاب وواحدة في خربوط وواحدة في ازمير وواحدة في مرسوڤان وواحدة في طرسوس وواحدة في الاستانة وهناك كلية للبنات ايضاً. وقد انشأ الاميركيون هذه الكليات في المملكة العثمانية ليتسنى للعثمانيين الحصول على المزايا العلميَّة والادبية التي حصلنا نحن عليها

دعوني الفت نظركم برهة الى بيروت — تلك المدينة التي اعدُّها اجمل مدينة في العالم — والى مصلَّى الكلية حيث ترون جميع الطلبة مجتمعين وعلى منبرها سبعون استاذًا ومدرسًا يمثلون عناصر مختلفة عديدة مع ان اكثرهم من الاميركيين وقبالتهم ثماني مئة طالب او تسع مئة. فالى الجانب الايمن طلبة المدرسة الطبية وفي الوسط طلبة المدرسة العلمية والى الجانب الايسر طلبة المدرسة التجارية وطلبة المدرسة الصيدلية ووراءهم طلبة المدرسة الاستعدادية. وربما لا يروق لكم منظر هؤلاء الطلبة لاول وهلة لانكم تتوقعون ان تروا منظرًا غريبًا غير مألوف. فانهُ عوضاً عن ان يبقى الطلبة بملابسهم الوطنية يجتهدون في تقليد ملابسنا التي لا تروق لعين الناظر ولكن عندما تسألون من اين جاؤُوا ومن هم يتبين لكم فورًا كيف ان تلك المدرسة وسيلة مهمة للتغلب على ما ذكرتهُ آنفاً من المنافسة وقد تظنون انهم كلهم على المذهب البروتستانتي وذلك خلاف الواقع لان البروتستانت منهم يعدون على الاصابع فنهم نيف ومئة طالب من المسلمين ونحو مئة من الاسرائيليين ومئة من اليونان ومن خمسة عشر الى عشرين طالبًا من بلاد الفرس وهناك تلامذة من الهند وتلامذة من البلغار وتلميذ من صحراء جوبي. ولما كنتم من اعضاء الجمعية الجغرافية فانتم ولا مشاحة تعرفون موقع هذه الصحراء. ان طلبة المدرسة الكلية في العام الماضي اتوا من ٢١٤ مدينة وقرية. ولا يخفى ان الطلبة الذين يصرفون عاماً واحدًا او اربعة او عشرة اعوام في الكلية ثم يعودون الى بلدانهم المختلفة ويختلطون باهلها يكون لهم تاثير فيهم ومتى تبين لكم ذلك قدرتم هذا التأثير حق قدره وعرفتم ما لهذا المعهد العلمي من النفع الجزيل

بقي علينا المسألة الدينية وهي اهم من سواها. تعلمون ان كليتنا مسيحية وهي كلية

مسيحية مثل غيرها من الكليات المسيحيَّة في هذه البلاد وقد وُجدنا في تلك الكلية لنشرك الشبان الذين فيها على اختلاف مللهم ونحلهم في ما بلغناهُ من سمو المبادىء المسيحية لا لنغير معتقاداتهم ولا لنجرعهم الدين المسيحيَّ . ووجدنا ايضاً لنشاركهم في احسن المنافع التي نلناها ونلقنهم افضل ما في المكتبة وافضل ما في غرف التدريس وافضل الآداب الدينيَّة التي بلغناها . ان اولئك الشبان المسلمين يفتخرون بدينهم و يعدونهُ ديناً عظيماً فيجب علينا ان نسير معهم طبقاً للمبدإ العظيم الذي وضعهُ مؤسس الدين المسيحي حيث قال "ما جئت لانقض بل لاكمل"

اعظم صاحب للنبي

تعلمون شيئاً عن تاريخ الاسلام في اوله وعن زعمائهِ الاولين وعن الامام عمر الذي كان صديقاً للنبي ثم صار من خلفائهِ وتعلمون شدة حرص هذا الخليفة على حماية الدين والتمسك بتحريم الخمر طبقاً لنص القرآن . فقد بلغهُ مرة ان نفراً من المسلمين اصابوا الشرب في الشام فكتب الى ابي عبيدة (وكان الوالي من قبلهِ في بلاد الشام) ان ادعهم فان زعموا ان الخمر حلال فاقتلهم وان زعموا انها حرام فاجلدهم ثمانين جلدة . فبعث اليهم فسألهم على رؤُوس الاشهاد فقالوا حرام فجلدهم ثمانين

هذا هو عمر الذي لما تولى الخلافة وقف في الناس وقال "ان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ لهُ بحقهِ وان اضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منهُ"

في استطاعتكم الآن ان تصوروا كيف ان اولئك الشبان المسلمين يصغون الى قراءة التوراة على المنبر يومياً والى ما يقال تفسيراً او حثّاً . ولقد قلت سابقاً اننا لا نقصد ان نجرعهم الدين تجريعاً وهم ليسوا في الكلية ليصيروا مسيحيين او ليتدينوا بدين غير دينهم كلاَّ وانما نقصد ان نشركهم معنا في ما نعدهُ من الكمالات او الغايات السامية . لا نطلب منهم ان يعملوا شيئاً مخالفاً لدينهم بل نقول لهم بحرية ان التهذيب لا يكون كاملاً الاَّ اذا شمل تهذيب النفس والروح وان خير ما لدينا لنشركهم فيهِ هو الكمالات الدينيَّة فاذا لم يستطيعوا دخول كنيستنا براحة ضمير فعليهم ان يفتشوا عن مدرسة اخرى غير مدرستنا

لا نجبر المسلمين ولا اليهود ولا الدروز ان يحنوا رؤُوسهم في كنيستنا بل ننتظر منهم ان يكونوا هنالك كما ينتظرون منا ان نكون لو دخلنا جامعاً او مدرسة اسلامية اي احترام مكان العبادة وكذلك هم يفعلون . ونقول لهم ايضاً ان الالمام بتاريخ الديانة المسيحيَّة لازم لهم كما ان الالمام بتاريخ الديانة الاسلامية والديانة البوذية والديانة الصينيَّة لازم لنا

و يسرني ان اقول واراني اقول الحقيقة عينها اننا لم نتهم قط بمعاملة الطلبة المسلمين او اليهود او الدروز معاملة غير عادلة

اتذكر مرة ان الطلبة المسلمين كانوا يؤدون فريضة الصوم والصلاة وهم ركع في غرفة النوم· وعلمت بعد ذلك ان بعض الطلبة من المسيحيين هزأوا بهم ولما كان ذلك مخالفاً لمشرب الكلية انتهزت فرصة اجتماع الطلبة واعتذرت اليهم عمّا فعلهُ اولئك الذين يدعون انهم مسيحيون · فعلت ذلك وانما اعتقد انهُ امر بسيط ولكن هل تصدقون انهُ اهاج الطلبة المسيحيين فاخذوا يتساءلون قائلين الى من وجه الرئيس كلامهُ وما القصد منهُ وهل صار مسلماً حتى يعتذر الى المسلمين

وعلى هذا النحو يكون الطلبة المسلمون عندما يتركون الكلية ملمين بمبادىء الدين المسيحي يقدرون هذا الدين الذي اوصل المسيحيين الى ما هم عليهِ حق قدرهِ وكذلك الحال مع اليهود والدروز · وليس غرضي مما ابينهُ الاّ ان ابين اسلوب الكلية واظهر لكم كيف اننا بين هذه الاديان المختلفة نعزز المبدأ الديني بقطع النظر عن مختلف الاديان وذلك بجهرنا بمبادىء الديانة المسيحية بحرية وجلاء وهذا هو السبب في ان التسعماية طالب تقريباً الذين عندنا يتآلفون شيئاً فشيئاً مع ان عدد الطلبة البروتستانت بينهم قليل جداً

الامير والفلاح متساويان في لعب الكرة

وكذلك الحال في المسائل السياسية فان كل طالب يدخل كليتنا يفهم اننا كطلبة واساتذة لا ننظر الى كلمة الانقلاب بمعناها السياسي بل نفسرها بانها ضد الجهل والغباوة وبانها توجب صرف القوى الى ما يرقي العقل و ينير الذهن فيدرك الطلبة بذلك تدريجاً ان في استطاعة الرجال مع ما هم عليهِ من اختلاف العناصر والاميال السياسية ان يشتركوا في مشرب واحد ووطنية واحد · اتذكر ان كثيرين من طلبة الكلية بهتوا لما زارنا المستر بريَن (الزعيم الاميركي) وقرينتهُ ورأونا نكرم وفادتهما ونرحب بهما مع ان اكثرنا من الحزب الذي هو ضدهُ واتذكر ان المستر برين القى علينا حينئذٍ خطبة رنانة ستبقى في حافظة الطلبة زمناً طويلاً

ونراعي هذا المبدأ ايضاً في ساحة الالعاب الرياضية حيث ترون نجل الامير يلعب كرة القدم مع ابن الفلاح او ابن الطباخ · ونحن نعتقد بمنفعة لعب كرة القدم هناك وعندنا سبع عشرة او ثماني عشرة فرقة يمارسون هذا النوع من اللعب الذي ينمي في الطلبة القوة على الصبر واحتمال الضيم فاذا اصيب اللاعب بضربة شديدة فلا ينفش ريشهُ ولا يستل خنجرهُ

وهذا يجعل الطلبة يخرجون الى العالم رجالاً كما يجب ان يكون الرجال

وهذه المبادئ نفسها تمشي في غرف الطعام حيث تجدون طلبة من جميع العناصر والاديان يخدمون على المائدة مقابل اجرة تعليمهم وثمن طعامهم وهذه امثولة للاميركيين كما هي للسوريين

ما هو مصير المتخرجين من كليتنا؟ يسهل جدًّا جمع الطلبة اذا قلت لم حيَّ على العلم هلمّ الى اسباب العمران التي امتاز بها القرن العشرون. ولكن من المحتمل ان يدور في خلدكم الآن سؤال وهو كيف تحافظون على اولئك الطلبة وكيف تخرجونهم الى العالم؟ فالف وثماني مئة قد تخرجوا من كليتنا بعد ان نالوا الشهادات المختلفة فمنهم الاطباء والجراحون والصيادلة وحاملو الشهادة العلمية وغيرهم. ترون منهم الاطباء في بر الاناضول و بلاد مصر و بلاد السودان حتى خط الاستواء. ترون منهم القضاة والمحامين واساتذة المدارس ووعاظ الكنائس. على ان هؤلاء الالف والثماني مئة ليسوا شيئًا ازاء العدد العظيم من الذين يدخلون الكلية ويخرجون منها قبل اتمام دروسهم او بعد اتمام بعضها

اعترف ان لي ضلعًا مع المدرسة الكلية ولكني اؤكد لكم انني اجتهدت لا توخّى الصدق والحق في ما اقوله لكم فاطلب منكم ان تحكموا بانفسكم هل هؤلاء الالف والثماني مئة الذين خرجوا الى العالم بعد اتمام دروسهم لا يكونون قوة قادرة على حسم العداء الجنسي وهدم اركان التعصب الديني أوَ لا يكونون قوة لوضع اساس وطنية حقة وجامعة اخوية واتحاد يبشر بمستقبل مجيد للسلطنة العثمانية

والحق يقال ان الصعوبات التي تعترضنا عظيمة جدًّا ولكن لا تنسوا ان ثماني كليات او تسعًا تعمل عملنا في تركيا فاينما وجد متخرج من هذه الكليات وجد نور جديد يضيء الجهة المحيطة به. فمن عيادة ذلك الطبيب. ومن مكتب ذلك المحامي. ومن منزل ذلك الواعظ تنبعث قوة في سبيل الاصلاح والمدنية — وتلك القوى متجهة الى مركز واحد وهي تبدد ظلام الجهل والغباوة

تركيا صديقتنا الوحيدة سنة ١٨٦٢

ان والدي الجليل مؤسس هذه الكلية واول رئيس لها وهو الآن في السادسة والثمانين من عمره زار مدينة وشنطون منذ ست واربعين سنة وقابل الرئيس لنكلن. وكان اخوانهُ المرسلون في سورية قد كلفوهُ بزيارة الناظر سيورد لمفاوضتهِ في خلاف طفيف وسوء تفاهم يتعلق بعملهم في تلك البلاد والاستفهام من حكومة وشنطون هل تستطيع مخابرة تركيا لوضع

حد لتلك المشاكل البسيطة . فاجابهُ المستر سيورد بعد ان سمع اقوالهُ قائلاً " اتعلم يا دكتور بلس ان تركيا هي الدولة الوحيدة التي شاركتنا في العواطف والاحساسات في هذه الحرب الاهلية " . فلم ينبس والدي بكلمة بل احنى رأسهُ وخرج من لدنهُ لانهُ فهم المراد

يجب ان لا نكتفي بارسال رسالة بسيطة من مجلس امتنا الى الامة العثمانية في هذه الساعة المهمة في تاريخها . يجب ان لا نكتفي بذلك ايها السادة والسيدات نحن ابناء هذه الجمهورية التي وان لم تنل حتى الآن كل غايتها من الحرية لكنها قد سارت في سبيلها شوطاً طويلاً في طريق لا يخلو من العقبات . ألا يجب علينا ان نرسل اليها رسالة يفهم منها اننا نؤيد تلك المدارس والمعاهد العلمية التي هي من وسائل العمران في البلاد العثمانية ان لم يكن لذلك اسباب تمنع ارسال رسالة مثل هذه

علمت ان كثيرين منكم هنا في وشنطون قد اهتموا بمشروع مجيد وهو انشاء مستشفى للمسلولين في لبنان وهو اول مستشفى من هذا النوع في المملكة العثمانية وما من احد ينكر نفعهُ ولكني الفت انظاركم ايضاً الى المشروعات الاخرى التي لا تقتصر على الفوائد الصحية والعقلية بل تتناول ترقية المملكة العثمانية روحياً وادبياً ايضاً

واني اشكركم من صميم الفؤاد على اصغائكم اليَّ ولي رجاء واحد وهو انكم تزورون البلاد العثمانية فتشاهدون نمو الحرية والاخاء والمساواة في تلك السلطنة العظيمة

ترجمة خطبة بوفون في صناعة الانشاء

تمهيد للمترجم

ان بوفون المنشيء الفرنسوي المشهور وُلد سنة ١٧٠٧ وتوفي سنة ١٧٨٨ وقد كان احد الثلاثة الذين احرزوا لعصرهم في البلاد الفرنسوية اعظم ما يصل اليهِ من النفوذ الفكري مَن ملك ناصية البلاغة كما صرَّح بذلك احد المؤلفين في كتاب لهُ في تاريخ البلاغة الفرنسوية . ومن آثارهِ المشهورة خطبة لهُ في صناعة الكتابة خطبها يوم انتظامهِ في عداد اعضاء المحفل العلمي الفرنسوي فصادفت من الاستحسان عند العلماء والادباء ما هي جديرة بهِ ولم تزل الى اليوم من آثار القلم المكرَّمة ولن تزال فأحببت ترجمتها بالعربية ونشرها في مجلة المقتطف الشيخة عمراً وحكمةً والفتاة نشاطاً وهمةً فان تعريب مثل هذه الخطب المحبرة يعد من انفس مما يهدى الى الالباب

الخطبة

(١) قد البستموني رداء المجد الضافي بما دعوتموني اليكم ونظمتموني في سلككم ٠ والمجد نعمة لا يصيب المرء منها الأ على قدر اهليته لها . لا ارى ان بواكير كتاباتي الخالية من لطف الصنعة العاطلة من كل حلية الأ حلية الطبيعة تصلح اسباباً كافية تجرّئني على الانضمام الى ارباب العلم الاعلياء المقام الممثلين بهاء البيان الفرنسوي الذين طار صيتهم ودارت اسماؤهم على ألسنة الامم وستدور على ألسنة الاعقاب محفوفة بمجد الثناء

لكن يا ايها السادة كانت لكم اسباب أُخر اذ ازمعتم ان تشرّفوني بالانتظام في المجمع الشريف الذي قد وسمتهُ منذ طويل بسمة جديدة من الاجلال فانّ ثنائي وان لم اكن منفرداً فيه لا يقلّ رونقاً ولا يهن قوّةً ٠ لكن مَن لي ان اقوم بالذي تفرضونهُ عليّ في هذا اليوم ٠ ليس لي ان اقدم لكم الأ مما لكم وهو بعض خواطر في صناعة الانشاء قد استفدتها من نفثات اقلامكم ٠ فبمطالعة مؤلفاتكم والاعجاب بها قد عنّت لذهني هذه الخواطر وبعرضي اياها على آرائكم الصائبة ستنجلي بحلية النجاح

(٢) لم يخلُ زمن من رجال يقدرون ان يقودوا الناس بقوّة الكلام غير ان هذا لم يكن مع ذلك في القرون المستنيرة التي جاد فيها الانشاء وبلغ الكلام ٠ فان البيان الحقيقيّ يستلزم شحذ القريحة وتهذيب العقل وبينهُ وبين ذلاقة اللسان بونٌ بعيد . فما ذلاقة اللسان الأ موهبة مُنحها الذين أُوتوا قوّة الاهواء وطلاقة الالسنة وسرعة التخيُّل ٠ فامثال هؤلاء شديدو الشعور والتأثر ويفصحون عن ذلك بقوّة وينقلون الى قلوب الغير مثل ما بهم من التحمُّس والانعطاف بصورة آليَّة بحتة حتى كأنَّ الجسم يكلّم الجسم وذلك لان حركاتهم واشاراتهم تتضافر وتتعاون وتتساوى فعلاً ٠ والسواد الاعظم من الناس لا يحتاج في استمالتهم واقناعهم الأ الى لهجة حادَّة مؤثرة واشارات واضحة متكرّرة ولفظ رشيقٍ طنانٍ

واما الفئة القليلة وهم اهل الرصانة ولطف الذوق ورقّة الحسّ فهم ايها السادة مثلكم لا يحفلون بالحركات ولا الاشارات ولا رنة اللفظ الفارغة . فهؤلاء لا بدّ في اقناعهم من موادّ ومعان وبراهين كما لا بدّ ايضاً من العلم بايرادها وتلوينها وتنسيقها فلا يكفي ان تطرب الآذان وتشغل الابصار بل لا بدّ ان تؤثر في النفس وتمسّ القلب بمخاطبة العقل ٠ فما الانشاء سوى الترتيب والحركة التي تبثّ في المعاني فان أُحكم ربطها ووُثّق ضمها جاء الانشاء رصيناً متيناً موجزاً ٠ وان تركت تتعاقب ببطء تحت ظلّ الالفاظ فمها بلغت فصاحة الالفاظ فلا يجيء الانشاء الأ مشوَّشاً ركيكاً مطولاً

ينبغي للمنشىء قبل الاشتغال بنظم العبارة ان يشتغل بترتيب الخواطر الاولى والافكار الاصليَّة · فمتى عيَّن لكل خاطرٍ او فكرٍ أصليّ محلاً تسنى لهُ ان يحصر الموضوع ويعرف مقدار اتساعهِ · ومتى قامت هذه الرسوم الأوليَّة نصب عينهِ تيسَّر لهُ ان يُعيّن المسافة المناسبة بين الافكار الاصلية التي تتفرع منها الافكار التابعة والمتوسطة التي تملأُ تلك المسافات · فبقوَّة القريحة يمكن المرء ان يتصوَّر كل الافكار العموميَّة والخصوصيَّة بحقيقة معانيها · و بدقة تمييز يفرّق بين العقيم منها والمثمر · وبالذكاء المكسوب بتعوُّد الكتابة يعرف اول الامر ما تكون نتيجة اعمال العقل هذه · فلا جرم ان الموضوع المتسع او المختلط ولو بعض الاختلاط يعزُّ على المرء ان يحيط بهِ بلحظةٍ او ان يدركهُ باسرهِ لاول توجيه النظر اليهِ · ويعزُّ عليهِ ايضاً ان يدرك كل متعلقاتهِ الاَّ بعد ان يطيل النظر فيهِ فينبغي والحال هذه ان يجيل ذهنهُ فيهِ كثيرًا فان هذه هي الوسيلة الوحيدة الى اثبات افكارهِ وتوسيع نطاقها والسموّ بها · وكما اعطاها بالتأمل مادةً وقوَّةً سهل عليهِ ان يحسن تشخيصها بالتعبير عنها

على ان هذا الرسم ليس هو الانشاء كلهُ لكنهُ اسهُ بما يعضد المنشئ ويرشدهُ وينظم حركتهُ ويجري بهِ على متن البلاغة · وبدونهِ فابلغ كاتب يضلُّ السبيل ويجري قلمهُ بلا دليل فيكون كلامهُ مضطربًا وتكون معانيهِ غير منتظمة وصورهُ متنافرة · ومهما كانت الالوان التي يلوّن بها ناصعةً ومهما كانت المحسنات التي يرصّع بها التفاصيل جميلة فان كان مجمل كلامهِ مستهجنًا او قاصرًا عن ان يؤثر التأثير الكافي فالتأليف يكون ركيكاً · الاَّ ان القارئ مع اعجابهِ بفعل المنشيء يخالجهُ الظن ان ذلك المنشئ خالٍ من الذكاء ومن هنا ترى الذين يكتبون كما يتكلمون لا يحسنون الكتابة وان كانوا يحسنون الكلام · وترى ايضاً الذين يسلمون لاول خاطر يخطر لهم فيهبُّون بحماسةٍ لا يلبثون ان يعجزوا عن الاستمرار عليهِ

ولهذا السبب عينهِ لا يحكم اللحمة بين المعاني الذين يخافون اضاعة ما يطرأُ على العقل من الافكار المنفردة ولا الذين يكتبون الفصول والمقالات في الاوقات المتقطعة · ومن اجل ذلك ترى تآليف متعددة مكوَّنة من قطع لا يلحم بعضها ببعض الاَّ بعد الجهد والعناء · وقلَّ منها ما سُبك بجرةٍ

ومع ذلك فمهما اتسع الموضوع الواحد فلا يتعذر حصرهُ في مقالةٍ واحدة · فالقطع والوقف والفصل لا يسوغ ان يستعمل شيءٌ منها الاَّ عند اختلاف المواضيع او عندما يكون الكلام في امورٍ جليلة صعبة متنوعة فان القريحة تعترضها في اشباه هذه الامور العوائق الكثيرة وضرورات الاحوال فتتقف جريها

ألا وان تعدد التقسيم يضعف التأليف . نعم ان العبارة تظهر للعيون اوضح لكن غرض المؤلف يستمرُّ تحت سجف الخفاء ولا يكون لهُ موقع في نفس القارىء فهو لا يشعر بهِ الا باطراد المعنى ويحسن التحام الافكار ويسط متتابع وتدريج مستمرّ وحركة متساوية السرعة يضعفها او يلاشيها ايُّ انقطاع حصل

واحسن ما يتجلى بهِ المقصود النظر في اعمال الطبيعة فهي كاملةٌ وما علة كمالها الاَّ ان كل عملٍ هو مجموع تام وهي تعملهُ على منهاجٍ ابديّ لا تندُّ عنهُ . فالطبيعة تُعِدُّ سرًّا بزور نتائجها وترسم بمرَّة الصورة الاوَّلية لكل كائن حيّ وتبسطها وتكملها بحركة مستمرَّة وفي أجلٍ معين وهو ولا ريب عمل مدهش . ولكنما المدهش حقيقةً هو ما يلوح عليهِ من الاثر الالهي

اما العقل البشري فليس في وسعهِ ان يوجد ولا أن يولّد شيئًا الاَّ بعد تلقيحهِ بالخبرة والتأمل يعني ان معارفهُ هي بزور نتائجهِ . لكنهُ اذا قلّد الطبيعة في سيرها وفي عملها ترقَّى بالتأمل الى الحقائق العليا فاذا جمع هذه الحقائق وربط بعضها ببعض واذا افضى بهِ تدقيق النظر الى ان يؤلف مجموعًا وينهج في انشائهِ منهجًا واحدًا قرَّر على اسٍّ لا يتزعزع آثارًا خالدة

انما لعدم رسم الموضوع واغفال التأمل فيهِ يرى ذو اللبّ انهُ في حيرةٍ فما يدري من اين يبدأُ بالكتابة فتعنُّ لفكرهِ خواطر جمة دفعةً واذ لا يكون قد قابل فيما بينها ولا وصل بعضها ببعض يبقى في حيرتهِ ولكنهُ متى رسم رسمًا وجمع ورتّب كل ما للموضوع من المعاني الجوهرية فيعرف حينئذٍ متى ينبغي ان يشرع في الكتابة ويشعر بان النتيجة العقلية قد نضجت فيجتهد ان يجعلها تفرخ حتى لا يكون لهُ الاَّ لذة الكتابة اي ان التصوُّرات تفيض عليهِ والعبارة منقادة سهلة مندفعة بقوَّة الطبع . وحرارة التعبير تتولّد من هذه اللذَّة وتنتشر في كل الموضوع وتنفخ روح الحياة في كل عبارة وكل شيء يتزايد قوةً فالبهجة تعلو والاشباه تتلوَّن وتتحسَّن . والشعور اذا اقترن بالموضوع زادهُ وقوَّاهُ وعرَّفهُ بما قيل ما سيقال وعندئذٍ يعود الانشاء مفيدًا جليًا

لا شيء اذهب بحرارة العبارة وجزالتها من رغبة الكاتب في ان يأتي في كل موضع بالجمل المستغربة طلبًا لاستلفات الانظار ولا شيء احجب لضياء الوضوح الذي تقضي البلاغة ان يكون منبثًا في كل اجزاء الكتابة من هذه البداءة المتكلفة الناشئة عن جميع العبارات المتنافرة التي وان غشّت وبهرت ابصارنا بنورها بضع دقائق لا تلبث ان تتركها في حنادس الابهام . وهذه الافكار لا يمض برقها الاَّ بالمضادَّة فان الكاتب لا يظهر الاَّ جهةً من الموضوع ويعرض عن سائر جهاتهِ

وفي المادة ان الجهة التي يختارها الكاتب يتسنى له' ان يفرغ اشعة عقلهِ عليها بحسبما يكون قد ابعدها عن سائر الجهات التي من دأب العقل الصحيح ان يعتبر الاشياء بها (اي ان يجعلها مقياس الاشياء)

لا شيء اشد اجحافاً بالبيان الصحيح من استعمال هذه الافكار المكلفة وطلب هذه التصوُّرات التافهة المسترخية الفاقدة القوَّة الشبيهة بورقة من المعدن مطروقة لا تأخذ رونقاً ما لم تفقد الصلابة وكلما اكثر من وضع هذه النكت اللطيفة في كتابةٍ ما كلما قلت فيها المتانة وخُسف نور البيان وشحب وجه التعبير . اللهمَّ الاَّ ان تكون تلك النكتة أُسَّ الموضوع وبعبارة اخرى الاَّ ان يكون موضوعه' مبنيًّا على النكت ولم يكن له' غرض غير الفكاهة فحينئذٍ تصبح صناعة التعبير عن الاشياء الصغيرة أوعر مسلكاً من صناعة التعبير عن الامور الكبيرة

لا شيء اشدُّ معاندةً للجمال الطبيعي في الانشاء من التعبير عن الاشياء المألوفة بصورة غريبة او مبهرجة ولا شيء يغضّ من الكاتب اكثر من ذلك وان كان يقاسي في اجتلابهِ ما يقاسي فالناس لا يعجبون ببلاغتهِ خلافاً لما يظن بل ينقمون عليهِ انهُ قطع كثيرًا من الزمان في تنضيد كلامهِ تنضيداً جديداً ابتغاء ان يخرج عن الاسلوب العامّ وهذا العيب هو عيب العلماء العقماء العقول فلهم من الكلم مادَّة غزيرة وليس لهم تصوُّرات فهم يشتغلون بالالفاظ ويتوهمون انهم نظموا التصوُّرات لانهم نسَّقوا الجمل . ويتخيلون انهم طهَّروا اللغة وهم قد افسدوها . فهؤُلاء الكتَّاب ليس لهم انشاء وان شئت فقل ليس لهم الاَّ خياله' . فالانشاء ينبغي ان ينقش الافكار . وهم لا يقدرون الاَّ ان يخطُّوا الكلم . فبلاغة الكتابة تقتضي سعة العلم بالموضوع وتستدعي اطالة النظر فيهِ وذلك لكي يتبين الكاتب ترتيب افكارهِ ويكوّن لها مجرًى وسلسلةً متصلةً كل حلقةٍ منها تمثل تصوُّرًا

ومتى شرع في الكتابة تعيَّن عليهِ ان ينظمها على حكم الرسم الاول بعضها وراء بعض غير سائغ لنفسهِ ان يشذّ عن ذلك ولا مساعدٍ لها على تباين العبارة ولا معطٍ لها حركةً غير الحركة المعينة للمجال الذي تجول فيهِ . فهذه هي جزالة الانشاء . وهذه هي الموجدة الوحدة والمرتبة السرعة وذلك هو الذي يكفي وحده' لاخراج العبارة مخرجاً صريحاً ساذجاً متساوي النمط واضحاً قويًّا منتظم السياق — فان انضمَّ الى هذه القاعدة الاولى التي تمليها القريحة اللطف والذوق والتدقيق في تخير العبارات والتنبه الى ان لا تسمى الاشياء الاَّ تعريضاً وايماء فان توفر ذلك جزُل الانشاء — وان ضمَّ الكاتب الى ذلك ايضاً الحذر من حركة

الاندفاع الاولى وعدم المبالاة بكل ما لا فائدة له الاَّ البهرجة الفارغة وضمَّ اليهِ المجافاة المستمرة للابهام والهزل جاء الانشاء رصيناً محكماً

والخلاصة ان من يكتب كما يفتكر و يقتنع بما يريد ان يثبتهُ للناس فهذا الاقتناع نفسهُ الذي هو تأدب في حقّ الناس وفي صحة القول يلاقي في النفوس من التأثير ما يجدر ان يلاقي مثلهُ

لكن يشترط لهذا الاقتناع الباطن ان لا يكون مقروناً بحماسةٍ مفرطةٍ وان يكون فيهِ من السذاجة اكثر مما فيهِ من الثقة ومن الصواب فوق ما فيهِ من الحماسة فلهذا قد خيل لي ايها السادة وانا اقرأ مصنَّفاتكم انكم كنتم تخاطبونني شفاهاً بل كنتم تلقنونني العلم . وكانت نفسي تتلقف حكمكم هذه وتحاول ان تطير وترتقي اليكم ولكن هيهات ذلك فان القواعد لا تقوم مقام القريحة فان لم تكن القريحة فما في القواعد غناءٌ — ألا وان الكتابة الجيدة انما هي صحة فكر وصدق حسٍّ وحسن تعبير اي ان يجتمع في الكاتب العقل والحسّ والذوق . فالانشاء يقتضي اجتماع كل هذه القوى العقلية وتمرّنها . فانما الافكار هي اسّ الكتابة واما تآخي الالفاظ فليس هو الاَّ امراً ثانوياً ومتولداً من شدَّة الحسّ فقط . فحسب المرء قليل من تحكيم السمع ليجانب التنافر بين الالفاظ وان يمرّن سمعهُ ويحكمهُ بقراءة الشعراء والخطباء حتى يبلغ بهِ الطبع الى اتباع الايقاع الشعريّ والاساليب الخطابية . على ان الاتباع ما اوجد قط شيئاً . ولذلك ليس اسّ الانشاء ولا لهجتهُ في تآخي الالفاظ فهو اكثر ما يكون في الكتابة الخالية من المعاني فما اللهجة الاَّ موافقة العبارة لطبيعة الموضوع فلا يجوز ان تكون مكرهة فهي تتولد طبيعياً من اسّ الشيء نفسهِ وهي شديدة العلاقة بالجهة العامة التي اليها يوجه الكاتب افكارهُ فاذا ترقَّى الى التصوُّرات التي هي اشيع واذا كان الموضوع في حقيقتهِ جليلاً فاللهجة ترتقي الى هذا المقام نفسهِ فاذا استمرَّت اللهجة في هذه الطبقة العالية فالقريحة تأتي ببلاغة تبثّ ضياء الوضوح — واذا استطاع الكاتب ان يضمّ الى جمال التزويق قوَّة الوصف وفي الجملة اذا تهيأ لهُ ان يمثّل كل تصوُّر بعبارةٍ حيَّة مبينة وان يصنع من سلسلة كل مجموع من التصوُّرات صورةً متناسبةً ومتحركةً فلهجة العبارة تكون عاليةً بديعة لا مزوَّقة فقط

ومن ثمَّ فالمثابرة على الكتابة انفع من حفظ القاعدة والامثلة افيد من القواعد لكن لا يؤذن لي ان أُورد المقالات العالية التي اسكرتني بلاغتها عندما كنت اقرأ نبذكم فاني مضطرٌ ان اقف عند ابداء الخواطر فانما تأليف البليغة انما هي التي تجتاز الى الاعقاب

واما كثرة المعارف وغرابة الاعمال وحداثة المكتشفات فليست بالكفيلات الامينات بالبقاء على وجه الدهر . فاذا كانت التآليف التي تتضمنها لا تدور الأ على موادّ تافهة او اذا كانت عبارتها منابذةً للذوق او ركيكةً او لا دلالة فيها على توقّد القريحة فهي صائرة الى الهلاك . الا وان المعارف والصنائع والمكتشفات يسهل تناولها وانتقالها بل انها تكسب وتحسن باستعمال ايدٍ اخرايادها هي احذق من يد مكتشفها . وهذه الاشياء خارجة من الانسان . اما الانشاء فهو الانسان نفسهُ فيستحيل ان يُسلب كما يستحيل ان يُنقل ويمتنع ان يحرَّف او يزوَّر . فان كان في المقام العالي من الجزالة وحسن الديباجة حقٌّ لصاحبهِ ان يعجب بهِ في كل عصر فلا يبقى على الدهر الاّ الحقيقة . وليس الانشاء الجيد في الواقع الأ عدداً عديداً من الحقائق التي تبرز ببرُدهِ القشيب . فكل ما فيهِ من المحاسن العقلية وكل العلائق التي يتألف منها حقائق مفيدة بل ربما هي افيد للعقل البشري من الحقائق التي تكون اس الموضوع بل هي اغلى قيمةً عنده

واما الانشاء البديع العالي فليس الأ في المواضيع الجليلة فالشعر والتاريخ والفلسفة كل منها موضوع لهُ جليل بل غاية في الخطارة اذ هو الانسان والطبيعة . اما الفلسفة فتصف الطبيعة وتصوّرها . واما الشعر فيصفها ويحسنها ويصوّر ايضاً الناس ويعظمهم بل يبالغ في وصفهم وهو الذي يوجد بقوّة المخيلة الابطال والآلهة . واما التاريخ فلا يصف الأ الانسان ويصفهُ كما هو ومن ثمَّ فلهجة المؤرخ لا تصير عالية الأحين يصف اعاظم الرجال او يذكر اعظم الحوادث واكبر الاهواء واشدّ الثورات وفيما خلا ذلك يكفي ان تكون العبارة رصينةً ذات فخامة

ولهجة الفيلسوف يمكن ان تصير عالية كلما أفاض في ذكر شرائع الطبيعة والكائنات بالاجمال والفضاء والمادّة والحركة والزمان والنفس والعقل البشري والعواطف والاهواء وحسبهُ فيما عدا ذلك ان تكون جزلةً مزوّقةً

واما لهجة الخطيب والشاعر فمتى كان الموضوع عظيماً ينبغي ابداً ان تكون عاليةً فهما القادران ان يضما الى عظمة الموضوع من التلوين والانسجام والتزيين ما يريدان . وعليهما قبل ان يصفا الموضوعات ويكبّراها ان يفرغا في كل موضع ما أُوتيا من قوّة القريحة وذكائها

بيروت في ٩ آذار سنة ١٩٠٩ سعيد الخوري الشرتوني

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

﴿ الكَرْكَدَّن (فارسية) . الكَرْكَنْد (محرّفة عنها) . الحَرِيش[1] (حبشية) المَرْمِيس . المِرْمِيْس . السِنَاد . الحمار الهندي . وحيد القرن (ترجمة الاسم اليوناني) ﴾

E. Rhinoceros. F. Rhinocéros.

حيوانٌ من ذوات الحافر عظيم الجثة قصير القوائم غليظ الجلد لهُ قرنٌ واحد فوق انفهِ ولبعض انواعهِ قرنان الواحد فوق الآخر . وهو هندي وافريقي ويعرف في السودان بابي قرن وام قرن ويسمى قرنهُ بالخَرْتُوت والخَرْتِيت والخُتُوّ

وقد ذكرت لهُ اسماء غير هذه في بعض المؤلفات العربيَّة وسماهُ البيروني الغندا وهي لفظة سنسكريتية . وهو النشان في مروج الذهب وفي بعض النسخ النسيان والنوشان . وحسب المسعودي ان لفظة الكركدّن عامية وقال " النشان الذي تسميهِ العامة الكركدّن " . وضبطها الفيروزبادي بتشديد الدال وقال العامة تشدد النون فيكون المتنبي على زعمها عاميًّا مزدوجًا في قولهِ

وشعرٍ مدحت بهِ الكركدنَّ بين القريضِ وبين الرُّقى

ولا بدَّ هنا من البحث في امر الحيوان الخرافي المسمى حريشًا في المؤلفات العربية و Unicornis او Licorne عند قدماء الافرنج وهو الحيوان المرسوم على الشعار البريطاني وزعموا ان لهُ رأس الفرَس وقوائم الظبي وذنب الاسد وفي وسط رأسهِ قرنٌ واحد مُصمت . ولهم فيهِ اقوال غير هذه فيما يختص بشكلهِ . وقالوا انهُ يُحتال لصيدهِ بان تتعرّض لهُ فتاة عذراء فيستأنس بها . وكانت العرب تزعم مثل ذلك او انهم اخذوا هذه الخرافة عن غيرهم فقد جاء في الدميري ما نصهُ " الحريش نوع من الحيات ارقط قالهُ الجوهري وقال بعد هذا الحريش دابة لها مخالب كمخالب الاسد ولها قرن واحد في هامتها ويسميها الناس الكركدان وقال ابو حيّان التوحيدي هي دابة صغيرة في جرم الجدي ساكنة جدًّا غير ان لها من قوة الجسم وسرعة الحركة ما يعجز القنّاص ولها في وسط رأسها قرن واحد مصمت مستقيم تناطح بهِ جميع الحيوان فلا يغلبها شيءٌ ويحتال لصيدها بان تتعرض لها فتاة عذراء " الخ . وقال

(1) ترد ايضًا بمعنى الدويبة المعروفة بالعقربان او ام اربع واربعين

القزويني " الحريش حيوان في حجم الجدي ذو عدوٍ شديد وعلى رأسهِ قرن واحد كقرن الكركدان واكثر عدوهِ على رجليهِ لا يلحقهُ شيءٌ في عدوهِ ويوجد في غياض بلغار وسجستان (١) "

فيرى القارئ مما تقدم ان الحريش حيوان خرافي عند بعضهم والكركدن عند البعض الآخر. ويزعم كثيرون من علماء الافرنج ان الحريش هو الوضيحي الذي تقدم ذكرهُ في عددٍ ماضٍ من المقتطف وذلك لان ارسطو زعم ان للوضيحي قرناً واحداً فان الناظر الى الوضيحي من جانب واحد يتراءى لهُ انهُ كذلك . و يعتقد آخرون ان الحريش حيوان قائم بنفسهِ فلا هو الكركدن ولا هو الوضيحي بل حيوان آخر يوجد في بلاد التبت ومجاهل الافريقية وادلتهم على ذلك اقرب الى الخرافات منها الى الحقيقة واسنادهم ضعيف جداً اضربت عن ذكرهِ ومن شاء فليراجعهُ في محلهِ (٢) . ولا يخفى ان اكثر الحيوانات الخرافية ان لم نقل كلها مصدرها الحقيقة فالانسان لا يخلق كائنات جديدة بل يغير في صورها حسب تخيلاتهِ فالتنين والصناجة والعنقاء كانت حيوانات معروفة عند الانسان في العصور الخالية وانقرضت ولم يبقَ منها الاَّ الاسماء والصفات الغريبة الخارجة عن حدّ المعقول وسيأتي ذكر كلٍّ منها في موضعهِ . وساورد الآن تاريخ الكركدن او الحريش ملخصاً ليتضح للقارئ انهما اسمان لحيوانٍ واحد فالمسمى وحيد القرن عند الافرنج والحريش عند العرب ليس سوى الكركدن المعروف

فاول من ذكر هذا الحيوان فيما يعلم اكتيسياس اليوناني وسماهُ الحمار الابيض وكان اكتيسياس هذا طبيباً لاحد ملوك الفرس فسمع بهذا الحيوان في تلك البلاد . وذكرهُ بعد ذلك ارسطو في كتاب النعوت وسماهُ الحمار الهندي ولذلك تجد ان الكركدن يسمى الحمار الهندي بالعربية ايضاً . قال ارسطو ما تعريبهُ " ولم نرَ من ذوات الحافر ما لهُ قرنان لكن يوجد حيوانات قليلة جمعت بين الحافر والقرن الواحد منها الحمار الهندي والوضيحي " (الاركس)

وسُمي هذا الحيوان بعد زمن ارسطو بالمونوكيروس اي وحيد القرن وذكرهُ بلينيوس واليانوس الرومانيان بهذا الاسم وقال الاخير منهما ما تعريبهُ . " وفي بلاد الهند الخيل والحمر ذوات القرن الواحد (مونوكيروس) يتخذ من قرونها كؤوساً اذا وضع فيها شرابٌ مسموم لا يؤذي شاربهُ " . وهو ما قالهُ مؤلفو العرب عن الكركدن كما سيجيء . الاَّ ان

(١) بلغار عند علماء العرب سيبيريا وسجستان مقاطعة بين بلاد الافغان وبلاد فارس (٢) انظر حاشية بادجر وحاشية شفر على رحلة بارتيا صفحة ٤٧ من الترجمة الانكليزية و ٥٣ من الترجمة الفرنسوية

اليانوس ذكر الكركدّن ايضاً على حدة وسماه كرتزونس وبعضهم قرأها كركونس واللفظة شبيهة بلفظة الكركدّن كما لا يخفى وهذا لا ينفي ان المسمى مونوكيروس هو الكركدّن . فاليانوس وبلينيوس لم يريا الكركدّن مطلقاً بل وصفاه على السماع

وجاء في كتاب عقد الجمان لعبدالله بن جبريل بن بختيشوع ما نصه " الكركند والعرب يسمونه الحريش والسريانيون يسمونه ريماً " . وذكر ان اهل الصين يتخذون مناطق من قرونه . ولا يخفى ان لفظة ريم بالسريانية والعبرانية ترجمت بلفظة مونوكيروس في التوراة السبعينية وعليها اعتمد ابن بختيشوع ويظهر انه كان عارفاً تمام المعرفة ان هذا الحيوان المسمى مونوكيروس باليونانية هو الكركدّن بعينه وعبدالله هذا كان يحسن العربية والسريانية واليونانية كغيره من بني بختيشوع

وقد اشتهر امر الحريش في القرون الوسطى واتخذوا من قرونه آنية للاكل وكؤوساً للشراب وانصبة للسكاكين وزعموا ان هذه الآنية تعرق اذا قربت من طعام مسموم (انظر دائرة المعارف الفرنسوية ومعجم لاروس) الا انهم كانوا يجهلون وصف الحريش ومصدر هذه القرون ولم يكن الكركدّن معروفاً عندهم . واول من وصفه منهم وصفاً يطابق الحقيقة ماركو بولو الرحالة البندقي الشهير وذلك في اواخر القرن الثالث عشر وسماه Unicornis وذكر وجوده في سومطرا وانكر ما نسب اليه من انه يستأنس بالفتيات . وزعم بارثيما انه رأى الحريش في مكة المكرمة في سنة ١٥٠٣ للميلاد ووصفه وصفاً اقرب الى الخرافة منه الى الحقيقة انقله الى القراء على سبيل الفكاهة قال ما تعريبه " وفي مكان آخر من الحرم (كذا) حظيرة فيها حريشان على قيد الحياة شكلها عجيب جداً . فالكبير منهما في خلقة المهر الثني وله قرن واحد في جبهته طوله نحو ثلاث اذرع والصغير في خلقة المهر الفلو طول قرنه نحو اربع قبضات . والواحد منها لونه كلون الفرس الكميت ورأسه كرأس الايل وعنقه معتدل في الطول وله عرف قصير خفيف الشعر منسدل على جانب واحد . اما قوائمه فمستدقة كقوائم المعزى وله اظلاف مقدّمها مشقوق قليلاً وعلى مؤخر القوائم شعر خفيف . وهو حيوان شرس ونفور . وهذان الحريشان اهداهما احد امراء الحبشة من المسلمين الى امير مكة " ولا اقدر ان اقول عن بارثيما الا انه كثير المبالغة فقد اخبرنا قبل هذا ان ثلثمائة رجل من ركب المحمل الشامي وهو منهم قتلوا الفاً وستمائة من الاعراب ولم يخسر الركب سوى رجل وامرأة

وجاء في رحلة الاب لوبو اليسوعي في الحبشة سنة ١٦٢٥ ذكر الكركدّن والحريش لكنه قال انه رأى الحريش عن بعد ولم يصفه . وفي وصف افريقية لدابر ما تعريبه

" ويوجد حيوان آخر يسميهِ الاحباش اروار يس وهو بلا ريب ما يسميهِ العرب حريشاً . لهُ قرنٌ واحد ويشبه اليحمور ويظن الاب لوبو انهُ الحيوان المعروف بوحيد القرن عند القدماء " . وفي تاريخ الحبشة للودولف ان الحيوان المسمى مونوكيروس هو الحريش عند العرب . والذي نعلمهُ الآن ان لفظتي اروار يس وحريش تطلقان على الكركدّن في الحبشة فيكون الحريش عند العرب والمونوكيروس اي وحيد القرن عند الافرنج هو الكركدّن

اما العرب فكان الكركدّن معروفاً عندهم ووصفوهُ وصفاً مدققاً في كثير من مؤلفاتهم وكانوا يسمونهُ الحريش ايضاً وهو الاسم الذي يعرف بهِ في بعض انحاء الحبشة في يومنا (لافابر وبروس) . ثم انهم عند ما سمعوا بهذا الحيوان المسمى مونوكيروس عند اليونان والرومان سموهُ الحريش ايضاً لعلمهم انهُ الحريش اي الكركدّن الا انهُ اشكل على البعض منهم علاقتهُ بالكركدّن فذكرهُ الدميري وذكر الكركدّن والسناد كلٌّ واحدٍ على حدة ووصف كلَّ واحدٍ وصفاً مخالفاً لوصف الاثنين الآخرين والحقيقة ان الكركدّن والسناد والحريش اسماءٌ مختلفة لحيوانٍ واحد وهي كذلك في كتب اللغة (انظر الفيروزباري ولسان العرب) . ومن الغريب ان عبدالله بن بختيشوع ذكر من الف سنة تقريباً ان الكركند اي الكركدّن هو الحريش وبعض الافرنج في يومنا يعتقدون بوجود هذا الحيوان الخرافي في بلاد التبت ومجاهل افريقية ويقولون انهُ خلاف الكركدّن (انظر حاشية بادجر وحاشية شفر على رحلة بارثيما المذكورة آنفاً)

اما قرن الحريش ويسمى الخرتوت والخرتيت والخُتُوُّ فقد زعم القدماء ان لهُ خاصة ضد السمّ وهذا الاعتقاد اصلهُ بلاد الصين والمغول على ما اظن وانتشر منهما الى الغرب ويعتقد بهِ عامة المصريين واهل السودان الى يومنا . وجاء في مختصر نزهة المشتاق للادريسي ما نصهُ " وبها دابة تسمى الكركدّن .... ولها قرن في وسط جبهتها ... وفيما يذكر انهُ يوجد في بعض هذه القرون اذا هي شقت صورة انسان او صورة طائر او غيرهِ من الصور .... وهذا القرن تصنع منهُ مناطق تساوي من القيمة كثيراً وحكى الجيهاني في كتابهِ ان ملوك الهند تصنع من قرن هذه الدابة انصبة السكاكين للموائد فاذا وضع الطعام بين ايديهم وكان فيهِ سمٌّ عرق ذلك النصاب فيعلم بذلك ان الطعام مسموم (طبع رومية صفحة ٣٨)

وفي سلسلة التواريخ ما يأتي " وفي بلادهِ البشان (النشان) المُلَمَّع وهو الكركدّن لهُ في مقدَّم جبهتهِ قرنٌ واحد ... واهل الصين يتخذون منها (اي القرون) المناطق وتبلغ المنطقة ببلاد الصين الفين دينار "

وفي كتاب نخب الذخائر الذي عني بنشرهِ الآباء اليسوعيون في مجلة المشرق (السنة ١١ صفحة ٧٦٤) «الخرتوت ويقال ختوٌّ قال ابو الريحان البيروني هو حيواني يقال انهُ يؤخذ من جبهة ثور يكون في نواحي بلاد الترك بارض خرخيز وقيل بل من جبهة طائر عظيم يسقط في بعض تلك الجزائر وهو مرغوب فيهِ عند الترك واهل الصين يزعمون انهُ يعرق اذا قرب من طعام مسموم»

وفي معجم ڤولرس الختوّ قرن الكركدّن وقد وردت هذه اللفظة في الاصطخري وابن حوقل (صفحة ٢٨٩ و ٣٣٧) وحيث ان القدماء كانوا يجهلون مصدر هذه القرون زعم بعضهم انها من جبهة ثور او طائر وخلاف ذلك كما جاء في معجم ڤولرس ايضاً

اما لفظة الخرتوت فلم ارَ لها ذكرًا سوى في كتاب نخب الذخائر المذكور آنفاً وتبادر الى ذهني عند قراءتها انها محرفة عن لفظة الخرتيت فراجعت النسخة المخطوطة التي اشار اليها حضرة الاب لويس شيخو فوجدتها الخرتوت بخط واضح ويستبعد ان يكون هناك خطأ في النسخ مع وجود نسخة في بغداد واخرى في مصر وقد ذكرت اللفظة في كلتيهما كما هي في مجلة المشرق فاما ان يكون الخطأ من المؤلف او ان هذه المادة كانت تسمى الخرتوت في ايامهِ. اما الخرتيت فمعروف بهذا الاسم في مصر والسودان وهو قرن الكركدّن ويعملون منهُ عصياً وكؤوساً في ام درمان واسيوط ويبيعونها بثمنٍ غالٍ ووصفهُ يشبه وصف الخرتوت في كتاب نخب الذخائر ويزعم العامة في مصر والسودان انهُ مضادٌّ للسموم كما اشتهر عنهُ عند القدماء. ولم اجد ذكرًا لهذه اللفظة في المؤلفات العربية الاَّ في تذكرة داود الانطاكي حيث قال «قرن الخرتيت يأتي في الكركدن» فقولهُ يأتي يفهم منهُ ان البعض يكتبون هذه اللفظة بالواو والاَّ لما نبه الى ذلك. اما في كتب الافرنج فقد وردت في فورسكال وبركهارت وغيرهما

❖ **الفَرَس** ❖ Equus caballus. E. Horse. F. Cheval. وهو پَرَش بالعبرانية ويُظن ان اللفظة مأخوذة من پارس اي بلاد فارس لان الفرس جاء الى الشعوب السامية عن طريق تلك البلاد. وفي كتب اللغة سمي الفرس بذلك لانهُ يفرس الارض برجلهِ

❖ **حمار الزَرَد. الزِيبَرَة (حبشية)** ❖ E. Zebra. E. Zèbre جنس من الحمر الوحشية وهو ابيض اللون ومخطط بخطوطٍ سود. ولم اقف على اسم عربي لهذا الحيوان ولا بد انهُ كان معروفاً عند العرب لكثرة ترددهم الى بلاد الحبش حيث يكثر وجودهُ. اما تسميتهُ بحمار الزرد فلا اعلم مَن وضعها اولاً

❖ **الفَرَاء** ❖ E. Wild ass. F. Ane Sauvage. نوعٌ من الحمر الوحشية وهو

في حجم الحمار الاهلي وشبيه بهِ ويوجد في العراق وبادية الشام

❖ الأَخْدَرِ · الاخدريّ ❖ E. Onager. F. Onagre نوعٌ من الحمر الوحشية وهو اكبر من الفراء واسرع ويوجد في بلاد فارس الى الهند شرقاً

❖ البَغْل (حبشية) ❖ E. Mule. F. Mulet. حيوانٌ متولد من الحمار والفرس

❖ النَغْل · الكَوْدَن (فارسية) ❖ E. Hinny. F. Hinnule حيوانٌ متولد من الحصان والاتان . والكودن لفظة فارسية بمعنى البرذون والبليد واستعارها المسعودي لهذا الحيوان المهجّن . اما النغل فهو الاسم الذي يعرف بهِ هذا الحيوان عند عامة اهل الشام

❖ الفيل (پيل بالفارسية ومجهولة الاصل) ❖ Elephas. E. Elephant. F. Éléphant.

❖ الماموث (تترية من مما بمعنى الارض) ❖ Elephas primigenius. E. & F. Mammoth

نوعٌ من الفيلة البائدة وهو شبيه بالفيل الهندي وتوجد جثثهُ مغطاة بالثلج في سيبيريا . واظن الماموث هو الصنّاجة التي ذكرها القزويني في كتاب عجائب المخلوقات · قال "ليس شيء من حيوانات الارض اكبر صنّاجة وقالوا يوجد بارض التبّت يتخذ بيتاً لنفسهِ قرب فرسخ ومن خواصهِ ان نظرهُ اذا وقع على حيوان مات ذلك الحيوان واذا وقع نظر شيء من ذلك الحيوان عليهِ تموت الصنّاجة ايضاً. ثم ان الحيوانات عرفت ذلك في تلك البلاد فتعرض نفسها على الصنّاجة غامضة عينها ليقع نظر الصناجة عليها فتموت فتبقى طعمةً للحيوان زماناً طويلاً والله اعلم" . واصل هذه الخرافة على ما اظن ما يروى عن التتر فانهم يعتقدون ان الماموث يعيش تحت الارض كما يفعل الخلد لانهم لا يرون على وجه الارض الاّ جثثهُ وذلك عندما يذوب الثلج عنها وتنكشف (انظر هذه اللفظة في دائرة المعارف الانكليزية وغيرها) وهذا يشبه ما قالهُ القزويني انهُ يتخذ لنفسهِ بيتاً قرب فرسخ وانهُ اذا رأى الحيوانات يموت فيبقى طعاماً لها زماناً طويلاً والواقع ان جثث هذا الحيوان التي كشفت في سيبيريا في القرن الماضي والذي قبلهُ بقيت زماناً طويلاً طعاماً للوحوش والكلاب · وذكر الاب لوبو في رحلتهِ الحبشية ان فرس النهر يعيش تحت الارض في القطب الشمالي ولا ريب انهُ يقصد بذلك هذا الحيوان المسمى ماموثاً · وكان الماموث معروفاً عند العرب لكنهم لم يذكروا لهُ اسماً خلاف الصناجة ان كان هو الصناجة ولا بأس من ايراد ما جاء في كتاب آثار البلاد عن ذلك قال " وفي كتاب سير الملوك ان القوم الذين آمنوا بهود عليهِ السلام وهربوا الى بلاد الشمال وامعنوا فيها توجد بارض بلغار عظامهم قال ابو حامد رأيت سناً واحداً عرضهُ

شبران وطولهُ اربعة اشبار وجمجمة رأسهِ كالقبة وتوجد تحت الارض اسنان مثل انياب الفيلة بيض كالثلج ثقيلة في الواحد منها مائتا منّ لا يدري لاي حيوانٍ هي فلعلها سنّ دوابهم تحمل الى خوارزم الّا ان طريقهم في وادٍ من الترك ويشترى من تلك الاسنان في خوارزم بثمن جيد تُتخذ منها الامشاط والحقاق وغيرها كما تُتخذمن العاج بل هي اقوى من العاج لا تنكسر البتة " الدكتور امين المعلوف

مناجاة الاحلام وقرع الاوهام

لقد كثر الآن تحدُّث الناس بغرائب افعال العقل او النفس كما يقال ايضاً وسائر افعال الجهاز العصبي الخارجة عن المألوف من مثل التخيُّلات والشعور بما هو فوق طاقة الحواس الاعتيادية وانطباق ذلك في بعض الاحيان على الواقع مما يختلط كثيرًا على العامة ويربك الخاصة ايضاً. واشتدَّت المناضلة بين الباحثين فذهب بعضهم الى ان هذه الغرائب من خوارق الاعمال التي لا تنطبق على النواميس الطبيعيَّة وعلَّلها بانها من افعال الارواح المحيطة بنا . ونقل بعض الجرائد العربيَّة تصريحات المسترستد بما وقع لهُ ولبعض اشياعهِ ونسبتهم ذلك الى مناجاة الارواح . وقد كتبت مقالة في الجريدة اجابةً لاقتراح بعضهم ادفع هذا الزعم نافياً الغرابة غير الطبيعية فيهِ ومطبقاً الصحيح منها على نواميس العلم الطبيعي وعلم الامراض العصبيَّة . ونقل المقتطف مساجلة عالمين طبيعيين يذهب كلٌّ منهما مذهباً مخالفاً للآخر . فرأيت ان اسهب الكلام هنا للالمام بالموضوع من كل اطرافهِ لكي يتيسر للناظر بالمقابلة والاستقراء والاستناد الى العلم الطبيعي ان يحكم بما هو اقرب الى الحقيقة . وانا لا اشك في ان كل ما يجري فينا من هذا القبيل انما يجري تبعاً لقواعد طبيعيَّة نظير سائر ما يقع في الطبيعة مما هو مقرَّر اليوم انهُ بحث طبيعيٌّ بحت . ولا اشك كذلك ان معلوماتنا الطبيعية اليوم كافية وحدها لتعليل ذلك تعليلاً يزيل عنهُ كل غرابة الّا ما كان من قبيل الغرائب الطبيعيَّة فقط

ان غرائب افعال العقل والجهاز العصبي معروفة للانسان منذ القديم واشهرها الاحلام التي تعرض لهُ وهو نائم — وهي تعرض للحيوان ايضاً — وقد كانت سبباً من اكبر الاسباب لاعتقاد الانسان ان فيهِ قوة غريبة عن جسمهِ تنفك عنهُ في حالة النوم وتطوف المعاهد متنقلة من مكان الى مكان ومن احساس الى احساس ثم ترجع اليهِ في اليقظة وكثيرًا ما

تصدق في الانباء التي تنقلها مما حمل الاكثرين على الاعتقاد بها وظن بعضهم انهُ يمكن من مراقبة احوالها ان يستخرجوا احكاماً مطلقة والفوا الكتب في تفسيرها حشوها تارةً بالخطل وتارةً بالدَّجَل

وقد كانت اوهام الانسان في اليقظة كثيرة جدًّا في اول الامر لقلة تعرُّفهِ ما حولهُ من قوى الطبيعة اذ كل ما هو مألوف معروف لنا اليوم كان يبدو غريبًا لهُ . وقد بني عليها كثيرًا من اقاصيصهِ الميثولوجيَّة وحكاياتهِ الخرافية واشتغل بها زمانًا طويلاً قبل ان استهلك كثيرًا منها بالعلم شيئًا فشيئًا واقرَّها في مكانها الحقيقي

وقد كانت الامراض العصبية ولاسيما العقلية والمستيرية نظرًا لغرابة ظواهرها بالنسبة الى سائر امراض الجسم محلَّ استغرابهِ بل موضوع تكهُّنهِ وتفزُّعهِ حتى ان الالفاظ التي استعملت للدلالة عليها في كل اللغات تدل دلالةً صريحة على الاعتقاد بانها حالات مستفاضة على الجسم غريبة عن مادَّتهِ وعن جوهر قواهُ كأَن يقال ان بصاحبها مسًّا او دخلاً إشارة الى الروح الغريبة الحالَّة فيهِ . وكم عذب النساء المستيريات وحلَّت بهنَّ النقم لاعتبارهن ساحرات واحرقن ايضًا تخلصًا من الشيطان الحال فيهنَّ قبل ان تدار كهنَّ العلم برأفتهِ . ولاَّ يزال هذا الاعتقاد شائعًا عند كثيرين حتى اليوم وان تلطَّف بعضهم في تسميتهِ كأَن يقول ان الحالَّ شيخ . ورأفوا في معاملة صاحبهِ فاحلُّوا الرحمة محلَّ النقمة وعالجوهُ بالتعاويذ والرقى والقراءات وما شاكل . وكما انهم نسبوا بعض الحالات العصبيَّة الشديدة الوطأة الى الارواح الشريرة واخشوا في معاملة اصحابها نسبوا كذلك بعض الحالات العصبيَّة التي كانت تبدو لهم الطف من تلك على الجسم المصاب بها الى الارواح الصالحة ورفعوا اصحابها الى مقام الاولياء والانبياء . ثم اخذ هذا الاعتقاد يضعف حتى اثبت العلم اليوم ان مثل هذه الحالات ليست سوى امراض عصبيَّة كسائر امراض الجسم ولها احكام طبيعيَّة مثلها حتى في غرابتها

وكأَنَّ جمهور المتعلمين الراقين لم ينفِ الاعتقاد بالمصدر الغريب في مثل هذه الحالات الأَ عمَّا كان يبدو خشنًا فظًّا واما الجمّ الغفير فلا يزال حتى اليوم يعتقد ان في اللطيف منها محلاً للنظر ومتسعًا للقول . وكثيرون يميلون الى نسبتها الى الارواح للاعتقاد المتأصل فيهم ان لم يكن رهبةً فرغبةً والذي هو بقيةٌ راقية من مجموع تلك الاعتقادات القديمة الخشنة

وقد عنيت بهذه المسائل طوائف كثيرة من اهل الادب والعلم في اوربا واميركا وخصوصًا في انكلترا والفوا لها الجمعيات الكثيرة ليلبسوا البحث فيها حلَّة علميَّة اشترك فيها المقتنع والواهم والمتردّد والنضمَّ اليهم الدجَّال ايضًا وكلٌّ واجدٌ في ذلك مصلحتهُ

فلكي يمكن البحث في هذه المسائل على اسلوب يكون منهُ فائدة للعلم لم يكن بدٌّ من تحليلها قبل تعليلها لمعرفة الصحيح فيها من المختلق والممكن من غير الممكن . فلا تخدعنا اعمال المشعوذين الذين يأتون امامنا اعمالاً كثيرة غريبة صناعية كوضع الشيء في مكانهِ ثم اخراجهُ من مكان آخر وكابتلاع السيوف والسكاكين ولم يبلع منها شيء والتكالم مع اشخاص متباعدين والمتكلم واحد وغير ذلك من الامور المدهشة التي يجيزونها على الناظرين وليس فيها شيء من الغرابة سوى مهارة الصناعة فان امرها اليوم معروف للخاصة والعامة وانما نقتصر هنا على المسائل المقرَّرة اليوم والتي يعتوف بها العلم

ان جميع الغرائب التي تعرض للانسان تطرأ على شعورهِ فيحس او يعلم بما هو فوق طاقة مشاعرهِ وادراكهِ في حالتهِ الاعتيادية وتنحصر جميعها في ما نسميهِ هنا على وجه الاطلاق بالتخيلات وان اختلفت مسمياتها بحسب مدلولاتها وذلك بقطع النظر عن صحتها وعدمها لانها في اعتقادنا صحيحة كلها سواء طابقت الواقع كان يرى الانسان وهو في مكان صورة صديق لهُ في مكان آخر مثلاً اولم تطابق الواقع كأن يحلم انهُ طائر في الجوّ كما يحصل كثيرًا للاطفال في احلامهم وهم نيام . فكلاهما تخيل حاصل لا يجوز للعلم ان ينفيهُ لئلاَّ يتلجلج في تعليلهِ وكلاهما شعور حقيقي وان اختلف سببهما كما سيجيء

وما اطلقت اسم التخيلات على كل هذه الغرائب مع قطع النظر عن اسبابها الظاهرة والباطنة والبعيدة والقريبة الاَّ لاضمها تحت اسم جنس باعتبار ان اصلها واحد يسهل تعليلها وهي تشمل احلام النوم واحلام اليقظة كرؤية الاشباح وسماع الاصوات والاحساس بالملموسات ومناجاة النفس التي يطلقون عليها اسم مناجاة الارواح وقراءة الافكار والوقوف على الانباء البعيدة وغير ذلك مما هو خارج عن مألوف الحواس والادراك وبالحقيقة كلها في الغرابة سواء والذي يستوقف النظر في احدها يجب ان يستوقفهُ في الآخر فليست قراءة الافكار باغرب من الاحلام ولا مناجاة الارواح باغرب من تخيل سماع الاصوات وكلها من مصدر واحد

وقبل التوسع في الموضوع لا بدَّ لي من التنبيه الى ان كل ما يقال عن الانباء بالمستقبل لا حقيقة لهُ مطلقاً الاَّ ما كان منهُ في حكم الواقع كان ينبئ الانسان بامرٍ مقبلٍ يتوقف على امر حاصل وهذا يدخل حينئذٍ في موضوع البحث في ما هو كائن في الحال حقيقة مثال ذلك — كان عندي مريض منذ عشرين سنة وكان بهِ اختلاط ذهن هستيري طال بهِ اكثر من شهرين تقلَّب المريض فيهما على حالات مختلفة اظهر فيها عدَّة غرائب منها انهُ عرض لهُ في طور من اطوار مرضهِ رعاف تكرَّر مرارًا عديدة ففي اول الامر لم نكن ندري

بالرعاف الأ من مشاهدتهِ ولكن بعد ان تكرَّر صار المريض ينبئ بهِ وبمقدارهِ تقريباً قبل حصولهِ باربع وعشرين ساعة وكان انباؤُهُ يصدق وتعليل ذلك بسيط لان الرعاف الذي كان يحصل لم تكن مهيئاتهُ تقع في الحال بل لا بد انهُ كان يسبقهُ بعض تغيرات احتقانية وغيرها فصار المريض اول ما يشعر بها يعرف انهُ سيعقبها رعاف فينذر بهِ ومن شدتها وخفتها ينذر بمقدار الدم الذي سيرعفهُ فانباؤُهُ هذا ليس انباء بالمستقبل بل تقرير للواقع ولذلك كل ما نسمعهُ من قبيل الانباء بالمستقبل ان لم يكن لهُ مثل هذه المسوّغات مما يجعلهُ انباء بالواقع حقيقة فهو مخرقة ودجل من قائلهِ

وما نبهت الى ذلك الاَّ خلط الناس والعلماء انفسهم في هذه الغرائب واعتقادهم بان الانباء بالمستقبل من الامور المقرَّرة الداخلة ضمنها · واعجب من ذلك اني قرأت من مدة قريبة في احدى المجلات الفرنساوية بحثاً لطبيب في هذا الموضوع وقد عدَّ فيهِ الانباء بالمستقبل من الامور الداخلة فيهِ وهذا جهلٌ فادح يُستعظم خصوصاً من طبيب يجب ان يكون ملمّاً بنواميس هذه الغرائب لان هذه الغرائب لا تحدث اعتباطاً كما يتوهم بعضهم بل تعرض للناس بناء على نواميس مقررة لا تنحرف عنها سواء كان في الصحة او المرض وتسير فيهما بانتظام على حدٍ سوى

فنحن الان بين اقوال ثلاثة من ذوي المقام في الادب والعلم: تصريحات ستد الذي يزعم انهُ يكتب احياناً متأثرًا تحت سلطان الارواح وانهُ رأى صورة ابنهِ المتوفى وسمعهُ يخاطبهُ · ونفي العالم الرياضي نيوكم لهذه الغرائب ونسبة بعضها الى هواجس لم يمعن بالبحث عن سببها وانما نسب صحتها في بعض الاحيان الى مجرَّد الاتفاق باعتبار انها من الامور الممكنة · وتسليم العالم الطبيعي السر اوليفرلدج بحصول هذه الغرائب من تفاعل العقول او النفوس بناء على مبدإ التلبثيا وميلهِ الى ترجيح سببها الروحاني مما يجعل صدقها نتيجة للشعور بامرٍ واقع لا اتفاقاً · وقد حاول ان ينفي نسبتها الى الاتفاق باحصاءات تنفي الصدفة وتؤيد الارتباط السببي في زعمهِ

والحقيقة ان كلاًّ منهم على صوابٍ وخطاءٍ في آنٍ واحد · فستد صادق في قولهِ انهُ رأى صورة ابنهِ وانهُ يشعر في نفسهِ بانهُ يكتب احياناً تحت سلطان شخصٍ آخر · وانما هو مخطئ في ادعائهِ ان ذلك من فعل ارواح غريبة عنهُ ولو درى انهُ مستهوىً استهواء ذاتياً من جهة ومخيل من جهة اخرى ما في ذاكرتهِ من المحفوظات لاسباب معلومة لنا اليوم جيدًا من درس نواميس الجهاز العصبي في الصحة والمرض بما عبرنا عنهُ هنا بمناجاة الاحلام وفزع

الاوهام " لما كان في قولهِ شيء يؤخذ عليهِ . ونيوكم مصيبٌ في نفيهِ التفاعل الروحاني عن هذه الغرائب ولكنهُ مخطيء في انكارهِ سببيتها الطبيعيةَ وتعويلهِ في صدقها على الاتفاق وحدهُ وان كان للاتفاق دخل في بعض الاحيان . واوليفر لدج مصيبٌ في ان هذه الغرائب تجري على نواميس معلومة لنا اليوم بالتلبثيا ولكن خطاءهُ في نسبة ذلك الى تفاعل العقول او الارواح لا يغتفر لاسيما وان في المعلومات الطبيعية اليوم مندوحة لنا عن الخروج بها الى مثل هذا التعليل الغريب

وقد وقعت انا نفسي منذ ثلاث وثلاثين سنة في نفس الخطاء الذي وقع فيهِ اليوم نيوكم بتعليل صدق هذه الغرائب بالاتفاق وذلك في حادثة طبيب انكليزي زعم انهُ سمع وهو مارٌّ في لندن بالقرب من بيت احد اصدقائهِ الذي كان يومئذٍ بمدينة حلب صوت صديقهِ هذا يناديهِ ثلاثاً ثم علم عند وصول البريد ان صاحبهُ كان في تلك الدقيقة يحتضر . وقد تناولت هذا النبأ في ذلك العهد الجمعيات النفسية في انكلترا وهوَّلت بهِ كثيرًا حتى ان الجمعيات العلميَّة شاركتها في هذا البحث وكتبت الجرائد فيهِ مقالات ضافية . وكنت يومئذ في الاستانة فاطلعت في جريدة " الكوريه دوريان " على فصل طويل عقدتهُ جريدة " الكونستيتيسيونال " البارزية لهذا الموضوع ونقلتهُ عنها جريدة الاستانة المذكورة جاء فيهِ كاتبهُ على امور كثيرة من حوادث التخيلات الغريبة نسل اكثرها مما وقع لبعض مشاهير الرجال في التاريخ كنابوليون وقيصر وسواهما من انهم كانوا يرون اشباحاً ويسمعون اصواتاً تخاطبهم لا حقيقة لها في الظاهر وذهب الى انها من الغرائب التي لا تدرك . فكتبت في ذلك الحين ردًّا عليهِ باللغة الفرنساوية نشر في جريدة " الكوريه دوريان " المذكورة في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٧٦ ونقلتهُ الى العربية مجلة الطبيب في بيروت . وقد حاولت في هذا الرد ان ادفع عن مثل هذه الحوادث كل غرابة غير طبيعيةٍ مستندًا في ذلك الى علم امراض العقل وما يعرض من التخيلات وانخداع الحواس في الجنون وفي سائر الحالات العصبية التدريجية التي بين الصحة والمرض وحصرت تعليل ذلك بما سميتهُ هنا قرع الاوهام ويراد بهِ قرع محفوظات الذاكرة لمراكز الحواس بالارتداد من الباطن الى الظاهر وذلك في الاعصاب المتهيجة المنصرفة الى التفكير في موضوع ما او الملتفتة اليهِ لمناسبة ما كمناسبة المرور بالبيت الباعث على التذكر بصاحبهِ . وعلات صحة النبإ اذا صدق قائلهُ بما يأتي :

" والاعتراض الذي يوجه الى ذلك في مثل هذه الاحوال هو هذا : لماذا تتم الامور احياناً كما تنبيء عنها او توحي بها التخيلات ؟ والجواب على ذلك وعلى الاحلام ايضاً بسيط

وهو ان كل ممكن قد يتحقق احياناً ولكنهُ لا يتحقق دائماً ولذلك كانت اكثر التخيلات لا تتم حقيقة " ا ه . اي انني عللت ما يصحُّ منها بالاتفاق كما عللهُ نيوكم الآن ولكن الخطأ الذي كان يغتفر حينئذٍ لا يغتفر الآن بعد ان تقدمت العلوم الطبيعيَّة وباثولوجية الامراض العصبيَّة هذا التقدم الباهر

وازيد على ذلك اليوم بقولي ان غير الممكن لا يتحقق مطلقاً كأن يحلم الانسان انهُ طائر في الجو او ساقط من مكان عالٍ وهو لم يسقط فلا يمكن ان يكون مثل هذا الحلم موعزاً بهِ من الخارج او معبراً بهِ عن حقيقة واقعة مع ان صاحبهُ يحس ويرى انهُ كذلك. ويعلل في الاول بقرع الاوهام لذاكرتهِ وتجسمها لدى حواسهِ بما يكون قد ذكر لهُ في طفوليته من مثل هذه الاخبار السقيمة وغيرها من الخرافات السخيفة التي يحشون بها دماغ الطفل. وتعليلهُ في الثاني تعب طرأ على الجسم وهو نائم من وضع او سوء هضم وبانتقال الافكار الى المتناسبات والحواس في كل انتقل "به الشعور" من ضيق الى ضيق الى هول السقوط

ولكن هذا التعليل وان انطبق على الانفعالات الذاتيَّة المنعكسة من الباطن وصحَّ على كل التخيلات الذاتيَّة التي تعرض للانسان في الحلم واليقظة من رؤية الاشباح الى مناجاة الارواح التي هي عبارة عن مناجاة احلام الانسان نفسهِ بناء على ناموس قرع محفوظات الذاكرة للاعصاب المتهيجة وناموس الأستهواء الذاتي الا انهُ توجد حالات أُخرى مصدرها خارجي محض لا ينطبق عليها هذا التعليل . وتعليل صدقها بالاتفاق وحدهُ لا يكفي مثل قراءة الافكار والعلم عن بعد مما هو مقرر امرهُ في العلم ولا يجوز الشك فيه اليوم

على ان العلوم الطبيعيَّة والعلوم الباثولوجية العصبية قد تقدمت كثيراً من ذلك العهد واكتشفت غرائب كثيرة فيها غير خارجة في اعمالها عن نواميس الطبيعة حتى صار يجوز لنا فهم اكثر اعمال العقل غموضاً واستنتاج المجهول بناء على المعلوم

غير ان المتصعبين من العلماء — وما تصعبهم لضعف البينة بل لاقتصارهم في البحث على الجزئيات ولقلة تعويلهم على الاستقراء في الكليات — لا يزالون يميلون الى نسبة هذه الغرائب الى امور غير طبيعيَّة مع علمهم الاكيد انها في غرابتها تسير على نواميس معلومة كغرائب الامراض العصبية مثلاً انقياداً لاوهامهم التي ورثوها ابا عن جد . وبعضهم ينصاع اضطراراً الى التسليم بطبيعتها المادية ولكن ما رسخ في ذهنهِ بالوراثة يحملهُ على الوقوف موقف المتردد غير الجازم متوقعاً ان يكشف لهُ العلم نواميس طبيعيَّة جديدة غير معروفة لهُ اليوم . ولو تدبر هذا المتردد والمتمني في سرهِ فشل العلم في نفي امانيهِ لعلم انهُ لا ينتظر ان يكتشف في الطبيعة

من يوم عرف ناموس تحول القوى نواميس جديدة اصولها الطبيعية مجهولة بل كل ما ينتظر انما هو زيادة التوسع في معرفة تحولات هذه القوى واستخدامها لغرضنا بناء على انها هي والمادة من اصل واحد. والمعلوم اليوم من هذه التحولات البديعة من حركة الى حرارة الى نور الى كهربائية الى اشعة رنتجن الى اشعة الراديوم الى الاشعة الكيماوية التي ترقق الاجسام وتشففها واستخدام ذلك لنقل الاصوات بالتلفون وحفظها بالفونوغراف وخزن حركاتنا في السينماتوغراف ونقل اخبارنا في الفضاء بتلغراف مركوني ونقل المرئيات الى بعد كل ذلك كافٍ لان يجلو لنا اليوم اشد هذه المسائل غموضاً . واذا اضفنا الى ذلك علمنا بان العالم لا فراغ فيهِ وهذا يستلزم ان لا يضيع فيهِ شيء بل يحفظ فيه ويتحول لعجبنا ليس من عروض هذه الغرائب لنا احياناً بل من عدم عروضها لنا غالباً لان عروضها هنا هو القياس وعدمهُ كان يجب ان يكون الشاذ فاذا كان عروض هذه الغرائب لا يتيسر دائماً فلحوائل طبيعية ازال العلم الطبيعي اليوم كثيراً منها وايدهُ علم بسيكولوجية الدماغ والامراض العصبية نفسها كما ابنت ذلك في مجلد السنة الثالثة من مجلتي الشفاء في حادثة اختلاط ذهن هستيري من اغرب ما وقع لي ولسواي ايضاً

وبالحقيقة ان اثر كل حركة مادةٍ او نبضة فكر يجب ان يصل الى كل شيء ويجب ان يحس بهِ كل شيء بناء على ناموس حفظ القوى واذا كنا لا نشعر بهِ دائماً فلاسباب مادية اما لضعف في حواسنا واما لضعف الاثر نفسهِ وتبددهِ قبل وصولهِ الينا فاذا امكننا ان نقوي مشاعرنا او نزيل الحوائل الأُخر لم يصعب علينا ان نقف على كل ممتنع علينا في حالتنا الاعتيادية . وقد جاءت الاكتشافات المذكورة سابقاً مؤيدة لذلك كما قلت في الشفاء من ان لا بد لكل فعل من فاعل وقابل وناقل وقد تمكنا بالتلفون من تقوية الناقل ووقفنا من قراءة الافكار على قوة القابل وتمكنا كذلك بتلغراف مركوني من تقوية الفاعل والقابل معاً وعرفنا كذلك ان هذا القابل قد يشتد تأثرهُ جداً في بعض الحالات العصبية المرضية الى حد ان الانسان يقدر ان يعلم عن بعد شاسع حركات سواهُ ويسمع كلامهُ كأنهُ على كثب منهُ ولكن يشترط في ذلك شروط تجعل هذا العمل خاضعاً لنواميس معلومة نظير سائر النواميس الطبيعية كأن لا يدرك الانسان الأ حركات اشخاص معلومين لهُ بهم علاقة معلومة ولو مهما ابعدوا عنهُ ولا يدرك حركات سواهم ولو كانوا بالقرب منهُ لان اعصابهُ تكون متكيفة لقبول تأثيرات اولئك لشدة الاشتغال بهم خلافاً لهؤلاء

واذا كان هناك محل للشك فدرس غرائب الامراض العصبية الهستيرية كافٍ لان يزيلهُ اذ أثبت استطاعة الانسان لان يتأثر بالمؤثرات الخارجية فيرى عن بُعد شاسع صور

الاشخاص ويسمع كلامهم بما يفسّر لنا جيداً شدة تهيج القابل فيهم حتى يصير يحسُّ بما لا يحسُّ بهِ الانسان عادة ولان يفسّر لنا كذلك حقيقة التخيلات الذاتية الصادرة من الباطن والتي هي سبب وهم ستد واشياعهِ بان ارواحاً تخاطبهم او انهم يفعلون متأثرين بسلطان غيرهم

فلا يخفى ان اصحاب المرض العصبي المستيري موصوفون بقوَّة الذاكرة حتى ان في وسع بعضهم في هياج مرضهم ان يذكروا ادق دقائق ما جرى لهم في حياتهم كأن الذاكرة آلة فونوغرافية سيماتوغرافية حقيقية ينطبع على صفحاتها كل ما يمرُّ بها من كلي وجزئي فاذا عرض ما هيج هذه الصفحات بدا ما كان كامناً فيها كأنهُ ابن يومهِ . ومن اغرب ما اتى بهِ المريض الذي اشرت اليهِ وذكرت حكايتهُ في الشفاء انهُ في اثناء مرضهِ الذي دام بهِ اكثر من شهرين ذكر تاريخ حياتهِ بالتفصيل والاعجب انهُ ذكر وقائع دعوى كانت لهُ في المجالس دامت ثلاث سنوات ثم خسرها وكانت خسارتهُ لها سبباً لاستيلاء المرض العصبي عليهِ بعد ذلك على الفور . حتى انهُ ذكر المرافعات التي جرت فيها امام القضاء كأنها منقولة بالحرف وبفصاحة تفوق طورهُ جدًّا في حال الصحة . فليس بدعٌ ان يكون سبب التخيلات التي من مصدر باطني والتي تجعل الانسان في بعض احوال خصوصية يسمع ويرى ويلمس ما ليس لهُ حقيقة في الظاهر قرع الذاكرة نفسها للحواس المتهيجة كما في الجنون وما دونهُ من احوال اضطراب العقل بالمؤثرات المختلفة في الاعصاب المتهيجة وهي درجات كثيرة بين الصحة والمرض . ومعلوم كذلك امر الاستهواء الذاتي حتى تصير احلام الانسان لديهِ حقائق وحتى يصير بالنظر اليها بوجدانين متباينين بحسب سرعة تغلب احوالهِ العصبيَّة يسمع احدهما يخاطب الآخر وكثيرًا ما يشعر الواحد انهُ تحت سلطان الآخر يأتمر بأمرهِ حتى يزول منهُ الاضطراب العصبي الكلي كما في الجنون والجزئي كما في الاحوال المستيرية المتغلبة بحسب نوبها فيرجع انساناً اعتيادياً لا يتأثر بغير ما يتأثر بهِ الناس عادة . ومن هؤلاء طائفة من الناس ليس بهم جنون حقيقي او ظواهر هستيريَّة ظاهرة للعيان بل بهم من كل ذلك ظاهرة واحدة مقتصرة على امر واحد فقط وهي تهيج مركز واحد من مراكز قواهم العصبية بحيث يقتصر الاستهواء فيهم على فكر واحد او شعور واحد كما هو شأن ستد واضرابهِ في اعتقادهم انهم يكتبون او يعملون عملاً تحت سلطان شخص آخر غريب عنهم . ولا شك ان كثرة اشتغال العقل بموضوع يخافهُ او يهواهُ تمدهُ لاستيلاء مثل هذه الحالة عليهِ واحداث الاضطراب الشديد في جزء من اجزاء دماغهِ مع سلامة باقيهِ كما هو مشاهد كثيرًا في عموم الناس لمن يتدبر ذلك كما ينبغي

والحاصل ان الحوادث الغريبة من مثل التي ذكرها سنتد ليست بالحقيقة هذياناً خالياً من سبب طبيعي معلوم كما يذهب بعضهم ولا هي وحي او شبه وحي كما يذهب كثيرون وانما هي تخيلات الذاكرة لمعلوماتها الباطنة او تأثر الحواس تأثرًا قياسياً بالمؤثرات الخارجية البعيدة الطبيعية لوجود كل من المؤثر او ناقل التأثير او قابله او كلهامعاً في احوال خصوصية تزيل من بينها كل حجاب كان يحول دون الشعور بما يلزم الشعور به في كل الاحوال لولا تلك الموانع العارضة والتي ازال العلم الطبيعي وعلم الطب كثيرًا منها · وعليه فليس غريب في كل هذه الغرائب التي انجلت لنا اسرار جلها ان لم نقل كلها سوى غرابة قلة عروضها لنا وخصوصاً طفورنا في تعليلها الى غرابة اغرب منها لا اساس لها الا النقل لا ينطبق على علم ولا يجيزهُ عقل حرصاً على مبتغيات اوهام ومتمنيات احلام الدكتور شبلي شميل

تولُّد السمع والبصر

هل السمع والبصر متولدان تولُّدًا بالنشوء الطبيعي · هل الاذن والعين وما فيهما من دقة الصنعة وإحكام التركيب قد تولَّدتا تولدًا بالتنوُّع الطبيعي وبقاء الاصلح كما تولد التفاح البستاني الكبير الثمر الحلو الطعم الذكي الرائحة من التفاح البري الصغير الدميم الحامض · اوكما تولدت كل انواع الحيوان والنبات حسب رأي علماء الطبيعة · اوهما مخلوقان بادئ بدء في الانسان وفي كل انواع الحيوان كما نراهما الآن

ان علماء الطبيعة يقولون لك ان العين والاذن متولدتان تولدًا بالنشوء الطبيعي المستمر فقد كان زمان لم تكن العين ظاهرة فيه ولا كانت الاذن بارزة ولا كان فيهما شيء من التركيب ودقة الصنعة التي نراها فيهما الآن كما سيجيء

والصوت الذي تشعر بهِ الاذن والنور الذي تشعر بهِ العين كلاهما اهتزاز يصل الى الدماغ الاول بواسطة الاذن والثاني بواسطة العين لكن اهتزاز الصوت بطيء ولا بدَّ لهُ من مادة جامدة او سائلة او غازية يقوم بها فلا يسير في مكان خالٍ من المادة. واهتزاز النور سريع جدًّا ويسير على جناح الاثير الذي يقال انهُ موجود في كل فراغ وبين دقائق الاجسام

والجلد يشعر بالاهتزاز · وهو في الحيوانات الدنيا التي ليس فيها اعضاء خاصة بالبصر ولا بالسمع يشعر باهتزاز النور واهتزاز الصوت · اي ان تلك الحيوانات تستدلُّ على الصوت والنور بجلدها · فاذا اتفق ان انحصر شعورها هذا في بعض اجزاء جلدها فذلك انفع لها على

مبدإ تقسيم الاعمال كما اذا اختص قوم بنسج الثياب او ببناء البيوت او بتطبيب الاجسام فذلك اصلح للقبيلة من ان يعمل كل واحد من رجالها بنسج ثوبهِ وبناء بيتهِ وتطبيب جسمهِ لان الحيوان الذي يختصر شعورهُ بالنور والصوت في بعض اجزاء جلدهِ يشتدّ شعورهُ هذا فيصير هو اقدر من غيرهِ على تحصيل المعيشة واتقاء الاعداء وإخلاف النسل فيقوى هذا الشعور في نسلهِ . وعلى هذا الاسلوب زادت هذه الاجزاء نموًّا واتقانًا الى ان تكونت الاذن والعين وانحصر الشعور بالصوت والنور فيهما

وهذا القول ليس من قبيل الفرض الذهني ولا التعليل النظري بل هو من الامور التي تقوم الادلة عليها . فاذا دخلتَ دارًا من دور الآثار الصناعية ورأيت انبوبة لها ثقب من جانبها ومعها كرة صغيرة من الحجر وهي تحشى بارودًا ويوضع الحجر فيها ثم توضع جمرة على الثقب حتى يشتعل البارود ويدفع الكرة الحجرية . ورأيت بعدها بندقية ذات زناد وصوانة ورصاصة بدل الحجر. ثم بندقية ذات ديك وكبسول. ثم بندقية كثيرة الطلقات مما يحشى من خزنتهِ استنتجتَ ان البنادق نشأت على هذه الصورة وتدرَّجت من انبوبة بسيطة الى ان صارت مثل بنادق هذه الايام . وقد ترى درجات هذه البنادق مستعملة حتى الآن عند الامم المختلفة حسب درجات ارتقائها فترى البندقية ذات الزناد والبندقية ذات الكبسول والبنادق ذات الابرة على اختلاف اتقانها مستعملة عند الامم المختلفة فلا يبقى عندك ريب في نشوءِ البنادق وتدرُّجها في الاتقان. وقس على ذلك الاحذية والانوال والسفن والمركبات وكل مصنوعات البشر فانها كلها نشأت من مبادئَ بسيطة وتدرَّجت في الاتقان ولا تزال آثارها بين الامم المختلفة دلالة على هذا النشوء والارتقاء. فاذا وجدنا في انواع الحيوان ادلةً مثل هذه على نشوءِ العين والاذن اضطررنا بحكم القياس ان نستنتج نشوءهما وهذه الادلة موجودة في انواع الحيوان وفي الانسان ايضًا فان اذنهُ وعينهُ تتدرجان الآن في تكونهما وهو جنين في بطن امهِ كما تدرجتا في اسلافهِ كأنَّ حياة الجنين تاريخ مختصر لحياة السلالة البشرية من اول نشوئها الى الآن

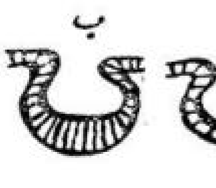
❖ الاذن ❖ ابسط انواع الاذن ما يوجد في بعض الحيوانات المائية المعروفة بالسمك الجلاتيني فانها فيهِ كيس بسيط مفتوح او مسدود مكوَّن من الحويصلات الجلدية وبعض هذه الحويصلات قد تنوَّع قليلاً ونمت منهُ نواتئ دقيقة كالشعر واتصلت من اسفلها بعصب متصل بالمجموع العصبي . وفي الكيس ماء وفيهِ غالبًا حصوات صغيرة فاذا بلغ الاهتزاز الصوتي الى ظاهر هذا الكيس اوصلهُ الماء الذي فيهِ الى النتوات الشعرية واتصل منها الى العصب

واتصل بواسطة العصب الى المجموع العصبي فيشعر الحيوان باهتزاز الصوت · ففي هذه الاذن البسيطة كل الامور الجوهرية التي في الاذن المركبة مهما بلغت من الاتقان كما ان البندقية القديمة التي يشعل بارودها بالمشعل او بالجمرة وتحشى بالبارود وبندق الحجر فيها كل الامور الجوهرية التي في بندقية هذه الايام

والكيس المشار اليهِ يتنوَّع كثيرًا في الحيوانات العليا وتكثر تعاريجهُ واقنيتهُ وتصيرمنهُ الاذن الباطنة ويضاف اليها اجزاءٌ ثانويَّةٌ كغشاء الطبلة والعظيمات الثلاث والاذن الظاهرة التي فيها الصماخ فتدخل اهتزازات الصوت من الصماخ وتهز الطبلة فينقل الاهتزاز الى العظيمات المشار اليها والى دهاليز الاذن الباطنة والسائل الذي فيها ومنها الى العصب السمعي فمركز السمع في الدماغ وهي كلها تنوعات عديدة نشأت مع الزمان جريًا على الناموسين الطبيعيين ناموس التنوُّع المستمرّ وناموس بقاء الاصلح









الشكل الاول

ترى في هذا الشكل اربعة رسوم بسيطة للاذن في درجات ارتقائها فالرسم الاول تحت الحرف ا انخفاض بسيط في الجلد وهو يفرق عن سائر الجلد في انهُ صار تجويفًا لجمع الصوت فيصير الشعور باهتزاز الصوت هناك اشد مما هو في اي جزء آخر من سطح الجلد سعتهُ مثل سعتهِ وهو مثل أُذن بعض الحيوانات المائية

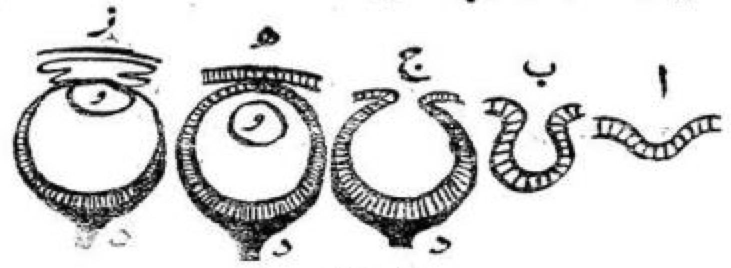
وفي الرسم الثاني تحت الحرف ب انخشكت الحويصلات الجلدية في التجويف واستطالت حتى يكثر العدد المعرَّض منها لاهتزازات الصوت فيزيد شعورها بهِ

وفي الرسم الثالث اتصل التجويف من اعلاهُ وامتلأَ سائلاً واتصل اسفل الحويصلات الجلدية بالالياف العصبيَّة وغار التجويف تحت الجلد فصارت الاهتزازات الصوتية تقع عليهِ فتنتقل بالماء الذي فيهِ الى الحويصلات السفلى ومنها الى الاعصاب · اي صار هذا التجويف يقوّي اهتزازات الصوت مثل الطبل المشدود

وترى في الرسم الاخير ما يمثّل الاذن الكاملة التركيب كاذن الانسان فعند الحرف

ه القناة السمعية او الصماخ وعند الحرف و الاذن الوسطى التي فيها العظام السمعية ,وبينها وبين القناة السمعية حاجز رقيق وهو طبلة الاذن · وعند الحرف ز الاذن الباطنة وفيها سائل يقال لهُ اللمفا الباطنة وحولها سائل آخر يقال لهُ اللمفا الظاهرة· وتحت الحرف ح جزء من الدماغ والموصل بينهُ و بين ز العصب السمعي

فاذا وصلت اهتزازات الصوت الى الاذن دخلت من الصماخ ه الى الغشاء الطبلي فاهتزَّ بها واتصل اهتزازهُ بالعظيمات التي في الاذن المتوسطة فتهتز ويصل اهتزازها الى السائلين اللذين في الاذن الباطنة والاعصاب المتوزعة فيها وهناك تجاويف كثيرة لا محل لشرحها هنا والغرض منها تقوية الصوت ومعرفة جهاتهِ ودرجاتهِ· وتفصيل ذلك من متعلقات علم الفسيولوجيا · واذا شرَّحتَ جنين الانسان من اول تولدهِ الى ان يبلغ اشدهُ رأيت اذنهُ تتدرَّج في تكونها على هذا النحو من البسيط الى المركب ومن الساذج الى المتقن ممثلةً الدرجات التي مرَّت عليها وهي ترتقي في انواع الحيوان



الشكل الثاني

❖ العين ❖ وما قيل عن الاذن يقال عن العين فانها تكوَّنت اصلاً من تنوُّع حويصلات الجلد · وفي عيون الحيوانات الدنيا امثلة لتدرجها في الارتقاء من ابسط حالاتها الى اكملها· فابسطها انخفاض بسيط في الجلد كما ترى تحت الحرف ا في الشكل الثاني والحويصلات التي في اسفل هذا الانخفاض تشعر بالنور وتفرق بين النور والظلمة · وعين مثل هذه توجد في بعض انواع المحار البحري ثم يزيد هذا الانخفاض وتتقارب حافتاهُ كما ترى تحت الحرف ب فلا تعود اشعة النور تصل الى اسفل هذا التجويف الاَّ اذا اتت من جهة مخصوصة· ومعلوم ان الاشعة متى انحصرت رسمت صورة ما تأتي منهُ والاشعة الكثيرة الآتية من جهات مختلفة يختلط بعضها ببعض فتتشوش ولا ترسم صورة معلومة ويتضح لك ذلك من انك اذا دخلت غرفة واقفلت بابها وكان في الباب ثقب صغير رأيت على الحائط الداخل المقابل للباب صور الاشباح

التي قدام الباب مقلوبةً ولكنها تكون واضحة جداً اذا كان الثقب صغيراً فاذا فتحت الباب كلهُ اختفت تلك الصور لان النور الكثير الداخل حينئذٍ يمتزج بالاشعة التي ترسم الصورة فتتشوش ولا تعود تظهر. ثم اذا زاد التجويف عمقاً وزادت فتحتهُ ضيقاً كما ترى تحت الحرف ج زادت الصور التي يرسمها النور فيهِ وضوحاً. ونرى في هذا التجويف ان العصب قد انتشر تحت الحويصلات التي تتأثر بالنور . وترى عيون مثل هذه في المحار الذي صدفتهُ تشبه الاذن وهو المسمى في عرف العلماء (هاليوتس)

ثم ترتقي العين فيتكوَّن فيها عدسية لجمع النور كما ترى حول الحرف و تحت الحرف ه . والعدسية ترسم الصورة واضحة كما يرى في آلات التصوير الشمسي وتجمعها على الجزء الداخلي من باطن العين وهو الشبكية. واذا روقبت عين الاخطبوط في نموهِ يرى انها تتمشى على الدرجات المشار اليها آنفاً واخيراً تتولد القرنية والقزحيَّة امام الرطوبة البلورية وتصير العين كما تراها في الانسان وفي اكثر الحيوانات

ويظهر من ذلك ان العين والاذن تولدتا من الجلد تولداً بالتنوع والارتقاء المستمرين جرياً على النواميس الطبيعيةً ولا تزالان تتكونان كذلك في كل فرد من افراد الحيوان كما تكونتا في نوعهِ والاَّ فلا معنى لهذا التدرُّج فيها

غرائب الجراحة

لا مشاحة في ان العلوم الطبيَّة تقدَّمت منذ خمسين سنة الى الآن اكثر مما تقدَّمت في كل عصور التاريخ الماضية . وسبب هذا التقدم اكتشاف اصل الامراض والآفات الميكروبي اي اكتشاف الاحياء الصغيرة الميكروسكوبيَّة التي تسبّب الامراض الجسمية والآفات الجراحية لان هذا الاكتشاف جعل الاطباء يبحثون عن الاساليب التي تقي الجسم من تلك الميكروبات قبل وصولها اليهِ وتزيلها منهُ او تخفف وطأتها بعد دخولها فيهِ كما ترى في الوقاية من الجدري بالتطعيم ومن الحمى الملارية باستئصال البعوض الذي يوصل جراثيم الملاريا ومن تعفن الجروح بالنظافة التامة ومن الدفثيريا والكَلَب بالمصل المقاوم لها

وقد عثرنا على مقالة لجرَّاح اسمهُ كين (Keen) هو من اكبر جراحي اميركا ذكر فيها بعض الاعمال الجراحية الكبيرة التي عملت حديثاً ونجحت نجاحاً تاماً وكان الاطباء قبلاً يحسبون ان عملها ضرب من المحال فرأينا ان نقتطف منها الفقرات التالية تنويهاً بمزايا الجراحة

وتشجيعاً للذين تقضي عليهم الادواء او الآفات بمثل هذه العمليات وهم يخافون نتائجها

جراحة القلب

لقد كان الراسخ في الاذهان حتى سنة ١٨٦٧ انهُ لا يمكن ان تعمل عمليَّة جراحية في القلب لان مَن جُرح قلبهُ مات حتماً وان عاش فلا تطول حياتهُ الاَّ بضع ساعات او بضعة ايام. ولذلك قال الدكتور بلورث وهو اشهر جراحي اوربا في عصرهِ انهُ ما من جرَّاح يجسر على عمل عملية في القلب وهو يريد ان يبقى لهُ شأن في عيون اخوانهِ الجراحين. الاَّ ان الدكتور ربرنس الاميركي حاول منذ سنة ١٨٨١ ان يعمل العمليات الجراحية في القلب وامتحن ذلك في الحيوانات وكرَّر الامتحان سنة بعد سنة وجرى غيرهُ في خطتهِ الى ان نجحت اول عملية جراحية في القلب سنة ١٨٩٧. ومن ثم اشتدَّت عزائم الجراحين وبلغ عدد العمليات الجراحية التي اجروها في القلب حتى شهر يونيو الماضي ١٤١ عملية نجح منها ٦٤. وكل احد ولو لم يدرِ شيئاً من علم التشريح والجراحة يعلم ما في العمليات الجراحية القلبية من الصعوبة والتعرُّض للخطر الشديد فانها تستلزم شق الصدر وكسر عظمين او ثلاثة من عظامهِ وشق غلاف القلب من غير ان تصاب الرئة اليسرى وتنظيف ذلك الغلاف من الدم ثم عمل العملية في القلب والدم ينثعب منهُ ويعمي البصر. هذه المصاعب اشد ما يلاقيهِ الجراح ومع ذلك فقد نجح الجراحون في ٤٥ في المئة من العمليات الجراحية التي عملوها في القلب ونسبة النجاح تزيد يوماً فيوماً

وقد حاول بعضهم الوصول الى القلب بشق البطن فنجحوا في ذلك والغرض من الوصول اليهِ قد يكون لاعادة فعلهِ اذا وقف بغتة بفعل المخدّرات كالكلوروفورم والاثير فان من يعطى الكلوروفورم او الاثير لتبنيجهِ في بعض العمليات الجراحية قد يقف قلبهُ من جرَّاء ذلك فيموت. واثبت احد الاطباء انهُ يمكن اعادة الحركة الى القلب بالوصول اليهِ وافراغ بعض السوائل فيهِ ولو مضى على سكونهِ بضع ساعات

والظاهر ان القلب من اشد اعضاء الجسم استمساكاً بالحياة ومن اسرعها عوداً اليها اذا فارقها او فارقتهُ. فقد أُخرجت قلوب الحيوانات من صدورها ووضعت في الثلج ٤٤ ساعة ثم ملئت سائلاً معدًّا لذلك فعادت اليها الحركة وعادت تخفق كأنها لا تزال في صدور تلك الحيوانات ودام خفقانها ثلاث ساعات. واستخرج الدكتور كوليبكو قلب الارنب بعد موتها باربعة ايام وملأهُ بذلك السائل فعاد يخفق على جاري عادتهِ واستمرَّ خفقانهُ ساعات عديدة. واستخرج قلوب بعض الموتى من الناس وملأها بذلك السائل فعادت تخفق ولما ثبت

ذلك اقدم الجراحون على اعادة الحركة الى القلب بعد سكونهِ · وقد ذكر بعضهم ٣٩ عملية من هذا القبيل عادت الحياة في ١٢ عملية منها بعد ان فارقت الجسد حسب الظاهر

ولم يكتفِ الجراحون باستخراج القلب من الصدر واعادة الحركة اليهِ بعد سكونهِ بل شقوهُ وعملوا العمليات الجراحية في صماماتهِ . وكان مرض الصمامات من الامراض التي لا يرجى لها الشفاء اما الآن فصارت سكين الجرَّاح تصل اليها وتشفيها بعد ان تمرَّنت على ذلك في الحيوانات

ومنذ ثلاث سنوات رأيت الدكتور كرِل بنج كلباً بالكلوروفورم حتى مات وكنت واقفاً الى جانبهِ وساعتي في يدي فلما انقطع نفس الكلب تماماً وسكن نبضهُ ومضى على ذلك ربع ساعة حقنهُ في الشريان السباتي بمذوب الملح والادرنالين (خلاصة الغدة التي فوق الكلية) وضغط صدرهُ مرارًا فعادت الحياة اليهِ وجعل يتنفس على جاري عادتهِ · وقد اعاد الحياة على هذه الصورة الى بعض الحيوانات بعد موتها بخمس وعشرين دقيقة · فاذا اثبتت التجارب التالية صحة هذه العملية في الانسان ايضاً فهي اسهل واسلم من شق الصدر او البطن للوصول الى القلب

جراحة الشرايين

ننتقل من القلب الى الشرايين التي تنقل الدم منهُ وتوزعهُ في كل اجزاء البدن · فلا يندر ان تتمزق الشرايين او تقطع باطلاق الرصاص او ضرب السيوف او بغير ذلك من العوارض · وقد كان الاسلوب المتبع في هذه الاحوال اذا كان الشريان من الشرايين الكبيرة ان يشق العضو الذي فيهِ الشريان او الوريد الى ان يوصل اليهِ ويربَط من فوق الجرح ومن اسفلهِ فاذا كان الشريان مما يصل الى اليد او الى الرجل فالغالب انهُ كان ينتج عن ربطهِ حدوث الغنغرينا في اليد او الرجل

واذا انشق الشريان كما يحدث احياناً لضعف في جدرانهِ فلم يكن سبيل الى دفع الموت من نزف الدم كلهِ الاَّ بالوصول اليهِ وربطهِ لكن ربطهُ لا ينجي من الموت دائماً لانهُ قد يحدث من ربطهِ غنغرينا تميت المصاب · اما الآن فقد تمكَّن الدكتور متاس من ربط الشريان بزمّ جدرانهِ اي بخياطتها حتى تبقى فيهِ قناة ضيقة يجري الدم فيها فيدفع الموت ويمنع الغنغرينا · وقد عملت هذه العملية في ٨٥ شخصاً حتى يونيو الماضي فشفي منهم ثمانية وسبعون واكثر هذه العمليات في اميركا

واذا قطع الشريان قطعاً بسيف او برصاصة كما يحدث كثيرًا لم يتعذر على الجراح الآن

ان يجمع الطرفين المقطوعين ويخيطهما. واول من فعل ذلك الدكتور روبرت اب من جراحي نيويورك فانهُ فتح بطن قطة وقطع شريانها الاورطي الكبير ثم ادخل فيهِ انبوباً دقيقاً من الزجاج المطهر وخاط طرفي الاورطي حول الانبوب وارى تلك القطة لاعضاء الجمعية الطبية في نيويورك بعد اربعة اشهر واذا هي سليمة سمينة كأن لم يصبها شيء. وقطع يد كلب وابقاها عالقة بشريان ووريد لا غير ثم خاط طرفي عظمها بسلك من المعدن وخاط اطراف عضلاتها واعصابها الخ واحاط اليد بجبار من الجبس فجبرت تماماً وصارت كاختها . ولا يخفى ما في وصل الشرايين والاوردة المقطوعة خياطةً من الصعوبة لئلا يتجمع الدم في الطرف المخيط ويسده ُ ولكن الجراحين الماهرين تغلبوا على كل المصاعب وهم يخيطون الشرايين والاوردة الآن كما يخيطون الجلد وقد تمكنوا بذلك من عملية اخرى وهي نقل الدم من شخص الى آخر من غير ان يتخثر ويجري جلطة منهُ فتسد شرياناً من شرايين الرئة وتقطع الدورة الدموية . ولشدة ما في ذلك من الخطر لم تشع عملية نقل الدم قبلاً بل كان الاطباء يبدلون الدم بمذوَّب ملحي فيفي بالمراد في بعض الاحيان . اما الآن وقد صار في الامكان ان يخاط وعاء دموي بوعاء آخر فصار يسهل نقل الدم الشرياني النقي من شريان انسان الى وريد انسان آخر من غير ان تتكوَّن فيهِ جلطة دموية

مثال ذلك انهُ ولد لاحد الاطباء المشهورين طفل وبعد ولادتهِ جعل الدم ينزف نزفاً شديداً من فيهِ وانفهِ ومعدتهِ وامعائهِ . واستعملت كل وسائل العلاج المعروفة لقطع النزف فلم تنجع واشرف الطفل على الموت فاستدعى ابوهُ الدكتور كرل واستلقى الى جانب طفلهِ فعرَّى الدكتور كرل شرياناً من ذراع الوالد وخاطهُ بوريد في ساق الطفل وجرى الدم من الوالد الى ولدهِ فلم يكن الاَّ بضع دقائق حتى احمرَّ جلد الطفل بعد ان كان اصفر شفافاً وانقطع النزف من كل جسمهِ حالاً ولم يعد وانتقل من الموت الى الحياة دفعةً واحدةً وقام معافى

وقد يرى الجرَّاح مريضاً ضعيفاً جدًّا لا يحتمل جسمهُ ان تعمل فيهِ عملية جراحية فيمتنع عن عملها لانهُ يعلم ان المريض يموت تحتها لضعفهِ فاذا استطاع ان ينقل الى جسمهِ دماً كافياً لم يبقَ خطر من عمل العملية

رأى الجراح دونس ولداً عمرهُ سنتان وفي احدى كليتيهِ خراج كبير جدًّا يملأُ نصف بطنهِ الايسر وقد انحطَّ مقدار الكريات الدموية الحمراء في دمهِ الى درجة ٤٥ في المئة بالنسبة الى الحالة الصحية وكان نبضهُ سريعاً جدًّا وضعيفاً وقابليتهُ ضعيفة فاخَّر العملية اياماً

لعلَّ العناية تحسن حالة الولد ولكن جاء الامر على ضد ذلك لان حالتهُ زادت سوءا وزاد الخراج حجماً فوصل بين وريد من اوردتهِ وشريان من شرايين ابيهِ وبعد اربعين دقيقة زاد مقدار الكريات الحمراء في دم الولد حتى صار ثمانين في المئة وامتلأ نبضهُ وتحسَّن لونهُ واستخرج الخراج والكلية اليسرى في اليوم التالي وكان الخراج نحو نصف اقة وشفي الولد بعد شهر من الزمان وزاد وزنهُ اقة

واراد الدكتور كرل ان يعمل عملية جراحية في امرأة نحيفة جدًّا فاجلس زوجها الى جانبها ووصل بين شريان من شرايينهِ ووريد من اوردتها ونجها وعمل العملية فاحتملتها بسهولة ونجت مما كانت فيهِ ولم تكن نجاتها في رأي الدكتور كرل باقل من القيامة من الاموات

غرس الاعضاء

كان الجراحون يباهون بانهم يغرسون في الوجه انفاً جديدًا بدل انف تشوَّه وتلف. وذلك بسلخ قطعة من جلد الجبهة والصاقها في مكان الانف بعد قطعهِ حتى اذا التصقت بهِ قطع طرفها الذي كان لا يزال عالقاً بجبهتهِ. لكن هذه العملية كانت تشوّه الجبهة بابقاء ندبة كبيرة فيها مكان الشريحة التي قطعت منها ولا يكون الانف مستويًا لانهُ يكون خاليًا من العظم او الغضروف وقد تصيبهُ الغنغرينا قبلما يلتحم وينمو فيشوهُ الانسان جبهتهُ ولا يكتسب انفاً جديدًا. اما الآن فصار في الامكان غرس شرائح اللحم وغرس الاوردة والشرايين والعظام من غير ان تبقى عالقة في المكان الذي نزعت منهُ ولا يحصل فيها غنغرينا ولا غيرها

مثال ذلك ما فعلهُ الجراح لكسر حديثًا وهو انهُ رأى رجلاً يبست ركبتهُ ولم يعد في امكانهِ تحريكها لان مفصلها صار عظماً وكان يقطع ركبة رجل آخر لامر استدعى قطعها فقطع عظام الركبة اليابسة وابدلها بعظام الركبة السليمة التي قطعها من الرجل الآخر فالتحم العظم بالعظم وقام الرجل معافى

ورأى الجرَّاح لكسر رجلاً زال انفهُ وكان يقطع ساق رجل آخر لآفة لا تتعلق بعظم الساق فقطع قطعةً من ذلك العظم ونحتها حتى صارت كعظم الانف وثقب فيها ثقبين للمنخرين ثم قطع شريحة من ذراع الرجل الفاقد الانف وادخل العظم الذي نحتهُ تحتها وغطاهُ بها وبعد ثلاثة اشهر صار للرجل انف على ذراعهِ فيهِ عظم ولحم كالانف العادي ثم نقل هذا الانف من ذراعهِ وغرسهُ في وجههِ بدل انفهِ فجاء حسناً كالانف الطبيعي ولم يتعرض الرجل لجرح جبهتهِ وابقاء ندبة كبيرة فيها

ومن هذا القبيل توليد العظم من السمحاق الذي يحيط بهِ فقد اثبت الدكتور اوليفيه

انهُ اذا نقل سمحاق العظم من حيوان الى حيوان اخر كوَّن فيهِ عظماً مثل العظم الذي كان معهُ

وفي نوفمبر من سنة ١٩٠٦ قطع الجراح كرل قطعة من الشريان السباتي من عنق كلب ووضعها في مكان مبرَّد درجة حرارتهِ من ٣٢ الى ٣٣ بميزان فارنهيت اي عند درجة الجليد وابقاها فيهِ عشرين يوماً ثم نقلها الى اورطي هرة ولا تزال هذه الهرَّة حيَّة سليمة الى الآن ·

وفي شهر مايو سنة ١٩٠٧ قطعت قطعة من الشريان الاورطي من كلب وقطعة مثلها من شريان ساق رجل بترت ساقهُ وأُبدلت قطعة اورطي الكلب بقطعة شريان ساق الرجل ولا يزال الكلب سليماً معافى

وقطع الجراح غثري قطعة من وريد كلب ووضعها في الفورمالين وهو سائل يقي من الفساد وابقاها فيهِ ستين يوماً ثم وضعها في رقبة كلب آخر بدل قطعة قطعها من شريانهِ السباتي فقامت مقامها و بقي الكلب حياً

واغرب من ذلك كلهِ ان الجراح كرل قطع ساقي كلبين وبادل بينهما وخاط العظام والشرايين والاوردة فالتحمت ساق الكلب الواحد بالكلب الآخر · وفعل الجراحان كرل وغثري افعالاً اخرى من هذا القبيل فنزعا الكليتين من هرة وادخلاها في جوف هرة اخرى بدل كليتيها · واستخرجا الرحم من هرة ووضعاها بدل رحم هرة اخرى فعاشت الهرة الاولى بكليتين غير كليتيها والهرة الثانية برحم غير رحمها

ولم يقتصر الدكتور كين على ما تقدَّم بل ذكر غرائب الجراحة في شفاء السرطان اذا كان في اولهِ وشفاء المرض المعروف بالغواتر الذي يصيب الغدَّة الدرقية فتنتفخ بهِ الرقبة ويفضي الى الموت · وقال ان هذه النتائج الباهرة نتجت كلها من التجارب في الحيوانات لان التجارب فيها علَّمت الجراحين كيف يشفون الناس في الاعمال الجراحية الكبيرة وفي كثير من الامراض والاوبئة · ثم قال ان التجارب في الحيوانات افادت في الامور التالية وهي

اولاً · اكتشاف طرق منع التعفن في الاعمال الجراحية

ثانياً · جعل العمليات الجراحية في المعدة والامعاء والكبد والمرارة والبنكرياس والطحال والكليتين وما اشبه من الامور الممكنة

ثالثاً · عمل العمليات الجراحية في الدماغ

رابعاً · معرفة كيفية انتشار المرض المعروف بالتتنوس او الكزاز وكيفية شفائهِ واتقائهِ

خامساً · تقليل الموت من الكسور المركبة من ٦٥ في المئة الى اقل من واحد في المئة · ويراد بالكسور المركبة التي يكسر بها العظم ويجرح الجلد جرحاً واصلاً الى العظم المكسور

سادساً . تقليل الموت من عمليات نزع المبيض من ٦٦ في المئة الى اثنين او ثلاثة في المئة

سابعاً . استئصال الحمى الصفراء

ثامناً . شفاء كل حوادث الكَلَب

تاسعاً . تقليل الوفيات بالدفتيريا من ١٥٨ الى ٣٨ لكل عشرة آلاف من السكان

عاشراً . تقليل الوفيات من التهاب اغشية الدماغ والحبل الشوكي من تسعين في المئة الى ثلاثين في المئة

حادي عشر . معرفة سبب الداء القتال الذي يحدث من عملية الغواتر ومنعهُ

ثاني عشر . ازالة خطر النفاس فبعد ان كان يموت اكثر من عشر النفاس لم يعد يموت واحدة من مئة منهنَّ

ثالث عشر . معرفة سبب الملاريا وافعالها الذريعة وطريقة استئصالها

رابع عشر . تقليل وفيات السل نحو خمسين في المئة

خامس عشر . نجاة المواشي من فتك البثرة الخبيثة والسقاية وكوليرا الخنازير ونحو ذلك من الاوبئة الذريعة الفتك بالمواشي

هذه فوائد اجراء التجارب العلمية في الحيوانات ومع ذلك لا يزال جمهور كبير من الاوربيين والاميركيين ينادون بمنعها شفقةً على الحيوان الذي يستحلون ذبحهُ واكلهُ ولا يستحرمون وقد الزموا حكومتهم ان تمنع اجراء التجارب العلمية في الحيوانات وتعاقب من يتعدى امرها حتى اضطر علماؤهم ان يهاجروا الى فرنسا لكي يجروا العمليات فيها . ويقال ان لورد لستر نفسهُ اضطرَّ ان يجري تجاربهُ في فرنسا مع ان العلماء من اشفق الناس على العجماوات ولا يجرون عملية في حيوان منها ما لم ينجوهُ قبلاً . ولا دليل على ان الحيوانات تتألم من العمليات الجراحية كما يتألم الناس بل الادلة كلها تدلُّ على انها لا تتألم مثلهم او لا تتألم ابدًا . والشعور بالالم متفاوت في الناس الى درجات تقضي بالعجب فانك ترى السودانيين يحملون النار بايديهم ولا يتألمون فلماذا لا يكون الشعور بالالم منحطاً جدًّا في العجماوات على نسبة انحطاطها عن الانسان . وقد شوهد الجراد مقطوعاً من وسطهِ ورأسهُ يأكل طعامهُ ولا يبالي . ولو كانت الحيوانات تتألم كما يظن المدافعون عنها لكان خلقها يأكل بعضها بعضاً ظلمًا فادحاً وقساوة لا تحد

دولة آل عثمان

٧

ذكرنا في الجزء الماضي ان اثنين من العرب خانا سلطان مصر طومان باي بعد ان اجاراهُ وسلماهُ للسلطان سليم فشنقهُ على باب زويلة وانقضى بهِ ملك المماليك الجراكسة في القطر المصري . اما السلطان سليم فجعل همهُ بعد ذلك جمع اصحاب الحرف المختلفة من القطر المصري وارسالم الى القسطنطينيةُ ٠قال ابن اياس ان جماعة من وزراء ابن عثمان واهل مشورتهِ جلسوا في المدرسة الغورية وشرعوا يطلبون جماعة من القضاة والشهود والمعاشرين واعيان تجار المغاربة وتجار الوراقين وتجار الشرب والباسطية وجماعة من البزدارية ومن السوقة المتسببين في البضائع وطائفة من البنائين والنجارين والمرخمين والمبلطين والحدادين وغير ذلك من ارباب الحرف واعيان اليهود فلما تكامل عرضهم في المدرسة الغورية عينوا جماعة منهم ليسافروا الى اسطنبول فكتبوا اسماءهم في قوائم والزموا كل واحد منهم ان يحضر لهُ ضامناً يضمنهُ واضافوا اليهم جماعة اخرى من اليهود وارسلوهم هم ونساءهم واولادهم الى الاسكندرية ومنها الى القسطنطينية ومن تأخر منهم عن السفر او امتنع ضربوهُ واهانوهُ

وذكر اسماء كثيرين من خاصتهم فقال ان منهم القاضي شمس الدين الحلبي احد نواب الشافعية وقد قاسى من العثمانية غاية البهدلة من الضرب والصك وانزلوهُ المركب على رغم انفهِ ومنهم الزيني زين الدين الشرنقاشي احد نواب الحنفية والقاضي بدر الدين ابن جمال الدين الاقميدي والقاضي بدر الدين البلقيني ومحمد المسكي الوراق وابن شقيرة التاجر الذي ببرجوش وبدر الدين شيخ سوق الغزل وغير ذلك من التجار والاعيان وبعض النصارى كتاب الخزينة وكانت هذه الواقعة من الوقائع المنكرة التي لم يقع لاهل مصر مثلها قط في ما تقدم من الزمان

ثم قال ان ابن عثمان ارسل يقول لامير المؤمنين احمل برقك حتى تسافر الى اسطنبول (اي استعد للسفر) فكبر ذلك عليهِ وعلى اقاربهِ لكنهم لم يروا لهم مناصاً من اطاعة الامر . ويوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الاولى (٢ يونيو سنة ١٥١٧) خرج امير المؤمنين المتوكل على الله قاصدًا السفر الى اسطنبول وخرج معهُ اولاد عمهِ خليل وهما ابو بكر واحمد وصهرهُ محمد ابن العلائي فحصل للناس على فقد امير المؤمنين من مصر غاية الاسف وقالوا قد

انقطعت الخلفاء من مصر وصاروا باسطنبول · وعدة من خرج من اهل مصر الى اسطنبول الف وثمانمئة نفس أو اقل لكن انكسر بهم مركب من المراكب التي سافروا فيها وغرق فيهِ اربع مئة نفس منهم

وان احد اعوان السلطان سليم واسمهُ يحيي بك بركار جعل يركب ويأخذ معه جماعة من المرخمين فيهجمون على قاعات الناس ويأخذون ما فيها من الرخام السماقي والزرزوري الملوَّن فاخربوا عدة قاعات من اوقاف المسلمين وبيوت الامراء والتجار والمدارس التي فيها الكتب النفيسة · وانزلوا عمودين كبيرين من القلعة من الحجر السماقي وقاسى الناس في سحبهما غاية المشقة ثم انزلوا المكاحل (المدافع) النحاس من القلعة وكانوا يربطون الرجال بالحبال في رقابهم ويسوقونهم بالضرب الشديد على ظهورهم ولو كانوا من اعيان الناس

وانهُ طرد سكان الروضة ومصر العتيقة من دورهم وسكنها هو ورجالهُ وكان وزراؤهُ يعدوُّن الى الروضة في كل يوم ويطلعونهُ على الامور التي يفعلونها بالناس من خير او شر · وصادر اهل الثروة فاخذ ما يمتلكونهُ وكان لزوجة السلطان طومان باي جارية بيضاء جركسية فهربت من عندها وتوجهت الى بعض وزراء ابن عثمان فعرَّفتهُ حاصل سيدتها فتوجهوا اليهِ ونقلوا كل ما كان فيهِ من بشاخين زركش وعنبر ومقاعد سمور ووشق وحياصات ذهب ولؤلؤ وجوهر مرصَّع وكوامل ذهب وآنية بلور وآنية فضة ونحاس مكفَّت بالذهب وصيني موشَّي بلازورد وغير ذلك فذهب لها اشياء كثيرة بنحو خمسين الف دينار (ثلاثين الف جنيه) وما قنع ابن عثمان بذلك فصادرها وقرَّر على والدتها بنت العلائي عشرين الف دينار وقيل اكثر من ذلك فحصل لها ولوالدتها الضرر الشديد وقاستا شدائد عظيمة

وجمع خراج مصر وانتظر حتى رأى وفاء النيل ثم غادرها في الثالث والعشرين من شعبان سنة ٩٢٣ وكان راكباً على بغلة صفراء عالية قيل انها من بغال السلطان الغوري وكان عليهِ قفطان مخمل احمر وقدامهُ جماعة من الوزراء والجم الكثير من عساكرهِ بين مشاة وركاب وكان قد ولَّى على مصر خاير بك الذي كان نائب حلب وبخيانتهِ انكسر الجيش المصري في مرج دابق وترك عندهُ نحو خمسة آلاف فارس من جيشهِ ونحو ٥٠٠ من الرماة بالبندق الرصاص

قال ابن اياس ان السلطان سليماً ما خرج من مصر حتى غنم اموالها وقتل ابطالها ويتَّم اطفالها واسر رجالها ··· فلا حول ولا قوَّة الَّا بالله العلي العظيم · واشيع انهُ خرج منها ومعهُ الف جمل محملة ما بين ذهب وفضة فوق ما غنمهُ من التحف والسلاح والصيني والنحاس والخيول والبغال والجمال وغير ذلك حتى نقل منها الرخام الفاخر واخذ منها من كل شيء

احسنهُ وكذلك ما غنمهُ وزراؤهُ من الاموال الجزيلة وعسكرهُ فانهم غنموا من النهب ما لا يحصى فما رحلوا عن الديار المصرية الا والناس في غاية البلية . وفي مدة اقامتهِ بالقاهرة حصل لاهلها الضرر الشامل وبطل منها نحو خمسين صنعة لم يعمل بها في ايامهِ بمصر وكانت مدة اقامتهِ بها ثمانية اشهر الا اياماً قلائل ومن حين فتح حلب الى حين خروجهِ من مصر سنة وشهر واحد . وفي مدة اقامتهِ بمصر لم يجلس بقلعة الجبل على سرير الملك جلوساً عاماً ولا رآهُ احد ولا انصف ظالماً من مظلوم ......

وتمادى في وصفهِ بما لا يحسن ذكرهُ ووصف عسكرهُ بانهم كانوا يجاهرون بشرب الخمر في الاسواق وغالبهم لا يصوم رمضان ولا يصلي . ثم لخص ما ذكرهُ بقصيدة ركيكة كسائر نظمهِ نثبت منها الابيات التالية

نوحوا على مصر لامر قد جرى | من حادث عمت مصيبتهُ الورى
زالت عساكرها من الاتراك في | غمض العيون كأنها سنة الكرى
واتى اليها عسكر سيماهمو | حلق الذقون ولبس طرطور يرى
جل الاله مصدقاً عما حكى | في سورة الروم العظيمة اخبرا
قد اوعد الرحمن وعداً صادقاً | ان ابن عثمان يلي وكذا جرى
ولاهُ رب العرش سلطاناً على | مصر وهذا الامر كان مقدرا
اين الملوك بمصر من ساداتها | مثل البدور تضي وكانت انورا
لهفي على تلك التخافيف التي | كانت على الامراء تزهو منظرا
لهفي على لبس الكراف بقندس | بطلت والغوا كل زنط احمرا
لهفي على شيخو وجامعهِ الذي | قد كان للصلوات يجمع للورى
لهفي على سوق الصليبة كيف قد | اخلت حوانيت بهِ مما جرى
لهفي على فك الرخام ونقلهِ | من كل بيت كان زاهٍ ازهرا
زالت محاسن مصر من اشياء قد | كانت بها تزهو على كل القرى
لهفي على الامراء كيف تشتتوا | وخلت منازلهم وعادت اقفرا
قتلوا باصغر بندق من شأنها | كالسم تجرى في الجسوم ولا ترى
لما تكبرت الجراكسة الاول | كانوا بمصر اذلهم رب الورى
الله اكبر انها لمصيبة | وقعت بمصر ما لها مثل يرى
ولقد وقفت على تواريخ مضت | لم يذكروا فيها باعجب ما جرى

لهفي على عيش بمصر قد خلت ايامهُ كالحلم ولّى مدبرا
واتى من التكدير ما لا مخبر سمعت بهِ اذنٌ ولا عين ترى

والقصيدة طويلة وهي غاية في الركاكة لفظاً وتركيباً ولكن معناها منطبق على ما تقدم . ولا شبهة في ان ابن اياس كان من الناقمين على العثمانيين ولكنهُ لم يكن يختلق الاخبار اختلاقاً ولا كانت مخيلتهُ تجسمها لهُ بل كان يكتب الاخبار التي يسمعها يوماً فيوماً ويذكرها في معرض الريب اذا كان مرتاباً في صحتها

ومن يتبع اعمال خاير بك الذي ولاهُ السلطان سليم على مصر لا يعجب من ان الخراب توالى عليها بل يعجب انهُ بقي فيها احد من سكانها ولكن نفوس الناس مرنة تحتمل الضغط الشديد وطباعهم سلسة تعتاد كل شيءٍ ولله در المتنبي حيث قال

مَن يهُن يسهل الهوان عليهِ ما لجرح بميت ايلامُ

وكما تفقد النفوس الشعور بالالم اذا ماتت من شدة الضغط لا تعود تحتمل شيئاً منهُ اذا زال الضغط عنها ولذلك تجد ابناء هذا العصر يستثقلون القذى ويصمُّ آذانهم طنين الذباب

اما السلطان سليم فكان يعرف كيف يرضي العامة على اسلوب لا يعرفهُ غيرهُ فاكرم ابن امير مكة واهدى اليهِ الهدايا وبعث الكسوة للكعبة ولضريح النبي وصنع كسوة للمحمل واحضر الف رأس من الغنم ومئة جمل ومئة بقرة وفرَّقها قرباناً على مجاوري الجوامع والمساجد والزوايا والمزارات . ولما وصل الى تربة الاشرف قايتباي وهو خارج مصر وقف هناك وقرأ الفاتحة واهداها اليهِ وكان قبل ذلك لا يظهر الاَّ عند سفك دماء الجراكسة كما قال ابن اياس . فارضى العامة وبعض الخاصة لانهُ لا شيء يخلب الباب المشارقة مثل الاحتفاظ بالشعائر الدينية ولو ظاهراً

وقد اختصر جودت باشا في كلامهِ على فتح مصر اختصاراً مخلاً فقال "ان السلطان سليماً المظفر تتبع جماعة المماليك وابادهم واستولى على الديار الشامية ثم الاقطار المصرية والحجازية وتاريخ ذلك في حساب الجمل " فاتح ممالك العرب " وكان قبل هذا الفتح يدعى سلطان الدولة العثمانية ولقب بعدهُ بخادم الحرمين الشريفين وخليفة الاسلام زيادة على لقب السلطان وعند رجوعهِ من مصر نقل الآثار النبوية الشريفة التي هي شعار الخلافة الى الاستانة عاصمة السلطنة العثمانية لجمع بين الخلافة والسلطنة"

لكن التواريخ القديمة ولاسيما تاريخ ابن اياس الذي كتب في عهد السلطان سليم لا يؤيد ما قالهُ مدحت باشا من ان السلطان سليماً لُقب خليفة وتاريخ الامير حيدر المنقول

عن التواريخ القديمة يلقبهُ ملكاً وسلطاناً لا غير ولم يلقبهُ خليفة

نعم ان علي باشا مبارك ذكر في كتابهِ المعروف بالخطط التوفيقيَّة ما يدل على ان الخليفة المتوكل على الله تنازل عن الخلافة للسلطان سليم فقد قال "انهُ لما تمَّ الامر للعثمانيين واستولوا على مصر اخذوا يفتشون عن امراء الجراكسة فكل من وجدوهُ منهم قتلوهُ ونهبوا منزلهُ حتى فنيت عدة من امراء البلد وتخربت منازلهم ومكث السلطان سليم بالديار المصرية ثمانية شهور يرتب امورها ويمهد قواعدها ثم رحل عنها الى القسطنطينيَّة بغنائم كثيرة وعدد عديد من ارباب الصنائع وغيرهم واستصحب معهُ ايضاً المتوكل على الله العباسي الذي كان خليفة بمصر بعد ان استنزلهُ عن الخلافة فخلع نفسهُ منها وتنازل عن حقوقها وفوَّض امورها الى السلاطين من آل عثمان". ولكن ما ذكرهُ ابن اياس يدل على ان الخليفة انما ترك او خسر الاموال والنذور التي كان يأخذها من مصر فقد قال ما نصهُ. "ان الخليفة (اي المتوكل على الله العباسي) لما سافر الى اسطنبول اخرجوا عنهُ نظر مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها وكان ذلك بيد الخلفاء من قديم الزمان وكان يحصل لهم من هذه الجهة غاية الخير من الشموع والزيت وكان يحصل لهم في كل يوم من الصندوق الذي تحت رأس السيدة نفيسة مبلغ لهُ صورة (اي كبير) من النذور التي كانت تدخل عليهم فخرج ذلك كلهُ عنهُ"

وانت ترى من ذلك ان ابن اياس بقي يلقب المتوكل بالخليفة حتى بعد ذهابهِ الى القسطنطينيَّة فلا ندري على مَن اعتمد علي باشا مبارك في قولهِ ان المتوكل خلع نفسهُ من الخلافة وتنازل عنها للسلطان سليم قبل سفرهِ من مصر

وسار السلطان سليم الى الشام بطريق العريش وقتل وزيرهُ يونس باشا في اثناء الطريق. وكان يونس باشا هذا من الذين ساعدوهُ على الوصول الى سرير الملك ويقال انهُ لم يكن يشير عليهِ بفتح مصر فلما كانا في الطريق ذكرهُ السلطان سليم بذلك فقال لهُ يونس باشا انهُ قتل نصف الجيش في فتحها ولم يستفد منها شيئاً لانهُ سلمها لخائن كان غرضهُ التملك عليها. فاستاء السلطان من هذا الكلام وقطع رأسهُ. قال ابن اياس ولما اشيع قتل يونس باشا اضطربت القاهرة واغلقت ابوابها وخاف اهلها من هجوم العرب عليها

ووصل السلطان سليم الى دمشق قاصداً ان يشتي فيها وكانت المجاعة ضاربة اطنابها في بلاد الشام فارسل يطلب من خاير بك اربعين الف اردب شعير وقمح يرسلها اليهِ بحراً وجاء قاصد من قبلهِ الى مصر وقال ان اهل الشام في غاية الضنك والشدة من العسكر لانهم طردوهم من بيوتهم ونزلوا فيها وحصل منهم لاهل الشام الضرر الشامل اكثر مما حصل لاهل مصر

وسار السلطان سليم من دمشق الى حلب وحصنها ليمنع عنها الشاه اسمعيل الصوفي صاحب بلاد الفرس ثم ارتحل الى ادرنة وجعل يستعد لمحاربة الشاه اسمعيل ولإعادة الكرة على جزيرة رودس لكن عاجلتهُ المنون سنة ٩٢٦ ولهُ من العمر اربع وخمسون سنة

ويقول الكتّاب الافرنج ان السلطان سليماً كان اعظم سلاطين آل عثمان شجاعة ومهارة وعلماً وحكمةً وسياسةً ولكنهُ يلقب في التواريخ التركية بياوز سليم اي سليم العبوس لشدة فتكهِ . وكان شاعرًا معدودًا واكثر شعرهِ بالفارسيَّة واشتهر في ايامهِ الفقيه كمال باشا زاده المعروف بابن كمال المشهور في صناعتي النظم والنثر

القطب الجنوبي

لبعض الناس غرام شديد باقتحام المخاطر واكتشاف المجاهل مدفوعين بحب الاكتشاف او بحب الشهرة او بحب الكسب او بذلك كلهِ . ومما رغبوا في الوصول اليهِ مهما تجشموا في سبيلهِ من المشاق القطب الشمالي والقطب الجنوبي اي طرفي محور الكرة الارضية . اما القطب الشمالي فاول من قصدهُ وحفظت اخبارهُ السرجون فرنكلين الذي سار نحوهُ سنة ١٨٤٥ قاصدًا ان يكتشف طريقاً بحريًّا الى اسيا من الشمال الغربي وقضي عليهِ وعلى رجالهِ بعد سنتين او ثلاث ووجدت آثارهم واخبارهم في رجمة هناك وظهر منها انهم وصلوا في سيرهم الى مكان يبعد ١٣٢٢ ميلاً عن القطب الشمالي

وتوالت البعوث بعد فرنكلين وكل بعثة تحاول ان تبعد اكثر مما ابعدت سابقتها كما ترى في هذا الجدول

السرجون فرنكلين	سنة	١٨٤٧	وصل الى	١٣٢٢	ميلاً	عن القطب
مستر لاي سمث	«	١٨٧٣	«	٥٩٢	«	«
الكبتن نيرس	«	١٨٧٦	«	٤٥٨	«	«
اللفتننت لكوود من بعثة غريلي	«	١٨٨٤	«	٤٥٥	«	«
الدكتور ننسن	«	١٨٩٥	«	٢٦٠	«	«
الكبتن كاني من بعثة ابروزي	«	١٩٠٠	«	٢٣٩	«	«
الكومندور بيري	«	١٩٠٦	«	٢٠٣	اميال	«

فابعد ما وصل اليهِ الناس شمالاً يبعد ٢٠٣ اميال عن القطب الشمالي . وقد وصفنا رحلة

تسن ورحلة دوق ابروزي بالاسهاب في المجلد ٢٠ و ٢٥ من المقتطف تبييناً لاحوال الاصقاع القطبيَّة وشدَّة بردها وقلة الجدوى من الوصول اليها في جنب المخاطر التي تحيق بالذين يقصدونها

اما القطب الجنوبي فام البعثات التي قصدتهُ ست وهي

بعثة القبطان	كوك	قصدتهُ سنة	١٧٧٤	ووصلت الى	١٢٠٠	ميل	عنهُ
"	ودل	"	١٨٢٣	"	"	١٠٥٠ ميلاً	"
"	روص	"	١٨٥١	"	"	٠٨٥٠ "	"
"	سكوت	"	١٩٠٢	"	"	٠٤٥٠ "	"
"	شكلتن	"	١٩٠٩	"	"	٠١١١ "	"

فبعثت شكلتن التي اشرنا اليها في الجزء الماضي وصلت الى ابعد ما وصلت اليهِ البعثات القطبيَّة شمالاً وجنوباً. ويفتخر الانكليز بانهم سبقوا الاميركيين في هذا المضمار لان بيري الذي وصل الى ٢٠٣ اميال من القطب الشمالي اميركي. وقد ذكرنا رحلة سكوت وما لقيهُ في الاصقاع الجنوبية في المجلد التاسع والعشرين من المقتطف . وها نحن واصفون الآن رحلة شكلتن وما لقيهُ فيها مأخوذاً من الانباء التلغرافية التي بعث بها الى انكلترا من جزيرة زيلندا الجديدة

والملازم شكلتن من اعوان الكبتن سكوت الذي قصد القطب الجنوبي بسفينة الدسكفري وابعد معهُ اكثر مما ابعد احد قبلهُ حتى صاروا على ٤٥٠ ميلاً من القطب وذلك في آخر سنة ١٩٠٢ فقد قال انهُ احد الثلاثة الذين نصبوا العلم الانكليزي في ٣٠ دسمبر سنة ١٩٠٢ حيث العرض ٨٢ درجة و ١٦½ دقيقة. وبدت منهُ حينئذٍ دلائل الهمة والنشاط والصبر على المشاق والمقدرة على ادارة الناس بجاش رابط . وقد حدثتهُ نفسهُ بالذهاب مرةً ثانية لاكتشاف القطب الجنوبي ومعرفة احوال البلاد التي تحيط بهِ فاقلع من بلاد الانكليز في ٣٠ يوليو سنة ١٩٠٧ على سفينة بخارية من سفن الصيد اسمها النمرود بعد ان أُعدَّت لهذه الغاية وجُهزت بكل ما يلزم لهذا السفر الشاق

والنمرود من اصغر السفن التي تشق الاوقيانوس عمرها ٤١ سنة وقد ظهر بالاختبار انها من اقدر السفن على احتمال ضغط الجليد اذا احاط بها وضغط عليها. محمولها ٢٢٧ طنًّا وطولها ١٣٦ قدماً وعرضها ٢٧ قدماً وكثيراً ما كانت تحمل ١٦٠ نفساً من البحارة والركاب اما الآن فلم يذهب فيها سوى ٣٢ نفساً ولذلك وضعت فيها كل لوازم الراحة لهم ولسفرهم على الجليد بالمزالق والاوتوموبيلات. واخذوا معهم خيولاً صغيرة من خيول منشوريا المعتادة زمهرير البرد وكلاباً

من نسل الكلاب التي تبعت البعثات السابقة لاكتشاف القطب · وقبل ان اقلعت نزلت اليها ملك الانكليز وتفحص ما فيها من امتعة البعثة ومؤونتها ولما رأى انها كلها على ما يرام قال للملازم شكلتن لم يبقَ لي الاَّ ان ارجو لك سفرًا سعيدًا وعودًا حميدًا في مهمتك الخطيرة . ولما سافر الكبتن سكوت في سفينة الدسكفري اهديت اليهِ نشان فكتوريا واني اهدي اليك الآن نشانًا مثلهُ تفاؤلاً بفوزك في البحث العلمي الذي شرعت فيهِ · ثم سلمتهُ الملكة علمًا لينصبهُ في ابعد مكان يصل اليهِ فنصبهُ على نحو مئة ميل من القطب كما تقدَّم · وما كاد يصل الى زيلندا الجديدة في عودتهِ من السفر حتى بعث الى جريدة الديلي ميل تلغرافًا مسهبًا تقتطف منهُ الفقرات التالية

قام النمرود بنا من رأس رويد في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٠٨ وابعد ما بلغناهُ الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي والدرجة ١٦٢ من الطول الشرقي · وكان السفر شاقًا جدًّا فقطعنا في اول الامر جبالاً كثيرة ثم وصلنا الى سهل عالٍ يبلغ ارتفاعهُ عن سطح البحر عشرة آلاف قدم واكتشفنا سلاسل كثيرة من الجبال وقطعنا ١٧٠٨ اميال في ١٢٠ يومًا واكتشفنا اكثر من ١٠٠ قمة جديدة من قمم الجبال وكانت المؤونة كافية والخيول المنشورية على ما يرام وقد اكتشفنا اكتشافات مهمة في علم الحيوان واكتشفنا ايضًا القطب المغنطيسي الجنوبي عند الدرجة ٧٢ والدقيقة ٢٥ من العرض والدرجة ١٤٥ من الطول وكان الشتاء معتدل البرد وبلغت اوطأ درجات الحرارة ٤٠ بميزان فارنهيت تحت الصفر · والاكتشافات الجيولوجية التي اكتشفناها مهمة كالاكتشافات في علم الحيوان وقد اشتدَّ ضغط الجليد على النمرود لكنهُ احتملهُ · وصعدنا على قمة بركان اربوس وهو ابعد البراكين جنوبًا وارتفاعهُ ١٣٠٠٠ قدم وهذه اول مرة صعد انسان الى قمتهِ · قصدهُ الملازم ادمس الجيولوجي ورفاقهُ في ٥ مارس سنة ١٩٠٨ فصعدوا بالمزالق الى ما ارتفاعهُ ٥٠٠ قدم عن سطح البحر ثم حملوا زادهم وامتعتهم وتركوا مزالقهم وصعدوا حتى بلغوا ما ارتفاعهُ ٩٥٠٠ قدم فوق سطح البحر وكانت الحرارة هناك على ٥٠ تحت درجة الجليد · وحينئذٍ عصفت عاصفة ثلج منعتهم عن السير ثلاثين ساعة متوالية ولما سكنت عاودوا التصعيد فبلغوا فوهة البركان القديمة وارتفاعها ١١٠٠٠ قدم عن سطح البحر فتفحصوها جيدًا ورأوا منافس الدخان القديمة والفوهة مملوءة الآن بالحجارة المتبلورة وحجارة الخفان والكبريت وهرأ البرد قدمي السر فيليب بروكهرست فاضطرَّ ان يقطع ابهامهُ · وبلغوا فوهة البركان العامل في ١٠ مارس ومحيطها نصف ميل وعمقها ٨٠٠ قدم وكانت تنفث البخار والغازات الكبريتية فتعلو فوقها الفي قدم

وشرع الدكتور مرتش في رصد الحوادث الجويَّة من اوائل السنة . والاستاذ داود في رصد مجاري الهواء العليا من عبثها بغيوم البخار الصاعدة من البركان وواصلا الرصد الى اخرها ووجد الدكتور مري كثيرًا من الاحياء الميكروسكوبيَّة في بحيرات عذبة قرب راس رويد ويجلد الماء حولها سنةً بعد سنة فتعيش فيهِ من غير ان يؤذيها وظهر بالامتحان انها تحتمل البرد الشديد والحر الشديد وتعيش في الماء العذب وفي الماء الاجاج . ورأينا طائر البنغوين المطوَّق اما النباتات التي وجدناها فاكثرها من انواع الفطر والاشنان والطحالب والاعشاب البحرية . وكان الشفق القطبي كثير الظهور ساطع النور كل مدة الشتاء واكثر ظهورهِ في الافق الشرقي وغالبهُ من السحبي ويكون احيانًا من النوع الثابت واحيانًا من النوع المتحرك وكثيرًا ما كانت مجاري النور تسير في عرض السماء بسرعة فائقة . واشتد ثوران بركان ارِبوس في شهر يونيو

ومضيت انا وارميتاج ودافد بالمزالق في ١٢ اغسطس لفحص حاجز الجليد فوجدنا درجة الحرارة ٨٩ تحت درجة الجليد فوضعنا المؤونة في طريقنا على ١٢٤ ميلاً من مشتى الدسكفري ثم عدنا الى اقتحام الحاجز ومررنا بالاوتوموبيل على بحر من الجليد في ٢٩ اكتوبر وكنا اربعةً ادمس ومرشل وولد وانا وتبعنا خمسةٌ لمساعدتنا بحمل الزاد وغادرنا نقطة هت في ٣ نوفمبر ومعنا زاد يكفينا ثلاثة اشهر فعاقنا عاصف الثلج ٥ ايام وعاد الذين تبعونا في ٧ نوفمبر. وكاد المستر ادمس يقتل لانهُ سقط في شق كبير في الجليد هو وفرس من الافراس لكننا تمكنا من انقاذهِ . وفي ١٣ نوفمبر بلغنا مكان المؤونة التي وضعناها في سبتمبر الماضي حيث العرض ٧٩ درجة و٣٦ دقيقة فاخذنا منها زادًا لنا وعلفًا لخيلنا وجعلنا نقتصد في طعامنا ومررنا جنوبًا على حروف واكام من الجليد الصلب يتخللها اماكن مغطاة بالثلج فكانت الخيل تغرق فيهِ الى بطونها. ولما وصلنا الى الدرجة ٨١ والدقيقة ٤ قتلنا فرسًا من الافراس وابقينا هناك وديعةً من لحمهِ ومن البسكوت والزيت اللذين كانا معنا واخذنا بقية اللحم اداماً

وفي ٢٦ نوفمبر وصلنا الى ابعد ما وصلت اليهِ بعثة الدسكفري فرأينا سطح الجليد ليناً جدًّا يعسر السير عليهِ واصيبت الخيل بالبهر من بريق الجليد فقتلنا فرسًا منها وابقينا جانبًا من زادنا ومن لحمهِ حيث العرض ٨٢ درجة و٤٥ دقيقة ثم قتلنا فرسًا ثالثًا في ٣٠ نوفمبر واستمر بنا السير جنوبًا وجنوبًا بشرق فدنونا من سلسلة عالية من الجبال متجهة الى الجنوب الشرقي . وفي الثاني من دسمبر اكتشفنا نهرًا من الجليد (اي جليدًا جاريًا جريًا بطيئًا) طولهُ ١٢٠ ميلاً وعرضهُ نحو ٤٠ ميلاً فحاولنا الصعود عليهِ في ٥ دسمبر وكانت فيهِ شقوق

كبيرة حتى لم نستطع مرة ان نقطع اكثر من ٦٠٠ يرد في اليوم وفي ٧ دسمبر سقط فرس من خيلنا في شق من هذه الشقوق واختنق لكننا انقذنا المستر ولد الذي كان معهُ

وتقشعت الغيوم في ٨ دسمبر فاكتشفنا سلاسل جديدة من الجبال متجهة الى الجنوب والجنوب الغربي وكنا مرتبطين بعضنا ببعض بسيور وحبال متينة حتى اذا وقع واحد منا في شق ينقذهُ الباقون لانهُ يكون معلقاً بهم فوقعنا مرارًا ونجونا. واستمرَّت الحال كذلك من ٦ دسمبر الى ١٨ منهُ حتى بلغنا ما ارتفاعهُ ٦٨٠٠ قدم عن سطح البحر. وابقينا كل ما معنا حيث العرض ٨٥ درجة و ١٠ دقائق ولم نأخذ غير الزاد والآلات العلمية وخيمتين وقللنا طعامنا

وفي ٢٦ دسمبر بلغنا سهلاً علوهُ ٩٠٠٠ قدم ثم ارتفع رويدًا رويدًا حتى صار علوهُ ١٠٥٠٠ قدم. وتوالت علينا زوابع الثلج هناك وكانت الحرارة بين ٣٧ و ٧٠ تحت درجة الجليد

ولما رأيت ان قوى رفاقي قد خارت من قلة الطعام وخفَّة الهواء وشدة البرد عزمت على ان نضع جانباً من زادنا هناك ونتقدم الى حد ما يصل اليهِ جهدنا فاخذنا خيمة واحدة وغرسنا اعمدة الخيمة الثانية في طريقنا لترشدنا في رجوعنا وسرنا في ٤ يناير واشتد عصف الثلج في وجوهنا واستمرَّ ستين ساعة من غير انقطاع وكانت درجة الحرارة على ٧٢ تحت درجة الجليد وسرعة الريح سبعين ميلاً في الساعة حتى كان من المستحيل علينا ان نتقدم خطوة واحدة. وكاد البرد يهرأنا ونحن نيام في اكياسنا وفي التاسع من يناير استأنفنا السير فبلغنا الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي والدرجة ١٦٢ من الطول الشرقي وهي ابعد نقطة وصل اليها انسان حتى الآن فنصبنا هناك العلم الانكليزي الذي سلمتنا اياهُ الملكة ولم نرَ على مدى بصرنا جبلاً ولا اكمة بل رأينا سهلاً منبسطاً الى القطب. ثم عدنا ادراجنا ولم نجد الاعمدة التي نصبناها لان العاصفة اقتلعتها ولكننا رأينا آثار اقدامنا فاسترشدنا بها وكانت العاصفة تهب من ورائنا فساعدتنا على السير وكنا نقطع ٢٠ الى ٢٩ ميلاً كل يوم ورأينا العاصفة قد ازالت الثلج عن نهر الجليد فصار شديد الزلق وفرغ زادنا في ٢٦ يناير ولم نستطع ان نقطع سوى ١٦ ميلاً في ٢٢ ساعة وبلغنا مكاناً من امكنة الزاد الذي وضعناهُ في طريقنا عصر السابع والعشرين من يناير

واصيب ولد بالدوسنطاريا من اكل لحم الخيل ولم يجئ ٤ فبراير حتى أُصبنا كلنا بالدوسنطاريا ودامت معنا ثمانية ايام ولكن ريح الجنوب كانت تساعدنا على الرجوع وكنا كلما وصلنا الى مكان من الاماكن التي ودعنا فيها الزاد يكون الزاد الذي معنا قد نفد كلهُ. وانتكس مرشل وعاودتهُ الدوسنطاريا فتركتهُ في الطريق وتركت معهُ ادمس واسرعت انا

وولد الى السفينة ثم عدت اليهما في اول مارس ومعي رجال لانقاذهما

وبلغت المسافة التي قطعناها ذهاباً واياباً ١٧٠٨ اميال والمدة في السير والانتظار ١٣٦ يوماً . وقد جمعنا مجموعاً جيولوجياً كبيراً ووجدنا طبقات الفحم الحجري في الصخور الكلسية ورصدنا الاحداث الجوية رصداً كاملاً واكتشفنا ثمانياً من سلاسل الجبال واكثر من مئة جبل وصورنا كثيراً من انهر الجليد

والقطب الجنوبي واقع في سهل يعلو عن سطح البحر عشرة آلاف قدم او احد عشر الفاً وعلو سلاسل الجبال التي اكتشفناها يختلف بين ٣٠٠٠ قدم و ١٢٠٠٠ قدم . والعاصفة التي لقيناها عند الدرجة ٨٨ تدل انهُ ان كان حول القطب سكون فهو في فسحة ضيقة او هو ليس عند القطب الجغرافي . انتهى

وربما اتينا في الجزء التالي على تفصيل ما فعلهُ سائر اعضاء البعثة ونجتزي عن ذلك الآن بذكر الخلاصة التالية ملخصة من مجلة نادْشر

امتازت بعثة شكلتن على كل البعثات التي تقدمتها في انها ركبت المزالق فبلغت بها الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي فلم يبقَ بينها وبين القطب سوى ١١١ ميلاً فعرفت حالة تلك الاصقاع تماماً حتى القطب الجنوبي . واكتشفت فرقة منها القطب المغنطيسي الجنوبي واثبتت ان تلك الاصقاع برٌّ متصل ولو علاهُ الجليد

وقد وصلت البعثة على السفينة نمرود الى مضيق مكمردو قرب جبل اريبوس في اوائل سنة ١٩٠٨ وصعدت على ذلك الجبل وهو بركان عامل يقذف الدخان والغازات من جوفهِ ارتفاعهُ عن سطح البحر ١٣١٢٠ قدماً ووجدت انهُ كان لهُ فوهة قديمة تعلو ١١٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وشتَّت هناك في كنف الجبل وانتظرت فصل الصيف حتى تتقدَّم في سيرها جنوباً نحو القطب ووجدت ان الاوتوموبيل خير وسائل النقل والانتقال على بحار الجليد . وافترقت هناك الى ثلاث فرق فرقة سارت على المزالق تجرها الخيول الصغيرة القد بقيادة شكلتن نفسهِ قاصدةً القطب الجنوبي وفرقة بقيت في تلك الجهات تبحث في طبائع البلاد واحوالها الجوية وفرقة ضربت شمالاً وغرباً تفتش عن القطب المغنطيسي الجنوبي

اما الفرقة الاولى فشرعت في سيرها في ٣ نوفمبر الماضي فلم تسر طويلاً حتى اعترضتها عاصفة شديدة من الثلج اوقفتها اربعة ايام . ثم استأنفت السير الى ان وصلت الى بلاد مرتفعة يغطيها الجليد ويعسر التصعيد فيها لشدَّة شخوصها فلم تستطع ان تتقدَّم فيها اكثر من ستين متراً في اليوم . وصفا الجو في الثامن من دسمبر فشاهدت الجبال تمتد جنوباً وشرقاً

واستمرَّت في سيرها فصعدت ٦٨٠٠ قدم في اثني عشر يوماً اي قطعت ارضاً جبلية بلغ ارتفاعها ٦٨٠٠ قدم فكانها كانت تقطع في اليوم ما ارتفاعهُ ٥٦٦ قدماً وتركت اثقالها هناك حيث العرض ٨٥ درجة و ١٠ دقائق واخذت معها ما يقوتها بالتقتير وجعلت تمشي جنوباً وعواصف الثلج تعصف في وجهها والارض تزيد ارتفاعاً فبلغت ما ارتفاعهُ ١٠٥٠٠ قدم في ثمانية ايام واشتدَّ عاصف الثلج حينئذٍ فمنعها عن السير ثلاثة ايام وكانت درجة البرد على ٤٠ تحت الصفر وفي التاسع من يناير صفا الجو نوعاً فتقدمت في سيرها حتى بلغت الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي و١٦٢ درجة من الطول الشرقي وهو ابعد ما وصلت اليهِ فلم يبقَ بينها وبين القطب سوى درجة و ٣٧ دقيقة او نحو ١١١ ميلاً والارض من هناك الى ابعد ما تراهُ العين في جهة القطب نجد مرتفع ولكن لا جبل فيهِ . ثم عادت ادراجها لانهُ لم يبقَ معها طعام يقوتها ان تقدمت اكثر من ذلك ولان المرض والتعب انهك قوى رجالها وقد لقيت من المشاق في ايابها اشد مما لقيت في ذهابها لان قلة الطعام اضعفت رجالها ولكن الرياح الجنوبية ساعدتها على الاسراع في السير فقطعت ١٧٠٨ اميال في ١٢٦ يوماً ووصلت الى رأس هت في ٤ مارس

والفرقة الثالثة التي ذهبت تفتش عن القطب المغنطيسي سارت على المزالق شمالاً وغرباً وكانت الرياح الجنوبية الشديدة تساعدها تارة وتعاكسها اخرى وكانت درجة البرد على ١٨ تحت الصفر فاهتدت الى القطب الجنوبي في السادس عشر من شهر يناير وهو حيث العرض ٧٢ درجة و ٢٥ دقيقة والطول ١٥٤ درجة وقطعت في هذا السفر ٢٦٠ ميلاً ولما ارادت الرجوع رأت ان الجليد الذي سارت عليهِ في ذهابها قد تمزَّق وتفرق الّا ان السفينة نمرود فتشت عنها ووجدتها في ٤ فبراير فانقذتها من الهلكة

والامور التي علمتها هذه البعثة وارسلتها بالتلغراف هي هذه

اولاً . ان القطب الجنوبي واقع في ارض عالية يبلغ ارتفاعها عشرة آلاف قدم او احد عشر الف قدم عن سطح البحر وحول تلك الارض سلاسل من الجبال يبلغ ارتفاعها من ثلاثة آلاف قدم الى اثني عشر الف قدم

ثانياً . ان الرياح الجنوبية تعصف هناك دواماً حتى قرب القطب في الاماكن التي سارت فيها تلك البعثة فان كان هناك رياح مضادة لها تهب نحو القطب فهي على الجهة المقابلة من القطب في الاوقيانوس الاتلنتيكي ولذلك فالارض العالية المغطاة بالجليد تمتد حول القطب الجنوبي الى بعد شاسع

مياه العاصمة

قرأنا في جريدة اللانست الطبيَّة مقالة لمندوب لها ارسلتهُ الى هذه العاصمة للبحث في مياهها وما يقولهُ الناس فيها وصفاتها الطبيعيَّة والكيماويَّة والصحيَّة · فرأينا في هذه المقالة اشياء كثيرة تنطبق على ما كنا نصف بهِ هذا الماء واموراً اخرى يحسن الوقوف عليها والاهتمام بها فاقتطفنا منها ما يلي

من البيّن ان ماء النيل يكون غالباً غير نقي وان الوسائل التي كانت تستعمل لترشيحهِ غير وافية بالمراد ولذلك كان من شربهِ خطر وقد مات واحد بالكوليرا في الاسكندرية وهو من المشتغلين بترشيح ماء النيل فخاف الناس من ذلك ودعا الخوف الحكومة الى ابدال ماء القاهرة فابدالهُ على هذه الصورة لم يكن نتيجة فكر وروية بل نتيجة الخوف· واتفق ان مدينة طنطا وسكانها ستون الفاً حفرت فيها بئر عمقها ١٥٠ او ١٦٠ قدماً تخرج منها ماء صالح للشرب خالٍ من الميكروبات فعرف الناس مزيَّة هذه واستعملوهُ مع ميلهم الشديد الى استعمال ماء النيل فظنت الحكومة انها تفعل مثل ذلك في القاهرة واختارت روض الفرج وهو على نحو ميلين من المدينة وحفرت فيهِ بئراً فوجدت فيها ماء ظهر لها انهُ جيد وركّبت الطلمبات عليها وشُغّلت مدة سنة فظهر ان مقدار الماء لا يتناقص فاشارت على شركة المياه ان تحفر هناك آباراً كثيرة وترسل مياهها الى القاهرة بدل ماء النيل ففعلت ذلك

والآبار التي هناك الآن ٢٢ ولم تتم كلها بل المستعمل منها ١٩ وهي في قطعة ضيقة من الارض عرضها ١٢ متراً والارض حولها زراعية وفيها مقبرة قديمة قريبة من الآبار. واثنتان منها قرب النيل والباقية بعيدة عنهُ نحو الف قدم وفي كل بئر ماسورة من الحديد قطرها ١٣ بوصة وطولها ٣٠ متراً وفي اسفلها الشبكة التي يدخلها الماء مما حولها وطولها ثلاثون متراً اخرى فيترشح الماء باسلاكها وبما بين طبقتيها من الرمل · والماء الذي يدخلها ليس كلهُ من الطبقة الموازية للشبكة بل بعضهُ يأتي من فوقها بفعل المص ولذلك لا يقال ان الماء آتٍ كلهُ عن عمق ٣٠ متراً فاكثر

ومعلوم ان الماء الخارج من هذه المواسير هو من ماء النيل وقد تغير بما اضيف اليهِ من طبقات الارض التي مرَّ فيها فحالتهُ تتوقف على المواد الذائبة فيهِ او على الطبقات التي مرَّ فيها. ثم ان مقدار الماء المستخرج من هذه الآبار غير ثابت فان البئر الاولى كان يستخرج منها

٥٠٠٠ متر مكعب في اليوم فلما فتحت ثماني آبار لم يعد المستخرج ٥٠٠٠ متر من كل بئر بل اقل من ذلك ودعت الحال حينئذٍ الى ابعاد الآبار بعضها عن بعض وجعل البعد بين كل بئر والتي تليها ٨٠ متراً ومع ذلك لم يخرج من البئر اكثر من ٤٠٠٠ متر مكعب

والخبراء الذين امتحنوا مياه هذه الآبار كان اكثر بحثهم عن الميكروبات المرضية ولم يهتموا كثيراً بكون الماء قاسياً لا يرغي فيهِ الصابون ولا بكونهِ يحوي منغنيساً وحديداً ويزيد مقدارهما فيه بازدياد عدد الآبار لانهم حسبوا ان هذه الشوائب لا تضرُّ بالصحة

والحديد يأتي من المواسير التي يمرُّ الماء فيها اي ان الماء يذيب الحديد من تلك المواسير ولم يكن ماء النيل يفعل ذلك لما كان الماء يستقى من النيل . والظاهر ان المواد التي تذوب من المواسير او تتكوَّن منها تجتمع فيها ما دام الماء بطيء الجري ثم تندفع منها بغتةً اذا زادت سرعتهُ . وقد فتحوا امامي حنفيةً لم تفتح منذ اربعة اشهر فخرج الماء منها اسود ضارباً الى السمرة ورأيت مادة سوداء مثل هذه في مغسلة وبينها حبوب رمل امكنني تحفها بيدي وكانت رائحة الماء خبيثة . ولكن بعد ان جرى من الحنفية خمس دقائق صار الماء الجاري منها نقياً خالياً من الرواسب والرائحة

ويقال الآن ان سبب ذلك كلهِ نوع من النبات ينمو في الماء ولاسيما اذا كان فيهِ حديد ومنغنيس واذا كثر هذا النبات سدَّ المواسير فزادت بهِ المواد الآلية ولذلك فتحليل الماء حين خروجهِ من الآبار لا يكفي ولا بدَّ من تحليلهِ بعد مرورهِ في المواسير الى بيوت السكان لاسيما وان المواسير غير محكمة الاتصال فتنفذ منها الشوائب الى الماء

قال المسيو فلر والمسيو كولين في كتابهما عن غش الاطعمة المطبوع بباريس سنة ١٩٠٠ "ان هذا النبات المائي (المشار اليهِ آنفاً) الذي يمكن ان يوجد في كل المياه يكثر وجودهُ في المياه الحديديَّة او التي فيها مواد آلية في حالة الانحلال — ولهُ الفة شديدة لاملاح الحديد ولاسيما الاكسيد فيدخل هذا الاكسيد بين اليافهِ فيصير منهُ مادة كاللبد سمراء اللون وقد تكثر حتى تسد مواسير الماء. وقد شوهد ذلك في مدينة ليل ومدينة بوردو. وتنحل هذه المادة السمراء فيصير بها لون الماء بنياً ويصير كريه الطعم والرائحة فلا يعود صالحاً للشرب"

وهذا الوصف ينطبق على ماء القاهرة اذا جرى من ماسورة بعد ان اقام فيها مدة . وعلاجاً لذلك قد اقيم اربع مرشحات كبيرة ووضع فيها من حجارة اعلى اكسيد المنغنيس حتى يرسب المنغنيس عليها ثم تعاد اكسدتها بعرضها للشمس ولكن اذا اريد تنظيف هذه المرشحات فلا

بد من زيادة ضغط الماء فيها فيحمل الماء ما يرسب فيها ويجري بهِ فتزيد هذه الشوائب في الماء الجاري الى البيوت من حيث يراد ازالتها منهُ . ثم ان هذه المرشحات الاربع لا ترشّح الاّ ٤٠٠ متر مكعب في اليوم وتبلغ نفقاتها تسع مئة جنيه فاذا اريد ترشيح كل مياه القاهرة وجب ان يكون عدد المرشحات كثيرًا جدًّا ونفقاتها باهظة وفائدتها مشكوك فيها

ثم ان الماء الذي يمكن اخراجهُ من هذه الآبار سيقل رويدًا رويدًا فقد تقدم ان البئر التي كان يخرج منها اولاً ٥٠٠٠ متر مكعب في اليوم قلَّ ما يخرج منها فصار ٤٠٠٠ متر وقيس ما يخرج منها في يناير سنة ١٩٠٨ فوجد ٣٢٠٠ مترًا في اليوم ولا تزال القلة متزايدة فقد ظهر من قياس جديد ان الخارج من البئر لا يزيد على ٢٧٠٠ متر مكعب اي نقص ايراد البئر ٥٠٠ متر مكعب في غضون سنة

وقد جرى مثل ذلك في مدينة برسلو عاصمة سليسيا وسكانها ٤٢٢٠٠٠ نفس فقد كان سكانها يشربون من ماء نهر الاودر بعد ترشيحهِ وكان يموت منهم بالتفويد من ٦ الى ١١ في السنة من كل ١٠٠٠٠٠ نفس وخيف من دخول الكوليرا اليها سنة ١٨٨٢ فاشار بعضهم بحفر الآبار والاستقاء منها فحفروا ٣١٥ بئرًا وجعلوا البعد بين البئر والبئر ٢١ مترًا ولما ابتدأت سنة ١٩٠٥ كان المنتظر ان هذه الآبار تكفي تسعة اعشار حاجة المدينة ولكن الماء المستخرج منها قلَّ رويدًا رويدًا من ٦٠٠٠٠ متر مكعب الى ٤٠٠٠٠ متر . ثم تغير هذا الماء فصار يحوي مقدارًا كبيرًا من الحديد . وقد كثر الحديد في الماء حتى لم يعد في الامكان غسل الثياب البيضاء بهِ . ولحسن الحظ ان المرشحات التي كان ماء النهر يرشح بها كانت لا تزال قائمة فعادت المدينة اليها

وهذا هو نفس ما ينتظر للقاهرة ولكن لا بدَّ من اصلاح طرق الترشيح القديمة . وكل احد يود الرجوع الى ماء النيل لاسيما وان الخسارة كبيرة من استعمال ماء روض الفرج في غسل الثياب لكثرة ما يلزم لهُ من الصابون ولان الثياب تصبغ من غسلها بهِ فتتلف . ويقول النساء ان هذا الماء يجعل الشعر قصفًا فيتلفهُ

واكثر الوطنيين وهم الفريق الاكبر من السكان لا يزالون يشربون ماء النيل وهم يشربونهُ الآن غير مرشح وكانوا قبلاً يشربونهُ مرشحًا فالخطر من دخول الكوليرا والتيفويد بواسطة ماء النيل لم يزل في محلهِ بل قد زاد كثيرًا اذ صار ماء النيل يشرب من غير ترشيح

ثم ان عدد الوفيات من الاوربيين الساكنين في القاهرة كان ٢١,٨ في الالف سنة ١٩٠١ و٢٥,٥ في الالف سنة ١٩٠٢ و٢١,١ في الالف سنة ١٩٠٣ و٢٥,٦ في الالف

سنة ١٩٠٤ فلما صاروا يشربون من مياه هذه الآبار صار عدد الوفيات ١و٢٦ في الالف سنة ١٩٠٥ و ٩و٢٥ في الالف سنة ١٩٠٦ و ٤و٢٧ في الالف سنة ١٩٠٧ . ولم ارَ ما يدل على ان الامراض التي تنتقل عدواها بالماء كالتيفويد قد قلّت عمّا كانت قبلاً ولا دليل على ان الصحة العمومية قد تحسنت بعد استعمال هذا الماء . واذا خيف من انتشار الكوليرا في القاهرة بشرب ماء النيل فهذا الخوف لا يزال في محله لان الذين يشربون ماء النيل الآن كثيرون وهم يكفون لنشر العدوى في المدينة اذا جاءتهم من ماء النيل

والخلاصة ان الاعتماد على مياه روض الفرج لا يخلو من الخطر لانها قد تقلُّ عن الحاجة بغتةً وان العود الى ماء النيل اصلح لا سيما وان ٩٩ في المئة من السكان يفضلونهُ على ماء روض الفرج . ويقال ان ماء الاسكندرية يؤْخذ من النيل ويرشح فيأتي وافياً بالمراد ونحن في لندن نشرب ماء تصب فيهِ اقذار مليون وربع من السكان لكنهُ يرشح جيدًا فيصير صالحاً للشرب ويتوفر ما يخسرهُ السكان الآن في ثمن الصابون وتلف الثياب . انتهى باختصار

نقول انهُ لو جعلت الآبار سطحيةً مثل سواقي المعين التي في هذا القطر وأُحيطت بما يمنع وقوع الشوائب فيها لكان ماؤُوها نقياً كماء النيل المرشح لانهُ يكون مرشحاً حقيقة بطبقة سميكة من التراب حسب بعد الآبار عن النيل ويكون خالياً من املاح الحديد والمنغنيس وكل المركبات الكيماوية . وماء السواقي هو ماء النيل مرشحاً واذا كانت في ارض زراعية قريبة من النيل فلا تخالطها املاح تضرُّ بالصحة او تحلُّ الحديد ولو زرعت تلك الارض . وقد شرب الناس ماء السواقي المعين من ايام المصريين الاقدمين الى الآن ولم يصبهم منها اقل ضرر بل يكون من شربها نفع غذائي لان المواد الذائبة فيها مما يغذي لا مما يضر بالصحة والامر الذي يرتاب فيهِ هو مقدار الماء الذي يمكن استخراجهُ من هذه السواقي يومياً وهذا لا تتعذر معرفتهُ بالامتحان اذا لم تكفِ الحقائق العلمية والمعلومات الاختبارية . ويظهر لنا ان عشرين سافية كل ساقية منها مثل الساقية باربعة اوجه يخرج منها من الماء يومياً اكثر من ثمانين الف متر مكعب فهي تكفي مدينة سكانها ثمانمئة الف نفس ولا يتعذر حفر هذه السواقي في ارض طولها الف متر الى الفين وعرضها مئتا متر ويوصل بينها بالمواسير ويخرج الماء منها بآلة رافعة وهذا يستحق الامتحان في ساقيتين او ثلاث لمعرفة خواص الماء ومقدار الايراد

الغزالي (1)

ترجمتهُ وتعاليمهُ

ايها السادة

على نحو عشرة فراسخ من مدينة نيسابور قاعدة خراسان توجد ولاية طوس وبها مدينتان الطابران ونوقان ومن الطابران بزغت شمس الامام ابي حامد محمد الغزالي سنة ٤٥٠ من الهجرة النبويَّة

وكان ابوهُ فقيرًا صالحًا لا يأكل الاَّ من كسب يدهِ في عمل غزل الصوف بطوس ولما ادركتهُ منيتهُ كان ابو حامد هو واخوهُ ابو الفتوح احمد صغيرين فاوصى بهما الى صديق لهُ متصوف من اهل الخير وقال لهُ " ان لي تأسفًا عظيمًا على تعلم الخط واشتهي استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين فعلّمهما ولا عليك ان تنفد في ذلك جميع ما اخلفهُ لهما " . فلما مات اقبل الصوفي على تعليمهما الى ان فني ذلك النزر اليسير الذي خلفهُ لهما ابوهما وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما اعلما اني قد انفقت عليكما ما كان لكما وانا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فاواسيكما بهِ واصلح ما ارى لكما ان تلجأا الى مدرسة فانكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما . ففعلا ذلك وكان هذا هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما وكان الغزالي يحكي هذا ويقول طلبنا العلم لغير الله فأبى ان يكون الاَّ لله

تعلم الغزالي

قرأ في صباهُ الفقه على احمد بن محمد الراذكاني براذكان وهي احدى قرى طوس . ثم رحل الى جرجان يممًا أبا نصر محمد بن ابي بكر الاسماعيلي رئيس علماء جرجان فاخذ علمًا جمًّا وكتب عنهُ تعليقة ثم عاد الى طوس . وقد حصل لهُ في عودتهِ حادثة لفتت نظرهُ الى امر عظيم يرقبهِ في مستقبلهِ ذلك ان الطريق قطعت عليهِ واخذ العيَّارون جميع ما معهُ ومن ضمنهِ مخلاة فيها ما كتبهُ عن شيخهِ بجرجان . فتبع العيَّارين ولما رآهُ مقدمهم قال لهُ ارجع ويحك والاَّ هلكت فقال لهُ الغزالي اسألك بالذي ترجو السلامة منهُ ان تردَّ عليَّ تعليقتي فما هي بشيءٍ تنتفعون بهِ . فسألهُ عن تعليقتهِ فقال كتب هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة

(1) خطبة القاها حضرة الاستاذ محمد الخضري المدرس بمدرسة القضاء الشرعي في جلسة نادي دار العلوم المنعقدة في ٢٣ ابريل سنة ١٩٠٩

علمها. فضحك وقال كيف تدعي انك عرفت علمها وقد اخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم. ثم امر بعض اصحابهِ فسلمهُ اياها. ولما رجع الى طوس اقبل على الاشتغال بما معهُ حتى صار علمهُ في قلبهِ لا في كتبهِ

ثم تاقت نفسهُ الى ارقى مما حصل فسار الى نيسابور وبها الامام الجليل عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجوَيني النيسابوري الشهير بامام الحرمين وهو شيخ الوقت وامام الشافعية. وكان امام الحرمين ممن لم يعقهم عائق التقليد فلم يكن يتقيد برأي امامهِ فيما لم يرَ لهُ فيهِ حقاً بل كثيرًا ما خالف الشافعي وهو الذي ينسب اليهِ في الفقه وخالف الاشعري وهو الذي ينتسب اليهِ في اصول الدين وقد كان ذلك مما يجرُّ عليهِ احيانًا ما لا ينجو منهُ عالم باحث في مثل الوسط الذي كان فيهِ امام الحرمين. تلقى الغزالي عن هذا الامام العظيم العلوم الشرعية فكان لهُ من حرية استاذهِ واستعدادهِ هو اعظم معين على الرقي الذي صادفهُ. قرأ عليهِ الفقه والخلاف والجدل والاصول والمنطق فبرع فيها حتى كان امام الحرمين يصفهُ بانهُ بحر مغدق. ولم يزل معهُ حتى توفي الامام سنة ٤٧٨ من الهجرة ففارق نيسابور قاصدًا الوزير ابا علي الحسن بن علي الطوسي الملقب بنظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي (ولد نظام الملك سنة ٤٠٨ وقتل سنة ٤٨٥) وكان هذا الوزير غرة في جبين الدولة السلجوقية بل لا نبالغ اذا قلنا انهُ لم يأتِ في عصر بني العباس وزير مثلهُ فهو مؤسس المدارس النظامية (نسبة اليهِ) ببغداد ونيسابور وبلخ وغيرها من امهات المدن في العراق وفارس ونظامية بغداد ابتدئ بعمارتها سنة ٤٥٧ وانتهي منها سنة ٤٥٩ وكان يتولى التدريس بها اكبر علماء الشافعية بالعراق. وهو اول من جعل لطلاَّب العلم معلومًا يتناولونهُ

لما قابل الغزالي نظام الملك بالمعسكر قدمهُ لمن بحضرتهِ من العلماء فناظرهم وناظروهُ فظهر عليهم بظهور فضلهِ فاعترفوا لهُ بالنبوغ وحينئذاك ولاهُ الوزير التدريس بنظامية بغداد وامرهُ بالتوجه اليها فقدم بغداد سنة ٤٨٤ وادى بها الدرس وكان يحضر درسهُ من كبار العلماء المدرسين ببغداد ثلاث مئة. ولم يكن يحضر بالمدارس النظامية الا من قاربوا الانتهاء في علومهم فهي تشبه من بعض الوجوه المدارس العالية في ايامنا

اقام الغزالي يدرّس بالمدرسة النظامية الى سنة ٤٨٨ وفيها خرج الى البلد الحرام قاصدًا الحج واستناب في التدريس اخاهُ ابا الفتوح احمد. ثم ذهب الى دمشق سنة ٤٨٩ ومنها زار بيت المقدس. ثم عاد الى دمشق واقام بها مدة معتكفًا متجردًا عن الدنيا ومشاغلها. ثم قدم الاسكندرية فاقام بها مدة وكان عازمًا على الرحلة الى المغرب الاقصى لمقابلة امير دولة

الملثمين يوسف بن تاشفين سلطان المغرب فبلغهُ موتهُ فعدل عن ذلك واستمر يجوب البلدان ويزور المشاهد ويأوي الى القفار ويروض نفسهُ ويجاهدها ثم عاد الى بغداد وعقد مجلس الوعظ ثم انتقل الى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور بعد الحاح شديد ولكنهُ لم يطق المقام فعاد الى طوس واتخذ جنب دارهِ مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ووزع اوقاتهُ على العلم والعمل حتى توفي سنة ٥٠٥ من الهجرة

تقلباتهُ الفكرية

كان الغزالي في بدء حياتهِ العلميَّة فقيهاً همهُ الاشتغال بالفقه واصولهِ وتحقيق مباحثهما والاكثار من التنقيب والتفريع على عادة الفقهاء حتى برَّز على الاقران وانتهت اليهِ الرئاسة بالعراق وخراسان وألف في الفقه الكتب الكبيرة على الطريقة المألوفة وكانت نشأتهُ في وقت غلا فيهِ مرجل العصبيَّة بين الحنفية والشافعية فكان اكبرهمّ العلماء من رجال المذهبين ان يتقنوا كيفية الجدل ومنازعة الخصوم ليستظهروا على اقرانهم ومخالفيهم في الآراء حتى لقد نقل عن اعلام كعباً واشهرهم اسماً وهو ابو حامد الاسفراييني الحديث الآتي " قال ابو حيان التوحيدي سمعت الشيخ ابا حامد يقول لطاهر العباداني — لا تعلق كثيراً لما تسمع مني في مجالس الجدل فان الكلام يجري فيها على ختل الخصم ومغالطتهِ ودفعهِ ومغالبتهِ فلسنا نتكلم لوجه الله خالصاً ولو اردنا ذلك لكان خطونا الى الصمت اسرع من تطاولنا في الكلام وان كنا في كثير من هذا نبوء بغضب من الله تعالى فانا مع ذلك نطمع في سعة رحمة الله" من طبقات الشافعية لابن السبكي

تربى الغزالي على هذا المبدإ مبداء البحث والنظر والجدل حتى ذاع صيتهُ ونال الجاه الوفير والحظ العريض وصار شيخ مشايخ العراق في عهدهِ

وفي ذلك الزمن كانت آراء الفلاسفة قد تمكنت من فئة عظيمة من المسلمين وبرَّز في اخراجها للناس الرئيسان ابو علي بن سينا وابو نصر الفارابي وغيرهما فشاعت تلك التعاليم ولكن الفقهاء وقفوا بينها وبين العامة حتى لا تشوش عليهم عقائدهم وانحوا على تلك التعاليم بالتزييف من غير ان يكلفوا انفسهم العناء في استكشاف ما عليهِ اولئك الفلاسفة . اراد الغزالي ان يكون لهُ سهم في مناضلة الفلاسفة ولكنهُ لم يكن رازحاً تحت عبء التقليد كيف وهو تلميذ امام الحرمين فرأى من الحكمة ان لا يتعرض لتسفيه تلك الآراء حتى يحيط بها علماً فشغل نفسهُ بتعرف الفلسفة وما فيها من المباحث حتى يكون كلامهُ فيها عن خبرة لا عن تقليد . مكث على ذلك ثلاث سنين حتى استكنه ما عند القوم وعند ذلك شرع في كتابهِ

الذي سماه تهافت الفلاسفة وقد نهج فيهِ منهجاً خالف فيهِ سلفهُ في المناظرة فقسم ابحاثهم الى ثلاثة اقسام

(الاول) ما يرجع النزاع فيهِ الى مجرد الالفاظ وهذا لم يتعرض لهم فيهِ فانهُ بعد الاتفاق على المسمى لا معنى للاختلاف في اطلاق اللفظ

(الثاني) ما لا يصدم مذهبهم فيهِ اصلاً من اصول الدين كقولهم ان كسوف القمر عبارة عن امحاء ضوئهِ بتوسط الارض بينهُ وبين الشمس من حيث انهُ يقتبس نورهُ من الشمس فاذا وقع القمر في ظل الارض انقطع عنهُ نور الشمس وكقولهم ان كسوف الشمس معناهُ وقوف جرم القمر بين الناظر وبين الشمس وذلك عند اجتماعهما في العقدتين على دقيقة واحدة. قال وهذا الفن لسنا نخوض في ابطالهِ ومن ظن ان المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعَّف امرهُ فان هذه الامور تقوم عليها براهين هندسيَّة وحسابيَّة لا تبقى معها ريبة فمن يطَّلع عليها ويتحقق ادلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما الى الانجلاء اذا قيل لهُ هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيهِ وانما يسترب في الشرع. وضرر الشرع ممن ينصرهُ لا بطريقهِ اكثر من ضررهِ ممن يطعن فيهِ بطريقهِ. وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل . ثم قال واعظم ما يطعن بهِ الملحدة ان يصرح ناصر الشرع بان هذا وامثالهُ على خلاف الشرع فيسهل عليهم طريق ابطال الشرع ان كان شرطهُ امثال ذلك. وهذا لان البحث في العالم عن كونهِ حادثاً او قديماً ثم اذا ثبت حدوثهُ فسواءٌ كان كرة او بسيطاً او مثمناً او مسدساً وسواءٌ كانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة كما قالوهُ او اقل او اكثر نسبة النظر فيهِ الى البحث الالهي كنسبة النظر الى طبقات البصل وعدد حب الرمان فالمقصود كونها من فعل الله كيفما كانت

(الثالث) ما يتعلق النزاع فيهِ باصل من اصول الدين وهذا هو الذي نازعهم فيهِ مع ادب لم نرهُ لغيرهِ ممن نازعوا الخصوم في عقائدهم

وهذه المبادىء الثلاث التي سنها الغزالي في المناظرة مع مخالفيهِ لم نرَ كثيراً من علماء الدين من سار عليها وهي البعد عن النزاع في الالفاظ وعن النزاع فيما اثبتتهُ براهين الهندسة والحساب واستعمال الادب في المناظرة. هذا ابن حزم مع علو كعبهِ في العلوم الاسلاميَّة ألَّف كتابهُ في الملل والنحل شرح فيهِ مذاهب الخصوم وآراءهم ثم انبرى للرد عليها بقول تلحقهُ شنعتهُ وتدركهُ تبعتهُ . وطالما طرق مسامعنا ونحن في بدء تعلمنا ان القول بكرويَّة الارض كفر والاشتغال بالكيميا والطبيعة كفر وما ماثل ذلك من الاقوال كأنهم لم يستفيدوا شيئاً

من قول هذا الامام الذي اعلنهُ منذ ٨٤٠ سنة

الّف الغزالي تهافت الفلاسفة فرمقتهُ العيون بالاجلال والاعظام وصار امام اهل عصرهِ حجة الاسلام غير مدافع واليهِ ينتهي الدفاع عن حوزتهِ . صادف في ذلك الوقت شيوع آراء الباطنية وظهورهم بمظهر القوة بقلعة المرت وكادت آراؤهم تحوز مكاناً عليًّا في انفس بعض العامة لما يزخرفونهُ من الاقوال في سبيل تأييد دعوتهم فانتدب الغزالي للرد على هذه الدعوة واظهار عوارها فكتب في ذلك جملة كتب على طريقتهِ الادبية الجدلية فكان ذلك مما زاد في اكبارهِ واعظامهِ في نظر حكومة الوقت

وبينما الرجل في منتهى ابهتهِ اذ خطر لهُ خاطر صغر امرهُ في عينهِ . رأى ان ما هو فيهِ لا يصلح نفسهُ ولا يقربها من الملاءِ الاعلى بل بالعكس هو مما يزرع الاخلاق الرديئة من الكبر والتعاظم والحسد والمنافسة الى غير ذلك مما يبعدهُ عن الله سبحانهُ فخطر ببالهِ ان يترك كل ما فيهِ من هذه المظاهر وينجو بنفسهِ يهذّبها ويروضها حتى يقلع ما غرس فيها من رديء النبات ويستبدل بهِ ما هو خير منهُ فترك بغداد قاصداً الاماكن المقدسة واستمر رحّالة بعيداً عن نقائص هذا العالم ولما عاد لم يرضَ بمعاودة ما جلب عليهِ تلك الشرور النفسيَّة بل ذهب الى بلدهِ واذ ذاك تغيرت حال الرجل من فقيه جدلي الى مؤْمن صوفي يرى الخُلق الحسن فوق كل شيء وان العلوم اذا لم تكن معها الاخلاق فهي احط من درجة الجهالة لانها تزيد الفساد في نفس متعلمها وحينذاك كتب كتابهُ الشهير باحياء علوم الدين ضمنهُ خلاصة ما نال في حياتهِ وما استخلصهُ من رياضتهِ نفسهُ فهو فيهِ معلّم فقيه مُربّ وقد بسط فيهِ رأْيهُ عن الطريقة التي كان بها العلم والتعليم لزمنهِ وضربها ضربة شديدة

ستأتي البقية

باب الزراعة

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(١١)

زراعة الكتّان

يزرع الكتّان في اسيوط والمنيا والفيوم وداخل الدلتا في اجود الاراضي واسمهلها ريًّا بمعدل اردب في كل فدان . وفي اواسط دسمبر يزرعونهُ في اسيوط على اثر انحسار الماء

في الارض فيغور ولا يلزم تغطيتهُ بالحرث . وفي كل مدة اقامتهِ في الارض لا تدعو الحال الى شيء من الاعتناء بامرهِ

وبعد ثلاثة اشهر ونصف من زرعهِ يدرك فيقتلعونهُ ويحزمونهُ حزماً فيبلغ محصول الفدان نحو ٤٠٠ حزمة او خمسة احمال جمل . ويأتون بالحزم الى حيث يستخرجون الحب منها فيصفونها على شكل دائرة يضعون " بلاصة " في وسطها على مرتفع مصنوع من الحزم ايضاً ثم يعمدون الى كل حزمة فيفصلون شيئاً منها بقدر ما تحيط بهِ قبضة اليد يضربون برؤوسهِ على البلاصة فيتناثر الحب ويقع ضمن الدائرة ويكررون هذه العملية الى ان ينتهوا من دق جميع ما لديهم

ثم يعيدون حزم الحزم ويأتون بها الى بركة يحفرونها على مقربة من احدى الآلات الرافعة للماء فيغرزونها في ارض البركة منعاً لعومها ويغمرونها بالماء ١٥ او ٢٠ يوماً الى ان تتشرَّب منهُ جيداً فيخرجونها ويعرضونها للشمس حتى تجف فيرضّضون السوق بالضرب عليها بنبوت وهي مُسندة على حجر فتنحل الخيوط من اللحاء فيفصلونها ويمرّونها في مشط من حديد لتنقيتها مما يكون عالقاً بها من بقايا اللحاء واذ ذاك تصير صالحة للاتجار بها

ويستخرجون من كل ٤٠٠ حزمة نحو ٦٠٠ رطل من خيوط الكتان الصالحة للغزل يباع الرطل منها في جهات اسيوط فيبلغ جني الفدان نحو ٨٥ فرنكاً

اما في جهات الفيوم والدلتا فتختلف زراعة الكتان عنها في اسيوط بكون حالة الري تقضي بحرث الارض ثلاث دفعات حرثاً متقاطعاً قبل الزرع وسقي ما يزرع كتاناً من الاراضي التي تروى بالآلات كل ١٥ او ٢٠ يوماً

ويجني الفدان من بزر الكتان نحو ½ ٣ اردب يباع الاردب منه بنحو ٢٠ فرنكاً

ويستعمل جانب من غزل الكتان في البلاد وخصوصاً في اسيوط والفيوم والدلتا حيث يكثر المشتغلون بحرفة الحياكة ويصدَّر الباقي الى الخارج ولا سيما الى جزائر الارخبيل الرومي . ويستخرج من بزرهِ زيت الكتان يستعملونهُ للاستصباح وغيرهِ

اما زراعة القنب فمهملة عند المصريين لانهم يجهلون طريقة استعمالهِ نسيجاً . فهم انما يزرعون منهُ شيئاً يسيراً على جوانب الحقول يستخرجون منهُ معجوناً مخدِّراً يقوم مقام الافيون

(١٢)

زراعة القطن

يُزرع القطن في جميع انحاء القطر المصري وخصوصاً في شمالي الصعيد وفي الدلتا .

ويختلف ريعهُ وطريقة زراعتهِ باختلاف الاماكن . ففي جهات قنا يزرعونهُ مرتين احداها في اوائل ابريل والاخرى في شهر يوليو . فيمدّون الارض اولاً بالفلاحة ثم يقسمونها الى مربَّعات يقع كل مئتي مربَّع منها في فدان ويزرعون جوانبها قطناً واواسطها باميا او ملوخية . وقلما يزرعون القطن في اواسطها

ولزرع القطن يحفرون في محيط هذه المربعات حفرًا صغيرة على عمق ثلاث بوصات تبعد الواحدة عن الاخرى نحو متر ويضعون في كلّ منها ٤ او ٥ بزرات

اما زراعة ابريل فاكثر نفقةً لما يترتب عليها من زيادة العمل في الري بالشادوف اذ يكون النيل منخفضاً في هذا الفصل فتروى الارض من ثلاثة او اربعة مواقف للشادوف يتدرّج بعضها عن بعضٍ في العلوّ . فيروونها كل ٢٧ يوماً مرة . ويستخدمون نفرين لكل شادوف . وما يزرع في هذا الاوان يستغل في شهر اغسطس فما بعدهُ

واما الزراعة التي تقع في زمن الفيضان فاسهل مراساً غير انهُ يتأخر ادراكها الى الشتاء فلا يجنونها الّا في اوائل مارس من السنة التالية . ولذلك تقل زراعة هذا الفصل في نواحي لقصر

وتبتدئ النباتات في النمو بعد الزرع بخمسة ايام وفي الازهار بعد ذلك بخمسة او ستة اشهر . وبعد ثلاثة اشهر من ظهور الزهر يشرعون في جمع القطن فيستخدمون لذلك النساء والاولاد يجمعونهُ يومياً بالايدي ثم يحلجونهُ بمحلجة على غاية البساطة

ويستلزم القطن ريًّا دائماً في ما سوى اربعة اشهر الشتاء. ولكن بينما يلزم اربعة مواقف شادوف في زراعة الصعيدي لا يلزم سوى موقف واحد في زراعة الدميري منهُ

وتبلغ النفقة على اعداد الارض لزراعة القطن من ١٦ الى ١٩ فرنكاً لكل فدان

ولا يزرعون القطن في حقول تزيد مساحتها عن ثلاثة افدنة بل يفضلون التي مساحتها فدان واحد او فدان ونصف

وتعيش شجيرة القطن من ٨ الى ١٠ سنوات . ففي الثلاث سنين الاولى يزرعون الباميا وغيرها من النباتات البستانية بين شجيرات القطن . اما في السبع السنوات الاخيرة فيبطلون زرعها بين شجيراتهِ التي جلّ ما تلقى من اهتمام المزارعين تشذيبها بتكسير اغصانها اليابسة لتزداد بذلك نموًّا . ولكنها مع ذلك تأخذ في الذبول والانحطاط بعد السنة الثالثة

وتقدر غلة الفدان الجيد بثلاث مئة رطل قطناً تباع بنحو مئة فرنك

ويستعمل القطن الصعيدي في معامل الانسجة البلديَّة مفضلاً على القطن السوري

قلنا ان القطن يزرع مرتين في الصعيد وان شجيراتهِ قد تقيم في الارض حتى ١٠ سنوات

اما في الوجه البحري فزراعتهُ سنوية وهو لا يزرع الاَّ مرة واحدة في اوائل ابريل بعد زراعة الحنطة . وبما ان الارض تكون شديدة الجفاف في هذا الاوان يروونها ريًّا مشبعًا ثم يحرثونها ويحفرون فيها حفرًا صغيرة تبعد الواحدة عن الاخرى من ٢٠ الى ٣٠ سنتيمترًا يزرعون فيها بزر القطن . فيقتضي لزراعة الفدان ١٠ فعلة يزرعونهُ في يوم

وفي مدة الخمسة الاشهر التي تقيم فيها شجيرات القطن في الارض يسقونها ثلاث دفعات منها اثنتان بالسواقي والثالثة بماء الفيضان

ويبدأُون بجني القطن من اوائل سبتمبر فيقتلعون الشجيرات بما عليها من القطن ويضعونها في اماكن خاصة حيث يتركونها نحو ٣٠ يومًا الى ان تجف فيستخدمون حينئذٍ النساء والاولاد لجمع القطن من الجوز . ويلزم نحو ٦٠ شخصًا لجني الفدان

ويبلغ ريع الفدان في جوار منصورة من قنطار ونصف الى قنطارين بمعدل القنطار ١٢٠ رطلاً . ويباع القنطار بخمسين فرنكًا في زمن السلم وبثلاثين فرنكًا في زمن الحرب

ومما يستحق الذكر ان اهالي مديرية المنصورة يجمعون القطن وهو على شجيراتهِ في كل صباح من الفجر الى الساعة الثالثة بعد شروق الشمس ولا يقتلعون الشجيرات الاَّ بعد الانتهاء من الجني

(١٣)

زراعة النيلة (النيل)

لا يشتغل عادةً في زراعة النيلة الاَّ الموسرون من ذوي الاملاك وقد يتعاطاها الفلاحون باشتراك بعضهم مع بعضٍ في زرع حقول معينة واستخراج جنيها

واهم الاماكن لزراعة النيلة جهات اعالي الصعيد وخصوصًا قنا وجرجا ويتلوها جهات شمالي الصعيد فتقل زراعتها تدريجًا وتنقطع تمامًا عند ضواحي القاهرة . ولا يلتفت اليها في الوجه البحري مطلقًا

وفي الجهات القبلية من الصعيد يشرعون في زرعها في اوائل شهر يونيو فيحرثون الارض حرثتين متقاطعتين ويقطعونها الى مربعات كبيرة يحفرون فيها حفرًا صغيرةً على ابعاد ١٥ سنتيمترًا يزرعون في كلٍّ منها ٣ او ٤ حبات من حبوب النيلة ثم يغطونها ويسوون سطوح المربعات بالمحفة (المسُوحه) لتسق بالتساوي

ويأتون عادةً "بالتقاوي" من سوريا لانها اجود من "التقاوي" المصرية . وبعد ثلاثة اشهر من الزرع يجزُّون نبات النيلة لاول مرة وينقلونهُ الى خيمة طولها خمسة امتار وعرضها

اربعة امتار وهناك يقطعونهُ قطعاً صغيرة بسكين كبير ويضعونهُ في دنان كبيرة علو الدن منها ٨٠ سنتيمترًا وقطرهُ ٦٠ سنتيمترًا . يطمرونها في الارض الى اعناقها ويملأُون ثلثيها بالماء الفاتر ويغطونها باغطية مجدولة من خوص النخل في سطح كلٍّ منها ثقبان يدخلون منهما عصيًّا يحركون بها قطع النبات مرات عديدة كل يوم الى ان ينضح منها الصباغ . فينقلون الماء الملون حينئذٍ الى جرار كبيرة مثقوبة من جوانبها في ثلاث اماكن عمودية يبعد الثقب الواحد عن الاخر نحو ١٦ سنتيمترًا وبعد ٦ ساعات ينزعون سداد الثقب الاعلى ثم سدادي الثقبين الاخرين كلاًّ في حينهِ فيخرج الماء الصافي وتبقى الرواسب النيلية تحت مساواة الثقب الاسفل في قاع الجزة . ويكررون هذه العملية في عدة جرار حتى يستنزفوا المادة الملونة من النبات فيجمعونها الى اناء واحد يتركونها فيهِ ٢٤ ساعة الى ان ترسب فيصفونها من الماء الذي يعلوها ويضعونها في حفرة يغشونها بالرمل ويتركونها ساعتين فتصير بقوام العجين فيخرجونها ويفرغونها في قوالب فتجف تماماً وتصير صالحة للتجارة فيبيعونها " قوالب " يزن الواحد منها بين رطل ونصف ورطلين

ويجزُّون نبات النيلة ثانية وثالثة ورابعة كل ٣٥ يوماً مرةً ويستخرجون الصباغ منهُ على نحو ما ذكرناهُ فتستغرق زراعتهُ نحو ٨ اشهر . ويقلُّ جنى كل جزة عن التي قبلها على نسبة ٤و٣و٢و١ اي ان ربع الجزة الاولى للفدان يبلغ ١٦٠ فرنكاً والثانية ١٢٠ فرنكاً والثالثة ٨٠ فرنكاً والرابعة (وقد يستغنى عنها) ٣٠ فرنكاً على معدل ثمن الرطل من صباغ النيلة بين ١٦ و١٨ بارة . فانهم يجنون من جزة الفدان الاولى نحو ٢٥٠ رطلاً ثم يقلُّ الربع على المعدل المذكور آنفاً

وتستمر حقول النيلة في الجنى ثلاث او اربع سنين غير ان السنة الاولى اكثرها ريعاً. ويبلغ خراج الفدان المزروع نيلة نحو ٢٠ فرنكاً سنويًّا

اما في جهات بني سويف والجيزة حيث تزرع النيلة بمقادير متوسطة فانهم يشرعون في زرعها في اول مارس في اثلام متحاذية يخطونها بالمحراث على ابعاد ٣٥ الى ٣٠ سنتيمترًا. ويجرون على نفس الطريقة المتقدم وصفها في استخراج الصباغ . غير انهم لا يجزون النبات الاَّ ثلاث دفعات سنويًّا ولا يستبقونهُ في الارض اكثر من سنتين

وفي هذه الجهات يستغلون من الجزة الثانية أوفر مما يستغلون من الجزة الاولى . فيجنون من الفدان في الجزة الثانية ١٦٠ رطلاً من الصباغ تباع بين ٣٨ و٥٧ فرنكاً تبعاً لرواجها ومما يجدر ذكرهُ ان الحقول الواطئة لا تصلح لزراعة النيلة مثل الحقول العالية لان

مياه الفيضان تتلف نبتها اذا غمرتهُ ولذلك يلزم لزراعتهِ شديد الاهتمام والعناية ومع ذلك فقد شوهد بضعة حقول مزروعة نيلة على يمين فرع النيل الغربي في الوجه البحري

الصادرات الزراعية

يظهر من تقرير الجمارك المصرية عن الثلاثة الاشهر الاولى من هذه السنة ان قيمة الصادرات الزراعية زادت فيها عمَّا كانت عليهِ في الثلاثة الاشهر الاولى من العام الماضي كما ترى في ما يلي

البيض زادت قيمة الصادر منهُ		٥٠٣١٠	جنيهات
سائر الاطعمة الحيوانية زادت قيمتها		٠١٧٦٢	جنيهاً
الجلد القطير	« قيمتهُ	١٨٤٦٦	«
الجلد الدبيغ	« «	٠٥١٦٦	«
ريش النعام	« «	٠١٩٤٦	«
الارز	« «	٠٣٥٦٢	«
بزرة القطن	« «	٥٨٥٠٩	«
البصل	« «	٣٢٧٨٩	«
السكر	« «	٩٩٩٣١	«
زيت القطن	« «	٠١٥٧٤	«
الحنا	« «	٠١٥٧٤	«
والجملة		٢٠٥٢٦٣	

اي ان هذه الصادرات الزراعية زادت قيمتها في الثلاثة الاشهر الاولى من هذه السنة اكثر من مئتي الف جنيه ولكن نقصت قيمة القطن الصادر نحو تسعين الف جنيه ونقصت قيمة صادرات اخرى صناعية فبقي من الزيادة ١١١٥٧٢ جنيهاً

الواردات الزراعية

اما الواردات الزراعية فقد زادت نحو ٣٠٠ الف جنيه كما ترى في هذا الجدول

الزبدة زادت قيمتها	٠٢٩٦٤	جنيهاً
الجبن زادت قيمتهُ	٠٥٣٨٧	"
القمح " "	٣٦٩٨٠	"
الذرة زادت قيمتها	٠١٥٩٩٣	"
الرز . قيمتهُ	٠١٢٢٢٨	.
البطاطس زادت قيمتهُ	٠٠٥٩٠١	"
الدقيق زادت قيمتهُ	١٩٠٥٣٩	"
انواع اخرى من الدقيق	٠٢٤١٩٢	"
الاثمار المقددة زادت قيمتها	٠٢٣٩٩٤	"
والجملة	٣١٨١٧٨	

اي ان الزيادة في ثمن هذه الواردات الزراعية كانت اكثر من ٣٠٠ الف جنيه واكثرها في الدقيق ولكن نقصت قيمة اكثر الواردات الاخرى ففاق النقص الزيادة نحو ٧٦٧ الف جنيه اي نقصت قيمة الواردات كلها ٧٦٧ وزادت قيمة الصادرات كلها ١١١ الف جنيه

والنقص في قيمة الواردات اكثره في قيمة الآلات والادوات كالآلات البخارية ومركبات سكة الحديد. وحبذا لو كان كلهُ في ما يستهلك كالاطعمة والاكسية لا في ما يعدُّ من موارد الثروة ذات الريع كالآلات والأدوات

المزروعات المختلفة وما تأخذهُ من لارض

(١) القمح وتبنهُ

اذا بلغت غلة فدان القمح ستة اراداب فيكون وزنها نحو ١٥٣٠ رطلاً مصرياً ووزن تبنها نحو ٢٦٥٣ رطلاً والجملة ٤١٨٣ رطلاً وهاك جدول ما تأخذهُ من الارض من العناصر الجوهرية عدا الكربون والماء

	في الحب	في تبنهِ	والمجموع
النيتروجين	٣٤	١٦	٥٠
الكبريت	٢,٧	٥,١	٠٧,٨
البوتاسا	٩,٣	١٩,٥	٢٨,٨

	في الحب	في تبنهِ	والمجموع
الصودا	٠و٦	٦و٠	٦و٢
الجير	١و٠	٨و٢	٩و٢
المغنيسيا	٣و٦	٣و٥	٧و١
الحامض الفصفوريك	١٤و٢	٦و٩	٢١و١
الكلور	٠و١	٢و٤	٢و٥
السلكا	٠و٦	٩٦و٣	٩٦و٩

(٢) الشعير وتبنهُ

تبلغ غلة الفدان الجيد من الشعير ثمانية ارادب ويبلغ وزنها ١٧٤٧ رطلاً ووزن تبنها ٢٠٨٠ رطلاً والجملة ٣٨٢٧ رطلاً . وهاك جدول ما تأخذهُ من الارض من العناصر الجوهرية عدا الكربون والماء

	في الحب	في التبن	والجملة
النيتروجين	٣٥	١٤	٤٩
الكبريت	٢و٩	٣و٢	٦و١
البوتاسا	٩و٨	٢٥و٩	٣٥و٧
الصودا	١و١	٣و٩	٥و٠
الكلس	١و٢	٨و٠	٩و٢
المغنيسيا	٤و٠	٢و٩	٦و٩
الحامض الفصفوريك	١٦و٠	٤و٧	٢٠و٧
الكلور	٠و٥	٣و٦	٤و١
السلكا	١١و٨	٥٦و٨	٦٨و٦

الذرة الشامية

اذا بلغت غلة الفدان من الذرة الشامية ستة ارادب بلغ وزنها ١٥٠٠ رطل ووزن عيدانها وكيزانها الخ اذا جفّت تماماً ١٨٧٧ رطلاً والجملة ٣٣٧٧ رطلاً ويكون فيها من العناصر الجوهرية التي تأخذها من الارض ما يأتي عدا الكربون والماء

	في الحب	في العيدان الخ	والجملة
النيتروجين	٢٨	١٥	٤٣
كبريت	١و٨	٠٠	٠٠
بوتاسا	٦و٥	٢٩و٨	٣٦و٣
صودا	٠و٢	٠٠	٠٠
كلس	٠و٥	٠٠	٠٠
مغنيسيا	٣و٤	٠٠	٠٠
حامض الفصفوريك	١٠و٠	٨و٠٠	١٨و٠٠
كلور	٠٠و٢	٠٠٠٠	٠٠٠٠
سلكا	٠٠و٥	٠٠٠٠	٠٠٠٠

الفول

واذا بلغت غلة الفدان من الفول ستة ارادب بلغ وزنها ١٦١٣ رطلاً ووزن تبنها الجاف ١٨٤٨ رطلاً والجملة ٣٤٦١ وتكون قد اخذت من الارض والهواء من العناصر الجوهرية ما عدا الماء والكربون ما يأتي

	في الحب	في التبن	والجملة
نيتروجين	٧٨	٢٩	١٠٧
كبريت	٤و٤	٤و٩	٩و٣
بوتاسا	٢٤و٣	٤٢و٨	٦٧و١
صودا	٠٠و٦	١و٧	٢و٣
جير	٢و٩	٣٦و٣	٢٩و٢
مغنيسيا	٢و٤	٥و٧	٩و٩
فصفور	٢٢و٨	٦و٣	٢٩و١
كلور	١و١	٤و٣	٥و٤
سلكا	٠و٤	٦و٩	٧و٣

البطاطس

اذا بلغت غلة الفدان من البطاطس ١٣٤٤٠ رطلاً فيكون فيها من العناصر المتقدمة ما يأتي

نيتروجين ٢٫٧ · كبريت ٧٦٫٥ . صودا ٣٫٨ . جير ٣٫٤ مغنيسيا ٦٫٣ ·فصفور ٢١٫٥ . كلور ٤٫٤ ·سلكا ٢٫٦

والناظر في هذه الجداول يرى لاول وهلة ان في غلة فدان الفول من النتروجين مضاعف ما في غلة غيره من الحبوب وكذا في تبنه من النتروجين ومعلوم ان النتروجين اكثر عناصر الطعام غذاء لانهُ يكوّن اللحم ولذلك فالفول اكثر غذاء من القمح والشعير وتبنهُ اكثر غذاء للمواشي من تبن القمح والشعير . ويظهر بادئ بدء ان الفول يضعف الارض اكثر مما يضعفها القمح والشعير ولكن ليس الامر كذلك لان النتروجين الذي فيه لا يأخذهُ كلهُ من الارض بل يأخذ اكثرهُ من الهواء فهو لا يفقر الارض بل يزيد خصبها بما تضيفهُ جذورهُ اليها من النتروجين الذي تأخذهُ من الهواء بواسطة الميكروبات التي تعيش فيها . وهذا الامر اي كون الفول لا يتعب الارض كان معروفاً من قديم الزمان ولو لم يعرف سببهُ العلمي

الصرف والمصارف

مما استلفت الانظار في المعرض الزراعي الماضي ما عرضتهُ مصلحة الدومين من تأثير المصارف العميقة في زراعة القطن فقد ثبت لها ان الارض التي مصرفها عميق يجود القطن فيها جدًّا والتي بجانبها وهي مثلها تماماً ولكن ليس لها مصرف عميق لا تغور جذور القطن فيها ولا يجود

وهذا الامر من الحقائق المقررة وقد كان القطر المصري يستغني عن المصارف لما كانت الزراعة كلها شتوية والارض تروى ري الحياض ثم تجف ترعها في التحاريق وتنصرف المياه اليها اما وقد صارت الزراعة صيفيَّة ايضاً وصارت الترع تمتلئ ماء في زمن التحاريق كما تمتلئ في زمن النيل فصارت المصارف ضرورية للاطيان ولا سيما اذا كان فيها شيء من الملح

وللمصارف فائدة ثانية غير فائدة غسل الطين من الملح وهو ان الهواء يتبع الماء الذي يغور في الارض وينصرف منها فكأنَّ المصارف واسطة لجعل الهواء يتخلل التربة ويحلل موادها ويجعلها صالحة لغذاء النبات

ولها فائدة ثالثة وهي انهُ اذا كثرت المواد النباتية في الارض وانحلَّت فيها فقد تكون فيها حوامض تضرُّ بالزراعة لانها تتلف جذور الزرع بفعلها الكيماوي وبحرارتها فالماء الذي يصل اليها وينصرف من الارض يردها ويزيل هذه الحموضة منها

وقد جرَّب بعضهم جعل المصارف قليلة الغور اولاً حتى تصرف الطبقة السطحية من الاطيان في السنة الاولى ثم عمَّقها في السنة الثانية وزاد تعميقها في السنة الثالثة الى اعمق ما يمكن فاغتسلت ارضهُ جيداً من الاملاح والحوامض ولم يخسر زراعة

ويصنع الاوربيون برابخ مخصوصة للمصارف فيها ثقوب من اعلاها تمدُّ في اسفل المصرف ويردم فوقها فتصرف الارض من غير ان يضيع شيءٌ منها واذا بقي فم المصرف الاخير مفتوحاً فلا خوف من تجمع الاتربة في هذه البرابخ وسدها

ومع فائدة المصارف ولزومها لاحياء الاطيان وحفظ خصبها قد يكون منها ضرر اذا زادت عن حد اللزوم اذ تنصرف بها كل المياه التي ذاب فيها الغذاء من الارض ويقع ذلك بنوع خاص اذا كانت الارض رملية او خفيفة . فالارض التي تبقى رطبة يلزم لها المصارف ولا ضرر منها عليها والارض التي تجفُّ حالاً يجب ان لا تزاد مصارفها لئلاَّ تجففها كثيراً ولا يعود الزرع يجود فيها

مواشي الذبح

يرى كثيرون من الذين اهتموا بتربية المواشي للذبح ان ليس من تربيتها في هذا القطر ربح لغلاء العلف فيهِ لكن الذين دققوا البحث في هذا الموضوع يرون ان في تربيتها ربحاً وفيها خسارة ايضاً . اما الربح فاذا رُبيت الى ان تبلغ اشدها من النمو السريع فقط وذُبحت حينئذٍ واما الخسارة فاذا رُبيت بعد ذلك اي حينما يصير نموها بطيئاً او لا تعود تنمو . فالحمل ينمو في السنة الاولى والثانية ثم يقلُّ نموهُ او يتوقف عن النمو الاَّ اذا علف جيداً ليسمَّن . ويجب ذبحهُ حالما يتوقف نموهُ او يقل والاَّ صار علفهُ بعد ذلك خسارة لانهُ يكون لحفظهِ في حالة واحدة . فاذا بلغ وزن الحمل عشرين اقةً ووقف عن النمو وقف نمنهُ عند ذلك الحد فيذهب العلف الذي يأكلهُ بعد ذلك خسارة. والعجل ينمو في السنة الاولى والثانية الى الثالثة ثم يقل نموهُ او يتوقف تماماً الاَّ اذا عُلف جيداً بقصد تسمينهِ فيجب ذبحهُ حالما يتوقف نموهُ او يقلُّ لان العلف الذي يعلفهُ بعد ذلك يذهب سدًى . فاذا جرى مربو المواشي على هذه القاعدة وذبحوا كل خروف وكل عجل حالما يتوقف نموهُ صارت تربية المواشي للذبح تجارة رابحة

وتختلف انواع الغنم والبقر في الزمن الذي يتوقف نموها فيهِ وفي مقدار نموها بالعلف وفي توزع دهنها بين لحمها الهبر . فاذا اريد تربية المواشي للذبح وجب ان تختار منها الاصناف التي تنمو وتسمن بسرعة اي التي يتحوَّل الغذاء فيها الى لحم ودهن وهذه تكون قليلة الحركة في الغالب وان تختار الاصناف التي ظهر بالاختبار ان دهنها يتوزع بين هبرها فيطيب طعمهُ او يرغب فيهِ المشترون وذلك كلهُ من الامور الضرورية للربح من تربية المواشي





قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

المناعة وتباين الميكروبات

نشر حضرة العالم الفاضل الدكتور شبلي شميل في مقتطف فبراير من هذه السنة مقالة ارتأى فيها رأياً جديداً في تعليل سير الامراض مستنداً في ذلك الى مذهب النشوء والارتقاء. ولم ترد هذه المقالة في باب المراسلة والمناظرة الا بقصد توجيه نظر المنتقدين اليها وابداء رأيهم فيها. ولذلك فانني استميح حضرتهُ في ابداء ما عنَّ لي في هذا الموضوع

قال "كنا في الماضي لا نعرف كيف نعلل سير الامراض واما اليوم فقد صار من السهل ان نعرف لماذا هذه الامراض تعرض كثيراً وتشفى كثيراً ولماذا غيرها لا يعرض الا مرة في العمر غالباً وسواها اذا عرض فقلما يفارق حتى الموت . فاذا علمنا ان الاحياء الدنيا التي تحدث هذه الامراض كالاحياء العليا انواع وتباينات وعلمنا كذلك ان صفات الانواع ثابتة او هي بطيئة التغير جداً وان التباينات متغيرة كثيراً لا تثبت زمناً طويلاً انجلى لنا سر اختلاف سير هذه الامراض فاذا كانت الامراض الميازمية كما يسمونها تعرض كثيراً وتشفى كثيراً فلأن اسبابها احياء دنيا من رتبة التباينات المتغيرة كثيراً القليلة الثبوت

واذا كانت الامراض النفاطية تشفى وقلما تعود فلان اسبابها الحية من رتبة الانواع الثابتة واذا كان السرطان والتدرن والجذام لا تشفى غالباً ولا تفارق حتى الموت فلانها ارقى في رتبة التوعيد ايضاً فصفاتها اشد ثبوتاً لذلك. واذا علمنا ان الشفاء من المرض والمناعة عليهِ سيان في طبيعتهما مهما كانت اقوال العلماء في تعليلهما ولعلهما نوعٌ من التكافوء والائتلاف سهل علينا ان نفهم لماذا كانت المناعة ضعيفة قصيرة المدة في امراض الرتبة الاولى ثابتة طويلة المدة في امراض الرتبة الثانية ممتنعة (او هي غلبة المرض في هذا التنازع بينهُ وبين الجسم) في امراض الرتبة الثالثة"

لا اخالف حضرة الدكتور شميل في امكان تقسيم الاحياء الدنيا الى تباينات وانواع وانما اخالفهُ في الدليل الذي يستند اليهِ في وضع هذا التقسيم على الوجه المتقدم لما فيهِ من الضعف

يرى حضرتهُ بوناً عظيماً بين امراض الرتبة الاولى والثالثة ولذلك وصف الاولى بالتي تعرض كثيرًا وتشفى كثيرًا وجعل اسبابها الحية في رتبة التباينات ووصف الثالثة بالتي لاتشفى غالباً ولا تفارق حتى الموت ورفع اسبابها الى ارقى رتبة النوعية. على ان الاختلاف في سير امراض الرتبتين ينحصر في لفظتين. اولهما نتيجة هذا السير اي غلبة الجسم او المرض في هذا التنازع. فمع ان الغلبة هي في جانب الداء غالباً في التدرن والسرطان فلم تكن باقل من ذلك في الكلب والدفثيريا قبل اكتشاف المصل الشافي فيهما. فلو كانت غلبة الداء وحدها من مميزات النوع لوجب ان تعد الدفثيريا والكلب في امراض الرتبة الثالثة اذ ان المناعة كانت ممتنعة فيهما في عهدها السابق وقد اصبحت الآن ميسورة بفضل المصل فانقلبت هذه الاحياء من عهد قريب الى رتبة التباينات وما تم في هذين الدائين فقد يتم في التدرن والسرطان بذات الطريقة او ببعض تعديل فلا عبرة في اختلاف الطرق. ومهما يعترض النجاح من العقبات في هذا السبيل فليس من المعقول ان نتخذ عجزنا الحالي عن شفاء الامراض التي لا تفارق حتى الموت دليلاً على ان اسبابها ارقى واثبت في النوعية لاسيما وانهُ قد ثبت ان الميكروبات التي يقول حضرة الدكتور شميل انها من رتبة التباينات ما هو ارقى تركيباً من ُ باشلوس كوخ نفسهِ. وحبذا لو كان لدينا الآن من الادلة ما يكفي لتقسيم الاحياء الدنيا الى تباينات وانواع مستندين في ذلك الى اساس متين جرياً على القاعدة المتبعة في علم التاريخ الطبيعي بالنسبة الى الاحياء العليا. غير ان عهدنا في الابحاث البكتريولوجية حديث لا يتجاوز ربع قرن

اما ان امراض الرتبة الاولى تعرض كثيرًا بخلاف الثالثة فهو نتيجة قلة الشفاء في الاخيرة ومتى قدر لها الشفاء بواسطة المصل فلا غرابة بعد ذلك ان تماثل الاولى في سيرها فتعرض كثيرًا اذ تشفى كثيرًا

بقي علينا امر البحث في الامراض النفاطية التي تقع في الرتبة الثانية على رأي حضرة الدكتور شميل وهي اذا شفيت لا تعود غالبًا فتكون اسبابها الحية من رتبة الانواع الثابتة حال كوننا لو تأملنا في عدم عودة هذه الامراض لظهرت لنا هذه النتيجة وهي : انهُ بعد حصول الشفاء من هذه الامراض يقوم في الجسم سدٌّ حصين من المناعة بحيث ترجح في جانبهِ كفة التكافوء والائتلاف وتكون لهُ الغلبة الثابتة في التنازع ولن تتيسر للكروب اسباب النمو وذلك اقرب للدلالة على ضعف المكروب وانحطاطهِ في النوعية منهُ الى الدلالة على رقيهِ وثبوتهِ فيها . ولو ان طول مدة المناعة وثبوتها في الامراض النفاطية متأتٍ من كون اسبابها الحية من رتبة الانواع الثابتة لوجب ان يكون هذا القياس صحيحًا في امراض الرتبة الثالثة اي ان المناعة المكتسبة عقب الشفاء من التدرن والسرطان تكون ثابتة بحيث لاتخشى عودة الداء ويكون الشفاء من التدرن الموضعي واقيًا من التدرن الرئوي ولا ابالغ اذا قلت بتعدي شيء من هذه المناعة ممن كان مصابًا فشفي الى جسم اولادهِ ولكن ليس ما يؤيد ذلك لسوء الحظ لان من اصيب بالتدرن وشفي منهُ تمامًا لايكون الا اكثر عرضة لهُ من سواهُ ونرث اولادهُ القابلية للداء بدلاً من المناعة وقوة المقاومة

هذا ما بدا لي نشرهُ مع التصريح بانهُ ليس غرضي المناقشة في مذهب النشوء والارتقاء لانفي امكان وجود تباينات وانواع في عالم الاحياء الدنيا وانما قصدت انتقاد القاعدة التي اتخذها حضرة الفاضل الدكتور شبلي شميل اساسًا في تقسيمهِ وهي على ما هي عليهِ من الضعف وقلة الثبوت

الدكتور توفيق جهلان

تعليم العربية

سيدي صاحبي المقتطف الفاضلين

سرني ما قرأتهُ في الجزء الثالث من المقتطف تحت عنوان " مذهب جديد في تعليم اللغة العربية " وشكرت للكاتب اهتمامهُ بتسهيل طلب هذه اللغة

حقًا ان الخوض في هذه المباحث واجب لاسيما في هذا العصر عصر التقدم والارتقاء واكتشاف الحقائق والمناقشة فيها . ولماذا يشذُّ علم التعليم عن سائر العلوم فعلم الطب وعلم

الجراحة وعلم الفلك وسائر العلوم الطبيعيَّة لا تكاد تمضي سنة الاَّ ويضاف اليها اشياء كثيرة او يستبدل ما فيها بما هو اصلح منهُ تبعاً لناموس بقاء الاصلح واذا كانت اللغة من العلوم الحية (ويجب ان تكون كذلك) فلا بد لها من الخضوع لهذا الناموس . وان يفسح في تدريسها مجال للاصلاح بعد تمحيصهِ واقرار ذوي الآراء الصائبة عليهِ . فهذه الكتب الانكليزية في فن التعليم لا تمرُّ مدة طويلة دون ان يظهر منها شيء جديد تطبعهُ المكاتب الكبيرة وتوزع نسخاً منهُ على كل رئيس مدرسة ليتصفحها ويبدي رأيهُ فيها حتى اذا وجدها ملائمة ادخلها الى مدرستهِ . وهذه المجلات الانكليزيَّة من مثل مجلة القرن التاسع عشر ووستمنستر رفيو ومجلة المجلات يندر ان تجيل نظرك في مجلد منها دون ان يقع على عدة مقالات في فن التعليم . اما نحن فعلى عكس ذلك وكأن لسان حالنا يقول "ليس في الامكان ابدع مما كان" — واذا بدا لواحد خاطر فنشرهُ وطلب من القراء مشاركتهُ في النظر فيهِ ابتغاء تمحيصهِ عاد اخيب من القابض على الهواء اذ لا يلقى مستحسناً ولا مستهجناً وعند ذلك فاما ان يتمسك بطريقتهِ ويقول السكوت رضى واما ان ينثني عنها نادباً وقتاً اضاعهُ في ما لم يجنِ فائدةً منهُ وكلاهما سيء . اما حجة البعض بابقاء القديم على قدمهِ ففيها نظر . نعم انهُ لا يليق بالمرء ان يستبدل القديم بالجديد لمجرد كونهِ جديداً تبعاً للقول المأثور "لكل جديد طلاوة" ولكننا اذا تدبرنا هذا الجديد ومحصناهُ وشهد لنا عقلنا بافضليتهِ على القديم فما اجدرنا بترك هذا والتمسك بذاك

ومع اني لا اعدُّ نفسي ممن يؤْخذ كلامهم حجة في هذه المباحث الاَّ ان الامانة في حرفة التعليم تطالبني باتخاذ انجع الوسائل واقرب الطرق لايراد الطلبة منتجعات هذا الفن بقليل من الوقت وكثير من اللذة . فليسمح لي حضرة الكاتب بابداء رأيي في المذهب المذكور علَّنا نتوصل الى اماطة اللثام عن محيا الحقيقة "والحقيقة بنت البحث"

قال حضرتهُ انهُ لا يستحسن تعليم شيء من اجرومية اللغة العربية . وهو رأي اوافقهُ عليهِ وقد اطلقنا سراحها من مدارسنا من مدة بعيدة

اما المادتان الاوليان من اقتراحهِ وهما "تعليم قسم كبير من القرآن الكريم مع فهم المعاني فهماً جيداً وما استسهل واستعذب وجاد الخ" فهو مما لا اراهُ . وماذا يقصد حضرتهُ من تلك الفرق الاولية من المدارس النظامية فان كان قصدهُ التلاميذ الذين هم دون الثانية عشرة فعقولهم اضعف من ان تصل الى فهم ما يستظهرونهُ من القرآن على ان حشد الحافظة بما لا يفهم متعب لها ولا اصعب من تعلم ما لا يفهم ولا اقل من الانتفاع بهِ فضلاً عن ان ذلك مضاد

للاصول البيداجوجية التي اساسها القاعدة المشهورة " من المعلوم الى المجهول " بطرق الملاحظة والاستنتاج . واللغة مع ما فيها من النقل لا تعدم مجالاً واسعاً للفكر والملاحظة وهو اساس علمي البيان والبلاغة فلا تشذ عن القاعدة المذكورة. اما المذهب المذكور فيصدم عمل قوة الملاحظة عند اول عهد الطالب بالتعلم مع ان تهذيبها هو غاية العلم فقد قال الدكتور وطسن " ان غاية التعليم احياء قوة الملاحظة وتقويتها " وقال سبنسر في كتابه التهذيب " حقاً اننا لو تأملنا لرأينا قوة الملاحظة هي الاساس الضامن لكل نجاح . هي التي يحتاج اليها المصورون وعلماء الطبيعة . وهي التي يعتمد عليها الاطباء في الوصول الى التشخيص الصحيح بل ان الفيلسوف هو من يلاحظ ما خفي عن غيره ويكتشف ما بين الامور من العلاقة التي لم يرها غيره . وما الشاعر المجيد سوى ذاك الذي يكتشف جمالاً في الطبيعة يراه الآخرون بعد ما يعرضه عليهم ولكنهم لم يتوصلوا الى ملاحظته قبلاً " الى ان قال " ان قوة الملاحظة تبتدىء في الولد وهو صغير جداً . وما اعجابه بما يحيط به واستفهامه عن اشياء لا يعرفها ومعرفته التي لم يكتسبها في المدرسة او من والديه الاَّ نتائج ملاحظته . والتعليم الصحيح هو الذي يهذب هذه القوة ويدربها . اما حشد الذهن بالكلمات غير المفهومة فليس بالتعليم الصحيح بل هو هادم للقوى العاقلة "

على ان لي شاهداً اقرب من هذا وذاك فقد كان من سوء طالعي وانا تلميذ في المدرسة اني كلفت بان استظهر قصائد كثيرة وانا دون الثانية عشرة لم افهمها حينئذٍ ولا اذكر الا النزر اليسير منها الآن ولكنها عودتني الاعتماد على الذاكرة وذلك على نفقة سائر القوى العاقلة . وكادت تبغض اليَّ العلم

ثم ان قصد حضرته التلامذة الذين فوق الثانية عشرة فلا يصعب عليهم فهم الاصول اللغوية اذا درَّسها من له المام بفن التعليم على الطريقة التي ذكرها اي بالاكثار من التمارين واستخراج القواعد من الامثلة الكثيرة

على اني لا انكر على حضرته اهمية الاستظهار من القرآن والاسفار المنظومة باللغة الفصحى ولكنه يجب ان يتخلل التدريس لا ان يقدم عليه فان استظهار ما لا يفهم سريع النسيان ولكن بعد الفهم تكون له فائدة جزيلة

واما المادتان الثالثة والرابعة فتدخلان في فن الانشاء فان كان حضرته يقصد من هم دون الثانية عشرة فكيف يمكنهم انشاء " المنشآت " وهم لا يحسنون انشاء جملة واحدة مضبوطة لانهم لم يتعلموا احكامها . وهم لم يفهموا ما استظهروه ليمكنهم ادخال المناسب منه . الا

تكون كتابتهم اذ ذاك ميكانيكية لا شأن للمعاني فيها ولا مجال للفكر . اوَ لا تكون "منشآتهم" شبيهة ببعض المقالات التي نقرأها حيناً بعد حين ليس فيها سوى طنطنة الفاظ ولا معنى كبيرًا وراءها . وكأني باولئك الكتاب تحضرهم عبارة فصيحة فيتشوقون الى ادخالها في كتابتهم ثم يحولون المعنى الى ما يلائم تلك العبارة ولو كان تافهًا . وهذا ما يحمل القارئ يمل قراءة تلك الكتابات ولا عجب فان الالفاظ جعلت قوالب للمعاني لا المعاني للالفاظ

وهذا يحدو بي الى تذكير حضرتهِ بالرأي الذي نشرتهُ في الجزء الاول من مقتطف هذه السنة . وسيرى حضرتهُ عند المراجعة (اذا شاء) ان تعليم القواعد اللغوية مع ما يتخللها من سائر الدروس التي تدخل تحت فن الانشاء مع الاستظهار من أمثال الكتب المذكورة كافل بتسهيل تعليم اللغة . لانهُ اذا تعلم الطلبة اتقان تركيب الجملة البسيطة بالاشارة الى اركانها وسائر متعلقاتها ووضع لهم الاستاذ على اللوح مثالاً من كل نوع من انواع الجملة في كل باب واستظهروا ما يمكنهم ادماجهُ في كتابتهم كان ذلك اسهل حلٍ لصعوبة تعلم القواعد ومسهلاً للانشاء المضبوط

القدس الشريف توفيق زريق

تسهيل تعليم اللغة العربية

حضرة العالمين صاحبي المقتطف الزاهر

اطلعت في الجزء الثالث من مقتطف هذه السنة على رسالة للفاضل حسين افندي لبيب عنوانها (مذهب جديد في تعليم اللغة العربية) فاحببت ان اعلق عليها هذه الكلمة فان رايتما نشرها في مجلتكما الغراء كان لكما الفضل وعليَّ الشكر

طالما قرأنا في المجلات والجرائد اراء مختلفة ترمي الى تسهيل دراسة اللغة العربية وغالب هذه الآراء ان لم نقل كلها للاجانب كالمستر ارثور شوارتز الالماني والمستر ولمور الانكليزي وغيرهما من علماء الفرنجة ممن لم تحضرنا اسماؤهم وجميعها لا يخرج عن القول بكتابة لغة العامة واهمال اللغة الفصحى فهؤلاء العلماء اما ان يكونوا متضلعين بالعربية واقفين على دقائقها وحقائقها وحالتها الحاضرة او لا فان كان الاول فهم عارفون بلا شك ان لكل عامة قطر لغة مستقلة لا يكاد يفهمها اهل القطر الثاني فطلبهم هذا يأول الى اضعاف اللغة بتجزئتها الى لغات متعددة لا تلبث ان تهلك جميعها وان كان الثاني فخير لهم ان ينصرفوا عن اصلاح لغة لا يفهمونها ولا يقدرونها قدرها الى تسهيل ما في لغاتهم من الشواذ وتذليل ما فيها من الصعاب

هذا ما كان يحمل الكثيرين من الغيورين على لغتهم العربية ان يضربوا صفحاً عن هذه الآراء التي لا طائل تحتها وان لا يعيروها جانب الالتفات

فاستعمال لغة العامة امر يجب صرف النظر عنهُ والبحث في ايجاد طريقة اخرى تسهل لغتنا الفصحى علينا . ولقد اصاب حسين افندي لبيب في ما كتبهُ كل الاصابة واظن رأيهُ رأياً لا يختلف فيهِ اثنان من محبي اللغة العربية — فلو كلف المعلمون تلامذتهم كلهم التكلم باللغة الصحيحة لتوحدت اللغة واصبحت نقية الذيل بيضاء الصحيفة من حوشي الالفاظ ومبتذلها

لا ينكر ان البعض يتحاشون بادي بدء التكلم باللغة الفصحى خوفاً من ان تفوّق نحوهم سهام التهكم والانتقاد ولكن على المرء اذا اراد الاخلاص في الخدمة ان لا يلتفت الى ما عساهُ ان يقال عنهُ ما زال يرى نفسهُ ضمن دائرة الواجب هذا فضلاً عن انهُ باستعمالهِ اللغة الفصحى يخلص من ركاكة الفاظ اللغة المبتذلة الى جزالة في القول لا تجتمع في هذه الاخيرة وما هو الاَّ القليل من الزمن حتى تعتاد اذاننا على اللغة الفصحى ويصبح العدول عنها عجزاً وخطأً

وهنا اكرر ما قالهُ حضرة الفاضل من وجوب الابتداء بحفظ القران واذا تعذر على غير المسلمين من الطلبة حفظهُ فعليهم بالكتب الصحيحة العبارة لتسبق ملكة حسن التعبير الى اذهانهم

بقي مسئلة تعلم النحو ولا اراني خارجاً عن الموضوع ما زلنا في ميدان البحث عن تقريب منال العربية اذا ذكرت رأياً لي فيها . ليس اكثر من كتب النحو عندنا فهي مما يخطئهُ العدّ ولمّا يقف المؤلفون عند هذا الحد فالمائل للطبع والمهيء للتبييض لا يقل عما بين ايدينا وهي بجملتها تقسم الى قسمين القديمة والحديثة او المطولات والمختصرات وكلاهما لا يقوم بحاجتنا

فالاول يتيه الطالب ما بين كثرة مذاهبهِ وتباين ارائهِ وتشعب طرقهِ وتعدد لغاتهِ مما يذهب بعقلهِ كل مذهب ويقعد بهِ عن طلب هذا الفن

واما القسم الثاني فاكثر المتداول منهُ بين ايدينا سقيم العبارة ركيكها وعلى الاخص امثالهُ وتمارينهُ وما يتبع ذلك مما كان يجب ان يكون ابلغ وافصح وهو مع اختصارهِ لا يخلو من بعض المذاهب والشواغب ولا ينفي صحة تلك اللغات والآراء الفاسدة بل هو كما يدل عليهِ اسمهُ مختصر لتلك او سلم يرقى عليها الى تلك المطولات

فحاجتنا اذاً الى مؤلف في النحو يكون لنا مرجعاً غير الكتب القديمة ومن رأينا ان لا يؤلف كتاب جديد بل يعهد فريق ممن يوثق بعربيتهم الى كتاب قديم مشهور فينفوا منهُ

ما لا حاجة لنا بهِ والحقوا كل فصل من فصولهِ بتمارين تؤْخذ من بليغ اقوال العرب مما شرف معناهُ وجزل لفظهُ فيصبح الكتاب جديدًا ويكون عليهِ المعول وبذلك يتوفر حظ صالح من الوقت ويعتاض المدرس او المؤلف عن اعمال الروية واعنات الفكرة لايجاد عذر لشاعر يقول عوضاً عن الذين (اللذون) وبدلاً من مني وعني (بالتشد) مني وعني (بالتخفيف) الى آخر ما هناك بقولهِ هذا خطأ — ولقد رأيت ان احصر هذه الاغلاط في اسباب ثلاثة

(١) غلط الشاعر وهو استعمالهُ ما لم يكن يستعملهُ اهل زمانهِ الاَّ اذا وقعوا في ما وقع فيهِ لقافية او وزن كقول الاول

عرفنا جعفرًا وبني ابيهِ وانكرنا زعانف آخرينِ

بنون مكسورة : وقول الثاني

بابهِ اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه ابهُ فما ظلم

فقد خالف الاول اخوانهُ العرب واتى بنون جمع المذكر مكسورة مع انهم لم يكونوا ينطقون بها الاَّ مفتوحة كما هو ظاهر في دواوينهم فمخالفتهُ هذه خطأ لا لغة وما قلتهُ عن كسر هذه النون قلهُ عن حذف الياء من (بابهِ) والالف من (ابه) في البيت الثاني مما ادى الى استنباط لغة سموها النقص مع ان الشروط الاربعة لاعراب اب بالحروف موجودة في هاتين اللفظتين وعلى هذين البيتين قس البقية

الثاني اصطناع بعض النحاة ابياتاً نسبوها للعرب اثباتاً لرأي يعرض لهم كما في قولهم

اعرف منها الجيد والعينانا ومنخرين اشبها ظبيانا

الثالث اخذ النحاة اقوال الشعراء كما وصلت اليهم دون التثبت في صحة ما يقرأُونهُ او يسمعونهُ وقد يكون الناقل غلط في روايتهِ فيحسبون غلطتهُ صادرة عن الشاعر فيركبون لاجلها متن التعسف ليوجدوا لتلك الاغلاط لغات ومذاهب من ذلك ما ورد في كتاب سيبويه

معاوي اننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

هكذا رواهُ سيبويه على النصب وخلق لهُ مذهباً في الاعراب وهو اعراب الشيء على المعنى فتكون (الحديدا) على رأي سيبويه امام النحو منصوبة على معنى الخبر في ليس وهو لو كلف نفسهُ بعض البحث لاستغنى عن الاحتيال بهذه الحيلة الضعيفة ولرأى ان البيت من قصيدة كلها مخفوضة وهي

معاوي اننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدِ

اكلتم ارضنا فجردتموها فهل من قائم او من حصيدِ

أنطمع في الخلود اذا هلكنا وليس لنا ولا لك من خلودِ
فهبنا امة هلكت ضياعاً يزيد اميرها وابو زيدِ

وليس هذا بالبيت الفذ من استشهادات سيبويه فمن تبحر في كتابهِ يرى كثيرًا من تلك الاشعار التي اوصلها اليهِ النقلة او الكتبة مغلوطة فاستنبط لها مذاهب وبنى عليها لغات من غير ان يتبصر فيها او يرجع بها الى اصل واذا كان سيبويه مع طول باعهِ وواسع اطلاعهِ وقع مرارًا في مثل هذا فما بالك فيمن هم اوطأ منهُ كعباً واقل منهُ خبرة واضيق في العلم منهُ صدرًا

هذه كلمة دفعنا اليها حبنا للغتنا وحرصنا عليها والله سبحانهُ من وراء العلم

عيه بلبنان عارف النكدي

غش البضائع

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اطلعت على مقالتكم في العدد الثالث تحت عنوان " غش البضائع " وانا من الذين زاولوا تجارة المنسوجات في الاقطار المصرية والسورية منذ حداثة سني فاسمحوا لي بكلمة في هذا الموضوع

اول ما يتصور المتطلع على مقالتكم ان المنسوجات الاوربية سخيفة لكونها تقصر وتصبغ بمواد كيماوية تعرضها للبلى الباكر وبعضها يبلى من نفسهِ قبل ان يستعمل وثانياً ان التجار هم المسؤولون بجلب البضائع السوقية السخيفة وانهم لا يدفعون سوى اثمان بخسة تعادل تلك البضاعة وبذلك يحصل غبن على البلاد

فاسمحوا لي بالقول ان الامر الاول قد نفيتموهُ في مقالتكم بقولكم ان ما اشتريتموهُ من المنسوجات مدة وجودكم في اوربا لم يفنهِ الزمان ومن بعد استعمالكم لهُ خمس عشرة سنة لا يزال في رونقهِ وقوتهِ كذلك قولكم ان ما نظرتموهُ في مخازن اوربا من البضاعة لاستعمال الاوربيين افضل وامتن جدًا من الذي يرد الى القطر المصري والسوري . وعليهِ فالعلة ليست من المعامل (الفبارك) ولا المواد الكيماوية التي نوهتم عنها وبلا شك يسهل على فبارك اوربا تشغيل بضائع تضاهي افخر منسوجات سوريا في المتانة والثبات ولربما تفوقها رونقاً وتكون ارخص منها سعرًا (لا اقول ذلك بخساً لمنسوجات بلادنا بل اظهارًا للحقيقة) كذلك لا اعتبر ان التجار هم المسؤولون عن استحضار البضائع الخفيفة من اوربا وعندي ان سبب جلب البضائع الخفيفة هو فقر البلاد وطلب اهلها الرخيص وعدم تمييزهم الفرق بين اجناس

البضاعة ولذلك ترون ان درجات طيبة البضائع التي تشحن من اوربا تتبع بالاكثر حالة البلاد المشحونة اليها وترقيها في الغنى والمعرفة الخ . وهذا امر مقرر لذلك ترون بضائع الهند بالاجمال اخف من بضائع سورية وهذه اخف من بضائع مصر كما ان البضائع التي تشحن الى اوربا والتي تستعمل لمقطوعية البلاد هنا هي احسن وافضل من خلافها كما لاحظتم ذلك فمن هنا ترون ان جودة البضائع وخفتها حسب طلب البلاد وترقيها وليس كل العلة من التجار

لقد طالما حرَّجنا على محلاتنا وعملائنا ان ينبذوا البضائع الخفيفة والمعاملة بها ويعتمدوا على البضائع الجيدة ولكن اذا كان صبغة اثمان الشعب الذي عليهِ معوَّل المقطوعية لا يهمهُ سوى الرخيص واذا احضرت لهُ الجيد لا يشتريهِ بما يوازي ثمنهُ فما الذي يقدر ان يفعلهُ التاجر فهو ملزوم رغماً عنهُ ان يحضر ما يوافق طلب المشترين وذوقهم . ولا انكر انهُ يوجد في كل اسواق الدنيا تجار دأبهم تقليد البضائع الجيدة بما هو اخف منها وهكذا يحتالون على المشترين ويخدعونهم ولكن دواء هؤلاء التجار بيد المشتري لحينما يترقى الاهالي في المعرفة ويظهر لهم خداع ذلك التاجر يجتنبونهُ حالاً وهكذا يتعلم ويحسن اصنافهُ ولكن ما دام المشتري يطلب الرخيص ولا يهمهُ سوى الرخص فلا رادع يردع هؤلاء التجار بل هم يزيدون تخفيف البضاعة مرة عن اخرى الى ان يعدم الصنف ويهمل . ويظهر لسوء الحظ ان المشتري راض بذلك

اخبرني احد الاصدقاء من الفابركنتية الذين يعاملون تجار مصر بكثرة ان البضاعة التي كانوا يشحنونها الى بر مصر من مدة سنتين او ثلاث كانت احسن جدًّا مما يشحنونهُ اليها الآن ويفسّر ذلك بانهُ حينما كان القطر في رخاء وغنًى كان المشتري يطلب الجيد وحينما ضاقت الامور معهُ رجع الى الخفيف وهذه سنّة الكون . وهناك سبب آخر لوجود فروقات مهمة بين منسوجات اوقاتنا الحاضرة والمنسوجات القديمة ان كانت شرقية او اوربيَّة وهذا يعم ثياب السيدات من الدرجة الوسطى والعالية . فكما نوهتم كانت جداتنا تورث بناتهنَّ فساطين العرس وهي لا تزال في رونقها ولكن في تلك الايام لم تكن السيدات مستعبدات للتقاليد الجديدة وتفنن الازياء (الموضات) . فمن منهنَّ تتجاسر في الوقت الحاضر ان تلبس فسطاناً مضى على زيهِ ثلاثة اشهر مهما كانت كلفتهُ ومهما كان نوع قماشهِ ? ومن تتجرأُ ان تعين مدة الموضة وان عمرها يطول اكثر من سنة . ولذلك التزمت الفبارك ان تجاري الوقت ولا تنظر الى متانة المنسوجات وثباتها بل الى رونقها حتى يرضي النظر وتعيش العمر القصير المحدد لها بحسب احكام الموضات

والنتيجة ان علة سخافة البضائع التي تشحن الى القطر المصري والسودي ليست مسببة من التجار لان التاجر ملزوم ان يستحضر ما يرضي ذوق زبائنهِ وطلبهم

وثانياً ان فبارك اور بانقدران تشغل بضائع في معاملها لا يفوقها شيء في المتانة والرونق والثبات وقد وصلت في اتقان الصناعة الى درجة تحير العقول

خليل ابرهيم جباره منشستر

باب التقريظ والانتقاد

ثمار الجامعة

ابتدأت ثمار الجامعة المصرية تظهر من يوم عني بنشر محاضراتها في مجلة الجامعة وقد جمعت الآن محاضرات الاستاذ جويدي الايطالي في ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب اي ما كتبهُ العرب في الجغرافيا والتاريخ واللغة

والاستاذ جويدي من الثقات المحققين ولاقوالهِ الشأن الاكبر عندنا لانها مبنيةٌ على بحث الباحثين في علوم اليونان والرومان وما اقتبسهُ العرب منهم ولذلك رأينا احكامهُ ثقيلة على الذين يعتقدون ان علماء العرب واضعون اكثر منهم ناقلون . ومن ذلك قولهُ ان كتب بطليموس الاربعة "هي المعتمد عليها في علم الفلك وعلم الجغرافيا وكانت نماذج للمؤلفين ومرجعاً لهم منذ ابرازها الى ظهور الاسلام والى زمان خلفاء بني امية وبني العباس فكل التآليف التي صنفت في علم الفلك والجغرافيا في تلك الازمان لم يذكر فيها شيء خلت منهُ كتب بطليموس وانما كانت تلك التآليف منصلات لكتبهِ او ملخصات لها او مقتبسة منها وبقيت العلوم على هذه الحال الى القرن الخامس عشر بعد المسيح ايام استولت الدولة العثمانية على مصر" أفلم يزد علماء العرب شيئاً في الرياضيات والطبيعيات والفلك

وقولهُ ان السريان هم واضعو النقط والحركات على حروف الهجاء وتبعهم اليونان فالعرب اي ان مستنبطي النقط والحركات هم السريان لا العرب وقد قال ان المصاحف القديمة من القرن الثاني للهجرة تدل النقط فيها التي فوق الحرف على الفتح والتي تحتهُ على الكسر والتي في وسطهِ على الضم ثم صارت هيئة الحركات على ما هي عليهِ الآن

ويؤْخذ من كلامهِ ان فلاسفة الفرس الذين درسوا الفلسفة اليونانية في المدرسة التي اسسها كسرى انوشروان هم الذين وضعوا النحو العربي ووضعوا مصطلحاتهِ فقسموا الكلام الى اسم وفعل وحرف جرياً على تقسيم ارسطوطاليس لهُ في منطقهِ · وعرَّفوا الكلام بانهُ لفظ مركب مفيد يحسن السكوت عليهِ كما عرفهُ نحاة اليونان وسمّوا المفعول فيهِ ظرفاً مجاراةً لارسطوطاليس وسمّوا الصرف صرفاً لانهُ باليونانية كلسيس ومعناهُ امالة الشيء اي صرفهُ وفي هذه المحاضرات فوائد جمة وحبذا لو نشرت مسهبةً ليعم نفعها

مذكرة

في الطب عند العرب

والوصايا الصحية عند المسلمين

ألَّف هذهِ المذكرة حضرة الدكتور محمود افندي صدقي الطبيب في مصلحة السجون باللغة الفرنسوية فوصف فيها الطب في الجاهلية وذكر بين اطبائهم لقمان الحكيم وخزيمة المكنى بابي الطب والحارث ابن كلدة والنضر بن الحارث وابن ابي رومية التميمي ثم انتقل الى عصر الاسلام فاورد الوصايا الصحية في القرآن عن الغسل الصوم والطعام والشراب والرضاع والختان · وعقد فصلاً خاصاً للعلوم الطبية والذين عانوها واشتهروا بها من علماء المسلمين واطبائهم وسواهم من الذين عاصروهم فذكر بين الذين اشتهروا بالكيمياء وعلم السموم خالد ابن يزيد وجعفر الصادق وحسن البغدادي وفي النبات والمواد الطبية ابن البيطار وكوهين العطار وفي الطب الباطني والميجبين الرازي وابن سينا وابن بختيشوع وابن رشد والسمرقندي وفي التشريح والجراحة ابا القاسم الزهراوي وابن بطلان وفي امراض العين علي ابن عمر وفي امراض النساء عريب بن سيد

وقد قال في مقدمة المذكرة ان الغرض من وضعها نفي ما علق باذهان البعض من ان الامم العربية سرى اليها الفساد والانحطاط وان القرآن عبارة عن نظام يقضي على الذين يتبعونهُ بالجمود والاستسلام الى القضاء مع ان الحقيقة خلاف ذلك فقد كان للعرب شأن عظيم في التاريخ وكان للقرآن اليد الطولى في تقدم علم الصحة ولم يكن حائلاً في ترقية العلوم ونشر المعارف

فك التقليد

كتاب في علم الصرف على اسلوب جديد وضعهُ الاستاذان الفاضلان جبر افندي ضومط و بولس افندي الخولي من اساتذة المدرسة الكلية السورية الانجيلية بعد ان عانيا تعليم العربيةً سنين كثيرة واستنبطا طريقة جديدة لتعليم علم الصرف وهي مدار كتابهما هذا وقالا انهما جربا تدريسهُ سنة كاملة قبل طبعهِ فوفى بالغرض وقد جعلاهُ سبعة وسبعين درساً فالدرس الاول في ضمائر الرفع المنفصلة والثاني في تصريف الماضي والثالث في تصريف المضارع وهلمّ جرًّا ويبتدئ كل درس بما يدور عليهِ موضوعه ويتلو ذلك سؤالات يظهر بها المراد والقاعدة التي يراد ان يتعلمها الطالب ثم تمرين يرسخ القاعدة في ذهنهِ ثم قطع منظومة او منثورة يطلب منهُ استظهارها كلها او بعضها لتمكن منهُ ملكة اللغة الفصحى

والعبرة الكبرى في السؤالات لانها تتضمن القواعد التي يراد ان ينتبه لها التلميذ وترسخ في ذهنهِ مثال ذلك قاعدة الادغام وقاعدة تصريف المضاعف مع المزيدات فانهما واردتان في المثالة السابعة وهي واردة في الكتاب هكذا

حَبَّ (حَبَبَ)	حَابَّ (حَابَبَ)	إِنْحَبَّ (انْحَبَبَ)
أَحَبَّ (أَحْبَبَ)	تَحَبَّبَ	إِحْتَبَّ (اُحْتَبَبَ)
حَبَّبَ	تَحَابَّ (تَحَابَبَ)	إِسْتَحَبَّ (إِسْتَحْبَبَ)

سؤالات

(١) ما هو اصل حبَّ قياساً على فَعَلَ (٢) كيف صارت حَبَبَ حَبَّ . ج حذفنا حركة الباء الاولى تخفيفاً للفظ ثم ادغمنا الباءين (٣) ما هو اصل احبَّ قياساً على افعلَ (٤) كيف صارت احبَبَ احبَّ . ج نقلنا حركة الباء الاولى الى ما قبلها الساكن ثم ادغمنا الباءين (٥) ما هو اصل حابَّ وتحابَّ وانحبَّ واحتبَّ واستحبَّ على القياس (٦) كيف صارت كلٌّ من هذه الصيغ الى ما صارت اليهِ أَبالنقل ام بالحذف (٧) ايٌّ صور من مزيدات المضاعف الثلاثي لم نذكرها اعلاه (٨) لماذا لم نذكر صور افعلَّ وافعالَّ وافعوعلَ . ج لانها مماتة من كل باب المضاعف (٩) ما معنى انها مماتة . ج اي انها لم ترد في كتب اللغة اصلاً (١٠) ما المزيدات الرباعية من همَّ والخماسية من شذَّ والسداسية من درَّ (١١) ما اوزان الافعال الآتية وما مجردها :

أعزَّ . استحمَّ . اغتمَّ . حاجَّ . احتدَّ . تشدَّدَ . استردَّ . افترَّ . أعدَّ . ردَّ . تجدَّدَ . اشتمَّ . اعتدَّ . تشقَّقَ

تمرين شفاهي ثم كتابي

صرّف المزيدات من عدَّ . ردَّ . مرَّ . فرَّ . عضَّ . كفَّ . عفَّ . شقَّ . سبَّ . شبَّ . عمَّ . غمَّ . صرَّ . دقَّ . قرَّ . حجَّ . حدَّ . رشَّ . رقَّ . قدَّ

للذاكرة

عرضنا انفساً عزَّت علينا عليكم فاستخفَّ بها الهوانُ
ولو انَّا منعناها لعزَّت ولكن كلُّ معروضٍ مهانُ

الفرصةُ تمرُّ مرَّ السحاب فانتهزوا فُرَصَ الخيرِ . ما حكَّ جلدَكَ مثلُ ظُفرِكَ . عند الصباح يحمدُ القومُ السُّرى

ومثالهُ ايضاً قاعدة المتعدي واللازم في المثالة الثامنة والثلاثين وهي

دَرَسَ التلميذُ مثالتهُ . أطاعَ الولدُ أباهُ . ترجّى المذنبُ الصفحَ .

سؤالات

(١) في قولك " درس التلميذ مثالتهُ " من الدّارس وما المدروس (٢) في قولك " أطاع الولد اباهُ " من المطيع ومن المطاع (٣) في قولك " ترجى المذنب الصفح " من المترجي وما المترجّى (٤) ماذا تسمي الفعل الذي على شاكلة دَرَسَ وأطاع وترجّى اي الفعل الذي يتطلّب فاعلهُ مفعولاً بهِ . (ج) الفعل المتعدّي (٥) اذاً ما هو الفعل المتعدّي (٦) ما الذي يقابل المتعدي في الانكليزية والفرنساوية (٧) فتش عن عشرة افعال متعدية واكتبها في دفترك

في المتعدي واللازم

ذَهَبَ زيدٌ . تعاظَمَ الامرُ . إستيقظَ النائمُ

سؤالات

(١) في هذه الجمل الثلاث من الذاهب وما المتعاظم ومن المستيقظ (٢) هل استقرَّ الفعل بفاعلهِ ام تعدّاهُ الى غيرهِ (٣) ماذا تسمي الفعل الذي على شاكلة

ذهب وتعاظم واستيقظ اي الفعل الذي يستقر حدوثهُ في فاعلهِ ولا يتعداهُ الى مفعول بهِ. (ج) الفعل اللازم (٤) اذًا ما هو الفعل اللازم

(٥) ما الذي يقابل اللازم في الانكليزية او الفرنسوية (٦) فتش عن عشرة افعال لازمة واكتبها في دفترك

المتعدي بواسطة حرف جرّ

آمنتُ باللهِ . أَحْسَنَ زيدٌ الى الفقير . اعتذَرَ التلميذُ عن غيابهِ .

اسئلة

(١) في قولك آمنتُ باللهِ من المؤمن ومن المؤمن بهِ (٢) في قولك احسن زيد الى الفقير من المحسن ومن المحسن اليهِ (٣) في قولك اعتذر التلميذ عن غيابهِ من المعتذر وما المعتذر عنهُ (٤) ماذا تسمي الفعل الذي على شاكلة آمن واحسن واعتذر اي الفعل الذي لا يصل الى مفعولهِ الاَّ بواسطة حرف جرّ. (ج) المتعدي بالحرف (٥) أُكتب على دفترك عشرة افعال من التي تتعدى بواسطة الحرف

تمرين شفاهي

ما اللازم وما المتعدي بنفسهِ وما المتعدي بغيرهِ في ما يأتي

(١) من قصُرتْ حجتهُ طال لسانهُ (٢) اوحشتِ الدّيارُ بعدَ ساكنيها

(٣) لا تضنَّ بمالكَ على المساكين (٤) انجز حرٌّ ما وعد

(٥) اذا قلَّ ماءُ الوجهِ قلَّ حياؤُهُ ولا خيرَ في وجهٍ اذا قلَّ ماؤُهُ

حياءَك فاحفظهُ عليك فانما يدلُّ على طبع الكريم حياؤُهُ

(٦) اذا هبَّت رياحك فاغتنمها فان الخافقات لها سكونُ

وان ولدت عشارُك فاحتلبها فما تدري الفصيلُ لمن يكونُ

(٧) اذا احرزتَ مالَ الارض طرًّا فمالك فوق عيشك من تراقِ

اذا هلكتْ رجالُ الحيِّ اضحى صبيُّ القوم يحلفُ بالطلاقِ

للذاكرة — احفظ الابيات الاربعة في الرقم ٥ و ٦

ويلي كل طائفة من الدروس درس تراجع فيهِ قواعدها كلها

ويظهر من هذين الدرسين او المثالين ان الكتاب وافٍ بالغرض الموضوع لهُ واذا كان الامتحان قد اثبت ذلك فلا محل للريب فيهِ. وحبذا لو وُضع في اول الكتاب دروس تمهيدية

لايضاح معنى المصطلحات الصرفية كالضمير والغائب والمذكر والمؤنث والماضي والمضارع والصحيح والمهموز والمضاعف والمعتل كما توضع الحدود في اول كتب الهندسة ويجب ان يمرّن عليها التلميذ جيدًا قبلما يدرس الكتاب حتى يألفها ويصير يفهم المراد بها حالما يقع نظرهُ عليها

فاذا عني الاستاذان الكريمان واضعا هذا الكتاب بوضع مفتاح مثل هذا والحقاه بهِ فاننا نرى انهُ يصير اوفى بتعليم علم الصرف

ونرى ايضاً انهُ يحسن استظهار اكثر الابيات والامثال والشواهد فانها كلها من بليغ الانشاء وجوامع الكلم وحفظها ادعى الى معرفة اللغة من حفظ قواعدها

دليل الآثار المصرية

في متحف لندن

A GUIDE TO THE EGYPTIAN GALLERIES (SCULPTURE).

في دار التحف البريطانية من الآثار المصرية اكثر مما في غيرها ما عدا التحف المصري وفيها ما ليس فيهِ من الآثار التي اخذت من هذا القطر قبل ان صار فيهِ حكومة تهتم بحفظ آثارهِ . وقد وضع صديقنا الدكتور بدج دليلاً مفيدًا للقسم الكبير من هذه الآثار اي للجسم والمنحوت المحفوظ في الطبقة السفلى من دار التحف البريطانية

واقدم هذه الآثار من عهد الدولة الثالثة من الدول المصرية التي كانت قبل المسيح بنحو اربعة آلاف سنة . واحدثها من العصر الروماني . فمن اقدمها حجر رملي من مدفن شرع اي كاهن عليهِ صورة الكاهن جالساً على كرسي وعكازهُ بيدهِ وهناك كتابة يقال فيها انهُ كان كاهنًا ومدبرًا لروح "سنت" وهو ملك من ملوك الدولة الثانية التي تسلطت على القطر المصري قبل المسيح باربعة آلاف سنة وكان عليهِ ان يقوم بالخدمة الدينية تذكارًا لذلك الملك . وقد وجد هذا الاثر في سقارة

ومن احدثها شاهد من الرخام مثمن الزوايا وقد كتب عليهِ بالقبطية انهُ تذكار لزوجة برابي التي ماتت في الثامن والعشرين من شهر مسري سنة ٤٥٧ للشهداء (اي ٧٤١ للمسيح)

وجملة الآثار الموصوفة في هذا الدليل ١١٦٨ اثرًا وقد صوّر بعضها فيهِ صورًا منقولة عن الفوتوغراف

ويظهر لنا من مراجعة ما كتب على الآثار الحديثة ان اهالي مصر بقوا يكتبون شواهد قبورهم باليونانية او القبطية حتى في القرن الثامن والتاسع وانهم كانوا يؤرخون حينئذٍ من

سنة الاعلان وهو التاريخ الذي وضعهُ قسطنطين الكبير سنة ٣١٣ للميلاد او من سنة الشهداء . ومن ذلك شاهد مدفن رجل اسمهُ مرقس مكتوب باليونانية وفيهِ الدعاة للميت ليستريح في احضان ابرهيم واسحق و يعقوب وتاريخ وفاتهِ وهو اليوم الخامس من شهر برموده في السنة الثانية من دَوْر الاعلان والسنة ٤٧٢ للشهداء اي سنة ٧٥٦ للميلاد)

وشاهد من الرخام لطرسة زوجة براشي التي توفيت في الثامن والعشرين من شهر مسري سنة ٤٥٧ للشهداء (اي سنة ٧٤١ للميلاد) والكتابة بالقبطية

وواضح من ذلك ان اللغة اليونانية بقيت مستعملة في القطر المصري بعد الهجرة بمئة واربعين سنة

الاسعافات الطبية

الجراحية والباطنيَّة

الَّف هذا الكتاب حضرة الفاضل الدكتور محمد بك رشدي حكيمباشي محافظة مصر الذي كان مفتش الصحة في مديريات اصوان والقليوبيَّة والبحيرة

وقد جرى فيهِ على اسلوب جديد حتى في مقدمتهِ فلم يتوكأ فيها على العبارات التي تداولها الكتاب خلفاً عن سلف وهم يذكرونها من غير ان يقصدوا معناها بل بدأها بقولهِ " يبقى العلم محتكرًا في عقول بعض الافراد الذين ينقطعون لتعلمهِ وتبقى جماهير الناس غريبةً عنهُ لا ينتفعون بهِ في اعمالهم اليومية التي ما كان العلم الأ ليبسرها " فطرق الموضوع من غير صلوات وتسليمات واعرب عن غرضهِ وهو بسط الاصول العلميَّة المفيدة لتعليم العامة

وقد جرى في الوصول الى هذا الغرض بذكر خلاصة موجزة من علم التشريح والفسيولوجيا فرسم عظام الانسان وعضلاتهِ وشرايينهُ واوردتهُ واعصابهُ وذكر اسماءها واوضاعها واوصافها ووظائفها في ٦٤ صفحة ثم ذكر انواع الميكروبات التي تسبب الامراض والآفات وطرق الوقاية منها وتقدم من ذلك الى وصف الاحوال التي تقتضي ما سماهُ بالاسعافات الطبيَّة الجراحية والباطنيَّة واوضح ذلك كلهُ بالرسوم واسهب في الكلام على الاعتناء بالحوامل والنفاس والاطفال ثم في الكلام على تمريض المرضى . وقد وقف على هذا الكتاب جماعة من نخبة الاطباء والجراحين كالدكتور عيسى باشا حمدي والدكتور علوي باشا والدكتور صدقي باشا فقرظوهُ تقريظاً حسناً ومما قالهُ الدكتور علوي باشا فيهِ انهُ وجدهُ صالحاً لان يقرأ ويدرَّس في المدارس لتعليم دروس الاشياء ويكون ذخيرة عند كل عائلة عربيَّة تستفيد

منهُ الى ان يحضر الطبيب. فنثني على حضرة المؤلف ثناء جميلاً ونتمنى لكتابهِ الانتشار الذي يستحقهُ ليعمَّ نفعهُ

العناية بالعين

HYGIENE DE L'ŒIL

لم يكد كتاب العناية بالعين الذي الفهُ حضرة صديقنا الدكتور اسكندر بك الجريديني بالعربيَّة ينتشر في الاقطار حتى عني بترجمتهِ الى الفرنسوية الدكتور كريسار طبيب المدفعية في الجيش الفرنسوي وطبع في بنزرت ببلاد الجزائر وهذه اول مرة في ما نعلم ترجم فيها كتاب علمي حديث من العربية الى لغة من اللغات الاوربيَّة. فهل يعود الينا عصر الرازي وابن سينا اللذين ترجمت كتبهما الطبيَّة الى اللغات الاوربيَّة وصارت تعلم في مدارس اوربا. فنهنئ الدكتور جريديني بما حازهُ كتابهُ من الحظوة ونكرر لهُ الشكر على الهمة التي بذلها في تأليفهِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) كسوف الشمس ٨ اشهر

قنا. محمد افندي نور. روى ابن العبري ان الشمس انكسف نصف جرمها وثبت كسوفها من تشرين الاول الى حزيران ولم يكن يظهر من نورها الاَّ شيء يسير وكان ذلك في سنة ٦٢٧. فهل ذلك صحيح وهل يمكن ان يستمر كسوف الشمس نحو ثمانية اشهر

ج. كلاَّ ولا ندري كيف يذكر ابن العبري خبراً مختلقاً مثل هذا ان لم يكن في ما ذكر خطأ من النسَّاخ. ثم انهُ اذا انكسف نصف جرم الشمس فالذي يظهر من نورها ليس بالشيء اليسير. ومن المحتمل ان تلك السنة كانت كثيرة الغيوم والامطار ففي فصل الشتاء والربيع واكثر الايام ماطر او

غائم لا يظهر فيها من نور الشمس الاَّ اليسير فعبر مؤرخو العصر عن ذلك تعبيرًا التبس على ابن العبري فظن ان المراد منهُ انكساف الشمس

(٢) معنى السر

يافا ١٠٠٠ . فياض ما معنى كلمة سرّ وهل لهذا الاسم فعل يشتق منهُ

ج . لكلمة سر معانٍ كثيرة في العربيَّة ويظهر من سؤالكم التالي انكم تريدون معنى ما يكتم وما يسرُّهُ الانسان في نفسهِ من الامور التي عزم عليها والفعل منهُ اسرَّ اي كتم او اظهر فيقال اسرَّ في نفسهِ كذا اي كتم واسرَّ اليهِ بكذا اي اخبرهُ سرًّا

(٣) الفرق في اللغة الانكليزية

ومنهُ . ما هو الفرق في اللغة الانكليزية بين secret, و sacrament و mystery وهل في العربيَّة كلمات مرادفة لكل كلمة منها

ج . ان الكلمة الاولى اي mystery معناها غامض او غموض وهي يونانية الاصل ومعناها اغماض العينين . والثانية secret معناها سر وهي لاتينية الاصل ومعناها الفصل او وضع الشيء جانبًا ولا يبعد ان تكون الكلمة العربيَّة مأخوذة من الكلمة اللاتينية . والكلمة الثالثة معناها عهد او ضمان وهي في الاصل المال الذي يودعهُ الخصمان قبل المقاضاة ضمانًا ثم اطلقت على يمين الطاعة التي كان الجندي الروماني يقسمها فصار يراد بها العهد او مالهُ حرمة او ما هو مقدَّس . ويحسن ان تترجم الكلمة الاولى بكلمة غامض والثانية بكلمة سر والثالثة بكلمة عهد . والظاهر ان اصحاب الطرق الصوفية استعملوا هذه الكلمات لهذه المعاني

(٤) الكبرياء

ومنهُ . هل الكبرياء صفة غريزية او اكتسابيَّة . واذا كانت اكتسابيَّة فهل يورثها الانسان لنسلهِ فتصير غريزية

ج . الكبرياء مثل كل الاخلاق تكون جراثيمها غريزية في الانسان فيعرض لها ما يقويها او يضعفها فاذا تقوَّت في الوالدين معًا انتقلت الى نسلهما قويَّة واذا عرض لها ما يقويها في احد الوالدين وما يضعفها في الآخر بقيت على حالها او ضعفت عما كانت عليهِ . وعلى هذا النمط نجد ان الامم التي تقوى وتتسلط على غيرها يقوى فيها خلق الشمم والكبرياء والامة التي تضعف ويتسلط عليها غيرها يقوى فيها خلق الذل والدعة ولين العريكة

(٥) النفس والدماغ

رومبك بالسودان . الدكتور حبيب شاكر الخوري . ماذا يمنع قولهم ان لا نفس للانسان ولكن في دماغهِ مراكز كثيرة لها وظائف مختلفة بحسب تركيب خلاياها . والحيوان مثل الانسان من هذا القبيل ولكن مراكزهُ ضعيفة الفعل لعدم تمرنها او لعدم نموها كما هي في طفل الانسان . واذا طرأ

طارى ٍ داخلي او خارجي منع هذه المراكز عن تأدية وظيفتها كما في بعض الامراض العصبية عطل فعلها وذلك مثلما يبطل فعل البطرية الكهربائية اذا تخرَّبت او اختلَّ تركيبها القانوني

ج · ان هذا هو مذهب الماديين وقد اوردنا في المجلد السابع من المقتطف ادلة كثيرة على نقضهِ فراجعوها فيهِ

(٦) عنوان كتب

القدس الشريف · توفيق افندي زريق · ما هو العنوان الذي يمكنني ان اجلب بهِ هذا الكتاب Queens of Society

ج · نحن نجلب كتبنا الانكليزية من محل B. F. Stevens and Brown
4 Trafalgar Square
London.

ولا نرى ما يمنع ارسالهُ لكم اذا طلبتموهُ منهُ

(٧) النوم الخفيف

ومنهُ · نوم بعض الناس خفيف فانهم يستيقظون عند اقل حركة مع انهم في حال الصحة وراحة البال فما سبب ذلك وكيف يتخلصون منهُ

ج · اذا كان لهُ سبب طارى ٌ فيزول بازالة السبب والاَّ فيضعف بمنع الاسباب التي توقظ النائم كالنور والصوت وما اشبه فمتى استمرَّ الانسان على ذلك مدة طويلة لا يعود يستيقظ لاقل حركة · ولا ضرر من خفة النوم فاننا نعرف شخصاً يستيقظ لاقل سبب ثم ينام حالاً وهو على تمام الصحة وشخصاً آخر لا يوقظهُ المدفع وصحتهُ دون صحة الاول

(٨) الملح والمالوك

ام دومه · محمود افندي الناظر · قرأتُ في احدى الجرائد ان اهالي اميركا يضعون الفول في الماء المملح مدة اربع وعشرين ساعة ثم يبذرونهُ فلا يعود المالوك يحوم بينهُ فهل يصح ذلك في القطر المصري وكم مقدار الملح الذي يذاب في الماء

ج · لا نتذكر اننا قرأنا عن هذه الطريقة ولكننا نظنها صحيحة ولا نعلم كم يجب ان يكون مقدار الملح حتى لا يضر بالفول وهذا لا يعلم الاَّ بالامتحان

(٩) مقدار الرياضة

ومنهُ · كم يجب ان يتريض الانسان رياضة جسدية في اليوم وما هي افيد رياضة لهُ وهل يعدُّ المشي من الرياضة المفيدة

ج · ان القاعدة المناسبة لذلك ان يروّض الانسان جسدهُ الى حد التعب · واكثر انواع الرياضة فائدة ما يزيد التنفس حتى يسرع تطهير الدم كالجري والتجذيف والتصعيد في الاماكن العالية واما المشي فيروّض الرجلين وقلما يروض الجسم الاَّ اذا كان طويلاً او سريعاً

(١٠) المكروبات والماء الغالي

باركلي بافريقية الجنوبية · حفيظ افندي

مخيبر . هل للماء البارد جداً قوة على قتل الميكروبات كالماء الغالي

ج . كلاَّ فان الماء الغالي يقتل كل الميكروبات تقريباً واما الماء الذي يصل الى درجة الجليد فقلما يقتل شيئاً منها . وترون في هذا الجزء في الكلام على القطب الجنوبي ان بعض الاحياء الدنيا يعيش في الجليد ولو بلغ درجات تحت الصفر ولكن للتبريد فائدة اخرى وهي منع نمو الميكروبات فتبقى قليلة واذا كانت قليلة فالغالب ان الجسم يتغلب عليها

(١١) صادرات الدولة ووارداتها

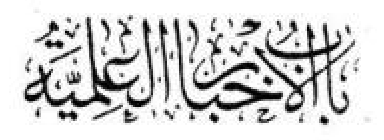
ومنهُ . كم هي قيمة صادرات الدولة العلية وكم هي قيمة وارداتها

ج . قد كانت قيمة صادراتها سنة ١٩٠٤ حسب تقرير جماركها نحو ١٦ مليوناً من الجنيهات الانكليزية وقيمة وارداتها حسب تقرير الجمارك ايضاً نحو ٢٨ مليوناً من الجنيهات

(١٢) الجراد والعلاج

برج صافيتا . ميخائيل افندي بشور . ظهر في اوائل آذار سنة ١٩٠٧ نوع من الجراد في جرد صافيتا يسمَّى جادوماً او جندباً او حرقصاً يفقس في اواخر آذار بين الاعشاب و ينمو عليها ومتى بلغ اشدَّهُ يتناول الزروع فيقتات بها وقد كان في اوائل ظهوره قليلاً ثم كثر جداً في السنة التالية حتى عمَّ اراضي اربع قرى وهو اسود اللون في دوره الاول ثم يصفر . فارجو ان تفيدونا عن طريقة بواسطتها يمكن ان نتخلص من شر هذا الحيوان الخبيث قبل تفاقم ضرره

ج . يظهر من وصفكم لهُ انهُ الجراد نفسهُ المعروف في سورية او نوع منهُ والطريقة التي رأيناها متبعة في لبنان هي افضل الطرق لاتلافهِ وذلك بان يفتش عن بيضهِ و يستخرج من الارض ويتلف بجدلهِ بالمحادل او بحرقهِ . والجرادة تختار الطرق التي بين الحقول والاراضي الجافة وتغرز ذنبها فيها وتسرأ بيضها تحت وجه الارض وتكون البيوض منتظمة بعضها مع بعض كالسنبلة الصغيرة ثم تموت هناك فيستدل على مكان البيض من وجود جسمها ويبقى على وجه الارض شيء كرغوة الصابون حيث غُرز البيض . واذا فقس الجراد وخرج من الارض فتحفر في طريقهِ خنادق طويلة وهو صغير زحاف ويساق اليها و يطمر فيها واذا كبر وبلغ اشدهُ يُطار فتحملهُ الرياح وتبعدهُ او تلقيهِ في البحر



حديث السلطان

نشرنا في صدر هذا الجزء فقرةً من حديث مولانا السلطان محمد الخامس الذي حدَّث بهِ مكاتب جريدة الدِيلي كرونكل الانكليزية وقد رأينا ان ننشر هنا فقرات أُخرى منهُ فمن ذلك قولهُ

" ان الانكليز كانوا اصدقائي طول ايامي وهذا الوقت وقت خطير الشأن عند الامة العثمانية بامرها وقد طالما قذف بي اعدائي ورموني بالعته والبله ولكن الله سبحانهُ وتعالى قضى برحمتهِ وعنايتهِ ان اقوم بما قدرهُ لي "

وقولهُ

" لما اطلق سراحي سياسياً من السجن الذي قضيت فيهِ السنين الطوال جعلت اتتبع تقدم العالم . ويعلم القليلون الذين حفظوا ولائي حتى في اشد ايام محنتي اني كنت من انصار الدستور والمجالس النيابية من اوائل ايامي الى اليوم وذلك مع محافظتي على مبادىء القرآن الشريف وتعاليمهِ تمام المحافظة ولم احد عن هذه الآراء طول ايامي واني اشد الناس انتصارًا لسياسة حزب تركيا الفتاة "

وقولهُ

" اني ذاهب الى بلديز لأُؤيد حريتنا الوطنية وسلامتنا. وساؤيد السلام والصداقة بين كل الناس . ابلغ اهالي انكلترا تحياتي الودية واطلب منهم ان يميلوا الينا ويعطفوا علينا وان يؤيدوا الرجل الذي يقف الآن مرتجفاً على سلم العرش . ان كل يوم يمر بنا يكون فاتحة عصر جديد في تاريخ تركيا "

وقال في ختام حديثهِ ان لا تنافي بين الشريعة الاسلامية والحرية السياسية التامة ثم قال " فليحفظك الله وينجح امتك الانكليزية التي كانت اصدق صديق لنا ولا تزال كذلك "

مؤتمر العاديات اليونانية والرومانية

اختار هذا المؤتمر القطر المصري لاجتماعهِ الثاني فافتتح جلساتهِ في الاسكندرية صباح

السابع من شهر ابريل . ثم افتتحهُ الجناب الخديوي رسميًّا في العاصمة في ١٢ ابريل بخطبة فرنسوية قال فيها ما ترجمتهُ

" ايها السادة

يسرني جدًّا ان اراكم مجتمعين في مدينة القاهرة التي اصبحت اليوم صلة بين العالم الشرقي وام الغرب. فبلادي تتشرف بنزولكم ضيوفاً فيها وانا ارحب بكم بالنيابة عنها وبالاصالة عن نفسي

ان العلماء المستشرقين الذين جاءوا وادي النيل العجيب الذي كان مهدًا لتمدن يمتد الى اقدم العصور كانوا دائمًا على يقين ان يلقوا من اسلافي ومني المساعدة التي تلزمهم في اعمالهم لكشف الآثار الفخيمة التي خلفها لنا الفراعنة . الاَّ علماء الآثار اليونانية والرومانية فانهم ظلوا متباعدين عنا فدعوتهم الى القطر المصري لاريهم ان كل ما يكتشف فيهِ من الآثار اليونانية والرومانية القديمة ليس باقل مما يكتشف من الآثار الشرقية. وان البلاد التي حفظت لنا تاريخ البشر في العصور الاولى حفظت ايضاً آثار اهل العلم والتهذيب من اليونانيين الرومانيين فمنذ ثلاثين سنة والباحثون يستخرجون من قلب مدننا المؤَلفات البديعة التي الفها كتاب اليونان العظام وكان يظن انها فقدت تمامًا. وهذه الفاتحة المثمرة تجعلنا ننتظر ثمارًا اشهى واكثر في المستقبل واني ممنون ايها السادة لانكم ادركتم عواطفي وبادرتم الى قبول دعوتي واشكر ايضاً الحكومات والجمعيات التي انتدبتكم عنها كما اشكر لجنة اثينا التي لها الفضل في عقد اول مؤْتمر من هذه المؤْتمرات . فاعلن افتتاح المؤْتمر الثاني لمجمع الآثار القديمة الدولي بمصر القاهرة "

وكان الاجتماع في الاوبرا الخديوية فغصت دكتها وكراسيها ولوجاتها بالاعضاء والمدعوين . وقسم المؤْتمر الى ستة اقسام وهي قسم الآثار السابقة للآثار اليونانية والرومانية وقسم الآثار اليونانية والرومانية وقسم اوراق البردي وقسم الآثار الدينية وقسم الآثار البزنطية وقسم العاديات والجغرافيا . وعقدت هذه الاقسام اكثر جلساتها في نزل سافوى . وقد رأينا بين اعضاء المؤْتمر اناساً من بلدان مختلفة فرنسويين وايطاليين والمانيين ويونانيين واميركيين وبرتغاليين وانكليز وسمعناهم يخطبون بلغات مختلفة كانهم في برج بابل ولعل القطر المصري من اصلح البلدان لدرس الآثار اليونانية والرومانية لكثرة ما بقي منها فيهِ

سكان المريخ

وضع الاستاذ لول الاميركي كتابًا عن المريخ وترعهِ سنة ١٩٠٦ بعد ان بحث فيهِ بحثاً علميًّا مدققاً واستنتج انهُ مسكون بمخلوقات عاقلة فخالف بذلك الدكتور ولس الذي

كتب سنة ١٩٠٣ مرجحاً ان الارض هي الجرم الوحيد المؤهَّل لسكن الانسان . ثم كتب ولس مبيناً ان المريخ لا يصلح للسكن لانهُ خالٍ من الماء لكن المستر سليفر اثبت بالبحث السبكتروسكوبي وجود بخار الماء في المريخ فاذا كان فيهِ ماء فليس ما يمنع وجود الحياة فيهِ . وقد وضع الاستاذ لول كتاباً آخر الآن عن المريخ كمقرّ للحياة اقام فيهِ الادلة على انهُ مسكون بمخلوقات بالغة درجة عالية جدًّا من الارتقاء العقلي والصناعي ولم يخرج فيهِ عما نشرناهُ في المقتطف قبلاً مقتطفاً مما كتبهُ هو او كتبهُ انصارهُ

رأي جديد في تكون السيارات

الرأي الشائع حتى الآن هو رأي لابلاس على اصلهِ او بعد ما تنوّع بجعل السديم مؤلفاً من حجارة نيزكية ومفادهُ ان السديم دار على نفسهِ بتقلص اجزائهِ ودونها من مركزهِ فانفصلت منهُ حلقات او كتل وبقيت تدور حولهُ وهي السيارات . الآن الاستاذ سي الفلكي الاميركي ارتأى الآن ان السيارات اجسام تأتي الى السديم من الخارج فتدور حولهُ وتجعلهُ يدور حول نواتهِ الداخلية فكأنهُ حلّل الحركة المستديرة الى حركة الجذب المستقيمة والى فعل المقاومة بين دقائق السديم والجسم الذي ينجذب اليهِ او يقع عليهِ

الدكتور سليم بك عمون

خسرت المدرسة الكلية السورية الاميركية خسارة لا تعوَّض بوفاة رجل من نخبة ابنائها الذين افادوا بلادهم بما حصلوهُ فيها من العلوم وحرية المبادىء وهو الدكتور سليم بك عمون . اتمّ دروسهُ الطبيَّة فيها سنة ١٨٧٦ وكان مثالاً في الذكاء والانفة وعزة النفس وعلو الهمّة . ونظر وهو في المدرسة الى احوال بلادهِ وما هي صائرة اليهِ من الاضمحلال اذا لم يقم من ابنائها رجال يصلحون حكومتها ويربون عامتها . وكان هذا مدار بحثهِ وبحث كثيرين من رفاقهِ في مسامراتهم وبيت قصيدتهم في مجتمعاتهم . ومارس صناعة الطب بعد خروجهِ من المدرسة ولما لم يرَ فيها متسعاً للنفع العام الذي حسب نفسهُ مدعوًّا اليهِ انتظم في سلك حكومة لبنان وطنهِ فاختير لأعلى مناصبها وجعل اولاً رئيس القلم العربي ثم رئيس دائرة الحقوق فقائمقام جزين فقائم مقام البترون فقائم مقام كسروان فوكيل رئاسة مجلس الادارة اي وكيل المتصرف نفسهِ وقد شغل هذا المنصب ابوهُ وعمهُ من قبلهِ . واظهر في كل هذه المناصب من اصالة الرأي واستقلال الفكر والاهتمام بمصلحة الاهلين ما جعل العيون تتجه اليهِ كركن من اقوى اركان الهيئة اللبنانية ولاسيما بعد ان ابيح للناس المجاهرة بارائهم

السياسية فدعي الى تولي المنصب الاخير وهو اعلى المناصب في حكومة لبنان وقد عاجلتهُ المنية وهو في السن الذي ينتظر فيهِ النفع الاكبر من الرجال اذ تتسع دائرة الاختبار ويرهف صارم العقل فخسارة لبنان بهِ لا تقدَّر عزَّى الله اخوتهُ وابناء وطنهِ عن فقدهِ والهمهم صبرًا جميلاً

جوائز الطيران

ذكرنا منذ سنتين ان جريدة الديلي مايل وعدت ان تعطي عشرة آلاف جنيه جائزة لمن يطير بآلة اثقل من الهواء من مدينة لندن الى مدينة منشستر ولا يقف في الطريق اكثر من مرتين لاخذ ما يلزم لهُ من البترول . ويحق لكل احد ان يتقدم لنيل هذه الجائزة . وقد وعدت الآن بجائزة الف جنيه لمن يصنع آلةً يطير بها ميلاً واحدًا ثم يعود الى النقطة التي طار منها تمامًا ويشترط ان يكون انكليزيًّا وتكون آلتهُ مصنوعة في البلاد الانكليزية وكل اجزائها من بلاد الانكليز وان يطير على ارض انكليزية . ووعدت ايضاً بجائزة الف جنيه لمن يصنع طيارةً يطير بها فوق بحر المانش ويحق لكل احد ان يتقدَّم لنيل هذه الجائزة

ترعة بناما

لما اخذت الحكومة الاميركية ترعة بناما لكي تتمها على نفقة البلاد الاميركية ارسلت جماعة من المهندسين لترى هل الاصلح ان تعمقها حتى يتصل بها الاوقيانوسان كترعة السويس وتصير السفن تعبر بها من اوقيانوس الى اوقيانوس او تجعل فيها هويسات كخزان اصوان فلا تضطر ان تعمقها الى تحت سطح البحر فاقرَّ المهندسون على الرأْي الثاني اي ان تجعل الترعة بهويسات على الجانبين لكن الجرائد الاميركية لم يرضها ذلك فثارت ثورة واحدة وجعلت تحث الحكومة على تعميق الترعة حتى تستغني عن الاهوسة فبعث الرئيس روزفلت لجنةً اخرى من كبار المهندسين لتنظر في الامر ثانية فوافقت هذه اللجنة على قرار اللجنة الاولى وتقدر كل النفقات اللازمة لهذه الترعة اذا جعلت باهوسة ٧٢ مليونًا من الجنيهات واذا عمقت حتى تستغني عن الاهوسة اكثر من مئة مليون جنيه وهي تتم بعد خمس سنوات اذا جعلت باهوسة ولا تتم الأَ بعد سنين كثيرة اذا جُعلت بغير اهوسة . وعدد العمال هناك الآن نحو خمسين الف عامل

وقوع نيزك

وقع نيزك في جزيرة زيلندا الجديدة في اواخر العام الماضي فرآهُ الناس من اماكن مختلفة شهابًا منقضًا من السماء بعد الظهر بنصف ساعة ثم انفجر فسمعوا لهُ صوتًا شديدًا

ثم تلتهُ اصوات كثيرة كانهُ الرعد قصف وتلتهُ قرقعة البنادق ووقعت قطعةٌ على الارض ففتشوا عنها ووجدوا منها قطعتين ثقل احداهما اربعة ارطال ونصف رطل وثقل الثانية ثلاثة ارطال و يظن ان ثقل النيزك كلهِ لم يكن اكثر من اثني عشر رطلاً

الدجاج والبيض

يظهر ان كثرة البيض في الدجاج وراثية فاذا ربيت الدجاج سنة بعد سنة من بيض الدجاج الكثير البيض فقط صارت كلها كثيرة البيض واذا ربيت بقصد كثرة اللحم لا كثرة البيض صارت كثيرة اللحم قليلة البيض. وقد جمعت دجاج دنماركية ودجاج اميركية ودجاج انكليزية وهي كلها من نوع واحد اصلاً واطعمت طعاماً واحداً. وحسب ما باضتهُ فوجد ان متوسط بيض الدجاجة الدنماركية ١٥٤ بيضةً في السنة وبيض الدجاجة الاميركية ١٤٢ بيضة وبيض الدجاجة الانكليزية ٧٦ بيضة وان متوسط ثقل البيضة الدنماركية ٢٥ درهماً والاميركية ٢٨ درهماً والانكليزية ٢٤ درهماً وهذه المسألة مهمة جدًّا في هذا القطر لانهُ يصدر جانباً كبيراً من البيض كل سنة الى اوربا فاذا عني بتربية الدجاج الكثير البيض والكبير البيض فمن ذلك ربح كبير لهُ لا يستهان بهِ

كارنجي والبحث العلمي

من اراد ان يعرف مقدار الفائدة التي ينالها العلم والعلماء اذا ساعدهم ارباب الغنى بغناهم فلينظر الى تقرير دار البحث العلمي التي انشأها المستر كارنجي فقد طبعت الى ٣١ من اكتوبر الماضي ١٢٠ مجلداً في ١٩ موضوعاً مختلفاً من مواضيع البحث العلمي ونشرت الف مقالة مختلفة في المجلات العلمية وبلغت الاموال التي انفقتها في سبيل البحث العلمي ٦٧٢ الف جنيه وانشأت ١٠ داراً للبحث في وشنطون ستبلغ نفقات بنائها ٤٤ الف جنيه . وبلغ ما انفقتهُ على مرصد جبل ولسن بكليفورنيا ٧١٦٣١ جنيهاً

هبة لتعليم الفقراء

لا شيء مثل المدارس لاظهار جوهر الانسان وكشف طلاء الغنى والترف. فالفوز في المدارس للعقل والاجتهاد سواء كان صاحبهما غنيًّا او فقيراً . والذي يفوز بعقلهِ واجتهادهِ يعلي اخوانهُ قدرهُ ولو كان افقر التلامذة ويتخذونهُ زعيماً لهم ولا سيما اذا جمع قوة الجسم مع قوة العقل . ولكن يبقى الفقر عقبة مؤلمة ولاسيما اذا كانت المدارس تشترط على التلامذة دفع اجرة التعلم

وقد رأى احد الاميركيين ذلك فاوصى قبل وفاتهِ بمئة الف جنيه لمدرسة سوري

الجامعة ليساعد بريعها التلامذة الفقراء دون سواهم

هبة علمية زراعية

وهب بعضهم مدرسة منسوتا الجامعة باميركا ٢٢٠٠ فدان لكي تمتحن فيها زرع الغابات وتربية اشجارها

ما هي الجامعة

حدَّد الشهير هكسلي المدرسة الجامعة بقولهِ انها المقام الذي يطلق فيهِ الفكر من كل قيد وتقدَّم فيهِ كل انواع المعرفة لكل طبقات الناس اغنيائهم وفقرائهم من غير تمييز . ثم قال انهُ يجب الاهتمام بتعليم الذين تظهر نجابتهم مهما كلف تعليمهم الامَّة من النفقات فانها اذا انفقت مئة الف جنيه على اخراج رجل واحد مثل ووط او دافي او فراداي فهي الرابحة لانها ربحت من كل من هؤُلاء الثلاثة ملايين كثيرة من الاموال

الاقباط في القطر المصري

كان في القطر المصري من الاقباط وقت الاحصاء الاخير ٧٠٦٣٢٢ وهم ارثوذكس وعددهم ٦٦٧٠٣٦ وبروتستانت وعددهم ٢٤٧١٠ وكاثوليك وعددهم ١٤٥٧٦

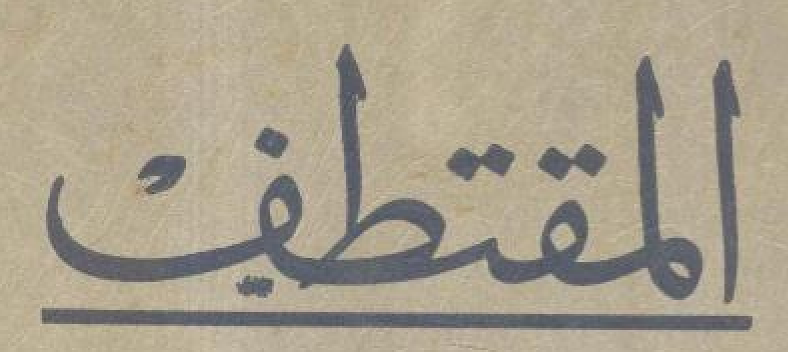
سكان القطر حسب معايشهم

يظهر من الاحصاء الاخير الذي تم في القطر المصري سنة ١٩٠٧ ان عدد المشتغلين بالزراعة من سكانهِ ٢٤٤٠٠٣٠ نفساً وعدد المشتغلين بالصناعة ٣٨٠٤٥٣ وعدد المشتغلين بالتجارة والبيع والشراء ٢٦٢٣٤٦ وعدد مستخدمي الحكومة والجيش والبوليس ١٠٥٩٢٢ وعدد المشتغلين بالفنون كالطب والمحاماة والتعليم ١٤٤٠٧٩ وسائر السكان اي النساء والاولاد والذين لا عمل لهم ٧٩٥٤٥٢٩ والجملة ١١٢٨٧٣٥٩

ضرر الجرذان

يقال ان ما تتلفهُ الجرذان سنويًّا في بريطانيا العظمى يبلغ عشرة ملايين من الجنيهات فضلاً عمَّا ينتقل بواسطتها من عدوى الامراض فان مرض التريخينا ينتقل منها الى الخنازير ومن الخنازير الى الناس الذين يأكلون لحمها . وهي التي تنقل انفلونزا الخيل من اصطبل الى آخر . وقد ثبت حديثاً انها تنقل عدوى الطاعون من المصاب الى السليم بواسطة البراغيث التي تكون في ابدانها ولذلك اهتمت مجالس الصحة الآن باستئصالها

فهرس الجزء الخامس من المجلد الرابع والثلاثين


المقتطف



المقتطف

الجزء السادس من المجلد الرابع والثلاثين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٢ جماد اول سنة ١٣٢٧

السلطان عبد الحميد

في مثل هذا اليوم من العام الماضي لم تكن ترى كاتباً واحداً يخطّئ سياسة السلطان عبد الحميد و يندّد باعماله حتى ترى مئة كاتب يصوّبون سياستهُ ويتغنون بمدحهِ ويقولون انهُ مجمع الفضائل وآية الحكمة والعدل . حتى ان اكثر الخطب التي تليت في بلاد الشام ونشرناها في المقتطف كانت مفتتحة ومختتمة بترتيل آيات الحمد لهُ والدعاء بتأييد شوكتهِ الى آخر الدوران فكنا نحذف ذلك منها لاننا لا نجد لهُ محلاً في الخطب العلمية او الادبية وقلما كنا ننجو من لوم اصحابها . ولو جُمعت القصائد التي نظمت في اطرائهِ والكتب والفصول التي كُتبت في تعداد مناقبهِ لملأَت مئات من المجلدات . وقد انقلبت الحال الآن ايَّ انقلاب فترى من المئة الذين كانوا يمدحونهُ ويمجدونهُ تسعةً وتسعين يجاهرون بذمهِ ويقولون انهُ كان طاغية سفاحاً خرب البلاد وسلب العباد حتى لقد قال فيهِ اكبر مادحيهِ بالامس

مشبع الحوت من لحوم البرايا ومجيع الجنود تحت البنودِ

واكثرهم اعتدالاً في لومهِ اليوم هم الذين كانوا يندّدون بسياستهِ بالامس

ولا يحسن بالمرء ان يقف لدي هذا الحادث الجلل وهو قيام السلطان عبد الحميد وسقوطهُ الآ وينظر اليهِ نظر المؤرخ الذي يتوخّى ذكر الحقائق خالصة من شوائب التحامل والتملق عساهُ يجد فيها عبرة وذكرى

يرى الباحث الاجتماعي امرًا لا يخفى على احد وهو ان الممالك التابعة للعرش العثماني كانت في سالف عهدها ارقى منها الآن وان الانحطاط تولاَّها منذ الفي سنة ثم جعلت تعلو وتسفل اونةً بعد اخرى واتجاهها الى الانحطاط اكثر منهُ الى الارتقاء كموج البحر وقت

جزرهِ حتى اذا كان القرنان الاخيران اللذان ارتقت فيهما ممالك اوربا ارتقاء لا مثيل لهُ في عصور التاريخ السالفة ظهر الفرق الشاسع بيننا وبينها على اتمهِ · ولهذا الانحطاط اسباب كثيرة قد تتعذر معرفتها كلها وليس من غرضنا البحث فيها الآن ولكن لا شبهة في انها ليست مرتبطة بطبيعة البلاد ولا باحوال سكانها الجسدية والعقلية · ويقيننا انهُ يسهل عليهم بلوغ اعلى مراتب الامم الاوربية اذا سعوا الى ذلك في طريقهِ وزالت الحوائل التي تحول دونهُ واخذوا باسباب العمران كما اخذ بها غيرهم من سكان المشرق والمغرب وهي على ابوابهم ميسورة لهم كما هي ميسورة لسواهم · فالشاب العثماني يستطيع ان يصير طبيباً او قاضياً او تاجراً او مهندساً اوقائداً كما يستطيع ذلك الشاب الانكليزي او الفرنسوي او الالماني · والفلاح العثماني يتقن حرثهُ وزرعهُ مثل الفلاح الفرنسوي ويقتصد في نفقاتهِ مثلهُ او اكثر

ولا شبهة ان البلاد ارتقت بعض الارتقاء في العهد الاخير عهد السلطان عبد الحميد واكثر الفضل في ذلك للرسالات الدينيَّة الاميركية والانكليزيَّة والفرنسوية وللتجار الذين اقاموا في بلادنا ولاتصالنا بالاوربيين واتصال الاوربيين بنا

ولسنا ممن يجرد حكم السلطان عبد الحميد من كل مزية نافعة فقد كانت لهُ مزايا كثيرة ولا سيما في اوائلهِ وقد راق لنا حينئذٍ ما كتبهُ الاستاذ فمبري المجري في هذا الموضوع منذ تسع عشرة سنة فترجمناهُ ونشرناهُ في صدر الجزء الحادي عشر من المجلد الرابع عشر من المقتطف وكان السلطان قد استدعاهُ اليهِ واطعمهُ على مائدتهِ واغدق عليهِ نعمهُ فقال

" ان جلالتهُ لا يترك واسطة للملاطفة ضيوفهِ وبسطهم الاَّ اجراها فقد قدَّموا لي على مائدتهِ يوماً صحفة من الفروله (الفريز) مرتبة في خطوط وصفوف بحسب الوانها وعلى وجه الصحفة رقعة كتب فيها هذا من الاثمار التي ربَّاها جلالتهُ بيدهِ · وقدَّموا لي مرة تفاحة وخوخة من اشهى ما رأتهُ عيني واحنى جلالتهُ رأسهُ اشارة الى تكرمهِ بهما خصوصاً · ولما دُعيت آخر ليلة على مائدتهِ شجاني سماع الالحان المجرية تصدح بها الموسيقى السلطانية في قاعة مجاورة فالتفتُّ نحوها واذا خادم واقف بجانبي نحياني وقال لي ان جلالة مولاي السلطان ارسلني لابلغك ان الموسيقى السلطانية تعلَّمت اللحن المجري الوطني بأمر خصوصي لتسمعك اياهُ هذه الليلة "

وقال في اوصافهِ الشخصية انهُ " يقضي يومهُ من الصبح باكرًا الى ان يتناهى المساء مهتماً بقضاء اشغال الدولة ومهام السلطنة ناظرًا في كل قضية مهمة وغير مهمة مستوعباً كل تفاصيلها حتى يكاد يفني صحتهُ ويعاوق سير الحكومة · وقد دخلت عليهِ يوماً فوجدتهُ جالساً على

ديوانهِ وعن يمينهِ عدد عديد من الجرائد التركية وترجمات من الجرائد الاجنبية متراكمة بجانبهِ كوماً عالياً وعن يسارهِ ما يضاهيها من اوراق الحكومة المعروضة على جلالتهِ لمراجعتها والتوقيع عليها . وكان وهو يحدثني ينظر من طرف خفي يمنة ويسرة طوعاً لما يتردد في نفسهِ من حب الرجوع الى مطالعتهِ . ولا يخفى ان الدولة التي يجهد سلطانها نفسهُ كل هذا الجهد في قضاء مهامها يضيق نطاق سلطة وزرائها . ويندر وجود سلطان مثلهُ يقضي مع وزير ماليتهِ الساعات الطوال وهو مكبّ على مراجعة حسابات السلطنة وتنقيح دفاترها وامعان النظر في تفاصيلها واجهاد القريحة في استنباط التدبير والاحتياط اللازم للاقتصاد"

وقال مدافعاً عمّا كان يأتيهِ من الاستبداد في حكمهِ " لا ارى اسدّ من كلامهِ حيث قال لي يوماً ان اوربا قد عزقت ارضها ومهّدت تربتها اعواماً وعصوراً حتى جاءت بما تراهُ فيها من مصادر الحرية والمنشئات الحرّة والآن تطلبون اليّ ان اقلع فسيلة من منابت الحرية التي فيها واغرسها في اراضيّ اسياً الوعرة البائرة القاحلة . دعوني اتعهد هذه الاراضي قبلاً بما يحسّنها فاقتلع اشواكها وارفع احجارها وافلح تربتها واحفر الاقنية لارواتها ثم انقل تلك الفسيلة اليها واكون اول من يطيب نفساً ويقرّ عيناً بنمائها ونضارتها "

ونفى عنهُ استخدام الجواسيس وقال " ان كل ما سمعهُ من هذا القبيل اختلاق او مبالغة وغلو واصل تلك الاقوال كلها ان رجالاً من اهل البلاط يستخدمون الجواسيس سرًّا ويرصدون العيون خفيةً لاجراء دسائسهم ومكايدهم الشريرة وتنفيذ مآربهم الفاسدة وجلالتهُ عالم بمكرهم ودهائهم ولكن كشف حيلهم واظهار دسائسهم ومكايدهم ليس بالامر السهل عليهِ كما يتوهم الاوربيون في بلادهم "

هذا ما كتبهُ الاستاذ فمبيري منذ نحو عشرين سنة وهو يعلم انهُ سيترجم للسلطان عبد الحميد فيطلع عليهِ ويجزيهِ على مدحهِ احسن جزاء . وقد قال في صدر مقالتهِ ان الناس في البلدان الشرقية على دين ملوكهم فانظر الى الملك تعرف رعيتهُ . وحقهُ ان يقول ايضاً انظر الى الرعية تعرف ملكها وانظر الى المقرّبين تعرف الملك الذي قرّبهم اليهِ

ومقالة فمبيري مع ما فيها من المدح وكثير منهُ كان في محلهِ لا تخلو من الاشارة الى الاسباب التي كان لها اليد الطولى في افساد السلطنة كما رأيت في ما تقدم فان كثرة اشتغال الحاكم بالمسائل الهامة وغير الهامة تضني جسمهُ وتضعف عقلهُ وتفسد احكامهُ وتقيد وزراءهُ وتبطل نفعهم . ولا يبعد ان كثرة اشتغال السلطان عبد الحميد اورثتهُ خللاً عقلياً وهو ايجاس الشر والخوف المستمر من كيد المكايد لهُ ان لم يكن ذلك خلقاً

قديماً فيهِ فاستعان بالجواسيس على كشف المكايد الموهومة واستحل كل شيء للنجاة منها . وعرف الدهاة منهُ ذلك فتقربوا اليهِ بكل ما يزيد وساوسهُ ويؤثر في نفسهِ استدراراً لنعمهِ فاضطر ان يكثر موارد امواله ليستطيع استرضاءهم ورأى غيرهم منهُ ذلك فساعدوهُ على جمع الاموال واقتناء الاملاك بكل وسيلة فبلغ الفساد في السلطنة مبلغاً لا نظير لهُ حتى ان مختار باشا الغازي كان يقول لنا حينما يطلب منا الكف عن انتقاد معايب الحكومة العثمانية انكم لا تعلمون منها عشر ما اعلمهُ انا ولكنني اؤكد لكم ان الانتقاد يضر بكم ولا ينفع احداً

وعاد الاستاذ فمبيري فعرف خطأهُ وارعوى ورأى عيوب الحكم الحميدي كما رآها غيرهُ وهو يرجو الاصلاح الآن لتركيا بهمة رجالها الدستوريين كما يرجوهُ غيرهُ من المخلصين لها

وتمكنت الوساوس من عبد الحميد حتى صار يعتقد ان الناس كلهم يأتمرون عليهِ ويقصدون الايقاع بهِ فلم يعد يهنأ لهُ عيش الأَّ بتجسس اخبارهم وصار آلة في ايدي المحتالين يوهمونهُ بتألب الجماهير على الفتك بهِ وانهم هم وحدهم القادرون على كف شرهم عنهُ فذلك وحرصهُ على كثرة المقتنيات وحرص المقربين منهُ على تملقهِ وظلم الناس باسمهِ وجشع بعض الافاقين من رعيتهِ ومن غير رعيتهِ كل ذلك ولَّد في السلطنة العثمانية حالة لا تطاق فهجرها الذي استطاعوا المهاجرة وصبر على الضيم الذين الفوهُ من احرار النفوس واشترك غيرهم في الفساد الذي عم وطم الى ان تمكنت جمعية الاتحاد والترقي من اعلان الدستور فتظاهر اولاً ان ذلك كان برضاهُ وهو غاية ما يتمناهُ ثم دس لها الدسائس وشاركهُ اعوانهُ حتى كاد يوقع بها ولو صبغ السلطنة بالدماء لكنها تمكنت من خلعهِ وتنصيب اخيهِ بدلاً منهُ كما هو معلوم

والسلطان عبد الحميد هو الرابع والثلاثون من سلاطين آل عثمان والثامن والعشرون منهم في القسطنطينية ولد في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٤٢ وابوهُ السلطان عبد المجيد وامهُ شركسية ارمنية والصفات الارمنية ظاهرة فيهِ خَلقاً وخُلقاً . وتوفيت امهُ بمرض الصدر وعمرهُ سبع سنوات وأُصيب هو بهِ في صغرهِ لكنهُ شفي منهُ وكان في حداثتهِ ضعيف البنية قليل الرغبة في العلم . واولاد السلاطين يتعلمون مع التركية والفارسية لغة اجنبية اما هو فكان يكره تعلم اللغات وغاية ما حفظهُ منها قليل من الفرنسوية تعلمهُ من فتاة بلجيكية . وربي تربية لا تثقف العقل ولا تهذب الاخلاق ولا تدمث الطباع . وزار اوربا مع عمهِ السلطان عبد العزيز ويقول الاستاذ فمبيري ان صور مدنها ومشاهدها انطبعت في ذاكرتهِ ويقول المستر منرو

انهُ لم يستفد من هذه الزيارة شيئًا فبقي على كرههِ للاوربيين

وقد ألَّف جورج دورس بن ادوسيدس باشا والي كريت كتابًا في السلطان عبد الحميد طُبع منذ نحو ثماني سنوات وصفهُ فيهِ في حداثتهِ وصفًا يفسّر ما صار اليهِ في كهولتهِ . ويظهر مما ذكرهُ في كتابهِ انهُ عاش حول يلديز وكان لهُ فرص غير عادية للوقوف على احوال السلطان واعمالهِ فعرفها معرفة مَن يراها عن قرب ويعلم سوابقها ولواحقها وما ترمي اليهِ وقد قال في كتابهِ ان السلطان عبد الحميد لم يهتمّ قط باصلاح بلادهِ بل فعل كل في طاقتهِ لخرابها منذ خمس وعشرين سنة الى الآن لخنق جرثومة الحرية التي كان يمكن ان تحيي البلاد وقطع عنق استقلالها وهو في مهدهِ لحصر السلطة في يدهِ بالحيلة واودى بكل مَن اوجس منهُ المخالفة لهُ وشلَّ اعصاب حب الوطن وكمَّ فم الصدق وقيَّد استقلال الفكر والضمير وذبح الالوف من رعاياهُ ولم يهتمّ الَّا بتعزيز عرشهِ مهما كلَّف البلاد فاستخدم في سبيل ذلك الصنيعة والجاسوسية والجهل والجور والرشوة والصرامة وما بين الرجال من الضغائن والاحقاد

وكتاب دورس مشحون بمثل هذه المذام وقد حُكم عليهِ بالاعدام بسببهِ فهرب الى باريس ولم تشإِ الحكومة الفرنسويَّة ان تسلّمهُ للحكومة العثمانية . الَّا ان غيرهُ من الكتَّاب لم يوافقوهُ على كل ما كتب فالاستاذ ادون غرفنور الاميركي وقد كان من اساتذة مدرسة روبرت الاميركية في الاستانة وصفهُ منذ خمس عشرة سنة وصفًا لا يوصف بهِ الَّا اعاظم الملوك واعدلهم فقال انهُ كريم جوَّاد يهتم بخير رعيتهِ وليس بين الملوك من يجاريهِ في الجود على ذوي البأساء . لكنهُ ذكر في عرض ذلك ما يحسب مصدرًا لسوء الاحكام وهو اهتمامهُ بالصغائر كما تقدَّم فقال انهُ يهتمّ اشد الاهتمام بكل مسألة مهما كانت طفيفة

وكذلك ده سوهسمس اليوناني تغنَّى بمدحهِ وقال انهُ سائر في خطة محمَّد الفاتح وسليمان القانوني وقد عضد العلوم والفنون وهو وديع انيس كريم مستنير ذكي الفؤاد عالي الهمة كثير الاشتغال بمهام السلطنة سديد الاحكام فيها

وقال صموئيل كوكس سفير اميركا في تركيا انهُ ملك بكل معاني الكلمة ويستحق اعظم مدح على ما يبديهِ من المقدرة في سياسة بلادهِ والتوفيق بين شعوبها المختلفي الاجناس والمذاهب

وقد كتب هذا السفير ذلك منذ ١٧ سنة . والظاهر ان اكثر الذين كتبوا عن السلطان عبد الحميد قبل المذابح الارمنية كانوا ميَّالين الى مدحهِ واطراء سياستهِ ولو ذكروا عرضًا كثرة اشتغالهِ واهتمامهِ بالمسائل الطفيفة . ويظهر من ذلك ان الاعمال الظاهرة

التي عملها في النصف الاول من سني ملكهِ كان اكثرها مما يمدح عليهِ وان الاعمال المذمومة التي حمله عليها خوفهُ على نفسهِ كقتلهِ لمدحت باشا كان يفعلها خفية ثم زاد خوفهُ على نفسهِ وبمجاسة الشر فاكثر من استخدام الجواسيس وصار وسواسهُ هذا يزيدهُ اقداماً على الفتك بالذين يخاف منهم والفتك بهم يزيدهُ خوفاً ووسواساً . مرض عصبي استولى عليهِ وزادهُ المقربون منهُ مرضاً بحيلهم ووشاياتهم واكاذيبهم . ولقد صدق بتلقيبهم بالخوَنة ولعلهُ كان يعلم دائماً انهم كذلك ولكنهُ كان يخشاهم ولا يستطيع التخلص من استهوائهم . وكيف يستطيع وهو مصاب بالضعف العصبي (Neurasthenia) كما قال احد اطبائهِ وبالارق المزمن وبالخوف من الاغتيال حتى صار يحسب ان الناس لا يأتمرون الاَّ على قتلهِ فيلقون القنابل في طريقهِ ويحفرون الاسراب تحت الارض للوصول اليهِ . وان صح ما روي عنهُ من انهُ قتل ابنة صغيرة من بناتهِ مخافة ان تكون قاصدة اغتيالهُ فذلك وحدهُ كافٍ لتفسير كل اعمالهِ

وما ابتلاؤُهُ بهذا النوع من الجنون باغرب من صبر اعوانهِ عليهِ وتسابقهم الى الانتفاع من وسواسهِ وهم يرون بعيونهم ما حلَّ بالسلطنة ولا يأمنون على انفسهم يوماً بين يديهِ واذا تيسَّر لاحد منهم الفرار من الاستانة او الخروج منها لم يعد اليها مهما اغري بالمواعيد. وهل انقرض اولئك الاعوان الآن اوَ لا يخشى انهم يتقرَّبون الى السلطان الجديد بمثل ما تقربوا بهِ الى السلطان المخلوع . قرأنا بالامس خرافة نُشرت في جريدة عربيَّة بمدينة باريس يظهر لقارئها ان كاتبها يقصد ان يتوسَّل بها الى ايهام جلالة السلطان بصحة معرفة الطوالع وصدق الخزعبلات . والاوهام التي من هذا القبيل قد تجوز على عقول العلماء فلا عجب اذا جازت على عقول ملوك المشرق الذين ليس لهم حظ كبير من درس العلوم الطبيعيَّة والبحث عن نقض الخرافات ولذلك لا ضمان للامة العثمانية الاَّ اذا تولَّت احكامها وزارة قوية رشيدة من مجلس نواب يضم نخبة رجالها المتعلمين المتنورين

لكنَّ ما نقرأهُ عن جلالة السلطان محمد الخامس يحقق لنا انهُ يكون سلطاناً دستوريًّا بحتاً فقد روي انهُ قال لوفد من اعيان مدينة بروسه تقدموا مني فان الرعية يجب ان تكون متصلة بسلطانها غير متحاة عنهُ . وقال لهم ايضاً ان الامة تجد السلطان دائماً ولكن السلطان لا يجدها دائماً فاذا سار على هذه الخطة دائماً ولم يقرب الاَّ الاكفاء المخلصين للوطن حقق فيهِ امال رعيتهِ

بلاد الفرس ومستقبلها

حيينا الدستور الفارسي قبلما حيينا الدستور العثماني ولكن قضي على دستور الفرس ان يجتاز النار هو ورجالهُ قبل ان يعود الشاه الى الاعتراف بهِ كما قضي على الدستور العثماني ان يقوم في سبيلهِ فتنة كبيرة تهرق فيها دماء عشرات الالوف من الابرياء قبل ان تكف يد العدوان عنهُ . ولا تزال البلادان حتى كتابة هذه السطور تمخضان وقد تخرجان فائزتين فيتغلب الحق على الباطل والعدلُ على الظلم والرعية البرية على الرعاة الظالمين . وقد يقضى عليهما فيعود الاستبداد الى سالف عهدهِ

مساحة بلاد الفرس نحو ٦٣٠٠٠٠ ميل مربع اي اكثر من ثلاثة اضعاف فرنسا وستة اضعاف انكلترا . وعدد سكانها غير معروف تماماً ولكنهُ يقدَّر تقديراً بنحو تسعة ملايين ونصف من النفوس فهي اقل سكاناً من القطر المصري . وايراد حكومتها السنوي نحو مليون وسبعمئة الف جنيه اي نحو عشر ايراد القطر المصري ومع ذلك لا يزال الشاه يلقب نفسهُ ويلقبهُ رعاياهُ بكل القاب التفخيم والتمجيد الموروثة من العصور الغابرة كشاهنشاه وظل الله وكعبة العالم وينبوع العلم وصراط السماء والسلطان الاعظم الذي علمهُ الشمس وجنودهُ كالنجوم عدداً الى غير ذلك من الطنطنات الفارغة التي نودُّ ان يترفع جلالتهُ عنها ويعود الى معنى كلمة ملك الحقيقي وهو خادم الرعية لا معبودها

وكانت بلاد الفرس في سالف عهدها من اعظم ممالك المشرق وقام فيها ملوك عظام مثل قورش وكمبيسس وداريوس قادوا الفيالق ودوخوا الممالك وفي جملة ما امتلكوهُ عنوةً القطر المصري كلهُ وذلك منذ الفين وخمس مئة سنة وامتدَّ ملكهم من بلاد الهند شرقاً الى اقصى اسيا غرباً والى جانب كبير من شمالي افريقية . والبلاد التي انجبت مثل قورش ودرايوس في القرون الغابرة وكسرى في القرن السادس وشاه عباس في القرن السابع عشر لا يستغرب ان تصير من الممالك العظيمة لاسيا وان الشعب الفارسي من ارومة الشعوب الاوربيَّة وهو اصل لها في رأْي كثيرين من الباحثين في اصل الامم

والارض كثيرة الخيرات شديدة الخصب حيث توجد المياه لريها لكن وسائل الري قليلة ولذلك فالجانب الاكبر منها قاحل . ويزرع في ما يروى منها القمح والشعير وسائر الحبوب والارز والسكر والتبغ والقطن والفوة والخشخاش والحناء ويربى فيها دود الحرير وكان يصدر منها من الحرير ما ثمنهُ سبع مئة الف جنيه . ويكثر فيها الكرم والزيتون

واثمارها يضرب المثل بجودتها كالتفاح والاجاص والبندق والجوز والخوخ والدراقن والشمام. ومواشيها كثيرة من البقر والغنم والمعزى والجمال والخيل والبغال وفيها غابات واسعة جدًّا اكثر اشجارها السنديان

ويصدر منها الحرير والافيون وصمغ الكثيراء والبسط الفارسية وقد بلغت قيمة الصادرات منها سنة ١٩٠٦ نحو خمسة ملايين من الجنيهات وهاك جدول اخصها

القطن	٨١٦١٤٠ جنيهًا	الاثمار	٦٩٨٥٨٠ جنيهًا
الصوف	« ٣٦٤١٦٠	السمك	« ٧٨٥٦٢٠
المنسوجات الصوفية	« ٧٥٤٠٨٠	الصمغ	« ١٨١٣٦٠
شرانق الحرير	« ٢٧١٥٢٤	الافيون	« ١٠٩٣٠٠
الرز	« ٦١٨٦٣٠	الجلود	« ٢٥٣٧٤٠

وشرعوا في زرع الشاي فيها سنة ١٩٠١ فزرع منهُ مليون شجرة واصدروا منهُ سنة ١٩٠٦ ما ثمنهُ ١٨٣٦٠ جنيه ولكن الحوادث الاخيرة كادت تقضي على هذهِ الزراعة

ومعادن البلاد كثيرة فنها الرصاص والنحاس في كل ولاياتها وفي معدن الرصاص كثير من الفضة. وفيها القصدير والانتيمون والنكل والكوبلت والمنغنيس والحديد والفحم الحجري والملح والكبريت والبترول والفيروز. فالبلاد في حالتها الطبيعية معدَّة للزراعة والصناعة ولاهاليها ذوق خاص في اتقان المصنوعات

وتبلغ قيمة وارداتها الآن نحو ستة ملايين من الجنيهات وقيمة صادراتها نحو خمسة ملايين من الجنيهات كما تقدم وليس على البلاد ديون باهظة. والايرانيون المنتشرون في اقطار المسكونة شرقًا وغربًا من اغنى التجار والصنَّاع فاذا أُصلحت حكومة بلادهم حتى صاروا يفتخرون بها فلا يبعد انهم يساعدونها باموالهم كما يساعد اليونانيون دولتهم. وهم اهل جد ونشاط ويلغنا ان جمهور الايرانيين مثلهم من هذا القبيل. ولقد ادهشنا من احدهم انهُ كاتب المقتطف من تبريز باحثًا في مسألة علمية رآها فيهِ والمدينة تحت الحصار مهدَّدة بالسيف والجوع. وامة يكون فيها مثل ذلك الرجل واضرابهِ من محبي العلم الذين حظي المقتطف لديهم اكبر حظوة لا يعزُّ عليها ان تصير في مصاف الممالك العظيمة اذا أُحسنت سياستها وان تعود الى سالف مجدها بهمة رجالها. ولكن اذا بقي حكامها على ما هم فيهِ من ارهاق الرعية فقد قسمت البلاد شطرين منذ الآن شطر لروسيا وشطر لانكلترا والله يورث الارض عبادهُ الصالحين

الغزالي

(تابع ما قبله)

آراء الغزالي في العلوم الاسلامية لعهده

بينّا في ما اسلفنا ان الوسط الذي عاش فيهِ الغزالي كان العظمة والنبوغ فيهِ بالتبريز في علم الفقه والتوحيد والمهارة في الجدل حتى يشهد لهُ الخصوم وتخضع الاقران وكان لعهدهِ فريق اتخذ الفلسفة شعارًا فاضاع في الخوض فيها زمنًا وكان معظمها من الفلسفة اللفظية التي لا تحق حقًا ولا تبطل باطلاً بل تزيد الفرقة وتقطع الوصلة. وقد قسمت هذه العلوم الثلاثة المسلمين الى فرق شتى يستحل كل منها المكروه بالاخر. فهاج الفقه والجدل فيهِ هائج العصبية بين الشافعية والحنفية في بلاد العراق حتى كان ذلك في بعض الاحايين داعية الفتن والخروج عن الجادة والالفة الاسلامية. وانما عصم الله المالكية من الخوض في هذه الغمرات لانهم كانوا بعيدين عن دنيا اهل العراق لا يشركونهم في شيء منها وحب الدنيا كما تعلمون رأس كل خطيئة. وكانت بلاد المغرب والاندلس للمالكية خاصة ليس لاحد من غيرهم فيها كبير شأن. وهاج التوحيد والجدل فيهِ مصيبة جلّى بين الاشعرية والمعتزلة ثم بين المعتزلة بعضهم مع بعض ثم بين الفلاسفة وجميع هؤلاء وبين الاشعرية والحنابلة ببغداد لما كان لهؤلاء من القول بالتشبيه الذي لا يقول بهِ اتباع الاشعري. وكانت تستعر الفتن بين الفريقين حتى تمسي بغداد منهم على خطر. انبرى الغزالي لتهجين ذلك كلهِ وانهُ ليس مما يوصل الى الله و يطهر القلب ويجعل الانسان انسانًا كاملاً. فقال ان ما يفيد الانسان هو الكلام في جهاد النفس وتحليتها بجميل الاخلاق وتخليتها من دنس الاخلاق. فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو العلم الحق وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة. ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص او عن التوكل او وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيهِ ولو سألتهُ عن اللعان والظهار لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقض الدهور ولا يحتاج الى شيء منها لا يزال يتعب ليلاً ونهارًا في حفظها ودرسها و يغفل عما هو مهم في نفسهِ في الدين واذا روجع فيهِ قال اشتغلت بهِ لانهُ علم الدين وفرض الكفاية و يلبس على نفسهِ وعلى غيرهِ في تعلمهِ. والفطن يعلم انهُ لو كان غرضهُ اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليهِ فرض العين بل قدم عليهِ

كثيرًا من فروض الكفايات. فكم من بلد ليس فيهِ طبيب الأ من اهل الذمة ثم لا نرى احدًا يشتغل بهِ ويتهافتون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام بهِ جماعة واهمال ما لا قائم بهِ. هل لهذا سبب الأ ان الطب ليس يتيسر بهِ الوصول الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة اموال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم بهِ على الاقران والتسلط بهِ على الاعداء

ثم ضرب المتكلمين ضربة هي اشد من هذه وانكي فقال ان حاصل ما يشتمل عليهِ الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليها وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض في ما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منهُ مألوفًا في العصر الاول وكان الخوض فيهِ بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمهُ اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبهًا ورتبوا فيها كلامًا مؤلفًا فصار ذلك المحظور بحكم الضرورة مأذونًا فيهِ بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل بهِ المبتدع اذا قصد الدعوة على البدعة وذلك الى حد محدود. ثم قال ان معرفة الله وصفاتهِ وافعالهِ لا تحصل من علم الكلام بل يكاد يكون الكلام حجابًا عليهِ ومانعًا منهُ وانما الوصول اليهِ بالمجاهدة

ثم اورد على نفسهِ اعتراضًا وهو كيف تنزّل بهذين العلمين الفقه والتوحيد الى هذا الحد مع ان علماء الامة المشهورين بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين. واجاب عن ذلك بقولهِ اعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهلهُ ان كنت سالكًا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منزلتهم فقد اجمع الذين عرّضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها

يبحث الغزالي عن الاسباب التي دعت لشيوع المناظرة والجدل بين الفقهاء والمتكلمين لان الاشياء اذا ظهرت للناس اسبابها وكانت اسبابًا مزرية سهل رجوع الناس عنها فقال لما انتقل امر الخلافة الى من لم يكونوا في انفسهم فقهاء احتاجوا الى من يعينهم من الفقهاء

ليولوهم القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلاً الى درك العز ونيل الجاه من قبل الولاة فاكبوا على الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات وكان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على الفتاوي والاقضية لشدة الحاجة اليهما في الولايات والحكومات . ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسهُ الى سماع الحجج فيها فعلمت رغبتهُ الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيهِ التصانيف ورتبوا فيهِ طرق المجادلات وزعموا ان غرضهم الذب عن الدين والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان قصدهم من الاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيهِ لما كان قد تولد من فتح بابهِ من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية والمفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسهِ الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذاهب وتمهيد اصول الفتاوى وهم مستمرون عليهِ الى اليوم. ولسنا ندري ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الاعصار. فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلاف والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر من العلوم لمالوا ايضاً معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا بهِ هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

رأى المناظرين قد يلبسون على الناس للرفع من قيمة مناظراتهم وانها كان يفعلها السلف من الصحابة والكبار من الفقهاء لاحقاق الحق فقال ان الوصول الى الحق محمود فالمناظرة التي تؤدي اليهِ محمودة ولكن جعل لذلك شروطاً هي مبادئ سامية لكل مناظر ولا يمكنهم ان يدعوا الاتصاف بها

(١) ان لا يشتغل بها وهي من فروض الكفاية من لم يتفرغ من فروض الاعيان فان من عليهِ فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم ان مقصدهُ الحق فهو كذاب ومثلهُ من يترك الصلاة في نفسهِ ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي استر من يصلي عرياناً ولا يجد ثوباً فان ذلك ربما يتفق ووقوعهُ ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن . والمشتغلون بالمناظرة مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق

(٢) ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان رأى ما هو اهم وفعل غيرهُ عصى بفعلهِ وكان مثالهُ مثال من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء واشتغل بتعلم الحجامة وزعم انهُ من فروض الكفاية ولو خلا البلد عنها لهلك الناس واذا قيل لهُ ان في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج الفعل عن كونهِ فرض كفاية. فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمَّة بجماعة العطاش كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات لا قائم بها

(٣) ان يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيهِ لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة حتى اذا ظهر لهُ الحق في مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وافتى بما ظهر لهُ كما كان يفعل الصحابة والائمة فاما من ليس لهُ رتبة الاجتهاد وهو حكم كل اهل العصر وانما يفتي فيما يسأل عنهُ ناقلاً عن مذهب صاحبهِ فلو ظهر لهُ ضعف مذهبهِ لم يجز لهُ ان يتركهُ فاي فائدة لهُ في المناظرة ومذهبهُ معلوم وليس لهُ الفتوى بغيرهِ وما يشكل عليهِ يلزمهُ ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جواباً عن هذا فاني لست مستقلاً بالاجتهاد في اصل الشرع

(٤) ان لا يناظر الّا في مسألة واقعة او قريبة من الوقوع غالباً. ولا نرى المتناظرين يهتمون بالمسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيف كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعهُ ويقولون هذه مسألة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبوليات. فمن العجائب ان يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسألة لما ذكروا والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا ان يطول

(٥) ان تكون المناظرة في الخلوة احب اليهِ واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للفهم واحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسهِ محقاً كان او مبطلاً وانت تعلم ان حرصهم على المجامع والمحافل ليس لله وان الواحد منهم يخلو بصاحبهِ مدة طويلة فلا يكلمهُ وربما يقترح عليهِ فلا يجيب واذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعاً حتى يكون هو المختص بالكلام

(٦) ان يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يدهِ او على يد من يعاونهُ ويرى رفيقهُ معيناً لا خصماً ويشكرهُ اذا عرَّفهُ الخطأ واظهر لهُ الحق كما لو اخذ طريقاً في طلب ضالة فنبههُ صاحبهُ على ضالتهِ في طريق آخر فانهُ كان يشكرهُ ولا يذمهُ ويكرمهُ ويفرح بهِ اما المناظرون اليوم فانت ترى كيف يسود وجه احدهم اذا

افضح الحق على لسان خصمهِ وكيف يخجل بهِ وكيف يجتهد في مجاحدتهِ باقصى قدرتهِ وكيف يذم من افحمهُ طول عمرهِ

(٧) ان لا يمنع معينهُ في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال ويخرج من كلامهِ جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما لهُ وعليهِ كقولهِ هذا لا يلزمني ذكرهُ وهذا يناقضهُ كلامك الاول فلا يقبل منك . فان الرجوع الى الحق مناقض للباطل يجب قبولهُ وانت ترى جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل بعلة يظنها فيقال لهُ ما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح منهُ واولى فاذكرهُ حتى انظر فيهِ فيصر المعترض ويقول فيهِ معان سوى ما ذكرتهُ وقد عرفتها ولا اذكرها اذ لا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك ايراد ما تدعيهِ وراء هذا ويصر المعترض على انهُ لا يلزمهُ ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وامثالهِ ولا يدري المسكين ان قولهُ اعرفهُ ولا اذكرهُ اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانهُ ان كان لا يعرف معناهُ وانما يدعيهِ ليعجز خصمهِ فهو فاسق كذاب عصى الله وتعرض لسخطهِ بدعواهُ معرفة هو خال عنها وان كان صادقاً فقد فسق باخفائهِ ما عرف من امر الشرع بعد ان سئل عنهُ . فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابتدعناهُ بحكم التشهي والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني

(٨) ان يناظر من يتوقع الاستفادة ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفاً من ظهور الحق على السنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعاً في ترويج الباطل عليهم

هذه هي المبادىء السامية التي وضعها هذا الامام الحجة الثبت للمناظرة بعد ان بين اسبابها واضرارها وعلاجها كما هو شأن الباحثين الذين يريدون الخير باممهم ولكننا بالاسف لم نستفد كثيراً من هذه التعاليم بل بقينا كما كنا لان مظاهر الدنيا غطت على البصائر والابصار

يقول هذا الامام بعد ان ادلى بحجتهِ واعلم ان من لا يناظر الشيطان وهو مستولٍ على قلبهِ وهو اعدى عدو لهُ ولا يزال يدعوهُ الى هلاكهِ ثم يشتغل بمناظرة غيرهِ في المسائل التي المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين

تكلم الغزالي عن التعليم والتعلم فوضع للمتعلم والمعلم اساساً يبنيان عليها ما يريدان ان يشتغلا بهِ وهي على ما نظن من خير المبادىء التي اخرجها الفكر للناس ومعظمها في التعليم العالي الذي كان الغزالي يشتغل بهِ قال رحمهُ الله مما يلزم المتعلم

(١) ان يقدم طهارة نفسهِ عن رذائل الاخلاق فان كان الطالب رديء الخلق ما ابعدهُ عن العلم الحقيقي النافع . ومهما كان الخلق رديئاً فان التعاليم الفنية لا تزيد صاحبهُ الا رداءة وخبثاً

(٢) ان لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم و يلقي زمام امره بالكلية اليهِ في كل تفصيل و يذعن لنصحهِ اذعان المريض الجاهل للطبيب المتنور الحاذق و ينبغي ان يتواضع لمعلمهِ و يطلب الثواب والشرف بخدمتهِ ولا ينبغي ان يسألهُ الا اذا اذن لهُ فان سؤال الطالب عما لم تبلغ مرتبتهُ اليهِ مذموم

(٣) ان يحترز الخائض في العلم في مبدإِ الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيهِ من علوم الدنيا ام من علوم الآخرة وذلك يدهش عقلهُ و يحير ذهنهُ و يفتر رأيهُ و يؤنسهُ عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولاً الطريقة الواحدة المرضية عند استاذهِ ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذهُ مستقلاً باختيار رأي واحد وانما عادتهُ نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منهُ فان اضلالهُ اكثر من ارشادهِ فلا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حالهُ يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل

(٤) ان لا يدع الطالب فناً من الفنون المحمودة ولا نوعاً من انواعهِ الا و ينظر فيهِ نظراً يطلع بهِ على مقاصدهِ وغايتهِ ثم ان ساعدهُ العمر طلب التبحر فيهِ واستوفاهُ وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض و يستفيد منهُ في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهلهِ فان الناس اعداءٌ لما جهلوا

(٥) ان لا يخوض في فن من الفنون دفعة بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالاهم فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم فالحزم ان يأخذ من كل شيء احسنهُ

(٦) ان لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبلهُ فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج

(٧) ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنهِ وتجميلهُ بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانهُ ولا يقصد بهِ الرئاسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباراة الاقران

اما ما يلزم المرشد المعلم فهو

(١) الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيهِ

(٢) ان لا يطلب على افادة العلم اجراً ولا يقصد بهِ جزاءٍ ولا شكراً بل يعلّم لوجه الله خالصاً وان لا يرى لنفسهِ منة على طلبة وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم

اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزرع العلوم فيها

(٣) ان لا يدع من نصح المتعلم شيئاً وذلك بان يمنعهُ من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي

(٤) وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار

(٥) ان المتكفل ببعض العلوم ينبغي لهُ ان لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءهُ كمعلم اللغة اذ عادتهُ تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادتهُ تقبيح علم الحديث والتفسير ومعلم الكلام ينفر عن الفقه فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب والمتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره

(٦) ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمهِ فلا يلقي اليهِ ما لا يبلغهُ عقلهُ فينفرهُ اويخبط عليهِ عقلهُ

(٧) ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقي اليهِ الجلي اللائق بهِ ولا يذكر لهُ ان وراء هذا تدقيقاً وهو يدخرهُ عنهُ فان ذلك يفتر رغبتهُ في الجلي ويشوش عليهِ قلبهُ ويوهم اليهِ البخل بهِ عنهُ اذ يظن كل احد انهُ اهل لكل علم دقيق فما من احد الاَّ وهو راضٍ عن الله سبحانهُ في كمال عقلهِ واشدهم حماقة واضعفهم عقلاً هو افرحهم بكمال عقلهِ

(٨) ان يكون المعلم عاملاً بعلمهِ فلا يكذب قولهُ فعلهُ وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوهُ فانهُ سم ذعاف سخر الناس بهِ واتهموهُ وزاد حرصهم على ما نهوا عنهُ

هذا ايها السادة طرف من تعليم هذا الرجل في القرن الخامس من الهجرة . ومما يؤسف لهُ في حياة هذه الامة البائسة ان وجد فيها كثير من ارباب الفكر الذين ازاحوا عن اعناقهم نير التقليد بما ادنوهُ من قوة العقل ورباطة الجأش ولكن تعاليمهم لا تلبث ان يأتي عليها الزمن فتنضفي كاس الدابر ولا يكون للخلف نصير يهذب قواعدها ويدعو الناس الى العمل بها . ويا ليت ان المنكرين يختصون لا عليهم ولا لهم بل الامر بالعكس فان كتب الغزالي طالما لقيت اضطهاداً حتى في المدن المستنيرة فقد احرقت في رابعة النهار بمدينة المرية احدى حواضر الاندلس وجعلهُ من ترجمهُ موضوعاً للقادحين والمادحين فهذا يقول زائغ ملحد وآخر يقول بل مؤمن محقق ويظلون في ابحاث الالفاظ حتى يضيقوا الخناق على من يقرأ كلامهم اما الموضوع والتعاليم فقلما يبحثون فيها . ولذلك قلما تكون لتعاليم النابغين

آثار عملية في حياة هذه الامة ويعتقد كثير من الناس ان حياتهم لا تدوم الاَّ بمصادمة كل ذي فكرة يرى فيها صلاحاً لأمتهِ فيختلفون لهُ المراقيل ويتهمونهُ بما شاؤُوا من التهم واذا اعوزتهم الحيلة جاؤوا من قبل الدين فيخلونهُ للعامة بصورة تقشعر منها الابدان ولولا ان الغزالي كان يظهر للناس آراءهُ وهو بعيد من دنيا اهل السوء حينما نفى عليهم مذاهبهم لنالهُ منهم شر كثير

وبالجملة فانا نرى الغزالي قد ارتفع كثيرًا عن الوسط الذي عاش فيهِ وابدى آراءهُ بكثير من الصراحة وان لم يمكنا ان نقول بكل الصراحة

آراء الغزالي في النفس

الغزالي كان جل ما يسعى اليهِ هو الفضيلة والتحلي بها ومن هذا شأنهُ لا بد لهُ من كلمة في النفس واني ارى آراءهُ فيها نضجت من قبل التصوف المصحوب بالنقل عن الدين وهو من ابحاثهِ بعيد عن التشريح (التحليل) الفلسفي وهو ما اهتم بهِ المتقدمون من الفلاسفة وقليل من متاخريهم كما انهُ بعيد عن التشريح العملي وهو ما يميل اليهِ كثير من فلاسفة الغربيين الآن

قال الغزالي ان هناك اربعة من الاسامي تختلف مسمياتها القلب والنفس والروح والعقل

فاما القلب لحقيقتهُ الجسمية معلومة وتستوي فيهِ الحيوانات . واما القلب المشار اليهِ بقولهِ تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان لهُ قلب او القى السمع وهو شهيد) فهو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان واما علاقتها بالقلب الجسماني فما حار فيهِ الغزالي او انهُ لم يرد اظهارهُ

الروح يراد بها معنيان احدهما جسم لطيف منبعهُ تجويف القلب فينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانهُ في البدن وفيضان انوار الحياة والحس منها على الاعضاء يشبه فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانهُ لا ينتهي الى جزء من البيت الاَّ ويستنير بهِ والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركتهُ في الباطن مثل حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركهِ — الثاني — هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو المعنى الثاني من معاني القلب

النفس يراد بها معنيان احدهما المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان — الثاني تلك اللطيفة التي هي الانسان بالحقيقة ولها اوصاف باختلاف احوالها فهي المطمئنة وهي اللوامة

العقل ذكر لهُ اربعة معانٍ — اولها — ذلك الوصف الذي استعد بهِ الانسان لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الغريزة او هو الاستعداد — ولا نظن

احداً ينكر هذا المعنى حتى الماديين انفسهم — قال ونسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية — الثاني — العلوم الاولية التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز وقد صحح الغزالي هذا الاطلاق ونفى ان يكون العقل هو هذه العلوم لا غير — الثالث — العلوم المستفادة من التجارب — الرابع — ان تنتهي تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة . وسكت الغزالي بالمرة عن المخ وتلافيفهِ فلم يتكلم عليهِ بكلمة وكأنهُ اعتبرهُ مجرد آلة للادراك كبقية الآلات تعمل في الجسم بتدبير الروح وهذا مما لا اجيز لنفسي الخوض فيهِ الأ اذا كنت ممن يسيرون وراء الظنون والتخمينات

اظن ايها السادة ان هذا القدر يظهر لحضراتكم الغزالي ونسبتهُ الى الوسط الذي عاش فيهِ . وللرجل بعد تعاليم كثيرة في الاخلاق وتهذيب النفس وهو ما قصر نفسهُ عليهِ في آخر عمرهِ ولا بي وثوق بان أطيل عليكم فاكتفي بهذا القدر والسلام محمد الخضري

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

◈ العُقاب ◈ Aquila. E. Eagle. F. Aigle طائرٌ من سباع الطير وهي اعظم الجوارح اي الكواسر ولا تقع على الجيف الأ اذا عضها الجوع . قويَّة المخالب مسرولة اي في ساقيها ريش ولها منسرٌ اي منقار قصير اعقف ولقبت بالشغواء والخواء لتعقفهِ وزيادة اعلاه على اسفلهِ

◈ النَّسر ◈ Vultur. E. Vulture. F. Vautour طائر من سباع الطير لكنهُ ليس من عتاقها اي جوارحها بل يقع على الجيف وقلما يصيد وهو اعظم من العقاب شرهٌ نهم رغيب . لهُ منسرٌ طويل منعقف في طرفهِ فقط ولا ريش لهُ في رأسهِ وعنقهِ بل فيهما زَغَب ابيض قصير ولهُ بُرائل اي ريشٌ مستدير باسفل عنقهِ . ساقاهُ عاريتان ولا مخالب لهُ بل اظفار ولا يقوى على جمع اظفارهِ وحمل فريستهِ بها كما تفعل العقاب بمخالبها . والنسور انواع كثيرة اشهرها الرخمة وسيأتي ذكرها وهذا الطائر الذي مرَّ وصفهُ وهو المعروف بالنسر عند العرب من عهد جاهليتهم الى يومنا و يعرف بهذا الاسم عند المتكلمين بالعربية من المغرب الاقصى الى العراق ومن الشام شمالاً الى اليمن والسودان جنوباً و يسميهِ علماء الحيوان Gyps fulvus وهو Vautour fauve بالفرنسوية و Griffon vulture بالانكليزية

وقد اخطأ كثيرون من المعرّبين والكتّاب المحدَثين في التمييز بين هذين الطائرين ولعلّ السبب في ذلك ترجمة التوراة فلفظة النسر في الكتاب المقدّس يقابلها نَشَر بالعبرانية و Aetos باليونانية و Aquila باللاتينية و Aigle بالفرنسوية الخ. ولعلماء التوراة مباحث دقيقة في هذا الموضوع فالنسر يسمّى Gyps باليونانية و Vultur باللاتينيّة والعقاب Aetos باليونانية و Aquila باللاتينية غير ان بعض اليونانيين ومنهم نقلة التوراة الى اللغة اليونانية توسعوا في لفظة Aetos واطلقوها على هذين الطائرين بدون تمييز بينهما وهي اللفظة المستعملة في ميخا ١ : ١٦ حيث قال "وسّعي قرعتك كالنسر" وفي متى ٢٤ : ٢٨ في قوله "حيث تكون الجثّة فهناك تجتمع النسور". فاللفظة العربيّة في محلها في هاتين الآيتين يقابلها لفظة نشر العبرانية في الآية الاولى واما اللفظة اليونانية فمن باب التوسع لان هذا الوصف لا ينطبق عليها بل على الطائر المسمى Gyps عندهم فالمسمى Aetos لا يقع على الجثث الاّ فيما ندر ولا هو اقرع . وقد قيل ان العبرانيين والعرب توسعوا في لفظة النسر ايضاً . اما كون العبرانيين فعلوا ذلك فلا اتعرّض لهُ والذي اعلمهُ ان العرب لم يفعلوا شيئًا من هذا فالنسر والعقاب عندهم طائران مختلفان من عهد شعراء الجاهلية الى يومنا هذا والاول يسميهِ الافرنج Vultur والثاني Aquila كما سابينهُ

وقد نبّه سابقيني الى هذا الخطإ في الترجمة منذ مئة عام تقريبًا والمقتطف منذ خمس عشرة سنة (مجلد ١٨ صفحة ٦١٠) والاب انستاس الكرملي منذ ست سنوات (مجلة المشرق مجلد ٥ صفحة ٦٧٦) والترجمة خطأ في كثيرٍ من المعجمات التي بين ايدينا وهي خطأ في بادجر وصواب في لاين . بقي عليّ الآن ان ابين صحة الترجمة كما ذكرت فاقول

اولاً — لفظة Aetos اليونانية جاءت بمعنى العقاب العربيّة فهي كل مرتفع عالٍ لم يطل كثيرًا مثل المسنّم والقمة وهي الراية ايضاً وهذان المعنيان من معاني العقاب العربية

ثانيًا — قالوا ابصر من عقاب وقال الافرنج Avoir des yeux d'aigle

ثالثًا — قال العرب العقاب سيد الطيور وقال الافرنج L'aigle est le roi des oiseaux

رابعًا — الفلكيون من العرب سموا العقاب من صور السماء ما يسميهِ الافرنج[1] Aquila اما النسران عند العرب وهما النسر الطائر والنسر الواقع فهما خلاف العقاب فالاول كوكب في صورة العقاب ويسميهِ الافرنج Altair بلفظهِ العربي والثاني كوكب في صورة الشلياق المسماة Lyra عند الافرنج

(١) من لفظة اولاً الى هنا عن الاب انستاس الكرملي بتصرف قليل

خامساً — يسمى الأنف الاقنى عند الافرنج Aquiline تشبيهاً لهُ بنسر العقاب لانهُ اكثر تعقفاً من منقار النسر وقد مرَّ بنا ان العقاب تلقب بالشغواء والخوزاء لتعقف منقارها

سادساً — كانت العقاب راية قريش وراية صاحب الشريعة الاسلامية وفي قصة عنترة كانت راية بني عبس ايضاً ولم يذكر التاريخ فيما اعلمهُ ان صورة العقاب كانت مرسومة على هذه الرايات لكنها كانت مرسومة على رايات الفرس والرومان Aquila والفرنسويين في زمن الامبراطور يتين Aigle ولم يسمع ان العرب او غيرهم اتخذوا النسر رايةً لم لانهُ من لئام الطير . والعقاب شعار بروسيا والنمسا وروسيا وغيرها والعقاب المزدوجة الرأس في شعار روسيا يسميها الفرس عقاب دوسر اي العقاب ذات الرأسين . وقول الجرائد نشان النسر الاسود او الاحمر خطأٌ وصوابهُ نشان العقاب السوداء او الحمراء . ولا ريب ان امبراطور الالمان يأنف ان يكون النسر شعارًا لمملكتهِ . والعقاب لقب بهاء الدين قره قوش خادم صلاح الدين ومعنى قره قوش بالتركية عقاب (ابن خلكان) ويترجمونها Aigle بالفرنسوية فالعقاب عند العرب رمز البأس والقوة وهي كذلك عند الافرنج

سابعاً — جاء في كتاب الحيوان للجاحظ ما نصهُ "زعم صاحب المنطق (اي ارسطو) انهُ ليس شيءٌ في الطير اجفى لفراخهِ من العقاب وانهُ لا بد من ان يُخرج واحدًا وربما طردهن جميعاً حتى يجيء طائرٌ يسمى كاسر العظام فيتكفل بهِ" . وقد اصاب الجاحظ في نسبتهِ هذا القول الى ارسطو كما يتبين لدى المراجعة (كتاب النعوت ٦ : ٦ : ١) فالعبارة منقولة بالحرف الواحد تقريباً واللفظة اليونانية التي عرِّبت بالعقاب هي Aetos اي Aquila باللاتينية

ثامناً — تطلق لفظة النسر في العراق والشام ومصر والسودان وبلاد العرب والمغرب في يومنا على هذا الطائر الاصلع الرأس الذي يسميهِ الافرنج Vultur ولفظة العقاب على هذا الطائر الشبيه بالصقر او البازي المسمى Aquila عند الافرنج وقد ذكر ذلك كثيرٌ من السياح وعلماء الحيوان مثل سافيني وبروس وترسترام وبرتون ودوطي وغيرهم اي كما سمعوا هاتين اللفظتين من اهالي البلاد التي مرّوا فيها وهي الترجمة التي عوَّل عليها كبار المستشرقين مثل لكلرك في نقلهِ مفردات ابن البيطار الى اللغة الفرنسوية ولاين صاحب المعجم المشهور وجايكر مترجم حياة الحيوان الكبرى وقد نبَّه سافيني الى كثرة الخطاء في ترجمة هذه اللفظة فقال ما تعريبهُ " الطائر المسمى Griffon هو النسر المذكور في الدميري ويعرف بالنسر عند عامة المصريين وكانت لفظة النسر تترجم بلفظة Aquila غير ان الاعراب وعلماء الطبيعيات عند العرب يطلقونها على ما نسميهِ Vautour (وصف مصر مجلد ٢٣ صفحة ٢٣٦)

تاسعاً — وصف النسر في كلام العرب والمؤلفات العربية ينطبق على ما نسميهِ نسرًا في وقتنا الحاضر وعلى ما يسميهِ الافرنج Vultur ووصف العقاب ينطبق على ما نسميهِ عقاباً ويسميهِ الافرنج Aquila . قال ابن المقفع في كتاب كليلة ودمنة " خير السلاطين من اشبه النسر وحولهُ الجيف لا من اشبه الجيفة وحولها النسور " وقال الجاحظ في كتاب الحيوان " والرخم والنسر سباع وانما قصر بها عدم السلاح فاما البدن والقوة ففوق جميع الجوارح ولكنها في معنى الدجاج لمكان البراثن ولعدم المخالب " . وقال ايضاً " النسر طائر ثقيل عظيم شرهٌ رغيب نهم فاذا سقط على الجيفة وتملأ لم يستطع الطيران حتى يثب وثبات ثم يدور حول مسقطهِ مرارًا ويسقط في ذلك فلا يزال يرفع نفسهُ طبقةً طبقةً في الهواء حتى يدخل تحتهُ الريح ... وهو ليس بذي مخلب وانما لهُ اظفار كاظفار الدجاج " . وفي الدميري والقزويني شيء مثل هذا وبعضهُ منقول عن الجاحظ . وقد وصف بعضهم بياض رأس النسر في قولهِ

ورجعتُ من بعد الشباب وعصرهِ شيخاً ازبَّ كأنهُ نسرُ

وقال النابغة يصف النسور خلف الجيش مشبهاً لها بالشيوخ على اكتافها فراء من جلود الارانب

تراهنَّ خلف القوم خزرًا عيونها جلوس الشيوخ في ثياب المرانبِ

ولامرأة في قتيل تصف مشية النسور اليهِ

تمشي النسور اليهِ وهي لاهيةٌ مشيَ العذارى عليهنَّ الجلابيبُ

وللمتنبي في وصف النسر

يفدِّي اتمُّ الطير عمرًا سلاحهُ نسورُ الفلا احداثها والقشاعمُ
وما ضرَّها خلقٌ بغير مخالبٍ وقد خُلقت اسيافهُ والقوائمُ

وفي لسان العرب " النسر طائرٌ معروف زعم ابو حنيفة (اللغوي) انهُ من العتاق قال ابن سيده ولا ادري كيف ذلك .. يقال النسر لا مخلب لهُ وانما لهُ الظفر كظفر الدجاجة والغراب والرخمة "

اما العقاب فهي من الجوارح اي التي تصيد . قالوا هوت العقاب اذا انقضَّت على صيدٍ او نحوهِ . قال ابن سيده في المخصص " واعظم الجوارح العقاب وليس بعد النسر من الطير اعظم منها وهي سوداء دجوجية ... ذكور العقبان من طيرٍ آخر لطاف الجروم لا تساوي

شيئاً (١) والعقاب تصيد للناس يربونها " . وفي لسان العرب " قال ابن الاعرابي عناق الطير العقبان وسباع الطير التي لا تصيد " وهذا الوصف لا يصدق الأعلى ما يسميه الافرنج Aquila وكان الافرنج يصيدون بها ايضاً ولم يسمع ان العرب كانت تصيد بالنسر. وقد ورد ذكر العقاب وصيدها في كثير من اشعارهم . قال بعضهم

كأني بين خافيتي عقابٍ اصاب حمامةً في يوم غينِ

ومن الشعر المنحول الى امرىء القيس قصيدة يصف بها فرسهُ مشبهاً لها بالعقاب ولا بأس بايراد الابيات التي يصف بها العقاب لانهُ لم يرد منها في دواوين امرىء القيس المطبوعة الأ البيت الاول فقط والابيات هي

كأنها (٢) حين فاض الماء واحتفلت سفعاء (٣) لاح لها بالقفرة الذيبُ
فابصرت شخصهُ من رأس مرقبةٍ ودون موقعها منهُ شناخيبُ (٤)
فاقبلت نحوهُ في الجوّ كاسرةً يحثها من هويّ اللوحِ تصويبُ
صبّت عليهِ ولم تنصبّ من أَمَمٍ (٥) انّ البلاء على الأشقَيْنَ مصبوبُ
كالدلوِ بتّت عُراها وهي مثقلةٌ وخانها وَذَمٌ منها وتكريبُ (٦)
لا كالتي في هواء الجوّ طالبةٌ ولا كهذا الذي في الارض مطلوبُ
كالبرق والريح مرآتاهما عجبٌ ما في اجتهادٍ عن الإسراع تغبيبُ (٧)
فادركتهُ فنالتهُ مخالبها فانسلّ من تحتها والدفّ منقوبُ (٨)
يلوذ بالصخر منها بعد ما فترت منها ومنهُ على الصخرِ الشآبيبُ (٩)
ثم استغاث بدحلٍ وهي تعفرهُ وباللسان وبالشدقين تتريبُ (١٠)
ما اخطأتهُ المنايا قيسَ أُنْمُلةٍ ولا تحرّز الأّ وهو مكروبُ (١١)
فظلّ منجحراً منها يراصدها ويرقبُ الليل انّ العيش محبوبُ

اصلاح خطأ — جاء في العدد الماضي " قرن الحرتيت يأتي في الكركدّن " وصوابها يأتي في الكركدّن وعليهِ تسقط العبارة التي بعدها والخطأ الاصلي في تذكرة داود الانطاكي التي اخذت عنها واني اشكر الشيخ عبد القادر المغربي لانهُ نبهني الى ذلك

(١) قولهُ ان ذكور العقبان اصغر من اناثها صحيح لكن الفرق ليس عظيماً كما يفهم من كلامهِ
(٢) اي فرسه (٣) وفي رواية اخرى فتخاء وكلاهما بمعنى العقاب (٤) الشنخوب اعلى الجبل
(٥) قرب (٦) شبه سقوطها عليهِ كالدلو قطعت عراها وحبالها وهي مثقلة بالماء (٧) تقصير وفتور
(٨) اي الجنب منقوب بمخالبها (٩) اي دفعات الدم مثل شؤبوب المطر (١٠) الدحل نقب في الارض فمهُ ضيق واسفلهُ متسع والتتريب التلطخ بالتراب (١١) المكروب الذي قد شارف على الموت

المعادن وما يستخرج منها

كان عصر لم يكن الناس يعرفون فيهِ غير الذهب والفضة والنحاس كما يظهر من آثارهم الباقية الى الآن وهو المعروف بفجر التاريخ وقد مضى عليهِ الآن نحو عشرة آلاف سنة . ثم عرفوا الحديد والقصدير والرصاص واستخرجوا الزيبق فصارت المعادن سبعة وهي غاية ما عرفوهُ وحسبوا انها منتهى ما يمكن الوصول اليهِ لان العدد سبعة عدد كامل في عرفهم . فلما اتصل العلم بالعرب وارادوا الابقاء على كون المعادن سبعة اخرجوا منها الزيبق والقصدير واضافوا اليها الخارصيني عنوا بهِ البرنز والاسرب عنوا بهِ الرصاص او التوتيا كما سيجيء

قال الامام القزويني في عجائب المخلوقات ان المعادن الاصلية او الفلزات مركبة كلها من الزيبق والكبريت فاذا اختلط الزيبق بالكبريت الاصفر اختلاطاً تامًّا وكانا نقيين صافيين تكوَّن منهما الذهب واذا كان الكبريت ابيض تكونت منهما الفضة واذا اصاب المزيج برد قبل النضج تكوَّن الخارصيني وان كان الزيبق صافياً والكبريت رديئاً تولَّد النحاس وان كان الكبريت غير جيد المخالطة مع الزيبق تولَّد الرصاص وان كان الكبريت والزيبق رديئين ضعيفي التركيب تولَّد الاسرب . وزعم ان ذلك معروف بتجربة اهل الصناعة . وهو زعم فاسد كما لا يخفى لانهُ لم يتيسَّر لاحد حتى الآن ان يصنع معدناً من المعادن الاصلية بتركيبهِ من الزيبق والكبريت

والمعادن التي ذكرها القزويني معروفة الآن باسمائها الأ الخارصيني والاسرب . و يظهر لنا انهُ اراد بالاول البرنز اي النحاس الممزوج بالقصدير لقولهِ ان معدنهُ بارض الصين وان نصلهُ شديد الصلابة يتخذ منهُ الكلاليب يصاد بها الحوت وتتخذ منهُ المرآة فان معدن القصدير كثير في بلاد الصين والنحاس الممزوج بهِ صلب جدًّا وتصنع منهُ النصال ورؤُوس السهام والمرايا الصينيَّة . ولكن النحاس لا يمزج بالقصدير الصرف بل بحجارة فيها قصدير . ويحتمل انهُ اراد بالاسرب نوعاً من حجارة التوتيا بدليل قول ابن سينا انهُ اذا شدَّت صفيحة من الاسرب على الخنازير والغدد تذيبها وقول القزويني انهُ صنف اردأُ من الرصاص لان مادتهُ اكثر وساخةً منهُ وقول اليونان والرومان ان التوتيا فساد او وسخ في الرصاص . وواضح مما تقدَّم ان القزويني لم يشر الى القصدير نفسهِ في كلامهِ على الخارصيني بل الى البرنز ولم يشر الى التوتيا في قولهِ الاسرب بل الى خليط منها او الى حجر من حجارة الرصاص

ويظهر لنا ان لفظة خار في كلمة خارصيني هي خلكوس اليونانية ومعناها النحاس وكلمة قصدير

العربيَّة يونانية الاصل وهي كاستروس باليونانية ويظهر من كلام بلينيوس ان الرومانيين لم يكونوا يميزون بين القصدير والرصاص بل كانوا يسمون الاول الرصاص الابيض والثاني الرصاص الاسود اذا ارادوا الفرق بينهما

ولا يعلم اي هذه المعادن كُشف اولاً ولكن يرجح ان الذهب كشف اولاً لانهُ يوجد صرفاً وكذلك الفضة والنحاس والزيبق. واتفق لبعض الصناع ان مزج النحاس بتراب فيهِ قصدير وهو يسبكهُ فكان منهُ مزيج شديد الصلابة وهو البرنز . والبرنز قديم جدًّا فقد وجدت قطع منهُ في اقدم الآثار المصرية اما الحديد وهو اكثر المعادن وجوداً بعد الاليومنوم فآخر سبكهُ لانهُ لا يوجد صرفاً ولان سبكهُ يقتضي حرارة شديدة جدًّا وكان المظنون انهُ لم يعرف الأَّ منذ نحو ١٥٠٠ سنة ولكن يظهر من بعض المكتشفات الحديثة انهُ اقدم من ذلك كثيراً ولعلَّ الناس عثروا اولاً على بعض الحجارة النيزكية التي اكثرها حديد صرف وتمكنوا من احمائها وتطريقها وعمل بعض الادوات منها ثم اكتشف الانتيمون والبزموت نحو سنة ١٤٥٠ والتوتيا المعدنية سنة ١٥٢٠ والزرنيخ سنة ١٦٩٤ والكوبلت والبلاتين سنة ١٧٣٥ والنكل سنة ١٧٥١ والمنغنيس سنة ١٧٧٤ والتنجستن والمولبدنوم سنة ١٧٨١ وتوالت سلسلة المكتشفات الى الآن

الأَّ ان المعادن التي يكثر استعمالها في الصناعة كثيرة الوجود في التجارة وهي احد عشر معدناً الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير والزيبق والتوتيا والنكل والبلاتين والاليومنوم. ويتلوها ستة معادن يمزج بها الحديد الآن وهي المنغنيس والتنجستن والمولبدنوم والتتانوم والكروم والفناديوم وستة اخرى تستعمل مركباتها بكثرة وهي البزموت والزرنيخ والكوبلت والاورانيوم والثوريوم والكدميوم وثلاثة تستعمل في الآلات التي تحتاج الى تدقيق كثير . ولا يزال نصف المعادن من غير فائدة تذكر ولكن قد توجد لهُ فوائد كبيرة فالليثيوم مثلاً اخف من الماء كثيراً فاذا وجدت واسطة تقيهِ من التأكسد في الهواء فلا يبعد ان يستخدم لعمل آلات الطيران

ولدينا الآن آخر احصاء لما استخرج من هذه المعادن من المسكونة كلها سنة ١٩٠٦ وهو كما يلي

الذهب

كان مقدار ما استخرج من الذهب سنة ١٨٥٠ اي قبل اكتشاف مناجم كليفورنيا ومناجم استراليا نحو ستين طناً والطن يساوي ١٢٠٥٧٢ جنيهاً ولذلك فالذهب الذي كان

يستخرج في السنة من مناجم الارض كلها لم يكن يزيد على سبعة ملايين وربع مليون من الجنيهات اما سنة ١٩٠٦ فبلغ المستخرج من مناجم الذهب كلها ٦٧٥ طنّاً او نحو ٨١ مليونًا من الجنيهات واكثرها من الاملاك الانكليزية كما ترى في هذا الجدول وقد ذكر فيهِ مقدار الذهب بالكيلوغرام

من بريطانيا وارلندا	٤٨	من روديسيا	١٤٥٢٨
« استراليا	١٠٧٣٤١	« غينيا البريطانية	٢٢٨٢
« كندا	١٨٠٩٠	« شاطىء الذهب	٦٥٣٣
« الهند	١٦٣٣٠	« الولايات المتحدة	١٤١٩٩٨
« زيلندا الجديدة	١٦٦٢٨	« روسيا	٣٣٥٤٢
« الترنسفال	١٨٠١٧٧	« المكسيك	١٩٧٦٧

الفضة

وكما زاد المستخرج من الذهب زاد المستخرج من الفضة فقد كان المستخرج منها سنويًا نحو ٩٧٥ طنًا قبل سنة ١٨٥٠ فصار ٦٣٦٠ طنًا سنة ١٩٠٦ واكثرها من بلاد المكسيك والولايات المتحدة كما ترى في هذا الجدول

من المكسيك	٢٧٥٣٦٠٨	كيلوغرامات
« الولايات المتحدة	١٧٥٧٩٠٥	«
« استراليا	٠٤١٤٨٣٧	«
« كندا	٠٢٦٦٥١٥	«
« بيرو	٠٢٣٠٣٠٠	«
« المانيا	٠١٧٧١٨٣	«
« بوليفيا (بامبركا الجنوبيَّة)	٠٠٩٦٤٤٣	«
« اليابان	٠٠٨١١٦١	«

وثمن الطن من الفضة الآن نحو ٣٢٠٨ جنيهات لا غير

النحاس

استخرج من النحاس سنة ١٨٥٦ نحو ٤٧٣٠٠ طنًّا وسنة ١٨٧٩ نحو ١٩٩١٧٠ طنًّا وقد بلغ المستخرج منهُ ٧٨٦٧٩٤ طنًّا سنة ١٩٠٦ اكثرها من الولايات المتحدة الاميركية فان المستخرج منها وحدها بلغ ٤١٦٣١٤ طنًّا وتتلوها اسبانيا والمكسيك واليابان وشيلي واستراليا وكندا

الحديد

الحديد انفع المعادن واكثرها استعمالاً وهو اساس العمران الحديث . وقد أحصي المستخرج منهُ سنة ١٨٦٥ فكان نحو عشرة ملايين طن فبلغ سنة ١٩٠٦ نحو ٦٥ مليون طن اي زاد اكثر من ستة اضعاف في نحو اربعين سنة ولو سُبك هذا المقدار في شكل هرمي لتكوَّن منهُ ثلاثة اهرام كلٌّ منها اكبر من هرم الجيزة الاكبر

ونحو نصف الحديد يستخرج من الولايات المتحدة الاميركية وتتلوها المانيا فانكلترا فاسبانيا ففرنسا كما ترى في هذا الجدول

اميركا	٢٥٧١٣٥٥٧ طنًا	فرنسا	٠٣٠٠٠٠٠٠ طنًا
المانيا	٠٧٠٢١٨٦٧ «	اسوج	٠٢٧٤٦٥٩٠ «
بريطانيا	٠٥١٢١٢٤٦ «	روسيا	٠٢٦٦١٠٢٩ «
اسبانيا	٠٤٦٩٤٦٥٩ «	لكسمبرج	٠٢٦٠٢٥٧٨ «

الرصاص

استخرج من الرصاص سنة ١٨٨٥ نحو ٣٩١٥٤٢ طنًا وسنة ١٩٠٦ نحو ١٠٦١٥٣٣ طنًا اي نحو ثلاثة اضعاف ما استخرج منذ عشرين سنة . واكثر الرصاص يستخرج من الولايات المتحدة الاميركية وتتلوها اسبانيا والنمسا ثم المانيا والمكسيك

القصدير

كان المستخرج من القصدير سنة ١٨٦٢ نحو ٢٢٠٠٠ طن نصفها من كورنول ببلاد الانكليز والباقي من سائر ممالك الارض اما في سنة ١٩٠٦ فبلغ المستخرج ١٠٩٠٠٠ طن اي زاد نحو خمسة اضعاف نصفها من بلاد ملقا التابعة للبلاد الانكليزية وتتلوها املاك هولندا الهندية وجمهورية بوليفيا في اميركا الجنوبية واستراليا وسيام والصين

الزيبق

لم يعدَّ القزويني الزيبق بين المعادن مع انهُ معدن صرف لكنهُ سائل على درجة الحرارة العادية فاذا اشتدَّ البرد عليهِ جمد كسائر المعادن . وقد بلغ المستخرج منهُ سنة ١٨٧٧ نحو ٥٣٠٠ طن ولم يزد سنة ١٩٠٦ على ٣٩٦٤ طنًا . وقد كان المعدنون يكثرون من استخراجهِ لاستخراج الذهب والفضة بهِ فلما استعملت طرق اخرى لاستخراج الذهب والفضة قلَّ المستخرج من الزيبق . وقد استخرج من اسبانيا من نحو ثلاثة آلاف سنة وهو كثير فيها وفي غيرها من البلدان ولكنهُ لا يستعمل الآن الَّا في بعض الاعمال الكيماوية والآلات

الطبيعيَّة ولا يزال يستعمل على قلة في عمل المرايا ويقال انهُ اذا اكتشفت مناجم غنية بالذهب في اسيا وافريقية حيث يتعذر وجود الفحم الحجري كثر استعمال الزيبق لاستخراج الذهب منها

التوتيا

كانت التوتيا عثرة في سبيل مستخرجي الرصاص منذ الف سنة فصارت في الربع الاخير من القرن الماضي من انفع المعادن وقد بلغ المستخرج منها سنة ١٨٨٣ نحو ٣١٠٠٠٠ طن وكان اكثر استعمالها في عمل النحاس الاصفر (الصفر) لانهُ مزيج من النحاس والتوتيا ثم استعملت لطلاء ورق الحديد وكثر استعمالها في البطريات الكهربائية وفي استخراج الذهب بطريقة السيانيد وقد بلغ المستخرج منها سنة ١٩٠٦ نحو ٧٧٤٥٢٥ طناً اكثرها من المانيا والولايات المتحدة الاميركية وثلوهما ايطاليا واسبانيا واستراليا واسوج

الاليومنوم

لما كنا ندرس الكيمياء منذ اربعين سنة كانت احلام الصبا تمنينا باكتشاف طريقة لاستخراج الاليومنوم من الدلغان لانهُ كان غالياً كالفضة مع انهُ كثير كالتراب وانما غلاؤهُ من صعوبة استخراجهِ وجرَّبنا تجارب كثيرة على غير جدوى

وقد كان ثمن الدرهم من الاليومنوم نحو غرش منذ عشرين سنة ولم يبلغ المستخرج منهُ حينئذٍ سوى خمسين طناً ثم زاد المستخرج بسرعة فبلغ سنة ١٩٠٠ نحو ٥٠٠٠ طن وهبط ثمن الرطل المصري من مئة غرش الى ٣٠ غرشاً وبلغ المستخرج سنة ١٩٠٦ نحو ٢٠٠٠٠ طن وصار ثمن الرطل سبعة غروش

والاليومنوم اكثر المعادن وجوداً وقد قدَّر احد كبار الجيولوجيين انهُ اكثر من ثمانية في المئة من قشرة الارض والحديد اقل من خمسة في المئة من قشرتها. وهو اخف من الحديد جدًّا فان ثقلهُ ثلث ثقل الحديد ومتانتهُ مثل متانة الحديد المصبوب (الزهر) فاذا زيدت وسائل استخراجهِ اتقاناً حتى رخص ثمنهُ كالحديد او صار مضاعف ثمن الحديد فضل على الحديد من كل وجه لانهُ لا يصدأ مثلهُ

النكل

لم يكن احد يعرف النكل منذ خمسين سنة غير الكيماويين ولم يكن يستخرج منهُ منذ اربعين سنة اكثر من مئة طن في السنة وكان ثمن الرطل منهُ خمسين غرشاً الى ستين . ثم اكتشف في اماكن عديدة وبلغ المستخرج منهُ سنة ١٩٠٦ نحو ١٩٠٠٠ طن . ويكثر

استعمالهُ الآن مزيجاً مع الحديد الذي تدرّع بهِ البوارج فيزيد في صلابتهِ ومتانتهِ وتصك منهُ النقود الرخيصة كالقروش المصرية وهو افضل من النحاس لهذه الغاية

البلاتين

هو اثقل المعادن المستعملة في التجارة واندرها وكل ما استخرج منهُ منذ اول اكتشافهِ الى آخر سنة ١٩٠٧ لا يزيد على ١٦٠ طناً وهو الآن اغلى من الذهب بنحو ٢٥ في المئة والمانع من كثرة استخراجهِ واستعمالهِ ان مناجمهُ التي يوجد فيها بكثرة واقعة في كولمبيا وروسيا حيث وسائل التعدين قليلة ولا يقدم ارباب الاموال على المخاطرة باموالهم

وقد ذكرنا في الجدول التالي مقدار ما استخرج من هذه المعادن سنة ١٩٠٦ وثمن المستخرج منها

المعدن	الوزن بالطن	الثمن بالجنيه المصري
الحديد	٦٤٩٨٣٤٨١	٤٦٤٧٥٩٨٥٦
الذهب	٦٧٥	٠٨١٣٨٦٢٦٤
النحاس	٧٨٦٧٩٤	٠٦١٩٩٩٣٦٧
الفضة	٦٣٦٥	٠٢٤٧٦٤٥٨٥
الرصاص	١٠٦١٥٣٣	.٢٤٠٩٦٧٩٩
القصدير	٠١٠٨٧٣٨	٠١٧٣١٥٥٥٣
التوتيا	٠٧٧٤٥٢٥	٠١٣٨٨٥٦٨٤
النكل	٠٠١٨٩٨٣	٠٠٣٣٧٥٩٣٦
الاليومنوم	٠٠٢٠١٥٧	٠ ٣٠٦٣٨٦٤
الزيبق	٠٠٠٣٩٦٤	٠٠٠٨٤٦٧١.
البلاتين	½ ٥	٠٠٠٧٠٥٤٩٦
والجملة	½ ٦٧٧٦٥٢٢٠	٦٩٦٢٠٠١١٨

فمجموع قيمة هذه المعادن التي استخرجت سنة ١٩٠٦ اقل من ٧٠٠ مليون جنيه ثلثاها ثمن الحديد والثلث الباقي ثمن سائر المعادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص الخ ولذلك لا عجب اذا لقّب هذا العصر عصر الحديد لان لهُ المقام الاول في كل الاعمال

وغني عن البيان ان المعادن ثروة طبيعيَّة دائمة ولقد كان لها الشأن الاكبر في عمران الممالك فان الحاصلات الزراعية اثمن منها ولكنها تنفد في سنتها وما يبقى منها من سنة الى

اخرى يتلف غالبًا واما المعادن فثروة مقيمة يستخرج منها على قدر الحاجة وما يستخرج هذه السنة يضاف الى ما استخرج في السنين الماضية وقلما يتلف منهُ شيءٌ ولذلك فالامم التي وجدت المعادن في بلادها فاقت غيرها في ميدان الحضارة

الاحسان (١)

رفقاً أخا الانسان بالانسانِ لا خير في مالٍ بلا احسانِ
أنجد اخاك بما ينالك اجرهُ ان المواسي افضل الاخوان
وصنائع المعروف حصن مانع ترتدُّ عنهُ طوارق الحدثانِ
كل المحاسن جمعت في واحد عطف الغني على الفقير العاني
لم ألقَ افصح من مدامع صامت نزلت عليها آية الشكرانِ
ولرب شهم لا تراهُ شاكياً يخلو فيندب حظهُ القمرانِ
كم رقعة في ثوب حر بائس ينهل منها مدمع الاجفانِ
تأبى السؤال عليهِ عزة نفسهِ فيبيتُ مطويًا على الكتمانِ
ذاك الفقير تعهدوهُ بالندى سرًّا والاَّ مات بالاعلان
واشدُّ تعساً بائس ذو علةٍ انحى عليهِ الدهر بالحرمانِ
داءان من فقر ومن سقم بهِ لولا كمُ اودى بهِ الداءانِ
ان كنت تؤمن بالكتاب ومااوعت آياتهُ من حكمةٍ وبيان
فكن الرفيق البر غير مفاخر فالرفق برهان على الايمان
لو لم تكن اديانا بالعرف آ مرةً اذن لكفرت بالاديان
يا ايها القوم انصروا جمعية بعلائها تسمو على كيوانِ
هي عصبة الخير الكثير وملجأ الدنف الفقير ونخبة الشبان
جمعية اعضاؤها انتظمت لما اخلاقهم كالزهر في بستان
فاستعرضوا الازهار طيبة الشذا حسناء في الاشكال والالوانِ
وتخيروا اسمى واشرف زهرة هي زهرة المعروف والاحسانِ
وكفاهمُ منها اشتراك صفاتها بصفات ربٍّ راحم رحمانِ

(١) القاها ناظمها في دار التمثيل العربي ليلة اول مايو سنة ١٩٠٩ اجابة الى اقتراح جمعية تغذية المرضى الفقراء

ولها على زهر الرياض مزية هي أنها تبقى مع الازمان
أمنت نضارتها التحول فهي في كانون واحدة وفي نيسان
ولها شذًا كالزهر يحمل نشره في كل آونة وكل مكان
هي بهجة الارواح بل هي قرة الابصار بل هي صحة الابدان
اهديتها شعري وحسبي انني اهديت ما ملكت يدي ولساني
هيهات يقضي حقها هب انه في كل بيت منهُ عقد جمان

نقولا رزق الله

نشوء الحيوان والنبات

لم يشغل العلماء شيء في عصر من العصور ما شغلهم النشوء في القرن التاسع عشر. وهو وان يكن من اوضاع القرنين الاخيرين فالقول بهِ لا شك قديم . اشار اليهِ طاليس وفيثاغوروس في كلامهما عن اصل الاكوان . وذكرهُ غيرهما كثيرون من الفلاسفة في كل زمان. على ان العالم القديم لم يكن في استعداد لهُ فقضى الباحثون القدماء ولم يأخذ بقولهم احد ومر على العالم قرون عديدة والنشوء كامن لا يتعرض لهُ باحث حتى جاء "كنت" وسويدنبرج فتناولاهُ في بحثهما الفلسفي وبسطاهُ على موائد النقد العلمي . لكنهما لم يخرجا بهِ عن حد البحث النظري. فكان النشوء لذلك باباً من ابواب الفلسفة النظرية وبقي كذلك الى ان قام "لامرك" وكشف عن ناموس التباين فادخلهُ في مصاف الابحاث العلمية ووضع لهُ سببين كبيرين هما البيئة واستعمال الاعضاء او اهمالها

وكانما كُتب لداروين ان يكون ابا النشوء فتصدى العلماء للامرك وإمامهم يومئذٍ كوفيه وفندوا كثيرًا من اقوالهِ الجوهرية. ساعدهم على ذلك ثقة الجمهور العظيمة بكوفيه من جهة وقلة الادلة العلمية لدى لامرك من جهة اخرى فمال الناس عنهُ وقلت ثقة العلماء بهِ. وقام داروين فاثبت تسلسل الانواع وزاد على السببين اللذين ذكرهما لامرك سببين آخرين هما الانتخاب الطبيعي والانتخاب الجنسي فحيّر العلماء بقوة حجتهِ وادهش العالم بوفرة الحقائق المؤيدة لآرائهِ . والظاهر ان داروين خشي السقوط في مغبة التسرُّع فلم يتطرَّف الى نكران الخالق ولم يتصلب في آرائهِ المادية ولكنَّ بعض تلامذتهِ لم يقفوا عند هذا الحدّ بل تجاوزوهُ الى ما اسخط العالم عليهم وعلى داروين من اجلهم

ولعمري ان النشوء لا يقتضي انكار الخالق والباحث فيهِ من حيث هو ناموس لا ينبغي ان ينصرف الى ما وراء الطبيعة وما عليهِ الا ان يرى الحقائق الملقاة امامهُ فيبين بها النظام الذي يجري عليهِ الكون من حيث هو جسم تديرهُ القوة المستقرَّة وراء الافهام

هذا ولقد اقرَّت بصحة النشوء العلماء من كل المذاهب وانما هم مختلفون في الآراء (او التعاليل) الموضوعة لتفسيرهِ . فمن تلك الآراء اللامركية والدروينية وغيرهما وهي لا تخرج عن كونها آراء منها الصحيح ومنها الفاسد . والنشوء لا يصح بصحتها كما انهُ لا يفسد بفسادها فقد يقوم عالم ويرتئي غير ما ارتأى داروين وسبنسر مثلاً فيفسّر النشوء تفسيرًا اجلى من تفسيرهما واقرب تناولاً منهُ ومع ذلك فالنشوء واحد لا يزال يجري على السنن الموضوعة لهُ منذ الازل

ولست ارى من داعٍ للرعبة التي استولت على كثيرين عند سماعهم بالنشوء فان النشوء لا يغير شيئًا من امر الدين الحقيقي . الم ترَ رعبة الامم وسخطهم على العلماء عند اكتشافهم دوران الارض والنظام الشمسي وكذلك خوفهم من ناموس الجاذبيَّة واكثر من ذلك ارتعاد فرائصهم متى مسأَلة قدَم الارض ثم ثابوا الى رشدهم ورأوا ان ذلك غير منافٍ لمعتقدهم وكثير منهم الآن من اشدّ انصار تلك المذاهب . وهذا النشوء لا بدَّ من رعبةٍ تلمُّ بالسامعين بهِ لاول وهلةٍ ولكنها لا تدوم فيرجع الناس الى رشدهم ويرون فيهِ ما رأوا في النظام الشمسي وقدَم الارض من قدرة الخالق وحكمتهِ الفائقة الادراك

ما هو النشوء (١)

يراد بالنشوء ثلاثة امور — الاول ان الاحياء في تغير وترقٍّ دائمين بطيئين . الثاني ان هذا التغير يجري بمقتضى نواميس ثابتة . والثالث ان القوى التي تحدث التغير كامنة في مادَّة المتغير . اما الاول فعلى ثلاثة اوجه وهي (١) التغير الفردي ومثالهُ تغير البيضة من نقطة ميكروسكوبية الى جسم حيٍّ ذي اعضاء مستقلة في وظائفها (٢) التغير النوعي ومثالهُ تغير الانواع من بسيط الى مركب فاكثر تركيبًا (٣) التغير الدوري او الجيولوجي ومعناهُ التغير المشاهد في احياء الادوار الجيولوجية وهو من البسيط في السفلى الى المركب فالاكثر تركيبًا في العليا من تلك الادوار

اما نواميس النشوء المعروفة فثلاثة وهي ما يأتي

(١) ناموس التباين — ويراد بهِ ان الانواع تفرعت من اصل واحد على نحو ما تتفرع

(١) اكثر هذه المقالة مقتطف بتصرّف من كتاب في النشوء لجوزف لاكونت "Joseph La Conte"

الاغصان من الشجرة . تفرعت لتباين فيها زادتهُ البيئة الى درجة اصبحت معهُ انواعاً مستقلة . ومثالهُ في التغير الفردي حويصلة الجنين الاولى فانها لا تزال تنقسم وتنمو حتى يظهر التباين فيها فتصير بعضها عظاماً وبعضها انسجة وبعضها غير ذلك . ومثالهُ في التغير النوعي التباين في الاعضاء من البسيطة في الاحياء السفلى الى المركبة الراقية في العليا كالتباين بين جناح الطائر ويد الانسان مثلاً . وليس المراد من النشوء ان الانواع على ما هي الآن نشأت بعضها من بعض فصار القرد انساناً والمرء اسداً وصارت الزحافات طيوراً كلاً بل المراد ان منشأ الانواع جميعها واحد وانهُ من ذلك المنشإ بدأت الطوائف الكبرى تتباين وتتباعد حتى اصبحت مع الزمان على ما هي عليهِ الآن . فلا يتوهمن متوهم ان النشوء يقتضي ان يصير القرد انساناً او الدجاجة طاووساً او الكلب ضبعاً لان كلاً اتخذ في ارتقائهِ طريقاً لا يتعداها الى سواها

(٢) ناموس الارتقاء الاجمالي — ويراد بهِ ان الكون بجسم واحد يرتقي ارتقاء ثابتاً بطيئاً ولقد خبط كثيرون في هذا الناموس فسددوا سهامهم الى مذهب النشوء قبل امعان النظر في معنى الارتقاء الاجمالي . حتى لقد ذهب بعضهم الى فساد النشوء لمشاهدتهم انقراض بعض الحيوانات او تقهقرها وفاتهم مثل الشجرة فانهُ وان انقرض بعض اغصانها بسبب التنازع الشديد على الغذاء والنور لا يلزم عنهُ تقهقر الشجرة او وقوفها عن النمو كذلك الكون قد تنقرض بعض اجزائهِ ومع ذلك يظل يرتقي ويتقدم بل قد يكون ذلك الانقراض مدعاة الى التقدم الى ما هو افضل واصلح

(٣) ناموس الترقي الدوري — ولئن كان الكون في نشوئهِ يسير ابداً نحو الكمال فاجزاؤهُ لا تسير في خطوط مستقيمة بل سيرها اشبه بالحلقات اولها آخرها . يقوم نوع من الحيوان فيستولي على عرش القوة ثم ينقضي دور عظمتهِ فيقوم بعدهُ نوع آخر ويأخذ مكانهُ . كانت ذوات الاصداف مالئة الارض ثم غلبتها الاسماك على امرها وقام بعد الاسماك الزحافات ثم الحيوانات اللبونة وآخر الكل الانسان ولا يعلم غير الله كم يبقى هذا الاخير على عرش السلطة

هذه هي النواميس التي يجري عليها النشوء اما القوى التي تحدث التغير فموجودة في المادة اي انها طبيعية محضة اما كيفية نشوئها وكيفية وجودها في المادة فما لا يتناولهُ النشوء اذ هو لا يبحث الا في خصائص المادة من حيث هي امور معروفة مشاهدة وكل ما وراء ذلك داخل في حكم الفلسفة النظرية

اسباب التغير والترقي

هذه الاسباب اربعة اثنان ذكرهما لامارك وهما المحيط واستعمال الاعضاء او اهمالها واثنان ذكرهما دارون وهما الانتخاب الطبيعي (بقاء الاصلح) والانتخاب الجنسي. وواضح ان القول بالانتخاب مبنيٌّ على ناموس التباين وان اسباب التباين في الافراد مجهولة لم يجزم العلماء بصحة احدها فاذا ثبت لدى البعض فسادها لم يكن ذلك دليلاً على فساد النشوء نفسهِ فان النشوء امرٌ مشاهد لاخلاف في صحتهِ ولكن الخلاف في الآراء التي وضعها العلماء لتفسير النشوء ولتبيان اسبابهِ فليفهم ذلك

التشابه والتماثل

وقبل الاخذ بالادلة على صحة النشوء لا بدَّ لي من بسط الفرق بين هذين اللفظين اعني بهما "التشابه والتماثل". فيراد بالاعضاء المتشابهة ما كانت متشابهةً في الهيئة والعمل لكنها مختلفة في الاصل والتركيب مثالها جناح الطائر وجناح الفراشة فانهما متشابهان في هيئتها الخارجية ولكنهما غير متماثلين في التركيب. ويراد بالاعضاء المتماثلة الاعضاء التي وان اختلفت في هيئتها الخارجية فهي من اصل واحد وتركيب واحد. ومثالها جناح الخفاش ويد الانسان فهما مع اختلافهما العظيم في الهيئة متماثلان في تركيب اجزائهما ووحدة اصلها. ولنضرب مثلاً آخر. خذ الرئة في حيوان برّي (يتنفس الهواء بواسطة الرئة) والخيشوم في حيوان مائي. فترى الشبه بينهما كبيرًا من حيث عملها ولكنك اذا تحريّت الامر تشريحيًا رأيت البعد بينهما شاسعًا وظهر لك ان لا تماثل البتة بين هذين العضوين وبعكس ذلك الرئة في الحيوان البرّي وكيس الهواء في الحيوان المائي فان التماثل جليّ فيهما يدلك على ذلك تاريخ السمك فان ذلك الكيس (الذي لا نفع لهُ في اكثر الاسماك غير المساعدة على التعويم) يرتقي بارتقاء الاسماك من كيس هوائي لا عمل خاص لهُ الى رئة كاملة. وهذا الارتقاء ظاهر في النوع المعروف بالجاربَيْك Garpike نوع من السمك حيث يتصل هذا الكيس بالبلعوم فيكثر فيهِ الدم ويساعد قليلاً على التنفس فاذا ارتقيت الى اعلى من ذلك قل الى نوع الدبنوي Dipnoi مثلاً تراهُ قد اتصل بالبلعوم والانف وصار كثير الاوعية الدموية ولهُ اهمية كبرى بالتنفس وبعبارة اخرى تراهُ اصبح رئةً كاملة

واعتبر ذلك ايضًا في نمو الضفدع فترى ان ذلك الحيوان يكون في اول اطوارهِ كالسمك فيتنفس بالخياشيم فاذا انقضى ذلك الطور رأيت الضفدع حيوانًا بريا يتنفس الهواء بواسطة الرئة فكيف ذلك؟ أَيعقل ان نقول ان الخياشيم تحولت الى رئتين. كلاَّ بل الواقع ان

كيس الهواء الذي كان في الضفدع كان يرتقي مدة ارتقاء الضفدع حتى اصبح رئة كاملة وفي الوقت نفسهِ كانت الخياشيم تتقهقر وتنحط حتى امست اثرية لا عمل لها

فالتشابه اذن راجع الى التقارب في الهيئة والعمل والتماثل راجع الى الوحدة في الاصل والتركيب

اذا فهم ذلك فلنتقدم الى الادلة العلمية على صحة مذهب النشوء وهي كثيرة نجتزىء على اربعة

اولها التماثل في بناء الاجسام

ولنضرب لذلك مثلين فقط (اولها) التماثل في الفقريات . ويراد بالفقريات من الحيوان ما كان لهُ سلسلة من العظام ممتدة من الراس الى اسفل الحوض يقال لها العمود الفقاري . وهي تمتاز عن سائر الحيوان بالامور الآتية

(١) ان لها هيكلاً داخلياً من العظام تحركهُ العضلات من الخارج

(٢) ان لها عموداً شوكياً يحتوي على الحبل الشوكي

(٣) ان هذا العامود يتسع من الامام او الاعلى فيؤلف الجمجمة لوقاية الدماغ وذلك لا يوجد في سواها من الحيوان

(٤) ان في هيكلها تجويفين الواحد ظهري لحفظ الحبل الشوكي والثاني بطني لحفظ الاعضاء الداخلية

٥ ان لها اربعة اطراف او قوائم اثنان منها اماميان واثنان خلفيان يستثنى من ذلك بعض الاسماك والزحافات الدنيئة

هذا من جهة تماثلها العام فاذا قابلتها عضواً عضواً رأيت ثمت اختلافات كثيرة في العمل والهيئة (عدم التشابه) ولكنك اذا امتحنتها جيداً رأيت التماثل كاملاً فيها مما يدلك على وحدة الاصل في الفقاريات وعلى تفرعها من اصل واحد . واليك بيان ذلك

اولاً في الاطراف الامامية ومعظم الاختلاف فيها واقع في الاقسام الآتية — الترقوة والنتوء الغرابي والكعبرة والزند وعظام الرسغ والاصابع . فاذا اخذت الانسان وهو ارقى الحيوانات اللبونة رأيت الترقوة فيهِ كبيرة والمنكبين عريضين ثم اذا هبطت الى ما دونهُ من الحيوان وجدت الترقوة تصغر رويداً رويداً حتى لقد تجدها اثرية في بعض الانواع على ان الترقوة هي هي ايان كانت وعدم التشابه ناتج عن اسباب عرضيَّة طرأت عليها . اما النتوء الغرابي فعظم مستقل في الطيور والزحافات يتصل باللوح من جهة ويعظم في الصدر من جهة أُخرى وهو صغير

في الحيوانات اللبونة مندمج في اللوح كانهُ جزء منهُ بل هو في الانسان قسم صغير من اللوح بارز عنهُ قليلاً . كان هذا العظم في الزحافات فورثتهُ الطيور و بقي كبيرًا فيها لحاجتها اليهِ ثم ورثتهُ الحيوانات اللبونة ايضاً ولكن لعدم الحاجة اليهِ انحط فصار صغيرًا غير مستقل عن اللوح . ومما يثبت ذلك انهُ لايزال يظهر مستقلاً في احط الحيوانات اللبونة واغرب من ذلك ظهورهُ مستقلاً في اجنة الحيوانات اللبونة جمعاء . وكذلك الزند والكعبرة فهما في الاصل مستقلان كما تشاهدهما في الزحافات والطيور لكنك تجدهما عظماً واحدًا في المجترات وذوات الحافر والسبب فيهِ على ما يظهر التخصيص اي التقليل من الاجزاء مع الزيادة في شدتها ودليلك ان الزند وهو العظم المفقود عادةً يبقى اثرهُ ظاهرًا محل التحامهِ بالكعبرة

ومن مظاهر التخصيص أعظم الرسغ وهي ثمانية في الانسان لكنك قد تجدها اقل من ذلك عددًا في غيرهِ وذلك لاندماج بعضها في بعض بحيث تصبح قويةً جدًا على انها تكون ثمانية في اجنة تلك الحيوانات ثم تلتحم بعضها ببعض متى كمل خلقها . بقي علينا عظام اليد والاصابع فقد كانت هذه عديدةً في بعض الزحافات المنقرضة (وهي لا تزال كذلك في السمك) ثم صارت خمسة في الفقاريات ولا تقل عن هذا العدد الأ حيث التخصيص يقتضي الزيادة في قوتها . وكثيرًا ما يبقى للعظم المفقود اثر نستدل بهِ على فعل التخصيص وعلى التماثل التام بين الاجزاء اما الاسماك فلا عضد لها وما ذلك الا لانها اقدم الفقاريات وجدت قبل ان ترتقي الاطراف الامامية الى هذا الحد فبقيت على ما كانت عليهِ

هذا في الاطراف الامامية اما الخلفيَّة فالاختلاف فيها اي (عدم التشابه) قائم على ما يأتي — موضع الركبة والكعب — عدد الاصابع — عظم الساق والاسنان . فالذي يرى الركبة او الكعب في الانسان لايرى ثمت من تشابه بينهما وبين الركبة والكعب في الحيوانات العدَّاءة ولا سيما المجترات منها من حيث الموضع بالنسبة الى الجسم ولكن هذا الاختلاف لا اهميَّة لهُ البتة والظاهر ان المنفعة او الوظيفة التي خلقت قوائم هذه الحيوانات لاجلها اقتضت ان يكون القسم الواقع بين القدم والكعب اطول بكثير مما هو في الانسان ولكن تركيب القوائم واحد والتماثل كامل لمن تحرَّى الامر وامتحنهُ

وكما ان ناموس التخصيص القائل بان ازدياد عدد الاعضاء المتماثلة العمل في جسمٍ ما دليل على الانحطاط وان قلتها وصلابتها دليل على الارتقاء ظاهر في اليد كذلك هو ظاهر في الرجل واوضح مثال على ذلك قدم الفرس . قال مارش "كان الفرس في الدور الجيولوجي الايوسيني كالثعلب حجماً وكان لهُ خمسة اعظم وخمس اصابع في اليد وثلاث في

القدم وخلفهُ في آخر ذلك الدور فرس لم تكن لهُ غير اربعة اعظم واربع اصابع في اليد ثم تلاه في الدور الميوسيني فرسان وكانا اكبر من اسلافهما حجماً غير انهُ لم يكن لهما غير ثلاث اصابع في القدم واربع في اليد واحد منها اثري . وتبع هذين فرسان آخران بحجم الحمار ففي الاول منهما بدأ الاصبعان الخارجان يقصران فلم يأتِ الثاني حتى اصبحا قصيرين جدًا . وفي الدور الرباعي ظهر الفرس الحديث ولهُ اصبع واحدة هي الحافر على ان آثار الاصابع المفقودة لاتزال ظاهرة مما يدل دلالة واضحة على تدرجهِ في النشوء

هذا هو فعل التخصيص وهو مشاهد ايضاً في عظمي الساق وفي الاسنان وفي كثير من اجزاء الجسم . ولقد تحرَّى الجيولوجيون البحث في ذلك فكشفت لم المتحجرات عن كثير من الحقائق الراهنة فاذا قرأت مطولاتهم امكنك ان تعرف تاريخ عدد كبير من الحيوانات التي لم تصل الى هذا الوقت حتى مر اسلافها على تغيرات واضحة كل الوضوح . والذي نستنتجهُ من درس التاريخ الطبيعي ان الطبيعة لا تخلق شيئاً من لا شيء ولكنها اذا اضطرت الى القيام بعمل ما عمدت الى شيء موجود وكيفتهُ بحيث يصير مناسباً للقيام بذلك العمل . كانت الفقاريات الاولى اسماكاً او اشباهها فلم تكن تحتاج الاَّ الى اعضاء السباحة فلما نشأت الزحافات وصار الاحتياج الى آلة جديدة عمدت الطبيعة الى آلة السباحة وصيرتها تناسب الحيوان الجديد فلما جاء طور الطيور وصار الاحتياج الى اجنحة عملتها لها من الاطراف الامامية وما زالت كذلك تبدل وتغير حتى عملت للانسان يداً عجيبة في مبناها لكنها لا تفرق عن زعانف السمك واجنحة الطيور ويد الحيوان فرقاً جوهريًا

المثل الثاني — التماثل في الحلقيات

ولنأخذ الآن طائفةً اخرى من الحيوان نستقريء فيها الادلة على التماثل الحلقيات ويراد بها ما يسميهُ الافرنج Articulata وهي حيوانات غير فقارية مركبة من حلقات او مفاصل عديدة . يدخل تحتها الحشرات والسراطين والعناكب والديدان وغيرها . فما يشاهد فيها ان حلقاتها تقل كلما ارتفع حيوان منها في سلم الارتقاء وتكثر كلما هبط فيها . وهي من هذا القبيل خاضعة لناموس التخصيص الذي رأينا فعلهُ في قوائم الفقاريات . واليك البيان . خذ حيواناً من هذه الطائفة متوسط المنزلة فترى لهُ احدى وعشرين حلقةً وواحدًا وعشرين زوجاً من الاطراف او القوائم على ان هذه الحلقات والاطراف ليست على وتيرة واحدة بل تختلف باختلاف عملها . فان من الحلقات ما يلتحم بعضهُ ببعض فيتكون منهُ الرأس والصدر والبطن والذنب ومن الاطراف ما يستعمل لتناول الطعام ومنها ما هو للسباحة

والحركة وغير ذلك فاذا هبطنا الى ما دون هذا النوع رأينا الحلقات والاطراف تكثر ويزداد التماثل بينها حتى اننا نجدها في احط الانواع على تمام التماثل بحيث لا يختلف الواحد منها عن الآخر . وبعكس ذلك اذا ارتفعنا فانا نرى التشابه بين الاطراف والحلقات يقل حتى اذا وصلنا الى السرطان وجدنا جسمهُ قسمين رئيسيين. الحلقات الامامية اندمجت بعضها ببعض فحصل من اندماجها الراس والصدر والخلفية التحمت الواحدة بالاخرى فحصل منها الذنب او القسم الاسفل ثم اذا ارتفعنا الى الحشرات وهي ارقى الحلقيات رأينا التخصيص اجلى واظهر فالجسم هناك ثلاثة اقسام واضحة تتألف من ١٧ حلقةً ٣ للصدر و ٤ للراس و ١٠ للقسم الاسفل . واما الاطراف فانفردت الامامية منها بالحس والطعام والوسطى بالحركة واهملت الخلفية لعدم الحاجة اليها . هكذا نرى التدرُّج في الحيوانات الحلقية — الانواع السفلى منها بسيطة جدًّا ومتماثلة الاجزاء فاذا ارتقى الحيوان قلَّت حلقاتهُ وظهر الاختصاص فيهِ. وهذا الناموس ظاهرٌ ليس في الفقاريات والحلقيات فقط بل في كل اسباط الحيوانات وانواعها ناطقًا بوحدة الاصل فيها وشاهدًا على التدرج في نشوئها من البسيط المتماثل الى المركب المختلف

دلائل النشوء في الاجنَّة

من الحقائق المقررة في علم الحياة ان الفرد في نموهِ يمرُّ على نفس الادوار التي مرَّ عليها نوعهُ . وهاك امثلة على ذلك

(١) في الحيوانات البرّية المائية التي لا ذنب لها ومثالها الضفدع . فان هذا الحيوان يكون في اول اطوارهِ كالسمك فيتنفس بالخيشوم ويسبح في الماء ولو بقي في ذلك الدور لعد في صف الاسماك . ثم يصير في دورهِ الثاني اشبه ببعض الحيوانات البرية المائية السفلى فتظهر فيهِ الاطراف ويتنفس الماء والهواء على السواء . ولا تقف الضفدع عند هذا الحدّ بل ترتقي فتصير بشكل الحيوان المعروف بالسمندل . ولا تزال كذلك حتى تصبح بلا ذنب ويكمل نمو اطرافها . بلغت الضفدع هذا الحدّ بعد ان مرّت على كل الدرجات التي مرّ عليها نوعها من قبلها وذلك ظاهر جلي في الآثار الجيولوجية التي ترينا ان بعض الاسماك القديمة كانت في الدور الديفوني والدور السيلوري الاعلى بشكل الحيوانات المائية البرية وانهُ في الدور الكربوني ظهرت الطائفة الاول المذكورة انفًا ثم في الدور الثلاثي ظهرت الطائفة الثانية وآخر الكل ظهرت طائفة الضفدع

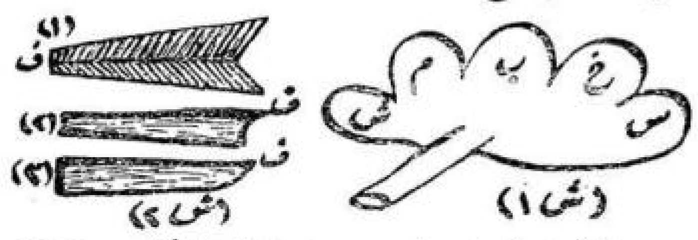
(٢) ومن دلائل النشوء في الاجنَّة الاقواس الاورطية . وهي ثلاثة ازواج من

الشرايين تخرج من القلب على هيئة الاقواس . فاذا شرَّحنا ورلاً (سقاية) رأينا هذه الاقواس تخرج من القلب ثم يتألف منها شريان كبير يجري نحو البطن . ومن الغريب ان هذه الاقواس لا توجد الاَّ في ما دون الوَرَل من انواع الحيوان ويستعاض عنها في الانواع العليا ومنها الانسان بقوسٍ واحدة هي الاورطى الكبيرة . فما تعليل ذلك

تعليلهُ ان الاقواس هي الخياشيم في الحيوانات المائية او الاسماك فوجودها هناك ضروري جدًّا وهي تظهر في الحيوانات المائية البرية كالخياشيم احيانًا فتتنفس تلك الحيوانات بواسطتها اما وجودها في الزحافات فدليل على ان الزحافات ارتقت من الحيوانات المائية البرية واذا صح ذلك لزم ان تحملها الوراثة الى الطوائف العليا ايضاً فهل لها من اثرٍ هنالك . نعم وهي تظهر جلية مدة نمو الفرد الى درجة النوع ففي ذلك الحين تظهر الاقواس كما تظهر في الطوائف السفلى لكنها تعود فتتحد بعضها مع بعض وتكوّن قوساً كبيرة هي الاورطى المعروفة في الانسان وغيرهِ من الحيوان ولزيادة الايضاح نقول . وجد المشرّحون ان في « سمكة الحربة » وهي احط الفقاريات (اذا صح ان تدعى فقارية) لا اقل من اربعين زوجاً من هذه الاقواس ثم وجدوا ان هذا العدد يقلّ كلما ارتقى نوع الحيوان الفقاري حتى انهم عدّوا منها في السمك المعروف باللامبري Lempray سبعة فقط وفي كلاب البحر خمسة وفي السمك العادي ثلاثة ثم انتقلوا الى الحيوانات البرية المائية فوجدوها كذلك وارتفعوا الى الزحافات فوجدوا في الورل (السقاية) ثلاثة ولم يجدوا غير اثنين في ما هو اعلى من ذلك من الزحافات ثم وصلوا الى الطيور والحيوانات اللبونة فلم يروا غير واحدة باقية على هيئتها الاصلية الموروثة من الطوائف السفلى . اما انها لا تظهر كلها في الحيوانات العليا فدليل على ناموس التخصيص الذي اشرنا اليهِ آنفاً وليس ذلك لينفي عدم انتقالها من انواع سفلى بداعي ظهورها في الاجنة التي تكرر تاريخ النوع في نموها

(٣) ومن اوضح الادلة على النشوء الآلي ارتقاء الدماغ . خذ دماغ السمك فهو مؤلف من خمس عقدٍ وهي النخاع المستطيل والمخيخ وعقدة البصر والمخ وعقدة الشم . انظر في (ش ١) فان ش عقدة الشم م — المخ ب — عقدة البصر خ — المخيخ س — النخاع المستطيل فترى ان مركز البصر اكبر المراكز في دماغ السمك . فاذا ارتفعت قليلاً عن السمك وجدت ان الدماغ باقٍ على حالهِ الاَّ ان المخ يبدأ يكبر نماً فوق السمك من الانواع حتى يصبح في الطيور وقد غطى قسماً من عقدة البصر . وتراهُ في الحيوانات اللبونة غير الانسان يغطي عقدة البصر كلها وقسماً صغيرًا من المخيخ وبعض عقدة الشم . وفي بعض القرود تراهُ

يغطي اكثر المخيخ . اما الانسان فمخهُ يغطي سائر اقسام الدماغ كلها فهو بلا شك ارقى الحيوانات دماغاً . والغريب ان هذا التدرج في نشوء الدماغ ظاهر في جنين الانسان . فان دماغ الجنين الانساني في اول اطوارهِ احط من دماغ السمك وما هو عندئذٍ الاَّ عبارة عن ثلاث عقد هي النخاع المستطيل وعقدة البصر وسرير الاعصاب ثم يرتقي الى ما يشبه السمك فينمو المخ من السرير والمخيخ من المستطيل ويزداد نموًّا فيصل الى الطور الزحافي فالطيري فاللبوني حتى يكمل نموهُ في الطور الانساني . وفضلاً عما ذكر نرى ان تلافيف الدماغ تكثر كما ارتقى الحيوان فدماغ السمك والزحافات والطير لا تلافيف ظاهرة فيها ثم تبدأُ تظهر في الحيوانات اللبونة وتكثر وتعمق كما ارتفع النوع في سلم الاحياء حتى تصل الى اسمى حالاتها في دماغ الانسان . وكل ذلك ظاهر في نمو الجنين



ومن الادلة العلمية ايضاً اذناب السمك . وهي ثلاثة انواع كما ترى في (ش ٢) فان (١) الذنب الشفعي والعمود الفقاري فيهِ لا يتجاوز الحرف (ف) حيث تتسع الفقرات فينبعث منها خيوط الذنب (٢) الوتري . والعمود فيهِ يمتد الى طرفهِ حيث الحرف (ف) (٣) المستطيل . وهو لا يختلف عن الوتري الاَّ بالهيئة الخارجيَّة

فاذا اخذت سمكة عادية رأيت ذنبها شفعياً ولكنهُ لم يكن كذلك اول ولادتها بل تغير من المستطيل الى الوتري فالشفعي . فلماذا هذا التغير لولا ان الاسماك العادية نشأت من طوائف احط منها ؟ يؤيد ذلك المتحجرات الجيولوجيَّة فان الاذناب في الاسماك الاولى كانت مستطيلة ثم صارت في الانواع التي فوقها وترية ولما ظهرت الانواع العادية (وذلك في الدور الجيولوجي المعروف بالطباشيري Cretaceous كانت اذنابها شفعية . وشبيه بهذا الارتقاء ارتقاء الاذناب في الطيور فان الاركيترِكس Archaeptrex (وهو اقدمها واكثر صلة رحم بالزحافات) كان ذنبهُ كالمروحة والعمود الفقاري فيهِ يمتد الى الطرف . ففي الدور الطباشيري نرى الطيور والعمود الفقاري لا يمتد في اذنابها الى ابعد من منتصفها . اما في الحديثة فهو لا يبرز عن الجسم الاَّ قليلاً . على ان الذنب في الطيور وهي في الحالة الجمصية

يكون كاذناب الطيور التي عاشت في الدور الجيولوجي المذكور

بقي علينا في هذا الباب الاعضاء الاثرية ولقد بحث فيها غير واحد من كتبتنا واخص منهم بالذكر الدكتور امين ابي خاطر فمن اراد الاطلاع على شيء من ذلك فليراجع مقتطف السنة الاخيرة اي سنة ١٩٠٨ فان فيهِ اموراً يجدر بالباحث معرفتها · ولا ريب ان في درس الاجنة مئات من الشواهد الواضحة على النشوء او على تكرير الفرد لتاريخ النوع وانما اكتفيت بهذا النزر القليل حرصاً على اذهان الجمهور من الملل انيس الياس الخوري

الفضائل

ظهرت في مصر منذ سنين عديدة حركة ترمي الى الاستقلال السياسي والحرية السياسية وهي حركة شريفة يشكر عليها كل مشترك فيها اذا سار في خطة حكيمة رشيدة ولازم التأني والاعتدال ودخل البيوت من ابوابها

ولكن هناك امر لا بد منهُ لبلوغ هذا الاستقلال ويجب على كل محب لمصر الاهتمام بهِ وهذا الامر هو تقويم الاخلاق وتهذيب النفوس كي تتحرر من عبودية الاهواء وتنال الاستقلال الادبي الاخلاقي

ليس العار ان يكون الانسان خاضعاً لاحكام غيرهِ بل العار كل العار في ان يكون عبداً لشهواتهِ واسيراً لاهوائهِ · لذلك وجب على كل من لهُ لسان ينطق وقلم يكتب ان يعمل لتهذيب الاخلاق وترقية النفوس وتحرير الارادة من رق الشهوات

وقد وجدت من الواجب عليَّ نحو مواطنيَّ الافاضل ان الفت انظارهم لهذا البحث المفيد بسلسلة مقالات عزمت على نشرها على صفحات المقتطف كلما سمحت الفرصة وقد جعلت موضوع هذه المقالات اهم شيء في تكوين اخلاق الانسان وهو الفضائل والبحث في هذه المقالة يتناول (١) تعريفها — (٢) منافعها — (٣) طريقة الحصول عليها — (٤) علاماتها — (٥) تقسيمها

(١)

(تعريف الفضيلة) الفضيلة (لغة) هي المزية وخلاف النقيصة والرذيلة كالمحبة والقناعة ونحوها والدرجة الرفيعة في الفضل · والفضل ضد النقص · والبقية والزيادة

(وخلقاً) هي الملكات الكريمة التي تعصم الانسان عن الرذائل والنقائص وترفعهُ الى اوج الكمال الانساني · بل هي تاج مرصع على رؤوس الفضلاء وصولجان يملكون بهِ

الشهوات ويقعمون بصولتهِ الدنايا والمنكرات

بل هي نعمة انعم الله بها على عبادهِ الصالحين المتقين رفع بها مراتبهم عن بقية بني الانسان وميزهم بها على اخوان الحيوان

(٢)

(منافع الفضيلة) وللفضيلة منافع وفوائد تعجز عن احصائها الاقلام البليغة وعن وصفها الالسن الفصيحة

قال شاكسبير الشاعر المشهور في وصف الانسان انهُ قد يعلو حتى يسمو على الملائكة ويسفل حتى ينحط عن الشياطين والابالسة . وما ذلك الرجل السامي الذي فاق الملائكة نوراً وبهاء سوى رجل الفضيلة — وما هذا الانسان القبيح الخيف القذر الأ نصير الرذيلة

لا ينفع الانسان جمال وجههِ وحسن بزتهِ اذا كان خلقهُ قبيحاً وكانت نفسهُ دنيئة — ما هذه الهيا كل الانسانية التي ترونها امامكم سوى مساكن تاوي اليها الارواح فماذا يفيدكم جمال المسكن اذا كان الساكن قبيحاً . وماذا تنفعكم نظافة المأوى اذا كان الآوي اليهِ خنزيراً

ان للجسم لذات لا تنكر ولكن الانسان ميَّال للمبالغة فيها — وللنفس والعقل لذات اعظم واكبر ولكن قلة تربية النفوس قللت من قيمتها وحطت من مرتبتها

وليست الفضيلة مانعة للذات الجسدية ولكنها مرتبة لها تحصرها ضمن دائرة الاعتدال والحلال وتمزجها بمزيج التقوى والشرف والعدالة

الفضيلة — تجعل الضمير مطمئناً والبال هادئاً — الفضيلة تجعل الانسان شاعراً بانهُ شريف ومحبوبٌ للناس ويجاب لهُ احترامهم واعتبارهم حتى لو كانوا من ألد اعدائهِ

قالوا ان (العدل اساس الملك) واقول ان (العدل مظهر من مظاهر الفضيلة) وان الفضيلة اساس الاجتماع والعمران بل اساس نجاح الفرد ونجاح المجموع

لولا الفضيلة لعم الظلم وانتشر الفساد وساد الكذب والنفاق وتسلط الشقاق والشر . وفاز الشره والطمع ومات العدل وانقرضت النزاهة . واندثر الصدق . واندحر الاتحاد . وقضي على الشرف والعفة والقناعة والصبر والجلد والشجاعة

لولا الفضيلة لما بقي لاحد من بني الانسان صحيفة بيضاء ناصعة بل لكانت كل صحائفهم ملوثة بالفضائح مدنسة بالمنكرات والقبائح

لولا الفضيلة لعقَّ الولد اباهُ وقسي الوالد على بنيهِ . وانكرت الاخت اخاها . وتبرأ الاخ من اختهِ

لو سادت الفضيلة عندنا ولو بين زعمائنا وكبرائنا لما سمعتم باختلال الامن العام ولا بتلك الجرائم والمنكرات . لو سادت الفضيلة عندنا بين قادة الافكار والكتاب والادباء لسرنا سيرًا سريعًا نحو النجاح والارتقاء . لو سادت الفضيلة عندنا بين المعلمين والمعلمات والمربين والمربيات لكان لنا بعد زمن قليل جند من جنود الخير نتقي بهم هجمات الشر وندفع بمجموعهم جيوش المعاصي والموبقات التي اتخذت في الناس جراحًا وسودت وجوهًا كانت قبل ذلك بيضاء

(٣)

طريقة الوصول الى الفضيلة

ورب سائل يسأل اذا كانت هذه منافع الفضيلة فكيف السبيل الى تحصيلها

الجواب على ذلك — كل من سار على الدرب وصل — ان طريق الفضيلة في أوله وعر لا بد لصعوده من تجشم المشاق والتعرض للاشواك والأدغال والقيظ والبرد القارس ولكن متى سار الانسان فيهِ رأى المصاعب تقل والمشاق تخف وتعودت نفسهُ على مغالبتها ومكافحتها والفوز عليها وفي الفوز لذات لا تنكر . ثم متى قطع قاصدها المرحلة الاولى رأى نفسهُ في خمائل وروض وجنات تجري من تحتها الانهار في مكان مرتفع محاط بالمناظر الطبيعية الجميلة واذا اجال طرفهُ رأى واديًا ضيقًا منحدرًا ملآنًا بالوحول ورأى اناسًا فيهِ يتمرغون بتلك الاوحال و يحاولون الهرب منها والصعود الى فوق ولكن الطريق زلقة والمياه القذرة تنحدر فيها كالسيل الجارف فلا يمكن للذين انحدروا الى هذا القاع ان يصعدوا الى اعلى و يقاوموا هذا السيل العرم

اما (طريق الرذيلة) فانهُ واسع في البداية ترى فيهِ الرياحين والازهار فتشمها ولكنها مسمومة مخدرة للاعصاب لا تلبث ان تسكر الداخل فيتوغل فيها و ياخذ في الانحدار وكلما تقدم في الطريق زاد الانحدار وتكاثرت المياه القذرة حتى تصبح كالسيل فتأخذ الداخلين وتخطف ابصارهم وتعمي بصائرهم وما هي الا عشية وضحاها حتى يروا انفسهم سابحين في بحر من الوحول يستنشقون الروائح الكريهة ويتخبطون في ديجور من الظلام خبط عشواء فاذا لاح لهم وميض برق نظروا الى اعلى فرأوا جبل الفضيلة الشاهق بجنانهِ وانهارهِ وسكانهِ وروائهِ ونورهِ فندموا على سقوطهم في هوة الرذيلة واخذوا يفكرون في الخروج من هذا المازق والتخلص من هذا المضيق ولا خلاص ولا مناص

ما هذه تخيلات واوهام بل هذه حقائق ترونها كل يوم بعين البصيرة ولا اخال واحدًا

منكم لم ينفطر فوادهُ حزناً على صديق لهُ سقط من عرش الفضيلة الى هوة الرذيلة بعد ان سعى ذووه واصدقاؤُهُ في انتشالهِ فعلينا أن نرسم امام اعيننا خطة الفضيلة ونسير فيها وعلينا ان نحاسب انفسنا كل يوم ونقيس المسافة التي قطعناها ونبحث في اتجاهنا وهل حدنا عن الخط المرسوم ام لا نزال عليهِ

ولكن هل يكفينا ذلك — كلا بل علينا واجب مقدس وهو ان ننظر الى ذوينا ومن هم تحت مراقبتنا ونضع لهم خطة السير ونلاحظهم كيلا يضلوا السبيل · وننظر ايضاً الى مواطنينا ونرشدهم ونناديهم اذا ضلوا ونرجعهم الى الصراط السويّ · واذا عثر احدهم وابتدأ في الانحدار والسقوط فعلينا ان نرمي لهُ حبل النجاة ونرسلهُ اليهِ لكي يتمسك بهِ ثم نجذبهُ الى مكان النجاة والسعادة فليست الفضيلة قاصرة على انقاذ الانسان نفسهُ من الرذيلة بل من الواجب علينا ديناً وشرفاً ومروَّة ان لا نبخل على غيرنا بالمساعدة والمعاونة

ومن اهم الطرائق للوصول الى الفضيلة درس مبادئها وتعاليمها والاقوال المأثورة عنها وعن تأثيرها في ترقية الانسان والامتناع عن قراءة الكتب الساقطة المخالفة للآداب والاديان وعن السكر والمقامرة ومعاشرة الاشرار والساقطين لان مكروب الشركثير العدوى عظيم الخطر· وملاحظة اقوال الفضلاء المعاصرين لنا واعمالهم واستحسانها سرًّا وجهرًا واقوال واعمال انصار الرذيلة وتحقيرها في الخفاء والعلانية واعادة الانسان نظرهُ في كل ما قالهُ وعملهُ في يومهِ وتطبيقهُ على مبادئ الفضيلة وتعويد النفس على الارتياح والسرور عند اتيان اي عمل شريف مطابق للذمة والتألم والندم عند اتيان اي عمل دنيء او مخالف للذمة والضمير والسعي في تطهير النفس من الاميال الدنيئة وغرس الملكات الطيبة والاخلاق الشريفة — والخلاصة ان من واجبات كل فاضل ان يعمل في آخر كل يوم ميزانية اعمالهِ فيضع الاعمال الفاضلة في جدول المكاسب والاعمال والرديئة في جدول الخسائر ومن واجباتهِ ايضاً ان لا يعذر نفسهُ بل يحاسبها على اقل هفوة ويؤَنبها اذا ضلت طريق الفضيلة

ولما كان الانسان كثيرًا ما يمنعهُ الغرض عن تمييز حقيقة اعمالهِ فلا بد لهُ من اختيار صديق او اكثر ممن مارسوا الفضيلة والفوها ليراقبوا سلوكهُ ويمحضوهُ النصح فاذا حاد عن الطريق السوي اعادوهُ اليهِ بالموعظة والقدوة الحسنة وحبذا لو وجد الانسان اولئك الناصحين في ذوي قرباهُ فانهم يكونون ابرَّ بهِ من الغريب واذا تعذر ذلك فالغريب الفاضل خير من القريب العاطل

(٤)

علامات الفضيلة

للفضيلة علامات — وللرذيلة دلائل

اذا نظرت من بعيد نسورًا حائمة على مكان علمت ان فيهِ جيفة · واذا مررت بمكان وشممت رائحة منتنة علمت ان هناك جثة او اقذارًا او شيئاً متعفناً

واذا اقبلت على بقعة من البقاع وشممت رائحة زكية علمت ان هناك ازهارًا ورياحين

وللفضيلة رائحة عطرة كما ان للرذيلة رائحة خبيثة عفنة منتنة

الشجرة الطيبة تعرف من ثمرها — والشخص الطيب يعرف من اعمالهِ

يحاول كثيرون من الساقطين في مهواة الرذيلة ان يغشوا الناس ويخدعوهم فيسرقون ثوبًا من اثواب الفضيلة ويلبسونهُ ولكن اذا وجه العاقل مناظر البحث الى هذا الثوب وجدهُ يشف عما تحتهُ من الدنايا والارجاس . ولا بد للحق ان يسود الباطل · ان الله يحق الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً

من علامات الفضيلة

(١) استهجان الرذيلة وتحقيرها وعدم التماس العذر لصاحبها · لان اكثر الذين يعذرون الرذيلة يميلون في سرهم اليها (ومن كان بيتهُ من زجاج لا يجرأ على رشق الناس بالحجارة)

(٢) قوة الارادة لان الرذائل في هذا العالم جذابة براقة تخدع النفوس الضعيفة وتأسر الارادات الواهنة

(٣) التقوى الحقيقية وهي الاعتقاد بالخالق وبانهُ مدبر هذا الكون وبان شعرة واحدة من راس الانسان لا تسقط بدون اذنهِ · ومن لوازم هذا الاعتقاد السير حسب وصايا الدين

للدين علاقة سببية عظيمة بالفضيلة فقد خلق الانسان ميالاً لارضاء شهواتهِ واهوائهِ فلا يمنعهُ عن المعاصي والدنايا سوى خوف احتقار الناس اياهُ وخوف العقاب

اما احتقار الناس وعقاب القانون فاجتنابهما ميسور بالتستر لذلك تجد كثيرين ممن يدعون الفضيلة يرتكبون اعظم المحارم والآثام سرًا — واما العقاب الالهي في الدنيا والآخرة فهو الرادع الاكبر للمتقين الحقيقيين

(٤) معاشرة انصار الفضيلة والابتعاد عن اشياع الرذيلة

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ فكل قرين بالمقارن يقتدي

كل من يميل الى احتكاك بساقط لا بد ان يكون ساقطاً — وكل من يبتعد عن الادنياء ومعاشرتهم ومخالطتهم ويتقرب من الاتقياء والفضلاء لا بد ان يكون تقياً فاضلاً

واحذر معاشرة اللئيم فانهُ يُعدي كما يعدي السليم الاجربُ

(٥) الابتعاد عن اسباب المعاصي — لان النفس امارة بالسوء واحسن طريقة لاجتناب الخطر اتقاء اسبابهِ والابتعاد عنهُ وعدم التعرض لهُ — فقد تكون خطوة واحدة في ارض كثيرة الزلق سبباً في وقوع صاحبها في هوة الهلاك

ومن اسباب المعاصي — المسكرات — والمقامرة — والاستهتار بالصغائر الذي يؤدي الى الكبائر

(تقسيم أُم الفضائل)

عرفنا الى الآن ما هي الفضيلة وما فائدتها — وما هي طريقة الوصول اليها . وما هي العلامات الدالة عليها . وبقي علينا ان نبحث في تقسيمها

تنقسم الفضائل الى قسمين

فضائل اصلية وهي عبارة عن امهات الفضائل — وفضائل فرعية وهي ناشئة من الاولى والفضائل لاعداد لها ولكننا سنقتصر الكلام على اهمها وهي :

ا (الاستقامة) فضيلة اصلية ويتفرع منها (١) الصدق (٢) الوفا (٣) الامانة (٤) والعدل

ب (العفة) ويتفرع منها (١) القناعة (٢) التقشف (٣) الزهد في الدنيا

ج (المحبة) وتتفرع منها (١) المودة (٢) الشفقة (٣) النجدة (٤) المروة (٥) والاحسان للفقير

د (الشجاعة) ويتفرع منها (١) الاقدام (٢) الصبر (٣) الجلد (٤) قهر النفس وهو اعظمها

وموعدنا المقالة التالية وموضوعها (الاستقامة) (نجيب شقرا)

عبد الحميد في نظر الطب

بحث فزيولوجي بسيكولوجي (١)

اذا كان في مستطاع الطب اليوم ان يحكم في اخلاق مشاهير الرجال الغابرين وسائر اطوارهم بسيكولوجياً وفزيولوجياً بالنظر الى علاقتها بحالاتهم العصبية من نفس افعالهم التي وصلت الينا من خلال التاريخ في القرون البعيدة كموسى وعيسى ومحمد من الانبياء والاسكندر ونابليون من الفاتحين وتيمورلنك ونيرون من الجبابرة السفاحين فبالاولى ان يستطيع ذلك في الرجال الحاضرين بقطع النظر عن درس طباعهم ومراقبة حالاتهم العصبية عن قرب بل من مجرد البحث في افعالهم فقط

لا ريب في ان عبد الحميد من اشهر مشاهير هذا العصر وسيعد له التاريخ صفحة كبيرة · والشهرة لا تدل دائماً على العظمة وكبر الصفحة ليس دائماً دليل المجد

ان عبد الحميد بين ملوك هذا العصر يكاد يكون نادرة لا لانهُ لم يقم لهُ شبيه في التاريخ الماضي او لا يوجد لهُ شبيه في التاريخ الحاضر · فان جميع الملوك في الماضي البعيد كانوا مطلقي الايدي مستبدين ارادتهم قوة تشريعية وتنفيذية معاً · وملوك الصين اليوم ليس فوق سلطتهم سلطة يرضخون اليها · بل لانهُ كان سلطان مملكة شاغلة اهم بقعة في الارض بمركزها الجغرافي ذات شعوب متباينة من حيث التربية والاستعداد · فبينما هي في اقصى الهمجية في بعض الجهات اذا هي تنفقهُ ارقى مزايا المدنية في بعض الجهات الاخرى. وبينما هي من اصول نشأت في حضن الحكم المقيد في بعض الاقوام اذا هي لم تعرف غير الحكم الاستبدادي في بعض الاقوام الآخرين . قال ابقراط . « ان اهل اوربا تحكمهم شرائعهم واما اهل اسيا فتحكمهم ملوك » · والمملكة التي كان يحكمها عبد الحميد تمتد املاكها في هاتين القارتين · ونظراً الى مركزها هذا المتوسط في قلب الممالك والذي هو الصلة بين الشرق الاقصى والغرب الاقصى هي مرتبطة ارتباطاً شديداً بمصالح الامم الاخرى مما يجعل امرها ذا شأن عظيم جداً في امور تلك الامم وممالكها بحيث لا يمكن لهذه الامم ان تنصرف عن الاهتمام بها اهتماماً كلياً حيوياً لحفظ كيانها سليماً من الطوارىء والامم المتمدنة على قيد شبر منها · ومع كل ذلك فعبد الحميد استطاع ان يعيش كل مدة حكمهِ سلطاناً مطلقاً دائماً

(١) اي من حيث حالة الاعصاب وافعال العقل

على كل الشرائع الوضعية حتى الالهية نفسها وان يكن قد تذرع بهذه الاخيرة احياناً كثيرة الى تأييد حكمهِ ودعمهِ بدعائم دينية قوية

يقول جمهور الاخلاقيين اليوم ان عبد الحميد تمكن من كل ذلك لانهُ على جانب عظيم من الذكاء والدهاء حتى اجاز على رعاياهُ وسائر الامم فوز اغراضهِ وسيتبعهم في هذا القول المؤرخون ايضاً بلا ريب بل هو في نظر البعض اعظم داهية في هذا العصر ويريدون بهذا القول انهُ ذو مدارك عقلية فائقة • ولا ينكر عليهِ ان قواهُ العقلية مترابطة في مراميها متناسقة في استنباطها وانما هذا وحدهُ لا يجعلهُ في مصاف اصحاب العقول الكبيرة حقيقة الاَّ في نظر الذين يحكمون في اعمال العقل بالنظر الى جسامة الحوادث المترتبة على تدبيرهِ بقطع النظر عن ماهية الحوادث المترتبة على هذا التدبير

عبد الحميد يعتبر اليوم في قوة فهمهِ اعظم ممثل للذكاء الشرقي الفطري الذي قضت عليهِ التربية العلمية الحديثة وفي سلوكهِ اعظم ممثل للسياسة القديمة الشرقية المكتسبة من تربية الشرق الاجتماعية والتي كان آخر ممثل عظيم لها في الغرب السياسة البزماركية مع الفرق بان السياسة البزماركية لم تتذرع بتلك الاسباب المشجوبة الاَّ للتوصل الى النتائج الحميدة في مصالح المملكة العامة . واما سياسة عبد الحميد فواحدة في التناسب بين اسبابها القريبة ونتائجها السيئة البعيدة غير قاصد فيها الاَّ مصلحة نفسهِ الخاصة

عبد الحميد ورث عن اجدادهِ ومجتمعهِ طبائع متخاصمة فهو نسيج من اخلاق الجبان الحاذر والمداجي الماكر والغليظ القلب القاسي وهذه الصفات وان كانت عامة في جميع الامم الاَّ ان الشرق هو الاسبق فيها لنوع احكامهِ المطلقة كما تقدم • وهذا يؤثر في اخلاق الامم تأثيراً سيئاً اقلهُ ذل النفوس وانقاد الشر بانواع الحيل ولا يزال السابق فيها حتى اليوم لفقد العلم منهُ • واكتسب من نوع تربيتهِ البيتية التي شبَّ فيها كالسجين بين جدران قصرهِ قلة ثقتهِ بغير نفسهِ وحذرهُ من كل من سواهُ واعتقادهُ الراسخ فيهِ ان مصلحتهُ لا تتفق مع مصلحة غيرهِ • وتربيتهُ العلية لم يكن فيها شيءٌ ينزع منهُ مثل هذا الاعتقاد ويزيل منهُ تلك الاثرة الناشئة عن تربيتهِ العرفية المتسلسلة اباً عن جد والمحفوظة في قلوب حاشيتهِ ومهذبيهِ والمنقولة اليهِ بلسانهم من ان الملك الذي سينتقل اليهِ انما هو لهُ وحدهُ لا لله ولا للناس فلا مصلحة من ورائهِ الاَّ مصلحة نفسهِ وليس في علمهِ واختبارهِ نظراً لمعيشتهِ المنقطعة عن العالم ما يرشدهُ الى ان مصلحة نفسهِ تكون اضمن واجل اذا اتت من وراء مصلحة امتهِ

والملوك الذين يتربون هذه التربية لا يستغرب منهم انهم يخالفون في سياستهم وسلوكهم مع رعاياهم المعقول والمنقول بل العجب منهم ان يسلكوا هذا السبيل السوي لمصلحة الرعايا انفسهم . ولذلك كان كل الملوك الذين تربوا هذه التربية في كل العصور وفي كل الممالك ينشأون على هذه الاثرة وهذا الترفع عن سائر الناس وقلة الاعتداد بهم الاَّ لاغراضهم . لاذمام لهم غالباً ينكثون عهداً ولا يحفظون وداً . حتى انك لترى صحة هذا القول في تربية ملوك اوربا الراقية اليوم بحسب درجة تقيدهم بامتيازاتهم او انطلاقهم منها فان نعرة تلك الامتيازات لا تزال تعمل فيهم عند اقل عارض يعرض لهم كانهم في اعتقادهم من طينة فوق طينة سائر الناس ولا ريب ان ارقى الملوك اليوم علماً واختباراً هو ملك الانكليز الحالي لانهُ اختلط بالناس كثيراً قبل ان تبوأ عرش الملك فهو اقرب الى عامة الناس منهُ الى آلهة الملوك واعرف بطباعهم فهو اقرب الى رؤساء الجمهوريات المنتخبين من الشعب منهُ الى الملوك النازلين من فخذ جوبيتر

وما عدا هذه الامور العامة فان هناك اموراً خاصة اتفقت لعبد الحميد جعلتهُ في منتهى الخوف والحذر والامتناع عن مخالطة الامة وهي تبوُّءهُ الملك بعد خلع سلطان قُتِل اوانتحر وآخر جنَّ او استجنَّ وحصول كل ذلك بمساعي طائفة من اصحاب النفوذ ما زالت محيطة بهِ في اول الامر . ورأى تلك العبر فاشتدت بهِ المخاوف من كل من حولهُ ولم يعد يرى في المقربين منهُ الأكل يد اثيمة . واشتد حذرهُ من كل شيء حتى من الهواء الذي يستنشقهُ والماء الذي يشربهُ والطعام الذي يأكلهُ . ووقع من جراء ذلك في حالة عصبية تهيجية اشبه شيء بوسواس المضطهدين فلم يكن لهُ هم سوى التفكير في وقاية نفسهِ والتخلص من كل من توهم انهُ سبب في الانقلاب السابق وان وجودهُ خطر عليهِ . وقد احسن التدبير حتى فتك باولئك المقربين متدرجاً من العزل فالابعاد فالنفي الى القتل وحتى انهُ قلب النظام الجديد الذي كانوا قد وضعوهُ واعاد النظام القديم

ولكن وسواسهُ الاضطهادي لم يقف بهِ عند هذا الحد بل استمرَّ بهِ على تزيد فلم يأمن على نفسهِ حتى من النظام القديم الذي كان معمولاً بهِ على عهد سلفائهِ والذي يجعل الحكومة في ايدي رجال مسؤولين . ولم يطمئن لهُ بال حتى جعل كل شيء في يده فقلبهُ شيئاً فشيئاً حتى صارت ادارة الاحكام كلها لهُ وصارت موارد الدولة كلها ترد الى خزينتهِ فاستخدمها لقضاء مآربهِ صوناً لحياتهِ يغدقها على هذا المقرب ويقصي بها ذلك المبعد ويتخلص من ذلك الذي اشتدَّ قلقهُ منهُ . يضرب الواحد بالآخر حتى يكون الواحد رقيباً لهُ على

الآخر · ولم يقتصر بهِ ذلك على رجال الوظائف الادارية بل اشتدَّ بهِ الوسواس حتى لم يعد يأْتمن على نفسهِ حاشيتهُ التي تقيم معهُ في قصرهِ ولا خدمهُ الذين يخدمونهُ ولا نساءهُ انفسهن فكان يستعمل معهم جميعهم نفس سياسة التفريق التي كان يستعملها بين رجال دولتهِ · ولم يكن يستنكف ان يقتص منهم بنفسهِ حتى لم يكن يفارقهُ مسدسهُ يقتل بهِ ايًّا كان منهم لحركة تصدر منهُ توقع عندهُ الريب فيهِ · وما اسرع تسرُّب الريب اليهِ وكم قتل بهِ ابرياء لمجرد الوهم فقط حتى انهُ قتل يوماً ابنتهُ الصغيرة لانها استغفلتهُ ورأَت على طاولتهِ مسدساً فاخذتهُ لتلعب بهِ شأْن كل الاطفال فتوهم انها مغراة على الفتك بهِ فأودى بها وهو مع ذلك كان يحبها محبة شديدة وانما الوسواس الاضطهادي كان بهِ اشد من ذلك الحب الابوي فهو مغرًى بهِ ومدفوع الى العمل بموجبهِ بقوة تفوق كل عاطفة أُخرى

ثم اشتد بهِ هذا الوسواس حتى تجاوز بطانتهُ الى مجموع الامة كلها فاقام بعضها على بعض والقى العداء بينها بحجة الدين يستميل بذلك قوماً ويرهب آخرين ويشغل البعض بالبعض بالمجازر التي امها في اول الامر وجلاً قتلاً في الافراد ثم الفها مذابح في الجموع حتى صار الفتك بهِ طبيعة · وخاف من كل واحدٍ من افراد الامة فجعل بعضها جواسيس على بعض · وصادف من الامة أعواناً خونة لقضاء اغراضهِ في سبيل مخاوفهِ حتى لم يعد يأْمن الواحد على نفسهِ من اهل بيتهِ أنفسهم · وهو كلما زاد ايقاعاً بالامة زاد استهواء في وسواسهِ واسترسالاً في استنباطهِ اساليب الشر الواقية وليس يبعد ان تكون الحال قد انتهت بهِ الى انهُ لم يكن يستطيع ان يفكر كيف انهُ سيمضي وفي المملكة بعدهُ ديَّار ونافخ نار لان هذا الضرب من الوسواس معهود خصوصاً في اصحاب السلطان كنيرون رومية الذي احرقها ليقوم وحدهُ متفرجاً عليها

وربما كان في اول الامر يتأثر بعض الشيء من القتل لانهُ لم يكن يقدم عليهِ بتلك العزيمة التي لم تعد بعد ذلك تعرف حذرًا ولا ندماً والتي اشتدت بهِ في مجازر ارمينيا وكان في نيتهِ اخيرًا ان يشبك المملكة كلها بها غير مقدر العواقب فيها لولا انها نشبت بفعل التقادير قبل ان تضيحت معداتها كلها كما كان يرغب والتي لو تمت لكان بها القضاء التام على المملكة · وذلك لميلهِ هذا الى الفتك اكثر مما الى استرجاع نفوذهِ المطلق الذي فقدهُ بالنظام الجديد لان مثل هذه الحالات العصبية التي تدفع الانسان الى القتل لمجرد القتل فقط كثيرة تشاهد حتى في النساء الوديعات فيقتلن الاطفال ويتسترن وربما بكينهم بعد ذلك · ويشاهد ايضاً في الامهات انفسهن فيقتلن اولادهنَّ يفعلن ذلك مع اتخاذ كل

الاحتياطات اللازمة لجعلهن المقدمات تنطبق على النتيجة مما يحمل على الاعتقاد بان قواهن العقلية سليمة وهي على هذا الحال من الخلل

ولا يعقل ان يكون الامر بعبد الحميد غير ذلك والا فلو كان الدافع له على هذا التدبير الاخير استرجاع ما فقده من النفوذ فهو لم يفقد بالحقيقة بعد الانقلاب الاول الا متاعب الملك وتوفرت له كل امتيازته الحسنة حتى كاد الناس يتناسون مساوئه الماضية مما يحسن بكل عاقل الاستمساك به لا سيما وان هذه الطريقة لم تكن مأمونة لنيل ما يتوخاه بها من ذلك بل كل عاقل يرى بها زوال سلطته ومملكته وتعريض حياته للخطر ايضاً وهو في اعماله الماضية لم يأت عملاً يكون من ورائه مثل هذا التعريض بحياته حتى انه لما رأى ان لا قبل له بالمقاومة في اوائل الانتقاض عليه سلم بكل مطالب الامة معتذرًا بان الخونة هم الذين كانوا يحولون بينه وبين هذه المطالب التي كان يرغب فيها من كل قلبه . وما فعل ذلك الا حرصاً على حياته لاعتباره ان السلطة التي فقدها بذلك ليست مما يستمسك به ما دامت غايته الكبرى من سلامته متوفرة له فكيف ينكث اخيرًا العهد الذي اعطاه على نفسه ويحنث باليمين التي اقسمها وسلطته لم تمس في جوهرها . فلو لم يكن حب سفك الدم هو الذي دفعه الى ذلك منقادًا اليه بتلك الهواجس ومدفوعاً اليه بذلك الميل المكتسب الذي تأصل فيه وصار من طبعه لغير غاية الا غاية سفك الدم لما اقدم على هذا التدبير وغرّر بنفسه الى هذا الحد وهو غير آمن من العواقب ولا هو مضطر

فمدارك السلطان عبد الحميد كانت كل ايام حكمه منصبة لخدمة هواجسه وهي من هذا القبيل كانت محكمة ممتازة متناسبة تامة الارتباط بين المقدمات والنتائج كما في كثيرين من اصحاب الوساوس الذين ينحصر وسواسهم في موضوع واحد. وكما ان هؤلاء لا يعدون من اصحاب العقول الكبيرة فهو لا يفضلهم ايضاً وان كان قد سلم له ثلثا ملكه مدة حكمه بخسارة الثلث فقط فليس ذلك لحسن تدبيره وحصافة رأيه بل لاختلاف مصالح الدول الطامعة . واذا كانت الامة قد صبرت عليه كل هذا الزمان الطويل وهو يعيث ويخرب فليس من حسن تدبيره بل لان اختلاف اجناسها وأديانها ولغاتها وجهلها ساعده عليها

فاذا نظرنا الى الاسباب التي حفظت عبد الحميد سلطانًا على هذا الملك المتداعي الذي ارهقه كل هذا الزمان الطويل فهي من قبله اسباب سلبية فقط اذا جاز لنا ان نستعمل مثل هذا التعبير وما عهدنا بان ذلك من صفات العقول الايجابية . واما الاسباب الايجابية الفعلية فهي خارجية من تنافس الدول وداخلية من حالة تربية الامة الاجتماعية

هذه هي حالة عبد الحميد البسيكولوجية الفزيولوجية مع امتهِ مستنتجة من افعاله مدة حكمهِ الطويل فما بالك بالامة التي كان هذا سلطانها المطلق مدة ثلاث وثلاثين سنة والتي لا يزال كثيرون منها اليوم يبكون حسرةً عليهِ ! — واما ماذا يكون من امرهِ بعد امرهِ فقد تتغير اطوارهُ من الضد الى الضد ويذوق راحة من هواجسهِ لم يعرفها من قبل· اذ ليس علاج انجع في مثل هذه الوساوس من الانتقال بصاحبها من مركز الى ضدهِ وان لم يكن بالعلاج الشافي دائماً · اما مسؤُوليتهُ الحقيقية من وراء كل ذلك فتختلف فيها وفي نظرنا انهُ اذا كانت المسؤُولية الادبية تجد مخففاً لها عنهُ من حالتهِ هذه فالرزايا المادية التي لحقت بالامة من جرائها تبعتها في مثل هذا الموقف تلتصق بالامة وحدها لان المال السائب يعلم الناس الحرام · وقد تحملت الامة عاقبة جهلها · واما المسؤُولية الحقيقية فعلى الدول الراقية المسؤُولة وحدها لدى الانسانية المتضامنة

الدكتور
شبلي شميل

نيتشه وابن الانسان (1)

اصدرت الجمعية اليوجنية (Eugenics' Society) مجلة شهرية الغرض منها نشر ما يعرف عن العلوم اليوجنية بين الشعب وحمل الحكومة على جعل قوانينها منطبقة على مبادىء هذا العلم الجديد

اليوجنية علم وضع اسمهُ المستر فرنسيس غلتون رئيس الجمعية اصولهُ مأخوذة من قوانين علم الحياة وغرضهُ منع العوامل التي تؤُول الى اضعاف النسل كمنع زواج اصحاب العاهات الوراثية — وتقوية العوامل التي تؤُول الى تحسين النسل كتشجيع الزواج بين اصحاء الاجسام والعقول · وهذا كلهُ مبني على قانون دارون : بقاء الاصلح والانتخاب الصناعي · ويتوقف نجاح الجمعية طبعاً على ميل الامة الى تحسين نسلها وما يشاهد من رواج بيع مجلتها الجديدة يدل على قوة هذا الميل

وليس غرضي شرح الطرق التي ستتخذها الجمعية للوصول الى غايتها من تحسين النسل وانما ذكرت خبر هذه النهضة مشاهداً على اهتمام الامة الانكليزية بنسلها وتنبيهاً للقارىء الشرقي الى مستقبل بلادهِ · وغرضي من هذه المقالة شرح فلسفة جديدة لاحد فلاسفة

(1) Nietzche's "Thus spake Zarathustra," and Ludovici's "Who is to be master of the World." and "Man and Superman" by G.B. Shaw."

الالمان فردريك نيتشه اضعها اولاً في سؤالين ثم اشرحها

الاول : اذا صح ان الانسان قد تناسل من حيوانات ادنى منهُ افلا يصح ان يتناسل منهُ حيوان ارقى منهُ

والثاني : ما هو الطريق المؤدي الى جعل نسلنا يفوقنا جسماً وعقلاً كما نفوق نحن الحيوانات التي تسلسلنا منها

١ تأثير دارون في اعتبار الانسان

كان لظهور كتاب دارون في سنة ١٨٥٧ رجة عظيمة بين العلماء اذ غيَّر مجرى الافكار في اعتبار الاحياء وبيَّن اجمالاً اشتراك الحيوانات في اصل واحد كما اوضحتهُ بعدهُ كتب العلماء الذين تبعوهُ . ولكن دارون لم يذكر في كتابهِ هذا ادلة على اصل الانسان الحيواني بل ترك ذلك الى ان جمع الادلة الكافية في كتاب "اصل الانسان" حيث اوضح تسلسل الانسان من الحيوان . ونظرية النشوء التي قال بها دارون وبنى عليها كل استنتاجاتهِ اصبحت اليوم من الامور المسلَّمة — حتى ان الكنيسة الانجليزية وافقت عليها في مؤتمرها العام الماضي في لندن

فنحن نفهم الآن بنظرية النشوء ناموساً طبيعياً جرى عليهِ جسم الانسان فوصل الى ما هو عليهِ الآن وقد جرت عليهِ كل الحيوانات فاحيا منها ما احيا واباد ما اباد وأهم قوانين النشوء هو " بقاء الاصلح " فالانسان بقي والميجاثيريه انقرضت لان الانسان كان صالحاً للوسط الذي عاش فيهِ وأما الميجاثيريه فلم تصلح لهُ . ولكن كيف وصل الانسان من الحيوانية الى الانسانية ؟

وصل الى ذلك بالانتخاب الجنسي . فالانثى تنتخب القوي الجميل من الذكور على ما ترشدها طبيعتها والقوي يمنع الضعيف من التناسل بمجازتهِ المرأة الجميلة

فالمرأة بصفتها واسطة لتكثير الجنس وبصفتها حائزة للقوي من الرجال ولدت القوي من الجنس وأبادت الضعيف منهُ

ولكن لماذا لا يتغير الانسان اليوم ؟ لماذا نرى الشبه شديداً بين موميات المصريين القدماء و بين أقباط العصر الحاضر ؟

فالجواب اننا وقفنا ضد الطبيعة . وأذا ظللنا نقف أمامها فذريتنا ستكون كاسلافنا بلا فرق ولا تغيير . فنيتشه الفيلسوف الالماني قضى عمرهُ يوضح أغلاط الانسان في وقوفهِ أمام الطبيعة و يبيّن الطريق المؤدي الى العودة الى الطبيعة حيث نجري حسب نواميسها

٢ كيف الوصول الى ذلك

آداب الامة أو القبيلة وأخلاقها موضوعة لغرض ما فان بطل الغرض بطل الداعي للاداب والاخلاق · ولكن اذا تقادم العهد على قوانين هذه الآداب الاجتماعية يغفل النظر عن الغرض منها وتصير تتبع اتباعاً اعمى · وبعض هذه القوانين طبيعي لا يمكن ابطالهُ وبعضها اجتماعي يمكن ابطالهُ متى بطلت فائدتهُ · فمن الطبيعي مثلاً التزاوج ومن الاجتماعي الزواج · ومن الطبيعي حب القوة ومن الاجتماعي الشفقة على الغريب أو الضعيف

فاذا نظرنا الى فضيلة الشفقة على صاحب العاهة كالأبله او المقعد او المولود اعمى · هل نحن محقون في شفقتنا عليهم بعد ان عرفنا قانون الوراثة ؟ هل من الفضيلة ان نقدم لصاحب العاهة وسيلة يكثر بها نسلهُ ؟ نعم انهُ من الفضيلة والانسانية ان نقدم لهُ مسائل الراحة ولكن من الجرم ان نسمح لهُ بالزواج وتكثير اصحاب العاهات الوراثية

وقد بيّن نيتشه ان اصل الآداب حب القوة · وان في الامة دائماً نوعين من الآداب وهما في عراك دائم · الاول " آداب السيد " التي يرغب القوي في ان تعم لانها تزيدهُ قوة والثاني " آداب المسود " التي يرغب الضعيف في ان تعم لانها تزيدهُ قوة · وضرب لذلك مثلاً العصفور والصقر فمن مصلحة الصقر ان يأكل العصفور ومن مصلحة العصفور ان يموت الصقر جوعاً ثم استنتج من ذلك ان الآداب العصرية المتبعة هي آداب الضعيف التي تمنع القوي من الظهور ومن تكثير نسلهِ كالزواج بواحدة والشفقة على الضعيف ولذلك قاوم الديانة المسيحية لانها زعيمة هذه الآداب · وقال ان واضع هذه الآداب هو الضعيف نهي تؤول الى تخليد جنسهِ والغاء الجنس القوي فاذا استمرت سائدة ضعف الجنس البشري وربما انقرض فاذا اردنا تحسينهُ وجب علينا ان نقلب ميزان هذه الآداب اي يجب ان نجعلها تؤول الى تخليد الجنس القوي وأبادة الجنس الضعيف

ولا يتصور القارئ ان نيتشه يطلب منا ان لا يحب الضعيف ولا يحسن اليهِ وانما يطلب ان لا نكثر جنسهُ والفرق كبير بين الامرين

٣ ابن الانسان

من اقوال برنارد شو الفيلسوف الانجليزي الذي تبع نيتشه في فلسفتهِ عن " ابن الانسان " Ecce Homo انهُ يسوءنا ان نرى الابناء مثل الآباء في قوة عقولهم فان هذا دليل على عدم وجود التقدم

لما هدم الانسان ادياناهُ القديمة بمباحثهِ المنطقية والعلمية ورأى ان النعيم الذي صورهُ

لهُ الانبياء خيال وضاع املهُ من آخرة يحاسب فيها ويكافأُ اسقط في يدهِ ويئس من الحياة حتى قال شوبنهور اننا لو عقلنا لانتحرنا

ولكن جاءنا بعد شوبنهور نيتشه ونجانا من هذه اليأس . قال صحيح اننا نموت ونخل اجسامنا ولكن امامنا مجد عظيم . انظر كيف اخرجت الطبيعة من شبه القرد القبيح ذلك الانسان الجميل . فمجدنا اذن يجب ان يكون في اخراج ملاك من الانسان ولذلك يجب ان تكون قبلتنا ابن الانسان . فالانسان ليس تاج النشء ويجب ان نفسح للطبيعة حتى تطبق نواميسها علينا . فانهُ من العار على الانسان ان يحسن نوع خرافهِ وطيورهِ ولا يحسن نوعهُ . واذا لم تكن الآداب واسطة لسعادة الشعب وجب تبديلها لانها جعلت آلة للوصول الى السعادة

فالانسان ورث من اصلهِ الحيواني كثيرًا من الصفات والاعضاء الذي تقف في سبيل سعادتهِ . فهو عرضة لالتهابات الزائدة التي ورثها من الحيوانات اسلافهِ ومكروبات السل والدفتيريا والطاعون والكوليرا وكثير غيرها تنغض عيشةُ . فهل يحسن بنا ان نترك لذريتنا هذه الامراض من غير ان نعمل شيئًا لنجاتهم منها ؟ يظهر فينا من آن الى آن نابغة في الفكر فنعبدهُ في حياتهِ ولكنهُ قد يموت بلا نسل امام اعيننا . اذا رأينا راعي الغنم ينتقي الكبش القوي لتكثير نسلهِ بين الخراف اعجبنا بفراستهِ واذا قام فينا رجل وطلب منا ان نعتني باولادنا كما نعتني بالخراف هزأنا بهِ وعددناهُ ناقصًا في آدابهِ كما عدَّ نيتشه . قال برنارد شو ما معناهُ :— اذا فرضنا ان قطيعًا من الغنم يحوي مئة نعجة ومائة كبش وان نصف هذه الكباش قوي والنصف الآخر ضعيف وان راعي هذا القطيع منع القوي من ان يستأثر بالنعاج وقسمها بين الاقوياء والضعاف على التساوي التناسل بالتساوي بين الجنسين الضعيف والقوي . فماذا تكون النتيجة بعد عشرين او ثلاثين جيلاً اضعاف القطيع او تقويتهُ ؟ فالقارئ يفهم اذن السر الظاهر في انتخاب اقوى الغنم للتناسل

ولكننا اذا علمنا ان قانون الانتخاب الذي يطبقهُ راعي الغنم في غنمهِ غير معمول بهِ في الانسان فهمنا مصير المجتمع الانساني . زد على هذا قانونًا طبيعيًا بينهُ سبنسر في اصول علم الحياة خلاصتهُ انهُ كلما علا الانسان في سلم النشوء قلت قوتهُ على اخلاف النسل ومعنى هذا ان العناصر العالية فينا اقل قدرة في تخليد جنسها من العناصر الواطئة ولعل هذا سبب قلة المواليد في الامم الراقية عنها في الامم المنحطة

لندن سلامه موسى

الثورة الادبية (1)

ايها السادة والسيدات

قبل ان ابدأ بالكلام اطمئنكم ألّا اكلمكم هذه الليلة بالرموز والالغاز . بل في نيتي ان اجرد الاشياء من زيناتها . واسميها باسمائها . فان ذكرت العقاب مثلاً لا تظنوني اشير الى شيء خفي تحتهُ او فوقهُ او وراءهُ او فيهِ . بل اريد العقاب بعينهِ . وان قلت هبت الشرقية . فلا تقولوا ما اجمل هذه الصور الخيالية . فاني اقصد النار الحقيقية . تلك التي لو مرت العقاب لوقعت فيها مشوية . قد حان لنا ان ندعو المعول معولاً على حد قول اخواننا الاميركيين . وبناء على ذلك سنبقى على الارض هذه الليلة بعيدين عن القمر والجوزاء والشعراء

لما وقفت امامكم في السنة الماضية شعرت بوجودي معكم في غور الحياة بل في اردن الموت . واما الآن فاراني والحمد لله اخاطبكم وانتم في سهول الصحة تستنشقون هواء الحرية فمن اردن الموت الى سهول الحياة وحقول الحرية — خطوة خطيرة . ولكنها صغيرة . هي خطوة الى الأمام . ولكنها لا تغني عن رحلتنا الطويلة شيئاً من الاقدام . فان حوّلنا وجهنا الى مشرق الشمس رَ الجبال قائمة في طريقنا لا لتعترضنا في سيرنا بل لتشحذ منا الهمة وتيقظ فينا النشاط وكلما صعدنا في جبلٍ نشاهد فوقنا روح ما تجسَّد من الامال . وهي تدعونا الى ما فوقها من الجبال . فان الامة التي تستيقظ من سباتها وتنفض عنها غبار خمول الاجيال ينبغي لها ان تواصل السير بالسرى والاَّ تقهقرت فسقطت ثانية في الوهدة التي نهضت منها . ولا يخفى عليكم ان الطريق وعرة . والزاد قليل . والنفس مضناة من اقامتها طويلاً في الغور . والاحمال ثقيلة . والادلاء كثيرون . وسنتوفق ان شاء الله في سيرنا على رغم هذه الصعوبات والعقبات . اذا اتخذنا الشمس دليلنا . وزادنا الآداب والفنون

ان الشمس المشرقة علينا من المغرب اليوم هي والحق يقال شمسنا . هي شمس آدابنا . هي شمس اديانا . هي شمس مجدنا الغابر . فاذا نظرتم الى خارطة العالم رأيتم ان ثلاثاً من البلاد آخذة من مركز القلب . وهذه البلاد هي سوريا وفلسطين وجزيرة العرب وما بين النهرين . هذه البلاد وطننا . وهذا الوطن قلب العالم . وفي هذا القلب ظهرت الانبياء وفيهِ نشأت الاديان . ومن هذا القلب اشرقت على اوربا في القرون الوسطى شمس العلم

(1) خطبة القيت في حفلة جمعية تهذيب الشبيبة السورية في نادى المدرسة الكلية في ١٣ اذار سنة ١٩٠٩

والادب والفلسفة فانارت ظلمات الاوروبيين وخرجت بهم من مهامه الجهل والتوحش الى واحات الرقي والعمران · اجل ان وطننا لقلب العالم · ولكن اوربا رأسهُ · وان كان القلب منشأ الخيال والنبوة فالرأس منشأُ العلوم والفنون· على ان النور المنبثق من الرأس فقط هو كالنور الاصطناعي الذي يضيئون بهِ المراسح في اوربا · هو نور بارد جامد خامدٌ · وان لم يشترك مع نور القلب وحرارتهِ فلا خير فيهِ للانسان مهما عظمت نتائجهُ في دوائر العمران · والفنون ان لم يكن الضمير اساسها والاخلاص لباسها · ونفع البشر غايتها الاولى فهي افيون لا فنون · فانها تخدر الحواس وتذهب بشيءٍ من الهموم ولكنها تقتل النفس وتفسد الحياة

ان سكان هذه البلاد التي هي قلب العالم لشبيهون بشجرة ذكرها النبي · شجرة مباركة لا غربيةٌ ولا شرقية · نحن اليوم واقفون بين مدنيتين متناقضتين معاديتين الواحدة للاخرى · مدنية جديدة ومدنية قديمة · مدنية اوربيةٌ ترفع اليوم اعلامها في البلاد كلها · ومدنية شرقية لم يزل لها المقام الرفيع بين فئة راقية من الادباء والفلاسفة في اوربا · فان كان هؤلاء الاوروبيون يجدون في مدنيتنا ما لا ينبغي تركهُ · ما لا يجوز اضمحلالهُ · فكم بالحري نحن · ولي كلام طويل في هاتين المدنيتين اقول الوجيز منهُ الآن

لست بجاهل ما في مدنية اليوم لمن كثر مالهُ فقط من دواعي الراحة في المعيشة البيتية المادية والسهولة في التوصل والسفر والانتقال · ولا اظنكم تجهلون ما في التعادي والتكالب في سبيل هذه الاشياء من الشقاء ايضاً والبلاء · فان المدنية التي يدعى التكالب فيها نشاطاً· والخداع براعة . والقوة حقاً هي عندي شر المدنيات · وهذه هي مدنية اوربا اليوم· مدنية كهرباء وبخار · مدنية تجارة وكسب واستغرار· مدنية حروب وفتوحات واستعمار · ليس فيها للضمير والذمة أثر من الآثار · مدنية جذورها حب الذات والاستئثار · ولبها اليأس والانتحار · لا تقولوا بالغت · فان كلامي من الاختبار · لا من المجلات والاسفار· واما مدنية الشرق فلست بناكر انها مدنية خمول وجمود واستسلام . مدنية اصولها القضاء والقدر ولبها محض اوهام . ولكن فيها من جميل العادات والتقاليد · من جميل العواطف والشعور · من شهامة النفس وكرم الاخلاق · من الانعطاف والوداد والوفاء ما تفتقر اليهِ المدنية الاوروبيةُ فهذه الخلال الشريفة تبعث الحرارة من الحقيقة الباردة القاسية فتمسي الحياة خفيفة الاحمال مرضية الامال · ناهيك عن انهُ لم يزل في هذه المدنية القديمة شيءٌ من البساطة والوداعة ومن الضمير الحي مما يزيد النفس الشرقية جمالاً . والضمير الحي

يا سادتي هو ملح العلوم والفنون والآداب ومن هذه كلها تتغذى المدنية الحقة

نحن اليوم واقفون بين هاتين المدنيتين · بين مدنية غازية منتصرة واخرى مدبرة · وينبغي ان لا نخضع على الاطلاق لهذا الفاتح القوي وان لا نترك ما في مدنيتنا من الخير الروحي · ولا ينجينا من استبداد هذه الفاتحة القاهرة ويحفظ لنا حسنات تلك المدبرة الأ الآداب · ولا اريد بالآداب الكتب فقط بل اريد منها آداب النفس اولاً والاخلاق · ان الدين وهو ابو مدنية الشرق يرفض بتاتاً مدنية الغرب · والعلم المادي وهو آلة مدنية الغرب يرفض بتاتاً مدنية الشرق . فالدين والعلم في هذا الموقف متعرضان كل لقومهِ ولا ينفعنا الواحد منهما دون الاخر · واني لا اجد في كل قوى النفس والفكر وثمارهما اصلح وانجع من الآداب تجمع بين الاثنين فينشأ عن ذلك مدنية جديدة قوامها الصنائع والفنون وشعارها الاخاء العام · واعلموا ان الفنون السامية الجميلة هي التي تتغذى من العلم والدين معاً· والامة التي تجعل مثل هذه الفنون اساس حياتها الاجتماعية هي ولا غروَ مجد المستقبل وام الامم · واحب ان اشاهد على شطوط البحرين او في اودية الرافدين مثل هذه المدنية الجامعة بين محاسن المدنيتين · احب ان ارى في قلب العالم جمال روح العالم وكمالها· احب ان ارى في بلاد الشام وبلاد العرب ثمار الانبياء وثمار العلماء على شجرة واحدة · احب ان نزرع بساتين هذه الارض المقدسة من تلك الشجرة المباركة التي جاء ذكرها في كتاب اخواننا المسلمين — شجرة لا شرقية ولا غربية · واحب ان ارى الشعراء والادباء بعيدين عن السياسة واوحالها منصرفين الى حراثة هذه البساتين الجميلة

سادتي · لا تظنوا ان الانقلاب السياسي يجدي الامة نفعاً ان لم يتبعهُ انقلاب ادبي · لا تظنوا ان في الحكومة الدستورية دواءٌ شافياً لكل امراضنا . لا تظنوا ان الدستور وحدهُ يخلص الامة من الاخطار المحدقة بها والنامية في قلبها · وان الصحافة الحرة تقف دائماً من اجل الامة في وجه المشعوذين والمضللين والمفسدين · وهل الدستور والصحافة الحرة رقيتان من رقى السحرة حتى اذا قلنا مثلاً — شولم صحافة ! صرنا شعباً حراً! . شولم دستور ! صرنا امة راقية ؟ لا يا اخواني لا . فان طلبتم الحرية اطلبوا المعنوي منها قبل الحرفي الجوهري قبل السياسي · اطلبوا الحرية الروحية التي تمحصنها الآداب قبل الحرية المدنية التي تتاجر بها الاحزاب · وان خفي عليكم الفرق بين الاثنين اذكروا ان حرية الجسد لا تجدي المرء نفعاً اذا كانت النفس مقيدة · وان حرية الفكر والقول لا تغني فتيلاً اذا ظلت الروح اسيرة ما اعتادهُ الجسد من الراحة والترف والرخاء او الذلة وتعفير الوجه والعياء · اخواني · ان

الفرق بين الحرية الادبيَّة الروحية والحرية المدنيَّة المادية كالفرق بين حرية السياسي في مراوغاتهِ وحرية البدوي في خيمتهِ او الرجل الصالح الجريء في معاملاتهِ. ان الحرية الحقيقية هي التي تنشأ في النفس لا التي يمنحها الملك الرعية. فان هذه تزعزعها الاهواء ويتاجر بها الزعماء وتقتلها رجعات التقهقر الشعواء وتلك كنز من كنوز النفس الخالدة. والذين لا يناضلون عن مثل هذه الحرية ولا يفادون من اجلها بشيء مما ألفوهُ من رخاء العيش او بشيء مما نالوهُ من المال او الرفعة والوجاهة بل يتنازلون عنها ويتاجرون بها كما لو كانت ثوباً من الخام او سهماً من اسهم البورص فما هم الأ قبور متحركة اذ ما الجسد الأ كالقبر لنفس باعت حريتها. ولكنني خرجت عن الموضوع

قلت ان الآداب التي تجمع بين العلم والدين تكون قوام المدنية الجديدة التي يقرن فيها بين مدنية المغرب الماديَّة ومدنية المشرق الروحيَّة. ولكن آدابنا لم تزل تحت سيطرة المتدينين والمتنطعين. وأنفسنا لم تزل في ربقة رجال الدين. وان لم نتحرر من هذا الاستبداد الديني او بالحري الكهنوتي كما تحررنا من الاستبداد السياسي تظل آدابنا جامدة مبتذلة خاسئة. ونعود بعد حين الى ما كنا فيهِ من الفتور والخمول والانحطاط

خذوني بحلمكم فاقص عليكم بوجيز الكلام قصة الكهان. ونشوء العبادة في قلب الانسان. لنعد الى الاكواخ اذاً فنحكي هنالك شيئاً من حكاية اجدادنا الاولين. من المعقولات التي لا تنفيها الالهيات او الالهيات التي لا تنفيها المعقولات — ان اول دعوة لباها الانسان دعوة بطنهِ وشهواتهِ. وماذا يهمنا وقد علمنا هل كان الانسان الاول يمشي على الاربع في تلك الايام او على الاثنتين. فان في العالم حتى اليوم كثيرًا من الحيوانات التي لا تمشي على الاربع! هذا الحيوان الناطق اذاً لم يكن يفهم في بادىء امرهِ الأ حديث معدتهِ وحديث كبدهِ. فكان لا يحسن غير الصيد والحرب والاكل والزواج. وبعد فترة من الزمن مقدارها الفان قرناً او الفان عاماً — لا فرق عندي — بدأ يسمع صوتاً آخر من فوق المعدة والكبد. بدأ يشعر بدعوة القلب فصار يعطف قليلاً على اولادهِ ان لم نقل ايضاً على شريكتهِ بل جاريتهِ بل زوجتهِ. وعلى هذه الحال عاش قروناً — وللعلماء ان يجمعوا الالوف منها فوق الالوف فان عدها لا يستحق تعب الفكر — عاش قروناً وهو لا يرى ولا يسمع سوى ما زينتهُ لهُ الغريزة وحدثتهُ عنهُ المعدة. اوَلا ترى ان بعض شعوب اليوم ناهيك عن القبائل المتوحشة لم تزل في هاتهِ الحالة المنحطة من الحياة. فان القوى المدركة لم تظهر فيهم بعد. وفي هذه الفترة الطويلة الامد نشأت على ما اظن العبادات

والمعبودات التي كانت في باديء امرها مادية محضة · لان هذا الحيوان الناطق بل هذا الصياد الغازي ما رأى في الاشياء الاّ ما ظهر منها. ما رأى في الشمس الاّ النور· ما رأى في الشجرة الاّ ثمارها واغصانها وقشورها · ما رأى في النار سوى لهيبها ودخانها ورمادها · ما رأى في الحيوانات سوى ما بدا منها وما ظهر من حركاتها · في تلك الايام السعيدة كان كل حيوان ناطق يعبد طاغوتهُ على طريقتهِ الخاصة · بمقتضى شعورهِ وهواهُ · عملاً بداعي القلب والغريزة . وبعد مضي احقاب من الزمن وهو في هذا الغور من الحب والعبادة ارتقى قليلاً الى ما فوق السهول وبدا يشغل المخيلة منهُ حتى صار يرى في الاشياء شيئاً تحت القشور وتحت الرماد. وبما انهُ لم يدرك اسرارها راح يسلي نفسهُ بالاشعار ويعللها بالخيالات وبمقتضى هذا طفق كل انسان يمثل الخالق في الشكل الذي انطبع في قلبهِ اكثر من سواهُ ولا حاجة لتعداد هذه المعبودات كلها فلو جئت اعدد منها لا ان اعددها لاقتضى ذلك من الوقت ما لا يسمح بهِ المقام · ولكن اذا ذكرنا منها الجمل والشمس فقط نكون قد اتينا على ذكر اولها وآخرها ادناها واعلاها · اصغرها واكبرها وحالة الفرد تجاه معبودهِ في تلك الايام هي اليوم حالة المجموع في شعوب الارض كلها . وما اوثق في الامم سوى الافراد

ولكن لنعد الى اصحاب الاكواخ · لما ظهر في الجماعات الناس ارقى نوعاً من اخوانهم وبدا لهم ان الانسان يرتاح الى كل غريب عجيب — والزنجي والباريزي اليوم سواءٌ من هذا القبيل — لما علم هؤُلاء الدهاة ما للخيال والوهم من السطوة على النفوس والقلوب قاموا ينشؤُون من هذه العبادات ديانات رسمية · فبنوا الهياكل وحاكوا من اوهام الناس طقوساً وطرائق واقاموا انفسهم رؤَساء في الهيكل وبدأوا يتكهنون ويمثلون الله ! — بل يمثلون الطاغوت على الارض وهذا في رأيي اول ما كان من امر الوثنية والكهان · ولا تنسوا ان الوثنية لم تزل سائدة في بلادنا والكهان يتعاطون التجارة اليوم في دكانهم القديم فوجدت الديانة الرسمية وشيدت من اجلها الهياكل ونحتت الاصنام وقدمت الذبائح والقرابين وتسربت الى بيت المتكهن العطايا والاموال · وذلك قبل ان ظهر في الارض الانبياء الذين هم اعداء الملوك والكهان · فاذكروا هذا ولا تنسوهُ · ان الانبياء لاعداء الظلم في الملك والرجاسة في الهيكل والفساد في الجماعات

واما الكهان يا سادتي فهم اول من عاثوا في الارض فساداً · هم اول من قيدوا الانفس البشرية واستعبدوها · هم اول من تاجروا بالخداع والتغرير . هم اول من استولوا على الملوك والامراء وايدوا سلطانهم بانباء مكذوبة من السماء · والكهان اليوم هم اعداء الحرية الادبية

الروحية . ولا يغرنكم ما بدا منهم من الارتياح الى هذه الحرية التي منحنا اياها الدستور . فان العنان لم يزل في ايديهم والارواح لم تزل في ربقتهم . الكهان هم اعداء الآداب الراقية . اعداء اشتياقات الانفس السامية الى الكمالات الفكرية . على الكهان وآلهة الكهان امتشق نبيُّ العرب حسامهُ في الكعبة وصب اشعياء نار غضبهِ في اورشليم . على الكهان واصنامهم وتزاويقهم ومذابحهم ورجاساتهم انقضت صواعق حزقيال في اسرائيل ودمدت رعود دانيال في بابل . على تغريرات الكهان وخزعبلات العبادات قام عبد الوهاب في نجد ولوتروس في وتنبورغ وجون نكس في انكلترا وغيرهم في الارض كثيرون . فما ضرّنا لو استغنينا عن المتكهنين المدلسين وتفلتنا من ربقتهم واعتصمنا بالله وبدين الله وبانبياء الله ؟ تدبروا كلامي ولا تسيئوا مرادي . اني احترم العاطفة الدينية التي تكون فطرية في الانسان ولكني لا اجد في خزعبلات هؤلاء الناس وفي تنطعهم — وقد قيل هلك المتنطعون — ما يساوي ذرّة من نفس امرىء راقية . ولكن اذا لبس الكاهن لغايتهِ ثوباً من التغرير والخداع ولبس المتعبدون ثوباً من الجهل والخرافة فذلك لان الانسان لا يسير في الارض عرياناً . ينبغي لهُ ان يستر سوّتهُ ولو بسوءة اسوأ منها . وقد قيل — ان من آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المستعبدين

ايها السادة . ان المرء يحتاج دائماً الى من يذكرهُ بانهُ من ابناء اليوم لا من بقايا امس . يحتاج دائماً الى من يريهِ الربقة في رقبتهِ . والقيود على روحهِ . يحتاج دائماً الى من يهمس في اذنهِ او يصرخ في وجههِ — انك انسان حرلا حلية في جيب هذا او ذاك يتصرف بها صاحبها كيف شاء . فيا ايها الشرقيون . ان تحت خريف نفسكم الدائم ربيعاً جميلاً ان كنتم تعقلون . ان تحت رهوكم موجات عظيمات لو ناهضتم العاصفة ولو مرة في الحياة فان مثل هذه النهضات الروحية . مثل هذه الثورات الادبية وان كانت عاقبتها اليوم غير مرضية ، فهي غداً منعشة للنفس محيية ، مثل هذه النهضات تعوّد المرء الفكرة . وتروض منهُ الارادة . وتكسبهُ المنعة والاستقلال . ان للماضي اثراً قوياً في العروق . ان فتور الشرقي لفي الدم . فان كان لا يمرّن نفسهُ وارادتهُ على ما يحرك الدم — دم الجسد ودم الروح معاً — يظل ما دام حياً كطلل من اطلال الزمان . ولا ينهض الشرقيين من هذا الغور المظلم سوى الثورة الادبية التي يتبعها انقلاب عظم في الاخلاق

ها اننا صرنا امة حرة ذات حكومة دستورية . ولكن ذلك لا ينافي ما في العائلة وما في الطائفة وما في المدرسة من الجور والحيف والاستبداد . من الغباوة والجهل والفساد . ذلك

لا ينافي ما في اصطلاحاتنا الاجتماعيَّة — واكثرها من فضول التمدن الافرنجي — من الضيم والشقاء. ما لا يماثلهُ ظلم اظلم حكومة مطلقة. ألا ترون ان التاجر لم يزل محني الظهر تحت امواله وصكوكه. والصانع لم يزل اسير هذا العبد سيدهِ. والتلميذ في المدرسة اسير جهل استاذهِ. والاستاذ اسير استبداد رئيسهِ. ألا ترون ان المصلح السياسي مرهونة حريتهُ لخطة حزبهِ. والكاتب حريتهُ عند قرائهِ او في قبضة رزقهِ. والصحافي حريتهُ في جلدهِ واستقلالهُ في كيسهِ — لا تؤاخذوني فقد وعدتكم في البداية بان اسمي المعول معولاً والعقاب عقاباً — ألا ترون ان المرأة في البيت مقيدة بارادة زوجها عادلة كانت او جائرة. وان الاب لم يزل يعتقد ان اصول التربية في تأييد سلطتهِ. والمأمور في الحكومة يتألم من ضغط ذاك الجالس فوق رأسهِ. والجندي من استئثار ضباطهِ. والكاهن من ظلم اسقفهِ. والاسقف من استبداد بطريقهِ. والراهب يحترق في نذرهِ ويئن من عنف رئيسهِ. والفلاح يتأوه من جور اميرهِ بل يصرخ في بعض الاماكن تحت سوطهِ. شولم صحافة! اصرنا شعباً حرّاً؟ شولم دستور! أصرنا امة راقية؟ اي اخواني. اسمعوا التقية تهمس في اذن هذا الكاهن — حافظ على مركزك. اسمعوا الخوف يقول لذاك الصحافي — حافظ على مصلحتك. اسمعوا الذلة ترشد اخانا الفلاح قائلة — اتقِ بطش سيدك. اسمعوا الجبانة تهمس في قلب الراهب — اتقِ الفضيحة وحافظ على ثوبك. فالتقية والخوف والذلة والجبانة هي اعداء حرية الانسان الحقيقية وان لم يحرر نفسهُ منها بنفسهِ فثمة قانون ومثة دستور لا تحررهُ. واعلموا ان الارادة المستولية على ارواحنا لا يخلصنا من ظلمها الاَّ ارادة اشد واقوى منها

لذلك ادعوكم الى ثورة ادبيَّة اناشدكم بالحرية التي بعثت من غور ماضينا حياة جديدة ألاَّ تدعوا الخوف والتقية والذلة والجبن تستولي عليكم متى شعرتم بيد تضغط جوراً على انفسكم متى رأيتم حريتكم الادبيَّة مقيدة امامكم

ارفعوا اعلام الآداب في البلاد. شيدوا صروح التهذيب اسسوا معاهد الفنون فان الآداب والتهذيب والفنون هي القوى الادبية الروحية التي يتآلف فيها العلم والدين ويقرن فيها بين بديهيات الانبياء ونظريات العلماء وتمتزج فيها روح الجمال وروح الحقيقة وتنبثق منها اشعة السلم والحب والاخاء. هي هي القوى الادبية الروحية التي يتوقف عليها تحرير الانسان وتحرير الامم والشعوب. لنعزز الآداب اذاً والفنون لنؤيد بالقول والعمل التعاليم السامية لنصر المبادىء الحرة السديدة ومتى رأينا ان الحزب الذي ننتمي اليهِ او الجريدة التي نكتب فيها او الطائفة التي نحن منها تحاول تقييد افكارنا او الضغط على عقولنا او المتاجرة

بارواحنا فعلينا ان نخرج منها سريعاً وننفض عن نعالنا غبارها ان شرف المرء في حرية عقلهِ ونفسهِ وشرف الاحزاب في حرية رجالها وشرف الطوائف في حرية ابنائها

اخواني ما الناس الآ امة واحدة وستجمعهم في المستقبل ان شاء الله جامعة واحدة هي جامعة الآداب والفنون ودين واحد شامل قوامهُ الابوية الالهية والاخاء العام

امين ريحاني



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ميكروبات الامراض والمناعة

سيديَّ الفاضلين

ارى فيلسوفنا الكبير الدكتور شميل لاهياً هذه الايام بالحيوانات الكبيرة وسياستها وقد ترك المكروبات وشأنها فاستأذنتهُ في الرد على ما اعترض عليهِ بهِ الدكتور توفيق جهلان فاذن لي لكني اخشى ان لا احسن في ذلك فينبري للرد على الاثنين واكون قد جنيت على نفسي والعياذ بالله من قلمهِ وتلك الهراوة الضخمة التي يتوكأ عليها

قال الدكتور شميل " اذا علمنا ان الشفاء من المرض والمناعة عليهِ سيّان في طبيعتهما مهما كانت اقوال العلماء في تعليلها ولعلها نوعٌ من التكافوء والائتلاف سهل علينا ان نفهم لماذا كانت المناعة ضعيفة قصيرة المدة في امراض الرتبة الاولى ثابتة طويلة المدة في امراض الرتبة الثانية ممتنعة (او هي غلبة المرض في هذا التنازع بينهُ وبين الجسم) في امراض الرتبة الثالثة ". والذي قدرت ان افهمهُ من كلامهِ هذا انهُ لا ينكر اقوال العلماء وتعليلهم عن سير المرض واسباب المناعة سواءٌ كانت تلك الاسباب غلبة الجسم على المرض او قيام سد

حصين في الجسم يمنع نموّ هذه الاحياء الدنيا فيهِ مرةً اخرى . فرأيهُ لا يثبت ولا ينفي تلك الاقوال بل على فرض صحة القول بقيام هذا السد المنيع في الجسم او الدم فهو مما يرجح رأيهُ فلو قلنا مثلاً ان المصاب بالجدري يقوم في جسمهِ او دمهِ ما يمنع نموّ الاحياء المسببة للجدري مرةً اخرى في ذلك الجسم فهذا السدّ لم يكن ناتجاً الاَّ عن هذه الاحياء بعينها الثابتة في نوعيتها فكلما قويت هذه النوعية كان هذا السدّ اثبت في نوعيتهِ واشد في مقاومتهِ لهذه الاحياء بعينها والدليل على ذلك الفرق ما بين التلقيح بالجدري الحقيقي والتلقيح بالجدري البقري فالمناعة اشد واطول مدةً في الحالة الاولى واضعف واقصر مدةً في الحالة الثانية وذلك لان الجدري الحقيقي اثبت في النوعية من الجدري البقري وما هذا الاخير الاَّ تباين من الاول واضعف منهُ في النوعية ولا ارى ان هذا الامر اقرب الى الدلالة على ضعف المكروب وانحطاطهِ في النوعية كما قال الدكتور جهلان بل عكس ذلك فالاحياء الثابتة في نوعيتها تسبب في الجسم سدًّا ثابتاً في نوعيتهِ يقوى على هذه الاحياء بعينها اذا هي دخلت ذلك الجسم مرةً اخرى

ثم ان مقابلة الدكتور جهلان بين الدفثيريا والكَلَب من الجهة الواحدة والسرطان والتدرُّن من الجهة الثانية لا اراهُ في محلهِ فالدفثيريا لم تنتقل بالمصل من الرتبة الثالثة الى الاولى بل كانت تشفى احياناً وتعود الى المريض اي لم يكن لها الاَّ مناعة خفيفة قد لاتكون شيئاً يذكر فهي لم تكن من امراض الرتبة الثالثة وان انتهت بالموت في غالب الاحيان وهي والكَلَب من الامراض الحادة ولا وقت للجسم ليقوى فيهِ عليهما لسرعتهما وشدة وطأتهما . والكَلَب لا يعلم بحادثة واحدة حقيقية شفيت منهُ لا قبل اكتشاف علاج باستور لهُ ولا بعدهُ ولو فرضنا ان حادثة واحدة شفيت لبقي المصاب بمدها في اشد المناعة اذ يكون قد بقي في جسمهِ هذا السدّ المنيع الناتج عن هذه الاحياء المسببة للكَلَب الثابتة في نوعيتها فيكون كأنهُ عولج بهذا العلاج الواقي الذي اكتشفهُ باستور فهذا العلاج واقٍ وليس شافياً اي لا يشفي بعد ظهور الاعراض واستعمالهُ قبل ظهور المرض ولم ينتقل بهِ الداء من الرتبة الثالثة الى الاولى بل هو باقٍ في رتبتهِ الثانية اي ان هذا العلاج يقي المصاب ولا يعرضهُ لهُ كما لو انتقل الداء الى الرتبة الاولى . ولا وجه للمقابلة بين الكَلَب والتدرُّن من هذا القبيل لاسباب اخرى لا لزوم لاطالة البحث فيها

بقي امرٌ آخر اظنهُ صدر سهواً من الدكتور جهلان وهو قولهُ " قد ثبت ان من المكروبات التي يقول الدكتور شميل انها من رتبة النباتات ما هو ارقى تركيباً من

باشلوس كوخ نفسهِ". ولعلهُ يشير بذلك الى الاحياء المسببة للامراض الميازمية فارتقاؤها في التركيب لا يمنع كونها من التباينات وهذا الحمام الاهلي كلهُ تباينات وهو ارقى كثيرًا من باشلوس كوخ ولو ترك لنفسهِ لعاد الى اصلهِ في النوعية وهو الحمام الرصاصي اللون الذي نراهُ في ابراج صعيد مصر

هذا ما عنَّ لي ذكرهُ واظن فيهِ ما يكفي لايضاح رأي الدكتور شميل واني لا اجزم بصحتهِ لكني اراهُ معقولاً لا ينافي ما تقدمهُ من آراء المناعة وسير الامراض بل يزيدها وضوحًا

الدكتور امين المعلوف

الشفاهي والشفهي

حضرة محرري مجلة المقتطف الغراء المحترمين

بعد تقديم واجب الاحترام اعرض اني قد قرأت في العدد الخامس من مجلتكم الغراء سنة ١٩٠٩ في صحيفة ٥٠٥ مقالة على كتاب فك التقليد ورأيت فيها كلمة (شفاهي)٠ والمعلوم ان القاعدة العامة للنسبة هي: اذا أردتَ النسبة الى الجمع المكسر رُدَّ الى مفردهِ نحو مساجد مسجدي الا اذا كان الجمع جرى مجرى العلم نحو أنصار أنصاري ٠ ويؤخذ من ذلك ان الصواب شفهي نسبةً الى شفة المفرد ٠ فارجوكم الافادة عن هذه المسألة ودمتم

جورج انطونيوس
طالب في كلية فيكتوريا

[المقتطف] اذا اريد النسبة الى الشفة او الشفتين او الشفاه التي هي جمع الشفة فالنسبة شفوي او شفهي فيقال الحروف الشفوية او الشفهيَّة اي التي تلفظ من الشفتين ٠ واذا اريد النسبة الى الشفاه الذي هو مصدر شافه اي خاطب فمًا لفم فالنسبة شفاهي فيقال الامتحان الشفاهي اي الذي يكون بالمشافهة لا بالكتابة ٠ وكلمة شفاهي الواردة في الصفحة ٥٠٦ من المقتطف نقلاً عن كتاب "فك التقليد" هي من هذا القبيل اي هي من النسبة الى الشفاه اي المشافهة لا من النسبة الى الشفة ولا الى الشفاه التي هي جمع شفة ٠ ونرى احيانًا نظارة المعارف المصرية تقسم الامتحان الى قسمين "شفهي وخطي" فكلمة شفهي هنا غلط والصواب شفاهي اي مشافهة واما النسبة الى الشفة والشفتين والشفاه فتكون في مثل الحروف الشفوية او الشفهية كالباء والفاء اي التي تلفظ من الشفتين والسرطان الشفوي اي الذي يصيب الشفتين ولا اشكال في ذلك

البلاد العربية

اني احسب قرّاء المقتطف الكرام من لباب المتكلمين بالعربية واكثرهم علماً واوسعهم اطلاعاً واشدهم غيرةً على خبر بلادهم فاستفتيهم في امر لهُ الشأن الاكبر في مستقبل البلاد العربيّة واعني بالبلاد العربية كل الولايات العثمانية التي يتكلم سكانها باللسان العربي وهذه اسماؤُها ومساحاتها وعدد سكانها حسب آخر تقدير لها وهو تقدير سنة ١٨٩٦

	المساحة	عدد السكان
ولاية حلب	٣٠٠٠٠	٩٩٥٨٠٠
« بيروت	١١٧٧٠	٥٣٣٦٠٠
متصرفية لبنان	٠٢٥١٠	٣٩٩٥٠٠
« القدس	٠٨٢٢٠	٣٣٣٠٠٠
ولاية سورية	٢٣٨٠٠	٩٥٥٧ ٠
متصرفية الزور	٣٢٨٢٠	١٠٠٠٠٠
ولاية بغداد	٥٤٤٨٠	٨٥٠٠٠٠
« الموصل	٢٩٢٠٠	٣٠٠٠٠٠
ولاية البصرة	١٦٤٧٩	٢٠٠٠٠٠
« الحجاز	٩٦٥٣٠	٣٠٠٠٠٠
« اليمن	٧٧١٧٠	٧٥٠٠٠٠
« طرابلس الغرب	٣٩٧٠١٠	١٠٠٠٠٠٠
والجملة	٧٨٠٠٨٠	٦٧١٧٩٠٠

فهذه البلدان مساحتها معاً اكثر من ٧٨٠ الف ميل مربع اي نحو اربعة اضعاف بلاد فرنسا وعدد سكانها اكثر من ستة ملايين وسبع مئة الف نفس ولا بدَّ من ان يكونوا قد زادوا نحو ١٥ في المئة منذ ثلاث عشرة سنة الى الآن فيكون عددهم الآن اكثر من سبعة ملايين وسبع مئة الف نفس فهم مثل سكان مملكة من ممالك اوربا الصغيرة ويجمعهم كلهم جامعة اللغة

ولا يخفى ان الممالك العثمانية بدأت في دور الانتقال من الحكم الاستبدادي المقيد بارادة السلطان وبعض القوانين الى الحكم الدستوري المقيد بارادة الشعب والشعب ينتخب

منهُ اناساً يرسلهم الى مجلس المبعوثان ينوبون عنهُ ويظهرون فيهِ ارادة منتخبيهم ونجاح هؤلاء النواب في اظهار آرائهم ومطالبهم واقناع الغير بها متوقف اكثرهُ على حسن القائهم باللغة التركية التي هي لغة المجلس . والذين يحسنون التركية ويحسنون الالقاء بها من ابناء الولايات العربيَّة قليلون جدًّا فحصر الانتخاب فيهم مبطل لاول مزية من مزايا الحكومة الدستوريَّة وهي ان يكون الشعب حرًّا في انتخاب من يريد ان ينوب عنهُ . وستبقى هذه المزية معدومة الى ان تشيع اللغة التركية في الولايات العربيَّة ويتعلمها الجميع على السواء وهذا امر قد لا يتم في عشرين سنة او ثلاثين او لا يتم ابدًا

فما دامت لغة مجلس المبعوثان التركية فلا يمكن للولايات العربيَّة ان تشترك فيهِ اشتراكاً فعليًّا صحيحاً ولا يمكن ان تكون حكومتها دستوريَّة حسب مفهوم الكلمة بل يبقى نوابها اناساً مخصوصين من الذين تيسَّر لهم اتقان اللغة التركية هذا اذا وجد فيها من اتقن هذه اللغة حتى صار قوي الحجة فيها مالكاً ناصية التعابير الخطابيَّة التي لها الوقع العظيم في النفوس . وليس احد من النواب الحاليين عن الولايات العربيَّة بالغاً هذه الدرجة مثل اخوانهم نواب الترك والروم والارمن والالبان وعليهِ فستبقى الولايات العربيَّة محرومة من اول حق من حقوق الحكومة الدستوريَّة ولو صارت الحكومة دستوريَّة فعلاً

هذا هو الامر الاول والامر الثاني ان الحكام والمأمورين لا يتصلون بالشعب الاتصال الواجب ولا يتصل الشعب بهم الَّا اذا عرفوا لغة الشعب تمام المعرفة . فلا يصلح تعيين المأمورين الاتراك والارمن والالبان واليونان في الولايات العربيَّة ولا يصلح تعيين المأمورين من ابناء العربيَّة في الولايات التركية . واذا وضع هذا الفصل بين المأمورين في الولايات امتنعت وحدة السلطنة وتعذَّرت مخاطبة المراجع العليا

وما يقال عن المأمورين يقال عن الجنود فانهُ ينتظر ان يصير عدد الضباط في الجيش العثماني من الولايات العربية على نسبة عدد سكانها اي نحو ثلث الضباط كلهم من اعلام رتبةً الى ادناها والَّا فلا مساواة ولا دستور . ولا يُنتظر ان يستقل الضباط الاتراك بقيادة الجيش التركي والضباط العرب بقيادة الجيش العربي في الولاية الواحدة ولا سبيل للاشتراك الفعلي التام الَّا اذا توحدت اللغة وهذا امر بعيد الوقوع كما تقدم

فلهذه الاسباب كلها ومرجعها اللغة ارى انهُ يحسن ان تنقسم السلطنة السنية اداريًّا الى قسمين قسم تجري اشغال حكومتهِ كلها باللغة العربية وهو الولايات العربية المذكورة آنفاً وقسم تجري اشغال حكومتهِ كلها باللغة التركية وهو سائر الولايات العثمانية لان اللغة التركية

شائعة فيها كلها. ويكون لكل قسم مجلس نواب خاص الواحد تجري مباحثهُ باللغة العربية والثاني باللغة التركية ويكون للسلطنة كلها مجلس اعلى ولا بأس بجعل مداولاته باللغة التركية مع اباحة اللغة العربية ولو يترجم ما يقال فيها الى التركية

ولا انكر انهُ لو كانت البلاد كلها تركية او عربية اي لو كان لها لغة واحدة وحكومة واحدة ومجلس واحد لكان ذلك اصلح لها وكانت بهِ اقوى مما لو كانت لها ادارتان وحكومتان وكان لها مجلسا نواب ولكنني ارى ان وجود الادارتين والمجلسين اصلح للبلاد واقرب الى العدل من وجود ادارة واحدة ومجلس واحد وثلث السكان غير مشترك فعلاً في حكومة بلادهِ كما هي الحال الآن وقد اكون مخطئاً في رأيي هذا

وارجو ان يطرح موضوعي على بساط البحث وان تتناولهُ اقلام الكتّاب الذين يغارون على بلادهم وشعبهم. ولم أُدخل القطر المصري بين الولايات العربية وله الحق الاول بالدخول فيها لانني ارى من اخواننا الاتراك الميل الى عدم التعرّض لهُ اما لا يغضبوا الدولة الانكليزيَّة باحث عثماني

وداع وعتاب

للسلطان السابق عبد الحميد

الله اكبر فالظُّلاَّم قد علموا — لايّ منقلبٍ يفضي الأُولى ظلموا
لقد هوى اليوم صرح الجور وانتقضت — اركانهُ وتولّت اهلهُ النقم
وحصحص الحق في عزٍّ وفي ظفرٍ — يحفهُ خادماهُ السيفُ والقلمُ
ثارت لهُ عصبة كانت مشرَّدةً — وقد تهدَّدها الإرهاق والعدمُ
من كل اروع في حيزومهِ حنقٌ — في نفسهِ عزَّةٌ في انفهِ شممُ
عبدَ الحميد استمع منهم مناقشةً — فطالما صبروا بل طالما كظموا
غادرت امتك المنكود طالعها — تغضٌّ مقلتها ان عدَّت الامم
اطلقت فيها سيوف الغادرين وقد — كانت بحبلك بعد الله تعتصمُ
الله الله يا راعي القطيع فقد — لاقت مصارعها في رعيك الغنمُ
حمّلتنا ما تنوء الراسيات بهِ — كيف الصنيع وانت الخصم والحكمُ
فكم شكونا ولم تسمع شكايتنا — وكم دعونا وحظّ الدعوة الصممُ

وليُّ نعمتنا قل لي اما بطلت ... تلك الولاية لما ضاعت النعمُ
فلو رفقت امير المؤمنين بنا ... ما كان انفي صمصامٌ وسال دمُ
يا خادم الحرمين اعدل فهل أمنت ... في ظلك الكعبة الزهراء والحرمُ
ام حجَّ حجاج بيت الله في دعةٍ ... من غير ان يرهقوا فيهِ ويهتضموا
وليتهُ خاشماً (١) لم يرعَ حرمة من ... في ذمة الله ضاعت عندهُ الذممُ
كم استجاروا عليهِ فازدريت بهم ... ان لم تكن ناقماً فالله منتقمُ
ربَّ الهلال اجب هل كنت تحفظهُ ... ما اعتاد من نصراتٍ ذلك العلمُ
ماذا فعلت باحرار البلاد وما ... جنوا على الدين والدنيا وما اجترموا
حتى قسمتهمُ شطرين فازدحمت ... على جسومهم الحيتان والرخمُ
ويا سلالة عثمانٍ اما اتصلت ... منهُ اليك الصفات الغرُّ والهممُ
اين الغطاريف ارباب العزائم مِن ... اسلافك القيدِ مَن بالعدل قد عظُموا
شادوا لك العزَّة القعساء من قدمٍ ... فجئت تهدمُ ما شادوا وما رمموا
كانت لهم دولة بالسيف ناهضة ... وفي زمانك لا سيف ولا قلمُ
حصدت ما زرعوا فرَّقت ما جمعوا ... خفضت ما رفعوا بعثرت ما نظموا
حجاجَ عصرك بل تولي العقاب بلا ... ذنبٍ ومزَّاك عنهُ الجمعُ والنهمُ
خليفة الله قد خالفت ما أُمرت ... بهِ الشريعة والتنزيلُ والكلمُ
دمرت بيتك يا هذا فانت اذنْ ... عدوُّ نفسك او قد مسَّك اللممُ
حشدت زمرة غدرٍ طالما سفكوا ... واستنزفوا ثمَّ لا قيدوا ولا غرموا
المخلصون تولَّوا منك وانهزموا ... والخائنون على ابوابك ازدحموا
حبست آلك حتى بعضهم هلكوا ... كانما لم تكن قربى ولا رحمُ
حاولت اطفاء نور الحق وهو لظىً ... تثور افواههُ ان سدَّ منهُ فمُ
طال الزمان على جورٍ تعالجهُ ... وعيل صبر الورى واستحوذ السأمُ
ضيَّقت دارهم في الارض فاتسعت ... والمرء مستبسلٌ ان عضهُ الألمُ
قد جمَّع الظلمُ منهم كل مفترقٍ ... وشدَّ ما استتروا في الامر واكتتموا
وكلما نام عنهم رهطك انبعثوا ... يدبرون وان لاحظتهم جثموا
وعندما اكتملت للوثب عدتهم ... توكلوا واستخاروا بالذي عزموا

(١) راتب باشا

سلُّوا عليك سيوف العدل مرهفةً كأنها شهبٌ في الافقِ او رُجُمُ
شقوا بها في جلابيب الدجي شفقاً بشَّتْ لهُ الارضُ وانجابت بهِ الظلمُ
وطالبوك بحق كنت هاضمهُ وحاكموك الى البتَّار واختصموا
فادوا بارواحهم حباً بامتهم فلتحيَ تلك السجايا الغرُّ والشيمُ
قد كان ما كان والرحمان ناصرنا فالعدل منتصر والجور منهزمُ
دبَّرت فتنة سوءٍ تستعيد بها من مجدك الباطل الغرَّار ما هدموا
مجد كبير طوتهُ ظلمة كشفت ثمَّ انجلت فاذا ما تحتها ورَمُ
كرُّوا بعزمة حرٍّ جاء منتصرًا لنفسهِ واستباحوا منك ما احترموا
فانزلوك عن العرش الرفيع وما كانوا يريدونها لكنهم رُغموا
تأبى الشريعة ان تبقيك حافظها وانت بالغدرِ والإغواء متَّهمُ
هبطت من قمة الامجاد منحدرًا كصخرةٍ حطَّها من شامخ عرمُ
ففي هبوطك عاد الملك مرتفعاً وفي توليك كل الخلق قد سلموا
كانت باقبالك الاقدار عابسةً فاصبحت بعد ما ادبرتَ تبتسمُ

دمشق ٥ مايو سنة ٩٠٩ (ف)



الزراعة المصرية منذ مئة عام

(١٤)

زراعة قصب السكَّر

تصلح اراضي مصر جميعاً لزراعة قصب السكَّر . غير ان ما تقتضيهِ زراعتهُ من كثرة العناية والاهتمام يحصرها في ايدي فئة صغيرة من الاهالي أخصُّهم مقيم في نواحي فرشوط واخميم من مديرية جرجا حيث مركز هذه الزراعة . أمَّا ما يزرع من قصب السكَّر في غير هذه المديرية فلا يستخرج منهُ السكر بل يباع في الاسواق أخضر او بالحري يمص مصاً . وتقوم زراعتهُ بحرث الارض اولاً في شهر مارس اربع مرَّاتٍ او خمساً حرثاً متقاطعاً

وبعد ذلك يخطّون فيها اثلاماً متحاذية يلقون فيها قطعاً من قصب السكر الاخضر يغطونها بطبقة من التراب على علوّ عقدتين او ثلاثاً ثم يسقونها بالسواقي بمعدل ساقية مجهزة باثني عشر ثوراً لكل ستة افدنة . لانهُ يلزم ثوران لسقي الفدان . ويستمر السقي بلا انقطاع احد عشر شهراً الى حين الجني

وعندما يدرك القصب يقطعونهُ قرب الارض فيستخدمون ٤ فعلة لقطع مزروعات الفدان في اسبوع

وتفرخ اصول القصب التي تبقى في الارض فيأخذون منها " تقاوي " السنة التالية

وتبلغ غلة الفدان ٢٠ قنطاراً سكراً و١٢ قنطاراً من عسل السكر . ويباع قنطار السكر الذي وزنهُ ١٠٥ ارطال بين ٣٢ فرنكاً و٣٨ فرنكاً وقنطار العسل بتسعة فرنكات

اما كيفية صنع السكر فسيأتي وصفها في الكلام عن الصنائع

(١٥)

زراعة التبغ

أكثر ما يزرع التبغ في الوجه القبلي . فيزرعونهُ هناك على أثر انحسار مياه الفيضان ولا يعود من ثم داعٍ للاهتمام بهِ . وقد يزرعونهُ في الربيع فتقتضي الحال اعداد الارض بالحرث مرة او مرتين قبل زرعهِ

ويزرعون في القيراطين من الفدان ١/٣ من الاردب بزراً (تقاوي) وبعد ٤٠ او ٥٠ يوماً يزهو النبات ويشتد فيقتلعونهُ ويغرسونهُ في أجود ارض بعد اعدادها بالحراثة المتقاطعة مرتين في حفَر يبعد بعضها عن بعض ثماني بوصات وعمقها ثماني بوصات ايضاً ويجزُّونها على مقربة من الارض بعد شهرين ونصف من غرسها فتفرخ فيعيدون جزّها بعد إفراخها بثلاثين يوماً

وبعد قطع سوق النبات ينزعون عنها الورق ويعرضونهُ للجفاف في الشمس ثمانية ايام ثم يحفظونهُ زمناً مغطىً بالحصر وفي النهاية يرزمونهُ رزماً فيصير صالحاً للبيع

وفي جميع بلاد الريف في الصعيد لا يستعملون تبغاً غيرهُ

ويجنون من الجزَّة الاولى نحو ٣٠ رزمة جافة من كل فدان تزن الواحدة منها نحو ٤٠ رطلاً ومن الجزَّة الثانية نحو عشر رزَم . ويباع القنطار من الاولى بنحو عشرة فرنكات ومن الثانية بنحو سبعة فرنكات

(١٦)

زراعة الوَرْد

تجارة ماء الورد قاصرة على مديريَّة الفيوم التي يرد منها كل ما يستعمل من ماء الورد في القطر المصري

واكثر ما يزرع من الورد في ضواحي مدينة الفيوم حيث يستخرجون ماءهُ . فيعدُّون الارض في الشتاء بالحرث عدَّة مرات ثم يقسمونها الى مربعات صغيرة يزرعون فيها فسائل الورد على ابعاد نصف متر بعضها عن بعض ويسقونها مرةً كل ١٥ يوماً على مدار السنة

ويجنون الزهر اثناء شهر ابريل واوائل مايو في كل صباح . ويستقطرونهُ بالانبيق في مكانهِ . والغالب انهم يجنون الورد في السنة الثانية من غرسهِ حتى السنة الخامسة وبعد ذلك يجدّدون غرسهُ

ومعدل جنى الفدان ثمانية قناطير زهرًا يباع القنطار منهُ بين ٢٠ فرنكاً الى ٣٦ فرنكاً

(١٧)

زراعة النخل

النخل من اهم اشجار القطر المصري . وتمتد زراعتهُ من اصوان الى شاطيء البحر المتوسط . غير انهُ يكثر على الخصوص في ضواحي مدينة ممفيس القديمة (جهات البدرشين وميت رهينة) التي تحوَّلت الى غابة منهُ . وفي شرقي بلبيس حيث بلدة الصالحية . وفي اللسان الفاصل بين بحيرة البرلس والبحر المتوسط

ويزرعون نوى النخل إمَّا في مزارع خاصة ينقلون منها "شتلهُ" بعد بضعة سنين الى حيث يراد غرسهُ واما في اماكن يختيرونها لزرعهِ نهائيًّا . وفي كلتا الحالتين يزرعون النوى في حفر عمقها نحو ١٥ سنتيمترًا يروونها بالماء فتفرخ بعد ٤٠ يوماً او ٥٠

وعند ما تبلغ شجرتهُ سنتها الخامسة يشرعون في قطع سعفها ويكررون ذلك سنةً فسنةً

ويبتدئ جني النخل المغروس غرساً بعد ٦ سنوات الى ٨ من غرسهِ وجني المزروع زرعاً بعد نحو ١٠ سنين من زرعهِ

غير انهُ لا بد من تلقيح اعذاق اناث شجر النخل سنويًّا فيضعون شيئاً من زهر اقناء ذكورهِ بين زهر اقناء اناثهِ فيتلقح ويثمر . ومعدل ريع النخلة سنويًّا في الصعيد بين اربعة فرنكات وسبعة فرنكات . ومعدل عمرها بين ٨٠ سنة و١٠٠ ولكني لست واثقاً من صحة ذلك لعلمي ان معظم من شافهتهم فيهِ يجهلون ازمنة مواليدهم

ويباع البلح طريًّا ومجففًا وعجوةً ويعمّ في الوجه البحري بماثل ريعهُ في الصعيد بوجه التقريب . ويُقبل الاهالي على زراعة النخل اولاً لكثرة فوائده اذ انهم يصنعون منهُ ضروبًا متعددة من العجوة والمسكّرات والمسكرات وينتفعون باخشابهِ والياف في البناء والنجارة وصناعة الحبال وخلافها . وثانيًا لان الحكومة تشجعهم على زراعتهِ باعفائهِ من الضرائب على حين انها تجبي الخراج على سائر المزروعات

(١٨)

زراعة الكرم

يعتبرون الكرم في مصر بعد النخل في اهميتهِ وهو يزرع في جميع البساتين الخاصة غير ان الفيوم تُعدّ موطن زراعتهِ ويتلوها جهات البرلّس . فيباع عنب الفيوم في القاهرة وانحائها وعنب البرلّس في الاسكندريّة ورشيد ودمياط

ويزرعون الكرم فسائل يغرسونها في الارض بعد اعدادها جيدًا لهذه الزراعة ويسمدونها بزبل الحمام . ومتى علت جفناتهُ يعرّشونها على عوارض خشبية مستندة على قوائم عموديّة فتتخذ شكل العريش

وفي الفيوم من البساتين اكثر مما في سائر جهات مصر لان اهاليها يزرعون انواعًا مختلفة من الاشجار المثمرة كالكمثرى والمشمش والزيتون والتين وخلافها

ويزرع في كثير من انحاء مصر البرتقال والرمان والليمون الحامض (المالح) وخصوصًا في ارباض الاسكندريّة ورشيد والقاهرة والجيزة حيث تكثر الحدائق الخاصة بذوي اليسار . ونخصّ بالذكر جزيرة فاروس (الفنار) القديمة التي تسمى الآن جزيرة التين (راس التين) لكثرة هذا النوع من الشجر فيها وشدة خصبهِ ويقال على الجملة ان الاشجار المثمرة قليلة في مصر والاشجار الغابيّة مفقودة منها . غير انهُ يكثر فيها شجر الجميز حتى لاتكاد ترى سافية لا تستظل بظلهِ . وفضلاً عن ذلك فانهم ينتفعون بأخشابها لبناء القوارب وعمل جسور البيوت

مزايا القطن المصري وعيوبهُ

قرأنا للمستر لورنس بولس نباتي الجمعية الزراعيّة الخديويّة بحثًا مستفيضًا عن القطن المصري في كتاب الجمعية السنوي وصل فيهِ الى هذه النتيجة وهي انهُ يمكن ان يزيد ثمن محصول القطن المصري زيادة كبيرة جدًا من غير ان تزاد زراعتهُ مساحةً وذلك بان يختار

مقدار من التقاوي من اجود اصناف القطن المصري التي تقرب من الكمال ويزرع سنتين متواليتين ويختار من اشجاره ما تظهر فيهِ اتم الخواص حسب ناموس مندل الوراثي وتزرع التقاوي منهُ في مكانين او ثلاثة امكنة من القطر. ويجب ان ينفصل كل مكان منها عمَّا حولهُ بحيث لا تصل اليهِ الحشرات الكبيرة كالنحل لئلاَّ تلقحهُ من لقاح قطن آخر. ويكرر زرعهُ هناك من تقاويهِ نفسها منفصلاً عن غيرهِ. ومن المحتمل ان التقاوي التي تؤْخذ من الزراعة الاخيرة تثبت الصفات الجيدة فيها اربع سنوات متوالية فلا يحتاج الزارع ان يعود الى التقاوي النقية الاَّ في السنة الخامسة. ولا بدَّ من ان يكون في البلاد مكان معد لتوليد التقاوي النقية دائماً

ولقد كان للقطن المصري مزيَّة مهمة وهي صلاحهُ لعملية المرسرة التي يصير بها كالحرير ولكن هذهِ العملية قد اتقنت الآن فصار يمكن استعمالها لغير القطن المصري فلم يعد ممتازاً بها. وكانت شعرتهُ طويلة دقيقة متينة فلم تعد كلها كذلك فاذا فقد المزايا التي تميزهُ عن القطن الرخيص هبط ثمنهُ حتماً ومن ذلك خسارة لا تقدر على القطر المصري

ولم نرَ في ما كتبهُ المستر بولس دليلاً مقنعاً على انهُ اهتدى الى طريقة اصلاح القطن المصري او ارجاع المزايا الجوهرية اليهِ لان تجاربهُ لم تنتج دائماً نتيجة واحدة ولكن اسلوبها معقول وناموس مندل الوراثي محقق وقد يمكن منع العوارض التي تقاومهُ وتمنع فعلهُ او تضعفهُ. والمسأَلة حرية بالبحث ويجب ان لا تبخل الحكومة بما يلزم لها من النفقات حتى اذا ثبت انهُ يمكن اصلاح نوع القطن وارجاع المزايا الجوهرية اليهِ فاقل ما يطلب منها ان ان تتولى اصلاح التقاوي اللازمة للقطر كلهِ فاذا فرضنا مساحة الاطيان التي تزرع قطناً مليوناً ونصف مليون من الافدنة ولزم للفدان ست كيلات فالتقاوي اللازمة للاطيان كلها تساوي محصول سبعين الف فدان بزرة ولا يصعب على الحكومة ان تختار من اطيانها الخصوصية واطيان الدومين ٢١٠٠٠٠ فدان وتزرع ثلثها كل سنة قطناً منتقًى وتبيع بزرتهُ للزارعين تقاوي. واهتمامها بهذا الامر يجب ان لا يقل عن اهتمامها بالترع والمصارف وماء الري اذا كانت جودة الموسم تتوقف على جودة تقاويهِ لان في المسأَلة فرقاً يبلغ بضعة ملايين من الجنيهات كل سنة بين زيادة في ثمن المحصول او نقص في ثمنهِ

حقائق في زراعة القطن

قال الدكتور دبني رئيس مدرسة تنسي الجامعة في مقالة عن الزراعة الاميركية

نشرت في الطبعة الحديثة من الانسكلوبيذيا البريطانية ان القطن ابن الشمس ومحصول الفدان منهُ في المكان الواحد اقل اختلافًا سنة بعد سنة من غيره من المزروعات · اي ان المقدار المعلوم من نور الشمس يجني مقدارًا مناسبًا لهُ من القطن . فمحصول القطن متوقف على مقدار ما يصيبهُ من نور الشمس مدة اقامته في الارض ولكن لا بدَّ من نسبة معلومة في توزع الحرارة والنور مدة الشهور التي يقيم فيها في الارض اي من الربيع الى الخريف ولا بدَّ لهُ من ستة اشهر الى سبعة يكون الطقس فيها مناسبًا لهُ · وهو يجود معها اشتدَّ الحر اذا كان الهواء رطبًا مع حرارته ولا بدَّ لهُ من الري الغزير مدة نموه

وهو يجود في انواع مختلفة من الاراضي في المنطقة المناسبة لزراعته من الرملية الخفيفة الى الطينية الثقيلة فاذا كانت الارض خفيفة وطبقتها السفلى رملية كانت شجيرات القطن صغيرة ولكنها تكون كثيرة اللوز واذا كانت الطبقة السفلى طفالية كانت الشجيرات كبيرة ولكن لوزها يكون قليلاً وخير الاراضي الطينية المتوسطة بين الرملية والطفالية التي تصرف صرفًا جيدًا

والارض التي تصلح لزراعة القطن في المنطقة التي يزرع القطن فيها باميركا واسعة جدًّا تبلغ عشرة اضعاف الاراضي التي يزرع القطن فيها الآن · فاذا زرعت كلها انتجت عشرة اضعاف ما تنتج الآن من القطن ولكن قلة وجود العمال تمنع التوسع في زراعته فان اجرة العمال تبلغ ٥٤ في المئة من مجموع المصاريف اللازمة لهُ · ويقتضي لكل ثلاثة قناطير من القطن نفر واحد من السكان وعدد سكان الولايات التي تزرع القطن ١٥ مليونًا فيسهل عليهم ان يزرعوا ما يبلغ محصولهُ ٤٥ مليون قنطار او نحو ١١ مليون بالة اميركية · وقد اهتدوا الى وسائل كثيرة لتسهيل الخدمة فصار يمكنهم ان يقوموا بزراعة اكثر من ذلك

وقد بحثت الحكومة الاميركية عن مصاريف زراعة القطن سنة ١٨٩٧ فوجدت ان مصاريف الفدان من الابلند ١٥ ريالاً و٤٢ سنتًا وايراد الفدان ١٩ ريالاً و٣ سنتات فالربح من الفدان الواحد ٣ ريالات و ٦١ سنتًا (اي ٧٢ غرشًا) · وان متوسط محصول الفدان ٢٥٥ رطلاً و ٦ اعشار الرطل من القطن الشعر و ١٦ بشلاً (نحو ثلاث اراذب) من البزرة ومتوسط ثمن الرطل من القطن الشعر ٧و٦ سنت ومتوسط ثمن البشل من البزرة ٩و١١ سنت ومتوسط اجرة جمع المئة رطل من القطن نحو ٩ غروش ومتوسط مصاريف القنطار من القطن الشعر في الولايات كلها خمسة ريالات و٢٧ سنتًا · وسنة ١٨٩٦ ربح ثمانون في المئة من زارعي القطن وخسر عشرون في المئة

وقد تحسن نوع القطن الاميركي كثيرًا بتحسن خدمتهِ فقد كان في كل مئة رطل من القطن والبزرة ٢٥ رطلاً من القطن الشعر و٧٥ رطلاً من البزرة ثم زاد مقدار الشعر (اي التصافي) رويدًا رويدًا حتى بلغ الآن ٤٠ رطلاً من القطن الشعر و٦٠ من البزرة (لو بلغ القطن المصري هذا المبلغ لكان تصافي القنطار ١٣٦ رطلاً من القطن الشعر وهو قلما يزيد الآن على ١٠٦ ارطال) وكان طول الشعرة سنتمترين الى ثلاثة فصار الآن خمسة سنتمترات الى ستة في اجود الانواع· ولكن الانواع التي بلغت هذا الحد من كثرة التصافي وطول الشعرة قليلة جدًا والغالب انهُ اذا طالت الشعرة لم يكثر التصافي واذا كثر التصافي قصرت الشعرة واذا بلغ القطن الامرين معًا اي كثرت تصافيهِ وطالت شعرتهُ فانهُ يخسر هذه الصفات سريعًا والقطن من النباتات التي تؤثر فيها الخدمة والسماد كثيرًا فيمكن تنويعهُ بسهولة وقد ثبت انهُ اذا اختيرت التقاوي من اللوزات التي تتفتح باكرًا صار القطن الناتج منها طويل الشعر الاَّ ان النوع الذي يزيد حملهُ كثيرًا تضعف قوتهُ الحيويَّة

وكانت العادة ان تؤخذ التقاوي من وابورات الحلاجة اما الآن فيفتش عن الاشجار التي تظهر فيها احسن الصفات وتؤخذ التقاوي من بزرتها· والمراد اختيار الاصناف الكثيرة التصافي التي شعرتها طويلة ودقيقة

خنّاق القطن

من الآفات التي تصيب القطن في القطر المصري مرض فطري يقع بجذر النبات عند اول ظهورهِ فيضعفهُ او يميتهُ وتدعو الحال الى كثرة ترقيع القطن وقد اطلق الفلاحون على هذه الآفة اسم خناق القطن· وقد اهتمت الجمعيَّة الزراعية الخديوية بالبحث عن سبب هذه الآفة والعلاج الشافي منها فوجدت ان سببها مادة فطرية كما تقدَّم وانهُ يمكن منع هذه الآفة بمزج تقاوي القطن قبل زرعهِ بالنفتالين وهو مادة كيماوية قوية الرائحة جدًّا تراهُ قشورًا دقيقة بيضاء يباع الرطل منهُ بنحو غرشين ويمتزج بالجبس وثمن الرطل من الجبس نصف غرش ويضاف هذا المزيج الى البزر ويخلط بهِ جيدًا فلا يعود المرض الفطري المشار اليهِ يظهر فيهِ الاَّ نادرًا وتبلغ مصاريف معالجة تقاوي الفدان اربعة غروش اذا اشتري النفتالين بمقادير كبيرة· ويحسن بالذين يبيعون التقاوي ان يخلطوها بمسحوق النفتالين والجبس على ما تقدم ويلزم لكل التقاوي التي تزرع في القطر المصري سنويًا نحو ٩٠٠ طن من النفتالين

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

آداب دعوات العصر

من الدعوات ما يدعى فيهِ الناس لقضاء عصر النهار من الساعة الرابعة بعد الظهر الى السادسة او السابعة ولا بدَّ من ان يُذكر ذلك في اوراق الدعوة ويذكر فيها ايضاً الالعاب التي يراد اللعب بها حينئذٍ وذلك في اسفلها · ويحق للمدعوين ان يحضروا في اية ساعة ارادوا من ساعات الدعوة · فاذا كان اليوم صحواً فضي في حديقة المنزل وتوضع للمدعوين موائد تحت الاشجار عليها المرطبات ونحوها او توضع لهم موائد في خيمة وتوضع عليها ما يلزم من الشاي والقهوة والليموناضة والاثمار والكعك والاشربة المبردة والمرطبة والسكاير ونحوها · ويكون في الحديقة او الخيم كثير من الكراسي والمقاعد ليستريح المدعوون عليها واذا كان اليوم ماطراً فلا بدَّ من استقبال المدعوين في البيت ولكنهُ اذا كان شديد المطر تؤجل الدعوة الى يوم آخر

ولا بدَّ لرب البيت وربة البيت من ان يستقبلا كل المدعوين والذين يأتون معهم من الاصدقاء ويصافحاهم واحداً واحداً ومتى انقضى الوقت واخذ المدعوون في الانصراف وجب على كلٍّ منهم ان يودّع رب البيت وربة البيت ويشكرهما على فضلهما ولا داعي لهُ لان يترك ورقة زيارته الاَّ اذا كان المدعوين كثاراً ولم يستطع ان يكلم رب البيت او ربة البيت وحينئذٍ فالمرأة المتزوجة تضع ورقة من اوراقها وورقتين من اوراق زوجها والارملة تضع ورقة واحدة والاعزب ورقتين

حفظ الشعر وتقويتهُ

خير الوسائل لتقوية الشعر وحفظهِ ان يبرش بفرشاة كل يوم في المساء والصباح خمس دقائق وينظف جلد الرأس دائماً واذا كان الشعر شديد الجفاف قصفاً فلا بد من دهنهِ بقليل من الزيت او البوماده · ولا يحسن صبغ الشعر بصباغ مهما كان نوعهُ

الفاكهة في الصيف

" كل الفواكه في ابانها " كلامٌ مأثور وحكمة انتجها الاختبار . ولقد كان عصر لم يكن طعام الانسان الاول فيهِ غير اثمار الاشجار وجذور النبات ولا تزال الاثمار والجذور طعام بعض قبائلهِ حتى الآن

والغذاء غير كثير في كل الاثمار ولكن فيها سكرًا سهل الهضم وهو سكر النبات وماء نقيًّا وحوامض آلية ومواد اخرى مغذية وكلها في حالة صالحة للهضم حتى اذا كانت الاثمار ناضجة كانت كانها طعام مهضوم تمتصهُ المعدة والامعاء حالما يصل اليها

ومن الناس من يتعب من اكل الفاكهة وسبب ذلك انهُ يكثر منها جدًّا او يأكل قشرها من غير ان يمضغهُ جيدًا او يأكل الكثير منها بين الاكلين حينما تكون معدتهُ وامعاؤهُ مشغولة بهضم طعامهِ العادي . ولو اقتصر على اكل الفاكهة وحدها او لو قلل طعامهُ الآخر واكل الفاكهة بدل ما قللهُ منهُ لما رأَى صعوبةً في هضمها واما اذا شبع من الطعام ثم اكل الفاكهة فوقهُ فانهُ يتعب لانهُ يكون قد اكل فوق الشبع

وخلاصة المقال ان الفواكه الناضجة سهلة الهضم جدًّا بشرط ان تؤكل وحدها ولا تؤكل فوق الشبع . واما اذا مزجت بالخضر واللبن والزبدة والسكر ونحو ذلك من المواد فانها قد لا تعود سهلة الهضم لا لذاتها بل لما مزجت بهِ

واذا كانت الفواكه حامضة فلا بدَّ من مضغها جيدًا ليمتزج اللعاب بها ويعدّل حموضتها بفعلهِ القلوي . ولا يراد بالفواكه الحامضة ما يحلو اذا نضج كالحصرم وقرعون الشمش لان هذه يجب ان تترك حتى تنضج جيدًا وتحلو بل يراد الفواكه التي يبقى فيها شيء من الحموضة ولو نضجت كبعض انواع التفاح فان التفاح الجيد الذي يبقى فيهِ شيء من الحموضة ولو نضج مغذٍ جدًّا ولا يصعب هضمهُ الأعلى الذين لا يمضغونهُ واذا مضغت الفاكهة وبقيت مع ذلك عسرة الهضم فالسبب من الاطعمة التي تؤكل معها لا منها فلتؤكل وحدها . والحامض القليل الذي في بعض الفاكهة من احسن المنظفات للقناة الهضمية والقاتلات للجراثيم المرضية . والذين جربوا عصير الاثمار في الحميات المنهكة كالتيفويد يفضلونهُ على خلاصة اللحم فانهُ ينعش الجسم ويميت الميكروبات

والفائدة الكبرى من الاثمار ناتجة عمَّا فيها من السكر فان سكرها نوع من النشاء المهضوم المعد لان يمتصهُ الجسم ولهذا السبب تجد الانسان ينتعش اي انتعاش اذا كان متعبًا جدًّا

وأكل برتقالة او تفاحة او اجاصة او عنقود عنب او قطعة بطيخ لان السكر الذي فيها يدور في بدنهِ حالاً ويغذي الدقائق المنهكة من التعب

يقول الاوربيون ان الفاكهة ذهب في الفطور وفضة في الغداء ورصاص في العشاء يعنون انها تفيد كثيرًا في الصباح وتثقل في المساء . اما فائدتها في الصباح فلا نزاع فيها واما ما ينتج عنها من التعب في المساء فسببهُ اكلها بعد ان تمتلئ المعدة من الطعام الغليظ فلو اقتصر العشاء على القليل الخفيف من الطعام لكانت الفاكهة خير ما يضاف اليهِ

ولا بدَّ من كون الفاكهة ناضجة تمامًا فليس من الحكمة اكل الفج منها ولا سيما اذا كان حامضًا لانهُ يتعب المعدة والامعاء . واذا قطفت الفاكهة قبل ان تنضج واريد اكلها وجب طبخها قبل ذلك لكن الفاكهة الناضجة اسهل هضمًا واكثر غذاء من غير الناضجة ولا داعي لطبخها حينئذٍ كما يفعل بعض الاوربيين بل ان طبخها يذهب بلذتها ويجانب من فائدتها ولا يزيدها هضمًا

واذا كان لا بدَّ من طبخ الفاكهة وجب ان يقلَّل السكر الذي يضاف اليها على قدر الامكان اي سكر القصب لانهُ ليس مما يسهل هضمهُ . وبعض الفاكهة يؤكل يابسًا اي زبيبًا كالزبيب الذي هو عنب مقدد والتين اليابس وكلاهما كثير الغذاء سهل الهضم يحسن ان يؤكل اداماً مع الخبز فيغذي الغذاء الكافي . وما اصح ما كان يقتات بهِ الاقدمون في زمن داود وسليمان والانبياء رغيف خبز وعنقود زبيب . طعام قليل لا يسمن ولكنهُ يغني عن جوع ويحفظ الصحة والقوة ولا يتعب المعدة

قلنا ان الفاكهة يجب ان تكون ناضجة لكي تفيد ونقول ايضاً انها يجب ان تكون ناضجة على امها لا مقطوفة فجراء ومتروكة زماناً طويلاً حتى تنضج فانها تخسر حينئذٍ جانبًا كبيرًا من فائدتها وهو شأن اكثر الفواكه التي يتاجر بها من بلاد الى أُخرى فانها ترسل فجراء فتنضج في اثناء الطريق ولكن شتان بينها وبين الفواكه التي تنضج على امها في طعمها ونكهتها

اكلنا قبل كتابة هذه السطور مشمشًا لوزيًا قطف من حديقة في حلوان بعد ان نضج على امهِ فوجدنا حلاوتهُ لا تقل عن حلاوة العسل مع ان منظرهُ يدل على انهُ ليس من اجود انواع المشمش اللوزي ولا هو ناضج على مهل في حر معتدل . واكلنا بعدهُ مشمشًا لوزيًا اتانا من بيروت وقد قطف فجرًا حتى لا يتلف في الطريق ومنظرهُ يدلُّ على انهُ من اجود انواع المشمش اللوزي كبير الحجم ابيض اللون مورَّد الخدين فوجدنا طعمهُ دون طعم الاول مع انهُ لو ترك يومين آخرين حتى نضج على امهِ لكان الذ فاكهة تحت السماء

والموز الذي يؤتى بهِ الى هذه العاصمة من جزائر الهند الغربيَّة هو من اجود انواع الموز والموز يقطف عادة قبلما ينضج لانهُ لا ينضج كلهُ دفعةً واحدةً ولكن هذا يقطف قبلما ينضج بكثير ولذلك تزول فكاهتهُ ولا يكون فيهِ نصف الحلاوة التي تكون فيهِ عادةً لو قطف حالما يشرع ينضج

وفي الموز ٢٥ في المئة من سكر الاثمار وغيرهِ من المواد المغذية فهو من اكثر الاثمار غذاء ويكاد يماثل الزبيب والتين اليابس من هذا القبيل والرطل من الموز الجيد يحوي من الغذاء قدر ما يحويهِ الرطل من اللحم واذا كان ناضجاً جيداً سهل هضمهُ على اضعف المعد

وقد شاع الآن تجفيف الموز الناضج وطحنهُ وعمل عصيدة من طحينهِ او شوربة وهي مغذية جدًّا وسهلة الهضم

والتمر من اكثر الاطعمة غذاء ولذلك لا نعجب اذا قيل لنا ان الرجل من الدراويش كان يقتات في يومهِ بقليل من التمر وحفنة من الذرة ويصبر على تحمُّل المشاق والاهوال لان التمر كلهُ غذاء. وكذلك التين الاخضر واليابس لا سيما وان في التين مادة نيتروجينية ايضاً تزيدهُ غذاء واذا اضيف الجوز والموز الى الاثمار اليابسة كالتين والزبيب كمل الغذاء لاننا نكون قد جمعنا بين المواد الدهنية والسكرية والنيتروجينية

ومن العجب ان يوجد عند الناس خبز من القمح او ذرة وحبوب كالفول والعدس وفاكهة طرية كالعنب والتين والموز والبرتقال ويابسة كالزبيب والتمر والتين اليابس وهم لا يكتفون بهذه الاطعمة ويستغنون عن اللحوم والمعاجين وكل الاطعمة الغالية الثمن المتعبة للمعدة

وقد اثبتنا في الجدول التالي ما في انواع بعض الفاكهة من الماء والسكر والبروتيدات (اي المواد التي تكوّن اللحم) والمواد الهلامية

	ماء	سكر	بروتيد	هلام
التفاح	٨٥	٨	٠و٥	٥
المشمش	٨١	٤و٥	٠و٥	٦و٥
الموز	٧٧	٢٠	١و٥	٠٠
الكرز	٨٠	١٠	٠و٧	١و٨
التمر	٣٨	٥٧	٣و٠	٠و٢
التين الاخضر	٧٩	١٨	١و٥	٠و٥

	ماء	سكر	بروتيد	هلام
التين اليابس	٣١	٥٠	٤٫٠	٢٫٠
العنب	٧٨	١٤	٠٫٦	٠٫٢
الزبيب	٣٢	٥٥	٢٫٥	٠٫٧
البرتقال	٨٧	٤٫٥	٠٫٨	
الشمام	٩٠	٨٫	٠٫٥	
البطيخ	٩٣	٧	١٫٠	
الخوخ	٨٠	٤٫٥	٠٫٧	٧٫٠
الكمثرى	٨٣	٨٫٢	٠٫٤	٣٫٣
الاناناس	٨٩	٨٫٩	٠٫٤	٠٫٢
البرقوق	٨٥	٣٫٦	٠٫٤	٤٫٦

ولا يخفى ان هذه المواد تختلف باختلاف اصناف النوع الواحد من الفاكهة فالتفاح اصناف كثيرة بعضها سكري كثير السكر وبعضها شرابي كثير الحوامض وكذلك المشمش اللوزي والحموي والكلابي اصناف كثيرة بعضها يسيل حلاوة وبعضها ناشف لا طعم فيهِ وقس على ذلك الموز والعنب والتين والبرتقال والشمام والبطيخ والخوخ (الدراقن) والكمثرى (الاجاص) فانها كلها ذات اصناف بستانية مختلفة في الجودة واجودها ما كثر سكرهُ ومائيتهُ ونكهتهُ وطعمهُ وهو اكثرها غذاء واسهلها هضماً



باب التقريظ والانتقاد

اعظم تذكار للعثمانيين الاحرار

لم يكد يُعلن الدستور في البلاد العثمانيَّة حتى قام كثيرون من العلماء يفتون بانهُ مطابق للشرع الشريف كانهم حسبوا ان الناس مرتابون في مطابقتهِ للشرع فقصدوا نزع الريبة من نفوسهم. ومن قبيل ذلك هذا الكتاب الذي وضعهُ احد علماء بيروت وهو كتاب نفيس اثبت فيهِ مؤلفهُ بالنصوص الصريحة على انواعها ان مجالس الشورى والحرية موافقة للشرع الشريف فاثبت مشروعية مجلس المبعوثان الشوروي باثنتي عشرة آية وقسم الحرية الى

اقسام مختلفة واستدلَّ على مشروعية كلٍّ منها بالآيات القرآنية ولم يكتفِ بذلك بل نسب الى المسيحيين اموراً ينكرونها فقال مثلاً ان الرهبان ألفوا الرسائل ذيلاً للعهدين وجعلوا قولهم في صلاتهم " ابانا الذي في السماوات " من قبيل افتخار امة على أخرى واشار الى ان في ذلك تذليلاً وتحقيراً لباقي الشعوب وسلباً لحرية نفوسهم. ونسي ان الكتاب الذي علَّم اتباعهُ ان يقولوا في صلوتهم ابانا الذي في السموات قال لهم ايضاً وخلق من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على وجه الارض وانهُ ليس عند الله محاباة بل كل من يفعل البر مقبول امامهُ . ولكن الجدل في هذه المواضيع لا يجدي نفعاً . والآن نحن نكتب هذه السطور وعلماء الشرع يصدرون الفتاوي في تقبيح ما فعلهُ اهالي اطنه وغيرها من ذبح مواطنيهم المسيحيين كأنهم فعلوا ذلك مدفوعين بدافع ديني . وما دام الناس يعتمدون على الدين في تحليل المعاملات وتحريمها نبقى في هذا التخاذل والتضاغن لانهُ اذا وجد العالم المستنير ادلة على اثبات امرٍ وجد العالم المتنطع ادلة على نفيهِ . وقد اشتدَّ العداء واستحرَّ القتل لعلة الدين بين اصحاب المذاهب المختلفة من الدين الواحد بل بين اصحاب المذهب الواحد فما قولك بهم وهم من اديان مختلفة . ولا ندري لماذا لا يلتفت الناس في معاملاتهم الى اصول اخرى غير الاصول الدينيَّة . فاذا فتشت عن بنَّاء يبني بيتك لا تعتمد في اختيارهِ على آية كتابيَّة بل على مهارتهِ وامانتهِ واذا فتشت عن طبيب يطبب ابنك لم تعتمد من انتقائهِ على حديث نبوي بل على ما علمتهُ بالخبر او بالخبير عن علمهِ وفضلهِ . والناس يعتمدون في زراعتهم وصناعتهم وتجارتهم على علومهم التي توصلوا اليها بالاختبار ولا يدخلون الدين فيها فلماذا لا يعتمدون في سياستهم على علمهم واختبارهم اي على ما هم متفقون فيهِ ومسؤولون عنهُ ولا يفلح الشرق الاَّ اذا فصل بين الدين والسياسة وترك كلاًّ منها يسير سيرهُ الخاص بهِ . والكتاب حسن في اسلوبهِ شريف في غايتهِ وما اعتراضنا عليهِ الاَّ لان الاختبار يدلنا اننا ان جعلنا الدين اساساً لمسائلنا الاجتماعيَّة فلا تجد واحداً ينادي بالتأليف بين اعضاء الشعب الواحد لاسباب دينيَّة حتى تجد اثنين يناديان بالتفريق لاسباب دينيَّة . وكل ما ينادي بهِ علماء مصر والشام مما يوجب التأليف بين اكبر ملتين في السلطنة العثمانية لم ينقذ واحداً من القتل ولكن ما نادى بهِ دعاة التفريق بعلة دينية اي دعاة التعصب قتل ثلاثين الفاً

ديوان رستم

بين الشعر الفصيح والشعر العامي من المواليا والزجل ونحوهما بون شاسع وقد كان ذلك

كذلك من قديم الزمان حتى يظهر لنا ان اللغة المعربة التي نكتب بها وقد كتب بها ابناء العربيَّة من اول زمن التدوين الى الآن لغة موضوعة او منقحة وان لغة التكلم او اللغة العامية كانت دائمًا اقرب الى اللغة العامية المستعملة الآن منها الى لغة الكتابة

وقد حاول كثيرون الجري على لغة متوسطة بين اللغة العربيَّة واللغة العامية اما بتهذيب العامية قليلاً حتى تقارب المعربة كما ترى في الزجل الذي نشرناهُ في الجزء الماضي من المقتطف في الكلام على دولة آل عثمان . او بادخال كلمات ومصطلحات عامية في اللغة المعربة لكي تصير اقرب تناولاً واسهل فهماً على العامة . ومن هذا القبيل قصائد ومقاطيع كثيرة في ديوان الشاعر العصري اسعد افندي رستم اللبناني مولدًا والاميركي دارًا كقولهِ في وصف الشوبر مسقط رأسهِ

نحن الشوريين كم من معترك فيهِ بلعنا الخصم مثل (الشِّشْبَرَك) !
ارباب شاقوفٍ تميد لهُ الثرى فيدكّ من اجبالها ما لا يُدَكّ
اصحاب جدٍ في البلاد يهمنا عملٌ وليس يهمنا (طق الحنك) !
نبني البيوت على اساسٍ راسخٍ ليست تزعزعهُ المدافع والفشك
منا المؤلف والرياضيُّ الذي لمؤلف افرنج شيئاً ما ترك
ولنا على صنين من اعمالنا نورٌ يشاهدهُ البقاعي في الكرك
والفرق ما بين الشوير وغيرها كالفرق ما بين الجواهر والتنك
والحمد للمولى نقيم بها ولا في البرج او في ساحة ندعى أسمك
هي في امانٍ لا يخدش سمعنا فيها سوى صوت الضفادع في البرك
وخلاصة الاقوال يا اصحابنا ان الشوير تهز عمود الفلك !!

وقولهُ على اثر اجتماع بعض الجرائد العربيَّة في نيويورك لتوحيد جرائدهم

في (آستيفن هوس) قد اجتمعوا وجرت اشياءٌ فاستمعوا
اخذوا ردوا رغبوا طمعوا والكل بقدوتو غالى

إرخي إرخي لا لا لا لا

قالوا سنضمُّ جرائدنا يوماً ونضمُّ فوائدنا
فيرى الرصفاءُ مكائدنا وتعاين منا الاهوالا

اضرب واطرح لا لا لا لا

منهم من قال انا الراسُ خضعت لمهابتيَ الناس

وبأنمله ارتفع الكاسُ فانصبَّ (الوسكي) شلالا
آنْيِڤا توكا لا لا لا
قالوا من بعد ان اقترحوا هذا يا اخوان القدحُ
صبوا ليتمَّ لنا الفرحُ ويزيد البسط استكمالا
عندي عندك ترلا لا لا

وقولهُ في التزوج بربة مال

صاحِ ان تقترن بربة مالٍ وجمال تلفَ المعيشة مُرَّهْ
دأبها ان تقول آلي ومالي كلما الكوز دقَّ يوماً بجرَّهْ

وفي الديوان قصائد ومقاطيع كثيرة خالية من العامي وبعضها من بليغ النظم ويا حبذا لو خلا من بعض التهم الكاذبة التي يشيعها اوباش لا خلاق لهم كقوله مخاطباً اناساً في مخيلتهِ

وللدولة المحتلة القطر يعتمُ مبادئكم بالمال والمال يفسدُ
وكيف يعد المرء حرًّا وعندهُ ضميرٌ بمال الانكليز يقيَّدُ

ولا ندري كيف يستحل رجل مثلهُ ان يتهم امةً جليلة الشان مثل امة الانكليز انها تشتري الناس بالمال وتقيد ضمائرهم وهي صاحبة الطول والحول والسيف والمدفع والفضل الاكبر على كل الممالك العثمانية . وقد كان نائبها في هذا القطر مثال العفة والاستقامة وسمو المبادىء الدينية . ولا نقول للناظم اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه لاننا نبرأ الى الله ان نرمي بفاحشة من لا نعرفهُ ولا نعرف عنهُ شيئاً ولكننا نلوم كل من يستحل اتهام الناس تهماً كاذبة مثل هذه والديوان كبير وفيهِ صور بعض الممدوحين ورسوم هزلية وقد صدرهُ الناظم برسمهِ

معجم الادباء لياقوت الحموي

الجزء الثاني

اهدى الينا حضرة الفاضل الاستاذ مرجليوث الجزء الثاني من هذا الكتاب النفيس وهو كالاول في حسن طبعهِ وتنقيحهِ يبتدئ باحمد بن علوية الاصبهاني الكرماني وينتهي بجودي بن عثمان . ومن الاعلام المشهورين الذين وردت ترجماتهم في هذا الجزء ابن مسكويه وابن عبد ربهِ والميداني والبلاذري وثعلب وابن صبيح واسامة بن مرشد واسحق الموصلي وابن مماتي والجوهري والصاحب بن عباد . وقد ملأت ترجمة ابن عباد سبعين صفحة . والميكالي والمازني

وابن السرَّاج وابن الفرات وابن قدامة الكاتب وغيرهم . وقد اسهب في ترجمة بعضهم كما تقدم واختصر في ترجمة البعض الآخر . ومما وقفنا عليهِ حديثاً ولم نرهُ في هذا المعجم كتاب للامير اسامة ابن منقذ اسمهُ لباب الآداب ألَّفهُ قبل وفاتهِ واهداهُ الى ابنهِ وقد وقعت لنا النسخة الاصلية التي كتبت للمؤلف واهداها الى ابنهِ سنة ٥٨٢ للهجرة كما ذكرنا في الصفحة ٩٥٣ من المجلد الثاني والثلاثين من المقتطف

هذا واننا نقترح على حضرة الاستاذ مرجليوث ان يزيد نفع الكتاب ويلحقهُ بفهرس آخر تذكر فيهِ الاسماء مرتبة حسب شهرتها فيكتب الميداني في حرف الميم والبلاذري في حرف الباء وثعلب في حرف الثاء والجوهري في حرف الجيم والصاحب بن عباد في حرف الصاد وهلم جرّا تسهيلاً للمراجعة ولو وضعت الاسماء في حقلين او ثلاثة من الصفحة الواحدة والكتاب حسن الطبع والتجليد يحسن ان تحلَّى بهِ كل المكاتب العربية

شرح المعلقات

ما اكبر الفرق بين هذا الكتاب والذي قبلهُ معجم الادباء من حيث جودة الورق والطبع والتجليد مع ان الذين طبعوا الكتاب الثاني بذلوا جهدهم على ما يظهر لجعلهِ في الدرجة الاولى بين الكتب المطبوعة في المطابع الوطنية بهذا القطر

والشرح للزوزني المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة فهو من اقدم كتب الادب . ويليهِ شرح معلقة النابغة الذبياني ومعلقة الاعشى وقصيدتان للنابغة وهذه الشروح الاخيرة منقولة من الكتبخانة الخديويَّة ومقابلة على عدة نسخ وقد طبعت بمطبعة دار الكتب العربيَّة الكبرى على نفقة اصحابها مصطفى افندي البابي الحلبي واخويهِ . وشرح المعلقات السبع الاول مسهب كثير الفوائد اللغويَّة واما شرح المعلقتين الاخيرتين والقصيدتين اللتين تليانهما فعلى اتم الاختصار

درس الهندسة للسنة الثانية الثانوية

كتاب صغير لكنهُ جامع لكثير من القضايا الهندسية فان كان التلامذة لا يتعلمون غيرهُ من الهندسة في سنة كاملة فاشتغالهم بالهندسة قليل جدًّا فاننا كنا نعلم كتب اقليدس كلها في سنة واحدة ولا يرى التلامذة صعوبة في تعلمها . ثم ان رسوم هذا الكتاب لا يظهر الحروف فيها احياناً ففي رسم النظرية الثانية والثلاثين لم يظهر حرف الميم ولا ظهرت الخطوط التي يبرهن بها مساواة المربع الاصغر لمستطيل ل م ب ن وحبذا لو اختيرت الحروف الكبيرة الثخينة في كل كتب التعليم لكي لا تتعب في استيضاحها عيون التلامذة

ترجمة القس وليم هرفي

القس الدكتور وليم هرفي من خيرة القسوس الامركيين الذين اقاموا في القطر المصري وهو من بيت اسكتلندي هاجر بهِ ابواهُ الى اميركا في حداثتهِ فدرس في احدى مدارسها العالية واتمَّ دروسهُ سنة ١٨٦٢ ثم درس العلوم اللاهوتية وأُرسل الى القطر المصري فوصلهُ في ٢١ دسمبر سنة ١٨٦٥ وقضى فيهِ بقية عمرهِ الى ان توفاهُ الله في العشرين من شهر نوفمبر الماضي فيكون قد قضى في هذا القطر ٤٦ سنة واعظاً ومعلماً بكلامهِ وسيرتهِ الطيبة . وقد جمع حضرة عبد الملك افندي تادرس الكدواني خلاصة ترجمتهِ وما قيل في تأبينهِ بالعربيَّة والانكليزيَّة في كتاب واحد ليكون تذكاراً لهُ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) عقاب الطبيب والمحامي

مصر . الخواجه فكتور سيمون بطيطو . هل يعاقب الطبيب اذا اخطأ فقتل المريض بخطاءهِ وهل يحاكم المحامي اذا اخطأ فاضرَّ موكلهُ بخطائهِ . ومَن يطلب معاقبتهما ومن يحكم بخطائهما

ج . ذوو الشأن يطلبون معاقبة الطبيب فالمحكمة تعين ذوي خبرة من الاطباء ينظرون في الامر فاذا وجدوا ان الخطأ كان عن قصد او عن جهل فالقضاة يقدرون العقوبة ولكن ذلك قلما يحدث لان الطبيب يقدر دائماً ان يجد وجهاً للدفاع كأَن يقول ظننت ان العلَّة كذا لا كذا فعالجتها حسبما تراءت لي . واذا اعترف بخطائهِ فخطاؤُهُ عن غير قصد وجزاؤُهُ طفيف ولكن اذا ثبت انهُ ارتكب جناية لقصد سيءٍ فيعاقب مثل غيرهِ من الجناة

واذا اخطأ المحامي وشكا منهُ موكلهُ فالمحكمة تنظر في ذلك وتعاقبهُ ولجنة تأديب المحامين تحكم عليهِ بما يستحقهُ من التوقيف او الشطب

(٢) مذهب دارون واطفال الناس

الفيوم . ج. م يقتضي مذهب دارون ان يكون الارتقاء من الادنى الى الاعلى وحيث ان الانسان زبدة المخلوقات فيجب ان يكون اقوى منها في كل شيء واذا كان الامر كذلك فلماذا نرى طفل الانسان اضعف من اطفال اكثر الحيوانات اليس ذلك مناقضاً لمذهب دارون

ج . ليس من الضروري ان يكون كل ما في الانسان اقوى من كل ما في الحيوان فعقل الانسان ارقى من عقل الحيوان ويد الانسان ارقى من يد الحيوان ولكن انياب الانسان ليست اقوى من انياب الاسد وسمعهُ ليس احد من سمع الارنب وشمهُ ليس اقوى من شمّ الكلب وبصرهُ ليس احد من بصر النسر. وليس من الضروري ان يكون الانسان قد ارتقى من حيوان صغارهُ قوية كصغار الخيل والبقر ولا من حيوان قوي الجسم كالاسد والنمر بل المرجح انهُ تولَّد من حيوان ضعيف الجسم لان قوة الجسم تدعو الى شدة الخصام وبعد الحيوانات بعضها عن بعض واما ضعف الجسم فيدعو الى الالفة واعمال الحيلة فتقوى بهِ المراكز العقليـة ويظهر لنا ان طفل الانسان المتوحش اقوى قليلاً من طفل الانسان المتمدن اي ان شدة الاعتناء بالاطفال وقلة احتياجهم الى السعي اضعفا بنيتهم ورسخ هذا الضعف فيهم بالوراثة

(٣) قوة الدولة البحرية

حوران المزيريب . نعيم افندي الخوري . نظرت في باب الاخبار العلمية في الصفحة ٤١٢ من المجلد الرابع والثلاثين جدولاً فيهِ محمول السفن الحربيَّة لكل من الدول البحريَّة ولم اجد ذكرًا لدولتنا العثمانية فما هي قوة عمارتها البحريَّة

ج . لم تذكرها لان دولتنا لا تعد الآن من الدول البحرية ولكنها من الدول البريَّة وليس ذلك بضائر فان روسيا لم تعد الآن من الدول البحريَّة والنمسا ليست من الدول البحريَّة ومع ذلك عند الدولة الآن طرادان محميان محمول كلٍّ منهما ٣٢٥٠ طنًّا وسرعتهُ ٢٢ ميلاً بحريًّا وقد اصلحت المدرعة مسعودية وفيها الآن مدفعان قطر فوهة كلٍّ منهما ٩ بوصات وعشرا البوصة و١٢ مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات وتزيد سرعتها على ١٧ ميلاً بحريًّا وعندها مدرعات اخرى ولكنها قديمة لا تحسب بين مدرعات هذه الايام . واذا ارادت ان تنشئ لها اسطولاً جديدًا لزمها ان تنفق على ذلك مليونين او ثلاثة ملايين من الجنيهات كل سنة على الاقل لان البارجة الواحدة من طراز الدردنوط يكلف بناؤُها مليوني جنيه

(٤) صور السماء

الاسكندرية . احمد افندي السيد . وعدتم في الصفحة ٦١ من المجلد الثالث

والثلاثين بانكم ستنشرون في جزئين تاليين رسالة عربية في صور السماء وتعلقون عليها شرحاً وجيزاً وللآن لم تنجزوا هذا الوعد فنرجو التكرم بانجازهِ

ج . الرسالة العربية امامنا الآن وكنا عازمين ان نعلق الشرح عليها من كتاب انكليزي قديم في علم الفلك يذكر فكاهات كثيرة عن صور السماء ولكننا فتشنا عن الكتاب حين الحاجة اليهِ فلم نجدهُ ولا نتذكر اسم مؤلفهِ وسنفتش عنهُ جهدنا لعلنا نجدهُ ونقوم بوعدنا

(٥) اسماء صور السماء

ومنهُ . باطلاعنا على ما قالهُ العلاَّمة القزويني في كتاب عجائب المخلوقات عن شرح صور السماء الشمالية والجنوبيَّة والبروج وجدناهُ قريباً مما جاء في شرح صور السماء في الاطالس الانكليزية والفرنسوية فهل المصدر الذي اخذ منهُ القزويني هو المصدر الذي نقل عنهُ فلامريون الفلكي الفرنسوي وغيرهُ وهل كتاب المجسطي لبطليموس هو المعول عليهِ للآن في شرح صور السماء ولماذا صورت بعض مجاميع النجوم بصور الحيوانات كالحمل والثور وبعضها بصور غيرها كالميزان والسنبلة

ج . ان الاصل واحد كما قلتم فان العرب نقلوا علم الفلك عن اليونان واخذوا عنهم صور مجاميع النجوم واسماءها وكذلك الاوربيون نقلوا عن اليونان وعن العرب ايضاً . واليونان نقلوا عن المصريين والكلدانيين ولا يعتمد الآن على كتاب المجسطي في علم الفلك ولا يعلم لماذا سمى الاقدمون هذا المجموع من النجوم حملاً وذاك ثوراً وذلك اسداً وهلمَّ جرًّا ولكنهم لو لم يسموها بهذه الاسماء لسموها بغيرها من اسماء الحيوانات والاشياء المألوفة عندهم . والظاهر ان اختلاط الامم بعضهم ببعض في الازمنة الغابرة بالحروب والاسفار جعل بعضهم يقتبس تلك الاسماء من غيره فاتفقوا في بعضها واختلفوا في البعض الآخر فمعنى اسم الثريا في المصرية القديمة الكثيرة لكثرة نجومها وفي الهندية الدجاجة وفراخها وفي لغات هنود اميركا الرجال والنساء في حلبة الرقص . والمجرَّة معنى اسمها العربي اثر جر الحبل ومعنى اسمها في الصينية نهر السماء وعند بعض هنود اميركا طريق النفوس . والدب الاكبر يسميهِ العرب بالنعش وبناتهِ ومعناهُ في السنسكريت المركبة واسم المركبة فيها شبيه باسم الدب ولعلَّ اليونان اخطأوا فحسبوا ان الدب اسمهُ فسموهُ دبًّا بلغتهم . والاسكيمو يسمونهُ ايلاً والهنود فيلاً ويقولون انهُ في صورة الفيل

(٦) اصل الحياة

ومنهُ . لقد ثبت بالدليل ان الكرة الارضية كانت في اول نشأتها سديمًا او مادة في حالة الغازية لا تصلح لحياة النبات والحيوان وعُلم بالبرهان ان الحياة لا يمكن توليدها

الأ بالتناسل من حي سابق فما هو تعليل وجود النبات والحيوان والانسان على الكرة الارضية

ج · ان كل ما حسبتموه مثبتاً بالبرهان والدليل ليس مثبتاً لا بالدليل ولا بالبرهان بل هو مرجح ترجيحاً فالارض يرجَّح انها كانت سديماً ويحتمل انها كانت مواد جامدة من اصلها · ولم يعلم بالبرهان ان الحياة لا يمكن توليدها الا بالتناسل لان البرهان لا يقوم على القضايا السلبيَّة وجهد ما يقال اننا لا نعرف ان حيًّا تولَّد في ايامنا الاَّ بالتناسل من حي آخر ولكن هذا لا ينفي ان يتولَّد الحي من غير الحي في احوال اخرى غير الاحوال التي نعرفها · والظاهر من درس احافير الارض انها لما صلحت لمعيشة الحيوان والنبات ظهرت فيها حيوانات ونبات بسيطة التركيب دنية الرتبة جدًّا لا تكاد تفرق عن بلورات الجماد ثم زادت انواع هذه الحيوانات والنباتات وكثرت تراكيبها وارتقت انواعها على مر العصور · ولا يعلم الآن كيف تولَّدت الحيوانات الاولى والنباتات الاولى ولم يهتدِ العلماء الى ايجاد احوال مثل تلك الاحوال تتولَّد فيها اجسام حيَّة من اجسام غير حية ولكنهم سائرون في هذا السبيل

(٧) عدد الاقباط

نيويورك · الخواجه متري نجار · كم عدد الاقباط في القطر المصري

ج · ٧٠٦٣٢٢ حسب الاحصاء الاخير

(٨) باكر صبوحك

ومنهُ · لمن القصيدة التي مطلعها "باكر صبوحك خير العيش باكرهُ"

ج · لكمال الدين ابن النبيه

(٩) ري العراق

ومنهُ · كيف يمكن الحصول على تقرير السر وليم ولككس المهندس على ري العراق

ج · بلغنا ان النسخ التي طُبعت منهُ نفدت كلها حتى ان صديقاً لنا اراد ترجمتهُ الى الفرنسويَّة فلم يجد غير نسخة واحدة عند المؤلف فاستعارها منهُ

(١٠) رواية التعساء

ومنهُ · هل ترجمت رواية التعساء لفكتور هيجو الى العربيَّة

ج · ترجم جزء صغيرٌ منها حافظ افندي ابرهيم الشاعر المصري المشهور وطبعهُ ولم نعد نسمع انهُ طبع غيرهُ او اتمَّ ترجمتها او ان غيرهُ ترجمها

(١١) الخوف

جاميكا · وندسور كاسل · الخواجه شحاده خليل مالك · لماذا يخاف الانسان وهل الخوف يشمل الناس كلهم وهل يعمُّ الحيوان والنبات

ج · الخوف طبيعي في الانسان والحيوان تولَّد من ملكة حفظ النفس والهرب من الخطر اي اذا وجد في مكان مئة حيوان وهرب خمسون منها من الخطر والخمسون

الاخرى لم تهرب منهُ فسلامة الاولى مضمونة اكثر من سلامة الثانية وبقاء نسل الاولى اضمن من بقاء نسل الثانية فتزيد فيها صفة الهرب من الخطر رويدًا رويدًا لانها مفيدة لحفظ النسل · والظاهر ان هذه الصفة اي الخوف او الابتعاد عن الخطر موجودة جراثيمها في النبات فترى الصنوبر يثخن قشرهُ لكي ينجو من برد الشتاء والسنط يطبق وريقاتهِ في النهار لكي لا يكثر التبخر منها ومن المرجح ان النبات لا يشعر بما يفعل كما ان معدنا تعمل ونحن لا نشعر بعملها اذا كانت في حال الصحة

(١٣) المطر والبحر

ومنهُ · من المشهور ان الطبيعة لا تأتي بشيء ليس منهُ منفعة فما هي المنفعة من سقوط المطر فوق البحار

ج · في هذا القول تجوّز كثير فان بعض اعمال الطبيعة غير نافع او هو نافع للبعض وضار للبعض الآخر فلا نعلم ما هو نفع الطاعون والكوليرا لانها لا ينفعان الانسان ولا الحيوان الاَّ اذا قيل ان الدود يغتذي بجيف الموتى بهما واشجار المقابر تغتذي من ابدانهم المدفونة فيها · وحرارة الشمس تقع على الكرة الارضيَّة كلها برها وبحرها فيصعد جانب كبير من مياه البحار بخارًا وينعقد مطرًا فاذا وقع كلهُ على الارض خربها فيقع بعضهُ على البر وبعضهُ على البحر ولكنهُ لا يدرك انهُ يخرب البر اذا وقع كلهُ عليهِ فيقع اكثرهُ على البحر ولا يتبع في وقوعهِ قاعدة معلومة بل يجري حسب الفواعل الكثيرة التي تؤثر فيهِ واكثرها راجع الى اختلاف حرارة الشمس وما يحدث فيها من الانواء

(١٣) الفضيلة والرذيلة

ومنهُ · اجمع الكتَّاب على تحقير الرذيلة وفاعليها والحث على فعل الخير والفضيلة فهل من الممكن ان يتبع الجميع نصائحهم ويعملوا بها وهل يقوم هذا الكون من غير شر ورذيلة وهل الانسان مطالب عن افعالهِ لدى القوانين الطبيعية

ج · لا يبعد ان تقل الشرور رويدًا رويدًا لانها غير نافعة فيبقى النافع الصالح للبقاء ونتبع نصائح ذوي الفضيلة ونعمل بها · ولا شيءَ يمنع الكون من ان يصير ولا شرَّ فيهِ على الاطلاق · وقوانين الطبيعة صارمة تطالب الانسان فيضطر ان يخضع لها فالذي يكثر من الطعام يتخم والذي يكثر من الحركة يتعب والذي يدور على نفسهِ يصيبهُ الدوار · والانسان يحاول ان يضعف سلطة هذه القوانين عليهِ فيمرّن العدَّاء رجليهِ على المشي حتى لا تتعبا والدرويش جسمهُ على الدوران حتى لا يصاب بالدوار ولكن لمقاومة الجسم حدٌّ لا يتعداهُ فجسر الحديد يحمل الاثقال ولا ينكسر ولكن ذلك الى حد محدود فاذا تجاوزنا ذلك الحد وحملناهُ اكثر من طاقتهِ انكسر حتمًا

(١٤) اعلان الدستور العثماني

سان فوس بالبرازيل . الخواجه موسى الحداد . لمن الفضل الاكبر في اعلان الدستور العثماني اللاتراك ام للسوريين

ج . الفضل في ذلك لجمعيَّة الاتحاد والترقي واكثر اعضائها من الاتراك والالبانيين

(١٥) مشابهة العربية الانكليزية

ام درمان . عبد الله افندي العربي . نرى مشابهة كبيرة بين بعض الكلمات العربية والكلمات الانكليزية لفظاً ومعنىً مثل guide قائد و good جيد و cat قطة و tail ذيل و gain جنى فما هو سبب هذه المشابهة واي اللغتين اقتبست من الاخرى

ج . بعض هذا التشابه جاء اتفاقاً كما في كلمة guide فانها مشتقة من كلمة witan القوطية ومعناها راقب وعرف ولا علاقة لها بقائد العربية وبعضها من اصل واحد مثل cat الانكليزية فانها من catus اللاتينيَّة ولا يبعد ان يكون العرب نقلوها عن الروم في سالف عهدهم . والكلمات التي اقتبسها العرب من الانكليزية قليلة وكلها حديث لا يوجد في كتب اللغة ككلمة ورشة فانها من workshop الانكليزية وهي خاصَّة بالآلات والمعامل والكلمات التي اقتبستها الانكليزية من العربية بعضها قديم مثل zenith فانها من سمت العربية وبعضها حديث مثل shadoof و seifi

(١٦) عدد العناصر

مديات (ما بين النهرين) . الخواجه عمانوئيل قرياقس اناويس . كم يبلغ عدد العناصر المكتشفة الى الآن

ج . نحو ثمانين عنصراً

(١٧) القوة المغنطيسية

ومنهُ . هل تظهر القوة المغنطيسيَّة في غير الحديد من المعادن وهل يجذب المغنطيس غير الحديد

ج . نعم تظهر في معادن كثيرة ولاسيما النكل والكوبلت . والمغنطيس يجذبها كما يجذب الحديد

(١٨) القوة المغنطيسية في الارض

ومنهُ . ما الذي يرتئيهِ العلماء من جهة القوة المغنطيسيَّة في الارض هل هذه القوة قائمة في معدن الحديد او في مادة الكرة الارضية كلها

ج . في مادة الكرة الارضية كلها وسببها حرارة الشمس وفعلها بالارض وجوها ودوران الارض على محورها

(١٩) اسماء المدن والقرى

ومنهُ . ان بعض المدن والقرى في القطر المصري يسمَّى باسماء سريانية مثل كفر الدوار وكفر الزيات وكفرطا ومعناها قرية الفلاح وقرية الزيات وقرية النخس فما سبب ذلك

ج . لقد سكن القطر المصري شعوب سامية من قديم الزمان لغتهم العبرانية والسريانية فسموا بعض قراها باسماء من لغاتهم



المجلد الرابع والثلاثون

لقد كبر جرم المقتطف فصار يصعب تجليد اجزاء السنة كلها في مجلد واحد ولذلك رأينا ان نقسم كل سنة الى مجلدين لكل منهما فهرس خاص بهِ . وقد نشرنا مع هذا الجزء فهرس الاجزاء الستة الاولى من هذه السنة لتكون المجلد الرابع والثلاثين وستكون اجزاء الستة الاشهر التالية المجلد الخامس والثلاثين

ثروة انكلترا والمانيا

يكثر الكتّاب الانكليز في هذه الايام من المقابلة بين انكلترا والمانيا في كل شيء لانهم يخشون نشوب الحرب بينهما و يقولون ان التأهب للحرب يمنع نشوبها . وقد بيَّن احد الكتاب الالمانيين ان المانيا صارت اغنى من بريطانيا فقد كانت ثروة بريطانيا تقدَّر باثني عشر الف مليون وخمس مئة مليون جنيه وثروة المانيا بعشرة آلاف مليون جنيه فقط اما الآن فثروة بريطانيا تقدَّر بخمسة عشر الف مليون جنيه وثروة المانيا بسبعة عشر الف مليون وخمس مئة مليون جنيه . ومن رأي احد كتّاب الانكليز ان الفرق بينهما اكثر من ذلك اي ان المانيا اغنى مما تقدم والضرائب التي يدفعها شعبها اقل من الضرائب التي يدفعها الانكليز والنفقات التي ينفقها الانكليز على حربيتهم و بحريتهم اكثر مما تنفقهُ المانيا على حربيتها و بحريتها بنحو ستين في المئة فهي تقدر ان تنفق على زيادة بوارجها اكثر من الانكليز

الجامعات الاميركية

في الجامعات الاميركية ٢٢٩٠٠٠ تلميذ و٢١٠٠٠ استاذ ومعاون . ويدفع هؤُلاء التلامذة اجرة تعليمهم ٢٢٧٠٠٠٠ جنيه كل سنة ويبلغ دخل هذه الجامعات من املاكها واوقافها اكثر من ثمانية ملايين جنيه في السنة

الطيران من اوربا الى اميركا

سُئل تسعة من اشهر المشتغلين بمسألة البلونات والطيارات هل في الامكان السفر من اوربا الى اميركا بآلة طيارة فاجابوا كلهم ما عدا واحداً ان ذلك في حيز الامكان

قال الاول وهو الكونت هنري دولافول ان ذلك ممكن ولكن اكثر الاحياء الآن لا يرونهُ

وقال الثاني وهو المسيو ده لاغرانج ان ذلك ممكن حتماً وسيتم فعلاً باسرع مما يظن الاكثرون

وقال الثالث وهو المستر برسفال سبنسر ان ذلك من الامور السهلة

وقال الرابع وهو الماجور بادن پول ان ذلك الآن من الاحلام

وقال الخامس وهو المستر رولس انهُ يقع ولكن ليس في ايامنا ولا يتم الأ بعد ان تصير الطيارات قادرة على حمل مقادير كثيرة من الوقود ومن الآلات التي تحتاج اليها حين الضرورة

وقال السادس وهو الكبتن وندهام ان ذلك يتم في سنوات قليلة ولا يعود ينظر اليهِ كاعجوبة من اعاجيب الدنيا

وقال السابع وهو المستر جرام مكسم ان ذلك ممكن اذا اخترع احد آلة لا يضيع نصف قوتها في ما يوقد فيها

وقال الثامن وهو المستر هوجس بطلر ان ذلك سيتم حتماً يوماً ما

وقال التاسع وهو المستر ادج ان ذلك سيتم ويشيع حتماً يوماً ما

ويظهر مما كتبوهُ بالتفصيل ان شكوك المشككين في امكان الطيران الآن لا تزيد على شكوك الذين كانوا يقيمون الادلة الحسابيَّة على انهُ يستحيل قطع الاوقيانوس بالسفن البخاريَّة

الشعر الصناعي

سئلنا منذ شهرين عن الشعر العاربة الذي يصل بعض النساء شعرهنَّ بهِ والذي تصنع منهُ المنشات هل هو طبيعي او صناعي فاجبنا انهُ طبيعي لان الذين كتبوا عن الشعر العاربة لم يقولوا ابداً انهُ صناعي ثم اتفق لنا ان اشترينا مذبة لما كثر الذبان فوجدنا ان اكثر شعرها صناعي والطبيعي منهُ قليل جداً ولا يظهر الفرق بينهما الأ بالامتحان فاذا شددت بالشعرة الطبيعيَّة رأيتها متينة تكاد تجرح يدك ولا تنقطع واذا شددت بالشعرة الصناعية رأيتها قليلة المتانة تنقطع بسهولة ونظن الآن ان بعض الشعر الذي يباع للنساء صناعي مثل هذا

نفقات المسكرات

طلبت الدوما (مجلس النواب الروسي) ان تزال علامة العقاب الامبراطورية عن قناني المسكرات ويوضع بدلاً منها رسم جمجمة وعظمتين ويكتب تحتها كلمة "سم" بحروف كبيرة . وقد اخذ اهالي باريس يلصقون في شوارعها اعلانات كبيرة يقال فيها ان مَن يضع مسكرًا في فيهِ ينزع دماغهُ من رأسهِ ومالهُ من كيسهِ وصحتهُ من جسمهِ. وقد قلَّت مقطوعية المسكرات في بلاد الانكليز في العام الماضي بما يساوي ستة

ملايين من الجنيهات . وأُقفل الاميركيون احد عشر الف حانة سنة ١٩٠٨ ونحو ذلك سنة ١٩٠٧ . واذا استمرَّ اقفال الحانات على هذا المعدَّل أُقفلت كلها من الولايات المتحدة الاميركية في عشرين سنة . فاذا تمَّ لها ذلك فمنهُ نفع لا يقدَّر لان اهاليها انفقوا في السنة الماضية على المسكرات مئتي مليون جنيه وفي السنة التي قبلها مئة وثمانين مليون جنيه

الوطنية في اليابان

كتب مدير مجلة الشرق الاقصى ان دَيْن حكومة اليابان يبلغ الآن ٢٢٣ مليونًا من الجنيهات وان دخل البلاد السنوي كلهُ لا يزيد على ٢٠٠ مليون جنيه فدخلها قليل جدًّا بالنسبة الى دينها والى نفقاتها ويضطر اليابانيون ان يعطوا نحو ثلث دخلهم للحكومة سنويًّا ولكنهم يفعلون ذلك عن طيب نفس لشدة وطنيتهم

البيوت المسكونة

يعتقد بعض الاوربيين ولاسيما الانكليز ان بعض البيوت القديمة مسكون تتردد عليهِ روح واحد من الذين قتلوا او ماتوا فيهِ وتظهر للذين يبيتون فيهِ والغالب انهم يهجرون تلك البيوت ولو كانت قصورًا مشيدة خوفًا من ان هذه الارواح تؤذي من يبيت فيها . وقد بحث الاستاذ لمبروزو الايطالي في هذا الموضوع الآن وحقق الادلة المقامة على سكن تلك البيوت فاستنتج انها مسكونة حقيقةً تسكنها ارواح بعض الاموات . والظاهر ان الاستاذ سلَّم بكل دعاوي اصحاب الارواح وسبحان من قسم العقول

زلزلة سان فرنسسكو

ذكرنا غير مرة ان سبب زلزلة سان فرنسسكو انقداد جانب من الارض وهبوطهُ قليلاً وهذا هو السبب الغالب للزلازل . وقد حسبوا ان الجانب الذي انقدَّ فحدثت منهُ زلزلة سان فرنسسكو تبلغ مساحتهُ اكثر من مليون ميل مكعب

الادوات المسحورة

في دار التحف البريطانية تابوت مصري قديم لكاهنة آمن را ويقال انهُ مسحور وكل الذين اتصلوا بهِ كان نحسًا عليهم . وقد بحث الدكتور هرتمن في امره فقال انهُ كذلك لان روحًا من الارواح اختارت ان تجمع قوتها فيهِ وتستعملهُ واسطة للاضرار بالناس . ومن الغريب انك تجد بعض علماء الانكليز يصدقون هذه الخرافات

تعقيم الماء بالنور
ومياه القاهرة

وجد بعضهم ان نور المصباح الكهربائي الذي فيهِ بخار الزيبق يقتل الميكروبات

لان اشعتهُ فوق اشعة البنفسجي. وقد عُلق مصباح قوتهُ ٩ امبر في برميل من الحديد مملوءِ ماء فقتل كل ما فيهِ من الميكروبات في دقيقتين من الزمان . وثبت بعد التجارب الكثيرة ان هذا المصباح يقتل كل الميكروبات العادية في دقيقة من الزمان. ولا بدَّ من ان يكون الماء صافياً لكي تخرقهُ اشعة النور بسهولة والماء المعقم كذلك لا ترتفع حرارتهُ الاَّ جزءا صغيراً من الدرجة ولا تتغير خواصهُ ويقال انهُ يمكن تعقيم مياه المدن بهذا النور فتوضع المصابيح المشار اليها في المواسير الكبرى التي يجري فيها الماء اولاً بحيث يتعرض كلهُ للنور دقيقتين من الزمان وذلك بعد ترويقهِ فتموت منهُ كل الميكروبات التي كانت فيهِ

وعسى ان تجرب الحكومة المصريَّة ذلك فاذا ثبت لها ان ماء النيل يتنقى من كل الميكروبات بسهولة بهذه المصابيح لم يبقَ ما يمنع العود الى مياه النيل لشرب سكان العاصمة وشرب كل مدن القطر

سيَّار ابعد من نبتون

لا يخفى ان اثنين من علماء الفلك استدلاَّ على وجود السيار نبتون من الاضطراب الذي يحدث في السيَّار اورانوس. ويحدث اضطراب في حركات نبتون تدل على وجود سيَّار آخر ابعد منهُ عن الشمس ومعرفة ذلك بالحساب صعبة جدًّا لطول العمليات الحسابيَّة الاَّ ان الاستاذ بكرنج الفلكي استخدم الطريقة الحسابيَّة الجديدة وهي الطريقة الرسميَّة تحسب بها اولاً مبادئ نبتون من اضطرابات اورانوس فوجد نتيجتها تنطبق على ما عرف من امر نبتون بالحساب العادي تحسب بها مبادئ هذا السيار فوجد ان طولهُ ١٠٥٫٨ ومتوسط بعدهِ عن الشمس ٥١٫٩ بعد الارض عنها وهو يكمل دورتهُ حول الشمس في ٣٧٣ سنة ونصف سنة فيدور كل سنة نحو ٠٫٩٦٤ الدرجة وجرمهُ $\frac{١}{٢٦٨٠٠٠}$ من جرم الشمس وهو مضاعف جرم الارض

اليسة او بقر الوحش

اليسة كلمة سودانية لنوع من الظباء البيض الطويلة القرون ويسمى في علم الحيوان Oryx beisa وهو مرسوم في الآثار المصرية القديمة ورسومهُ كثيرة تدل على انهُ كان موجوداً بكثرة في القطر المصري ولا يوجد الآن الاَّ في السودان واسمهُ باللسان المصري القديم ماعز فهل كلمة ماعز العربية مأخوذة من كلمة ماعز المصرية

جبال القمر ومصدر النيل

ذكر الشهير بطليموس في جغرافيتهِ ان النيل يجري من ثلوج جبال القمر في قلب افريقية وترجمت جغرافيتهُ الى العربية وضبطت

كلمة القمر في بعض النسخ بضمة وسكون فقيل القُمْر . وظن بعض الباحثين ان الكلام على هذه الجبال مقحم ادخله العرب في جغرافية بطليموس ولكن لما اكتشف ستنلي جبل رونزوري في قلب افريقية قال انهُ هو جبل القمر الذي ذكرهُ بطليموس وجغرافيو العرب وقالوا ان النيل يجري من ثلوجهِ وقد سمعنا هذا القول من ستنلي نفسهِ . ثم رأى هذا الجبل كثيرون بعد ستنلي وتحققوا ان منبع النيل في حضيضهِ ورأوا قننهُ مغطاة بالثلج وانهر الجليد تجري على جوانبهِ وفي جملتهم دوق البروزي الذي قصدهُ سنة ١٩٠٦ كما ابنا في حينهِ وصعد الى اعلى قنة من قننهِ فوجد ارتفاعها ١٦٠٨٠ قدماً فوق سطح البحر فسماها قنة ستنلي وفيها اكمة تعلو عنها ٧٣٥ قدماً سماها اكمة مرغريتا وكانت هي وكل القنن العالية مغطاة بالثلج . ويبقى الثلج عليها على مدار السنة فان حدَّهُ الاسفل هناك حينما يكون على اقلهِ ١٤٧٠٠ قدم فوق سطح البحر اي ان ٢١١٥ قدماً من ذلك الجبل تبقى مغطاة بالثلج على مدار السنة

الاهتمام بالمستقبل

يدَّعي الانكليز انهم يدينون بدين من علَّم قائلاً لا تهتموا للغد وهم مع ذلك يهتمون ليس للغد فقط بل لما يأتي بعد خمس مئة سنة او اكثر فقد قال السر وليم رمسي الكيماوي بالامس ان حياة الامم تتوقف على ما في بلادها من القوة الطبيعيَّة التي تستطيع استخدامها والقوة الطبيعيَّة في بلاد الانكليزيَّة هي الفحم الحجري المذخور في طبقات ارضها . وقد بينت اللجنة التي انتدبت للبحث عن مقدارهِ انهُ يكفي ثلثمئة سنة الى ثمانمئة سنة والمتوسط نحو خمس مئة سنة فاذا لم يقتصد في استخراجهِ واستعمالهِ من الآن فالذين يولدون في البلاد الانكليزيَّة بعد خمس مئة سنة لا يجدون فيها الفحم اللازم للوقود ولادارة الآلات وليس في البلاد قوة مائية يمكن الاستغناء بها عن الفحم الحجري ولو كان فيها لما اغنتها عن الفحم لان القوة المائية التي في اوربا كلها ما عدا بعض انهار روسيا تقدر بمليون في حصان والانكليز يستعملون في آلاتهم كلها قوة بخاريَّة تقدر بمئة مليون حصان . ولا ينتظر ان يستنبط شيء يقوم مقام الفحم الحجري فان الآلات التي تصنع لاستخدام قوة مد البحر تكسرها الانواء والآلات التي تصنع لاستخدام حرارة الشمس تكسّرها العواصف ولا يبقى الأ سبيل واحد لايجاد القوَّة وهو ان تحفر آبار عميقة جدًّا الى حيث يكون الماء غالياً فيصعد منها ماء غالٍ يدير الآلات البخارية . واذا لم يأخذ الناس اهبتهم من الآن ويهتموا بالمستقبل خربت البلاد وصارت مدينة لندن قرية يسكنها صيادو السمك

الفحم الحجري في اوربا

قيل في النبذة السابقة ان الفحم الحجري الذي في بلاد الانكليز لا يكفيها اكثر من خمس مئة سنة ثم رأينا ان اللجنة التي انتدبت ... عن مقدار الفحم الحجري في انكلترا والمانيا وفرنسا وبلجيكا وهي اكثر البلدان فحماً وجدت ان مقدار الفحم في انكلترا ١٤٠٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ الآن في السنة نحو ٢٦٨ مليون طن . وفي المانيا ١٥٠٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ ... مليون طن - وفي فرنسا ١٧٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ الآن ٣٦ مليون طن وفي بلجيكا ١٦٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ الآن نحو ٢٣ مليون طن . والفحم الذي يستخرج من بلاد الانكليز يصدر منهُ كل سنة نحو ٦٤ مليون طن تأخذ المانيا منها ١٤ مليون طن

البطر في اميركا

كتبت احدى السيدات في مجلة الفورم الاميركية ان اهالي الولايات المتحدة قد بطروا بطرًا يفوق الوصف في ما يبدونهُ من الصياح والجلبة في اعيادهم كعيد الحرية وعيد رأس السنة فانهم يخرجون الى الشوارع حينئذٍ يطبلون ويزمرون ويصيحون ويجلبون ويحرقون الالعاب النارية . وقد انفق اهالي مدينة نيويورك على هذين العيدين اخيرًا مليونين و٨٠٠ الف جنيه وقُتل بالعابهم النارية ١١ نفساً وجُرح ٧٦٨ نفساً . وقتل في الولايات المتحدة كلها في عيد ٤ يوليو الماضي اي عيد الحرية ١٦٣ نفساً وجرح ٥٤٦٠ نفساً وقتل في الستة الاعياد الماضية من اعياد الحرية ١٣٠٠ نفس وجُرح ٢٨٠٠٠ نفس هذا عدا الذين لم يبلغ امرهم رجال الحكومة . ولا شبهة ان النعمة تجلب البطر

والعناية بالحياة قليلة في كل الاعمال باميركا على ما يظهر فقد قتل في سكك الحديد ٩٧٣٧٣ نفساً بين سنة ١٨٩٧ و ١٩٠٧ وجرح ٧٤٩٥٩٢ نفساً وقتل في المعادن ٢٥٩٦٥ نفساً بين سنة ١٨٩٠ و ١٩٠٧ وقتل في مناجم الفحم الحجري وحدها ٣١٢٥ نفساً سنة ١٩٠٧ وجرح ٥٣١٥ ويبلغ الذين يصابون بآفات مختلفة من المعدنين في اميركا نحو ٣٥ من عشرة آلاف وهم في فرنسا ثمانية من كل عشرة آلاف وفي انكلترا ١٢ وفي المانيا ١٣ وفي بلجيكا ٩ ومع ذلك يقال ان الولايات المتحدة الاميركية ناجحة اكثر من كل ممالك الارض

خسارة البلاد من السل

قدَّر بعضهم ان داء السل يقتل كل سنة مئتي الف نفس من سكان اميركا فاذا كانت قيمة عمل كل منهم ٣٣٠ جنيهاً في السنة فخسارة البلاد بموتهم ٦٦ مليوناً من الجنيهات

فهرس الجزء السادس من المجلد الرابع والثلاثين


المقتطف



المقتطف

الجزء الاول من المجلد الخامس والثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٣ جمادى الثانية سنة ١٣٢٧

الشفاء بالاستهواء

الاستهواء (الهبنوتزم) او التنويم المغنطيسي امرٌ معروف شرحناهُ في المقتطف مراراً كثيرة وبيَّنا وجوه الصواب ووجوه الخطاء فيهِ وما يُعدُّ صحيحاً منهُ وما هو تدجيل محض او ممزوج من الصحة والدجل

ومن الامور الصحيحة في الاستهواء انهُ يشفي من بعض الامراض العصبية التي مصدرها الوهم او الخلل في وظائف الاعصاب كالهستيريا على انواعها . وقد اعتمد عليهِ الناس من قديم الزمان لهذه الغاية قبل ان ولد مسمر الذي ادَّعى اكتشافهُ في اوربا بالوف من السنين . وانهُ يؤَثر في العقل تأثيراً يدعو الى اصلاح الاخلاق او افسادها

والعلماء مختلفون في استعداد الناس للاستهواء فالدكتور شاركو ومن يذهب مذهبهُ يقولون ان الاستهواء خلل عصبي وقتيٌّ لا يخضع لهُ الاَّ المصابون بضعف عصبي او بخلل عصبي . والدكتور ليبول يقول ان الذين يستفيدون من الاستهواء اكثر من غيرهم هم الاقوياء العقول الاقوياء الارادة الذين ليس بهم ضعف عصبي

لكن الذين استخدموا الاستهواء في العلاج حتى الآن اقتصروا على استعمالهِ في معالجة المصابين بامراض عصبية او بخلل عصبي فقد ذكر الدكتور وود في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني الذي التأم سنة ١٩٠٧ ان ٨٨١ من المرضى المصابين بامراض عصبية عولجوا بالاستهواء فشفي ٧٤١ منهم شفاء تاماً و ٨٤ شفاء غير تام وبقي ٥٦ لم ينجع الاستهواء فيهم

وقال الدكتور كلاي شو في ذلك المجمع وهو رئيس قسم الامراض العصبية في مجمع الطب البريطاني ان الاطباء صاروا الآن يعترفون بالاستهواء كواسطة من وسائط العلاج ولم يكونوا يعترفون بهِ قبلاً كذلك

وقد كتب الدكتور ونسلو مقالة في هذا الموضوع في الجزء الاخير من مجلة لندن قال فيها «ان الدكتور برليون الذي مارس الاستهواء اربع عشرة سنة في مدرسة الاستهواء الفرنسوية وجد بالامتحان في الوف من الناس ان الاستهواء يفيد ثمانية اعشار الاولاد وان الاولاد الاصحاء اقبل له من المرضى وانهُ هو وجد ان الاستهواء يفيد الاولاد المخطين فيصيرون يستهوون انفسهم اذا كررت الاستهواء عليهم · اي انهُ اذا وجد ولد مخطئاً في آدابهِ يكذب او يسرق او يرتكب دنيئة اخرى استهواهُ وامرهُ بالامتناع عن تلك الدنيئة وكرر الاستهواء عليهِ مراراً وهو يأمرهُ كل مرة بالامتناع عن تلك الدنيئة فيمتنع عنها اخيراً ويصير عقلهُ يحكم على طبعهِ وينهاهُ عنها · قال «وقد جيء الي بكثيرين من المصابين بآفة السكر او بآفة السرقة (الكلبتومانيا وهي نوع من الجنون يحمل صاحبهُ على السرقة ولو لم يكن محتاجاً الى ما يسرقهُ) فعالجتهم بالاستهواء فشفوا شفاء تاماً · ومن ذلك اني أُتيت مرة بشاب متهم بالسرقة وهو من التلامذة الاذكياء المجتهدين ولم يكن يظهر عليهِ شيء يدلُّ على ما اتُّهم بهِ · فحالهُ ومقام والديهِ جعلاني اتأنى في الامر حتى لا ارميهُ بهذه التهمة ما لم اجد ادلَّة قاطعة على ثبوتها عليهِ · فتذاكرت مع والديهِ وابنت لهما اني عازم على استهوائهِ · ثم جعلت اتكلم مع الشاب واتودَّد اليهِ حتى وثق بي واخبرني انهُ يصاب احياناً بالصداع فعرضت عليهِ ان ازيل صداعهُ بلمس جبينهِ وطلبت منهُ ان يستسلم لارادتي حتى اتمكن من شفائهِ فنوَّمتهُ وازلت الصداع منهُ بالاستهواء ثم جعلت اسألهُ عن الاشياء المسروقة فاعترف لي اعترافاً تاماً بكل ما فعل ودلني على المكان الذي اخفى فيهِ تلك الاشياء · فايقظتهُ من نومهِ وهو لا يدري شيئاً مما قالهُ لي واطلعت والديهِ على ما اخبرني بهِ فلم يكادا يصدقاني ولكنهما فتشا عن الاشياء المسروقة حيث قال انهُ اخفاها فوجداها · ثم شفي الشاب من هذا الداء ولم يعد يسرق شيئاً»

ومن رأي الدكتور ونسلو انهُ يمكن استعمال الاستهواء لنزع الاميال الفاسدة التي تغرس في الصغار وابدالها باميال صحيحة شريفة فيصير الاستهواء افضل مصلح لنوع الانسان لانهُ لم تبقَ شبهة في ان الذين يستعملونهُ حق استعمالهِ يستطيعون ان يغيروا بهِ اخلاق الصغار فينزعوا منهم الاخلاق السيئة ويغرسوا بدلاً منها الاخلاق الكريمة وذلك بالاستمرار عليهِ والتأني فيهِ كأنهم يجرّعون الطفل كل يوم جرعة صغيرة من علاج نافع · قال انهُ دوَّن اخبار مئة ولد من الذين عولجوا كذلك فوجد ان ٣٥ منهم شفوا بالاستهواء تماماً من اخلاقهم السيئة و ٤٥ اصطلحت حالهم كثيراً و ١٢ لم يستفيدوا مطلقاً كأن هذا العلاج لم ينجع فيهم · ثم قال ان «عقل الولد الصغير اقبل للتأثر بالاستهواء من عقل البالغ فانهُ يتأثر بهِ حالاً واما عقل

البالغ فلا يتأثر الا اذا تكرّر الاستهواء عليهِ مراراً ولي خبرة واسعة في اصلاح الاولاد الذين يميلون الى السرقة والكذب فيسرقون ثم يغطون ذنبهم بكذبهم فاني وجدت ان هؤلاء الاولاد يشفيهم الاستهواء من السرقة ومن الكذب ايضاً . ووجدت انهُ يشفي من الخوف والرعب فان كثيرين من الاولاد يرتعبون من وجودهم في الظلام وحدهم فيسهل شفاؤهم من ذلك بالاستهواء . والاستهواء يغرس الثقة في نفس الولد وبغيرها لا يتعلم العلوم ولا الفنون ولا اللغات . ويقوّي طبيعتهُ العقلية والادبية . تجد الاولاد احيانًا عنيدين متعبين يتلفون كل شيء لا يطيعون امرًا ولا يصدقون بكلمة نقاصصهم وتضربهم فلا يؤثر القصاص فيهم . واكثر هؤلاء من اولاد السكيرين والمجرمين . وتجدهم احيانًا ضعاف الذاكرة لا ينتبهون الى شيء ولا يستطيعون ان يعكفوا على عمل نافع او درس مفيد او تراهم كسالى يبعدون عن كل ما يتعبهم ولا يميلون الى عمل نافع . ترى البطء في طبعهم والجبن في افعالهم لا يفيدهم انذار ولا قصاص لا وعد ولا وعيد فماذا نعمل بهؤلاء هل نيأس من اصلاحهم هل نتركهم يعيشون كسالى خاملين او اشراراً مجرمين او معتوهين او مجانين . أليس في دائرة العلماء يصلح اخلاقهم جرّبوا الاستهواء فقد دلني الاختبار الطويل على انهُ يشفي كثيرين منهم اذا عالجهم بهِ مَن يحسن استعمالهُ فانهُ يوقظ قواهم العقلية وينبهها ويقوّي ذاكرتهم ويغرس الثقة في نفوسهم بدل الخوف والشك . ولا شبهة في انهُ يقلب الصغار من الكذب الى الصدق ويزيل العيوب التي تتملكهم . وحبذا لو انشئت مستشفيات او اصلاحيات لهذه الغاية حيث يقوّم سلوك الصغار ويعوّدون احاسن العادات »

وقد اعتمدت بعض المحاكم الانكليزية على الدكتور ونسلو لكشف الجرائم باستهواء المجرمين وجعلهم يعترفون بجرائمهم واختارتهُ محاكم نيويورك لهذه الغاية وسمحت لهُ بدخول السجن الذي يسجن فيهِ كبار المجرمين واستهوائهم فرأى فيهِ فتاة متهمة بانها دست السم لامها حتى ماتت وورثت منها ثمانين الف ريال وكان الاعتقاد الشائع حينئذٍ ان الفتاة ارتكبت تلك الجناية حتماً . فوصل اليها واستهواها بعد تعب كثير لانها لم ترد ان تخضع ارادتها لارادتهِ اولاً ثم عرف منها اموراً اثبتت لهُ براءتها واخبر القضاة بها فثبتت صحتها وبراءة الفتاة مما اتهمت بهِ

ومن رأى هذا الدكتور انهُ اذا استخدم الناس الاستهواء حق استخدامهِ انتفعوا بهِ نفعاً كبيراً جسداً وعقلاً لانهُ يمكنهم بواسطتهِ نزع الميل الى ارتكاب الجرائم وازالة التحاسد والتكالب من بين الناس فتزول الحروب وتصير من آثار ازمنة التوحش ويسرع ارتقاء الانسان بدلاً من كونهِ بطيئًا يسير خطوة الى الامام وخطوة الى الوراء حسب احوال الزمان والمكان

توما باين

THOMAS PAINE

مات منذ مئة سنة رجل لولا فقره' ولولا مجاهرته' بمخالفة رجال الدين ورجال السياسة لرأيت تماثيله' الآن منصوبة في كثير من مدن انكلترا واميركا

وولد منذ مئة سنة رجل لو عاصر الاول واحتذ حدته' وافتقر مثله' لنسي اسمه' لكنه' اعتدل وتأنى ولم يذكر الدين ولا السياسة لا بمدح ولا بذم ورُزق من كبار العلماء من شدَّ ازره'. وكانت الحرية الشخصية التي نادى بها الاول واضطهد لاجلها قد رسخت اصولها في النفوس فلم يمت الثاني حتى مدحه' ونبهاء الذين هدم اساس عقائدهم واستبدادهم اكثر مما هدمها الاول واعترف بفضله الذين ناصبوه' العداوة

الرجل الاول توما باين الكاتب الانكليزي الحر صاحب كتاب حقوق الانسان وكتاب عصر العقل . ولد ببلاد الانكليز سنة ١٧٣٧ من بيت وضيع من طائفة الكويكر . ولما كان له' ٣٧ سنة من العمر ذهب الى اميركا وفي نيته اهاجة سكانها الى طلب الاستقلال التام فانشأ لهم رسالة موضوعها البصيرة او الاحتكام الى العقل (Common sense) كان لها تأثير شديد في نفوسهم على ما شهد بهِ وشنطون الشهير . فان زعماء الشعب الاميركي كانوا قد يئسوا من النجاح وكادوا يعدلون عن مطالبهم فلما انتشرت بينهم هذه الرسالة واطَّلعوا على ما فيها من الحجج والادلة اشتدت عزائمهم ونهضوا نهضة واحدة . ولما أُعلنت الحرب انتظم في سلك الجندية كاحد الجنود . ولكن الدوائر كانت تدور على الاميركيين في اول الامر فانشأ لهم رسالة ثانية سماها حد الفصل او فصل الخطاب (Crisis) انشأها على نور النار في ليالي الظلام وقال في فاتحتها "These are the times that try men's souls" « اي في الاهوال تعرف الرجال » فذهب قوله' مثلاً وجعل الجنود يتمثلون بهِ وجعلوه' شعاراً للحرب فحاربوا وفازوا ولباين اليد الطولى في فوزهم . فذكر الاميركيون له' هذه الفضل لديهم حينما فازوا باستقلالهم وجعلوه' سكرتيراً للجنة التي كانت تدير الامور الخارجية

اما هو فرجع الى انكلترا وقال ان غرضه' تفتيح عيون الشعب ليرى جنون رجال الحكومة وجهلهم فانشأ كتاباً في هذا الموضوع سماه' حقوق الانسان The Rights of man فظهر الجزء الاول منه' سنة ١٧٩١ فانتشر انتشاراً لا مثيل له' وبيع منه' مليون وخمس مئة الف

نسخة قبلما انتبهت لهُ الحكومة · وهو من الكتب القوية الحجة النزيهة العبارة وهذا مما زاد اقبال الناس عليهِ وارتباك الحكومة في امرها تجاهه حتى قال الوزير بت Pitt ان باين مصيب في ما يقول ولكن ما العمل فاني اذا عضدته او تغاضيت عنه فلا مناص من ثورة دموية

فاتهم باين بخيانة وطنهِ وطُلب للمحاكمة لكنه خرج من بلاد الانكليز قبل ان القي القبض عليهِ لان بعض الفرنسويين كانوا قد انتخبوه عضواً عنهم في مجلس النواب الفرنسوي · وحكم على توما موير الذي نشر الكتاب بالنفي اربع عشرة سنة

واستصعب باين خدمة فرنسا في مجلس نوابها لانه لم يكن يعرف اللغة الفرنسوية جيداً · ولما حوكم الملك لويس السادس عشر طلب باين ان يكتفى بنفيهِ الى اميركا فاغتاظ منه روبسبير وحكم عليهِ بالقتل والقي في السجن سنة ١٧٩٤ لكنه نجا من القتل وكان قد ألف الجزء الاول من كتابهِ عصر العقل The Age of Reason فسلم نسخه لاحد اصدقائهِ وهو ذاهب الى السجن فنشره · والكتاب ضد الديانة المسيحية وضد التعطيل معاً لكنه مؤيد لمذهب الموحدين فاغتاظ منه المسيحيون في اوربا واميركا وخذله وشنطون محرر اميركا واكثر اصدقائهِ · واقام في سجن فرنسا احد عشر شهراً ثم أُخرج منه ورُدَّ الى مجلس النواب لكنه سئم الحكومة الفرنسوية فتركها وذهب الى اميركا في سفينة بعث بها اليهِ جفرصن رئيس الولايات المتحدة وتوفي في نيويورك في ٨ يونيو سنة ١٨٠٩ فقيراً معوزاً ونقل بعضهم رفاته الى بلاد الانكليز ولكن لا يعلم اين هو الآن

قالت جريدة التيمس من مقالة انشأتها حديثاً عن هذا الرجل انه "مضى الى اميركا غريباً لكنه فعل فعلاً جليلاً في استقلالها واحسن مساعدة الفرنسويين في ثورتهم · وكانت كتاباته السياسية تخيف بمقدار ما تخيف جنود الجمهورية وكتاباته الدينية استحقت ان يقوم لنقضها اعلم رجال الدين في عصرهِ · ولقد كان لثلاثة او اربعة من كتبهِ الحكم الفصل في الشؤون السياسية كأنها ثلاثة او اربعة من معارك الحروب الكبيرة الفاصلة

"كان جمهور الناس يجهل ما هي حقوق الانسان الى ان ظهر كتاب باين في هذا الموضوع · نعم ان الخاصة كانوا قد اطلعوا على فلسفة لوك وروسو لكن كان رجال الدين ورجال القضاء قد اقاموا سوراً حصيناً بينها وبين عقول الجمهور فلما ظهر كتاب باين ثغر هذا السور ثغرة كبيرة تدفق الماء منها فغمر البلاد كلها وعرف الجميع ان كل الناس احرار طبعاً ومتساوون ومستقلون ولا يمكن ان يخرج احد من ملكه او يخضع لسلطة غيره الا برضاه فلما قرأ الناس هذا الكتاب اندهشوا وقال اهالي لندن انهم لم يقرأوا شيئاً مثله

„ وما فعلهُ باين في السياسة فعلهُ في الديانة اي التعاليم الدينية فان اعداء الديانة كانوا يحاربونها خفية بالاستعارات والكنايات وهم يتملقون رجالها لكي لا يتهموا بالكفر ولذلك لم يكن رجال الدين يخشون بأسهم. اما باين فجرّد قلمهُ وتكنى واثار حرباً شعواء في رائعة النهار ولم يبقِ للصلح مكاناً وساعدهُ على قصدهِ انسجام عبارتهِ وبلاغة انشائهِ وشعور القارىء ان الكاتب يكتب ما يعتقدهُ ويقصد اقناع قارئيهِ بهِ مع انهُ كان قليل المعارف غير متضلع من العلوم

وبالجملة كان لباين اليد الطولى في اكبر ثورتين سياسيتين وفي ثورة دينية لا تقلُّ عنهما شأناً ومَن يقرأ كتبهُ الآن لا يجد فيها التحامل الذي وجدهُ معاصروهُ „

والرجل الثاني دارون الواسع العلم الواسع الخبرة وقد اثار اعظم حرب علمية ودينية وادبية وهو يساعد القسوس وينفق على المبشرين لا نفاقاً بل اعتقاداً منهُ انهم يعملون اجلّ عمل في ترقية نوع الانسان. وسيرتهُ واعمالهُ تقتضي مقالاً طويلاً فنرجئها الى الجزء التالي

اصلاح نسل الانسان

كان للمقالة التي نشرناها في الجزء الاخير من المقتطف وموضوعها «نيتشه وابن الانسان» وقع حسن لدى جمهور العلماء والادباء كما قال لنا بعضهم لان مسألة اصلاح النسل من اهم المسائل التي اهملها الانسان وكان الواجب عليهِ ان يقدمها على كل مسألة سواها. ويظهر لنا من مطالعة الصحف الاوربية ان الجزء الاول الذي صدر من مجلة «اصلاح النسل» (المجلة اليوجينية) وقع احسن وقع لما تضمنهُ من المباحث الجليلة المفيدة. فقد كتب صديقنا المستر فرنسيس غلتن محرر هذه المجلة يقول ان مدارها واسع مختلف المواضيع ومباحثها تشمل اولاً علم البيولوجيا من حيث علاقتهُ بالوراثة والانتخاب. وثانياً علم الانثروبولوجيا من حيث ايضاحهُ مسائل طوائف الناس وسنن الزواج. وثالثاً علم السياسة بمعناها القديم المطلق من حيث حقوق الوالدين المدنية. ورابعاً علم الاخلاق من حيث تقوية الملكات الآيلة الى اصلاح الهيئة الاجتماعية. وخامساً المواضيع الدينية التي تقوي وتطهر الاميال اللازمة لاصلاح النسل

فللوراثة شأن كبير لا ينكر ولكن الاحوال التي تحيط بالوالدين تؤثر في الاميال التي تكون كامنة في النسل وقت الولادة وتتنوَّع بتنوُّع الاحوال بعد الولادة ولذلك تشير هذه المجلة بكل اصلاح اجتماعي من شأنهِ تقوية الاميال الآيلة الى نفع المجتمع الانساني وكبح الاميال التي تضرُّ بهِ. وتعضد الرأي العام القائل ان العقل السليم يكون في الجسم

السليم من غير ان تهمل ما يلزم لتقوية القسم الروحي من طبيعة الانسان لان اهميته لا تقل عن اهمية القسم المادي . وتبذل اقصى الجهد في اقناع الناس من كل الطبقات بفضل الزواج وولادة الاولاد ولزومهما لارتقاء الامة

وقال في منع موت الاطفال ان السبيل الى هذا المنع يقوم بتغذية الاطفال التغذية الكافية الصالحة وهذا موضوع يجهله الاكثرون فمجال القول فيه متسع ويجب ايضاحه بكل واسطة ممكنة . ولقد قال احد اعضاء جمعيتنا انه يجب ان نبثّ مبدأ اصلاح النسل في ضمير العمران كأنه دين جديد — دين سام صارم لانه يستلزم العفة التامة والتمسك بعرى الفضائل — دين يرمي الى غرض من اشرف الاغراض وهذا الغرض مداره ارضي ولكن غايته سموية وطوبى للامة التي تجري وراءه وتدركه

وحالما تصير ام الارض تتبارى في اصلاح النسل لا في اعداد الجيوش والاساطيل تصير تضنّ بفلذات اكبادها وازهار صباها على الحروب وويلاتها . ثم ان عددها لا يعود يتجاوز حدود بلادها حتى تطمع بامتلاك بلاد غيرها وتتخاصم وتتلاحم لكي تغتصب ربوعاً ليست لها . فاصلاح النسل يأتي ببركة جديدة على نوع الانسان لانه يكون رائد السلم في العالم

وكتب الدكتور انج استاذ اللاهوت في جامعة كمبردج مقالة قال فيها « ان غرض كل الفضائل الاجتماعية خير نوع الانسان . وعلم اصلاح النسل يرمي الى هذا الغرض لا الى غيره ولذلك فالفضائل الاجتماعية وعلم اصلاح النسل متحدة معاً ولا يمكن الفصل بينها . لانها كلها ترمي الى غرض واحد وهو اصلاح الانسان . فان العالم البيولوجي (اي العالم بعلم طبائع الحيوان) والعالم الاخلاقي (اي العالم بالفلسفة الادبية التي تعلم وجوب الجري على قوانين الآداب والفضائل النفسية) يقولان ان ارتقاء البلدان لا يقاس بمقدار صادراتها وواردتها ولا بمقدار ثروتها وقوتها الحربية والبحرية ولا بانتشار العلوم فيها ولا بحرية اهلها السياسية بل بنوع الرجال والنساء الذين تربيهم . فان الارتقاء في عرف العالم البيولوجي والعالم الاخلاقي هو صلاح الناس انفسهم لا صلاح الاحوال التي هم فيها . وكلاهما متفق مع هربرت سبنسر على انه لا يمكن انتاج السلوك الذهبي من الغرائز الرصاصية . فاذا كان الناس منحطين فالامة التي تتألف منهم منحطة ولا يمكن للوسائل السياسية ان تكوّن امة مرتقية من اناس منحطين

« ولا جدال في ان الغرض الذي يتوخاه علم الاجتماع وعلم اصلاح النسل هو ان يبلغ سكان الارض في عددهم ما تحتمله الارض من السكان ما دامت صالحة لسكن الانسان وان هؤلاء السكان يبلغون الغاية التي خلق لاجلها الانسان . ولا يجوز لنا ان نضحي الحاضر لاجل المستقبل

ولا ان نضحي المستقبل لاجل الحاضر فان من يولد بعد عشرة آلاف سنة لا يحق له ان ينال من اهتمامنا اكثر ممن يولد اليوم ولا اقل منهُ. وغرضنا نوع الانسان كله في حاضرهِ ومستقبلهِ

والآن لا يفرض على كل احد ان يتزوج ويخلف نسلاً ولو كان من الذين يشير المستر غلتن بزواجهم لاخلاف النسل بل هم احرار من هذا القبيل ولو ارادوا الترهب ولكن هذا لا يمنعنا من ان نقول لمن كانت بنيته الجسدية والعقلية على ما يرام تزوج واخلف نسلاً لان ذلك مطلوب منك لامتك وبلادك. وليس من اغراض جمعيتنا ان تشير بشيءٍ يضاد قوانين الآداب والطهارة العائلية كلاً ولا نحن ممن يشير بشيءٍ مناقض للحرية الشخصية وغاية ما في الامر اننا نشير وننصح بما فيهِ النفع للانسان ونسلهِ. ولكن يحق لنا ان نطالب كل انسان غير صالح بما يضحيهِ لاجلهِ الصلاح»

وقد انتقد البعض على جمعية اصلاح النسل ان غرضها ماديٌّ محض فكتب المستر كراكنثرب ينفي ذلك وقال على سبيل الاستفهام الانكاري «هل يعدُّ ماديًّا من يقنع الناس من كل الطبقات بما للوالدين وما عليهم. هل يعدُّ ماديًّا من يقول ان الزواج الجاري الآن لا ينتج دائمًا نسلاً صالحًا. هل يعدُّ ماديًّا من يقول انهُ يجب على بعض الناس في بعض الاحوال ان يقتصروا على القليل من الاولاد. هل يعدُّ ماديًّا من يرسخ في العقول ان الاعتناء بالاطفال بعد ولادتهم وقبلها من المسائل التي يجب ان تهتم بها الحكومة اذا قصر الشعب عن الاهتمام بها. هل يعدُّ ماديًّا من يقنع الناس بان مستقبل العالم امجد مما يحسبون ويجعلهم يتوقون الى ذلك المستقبل المجيد ويسعون الى تحقيقهِ بكل جهدهم»

هذا ومما لا مشاحة فيهِ ان الناس يعتنون بمزروعاتهم ومواشيهم اكثر مما يعتنون بنسلهم فينتقون البذار (التقاوي) من اجود الانواع لكي تجود الزراعة ويعتنون بخدمتها اكثر مما يعتنون باولادهم وهذا شأنهم في الاعتناء بمواشيهم وخدمتها. والحكومة تهتم بالمزروعات والمواشي اكثر مما تهتمُّ بالسكان. ولا يحق لاحد ان يقيد حرية الناس فيقول هذا يجب ان يتزوج ويخلف نسلاً وهذا يجب ان لا يتزوج ولا يخلف نسلاً كما نقول عن البزور والمواشي ولكن يحق لنا ان نقول لكل احد ان تربية الاولاد على هذه الصورة تقويهم وتصلحهم وتربيتهم على تلك الصورة تضعفهم وتفسدهم. ويحق لنا ايضًا ان نقول للسقيم والمعتوه انك ان تزوجت واخلفت نسلاً اكثرت السقماء والمعتوهين في الامة وان نقول للحكومة انك ان لم تهتمي بتربية ابناء امتك جسداً وعقلاً ضعفت وانحطت من مصاف الامم الراقية. لان هذه الامور من الحقائق العلمية المثبتة وكل مَن يعلمها مطالَب باذاعتها

المذنبات

خطبة تليت في حلقة الادباء ببيروت في ٢٧ مايو سنة ١٩٠٩

ما هو المذنب ؟ سؤال تسمعهُ كلما ظهر ذلك المنظر الغريب في السماء ولكن الجواب عليهِ بقي غامضاً حتى السنوات الاخيرة · وقصدي الآن ان اذكر احدث الآراء في ماهية المذنبات وتعليل مظاهرها المتباينة وتطبيقها على قوانين العلم المسلَّم بها

وظهور المذنبات العظيمة من القدر الاول قليل جدًّا ففي القرن التاسع عشر ظهر اربعة منها الاول سنة ١٨١١ وكان لونهُ ضاربًا الى الصفرة والثاني سنة ١٨٤٣ ومدة رؤيتهِ كانت قصيرة لقربهِ من الشمس ولكنهُ كان يرى في وسط النهار · والثالث مذنب دوناتي ظهر في خريف سنة ١٨٥٨ وكان يرى بعد غروب الشمس بقليل واستمر ظهورهُ اكثر من ثلاثة اشهر · والرابع سنة ١٨٨٢ كان يرى باكرًا في الصباح ذا ذنب طويل وشديد اللمعان وحينما اجتاز اقرب نقطة من الشمس صار يظهر جليًا في رائعة النهار

اما المذنبات من الدرجة الثانية فهي اكثر عدداً ويزداد عددها كلما قل قدر لمعانها او نورها · ويؤخذ من الاحصاءات التي نشرت حديثًا انهُ يزورنا من المذنبات التي يمكن رؤيتها بالعين المجردة واحد كل سنة او سنتين اما التي لا ترى الاَّ بالتلسكوب فيزورنا منها خمسة او ستة سنويًا ولست اغالي اذا قلت ان فلكنا لا يكاد يخلو من مذنب يرى بالتلسكوب من القسم الذي يناسبهُ من ارضنا

ونقسم المذنبات باعتبار ظهورها الى دورية وغير دورية ومعدل ما يرى من الاولى اثنان او ثلاثة سنويًا ومن الثانية ثلاثة او اربعة ولكنها لا تتوزع بالتساوي على مدار السنة ففي سنة ١٨٩٨ بان خمسة في خلال اثني عشر يوماً ثم بانت خمسة اخرى في تلك السنة · اما افلاكها فتكون اهليلجية الاَّ القليل منها وبعض المذنبات الدورية تقتضي سبعين الى ثمانين سنة لتتم دورتها ولكن القسم الاكبر منها يتم دورتهُ في اقل من ذلك · واقصر المدات المعروفة حتى الآن ثلاث سنوات وثلث لمذنب إنكي · وبما ان المذنبات يشبه بعضها بعضاً وبما ان المذنب الواحد تختلف رؤيتهُ كلما ظهر فلا شيء يميزها ويفرقها سوى افلاكها ومعرفة هذه ليست بالأمر السهل ناهيك ان هذه الافلاك معرضة دائمًا للتغير فغير الدورية تتحول الى دورية والدورية الى غير دورية ومداتها تزيد او تقصر بحسب الاحوال فمذنب سنة ١٨٥٨

لا يرى الآ بعد مضي الفي سنة واكثر٠ومدة دورة مذنب ١٨١١ تبلغ ٣٠٦٥ سنة ٠٠ اما السبب الاكبر في تحول الغير الدورية الى دورية فجذب المشتري لها لانهُ اذا اتفق ان كان المذنب سابقاً لهُ يجذبهُ الى الوراء ويعيقهُ عن السير ويقصر مدار فلكهِ وقبل مضي بضعة اسابيع يحول مدة دورتهِ من الفي سنة مثلاً الى ست سنوات ٠ ففي نظامنا الشمسي الآن ثلاثة وثلاثون مذنباً دورياً وخمسة وعشرون منها تستغرق دورتها من خمس سنوات الى تسع سنوات واكثرها تحولت الى النوع الدوري بجذب المشتري ٠ وبعد ان يقع المذنب تحت جذب المشتري يصير عرضة لان يلتقي بهِ ثانية فيردهُ الى الحالة التي كان عليها قبلاً ما لم يمر بهِ اي بالمذنب سيارٌ آخر كارضنا او كالزهرة فيحرف فلكهُ قليلاً ويتركهُ سائراً في فلكهِ بعيداً من الوقوع تحت جذب المشتري الذي يردهُ الى الفضاء الشاسع ٠ اما اذا كان المشتري سابقاً وقت الاقتراب فتكون نتيجة الجذب ان سرعة المذنب تزيد الى درجة عظيمة فيمر بالشمس ويتخطاها الى الفضاء اللانهاية لهُ

والذي نعلمهُ من الارصاد الفلكية والابحاث الرياضية ان المذنبات الاربع مئة والخمسين التي عرف نوع حركتها وعرفت صفاتها بالتدقيق تابعة للنظام الشمسي وهي جزءٌ منهُ كالسيارات

ما هو المذنب

ساد علي عقول البشر قديماً واستمر الى عهد غير بعيد ان المذنب ليس الآ بخاراً منيراً في الجو وظهورهُ ينبئُ بوفود الاوبئة ووقوع الحروب وموت الملوك وغير ذلك من الويلات والنكبات التي يصاب بها البشر واول من بيَّن انها توجد في الفضاء خارج الجو الذي يحيط كرتنا تيخوبراحي ثم قام اسحق نيوتن واظهر انها خاضعة لقوانين الجاذبية كغيرها من الاجرام السموية ٠ وفي اواسط القرن الماضي برهن العالمان نيوتون وشياپارلي وغيرهما ان النيازك او الشهب مسببة عن وجود اجرام صغيرة تدور حول الشمس في افلاك اهليلجية وفي كل فلك من تلك الافلاك يسير مذنب وفي بعضها مذنبان او اكثر وثبت ايضاً ان احد تلك المذنبات او كلها يضعف نورها ثم تختفي عن العيان وعليهِ تكون اجرام النيازك اجزاء رأس المذنب التي تفرقت او تباعدت او بقاياهُ لوقوعها ضمن دائرة جذب الارض ٠ وبسبب احتكاكها في الهواء تحمى الى درجة الانارة فتظهر لامعة ومنيرة والناظر يرى انها تترك وراءها خطاً لامعاً يدوم احياناً عدة دقائق وذلك يدل علي انها مشبعة ببعض الغازات التي تفلت بسبب الحرارة ٠ وبما ان اللمعان المذكور يدوم في بعض الاحيان اكثر من ساعة فذلك ينفي ان يكون ناتجاً عن الحرارة المسببة عن الاحتكاك اذ في جو رقيق ولطيف تضمحل الحرارة

في بضع ثوانٍ لسهولة اشعاعها ولكنهُ ناتج عن المجاري الكهربائية كما يحدث في الانابيب المفرغة من الهواء . اما صورة رأس المذنب السبكتروسكية فكناية عن عدد من الخطوط العريضة اللامعة المختلفة الكثافة وذلك يدل «اولاً» ان نور المذنب ذاتي وليس نتيجة الانعكاس فقط كما هي الحال في السيارات «ثانياً» ان المادة المنيرة في الحالة الغازية ولبعدها الشاسع يستحيل ان يكون ذلك الغاز محمياً الى درجة الانارة بحرارة الشمس وعليهِ يكون نورهُ مسبباً عن المجاري الكهربائية

ومما ذكر يرجح الفريق الاكبر من الفلكيين ان المذنب مجموع اجرام نيزكية يحيط بها ويتخللها جوٌّ غازي يجعلها منيرة ومنظورة بسبب المجاري الكهربائية فاذا افلت ذلك الجو وبطلت المجاري الكهربائية فقد المذنب انارتهُ فيختفي ويتحول الى مجموع اجرام نيزكية دائرة في فلكهِ . وقد ظهر ان طيف بعض المذنبات متصل وهو دليل على انعكاس نور الشمس عن الاجرام النيزكية . اما حجم هذه الاجرام فيختلف من القطع الصغيرة ذات الوزن الخفيف الى ما يبلغ ثقلهُ عشرات القناطير وثبت ايضاً ان نواة بعض المذنبات جسم جامد ولكن كتلتها صغيرة حتى انهُ لا يشعر بتأثيرها على جرم آخر من اجرام النظام الشمسي ... واغرب اقسام المذنب ذنبهُ الذي يظهر انهُ ليس خاضعاً لقوانين الجاذبية فعوضاً عن ان يكون متجهاً نحو الشمس لجذبها لهُ وتابعاً المذنب في سيرهِ تراهُ مدفوعاً الى الجهة الثانية بسرعة عظيمة فيتبع المذنب حين يكون سائراً نحو الشمس ويتقدمهُ حين يكون آخذاً بالابتعاد عنها . اما مادتهُ فدقيقة ولطيفة الى الغاية لان بعض النجوم التي يختفي نورها في جو كرتنا وتغيب اذا بلغت علو عشرة اميال فوق سطح البحر ترى باجلى بيان وراء ذنب المذنبات ولو كان ثخنهُ عشرة ملايين ميل . وقد ظهر من البحث السبكتروسكي ان الذنب في الحالة الغازية . اما سبب عدم انطباقهِ على قوانين الجاذبية فبسيط وهو ان الجاذبية تكون بالنسبة الى مقدار المادة لا الى حجمها اي بالنسبة الى مكعب قطر الجسم بين ان القوة الدافعة كهربائية كانت ام غيرها فبالنسبة لسطحهِ اي لمربع قطرهِ فاذا كانت الاجسام كبيرة تكون الجاذبية عظيمة وقوة الدفع اقل منها بكثير ولكن كلما صغر الجسم ضعفت الجاذبية وتعاظمت قوة الدفع حتى تصبح بعض الاحيان اشد من الجاذبية بمرات عديدة فيظهر فعلها ويفقد تأثير تلك

وبمبدإِ الآراء الحديثة في الكهربائية ان الشمس جرم كهربائيتهُ سلبية ومن سطحها يندفع الى الفضاء دائماً عدد لا يحصى من الاجسام الصغيرة بسرعة معدلها ١٠٠٠٠٠ ميل في الثانية وهذه الاجسام او الالكترونات اصغر حجماً من الجواهر الفردة ومنها يتألف ما كان

يدعى سابقاً الكهربائية السلبية فاذا اصطدمت برأس المذنب لصقت بدقائق الغازات المحيطة بهِ وكهربتها سلبياً فيدفع قسم منها الى الخارج بقوة دفع الدقائق الباقية وبالاخص بقوة دفع الشمس ولذلك تكون دائماً وابداً مبتعدة عنها في الجهة المقابلة لها

ولرب معترض يقول اذا كان ذلك صحيحاً وارضنا تابعة للشمس ومحاطة بجو من الغازات فلماذا لا يصيبها ما يصيب المذنب ويكون لها ذنب كذنبهِ . فالجواب على ذلك ان لها ذنباً او مظهراً من مظاهرهِ يشاهد احياناً قرب القطبين ويعرف بالاورورا طولهُ يبلغ ست مئة ميل ولا يتجاوز ذلك لان كتلة الارض عظيمة جداً بالنسبة لراس المذنب او الاجسام التي يتكون منها فتجذب تلك الدقائق ولا يفلت الا القليل من جوها ولولا ذلك لتكون لها ذنب طويل جداً

وهنا يجب ان اذكر رأياً آخر قدمهُ الاستاذ ارهينيس "Arrheneius" [1] بناهُ على بعض خصائص النور التي اثبتها العالم مكسول بابحاثهِ الرياضية وهو ان النور يسبب في الاجسام التي يقع عليها قوة دافعة ومعلوم ان الاجسام التي تكوّن رأس المذنب في حركة مستمرة وحولها كثير من الغبار الدقيق المسبب عن الاحتكاك فلا غروَ اذا كان قسم من المذنب مكوناً من دقائق الغبار التي اندفعت بقوة النور الدافعة ولكن هذه القوة تزيد عن قوة الجاذبية ويظهر تأثيرها اذا كان قطر دقائق الغبار ضمن دائرة معينة وهاتهِ الحدود تختلف بالنسبة لثقل المادة النوعي ففي الاجسام التي كثافتها ككثافة الماء تكون $\frac{1}{....\text{٢٥}}$ الى $\frac{1}{.....\text{٣}}$ من البوصة ومهما تكن الكثافة فالقوة الدافعة يبطل عملها اذا كان القطر يساوي طول موجة النور وعليهِ لا تأثير لها على الاجسام في حالتها الغازية . وقد ابان البحث السبكتروسكبي الدقيق ان الذنب غاز واذا صحَّ القياس جاز القول ان ذنب المذنب مسبب عن الدفع الكهربائي فهو كناية عن مجرى من دقائق الغاز التي تبتعد عن الرأس لسبب الدفع الكهربائي وكهربائية الدقائق سلبية . ولربما صحب دقائق الغاز المذكورة ذرات الغبار المتوفرة فيها الشروط التي ذكرتها سابقاً ولكنها تقصر كثيراً عن البلوغ الى آخر الذنب

وشكل الذنب وحجمهُ يمكناننا من معرفة مقدار قوة الدفع الكهربائي وقياسها لانهُ يظهر في الصور الفوتوغرافية حسب الطرق الحديثة اجسام صغيرة منيرة على ابعاد مختلفة من الرأس . وعليهِ اذا أُخذت صور متعددة في اوقات مختلفة ودرست ماهية تلك الاجسام واختلاف

(١) انظر تفصيل هذا الراي في المجلد السابع والعشرين من المقتطف والجزء الرابع الصادر في ابريل سنة ١٩٠٢

مواقعها امكن قياس قوة الدفع · ففي مذنب سنة ١٨٩٢ واسمهُ مذنب سوفت "Swift" كانت ٣٩٫٥ قدر قوة الجذب وفي مذنب سنة ١٨٩٣ ستة وثلاثين مرة فقط

وبما ان دقائق الغاز التي تكوّن الذنب تبعد عن الراس بقوة الدفع الكهربائي فلن تعود اليهِ بل تفلت الى الفضاء وبما ان درجة نور المذنب تتوقف على لمعان تلك الدقائق فبفقدها يقل نوره' كلما عاد فقرب من الشمس وزد على ذلك ان قوة التجاذب بين الاجسام التي يتألف منها الراس ضعيفة جدًّا ويزيد ضعفها تكهربًا بالكهربائية الايجابية ولذلك تأخذ بالابتعاد بعضها عن بعض فلا يمضي عليها زمان طويل قبل ان تتفرق وتتوزع في فلك المذنب · هذا ما يطرأ على كل مذنب حتى يتلاشيه' ويحوله' الى اجسام صغيرة تدور في الفلك السابق ولكن الانحلال والتفريق يحدثان سريعًا في المذنبات التي يقتضي لها وقت قصير لدورتها او اذا كانت تمر قريبًا من الشمس والتقارير الفلكية تثبت ان بعض المذنبات تلاشى بالطريقة التي ذكرتها سابقًا واشهرها مذنب "Biela" الذي كان يرى جليًّا بالعين المجردة ولكن بعد حين انقسم الى مذنبين واخيرًا تعذرت رويته' حتى باعظم التلسكوبات والدليل الوحيد على وجودهِ شعورنا بما يمرّ في جونا من الشهب حينما تمر ارضنا في فلكهِ وذلك مرة كل ست سنوات او سبع

ولنتقدم الآن الى البحث في ماهية المذنبات من الوجهة الكيماوية : — ان القليل من المذنبات يمرّ قريبًا من الشمس فلا يتحول الى غاز من كل المواد التي يتركب منها الا ما اقتضى حرارة خفيفة وبما ان الكثافة والجذب قليلان فالغازات الخفيفة كالهيدروجين والهليوم تفلت ولا يبقى الا الثقيلة كمركبات الهيدروجين والكربون اما اذا مرّ المذنب بالقرب من الشمس · تعرض لحرارة شديدة فيتحوّل الى غاز ما فيهِ من المواد التي درجة تحويلها اقل من الدرجة التي تعرض لها · ففي سنة ١٨٨٢ اقترب مذنب ولس من الشمس حتى صار البعد بينهما اقل من ٥٠٠٠٠٠ ميل فتعرّض لحرارة عظيمة وظهر خط معدن الصوديوم في طيفهِ وحدث امر غريب جدًّا اثبت ان انارة الذنب مسببة عن المجاري الكهربائية وذلك ان طيف المذنب المذكور كان وهو بعيد عن الشمس مؤلفًا من الخطوط المختصة بالهيدروكربون ولكن بعد اقترابهِ وظهور خطوط الصوديوم اختفت خطوط الهيدروكربون ولم يبقَ لها من اثر · وتعليل ذلك ان المجاري الكهربائية كانت تنتقل بواسطة غاز مركبات الهيدروكربون ولكن حين وجد غاز معدن الصوديوم وهو موصل جيد انتقلت بواسطتهِ وتركت ما سواه' ولو كانت الانارة ناتجة عن حرارة الشمس فقط ولا دخل للكهربائية لكانت ظهرت خطوط الصوديوم وبقيت الخطوط الاخرى من غير ان تختفي · وثالث المذنبات التي ظهرت سنة ١٨٨٢ اقترب حتى صار على ٣٠٠٠٠٠

ميلٍ من سطح الشمس فتعرض لحرارة شديدة حولت الحديد الى غاز فكانت خطوطه ظاهرة جليًا في الطيف وبان معها خطوط الصوديوم · ولكن بعد ان ابتعد اخذت الغازات تبرد وتتقلص وحينما عادت الى حالتها الاولى اختفت خطوطها من الطيف وعندئذٍ ظهرت خطوط الهيدروكربون

ويليق بي في هذا المقام ان اتطرق الى السوءال الآتي وهو الا نصطدم ارضنا باحد المذنبات وماذا تكون النتيجة ؟

مرت الارض في ذنب مذنبٍ سنة ١٨١٩ وسنة ١٨٦١ دون ان يشعر احد بذلك ولم يعلم الامر الأَمن الحسابات الرياضية بعد وقوعهِ · وقد اصطدمت الارض ببقايا المذنبات «اي بحجارة الشهب والنيازك» دون ان تتأثر بشيء ففي سنة ١٨٣٣ كثر تساقط النيازك حتى خيل ان السماء كانت تمطرها كالمطر وكان الناظر يرى مئات والوفاً منها دفعة واحدة وبعضها كان يفوق الزهرة لمعاناً ويترك اثراً نارياً طويلاً جدًّا ولم يصل ارضنا واحد منها لانها كانت تسير في عكس جهة مسيرارضنا فاصبحت سرعتها وهي مارة في الجو عظيمة جدًّا ولذلك كانت تضمحل وتتلاشى في الهواء قبل ان تصل الى ارضنا · واما اذا اصطدمت الارض بنواة احد المذنبات العظيمة التي من الدرجة الاولى كمذنب سنة١٨٥٨ وكانت السرعة على اشدها فانها تحترق كما يعلم ذلك دارسو الفلسفة الطبيعية ولكن هذا بعيد الوقوع جدًّا وهو مثل ان رجلاً معصوب العينين يطلق بندقيته في الفضاء ليصطاد طائراً لا علم له بوجودهِ ولا بمرورهِ فيصيبه

ولسبب الجذب ربما سقط احد المذنبات على الشمس فتكون النتيجة ارتفاع الحرارة وحدوث اضطرابات مغناطيسية قوية وهذا جل ما نقدر ان نشعر بهِ

كثيراً ما يُسأَل الفلكيون عما اذا كانوا يتوقعون ظهور مذنب لامع وجوابهم يكون سلبيًا في الغالب لان المذنبات الكبيرة اللامعة غير دورية ما عدا مذنب هالي "Halley" الذي يتم دورته في ست وسبعين سنة وينتظر ظهوره سنة ١٩١٠ وقد ذكر ظهوره اول مرة سنة ١١ قبل الميلاد · وفي سنة ١٦٨٢ رصده الفلكي ادمون هالي وحسب فلكه والمدة التي يدور فيها دورته وابان انه هو المذنب الذي ظهر سنة ١٥٣١ وسنة ١٦٠٧ وانبأ بانه يعود فيظهر سنة ١٧٥٨ وتم ذلك فكان اول من حسب عودة المذنبات وانبأ باوقات ظهورها

منصور حنا جرداق

النور والدماغ

انَّا نشاهد المرئيات بواسطة النور فنعلم من ذلك انها موجودة في الخارج وان اشكالها والوانها كذا وكذا . نعم ان النور ينعكس من المرئي الى اعيننا فيحرّك عصب البصر وتنتقل حركتهُ الى دماغنا فيصوّر لهُ فيهِ صورة فنقول هو الشيء الخارجي والحق ان ما نحس بهِ كذلك هو صورة الشيء الخارجي في الذهن لا نفس الشيء الخارجي

وقد اختلفت الحكماء هل هذه الصور مطابقة تماماً للاشياء الخارجية بمعنى ان الاشياء الخارجية هي مثل هذه الصور التي تحصل في دماغنا من انعكاس النور عنها ام مخالفة لها قد تعوّد العقل ان يقول بمطابقتها لها لانها حصلت عن تأثير النور الذي ورد منها اليهِ

والحق ان الاشياء الخارجية ليست لها صور في الخارج تنطبق على الصور التي ترسمها اذهاننا بل ليس في الوجود الأ هذه الصور التي تنشأ في دماغنا واذ كان سببها ذلك المرئي الموجود في الخارج قلنا انها هي الصور الخارجية

انا لا نحس من المادة الأ بقواها فنرى من الجسم لونهُ واللون نور والنور قوة ونسمع صوت الجسم والصوت حركة والحركة قوة . ونلمس الجسم فنحس بالحرارة والبرودة والخشونة والنعومة وكل ذلك ناشئ عن اختلاف القوة . ونرفع بايدينا جسماً فنحس بالثقل والثقل اثر الجاذبية وهي قوة . ونمدّ اصبعنا مثلاً الى جسم فيمانعها الجسم وذلك اثر الدافعة وهي قوة . ونذوق طعم الشيء فنحس بالحلاوة او المرارة او الحموضة وغيرها وكل ذلك اهتزاز في عصب الذوق تصدرهُ قوى المذوق فينتقل الى الدماغ . ونشم الروائح فنحس بها وما ذلك الأ اهتزاز في الاعصاب السطحية تنقلهُ الى مركز خاص من الدماغ يحس بهِ كسائر المراكز الحسية

والعجب ان الذي يحس بالقوى هو الدماغ في الانسان ومحلهُ الرأس منهُ ولكن اذا عبّر الانسان عن نفسهِ اشار الى وسط صدرهِ قائلاً انا ولم يشر الى رأسهِ . ولعلَّ السبب لذلك هو ان صدر الانسان وسطهُ واليد تقرب منهُ اكثر من الرأس ويبعد هذا التعليل انهُ يشير الى صدرهِ من دون تروّ في الامر ليتحرّى الاقرب اليهِ

واذ ليس من قصدنا ان نعين في هذه المقالة موضع انانية الانسان نضرب عن هذا صفحاً ونعود الى البحث عن النور الذي يظهر اثرهُ في دماغ الانسان فنقول اما النور الذي يرد من المرئيات فقد تكلم عنهُ الكثير من الفلاسفة ووفوهُ حقهُ من التنقيب ولكن هنالك انوار

يحس بها الانسان بعد ان يقطع بالاغماض ارتباطهُ بالخارج او من غير ان يكون لهُ مصدر في الخارج البتة اظن ان فلاسفة العصر لم يوفوهُ حقهُ من البحث

من ذلك انك اذا نظرت من مكان قليل الضياء الى شباك مضيءٍ فيهِ قضبان من الحديد واطبقت عاجلاً عينك تصوَّر لك الشباك مع القضبان كما ترى الشيء في القمر. وربما رأيت منهُ ما لم تلتفت اليهِ قبل الاغماض وتبقى الصورة امامك ثابتة قدر عشرين ثانية او اكثر الى دقيقة. واذا حوَّلت رأسك وانت مغمض العينين كانت الصورة امام عينك كما كنت تشاهدها. وقد يتصور لك الشباك شباكين فيبقى امام عينك واضحاً ثم يضعف قليلاً قليلاً وترى مكانهُ بقعة بيضاء عليها من اثر الشباك شيءٌ وتهبط البقعة شيئاً او تصعد الى ان تمحي بتمامها ويعقبها سواد بقدر المكان المضيء الذي كنت تراهُ وهو ايضاً ينزل او يصعد كما نزل الاول او صعد وينمحي اخيراً كالاول وكأن هذا السواد اثر ردّ الفعل

والسواد الذي تراهُ هو بعكس الضياء الذي كنت تشاهدهُ اولاً فان الضياء الاول فيهِ خطوط سود هي قضبان الحديد والسواد هذا فيهِ خطوط بيض هي بدل القضبان السود وحجمهُ بقدرهِ. واذا شرعت البقعة البيضاء تزول فهي تتحرك يمنة ويسرة وفوقاً وتحتاً الى ان تمحي وقد تمحي مكانها

ان البقعة السوداء التي تحصل عقب البقعة البيضاء لا يكون فيها خطوط بيض اذا لم يكن الشباك ذا قضبان من الحديد او غيرهُ واذا كان فان بياض هذه القضبان طفيف جدًّا ويتحول هذا البياض الاخير الى بقعة بيضاء تتحول اخيراً الى مثل الهباء الكثير المتحرك

واذا نظرت من محل مضيءٍ الى شباك مظلم فالامر بعكس الاول وذلك انك بعد الاغماض ترى بقدر الشباك سواداً ثم يتحول الى بياض يتحول هباء ولكن البياض لا تحس بهِ الاَّ بامعان

ومن الانوار التي تشاهدها من دون ان يكون لها مصدر في الخارج نور تشعهُ العين نفسها قد لا يظهر للناظر اليهِ وقد يظهر كالنور الذي يرى لامعاً بعض الآونة في عين السنور وما شابههُ من الحيوان وقت ظلام الليل. واني لاعرف فتاة ماتت لانها دخلت في احدى الليالي بيتاً مظلماً خالياً وكان قد ربط فيهِ فرس وهي لا تدري فرأت نورين متوجهين اليها هلع لها فؤَادها ظنًّا منها ان ذلك جني يريد ان يخطف حياتها والنوران كانا ينبعثان من عيني الفرس فمرضت لذلك مرضاً ماتت بهِ بعد ايام قليلة

نقدر ان نستدل على النور الذي تشعهُ العين بضغط احدى عينيك من جهة اليمين فتحس بحلقة صغيرة من جهة الشمال او من جهة الشمال فترى الحلقة في اليمين او من فوق فتراها تحتاً

او من تحت فتراها فوقاً ترى ذلك سواء كنت في ظلام او في نهار مغمضاً عينك او فاتحاً لها ·
واذا لطم الانسان في عينهِ قدحت عينهُ شرراً حتى شاهد النور باهراً جليًّا وكلما كانت اللطمة اشد كان النور المرئي اسطع

واذا اطلت النظر في الظلام وانت مغمض العينين رأيت ضياء ضئيلاً جدًّا جدًّا يتموج دائماً امام عينك كأنهُ سحاب مضيء مصدرهُ اطراف الحدقة فيما اظن وهذا النور متحرك يتغير فيزول منهُ قسم ويأتي مكانهُ قسم آخر وليس للارادة سلطة عليهِ وقد يتشكل باشكال بديعة والوان جميلة فلا يلبث حتى يتغير وقد تتجسم هذه الاشكال في صور رجال ونساء وحيوانات وابنية وحدائق غناء كما ترى الاشياء في الخارج وهي اشبه شيء بما يرى في الحلم بل اعتقد انها هي بعينها غير ان العقل في اليقظة يحكم بكذبها

وقد فحصت في ليالي الشتاء الطويلة هذه الانوار باطالة النظر اليها لاعرف ماهيتها فكنت اطفئ السراج واجر رأسي تحت اللحاف الهو بالوانها واتعرف اوصافها فعلمت بعد اختبارات طويلة ان هذه الصور المرئية مصدرها ذلك النور الخفيف الذي تشعهُ العين دائماً ولكنها غير خاضعة للارادة الاَّ قليلاً فهي لا تظهر الاَّ في بعض الاوقات تارة واضحة وتارة غامضة والنور المنبث امامي مشكل لاقسامها · وقد كنت استعمل ارادتي فاريد ان ارى ديكاً مثلاً امامي فيظهر الديك بصورة مشوشة والنور الذي تشعهُ العين بان لبعض اعضائهِ التي كانت واضحة

وهنالك نور آخر هو اخفى من الاول ليس مصدرهُ العين بل مصدرهُ فيما ارى الدماغ نفسهُ هو مدار الافتكار والتذكر فاذا اراد الانسان ان يتذكر شيئاً كان شاهدهُ قبلاً رأى شكلهُ ولونهُ امام عينهِ غير واضح حتى لا يظن ان ما يراهُ لهُ لون وشكل · وهذا خاضع للارادة فاذا اراد الانسان ان يفكر في شيء او يتذكر شيئاً رأى صورتهُ على الكيفية المذكورة اذا كان ما يفتكر فيهِ من قبيل الصور واما اذا كان من قبيل الاصوات فليس للاضواء دخل فيهِ اذ الانسان قد يتذكر الصوت النفسي ويفكر في الكلام النفسي كما يتذكر الصور ويفكر فيها · والظاهر ان الدماغ يهتز اهتزازات مختلفة حسبما اوصلتهُ اليهِ حواسهُ قبلاً فهو يعيد امثال ما احس بهِ والشيء بالشيء يذكر كأن الدماغ فونوغراف عام يكرر الاضواء والاصوات جميعاً

واذا اردتُ ان يتشخص امامي ما افتكر فيهِ او اتذكرهُ حصل ما اردتهُ بجهد وكانت الانوار التي تشعها العين هي المشكلة لها فيكون ما افتكر فيهِ او اتذكرهُ من نوع الاشكال التي تظهر للعين بسبب النور المنبعث عنها

وقد تقوى صورة الشيء الذي يتفكر فيهِ الانسان او يتذكرهُ حتى يتجسم امامهُ من دون

ان يكون النور الذي تشعهُ العين بانياً لهُ كالحلم الذي يراهُ من عمي لعرض بعد ان كان بصيراً وهذا يحتاج الى السؤَال ممن عمي بعد البصر

وقد تعبت كثيراً لكي اتصوَّر بالوضوح جسماً ثقيلاً كقنبلة مثلاً معلقاً في الهواء فلم اتمكن بل كنت اراهُ دائماً اما مسنداً الى جسم من تحت او معلقاً بخيط من فوق او هابطاً الى الارض مما يدلُّ على ان الانسان لا يستطيع ان يتصور شيئاً لم يرهُ قبلاً

وكلما امعنت وجدت ان الذي يفكر ويريد في الانسان هو خارج عن هذه الصور والاشكال يحاكم بينها ويتذكر بها اشياء كانت غائبة عن ذهنهِ فكأن الذي يصوّر الالوان والاصوات من الدماغ قسم والذي يفكر فيها ويتذكر قسم آخر

الاستانة في ٩ مارس سنة ١٣٢٥ هـ جميل صدقي الزهاوي

تاريخ العلوم الرياضية

[من خطبة لحضرة الاستاذ حسن افندي صديق تلاها في نادي خريجي مدرسة الفنون والصنائع الخديوية قال بعد مقدمة مسهبة بيَّن فيها اقسام العلوم الرياضية ومواضيعها]

ايها السادة الافاضل

اسمحوا لي بعد تلك المقدمة بتمهيد لنتباحث فيهِ عن تاريخ الرياضيات عند الانسان بوجه عام اريد بذلك الانسان في اول نشأتهِ وفي طور تكونهِ وتكوُّن معارفهِ ومعلوماتهِ وذلك قبل ان نفصل الكلام عن هذه العلوم عند الامم المختلفة امة امة وعلماً علماً فاقول :

بديهي ان اشد العلوم مساساً بحاجة الانسان اسبقها ظهوراً في عالم الوجود ولذلك كان علم الاعداد او علم الحساب هو اول علم اضطر الانسان بحكم الضرورة الى النظر فيهِ والتعمق في مباحثهِ ذلك لان هذا العلم لا يبحث الاَّ في المحسوسات فاتصالهُ يكون بالحس مباشرةً

وبيان ذلك ان الانسان كما تعلمون مكوَّن من عنصرين مختلفين عنصر مادي وهو الجسم وعنصر اثيري لطيف غير مادي وهو الروح . وكل ما يحيط بالانسان اما مدرك بالجسم أو بالروح فما كان مدركاً بالجسم المادي فقط يكون مصدرهُ من الجسم وهو المحسوس واما ما لا يدرك الاَّ بالروح فمصدرهُ العقل وهو المعقول

لا أقول بخروج علم الحساب عن المعقولات ولكني اقول ان الذي دعا الى تعلمهِ ودراستهِ

انما هو المحسوسات وأما المعقولات فدعا اليها حب التوسع في العلم

لهذا السبب الطبيعي قال علماء التربية بعقم الطريقة التي بها يتعلم الاطفال الحساب باعداد مبهمة لا مميز لها · وهي حقيقة قررها (اوجست كومت) في فلسفتهِ فقال اشك في أن الواحد والواحد يكونان اثنين ولكني لا اشك مطلقاً في أن تفاحة وتفاحة تفاحتان مثلاً

وهنا انتقل بحضراتكم الى مبحث جديد وهو ان ادوار حياة الانسان هي نفس الادوار التي تمر على الامم في حياتها وبالتالي هي نفس الادوار التي تنتاب الانسانية نفسها · وهنا تكفينا ملاحظة تكوُّن علم الاعداد عند الطفل لنعرف ادوار تكوُّنهِ عند الانسان

كيف تكونت معارف الانسان بعد هبوطهِ على الارض ؟ أحسَّ فرأى فنظر ففكَّر فاستنتج · كذلك الطفل ولد جاهلاً بما حولهُ فمرت عليهِ نفس الادوار التي مرت على الانسان اثر هبوطهِ على سطح الارض (وهنا حجة الذين يذهبون الى ان افضل طرق التربية والتعليم انما هي طريقة الاستنتاج اذ هي الطريقة التي تعلم بها الانسان ولا معلم لهُ)

لنلاحظ الآن الكيفية التي يتعلم بها الطفل العدد والحساب لنعلم الكيفية التي توصل بها الانسان لتعلم الرياضة فوضع نظرياتها والتعمق فيها :

اعطوا الطفل تمرتين مثلاً ثم اعطوهُ واحدة اخرى تروا على وجههِ علامات الابتهاج والسرور وما ابتهاجهُ هذا الا لانهُ احس بالزيادة في التمر وما احساسهُ بهذه الزيادة الا ادراكهُ لعملية الجمع

خذوا منهُ واحدة تشاهدوا عليهِ علامات الاستياء · ذلك لانهُ احس بالنقص وما احساسهُ هذا الا عملية الطرح

سلهُ عما يطلبهُ من التفاح لهُ ولاختهِ يجبك اربعة : لي اثنتان ولأختي اثنتان وما هذا الا الضرب

اعطوهُ اربع تفاحات لهُ ولاختهِ يعطيها اثنتين و يستبقي لنفسهِ الاخريين · ولم يعمل الا عملية القسمة · وهكذا ترونهُ يستنتج قواعد الحساب الواحدة بعد الاخرى وكذلك الانسان في اول نشأتهِ

مثل الطفل في ذلك مثل الامم التي لا تزال في طفولتها كبعض الامم القاطنة بأواسط افريقية وغيرها · فعلم الحساب موجود في الانسان ومولود معهُ ولا يحتاج الا الى التنمية

ومن الاسباب التي زادت ارتباط علم الاعداد بالانسان ان كل فرد منهُ وجد معهُ آلة العد الخاصة بهِ · تلك الآلة هي اليد باصابعها · فمن اليدين واصابعها العشرة عرف الانسان

طريقة العد العشرية التي بفضلها تقدم علم الحساب حتى وصل الى الدرجة التي هو عليها الآن

ولم تقتصر فائدة اصابع اليد على تعليم الانسان العد فقط بل بفضلها تعلم كتابة الاعداد يدلنا على ذلك ما نراه على بعض الآثار القديمة وما لا نزال نراه عند بعض الافراد من الاميين والاطفال من بيان الاعداد بخطوط رأسية كاصابع اليد المرتفعة هكذا I II III الخ او بخطوط افقية كاصابع اليد الممدودة هكذا ــ = ≡ الخ

وسترون معي ان الارقام عند اغلب الامم شرقية وغربية لا تزال تشير الى انها مركبة من اشكال هذه الاصابع مرتبط بعضها ببعض

واقتصر هنا على الاشارة الى الارقام الرومانية حيث كانت اقرب الارقام الى الشكل والوضع الاصليين

في هذه الارقام ترى الوحدة مبينة بشكل الاصبع هكذا I والاثنين بشكل الاصبعين II وهكذا حتى نصل الى الخمسة فنجدها مبينة بشكل اليد الكاملة V فاذا زيد على هذه اليد اصبع VI تكونت الستة او اصبعان VII تكونت السبعة وهكذا حتى نصل الى العشرة فنراها بشكل اليدين معاً X قس على هذا الترتيب سائر الاعداد ٠ وفي المجموع تجدون ان ما يدل على الاعداد في الارقام الرومانية انما هو الحروف الهجائية ٠ ولا شيء اقرب للترتيب الطبيعي من هذا الاستعمال

وهنا ملاحظة جديرة بالذكر وهي ان هذه الارقام لم تنسب للرومانيين لكونهم هم الذين اوجدوها ولكنهم انما عمموا استعمالها فقط اما هي فموجودة قبل الرومانيين بقرون عديدة بل اقول انها وجدت قبل زمن التاريخ وهذا دليل على ان واضع هذه الارقام انما هو الانسان مجرداً عن الامة والتاريخ

ولرب معترض يعترض عليَّ بان هذه الارقام من وضع الرومانيين بدليل انها مبينة بحروفهم فارد هذا الاعتراض بان هذا الاستعمال لم يكن الا مؤخراً اما اصل وضعها فلم يكن الا مجرد خطوط مركب بعضها مع بعض هكذا ٠ I ٠ II ٠ V ٠ L ٠] ٠٠٠ الخ

عرفنا الآن ان علم الاعداد من العلوم التي اضطر الانسان بطبيعته الى تعلمها والتوصل اليها بدون معلم ٠ فهو من هذه الوجهة يكاد يكون طبيعة من طبائع الانسان

كذلك يقال في علم الهندسة

وجد الانسان محاطاً بقبة الفلك وهي كما ترون قبة مجوفة فتولدت عنده فكرة الكرة نظر الى اتصال الافق بالارض فسمي خط الاتصال الذي يحيط به ويدور حوله (محيط

الدائرة) ادار نظره حوله فوجد ان بعده عن اي نقطة من نقط هذا المحيط تكاد تكون واحدة فاعتبر المركز الذي هو فيهِ مركزاً للدائرة . كان الانسان يعتقد ان الضوء مصدره العين فسمي الشعاع الذي ترسله العين الى دائرة الافق (شعاع الدائرة) وهذا الاسم لا يزال مستعملاً للآن عند الامم الافرنجية (Rayou, Radius)

هكذا صار الانسان يتنقل في الاصول الهندسية بدون معلم ولا مرشد غير نظره وفكره وبذلك صار علم الهندسة او كما سميناه علم الاشكال من اوائل العلوم التي تعلمها الانسان مضطراً بحكم طبيعتهِ واحتياجاتهِ

هنا آن لنا ان ندخل في التفاصيل فنبين الخطوات التي تنقلت فيها العلوم الرياضية منذ نشأتها حتى وصلت الى ما هي عليهِ الآن وحتى صارت اساس الرقي والمدنية

انظروا معي نظرة عامة في التاريخ تجدوا ان شمس المدنية والعرفان ابتدأت في نشر اشعتها على أمم الشرق (والشرق دائماً منبع النور) ثم اخذت في المسير لا تلتفت الى الوراء حتى اذا بها الآن وهي باسطة اجنحتها على الامم الغربية . وفي وجود الشمس في الغرب اشارة الى انها تنوي المغيب وفي غروب شمس العلم اشارة اخرى الى فناء العلم . . . . وما يدرينا لعل الساعة قريب

غير ان هذا الميل للغروب لا يكون داعية لنا الى اليأس فربما كان ما انتهى من الزمن يوماً من ايام الخلق اشرق علينا نهاره ونحن الآن في ليلهِ (وما اخوفني من طول هذه الليل) فلا يلبث ذلكم الليل ان تنقشع عنا غشاوته فتعود الينا شمس المعارف وتعود معها حياتنا الاولى

هذا الترتيب الذي سارت عليهِ شمس العلوم والمعارف من الشرق الى الغرب جعلني اوثر على عاطفة الوطنية فاجعلها تسمح لي بأن انصرف عما تدعوني اليهِ من البدء بدراسة تاريخ الرياضيات عن آبائنا المصريين لأسير على مقتضى الناموس الذي سار عليهِ العلم

وارجو ان لا تعتبروا هذا مني عقوقاً بوطني بل حفظاً لكرامة العلم الذي نحن بصددهِ

فابتدئ الان بدراسة الرياضيات عند مشرق شمسها عند اقدم الامم في المدنية عند قدماء الصينيين

(الصين)

مشهور ايها السادة أن المدنية الصينية اقدم المدنيات المعروفة فقد ورد في اساطير الصينيين ذكر حوادث كانت في القرن المائة والسبعين قبل الميلاد . الا ان وعورة بلادهم اولاً

وقلة الآثار عندهم وعدم العناية بها ثانياً جعلت تاريخهم من اغمض التواريخ

اذن يكون لنا عذر واضح اذا كان كلامنا عن تاريخ الرياضيات الصينية غير وافٍ وكنا متخبطين في ظلمات تاريخها غير واثقين الاّ بالشيء القليل الذي تؤيده البراهين القوية

اول ما يعرف عن الصينيين انهم اخترعوا منطقة البروج الفلكية في سنة ١٧٧٠٠ قبل الميلاد ! كما نقصهُ علينا اساطيرهم

ويروون ايضاً انهم اول من وضع علم الاعداد وانهم الواضعون ايضاً للطريقة العدية العشرية (لفظية ووضعية) التي هي اساس العلم الحديث . وكانت العدية الوضعية عندهم على نحو ما هي عليهِ الآن فكانت للاعداد العشرة الاولى اشكال مخصوصة ثم للعشرة والمائة والالف اشكال خصوصية كذلك . وكانوا يكتبون هذه الاعداد على حسب كتابتهم من اسفل الى اعلى اولاً ثم تدرجوا فصاروا يكتبونها على نسق الحرف المسماري الذي كان مستعملاً في ذلك الوقت بكلدة وفارس فصاروا يكتبون هذه الاعداد من اليمين الى الشمال واضعين العدد الاكبر جهة الشمال على نحو ما نكتب الآن وكان العدد عندهم اذا وضع قبل العدد او قبل اي قوة لهُ كان مضروباً فيهِ . واذا وضع بعد العدد اضيف اليهِ

وسنعود لتفصيل ذلك ان شاء الله عند الوصول الى كلدة

وبذكر كلدة اقول لحضراتكم ايها السادة ان بعض الكلدانيين هاجر في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد الى بلاد ابن السماء حاملين مصابيح العلوم والمعارف التي كانت تشرق في ذلك العهد على اقليم الجزيرة فزادوا الصينيين معارف على معارفهم وعلوماً على علومهم . علموهم بعض المباحث الفلكية وكان الصينيون مهتمين بها كما قدمت لكم فزادوا فيها نبوغاً وكانوا يحسبون دورات الكواكب السيارة وهم اول من اهتدى الى ما يسمونه بالعدد الذهبي وهو عدد السنين التسع عشرة التي يتقابل في نهايتها القمر مع الشمس (هذا باعتبارهم ان الشمس متحركة لا ثابتة) وقد علمهم الكلدانيون ايضاً تقسيم الزمان ومقدار السنة الشمسية وقسموها الى اثني عشر شهراً والى اربعة فصول وقسموا الشهر الى اسابيع والاسابيع الى ايام واليوم الى ساعات . وهم اول من اهتدى الى النجمة القطبية وغيرها من السيارات

ولا أرى بين حضراتكم من يجهل ان الصينيين هم اول من اهتدى الى اكتشاف خاصية الابرة الممغنطة فاخترعوا البوصلة ولا تخفى فوائدها في التجارة وتسهيل الملاحة وتسهيل الاعمال المساحية

هذه هي اهم ما وصل الينا من معارفهم الحسابية والفلكية وان كان فيها بعض المبالغات مما يجعل تاريخهم شبه خرافات ولكني كما قدمت لكم لا يمكنني الاعتماد الا على اقوال مؤرخي الصينيين انفسهم وما اكثر المبالغات فيها !

اما في الهندسة فهم على ما يظن اول من وضع المبادئ الهندسية وينسبون لهم اكتشاف خاصية المثلث القائم الزاوية التي اسس عليها فيثاغورث نظريته المشهورة وينسبون اليهم ايضاً وضع علم حساب المثلثات الكروية الكبير الفائدة في المباحث الفلكية . ولكن اقول مع المؤرخ الكبير (سديو) انهم انما نقلوا هذا العلم عن العرب الذين اختلطوا بهم في اواسط القرن الثالث عشر للميلاد

ومهما كان من معارف الصينيين فقد مرت ولا اثر لها في مدنيتنا الحاضرة بل ولا في المدنية الصينية نفسها . فقد ترى الصينيين الآن وهم على ما كانوا عليه قبل آلاف السنين واظن هذا يرجع على الاخص لثلاثة اسباب :

اولاً — تقديس قدمائهم تقديساً يقرب من العبادة حتى انهم ليعتقدون ان التفكر في ادخال اي تحسين على موضوعات قدمائهم جريمة من اكبر الجرائم

ثانياً تعالي الصينيين عمن حولهم من بني الانسان لاعتقادهم ان ما عداهم من البشر ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلاً

ثالثاً — عدم احتكاك الصينيين بمن حولهم لازالة بعض ما رسخ في اذهانهم من اعتقاداتهم الباطلة التي كانت اقوى اسباب تأخرهم وانحطاطهم

الا ان في نهضة الصين الحالية مما يجعل لنا وطيد الامل في رقي هذه الامة الشرقية العظيمة (وكلكم يعلم مركزها في الانسانية من حيث العدد) وفقنا الله الى سلوك اقوم السبل المؤدية الى النجاح والفلاح

وهنا ننتقل بكم بعد توديع مملكة ابن السماء راجين لها التدرج في مدارج الرقي والفلاح قاصدين البلاد الهندية وهناك موعدنا في الجلسة الآتية ان شاء الله تعالى فنجول فيها جولة تعرفنا ما هنالك ثم ننتقل الى بلاد فارس فكلدة فسواحل البحر الابيض المتوسط عند الامتين الفينيقية والعبرانية وبعدها نرجع ثانياً الى شواطئ نيلنا السعيد فندرس مدنية اسلافنا الكرام

———

الدماغ وافعالهُ

لا اعجب من دماغ الانسان. اكثر الآلات اتقاناً بخارية كانت او كهربائية لا تدانيهِ في كثرة افعالهِ واتقان اعمالهِ على صغر حجمهِ وليونة بنائهِ

في جسم الانسان خمس مئة عضلة وكل عضلة منها مؤلفة من الوف من الالياف او الخيوط اللحمية الدقيقة وفي كل ليفة منها عصب خاص متصل بالدماغ . وفي الجسم الوف من الشرايين التي يجري فيها الدم وفي كلٍ منها عصب خاص متصل بالدماغ . وفيهِ كثير من الغدد وفي كل نقطة منها عصب خاص متصل بالدماغ . ومساحة سطح الجسم نحو ست عشرة قدماً مربعة وليس فيهِ مغرز ابرة الاَّ وهناك عصب يشعر ويوصل الشعور الى الدماغ

وفي الدماغ غُرَف كثيرة تتصل اليها الانباء على الدوام من كل انحاء الجسم ومن كل ما حوله . فكلما فتحتَ عينيك ووقع عليهما النور ورسم فيهما صورة ما امامك بالوانهِ المختلفة نقلت الالياف العصبية هذه الصورة الى غرفة البصر في قصر الدماغ بكل تفاصيلها وما فيها من الاشكال والالوان . وفي غرفة السمع التي في الدماغ آلة من ذوات الاوتار تتصل اليها رنات الاصوات ونغماتها على اختلاف الحانها وابراجها من طنين الذباب الى هزيم الرعد ومن حفيف الشجر الى نغم العود والقيثار . فتتأثر بها وتجاوبها كما يجاوب الوتر المغني . وفي غرف الشم والذوق واللمس مواقف الحرس ومقاعد الشرطة حيث يُشمُّ ارج الطيوب ويذاق طعم المآكل ويُعرَف ما يداس وما يلمس . واغرب من ذلك كلهِ ان هذا الدماغ الكثير الافعال الجامع لشتات الوظائف يفهم بكل اللغات ويفكر بلا لغة

والدماغ مؤلف من حويصلات كثيرة العدد كثيرة الاشتباك تعدُّ بمئات الملايين بل بالوف الملايين تحار العين في كثرة اشتباكها بعضها ببعض ولكن اشتباكها الكثير وعددها الذي يفوق التقدير لا يحولان دون انتظامها واتفاقها في اعمالها

في ادارة التلفون في هذه العاصمة نحو ستين عاملاً للوصل والفصل بين المتخاطبين . والمتخاطبون في الدقيقة الواحدة لا يبلغون ثلثمائة ومع ذلك لا يندر وقوع الخطإ في اعمال هؤلاء العمال . تطلب زيداً لتكلمهُ فيصل العامل تلفونك بتلفون عمرو بعد ان تقف دقيقتين او اكثر تدق الجرس وتلعن الساعة التي وضع التلفون فيها . والخطأُ ليس كثيراً ولكنهُ لا يقلُّ عن عشرين في المئة . واما الدماغ فالانباء تأتيهِ من مراكز عديدة في اللحظة الواحدة وهو قلما يخطئُ في توجيه الانتباه الى كلٍ منها

لكن الدماغ قد توصل الى نظام لم تتصل اليهِ شركة التلفون في هذه العاصمة حتى الآن وهو انهُ قسم الجسم الى اقسام وجعل في كل قسم منها مركزاً خاصاً لذلك القسم . فالانباء ترسل اليهِ بدلاً من ارسالها الى المركز العام في الدماغ وهو إما ان يتصرف فيها من نفسهِ او يرسلها الى المركز العام حسب اهميتها وهذه المراكز هي العقد العصبية

قلنا ان مساحة سطح الجسم اي مساحة الجلد نحو ١٦ قدماً مربعة وقد حسبوا ان في كل قدم منها عشرة آلاف عصب او سلك تلفوني ففي سطح جسم الانسان ١٦٠ الف تلفون وهي لا تخاطب الدماغ رأساً الاَّ عند الضرورة فاذا وقعت بعوضة على يدك فالاعصاب التي تحت ارجلها تتأثر بوقوعها وتنقل هذا التأثير الى اقرب العقد العصبية وهي تأمر اليد بالحركة والانتفاض زجراً للبعوضة . وقد يحدث ذلك من غير ان يرسل الخبر الى الدماغ ولكن اذا دبَّت عقرب على يدك أُرسل الخبر الى الدماغ حالاً فيهيّئ اليد والجسم كلهُ و يعمل الحيلة في قتل العقرب . فهو من هذا القبيل مثل نظارة الداخلية في القطر المصري فانها قسمت البلاد الى مديريات ومراكز ونواحي وربطت النواحي بالمراكز بالتلفون وربطت المراكز بالمديريات والمديريات بنظارة الداخلية . فاذا حدث امر طفيف في الناحية اشعر المركز بالتلفون ومأمور المركز يجري ما يلزم ولكن اذا حدث في الناحية امرٌ جلل كأَنْ هجمت عليهِ عصابة مسلحة من اللصوص واشتبك القتال بينها وبين اهل الناحية أُرسل الخبر الى المركز والى المديرية وقد يرسل الى نظارة الداخلية ايضاً لارسال قوة مسلحة تقبض على اللصوص

وهنا فاقت الصناعة الطبيعية من وجه واحد فان التلفون الصناعي اسرع من التلفون الطبيعي لان التأثير الكهربائي يجري في التلفون بسرعة الكهربائية اي نحو ١٦ الف ميل في الثانية واما الفعل العصبي فلا يسير الاَّ ٨٠٠ قدم في الثانية غير ان المسافات في الجسم قصيرة جداً فتدخل الانباء العصبية وتخرج مراراً كثيرة قبلما ينتبه الموكل بالتلفون الكهربائي لسماع صوتك او يتنازل لاجابة طلبك

لكن ان كان للتلفون الكهربائي مزية على التلفون العصبي من قبيل السرعة فللتلفون العصبي مزايا على التلفون الكهربائي اهمها ان التلفون العصبي ترسل بهِ اشكال المنظورات والوانها وهو ما لم يتصل اليهِ التلفون الكهربائي حتى الآن . وفي التلفون العصبي مراكز للكلمات الملفوظة تحفظ فيهِ باصواتها . ومراكز للكلمات المكتوبة تحفظ بصورها ومراكز للروائح والطعوم والاشكال . وقد استنبط الناس تلفوناً ينقل الاصوات ويكتب الكلمات ولكنهُ لم يتقن حتى الآن ولم يستطيعوا ان يصنعوا آلة تلفونية فوتوغرافية تنقل الصور وترسمها بالوانها الطبيعية

ولا استنبطوا تلفونًا ينقل الروائح والطعوم. واذا استنبطوا تلفونًا مثل هذا صارت ربة البيت تديرهُ الى دكان البقال وتذوق ما عندهُ من السمن وتشم رائحتهُ قبلما تطلب حاجتها منهُ وهي في بيتها وهو في دكانهِ

وانواع الحيوان مختلفة في شعور اعصابها او في مقدار المادَّة العصبية المخصصة لهذا الفعل او ذاك ودرجة ارتقائها . فمن السمك نوع نصف دماغهِ لحاسة الذوق كأنْ لا غرض لهُ من الحياة الَّا الاكل مثل بعض كبار البطون . واعصاب الشم في الانسان شديدة الشعور حتى انهُ يشعر برائحة المركبتان (وهو مادة رائحتها كرائحة الثوم) ولو كان مقدارهُ جزءا من ٤٦٠ مليون جزء من المليغرام. ويشعر برائحة عطر الورد ولو لم توجد منهُ الَّا نقطة واحدة في خابية من الزيت. ومع ذلك فالحيوانات تفوقهُ في حاسة الشم ولاسيما حيوانات الصيد كما لا يخفى

وتتفاوت الحيوانات في تركيب ادمغتها حسب احوالها وهي من هذا القبيل مثل البيوت التجارية «والورش» الصناعية . يبتدئ التاجر الصغير او العامل البسيط يعمل عملهُ كلهُ بنفسهِ ثم تتسع تجارتهُ او صناعتهُ فيستخدم كاتبًا وصانعًا ويزيد اتساعها فيقسمها الى دوائر مختلفة متصلة كلها بمركز الادارة العام . وهكذا ادمغة الحيوانات فالحيوانات الدنيا تكتفي بالطعام فيكون فيها تجويف تخزن الطعام فيهِ لتغتذي بهِ وهذا الاغتذاء يقتضي هضم الطعام فتكون لهُ الاعصاب اللازمة ومركز تتصل بهِ . ثم يجد الحيوان انهُ في حاجة الى الحرارة فتكون فيهِ آلة للتنفس واعصاب تديرها واوعية يجري فيها الدم . وتكثر الفضول في جسمهِ بكثرة الطعام والاغتذاء والانحلال فتكون فيهِ آلات لافراز الفضول كالامعاء والكليتين وتدعو الحال الى زيادة الاهتمام بالتغذية فتوزع وظائفها على الاسنان والغدد اللعابية والكبد والمرارة ولكلٍ منها اعصاب تديرها . ومتى كثرت الادارات في معمل خيف من تضاربها فيقام لها مدير عام وهو الدماغ الذي يراقب اكثر حركات الجسد ولم يكن لهُ وجود خاص في الحيوانات الدنيا ثم ظهر وكبر في الحيوانات العليا

قلنا ان الدماغ يراقب اكثر حركات الجسد ولم نقل كلها لان بعضها يجري ولو لم ينتبه الدماغ لهُ بل بعضها يجري في بعض الحيوانات بعد نزع ادمغتها او قطع رؤُوسها وما ذلك الَّا لان في اجسامها عقدًا عصبية او ادارات محلية تقوم مقام المدير العام اذا عزل او مات . فاذا ازيل دماغ ضفدع ووضعت في الماء اخذت تسبح فيهِ كأنَّ دماغها لا يزال في رأسها واذا وصلت الى عصًا طافية على الماء حاولت الصعود عليها لان العقد العصبية التي في سلسلة ظهرها تتأثر من ملامسة اطرافها للعصا وتأمرها بالصعود عليها واذا وضع الطعام في فيها اكلتهُ ودماغها

منزوع من رأسها فهي مثل المديريات والمراكز والنواحي في القطر المصري تبقى جارية في اعمالها ولو استعفى ناظر الداخلية او استعفت الوزارة كلها . ولكن الانسان شديد الاثرة واسع الملك اعطى النواحي والمراكز بعض السلطة وابقى السلطة العليا في يدهِ لكثرة ما حولهُ من الاعداء فاذا قطع رأسهُ او نزع دماغهُ لم تعد الحياة تطيب لهُ

وقد يظن لاول وهلة ان عمل الدماغ مقتصر على التفكير والتدبير ونظم الشعر ورصف النثر وتثمير الاموال وادارة الاعمال ولكن من يمعن نظرهُ في تاريخ الانسان من طفولتهِ الى كهولتهِ في الصحة والمرض والراحة والتعب يجد ان دماغهُ يشتغل دوامًا ويدرّب اعضاءهُ كلها على الشغل حتى تقوم بما يطلب منها ولو كان من اصغر الاعمال هذا فوق ما يرثهُ من والديهِ واسلافهِ من الملكات والسلائق

ترى الطفل يبكي ويرفس « ويبعط » بيديهِ ورجليهِ اي يعمل الاعمال التي لا تحتاج الى فكر وروية وتقدير وتدبير واذا اوقفته على رجليهِ لم يستطع الوقوف واذا وقف لحظة وقع بعدها كأنهُ قطعة من الخشب وما ذلك الأ لان الوقوف يقتضي تحريك كثير من العضلات تحريكاً دقيقاً منتظماً لحفظ مركز الثقل داخل القاعدة . لكن اعصابهُ تتعلم من السقوط كيف تتلافاهُ وتعلم عضلاتهِ الطاعة لها . ومركز هذا التعليم او التدبير في المخيخ اي الجزء المؤخر من الدماغ ولولاهُ ما امكننا المشي ولا الوقوف ولا الجلوس بل كنا نبقى كالاطفال مطروحين على ظهورنا او كسطيح الذئبي في ما يروى عنهُ . واذا اتفق لواحد ان نعس وهو جالس من سماع خطبة مملة او من كثرة الفضول في معدتهِ ودماغهِ فانك تراهُ يكبو لان مخيخهُ يتعب او ينام فلا يعود يراقب اعصابهُ لتبقى عضلاتهُ منتصبة

ويجري المخيخ في اعمالهِ على حسب الانباء التي تصل اليهِ فاذا تضاربت افسدت عملهُ عليهِ كما اذا اتت انباء مختلفة الى المديرية من المركز الواحد وبعضها يناقض البعض الآخر فان المديرية تحار في امرها ولا تعلم ماذا تعمل . ويحدث مثل ذلك اذا جلس الانسان في قارب لعبت بهِ الامواج فيشعرانهُ صاعد وحالما يصل هذا النبأ الى مخيخهِ وقبل ان يرسل اوامرهُ الى اعضاء جسمهِ لتوازن نفسها مع الصعود يأتي نبأ آخر ان القارب نازل ويتلوهُ نبأ ثالث ان القارب انحرف الى اليمين او انحرف الى اليسار وهلمَّ جرًّا فيشكل الامر على المخيخ وتختلف اوامرهُ التي يرسلها الى اعضاء الجسم المختلفة الظاهرة والباطنة فتتصادم في اعمالها ويقع التشويش فيها وهذا هو سبب الدوار والجشاء والقيء . ويصيب المخيخ مثل ذلك في السكر لا لان حركات الاعضاء تشوش افعالهُ حينئذٍ بل لان المسكر يفعل بهِ مباشرة فيخدرهُ ويمنعهُ من احكام

حركات الجسم فيصيب السكران ما يصيب راكب البحر

والمظنون ان القوى المدبرة لهذا الجسم التي عليها مدار الكلام والتفكُّر والتذكُّر والاستدلال والاستنتاج ونحو ذلك من قوى العقل العليا مقرها في المخ او في الجزء السنجابي فان المخ او الدماغ مؤلَّف من حويصلات او دقائق سنجابية اللون وهي الجزء الظاهر من الدماغ وفيها مراكز القوى العقلية ومن حويصلات او دقائق بيضاء وهي الجزء الباطن من الدماغ ووظيفتها الوصل بين الحويصلات السنجابية وبينها وبين اعصاب الجسم · وترى في الدماغ تلافيف كثيرة اي انخفاضات وارتفاعات ليتسع السطح الذي فيهِ المادة السنجابية · ويختلف شكل الحويصلة فقد تكون كروية وقد تكون بيضية وقد تكون مغزلية ويتفرع منها خيوط دقيقة تصل بعضها ببعض · وهي صغيرة جدًّا يختلف قطرها من جزء من ٤٠٠ جزء من البوصة الى جزء من ٣٠٠٠ جزء وقد قدَّروا عددها في دماغ الانسان من ٦١٢ مليون حويصلة الى ٩٣٠٠ مليون

ولا يعلم كيف تفعل هذه الحويصلات وكيف تحفظ المعلومات فيها فان الانسان قد يعرف عشرين الف كلمة من كلمات لغتهِ واللغات التي يعرفها فهل تحفظ كل كلمة منها في حويصلة من حويصلات دماغهِ او في طائفة منها · قد يحفظ الوفًا من الصور والاشكال والحوادث والنوادر والمعاني فاين تقيم كلها وكيف تحفظ وماذا يمنع اختلاطها بعضها ببعض في الغالب · قلنا في الغالب لانها قد تختلط في بعض الاحيان فيقص زيد عليك حادثة حدثت لهُ في القاهرة منذ عشرين سنة ويخلط بها حادثة حدثت لهُ في الاسكندرية منذ عشر سنوات ويصف لك مدينة في فرنسا ويخلط بها مدينة في النمسا · ويكثر ذلك في بداءة التعلم وقبل ان ترسخ حقائق كل علم على حدتهِ في الذاكرة

قلنا ان الدماغ متسلط على الجسم كلهِ · ولكن سلطتهُ ليست استبدادية ولا حكومتهُ استقلالية فقد علَّمتهُ التجارب ان اعطاء الاستقلال الاداري لبعض الجهات اسلم عاقبة واصلح مآلاً فاعطى القلب استقلالهُ والمعدة استقلالها والرئتين استقلالها وكذلك كل الاعضاء الداخلية التي لا يخشى عليها من الاعداء الخارجية · فالقلب يعمل عملهُ على الدوام اراد العقل او لم يرد · والمعدة والامعاء تعمل اعمالها والرئتان تعملان عملهما وكذلك الكبد والطحال والكليتان · والاعضاء الظاهرة تعمل اعمالها احيانًا كثيرة كأنها مستقلة عن الدماغ ولكن اذا عرض لها عارض انتبه لها الدماغ حالاً ودافع عنها · فاذا اعتدتَ المشي في شارع فانك تمشي فيهِ يومًا بعد يوم من غير ان تنتبه او تلتفت الى شيء ولكن اذا مُدَّ فيهِ خط الترامواي فانك تصير

تنتبه وتحاسب وتحاذر ولا تكتفي بمهارة رجليك على المشي بل تستخدم عقلك وانتباهك كلهُ والاَّ داسك الترامواي كما داس كثيرين قبلك واذا اضيف الى الترامواي الاوتوموبيل في شوارع ضيقة مثل شوارع القاهرة وجب على الانسان ان ينقل دماغهُ من رأسهِ الى قدميهِ وهو سائر والاَّ فحياتهُ في خطر دائم

الفلسفة المادية ومذهب النشوء

(من مقدمة بختز على مذهب دارون)

اوَّل من ذكر مذهب بستور في الجراثيم باللغة العربية المقتطف اقدم مجلة عربية علمية بل المجلة العلمية الوحيدة في الشرق حتى اليوم · وذلك حوالى سنة ١٨٧٩ · ولكنهُ ذكرهُ في عرض الكلام على تأييد مذهب الحيويين ونقض مذهب الماديين مشايعة للآراء الغالبة في ذلك الحين · كما انهُ كان اول من نقل الى هذه اللغة ايضاً كلاماً لبعضهم في مذهب دارون في النشوء ولكن لنقضهِ على اسلوب يوافق اصحاب مذهب الخلق · ومع ذلك فلم يسلم من الانتقاد خصوصاً من اصحاب المذاهب القديمة ولو على نقل المذاهب العلمية الجديدة فقط · فلم يراعوا معهُ العمل بالمثل القائل « ناقل الكفر ليس بكافر » بل اعتبروهُ شريكاً بالتضامن حتى كانت كل حياتهِ الاولى جهاداً عنيفاً الجأهُ الى الهجرة اخيراً الى مصر

والحق يقال ان الوسط الذي كان المقتطف مقيماً فيهِ كان يجعل مركزهُ محفوفاً بالمصاعب · على انهُ في المسائل العلمية الهامة لم يسلك مسلك التشيع الأعمى ولم يوصد في وجه الباحثين حتى اشدهم مباينة لآرائهِ باب الانتقاد ونشر الآراء الجديدة بحرية تامة فكان لهُ بذلك الفضل الاول في اعداد الافكار في الشرق لقبول زرع العلم على الاطلاق · وما كان اشتدادهُ احيانًا في مقاومة آراء خصومهِ الأفضلاً لهُ ايضاً جعل هذا الاعداد اتمّ بحمل العقول على التوسع في الروية للانتقال بها من الرضوخ المغلق الى التفكير والبحث قبل التسليم · ولهُ عليَّ فضلٌ خصوصيٌّ ايضاً لا اريد ان ادع هذه الفرصة تمرُّ من غير ان اسديهُ شكري الخاص عليهِ فقد حمل عني كثيراً من مطاعن الطاعنين بسبب مباحثي ولو لم يكن نصيبي فيها · وكثيراً ما كانوا يتناسونني ويمسكون بهِ وحدهُ وهو منتهى الفضل لهُ

ولما كانت الحقيقة لا تتجزأ فاما هنا واما هناك وكانت مباحث الطبيعيين اقرَّت مذهب الماديين في فلسفة الكون على قرار علمي مكين اقلّ ما فيهِ انهُ يثبت مبدأ التوحيد الطبيعي في

المواد والقوى رأيت ان اخوض غمار هذا البحث من وجههِ العلمي البحت غير حافل بالمصاعب التي ستعترضني في هذا السبيل وان انخعهُ بتلك الصراحة الجازرة التي لم يكن قد ألفها الجمهور بيننا منكباً عن خطة الذين يرون ان الحكمة انما هي في المصاداة لعلي ازحزح الافكار عن مألوفها لعلمي ان تحريك الافكار لا يكون غالباً الاَّ بمثل هذه المصادرة العنيفة لما يحدث ذلك فيها من الرجة القاسرة لتسهيل انتقال الانسان في العمران من حال الى حال. وما حالهُ التي هو فيها عنوان السعادة وما كانت في الماضي مما يؤْسف عليهِ

فبادرت المقتطف حينئذٍ بكلام وجيز انتقد عليهِ انحيازهُ الى مبدإِ الحيويين واعتبارهُ مذهب بستور خصوصاً مؤيداً لهم نافياً للقول بالتولد الذاتي وهو لا يؤيد قولاً ولا ينفي آخر كما تقدم. وكأني جهلت مركزهُ او تجاهلتهُ تخنصبت كلامي بتوجيه الخطاب الى منشئيهِ قائلاً «ومثلكم لا يسامح على ذلك وانتم بجانب كعبة العلم» وقد ردَّ المقتطف عليَّ بمقال عنوانهُ «الحياة حيرة العلماء» وختمهُ بهذا القول السديد المحكم في هذا المقام قال «ولو قعدت كعبة العلم التي نحن بجانبها مقعدنا لما استصوبت الاَّ آيتنا»

ولما كان الغرض من كل ذلك طرق مذهب الماديين من وجههِ العلمي نشرت مقالاً اردُّ فيهِ على المقتطف تحت عنوان «الحيرة علة البحث» ثم اردفتهُ بمقال آخر عنوانهُ «الحس وانواعهُ المختلفة» بنيتهُ على قول كلود برنار «الحس تكيف في التأثير لكيفية في المؤثر» واستطردت منهُ الى هذا القول الذي كان غرضي من كلامي السابق لتوجيه النظر اليهِ لاول مرة في اللغة العربية للبحث فيهِ على وجهٍ علمي فلسفي وهو:

«واذا نظرنا الى الحس من حيث كونهُ تكيفاً في التأثير لكيفية في المؤثر كما في قول كلود برنار فلا نستطيع ان نقفل باب الكلام في هذا الموضوع حتى نأتي ولو باشارة فقط الى كون المادة ذات حسٍ ايضاً بدليل انها تتأثر حال كونها مؤثرة وتنفعل حال كونها فاعلة. فيكون حس الاجسام الآلية مرتبطاً ارتباط الجزء بالكل بتلك القوة العظيمة التي بها تتجاذب الاجسام بالنسبة الى مادتها وبالقلب كمربع البعد بينها اعني بها الجاذبية العامة التي هي عبارة عن حس المادة في ابسط معانيهِ واعمِّ انواعهِ» اه

وقصدت بهذا القول ان ابين ان القوى الحيوية والقوى الطبيعية واحدة من مصدر واحد. ترجع بعضها الى بعض وتتحوَّل بعضها عن بعض. وما خاب ظني في ما يكون لهذا القول من التأثير فقد جرَّ الى مناقشات اظهر بعضهم فيها استغرابهُ لحس المادة هذا وكأنهُ نظر الى التعريف اللغوي فقال لي «انا اشعل هذه السيكارة فهل هي تحس» وحمل عليهِ غيرهُ

حملةً شعواء انتصاراً لمبدإ الحيوي ونفياً لما يترتب عليهِ من التولد الذاتي واهم هذه المناقشات مدرج في المقتطف في ذلك الحين (١)

وغرضي من طرْق هذا البحث على هذه الصورة انما كان لاقرار الفلسفة المادية على اساس علمي متين لازالة الوهم العالق باذهان كثيرين في تلك الايام من انها فلسفة يرمي اصحابها بها الى اغراض سافلة ويحاول خصومها تمكينهُ في اذهان العامَّة لتنفيرهم منها وهي خطة دنيئة في العلم وهي اليوم فوق ذلك خطة خرْق لان حبلها قصير. فالفلسفة المادية اليوم تختلف كثيراً عن فلسفة الماديين القديمة في انها كانت كفلسفة اصحاب ما فوق الطبيعة نظريةً بحتةً واما اليوم فهي فلسفة قائمة على مبادىء علمية ثابتة قضاياها تكاد تكون كالقضايا الرياضية نفسها

وما عنيت بتقرير هذه الحقيقة اولاً الا لغرض اهم وهو جعلها توطئة لتأييد مذهب دارون في النشوء والتحوُّل الى اقصاهُ باعداد الافكار لهُ . اذ لا يخفى ان هذا المذهب كان لذلك العهد لا يجسر احد بيننا ان يتكلم عنهُ الا في معرض النفي. وقد جاء ذكرهُ مرَّةً عرضاً في خطاب للدكتور لويس احد اساتذة المدرسة الكلية السورية فهاج الخواطر هناك عليهِ حتى اضطر الى الاستعفاء . وما ذكرت ذلك هنا الا لابين مبلغ استنكار عامة العلماء لهذا المذهب ومبلغ اقصائهِ من دور العلم في ذلك العهد . — واما اليوم فلم يعد مستنكراً الى هذا الحد بل صار يعلَّم في اكثر المدارس الحرَّة. واول مدرسة ذكر فيها بالتصويب مدرسة ليون الفرنساوية الطبية وذلك في سنة ١٨٨٧ في خطابٍ لاحد اساتذتها المدعو تستو عنوانهُ الانسان في نظر المشرّح (٢) وقد حوَّلهُ كثيرون اليوم الى غرضهم كما طبقوا كلام غليلي في الارض على غرضهم بعد ان قاموا عليهِ وكما تحوَّلت انا الى ان اكون من الغلاة فيهِ بعد ان انكرتهُ وتأففت من ذكرهِ اوَّل ما سمعت بهِ

ففي سنة ١٨٧١ — وكنت ادرس الطبَّ في المدرسة الكلية السورية — سمعت — ولا اذكر كيف سمعت — انه قام رجل يدَّعي ان اصل الانسان من القرد (٣). فلم اتحرَّ حقيقة

---

(١) في المجلد الثالث والرابع والخامس والسادس (٢) الشفاء: المجلد الثاني

(٣) [المقتطف] هذا ما يتذكرهُ الدكتور شميل وقد كرَّرهُ مراراً على سمعنا في السنين الاخيرة . اما نحن فنتذكر انه هو اول مَن ذكر لنا مذهب دارون وذلك سنة ١٨٧٠ حينما كنا ندرس في المدرسة الكلية الاميركية سوية . ذكرهُ على سبيل الاستغراب كخبر سمعهُ من اطلع عليهِ . وكان تأثيرهُ في نفوسنا حينئذٍ انه ان ثبت ثبتت بهِ وحدة الخلق ولكن نقضت بهِ التعاليم الدينية عن كيفية خلق الانسان وسائر انواع الحيوان

هذا القول ولم يكن في تعليم المدرسة ما يحملني على التبصر فيهِ . وغاية ما اذكر اني لم اسمع بهِ حتى اظهرت اشمئزازي منهُ ومن قائله الذي اعتبرتهُ حينئذٍ دعيًّا ما خالف الا ليعرف . ولا عجب فان الكيفية التي ذكر لي فيها والتي يذكرهُ بها دائمًا خصومهُ من ان القرد اصل الانسان لا يمكن ان تحدث في سامعها لاول مرة وهو متشرب بالاعتقادات المخالفة الا نفوراً ولو ان في نوع الانسان من هو احط من القرد بكثير . وهو سلاح يفتريهِ خصوم هذا المذهب لتحقيرهِ . والا فمذهب دارون لا يقول ان القرد اصل الانسان وان الحمار اصل الفرس بل ان الانسان والقرد والفرس وسائر الاحياء في الطبيعة قاطبة من اصل واحد في نشوئها من مواد الطبيعة وتجرد قواها وقد تغيرت تبعاً لناموس المطابقة حتى بلغت مبلغها الآن بالانتخاب الطبيعي

ثم مرت الشهور ولا اذكر اني عرفت عن هذا المذهب شيئًا جديداً حتى نسيتهُ . ومن الغريب اني بعد ذلك بزمان عند نيلي الشهادة كان موضوع خطابي(١) المدرسي النهائي « اختلاف الحيوان والانسان بالنظر الى الاقليم والغذاء والتربية » وقد جئتُ فيهِ بكثير مما يؤيد هذا المذهب وانا لا اقصد فكنت كالذي كان يقول النثر وهو لا يدري(٢)

ولكنَّ الذي لم اكن اقصدهُ في ذلك الحين لم يلبث ان صار موقف افكاري وموضوع حديثي وغرضي في كل كتاباتي بعد مبارحتي المدرسة ورحلتي الى اوربا واطلاعي على هذا المذهب في مؤلفات اصحابهِ . ولم اجد حينئذٍ ادنى صعوبة في تطبيقهِ على اقصى ما يرمي اليهِ قبل ان اطلع على مؤلفات الغلاة فيهِ كهكل وبخنر . لان علوم المقابلة في الطب تساعد كثيراً على ذلك . كما انهُ هو نفسهُ لم يجد ادنى صعوبة في امتلاكي لان تربيتي المدرسية لم تسمني بطابعها فان اعتلال صحتي في حداثتي لم يسمح لي بان اكون من متخرجي المدارس في ما خلا الطب . ولم اقرأ شيئًا من العلوم الكمالية التي يقولون انها توسع العقل وهي في اعتقادي تضيقهُ فكأن ذلك حفظ لي استقلال افكاري . وما ذكرت ذلك هنا الا لأؤيد ما قلتهُ في ما تقدم من سوء تأثير التربية المدرسية كما لا تزال حتى الآن في تقييد العقول فيشب التلميذ فيها ويخرج منها فاقداً كل استقلال في افكارهِ وخصوصاً كل تسامح وناهيك بما يترتب على ذلك في الحياة الاجتماعية من الشرور

ولقد بلغ مني الاقتناع بصحة هذا المذهب اني صرت اعتبر مبادئهُ اوليات لا يجوز ان تخفى على ابسط متعلم واقل مفكر فاذا لم يصرح بها فلعدم جسارةٍ او لمصلحة . وفاتني ان هناك

(١) هذا الخطاب استعارهُ مني احد البلداء لتخوّ فاضاعهُ عليَّ ولم يردهُ ولم اعد اعلم بعد ذلك مصيرهُ (٢) مثل فرنسوي

اسباباً اخرى اهم لم انتبه لها حتى انتبهت الى تطبيق هذا المذهب على الفلسفة العقلية نفسها فانجلى لي سر كل هذه المناقضات في العقول المختلفة اذ اتضح لي ان علم البسيكولوجية اي علم العقل او النفس فرع من علم الفزيولوجية اي علم منافع الاعضاء فيجب النظر في العقل كالنظر في وظائف الاعضاء باعتبار انه عمل مادي. فكل ما يتطرق الى المادة من نواميس النشوء والتحول ويؤثر فيها يؤثر في العقل نفسهِ الذي هو ليس الا فعلاً من افعال الدماغ. فاذا كان للاقليم وسائر نواميس المطابقة والانتخاب الطبيعي والوراثة شأن عظيم في تكييف الاعضاء الحية واثر لا يمحى الا في الاجيال المتطاولة اذا تغيرت الاحوال فللتربية والتعليم والعادات والاعتقادات وكل ما يؤثر في الاخلاق اثر في العقول ايضاً لا يزول الا بمثل تلك الصعوبة حتى لقد يزول من الابناء اثر ما في الآباء من الاجداد ثم يعود ويظهر في الاحفاد لرسوخ ذلك في الطبائع وشدة تكيفها بهِ. وعليهِ ناموس الرجعة عندهم ويراد بهِ الارتداد الى الاصل وهي حقيقة عرفها العامة قبل ان يقررها العلماء بقولهم «الاصل يحن»

ولهذا كانت اعمال العقل كثيرة التناقض شديدة التغاير مملوءة بالمفارقات فترى الرجل الذكي الفؤاد والعالم المتضلع طروباً بسخافة نفوراً من حقيقة. فاذا نظرت الى كل ذلك من خلال مذهب النشوء والتحول تبدت لك الحقيقة الناصعة وسهل عليك حل هذا الاشكال. فاجأني بعضهم مرة بقولهِ «انك لمصيبة على الناس لمغايرتهم في افكارهم» فاجبته بقولي «اذا جازت الشكوى فمن منا اولى بالشفقة انتم الذين مصيبتكم بي واحدة ام انا الذي مصيبتي بكم متعددة»

واذا كنت كتبت ما يغاير مجرى الافكار غالباً او حدت الانتقاد احياناً فليس لاني كنت اطمع بان ارد الناس اليَّ في هذا الزمن القصير وانا لا اجهل ما يحول دون ذلك من الصعوبات بل لاني قصدت مباغتة الافكار للفتها الى غير مألوفها. وان كنت لا اجهل ان القاء الحجر في المستنقعات الراكدة لا يقلق الضفادع المطمئنة الا ريثما ينقضي حذرها فتعود الى نقيقها الا اني لا اجهل ايضاً فعل الخمير المختمر. فان اقل ما يعلق بالعقول حينئذٍ من اثر الافكار المخالفة ينمو فيها غالباً بسرعة الاختمار نفسهِ خصوصاً اذا صادف استعداداً في النفوس كامناً فيها لكثرة البواعث الضاغطة عليهِ فيكون مثل هذا التنبيه لهُ بمثابة الشرارة في اثارة كامن القوى المتجمعة. ولعل الناظر الى ما بين طرفي هذه الفترة القصيرة من ذلك العهد الى اليوم لا يسعهُ الا الاعتراف بصحة هذا القول

الدكتور شميل

جوامد كالنبات

اتفق لنا ونحن ندرس الكيمياء منذ نحو ثلاثين سنة ان ابقينا انابيب الكشف ذات يوم مملوءة بما فيها من السوائل الكيماوية لانهُ لم يتيسر تنظيفها وعدنا بعد يومين او ثلاثة فوجدنا واحدة منها مملوءة بشيءٍ كالنبات خيوطٍ دقيقة نابتة من اسفل الانبوب الى اعلاه كل خيط منها قائم بنفسهِ كابر الصنوبر لكنهُ اسطواني تماماً وكأنهُ مؤلف من حويصلات مستطيلة الواحدة فوق الاخرى لونها عسلي وفيها شيءٌ من الشفف كسوق زهر النبات المعروف ببخور مريم ولكنها ادق منها وهي مستقيمة او منحنية لا يشك من يراها انها مادة نباتية نامية في الانبوب . وكانت الانابيب كثيرة وكان الدرس الذي ملئت لايضاحهِ عمومياً شاملاً لمواضيع مختلفة على سبيل المراجعة في الكيمياء الآلية فتعذر علينا معرفة المواد الكيماوية التي تولد منها هذا المركب الشبيه بالنبات ولم نكن قد قرأنا عن مركب مثلهُ في كل ما وقع لنا من كتب الكيمياء ولا عثرنا على ما يشبههُ في السنتين التاليتين . ثم لم نعد نلتفت الى المواضيع الكيماوية الا نادراً . وبالامس رأينا في بعض الجرائد العلمية صوراً تشبه ذلك المركب او ذلك النبات الكيماوي الذي رأيناهُ منذ نحو ثلاثين سنة ويقال فيها ان الاستاذ لدوك الفرنسوي ادخل نقطة من مذوب السكر فيها شيءٌ قليل من فروسيانيد البوتاسيوم في مذوب كبريتات النحاس الخفيف فوجد ان نقطة مذوب السكر تغطى بغلاف رقيق من فروسيانيد النحاس وهذا الغلاف يدخلهُ الماء ولكن لا يدخلهُ السكر فهو مثل الحويصلة النباتية من هذا القبيل فيجعل ينمو و ينشأ منهُ فرع كبرعم النبات فيحيط بهِ غلاف من فروسيانيد النحاس يدخلهُ الماء وينميهِ فيطول ويتولد منهُ فرع آخر وهلمَّ جرًّا . وهذه الفروع تمتص السوائل التي حولها وتنمو بها والغالب ان الخيط الذي ينمو كذلك يتولد في اعلاهُ انتفاخ كروي او مخروطي

ثم ان انتشار السوائل بعضها في بعض واختراق الحواجز الذي بينها لا ينحصران في تكوُّن خيوط نباتية الشكل مثل هذه بل يكونان ايضاً اشكالاً هندسية بديعة وتزاويق قياسية كما اوضح الاستاذ لدوك فاذا اذبتَ الجلاتين في الماء حتى يكون منهُ درهم من الجلاتين في عشرة دراهم من الماء واضفت اليهِ نقطة من مذوَّبٍ ما مثل كلوريد الامونيوم او بروميدهِ او يوديدهِ وصببت منهُ خمسة سنتمترات مكعبة على لوح من الزجاج حتى تنبسط عليهِ ثم صببت على هذا الجلاتين نقطاً من بعض المحاليل مثل نترات الكلسيوم او نترات الفضة او شترات البوتاسيوم وصببت هذه النقط في اشكال قياسية على اللوح وتركتهُ موضوعاً وضعاً افقياً رأيت النقط التي

صببتها عليهِ اخذت تنتشر على سطحهِ رويداً رويداً وتكوّن صوراً بديعة في اشكالها والوانها يمكن الصاقها على ورق سميك كأنها صورة مطبوعة بالالوان ويكون في هذه الصور خطوط بعضها شفاف وبعضها غير شفاف دواليك وثخنها يختلف من عشر المليمتر الى جزء من الف من المليمتر فتحلّ النور وتعكسهُ كعنق الحمام وتختلف اشكالها والوانها باختلاف المواد الكيماوية واجملها يحدث من محلولي فصفات البوتاسيوم وكربونات البوتاسيوم فتتألق حينئذٍ كعرق اللؤلوء

ولا يخفى ان الانسجة الحية تؤلف من خيوط محبوكة كذلك كما ترى في عرق اللؤلوء واجنحة الفراش وريش الطيور وعضلات الانسان واعصابهِ واغشيتهِ ونحو ذلك من المكونات الحية وكلها تحلّ النور وتعكسهُ على هذه الصورة ولم يعلم قبلاً كيف تكوّنت كذلك فعلم امرها الان وعرف سببها وهو انتشار المذوبات وتكوّن الخطوط منها

ومسير العلم الآن الى تعليل الفواعل الحيوية بعللها الطبيعية . وكل يوم تكشف امور جديدة تدلّ على وحدة الخلق ووحدة القوى ولكن هل يكشف سرّ الحياة اخيراً او لا يكشف هذه مسألة المستقبل كفيل بحلها

وهب ان الانسان عرف كيف يصنع الفراشة الحية من المواد التي تتركب منها فيكون ذلك من قبيل صنعهِ السكر من المواد التي يتكون منها وصنعهِ الماء من العنصرين اللذين يتكون منهما . وغاية ما في صنع الفراشة انهُ اصعب جداً من صنع السكر لكثرة العناصر الداخلة في تركيبها وتنوُّع الحويصلات والاعضاء التي يتركب جسمها منها واتصافها بصفات تولدت فيها بالانتخاب الطبيعي والجنسي بعد الوف والوف الوف من السنين حتى يصح لنا ان نقول انهُ يتعذر تكوينها ما لم تمرّ على الاطوار التي مرّت عليها اسلافها وما لم يمرّ عليها من الزمن ما يكفي لذلك . ولكن اذا تعذَّر عمل الفراشة فقد لا يتعذر عمل الحويصلات الحية او الميكروبات المؤلفة من حويصلة واحدة او الاحياء التي لا تزال في ابسط تراكيبها ولا تكاد تمتاز عن الحويصلات الكيماوية المشار اليها آنفاً . وقد يختصر الانسان الطرق لتكوين الحويصلات الحية وما يتركب منها كما اختصر في تركيب كثير من المواد الكيماوية مثل نيترات الصودا . ولكن هل يستتبّ لهُ بعد ذلك ان يصنع الاحياء المرتقية التي اقتضى تكونها ووصولها الى حالها الحاضرة الوف من القرون وعمره محدود واقامتهُ على هذه الارض لا تدوم الأسنين قليلة . هذه مسألة جوابها بديهي وهو ان عمر الانسان وعمر نسلهِ مهما طال في الارض لا يكفي لشيء من ذلك فيبقى خلق المخلوقات العليا في يد خالقها او يد النواميس الطبيعية التي سنها لها

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

السَّبَل . المُكَلَّفة . كاسر العظام . الفِينَة (يونانيتها Phene)

Gypaetus barbatus. E. Bearded vulture or ossifrage. F. Phene ou vautour barbu.

طائر من سباع الطير بين النسر والعقاب يحمل كل عظم فيهِ مخٌّ حتى اذا كان في كبد السماء ارسلهُ على صخرة فينكسر فيهبط فيأكل مخهُ ولذلك سمي كاسر العظام بالعربية واللاتينية وهو پرس بالعبرانية اي الكاسر يقابلها مادة فرس بالعربية . ويعرف هذا الطائر في السودان بابي ذقن (barbatus) لان لهُ ما يشبه اللحية

اما لفظة الفينة فهي الفيئة في ما وقفت عليهِ من كتب اللغة ويظهر ان الدميري قرأها الفينة واظنهُ مصيب في ذلك قال « الفينة طائر يشبه العقاب اذا خاف البرد انحدر الى اليمن قالهُ ابن سيده والفينات الساعات يقال لقيتهُ الفينة بعد الفينة فكأَن هذا الطائر لما كان في حينٍ ينحدر الى اليمن وفي حينٍ آخر يذهب عنها سمي باسم الزمان » . وفي المخصص لابن سيده « الفيئة طائر يشبه العقاب فاذا خاف البرد انحدر الى اليمن وهو من الفيءِ اي الرجوع » . فتجد ان الدميري نقل القسم الاول من عبارتهِ عن ابن سيده وخالفهُ في قراءة اللفظة واشتقاقها وعندي انهُ مصيبٌ في القراءة ولعل اللفظة يونانية وقد وردت في اوذيسية هوميروس وكتاب النعوت لارسطو وغيرها وقيل ان اسخولس الشاعر اليوناني المشهور قتلتهُ فينة وذلك انهُ خرج يوماً حاسر الرأس وكان اصلع فرأتهُ فينة تحمل سلحفاةً كبيرة فالقتها عليهِ ظناً منها ان رأسهُ صخرة ملساء فقتلتهُ . وكثيرون من علماء الافرنج قرأوا هذه اللفظة فينةً في الدميري منهم بوخارت وسافيني وغيرهما

وهذا ما جاء في كتاب النعوت لارسطو عن هذا الطائر قال « والعقاب تبيض ثلاث بيضات ينقف منها اثنتان فقط فمتى قوي فرخاها القت واحداً منهما فتعطف عليهِ الفينة وتربيهِ» (كتاب النعوت ٦ : ٦ : ١) . وقال الجاحظ ما نصهُ « زعم صاحب المنطق انهُ ليس شيءٌ في الطير اجفى لفراخهِ من العقاب وانهُ لا بد من ان يخرج واحداً وربما طردهنَّ جميعاً حتى يجيءَ طائرٌ يسمى كاسر العظام فيتكفل بهِ » . وقال الدميري وهو بلا ريب ترجمة كلام ارسطو

ايضاً « والعقاب تبيض ثلاث بيضات في الغالب وتحضنها ثلاثين يوماً .... فاذا خرجت فراخ العقاب القت واحداً منها لانهُ يثقل عليها طعم الثلاث وذلك لقلة صبرها والفرخ الذي تلقيهِ يعطف عليهِ طائر آخر يسمى كاسر العظام ويسمى المكلفة فيريبهِ » . وقال عن المكلَّفة ما يأتي « المكلَّفة طائر قال الجاحظ لما كانت العقاب سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات فتخرج فراخها فتلقي واحداً منها فيأخذهُ هذا الطائر الذي يتكلَّف بهِ قيل لهُ المكلَّفة ويسمى كاسر العظام فيريبهِ »

وفي المخصص لابن سيده « السبَل طائر مثل النسر عظيم يضرب الى السواد يحمل عظم الفخذ من البعير او الساق او كل عظمٍ فيهِ مخ حتى اذا كان في كبد السماء ارسلهُ على صفا او صخرةٍ فينكسر فيهبط فيأكل مخهُ »

فيظهر مما تقدم ان الفينة والسبَل والمكلفة وكاسر العظام اسماء لهذا الطائر المسمى Phene عند اليونان و Ossifragus عند الرومان Gypaetus barbatus عند علماء الحيوان كما يتضح من وصفهِ في مؤلفاتهم

قلت ان هذا الطائر يسمى پرس بالعبرانية وقد ورد ذكرهُ في التوراة وهو الانوق في الترجمة العربية ولا يخفى ان الانوق طائر آخر سيأتي ذكرهُ وارى ان ترجمة اللفظة العبرانية بكاسر العظام او السبل اقرب الى الصواب

الرَّخمة . الأَنُوق Neophron percnopterus. E. Egyptian vulture or Pharoah's hen. F. Percnoptère ou poule de Pharaon.

طائر ابقع اصلع الرأس اصفر المنقار وهو في عرف علماء الحيوان نوع من النسور والعامة في الشام تسميهِ الشوحة . اما في المغرب ومصر والسودان وبلاد العرب فيعرف بالرخمة الى هذا اليوم

وفي دائرة المعارف العربية الرخمة طائر آخر يعرف بالحوصل او جمل الماء Pelican ولعل ذلك مأخوذ عن مقالة للمرحوم الدكتور زلزل في السنة الثانية من المقتطف صفحة ٥٨ . والذي اراهُ ان وصف الرخمة في كتب اللغة وغيرها ينطبق على وصف الطائر المعروف بهذا الاسم في وقتنا الحاضر كما ذكر بروس وسافيني وترسترام وغيرهم من السياح والعلماء الذين سمعوا هذه اللفظة من العرب وهي الترجمة المعوَّل عليها عند المستشرقين وعلماء التوراة . ويسمى هذا الطائر راخام بالعبرانية ويظن ان الاسم العربي والعبراني من مادة رحم او رخم وسميت الرخمة بذلك

للينها او عطفها على اولادها ومن هذه المادة اشتقت الفاظ كثيرة ترجع كلها الى العطف او اللين او الحنو الوالدي كالرحمة والرحم والرخامة والترخيم ورخمت الدجاجة اي حضنت بيضها والفاظ كثيرة غيرها كما يتضح من مراجعة باب رحم ورخم في كتب اللغة . وذكر بروس نقلاً عن هورس افلّون ان الرخمة كانت رمز الحنو الوالدي عند قدماء المصريين ولا يخلو هذا الرأي من الصحة فالعرب كان عندهم شيء من هذا فقد جاء في الدميري في باب الأنوق ان في اخلاق الرخمة اربع خصال تحضن بيضها وتحمي فرخها وتألف ولدها ولا تمكن من نفسها غير زوجها . وقيل ان الرخمة سميت بذلك للونها تشبيهاً لها بالشاة الرخماء وهي التي ابيض رأسها وعنقها واسود سائرها (١)

اما وصف الرخمة في كتب اللغة فينطبق على وصف الطائر المعروف بالشوحة في الشام فالرخم في محيط المحيط « طائر ابقع يشبه النسر في الخلقة و يقال له الأَخْوَق (صوابها الأَنوَق) يختار لبيضهِ اطراف الجبال الشاهقة ومواضع الصدوع وخلال الصخور ليعسر الوصول اليهِ والعامة تسميهِ الشوح » . وفي المخصص « الرَخمة طائرة ضخمة بيضاء تاكل الجيَف ولا تصطاد و يقال لها الانوق ... وربما خالط لونها الاختياس يعني النقط الصغار لا ترى والرخمة بعظم العقاب ولا تبيت الأ في ارفع موضع تقدر عليهِ ... ولا يرى بيض الانوق الأ في شق جبل او رأس عضاهة (٢) لا يقدر عليهِ » . في بعض كتب اللغة الرخمة طائر ابقع وفي غيرها طائر ابيض ربما خالط لونهُ الاختياس وكلاهما صواب لان الرخمة قبل بلوغها يضرب لونها الى السواد ثم تبيض شيئاً فشيئاً

الدكتور
امين المعلوف

(١) كذا ورد وصف الشاة الرخماء في كتب اللغة وذكر بروس في رحلتهِ ان الشاة الرخماء في اليمن ما اسود راسها وعنقها وابيضَّ سائرها وهي الدرعاء في كتب اللغة وهذه الغنم نراها احياناً في اسواق مصر و يسمونها الغنم اليمنية وقد رايتها مراراً ولا اقدر ان اتذكر هل هي كما قال بروس او عكس ذلك

(٢) العضاه كل شجر يعظم ولهُ شوك واكثر العضاه المعروفة عند العرب من جنس الاقاقيا Acacia كالسنط والسلم والسمر والطلح والسيال وهذه الاسماء معروفة في السودان الى يومنا كما جاء عنها في كتب اللغة . ومن العضاه ايضاً الاراك Salvadora لكنهُ ليس من الاقاقيا

المخلوقات الناقصة الاعضاء

(من كتاب تحت الطبع ترجمة وعلق حواشية حضرة الكاتب المجيد الياس افندي غضبان)

يتناول هذا القسم المخلوقات الناقصة الاعضاء وهي نظير المخلوق ذي العين الواحدة الذي يدعونهُ بالسيكلوب . والمخلوق ذي الساق الواحدة . والاجم منذ مولده اي بدون ساقين . او الاقطع الطبيعي وهو المولود بذراع واحدة او الاقطع الذراعين . و بالاجمال جميع المخلوقات التي تولد فاقدة عضواً وحداً او اكثر من عضو

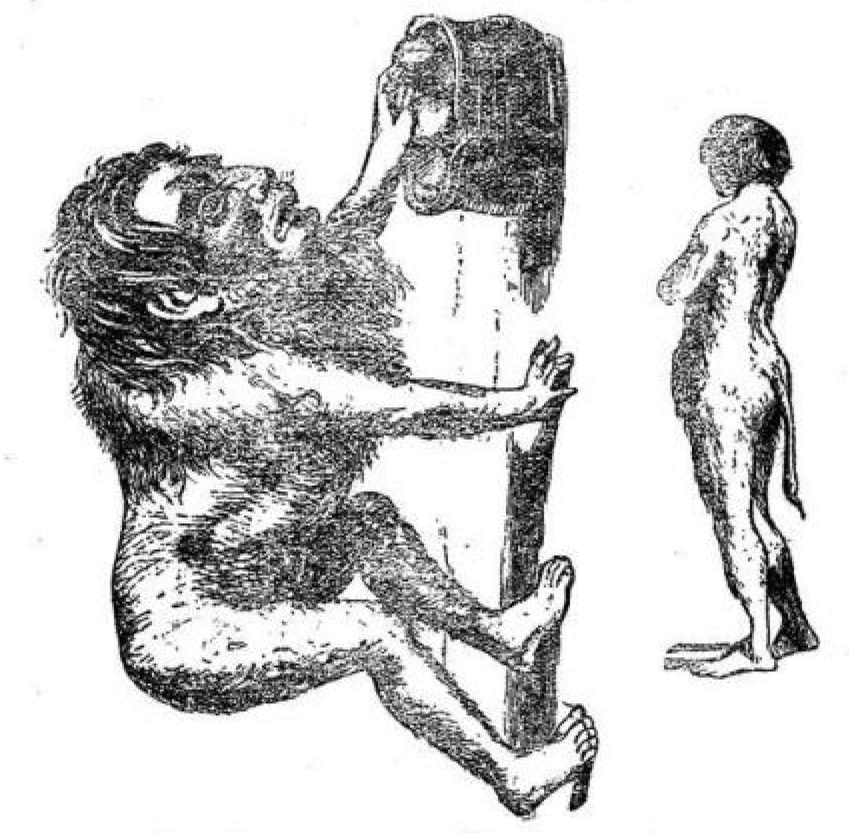
اما ذو العين الواحدة او ذو الساق الواحدة ومن يولد على شاكلتهما فهؤلاء ينقص فيهم على الغالب ذلك العضو باختلاط العضوين وتمثلهما في عضو واحد . ويتم سبك هذين الجزئين بتداخل العضوين في بعضهما بعضاً وامتزاجهما معاً حتى لا يعودا يمثلان الا عضواً واحداً . اما العالم بفن التشريح فانهُ مع ذلك يكتشف دائماً في وسط العضو الممثل على هذه الكيفية الخط الذي كان يفصل بين ذينك العضوين

اما اصحاب العين الواحدة او الساق الواحد الذين عاشوا بعد مولدهم فهؤلاء قليلون جداً ويعدونهم من النوادر . . وان الشواهد التي يذكرونها عنهم هي على الغالب شواهد قصصية لا يمكن ان يعول عليها . الا ان احد آباء الكنيسة الصادق الرواية يؤكد انهُ تحدث مع اناس كان جسمهم قائماً على ساق واحدة نظير ما يركزون هيكل شخص فوق عامود . وانهُ فضلاً عن منزلة الراوي العالية بين اصحاب التآليف مع ذلك ان المسألة خارقة الطبيعة يجوز للطالع ان يشك بامرها ولا يحتم بتصديقها (١)

(انظر الرسمين التاليين) تشاهد صورة هولتين تمثل احداهما صورة انسان لهُ بعض التناسب بشكل الاسد وتمثل الاخرى رجلاً بذنب او ان عظم عصعصه طويل هو اشبه بالذنب ويحتوي المؤلف الجليل في علم التشريح وطبائع العلل للاستاذ كروفيليه على جملة رسوم هول بشرية على شاكلة ذوات الاربع تحتفظ اعضاؤها بالشكل الانساني و يختص باقي الجسم

(١) قال في المحكم النسناس هو خلق في صورة الناس مشتق منهم لضعف خلقهم – وقال في الصحاح هو جنس من الخلق يثبت احدهم على رجل واحدة – وذكر المسعودي في مروج الذهب انهُ حيوان كالانسان له عين واحدة يخرج من الماء ويتكلم ومتى ظفر بالانسان قتلهُ – وذكر القزويني كما سبق عن الشافعي ان امرأة من قرى بلخ ولدت شخصاً لهُ نصف بدن ونصف راس ويد واحدة ورجل واحدة على صورة النسناس الذي يوجد في غياض الشحر باليمن

بشكل البهيمة(١) . وانا نختم هذا القسم في الهول الناقصي الخلقة وذلك بان نورد لمحة من تاريخ لويس بن سيزار بن يوسف ديكورني وهو المولود في مدينة ليل من اعمال فرنسا في ١٠ يناير (كانون الثاني) سنة ١٨٠٦ وهو الذي كان طولهُ ثلاث اقدام وثمان عقد . وكان رأسهُ وصدرهُ حسني التركيب معتدلي الحجم . وفي عموده الفقاري بعض ميل طفيف الى الجانب الايمن . ولم يكن لهُ ذراعان بالكلية . اما اعضاؤهُ السفلى فكانت مكوَّنة من



ساقين قصيرتين للغاية كانتا عند مولدهِ منككتين ومخلوعتين من وركيهما لكنهما ثبتتا فيما بعد في مركزيهما من تلقاء ذاتهما وفقدتا جانباً كبيراً من حركتهما الطبيعية . اما الرجلان فكانتا حسنتي التركيب وكان الفرق بين الابهام والاصبع الذي يليهِ اوسع من الحالة الاعتيادية

(١) ذكر صاحب عجائب المخلوقات انهُ في جزيرة اطوران قوم على هيئة الانسان ورؤوسهم كرؤوس السباع فلما دنت منهم مراكب الاسكندر غابوا عن ابصارهم

وبالنظر الى التمرين اليومي الذي كان يمرن فيهِ رجليهِ على تناول الاشياء والقبض عليها قد توصل الى نتيجةٍ حسنة وذلك باعتمادهِ على رجليهِ في مقام يديهِ

كان لديكورني منذ نعومة اظفارهِ ميلٌ فطريٌّ للرسم والتصوير. بحيث انهُ كان يقبض برجلهِ على الاقلام الملونة فيبريها ببراعةٍ فائقة ويبتدئ بان يرسم بها. واتفق ان استاذ التصوير في مدرسة ليل المدعو واتو ابصرهُ مجتهداً في الرسم وتحقق ما عندهُ من الميل لفن التصوير فاحب ان يعتني بامرهِ ويعطيهُ بعض امثولاتٍ في هذا الفن. فنجح نجاحاً باهراً ونال في مدة بضع سنوات اول جائزةٍ سنوية تعطى في هذا الفن في مدينة ليل

ثم انهُ عقيب ذلك شخص الى باريس ليزداد تفقهاً في صنعتهِ وكان لهُ ذلك اذ نالت مصنوعاتهُ حظاً وافراً ومقاماً رفيعاً في معرض باريس واحرز عليها جملة اوسمةٍ وحق له ان يعرضها مع مصنوعات المصورين البارعين في ذلك العصر. وفي سنة ١٨٣٢ اوصتهُ الحكومة ان يصور رسم الملك ليوضع في دار حكومة ليل. وفي السنة التالية اوعزت اليهِ ان يرسم نظيرهُ لدار حكومة سيسترون. ولقد اشتغل ثلاث سنين متوالية في تصوير مريم المجدلية منطرحةً على اقدام السيد المسيح بعد بعثهِ من الاموات. ولما اتمَّ تصويرها واحكم اتقانها عرضها للبيع فاشتراها منهُ وزير الداخلية بثمن وافر

كان تركيب رأس ديكورني هائلاً فكانت جبهتهُ عاليةً جدًّا وعيناهُ حادتي البصر. وحديثهُ رقيقاً يتفنن بهِ نظير الاذكياء ذوي الشعور الصحيح وارباب الفنون السامية. وقد تمت لهُ الشهرة خصوصاً في فن التصوير الذي عظم سمعتهُ وزاد في تعارف الناس بهِ. وكانت والدتهُ تحبهُ كثيراً وتعتني بامرهِ وتسهر على حراستهِ منذ مولدهِ وتضمهُ الى صدرها كأنهُ من الاولاد المكملي التركيب البديعي المنظر. فلما شبَّ وبلغ اشدهُ اخذ يقابل تلك الوالدة الشفوقة بما في وسعهِ من الشكر والارضاء. وكان يعولها مما يكسبهُ (من كد رجليهِ لا من كد يديهِ) فكان انعطافهُ هذا البنوي نحو تلك الام المسكينة مما يخفف من بلواها ويجعلها في غبطةٍ من العيش وفي اسمى مراقي السعادة

كان يشاهد من بضع سنواتٍ في ميادين باريس العمومية ومفارق طرقها رجلٌ اقطع الذراعين منذ مولدهِ يعمل برجليهِ اعمالاً مختلفة الاشكال وبغاية الاهمية يدهش بها المارين ويستلفت انظارهم. وقد اتخذ ذلك وسيلةً يرتزق بها ويستمطر اكف مشاهديهِ فانهُ كان يقبض باحدى رجليهِ على ريشة اوزةٍ ويتناول بالاخرى سكيناً يبري بهِ الريشة ثم يأخذ قرطاساً ويكتب بهِ بغاية الضبط والاتقان. وهو يتفنن في الكتابة فيرسم جملة اشكالٍ خطية

يعسر على اكبر خطاط ان يأتي بمثلها . وكذلك كان يأخذ ابرةً ويدخل فيها خيطاً بمنتهى السرعة ويخيط خياطةً متقنةً نظير امهر الخياطات . ثم يتناول برجليهِ غدارةً فيحشوها بالذخيرة ويطلقها في الفضاء . وكان يقدح بزنادهِ فيشعل بهِ غليونهُ ويبتدئ بالتدخين . ويأخذ لولباً ينزع بهِ سدادة زجاجةٍ من المشروب ويفرغها في كأسٍ ويشربها على نخب مشاهديهِ الى غير ذلك من الاعمال الدقيقة التي كان يعملها وقد ضربنا عنها صفحاً (١)

فيستنتج مما تقدم ان تلك البراعة المدهشة باستخدام عضوٍ من الاعضاء في اعمالٍ ليست هي من وظائفهِ مما يبرهن على ان التمرين المستديم يبدل بعد زمانٍ طويل حركة ذاك العضو ويغير الشكل المتصف بهِ . ذلك ان ابهامي هذا المسكين الناقص التركيب كانا اطول بكثير واشد ليونةً منهما في طبيعتهما الاعتيادية بحيث كان هذا التكيف المكتسب بالتمرين سبباً لاتخاذ الرجلين في مقام الذراعين اللتين افقدتهُ اياهما الطبيعة

ارمينية والارمن

يودُّ كثيرون من العثمانيين ان يعرفوا موقع ارمينية وتاريخها وعدد سكانها من الارمن ومن غيرهم . فاقتطفنا هذه المقالة مما كتبهُ بعضهم حديثاً في هذا الموضوع كالسر تشارلس ولسن والمستر تشارلس نسبت ومحرر كتاب السياسة لسنة ١٩٠٩ وغيرهم من الثقات

كانت ارمينية مملكة مستقلة وعُرفت بهذا الاسم في زمن داريوس المادي قبل المسيح بخمس مئة سنة وتقلبت عليها الاحوال قبل ذلك وبعدهُ فكانت تستقلُّ تارةً وتخضع لغيرها اخرى كما سيجيء . اما تاريخها قبل داريوس فيوصلهُ الارمن الى الفي سنة قبل المسيح

وهي بلاد جبلية في اعالي وادي دجلة والفرات والارس وكورا طولها نحو ٦٠٠ ميل وعرضها نحو ٤٠٠ ميل فتكاد مساحتها تماثل مساحة بلاد فرنسا . واكثرها جبال تعلو عن سطح البحر ٨٠٠٠ الى ١٢٠٠٠ قدم وفيها جبل اراراط الذي يقال ان سفينة نوح استقرَّت

---

(١) ولا بد من ان يتذكر بعض اهالي القاهرة الفتاة الحلبية التي قدمت الى هذه العاصمة من مدة اربع سنوات وعرضت نفسها في جهة روض الفرج ليشاهدها الناس . فكانت يداها في نهاية القصر لم تكن لها سوى قطعة من ذراع بغير عضد ولا مرفق ولها اصابع غير كاملة العدد ولا الحجم . وكانت تستخدم رجليها في الخياطة والكنس وغسل الثياب وغير ذلك . وتتناول بها آلات الطعام من الملعقة والشوكة وتأكل بها وتأخذ فنجان القهوة وكوب الماء فتشربه كذلك

عليهِ وعلوهُ نحو ١٧٠٠٠ قدم وفيها سهول عالية يبلغ ارتفاع بعضها عن سطح البحر ٦٠٠٠ قدم . واودية واسعة بين جبالها تجري فيها الانهار فترويها قبلما تضيق مجاريها . وفيها بحيرتان كبيرتان بحيرة وان وبحيرة ارمية ومياههما ملحة وثلاث بحيرات صغيرة . والاودية واسعة شديدة الخصب والجبال قليلة الشجر ولكنها مغطاة بالنبات

ويشتدُّ البرد شتاء والحر صيفاً في الجهات الشمالية الشرقية فتختلف درجة الحرارة بين ٢٢ تحت الصفر بميزان فارنهيت و ٨٤ فوق الصفر وهو اختلاف كبير جدًّا ولكن الصيف قصير جاف- واما الجهات الجنوبية الغربية فحرها معتدل وبردها معتدل



بلاد ارمينية باقسامها الثلاثة

والبلاد كثيرة المعادن من الفضة والرصاص والحديد والزرنيخ وينبت فيها كل نباتات المنطقة المعتدلة والباردة كالكرم والقمح والارز والقطن. ومراعيها واسعة تسوم فيها قطعان الاكراد وانعامهم ويكثر السمك في انهارها وبحيراتها

وكان القدماء يقسمونها الى ارمينية الكبرى وهي تشمل نصفها الشرقي وارمينية الصغرى وهي ما وقع منها غربي الفرات

وهي مقسومة الآن الى ثلاثة اقسام قسم للفرس وهو بلاد اذربيجان وعدد سكانهِ نحو مليون نفس الارمن منهم نحو ١٥٠ الفاً وعاصمتهُ مدينة تبريز وعدد سكانها نحو ٢٠٠ الف نفس وقسم للروس وهو يشمل ولايات اروان واليصاباتبول والقارص وجانب من تفليس وعدد

سكانهِ نحو ثلاثة ملايين نفس وعدد الارمن فيهِ وفي سائر بلاد الروس مليون و ١٧٣ الفاً

وقسم لتركيا وهو الاكبر ويشمل ارمينية الصغرى وجانباً من ارمينية الكبرى اي ارض روم وديار بكر وبتليس ووان وخربوط وسواس وحلب وادنه وطرابزون

وعدد الارمن في هذه الولايات نحو مليون نفس وعدد سائر المسيحيين نحو ٦٤٥ الفاً وعدد اليهود ١٠٠ الف نفس وعدد المسلمين نحو اربعة ملايين ونصف . ولا يزيد الارمن على غيرهم من السكان الا في سبعة اقضية من ١٥٩ قضاء . واكثرهم في ارض روم ووان وبتليس وخربوط وديار بكر . وسكان هذه الولايات ٢٦٤٢٠٠٠ والارمن فيها ٦٣٣٢٥٠ او نحو ٢٤ في المئة وسائر المسيحيين ١٧٩٨٧٥ او نحو ٧ في المئة والمسلمون ١٨٢٨٨٧٥ او نحو ٦٩ في المئة . والاقضية السبعة المشار اليها آنفاً عدد سكانها ٢٨٢٣٧٥ والارمن منهم ١٨٤٨٧٥ اي ٦٥ في المئة والمسلمون ٩٦٥٠٠ اي نحو ٣٥ في المئة

فالارمن قلال في كل الولايات العثمانية بالنسبة الى غيرهم من السكان ولا يزيدون على غيرهم الا في بعض الاقضية القليلة السكان كما تقدم

وعدد الارمن في كل المسكونة نحو ثلاثة ملايين نفس ففي الولايات الارمنية العثمانية نحو مليون نفس وفي غيرها من الولايات العثمانية نحو نصف مليون وفي روسيا اكثر من مليون وفي بلاد الفرس نحو ١٥٠ الفاً وفي سائر البلدان نحو ٢٥٠ الفاً . فلا يحلم عاقل انهُ يمكن جمعهم من كل اقطار المسكونة وارجاعهم الى بلادهم وطرد سائر السكان منها لترجع ارمينية مملكة مستقلة كما كانت في سالف عهدها . ولا نظن ان عقلاء الارمن يفكرون في ذلك على الاطلاق لانهُ ضرب من المحال

وتاريخ ارمينية مرتبط بجغرافيتها الطبيعية فان انفصال اوديتها عن سائر البلدان ولاسيما في فصل الشتاء سهَّل على سكانها الخروج عن طاعة الملوك الذين كانت خاضعة لهم ولاسيما اذا كانوا ضعافاً . ووعورة جبالها عوَّدت رجالها الشدَّة وغرست في نفوسهم الانفة شأن كل سكان الجبال المنيعة

ولكن ارمينية وسط بين الشرق والغرب فيمر فيها الغازون شرَّقوا او غرَّبوا . لاسيما وان منها يوصل الى مروج اسيا الصغرى محط رحال غزاة المشرق من قديم الزمان . وكان اسمها قديماً ياناس وكانت عاصمتها ذسباس وهي مدينة « وان » وقد وجدت فيها آثار ملوكها الاقدمين واول ملك منهم سردورس وكان قبل المسيح بنحو ٨٣٣ سنة وكتاباتهُ منقوشة بالقلم المسماري بلغة لاسامية ولا آرية . وتلاه ملوك تغلبوا على الاشوريين والحثيين ثم تغلَّب عليهم تغلث

فلاسر ملك اشور سنة ٧٤٣ قبل المسيح و بعد مئة سنة رحل اليها الارمن الآريون من المشرق واقاموا فيها ومن ثمّ يبتدئ تاريخ الارمن · و بقيت ارمينية في حوزة ملوك مادي وعليها مرازبة من اهلها يتوارثون الولاية خلفاً عن سلف الى ان استولى الاسكندر المكدوني على مملكة داريوس فولّى على ارمينية الولاة من الفرس

ولما دارت الدائرة على الملك انطيوخس الكبير سنة ١٩٠ كان على ارمينية الكبرى والٍ اسمهُ ارداشس وعلى ارمينية الصغرى والٍ اسمهُ زادريادس فاستقلّ هذان الواليان وكان ذلك بموافقة رومية وموازرتها و بنى الاول مدينة ارتكساتا وجعلها عاصمة مملكتهِ · واعظم خلفائهِ فيها الملك تغران الذي كان سنة ٩٤ الى ٥٦ قبل المسيح صهر الملك مثرداتس العظيم · وقد بنى تغران هذا مدينة سماها تغرانوسرتا جعلها مثل بابل ونينوى واسكن فيها اناساً من اليونان وغيرهم من الاسرى ثم لما لجأ اليهِ حموهُ مثرداتس من وجه الرومانيين نشبت الحرب بينهُ و بينهم فقهروهُ ولكنهم ابقوهُ في بلادهِ خاضعاً لرومية وضربوا عليهِ الجزية

ثم تنازع الفرس والروم على ارمينية الى ان اقتسموها بينهم سنة ٣٨٥ للميلاد وكانت قد تنصرت على يد القديس غريغوريوس المنير فاضطهد مرازبة الفرس الارمن واضطروهم الى العصيان ففشت الثورات في البلاد واستقلّ امراؤها باقطاعاتهم الى ان قام هرقل وردّهم الى مملكة الروم · ثم جاء العرب ودوخوا مملكة الفرس واستولوا على ارمينية واقاموا الولاة عليها منهم ومن الارمن الى زمن الخليفة المعتمد سنة ٨٨٥ (٢٧٢ هـ) فنصب عليهم ملكاً منهم وهو بغراتداشود الاول فتوالى الملوك من نسلهِ على ارمينية الى سنة ١٠٧٩ ثم ان الخليفة المقتدر نصّب كاجيج ارزرونيان ملكاً على وان وذلك سنة ٩٠٨ (٢٩٦) فتوالى الملوك من نسلهِ عليها وعلى سواس الى سنة ١٠٨٠ · وانشأ آل بغراتد دولة في القارص بقيت من سنة ٩٦٢ — ١٠٨٠

وظلت البلاد من ديار بكر الى ملاسجرد تحت سيادة العرب فالروم فالسلاجقة من سنة ٩٨٤ الى سنة ١٠٨٥ · فهجرها كثيرون من الارمن واستوطنوا القسطنطينية وتزوجوا في الروم وانتظموا في جيوشهم واغتصب واحد منهم سرير الملك سنتين وصار اثنان منهم امبراطورين وصار بعضهم من مشاهير القواد · وغزا باسيليوس الثاني ملك الروم ارمينية سنة ٩٩١ وهادنهُ واليها الحسن بن مروان عشر سنين ثم غزاها سنة ١٠٢١ واخذ سواس وانزل فيها الارمن وكان غرضهُ ان يقوي حصون ارمينية كلها و يضع فيها المقاتلة من جنودهِ لكن خلفهُ لم يعبأ بتحصين البلاد بل برد اهلها عن بدعتهم الدينية على زعمهِ

وتعاقب الروم والسلاجقة على البلاد يثخنون في اهلها ويجرعونهم غصص المنون الى ان استولى عليها الب ارسلان سنة ١٠٧١ فصارت جزءا من بلاد السلاجقة الى ان تجزأت سنة ١١٥٧ بين العرب والاكراد والسلاجقة ثم جاء المغول سنة ١٢٣٥ فاكتسحوها

وخلاصة ما ذكرهُ ياقوت الحموي في معجم البلدان عن بلاد ارمينية انها كانت في عهده (اوائل القرن السابع) كثيرة الممالك . ونقل عن ابن واضح الاصبهاني انهُ كتب لعدة من ملوكها واطال المقام بارمينية ولم يرَ بلداً اوسع منهُ ولا اكثر عمارةً . وذكر ان عدة ممالكها مئة وثمان عشرة مملكة منها مملكة السرير وهي ثمانية عشر الف قرية واران وفيها اربعة آلاف قرية واكثرها لصاحب السرير وسائر الممالك فيما بين ذلك تزيد على اربعة آلاف وتنقص عن مملكة صاحب السرير

قال وسئل بعض علماء الفرس عن الاحرار الذين بارمينية لِمَ سموا بذلك فقال هم الذين كانوا نبلاء بارض ارمينية قبل ان تملكها الفرس فاعتقوهم لما ملكوا واقرُّوهم على ولايتهم فسموا احراراً لشرفهم

وذكر ياقوت مدن ارمينية مدينة مدينة وتاريخها من اول نشأتها الى عهده في اوائل القرن السابع للهجرة فقال في الكلام على تفليس مثلاً انها مدينة قديمة عليها سور عظيم وبها حمامات شديدة الحر لا توقد ولا يسقى لها ماء فانها عيون تنبع من الارض حارة . افتتحها المسلمون في ايام عثمان بن عفان . فان حبيب ابن مسلمة سار الى ارمينية فافتتح اكثر مدنها فلما توسطها جاءهُ رسول يسألهُ الصلح واماناً يكتبهُ لهم فكتب لهم اماناً يقول فيهِ «من حبيب بن مسلمة لاهل تفليس بالامان على انفسهم وبيعهم وجوامعهم وصلواتهم ودينهم على الصغار والجزية على كل بيت دينار ولنا نصيحتكم على اعداء الله ورسولهِ ما استطعتم وقرى المسلم المحتاج ليلةً بالمعروف من حلال طعام اهل الكتاب فان اتيتم واقمتم الصلاة فاخواننا في الدين والاَّ فالجزية عليكم وان عرض للمسلمين شغل عنكم فقهركم عدوكم فغير مأخوذين بذلك ولا هو ناقض عهدكم . هذا لكم وهذا عليكم شهد الله وملائكتهُ وكفى بالله شهيداً »

والمرجح عندنا ان الكتاب موضوع وضعهُ احد الكتَّاب للارمن كما وضع غيرهم كتباً مثلهُ زعموا انها كتب امان من الصدر الاول . ولكن ذكر ياقوت لهُ في صدر القرن السابع للهجرة يدلُّ على قدمهِ وعلى ان الارمن كانوا في ذلك العهد يطالبون ملوك المسلمين ببرهم

ثم قال ياقوت ان تفليس بقيت بايدي المسلمين واسلم اهلها الى ان خرج في سنة ٥١٥ هجرية من الجبال المجاورة لتفليس جيل من النصارى يقال لهُ الكُرْج في جمع وافر واغاروا على

ما يجاورهم من بلاد الاسلام وكان الولاة منها قبل الملوك السلجوقية قد استضعفوا لما تواتر عليهم من اختلاف ملوكهم وطلب كل واحد الملك لنفسهِ فواقع الكرج ولاة ارمينية وقائع كان اخرها ان استظهر الكرج وهزموا المسلمين ونزلوا على تفليس فحاصروها حتى ملكوها عنوة واستقروا بها واجملوا السيرة مع اهلها وجعلوهم رعية لهم ولم تزل الكرج كذلك وولاة الامر مشتغلون عنهم بشرب الخمور وارتكاب الفجور حتى قصدهم جلال الدين منبركي بن خوارزم شاه في شهور سنة ٦٢٣ وملك تفليس وقتل الكرج كل مقتلة وجرت لهُ معهم وقائع كان ينتصر عليهم في جميعها ورتب فيها والياً وعسكراً . ثم اساء الوالي السيرة في اهلها فاستدعوا مَن بقي من الكرج وسلموا اليهم البلد وخرج عنهُ الخوارزمية هاربين الى صاحبهم وخاف الكرج ان يعاودهم خوارزم شاه فلا يكون لهم بهِ طاقة فاحرقوا البلد وذلك سنة ٦٢٤ وانصرفوا فهذا آخر ما عرفت من خبرهِ

وقال في الكلام على ارض روم (واسمها فيهِ ارزن الروم) انها بلدة من ارمينية اهلها ارمن ولها سلطان مستقلٌ بها مقيم فيها وولاة ونواحٍ واسعة كثيرة الخيرات واحسان صاحبها الى رعيتهِ بالعدل فيهم ظاهر

وقال في الكلام على خلاط هي من فتوح عياض بن غنم سار من الجزيرة اليها فصالحهُ بطريقها على الجزية ومال يؤديهِ . وهي قصبة ارمينية الوسطى فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة وببردها في الشتاء يضرب المثل ولها البحيرة التي ليس لها في الدنيا نظير (بحيرة وان) يجلب منها السمك المعروف بالطريخ الى سائر البلاد ولقد رأيت منهُ بيلخ وبلغني انهُ يكون بغزنة وبين الموضعين مسيرة اربعة اشهر وهي من عجائب الدنيا . قال ابن الكلبي من عجائب الدنيا بحيرة خلاط فانها عشرة اشهر لا يكون فيها ضفدع ولا سرطان ولا سمكة ثم يظهر بها السمك مدة شهرين في كل سنة . انتهى

وهكذا كلامهُ على سائر مدن ارمينية فان بعضها كان عامراً في زمانهِ وبعضها كان خراباً وكان في بعضها ملوك مستقلون

وساءت حال ارمينية في عهد السلاجقة لانها صارت سكة للقبائل الرحل تمرُّ بها ذاهبة الى مروج اسيا الصغرى فخربت وهجرها اهل الزراعة ثم تمَّ خرابها على يد تيمورلنك واضطر جمهور كبير من الارمن حينئذٍ الى سكن الجبال العالية والدخول في ذمة الاكراد . وهاجر البعض الى كبدوكية وكليكية في اسيا الصغرى حيث اقام بغراتد روبن سنة ١٠٨٠ واسس امارة صغيرة صارت بعد ذلك مملكة ارمينية الصغرى وبقيت مستقلة ٣٠٠ سنة وقد عاونت

الصليبيين في زحفهم على فلسطين وبقيت في عزتها الى ان حاول صاحبها ان يغير معتقد اهلها ويضمهم الى الكنيسة الرومانية فانقسموا في ما بينهم وضعف شأنهم فغزاهم سلطان مصر واستولى على بلادهم وجعل سيس وطرسوس وادنه واياس ولاية واحدة واقرَّ عليها الامير موسى بن سنهري وكان ذلك سنة ١٣٧٥ للميلاد (٧٧٧ للهجرة) ثم جاء تيمورلنك كما تقدم وخرب البلاد لكن خلفاءهُ احسنوا سياسة الرعية فعاد رئيس الارمن (الكاثوليكس) الى اشمزين سنة ١٤٤١ بعد ان اضطرَّ ان ينتقل منها في زمن السلاجقة الى سواس ثم الى ارمينية الصغرى

واستولى السلطان سليم على ارمينية سنة ١٥١٤ كما ذكرنا في تاريخهِ وسلَّم ادارتها الى ادريس المؤرخ وهو كردي من بتليس فقسمها الى سناجق وولى على سهولها رجالاً من الاتراك وعلى جبالها رجالاً من اهلها فصلحت حالها وقوي شأن الاكراد فيها

واجتاح الفرس ارمينية سنة ١٥٧٥ وغزاها الشاه عباس سنة ١٦٠٤ ونقل الوفاً من الارمن الى عاصمتهِ اصفهان وكان قد مصَّرها جديداً . واستولى الفرس على اروان سنة ١٦٣٩ وبقيت في حوزتهم الى سنة ١٨٢٨ حينما انتقلت الى الروس . ثم اخذت روسيا باطوم واردهان والقارص على اثر حربها الاخيرة مع تركيا . وظلَّ امراء الاكراد كالمستقلين في ارمينية الى سنة ١٨٣٨ فضعفت شوكتهم حينئذٍ وقاموا لاستردادها سنة ١٨٤٣ بقيادة بدرخان بك وسنة ١٨٨٠ بقيادة الشيخ عبدالله الكردي ولكن الدولة العلية ارغمتهم على الطاعة

ولما جلس السلطان عبد الحميد على تخت الملك كان حال الارمن اصلح مما كان في عهد اسلافهِ من آل عثمان ووعدت الدولة في عهدة سان ستفانو ان تصلح حال سكان ارمينية وتمنع عنهم جور الاكراد والشراكسة واعادت هذا الوعد في عهدة برلين . ثم جاء الاتفاق على قبرص بين الدولة العلية وانكلترا وفيهِ وعدت الدولة بادخال الاصلاحات اللازمة لحماية المسيحيين وغيرهم من رعاياها في ولايات اسيا الصغرى ولم يذكر الارمن صريحاً في هذا الاتفاق لكنهم فهموا ان انكلترا تعهدت بحمايتهم او بحمل الدولة العلية على الاعتناء بهم بنوع خاص فذلك واهمال روسيا امرهم جرَّا عليهم المحن كما سيجيء

السلطان عبد الحميد

(تابع ما قبله)

(١) عبد الحميد في حداثته

عاد الاستاذ فمبيري الى الكلام عن السلطان عبد الحميد وهو اعرف الاوربيين بهِ فنشر عنهُ مقالة مسهبة في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قال فيها التقيت بهِ اول مرة وهو فتى في السادسة عشرة من عمرهِ وكنت اعلّم اختهُ السلطانة فاطمة اللغة الفرنسوية وكان اسمهُ حينئذٍ حميد افندي وكان كثير التردد على سراي زوجها راغب باشا بن رشيد باشا ولذلك لا ازال اتذكرهُ جليًّا من ذلك الحين فقد كان نحيفاً اصفر الوجه وكان يضع يدهُ على ركبتي وينظر في وجهي بعينيهِ السوداوين وكأنهُ كان يود ان يلتقط كل كلمة فرنسوية اتلفظ بها ولكنني لم اعرف اطوارهُ الاَّ بعد حين فقد بلغني عنهُ انهُ كان يتصرَّف حينئذٍ تصرف الجواسيس

وكان في حداثتهِ مكروهاً لا يحب احداً ولا يحبهُ احد يهمل دروسهُ ويفضل عليها الجولان في منازل الحريم والوقوف على ما يقال فيها من النمائم وما يجري من الدسائس فصار ذهنهُ مخزناً لكل انواع التخرُّصات والوشايات ولذلك قرَّبتهُ والدة السلطان عبد العزيز اليها وهي مشهورة بتعصبها واعتقادها بالسحر فمال من ذلك الحين الى الاعتقاد بالسحر والتنجيم وكل ما هو خارق الطبيعة وكان لاعتقادهِ هذا شأن كبير في تدبير امور السلطنة وهو مما كان يدهش الاوربيين لانهم لا يعلمون سببهُ

ولجهلهِ العلوم كان يكرهها فبقي غير عارف حتى بلسانهِ التركي وكنت اذا حدثتهُ واستعملت عبارة بليغة يوقفني ويقول لي لم افهم هذه العبارة الفصيحة كلمني باللغة العامية . وغنيٌّ عن البيان انهُ كان يجهل التاريخ والجغرافية وكل العلوم والفنون ولكنه كان بارعاً بركوب الخيل وكان يسهل عليهِ ان يذلل اشد الخيل جموحاً واصعبها مراساً حتى بعد ان ضعف جسمهُ

ولما رأى ابوهُ انهُ لا يعنى بغير الركب والصيد والاصغاء الى قصص النساء لم يعد يلتفت اليهِ

وكان من صغرهِ مقتصداً شديد الحرص . كان راتبهُ الشهري الف ليرة فكان ينفق منها على سرايهِ ويقتصد فوفَّر منها سبعين الف ليرة قبل ان رقي الى سدَّة الملك

وامتاز ايضاً من صغرهِ بالحذر وسوء الظن بالناس وكان يحسب دائماً ان الاعداء يحيطون بهِ من كل جانب وانهم ينصبون لهُ الفخاخ ويدسون الدسائس . فكان يضطرب ويرتعد من

كل صوت يفاجئهُ . وكنت كلما مشيت معهُ في حديقة قصرهِ ورأينا احداً بغتةً ينبغت من رؤْيتهِ وينزعج فيزعجني معهُ . وكان يغير مكان منامهِ حتى لا يعلم احد اين ينام وينهض في الصباح قلقاً متعباً مما يشاهدهُ من الاحلام ولا ينتعش الاَّ بعد ان يستحمَّ

ولقد عطف عليَّ اكثر مما عطف على غيري من الاوربيين ولم يقيد حريتي في شيءٍ ومع ذلك لم اكن ائتمنهُ لعلمي انهُ لا يثبت على حال واحدة . وقد اراد في اول الامر ان يبقيني في خدمتهِ فاشار الى ذلك ووعدني بالاموال والرتب وكان في الامكان ان يجعلني سفيراً او وزيراً ولكن لما تجلَّى طبعهُ لي لم تبقَ بي رغبة في خدمتهِ وفضلت ان ابقى بعيداً عنهُ واحافظ على ودهِ . انتهى باختصار

هذا ولقد كان الاستاذ فمبيري من اشد الاوربيين مدحاً لعبد الحميد واعجاباً بذكائهِ واهتمامهِ بترقية بلادهِ فكيف تغاضى حينئذٍ عن الاخلاق التي وصفهُ بها الآن . ان من يسكت عن امر يجهلهُ معذور ومن مدح امرءًا بناءً على مدح الناس لهُ او على ما ينسب اليهِ من مكارم الاخلاق معذور ايضاً ولو كان المدح كاذباً والنسبة في غير محلها ولكن ما عذر من يخفي الحقائق قصداً او يلبسها غير لباسها حتى يخدع بها من لا يعلمها . ولقد قام غير فمبيري فكتبوا وكشفوا الغوامض واعلنوا الحقائق مثل جورج دوريس ابن ادوسيدس باشا الذي اشرنا اليهِ في الجزء الماضي ومثل المرحوم ابرهيم بك المويلحي في كتاب «ما هنالك» ولكن مدائح مثل فمبيري وغيرهِ من الكتَّاب الاوربيين الذين لا ينتظر منهم التزلُّف مثل الكتَّاب العثمانيين اعمت الابصار وغشَّت على البصائر فبقي الناس في حيرة واتهموا بالغرض والعدوان كل من جاهر بالحق . ومرَّت الاعوام والشر يتفاقم حتى كاد يودي بالدولة والامة

ولو انصف الكتَّاب وتمسكوا بعرى الصدق في كل ما يكتبون لزال من هذا العالم نصف ما فيهِ من الشرور والمفاسد ولرأيتَ الناس غير الناس . ولكن ما دام هذا يخفي الحقائق وذاك ينشر الاباطيل تبقى سوق الشرور رائجة ويرتقي الناس من جهة ويخطون من اخرى حتى تمر القرون وهم حيث هم او احط اخلاقاً

وما دام الكتَّاب العثمانيون قد جرَّبوا هذه الخطة الخرقاء واختبروا ضررها فخليق بهم ان ينكبوا عنها ويجتنبوا كل مدح واطراء ولا يتركوا هفوة لحاكم مهما كانت منزلتهُ الاَّ ذكروها لهُ وعيَّروهُ بها لكي يرجع عنها ويصلح ما افسد . وليعلم الذين يسترون عيوب الحكام ويبدلون ذمهم بالمدح ولومهم بالاطراء انهم يجنون على بلادهم جناية لا تغتفر وليعتبروا بما جرَّ عبد الحميد على بلادهِ لانهُ كان دائماً محفوفاً بالمتزلفين المتملقين الذين يتغنون بمدحهِ وعيونهم ترى سيئاتهِ

(٢) السلطنة في عهده

ذكرنا في الجزء الماضي خلاصة تاريخ السلطان عبد الحميد ونريد الآن ان نذكر خلاصة تاريخ السلطنة العثمانية في عهده الى ان خلع موجزين الكلام ومقتصرين على الامور الرئيسية فنقول

لما ولي عرش الملك اقام في سراي طولمه بغجه ثم لما نشبت الحرب الروسية العثمانية انتقل الى يلدز وهي اكمة تشرف على البسفور وبنى فيها مباني كثيرة واحاطها بسور منيع وبنى سوراً آخر حول البناء الذي يسكنهُ هو وحرمهُ واولادهُ سمكهُ ٢١ قدماً ولهُ ابواب متينة من الحديد واستخدم الوفاً من الخدم والحشم تبلغ رواتبهم ٣٢ الف جنيه في الشهر

وكانت السلطنة حينما تولى في حالة الافلاس والثورة · كانت خزينتها فارغة وديونها متراكمة وقد شق عصا الطاعة اهالي البوسنه والهرسك والبلغار ونادت السرب والجبل الاسود بالحرب على الدولة فأخمدت ثورة السرب بيد من حديد وارتكبت الفظائع في البلغار وصوّرت صور الناس وهم يمثّل بهم ونشرت في اوربا فكان لها اسوأ وقع في النفوس · وقام غلادستون ونشر رسالتهُ المشهورة في الفظائع البلغارية فاوجس السلطان خيفة واسند الوزارة الى مدحت باشا واستشارهُ في الامر فقال لهُ لا ينجي السلطنة من الدمار ويسكت اوربا الاَّ الدستور فأُعلن الدستور اول مرة في ٢٣ دسمبر سنة ١٨٧٦ وانتخب النوّاب وابدوا من الحكمة ما جعل محبي البلاد العثمانية يرجون ان الحكومة الدستورية سترفعها الى اعلى ذرى المجد لكن الدستور لم يكن من مذهب السلطان فحل مجلس المبعوثان في ٥ فبراير سنة ١٨٧٧ واوقف العمل بالدستور وعزل مدحت باشا من الوزارة

وتفاقمت الخطوب في البلقان وطلبت روسيا من دول اوربا ان يساعدنها على جعل الباب العالي يصلح الحال وعقد مؤتمر في الاستانة لهذه الغاية اقرَّ على امور رفض السلطان العمل بها فاعلنت روسيا الحرب على تركيا في ٢٤ ابريل سنة ١٨٧٧ وكان السلطان يعتقد ان انكلترا تساعدهُ على محاربة روسيا ولقد كانت الحكومة الانكليزية ميالة الى ذلك ولكنها لم تقدم عليهِ خوفاً من شعبها لان رسالة غلادستون كانت قد اثرت فيهِ تأثيراً شديداً

واشتركت رومانيا مع روسيا وطلبت استقلالها ودارت رحى الحرب وكادت الجنود الروسية تبلغ الاستانة بعد معارك تشيب الولدان واعمال تخلد المجد للجنود العثمانية والعار على بعض الذين كانوا يديرون حركاتهم من الاستانة · واخيراً طلبت تركيا الصلح وأُمضيت معاهدة سان ستفانو بين روسيا وتركيا في ٣ مارس سنة ١٨٧٨ فاعترضت عليها انكلترا وطلبت عقد مؤتمر برلين

فأبدلت بمعاهدة برلين التي أُمضيت في ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ و بموجبها استردَّت روسيا بسارابيا واخذت القارص و باطوم واردهان واستقلت السرب ورومانيا والجبل الاسود وأُعطيت البوسنه والهرسك للنمسا لتحتلها وتدبر شؤُونها وجعل جانب من البلغار امارة ذات استقلال اداري واعطي جانب من تساليا لليونان · ويرجح بعض العارفين ان معاهدة برلين جاءَت اشد وطأَة على تركيا من معاهدة سان ستفانو لانها افقدتها بلاداً مساحتها ١٣٨٠٠٠ ميل وعدد سكانها ١٢ مليونًا من النفوس ولم يبقَ لها من املاكها في اوربا الأ ثلث ما كان لها ونصف ما كان فيهِ من السكان

وابتدأَت القلاقل في ارمينية سنة ١٨٨٣ لأَن الارمن كانوا يحسبون ان انكلترا تنظر في اصلاح حالهم حسب معاهدة برلين فلم تفعل وأُخمدت ثورتهم بالعنف · وثار اهالي كريت بما كان يحلُّ بهم من جور الحكام وثقل الضرائب فاخمدت ثورتهم بالعنف ايضاً عوضاً عن النظر في شكاويهم · وثار الارمن سنة ١٨٨٨ وطلبوا استقلالهم فأُخمدت ثورتهم بالقتل والتخريب · وبدت طلائع الثورة في اليمن سنة ١٨٩١ ووقع بسببها النفور بين الباب العالي و بين انكلترا فصادق روسيا ولجأَ بعض الارمن الى اوربا يستنهضون الرأي العام فيها و يعددون عيوب الحكم الحميدي فشدَّد السلطان الوطأَة على بلادهم واثارَ الاكراد عليهم فذبحوهم وخربوا قراهم وتمادوا في الفظائع · وقامت الجرائد الانكليزية تحث دول اوربا على خلع السلطان فخاف وعزم على الهرب من الاستانة واستدعى وزراءه يستشيرهم في الامر وامر اليخت عز الدين ان يكون مستعداً ليمضي بهِ الى اودسا فاشار عليهِ احد وزرائهِ ان يستدعي سفير المانيا ويستشيره في الامر · ويقال انهُ ارسل اليهِ عزت العابد وكان لقبهُ عزت بك وبقي مدة غيابهِ يمشي في الغرفة التي كان فيها ذهابًا وايابًا قلق البال مشتت الافكار وقد وضع في جيوبهِ ومنطقتهِ مقداراً وافراً من الاوراق المالية واثمن ما عندهُ من الحلى · ثم عاد عزت بك من عند السفير وقال لهُ ان امبراطور الالمان يعضدهُ ولا يدع احداً يعتدي عليهِ او يوقع بهِ مكروهاً · فلما سمع هذا الكلام ابرقت اسرَّتهُ وتغيرت اطوارهُ وحسبها منةً لعزَّت عليهِ · ويقال انهُ اضطرَّ ان يرشي الجرائد الاوربية بمئتي الف جنيه لتغضي عن ذكر المذابح الارمنية وان يوزع على عباد الرتب والنياشين ٦٤٠ نيشانًا

وعاد اهالي كريت الى الثورة سنة ١٨٩٦ وانتصرت لهم اليونان في السنة التالية فدارت الدائرة عليها · وقام بعض الفرنسويين يطالبون الدولة بثلاثة ملايين من الجنيهات عن انشاء ارصفة سلانيك وشدَّدت الحكومة الفرنسوية ازرهم واحتلت جزيرة متيلين (مدلِّه) واستولت

على جماركها فاستعان السلطان بصديقهِ امبراطور المانيا فاشار وزير الخارجية الالمانية على سفير تركيا ان توفي الدولة ما يطلب منها . فاوفت جانباً من المطلوب ورهنت دخل الجمارك لايفاء الباقي . ولما استحق القسط الثاني سنة ١٩٠٥ ولم يوفَ ارسلت فرنسا اسطولها ثانية الى جزيرة متيلين

وتعدَّدت الثورات في مكدونيا وسلانيك ومنستير وادرنه سنة ١٩٠٣ من جور الحكام وقسوتهم وانتهاكهم للحرَم فلا الاموال ولا النساء ولا الاعراض كانت بمأمن لحظةً واحدة حتى اضطرَّ امبراطور النمسا وقيصر روسيا ان يطلبا تعيين والٍ خاص لمكدونيا تعينه تركيا ومعهُ مأموران احدهما تعينهُ النمسا والآخر تعينهُ روسيا يشاركان الوالي في ادارة شؤون البلاد وتنظيم الجندرمة بادارة قائد ايطالي وضباط ينتخبون من جنود الدول الاوربية . وحسبا ان ذلك يذهب بما يقاسيهِ السكان من الظلم والقهر . وتردَّد السلطان في قبول هذا الطلب في اول الامر ثم قبل ان يجرّب سنتين ثم طلب ان تطال هذهِ المدة قبل انقضائِها . لكن حال البلاد لم تصلح . ورأت روسيا والنمسا ان احوال تلك البلاد لا تستقيم ما دامت ماليتها في يد تركيا لان جباة الاموال ينهبون الفلاحين و يبتزون اموالهم بكل طريقة فيضطرونهم الى الثورة فطلبت دول اوربا ان تعين مراقباً اوربياً لجمع الاموال الاميرية وان تلك الاموال تنفق في مصالح مكدونيا نفسها . ثم ان الوالي استخف بالمأمورَين ولم يعمل برأيهما فاحتجت الدول على ذلك وعزمت ان ترسل اساطيلها فتستولي على بعض الجمارك وتحصر بعض الموانى وابى امبراطور المانيا ان يشاركها في ذلك . ولما رأى السلطان ان الاساطيل الاوربية اجتمعت في بروس تحت امرة الاميرال ريبر النمسوي اسرع الى مذاكرة السفراء لكنهُ قال لهم انهم ان اجبروهُ على العمل برأيهم فهو غير مسؤول عمَّا ينتج من ذلك من النتائج الوخيمة في كل الممالك العثمانية كانهُ يهددهم بذبح المسيحيين اما هم فلم يعبأوا بهذا التهديد واضطروهُ الى التسليم بطلبهم ولكن احوال مكدونيا لم تصلح وتفاقمت الخطوب في السلطنة كلها وهو يسكت اوربا بما يعطي من الامتيازات للالمان فتحرك جشع محبي الكسب من سائر الاوربين حتى يتمثلوا بالالمان فيستفيدوا مثلهم . فلم نكن نرى مقالة لغيور على نوع الانسان يظهر بها معايب الحكم الحميدي و يلوم الدول ذات الشان لتغاضيها عنهُ حتى نرى مقالات كتاب كثيرين يلومون دولهم لانها لا تحاسن السلطان كما تحاسنهُ المانيا فتأخذ منهُ الامتيازات وتعود تجارتها الى الرواج في بلادهِ

ولما قام احرار العثمانيين يطلبون اصلاح حكومة بلادهم واضطروا ان يهاجروا منها لم يجدوا عضداً في اوربا كلها الآ من رجال قلال حتى علمتهم المحن انهُ لا يحك جلد الانسان

الأظفره ولكن الامة المرهقة كالامة العثمانية التي اقيم بعضها جواسيس على البعض الاخر وعامتها لا علم ولا ارشاد وقد مزقتها التحزبات الجنسية والدينية لم يكن يرجى لها ان تنهض نهضة فعالة للطالبة بحقوقها المهضومة ولو لم يتفق لبعض الضباط ان اجتمعوا على هذا الغرض الحميد وسعوا اليهِ بمهارة نادرة المثال ولولا جبن عبد الحميد وغيرة رجالهِ من نجاح عزت باشا العابد — لولا ذلك كلهُ لما أُعلن الدستور ولا خلع عبد الحميد

واذا جمع تاريخ عبد الحميد من اول نشأتهِ الى ان تحضره منيتهُ وفصلت اعمالهُ فيهِ كان عبرةً من اكبرَ عبر الدهر

صادرات الممالك ووارداتها

اوردنا في الجدول التالي قيمة صادرات الممالك الكبيرة ووارداتها في السنتين الماضيتين وهي بملايين الجنيهات الانكليزية

	الصادرات		الواردات	
	١٩٠٧	١٩٠٨	١٩٠٧	١٩٠٨
بريطانيا العظمى	٤٢٦	٣٧٧	٥٥٤	٥١٣
المانيا	٣٣٧	٣٣٢	٤٣٠	٤٠٩
الولايات المتحدة	٣٩٥	٣٦٠	٢٩٦	٢٣٣
فرنسا	٢٢٤	٢١١	٢٤٩	٢٤٤
النمسا والمجر	١٠٢	٠٩٧	١٠٤	١٠٥
الهند الانكليزية	١٢٣	٠٩٧	٠٨٦	٠٩١
ايطاليا	٠٧٨	٠٧٤	١١٥	١٢١
كندا	٠٤٩	٠٥١	٠٧٥	٠٥٨
جنوبي افريقية البريطانية	٠٤٨	٠٤٥	٠٢٧	٠٢٥
سويسرا	٠٤٦	٠٤١	٠٦٧	٠٦٣
اليابان	٠٤٤	٠٣٨	٠٥٠	٠٤٤
اسبانيا	٠٣٧	٠٣٦	٠٣٨	٠٣٨
مصر	٠٢٩	٠٢٢	٠٢٧	٠٢٦

اما البلاد العثمانية فليس لدينا احصاءٌ مدقق عن قيمة صادراتها ووارداتها في السنتين الماضيتين ولكن يظهر من احصاء السنين التي قبلها ان قيمة الصادرات نحو ٢٠ مليون جنيه وقيمة الواردات نحو ٣٠ مليون جنيه

وليس لقيمة الصادر والوارد من البلاد دلالة قاطعة على درجتها من الغنى والفقر والتقدُّم والتأخر والارتقاء والانحطاط لانها قد تكون مختلفة الاقاليم كثيرة المعامل فيها من كل الحاصلات والمصنوعات فتستغني عن غيرها من البلدان فاذا لم تستورد شيئاً فقد لا تصدر شيئاً ايضاً . مثال ذلك الولايات المتحدة الاميركية فان اكثر وارداتها في السنة الماضية كان من السكر والجلود والاصباغ والبن والحرير والقطن واللستك والصوف والنحاس والحديد والقصدير والتبغ والاثمار والفرو والشاي والخزف والورق والزيت والسمك . فاذا اهتمت بزرع قصب السكر مثلاً والبنجر والبن والتوت وربّت دود الحرير واصطنعت الاصباغ صار فيها ما يكفيها من هذه المواد وقس عليها غيرها مما يمكن الاستغناء عنهُ فتقل قيمة وارداتها كثيراً ولا يكون ذلك دليلاً على فقرها ولا على غناها . ومن هذا القبيل ان اكثر واردات فرنسا في العام الماضي كان من الصوف والقطن والفحم الحجري والحرير والحبوب وبزور الزيت والجلود والبن . واقليمها لا يصلح لزرع القطن والبن وليس فيها مراعٍ واسعة حتى تسترخص تربية الغنم فيها لاجل صوفها وجلودها والفحم الحجري غير كثير فيها ولذلك تضطر ان تجلب هذه المواد من غيرها فكثرة وارداتها ليست دليلاً على غناها

وقس على ذلك انكلترا فان اكثر وارداتها من القطن والصوف والجلود وكلها مما لا غنى لها عنهُ لصناعتها ومقطوعيتها

وكذلك القطر المصري فان اكثر وارداتهِ من المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية والخشب والفحم والمعادن وكلها مما لا غنى لهُ عنهُ

اما البلاد العثمانية فيمكنها ان تستغني عن اكثر وارداتها كالرز والسكر والدقيق والبن والخشب والجلد والمنسوجات على انواعها لان فيها كل الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة وتجود فيها كل المزروعات وفيها حراج واسعة كثيرة الاشجار ومعادن ثمينة كالحديد والنحاس والرصاص وقوات مائية لانشاء المعامل

واذا استطاعت بلاد ان تستغني عن غيرها بشيءٍ من الاشياء فقد لا يكون من الحكمة ولا من الاقتصاد ان تستغني بهِ بل الحكمة والاقتصاد يقتضيان ان تطلب ما هو اوفر ربحاً لها . فاذا كان القطن يجود في بلاد ولا يجود فيها الرز يكون من الحكمة ان يكتفي اهلها

بزرع القطن فيها ويشتروا رزهم من الخارج ومن الخرق في الرأي ان يبطلوا زرع القطن في بعض ارضهم ويزرعوها رزاً والقطن اربح لهم . وشأن البلدان في ذلك شأن الناس في اعمالهم فكل رجل يستطيع ان يطحن قمحهُ وينخلهُ ويعجنهُ ويخبزهُ ويستطيع ان يطبخ طعامهُ بيدهِ ويخيط ثوبهُ ويخصف نعلهُ اذا قصد واراد ان يوفر اجرة الخباز والطباخ والخياط والسكاف ولكنهُ اذا كان تاجراً او قاضياً او طبيباً او محامياً فيكون احمق الحمق اذا قضى وقتهُ في خبز خبزهِ وطبخ طعامهِ وخياطة ثيابهِ واهمل عملاً اربح لهُ بما لا يقدَّر

وكما اقتضت الحكمة تقسيم الاعمال بين الناس اقتضت تقسيم الزراعات والصناعات حسب الاقاليم والاستعداد الطبيعي فزرع القطن الذي يصلح لهُ اقليم القطر المصري وتصلح لهُ تربتهُ لا يصلح لهُ اقليم بلاد الانكليز ولا تربتها ولذلك لا يحاول الانكليز زرع القطن في بلادهم

وغزل القطن ونسجهُ اللذان يصلح لهما هواء جانب من بلاد الانكليز لا يصلح لهما هواء القطر المصري . وقد انشأت شركة معملاً لغزل القطن ونسجهِ في القاهرة فكانت النتيجة وبالاً عليها وعلى الذين اشتروا اسهمها فان الكهربائية المتولدة من جفاف الهواء وحركة الآلات كانت تعبث بالقطن وتنثيرهُ بين ايدي العمال . وليس من المحال ان يغزل القطن وينسج في القطر المصري كما انهُ ليس من المحال ان يزرع القطن في بلاد الانكليز ولو ضمن بيوت من الزجاج ولكن الذي يهمّ امرهُ هو هل الاربح للانكليز ان يزرعوا القطن في انكلترا ولو في بيوت من الزجاج او الاربح لهم ان يشتروهُ من مصر واميركا . وكذلك هل الاربح لنا ان نسج القطن في القطر المصري او ان نشتريهُ منسوجاً من انكلترا والجواب على ذلك واضح من افلاس الشركة التي اشتغلت بغزل القطن ونسجهِ

ولكن اذا كان لا بدَّ لبلاد من ان تستورد شيئاً من حاجياتها او كمالياتها من الخارج فلا بدَّ لها من دفع ثمنهِ اما نقداً او بضاعةً ولا بدَّ لها في الحالين من ان تصدر شيئاً من حاصلاتها او مصنوعاتها لتوفي بثمنهِ ما تجلبهُ من الخارج وكذا اذا كانت مديونة لغير اهلها فانها تضطر ان تصدر شيئاً من حاصلاتها او مصنوعاتها توفي بثمنهِ ربا ما عليها من الدين وفي هاتين الحالتين يظهر لزوم الصادرات . واذا لم تكن البلاد مضطرة ان تدفع ثمن بضاعة ولا ربا دين فثمن الصادر منها ذهبٌ يضاف الى ثروتها ويزيدها قوةً ومنعةً

الانسانية المتضامنة

نشرنا للدكتور شميل مقالة ملؤُها علم وحكمة ونصح وتحذير مثل كل ما يكتبهُ . وهي المقالة التي موضوعها «عبد الحميد في نظر الطب» المدرجة في الجزء الاخير من المقتطف . وقد ختمها بقولهِ «اما المسؤُولية الحقيقية (عما حلَّ بالبلاد العثمانية في زمن عبد الحميد) فعلى الدول الراقية المسؤُولة وحدها لدى الانسانية المتضامنة» فاذكرنا قولهُ هذا كلام النابغة الذبياني الذي قال

اتوعد عبداً لم يخنك امانةً ونترك عبداً ظالماً وهو ضالعُ
حملت عليَّ ذنبهُ وتركتهُ كذي العرّ يكوى غيرهُ وهو راتعُ

وكأَن الدكتور شميل نظر الى البشر كما سيصيرون في الالف السنة المنتظرة فحاكمهم الآن بما سيصيرون اليهِ بعد ازمان طوال ونسي انهم في حالهم الحاضرة ليوث غاب متواثبة

وما تجدي عليك ليوث غاب بنصرتها اذا دناك ذيبُ

والشكوى الى دول اوربا ومنها شكوى الجريح الى الغربان والرخم

ثم هل اصاب الدكتور شميل في شكواهُ من دول اوربا وفي تحميلها تبعة ما حلَّ بالبلاد العثمانية من سلطانها . هل بلغ الناس في هذا العصر مبلغ «الانسانية المتضامنة» الذي يشير اليهِ . لا وابيك لا الدول متضامنة ولا العيال متضامنة ولا الاخوة متضامنون ولا يكاد المرء يأْتمن اخاهُ

وفارق عمرو بن الزبير شقيقهُ وخلَّى اميرَ المؤْمنين عقيلُ

وكأَنا بالدكتور شميل ابا فراس

يبغي الوفاء بدهر لا وفاء بهِ كأَنهُ جاهل بالدهر والناسِ

وقد نسي ان اكثر الناس على مذهب جرير حيث قال

فانت ابي ما لم تكن ليَ حاجة فان عرضت ايقنتُ ان لا اباليا

وقد اتعظوا بقول الرضي الموسوي القائل

لا تدنينَّ موَّار بين دعوتهم يوم الطعان فسوف فوك الى الغدِ

قذفوك في غمائها وتباعدوا عنها وقالوا قم لنفسك واقعدِ
قطع الزمان قبال نعلك فانتعل اخرى تقيك من العثار وجدِّدِ

والمنصف يرى ان دول اوربا التي يعدُّها الدكتور شميل مسؤولة قد وازرت الدولة العلية ودافعت عنها اكثر مما ينتظر منها. نعم انها خدمت بذلك مصلحتها ايضاً ومن لنا بمن يخدمنا ويخدم مصلحته دواماً. وهل يحق لنا ان نطلب من احد معونة تضرُّ بمصلحتهِ وان فعل فيكون جانياً على نفسهِ. وكيف نستسهل تعرُّض دولة لدولة عفواً ونحن نرى الواحد منا جارهُ يعتدي على قريبهِ فلا يستطيع ان ينتهرهُ. وهل كنا نرضى ان نرى دول اوربا تتفق على خلع عبد الحميد قوةً واقتداراً وترسل جنودها فتحتل الاستانة كما احتلت بكين عاصمة الصين. وما ادرانا ان ذلك كان يتم من غير ثورة تعمُّ البلاد العثمانية كلها وحرب اهلية تسفك فيها دماء الالوف والملايين

انا لا نبرئ الدول من السعي وراء مصالح رعاياها ولكن من يلومها على ذلك مادامت هذه الدنيا دار جهاد وعراك وقبل ان نبلغ عصر التضامن الانساني الشامل الذي يشير اليهِ الدكتور شميل. اما اللوم كل اللوم فعلى العثمانيين انفسهم الذين كانوا يرون الخلل في الحكم الحميدي ويصبرون على الضيم صبر الاذلين. الجناية الكبرى على عبد الحميد وعلى الذين شاركوهُ في سوء احكامهِ واللوم الاكبر على الذين رأوا الخلل واغمضوا عيونهم عنهُ. وليس من المروءة تمسحنا بالدول الاوربية التي اضاعت اموالها ورجالها لتدفع عنا طمع الروس ولو كان في ذلك المصلحة الكبرى لها

واننا نخشى ان يتذرع كتابنا بعبارة الدكتور شميل في تبرئة حكامنا من المذابح والمنكرات والقاء اللوم فيها على عاتق الدول الاوربية فيضحك المستبدون منا في كمهم ونبقى حيث نحن

وكلامنا هذا لا ينفي التضامن الانساني متى جاء وقتهُ وصارت ممالك الارض مملكة واحدة او ولايات يديرها مجلس واحد يحكم بينها بالعدل والانصاف ويعرف كل احد ما لهُ وما عليهِ فلا يعتدي على غيرهِ. احلام قد يحققها ابناء ابناء ابنائنا بعد احقاب كثيرة اما نحن فنموت ولا نرى غير هذا التباري والتكالب

وفي نظر الصادي الى الماء حسرةٌ اذا كان ممنوعاً سبيل الموارد

والدتي

من الصدع في قلبي غداة تهدَّما سمتْ نظراتُ الروح خلفكِ للسما
رأيتك نوراً في علاها كأنهُ شعاعٌ لمصباح الجنان قد انتمى
عليه ابتسامُ الام في وجه طفلها ولألاءُ المحظين لما توسما
فلو ترسل الارواح في الجوّ نورها عرفتكِ بالنور الذي قد تبسما

∴

أنا منكِ بين العالمين كأنني أشكك في الدنيا فما هي منهما
اراها خلاءً منكِ الاَّ محامداً وآثار فضل حية وترحما
وقبراً ارى تلك المقابر كعبةً وذاك بها الركن الكريم المعظما
امرُّ عليها خاشعاً متلمساً وأحنو عليهِ خاضعاً متسلما
وألثمُ ترباً حين مستهُ أدمعي بروح البكا صلى عليك وسلما
بذا الدمع من هذا الفؤاد محبة أذاعت بهِ سرَّ الحياة المكتما
فلو اذن الله التراب غدا بها فؤاداً وصارت ذي الدموع بهِ دما

∴

ولما استباحت موطن الصبر لوعتي وقارع سيفُ الحزم حتى تثلما
وقفتُ فكانت وقفة العمر في الردى على نفس ألقى بهِ وتصرما
وبين ضلوعي زفرتان من الأسى تثيهان في صدري فما بلغا الفما
كأنهما خيطان بالقلب علقا فان صعدا يصعدْ وان هبطا ارتمى
وارْعدُ وهناً كالجناح تهزُّهُ حمامةُ في عطفها مذ تحطما
وخيّل لي ان الفضاء يدور بي وأن طريقي مدَّ في الجوّ سلما

∴

فيا لهفتا كم عبرةٍ قد تردّدت بصدري ولو كانت بطودٍ تألما
تنفسُ في قلبي فتلهبهُ اسى وتذكيهِ اشجاناً وتحرقهُ ظما
بكيتُ فألفيتُ البكاء كأنهُ حقيقةُ موت تستحيل توهما
وأوريتُ زندَ الدهر قدحاً فلم تزل صواعقهُ حتى استنبرتُ وأظلما
وكادت ترى عيناي في سحب ادمعي متى ارتجفت برقاً من النار مضرما

فيا دمع ايام الحداثة ليتني حفظتك للبؤسى لقد كنت أنعما
وكنت ندى تجري فمن لي بالندى اذا الجوُّ من شمس الحياة تحدَّما
بكاهُ بكيناهُ وصرنا لِضحكنا فأرجعنا نبكي عليهِ تندُّما

**

جزعتُ ولولا أنَّ مثلكِ في النسا قليلٌ لعاتبتُ الزمانَ المذمما
وكنت أقول الارضُ صارت مأتماً عليكِ لو أنَّ الارض تصلح مأتما
وما تسعُ الدارُ التي صار أهلها «بطرفة عين» يبلغون الى السما
ولو كان فيها للنفوس حقيقة لما كان يبقى ذلك الموتُ مبهما

***

وأبغضتُ فيكِ الليل من أجل كوكبٍ على ظلمات الحزن فيهِ تبسما
وغاضبتُ فيكِ الروض من أجل طائرٍ على أدمع الأنداء فيهِ ترنما
ولو أن هذا الحزن علم لبثهُ فؤاديَ في الدنيا لكي تتعلما
فيا منْ لأمرٍ لا يردُّ اذا مضى ولا عِوضٌ منهُ وان كان أعظما
أذلتُ لهُ دمعي الأبيَّ وان يكن أعزَّ من الدنيا عليَّ وأكرما
ولو بذلوا لي كلَّ بحرٍ بدمعة على الارض عدَّت همتي الدمع مأثما
ولكنني ابكيك بالأعين التي رأت طلعة الدنيا ابتسامك والفما
ومن كان مولوداً بأمينِ فليلمْ عليَّ جزعي وليرمني كيفما رمى

مصطفى صادق الرافعي

باب الزراعة

الاطيان والمزروعات

بلغت مساحة الاطيان التي كانت مزروعة في القطر المصري في العام الماضي ٥٣٢٦٥١٢ فداناً منها في الوجه البحري ٣١٧٤٦٢٧ وفي الوجه القبلي ٢١٥١٨٨٥ · ومساحة الاراضي التي تزرع حتى الآن ١١٢١٣٤١ منها في الوجه البحري ٩٣٨٣٢٠ وفي الوجه القبلي ١٨٣٠٢١ فداناً · ومساحة الاطيان التي زرعت أكثر من مرة في السنة ٢٢٧١٣٤٧ · ومنها في الوجه

البحري ١٥٥٤٣٤٤ وفي الوجه القبلي ٧١٧٠٠٣ . فكأن اهالي القطر زرعوا في السنة الماضية ٧٥٩٧٨٥٩ فدانًا لان اكثر من مليوني فدان وربع مليون من اطيانهم زرعت مرتين

وهذا تفصيل المزروعات التي زرعت في العام الماضي (سنة ١٩٠٧—١٩٠٨) في الوجه البحري والوجه القبلي ومساحة الاطيان التي زرعت فيهما

	الوجه البحري	الوجه القبلي	المجموع
القطن	١٢٩٨٩٠١	٣٤١٥١٤	١٦٤٠٤١٥
الذرة	١١٦٩٠٥٩	٦٣٠٦٤٦	١٧٩٩٧٠٥
الرز	٠٢٢٩٤٨٢	٠١٩٢٨١	٠٢٤٨٧٦٣
القمح	٠٦٣٨٧٧٩	٥٢٩٣٨٧	١١٦٨١٦٦
الفول	٠١١٢٨٢٧	٤٢٨٢٥٨	٠٥٤١٠٨٥
الشعير	٠٢٤٦٨٤٥	١٩٣٧٦١	٠٤٤٠٦٠٦
قصب السكر	٣٤٨٩	٠٣٥٠٧٣	٠٠٣٨٥٦٢
البرسيم ونحوهُ	١٠١٩٠٩٢	٦٧٦٩٥١	١٦٩٣٠٤٣
الجنائن والخضر	١٣٤٩٧	٠١٤٠١٧	٠٠٢٧٥١٤
المجموع	٤٧٢٨٩٧١	٢٨٦٨٨٨٨	٧٥٩٧٨٥٩

الاطيان والملاك

بلغ عدد الذين يمتلكون الاطيان في القطر المصري ١٣١٠٠٨٨ مالكاً الوطنيون منهم ١٣٠٣٩٨٣ مالكاً وهم يمتلكون ٤٧٦٢٠١٧ فدانًا فمتوسط ما يمتلكهُ الواحد منهما ٣ فدن و١٥ قيراطاً و ١٥ سهماً والاجانب منهم ٦١٠٥ وهم يمتلكون ٧١٠٨٩٨ فدانًا فمتوسط ما يمتلكهُ الواحد منهم ١١٦ فدانًا و ١٠ قراريط و١٦ سهماً

ورب قائل يقول ان عدد الوطنيين نحو ١١ مليونًا فكيف لا يمتلك الاطيان منهم الا مليون و ٣٠٠ الف نفس والجواب ان المالك يحسب واحداً ولو كان لهُ زوجة وخمسة اولاد من الصبيان والبنات فكأَنَّ الذين يمتلكون الاطيان مقسومون الى مليون وثلثمئة الف بيت ومتوسط ما للبيت منهم نحو اربعة افدنة . والاجانب الذي يمتلكون الاطيان مقسومون الى ستة آلاف بيت ولكل بيت منها نحو ١١٦ فدانًا . ولا غرابة في ذلك لان اكثر صغار المالكين من الوطنيين واكثر الاجانب من كبار المالكين . فالوطنيون الذين يمتلك الواحد منهم اقل من

خمسة افدنة يبلغ عددهم ١١٦١٠٨٠ اي اكثر من ثمانية اعشار المالكين الوطنيين كلهم واما الاجانب الذين يمتلك الواحد منهم اقل من خمسة افدنة فعددهم ٥٧٦٥ فقط او نحو ٤٥ في المئة · والوطنيون الذين يمتلك الواحد منهم اكثر من خمسين فداناً عددهم ١٠٩٣١ فقط او اقل من واحد في المئة من عدد الملاَّك الوطنيين · واما الاجانب الذين يمتلك الواحد منهم اكثر من خمسين فداناً فعددهم ١٦٠٠ او اكثر من ٢٥ في المئة من عدد الملاَّك الاجانب

والاجانب على قلة عددهم في هذا القطر يمتلكون ١٣ في المئة من اطيانهِ ويدفعون ١٣ في المئة من ضرائب الاطيان واذا زيدت عليها الضريبة لاجل التعليم لحقهم من الزيادة ١٣ في المئة او نحو ٣٣ الف جنيه في السنة · ولا يكثر عليهم ذلك لانهم ممتازون في امور كثيرة

الضرائب والسكان

بلغت ايرادات الحكومة المصرية في العام الماضي ١٥٥٢١٧٧٥ جنيهاً بعضها من الضرائب المقررة اي التي قيمتها محددة لا تزيد ولا تنقص وهي اموال الاطيان واموال النخيل وعوائد البيوت ومجموع ذلك كلهِ ٥٢٨٧٥٦٢ وبعضها من الضرائب غير المقررة اي التي قيمتها غير محدَّدة تزيد وتنقص كايراد الجمارك وعوائد الموانى والفنارات ومصائد الاسمك والتمغة ورسوم المحاكم ومجموع ذلك كلهِ ٥٤٦٨٥٧٥٠ واما ما بقي مثل دخل سكك الحديد والمصالح ذات الايراد فهو ليس من قبيل الضرائب بل من قبيل اجور الاعمال · واذا قابلنا بين عدد سكان القطر في كل سنة من سنة ١٨٨٠ الى الآن سواءٌ كان ذلك معروفاً بالتعداد او بالحساب وبين ما دفعوهُ من الاموال المقرَّرة وغير المقررة في كل سنة من هذه السنين وجدنا ان ما كان يدفعهُ النفس منهم اولاً بلغ ١١٢ غرشاً سنة ١٨٨٠ ثم نقص رويداً رويداً حتى بلغ نحو ٨٦ غرشاً سنة ١٨٩٨ وزاد بعد ذلك قليلاً فبلغ في العام الماضي نحو ٩٤ غرشاً · فابن القطر المصري مرحوم اكثر من كل احد سواهُ من هذا القبيل ولولا الديون التي تراكمت عليهِ في السنوات الاخيرة باسرافهِ وخداع المرابين لهُ لكان مرحوماً اكثر من كل الناس · ولكن قلة دخلهِ من جهة وكثرة ديونهِ وعلو فائدتها من جهة اخرى لا تبقي لهُ الاَّ قليلاً من دخلهِ

مساحة القطن في القطر المصري

رأت الحكومة المصرية ان تحصي مساحة الاطيان المزروعة قطناً في القطر المصري فاعتمدت على خرائط المساحة وهي تشمل اكثر القطر · والاطيان مرسومة قطعاً في كل خريطة

منها ولكل قطعة عدد يدل عليها وتوجد مساحتها تجاه ذلك العدد في دفتر المساحة . فوزعت الخرائط على رجال المساحة فجالوا في البلاد ووضعوا علامة على كل قطعة مزروعة قطناً واذا اتفق انهم وجدوا قطعة والقطن مزرع في بعضها لا فيها كلها اشاروا الى ذلك وقدَّروا المساحة المزروعة تقديراً وذكروا ايضاً نوع القطن المزروع في القطع . واذا وجدوا القطن مزروعاً في جانب من قطعة كبيرة وتعذَّر عليهم تقديرها مسحوه مساحة فعلية لمعرفة مقداره بالتدقيق . وشرع هؤلاء الرجال في عملهم في ١٥ ابريل واتموه في ٢٦ مايو وكانوا كلما اتموا بلداً ارسلوا خرائطها الى مصلحة المساحة فجمعت مساحات الاطيان المزروعة قطناً ونشرتها في ١٧ يونيو وقالت انها صحيحة بوجه الاجمال ولكنها ستزيد التدقيق فيها وتزيدها بياناً وتنشرها في غضون الشهرين التاليين وهذا هو الجدول الذي نشرته الآن

المديرية	مساحتها كلها	ارض مزروعة قطناً	بنوفتش	عباسي	ميت عفيفي	اشموني	نوباري	مختلف
الغربية	١٥٦٣٢٢٠	٣٩٦٦٨٠	٩٧٩٧٠	٧٤٣٠	٢٦٤٦٧٠	٩٧٠	١٩٩٠٠	٥٧٥٠
الدقهلية	٠٦٣٧٣٣٠	٣٣٨٥١٠	٧٧٣٩٠	٩٦٠	١٥٦٧٥٠	١٠	٩١٠	٣٤٩٠
البحيرة	١٠٨٧٠٠٠	١٩٦٩٦٠	٣٣٣٠	٣٤٤٠	١٨٥٣٩٠	٣٣٠	٣٣٦٠	١٣١٠
الشرقية	٠٨١٨٠٧٠	١٨٩٥٥٠	٦٩٠	٣٥٤٠	١٨٣٨٩٠	٣٣٠	٣١٤٠	٩٦٠
المنوفية	٠٣٧٤٣٣٠	١٣٧٣٧٠	١٧١٠	٣١٣٠	٩٨٤٨٠	١٣	٣٣٩٨٠	٨٥٠
المنيا	٠٤٦٣٥٨٠	٩٨٩١٠		٣٠	١٩٠	٩٨٦٨٠		
القليوبية	٠٣٣٠٦٣١	٥٩١٦٠	١	٣٠	٥٦٥	٩٣٠	١٦٩٠	٣٠
بني سويف	٠٣٠٣٤٤٥	٥٨٨٠٠	٥	٣٣٠	٧	٥٨٥٥٠		
الفيوم	٠٤١٣٩٨٠	٥٠٤٧٠			٣٧٤	٥٤٧٣٠		
اسيوط	٠٤٧٣٨٦٠	٣٤١٩٠	١٦٠		١٠	٣٤٠٣		
الجيزة	٠٣٤٤٨٨٤	١٧١٨٠	١١٠	١٠	١٣٠٧	٤٩٩	١	٣
قنا	٠٤٦١٢٨٠	١١٨٠	٣٠٠	١٥٠	٥٠	٤٣٠		٣٦٠
جرجا	٠٣٥٥٠٨٠	٤٥٠			٣٠	٣٧٠		٦٠
اصوان	٠١٠٤٠٠٠	٣٣٠	٤٠	١٠		١٧٠		
المجموع	٧٣٩٨٥٨٠	١٤٦٦٥٣٠	١٨١٦٠٦	١٧٩٥٠	٩٦٠٧٨٠	٣٤٤٥١٠	٤٩٨٨١	١١٨٠٣

وقد كانت مساحة الاطيان المزروعة قطناً في العام الماضي ١٦٣٨٠٤٠ . واصنافه هكذا بنوفتش ٢٣٧١٤٤ فداناً . عباسي ٥٩٩٢٥ . ميت عفيف ٩٨١٣٠٦ . اشموني ٣٢٠١٦٩ نوباري وسائر الاصناف الاخرى ٣٩٤٩٦

فالفرق كبير بين مساحة الاطيان المزروعة قطناً هذا العام ومساحة ما زرع قطناً في العام الماضي ولا يظهر سببهُ الاَّ اذا فرضنا الخطأ في تقدير المساحة في العام الماضي . واذا صحَّ ذلك وقع الشك في ما يقال من ان محصول الفدان آخذ في القلة

ويظهر من هذا الجدول ان اهالي اسيوط والمديريات الوسطى لا يزالون يعتمدون على القطن الاشموني مع ان بعضهم قد جرَّب العفيفي والعباسي . وحبذا لو بحثت الجمعية الزراعية او مصلحة المساحة عن مزية القطن الاشموني في هذه المديريات وعن مزية العفيفي والعباسي فيها واذاعت ذلك حتى اذا كان العفيفي والعباسي يجود فيها كما يجود الاشموني عدل عنهُ اليهما

ثم ان مساحة الاطيان التي تزرع في مديريات الوجه البحري الست هو ٣١٧٤٦٢٧ وواضح من هذا الجدول ان الاطيان المزروعة قطناً الآن منها تبلغ ١٢٠٨١٣٠ فداناً او نحو ٣٨ في المئة من الاطيان الزراعية وهذا لا يزيد عن الثلث الاَّ قليلاً . لكن القطن لا يزرع في الاطيان الضعيفة والمرجح اننا اذا حصرناهُ في الاطيان التي يزرع فيها فقط وجدنا انهُ يزرع في اكثر من اربعين في المئة منها

وفي الجدول المتقدم ان مساحة المديريات كلها اكثر من سبعة ملايين وثلث مليون فدان وبديهي ان هذا ليس مساحة الاطيان التي تزرع الآن لان مساحتها تقل عن ذلك اكثر من مليوني فدان ولكنه يشملها ويشمل الاراضي التي يمكن ان تزرع لو اصلحت وما لا يمكن زرعهُ من الترع والمصارف والجسور والبراري والرمال وما اشبه

القطن الاميركاني

جاء في احصاء ديوان الزراعة باميركا ان مساحة الارض المزروعة قطناً هناك هذا العام تبلغ ٣١٩١٧٠٠٠ فدان اي اقل من ٣٢ مليون فدان وقد كانت في العام الماضي اكثر من ٣٣ مليون فدان وهاك مقدار مساحتها ومقدار محصولها في الاعوام الثلاثة الماضية

	١٩٠٦	١٩٠٧	١٩٠٨	١٩٠٩
المساحة	٣٢٠٤٩٠٠٠	٣٢٠٦٠٠٠٠	٣٣٣٧٠٠٠٠	٣١٩١٨٠٠٠
المحصول بالبالات	١٣٥١١٠٠٠	١١٥٧٢٠٠٠	١٣٥٠٠٠٠٠	

والظاهر من الاخبار الواردة عن زراعة هذا العام انها جيدة في بعض الولايات وغير جيدة في غيرها فهي معتدلة . ويظهر من ارتفاع الاسعار المستمر حتى كتابة هذه السطور في ٢٩ يونيو انهُ يخشى ان يكون المحصول اقرب الى محصول سنة ١٩٠٧ منهُ الى محصول سنة

١٩٠٨ واذا تحقق ذلك وجاء المحصول مثل محصول سنة ١٩٠٧ او اقل فهو اربح للاميركيين من المحصول الكبير ويستفيد القطر المصري من ذلك فائدة مالية تخرجهُ من العسر المالي الذي هو فيهِ

النيل

بلغ ارتفاع البحر الازرق في آخر مايو مبلغاً عظيماً جداً يخشى معهُ من الغرق لو استمر ولكنهُ لم يستمر بل عاد الى الاعتدال ومع ذلك لا يزال ماء النيل غزيراً هذه السنة . وقد مرت ايام التحاريق والناس لا يشكون من قلة المياه كما كانوا يشكون في السنوات الماضية . واذنت الحكومة بري الشراقي في اول شهر يوليو . والراسخ في الاذهان انهُ اذا زرعت الذرة باكراً في اول يوليو جاءت غلتها وافرة جداً وامكن اعداد الارض بعدها لزرع القطن او غيره مما يزرع بعدها فتجود المزروعات كلها . ولذلك ينتظر ان تكون الزراعة في العام المقبل اجود منها في هذا العام

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(١٩) الحيوانات التي يربيها المزارعون

في الصعيد يستخدم المزارعون الثيران لجميع الاعمال الزراعية وذلك لان شدة الحر تحول دون استخدام الجواميس لهذه الغاية

وفي جزيرة اصوان يربون الثيران على سوق الدرة الخضراء والتبن . وفي الجهات الشمالية بين هذه الجزيرة واسنا تبتدئ زراعة الجلبان والحمص والعدس والترمس فيطعمون سوقها للثيران . وفي تلك الجهات لا يزيد ثمن زوج الثيران او البقر عن ١٩٠ فرنكاً وقد يهبط الى ١٤٥ فرنكاً . ويأخذ الثمن في الازدياد كلما تقدمنا شمالاً حتى يبلغ ٣٢٠ فرنكاً . وتقدر نفقة الثور او البقرة في اواسط الصعيد بغرش ونصف يومياً . وثمن العجل الذي عمرهُ ثلاثة اشهر بين ١٥ و ٣٠ فرنكاً في الصعيد . وتزيد هذه الاثمان قدر خمسها في الوجه البحري

وكما ذكرنا آنفاً لا يقتنون الجواميس في الصعيد للحراثة بل للانتفاع بالبانها فيسرحونها في الارض الشراقي ترعى الحلفاء فتقل بذلك نفقتها . وثمن الجاموس في جوار قنا بين ٦٠ و ٩٠ فرنكاً

وفي الفيوم يستخدمون الجاموس لادارة السواقي . وفي الوجه البحري يستخدمونهُ للحراثة

ايضاً . ويباع لحمهُ في مجازر المدن ومتوسط ثمن جلدهِ ثمانية فرنكات

اما الجمل فيربيهِ العرب القاطنون على ضفتي النيل ومنهم يشتريهِ الاهالي في جميع الجهات باثمان تتراوح بين ٩٠ و ١٨٠ فرنكاً تبعاً لسنهِ وقوَّتهِ . وتقدَّر نفقتهُ يومياً بنحو قرش أميري ويؤَجر بنحو اربعة غروش يومياً ويبقى قادراً على الشغل عشر سنوات . ويعتنى في الصعيد بتربية الغنم والمعزى وفيهِ عدد يوازي نحو نصف عدد الافدنة المزروعة . ويعلفونها البرسيم اليابس والاخضر وسوق الذرة والفول وتسرَّح في المراعي فتقدَّر نفقة العنز في اليوم نحو ربع غرش ويباع العنز الجيد بخمسة فرنكات

وغنم الصعيد ذات صوف اسمر اللون . ويجزُّونها في اواخر مايو او اوائل يونيو فتزن جزَّة الخروف الواحد من رطلين الى ٤ ارطال . ويباع الرطل من الصوف بتسعة غروش الى ١٢ غرشاً والمغسول النقي بستة غروش الى سبعة ونصف وأجود الغنم في الفيوم حيث يعتنون بتربيتها ويجزُّونها دفعتين في السنة . وثمن الخروف المتوسط نحو ثمانية فرنكات . وفي الاماكن التي يزرعون فيها الفي فدان يربون نحو ثماني مئة خروف ويتمشى هذا المعدل على معظم انحاء الصعيد

هذه تقريباً جميع الحيوانات التي يعتني الفلاحون بتربيتها فيرى انهم لا يستخدمون الاَّ الحيوانات التي ينتفعون اما بشغلها في الزراعة واما بألبانها وشعرها وصوفها فيسدون بذلك عوزهم . اما الخيل فلا يقتنونها الاَّ للركب والمباهاة

وبما ان الفوز في القتال بين اهالي بلدةٍ واخرى يكون غالباً في جانب الفئة التي يمكنها ان تجهز فرساناً اكثر من الاخرى اعتاد الناس تقدير قوَّة الرجل بقدر ما يملكهُ من الخيل

وفي جميع الجهات تناط رياضة الخيل بالعربان المشتغلين بالزراعة او بالقبائل الرحَّل . وعلى تربية الخيل يتوقف جانب ليس بقليل من دخلهم . ويباع الحصان العادي بثمن بين ١٣٠ و ١٩٠ فرنكاً

ويربي الفلاحون فضلاً عما ذكرناهُ الحمام والدجاج وغير ذلك من الطيور الاليفة . ولهم عناية خاصة بتربية النحل في غالب انحاء البلاد . فيضعون خلاياها تارةً في البساتين او الحقول وتارة بجانب البيوت . ويجنون العسل مرَّة في السنة بتدخين الخلايا بدخان زبل البقر او بعر الابل الى ان يخرج منها النحل فينزعون ثلثي اقراص العسل من كل خلية ويتركون الثلث الباقي مؤُونة للنحل . فيجنون من الخلية خمسة ارطال عسلاً وخمس رطلٍ شمعاً . ويباع قنطار العسل في اسيوط بثمن بين ١٦ و ٢٦ فرنكاً ورطل الشمع بستة غروش وخشرم النحل بتسعة غروش

(٢٠) جباية الاموال الاميرية

ما فتئت مصر منذ عهد بعيد محطاً لرجال الفاتحين من فرس و يونانيين ورومانيين وعرب الى ان احتلها المماليك . فكانت في جميع هذه الادوار ملكاً للدولة الفاتحة تتصرف باراضيها كيف شاءت وتضرب عليها الضرائب بلا قيد او نظام ثابت يرجع اليهِ حتى لقد كان بعض الاهالي يعدُّون أنفسهم مالكين و يدفعون الضرائب على ما يملكونهُ وهم في الحقيقة ليسوا الاَّ واضعي يد يتمتعون بأملاكهم مازالت الاحوال تقضي بإغضاء الفاتحين عنهم

وفي عهد المماليك كان أمر الخراج والمساحة منوطاً بالاقباط يتصرفون فيهِ تصرُّف العارف الخبير و يستعملون في حساباتهم ارقاماً سرية يحجبون بها فن الحساب عما سواهم فكان لا غنى عنهم في جباية الاموال ومساحة الارض فاقرهم المماليك في سابق وظائفهم وصاروا يعتمدون عليهم في جميع المسائل المالية فاستأثروا بجباية الاموال في جميع انحاء القطر المصري وكان عدد الموظفين منهم لهذه الغاية يربو على الثلاثين الف نفس

وكان لكل بك من ذوي الاملاك كاتب من الاقباط يستصحبهُ في اوقات تفقُّد القرى التي يمتلكها . وكان عند كل كاشف في المديريات كاتب منهم وكتبة صغار وجميعهم من الاقباط فيجبي صغار الكتبة الاموال من الفلاحين و يدفعونها الى رئيسهم الذي ينقدها لكاتب سر البك فيدفعها هذا الى البك و يأخذ منهُ صكاً بها

ونظراً لجهل الفلاحين بأحوال المساحة ومقدار ماعليهم دفعهُ من الاموال كانت المشايخ توزع عليهم ما يقدرهُ هؤلاء الكتبة تبعاً لنظام كانوا يحرصون على كتمانهِ ليبقى في ايديهم امر الحل والعقد فيهِ . ولا تسل عما كان يحصل من التلاعب في تقدير المساحة والضرائب حتى لقد كانوا يزيدون او ينقصون فيهِ حسبما توحي اليهم ضمائرهم . ولا أبالغ اذا قلت انهم كانوا يختصون انفسهم بثلث ضرائب القطر المصري يعلونهُ على الاملاك و يقسمونهُ بينهم من كبيرهم الى صغيرهم . اما كاتب البك او كاتم اسرارهِ فكانت لهُ ضريبة خاصة على عمال الكاشف تكثر او تقل تبعاً لاهمية الدخل وكانت في الغالب بين سبعة آلاف وعشرة آلاف فرنك سنوياً

وفضلاً عن ذلك كانوا يكيلون ما يأخذونهُ عيناً من الحبوب بمكيال يزيد ٣٠ في المائة عن المكيال الحقيقي و يأخذون الفرق لانفسهم . فالى هؤلاء ينسب ضعف الفلاح وانحطاط الزراعة اكثر مما ينسب ذلك الى ظلم البكوات رؤسائهم واختلال حالة الاحكام

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

وصايا صحية

كتب الدكتور هربكور الفرنسوي مقالة موضوعها الآداب العلمية ذكر فيها الوصايا التالية لحفظ الصحة وهي

(١) اعتنِ بصحتك لان صحة الانسان ضرورية لهُ ولازمة لامته

(٢) لا بدَّ للعقل السليم من جسم سليم والرياضة لازمة لهما كليهما

(٣) اعتدل في طعامك وامتنع عن الاشربة الروحية واقتصر على الماء شراباً

(٤) اذا كان عملك جسدياً فكلِ الاطعمة النباتية والسكَّر واذا كان شغلك عقلياً فكل اللحوم

(٥) العمل لازم للصحة

(٦) توقَّ مجاري الهواء البارد لا البرد

(٧) نَمْ ثماني ساعات في اليوم

(٨) اياك والتبغ

(٩) أدْخِلِ الشمس غرفتك وأطلِقْ هواءها

(١٠) اخمد الغبار بالماء

(١١) اياك والستائر والبسط على انواعها

(١٢) اقضِ ايام العطلة في الخلاء

القطر النروجي وسلطة الفاكهة

ان اهالي نروج يأكلون الحلوى مع اللحم كأنهم الاتراك في تقديمهم الحلوى مع الوان الطعام ويصنعون قطراً يغمرون بهِ الاثمار الطرية والمقددة فتستطاب كثيراً لان قطرهم مخالف للقطر العادي فهو شفاف ولكنهُ ليس شديد الحلاوة وهم يصنعونهُ هكذا

يزلون القطر العادي من علب الاثمار المحفوظة في القطر و يضيفون اليهِ ماء و يمزجون ملعقة صغيرة من الارووط بقليل من الماء البارد و يضعونهُ فوق القطر في كسارولاً و يضعونها على النار حتى تغلي و يضيفون اليهِ قليلاً من السكر و يغلونهُ ثلاث دقائق او اربع . ويكونون قد قطعوا الاثمار من الموز والبرتقال ومربى الكمثرى والمشمش او الخوخ والتين والكبوش والكرز والاناناس وما اشبه ووضعوها في صحن فيصبون القطر المشار اليهِ عليها حتى يغطيها. ويمكن تنويع طعم هذا القطر باضافة عصير البرتقال اليهِ او عصير نوع آخر من الاثمار . ويمكن ابدال الارووط بالنشا

حلوى الرز والمشمش

اسلق الرز في اللبن حتى ينضج جيداً وحلهِ بالسكر واتركهُ حتى يبرد ثم احشُ بهِ المشمش وغمس كل مشمشة على حدتها في البيض المخفوق جيداً ولتها بمسحوق الكعك او الخبز المحمص الناعم واقلها بالسمن وضعها في صحفة وصب عليها من القطر النروجي

الاستحمام

انشأ الناس الحمامات للاستحمام من قديم الزمان فتفنن اليونان والرومان فيها و بلغوا من اتقانها حداً لم يصل اليهِ ابناء هذا العصر وجرى العرب مجراهم لما امتلكوا بلاد الروم وحماماتهم في مدائن الشام من اعظم مبانيها واجملها

والغرض الاول من الاستحمام تنظيف الجلد وتنشيط الدورة الدموية ولاسيما في الذين اعمالهم البدنية قليلة

اما الحمام الذي يراد بهِ تنظيف الجلد فيجب ان يكون بالماء الحار والوقت الاصلح لهُ في المساء قبل النوم ولتكن درجة حرارتهِ معتدلة وينظف الجلد حينئذٍ بالليفة والصابون ويحسن ان ينتهي بغسل البدن باسفنجة مبلولة بماء بارد وفركهِ وتنشيفهِ جيداً وفائدة الماء البارد تقليص مسام الجلد بعد تفتحها بالماء الحار لكي لا يكثر العرق من الجلد

والحمام الذي يراد بهِ تنشيط الدورة الدموية وانعاش الجسم هو الحمام البارد سواء كان بالماء البارد او الهواء البارد ووقتهُ الصباح حال القيام من النوم ويجب ان لا تطول مدتهُ اكثر من دقيقة اونصف دقيقة ولا سيما اذا كان الانسان لم يعتد الماء البارد ولا بد من فرك الجسم كلهِ جيداً بعد صب الماء البارد عليهِ حتى تعود الحرارة اليهِ ويحمر سطحهُ واذا كان الانسان ضعيف الجسم فليس من الحكمة ان يغتسل بماء شديد البرودة ومن هذا القبيل الاغتسال

بماء البحر وبالهواء البارد فانهُ يجب ان يكون قصير المدة ولا سيما اذا كان الجسم ضعيفاً ويجب فيهِ كلهِ فرك الجسم جيداً بعد الاغتسال حتى يحمر

والحمام البخاري من قبيل الحمام السخن وهو يكاد يكون دواء للزكام والتهاب الشعب والتهاب اللوزتين والروماتزم فيغني عن الدواء وهو من قبيل التنطيل بهيلة الماء السخن والغرض منه تفتيح مسام الجلد وتعريقهُ فان العرق الكثير الذي يخرج منه يأخذ معهُ كثيراً من الفضول المتجمعة في الجسم

ماري كورلي

اشتهر بين كبار المنشئين في هذا العصر سيدة اسمها ماري كورلي تبنَّاها في صغرها الدكتور تشارلس ماكي الشاعر الاسكتلندي محرّر جريدة لندن المصوَّرة · فقرأت كل روايات سكوت ودكنس وثكري قبلما ناهزت الحادية عشرة من العمر وكانت من صغرها مغرمة بقراءة الاشعار ولاسيما اشعار كيتس وشلي وبيرون وتنيصن وشكسبير وحُظرت عليها قراءة الجرائد · وكان لها ميل شديد الى الموسيقى واراد الدكتور ماكي ان تنقطع لها ولكن انحرفت صحتهُ وساءت احوالهُ المالية فاضطرت ان تعدل عن درس الموسيقى وتبقى معهُ للاعتناء بهِ وتعمل عملاً تكتسب منهُ ما تستعين بهِ على شأنها وشأن الرجل الذي ربَّاها واعتنى بها فالَّفت روايتها الاولى واسمها رواية عالمَين وعرضتها على الخواجات بنتلي واولاده ليطبعوها وينشروها على نفقتهم حسب العادة عند الاوربيين فاعطوها لقرّاء قرأوها لهم وحكموا بانها لا تصلح للنشر فردوها لها لكن تقريرهم عنها جعل المستر جورج بنتلي يهتمّ بها فطلبها منها وقرأها فاعجب بها وطبعها وكان لها رواج عظيم وفي اقل من سنة اكسبتها اسمًا بين كبار المؤلفين · فاخذت تؤلف الرواية بعد الرواية والكتاب بعد الكتاب فكتب اليها اعاظم الرجال مثل غلادستون وتنيسن والسر فردرك ليثون يعجبون بها و يطرون قريحتها

وكتبها شعرية معنىً خيالية مداراً لكن الحقائق تظهر من خلالها ظهور البدر من خلال الغيوم · اتفق لنا ان مسكنا كتاباً من كتبها يوم عطلة وكنا في سان ستفانو فلم نتركهُ حتى اتينا على آخره في يومين او ثلاثة ورأينا فيهِ من الشجاعة الادبية في المجاهرة بالحق ما يجعلها في مصاف سقراط الحكيم فقد انحت على خدَمة الدين وكشفت عيوبهم وهتكت ستارهم وبينت فضائل الطبع البشري ما دام على سذاجتهِ بعيداً عن حب الكسب حتى جعلت قارئها يفضل اللص قاطع الطريق على خادم الدين المدعي التعبد

وقد كتب عنها بعضهم الآن مقالةً في مجلة البوكمان الانكليزية وصف فيها كيفية اشتغالها بالتأليف فقال انها تكتب بين الساعة العاشرة قبل الظهر والثانية بعده وتبيض ما تكتبهُ باعتناءٍ شديد فتكتب خلاصة الرواية بقلم الرصاص في دفتر ثم تكتبها بالتفصيل ثم تنسخها بيدها وتنقحها وتعطيها لمن ينسخها لها ثانية بآلة الكتابة وترسلها كذلك الى الطبع

وهي خطيبة شديدة العارضة قوية الحجة ولكن قال بعض الناس انها تقصد الظهور والشهرة فاغتاظت من ذلك وامتنعت من الحضور في المجتمعات العمومية . وقد سمعها المستر ونستن تشرشل تخطب مرةً فكتب اليها بعد ذلك يقول انني اتذكر دائماً الوقت الذي جلست فيهِ الى جانبك وسمعت خطبتك وما فيها من البلاغة التي كادت تثني عزمي عن مقاومتي لانتخاب النساء

كتب التعليم وتعليم البنات

لما كنا نتلقى مبادئ العلوم كنا نستغرب ما فيها من الاعجام والبعد عن المألوف فقضينا شهراً قبل ان فهمنا معنى علم الصرف . ولما كنا ندرس علم الحساب كنا نستصعب حل كثير من مسائلهِ لا من حيث طريقة الحل نفسها بل من حيث فهم المراد من السؤَال كأن المسائل احاجي ومعميات يقصد بها امتحان مقدرة التلميذ على فهم مغزاها لا امتحان معرفتهِ لعلم الحساب وقواعدهِ . ولما دعينا للتعليم لم يكن من نصيبنا تعليم العلوم الابتدائية حتى نهتم ببسط قواعدها ومسائلها لكننا بذلنا جهدنا في ما علمناهُ من العلوم العالية لجعل العلم عملياً وربطهِ بأعمال الناس العادية او المألوفة . ومرت السنون ولا يزال اكثر كتب التعليم على حالهِ ولا سيما كتب تعليم الحساب فاننا التفتنا الآن الى كتاب حساب من الكتب التي تدرس في المدارس الاميرية فرأينا مسائلهُ لا تزال مثل مسائل كتب الحساب التي رأيناها في صبانا مما لا يقع لاحد استعمالهُ مثال ذلك رجل وامرأتهُ يتمان عملاً في ثلاثة ايام ونصف يوم اذا عمل الرجل فيهِ سبع ساعات كل يوم والمرأة عشر ساعات ويتمانهِ في كذا ايام اذا عمل الرجل كذا ساعات والمرأة كذا ساعات في اليوم ففي كم يوم يتمهُ الرجل لو عمل فيهِ وحدهُ وفي كم يوم تتمهُ المرأة لو عملت فيهِ وحدها . وهذه المسألة من ابسط الاحاجي التي في هذا الكتاب الذي يفرض تعلمهُ على صغار الطلبة . اسأل تلميذاً اتمهُ كم ايجار خمسة افدنة وعشرة قراريط وخمسة عشر سهماً اذا كان ايجار الفدان ستة جنيهات فيقف امامك والقلم في يدهِ يجمع ويضرب ويقسم ولا يحير جواباً مع ان ناظر الزراعة الامي لا يعجز عن الجواب الصحيح . او اسألهُ كم طوبة تحتاج لبناء

غرفة طولها كذا وعرضها كذا وعلوها كذا وسمك جدرانها كذا اذا امكننا ان نبني مترين ومكعبين ونصف متر من كل الف طوبة فيعجز عن الجواب والبنّاء الامي لا يعجز عنهُ

وقفنا مرة في مدرسة عالية مع المرحوم علي باشا مبارك فسأل التلامذة مسائل كثيرة في الهندسة والمثلثات والمساحة فكانوا يسردون قواعدها بالضبط التام ثم مسك عصاهُ بيدهِ وقال كم سنتيمتر مكعب في هذه العصا وما يلزم معرفتهُ للوصول الى الجواب فجعلوا يسردون قواعد المخروطات الناقصة من غير ان يهتدوا الى المطلوب

وغنيٌّ عن البيان ان واجبات المرأة المنزلية ونحوها تقتضي معارف خاصة ويظهر لنا ان كتب التعليم التي بين ايادي البنات لا تصلح لذلك او لا تفي بالغايات المطلوبة من تعليمهن فيجب ان تنوع وتجعل عملية منطبقة على ما يحتجن اليهِ بنوع خاص وما يمكن ان يطلب منهنَّ بنوع عام فالحساب يجب ان يكون منزليًّا في مسائلهِ على قدر الامكان · وكتب الادب يجب ان تكون اكثر امثلتها من منشئات النساء البليغة وتراجمهنَّ · وكتب حفظ الصحة ووظائف الاعضاء وتمريض المرضى يجب ان تشمل كل المواضيع التي تضطر المرأة الى معرفتها بنوع خاص · وينبغي ان تكون الامثلة في ذلك كلهِ مما تراهُ البنت في نفسها وبيتها · ويحترز دائمًا من العبث ومما يتعب العقل ولا فائدة عملية منهُ

عمل الجلاته ونحوها

تعمل الجلاته (البوظة) ونحوها من المثلوجات هكذا — : يؤْتى اولاً بآلة من الآلات المعدَّة لذلك وهي اناء من الخشب كالبرميل الصغير فيها اناء اصغر منهُ من الحديد لهُ غطاء تتصل بهِ قطعتان من الخشب والحديد المقصدر والغطاء يدور على نفسهِ بترس يوضع فوق الاناء حتى يحرك ما يوضع فيهِ · والآلة كلها رخيصة يؤْتى بها من اوربا وتباع عادة بثلاثين غرشًا الى اربعين

يوضع المزيج الذي يراد عمل الجلاته او الكريمه منهُ في الاناء المعدني الداخلي ويوضع بينهُ وبين الاناء الخشبي الخارجي ثلج وملح وتدار الآلة بالمسكة والترس الى ان يبرد المزيج ويجمد · ونسبة الثلج او الجليد الى الملح نسبة ثلاثة الى واحد وكلما استحال الجليد والملح الى ماء يصبُّ من الآلة ويوضع بدلها جليد وملح · ولا بدَّ من مراعاة القواعد التالية وهي

(اولاً) يجب ان يكون الاناء الذي تصنع فيهِ الجلاته نظيفًا جدًّا وناشفًا لا ملح فيهِ ولا جليد

(ثانيًا) ان المزيج الذي يراد تجليدهُ يجب ان يبرَّد جيدًا قبل وضعهِ في الآلة

(ثالثاً) اذا لم يكن في الآلة اداة تدور في داخل الاناء الداخلي وتحط ما يجمد فيهِ وتمزجهُ بعضهُ ببعض فلا بدَّ من فتحهِ من وقت الى آخر ومزج ما فيهِ جيداً حتى يصير من قوام واحد

(رابعاً) اذا كان المزيج شديد الحلاوة فلا يجمد ولكن اذا اضيف اليهِ حينئذٍ نقط قليلة من عصير الليمون الحامض جمد بسرعة. واذا كان سكرهُ قليلاً جمد خشناً كأَن فيهِ قطع جليد

وانواع الجلاتة كثيرة مختلفة اشهرها ما يأتي

جلاتة اللبن العادية — تصنع من رطل من اللبن (الحليب) وبيضتين كاملتين وصفار بيضتين اخريين وثلاث اواقي سكر وقليل من روح الفانلا . يغلى اللبن ويصب على السكر والبيض بعد خفقهِ جيداً ويغلى على النار حتى يجمد قليلاً ويترك حتى يبرد جيداً ويطيب بالفانلا ثم يوضع في الآلة ويجمد كما تقدم

الكريمه — يؤْخذ نصف رطل من اللبن الذي مزج بالبيض كما تقدم ويضاف اليهِ نصف رطل من الكريمه (القشدة) المخفوقة جيداً ويضاف الى نصف رطل اللبن بيضتان وثلاث اواقي من السكر اي يضاف الى نصف الرطل ما يضاف الى الرطل في المزيج الاول لانهُ لا يضاف شيءٌ الى القشدة . ويمزج اللبن بالقشدة جيداً وحينما يبرد المزيج يعطر بالفانلا ويجمد كما تقدم

الكريمه الايطالية — تصنع من نصف رطل من القشدة المخفوقة ونصف رطل من اللبن المعلل بالبيض والسكر كما تقدم وثلاث اواقي من الاثمار المحفوظة في العلب كالكرز وملعقة صغيرة من الكنياك

كريمه القهوة — تصنع من نصف رطل من القشدة المخفوقة ونصف رطل من اللبن المعلل بالسكر والبيض ونصف رطل من القهوة وثلاث اواقي من السكر

كريمه الشوكولاته — تصنع من ربع رطل من الشوكولاته المذابة في ربع رطل من اللبن الصرف ونصف رطل من اللبن المعالج بالسكر والبيض ونصف رطل من القشدة المخفوقة واوقية من السكر

كريمه الفريز — تصنع من رطل من الفريز يمرث على منخل جيداً وثلاث اواقي من السكر وعصير نصف ليمونة حامضة ونصف رطل من القشدة المخفوقة

كريمة الشاي — تصنع من نصف اوقية من ورق الشاي الجاف ورطل من اللبن الغالي وبيضتين وست اواقي من السكر ونصف رطل من القشدة المخفوقة وملعقة صغيرة من

الكنياك . يصب اللبن الغالي على الشاي و يترك ست دقائق ثم يصفى و يضاف البيض المخفوق الى هذا اللبن و يغلى بهِ و يضاف اليهِ السكر وحينما يبرد يضاف اليهِ الكنياك

جلاته الليمون — تصنع من نصف رطل من السكر ورطل من الماء و براشة قشر ليمونتين يغلى هذا المزيج ثلاث دقائق و يصفى وحينما يبرد يضاف اليهِ ربع رطل من عصير الليمون ويوضع في الآلة حتى اذا كاد يجمد يضاف اليهِ بياض بيضتين مخفوقاً جيداً و يكمل تجليده



باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

قسمة المملكة العثمانية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لقد احسن الباحث العثماني في كتمان اسمهِ وساحذو حذوهُ لكي لا ينتقل البحث من النظريات الى الشخصيات كما هي الحال في اكثر المناظرات فتضيع الفائدة المطلوبة ولأن المقصود هو ما يقال لا من يقول

البيان الذي جاء بهِ حضرة الباحث العثماني جليٌّ واضح والنتيجة التي وصل اليها لاجدال فيها وهي « انهُ لو كانت البلاد العثمانية كلها تركية او عربية اي لو كان لها لغة واحدة وحكومة واحدة ومجلس واحد لكان ذلك اصلح لها وكانت بهِ اقوى مما لو كانت لها ادارتان وحكومتان وكان لها مجلسا نوَّاب

وموضع الخلاف في ان الباحث العثماني يرى ان وجود ادارتين ومجلسين اصلح للبلاد واقرب الى العدل من وجود ادارة واحدة ومجلس واحد وثلث السكان غير مشترك فعلاً في حكومة بلادهِ كما هي الحال الآن ولكنهُ لم يحتج بصحة هذا الراي وتفضيلهِ على غيرهِ بل قال

«وقد اكون مخطئاً في رأيي هذا فارجو ان يطرح موضوعي على بساط البحث» الخ

وكاتب هذه السطور ليس على رأي الباحث العثماني ولا انكر انهُ ان كان لابدَّ من توحيد اللغة فالعربية اصلح من التركية ونبغاء الاتراك ونبلاؤهم يتباهون بتعلم العربية والتكلم بها وهم يجيدونها كلاماً وكتابةً . وقد قال لي غير واحد منهم انهم آسفون لانهم لم يحاولوا اقتباس العربية قبل الآن وجعلها لغة السلطنة العثمانية وفي نيتهم ان يبذلوا وسعهم في هذا السبيل . اما انا فلا استسهل توحيد اللغة كما يستسهلون بل احسبهُ ضرباً من المحال لانهُ يشترط في ابدال لغة بأخرى ان تهمل اللغة الاولى تمام الاهمال وتبذل العناية كلها في حفظ الثانية واذاعتها . فهل في طاقة احد الآن ان يمنع كتّاب الترك من الكتابة بلغتهم وعلماء الترك من التأليف في لغتهم ويمنع الصحف التركية من النشر والانتشار . هل يستطيع احد ان يلجم اقلام الشعراء ويكم افواه الخطباء . هذه احلام لا يسلم بها احد ولا في المنام ليصير في الامكان تغلب العربية على التركية . نعم ان العربية تغلبت على القبطية والسريانية والرومية في مصر والشام ولكن كان ذلك في دور الانحطاط ولم تكن ثم مطابع ولا جرائد ولا شيء من وسائل نشر الافكار ومع ذلك بقيت اعمال الدولة ودفاترها بالقبطية والرومية زمناً طويلاً وابدلنا بالعربية قوةً واقتداراً . وغنيٌّ عن البيان ان الاتراك لا يلجأُون الى القوة في ابدال لغتهم بالعربية ولو كانوا ميالين الى ذلك . وكيفما قلبت نظري في هذا الابدال اراهُ بعيد الامكان ان لم يكن ضرباً من المحال

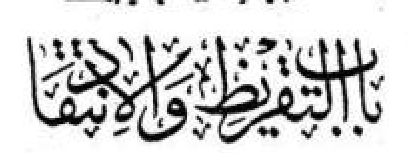
وابدال العربية بالتركية ليس اقرب الى الاحتمال من ابدال التركية بالعربية لا سيما وان العربية اوسع نطاقاً من التركية بما لا يقدَّر وفيها الآن من كبار الكتّاب في كل فن ومطلب ناهيك عن ارتباطها بالدين الذي يدين بهِ الاتراك وهم لو خُيِّروا لما اختاروا انقراضها ولو لم تكن لغتهم

ولكن هل اشغال الحكومة تقتضي حتماً ان يكون للامة لغة واحدة . كلاَّ فهؤُلاء اهالي ويلس بانكلترا لغتهم غير اللغة الانكليزية ومع ذلك ترى النظار منهم في الحكومة الانكليزية وقد صاروا يتكلمون اللغتين على حدٍ سوى . ونحن في اختيار نوابنا لمجلس النواب لا نعتمد على الصدفة والاتفاق بل نختار المتعلمين المتهذبين الذين يصلحون لقيادة الامة وهؤُلاء قلما يوجد منهم مَن لا يعرف لغةً اجنبية مع لغتهِ كالفرنسوية والانكليزية والايطالية . ولم نهتم قبلاً بتعلم التركية كراهة استبداد الحكومة السابقة اما الآن فلا اعجب اذا صار اكثر اولادنا يتعلمون التركية مع العربية . وقس على ذلك الضباط والقوَّاد فان اكثر شبان البلاد العربية سيشرعون

من الآن في تعلم اللغة التركية مع لغتهم العربية ولا يمضي عشر سنوات حتى تشيع اللغة التركية بين المتعلمين اكثر من شيوع اللغة الفرنسوية الآن ومن هؤلاء ينتخب تلامذة المدارس الحربية . واذا أنصف سكان الولايات العربية فاختير ولاتهم منهم فيكونون عارفين بالعربية مع معرفتهم بالتركية . وقد يزيد ذلك اهتمام الاتراك بتعلم العربية

اما قسمة حكومة البلاد وادارتها الى قسمين فضعف لها جدًّا وينتهي بقسمتها فعلاً وقد لا يتم ذلك الاَّ بعد حروب اهلية فيجب الابتعاد عنهُ حتماً . وعندي انه لو خيّر الاتراك بين ان يجعلوا اشغال الحكومة بالعربية وبين ان يقسموها الى قسمين ولم يكن لهم مناص من احد الامرين لاختاروا الاول على الثاني لانهُ اقل منهُ ضرراً ولو كان اكثر منهُ تعباً

باحث سوري



خواطر نيازي

بحث انتقادي

احمد نيازي بك الرسنه لي بطل الدستور اشهر من نار على علم وقد اقترح عليهِ ان يكتب خلاصة الاعمال التي عملها في سبيل الدستور وما يتصل بها وكان قد كتب ما جرى من الحوادث يوماً فيوماً فادمجها في كتاب سماهُ خواطر نيازي ترجمهُ الى العربية حضرة الكاتب البليغ ولي الدين بك يكن وطُبع في هذه العاصمة

بدأ نيازي خواطرهُ بمقدمة تاريخية فلسفية فبيَّن الادوار التي مرَّت عليها الدولة العثمانية من حين ظهورها سنة ٦١٩ هجرية الى سنة ٨٥٧ حين فتحت الاستانة ومن ذلك الحين الى سنة ٩٨٦ وقتما بلغت اوج مجدها وصار ملوك الارض يخطبون ودها وعقدت المعاهدة المشهورة مع الملكة اليصابات ملكة الانكليز . قال ولما بلغت من الرفعة ومواتاة الحظ مبلغ الكمال ادَّى بها فرط الغنى والاقبال الى الوقوف من سنة ٩٨٦ الى سنة ١١٨٠ اي حين ابتدأت الحروب مع الروس . والدور الاخير بين سنة ١١٨٠ و ١٣٢٤ هو دور الخمول والاضمحلال ولكن الدولة لم تلقَ فيهِ من شعبها يأساً بل وجدتهُ لما انتهبت متأهباً وملؤهُ امل في الحياة . وقد قام فيها حتى في زمن خمولها واضمحلالها سلاطين عظام مثل سليم الثالث

ومحمود الثاني وعبد الحميد الاول ورجال نوابغ مثل رشيد باشا ومصطفى فاضل باشا ومدحت باشا وشناسي كمال بك . ولكن الدور الرابع الذي استهل بالشهيد الاعظم سليم الثالث وختم بالشهيد الثاني مدحت باشا لم يكن ختامهُ بقتل الشهيد الثاني سوى فجر كاذب ينبئ باشتداد الظلام فيهِ فاربدّت ظلمة الليل البهيم بعد ذلك حتى أنّت الامة كلها وعادت اليها قوة دافعة دفعت بها من ذلك الجور الجهنمي فكان من ذلك انقلاب ١٠ تموز الماضي . نعم ان هذا الانقلاب الذي ابتدأ منذ مئة سنة ونيف وتعطل اثنين وثلاثين عاماً لم يحدث بتدبير حكيم ولا بيأس ذي بأس بل جاء برغبة شعب بات غرض الكوارث والمصايب

والمقدمة كلها على هذا النسق التاريخي الفلسفي ومع ذلك استطاع عبد الحميد ان يخفي مواهب الوف من الضباط الذين مثل كاتبها . ان هذا لمن اعجب العجب . وتبتدئ الخواطر بخلاصة تاريخية من سيرة نيازي نفسهِ حين كان تلميذاً لم يستكمل اربع عشرة سنة من عمرهِ وذلك سنة ١٣٠٣ قال انهُ سمع من ذلك الحين ان الوطن احترق والدولة غرقت والسلطان أُحيط بالخائنين فايقن انهُ لا يستطيع خدمة امتهِ الا في المدارس العسكرية فدخل المكتب الرشدي (العسكري) لكن اقاربهُ حاولوا صرفهُ عن عزمهِ لان الضباط المتخرجين من المكاتب العسكرية لم يستطيعوا ارجاع مجد الجيش العثماني فزاد شغفهُ بالجندية عساهُ ان يجد فرصة للانتقام من الخونة الذين اضرُّوا بالوطن ابتغاء منافعهم الخاصة فانتقل الى المكتب الاعدادي العسكري مسوقاً بحب الوطن . قال وكان اليوزباشي اورخان افندي استاذ الفرنسوية واليوزباشي توفيق افندي استاذ التاريخ يأتيان بالمباحث المفيدة فيذكران الحمية والترقي ومحبة الوطن ويقصّان اخبار القدماء الذين استشهدوا في حب وطنهم من العثمانيين والفرنسويين . وكلما دار الكلام بيني وبين اخواني في المكتب على احوال العالم كان اسم الاديب الاعظم كمال بك موضوع حديثنا فنستغرب كيف يكون رجل مثلهُ مبغوضاً من الدولة على غزارة علمهِ وفضلهِ وشدة حميتهِ واخلاصهِ . وكنت اقول في نفسي اننا نتعلم هنا لنكون قواداً لابناء وطننا فلماذا يضطروننا ان نخفي احساساتنا الطاهرة ولا يدعوننا نقرأ المؤلفات التي تنميها وتعليها ولماذا لا يربُّون شبان الوطن على ما يقتدون بهِ من كمال كل الام ليكونوا دواءً لهذا الانحطاط

وقال انهُ حفظ كثيراً من اشعار كمال بك وغيرهِ من القدماء وهو في المدرسة الملكية الاعدادية فكانت غذاءً لنفسهِ وملجأً يلجأ اليهِ اذا خاف الوقوع في اليأس ولا سيما بيت كمال بك القائل ما ترجمتهُ

لا تحسبنَّ احتقار الشعب يورثهُ   هوناً فليس يهان الدرُّ ان سقطا

ثم دخل المدرسة الحربية في الاستانة سنة ١٣١٠ فرأى انهُ امسى في سجن اسير المصائب حيث لا يحل لاحد ان يتلفظ باسم كمال بك او غيره من الاحرار · وكان في تلك المدرسة ثلاثة من الاساتذة يحيون الآمال بدروسهم فنفوا وأُجلوا عن الوطن · ونتج من كثرة التضييق على التلامذة ومما كانوا يرونهُ من دلائل الفساد ان أَلفوا جمعية سرية يقصدون بها انقاذ البلاد من المابين وخدَّامهِ لكن ادارة المدرسة اكتشفت جمعيتهم وبدَّدت شملهم · ولما اتموا دروسهم واستلموا الشهادات وحُلّفوا اليمين قالوا في ضمائرهم انهم يخلصون الخدمة للحق والوطن بدل العبارات التي كرَّرها عليهم من سلَّمهم الشهادات · قال نيازي ولم يشذ في ذلك الاَّ بعض اولاد الكبراء

ثم وصف الحرب العثمانية اليونانية وقال ان الدولة اثارتها لكي تتغلب بها على الاميال الثورية التي اخذت تشتدُّ في ذلك الحين فان اركان الحرب وشبان الضباط ومعلمي المدارس والمهندسين والمحامين وبعض ذوي الحمية من المدرّسين والتلامذة واهل التجارب من الكهول كانوا يجتمعون سرًّا ويبحثون عن سبيل يوُدي الى خلاص الوطن رغمًا عن الجواسيس المنتشرة من منبع يلديز المتعفن وتقارير الجواسيس · وكانت الثورات التي آثارها العرب في اليمن والارمن في الاناطول والاستانة والحروب الدموية في كريد اقوى امارات الميل الى الاتحاد والمقاومة للاستبداد · ولكن تألُّف اكثر رجال الحكومة والجندية من المسلمين دون المسيحيين وحرمان المسيحيين من مناصب الحكومة وتقوية التعصب والتفريق بين الطوائف كل ذلك لم يدع مكانًا للثقة العامة · ثم انهُ حلَّ بارباب الحمية من الاعدام والتعذيب ما لا يوصف فاضطرَّ بعض الاحرار الذين سلموا من القتل والنفي الى المهاجرة فركنت يلديز الى الحيلة لتسقط هوُلاء الاحرار وارسلت اليهم الجواسيس الخونة مبرقعين ببراقع الصداقة ومتسمين بسمة الاحرار وجادت في هذا السبيل بالمال لكي تسوء سمعة الاحرار الحقيقيين ويتزعزع امل الاصلاح من اساسهِ · وساعدها على ذلك الجرائد التي اشترتها بالمال · ثم ذكر ثورة البلغار واسهب في اسبابها ونتائجها وكيف عرف ان في سلانيك جمعية موُلفة من احرار العثمانيين وكانت الكتب التي طبعت في مصر ونشرت من موُلفات احمد رضا بك وناجي افندي قد احدثت حركة شديدة في الافكار واعدَّتها لما يلقى عليها ثم جاء عدم اهتمام الحكومة الحميدية بما كان جاريًا في مكدونية مجلاًّ للانقلاب

قال كنت في مكدونية اطارد العصاة كغيري من ضباط الجيش وذلك من سنة ١٣٢٠ الى سنة ١٣٢٤ وكانت اكثر المعارك تنتهي بفوزنا فنأتي بالجناة ومعهم قنابلهم واسلحتهم ثم

يصدر العفو عنهم ويخلى سبيلهم · وكانت نظارة الحربية لا تستحي من مخالفة العدل في الحقوق العسكرية فتهب الرتب والمناصب والرواتب للاصهار والجواسيس والمنافقين لا للمجتهدين المستحقين · فذلك وقلة الملابس وخبث الزاد وعدم اهتمام الحكومة بدفع الرواتب للجنود وطد في افكارهم فكر الثورة

وكانت جمعية الاتحاد والترقي العثمانية قد عملت وعلّمت الناس في غضون ذلك ان تلك الاسواء ليست ناتجة من القواد والمفتشين والسر عسكر والصدر الاعظم بل من شكل الادارة فاستمالت اولي الضمائر الصادقة والمخلصين ولم تعد ترى حاجة الى التستر كما كانت عليهِ من قبل

ثم ذكر كيف درت الحكومة بالجمعية وناصبتها المدوان وكيف فازت الجمعية عليها اخيراً في حديث طويل مملوءٍ بالعبر سداهُ ولحمتهُ حوادث تاريخية يودُّ كل عثماني الوقوف عليها لانها تبين لهُ كيف زُرِع غرس الحرية وكيف نما وترعرع وما اصابهُ من العواصف والزوابع وكيف صبر عليها الى ان اشتدَّت اصولهُ وفروعهُ

ولقد كان من حظ هذا الانقلاب المبارك أن كتب نيازي بك كل ما اتصل بعلمِهِ عنهُ في يوميتهِ ثم جمع منها ومن بعض المحررات الرسمية هذه الخواطر الحسان · وكان لهُ النصيب الاوفر من الاعمال المجيدة التي قلبت الحكم الماضي والوسائل التي استخدمها لذلك ضعيفة في ذاتها اذا نظرنا اليها من وجه حربي فقط وكان في الامكان اخماد انفاسها في طرفة عين ولكن حكمتهُ ومهارتهُ وتفانيهُ في حب وطنهِ ودناءة خصومهِ وخستهم وفروغ صبر الناس على الحكم الحميدي كل ذلك حقَّق الفوز لهُ وللحفنة من الرجال البواسل الذين خرجوا معهُ

ومن امثلة المهارة التي ابداها في اعمالهِ والاخلاص الذي يتخللها كلها ما كتب بهِ الى جرجيس رئيس جمعية طوسقا الالبانية حيث يقول «عزيزي جرجيس

اني لجأت الى البلقان في مئتين من الفدائيين مسلحين ببنادق موزر جاعلاً نصب عيني خلاص الوطن من الخطر الكبير الذي بات فيهِ وعازماً على فدائهِ بالروح · ولما كانت خطتك التي سننتها من اسرع الاشياء جلباً للخطر على هذا الوطن المقدس كانت مطاردتي لك اكثر من سواك ولكنني امد اليك الآن يدي فقد آن لنا ان نتحد فلنجتمع حيثما اردت وكيفما شئت ولنجتهد معاً في خلاص الوطن لان الخروف الذي ينفرد عن القطيع يخطفهُ الذئب »

ومن امثلتها استعانتهُ بالبلغار بين المسيحيين على تخليص الوطن بمنشور نشرهُ عليهم كلهُ حكمة وتودد وغيرة قال ولقد اثر هذا المنشور في البلغار بين تأثير المعجزه وزاده قدراً مخاطبة ضابط مثلي لم مخاطبة الاخوان ودعوتهُ اياهم الى الاتحاد بعد مابدد شملهم وكسر قوتهم اربعة

اعوام . واني لم استخدم قوتي في الشربل في ضمان الحق والحرية للجميع على اختلاف المذاهب والاجناس ولم اميز المسلمين عن غيرهم في انفاذ العدل الى غير ذلك مما يعلي شأن الجمعية ويزيد الثقة بها

ويظهر لنا ان لغة الكتاب التركية فصيحة لبلاغة معانيه وهذا مما لَبّك حضرة مترجمه وهو من ابلغ الكتاب بالعربية فحرص على كثير من الفاظهِ العربية الاصل وتراكيبهِ البليغة بلغتهِ التركية فجاءت عربيته عويصة قليلة الوضوح والسلاسة ومع ذلك فلا بد لكل من يحب الحرية العثمانية من ان يطالع هذا الكتاب بالامعان . فانهُ ليس مجرد قصة تاريخية بل هو بحث اجتماعي في شؤُون الدولة العثمانية وادوائها وطرق علاجها . هاك مثالاً على ذلك من بعض ماقالته جمعية الاتحاد والترقي في لائحتها التي قدمتها الى الدول

« انهُ ليس في مكدونية داءٌ خاص بها ولا مسألة ناجمة عنهُ وليس فيها تعصُّب اسلامي . ونحن نقول قبل كل الناس ان سكان مقدونية ليسوا في الرفاه المطلوب وافكارنا متفقة من هذه الوجهة مع اوربا الآن اختلافنا هو في تعيين منشإ الضرر ولهذا نختلف في اتخاذ الوسائل المانعة لهُ . وسبب الضرر في كل الولايات التي تتألف منها المملكة العثمانية لا في مكدونية وحدها هو الاستبداد والظلم في اصول الحكومة الحاضرة والامر الذي آل بالبلاد الى هذه الحالة التي لا تطاق هو فقدان الحرية . والمرض المستولي على بلاد العرب او طرابلس الغرب هو عين المرض المستولي على مكدونية . فكل الاقوام المؤلفة من الترك والعرب والالبانيين والجركس والاكراد والارمن والفلاخ واليهود والعرب والروم والبلغار ممن يشملهم الاسم العثماني يكابدون تلك المشاق بعينها ويئنون تحت تلك الاثقال بعينها وفرق المذهب والجنس لايخفف اعباء احد وليس بمكدونية ولا بغيرها من الولايات نوعان من الناس احدهما ممتاز والآخر مظلوم بل كلنا بلا استثناء مشتركون في الظلم وكلنا رازح تحت استبداد واحد

« فان كانت حالة مكدونيا تهمُّ اوربا وان كانت اوربا تريد حقًّا ان تسعد المكدونيين فالذي يجب عليها ظاهر للعيان . اعينونا فعلاً على هدم الاستبداد الحاضر والخروج الى النور فيسعد العثمانيون عامة ويسعد معهم المكدونيون »

واكثر المنشور على هذا النمط وقد اهتم الذين كتبوهُ بنفي تهمة التعصب الديني . ولا ندري لماذا يهتمُّ الناس كثيرًا بنفي هذه التهمة مع اننا لا نرى اصحاب دين الأ وهم متعصبون لدينهم ولا ضرر من التعصب الا اذا تطرَّف الى المسائل العمومية كأن اتُّخذ ذريعة الى سلب حقوق الغير المدنية . اخبرنا رجل من دمشق ان الآراء اتفقت على انتخاب وجيه من وجهاء

المسيحيين منها لمجلس المبعوثان واجتمع المنتخبون عند اثنين من الكبراء احدهما عالم كبير فقال لم العالم ان انتخابكم فلاناً لمجلس المبعوثان وهو مسيحي غير جائز شرعاً . فاحجموا عن انتخابه . فهذا هو التعصب الذميم لان صاحبهُ تذرَّع بالدين لسلب الحقوق . ولا مشاحة ان هذا التعصب موجود في ادمغة كثيرين من المدعين خدمة الدين وهو آفة كبيرة من آفات المشرق وانكارهُ ليس من الصواب

وفي هذا المنشور كلام شديد على روسيا والسياسة الروسية نحبُّ ان لا يكون اساسهُ متيناً وان تكون السياسة الروسية في بلاد الدولة العلية على غير ما وُصفت في هذا المنشور . وعسى جمعية الاتحاد والترقي ان تكون قد رأَت الآن من دول اوربا كلهنَّ ما جعلها تحسن الظن بمقاصدهنَّ نحو الدولة العلية وتثق انهنَّ لم يتعرضنَ لشؤُون مكدونية الاَّ مكرهات وان عند كلٍّ منهنَّ من المشاغل ما يكفيها و يشغلها عن غيرها من دول المشرق

و يقيننا ان الدول الاوربية تكون اول شاكرة لناحيتنا نكفيها مؤُونة الاهتمام بامورنا لانهُ لا ينالها من ذلك الا القلق والخسران . واكثرما يشكو منهُ الوزراء الاوربيون اقلاق المبشرين لهم بشكاويهم . فلتثق الجمعية انهُ اذا جرى العدل في البلاد العثمانية او اذا بطلت شكوى الشاكين لم تعد الدول الاوربية تتعرض لنا الاَّ كما يتعرض بعضها لبعض . وهذا الامر نعلمهُ يقيناً بالخبْر والخبَر . وما شكونا الحقيقية من مداخلة الاجانب بل مما كان في البلاد من سوء الادارة . ولقد اجاد صاحب الخواطر في ما كتب بهِ الى مدير رسنه في هذا المعنى حيث قال « ان كل المصائب التي وقع فيها الوطن هي نتائج الاستبداد واحوال الاداة المستقلة ولن تنتهي هذه الاسواء ما لم تصر الحكومة شرعية ودستورية وما لم تتغيير اصول الادارة من اساسها »

و يعجبنا انصاف المؤَلف في اعطائهِ كل ذي حقٍ حقهُ قال في كلامهِ عن قرية اسمها وجهان « انها ذات شأن عظيم لانها مأمن لعصابات البلغاريين فلما رأَى اهلها طليعتنا داخلهم الخوف فأقفلوا دكاكينهم وبيوتهم واختفوا فاستدعينا شيوخهم وامناهم بالشرف والذمة واخذنا معهم في البيع والشراء فاطمأَنوا وزال خوفهم ووضعوا ايديهم على الانجيل وعاهدونا على ان يصدقوا للمقصد العالي وان يسرعوا في انفاذ امرنا ومناصرتنا متى دعت الحاجة . ولما كان المساء واخذت شمس الاكوان تودع القرية بشعاعها المتضائل وتستودعها صدور الظلمات اخذت الضمائر التي اظلمت بليل المخاوف تستنير بشمس العدل وجعلت النواصي المستنيرة باشعة الآمال والوجوه المستبشرة بأنوار البشر تشيّعنا فيزيد ذلك جمال الطبيعة جمالاً . وبعد ان سرينا

ساعة ونصفاً قاربنا قرية رادويشتا فعادت طليعتنا التي كنا انفذناها اليها لتعدَّ لنا اماكن النوم وقالت لنا ان سكان هذه القرية تقلدوا اسلحتهم واحتشدوا في ميدان الجامع غاضبين ومتأهبين لمقابلتنا بالنيران وعبثاً حاولنا ان نبين لهؤلاء الناس الجهلاء المتعصبين مرادنا وان مقصدنا تأييد العدل »

وقد بذل نيازي ورجالهُ وسعهم في اقناع اهل هذه القرية بقبولهم عندهم تلك الليلة وكان يعرف كثيرين من شيوخهم ووجوههم فلم يتمكن من اقناعهم فاضطر ان يعود هو ورجالهُ ويبيتوا قرب المطاحن جياعاً عطاشاً قال «ولم تذق عيناي غمضاً طول ليلتي لما عراني من الغضب واليأس » · قابل ذلك بما ذكرهُ عن اهل القرية الاولى وعن رهبان دير صاري صالتيق حيث قال « تقابلنا مع الرهبان فبالغوا في اكرام وفادتنا واظهروا من كرم الضيافة خير مثال وقد جرى بيننا هذا الحديث

انا — انكم تجعلوننا اسرى منتكم بما تستقبلوننا بهِ ولا تدعون لنا مجالاً لبيان مقصدنا · ان مقصدنا الاصلي تأسيس اخاء بين العناصر المختلفة التي في وطننا واحداث قوة تضرب على الاحوال التي نجربهُ وايجاد حكومة دستورية شرعية · والاساس هو تهيئة الاسباب لاستعادة الحال السعيدة التي كانت في سنة ١٢٩٤

رئيس الرهبان — ان شرف مقصدكم ظاهر من نهج حركاتكم · الناس كلها راضون عن حسن اعمالكم وعدلكم وقد وثقنا نحن ايضاً من انا سنرى قريباً توفيقكم · سأجتهد ما استطعت في اعداد كل ما تحتاجون اليه · لقد صدرت الاوامر الواجبة من اجل الخبز واللبن انكم تعبون فاستريحوا »

ولا غرابة في ذلك فان المنشورات التي كان ينشرها نيازي كانت كلها تدعو الى اطمئنان المسيحيين وتثبت لهم ان الغرض انشاء حكومة دستورية تشترك فيها جميع العناصر المؤلف منها الشعب العثماني على السواء · وكذلك الجمعية كانت تكتب في منشوراتها دائماً « ان يعامل الاهالي بعناية ما يستطاع من العدل والرأفة من غير فرق بين الجنس والمذهب »

ومن رأي نيازي ان هذه الثورة افلحت لانها شملت جميع العناصر من غير استثناء · قال في خطبة خطبها بعد اعلان الدستور ما يأتي

« يا ابناء وطني — ارى اضطراراً ان اجمل البيان عن عدم التوفيق والنجاح في الثورات من نحو اثنتي عشرة سنة في الاناطول وفي الست السنوات الاخيرة في الروملي · ان ثورة مواطنينا الارمن في الاناطول ضد حكومتنا المستبدة لما لم تكن شاملة سائر عناصر الوطن بل خاصة بالارمن فقط وثورة مواطنينا البلغاريين اخيراً في الروملي كانت محصورة في

العنصر البلغاري ... فاستعملت الحكومة العناصر المتنافرة بعضها ضد بعض فاحبطت مساعي الثائرين »

هذا وفي الكتاب صور كثيرة من صور الافراد والجماعات والاماكن منقولة عن صور شمسية مما كان يصوره نيازي ورجاله تحقيقاً للحوادث وحبذا لو طبعت في الترجمة العربية على ورق وحدها لا مع ملازم الكتاب لكي يجيء طبعها واضحاً. ولم نحاول تلخيص حوادث الكتاب في هذا التقريظ لاننا نود ان يقرأ كل احد الكتاب نفسه بالامعان الذي يستحقه فيرى كيف استطاعت حفنة من الرجال البواسل الصادقين ان يقلبوا حكماً ظالماً كانت تخشاه الالوف والملايين

الحرية في الاسلام

مسامرة لحضرة الشيخ محمد الخضر احد المدرسين في جامع الزيتونية الاعظم وفي المدرسة الصادقية القاها في نادي جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية في ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٤ وهو يومئذ بمدينة بنزرت . وقد جعل مدارها على حقيقة الحرية والشورى والمساواة والحرية في الاموال والحرية في الاعراض والحرية في الدماء والحرية في الدين والحرية في خطاب الامراء وآثار الاستبداد

وحدد الحرية بقوله هي ان تعيش الامة عيشة راضية تحت ظل ثابت من الامن على قرار مكين من الاطمئنان ومن لوازم ذلك ان يعيّن لكل واحد من افرادها حدلا يتجاوزه وتقرر له حقوق لا تعوقه عن استيفائها يد غالبة . ثم فصّل ذلك تفصيلاً حسناً فقال « ومن كشف عن حقيقة الحرية ستار الاجمال اشرف على اربع خصال مندمجة في ضمنها احدها معرفة الانسان ما له وما عليه فان الشخص الذي يجهل حقوق الهيئة الاجتماعية ونواميسها لا يبرح في مضيق الحجر مقيد السواعد عن التصرف حسب ارادته واختياره حتى يستضيء بها خبرة ويقتلها علماً اذ لا يأمن ان تطيش افعاله عن رسوم الحكمة والسداد فيقع في خطيئة تحدث في نظام تلك الهيئة علة وفساداً . ولا يخالط الضمائر من هذا ان الحرية مقصورة على علماء الامة العارفين بواجباتها اذ للاميين منها مخلص فسيح وهو باب الاستفتاء والاسترشاد قال تعالى (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)

ثانيها شرف نفس يزكي طويتها و يطهر نواياها من قصد الاعتداء على ما ليس يحق لها فلا ترمي بهمتها الا في موضع تشير اليه العفة بينانها

ثالثها اذعان يدخل بهِ تحت نظر القوانين المقامة على قواعد الانصاف ويسنزله ريثما تحرر ذمته من المطالب التي توجه اليها باستحقاق

رابعها عزة جانب وشهامة خاطر يشق بها عصا الطاعة للباطل ويدمغ بها في قوة من يسوم عنقه بسوء الضيم والاضطهاد

ولا يقيم على ضيم يراد بهِ الاَّ الاذلان غير الحي والوتد

نستنتج من هذا البيان ان الاساس الذي ترفع عليهِ الحرية قواعدها ليس سوى التربية والتعليم فيتأكد على الحكومة التي تنظر الى فضيلة الحرية بعين الاحترام ان تسعى جهدها في تهذيب اخلاق الامة وتنوير عقولهم بالتعليمات الصحيحة»

واسهب بعد ذلك في تفصيل المشورة والمساواة ولا ندري ما يقول في المساواة بين الناس في حقوق الولاية هل يبقى على ما تقتضيهِ الحرية الشخصية من ان الناس احرار في ان يولوا عليهم من يشاؤون مهما كان دينه ومذهبه او يستثني فيها كما استثنى في الحرية الدينية حرية من ارتد بدعوتهِ الى الانابة والتوبة فان رجع والاَّ ضرب بالسيف على عنقهِ

اننا نعلم حرج الموقف الذي يقف فيهِ كل من يحاول التوفيق بين الاحكام السياسية وبين الاحكام الدينية ولهذا ننصح دائماً لكل المشتغلين في هذا الموضوع ان لا يهتموا بهذا التوفيق لانهم لا يفيدون الدين ولا يفيدون السياسة وقد يضرونهما كليهما. ولقد حاول كثيرون من الاوربيين التوفيق بين اقوال التوراة واحكامها وبين القواعد السياسية والحقائق العلمية ففسروا واوَّلوا وضيقوا ووسعوا وغيَّروا وبدَّلوا وقالوا اخيراً بترك الدين وحده والعلم وحده والسياسة وحدها الى ان تتفق كلها اتفاقاً صريحاً لا شبهة فيهِ لان الحق واحد لا يتنوَّع

«والمسامرة» من انفس ما رأيناه في موضوعها بالعربية وقد وصف صاحبها الحرية والاستعباد وصفاً شعرياً بديعاً قال واذا اضاءت على الامة شموس الحرية وضربت باشعتها في كل واد اتسعت آمالم وكبرت هممهم وتربت في نفوسهم ملكة الاقتدار على الاعمال الجليلة ومن لوازمها اتساع دائرة المعارف بينهم فتتفتق القرائح فهماً وترتوي العقول علماً وتأخذ الانظار فسحة ترمي فيها الى غايات بعيدة فتصير دوائر الحكومة مشحونة برجال يعرفون وجوه مصالحها الحقيقية ولا ينحرفون عن طرق سياستها العادلة

والحرية تؤسس في النفوس مبادئ العزة والشهامة فاذا نظمت الحكومة منهم جيشاً استماتوا تحت رايتها مدافعة ولا يرون القتل سبة اذا ما رآه الناكسو رؤوسهم تحت راية الاستبداد

ثم ان الحرية تعلم اللسان بياناً وتمد اليراعة بالبراعة فتزدحم الناس على طريق الادب الرفيع وتثور المجامع بفنون الفصاحة وآيات البلاغة هذا خطيب يدعو الى سبيل ربهِ بالحكمة والموعظة الحسنة وذلك شاعر يستعين بأفكاره الخيالية في نصرة الحقيقة ويحرك العواطف ويستنهض الهمم لنشر الفضيلة وآخر كاتب وعلى صناعة الكتابة مدار سياسة الدولة

ولم تكن ينابيع الشعر في عهد الخلفاء الراشدين فاغرة افواهها بفن المديح والاطراء وانما ترشح بهِ رشحاً وتمسح بهِ مسحاً لا يضهد من فضيلة الحرية فتيلاً وما انفلت وكاؤها وتدفقت بالمدائح المتغالية الا في الاعصر العريقة في الاستبداد

ولما وقر في صدر عمر بن عبد العزيز من تنظيم امر الخلافة على هيأتهِ الاولى لم يواجه الشعراء بجفاوة وترحاب وقال ما لي وللشعراء وقال مرة اني عن الشعر لفي شغل · انتجعهُ جرير بابيات فأذن لهُ بانشادها وقال لهُ اتق الله ياجرير ولا تقل الاَّ حقًّا وعندما استوفاها واصلهُ بشيء من حر مالهِ فخرج جرير وهو يقول خرجت من عند امير يعطي الفقراء ويمنع الشعراء واني عنهُ لراضٍ ثم انشد يقول

رأيت رقى الشيطان لا تستفزهُ وقد كان شيطاني من الجن راقيا

ومن مآثر الاستبداد ما نجشأ بهِ اللها وتسيل بهِ الاقلام من صديد الكلمات التي يفتضح لك من طلاوتها انها صدرت من دواخل قلب استشعر ذلة وتدثر صغاراً نحو (مقبل اعتابكم) (المتشرف بخدمتكم) (عبد نعمتكم) ولا اخال احداً يصغي الى قول احد كبراء الشعراء

وما انا الاَّ عبد نعمتك التي نسبت اليها دون اهلي ومعشري

الا ويمثل في مرآة فكره شخصاً ضئيلاً يحمل في صدرهِ قلباً يوشك ان ينوء بما فيهِ من الطمع والمسكنة

ومن سوء عاقبة الخضوع في المقال ان يوسم الرجل بلقب وضيع ينحتهُ لهُ الناس من بعض اقوال لهُ افرغ فيها كثبة من التذلل وبذل الهمة كما سموا رجلاً باسم (عائد الكلب) لقولهِ

اني مرضت فلم يعدني واحد منكم ويمرض كلبكم فأعود

ولا نجهل ان بعض من سلك هذا المسلك من التملق والمديح اتخذهُ سلماً ليظفر بحق ثابت ولكنهُ لا ينافي الغرض الذي نرمي اليهِ من ان الحقوق في دولة الحرية تؤخذ بصفة الاستحقاق وفي دولة الاستبداد لا تطلب الاَّ بصفة الاستعطاف · انتهى بلفظهِ الرشيق ومعناهُ الانيق

ولقد احسن حضرة منشىء هذه الرسالة بطبعها ونشرها فهي حرية بان تقرأ وتحفظ ويسترشد بها

باب المسائل

(١) تسبيع الدائرة

الجاولي . زكي افندي ميخائيل المزبكي . نرجو ان تنشروا في مجلتكم الزاهرة مقالة مسهبة عن مسألة تسبيع الدائرة وما هو المعطى وما هو المطلوب

ج . لا نرى فائدة من نشر مقالة مسهبة في هذا الموضوع . ولا الموضوع يحتمل ذلك وغاية ما في الامر ان اقليدس ذكر في هندستهِ قواعد هندسية لقسمة الدائرة الى قسمين متساويين وثلاثة اقسام متساوية واربعة وخمسة وستة وخمسة عشر ومن حيث ان كل قوس تقسم الى قسمين متساويين فتقسم الدائرة ايضاً الى ٨ و١٠ و١٢ و١٥ و١٦ و٢٠ و٢٤ و٣٠ و٣٢ و٤٠ و٤٨ و٦٠ الخ . ووقف علماء الهندسة عند هذا الحد الى بداءة القرن التاسع عشر وحينئذٍ قام غوس الرياضي وبرهن انهُ يمكن رسم كل شكل قياسي في دائرة اذا كان عدد اضلاعهِ ٢^ن + ١ وكان هذا العدد اصم ولا يمكن رسم شكل قياسي عدد اضلاعهِ اصم اذا لم يكن عدد اضلاعهِ ٢^ن + ١ . فلا يمكن رسم المسبع في الدائرة ولا المتسع ولا ذو الثلاثة عشر ضلعاً اي لا يمكن قسمة الدائرة الى سبعة اقسام متساوية بالطرق الهندسية ولكن يمكن رسم ذي السبعة عشر ضلعاً لان ٢^٤+١=١٧ وهو عدد اصم وكذلك الشكل القياسي الذي فيهِ ٢٧٥ ضلعاً

وقد حاول الرياضيون قبل غوس وبعدهُ قسمة الدائرة الى سبعة اقسام متساوية او رسم مسبع فيها فلم يفلحوا ثم زادت رغبتهم في ذلك لما اوصى المسيو روليه الجمعية العلمية بباريس ان تمنح ربع تركتهِ التي تبلغ ١٢٥ الف فرنك لمن يحل هذه المسألة ولكن لم يوفق احد الى حلها وبقي المشتغلون بالهندسة يحاولونهُ الى يومنا هذا مع ان العالم غوس اثبت استحالة ذلك كما تقدَّم

وقد وردت علينا حلول كثيرة من هذا القبيل فكنا ننظر فيها من باب الفكاهة فلا نكاد نقرأ اسطراً قليلة منها حتى نرى محل الخطإِ فيها . ولكن ما لا يمكن عملهُ بالهندسة العادية يمكن عملهُ بطرق اخرى هندسية كالحركة الانزلاقية التي وصفها الفرد افندي بولاد في المجلد الخامس عشر من المقتطف لانها تحل المعادلات التي من الدرجة الثالثة والرابعة . وقد اعلنت الجمعية الفرنسوية منذ زمنٍ طويل انها ما عادت تنظر في حلول لهذه المسألة على ما تتذكر

(٢) اقدم خط حديدي

فراشه . شيخ العرب ابو هاشم علي قريط . ما هو اول خط حديدي انشئَ في العالم وما هو تاريخ انشائهِ

ج . في سكة الحديد امران مستقلان الاول وضع الخطوط الحديدية على الارض لتجري المركبات عليها بسهولة ويقل الفرك كما في سكك الحديد والتراموای . والثاني استخدام الآلة البخارية لجر المركبات بدل الناس والحيوانات . اما الامر الاول اي وضع الخطوط الحديدية على الارض لتجري المركبات عليها بسهولة ويقل الفرك فيقال انهُ اول ما فُعل في هويتهافن ببلاد الانكليز وذلك سنة ١٧٣٨ وكان الناس يضعون الواح الخشب على الطرق قبل ذلك لتقليل فرك العجل فوضع الحديد حينئذٍ بدلاً منها . الامر الثاني اي استعمال البخار لجر المركبات ويقال ان اول من فعل ذلك نقولا جوزف كينو الفرنسوي فانهُ صنع مركبة بخارية سنة ١٧٦٩ في دار الصنعة الفرنسوية على نفقة كونت ساكس وكان لها ثلاث عجلات وفيها آلة بخارية تدير العجل المتقدم . ثم اصلح جمس وط الانكليزي الآلة البخارية فاستخدمها رتشرد ترفثك في مركبة بخارية سنة ١٨٠٨ . وسنة ١٨١٣ اخذ وليم هدلي امتيازاً بمركبة متقنة تسير بالبخار وهي اصل كل القاطرات المستعملة الآن في الدنيا ولم تزل محفوظة في دار الامتيازات الصناعية ببلاد الانكليز بعد ان عملت عملاً مستمرًّا في جر مركبات الفحم الحجري من سنة ١٨١٣ الى سنة ١٨٧٢

وكانت الصعوبة الكبرى حينئذٍ في جعل قوة البخار منتظمة فتمكن جورج ستفنصن من ذلك سنة ١٨١٥ بعد تجارب كثيرة وحسَّن في الآلة البخارية تحسينات أخرى ضرورية وصنع قاطرة استعملت لنقل البضائع والناس في ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٥ وكان ثقلها ٩ طنات وسرعتها ١٦ ميلاً في الساعة . ثم انشئَ الخط بين لفربول ومنشستر وعينت الشركة التي انشأتهُ ٥٠٠ جنيه جائزة لاحسن قاطرة تجري عليهِ فنالت قاطرة اخرى لستفنصن هذه الجائزة لانها جرَّت مركبة فيها ٣٠ شخصاً بسرعة ٣٠ ميلاً في الساعة وكان ذلك في اكتوبر سنة ١٨٢٩ . ومن ثمَّ الى الآن قد نمت القاطرات كما تنمو الشجرة الكبيرة من النبتة الصغيرة ولكن الاجزاء الجوهرية لم تتغير تغيراً جوهريًّا

(٣) السلطان مراد

مصر . مترجم . ما هو اسم السلطان Amurath بالعربية فقد فتشت كثيراً في القواميس وما عثرت على ترجمتهِ

ج . مراد

(٤) مرض المورفيا

كيشادا . (البرازيل) الخواجه ناصر لولو . ارجو الافادة عن مرض يسمونهُ هنا

Morphea ماذا يسمى بالعربية وكيف يتأتى في الانسان وهل لهُ دواء لان الاطباء عندنا يقولون ان ليس لهُ دواء

ج . لا اسم لهُ في العربية ولعلَّ اطباء العرب كانوا يسمونهُ الورم الصلب كما يظهر من وصف ابن سينا لهذا المرض . وهو حؤول فبريني في الجلد مع بعض التصلُّب وقد يصيب الوجه فيؤدي الى تشوُّه السحنة ويصيب في الغالب اصحاب فقر الدم وكثيراً ما يصيب الجذع والاطراف فيعيق حركاتها . والعلة مستعصية ولا بدَّ في علاجها من الصبر الطويل والمواظبة على الوسائط الشفائية فيجتنب كل نوع من المهيجات ويعتنى بنظافة الجلد عموماً . ويعتمد من الداخل على الحديد والكينا والزرنيخ وزيت السمك والانذار فيها بالشفاء غالباً (انتهى باختصار من باثولوجية الدكتور فان ديك)

(٥) اسم مصر

ومنهُ . لماذا يسمى القطر المصري مصر بالعربية و Egypte بالفرنسوية والانكليزية

ج . الاسمان قديمان وقد كان اسم مصر بلغة اهلها خم اي الارض السوداء واسمها بالعبرانية مصرايم مثنى مصر اي المصران يراد بهما مصر السفلى ومصر العليا اي الوجه البحري والوجه القبلي ويرجح ان معنى مصر بالعبرانية الحصن او الارض الحصينة . والاسم اجبتوس يوناني وقد ورد كذلك في هوميروس اسماً للنيل بالمذكر ولمصر بالمؤنث ولا يعلم اصلهُ تماماً فقد ظن الدكتور برغش انهُ من ها كه فتاح وهو اسم منف الديني وظن غيرهُ انهُ من اسم اجيبوس اي النسر . والظاهر ان الكلمة العربية هي نفس الكلمة العبرانية بعد ان افردها الاشوريون

(٦) ابن قلاقس

فاقوس . محمد افندي علي كامل الوالي . لمن هذا البيت الذي صدرهُ عقدوا الشعور معاقد التيجان وما هو عجزهُ

ج . لابن قلاقس الاسكندري وعجزهُ وتقلدوا بصوارم العرفان

وديوانهُ مطبوع بمطبعة الجوائب . وقد ذكر ابن خلكان ترجمتهُ وشيئاً من اشعارهِ

(٧) اولاد السوريين بامبركا

بيروك بأميركا . الخواجه ابراهيم عنبر . ان السوريين القاطنين في اميركا لا يعيش لهم اولاد مثل سائر المهاجرين فما سبب ذلك .

ج . لاندري كيف تحققتم ذلك فان تحقيقهُ صعب واذا ثبت فهو مما يجب الاهتمام بهِ ونخاف ان يكون سببهُ من الاباء اذا كان صحيحاً اي انهم لايعيشون عيشة العفة قبل تزوجهم فيصابون بمرض يضعف النسل او يتأخرون في التزوج الى ان يكتهلوا ويضعفوا وعسى ان لا يكون الامر كما تظنون

(٨) مدرسة الهندسة المالية

مصر . فهيم افندي عبد الملك . هل

الاصلح لحامل شهادة الدراسة الثانوية المصرية من القسم العلمي ويريد اتمام دروسهِ في مدرسة المهندسخانة ان يسافر الى انكلترا او يتمها في القطر المصري وبعد الحصول على الدبلوما يمضي سنة او اكثر في انكلترا وما هو مقدار مصاريف السنة الواحدة وما احسن كليات انكلترا لهذا الفن مع العلم بأن المطلوب هو تعلم هندسة الري

ج . ان ذلك يتوقف على مقدار النفقة التي يستطيعها الطالب فان النفقة لمن يتعلم في مدارس انكلترا لا تقل عن مئتي جنيه في السنة وقد تبلغ ٣٠٠ جنيه فاذا استطاع الطالب ان ينفق هذا المبلغ سنوياً وكان عارفاً باللغة الانكليزية معرفة كافية فمستقبل من يدرس في انكلترا مضمون اكثر من مستقبل من يدرس في مصر على ما يظهر واشهر المدارس لتعليم الهندسة المائية مدرسة كوبرس هل Cooper's Hill وكنجس كلدج King's College

(٩) المصطلحات الهندسية

ومنهُ اذكروا لنا اسم كتاب حساب لاهم المصطلحات الهندسية

ج . نرى ان مذكرة الجيب الهندسية تأليف ابرهيم افندي زكي المهندس حاوية كل شيء من هذا القبيل وهي مطبوعة في المطبعة الاميرية سنة ١٩٠٢

(١٠) فائدة الزحلقة

ومنهُ انشئ في جبهة الجزيرة محل للزحلقة Skating فهل لعبهُ مفيد

ج . فيهِ فائدة من حيث التسلية وتدريب الجزء من الدماغ الذي يحكم حركات توازن الجسم وهاتان الفائدتان لا يستخف بهما

(١١) كتب روسو وفولتر

مونتيريا بكندا . الخواجه جرجس حنا جرجور . ما هي الكتب المترجمة الى العربية من مؤَلفات جان جاك روسو وفولتر واين تباع

ج . لا نعلم انهُ ترجم منها شيء الى العربية غير تاريخ كارلس الثاني عشر لفولتر الذي ترجمهُ رفاعه بك وطبع في بولاق سنة ١٢٥٧ باسم مطالع شموس السير في وقائع كارلوس الثاني عشر

(١٢) كتاب عيون الانباء

نوفوهرزنتي بالبرازيل الخواجه خليل اسطفان . اين طبع كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء واين يباع

ج . طبع هذا الكتاب في المانيا اولاً ثم طبع في القاهرة فيباع فيهما ويطلب من كل باعة الكتب

(١٣) طول الميل البحري

ومنهُ كم متراً في الميل البحري

ج ٦٠٨٠ قدماً انكليزية او نحو ١٨٥٠ متراً

(١٤) الولد السباعي

ومنهُ . يقال ان الطفل قد يولد بعد الحبل

بسبعة اشهر و يعيش و يقولون هذا الولد سباعي اي حبل بهِ سبعة اشهر فقط فهل ذلك صحيح

ج · قد يعيش الطفل اذا ولد في الشهر السابع واعتني بهِ تمام الاعتناء

(١٥) الوحام والاجنة

ومنهُ · اصحيح ما يقال من ان الحامل اذا لم تحصل على ما تشتهيهِ اضرَّ ذلك بجنينها

ج · ان حدث ضرر من ذلك فيكون من ان الحرمان يغيظها فيؤثر فيها تأثيراً عقلياً مضرًّا وكل ما يؤثر في الحامل قد يصل تأثيرهُ الى جنينها

(١٦) رياضة الحامل

ومنهُ · ما افضل رياضة للحامل

ج · المشي على شرط ان لا تتعب منهُ ولا بدَّ في ان يكون في مكان نقي الهواء · ويحسن بها ان لا تنقطع عن اعمالها البيتية كلها ولا عما اعتادتهُ من الاعمال والرياضة الأ في اواخر مدة الحمل

(١٧) نقود الامويين

حصن الأكراد · الخواجا اسكندر جبور عثرت في قرية قربعلي من قضاء حصن الأكراد على قطعة نقود ذهبية قديمة مكتوب على احد جانبيها باحرف كوفية « لا اله الا الله وحدهُ لا شريك لهُ » وعلى جانبها الاخر « الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد » اما الكتابة على حافاتها فلم اتمكن من قراءتها فارجو ان تفيدوني ما هي هذه النقود وعلى عهد اية دولة في الاسلام كانت متداولة

ج · نرجح ان الكتابة على دائر الوجه الواحد هي « محمد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كلهِ » · وعلى دائر الوجه الآخر « بسم الله ضرب هذا الدينر في سنة » فاذا قرأتم السنة عرف منها اسم الخليفة الذي ضرب في عهدهِ ونرجح انهُ من زمن الخلفاء الامويين ومن المحتمل انهُ من زمن الخليفة عبد الملك بن مروان وهو اول من ضرب السكة في الاسلام · وانهُ ضرب بين سنة ٧٧ و٨٦ ولو ارسلتم لنا صورتهُ بالحبر او بالشمع او بالفرك بقلم الرصاص لسهل علينا قراءة ما هو مكتوب عليهِ

(١٨) اهم المسائل

بغداد ما هي اهم المسائل العصرية التي لم يتفق العلماء عليها حتى الآن

ج · يظهر لنا ان اهم المسائل مسألة الخلود · اي ان الجزء العاقل من الانسان يبقى خالداً بعد الموت ويبقى فيهِ ادراكهُ فتكون نفس الانسان متصلة من حين تكونهِ الى ما لا نهاية لهُ · ثم ان كانت متصلة في المستقبل فهل كانت متصلة في الماضي وكيف ذلك ونحن لا نشعر اننا كنا موجودين قبل ولادتنا

(١٩) مستقبل الصين

ومنهُ ما رأيكم في مستقبل الصين هل

يحتمل ان يقتدي الصينيون باليابانيين ويصيروا مثلهم

ج · نعم ذلك محتمل ولكنهُ غير مرجح ما دامت الصين محرومة من ملك مثل امبراطور اليابان يلتفُّ رجالهُ حولهُ ويكرمونهُ اكراماً يقرب من العبادة وهو متفانٍ في ترقية بلادهِ ومدرك اسباب الترقية الحقيقية

(٣٠) ابطال الحرب

ومنهُ · ان الدول تتقارب بعضها من بعض بالمعاهدات السلمية والتجارية فهل ممكن انهم يتفقون كلهم سوية ويبطلون الحرب

ج · يسعى كثيرون في هذا السبيل الآن ومنهم كارنجي الغني الاميركي المشهور وهو ساعٍ الآن في عقد مؤتمر يبلاد الانكليز لمنع الحروب البحرية كما هي ممنوعة بين كندا واميركا في البحيرات الفاصلة بينهما · ولكن ما دامت المعامل التي تبني البوارج وتسبك المدافع وتصنع البنادق موجودة واصحابها يكتسبون من هذه المصنوعات وما دام المكتسبون من الحروب والاستعداد لها كثاراً وهم ذوو حول وطول فاذا لم توجد اسبابها اوجدوها هم · ومن المحتمل ان تبطل الحروب الفعلية بين دول اوربا ولكن الاستعداد لها يبقى على ساق وقدم ونفقاتهُ كثيرة كنفقاتها ولا يبطل الأ بعد ازمان طويلة او يحدث انقلاب عظيم في المسكونة

(٣١) ارتقاء الانسان

ومنهُ · هل ارتقاء الانسان في قوى عقلهِ عمومي وتابع للنشوء والارتقاء او هو خاص ببعض الافراد من الفلاسفة كما حدث في زمن اليونان واذا كان عمومياً فباي نسبة حدث جيلاً بعد جيل

ج · لما كان الانسان متروكاً للنشوء الطبيعي كان ضعافهُ يموتون او يقتلون قبل ان يخلفوا نسلاً فكانت سنة الطبيعة جارية فيهم وهي بقاء الاصلح او الانسب جسداً وعقلاً او جسداً فقط او عقلاً فقط ولذلك نبغ منهم كثيرون من كبار العقول وكان جمهورهم في درجة معتدلة من القوة الجسدية والعقلية ولكن لما كثر الاعتناء بالضعاف والسقماء فعاشوا وامتزج نسلهم بنسل الاقوياء ضعف الانتخاب الطبيعي ولم يظهر الارتقاء في جمهور الناس كما ظهر في علومهم وفنونهم وصنائعهم لان ارتقاء العلوم والفنون والصناعات خاضع لارادة الانسان واما ارتقاء النسل فلم يعد طبيعياً كما كان قبلاً مبنياً على الانتخاب الطبيعي والجنسي ولا صار صناعياً كتأصيل المواشي · فالعالم الكبير قلما يتزوج ويخلف نسلاً وقد يتزوج امرأة ليست من كبار العقول فلا يورث مزاياهُ لاولادهِ · ولولا كثرة المعارف وشيوعها بانتشار الكتب والجرائد والتعليم العمومي لصارت قوى العقل اضعف مما كانت قبلاً

(٣٢) مرض الحصاة

المنيا . ابو الليل افندي راشد . لي غلام يبلغ من العمر ست سنوات ومن مدة سنتين أُصيب بمرض الحصاة وبعد عرضهِ على كثيرين من الاطباء اقروا بضرورة عمل عملية جراحية لهُ فاجريت العملية واستخرجوا حصاة وزنها ثلاثة دراهم ومن ذلك الوقت الى الآن وصحة ولدي متأخرة وحالة نمو جسمهِ لم تتغير اي لا يزال نحيفاً مع انهُ قبل مرضهِ بالحصاة كان بعكس ذلك واراهُ دائماً يقطر منهُ البول بدون ارادتهِ وكأني بهِ يتذكر مرضهُ الاصلي فيرتعش فهل من دواء يشفيهِ ويعيد صحتهُ الاصلية اليهِ

ج . يظهر ان العملية اصابت العضلة المعروفة بعاصرة مجرى البول . ولا بد من فحص البول والمثانة وعرض الولد على طبيب خبير فيعالجهُ العلاج المناسب لشفائهِ

(٣٣) ضعف النظر

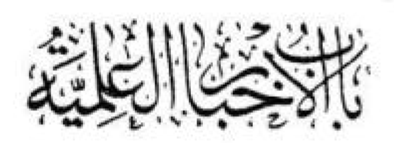
الاسكندرية . جميل ... ولدت ضعيف النظر ولي اخت مثلي من هذا القبيل مع ان والدينا صحيحا الجسم والنظر ونظرهما جيد جدًّا حتى الآن وكذلك نظر سائر اخوتي وقد رآني مشاهير اطباء العيون فقالوا ان عينيَّ سليمتان ولكن لا بدَّ لي من استعمال النظارات (العوينات) واعطوني نمرة ٥ مكبرة ويندر من يستعملها غير الشيوخ . فما هو سبب ولادتي هكذا أَوَ ليس من سبيل لارى مثل سائر الناس

ج . يظهر انكم ولدتم وقطر عينيكم من الامام الى الوراء اقصر مما يكون عادةً وكذلك تحدُّب البلورية قليل فتقع صورة الشيء خلف الشبكية فتحتاجون الى زجاجة كثيرة التحدُّب تصلح هذا الخلل الطبيعي . اما حدوث الخلل او الخروج عن المألوف فلا يعرف سببهُ تماماً ولكنهُ مثل غيرهِ من الشواذ ككبر الانف وصغر الاذن واتساع الفم وما اشبه يحدث في الجنين لاسباب طبيعية او وراثية . ولا بدَّ لكم من استعمال النظارات

(٣٤) تعلم الانكليزية

كفر المبروك . عبد الحي افندي سليم . هل يوجد كتاب انكليزي وعربي نستطيع ان نتعلم منهُ اللغة الانكليزية بغير معلم وما اسمهُ

ج . اذا اردتم بتعلم اللغة الانكليزية ان تصيروا قادرين على فهم كتبها فقط سواء عرفتم لفظها او لم تعرفوا ولم تقصدوا التكلم بها فكل كتاب مترجم بالعربية والانكليزية كالتوراة والانجيل والقرآن يفي بهذا الغرض ولكنهم تتعلمونها كما تعلم علماء الآثار اللغة الاشورية واللغة المصرية القديمة . واذا اردتم ان تتعلموا كيف تلفظونها وتتكلمونها فلا كتاب يغني عن المعلم وعن مشافهة الذين يتكلمون اللغة



تذكار دارون

مرَّ مئة عام على ولادة دارون وخمسون عاماً على نشرهِ كتابهُ الاول المعنون باصل الانواع وقد احتفل العلماء بذلك في مدرسة كمبردج الجامعة احتفالاً عظيماً جداً حضرهُ جمهور كبير منهم من كل اقطار المسكونة . ابتدأ الاحتفال في ٢٢ يونيو باستقبال لورد ريلي للمحتفلين وقدمت في اليوم الثاني الخطب من نواب المدارس الجامعة والمدارس الكلية وسائر دور العلم والاندية والمجامع العلمية . ثم زار الحضور مدارس كمبردج المختلفة التي تتألف منها جامعتها وأُولمت لهم الولائم ووزعت رتبة دكتور في العلوم على الذين امتازوا منهم بخدمة العلم مثل البرنس رولان بونابرت وهو من اعضاء الاكادمية الفرنسوية والاستاذ ادورد فان بندن استاذ علم الحيوان في ليج والاستاذ جهيارت هوفرات بتشلي استاذ علم الحيوان والبلينتولوجيا في هيدلبرج والاستاذ روبرشودا استاذ علم النبات في جنيفا والاستاذ كارل غوبل استاذ علم النبات في مونخ والاستاذ هيغو دو فريس استاذ علم النبات في امستردام . وغيرهم من مشاهير العلماء . وعرض كل مايتعلق بدارون واسلافهِ وكل صورهِ من حين كان عمرهُ اربع سنوات الى حين وفاتهِ وعرضت كتبهُ كلها والمتحجرات والامثلة العلمية التي جمعها

وقد كان عدد النواب الذين حضروا كثيراً جداً نخصر عن مدارس الولايات المتحدة وجمعياتها العلمية ٢٨ من كبار العلماء وعن مدارس المانيا وجمعياتها العلمية ٢٩ وعن مدارس فرنسا وجمعياتها العلمية ١٥ وقس على ذلك سائر البلدان . وقد ناب المستر كيتنج عن مدرسة قصر العيني الطبية في مصر

فعلى بال من كان يخطر منذ اربعين سنة ان يحتفل الناس بدارون هذا الاحتفال بعد ان قام جمهورهم عليهِ واتهموهُ بالكفر واشركوا معهُ كل القائلين بقولهِ حتى المدارس الكبرى طردت الاساتذة الذين مالوا الى تصديق اقوالهِ . لاشبهة ان الحق يعلو ولا يعلى عليهِ وان الغلبة لهُ اخيراً

اقدم بقايا الانسان

ان عظام الانسان التي كشفت وعرفت مواقعها وجدت في احدث الطبقات من الدور الثلاثي من الادوار الجيولوجية ولكن وجد

على مقربة من هيدلبرج بالمانيا في اواخر سنة ١٩٠٧ عظام فكي انسان فوقها ٢٤ متراً من طبقات الارض · ويظهر من بقايا الحيوانات في الطبقة التي وجد فيها هذان الفكان انها قديمة جدًّا كما تقدَّم وقد تكون اقدم من اوائل احدث الطبقات من الدور الثلاثي فقد وجدت فيها آثار الكركدن وآثار الفيل القديم · والاسنان في الفكين طبيعية ولا شبهه في انها اسنان انسان ولكن ليس في الفك الاسفل بروز للذقن وهو غليظ غلظاً غير عادي والحيان عريضان جدًّا والنتو الأكليلي واطئٌ جدًّا والعظم الذي تحت الذقن كبير غليظ حتى يظهر بهِ الفك الاسفل كحرف الراء العربية · وعرض الجزء الصاعد من كل لحي من اللحيين ستة سنتمترات فذلك وامور اخرى في هذه العظام تدل على ان صاحبها اوطأ في سلم البشرية من اهالي استراليا الحاليين

وقد كشف هيكل انسان آخر في كهف له موستيه تحت طبقات كثيرة من الارض يقدر لرسوبها اربع مئة الف سنة · والظاهر انهُ عظام شاب في نحو الثامنة عشرة من عمرهِ فكاهُ يشبهان فكي القرد واسنانهُ كبيرة متينة ومغرز انفهِ في وجههِ عميق جدًّا يدلُّ على انهُ كان شديد الفطس

هبة علمية كبيرة النفع

ذكرنا غير مرة ان المستر كارنجي الغني الشهير وهب مليوني جنيه سنة ١٩٠٥ ليمنح ريعها معاشات لاساتذة المدارس الجامعة والكلية في الولايات المتحدة وكندا ولكنهُ اخرج المدارس الاميرية في البلاد الاميركية ثم زاد هبتهُ هذه مليون جنيه اخرى في العام الماضي لكي يشترك اساتذة مدارس الحكومة مع غيرهم من الاساتذة في الانتفاع بالهبة · ويظهر من تقرير اللجنة التي فوّض اليها انفاق ريع هذه الهبة ان الاستاذ الذي راتبهُ في المدرسة ١٢٠٠ ريال او اقل يعطي معاشاً ١٠٠٠ ريال في السنة · والذي راتبهُ اكثر من ١٢٠٠ ريال يعطى الف ريال وخمسين ريالاً عن كل مئة ريال فوق الالف والمئتين · ولكن لا يزيد المعاش على ٢٤٠٠ ريال في السنة · وقد اعطي المعاش حتى الآن الى ١٨٢ استاذاً ومتوسط معاش كلٍّ منهم نحو ١٥٠٠ ريال في السنة واذا مات الاستاذ اعطي نصف معاشهِ لارملتهِ

هبة مثل هذه تريح بال العلماء وتجعلهم ينقطعون لخدمة العلم من غير ان يهتموا بطلب المال لانهم يعلمون انهُ يعتنى بهم الى حين مماتهم ويعتنى بعيالهم من بعدهم

مذنب جديد

ورد تلغراف من مرصد كيل انهُ اكتشف فيهِ مذنب جديد من القدر الحادي عشر وذلك في ١٥ يونيو الماضي · وكان حين

اكتشافه في كوكبة المثلث سائراً نحو المرأة المسلسلة وفرساوس. ومن الغريب ان المذنب الذي اكتشف سنة ١٩٠٧ كان اكتشافهُ في ١٤ يونيو ثم قرب حتى صار يرى بالعين وقد يحذو مذنب هذا العام حذوهُ

الفحم في القطب الجنوبي

من اهم المكتشفات التي اكتشفت في جهات القطب الجنوبي حديثاً طبقات من الفحم الحجري سمكها كلها ١٥٠٠ قدم على الاقل وهي حيث العرض ٨٥ درجة اي على ٥ درجات فقط من القطب الجنوبي وبعض هذه الطبقات رقيق لا يزيد سمكهُ على قدم واحدة وبعضها سميك يبلغ سمكهُ سبع اقدام ووجدت آثار الجذور في الطين الذي وجد مع الفحم الحجري. وذلك دليل قاطع على ان تلك الاصقاع كانت حارة وكانت الاشجار تغطيها عصوراً متطاولة

مرض النوم

يظهر من بحث جمعية الطب الاستوائي انهُ مات بمرض النوم في اوغندا وحدها خمس مئة الف نفس. ولما عُرف كيف ينتشر هذا المرض قل فتكهُ فصار الآن عشر ما كان قبلاً. وقد انفق في لفربول وحدها على ارسال البعثات العلمية الى افريقية لهذه الغاية مئة الف جنيه

اصل الاقمار

قال الاستاذ سي الفلكي انهُ اثبت بالادلة القاطعة ان اقمار السيارات لم تنفصل عنها انفصالاً بل ان السيارات جذبتها اليها من الفضاء فدارت حولها وسنأتي على تفصيل بحثهِ في فرصة اخرى

مطر الهند

جاء في تقرير مرصد بمباي ببلاد الهند ان مقدار المطر الذي وقع فيها في العام الماضي بلغ ٥٣ عقدة و ٥٤ في المئة من العقدة اي انهُ اقل من متوسط الاربع والعشرين سنة من ١٨٧٣ — ١٨٩٦ بنحو ٢١ عقدة وستة اعشار العقدة

سبب خضرة النبات

اتضح للعلماء منذ زمن ان النباتات البحرية تتلون بالالوان المتممة للنور الذي يقع عليها واثبتوا ذلك بالامتحان وقد ابان الآن الاستاذ ستهل ان ذلك يجري في النباتات البرية ايضاً فانها يقع عليها النور الاحمر نور الفجر والشفق فيجعل لونها اخضر ويقع عليها النور المزرق من الانعكاس عن السماء فيضرب لونها الى الصفرة لان الاخضر متمم الاحمر والاصفر متمم الازرق. اي ان حويصلات النبات تمتص النور الذي يقع عليها فتظهر بلون النور المتمم لهُ. والظاهر ان هذه الحويصلات لا تمتص النور الساطع

الواقع عليها من الشمس مباشرة. الاَّ ان المسأَلة كثيرة التعقيد ولا يزال البحث دائراً فيها

الكيمياء والاجنة

ظهر بالامتحان ان المواد الكيماوية تؤَثر في اجنة بعض الحيوانات فتغير اعضاءها فاذا اذيبت املاح المغنيسيوم في ماء البحر فالاسماك التي تتولد فيهِ حينئذٍ يكون كثير منها بعين واحدة ويتغير فمها فيبرز كثيراً

جائزة ازورس

وهب انستتو فرنسا جائزة ازورس ومقدارها اربعة آلاف جنيه للسيو لوبس بلريو والمسيو غبريل فوازن لاجل ما فعلاهُ في ما يتعلق بركوب الهواء وهذه الجائزة تعطى كل ثلاث سنوات للذي فعل في تلك المدة اعظم فعل يأول الى ارتقاء الانسان

سكان القطر المصري

حُسب عدد سكان القطر المصري سنة ١٨٠٠ في عهد الحملة الفرنسوية ٢٤٦٠٢٠٠ نفس وحُسب سنة ١٨٢١ من قوائم الضرائب ٢٥٣٦٤٠٠ نفس وسنة ١٨٤٦ من احصاء البيوت ٤٤٧٦٤٤٠ نفساً. وأحصي عددهم سنة ١٨٨٢ فكان ٦٨٣١١٣١ وسنة ١٨٩٧ فكان ٩٧٣٤٤٠٥ وسنة ١٩٠٧ فكان ١١٢٨٧٣٥٩ وقد قدر عددهم في العام ١١٤٥٥٦٧٣ اي بزيادة ١٦٨٣١٤ عما كانوا سنة ١٩٠٧ سنة الاحصاء الاخير. وقد كانت الزيادة السنوية نحو ١٦٦ الفاً سنة ١٩٠٧

سرايات اسمعيل باشا

بلغ ما انفقه اسمعيل باشا على سراي الجيزه ١٣٩٣٣٩٤ جنيهاً وعلى سراي الجزيرة ٨٩٨٦٩١ جنيهاً وعلى سراي عابدين ٦٦٥٥٧٠ وعلى سراي الاسمعيلية ٢٠١٢٨٦ وعلى سائر السرايات التي بناها ٢٣٣١٦٧٩ جنيهاً والجملة نحو خمسة ملايين ونصف من الجنيهات وبلغ ما انفقهُ على ردم حديقة الجيزة وحدها ٢٧٠٠٠٠ جنيه ومع ذلك باعت الحكومة تلك السراي واكثر حديقتها بثمن بخس لا يبلغ ما انفق على ردم الحديقة

مواشي ايطاليا

احصيت المواشي التي في ايطاليا في العام الماضي فوجدت كما يأتي

الخيل	٩٥٥٠٥١
البغال	٣٨٨٣٦١
الحمير	٨٤٨٩٨٨
البقر	٦١٩٠٩٩٠
الجواميس	٠٠١٩٣٦٢
الغنم	١١١٦٠٤٢٠
المعزى	٠٢٧١٤٥١٣
الخنازير	٢٥٠٣٧٣٣

ماسة هوب الزرقاء

انبأنا البرق ان ثماني ماسات بيعت في ٢٤ يونيو الماضي بمبلغ ٤٠٣٢٤ جنيهاً في اوتل دروو بباريس ومن جملتها ماسة هوب الزرقاء . ولم يهتم الناس بهذا الخبر لخفاء امر هذه الحجارة الكريمة ولا سيما ماسة هوب عن الجمهور . ولما كانت اخبار هذه الماسة من اغرب الاخبار تشبه اساطير الاولين وخرافات الاقدمين رأينا ان نلخصها في هذه العجالة فنقول نقلاً عما جاء عنها في جريدة التيمس

صاحب تلك الماسات الثماني في باريس محل الخواجا حبيب الجوهري السوري الطائر الصيت في مشارق الارض ومغاربها الذي كان يشتري الجواهر للسلطان عبد الحميد وهو الذي باعها وكان من جملتها عدا ماسة هوب الزرقاء ماسة وردية اللون مشهورة باسم مي ريجان وماسة اخرى اسمها البرنسس ماتيلد . اما ماسة هوب فوزنها ½ ٤٤ قيراط وقد ثمنت بخمسة وعشرين الف جنيه ولكن لم يدفع فيها غير ١٦ الف جنيه

ويروى عن هذه الماسة انها كانت من جواهر ملوك فرنسا يتوارثونها خلفاً عن سلف ثم اخذت منهم في اغسطس سنة ١٧٩٢ ووضعت في المحل المعروف بمستودع الاثاث فسرقت من هناك في الشهر التالي من تلك السنة فاذا صحت هذه الرواية ولم يرو ان احداً كذبها فهذه الماسة كانت في الاصل ماسة جميلة مثلثة الشكل زنتها ⅜ ٦٧ قيراط ثم قطع بعضها منها وبقيت هذه الماسة بشكلها الحالي

وقد اقترن تاريخ اقتناء هذه الماسة باخبار الشؤم من اوله الى آخره فكل اخبارها قتل وانتحار وجنون وافلاس ومصائب لا توصف . قيل ان اول من اقتناها من الاوربيين رجل اسمه جان بابتست تفرنيه الذي ولد في باريس سنة ١٦٠٥ ومات في موسكو سنة ١٦٨٦ واكتسب اموالاً طائلة من تجارة الماس والف كتاباً في رحلاته الى تركيا وايران والهند فلما رجع من الشرق الى فرنسا باع الملك لويس الرابع عشر ٢٥ ماسة كبيرة ومنها ماسة هوب هذه . لكن ابنه جرَّ عليه المصائب فانه هوَّره في المضاربة حتى اضطر ان يبيع كل مقتنياته ليوفي ديونه وبات فقيراً في الحادية والثمانين من عمره فزينت له النفس العودة الى الشرق فسافر ولكنه أُصيب بالحمى ومات في الطريق فكانت هذه اول مصيبة سطرت في تاريخ هذه الماسة

فطلبت مدام دومونتسبان من لويس الرابع عشر ان يسمح لها بالتحلي بهذه الماسة وكان لا يرد لها طلباً لشدة شغفه بحبها فما تزينت بها حتى حدثت حادثة ذهبت بحبها من قلبه وازالت صولتها عن فؤاده فتركها وهام بمدام منتنون بدلاً منها . ثم ان نقولا فوكي الذي كان مراقب مالية فرنسا استعار هذه الماسة

من الملك لويس الرابع عشر ليعرضها في وليمة من الولائم الفاخرة والحفلات الباهرة التي كان يولمها وابقاها عندهُ مدة فحسدهُ الملك على تلك الولائم وغار مما كان يظهر من البذخ والترف فنقم عليهِ وسجنهُ وعاش ما بقي من عمرهِ ذليلاً حتى توفي بالسكتة سنة ١٦٨٠ . وظلت هذه الماسة سنين كثيرة بين جواهر ملوك فرنسا حتى صارت ماري انطوانت ملكة فرنسا وسمعت بحسن هذه الماسة وجمالها فطلبت من الملك لويس السادس عشر ان تتحلى بها فعلقتها على عنقها في حفلة رقص بالتويلروي وكانت صديقتها ومستودع اسرارها البرنسس لمبال تستعير الماسة منها وتتحلى بها احياناً فكانت آخرة الملكة ماري انطوانت انها ماتت بضرب عنقها وآخرة صديقتها ان غوغاء باريس ضربتها حتى قتلتها

ثم اختفى خبر هذه الماسة ٤٠ سنة ويقال ان جوهرياً من اهل امستردام طلب منه قطعها فسرقها ابنهُ منهُ . فخرب بيتهُ بسبب ذلك وانتحر ابنهُ . ويقال ان الابن اعطاها لرجل فرنسوي من مرسيليا فحفظها حتى جاء بها اخيراً الى لندن وهو على آخر رمق من الفقر والمرض وباعها لرجل انكليزي ثم مات في اليوم التالي من شدة الجوع . وباعها الانكليزي لانكليزي آخر اسمهُ هوب سنة ١٨٣٠ بمبلغ ١٨٠٠٠ جنيه فسميت باسمهِ وقدرت قيمتها بمبلغ ٣٠٠٠٠ جنيه لجمال شكلها وتمام صفائها وبديع جوهرها

وكان هوب يعيرها للمعارض الكبيرة ولم يصب بمكروه بسببها وظلت في عائلتهِ حتى ورثها اللورد فرنسيس هوب وتزوج الممثلة يوهي فكدرت صفاء عيشهِ حتى طلقها سنة ١٩٠٢ وباع الماسة لجوهري من لندن وهذا باعها لجوهري اميركي اسمهُ فرانكل فلم يستطع ان يجد من يشتريها منهُ فاشتد بهِ العسر ووقع في مشاكل مالية

وفي السنة الماضية بيعت لسمسار فرنسوي بمبلغ ٣٠٠ الف فرنك على ما قيل وهذا باعها للبرنس كانيتوفسكي الروسي فاعارها الممثلة البارعة الجمال لورن لادو فلبستها وهي تمثل في مرسح فولي برجير ثم اطلق الرصاص عليها من لوجهِ ليلة لبسها لها فقتلها واثبت ان الماسة لهُ واخذها وبعد ذلك بيومين طعنهُ بعض رجال الثورة فقتلهُ والسمسار الفرنسوي اصيب بالجنون ثم انتحر بعد ذلك بايام قليلة . ويقال ان جوهرياً يونانياً اقتنى الماسة بعدئذٍ فلم يمضِ الاَّ القليل حتى وقع هو وزوجتهُ وولدهُ عن صخر شاهق وقتل

ويروى الآن انهُ قبلما مات باع الماسة للسلطان عبد الحميد قبل خلعهِ لانهُ مغرم بالجواهر كما هو معلوم فاعطاها لابي صابر ليجلوها وانتهى الامر بابي صابر ان الفلق وضعت في رجليهِ وضرب ضرباً مبرحاً وزج في السجن ولم يخرج منهُ الا بعد خلع عبد الحميد

وحارس المحل الذي كانت الماسة موضوعة فيهِ وجد مخنوقاً امام الباب وكلوب بك الخصي الذي كان موكلاً بها التقت بهِ الغوغاء في شوارع الاستانة بعد الثورة فقضت عليهِ . وكانت سلمى زبيدة التي فتنت عبد الحميد بجمالها لابسة تلك الماسة على صدرها حين اشتدت غيرتهُ عليها خوفاً من ان تقع في حوزة غيرهِ فاطلق مسدسهُ عليها برصاصة اصابت صدرها قرب الماسة قبل ان يدخل رجال تركيا الفتاة قصر يلديز كما شاع وذاع ونشر في حينهِ

هذا ما روي من اخبار الشوم عن هذه الماسة ذكرناها وتركنا العهدة على رواتها اذ ما فيها من غرائب الصدف ونوادر الاتفاق يترك الانسان في ريب من صحة كثير منها

والماسة زرقاء اللون مستطيلة قليلاً قطرها الاطول ٢٦ مليمتراً والاقصر ٢٤ مليمتراً وقد ورد ذكرها في المقتطف مراراً

خمر ايطاليا

تقدَّر الخمور التي عصرت في ايطاليا في العام الماضي بنحو ٤٧ مليوناً و٨٦٨ الف هكتولتر وكانت سنة ١٩٠٧ نحو ٥٦ مليوناً و٦٢٦ الف هكتولتر والمتوسط السنوي بين سنة ١٩٠١ و ١٩٠٥ نحو ٣٨ مليون هكتولتر فزادت في العام الماضي عن المتوسط نحو تسعة ملايين هكتولتر ونقصت عن سنة ١٩٠٧ تسعة ملايين هكتولتر

وداع الدكتور اليوت سميث

احتفل الاساتذة الوطنيون في مدرسة قصر العيني الطبية وخريجوها وتلامذتها بوداع الاستاذ الدكتور اليوت سميث استاذ علم التشريح فيها وذلك في ١٥ يونيو فزينوا مدخل المدرسة وحديقتها بالانوار الكهربائية ومدوا فيها موائد الطعام الخفيف كالشاي والزبدة والكعك وكانوا قد دعوا الاساتذة الاوربيين ونساءهم وبعض الاصدقاء واصحاب المجلات فانتظموا حول الموائد والدكتور اليوت سمث في صدر المائدة الكبرى والى يمينهِ حضرة الدكتور طلعت بك مندوب سعادة ناظر المعارف . ثم وقف حضرة الدكتور ولسن استاذ علم الفسيولوجيا وافتتح الاحتفال بخطبة وجيزة نيابة عن جناب ناظر المدرسة الدكتور كيتنغ الذي اضطر ان يسافر الى بلاد الانكليز لحضور الاحتفال بعيد داروِن وقال ان الدكتور كيتنغ اسف جداً لانهُ لم يتمكن من الحضور في هذا الاحتفال ولكن المهمة التي ذهب فيها بالنيابة عن المدرسة الطبية وعن القطر المصري عملية كمشاركة حضرات الاساتذة والتلامذة في وداع استاذهم الفاضل . وتأسف لان سعادة ناظر المعارف وجناب مستشارها لم يتمكنا من حضور هذا الاحتفال مع انهما كانا يودان ذلك وقد انابا عنهما حضرة الدكتور طلعت

بك ولو تمكن سعادة ناظر المعارف من الحضور لرأى ماسرهُ من مظاهر الالفة والوئام بين الاساتذة والتلامذة في هذا المعهد العلمي الشهير

وتلاهُ حضرة الدكتور محجوب ثابت فتكلم بالانكليزية والعربية وذكر مزايا الدكتور اليوت سمث وفواضلهُ وطلب من الحضور ان يشربوا نخبهُ · وتناوب الخطباء بعد ذلك وهم الدكتور ابرهيم فهمي مساعد الدكتور اليوت سمث والدكتور ماهر من اقدم تلامذتهِ · واحمد افندي شفيق ومحمد افندي شافعي وهما من طلبة السنة الرابعة وعبد الحي افندي ·وقد تكلموا كلهم بالانكليزية الأ عبد الحي افندي فانهُ تكلم بالعربية · وقد اطنبوا كلهم بذكر ما للدكتور سمث من الايادي البيضاء عليهم وكيف انهُ رقى علم التشريح بمباحثهِ المبتكرة وكان مثالاً للتلامذة في علو الهمة ومحبة العلم كما انهُ كان مثالاً لهم ولسائر الاساتذة في الدعة ولين الجانب حتى تعلقت بهِ قلوب تلامذتهِ وحفظوا لهُ احسن ذكرى في قلوبهم وفي ادمغتهم ايضاً وان احتفالهم هذا بهِ انما هو من جملة الادلة على ان ابناء وادي النيل يقدرون فضل الفضلاء و يقومون بالشكر الواجب لمن يتفضل عليهم واسفوا جداً لان الاحوال قضت عليهم بان يفقدوا استاذاً فاضلاً مثلهُ ولكن اختيارهُ لمدرسة اكبر من مدرستهم لعلمهِ الغزير وشهرتهِ الواسعة يجعلهم يمزجون اسفهم لفراقهِ بسرورهم بارتقائهِ

وكانوا قد كتبوا لهُ كتاب شكر ووداع بالعربية فوقف حضرة سالم افندي هنداوي وتلاهُ بصوت جهوري وهذه صورتهُ

شكر وذكر

الى الاستاذ الدكتور اليوت سميث

ايها الاستاذ العظيم

اقمت فينا زماناً عرفنا فيهِ غزارة علمك وعظيم فضلك واريتنا فيهِ من حذقك ونبوغك في فنك ماعلق قلوبنا وضاعف آمالنا فيك ولكن ابى الله الأ ان يحرم هذه المدرسة من ذلك العلم الجم الذي كان مورداً عذباً لطلاب الطب

فالآن يودعك ايها الاستاذ كما ترى اخوانك وتلاميذك من اهل مصر · يودعك طائفة من متربيها وقادة افكارها ليثبتوا للعالم ان هذه الامة لاتبخس احداً حقهُ ولاتنكر لاحد جميلاً وانها تشكر للمحسن احسانهُ وتمقت من المسيء اساءتهُ من غير ان يصرفها عن الحق عصبية ولا جنسية · يودعك ايها الاستاذ هؤلاء الذين يريدون ان يعيدوا بامثالك من الافاضل عهد ابقراط في هذه الديار حتى لايذكر اجنبي مصر الأ كما تذكرها صفحات التاريخ الصامتة تربة طيبة وجو جميل وحضارة فائقة وعلم جزيل

اننا نودعك ايها الاستاذ ونودع فيك علماً خدم فن التشريح بما كشف من خبايا اسراره اجل خدمة حتى اصبحت في عالم الطب

اماماً يهتدي بهديهِ ويقتدى برأيهِ

فتقبل ايها الاستاذ ذكرى من لا يفتأُون يذكرونك بفضلك وغزير علمك ومر على بركة الله تعالى في ارتحالك وحلك ولا تضن على هذا البلد العزيز بما توفق اليهِ في مستقبل حياتك العلمية من الاكتشافات النافعة والآراء الصائبة فان هذه المدرسة تنتظر ان تستفيد منك في بعدك ما استفادت في قربك تحقق ظنها بك وآمالها فيك ودم في وديعة الله وعنايتهِ . انتهى

وغني عن البيان ان هذا الكتاب من ادل الادلة على ما يشعر بهِ حضرات المحتفلين من الشكر لجناب المحتفل بهِ وعلى ما لهُ من الايادي البيضاء في خدمة العلم

ولم يكتف المحتفلون بالموائد والخطب بل اهدوا الى جناب المحتفل بهِ هدية مصرية نفيسة قنديلاً كبيراً محلى بالفضة ومنقوشاً نقشاً بديعاً مثل القناديل الكبيرة التي تعلق في الجوامع وصينية واثني عشر ظرفاً وفنجاناً من فناجين القهوة والصينية والظروف من عمل القطر المصري وهي منقوشة نقشاً عربياً جميلاً

ثم وقف الدكتور سمث المحتفل بهِ وقال ان هذا الاحتفال الذي لم يكن ينتظرهُ قط وهذه المظاهرة الشريفة حركت عواطفهُ كلها حتى لم يعد يجد كلاماً كافياً للتعبير عما يخالج ضميرهُ من السرور والشكر لاسيما وان الخطباء تكلموا ببلاغة يعجز هو عن المجيء بمثلها ولو كانت الانكليزية لغتهُ لا لغتهم . وقال انهُ في التسع السنوات التي اقام فيها استاذاً في تلك المدرسة بذل جهدهُ لكي يرسخ في اذهان الطلبة مبادئ علم التشريح وما يبنى عليها وكثيراً ما كان يريهم الفروق الطبيعية الراسخة في بنية الناس والتي لابد من مجاراتها والاَّ ضاع جانب كبير من الجهد عبثاً . واشار الى اطباء العرب العظام مثل ابن سينا وقال انهُ يتوقع ان يرى من خريجي مدرسة الطب المصرية اطباء يشتهرون شهرتهم بتقويتهم الملكات الطبيعية التي يمتازون بها . ومما يذكرهُ بالسرور انهُ لم يرَ من التلامذة كل مدة اقامتهِ في هذه المدرسة غير دلائل الحب والولاء ولكن عدد التلامذة زاد جداً في السنوات الاخيرة حتى لم يعد قادراً ان يلتفت الى كل واحد منهم الالتفات الواجب على الاستاذ لتلامذتهِ فنغص ذلك عيشهُ لانهُ رأى نفسهُ غير قادر على القيام بما يجب عليهِ نحوهم فقبل المنصب الجديد في جامعة منشستر لكي يخلص من تبكيت الضمير

وكرر الشكر للمحتفلين بهِ مثنى وثلاث ورباع وقال انهُ سيبقى في فؤَادهُ احسن تذكار لتلامذتهِ ورصفائهِ ومصر وسكانها

ثم اجتمع المحتفلون والمحتفل بهِ والمدعوون وصورهم المصور على نور ساطع يقوم مقام نور الشمس

حدائق الحيوانات

نشر الكبتن فلور مدير حديقة الحيوانات بالجيزة رسالة انكليزية عن حدائق الحيوانات في العالم قدَّر فيها عدد هذه الحدائق اليوم باكثر من مئة حديقة وقال ان اقدم هذه الحدائق عهداً حديقة فينا انشئت سنة ١٧٥٢ وحديقة مدريد سنة ١٧٧٤ وحديقة باريس سنة ١٧٩٣ . ثم انشأ الانكليز خمس حدائق من سنة ١٨٢٨ الى سنة ١٨٣٦ ولا يزال اربع منها باقياً الى الآن . ولم يزد عدد حدائق الحيونات في العالم الى سنة ١٨٥٠ عن ١١ حديقة والبواقي جدّت كلها بعد ذلك العهد

وذكر في الكلام على تاريخ حدائق الحيونات في العالم ان المصريين القدماء كانوا يحفظون كثيراً من الوحوش الحية عندهم ولكن الصينيين هم اول من انشأ حديقة للحيوانات كحدائق هذه الايام فقد ورد في تاريخهم ان وونغ اول سلطان من سلاطين عائلة تشو انشأ حديقة للحيوانات في عهده وذلك قبل المسيح باكثر من الف سنة

اعظم مقدار من الراديوم

طلب لورد ايفا والسر ارنست كسل سبعة غرامات ونصف غرام من الراديوم لامتحان افعاله الطبية في نادي الراديوم وسيدفعان ثمنها ثلاثين الف جنيه فيكون ثمن الغرام الواحد اربعة آلاف جنيه

الحمى الصفراء

لما كان ده لسبس يعمل في حفر ترعة بناما مات من العمال ٤٨ الف نفس بالحمى الصفراء اما الآن فكادت تلك الحمى تستأصل تماماً بعد ما عرف سببها وكيفية انتشارها فلم يمت بها احد في الثلاث السنوات الاخيرة حيث ماتت بها تلك الالوف قبلاً

اكل مالك الحزين

مالك الحزين او البلشون طائر معروف يمتاز بطول عنقه وانعقاف منقاره الى الاسفل حتى يضطر ان يقلبهُ حينما يريد الاكل . وقد ظهر الآن من مراقبة فراخه ان منقارها لا يكون اعوج في الثلاثة الاسابيع الاولى من عمرها فتلتقط طعامها به مثل سائر الطيور ثم يعوج فتصير تقلبهُ حتى تستطيع ان تلتقط طعامها . و يمتاز هذا الطائر على غيره من الطيور ايضاً بان الشق الاعلى من منقاره متحرك والاسفل ثابت على ضد ما هو في سائر الطيور

اصل المسابح

يظهر من البحث في تاريخ المسابح واستعمالها في عد الصلوات ان اصلها هندي اقتبسها البوذيون من الهنود ثم المسلمون ونقلها الصليبون الى اوربا لما عادوا من سورية في القرن الثاني عشر فان الكنيسة الرومانية تنسب اول استعمالها الى القديس دومينيك (١١٧٠ — ١٢٢١)

اقدم صناديق الادوية

وجد الدكتور ستين الرحالة صندوق ادوية في صحراء تنهوانغ على حدود الصين مقفلاً ومختوماً وقد كان لفرقة من الجيش الصيني أخفي هناك منذ الفي سنة ولم يزل على حالهِ

الغنى المدفون

توفي رجل بالامس في بلاد الانكليز اسمهُ تشارلس موريصن وترك اثني عشر مليوناً من الجنيهات • ورث مليون جنيه من ابيهِ واشتغل بالربا والشركات المالية فزادت ثروتهُ رويداً رويداً وهو ملتزم جانب الحذر يكسب الكثير وينفق القليل الى ان بلغت هذا المبلغ العظيم ولا يعلم باسمهِ الاَّ قليلون من الذين يعاملونهُ • كان يلبس ثياباً سادجة ولا يركب مركبة الاَّ اذا تعذَّر عليهِ المشي ولم ينفق على شيء من الكماليات والزخارف الاَّ على الصور الثمينة • وهو لو اراد لصار من امراء المملكة ولطبق اسمهُ الخافقين ولخطب الملوك ودَّهُ ولأثار الحروب وعقد معاهدات السلم ولكنهُ لم يفعل شيئاً من ذلك لانهُ رأى السلامة بالبعد عن الناس والراحة بالبعد عن اسباب الظهور والترف

توفير الطعام

كتب بعضهم الآن ان الانسان يستطيع ان يوفر نصف طعامهِ اذا مضغهُ جيداً فان هذا النصف يكفيهِ وتجود صحتهُ وتقل امراضهُ ويبقى ذهنهُ ماضياً واخلاقهُ رضية ومن يكثر الطعام ولا يمضغهُ جيداً يسوء هضمهُ وتعتل صحتهُ وتسوء اخلاقهُ ويبلدعقلهُ وكل ذلك مؤيد بالامتحان

تمثال لامارك

صُنع تمثال للامارك العالم الطبيعي الفرنسوي الذي سبق داروين الى القول بتحول الانواع واقيم في بستان النبات بباريس في حفلة رأسها المسيو فالير رئيس الجمهورية الفرنسوية في ١٣ يونيو

والتمثال من البرنز وهو يمثل لامارك جالساً يفكر وقد كتب تحتهُ لواضع مذهب النشوء • وخطب المسيو بريير فذكر الدرجات التي مرَّ عليها مذهب لامارك وتأثيرهُ في داروين وقال ان هذه السنة هي السنة المئة من نشر كتاب لامارك فلسفة علم الحيوان والسنة المئة من ولادة داروين • وتكلم وزير المعارف عن تاريخ لامارك وصداقة بفون لهُ وتأييدهِ اياهُ ومقاومة كيڤيه لهُ ومخاصمتهِ معهُ

حرير ايطاليا

بلغ مقدار الحرير الذي حُلَّ في ايطاليا في العام الماضي من الشرانق الايطالية ٤ ملايين و ٤٨٦ الف كيلوغرام وكان في العام الذي قبلهُ ٤ ملايين و ٨٢٠ الف كيلوغرام

فهرس الجزء الاول من المجلد الخامس والثلاثين


المقتطف



السر فرنسيس غلتن



ولس   دارون

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٥ رجب سنة ١٣٢٧

تشارلس دارون

CHARLES DARWIN

احتفلت اميركا قبل انكلترا بمرور مئة سنة على ولادة دارون وخمسين سنة على نشره كتابهُ اصل الانواع الذي غيَّر مجرى العلم والفكر . وظهرت مجلة العلم العام الاميركية في شهر ابريل الماضي وكلها مقالات عن دارون والمذهب الداروني باقلام اكبر علماء العصر . اولاها خطبة للاستاذ هنري فيرفيلد اسبرن من اساتذة جامعة نيويورك المعروفة بجامعة كولمبيا القاها وقت الاحتفال في تلك الجامعة وقد رأينا ان نقتطف منها ما يلي لانها تاريخية تلخص فيها ترجمة دارون وخلاصة اعمالهِ قال

ولد دارون سنة ١٨٠٨ وولد معهُ في تلك السنة كثيرون من الرجال الذين اشتهروا شهرة فائقة ومنهم لنكن رئيس الولايات المتحدة الاميركية[١] . ودارون ولنكن متماثلان في بساطة الاخلاق واللهجة وفي محبة الحق وكره الاستعباد ولاسيما في عدم شعورهما بقوتهما . وقد استغربا كلاهما ما رأياهُ من تأثير اقوالهما وافعالهما في غيرهما . كتب لنكن مرةً يقول « اني لست شيئًا واما الحق فكل شيء » وكتب دارون في خاتمة ترجمتهِ يقول « اني استغرب حقيقةً ما يرى من تأثيري في اعتقاد العلماء ببعض المسائل الهامة مع انهُ ليس في مداركي شيء فوق المعتاد . ونجاحي كرجل من رجال العلم نتج عن بعض الاسباب والصفات العقلية واهمها محبتي للعلم واخذي المواضيع العلمية بالتأني والتفكير بالصبر واهتمامي بمراقبة الحقائق وجمعها . وكوني معطًى نصيبًا معتدلاً من قوة الاستنباط والاستدلال »

اما لنكن فعملهُ العظيم الوحيد هو ضربتهُ القاتلة للرق . فقد جاهد الانسان قرونًا طويلة

(١) ومن المشاهير الذين ولدوا تلك السنة ايضًا تنيسن ومندلسهن وغلدستون وهلمس

لينال حريتهُ في عملهِ وحكومتهِ ودينهِ وعقلهِ . فتحرَّر جسداً في الوقت الذي تحرَّر فيهِ عقلاً وهذا من الاتفاقات الغريبة . وليس من رأْيي ان اثبات نشوء الانسان هو اعظم افعال داروين لان الانسان عاش سعيداً قبل ذلك كما عاش بعدهُ ولعلهُ كان افضل مما صار اليهِ بعد اثبات مذهب النشوء لانهُ كان يعتقد انهُ مخلوق على صورة الله ومثالهِ . ولكن اعظم افعال داروين هو كونهُ انال الانسان حريتهُ العقلية حتى صار يدرس نواميس الطبيعة حرًّا غير مستعبد فتحقق ما قيل في انجيل يوحنا « تعرفون الحق والحق يحرركم »

لما نُشر كتاب داروين منذ خمسين سنة كنا بعيدين عن درس الطبيعة وتأملها بعين العقل لان عقولنا كانت مقيدة بقيود التقاليد الدينية وكنا نحسب كتب الدين كتباً طبيعية تبحث عن نواميس الطبيعة مع ان رجلاً من كبار ائمة الدين حذَّرنا من ذلك منذ القرن الخامس حيث قال « دعوا مسائل الارض والجو والعناصر للعقل لئلاَّ يرى رجال العلم سخافة ارائكم فيها فيهزأُوا بكم »

(ولو عرف الاستاذ اسبرن قول حجة الاسلام الامام الغزالي لاستشهد بهِ على ما هو بصددهِ فقد قال في كتابهِ تهافت الفلاسفة عن بعض الامور الفلكية « ان هذه الامور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة فمن يطلع عليها ويتحقق ادلتها ... اذا قيل لهُ ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيهِ وانما يستريب في الشرع »)

لما أطلع داروين العالمَ النباتي هوكر سنة ١٨٤٤ على خلاصة بحثهِ كان عارفاً ما سيلاقيهِ من التخطئة والتكفير فقد قال اني ساصغر في عيون علماء الطبيعة حالما تنشر آرائي هذا الذي اتوقعهُ ولا اتوقع سواهُ

قام كوبرنيكوس قبل ذلك بثلاثمئة سنة على تخوم بولندا ونشر كتابهُ « حركات اجرام السماء » فرمى باول سهم في تلك الحرب التي تأججت ثلثمئة سنة لاجل البحث في الطبيعة من غير قيد . وسنة ١٦١١ اثبت تلسكوب غليليو صدق ما استنتجهُ كوبرنيكوس وهو ان الارض تدور حول الشمس . والآن يرى تمثال غليليو في فلورنسا وقد رفع اصبعهُ امام اعضاء ديوان التفتيش مثبتاً دوران الارض حول الشمس

ومرَّت السنون واضطرَّ اهل التعصُّب الديني ان يتركوا الالتجاء الى السجن والتعذيب في اضطهاد المخالفين لم لكنهم استخدموا لاضطهادهم وسيلتين اخريين لا تقلاَّن عن السجن ايذاء وهما الاقصاء والحرمان من المناصب . رأى لينيوس وبفون ولامارك وسنت هيلر ادلة النشوء وجاهروا بها ولكنهم اضطروا ان يستردوا ما قالوهُ او يحرَموا مناصبهم . وبلغ الاعتقاد

بما هو فوق الطبيعة اوجهُ سنة ١٨٥٧ وكان كبار علماء الطبيعة مثل كيڤيه واون وليل واغاسز من القائلين بالخلق المستقل اي ان الخالق خلق كل نوع من انواع الحيوان والنبات على حدة فلا اتصال بينها ولا هي متولدة بعضها من بعض لكن علمهم كان مقوّضاً من اساسهِ لانهُ ليس مبنيّاً على البحث الحرّ غير المقيد

والامر الذي عجز عنهُ العالمان الطبيعيان الكبيران بفون ولامارك نالهُ داروِن بقريحتهِ الفائقة في الملاحظة والاستنتاج وكذلك بما جمعهُ من الحقائق الكثيرة الباهرة وبما ابداهُ من الادلة البسيطة المقنعة · لم يكن بليغ العبارة مثل جدهِ اراسموس داروِن ولاغامضها مثل هربرت سبنسر ولذلك اتضحت اقوالهُ وادلتهُ لكل احد · وقد انحاز اليهِ رجال من كبار العلماء مثل هيكل وهكسلي ولكن فوزهُ لم ينتج عن حدة اقوال هيكل ولا من شدَّة عارضة هكسلي بل من تغلُّب الحقائق على الاباطيل · ولم يقم داروِن لينقض تعاليم غيرهِ كما فعل امثالهُ من رجال القرن الثامن عشر بل ليبني بناء جديداً · لكن افاضل العلماء اضطربوا من ذلك كأنَّ الارض زلزلت بهم زلزالها واخرجت اثقالها · ولم يحدث في عصر من العصور السالفة ما حدث في عصرهم من الانقلاب

لا مثيل لداروِن في ما فعلهُ فهو في تاريخ المعارف ثاني ارسطوطاليس الفيلسوف اليوناني والعالم الطبيعي الذي تقدمهُ باكثر من الفي سنة

نشأ من بيت علم وفضل وهو نسيب فرنسيس غلتن قسيم وسمن في درس الوراثة الطبيعية فاجتمعت فيهِ مناقب اسلافهِ وخلا من معايبهم ففاقهم كلهم · وورث منهم الوداعة والامانة والمحبة للطبيعة · وورث من جدهِ اراسموس داروِن قوة التصور والميل الى التعميم واستنتاج الكليات من الجزئيات فكانت الآراء والتعاليل تلوح في ذهنهِ دائماً كالبرق فلا يرى لهُ مناصاً منها واتجهت فيهِ الى جهة النشوء اي تولد انواع الحيوان والنبات بعضها من بعض · وورث من ابيهِ التدقيق في الملاحظة والرغبة الشديدة في معرفة العلل الحقيقية والحذر من الخطإ فكان يبذل جهدهُ دائماً ليبقى عقلهُ حرّاً فيطرح الآراء التي يكون قد ارتآها والتعاليل التي يكون قد عللها حالما يرى ما يناقضها

ان كان الشعر في الشاعر طبيعةً لا اكتساباً فالعلم في العالِم طبيعة واكتساب · كان داروِن من النوابغ بالفطرة ولكن الاحوال التي وُجد فيها اكسبتهُ كثيرًا ولو كان يعتقد مثل نسيبهِ غلتن ان التعليم والاحوال الخارجية لا تؤَثر في العقل الاَّ تأثيراً طفيفاً جدّاً · وقد بخس وسائطهُ العلمية حقها كما بخس استعدادهُ النظري حقهُ وذلك لانهُ حسب ان

الوسائط العلمية مقصورة على الكتب والعلوم التي تعلمها في جامعتي ادنبرج وكمبردج واغفل ما اكتسبهُ من الناس الذين عاشرهم وسائر الوسائل العلمية التي رغَّبتهُ في العلم والبحث وارشدتهُ وقادتهُ في السبيل العلمي . فقد استفاد من قدوة ابيهِ وارشادهِ واستفاد من قراءة اشعار شكسبير وورد سورث وكلردج وملتن ومن كتب بالي وهرشل وهمبلت ومما سمعهُ من المباحث العلمية في جامعة كمبردج ومن ارشاد هنسلو النباتي وليل الجيولوجي ومن المشاهد الطبيعية التي شاهدها وهو مسافر في سفينة البيغل . لكنِ الوسط العلمي الذي انشأهُ وصيرهُ كما هو لا يوجد الآن في مدارسنا الجامعة لانهُ صار يتعذر على الطلبة ان يخصصوا الزمن الكافي لدرس الطبيعة في الطبيعة منصرفين عن مشاغل الحياة . ولم تعد المدارس تلتفت الى ذوي الاميال الفطرية والمزايا الطبيعية وتنشطهم على اتباعها ولو كانت جمع الخنافس والحشرات . فالوسائل التي نفعت دارون كانت كثيرة عظيمة ولكن لا ينتفع منها مثل دارون الاَّ دارون

دخل جامعة كمبردج وعمرهُ ١٩ سنة وكان مغرماً باللعب والصيد والقنص والركب ظريفاً يحب المزاح لكن ذلك لم يحل بينهُ بين معاشرتهِ لكبار العلماء فعرفهُ رفاقهُ بانهُ الشاب الذي يمشي مع هنسلو . وكان هنسلو قساً جليلاً ومن اكبر علماء النبات وقد استفاد دارون منهُ اكثر مما استفاد من كل احد سواهُ فعرَّفهُ هنسلو بسدجوك الجيولوجي بعد خروجهِ من المدرسة واحرز لهُ المكان في سفينة البيغل التي ساحت حول الارض سياحة علمية من سنة ١٨٣١ الى سنة ١٨٣٦ على نفقة الحكومة الانكليزية وهذا اهم حادث في حياتهِ العلمية

كل دروس المدارس لا تقابَل بنظرة واحدة الى مشاهد الطبيعة حينما تتجلى لدى عين باصرة وعقل مستنير . وقد كان لدارون ذلك العقل وتلك العين لانهُ قرأ كتاب ليل في الجيولوجيا وعرف اقوال هتن في انتظام افعال الطبيعة فاخذ باقوالها ورأى ان ناموس التغير المستمر الذي اثبت ليل استيلاءهُ على الجماد مستولٍ ايضاً على النبات والحيوان . واعترافاً بما لليل عليهِ من الفضل اهدى اليهِ الكتاب الذي الفهُ عن سياحتهِ هذه وقال في اهدائهِ ان الجانب الاهم مما هو علمي في هذا الكتاب وغيرهِ مما للمؤلف يرجع الفضل فيهِ الى ما اكتسبهُ من درس الكتاب البديع كتاب مبادىء الجيولوجيا (اي كتاب ليل) . ولقد كانت سفرتهُ هذه اكبر معلم لهُ ومنمٍ لعقلهِ حتى قال ابوهُ لما رجع منها ان شكل رأسهِ قد تغير

وانتقل دارون الى لندن بعد رجوعهِ من السفر واقام فيها سنتين ليرتب المجموعات الطبيعية التي جمعها ويكتب ما يتعلق بها . واصابهُ وهو هناك ما منعهُ من الانتظام في خدمة الحكومة ولو انتظم فيها لخسر العلمُ ما كسبهُ منهُ لكنهُ أُصيب بمرض اضطرهُ الى مغادرة لندن والاقامة في

دون . وقضى اربعين سنة لم يرَ فيها يوم صحة مثل الناس لكن انحراف صحتهِ الجسدية حفظ صحتهُ العقلية وبشاشة وجهِ ولو بقي في لندن واشترك في مهامها لقتلهُ الهم قبل اجلهِ كما قتل هكسلي فاني رأيتهُ هو وهكسلي سنة ١٨٧٩ وكان عمرهُ ٧٠ سنة وعمر هكسلي ٥٤ ولكن كانت تبين علي هكسلي امارات الهم والشيخوخة اكثر مما تبين عليهِ

وتقسم مؤلفات داروين الى ثلاثة اقسام القسم الاول ما كتبهُ وعمرهُ بين ٢٨ سنة و ٣٦ قبلما نشر مذهبهُ في النشوء وموضوعهُ سواحل المرجان والزولوجيا والجيولوجيا في سفرة البيغل ويومية سفرتهِ هذه . ثم اضطرهُ انحراف صحتهِ الى ترك الجيولوجيا والاقتصار علي التاريخ الطبيعي فقضى ثماني سنوات من سنة ٣٧ من عمرهِ الى سنة ٤٥ وهو يبحث في السربديا Cirripedia من الحيوانات الدنيا فكشف لهُ البحث القناع عن ناموس الانتخاب الطبيعي . وكان قد انتبه الى تغير الانواع وعمرهُ ٢٨ سنة فاخذ سنة ١٨٣٧ يستقري الادلة الدالة على تغير الانواع وكان شديد الملاحظة ينتبه لكل شيء كما كان قوي الاستدلال . ولم يكتفِ بكتابة ما يؤيد رأيهُ بل كان ينتبه لكل ما يخالفهُ ويكتبهُ . ورأى من المناسبة بين الحيوانات والنباتات وبين الاحوال التي تعيش فيها ما اذهلهُ ثم رأى كتاب ملثس في ازدياد السكان فخطر لهُ حينئذٍ خاطر تنازع البقاء والتغير المستمر واختيار التغيرات التي هي اكثر من غيرها مناسبةً وهي عماد كتابهِ اصل الانواع

ويمتاز هذا الكتاب بان مؤلفهُ قضى في اعدادهِ وتمحيصهِ احدى وعشرين سنة ولو لم يتفق للعالمِ ولس ان اهتدى حينئذٍ الى مسألة تحوّل الانواع بالانتخاب الطبيعي وعزم على نشر ذلك لمّا نشر داروين كتابهُ حينما نشرهُ

نشر داروين كتابهُ اصل الانواع سنة ١٨٥٩ وعمرهُ خمسون سنة ونشر بين الخمسين والثالثة والسبعين من عمرهِ تسعة مجلدات كبيرة شرح فيها الاقوال التي قالها في كتابهِ الاول اصل الانواع واشهرها كتابهُ في تسلسل الانسان وهو الحلقة الثالثة من حلقات تحرير العقل من قيود الاوهام . الحلقة الاولى لكوبرنكس الفلكي والثانية لداروين في كتابهِ اصل الانواع والثالثة لهُ ايضًا في كتابهِ تسلسل الانسان . ولا يخفى مقدار الذهول الذي اعترى رجال العلم ورجال الدين والناس اجمع من هذا الكتاب وكيف قامت القيامة عليهِ

ثم شرح الخطيب كيفية تدقيق داروين في بحثهِ والتفت الى مذهبهِ وذكر ما يوافقهُ وما يخالفهُ وقال ان اراء داروين كلها وجيهة ولا تزال في مكانتها مهما كُتب ضدها ولم يضعف منها الأَ ما قالهُ عن وراثة التنوعات الجسدية او الصفات المكتسبة وعن قلة التغيرات الفجائية

وعن نعل الصدفة في حدوث التغيرات في الاحياء و بقاء الاصلح وهذا الامر الاخير اهمها ويكاد يثبت الآن انهُ لا يحدث شيء بالصدفة والاتفاق بل لكل شيء ناموس يجري عليهِ ولو كنا لا نعلمهُ . ولما ذكر دارون الصدفة قال انهُ عنى بها ما لا يعلم سببهُ اي انها مرادف الجهل

وفصَّل الخطيب كيف لقي دارون اول مرة قال :— في الثامن من نوفمبر سنة ١٨٧٩ لما كان دارون في السبعين من عمرهِ كنت في الثانية والعشرين من عمري ادرس في معمل هكسلي تشريح الحيوانات القشرية وقد كتبت في يوميتي حينئذٍ ما يأتي .

« كنت منحنياً فوق كركند هذا الصباح اشرّح دماغهُ فرفعت رأسي ورأيت هكسلي وداروين مارَّين امامي ولا اظن انني سأرى بعد الآن عالمين كبيرين مثلهما لكنني واظبت على عملي واذا بهكسلي يكلمني ويعرّفني بداروين بقولهِ هنا اميركي لهُ شغل حسن في علم البلينتولوجيا عبر البحر (اي باميركا) ومدَّ دارون يدهُ اليَّ فصافحتهُ وشددت على يدهِ بكل عزمي عالماً اني لا اصافح تلك اليد مرة اخرى وقلت لهُ اني مسرور جداً بهذا اللقاء . كان اطول من هكسلي وجههُ احمر وعيناهُ زرقاوان وحاجباه كثان يغطيانهما ولحيتهُ طويلة بيضاء كلها ومنظرهُ غير جميل ولكن وجههُ بشوش جداً فتبسم وودَّ ان لا يعاق مارش (الطبيعي الاميركي) وتلامذتهُ في شغلهم العلمي . اما هكسلي فقال لهُ يجب ان امنعك عن الكلام الكثير ثم سار بهِ . ولم يكد يخرج من الغرفة حتى حسدني التلامذة على كلامهِ معي

اما من حيث مخالفة العلم الطبيعي للدين فالعلماء قد اخذوا الآن ينفون هذه المخالفة . واذا نظر خلفاؤُنا الى العلم الطبيعي والدين بعد ثلث مئة سنة او اربع مئة سنة رأوا مذهبين عظيمين الاول شرقي لا شأن فيهِ للطبيعة والنواميس الطبيعية بل هو ادبي ديني نشأ على ضفاف النيل ودجلة والفرات وبعد ان مرَّت عليهِ خمسة آلاف سنة في الجهاد بلغ اوجهُ في فلسطين حيث قيل ان الكون كلهُ صنعة يد الله وعلى الانسان ان يحب قريبهُ كنفسهِ . والمذهب الثاني غربي ابتدأ قبل هذا الحادث الاخير بستة قرون ابتدأ بالبحث عن الطبيعة ونواميسها وسار سيراً حثيثاً في بلاد اليونان ووقف بوقوفها ثم تجدَّدت حياتهُ بعد تسعة عشر قرناً بكوبرنكس وغليليو وبلغ اوجهُ بداروين . والانسان جزء من الطبيعة وهو يجد لذتهُ بدرسها وخيرهُ بمعرفة نواميسها . وسيرى خلفاؤُنا ان هذين المذهبين مذهب المحبة ومذهب المعرفة المذهب الروحي والمذهب العقلي متفقان متضامنان لا تناقض بينهما

السر فرنسيس غلتن

SIR FRANCIS GALTON

أنبانا البرق بالامس ان ملك الانكليز منح هذا العالم العلامة لقب سر . وقد جرى ملوك الانكليز على منح القاب الشرف للذين يفوقون اقرانهم في العلم كما يمنحونها للذين يفوقون الاقران في الغنى او في السياسة او في قيادة الجيوش ولو كان نصيب العلماء من ذلك قليلاً بالنسبة الى نصيب غيرهم وهم اولى من كل احد بالنصيب الأكبر

ولد السر فرنسيس غلتن سنة ١٨٢٢ فهو الآن في السابعة والثمانين من عمره وامهُ ابنة اراسموس دارون فتشارلس دارون المشهور ابن خالهِ

طلب العلم في مدرسة برمنام واختار علم الطب فدرسهُ فيها وفي كلية الملك بلندن ثم في كمبردج ونال الدبلوما منها سنة ١٨٤٤ وقام للسياحة فزار القطر المصري وصعد الى اعالي البحر الابيض فكان اول الروّاد الاوربيين في تلك الانحاء وكثيراً ما قال لنا انهُ يعرف مصر قبلما ولدنا

ثم ساح في الجنوب الغربي من افريقية سنة ١٨٥٠ ومرَّ في بلدان لم تطأها رجل اوربي قبلهُ وكتب رحلتهُ في كتاب عنوانهُ اخبار سائح في افريقية الجنوبية الاستوائية نشرهُ سنة ١٨٥٣ فاهدت اليهِ الجمعية الجغرافية نشانها الذهبي . ثم ألف كتاباً آخر ونشرهُ سنة ١٨٥٥ موضوعهُ صناعة السياحة او الوسائل التي يجب على السائح الالتجاء اليها اذا ساح في البوادي وبلاد المتوحشين فكان رواجهُ عظيماً وأعيد طبعهُ خمس مرات بين سنة ١٨٥٥ وسنة ١٨٧٢

وزار شمالي اسبانيا سنة ١٨٦١ وبحث في البلاد وسكانها بحث العالم المدقق ونشر خلاصة مباحثهِ في كتب سماها فرص السيّاح

والتفت الى علم الاحداث الجوية فبحث فيهِ ونشر خلاصة مباحثهِ سنة ١٨٦٣ وهذه اول رُسمت فيها احوال الجو في خرائط كبيرة . فجعل عضواً في لجنة مجلس التجارة التي تبحث في الاحداث الجوية

وعكف بعد ذلك على الوراثة الطبيعية والبحث في قوانينها وشؤونها المختلفة واخلاق الناس وهو البحث الذي شهرهُ وسيبقى اسمهُ مقروناً بهِ . ونشر كتابهُ الاول في النبوغ الوراثي ونواميسهِ ونتائجهِ سنة ١٨٦٩ فكان لهُ اعظم وقع في الدوائر العلمية والطبية . ثم اتبعهُ بكتاب

آخر موضوعهُ علماء الانكليز وكيف ولدوا وكيف تربوا نشرهُ سنة ١٨٧٤ وآخر موضوعهُ البحث في قوى الانسان ونموها نشرهُ سنة ١٨٨٣ وآخر موضوعهُ معرض الحياة وآخر موضوعهُ سجل القوى العقلية في الامم وآخر موضوعهُ الوراثة الطبيعية

والتفت حينئذٍ الى موضوع آخر وهو علامات الانامل ودلالتها القاطعة على اصحابها وألَّف في ذلك كتابين نشر اولهما سنة ١٨٩٢ والثاني سنة ١٨٩٥ وقد قال في اولهما انهُ انتبه لهذا الموضوع سنة ١٨٨٨ وهو يعد خطبة في تحقيق الشخصية لدار العلم الملكية حسب طريقة برتلون المبنية على قياس القامة والاعضاء المختلفة فخطر لهُ حينئذٍ ان يبحث في آثار الانامل لانهُ كان قد سمع ان آثارها لا تتغير فرأى ان الموضوع هام جدًّا وان ما يعرف منهُ قليل بالنسبة الى ما لا يعرف فاشتغل بهِ وجعل ينشر ما يقف عليهِ او يحققهُ بنسهِ في المجلات العلمية من سنة ١٨٨٨ فصاعداً . ولما زار القطر المصري حديثًا رأى طريقة آثار الانامل مستعملة فيهِ لتحقيق الشخصية فسر بذلك سروراً عظيماً

ولهُ رسائل ومقالات كثيرة في المواضيع المشار اليها آنفًا ولاسيما في الوراثة الطبيعية وهو الذي جعل للوراثة قانونًا حسابياً فقال ان الحيوان يرث نصف ما فيهِ من والديهِ والنصف الآخر من اسلافهما فيرث الربع من والدي امهِ ووالدي ابيهِ والربع الآخر من اسلاف والدي ابيهِ ووالدي امهِ وهلم جرًّا . وقد قام حديثًا ينادي بوجوب اصلاح نسل الانسان وانشأ لذلك المجلة التي ورد ذكرها في الجزء الماضي من المقتطف وما قبلهُ

وقد مُنح كثيرا من النياشين العلمية كنشان الجمعية الملكية الذهبي ونيشان هكسلي ونيشان دارون . وكان سكرتيراً لمجمع ترقية العلوم البريطاني من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٦٨ ورئيساً لقسم الانثروبولوجيا فيهِ

وقد تعرفنا بكثير من الناس من امم وطوائف مختلفة ولم نرَ اكثر وداعةً والين عريكة من علماء الانكليز الذين لقيناهم كترسترام وافانس وغلتن ولكير ومكلستر وسايس وبتري فانهم كلهم آية في الانس والدعة والبعد عن الدعوى حتى ان من لا يعرف مالهم من التآليف الكثيرة والشهرة الواسعة لا يظنهم على شيء من العلم والذي يعرف كتبهم وشهرتهم يظن انهُ يرى غير الذين سمع عنهم

نهنئ صديقنا السر فرنسيس غلتن بما نال من ملكهِ عن استحقاق ونرجو ان يفسح لهُ في الاجل لخدمة العلم ونوع الانسان

نشوء الانسان والحيوان

الادلة الجغرافية

وهي تبحث في انتشار الاحياء على وجه البسيطة وفي اختلاف انواعها بالنسبة الى الاقليم ثم تبين ان ذلك من ضرورات النشوء

قال دارون «من امعن النظر في توزيع الكائنات الآلية على سطح الارض لا يسعهُ التعليل عمَّا بينها من المناسبات والمباينات الآ بما في الاقطار المتضادة من اختلاف البيئات وتباين الاحوال الطبيعية . فقد اجمع العلماء على ان هذه الكائنات بالنظر الى توزيعها الجغرافي تنقسم الى ما يختص بالعالم القديم والى ما يختص بالعالم الجديد

ومعلوم ان العالم الجديد يشتمل على نظائر اقاليم العالم القديم ولكن احياء كل منهما تختلف عن احياء الآخر اختلافاً عظيماً . ومن نظر الى السدود الطبيعية التي تحول دون مهاجرة الكائنات الآلية من اقليم الى آخر يرى اختلاف هذه الكائنات موافقاً لاختلاف الاقاليم المنفصلة بالسدود . والاحياء المائية تختلف كالاحياء البرية بعضها عن بعض في الاماكن المختلفة بمقدار ما يحول بينها من السدود . اما المباينات بين الكائنات المنتشرة في الاقاليم المختلفة فمصدرها التغيُّرات الحادثة من جراء الانتخاب الطبيعي بما يؤدي اليه تنازع البقاء حيث كانت الحواجز الطبيعية تحول دون هجرتها في ازمنة متفاوتة [١] » اه

ولقد قسم العلماء الارض الى خمس مناطق وهي

(١) منطقة النخل . وهي تقابل المنطقة الحارة . فيها يكثر النخل ونظيرهُ من اشجار المنطقة الحارة

(٢) منطقة الخشب . وتقابل المعتدلة وفيها تكثر الاشجار الخشبية الساق

(٣) منطقة الصنوبر . وتقابل المنطقة المعتدلة الباردة

(٤) منطقة الانجم وهي الباردة ولا يوجد فيها غير الانجم والنباتات التي تعيش في المنطقة الباردة

(٥) منطقة الجمد الدائم . ولا احياء فيها . — ولقد توجد هذه المناطق جميعها في جبل شامخ من جبال المناطق الحارة والمعتدلة

وضع العلماء تلك المناطق ثم جعلوا لها القضايا الآتية

(١) تنوير الاذهان للدكتور زلزل مجلد ١ جزء ٢ ص ١٢ . بتصرف قليل

(١) دائرة الحيوان · ويراد بها قسم من الارض تسكنهُ طائفة من الحيوان ويختلف اتساعها بالنسبة الى تلك الطائفة · فدائرة الصنف مثلاً اضيق من دائرة النوع ودائرة النوع اضيق من دائرة الجنس ودائرة الجنس اضيق من دائرة الرتبة وهلمَّ جرًّا · مثال ذلك نوع الصنوبر في جبال السيرا فان دائرتهُ تمتد من علو الفي قدم الى علو احد عشر الفاً ولكنَّ هذا النوع اصناف لكلٍّ منها دائرة اضيق من دائرة النوع التي تشمل الجميع

(٢) اذا تماسَّت دائرتان فلا حدَّ واضح بينهما بل قد يمتزج طرفاها امتزاجاً يصعب معهُ وضع حدٍّ لاحدى الدائرتين

(٣) قد تتعدَّى الانواع الى دوائر سواها ولكنَّ هذا التعدّي يتوقف على عدد الافراد في ذلك النوع وعلى شدَّة بأسها

(٤) ولئن تماست الدوائر وتمازجت اطراف الانواع بعضها ببعض فالانواع لا تتغير عن اصلها ولكن افراد النوع الاقوى تحلُّ محل الافراد من النوع الاضعف وتبقى على ما كانت عليهِ اولاً

(٥) لا تماسَّ الدوائر الاَّ اذا كان الفاصل الطبيعي بينها اختلاف الحرارة اما اذا كان غير ذلك من الفواصل كالجبال الشاهقة والبحار الزاخرة والصحاري المحرقة فلا تماس ولا تمازج بينها

(٦) المناطق الخمس شمالي خط الاستواء موجودة ايضاً جنوبيهُ · ولكن الانواع في الشمال تختلف قليلاً عما يقابلها في الجنوب · اما اذا نقل حيوان من منطقة في الجنوب الى ما يقابلها في الشمال او بالعكس فانهُ يبقى هناك ويعيش كما لو كان في اقليمهِ الاصلي

(٧) لحيوانات الجزُر المحاطة ببحارٍ عميقة خصائص لا توجد في غيرها · ومثالها حيوانات مدغسكر واوستراليا

وما يصدق على البرّ من هذا القبيل يصدق على البحر ايضاً على ان لهذه القضايا شذوذاً لا بدَّ من ذكرها هنا · وهي (اولاً) في الانواع التي حملها الانسان من منطقة الى أُخرى وعاشت فيها · (ثانياً) في الانواع الرحالة او الكثيرة الصبر على اختلاف الاقليم فانها تقدر ان تعيش في اثنتين من المناطق المتاخمة على السواء · (ثالثاً) في الاليفة وسيأتي بيانها

كيف نعلل القضايا السابقة

قال النوعيون · ان وجود الانواع في الدوائر المختلفة دليلٌ على خلقها مستقلةً · ويؤيدون ذلك بانهُ يستحيل احياناً اجتياز الفواصل التي بين تلك الدوائر · ولا غبار على هذا القول اذا اعتبرنا ان الانواع وُجدت الآن · اذ لا سبيل الى انتشارها على نحوما هي عليهِ الاَّ ان تكون خلقت مستقلة في اماكنها · ولكن اذا رجعنا الى تاريخ الارض وعرفنا ان

الجبال والبحار والصحاري لم توجد بغتةً بل اقتضى لوجودها الازمان المتطاولة ثم لاحظنا ان انتشار الحيوان الجغرافي كان يختلف في كل دور من الادوار الجيولوجية رجعنا عن الرأي الاول الى القول بان الانتخاب الطبيعي هو السبب في ذلك الاختلاف . او كما اورد الدكتور زترل لداروين « ان انواع الجنس الواحد على اختلاف سكناها في اقطار الارض السحيقة في البعد صادرة من اصل واحد لانهُ يمكن ردها الى جدٍ جامع وان الكائنات الحية على اختلاف انواعها انما نشأت منذ البدء في جهة واحدة من الارض تعرف بمركز الخلق وقد انتشرت من ذلك المركز في الاقطار المختلفة وفاقاً لما تقتضيهِ الاحوال » . ولإثبات ذلك نقول ان النشوء يقتضي الامور الآتية وهي —

(١) ان ارتقاء المملكة الحيوانية متوقف على نواميس ثابتة اخصها ناموس التباين

(٢) ان البيئة وتنازع البقاء يزيدان التباين بين الافراد

(٣) انهُ في نشوء الارض من حالتها الأُولى الى الحالة الحاضرة حدثت ارتفاعات كثيرة تغيرت بواسطتها حرارة الاقاليم وهاجر كثيرٌ من الانواع الى الدوائر المختلفة فاختلطت مع الانواع الاخرى ولذلك لا نرى اختلافات عظيمة بين انواع الدوائر المتناخمة

(٤) وعقب ذلك انخفاضات كبيرة انفصلت على اثرها بعض الدوائر فصارت الانواع تزداد تبايناً وبقيت الارتفاعات والانخفاضات تتوالى حتى جاء الدور الجليدي (وهو الدور الذي انتشرت فيهِ الاحياء انتشارها الاخير) وانقضى فتثبت الاحياء في المحالّ التي تشغلها الآن

والظاهر من الآثار الجيولوجية ان الجليد كان يغطي كل البلاد الشمالية الى الدرجة ٣٨ و ٤٠ عرضاً فنزحت حيوانات المنطقة الباردة الى المنطقة المعتدلة وحيوانات المعتدلة الى الحارة . ثم عقب ذلك اعتدال في الحرارة فتراجعت بعض الحيوانات المهاجرة الى اوطانها وتلا ذلك انخفاضات هائلة وقيام الفواصل العظيمة على اثرها فتعذَّر الجلاء على الحيوانات الواقعة بين تلك الفواصل وبقيت حيث هي

ففي مدة الارتفاعات كانت اوربا واسيا وافريقية متصلة ولاسيا في جهة البحر المتوسط والبحر الاسود فنزحت حيوانات اوربا الى افريقية وكذلك نزح كثير من حيوانات اسيا الى اوربا والى افريقية والراجح ان الانسان نزح مع الحيوانات التي نزحت في ذلك الوقت

هذه مقتضيات النشوء فهل تؤيدها الحقائق المشاهدة . نعم واليك بعض الامثلة

اولاً استراليا — يلاحظ في حيوانات هذه القارة امران . الاول غرابتها واختلافها الشديد عن سائر الحيوان . والثاني انحطاطها بالنسبة الى حيوانات القارات الاخرى . ففيها

الحيوانات اللبونة البائضة وذوات الأكياس وكثير من حيوانات الدور الثاني مما لا يوجد في سواها. فما السر في ذلك ؟ السر فيهِ ان استراليا انفصلت عن سائر القارات في احد الادوار الجيولوجية القديمة. فلما حدثت الانقلابات العظيمة في القارات الاخرى وعقبها تمازج الانواع واقتتالها الشديد على البقاء كانت حيوانات استراليا هادئة البال لا يهاجمها احد من الخارج ولذلك ارتقت الحيونات في القارات الاخرى وتغيرت وبقيت الحيوانات في استراليا على ما كانت عليهِ لم تمتزج بغيرها ولم تضطر الى التنازع مع غريب على مكانها. ومن درس حيوان استراليا يمكننا تعيين الوقت الجيولوجي الذي انفصلت فيهِ تلك القارة عن سائر القارات. فان الحيوانات اللبونة قسمان الاول اللبونة الحقيقية ولا يوجد منها في استراليا الا بعض الخفافيش والجرذان. والثاني اللبونة غير الحقيقية وهي لا توجد الا في استراليا يستثنى من ذلك «الابوسوم» الموجود في اميركا. ففي الدور الثاني كانت الحيوانات اللبونة غير الحقيقية منتشرة في كل الارض. اما اللبونة الحقيقية فلم تظهر الا في الدور الثلاثي وعليهِ لا بدَّ من القول ان استراليا انفصلت عن اسيا قبل الدور الثلاثي وان انفصالها هذا حفظ الحيوانات التي كانت فيها (وهي اللبونة غير الحقيقية) من تعديات الحيوانات التي ظهرت في الدور الثلاثي (وهي اللبونة الحقيقية) وبعكس ذلك في اسيا واوربا فان اللبونة الحقيقية اهلكت غير الحقيقية وحلَّت محلها

ثانيًا افريقية — وهي تقسم الى قسمين رئيسيين (افريقية الشمالية) وهي ما وقع شمال الصحراء (وافريقيا الجنوبية) وهي ما وقع جنوبها. اما الشمالية فحيوانها كحيوان اسيا واوربا ولذلك نضرب عنها صفحًا الآن ونتخطاها الى الجنوبية وطن الحيوانات الافريقية الاصلية

حيوانات هذه البلاد قسمان (١) الحيوانات الدنيئة الغريبة الشكل كالحشرات الافريقية والقرود المعروفة باسم الليمور وغيرها وهي تشبه حيوان مدغسكر. (٢) الحيوانات الكبيرة الشديدة البأس وهي تشبه حيوانات اسيا واوربا التي عاشت في الدور الثلاثي الاحدث. فالذي يستنتج من ذلك ان حيوانات افريقية الجنوبية كانت في الاصل من القسم الاول فلما انفصلت عن البلاد الشمالية بواسطة الصحراء او البحر الذي كان في محلها بقيت الحيوانات فيها ضعيفة دنيئة. ثم جاء الطور الجليدي واتصلت افريقية الشمالية بالجنوبية فنزحت الحيوانات الشمالية الى الجنوب ونازعت الحيوانات الاصلية البقاء وعقب ذلك انخفاض عظيم انفصل بهِ القسمان الشمالي والجنوبي مرة اخرى ولم يعد من اتصال بين افريقية الجنوبية والبلاد الشمالية فبقيت حيواناتها على ما كانت عليهِ لم تختلط كثيرًا بالحيوانات التي نزحت من اسيا الى اوربا النزح الاخير

ثالثاً مدغسكر — وهي تشبه استراليا بغرابة حيوانها ولا ريب ان هذه الجزيرة كانت متصلة بافريقية بادئ بدء ثم انفصلت عنها قبل ان تنزح الحيوانات الشمالية الى افريقية ولذلك نجد فيها حيوانات القسم الاول من حيوانات افريقية الجنوبية ولا نجد فيها نوعاً من انواع القسم الثاني

رابعاً جزر البحار وهي نوعان — الساحلية اي القريبة من سواحل القارات . والمستقلة اي الواقعة في عرض البحار بعيدة عن الساحل

فالساحلية كانت متصلة بالبر وحيوانها يشبه حيوان القارة القريبة منها اما درجة الشبه بينهما فمتوقفة على تاريخ الانفصال . خذ حيوان مدغسكر مثلاً فتراه لا يشبه حيوان افريقية كثيراً وذلك لبعد عهد الانفصال . اما زيلاندا وقد انفصلت عن استراليا بعد ان انفصلت مدغسكر عن افريقية فحيوانها اكثر شبهاً بحيوان استراليا من حيوان مدغسكر بافريقية . وحيوان انكلترا مثل حيوان سائر اوروبا تماماً وذلك لان انفصال الجزر الانكليزية حديث العهد جداً فلم يكن ثمت وقت كافٍ لان يتغير حيوانها كثيراً

وما يصدق على الجزر الساحلية لا يصدق على الجزر المستقلة . فان حيوان هذه لا يشبه حيوان قارة معينة . واول ما يلاحظ فيها عدم وجود الحيوانات اللبونة والحيوانات البرية المائية . وما وجد من سواها فهو مزيج من زحافات وحشرات دنيئة اتتها لا شك مع المجاري البحرية او مع الرياح السارية فاذا غلب فيها نوع من الحيوان فذلك لسهولة الطريق لديه

خامساً الانواع الالبية ويراد بها الانواع التي على الجبال الثلجية الشامخة . وهي متشابهة مهما بعدت الجبال بعضها عن بعض فاحياء الالب مثلاً كاحياء جبال اسيا او افريقية او اميركا العالية . وتعليل ذاك ان الانواع الشمالية كانت منتشرة في الدور الجليدي فوق البلاد الشمالية والمعتدلة . فلما انقضى ذلك الدور وتراجعت الانواع الباردة الى اماكنها الشمالية تبع قسم منها خط الثلج الدائم الى اعالي الجبال الشاهقة حيث الاقليم يقارب اقليم المنطقة الباردة وبقي هناك الى الوقت الحاضر

والخلاصة ان الاحياء كانت منتشرة في الارض كلها بحسب درجة احتمالها للبرد او الحر. على ان التغيرات الجيولوجية وما عقبها من تغير الحرارة وقيام الفواصل وما كان يصحب تغير الحرارة من النزح والتنازع الشديد بين الحيوانات الاصلية والحيوانات النازحة كل ذلك ادى الى الاختلافات الكثيرة بين الانواع والى توزيعها على ما هي عليه الآن

الانتخاب الاصطناعي

ركن العلم التجربة — فاذا اراد العلماء اثبات رأي ما امتحنوه بما لديهم من التجارب الممكنة. ولقد حاول كثيرٌ من النشوئيين ان يقيسوا النشوء بمقياس الحقائق المجربة فلم يوفقوا الى غرضهم كل التوفيق وذلك لما يقتضيهِ النشوء من الاسباب التي يتعذر الوصول اليها في الوقت الحاضر ناهيك بقصر عمر الانسان ازاء الالوف من السنين التي تتطلبها تجاربهُ للوصول الى النتيجة المطلوبة. على ان لبعض مربي الحيوان والنبات تجارب يحسن بنا ذكرها للدلالة على كيفية نشوء الاصناف

يأخذ المربي شكلاً من الحيوان فيه صفات مستحبة ثم يولد من هذا الشكل نسلاً وينتقي من ذلك النسل ما كانت الصفات المطلوبة فيهِ واضحة تمام الوضوح ثم يولد من هذا الشكل افراداً اخرى وينتقي منها الاحسن على نحو ما فعل المرة الاولى. ولا يزال كذلك يولد وينتخب الاحسن حتى يصبح وقد انشأ صنفاً من الحيوان يميزهُ عن سائر الاصناف ما ورثهُ من الصفات التي كان المربي يهتمُّ بابقائها. وامثلة ذلك من النبات اصناف الورد والصبير ومن الحيوان الفرس والكلب والهر وغيرها. ويلاحظ هنا امران

الاول — ان الفرد لا يرث من ابويه الادنين فقط بل من كل اسلافهِ وهو ولئن كان ما يرثهُ من ابويهِ اعظم مما يرثهُ من احد اسلافهِ فمجموع ما يرثهُ من اسلافهِ اعظم مما يرثهُ من ابويهِ

الثاني — في تربية شكل من الحيوان وتأصيلهِ تتقوى في ذلك الشكل مع كرور الزمن صفات خاصة تصبح مع الوراثة ثابتةً في ذلك الشكل

هذا هو الانتخاب الصناعي. فاذا قدر الانسان فيما لا يذكر من السنين ان ينشئ اصنافاً مختلفة من نوع واحد فلماذا لا تقدر الطبيعة في الالوف من السنين ان تنشئ الانواع. المعارضون للنشوء لا يشكون البتة في الانتخاب الصناعي ولكنهم يقولون انهُ لا وجه للشبه بين الانتخاب الطبيعي والانتخاب الصناعي وهاك اعتراضاتهم مع الرد عليها

١ الرجوع الى الاصل — قالوا ان في الاصناف الصناعية ميلاً الى الرجوع الى الاصل الذي نشأت منهُ بخلاف الانواع الطبيعية فانها ثابتة لا تتغير. فيرد على ذلك بان التغير الصناعي كان سريعاً جداً فلم يكن ثمت وقت كافٍ لتقوية الصفات الخاصة في الاصناف بحيث تصير ثابتة فيها. اما في الانتخاب الطبيعي فان الطبيعة تسير سيراً بطيئاً جداً وبذلك يتولد في الاصناف صفات خاصة تصير مع كرور الزمن ثابتةً لا تتغير

٢ الحلقات الوسطى — قالوا ان التدرج ظاهر في الاصناف الصناعية بخلاف الانواع

الطبيعية فان لا حلقات وسطى تربطها بعضها ببعض

وسببهُ ان التنازع الشديد بين الاصناف الطبيعية يؤول الى بقاء الانسب والى هلاك الاضعف · ولا شك ان انقراض كثير من الحلقات الوسطى راجع الى التنازع بين الاحياء ناهيك بان التغير الصناعي يمكن مشاهدتهُ بالعين اما الطبيعي فلا سبيل الى معاينة الاشكال الوسطى فيهِ قبل هلاكها لما يقتضيهِ من الوقت الطويل كما اشرنا الى ذلك قبلاً · وسيتضح ذلك جليًّا في الكلام على الانتخاب الجنسي

٣ الانتخاب الجنسي · ويراد به ان الاصناف الصناعية تتزاوج وتنتج بخلاف الانواع فانها لا يمكن ان تلد نسلاً اذا تزاوجت

ولايضاح ذلك يجب ان نفهم ان في التناسل امراً هامًّا وهو الميل الطبيعي ففي حال الطبيعة ينتخب الفرد من الحيوان ما يميل اليهِ من الافراد الاخرى فيتزاوجان ويلدان نسلاً في غالب الاحيان · اما في الاصناف الصناعية فهذا الانتخاب الطبيعي معدوم فان المربي قد يلقح اصنافاً بعضها من بعض وهي لو تركت للطبيعة لما حدث اللقاح بينها ابداً · وقد يجمع بين نوعين من الحيوان لا تجمع الطبيعة بينهما لو خُيِّرت فتتولد البغال وتكون بالطبع عقيمةً · واليك ناموس التناسل · وهو ان التزاوج بين الاصناف المتباينة الى حدٍّ معلوم افضل واحسن نسلاً من التزاوج بين الافراد من الصنف الواحد · وان التزاوج المستمرّ بين افراد الصنف الواحد او بين الاصناف التي جاوزت الحدّ المعلوم في تباينها عقيم ولا نتاج منهُ

ففي الحيوانات الدنيا لا تَزاوُجَ وانما الفرد يشطر نفسهُ شطرين يصير كلٌّ منهما فرداً مستقلاً · فاذا علوت قليلاً رأيت النسل في بعض الاحياء بشكل برعمة تنمو في الجسم الاصلي وتبقى متصلة بهِ وفي الاجناس الارقى من تلك ترى البرعمة تنفصل عن جسم الاب ثم متى علوت الى طائفة اخرى رأيت للبرعمة محلاً خصوصيًّا في جسم الحيّ الاصلي وهو بدء الاعضاء التناسلية · وهكذا تتدرج الاعضاء التناسلية في الارتقاء حتى تراها في بعض الحيوانات نوعين ذكراً وانثى وكلاهما في جسم واحد · ثم يتصل الى الحيوانات العليا فترى كل نوع منها في جسم واحد لنفسهِ وكلما ارتفعت في سلم الاحياء رأيت الاعضاء التناسلية تتباين وتزداد تباعداً وتلك حكمة في الطبيعة لان النسل المولود من فردين مختلفين افضل من المولود من فرد واحد وذلك لان الاول يرث صفات مختلفة يبقى الانسب منها فيهِ بخلاف الثاني فان ما يرثهُ كمية قليلة جدًّا لا سبيل الى التنازع فيها · وهذا هو السبب في افضلية التزاوج بين الاصناف المتباينة اللهمَّ اذا لم يتجاوز تباينها الحدّ المعلوم · ولنرجع الى ما كنا فيهِ

كيف نشأت الانواع من الاصناف ؟ سؤال اجاب عنهُ الدكتور « رومانس » بقولهِ انهُ قد ينشأ بين الاصناف صنف اذا تزاوج مع غيرهِ فنسلهُ يكون ضعيفاً جداً او قد لا يكون لهُ نسل البتة . فهذا الصنف ينفصل عن سائر الاصناف وتصير افرادهُ تتزاوج بعضها من بعض فيكثر بذلك الاختلاف بينهُ وبين سائر الاصناف ولا يزال كذلك حتى يصبح بعيداً عنها جداً (اي يصير نوعاً)

اما الاصناف الصناعية فلم تنفصل بداعي الاختلاف الجنسي بل بدواعٍ اخرى كاللون والحجم والشكل وغير ذلك من التباينات العرضية ولذلك فتناسلها اذا تزاوجت ممكن . فاذا قيل لماذا لا تنتج الانواع من بعضها قلنا لان النوع لم يصر نوعاً الاَّ لاختلافهِ الجنسي عن غيرهِ من الانواع وذلك سبب كافٍ لعدم انتاجها وبعكس ذلك الاصناف الاصطناعية فان كونها اصنافاً راجع الى اختلافات وتباينات عرضية اراد المربي ان يبقيها فيها . ونشوء الانواع بالانتخاب الجنسي يفسر لنا مسألة الحلقات الوسطى بينها . فانهُ لما كان انفصال الصنف عن سائر الاصناف راجعاً بالاكثر الى اختلاف الجنس عنها كانت الانواع الناشئة في منطقة واحدة او اقليم واحد واضحة الاختلاف جداً ولا سبيل الى وجود حلقات وسطى بينها اذ ذلك ما يقتضيهِ الانتخاب . وبعكس ذلك الانواع التي نشأت في اقاليم تفصلها فواصل طبيعية فقد وجد العلماء كثيراً من الحلقات المتوسطة بينها . وفي الختام نبسط النتائج الآتية

١ لا حدَّ للتباين بين افراد نوع من انواع الحيوان فتتنازع هذه الافراد البقاء ويشتد التنازع بين الافراد الاكثر مشابهةً فيبقى الانسب منها وينفصل عن سائر الافراد نوعاً ما وينقرض الاكثر مشابهةً لهُ غالباً

٢ اعتبر ان التباين في الفرد الذي انفصل قليلاً عن غيرهِ وصل الى درجة بطل عندها ميلهُ الجنسي الى ما دون افراد صنفهِ من الحيوانات فيستقل ويزداد تباعداً مع كرور الزمن حتى يصير نوعاً

٣ أضف الى ذلك نزح الاصناف وما يتأتى عنهُ وعن تأثير البيئة مما يزيد التباين ترى ان النشوء الآلي امر طبيعي وان انقراض الحلقات الوسطى من مقتضيات النشوء احياناً

٤ الحلقات الوسطى ليست نادرةً الاَّ بين الانواع فهي كثيرة بين الطوائف الحيوانية الكبيرة والسبب في ذلك كلهِ ما اكتشف حتى الوقت الحاضر من التحجرات الدالة على تاريخ الكون وانقراض تلك الحلقات بسبب التنازع بين الاحياء المتشابهة كما قدمنا

انيس الياس الخوري

الحياة والموت [1]

لا يبالغ الانسان اذا قال ان المسيو متشنيكوف اكبر ثقة في الطب اليوم . فقد كان في حياة الشهير باستور ساعده اليمين وهو اليوم خليفته في الاكتشافات الطبية التي احتكرها تقريباً معمل باستور . فمن وظائف الليكوسيت الى اكتشاف مكروبات السفلس الى تصلب الشرايين الى كثير غيرها مما يدلُّ على فضل هذا الرجل

ونريد هنا تلخيص كتابين لهُ يفسر فيهما نظريتين عن الحياة والموت كان لهما دوي كبير في الدوائر العلمية ثم نتبعهما بآرائهِ في اطالة الحياة

١ اصلنا الحيواني

لا اظن ان قارئاً للمقتطف يشكُّ للآن في اصل الانسان الحيواني ولذلك لا أرى داعياً لايراد ادلة دارون المتداولة على ذلك . بل آتي هنا على ادلة اخرى اوردها متشنيكوف هي غاية في البيان

ناول هذه الادلة عملية الترسيب في الطب الشرعي التي تدل على اننا والقرود من عائلة واحدة . والعملية مبنية على حقيقة بيولجية مفادها ان رواسب دم الحيوانات تتشابه او تتفارق بنسبة مشابهة الحيوانات او مفارقتها . فرواسب دم الانسان تختلف عن رواسب دم البقر ولكنها تشابه رواسب دم القرد . ورواسب دم البقر والجاموس تتشابه ايضاً مما يدل على قربهما في سلسلة النشوء . فالمحاكم اليوم تستعمل هذه العملية للتمييز بين دم الانسان والحيوان في حوادث القتل التي يشتبه فيها بين الدمين وهذه المحاكم نفسها التي تؤيد بعملها هذا ما ينفي التقاليد القديمة تعاقب من يقول شيئاً ضد التقاليد القديمة

قال متشنيكوف وفي عواطفنا ومشاعرنا كثير مما يدل على اصلنا الحيواني . مثال ذلك وقوف الشعر وقت الخوف فنحن والحيوان سواء في هذه الصفة وقد كانت تفيدنا ونحن في دور الحيوانية اذ انها كانت تعطي الخائف هيبةً ربما تغلب بها على مهاجمهِ . وما انكماش الجلد ونفش الريش في الطير الا اشكال اخرى لهذه الصفة . ولو فحصت قوة الحواس وضعفها في الحيوان لرأيت اشتراكنا معهُ فالانسان والقرد يختلفان عن بقية الحيوانات بضعف حاسة الشم والسمع هذا قليل من كثير اكتفي بهِ كتمهيد لموضوعنا وأشير على الراغب في التوسع بالكتاب نفسهِ

(١) The nature of man and the prolongation of life by Metchnikoff.

٢ الموت غير طبيعي في الانسان

اذا قلنا ان الجوع في الانسان طبيعي اردنا بذلك ان الطبيعة اوجدت الجوع كما اوجدت اليد او الرجل اي انهُ واسطة لحفظ الجسم وبدون الشعور بهِ يموت الفرد كما لو هاجمهُ حيوان وافترسهُ · فهل الموت على هذا القياس طبيعي ؟ اذا كان كذلك فلماذا لا نشعر برغبة فيهِ كما نشعر برغبة في الاكل ؟ حتى لو فرضنا ان الموت طبيعي لعمينا عن غرض الطبيعة منهُ اذ ما هو الداعي الذي يدعو الى خلق الحي ثم قتلهِ ؟

من الاحياء اليوم ما يعيش دائماً كبعض انواع البكتيريا و بعض النباتات والاحياء الدنية · فحشيش الجنائن اذا حش قبل الازهار عاش دواماً ولكن اذا ترك ليزهر مات بعد الازهار · يقول متشنيكوف ان موتهُ في هذه الحالة ناشئ عن تسمم ذاتي يتكون وقت الازهار · ثم استنتج ان جميع الحيوانات تموت مقتولة بتسمم ذاتي ينشأ من الطعام وهو سبب موت الانسان

فالحيوانات ذوات القولون اي المعى الغليظ من الامعاء الذي تحفظ فيهِ بقايا الطعام اقصر عمراً من الحيوانات التي تعيش بدونهِ · فالغراب والببغاء والسلحفاة يصغر القولون فيها الى حد العدم واعمارها اطول من عمر الانسان · فطول العمر او قصرهُ يكون دائماً على نسبة قصر القولون او طولهِ · والقولون في الانسان هو احد الاعضاء الاثرية التي ورثها من الحيوانات حين كان يحتاج الى حفظ بقايا أكلهِ في جوفهِ وقت الجري او القتال وفي هضم النباتات الجامدة كالحبوب وغيرها · وهذا سبب فائدتهِ للفرس والبقرة لان امعاءها لا تقدر على هضم الفول والشعير فاذا وصلا الى القولون جزأتهما البكتيريا وسهلت عملية الهضم · ولكنها في هذا العمل تقتل الحيوان بما تطرحهُ في جسمهِ من التسكين او السم · وفعلهُ في الاجسام فعل الكحول الذي هو في الحقيقة سم البكتيريا التي تخمر العنب او غيرهُ

فاذا فهمنا ذلك سهل علينا معرفة سبب طول حياة الغربان مثلاً · فاذا شرحت الغراب وجدت ان قولونهُ صغير جدًّا حتى ان بقايا الاكل لا تبقى فيهِ وقتاً كافياً لتتعفن اي لتحل بها مكروبات التعفن وتملأ الجسم من سمومها · وهذا على عكس الحالة في الانسان · فالقناة الهضمية تتكون من المعدة والمعى الدقيق والمعى الغليظ او القولون · فالمعدة اذا صرفنا النظر عن هضمها للمواد النشوية لا نرى لوجودها فائدة خصوصاً اذا تذكرنا استعدادها للامراض · والمعى الدقيق قادر على تأدية وظيفتها · ذكر متشنيكوف حادثة قطعت فيها المعدة واوصل المعى الدقيق بالمريء وعاش صاحبها · والقولون في الانسان ليس فقط عديم الفائدة بل هو مضر · ذكر المؤلف ايضاً حادثة قطع القولون فيها وشفي صاحبهُ · فالخلاصة ان المعى الدقيق قادر وحدهُ على القيام بالهضم

٣ كيف يموت الانسان

بعد هضم الاكل تطرح بقاياهُ في القولون وهو تربة صالحة للمكروبات وغيرها وهذه تنفث سمومها في الجسم فتقلل حيويتهُ شيئاً فشيئاً فينكمش القلب وتتصلب الشرايين وتصغر الكبد وينقلب الليكوسيت من صاحب الى عدو

والليكوسيت (حويصلات الدم البيضاء) هي الاحياء التي تؤدي للجسم وظيفة الجيش للمملكة · فاذا دخل مكروب في الجسم اجتمعت حولهُ فتعمل على قتلهِ او طردهِ او اكلهِ · واذا حدث جرح اجتمعت حولهُ وضمت اطراف الجلد ووقفت كحارس امين تمنع دخول المكروب فيهِ · فهذه الاحياء على فائدتها للجسم في دور الشباب تنقلب الى عدو ألد في دور الشيخوخة · وذلك لان السموم التي تطرحها مكروبات القولون في الجسم لا تؤثر في الليكوسيت ولو اضعفت باقي اعضاء الجسم · فاذا قل الغذاء في الدم بسبب هذه السموم انقلبت الليكوسيت واكلت الاعضاء فتبتدئ باكل صبغة الشعر والاعصاب وهذا سبب الشيب والخرف في الشيخوخة · فاذا تراكم السم هبطت الدورة الدموية وتصلبت الشرايين وخمد الجسم الى ان يموت

٤ كيف نصحح الطبيعة ؟

اذا لم يمكنا قطع القولون يجب ان نهتدي الى طريقة نمنع بها التعفن فيهِ · فالغذاء النباتي مثلاً اقل استعداداً للتعفن من اللحم ولكنهُ اصعب هضماً منهُ · كذلك لو أُحسن مضغ الطعام قل الباقي النازل الى القولون وبالتالي قل التعفن · واتباع فلتشر في اميركا الذين يجيدون مضغ الطعام الى ان يصير سائلاً تاماً لا يفرغون امعاءهم الاَّ مرة كل اسبوع او عشرة ايام · ولكن هذه الطريقة تضعف المعدة وترخي اعصابها لقلة العمل · كذلك غسل القولون بالماء او غيرهِ يضعفهُ ويوقف قابليتهُ للانقباض

اما الدواء الذي يصفهُ متشنيكوف ضد الشيخوخة فهو دواء شرقي عثر عليهِ وهو في البلقان ويسمى هناك باليغورت ونسميهِ في مصر باللبن الرائب او الزبادي · فان هذا اللبن يحوي كثيراً من البكتيريا التي تقاوم مكروبات التعفن ولا تضر بالجسم · فاذا وصلت الى القولون استوطنت هناك وحاربت المكروبات المضرة فقللت اضرارها · واذا واظب الانسان على اخذها في كل اكلهِ واضاف الى ذلك الاحتراس من الامراض وعدم الافراط في الحياة تأخر الاجل من السبعين الى المائة او المائة والعشرين هذا مع التمتع بشيخوخة خالية من عيوبها المعروفة

لندن سلامه موسى

الذئاب ولا الناس

نضرب المثل بغدر الذئاب وشراستها وبأنها لا يأتمن بعضها بعضاً ونقول انها تسير في غدواتها وروحاتها صفاً واحداً كتفاً لكتف لئلاَّ يغدر متأخرها بمتقدمها · ونشبه بها اشرار الناس والغادرين والذين يأكل بعضهم بعضاً وفي ذلك يقول احد الشعراء

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً لصاحبهِ يوماً احالَ على الدم

اشارة الى ما يقولهُ الجمهور من غدر الذئاب وقد اشار اليهِ الامام الدميري حيث قال والذئب اذا كدَّهُ الجوع فتجتمع لهُ الذئاب ويقف بعضها الى بعض فمن ولَّى منها وثب اليهِ الباقون واكلوهُ · واذا عرض للانسان وخاف العجز منهُ عوى عواء استغاثة فتسمعهُ الذئاب فتقبل على الانسان اقبالاً واحداً وهم سواء في الحرص على اكلهِ فان ادمى الانسان واحداً منها وثب الباقون على المدمى فمزقوهُ وتركوا الانسان · وقال الاخر

ليت شعري كيف الخلاص من النا س وقد اصبحوا ذئاب اعتداء

وقالوا اغدر من ذئب واختل واخبث واخون واعتى واظلم واجرأ وانشط واوقح واجسر وايقظ واعق واجوع والأم من ذئب · وقالوا من استرعى الذئب فقد ظلم · ولكن الذين بحثوا في طبائع الحيوان ورأوا الذئاب في مسارحها وراقبوها في غدواتها وروحاتها يقولون ان تشبيه الاشرار بها ظلم لها وحطٌّ من قدرها ولو سمعتْ لها محاكم القضاء لحكمت على المشبِّه بالقذف وعاقبته عقابَ القاذفين فان الذئاب لا تحتكر الطعام كما يفعل محتكرو الحنطة حتى يغتنوا بغلائها ولو مات الفقراء جوعاً ولا يقوم اقوياؤُها على ضعفائها فيقتلنهم قتلاً كباراً وصغاراً ذكوراً واناثاً اطاعةً لامر حاكم ظالم وسلطان مستبد كما فعل العثمانيون بعضهم ببعض

هل حدث بين الذئاب او بين كل وحوش الغاب ما حدث في مذابح سورية او مذابح ارمينية تؤْتى المرأة بزوجها فيذبح على ركبتها ثم تؤْتى باولادها فيذبحون امامها الواحد بعد الآخر ويؤْخذ طفلها من يدها ويشطر شطرين

هل رأَت الذئاب في فلواتها ذئباً شديد الدهاء واسع الحيلة يخدعها ويحتكر طعامها لكي يميتها جوعاً ويعيش هو بلا تعب ولا نصب · كتب بعضهم في جريدة الاستقلال الاميركية يقول درست طبائع الذئاب في الاصقاع الشمالية سنين كثيرة فلم ارَ فيها ما يجيز لنا ان نشبه

بها الاشرار الذين يظلم بعضهم بعضاً ويهضم بعضهم حقوق البعض الآخر . فالذئاب لا يقتل بعضها بعضاً ولا يسرق بعضها من بعض ولا يختلس بعضها ما لغيره ولا تحتكر الطعام وتمنع غيرها من مشاركتها فيه . واذا افترس ذئب غزالاً وسوّلت له نفسه ان يحتكره ويمنع غيره من مشاركته فيه وثب عليه جاره واخذ بخناقه كأنه يقول له لا احتكار في الطعام فهو قوام الحياة والحقوق فيه طبيعية متساوية . يفعل ذلك من غير تذمر ولا انذار لعلمه ان الاقوال لا تغني عن الافعال متى كان في الامر موت وحياة

ويظهر من بحث هذا الكاتب وبحث غيره ان الذئاب لا تتناظر بل تتشارك وتتعاون والاشتراكية عندها افضل من الاشتراكية التي ينادي بها علماء الاجتماع الانساني لانها مبنية على الحقوق الطبيعية المحضة وقد ترقت وتمحصت بناموس بقاء الاصلح من غير تعمُّل ولا تصنع

ترى في كتب القصص وما كتب في طبائع الحيوان ان الذئاب تسير في آجال وقائدها اكبرها جرماً واشدها بطشاً وانه نال السيادة بقوة ساعديه ونابيه بعد ان قهر الخصوم وجرّعها المنون حتى لم يبقَ له منازع ولا مزاحم . ولكن الامر ليس كذلك بل الزعامة في آجال الذئاب لام الصغار وزوجها يعينها بافتراس الفرائس لاولادها . والغالب بين ذئاب البلدان الشمالية ان يكون في كل اجل من آجالها خمسة الى اثني عشر ذئباً والمقام الاول فيه للام فهي ترشده في روحاته وغدواته وافراده لا تعصي لها امراً مشيئتها شريعة لهن لا تنقض كشريعة مادي وفارس وهي تسير في صدر الاجل ويتبعها اصغر اولادها سناً لانهن الى ارشادها احوج والأ وقعن في المهالك فاكلن ما لا يصلح لهن من الطعام ولو كان سماً زعافاً ودخلن في كل مأزق يعسر عليهن الخروج منه وسعين باقدامهن الى الفخاخ والشباك . ويتلو هؤلاء اولاد السنة السابقة لانهن يكن اقل من اخواتهن حاجة الى العناية والارشاد

واذا مرض ذئب او جرح لم تثب عليه الذئاب لتفترسه كما يفعل الناس باخوتهم المستضعفين بل اجتمعت حوله ورثت لبلواه

فاغضى واغضت واتسى واتست به مراميل عزاها وعزته مرمل

على ما قاله الشنفرى شاعر العرب الذي كان يعرف من طباع الذئاب اكثر مما عرف منها القزويني والدميري لانه رآها مرأى العين ودرس افعالها واطوارها . وتحاول اولاً ان تعرف ما هو مصاب الجريح او المريض ومما شكواه اما هو فيرى ان الشكوى لا تجديه غير التأسي فيخرج من بينها ويمضي لطيته حتى اذا اشتد به الالم رفع رأسه وعوى فتجيبه عاوية مثله لكنه يرى ان عواءها لا يجدي فيبقى سائراً الى ان يجد كهفاً يلجأ اليه ويجلس فيه يلحس جرحه

كأَنهُ يعلم ان الراحة خير دواء طبيعي واللعاب من احسن علاج لميكروبات الفساد وكأَنها هي تعلم ذلك ايضاً فلا تتبعهُ لتزعجهُ وتقلقهُ بل تمضي لشانها تفتش عن طعامها وطعامهِ فيعلم هو اين سارت وكما جاع اقتفى اثرها واكل من الصيد الذي اصطادتهُ لها ولهُ

واذا التقى ذئبان اشتد بهما الجوع لم يهجم احدهما على الآخر ويأْخذ بخناقهِ بل تعارفا تعارف الاصدقاء او المعارف وسارا معاً في طلب الصيد فاذا كان الطريق واسعاً سارا جنباً لجنب واذا كان ضيقاً او كانت الارض مغطاة بالثلج سار احدهما امام الآخر. وقد يختفي احدهما في كمين ويسير الآخر وراء الصيد ويلجئهُ الى الوقوع في الكمين حيث رفيقهُ فيقبض عليهِ ويكون للاثنين معاً للساعي والقاعد ولو كان الاثنان من سربين مختلفين

وهذا شأن الذئاب اذا طاردت ظبياً من الظباء السريعة العدو التي لا يلحقها حيوان مهما كان سريعاً فانها تنقسم وتكمن لهُ في اماكن مختلفة وتطاردهُ مناوبةً وتبقيهِ في البقعة التي هي فيها وكلما حاول الخروج منها نهض ذئب من كمينهِ وردَّهُ اليها الى ان يعييهُ التعب ويقع فريسة لها فتغنمهُ جزاء تعبها ولا تختصم في ما بينها وقت اقتسام لحمهِ ولا يظلم احدها الآخر بل تأْكل كلها منهُ على السواء كانها ابناء عائلة واحدة. تفعل ذلك لا عن فكر وروية ولا جرياً على قانون سنتهُ لنفسها او اقتبستهُ من غيرها كما اقتبسنا قوانين نبوليون ناسبت حالنا او لم تناسبهُ بل تفعلهُ منقادة لقانون الطبيعة قانون الاشتراك والتعاون

فقولهم في الامثال هؤلاء مثل الذئاب يأْكل بعضهم بعضاً قول بعيد عن محجة الصواب يحق للذئاب ان تلوم قائلهُ وتقيم الحجة عليهِ. ولو جرى الناس على ناموس الطبيعة وتعاونوا وتناصروا لانتفى من بينهم هذا التنازع المعيب ولما رأيت فيهم قوماً يقومون على اخوانهم ويذبحونهم ذبح الاغنام لا ليسدوا جوعاً ولا ليثأروا دماً ولا ليدفعوا عن عرض بل ليطيعوا امر حاكم ظالم وينهبوا بضاعة وامتعة او ليتزلفوا الى الله بقتل المخالفين لهم في الدين

«وما ذئبان جائعان أُرسلا في زريبة غنم بافسد لها من حرص الرجل على المال والشرف لدينهِ» كما روى ابن ماجه والبيهقي عن كعب بن مالك وقال حديث صحيح حسن. فان كان الحرص على المال والشرف يفسد الدين فكيف بالحرص على طاعة اوامر الظالمين وكيف يدَّعي قوم انهُ من الدين او في سبيل الدين

ان الذئب لأَرأَف بالذئب من الانسان باخيهِ الاَّ مَن اصلح النشؤ من الناس

ثروة الانكليز

مهما كانت مزايا الشعب الانكليزي من حيث حبهِ لوطنهِ وعكف ابنائهِ على العمل ونبوغ كبار الساسة منهم الذين قهروا الممالك بدهائهم فلا شبهة ان مزيتهُ الكبرى ثروتهُ الطائلة . وهو معروف بها في اوربا لا ينكرها عليهِ احد وقد جمع هذه الثروة الطائلة بجدهِ وكدهِ فاستخرج المعادن من جوف الارض وصنع منها الآلات والادوات واتجر بها وجلب المواد الاصلية من البلدان القاصية وصنع منها المصنوعات واتَّجر بها واستولى على بلدان واسعة في اسيا وافريقية واميركا وجزائر البحر وقاسم سكانها خيراتها فاجتمعت لديهِ موارد الثروة . ولقد كان ايراد الحكومة الانكليزية يبلغ اربعين او خمسين مليونًا من الجنيهات في اواخر القرن الثامن عشر حين كان ايراد الدولة العثمانية اقل من خمسة ملايين من الجنيهات مع ان بلادها اوسع من البلاد الانكليزية واغنى ولكن حكومتها وماليتها كانتا دائمًا مختلتين معتلتين لانها كانت تعطي الولايات بالالتزام للولاة فيبتزون كل ما يستطيعون ابتزازهُ من الاموال ولا يعطونها الاَّ النزر منهُ يحلبون الرعية ويجزون صوفها ولا يعتنون بها ولا يهتمون بتوفير ثروتها

قدَّر السر وليم بتي ثروة انكلترا سنة ١٦٦٤ بمئتين وخمسين مليونًا من الجنيهات كما يأتي

ثمن الارض الزراعية ومساحتها ٢٤ مليون فدان	١٤٤٠٠٠٠٠٠ جنيه
ثمن المباني	٠٣٠٠٠٠٠٠ "
ثمن السفن التجارية	٠٠٣٠٠٠٠٠ "
ثمن الجنائن والمواشي ومصايد الاسماك	٠٣٦٠٠٠٠٠ "
النقود الموجودة في البلاد	٠٠٦٠٠٠٠٠ "
ثمن الاثاث والبضائع	٠٣١٠٠٠٠٠ "
والجملة	٢٥٠٠٠٠٠٠٠

اي نحو نصف ثروة القطر المصري الآن وكان عدد سكان انكلترا حينئذٍ اقل من خمسة ملايين من النفوس . لكن النقود كانت عزيزة في ذلك الوقت والاسعار رخيصة فما كان يساوي حينئذٍ خمسة جنيهات يساوي الآن عشرين جنيهًا ولو لم يتغير بوجه من الوجوه ولذلك فثروة البلاد كانت تساوي حينئذٍ الف مليون جنيه اي مضاعف ثروة القطر المصري

وفي اواخر القرن الثامن عشر قدرت ثروة انكلترا بنحو ١٣٦٤ مليون جنيه كما يأتي

قيمة الارض الزراعية	٩٩٠٠٠٠٠٠٠ جنيه
قيمة المباني	١٧٠٠٠٠٠٠٠ «
قيمة المواشي من كل الانواع	١٠٢٠٠٠٠٠٠ «
السفن الحربية والتجارية	٠١٦٠٠٠٠٠٠ «
النقود التي في البلاد	٠٢٥٠٠٠٠٠٠ «
بضائع التجار والصناع	٠٣٥٠٠٠٠٠٠ «
الاثاث واللباس	٠٢٦٠٠٠٠٠٠ «
والجملة	١٣٦٤٠٠٠٠٠٠

وقدَّر السر جون سنكلر دخل انكلترا السنوي حينئذٍ بنحو ١٣٠ مليون جنيه هكذا

ايجار الاطيان	٣٣٠٠٠٠٠٠ جنيه
ايجار البيوت	٠٨٥٠٠٠٠٠ «
ربح المزارعين	٠٦٠٠٠٠٠٠ «
دخل عمال الزراعة	١٥٠٠٠٠٠٠ «
ربح المناجم والملاحة الداخلية	٠٢٠٠٠٠٠٠ «
ربح الملاحة الخارجية	٠١٠ ٠٠٠٠ «
الربح من تربية المواشي	١٥٥٠٠٠٠٠ «
الربح من الدين والرهن	٣٠٠٠٠٠٠ «
ربح التجارة الخارجية	١١٢٥ ٠٠٠ «
ربح الصناعة	١٤١٠٠٠٠٠ «
دخل التجارة من سفن التجار	٠٤٥٠٠٠٠٠ «
دخل خدمة الدين	٠٢٢٠٠ ٠٠ «
دخل القضاة ونحوهم	٠١٨٠٠٠٠ «
دخل معلمي المدارس	٠٠٦٠٠٠٠٠ «
دخل التجارة الداخلية في البيع والشراء	٠٨ ٠٠٠٠٠ «
دخل الخدم	٠٢٠٠٠٠٠٠ «
دخل مختلف	٠٢٠٠٠٠٠٠ «
والجملة	١٣٠٥٧٠٠٠٠

وهذا يقرب من الدخل الذي حسبهُ الوزير بت لما فرض ضريبة الايراد على البلاد اي ان ثروة انكلترا كانت تقدَّر بنحو ١٣٠٠ مليون جنيه في اواخر القرن الثامن عشر ودخلها السنوي بنحو ١٣٠ مليون جنيه · ولا يخفى ان ثروتها قُدّرت في اواخر القرن التاسع عشر بنحو ١٣٠٠٠ مليون جنيه ودخلها السنوي بنحو ١٣٠٠ مليون جنيه ومن ذلك الدخل الذي يدفع اصحابهُ ضريبة الايراد وهو ٦٠٠ مليون جنيه · وليس العبرة بثروة البلاد الداخلية ودخلها منها بل العبرة بما تكتسبهُ من الخارج فاذا قدّرت املاكها في بلادها بالف مليون جنيه او بخمسة آلاف مليون جنيه فهي واحدة لا تتغير وكذا اذا كان ريعها يساوي مئة مليون جنيه او الف مليون جنيه ولكن العبرة بما تكسبهُ من الخارج بصناعتها وتجارتها واموالها المشغلة في البلدان الاجنبية

وقد حسب محرر مجلة الاحصاء الانكليزية الآن ان للانكليز ٢٧٠٠ مليون جنيه مشغلة في غير انكلترا ريعها السنوي ١٤٠ مليون جنيه فهم يكسبون في السنة من اموالهم التي استدانتها منهم حكومة الهند وحكومات المستعمرات وسائر الحكومات ٣١ مليون جنيه. ومن اموالهم الداخلة في انشاء سكك الحديد ونحوها في البلدان الاجنبية ٥١ مليون جنيه وبقية الربح من اموالهم المشغلة في الشركات الاجنبية التي انشأُوها باموالهم او اشتركوا فيها كشركات تقطير المسكرات وشركات المياه وشركات الاراضي وما اشبه ٥٨ مليون جنيه والجملة ١٤٠ مليون جنيه كما تقدَّم

فان كانت اموالهم تدرُّ عليهم هذا المبلغ الطائل من المال فهم في غنى حتى عن العمل. هذا عدا المكاسب الوافرة التي يكسبونها من مصنوعاتهم وتجارتهم ولذلك قدَّر علماء الاحصاء المالي انهُ يتوفر لدى الانكليز الآن مئة مليون جنيه كل سنة اي ان دخلهم السنوي يزيد على نفقاتهم مئة مليون جنيه فلا عجب اذا غارت منهم ممالك اوربا وحاولت السير في خطتهم لاقتسام هذا الربح معهم او لاكتساب مثله

ورب قائل يقول ان كان الانكليز يربحون مئة مليون جنيه كل سنة فوق ما يقوم بنفقاتهم كلها فممن يربحونها والى اين تفضي هذه الحال · والجواب انهم يربحونها من الامم التي انتفعت باموالهم فان كانوا قد انفقوا مليون جنيه على سكة حديدية في بلاد غير بلادهم مثل البلاد المصرية فربحهم خمسة في المئة على الاموال التي دفعوها انما هو جزءٌ صغير من الربح الذي نالتهُ البلاد من تلك السكة لانها سهلت النقل وقللت نفقاتهِ وحملت الناس على احياء الارض الموات التي كان احياؤُها متعذراً لبعدها· اي قللت ما يتلف من قوة الناس والبهائم في النقل وزادت ما ينتج من خيرات الارض · وقس على ذلك سائر الاعمال العمومية التي تعمل

بالمال فان ربحها للمنتفعين بها يزيد على الربا القانوني الذي يعطى لاصحاب المال

وقد رسخ في الاذهان ان الانكليز غنوا اموالهم غنيمة من البلدان التي فتحوها في اميركا والهند . ولكن يظهر الآن من مزاحمة الالمانيين والبلجيكيين لهم في الصناعة والتجارة ان الكسب لا يأتي من سواقي الغنائم الحربية بل من قطرات الصناعة والتجارة والزراعة من الغرش الذي يربحهُ الصانع والتاجر بكل ساعة يبيعها ومن البارة التي يربحها الزارع من كل بيضة تصدر من بلادهِ . هذه بلجكا وعدد سكانها نحو سبعة ملايين نفس فقط تصدر كل سنة من الحاصلات والمصنوعات ما ثمنهُ مئتا مليون جنيه نحو نصفها يمر بالبلاد مروراً والنصف الآخر من حاصلاتها الزراعية والمعدنية ومصنوعاتها الزراعية والمعدنية فتصدر من معادن الحديد والفحم والتوتيا والنحاس والرصاص ما ثمنهُ ٢٤ مليون جنيه ومن الصوف والكتان والحنطة والسكر والجلود والخيل ما ثمنهُ ٣٣ مليون جنيه ومن المغزولات والمنسوجات والادوية والزجاج والاصباغ والآلات والادوات ما ثمنهُ ١٦ مليون جنيه . فليست انكلترا منفردة في ثروتها ولا الثروة متوقفة على اتساع المستعمرات ولكن اساسها الثابت انتظام ادارة البلاد وعلم سكانها واجتهادهم

وليس الغرض من كتابة هذه السطور مجرَّد العلم بثروة الانكليز او غيرهم من الامم ولا الحث على اقتفاء خطواتهم في كل شيء لان توزيع الثروة عندهم غير حسن فقد ابعد ما بين اغنيائهم وفقرائهم فالفقراء يتضورون جوعاً تمضي ايام واشهر لا يجدون عملاً يعملون بهِ ولا يندر ان يموت بعضهم جوعاً او ينتحر يأساً والاغنياء لا يعلمون ما يعملون باموالهم فيعيشون عيشة الترف ينتقلون من قصر الى قصر وقد جمعوا في قصورهم من التحف ما لا يأخذهُ الوصف ولا يقوَّم بثمن . وانما غرضنا من المقابلة بين فقرنا وغنى غيرنا تجنُّب الغرور وحث الذين في يدهم شؤُون البلاد على بذل الجهد في اصلاح ادارتها واستثمار خيراتها وحث الاهلين على الاجتهاد والاقتصاد لايفاء ما علينا من الديون لاوربا اولاً ولذخر الاموال لايام الشدة ثانياً فان الحكومتين العثمانية والمصرية مديونتان لاوربا بنحو ٢٥٠ مليوناً من الجنيهات وشعبيهما مديونان بنحو مئة مليون ولا بدَّ من ايفاء الدين والاَّ فجانب كبير من الدخل يذهب رباً له ويستحيل علينا ان نرفع رؤُوسنا بين الامم وعلى عواتقنا اثقال الديون . نعم ان جنودنا اشداء وقوادنا بواسل ولكن الحروب لا تدار بلا مال والعزة والمنعة لا تأتيان بثقال الاقوال . ولا منجاة لنا الاَّ اذا قام اولياء الامور بما يطلب منهم من الاصلاح وعكف الناس كلهم على الاجتهاد والاقتصاد حتى توفي البلاد ديونها وتتوفر الاموال في خزائنها .

مالية الدولة العثمانية

المال قوام الاعمال ولا تقوم مملكة دخلها اقل من نفقاتها • ويجب ان يقدَّم اصلاح مالية الدولة على كل فرع من فروع الحكومة الأ ما لزم منها لاصلاح المالية مباشرة كالامن العام والاعمال العمومية التي منها نفع مالي اما ما سوى ذلك من الفروع التي تقتضي ترقيتها زيادة في النفقات من غير زيادة في الدخل كتكثير الجنود وانشاء الاساطيل وبناء المتاحف فيجرى فيها بالتأني على ما تسمح بهِ الحالة المالية

ويراد باصلاح مالية الحكومة تكثير موارد دخلها بتكثير دخل الرعية • وتقليل نفقاتها بالاقتصاد فيها • لا تكثير دخلها بسلب اموال الرعية او ابتزاز جانب كبير منها ولا تقليل نفقاتها بترك ما لا بد منهُ لقيام اعمالها

ولقد كانت كتب التقويم الافرنجية تقدر دخل الحكومة العثمانية السنوي بنحو سبعة عشر مليونًا من الليرات العثمانية وتقدّر نفقاتها بما يقارب ذلك فنحمل قلة الايراد على ما كان شائعًا من اختلاس الاموال التي تحصَّل من الاهالي • اما وقد قدّرت الايرادات في الميزانية الجديدة باكثر من خمسة وعشرين مليونًا من الليرات والمصروفات بتسعة وعشرين مليونًا فلم تبقَ شبهة في ان الايرادات كانت اكثر مما يذكر في كتب التقويم ولو لم تصل كلها الى الخزينة • ومن رأي وزير المالية العثمانية الحالي ان تقدير الايرادات بخمسة وعشرين مليونًا معتدل جدًّا ويرجح انها ستزيد على ذلك ولا تنقص عنهُ

ويظهر لنا انهُ اذا بلغت ايرادات الحكومة العثمانية خمسة وعشرين مليونًا من الليرات والبلاد خارجة من حالة الخراب فلا يبعد ان تبلغ مضاعف ذلك بعد سنوات قليلة فقد قال وزير المالية ان موارد الايراد العثمانية التي استولى عليها الاوربيون مثل الملح والحرير والتبغ زادت ضعفًا او ضعفين بحسن ادارتهم كما سيجيءِ • فلا عجب اذا تضاعفت بقية الموارد اذا أحسنت ادارتها او اذا أُصلحت حال البلاد والعباد • فان ايرادات الدول الكبرى من الجنيهات اكثر من مضاعف عدد سكانها من النفوس كما ترى في هذا الجدول

المملكة	عدد سكانها	ايراداتها	مصروفاتها
روسيا	١٥٠ مليون نفس	٢٦٢ مليون جنيه	٢٧٢ مليون جنيه
فرنسا	٣٩ "	١٥٨ "	١٥٨ "
بريطانيا	٤٤ "	١٥٦ "	١٥٢ "

النمسا	٠٤٧ مليون نفس	١٤٧ مليون جنيه	١٤٧ مليون جنيه
المانيا	٠٦٢ "	١٣٨ "	١٣٨ "
ايطاليا	٠٣٤ "	٠٨٦	٠٨٤ "

وواضح من ذلك ان كل نفس في فرنسا يدفع اربعة جنيهات في السنة من نفقات الحكومة . وكل نفس في انكلترا يدفع ما يقرب من ذلك وكل نفس في النمسا يدفع اكثر من ثلاثة جنيهات وكل نفس في المانيا وايطاليا يدفع اكثر من جنيهين وكل نفس في روسيا يدفع نحو جنيهين . والبلاد العثمانية ليست اقل خيرات من روسيا وايطاليا والنمسا ولا سكانها اضعف همة من سكان سيبيريا وكلابريا فاذا اصطلحت حكومتهم فاستثمروا خيرات بلادهم لم يتعذر عليهم ان يدفعوا ما يدفعهُ الروسيون والايطاليون لحكومتيهما

واذا غضضنا الطرف عن هذه الممالك الكبيرة والتفتنا الى الممالك الصغيرة التي انفصلت عنا مثل رومانيا واليونان والسرب والبلغار رأينا انهُ يخص النفس منها من نفقات الحكومة نحو جنيهين الى جنيه وربع حسب طول الزمن الذي مرَّ على انفصالها عنا

اسم المملكة	عدد سكانها	ايراداتها	مصروفاتها
رومانيا	٧ ملايين نفس	١٢ مليون جنيه	١٢ مليون جنيه
اليونان	٣ "	٥ ملايين جنيه	٥ ملايين جنيه
السرب	٣ "	٤ "	٤ "
البلغار	٤ "	٥ "	٥ "

فاذا لم نحذُ الأَ حذوها في اصلاح ادارتنا بلغت ايرادات الحكومة العثمانية من رعاياها وهم نحو ثلاثين مليونًا من النفوس لا اقل من ٣٧ مليونًا من الجنيهات

وغنيٌّ عن البيان ان ايرادات الحكومة اي المال الذي تتقاضاهُ من رعاياها اكثرهُ اجور لرجالها اي اجور الرجال الذين يحفظون الامن والرجال الذين يقضون بين الناس والرجال الذين يعملون سائر الاعمال العمومية التي تقوم الحكومة بعملها كنقل البريد والتلغراف . فهي اجرة عمل يعمل للرعية فعلى كل واحد منها او من سكان البلاد ان يدفع قسطهُ من نفقات الحكومة . هذا هو الاساس الاول الذي تبنى عليهِ جباية الاموال الاميرية على انواعها

ثم ان الناس متساوون في اشخاصهم ولكنهم غير متساوين في ما يملكون فالحكومة تتعب في المحافظة على حياة زيد كما تتعب في المحافظة على حياة عمرو بوجه عام فتستحق منهما اجرًا واحدًا ولكن اذا كان زيد يملك ضياعًا واسعة ريعها الف جنيه في السنة وعمرو يملك ارضًا ضيقة

مدى الثلاثين سنة الاخيرة رأينا ان ايرادات الحكومة لم تزد شيئاً في حين نرى بسرور ممزوج بامتعاض زيادة دخل ادارة الديون العمومية زيادة عظيمة فهذا رسم التمغة زاد ٢٠ في المئة والملح مئة في المئة والحرير ٢٠٠ في المئة

فهذا النجاح الذي اصابتهُ الادارات الاجنبية يدل على تأخر حالتنا ولكن لا يمكن القاء تبعة ذلك علينا لانهُ إرث اورثناه الحكم الماضي · وبفضل الدستور ستنمو الزراعة الوطنية نماء عظيماً ·
ثم انهُ توجد ايرادات يجب انقاصها ونفقات يقتضي زيادتها وسترون في السنة القادمة تحقيق هذه الامنية إذ تنقص الضرائب مع ضمان زيادة الدخل · فمستقبلنا هو في حسن استغلال اراضينا ولنا الامل انهُ بمساعدة الحكومة ومساعي النواب حين عودتهم الى بلادهم يقدم الماليون على تأليف الشركات المالية لاستثمار الاراضي · واذا دقق النظر في الميزانية ظهر ان ٤ الى ٥ ملايين من دخل الحكومة ليست ناتجة عن ضرائب وان ١٠ الى ١٢ مليوناً من العشرين مليوناً الباقية يؤديها المزارعون

ثم انتقل الخطيب الى الكلام على كل نوع من الايرادات على حدة فقال :

ويركو الاملاك — تعلمون ان تخمين الاملاك الذي جرى منذ ٣٠ سنة لم يكن عادلاً فروعي الاغنياء وجير على الفقراء فان الذين يملكون ما يساوي مئة الف ليرة خمنت املاكهم باربعة آلاف فقط ولا يمكن اصلاح هذا التخمين في مدى شهرين في بلاد واسعة كبلادنا ويصعب ابدال المأمورين في يوم واحد ولكن لا بدَّ من بداية لكل شيء · فعلى ناظر المالية ان يشرع في ذلك دون ان تهولهُ نفقات العمل · واني اعرف في سلانيك صاحب بنك رأس مالهِ ١٢ مليوناً وهو لا يدفع سوى ٢٥ ليرة

ضريبة التمتع — ان الاجانب لا يدفعون ضريبة التمتع ولما كانوا يلاقون في هذه البلاد ترحاباً ورعاية فيجب عليهم ان يشاركوا الوطنيين في دفع الضرائب · وانا واثق بانهم لا يبخلون على الحكومة الدستورية بما كانوا يأبون اداءهُ الى الحكومة السابقة · ولي الامل ان توافق الدول على تحصيل الضرائب من تبعتها القاطنة في المملكة العثمانية اذا سئلت ذلك · فهل اهتمت الحكومة بهذا الامر؟ ان مجلس النواب لا يعلم شيئاً من ذلك لان الوزارة لا تطلعهُ على المفاوضات · هذا وان بعض المحلاَّت الاجنبية في الاستانة يربح ٢٠ الف ليرة في السنة ولا يدفع سوى ثمن تذكرة « الاصناف » في حين ان الفلاَّح في الولايات يدفع اضعاف هذا المبلغ

البدل العسكري — اننا تجاه موقفين فالمسيحيون يطلبون ان ينتظموا في الجندية ويبذلوا دماءهم في سبيل الوطن ولا يمكن رد طلبهم · والحكومة تخشى خسارة دخل سنوي من البدل

العسكري قدره مليون و ٦٤٥ الف ليرة فارتأت اللجنة وضع طريقة توفق بين الفريقين

ويستفاد من لوائح نظارة الحربية الاحصائية ان ١٢ في المئة من المبلغ المذكور آنفاً يستوفى من المسلمين الواقعة عليهم القرعة العسكرية فيبقى مبلغ مليون و ٢٠٠ الف ليرة يدفعه غير المسلمين فكيف السبيل لسد هذا النقص؟ فأرى ان يعمل بالطريقة التي يعامل بها المسلمون. وفي علمكم ان الطوائف توزع هذا البدل بطرائق مختلفة فتفرض على كل فرد اداء هذا البدل منذ صغره فلو استدعينا اليوم المسيحيين لحمل السلاح لحق لهم ان يطالبونا بارجاع البدل الذي دفعوه حتى الآن ويجب ان لا يبقى سكان العاصمة معفين من الخدمة العسكرية وهم يتمتعون بعدة امتيازات وفيهم كثيرون من الاغنياء فاذا استوفي البدل من الذين تصيبهم القرعة العسكرية ولا يريدون الخدمة اجتمع لدينا مبلغ ٤٠٠ الف ليرة

رسم الحبوب — هو رسم جائر يعادل ١٢ ونصف في المئة من المحصول وليس في الطاقة لسوء الحظ الغاؤه لان هذا الرسم يستوفى منذ ٦٠٠ سنة ولا يمانع المزارعون بدفعه على اننا سنجتهد في انقاصه في السنة المقبلة ٢ ونصف في المئة

المعادن — ان الاجانب يؤكدون ويجب تصديقهم ان ارض بلادنا غنية بالمعادن وقد أصابوا ربحاً في الاماكن التي عدنوها فيجب تسهيل المعاملات في منح الرخص وامتيازات تعدين المعادن ولا فائدة بدون ذلك

الجمارك — ان دخلها يبلغ ٤ ملايين ليرة وزيادة الرسم الجمركي من ٨ الى ١١ في المئة لم تنقص مقدار البضائع الواردة غير ان هذا الرسم لا يصيب التجار بل الاهالي نظراً لسوء تصرف مأموري الجمارك فقد تحقق المسيو كريفورد (مفتش الجمارك الانكليزي) ان المخمنين يخمنون بضائع قيمتها ١٠ ليرات بمئة قرش وذلك ناتج عن قلة راتب المأمور. ففي الميزانية القادمة تزاد رواتب مأموري الجمرك بغية وضع حد لهذه الاختلاسات

رسوم الجمرك على الصادرات — يجب الغاؤها لانها مناقضة لاصول علم الاقتصاد

رسوم الصحة — تستوفى هذه الرسوم في الولايات دون معرفة الحكومة وتستوفى من الاموات ففي بغداد لا يعطون اجازة لدفن الميت قبل دفع ٥٠ غرشاً ولما كان فائض هذه الواردات لا يدفع لخزينة الحكومة فيجب اصلاح هذا الخلل

شركة حصر التبغ — لقد وقع في السابق خلل عظيم في ادارتها انما تبعة ذلك واقعة على اهمال الحكومة وتغاضيها وبعد اربع سنوات ينتهي اجل الامتياز فعلى الحكومة ان تدرس منذ الآن كيفية استلامها هذه الادارة ولما كان ليس في وسع الحكومة العثمانية ان تستلم

ريعها مئة جنيه فقط فالعدل يقضي ان يدفع زيد من نفقات الحكومة عشرة اضعاف ما يدفعهُ عمرو من قبيل حفظ هذه الاملاك لان الحكومة تتعب في الاحتفاظ باملاك الاول عشرة اضعاف ما تتعبهُ في الاحتفاظ باملاك الثاني بوجه عام وقس على ذلك سائر الممتلكات

قال ادم سمث واضع علم الاقتصاد السياسي عند الانكليز ان على كل احد ان يدفع للحكومة على نسبة دخلهِ مقابل ما يتمتع بهِ من حماية الحكومة . وهذه هي القاعدة الاولى من قواعدهِ . وعندنا انها مانعة ولكنها غير جامعة لانهُ يجب على المرء ايضاً ان يدفع على املاكهِ التي لا ريع لها لاهمالهِ استثمارها والاً طمع بمشترى الاراضي وتركها بوراً الى ان تعمر البلاد حولهُ وترتفع اسعارها بلا تعب ولا مشقة فيكسب من غير ان يشارك غيرهُ في نفقات الحكومة

والقاعدة الثانية من قواعد ادم سمث ان الضريبة التي يدفعها كل انسان يجب ان تكون معلومة مقررة حتى يعرف ما عليهِ . والقاعدة الثالثة ان الضرائب تجبى في اسهل الاوقات لجبايتها وعلى اسهل اسلوب يمكن جمعها بهِ . والرابعة ان ينفق على جباية الضرائب اقل نفقة ممكنة . وهذه القاعدة تمنع الالتزام الذي جرت عليهِ الحكومة العثمانية فظلمت رعاياها لكي يكتسب منهم الملتزمون

وموارد الميزانية العثمانية في تقدير وزير المالية ثمانية كما ترى في الجدول التالي

الاموال المقررة	١٣٣٥٣٩٢٩	ليرة عثمانية
الاموال غير المقررة	٠٤٥٤٧٧١٠	" "
البوسطة والتلغراف ونحوها	٠٣٠٣٢٠٢٧	" "
التمغة والتمتع	٠١٠٦٤١٤٦	" "
الاعمال العمومية	٠٠٣٢٥٨٠٥	" "
الاملاك الاميرية	٠٠٢٦٥٤٨١	" "
ويركو مصر	٠٠٨٧١٣١٦	" "
ايرادات متنوعة	٠١٦٠٨٥٤٨	" "

ولا بأس بادخال ويركو مصر وان كان يذهب كلهُ ربا لدين معلوم ولا تأخذ الحكومة العثمانية غرشاً منهُ

ولقد عينت لجنة لفحص مواد الميزانية الجديدة فعدلتها واختارت جاويد بك مندوب سلانيك (الذي صار ناظراً للمالية بعدئذٍ) ليرفع تقريرها الى مجلس المبعوثان فوقف في ٢٢ يونيو الماضي وتكلم عن الميزانية كلاماً وقع احسن وقع في النفوس وقد لخصناهُ هنا نقلاً عما

قرأناهُ في جريدة الشمس وجريدة الارز اللبنانية قال : — ان هذا اليوم يستحق ان يخلد في التاريخ العثماني لان هذه هي اوَّل مرَّة منذ ٦٠٠ سنة تسنى لممثلي الامة الموافقة على استيفاء الضرائب المفروضة على الاهالي وفحص الاثقال الملقاة على عاتق الامة واستعمال سلطتها المطلقة في الشؤون المالية . ان قوَّة البلاد الاقتصادية تسمو على كل قوة فالحكم الذي أُلغي كان يتلاعب بهذه القوَّة فقسم الامة الى قسمين قسم يأخذ ولا يعطي وقسم يعطي ولا يأخذ وقوامهُ ذلك الشعب المسكين. ولقد آن الوقت لابدال كل ذلك ان الشعب يطلب منا ارجاع حقوقهِ اليهِ وانهاض البلاد من وهدة الخراب والشقاء الى ذروة الرقي فيجب علينا ان نسمع شكاويهُ منذ الآن محاولين معالجتها . واننا نجهل الافكار التي خالجت عقل الوزارة لما بسطت لدينا حالة وارداتنا وبينما كنا ننقد الارقام ونتدقق فيها كانت اصوات استغاثة الشعب تطن في اذاننا وكنا نسمعهُ يصرخ بنا قائلاً :

« في وقت الحرب نحن الذين نبيع نفوسنا اعلاء لشأن الوطن ونملأ جثثنا ساحات القتال وفي وقت السلم نستمر على تضحية نفوسنا ونبقى متعرضين لعوامل الطبيعة للشمس المصهرة والبرد القارس لكي نقيت الامة ونضمن بقاءها وبينا نحن على وشك ان نجني ثمار اتعابنا ينتصب امامنا الجابي والضابطة »

غير انهُ يطرق آذاننا صوت آخر اشد وقعاً وهو نداء الكيان الوطني الذي يجب ضمانهُ ويمنعنا من ان نفعل كما نريد موجباً علينا ضمد جراح الامة من ثقل الضرائب تدريجاً

وعلى الحكومة واجبان آخران احدهما يعود الى ناظر الداخلية الموكول اليهِ ضمان الراحة العمومية والآخر الى ناظر الاشغال العمومية فاذا اتمَّ كلاهما واجبهما تتوفر لدى الحكومة الاموال ويتبدل عجز الميزانية بزيادة قدرها ٤ الى ٥ ملايين ليرة اذ لا زراعة ولا استثمار بدون امن ولا رواج للحصولات بدون طرق مواصلات والاَّ رأى الفلاح فائض محصولات ارضهِ بائراً غير انهُ لا اهمية للعجز المالي اذا كانت الميزانية صادقة حاوية كل النفقات والواردات وهي مبنية على دخل الحكومة الحقيقي

ان بعض النظارات عارضت في توحيد الشؤون المالية قصد الاستقلال بانفاق الواردات على هواها كما في العهد المنقضي نهذا امر يتعذر قبولهُ ويدل على قلة ادراك بعض النظار لروح الدستور ولي الرجاء الوطيد ان ناظر المالية يتغلب عليهم بواسطة مجلس النواب . فيجب ان يذكر في الميزانية حتى ثمن احقر مقعد من المقاعد والكراسي كما هو جارٍ في انكلترا حيث يذكرون في الميزانية ثمن فهارس المتاحف التي تباع للزوار . فاذا نظرنا الى مجموع الميزانية في

حصر هذا الصنف فيلزم ان توجره الى شركة خاصة بشروط اكثر موافقة . ان الرسوم المعروضة على اصدار التبغ الى مصر والبلقان يبلغ مقدارها ١٨٠ الف ليرة فتحول دون مزاحمة التبغ اليوناني في مصر وقد انقصت اللجنة الرسم الحالي الى نصفه فاذا زادت الكميات الصادرة تلغى هذه الرسوم تماماً

التنباك — ان حصر هذا الصنف قد انقص الكميات المستوردة الى ثلثها وقد كثر تهريبهُ مع الاسلحة فيجب الاتفاق مع الشركة صاحبة الامتياز بهذا الخصوص

البوسطة والتليفون — يجب ان يترك للحكومة ادارة شؤون البوستة والتلغراف لاسباب سياسية انما لا يوافق حصر ادارة التلفون بها لان لا علاقة لها بالراحة العمومية ولذا حذفت اللجنة ذكرها من الميزانية لثيقنها عدم اقتدار الحكومة على ضبط هذه الادارة وقد عجزت عنها الحكومة الفرنسوية فيجب منح امتيازها لشركة خاصة

المسكوكات — يجب توحيد سعر المسكوكات وقد عهد الى لجنة مالية اختصاصية لتقطع بهذا الامر

سكة الحجاز — ان شؤونها مختلة فعلى الحكومة ان تلزم استثمارها لشركة خاصة

معمل الغاز — يجب فصلهُ عن الطوبخانة واعطاؤهُ لشركة خاصة

مناجم هركله — يقتضي الاتفاق عليها مع الشركة الفرنسوية صاحبة الامتياز

املاك الحكومة — يجب بيع كل هذه الاملاك الا الغابات

الديون — ان البنك العثماني مستعد للمساهلة وقد رضي باسقاط الفائدة التي يتناولها

رسوم البحرية — ان الحكومة السابقة الغت رسوم الجمرك على البضائع الداخلة براً واضافتها الى البضائع التي تدخل بحراً مما عرقل التجارة وحال دون مزاحمة المصنوعات الوطنية للمصنوعات الاجنبية فيجب الغاء هذا الرسم

واتم الخطيب كلامهُ معتذراً عن عدم تمكن اللجنة من وضع ميزانية احسن من هذه لعدم توفر الوقت وان ناظر المالية لم يتمكن من تقديم تفاصيل الميزانية نظراً لتأخر النظارات عن ارسال برنامج كل نظارة

فوقف ناظر المالية وقال انهُ يأمل تقديم الميزانية في اول تشرين الثاني وان اعادة الاحصاء والمساحة ستعودان باموال وافرة على الحكومة ويقدر ما يدخل من الاستانة بثلثمئة الف ليرة اما التمتع فان اللجنة تنظر في تعديل نظامهِ والحكومة ساعية لدى السفارات على حملها على الموافقة على استيفاء هذا الرسم من الاجانب وهي مهتمة ايضاً بنظام التمتع

مقاومة الجسم للامراض المعدية

وتقوية هذه المقاومة

تدخل الامراض المعدية كالكوليرا والطاعون والتيفوس والتيفويد مدينةً او قريةً او بيتاً فيعدَى بها بعض الناس ولا يعدَى البعض الآخر . ولا بدَّ من شيءٍ في الذين لا يعدون وقاهم من العدوى اومن شيءٍ في الذين يعدون عرَّضهم للعدوى فما هو هذا الشيء وهل يمكن تقوية ما في الجسم من المقاومة للامراض المعدية . هاتان مسألتان اجاب عنهما الدكتور سيمون فلكسنر بمقالة تليت في جامعة كولمبيا بنيويورك في شهر مارس الماضي ونشرت في مجلة العلم العام الاميركية ومما قالهُ فيها ان تجنُّب اسباب الامراض المعدية اي الميكروبات التي تسببها متعذّر في غالب الاحيان لان بعض هذه الميكروبات موجود في كل مكان كميكروب السل وبعضها لا يخلو منهُ جسم الانسان نفسهُ كميكروب الصديد الموجود دائماً على جلدهِ وميكروب ذات الرئة وميكروب الدفتيريا اللذين قلما يخلو منهما الانف والحلق . وفي غشاء الامعاء المخاطي ميكروبات متنوعة وكثير منها ضارٌ وقد يكون بينها ميكروبات التيفويد والدسنطاريا والكوليرا ويبقى الجسم سليماً من شرها

ينتج من ذلك نتيجتان الاولى ان اجتناب الميكروبات المرضية والناس المصابين بها والاماكن الموجودة فيها ضرب من المحال . والثانية انهُ لا يصعب على الجسم ان يقي نفسهُ منها في غالب الاحيان والاَّ ما بقي حيٌّ على وجه البسيطة . وهذه الوقاية لا تقتصر على منع الميكروبات عن الوصول الى داخل الجسم وان كان هذا المنع يقي الجسم منها حتماً ولهُ في الجسم وسائل خاصة بهِ بل تقوم ايضاً بوصول الميكروبات الى الدم وابطال فعلها فيهِ

ومن الميكروبات المرضية ما لا يقيم في جسم الانسان ولكن عدواهُ شديدة جدًّا مثل الجدري والحصبة والقرمزية ومنها ما لا بدَّ لهُ من وسيط يقيم فيهِ قبلما يدخل جسم الانسان مثل الملاريا التي يقيم مكروبها في نوع من البعوض والحمى الصفراء التي يقيم مكروبها في نوع آخر منهُ والطاعون الذي يقيم مكروبهُ في الجرذان على ما يظن

والناس مختلفون كثيراً في استعداد ابدانهم للعدوى بالامراض المعدية ما عدا الجدري فانهُ كان يصيب كل الناس تقريباً قبل اكتشاف التطعيم

ثم ان ميكروبات الامراض المعدية لا تفعل بكل انواع الحيوان على حدٍّ سوى ولا بكل

افراد النوع الواحد على حدٍ سوى فمنها ما هو خاص ببعض الانواع ولا يفعل بغيرهِ مطلقاً او لا يفعل بهِ الاَّ قليلاً مع ان النوعين متقاربان · بل ان فعلها يختلف في افراد النوع الواحد ولا يمكن ان تعلل العدوى والمناعة تعليلاً صحيحاً ما لم يفسر ذلك التعليل سبب بلوغ العدوى الى بعض الانواع دون غيرها وسبب بلوغها الى بعض افراد النوع الواحد دون البعض الآخر · وهذا التعليل لم يعرف حتى الآن اي لم يعرف السبب الحقيقي للعدوى والمناعة

وقد عرف منذ زمن طويل ان ميكروبات الامراض المعدية تصل احياناً الى الدم ولا تسبب العدوى ثم اذا مات الحيوان وجد دمهُ خالياً من الميكروبات وكذلك اعضاؤُه الباطنة وتبقى كذلك مدة طويلة بعد الموت الى ان يحلّ فيها الفساد · وهذا يدل على انها تقي نفسها من الميكروبات مدة الحياة ووقتاً ما بعد الموت · ثم ثبتت قوة الدم على مقاومة الميكروبات بالامتحان وذلك بحقن الارانب بسوائل متعفنة في شرايينها ثم تصب بمكروه واستخرج جانب من دمها بعد ذلك فلم يحل بهِ الفساد · فلم تبقَ شبهة في ان الدم يقي نفسهُ احياناً من ميكروبات الفساد

والظاهر ان الجسم يتخلص من الميكروبات بطريقتين الواحدة بافرازها من الكليتين والكبد والثانية بقتلها وهي فيهِ · وقد اثبت علم الميكروبات ان الدم وبعض سوائل الجسم تقتل الميكروبات وهذهِ الخاصية تبقى في الدم والسوائل بعد خروجها من الجسم · فهنا قضية محسوسة لا ريب فيها وهي ان الدم وسوائل باطن الجسم تقتل كثيراً من الميكروبات

ولكن يظهر ان قوة الدم على قتل الميكروبات محدودة وهي لا تفعل بكل الميكروبات على حدٍ سوى · والميكروبات التي يسهل قتلها فيهِ ينجو بعضها احياناً فتنمو وتتكاثر · وبعض الميكروبات اقوى من غيرها على مقاومة فعل الدم والنجاة منهُ · ودماء الحيوانات ليست متماثلة تماماً في فعلها بالميكروبات واذا اخرج الدم من جسم الحيوان فقوَّتهُ على قتل الميكروبات تزول منهُ بعد بضعة ايام وتزول منهُ حالاً اذا سُخّن الى درجة ٦٠ بميزان سنتغراد

ويظهر لاول وهلة انهُ قد عُرف سبيل العدوى والوقاية ولكن ليس الامر كذلك لان فعل الدم لا يجري على وتيرة واحدة دائماً من حيث قتلهُ الميكروبات ووقاية الجسم منها ولا هو كافٍ لتعليل كل الامور المشاهدة في العدوى والوقاية ومع ذلك فقد عرف كيف يفتك الدم بمكروبات الامراض فقد وجد فيهِ ترياق (Alexin) مركب من مادتين الواحدة تلصق بالميكروباب وتأتي بها الى المادَّة الثانية فتميتها وهذه المادة الثانية تتولد من الليكوسيت اي الحويصلات البيضاء التي في الدم وعلى مقدار هذه المادة تتوقف قوة الجسم على الفتك

بميكروبات الامراض لكن مقدارها لا يبقى واحداً فتزيد تارةً وتنقص اخرى . والظاهر ان بعضها يفرز افرازاً من الليكوسيت وبعضها يتكون من انحلالهِ وهذا هو القسم الاكبر فان الليكوسيت يتم عملهُ وينحلُّ على الدوام كما تنحلُّ سائر دقائق الجسم الحي ومن انحلالهِ يتولد في الدم مادة تميت الميكروبات وتتصل من الدم الى اللمفا والتجاويف المصلية لكن هذه المادة سريعة الانحلال فلا بدَّ من تولدها دائماً والاَّ قلَّت كثيراً

ثم ان بعض الحويصلات البيضاء التي في الدم يأكل الميكروبات وهو المسمَّى بالفاغوسيت اي آكل الحويصلات فلهُ شأن كبير في وقاية الجسم من شرها والدم يبعث بهِ الى كل عضو تهجم عليهِ الميكروبات فيفترسها افتراساً . وفعلهُ في ذلك لا يقلُّ عن فعل المادة المذكورة آنفاً . والظاهر ان وظيفة الفاغوسيت الاولى كانت تطهير الجسم من الفضلات التي تتجمع فيهِ ثم جعل ينقي الجسم من الميكروبات ايضاً فقويت فيهِ هذه الصفة بالانتخاب الطبيعي ولكنهُ لا يستطيع ذلك ما لم تكتنف الميكروبات مادة غروية ليسهل عليهِ ابتلاعها

ثم ان عمل الميكروبات والمادة المميتة لها والفاغوسيت الذي يأكلها لا يجري دائماً على وتيرة واحدة في كل الحيوانات فاذا حقنت ضفدع بميكروب التتنوس (الكزاز) لم يصبها التتنوس وهي في حرارتها الطبيعية فاذا رفعت حرارتها قليلاً ظهر التتنوس فيها . واذا حقنت دجاجة بميكروب الانثركس لم يصبها ما دامت حرارتها عادية فاذا خفضت اصابها . ومعلوم ان ما يقينا من الميكروبات لا يستطيع ان يقينا منها دائماً والاَّ لما اصابنا منها ضرر فما سبب ذلك

اولاً ان الميكروبات تختلف كثيراً في فعلها فبعضها لا يضرُّ الاَّ نادراً وتسهل مقاومتهُ وبعضها قليل الضرر ولا تصعب مقاومتهُ ولكنهُ يصير في بعض الاحيان شديد الضرر حتى تتعذَّر مقاومتهُ ولاسيما متى جاء في صورة وافدة كما في الميكروب الذي يسبب الانفلونزا (النزلة الوافدة) والميكروب الذي يسبب ذات الرئة ولا يعلم سبب ذلك حتى الآن ومهما كان سببهُ فالميكروب يسبب حينئذٍ المرض الخاص بهِ

ثم ان في الجسم قوة لتعديل السموم التي تفرزها الميكروبات وملاشاتها سواء كانت الميكروبات خارجية او داخلية . والظاهر ان اكثر فعل الميكروبات في الجسم يكون بواسطة السموم التي تفرزها لا بها نفسها فميكروب الدفثيريا مثلاً يتلف الغشاء المخاطي الذي يقع فيهِ ويكوّن سمّاً ينتشر في البدن ويسمهُ . وميكروب التيفويد يقع في الامعاء ويكوّن سمّاً ينتشر في البدن ويسمهُ وهلمَّ جرّاً . وانواع الحيوان تختلف في مقدار تأثرها بفعل هذه السموم كما تختلف في مقدار تأثرها بفعل الميكروبات نفسها فذوات الدم البارد لا تتأثر من سموم بعض

الميكروبات التي تميت ذوات الدم الحار ولكنها لا تجري كلها على نسق واحد دائماً فسم ميكروب التتنوس لا يؤثر في الضفدع ولا في التمساح من ذوات الدم البارد واذا رفعنا حرارتهما معاً حينئذٍ فالضفدع تصاب بالتتنوس واما التمساح فلا يصاب بهِ . وسم ميكروب الدوسنطاريا اذا دخل دم الارنب وصل منهُ الى امعائها واضرَّ بها ولكنهُ لا يصل من امعائها الى دمها . واذا ادخل سم التتنوس الى دم الدجاجة لم يفعل بها ولكنهُ اذا ادخل الى دماغها فعل بها حالاً واحدث فيها التتنوس ويبقى السم في دم الدجاجة سليماً بضعة اسابيع فعدم فعلهِ بها ليس ناتجاً عن ان دمها قتلهُ او اتلفهُ بل عن سبب آخر ولعلهُ عدم استطاعة السم على اختراق الاوعية الدموية والوصول الى المراكز العصبية . وبعض الحيوانات تصاب بالتتنوس صيفاً ولكنها لا تصاب بهِ شتاء

ويستنتج من ذلك كلهِ انهُ توجد وسائل مختلفة لمنع سم الميكروبات من فعل الاعضاء التي تفعل بها عادة ومن هذهِ الوسائل مواد تبطل فعل السم ومواد تتلفهُ وهي موجودة عادةً في الدم . وقد عرفت مادة من هذهِ المواد المضادة لفعل السم وهي المادة المضادة لفعل الدفثيريا التي توجد بمقادير طفيفة جداً في دم الناس ودم الخيل

والظاهر ان افعال الميكروبات الضارة ناتجة عن ان سمها يكون اكثر مما في الجسم من الوسائل المضادة لهُ او ان الوسائل تكون اضعف من فعل السم . ويظهر ان الجسم اقدر غالباً على مقاومة الميكروبات نفسها منهُ على مقاومة السم الذي يتولد منها . فقد عجزنا عن مقاومة الادواء الميكروبية لاننا لم نعرف طريقة لمقاومة هذهِ السموم ولكننا وجدنا ترياقاً لبعضها كسم الدفثيريا والتتنوس

وفي الجسم عادةً ما يكفي من الوسائل لمقاومة فعل الميكروبات المرضية وسمومها فلا تتغلب عليهِ الا في احوال غير عادية وهذهِ الاحوال غير معروفة تماماً لكثرة الفواعل التي تؤثر فيها فنعلم بالمشاهدة ان اللباس المناسب والطعام المناسب والاقامة في الاماكن الصحية والاعتناء بالجسم واجتناب التعب المفرط والغم والهم كل ذلك يحفظ الصحة وما يناقضهُ يعرّض الجسم للمرض . ولكن يجب الفرق بين العلة والمعلول فان الوسائل الصحية قد تمنع وصول الميكروبات المرضية الى الجسم لا انها تقوي الجسم على مقاومتها . ويظهر من بعض التجارب ان بعض الافعال يعدُّ الجسم للامراض المعدية فالحيوانات التي تضمَّر بالصوم او تروَّض رياضة شديدة او تعطى مقادير كبيرة من الالكحول او تعرَّض للبرد الشديد بحلق شعرها تصير اكثر تعرُّضاً من غيرها لبعض الامراض ثاذا وجد ان قوة المناعة التي في الدم تتغير بتغير الاحوال

كان ذلك دليلاً فعلياً على تأثيرها في وقاية الجسم وعدم وقايته

وقد شوهد ان الفاغوسيت اي حويصلات الدم التي تأكل ميكروبات الامراض تقل من دم الانسان وقتما يصاب بمرض ثقيل ولا يعلم هل قلتها سبب لاشتداد المرض او ان اشتداد المرض سبب قلتها · ولكن يعلم بالامتحان انهُ اذا ضعف الفاغوسيت اشتدَّ فعل الميكروبات فاذا حقن حيوان من خنازير الهند بمقدار غير قتال من ميكروب الكوليرا وأعطي قبل ذلك قليلاً من الافيون فميكروب الكوليرا يفعل بهِ ويميتهُ مع ان هذا المقدار لا يميتهُ عادة · وواضح ان سبب ذلك هو ان الافيون خدَّر الفاغوسيت فلم يعد قادراً على اكل ميكروب الكوليرا · ويمكن ان يزاد فعل الفاغوسيت ببعض الوسائل فيقوى على ميكروبات الامراض · ومن هذه الوسائل الاغتسال بالماء البارد والقيام في الشمس كمن يستحم بها وحقن الدم ببعض المواد الكيماوية كالببتون والالبيموز والحامض النكلينيك والسبرمين والبيلوكربين pepton, albumose, nucleinic acid, spermin, pilocarpine فانها تقوي فعل الدم على اهلاك الميكروبات المرضية ولو وقتياً وقد يمكن مقاومة ميكروب المرض بعد ان يستقر في الجسم وتبتدئ العدوى

اذا حقن خنزير الهند بميكروب الكلورا في البريتون ظهرت فيهِ اعراضها حالاً ومات في بضع ساعات ويوجد حينئذٍ ان ميكروب الكوليرا قد تكاثر فيهِ وتغلب على الليكوسيت وقلل عددها فلم تعد تستطيع مقاومتهُ ولكن اذا حقن خنزير الهند بمذوب الملح قبل الحقن بميكروب الكوليرا باربع وعشرين ساعة او بمادة كيماوية من المواد المذكورة آنفاً زاد عدد الليكوسيت في الدم وتغلبت على ميكروبات الكوليرا

وفائدة الليكوسيت في مقاومة الامراض المعدية قبل ظهور العدوى اشد من فائدتها في الشفاء منها بعد حدوث العدوى على ما يرجح لان فعل الدم في مقاومة العدوى يمكن ان يزاد بالوسائل الخارجية واما فعلهُ في اتلاف سمها فلا يزاد لان الجسم يكون قد ضعف بفعل السم فلا توءثر فيهِ الوسائل الخارجية

وهنا امر آخر حريٌّ بالنظر وهو ان الجسم يشفى احياناً كثيرة من الامراض بعد ان يصاب بها فهل الوسائل التي يستعملها للشفاء اي للتغلب على الميكروبات وسمومها هي من نوع الوسائل التي يستعملها لمقاومة الميكروبات وسمومها ولا تمتاز عنها الاَّ في انها اقوى منها

يظهر من البحث في الدم من اليوم الرابع الى العاشر من ايام المرض وفي الطحال والنخاع انهُ يتولد فيها مواد كيماوية تبطل فعل سم الميكروبات وهذه المواد الكيماوية يولدها ميكروب المرض نفسهُ اي انهُ يعيش ويولد مادة كيماوية تميتهُ اما بتكثير المادة المشار اليها آنفاً التي قلنا

انها تميت الميكروبات او بتقوية الفاغوسيت على قتل الميكروبات . وتزيد هذه المادة الكيماوية بتقدم المصاب نحو الشفاء حتى اذا شفي صار فيهِ من هذه المادة ما يكفي لوقاية غيرهِ من ذلك المرض او لشفائهِ منهُ اذا اصيب بهِ . هذه هي المناعة التي تحصل عادة من الاصابة بالامراض المعدية . فاذا أُصيب واحد بالجدري مرة لم يعد يجدر مرة اخرى لان ميكروب الجدري يولد في جسمهِ ويبقي فيهِ مادة تمنع اصابتهُ مرةً اخرى وكذا من يصاب بالتيفويد لا يصاب بهِ مرةً اخرى لان التيفويد يولد في جسمهِ مادة تقيهِ من الاصابة بهِ ثانيةً

ويمكن اظهار فعل المناعة وقت اشتداد الآفة مثال ذلك ان نطعَّم بقرة في جانب من جسمها من دم بقرة اخرى ماتت بالطاعون البقري المعروف باسم رندربست وتطعَّم في الجانب الآخر من دم بقرة اخرى أُصيبت بهذا الطاعون وشفيت منهُ فالبقرة التي تطعم كذلك يظهر فيها الداء ولكنهُ يكون خفيفاً جدًّا وتشفى منهُ لان دم البقرة التي شفيت اكسبها بعض المناعة لكن تكون العدوى في دمها شديدة قبل شفائها حتى اذا طعمت بهِ بقرة اخرى سليمة أُصيبت بالطاعون البقري وماتت بهِ

واذا كانت العدوى حاصلة من سم الميكروبات وحدهُ لا من السم والميكروبات معاً كما في الدفثيريا التي ينتشر سمها في البدن ويبقى ميكروبها غير منتشر فيهِ فالمادة التي يكتسبها الدم وقت الوقاية تكون بسيطة فعالةً جدًّا وهي افعل ترياق للدفثيريا . ولا يعلم كيف تفعل هذه المادة بالفاغوسيت حتى يصير اقدر مما كان على مقاومة سم الميكروبات

فهنا امران مستقلان الواحد المقاومة العمومية التي توجد في الجسم للميكروبات المرضية بنوع عام والثاني المناعة الخصوصية التي يكتسبها الجسم من دخول نوع من الميكروبات فيهِ لمقاومة ذلك النوع عينهِ اذا داخلهُ ثانيةً . والمقاومة محدودة في فعلها وكثيراً ما تعجز عن وقاية الجسم الذي هي فيهِ . واما المناعة فيمكن تقويتها وهي تكفي لوقاية الجسم الذي تولَّدت فيهِ ولوقاية غيرهِ ايضاً . فاذا قيل ما هي افضل طريقة لوقاية الحيوان من مرض معدٍ اجبنا ان يعدى بذلك المرض ويشفى منهُ فلا يعود يعدى به كما هو الغالب

وهناك فرق آخر بين الوقاية والمناعة وهو ان فعل الوقاية سريع ويقوى بالوسائط فيزيد فعلها حالاً ثم يزول بعد يوم او يومين وقلما يبقى منها شيء بعد اربعة ايام . اما المناعة فعمل بطيء تبتدىء بعض حويصلات الجسم فتجعلها تفرز مواد جديدة تصل منها الى الدم ولكنها متى تكونت تبقى دائماً او يصير الجسم قادراً على تكوين مثلها سنة بعد سنة

اصل الانتخاب الطبيعي

اثبتنا غير مرة ان مذهب نشوء الانواع بعضها من بعض بواسطة الانتخاب الطبيعي قال بهِ داروين وولس في وقت واحد لا لانهما استنتجاهُ في وقت واحد بل لانهما اشهراهُ معاً. وقد كتب ولس يثبت ان الفضل في هذا الاكتشاف لداروين وان ليس لهُ هو الأَّ جزء صغير جدًّا منهُ. وهذا شأن الكرام الذين لا يبخسون الناس اشياءهم ولا ينتحلون ما ليس لهم. وكلام ولس في هذا الموضوع لما احتفلت جمعية لينيوس الطبيعية بهِ وبداروين حريٌّ بان يكتب بماء الذهب

وقد اشرنا اليهِ في شهر اغسطس الماضي وذكرنا خلاصتهُ ورأينا الآن ان نترجمهُ كلهُ هنا قال. اني شاكر مجلس ادارة هذه الجمعية على الشرف العظيم التي انالتني اياهُ بقرنها اسمي مع اسم تشارلس داروين في هذا الاحتفال وعلى الشرف الاعظم الذي نلتهُ بتخليد صورتي مع صورة سابقي المجيد في النشان الذي منحتني اياهُ

واني استميحكم بذكر بعض كلمات من حيث العلاقة التي كانت بين داروين وبيني قبل شهر يوليو من سنة ١٨٥٨ وبعض ما يتعلق بي وبهِ مما مكَّن العلاقة بيننا ولا يخلو ذكرهُ من لذة لاني لم اذكرهُ قبلاً

من حين مات داروين سنة ١٨٨٢ وانا اجد الكتاب يعزون اليَّ شيئاً لا استحقهُ لانهم لا يعلمون ماهو نصيبي الحقيقي من المذهب الداروني فقد قيل في الجرائد والمجلات اننا اكتشفنا الانتخاب الطبيعي في وقت واحد وكلٌّ منا لا يعلم بما فعلهُ الآخر. وبالغ بعضهم فقال اني انا السابق الى هذا الاكتشاف واني تنازلت عنهُ لداروين

ودفعاً لهذا الوهم ارى انه يليق بي ان اقص واقعة الحال كما وقعت تماماً

ان الامر الوحيد الذي يربطني بداروين ولم ينكرهُ احد عليَّ هو ان فكرة الانتخاب الطبيعي او بقاء الاصلح وما ينتج عنها خطرت لي كما خطرت لداروين وكل منا لا يعلم ما خطر للآخر واننا اعلنا ذلك معاً في وقت واحد امام هذه الجمعية منذ خمسين سنة

ولكن الامر الذي نسيهُ الكتَّاب هو ان هذه الفكرة خطرت ببال داروين سنة ١٨٣٨ قبلما خطرت ببالي بعشرين سنة. وان داروين ظل كل تلك السنين يجمع الادلة التي تؤيدها مما كتب في علم الحيوان والنبات والزراعة ومن التجارب التي جرَّبها هو نفسهُ والامور التي

شاهدها كما يظهر مما اثبتهُ في كتابهِ «اصل الانواع» وفي كتابهِ الآخر الذي موضوعهُ الحيوانات والنباتات الاهلية فانهُ جمع مواد ذينك الكتابين وحققها ورتبها في تلك السنوات العشرين

وقد كتب دارون مجمل آرائهِ في سنة ١٨٤٤ وأطلع عليها صديقيهِ السر تشارلس ليل والسر جوزف هوكر قبلما خطر لي ان اهتم بدرس المواضيع الطبيعية . فلج عليهِ السر تشارلس ليل ان ينشر خلاصة آرائهِ باسرع ما يمكن لئلاَّ يسبقهُ احد اليها اما هو فأبي مفضلاً الانتظار الى ان يتسنى لهُ تنسيق كل ماجمعهُ في هذا الموضوع . ثم تمَّ ما أنبأ بهِ ليل فجاءهُ كتاب مني وفيهِ مقالة في هذا الموضوع فانقضَّ عليهِ كصاعقة من السماء واضطرهُ حينئذٍ صديقاهُ ليل وهوكر الى نشر مقالة منهُ في هذا الموضوع مع مقالتي وقرئت المقالاتان معاً في هذه الجمعية

فما اعظم الفرق بينهُ وبيني . هو درس الدرس الطويل واعدَّ المعدات الكثيرة وعزم ان لا يشهر نتيجة عملهِ الاَّ بعد أن يجمع لهُ من الادلة ما لا يبقي محلاً للريب . اما انا فخطر ببالي هذا الخاطر في طرفة عين ولم افكر فيهِ اكثر من ساعات قليلة فكتبتهُ حسبما خطر لي حينئذٍ بكل تفاصيلهِ وتطبيقاتهِ ثم نسختهُ على ورق رقيق وارسلتهُ الى دارون وحدث كل ذلك في اسبوع واحد وقد كنت عجولاً كما هو دأبي دائماً . وطالب العلم انما يقصد تحقيق الامور التي يكتشفها لا الشهرة بها

هذا الذي جرى وانهُ ليرضيني ان يكون نسبة نصيبي من هذا الاكتشاف الى نصيب دارون منهُ كنسبة المدة التي قضيتها في تحقيقهِ الى المدة التي قضاها هو اي كنسبة اسبوع واحد الى عشرين سنة . ولو انقاد لالحاح اصدقائهِ ونشر اكتشافهُ بعد ما اكتشفهُ واشتغل في تحقيقهِ بعشر سنوات او خمس عشرة سنة او ثماني عشرة سنة لما كان لي فيهِ اقل نصيب ولاعترف لهُ الناس اجمع انهُ هو المكتشف الوحيد لناموس الانتخاب الطبيعي بكل نتائجهِ

حقًّا اني موفق جدًّا باكتسابي شيئاً من فخر هذا الاكتشاف مهما كان قليلاً . ففي النصف الاول من القرن التاسع عشر وقبل ذلك ايضاً كان كثيرون من علماء الحيوان والنبات يبحثون في هذا الموضوع وارتأوا فيهِ آراء لا تكفي لحلهِ وبعضهم من اكبر العلماء عقلاً لكنهم لم يهتدوا الى محجة الصواب . ولو لم يتأخر دارون في نشر اكتشافهِ ليزيدهُ تمحيصاً لما ابقى لي اقل شأن فيهِ

وهذا يفتح لي مجالاً للنظر في هذه المسألة وهي لماذا عجز كثيرون من اكبر العلماء عن اكتشاف هذه الحقيقة وخُصَّ باكتشافها دارون وخصصت بها انا . يظهر لدى البحث اننا

انا وداروين كنا متفقين في امور كثيرة عقلاً وملابسات وهذه الامور قادتهُ وقادتني الى اكتشاف الانتخاب الطبيعي معاً

واول هذه الامور اننا انا وداروين كنا في صغرنا من المولعين بجمع الزيزان على انواعها. وليس بين الحيوانات ما يماثل هذه الحشرات في تعدُّد اشكالها وتنوع الوانها التي تمتاز بها انواعها ومناسبتها للاماكن التي تعيش فيها. وهذه الصفات تظهر في زيزان الاقاليم الحارة كما تظهر في زيزان الاقاليم المعتدلة وفي الجزائر الانكليزية وحدها على ضيقها ٣٠٠٠ نوع منها

ثانياً ان داروين كان مثلي مغرماً بجمع الاشياء الطبيعية حبًّا بجمعها كما صرَّح بذلك لا للتدقيق في درس تراكيبها ظاهراً وباطناً او رغبة في رؤْية ما بينها من الاختلاف كما اقول انا ولو لم يظهر هذا الاختلاف لاول نظرة. فهذا الامر السطحي الصبياني على ما يقال الذي يُنظر فيهِ الى الظواهر فقط ويستخف بهِ لانهُ ليس من مطالب العلماء المدققين هذا الامر هو الذي قادنا الى النظر في مسألة تولد الانواع لان الطبيعة تميز بين انواعها بهذه الصفات الظاهرة التي هي اختلاف في الشكل او في نسبة الزوائد بعضها الى بعض فيمتاز بها النوع الواحد عن الآخر امتيازاً واضحاً يتبعهُ غالباً اختلاف في الحركات والعادات. وكثيراً ما يسهل الفرق بين نوعين متماثلين بما بينهما من الاختلاف في الوانهما ونقوشهما

ويرى المرء في البحث عن هذه المميزات واكتشاف ما لا ينتظر اكتشافهُ منها بين الحشرات المتشابهة لذةً تفوق الوصف. واذا كان ميالاً الى التفلسف مثلي ومثل داروين اضطرَّ الى البحث من اسباب ما يراهُ اي عن كيفية حدوث هذه التغيرات الكثيرة والغاية منها

ثم اتفق لنا كلينا ان سحنا في الارض لمشاهدة الطبيعة وجمع الامثلة الطبيعية وكانت سياحتنا كلينا في اغنى البلدان بالموجودات الطبيعية فاضطررنا ان نلتفت الى ما في الكائنات الحية من التغيرات وما يلابسها من تغير البقاع والاقاليم فزادت رغبتنا في البحث عن كيفية تولد انواع الحيوان والنبات وصارت هذه الرغبة شغلنا الشاغل فصرنا نفكر في هذا الموضوع نهاراً وليلاً

ولما امتلأَ ذهنانا بهذه الامور انتبهنا كلانا الى كتاب ملتس في السكان والطرق الطبيعية التي تمنع زيادتهم حتى تبقى اسباب المعيشة كافية لهم فأثر فينا كلينا تأثيراً واحداً اي قادنا الى الفكر بان هذا الجهاد يقضي ببقاء الاصلح او الانسب للبقاء

ومما يستحق الذكر ان داروين قرأ هذا الكتاب بعد رجوعهِ من سياحتهِ بسنتين وانا

قرأته قبلما سحت ولما كنت في سياحتي خطرت معانيهِ ببالي وأرشدتني الى هذا الامر اي بقاء الاصلح في الجهاد لاجل البقاء

وقد كنا كلانا في سياحتنا في سعة من الوقت للبحث والتفكير في ما يقع تحت نظرنا وعندي ان هذا ايضاً كان من اقوى الاسباب التي اوصلت بحثنا كلينا الى نتيجة واحدة

وهذه المشابهات بيننا في كثير من الامور العقلية والاحوال الخارجية التي قادتنا كلينا الى التفكير في موضوع واحد على صورة واحدة تفسر لنا كيف لم يوفق احد من معاصرينا الى هذا الحل البسيط لمسألة من اعظم المسائل فان روبرت تشمبرس وهربرت سبنسر وهكسلي كانوا كلهم من كبار العقول الواسعي الاطلاع الكثيري البحث والتنقيب ولكنهم لم يكونوا مثلنا ميالين بالفطرة الى جمع الحيوانات والنباتات والبحث عن مميزاتها . وكلهم والسر تشارلس ليل العالم الكبير معهم عكفوا على البحث في بعض المواضيع العلمية فشغلت كل عقولهم وحرمتهم من البحث في غيرها . وكذلك العلماء الذين سبقوا دارون الى البحث في هذه المواضيع لم تكن معارفهم فيها كافية ولا جمعوا من موادها الشيء الكثير كما جمع هو ولا كانت رغبتهم شديدة مثل رغبتهِ ليروا ما رآه

والآن اعود الى ما يخصني في هذا البحث فاقول اني وصلت الى هذه النتيجة من عهد طويل وهي انهُ ما من احد يستحق ان يُمدَح او يُذَم لاجل خاطر خطر له ولكنهُ يُمدَح او يُذَم بحسب النتائج التي انتجها من ذلك الخاطر لان الخواطر والآراء ليست من الاعمال الخاضعة للارادة انها تخطر لنا وقلما نعلم كيف تخطر ولا من اين تأتي ومتى خطرت لنا وتملكت منا تعذَّر علينا صرفها عنا او تغييرها بارادتنا ولذلك يحسن ان يكون الناس احراراً في آرائهم وخواطرهم لا يرغَّبون فيها بمدح ولا عنها بذم

ولكن الاعمال التي تنتج عن الآراء هي التي تستحق المدح او الذم لانها خاضعة لارادة صاحبها وبها يُعلم ما اذا كانت آراؤُهُ صائبة فتتبع او طائشة فتهجر

ولذلك فاني اقبل اكليل المجد الذي كللتموني بهِ الآن لا لانهُ خطر ببالي خاطر جعلني انتبه لناموس بقاء الاصلح بل لانكم نظرتم الى اعمالي التي عملتها لايضاح هذا الناموس وتحقيقهِ واظهار ما ينطبق عليهِ والتوسع في ذلك ولو خالفت فيهِ معلمي وصديقي تشارلس دارون

معركة بولتاوى

فصل من التاريخ وكلمات لفولتير

افادتنا انباء اوربا بالامس ان الحكومة الروسية والشعب الروسي احتفلوا بعيد مرور ٢٠٠ سنة على معركة بولتاوى احتفالاً عظيماً اهتم بهِ جلالة القيصر اهتماماً خاصاً فزار بنفسهِ ميدان تلك المعركة الهائلة بجوار مدينة بولتاوى الروسية المسماة باسمها والظاهر انه اراد من زيادة الاهتمام بهذا العيد التاريخي الوطني تحميس قومهِ واثارة النخوة في رؤُوسهم ولاسيما رؤُوس جيشهم الذي انكسرت قلوبهُ على اثر فشلهِ في حرب منشوريا الاخيرة وخيف عليهِ ان يفقد الثقة بنفسهِ وبقوادهِ ودولتهِ الامر الذي هو آفة الجندية واكبر خطر عليها

وقد عمت الاحتفالات جميع بلاد الروس وكان اعظمها في العاصمة بطرسبرج وفي بولتاوى نفسها ميدان المعركة المحدد لتذكارها . اما في بطرسبرج فقد اقيم لها حفلة دينية شائقة خرج الكهنة على اثرها من الكنيسة وطافوا في شوارع المدينة لابسين ثياب التقديس الكهنوتية حاملين الايقونات والصلبان والشموع والشعب وراءهم خاشع مبتهج واطلقت المدافع من القلاع واحتفل بكشف الستار عن تمثال من تماثيل الامبراطور بطرس الاكبر وهو ينجي باحد تدابيرهِ الحربية فرقة من جندهِ كان يتهددها خطر الغرق في خليج فنلندا في احدى معاركها . واحتفل اهالي بطرسبرج ايضاً بوضع الحجر الاول لانشاء جسر جديد على نهر النيفا والحجر الاول لتأسيس مدرسة كبيرة ستحوي نحو الف تلميذ . وقد حضر هذه الاحتفالات القيصرتان ام القيصر ووالدتهُ وعمتهُ ملكة اليونان . واما في بولتاوى فابتدأ الاحتفال والقيصر حاضر بحفلة دينية ايضاً اقيمت عن روح الامبراطور بطرس الاكبر ثم عقبتها حفلة كشف الستار عن تمثال القائد الباسل كيلنج الذي كان زعيم الجند الروسي في حصون بولتاوى حين هاجمتها الجنود الاسوجية وبعد ذلك عرض القيصر الجنود بابهة عظيمة واوصاهم ان يقتفوا آثار اسلافهم العظماء ابطال معركة بولتاوى والقى الخطاب الآتي على كثيرين من الاعيان والوجوه قال —

« كنت ارقب بقلب خافق هذا اليوم الميمون النقيبة الذي منَّ الله عليَّ ببلوغهِ ولا اشك ان كلاًّ منكم كان يشاركني في هذا الشعور الوطني . ولا بدع فاننا نحتفل بمرور قرنين كاملين على معركة شهيرة هائلة كانت الحد الفاصل بين حياة بلادنا وموتها وانتعاش مجدنا القومي وتلاشيهِ في ظلمات العدم ولكن الله سبحانهُ وتعالى تداركنا بلطفهِ الخفي فاعد لنا سمو

مدارك بطرس الاكبر ورباطة جأش الشعب الملتف حوله منجاة من الهلاك فتم لنا الظفر الباهر في تلك المعركة وبها احرزنا المجد المخلد . كذا كانت المخاطر التي تهددت روسيا في قديم الزمان وقد اصابتها منذ يسير مخاطر ومتاعب اخرى هي الآن في طور الخلاص منها والحمد لله . ولا اشك اننا نسير في طريق النجاح والاصلاح لان الجيل الذي يخلفنا سيتسنى له اكثر منا خدمة بلاده وامته . وشرط هذا الطلب ان يتضافر رعايانا تضافراً صادقاً ويثقوا بقوة وطنهم وينصرفوا الى حبه وحب الاطلاع على تاريخه

« واني ارفع كاسي الآن داعياً الله ان يكون الشعب الروسي وقيصره على تمام الوفاق والوئام واشربها متمنياً السعادة والهناء لسلالة اولئك الابطال الذين حاربوا وانتصروا حيث نحن الآن وحيث وجدت خلفهم الجند القائم امامنا بمظهر يقر العين ويسر الخاطر . ولذلك اشرب على حبه وولائه هو وسائر جيوشنا بل على حب امنا جميعاً اي روسيا العظمى »

على ان معركة بولتاوى تستحق ذكراها من الروسيين كل تمجيد لانها هي اول معركة وجهت انظار اوربا اليهم وجعلت لهم في نفوس الدول الاوربية العظمى هيبة ورهبة لانهم انتصروا فيها على الدولة الاسوجية وكانت يومئذٍ ذات حول وطول وسلطان واسع وقهروا ملكها كارلوس الثاني عشر الذي كان يلقب ببطل اوربا والملك الذي لا يقهر ويعد في مقدمة جبابرة العالم وقواده العظام . وكان للدولة الاسوجية على روسيا فضل قوة ظاهر حتى انها قبل معركة بولتاوى بنحو خمسين سنة استولت على بعض الولايات الروسية بدون مقاومة وفعلت مثلها دولة بولونيا التي اقتسمها الروس والالمان والنمسويون بعد ذلك بنحو ١٥٠ سنة وفاز الروس منها بالسهم الاوفر وهكذا الدهر في الناس قلب وبرق امانيه خلب

اما معركة بولتاوى فهي اعظم معركة قامت بين الروس تحت قيادة امبراطورهم بطرس الاكبر وبين الاسوجيين تحت قيادة ملكهم كارلوس الثاني عشر وكان وقوعها في ٨ يوليو سنة ١٧٠٩ وقد تقدمها وتأخر عنها كثير من المعارك بين الفريقين استغرقت نحو ١٤ سنة وساعد الروس في السنين الاولى حلفاؤهم البولونيون والدنمركيون ثم تخلوا عنهم عجزاً ويأساً لتوالي انتصارات الاسوجيين وكاد اليأس يدخل ايضاً قلب بطرس الاكبر ولكن عزمه الشديد الواصل الى حد العناد تغلب عليه اخيراً ورسخ قدمه في ميدان المقاومة حتى تم له نصر باهر في المعركة المذكورة فرَّ على اثرها عدوه كارلوس الى البلاد العثمانية واقام في ضيافتها في مدينة بندر خمس سنوات متوالية على عهد السلطان احمد الثالث وحاربت الدولة العلية لاجله روسيا وانتصرت عليها قرب نهر بروث . ثم خرج كارلوس من البلاد العثمانية واستأنف الحرب مع

الروس مدة اربع سنوات وكان الفشل نصيبهُ في معظم المواقع واخيراً عقدت شروط الصلح بين الفريقين بعد ما اخذت روسيا من اسوج بلاداً واسعة من احسن بلادها واعادت ملك بولونيا اغسطس حليف الروس الى عرشهِ وكان قد اسقطهُ عنهُ الملك كارلوس في ابان سطوتهِ وانتصاراتهِ

ومن ذلك الحين ازداد الامبراطور بطرس شهرةً على شهرةٍ في اقطار المعمور ولقب بطرس الأكبر وصار رعاياهُ يدعونهُ «ابا الشعب» وكانت وفاتهُ سنة ١٨٢٥ وهو فوق سن الخمسين بقليل

على ان حروب بطرس الأكبر وانتصاراتهِ على الاسوجيين وقبلهم على التتر والفرس وسواهم وان كانت جليلة عظيمة ليست اعظم آثارهِ بل اعظمها ادخال الاصلاحات الجمة في بلادهِ واخراجها من ظلمة الجهل المطبق الى نور غير يسير من العلم والعرفان باستقدامهِ الى مملكتهِ الواسعة اصحاب العقول الثاقبة من رجال الفنون والصناعات الاوربيين لينشروا كنوز علمهم على الناشئة الروسية كما انهُ ارسل من اولاد الاعيان جمهوراً اقتبس من انوار الغرب ما استطاع اقتباسهُ ثم عاد بهِ الى اوطانهِ. ولم يكتفِ بكل ذلك بل ذهب هو بنفسهِ متنكراً الى النمسا وهولاندا وسويسرا وانكلترا وجعل يتعلم الحرف المختلفة ولاسيما المتعلقة منها بالصناعة البحرية حتى انهُ انشأ بيديهِ دارعة محمولها ستون مدفعاً ونال ايضاً قسطاً كبيراً من بعض العلوم كالجراحة والكيمياء والطبيعيات والفلك وغيرها وقضى في تحصيل ذلك كلهِ سنتين فقط وكان يود زيادة الاستفادة لو لم تجبرهُ على الرجوع الى بلادهِ فتن وقلاقل بدرت بوادرها فاخمد شررها قبل ان يتحول الى ضرام متأجج

وقد وصف فولتير الكاتب الفرنساوي الشهير شيئاً من اطوار العدوين العظيمين بطرس الأكبر وكارلوس الثاني عشر في عهد معاركهما الاولى التي كان طائر النصر في اكثرها يحوم فوق هام الاسوجيين لا الروس. قال:

«وكان قد اعلى قدر كارلوس الثاني عشر تسع سنوات من النصر الباهر والفتح المبين. واعلى قدر بطرس اليكسوفتش تسع سنوات قضاها في المصاعب والمتاعب ليجعل جيشهُ معادلاً جيش اعدائهِ الاسوجيين قوة ونظاماً. فخر ذاك انهُ غزا ممالك وفتح بلداناً. وفخر هذا انهُ رقى مملكتهُ ومدَّن بلادهُ. لايخوض كارلوس غمرات الحرب الاَّ لانهُ يميل اليها بالفطرة ويشتاق الى احراز اكاليل النصر. ولا يخوضها بطرس غير مبالٍ بمخاطرها الا تطلباً للنفع وطمعاً منها بثمرة محسوسة. كان ملك اسوج كبير النفس كلفاً بالسخاء عن غير تكلف. وكان

ملك الروس لا يبسط يدهُ الاَّ وقد اعد مطمعاً يقبض عليهِ • ذاك معتدل في معيشتهِ الداخلية واهوائهِ الى حد لا يباريهِ فيهِ مبارٍ ولم تبدر منهُ بادرة توحش الاَّ مرة واحدة • وهذا ترهبهُ رعاياهُ وتعجب بهِ الغرباء مفرط في اهوائهِ مقصر في حق نفسهِ حتى اختصر لها طريق الحياة • لُقب كارلوس «الملك الذي لا يقهر» وهو لقب متقلقل تنزعهُ منهُ ساعة حرب واحدة ينالهُ فيها الفشل • ولقب عدوهُ «بطرس الاكبر» او «بطرس العظيم» وهو لقب ثابت يبقى لهُ ان انتصر او انكسر لانهُ لم يربحهُ من وراء النصر وحدهُ»

وقد وصف نولتير موقف بطرس الاكبر في معركة بولتاوى فقال :

«وكان في وسط جيشهِ يتنقل بين صفوفهِ ممتطياً جواداً تركياً حاثاً قوادهُ وجنودهُ على الاقدام والثبات واعداً كلاً منهم بحسن الجزاء»

ولما تم الفوز لبطرس الاكبر اقام مأدبة كبيرة دعا اليها اسراهُ من ضباط الاسوجيين واشار اليهم بيدهِ شارباً كأسهُ قائلاً (اني اشرب على صحة ضيوفنا الذين علمونا فن الحرب) فذكرنا بلينهِ سلماً وشدتهِ حرباً قول القائل :

اني لاكثر مما سمتني عجباً ... يد تشج واخرى منك تأسوني

ادوار مرقص

مدافن مريشة

عمران فلسطين قديم مثل عمران مصر ان لم يكن أقدم منهُ ولم يزل في البلاد كثير من آثار عمرانها السابق مدفوناً تحت انقاض مدنها وفي قبور ملوكها وكبرائها واهل البحث ينقبون عنهُ وقد ضعفت همتهم في العهد الحميدي لشدة المراقبة عليهم ولكن المراقبة أفادت ولم تضر لانها حفظت آثاراً كثيرة من مغادرة البلاد وعسى ان تبقى على حالها من هذا القبيل على شرط ان ينشأ في سورية دار لتحفها يحفظ فيها ما يكشف منها كما تحفظ الآثار المصرية في دار تحفها

وقد بعث الينا حضرة الفاضل فيضي افندي العلمي رئيس بلدية اورشليم بكتاب اهدتهُ اليهِ جمعية النقب في فلسطين وصفت فيهِ مدافن مريشة المصورة اعترافاً بما لهُ من الايادي البيضاء في مساعدة الذين كشفوها وصوَّروها ووصفوها

والظاهر ان المستر فستر والمستر جون هو بتنج كانا اول الاوربيين الذين رأوا هذه المدافن بعد اكتشافها وقد كشفت سنة ١٩٠٢ • وهي على مقربة من بيت جبرين واتفق ان الدكتور

يترس الاميركي والدكتور ثيرش الالماني كانا سائحين في فلسطين في ذلك الوقت فاستأجرا دليلاً اخذها اليها فرأيا انها من المكتشفات ذات الشأن الكبير وقاساها وصوَّراها ورسمها الخواجه رعد من مصوري اورشليم بالفوتوغراف وصورها الاب فنسنت والاب سافنياك بالوانها

والمدافن التي فيها صور ملونة قليلة في سورية فقد ذكر رنان انهُ وجد في كهف ابلون بصيداء بعض المدافن وعلى جدرانها صور ملونة ولكنها ساذجة · اما فلسطين فلم يوجد فيها من المدافن المصورة قبل مدافن مريشة او بيت جبرين غير ثلاثة

وبيت جبرين قرية قائمة حيث كانت مدينة قديمة من مدن فلسطين الحصينة · وقد كان لها شأن في زمن الحروب الصليبية فبنى الصليبيون فيها قلعة حصينة وكانت مدينة كبيرة في زمن الروم وكرسيًّا اسقفيًّا لكن شأنها الاكبر كان في زمن الرومانيين ولاسيما سنة ٢٠٠ للميلاد حين بناها الامبراطور سبتيميوس سويرس وسميت اليثروبوليس · ولا تزال هناك آثار الطرق الرومانية التي كانت ممتدةً منها الى كل الجهات · وذكرها يوسيفوس المؤرخ باسم بيت جبرين ولعلَّ معناهُ بيت الجبار او بيت الجبارين ومن رأي مؤلفي هذا الكتاب ان المدينة القديمة الحصينة كانت على نحو ميل الى الجنوب من بيت جبرين الحالية في المكان المسمَّى الآن تل سندحنا اي مار يوحنا نسبة الى دير هناك لان موقعها الطبيعي احصن من موقع بيت جبرين وهي مريشا او مريشة المذكورة في سفر ميخا النبي وفي سفر الايام الثاني حيث حدثت معركة كبيرة بين آسا ملك يهوذا وبين زارح الكوشي فدارت الدائرة على زارح

وصارت مريشة من عواصم تلك البلاد في عهد الادوميين ودخلت في سهم سلوقس مع غزة بعد وفاة الاسكندر المكدوني واخذها البطالسة سنة ٣١٢ قبل الميلاد ثم أُخذت منهم واعيدت اليهم سنة ٢٧٤ واخذها منهم انطيوخس الكبير سنة ٢١٨ ولكن دارت الدائرة على جنودهِ في رفح في السنة التالية فاستردتها مصر وبقيت تابعة لها الى ان حدثت معركة بانياس سنة ١٩٨ فعادت الى انطيوخس الكبير هي وكل فلسطين ثم اعطاها لابنتهِ التي ازوجها لملك مصر · وكان لها شأن في حروب المكابيين واخربها الفرس سنة ٤٠ قبل المسيح ولم تعد تذكر من ذلك الحين الأخرب وصارت بيت جبرين تذكر بدلاً منها

والمدافن الموصوفة في هذا الكتاب اربعة وفي كل منها قبور كثيرة كما في الشكل الاول وهو رسم المدفن الاول والحُجَر التي على جوانبهِ قبور مستقلة · والمدفن كلهُ منحوت في الصخر كمدافن الفراعنة ينزل اليهِ بدرج فيجد الداخل اولاً داراً فسيحة مربعة حيث الحرف A والى يمينهِ ويسارهِ جناحان كبيران والقبور على جوانبهما وامامهُ مدخل آخر يوصل منهُ الى غرفة طويلة

والقبور على جانبيهما وجملة القبور في هذا المدفن ٤٤ ثلاثة منها كبيرة وهي التي في طرف الفرع الشرقي وطول كل قبر من القبور الصغيرة ٢٤٠ سنتمتراً وعرضهُ ٧٢ سنتمتراً ما عدا القبرين ١٦ و١٧ وواجهات القبور مصورة وبعضها منقوش نقشاً غائراً في الحجر كما ترى في الشكل الثاني فان القسم الاعلى منهُ صورة الواجهة التي يراها الداخل متى وصل الى الحرف A والقسم الاوسط صورة الواجهة الداخلية اذا وقف الناظر عند الحرف D والتفت الى الجنوب · والقسم الاسفل صورة الواجهة المقابلة لها

ومن النقوش الملونة في هذه الواجهات كما ترى في القسم الاوسط من الشكل الثاني مبتدئاً من الزاوية الجنوبية الغربية صورة مطاردة الصيد فاولاً صورة رجل بيدهِ بوق طويل وهو لابس رداء أصفر تحتهُ ثوب ابيض وقد تمنطق بمنطقة وارخى لها عذبتين لكن شيخ بيت جبرين اتلف وجههُ لما كُشف غيرةً منهُ على حفظ الشعائر الدينية · وكان شعرهُ مربوطاً بشريط أحمر وقد عبثت بهِ الريح وفي قدميهِ خفان ربطهما بسيرين فوق الخلاخل وقد كتب اسمهُ فوقهُ ولكن حروفهُ غير واضحة وامامهُ فارس ممتط جواداً اصهب وقد سدَّد رمحهُ وكاد يطعن بهِ نمرة والنمرة واثبة على جوادهِ وفي صدرها نبلةٌ ادمتها ووراءها كلب صيد واثب عليها وهو صغير جداً بالنسبة اليها كما انها هي صغيرة بالنسبة الى الجواد · والى جانب الجواد كلب آخر يعدو اليها ولبس الفارس مثل لبس البواق · وسرج الفرس كثير الزركشة كالسروج العربية المنقوشة وجلد النمرة مرقط والوانهُ سوداء وصفراء وفي عنق الكلب طوق وهو دقيق الاذنين وقد سال الدم من صدر النمرة · ووراء النمرة والكلب شجرة تشبه النخل او الدوم وبعد ذلك حيوانات مختلفة منها حيوان كالاسد وقد ازبأرَّ وفغر فاهُ ودلع لسانهُ ولكن كتب فوقهُ انهُ نمر

ومن الصور الكثيرة صورة زرافة وخنزير بري ووعل وتنين وهو حيوان مجنح في صورة الاسد او الفرس · وفيل وفرس بحر واسماك كبيرة وحمار وحش وعناق الارض الى غير ذلك مما يطول شرحهُ

وهناك كتابات يونانية كثيرة فعلى باب الجناح الجنوبي من القبر الاول كتابة يقال فيها ابولوفانس بن سسمايوس كان ركن الصيدونيين في مريشة ثلاثاً وثلاثين سنة وهو اشد ابناء عصرهِ حباً لوطنهِ توفي وعمرهُ اربع وسبعون سنة .

ويدل شكل الكتابة على انها من القرن الثالث قبل المسيح · والاسم ابولوفانس يوناني ولكنهُ كان شائعاً في فينيقية والاسم سسمايوس سامي وقد ورد في الاصحاح الثاني من سفر الايام الاولى والكلمة هناك سسماي والكلمة التي ترجمناها بكلمة ركن هي اركاس ومنها ارخون

اي رئيس وقد عربت قديماً ومنها اراخنة او اراكنة في العربية · ويدلُّ لقب هذا الرجل على ان جماعة من اهالي صيداء سكنوا مدينة مريشة وكان ابولوفانس بن سمماي زعيماً لهم

ومن الكتابات الغريبة المسطورة على قبر من هذه القبور محاورة شعرية بين حي وميت

قالت الحي للميت · أليس في طاقتي ان افعل لك شيئاً او اسرّك بشيء

الميت للحي · كلاّ فاني راقد مع آخر (مع الموت) ولكن حبي لك لن يحول

الحي للميت · يسرني وحق الزهرة ان رداءك لا يزال عندي رهناً

الميت للحي · ولكنني بعدتُ عنك فانتِ حرَّة افعلي ما تشائين

لمشيعي الجنازة والنادبين لا تلطموا حائطاً لا يرد جواباً قضي الامر · دخلت من الباب ورقدت

والكتابة من القرن الثالث قبل المسيح كما يستدل من شكل حروفها

وقد وجدت قبور مثل هذه في بلاد اليونان وقرطاجنة ومصر وسورية وفينيقية · والظاهر انها نشأت في القطر المصري اولاً ثم شاعت في بقية البلدان

وفي الكتاب كثير من الفوائد التاريخية ولو وجدت في الممالك العثمانية ادارة كبيرة لحفظ الآثار القديمة لسعت في ترجمتهِ الى العربية او التركية لان العثمانيين احرى من غيرهم بالوقوف على فوائده · فنشكر للذين اشتركوا في اكتشاف هذه المدافن وحل رموزها ووضعوا لها هذا الكتاب النفيس

الحضارة الاثينية القديمة [1]

ان موضوعنا هو الحياة الاثينية وبحثنا مقصور على حضارة اثينا · ومن الخطإ في التاريخ ان نزعم — كما يفعل الكثيرون — ان ما يقال في احوال الاثينيين وعوائدهم عامتهم وخاصتهم يصدق ايضاً على اليونانيين (الاغريقيين) بوجه عام · فان بلاد الاغريق على المعنى القديم — هلاس — ليست هي بلاد اليونان الصغيرة المتحدة كما يؤخذ من الخريطة الحديثة · انما اثينا بلد يستميل القلوب قبل الابصار بل هي البلد الذي تفوق معلوماتنا فيهِ معلوماتنا في غيره : هي البقعة التي نبتت فيها الفنون واثمر العقل الانساني · هي التي خلَّفت لنا اثراً فاخراً خالداً اعني بهِ تاريخها الحافل بالحوادث المدهشة · كان هذا البلد فوق ذلك اغزر بلاد اليونان سكاناً واحماها انفاً · ولكنها كانت عاصمة حكومة صغيرة هي حكومة « اتيكا » على انها كانت بعيدة

(١) خطبة تليت في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية في شهر يونيو الماضي

— الأ من قبل اللغة — عن كثير من الحكومات الاغريقية من الوجهة السياسية والاجتماعية بُعْدَ المانيا عن فرنسا . كان قدماء اليونان يريدون بهلاس كل مكان ينزلهُ الاغريقيون حيث تكون لغة الاغريق هي لغة الكلام وحيث يتجانس القوم بعض التجانس في الاصل والدين . واذا توخينا الحقيقة وجدنا انهُ يصعب علينا ان نجد شيئًا يطبق كل التطبيق على من نسميهم بقدماء اليونان الأ من وجهة وحدة اللغة — على ان هذه كانت مختلفة اللهجة اختلافًا لا يقلُّ عمَّا بين لغة الشاعر السكوتلندي «بارنس» ولغة الانكليز الفصيحة — وكذلك ما بينهم من التشابه في الزي والدين والاشتراك في الملاهي والملاعب العامة «كالأُلومبيا» «ودلفي» وما شاكلها . على اننا اذا عمدنا الى التعميم في الحكم على هؤلاء القوم كنا مخطئين وكنا كالذي يقول بعد ألفيْ عام مثلاً ان الانجلوسكسونيين الحاليين هم نسل واحد!

اما العالم اليوناني القديم فكان يشمل بلاد الاغريق الاصلية وجزر الاجيان وكريت وشواطئ تركيا الحاضرة والشواطئ الغربية في آسيا الصغرى واطراف ايتاليا الجنوبية والجنوبية الغربية والجزء الاكبر من صقلية وقبرص ومكيرين في افريقية وأماكن إخرى بعيدة الى جهة الغرب حتى مرسيليا وشواطئ البحر الاسود . واليونان التي نعرفها لم تكن مملكة واحدة بالمعنى السياسي بل كانت عدداً من الحكومات المستقلة وكان البعض منها في منتهى الصغر ومع ذلك كانت تضمر لبعضها البغضاء والانتقام

اما الرابطة التي كانت تجمعهم فهي اللغة والدين والشعور الجنسي . وقد كانت اتيكا وعاصمتها الاثينا ارفعهنَّ مقاماً وفائدة بل هي اشهرهنَّ من حيثُ تاريخ العقل الانساني . ولا يخالف اليونانيون الآخرون الاثينيين في نظام الحكومة فقط بل هم يباينونهم ايضاً في مبادئهم وعوائدهم الاجتماعية . ولا يفوتنا ان نذكر هنا انهُ بينما كانت اسبارطة ذات حكومة اوليغراقية (حيث تحكم القلة الكثرة) جافة الطبيعة بعيدة عن الآداب مجردةً عن صفة اكرام الاجانب كانت اثينا شديدة التمسك بالمبادئ الديموقراطية (القاضية بالمساواة في الحقوق والامتيازات) والعمل بها محبة للاجتماع والمخالطة ميالة الى الادب حريصة على سجية السخاء والكرم نحو الاجانب بحيث اذا ذكرت (طيبة) وقوم بوشيان كانوا اغبياء بجانب هؤلاء الاثينيين اما تساليا فكانت ارسطقراطية منغمسة في حمأة الترف واللذات جامدة في احوالها واجتماعها

بينما كان هؤلاء على هذه الصفات كانت اثينا قليلة التقيد بالعوائد وعقول رجالها في يقظة مستعدة لقبول كل جديد يطرأُ عليها . وربما كانت اثينا من اليونان — في العصر الذي

سنتكلم فيهِ عنها — بمنزلة باريس من اوربا الغربية بعد لويس الرابع عشر حيث كانت محل الاعجاب والاستغراب وكان يحسدها غيرها ويغبطها على رقيها فيعمل على تقليدها فاذا فشل حقد عليها وكرهها . كانت اثينا الواضعة للاذواق والازياء في كل الفنون والآداب . على انهُ كان يصعب على المرء ان يحكم بباريس على اوربا كما انهُ لا يمكن ان يحكم باثينا على اليونان فلذلك ينبغي لنا ان نحذر من التعميم ومن تطبيق ما قد يصدق من الملاحظات على الاثينيين فقط على اليونان جميعاً . ولا ريب انَّا قد نكون مصيبين ولكن ربما ادى ذلك بنا الى خطإٍ عظيم . وليست هذه الاختلافات بين الاغريقيين وبعضهم ناشئةً من موقعهم الجغرافي واستقلال حكوماتهم بعضها عن بعض في النمو والنشوء . ولئن كانت هذه مسائل جديرة بالاعتبار الاَّ ان السبب الاول سابقٌ لهذه وابعد . خذ الجزر الانجليزية مثلاً لذلك تجد ان الرجل الارلندي يختلف عن الرجل الانجليزي لا لكون الاول يسكن ارلندا بل لاختلاف عائلتيهما اللتين تناسلا منهما . وهذه كانت حال قدماء اليونان فكان اغريقي جزر اليونان — الاثيني — يخالف اغريقي دوريا الاسبارطي في التركيب العقلي . وذلك لان الاول كان مختلط الجنس والاصل اكثر من الثاني . على ان كلا الرجلين كان يتكلم باللغة الاغريقية وكانت بينهما لحمة اتصال في النسب ومع ذلك كان بينهما من التباين ما بين الانجلوسكسونيين وسكان ايرلندا القريبين من الجنس السلتي . ولقد يظهر لنا ان ايضاح هذه النقطة من الاهمية بمكان فلا بدع اذا قرنا في ما يلي شيئاً عن هؤلاء القوم على قدر ما وصلت اليهِ الابحاث الحديثة

قبل ابتداء تاريخ الامة اليونانية هاجر القوم ذوو القامة الطويلة والشعور الخفيفة الذين هم سائدون اليوم في بريطانيا والمانيا واسكاندناوه وغرب روسيا فدخلوا ايطاليا واسسوا روما ثم مالوا الى الشمال فحطوا عصا الترحال في ارض فرنسا والجزر الانجليزية ثم انتقل منهم قوم الى الجنوب ونزلوا في شبه جزيرة البلقان فقطنوا البلاد الاغريقية . اما ما حدث لهؤلاء القوم وما آل اليهِ امرهم في كل بقعة نزلوا فيها فذلك يتوقف على ما لاقتهُ كل طائفة منهم وما صادفتهُ في طريقها

فهم طبعاً صادفوا قوماً كانوا مستقرين على معاشهم واجتماعهم فكان تاريخهم بعد ذلك يتوقف على عدد من اتصلوا بهم واخلاقهم وعلى درجة اندماج كل فريق بالآخر . وكانت نتيجة ذلك خليطاً من السكان كانت فيهِ كفة العنصرين بين الرجحان والهبوط

اما الذين هبطوا على بلاد الاغريق فانهم وجدوا تمدناً ارقى من تمدنهم من حيث

الاجتماعُ والفنون اذ كان في الاغريق قوم قديمو العهد بتلك البلاد ذوو خلقة مغايرة لخلقة من غزوهم اشد منهم سمرةً واقصر قامة واضعف بنية · كان هوٴلاء القدماء يسمون البلاسجيين (Pelasgians) · فاختلط اول من نزل من المهاجرين بهوٴلاء القوم اختلاطاً شديداً فانهم جعلوا لغتهم اليونانية هي السائدة وكذلك دينهم ولكنهم مع ذلك اقتبسوا كثيراً من خواص البلاسجيين وملكاتهم ونقائصهم وشيئاً غير قليل من معتقداتهم · وهذه اول طبقة من الاغريق وهي لا ريب طبقة مختلطة الاجناس · ثم اتى من بعد ذلك مهاجرون من جنس السابقين فدخلوا البلاد ولكنهم لم يتأثروا في مجموعهم كما تأثر من سبقهم بل حافظوا على جنسيتهم وعوائدهم وحدودهم اكثر مما كانوا عليهِ في ماضيهم وهذا سبب عظيم لاختلاف اغريق الجهة الواحدة عن اغريق الاخرى ولا شك في ان اغريق الايونيان ومنهُ اغريق اثينا — يمثل نتيجة الاختلاط بين العناصر التي نجمت عن الغزوات الاولى · بينما الاغريق الدورى — الذي هو ممثل في الاسبارطي — يصور لنا العنصر اللاحق المتفق الاصل

يقول المؤرخون العمرانيون ان القوم الذين نزلوا في الشمال كانوا اقوى بنيةً واجمد اخلاقاً على انهم لم يكونوا مشهورين بسرعة خاطرهم او لطافة غرائزهم الفنية وطبائعهم الاجتماعية بل كانت هذه الصفاتُ متوفرةً في اهل الجنوب البلاسجيين القدماء · ولما كانت اتيكا بين الاثنين هي التي كانت تأوي هذا الجنس الاصلي بنسبة كبيرة بين سكانها فلا عجب ان نرى الاثينيين اكبر الجميع حظاً في المسائل الفنية والاجتماعية

واذ كان بحثنا هو عن اخبار اثينا فانما نريد بذلك ما اختصت بهِ هذه المدينة في عصر رقيها وسموها · وان ما يجهلهُ المؤرخون من السنين من تاريخ اثينا ليقرب من الف عام طرأ فيها من التقلبات والتغيرات في اخلاق القوم واحوالهم ما لا يعلمونهُ حق العلم · وان تقلب الحوادث في سالف العصور لم يكن بالسرعة المعهودة في ايامنا هذه حتى ان الازياء كانت تحافظ على طبيعتها وشكلها زمناً طويلاً · وان اثينا التي عهدها وشاهدها القديس بولس في دولة الرومان لم تكن اثينا التي يعرفها بركليز وافلاطون وديموستينز قبل ذلك باربعة قرون او خمسة لان بناء الاكروبوليس وما اشتمل عليهِ من مظاهر الابهة والمجد لم يدرس لذلك العهد وكانت الديانة باقيةً على حالها من الوجهة النظرية ولم تغير المباني الشاهقة والعمارات الشامخة الفاخرة منظراً المدينة الخارجي ولكن الامة الاثينية انحطت اخلاق رجالها وتبدل نظامها الاجتماعي · والمقصود من حديثنا هذه الليلة هو تصوير الاثينيين وحياتهم على ما كانوا عليهِ ايام مجدهم ونشاطهم وطهارة صفاتهم واخلاقهم من المفاسد والنقائص · ويبتدئ

هذا الدور بوجه التقريب من منتصف القرن الخامس قبل الميلاد الى غزوة المقدونيين او من عام ٤٤٠ الى ٣٣٠ قبل الميلاد . وكانت معاقل القوم في ابان هذا الزمن في منتهى المنعة والتحصين وكان بناء البارثنون والبروسلاس قد تمَّ تشييدها (في الاكروبوليس). وقد كست يد النقاش الشهير فيدياس المدينة جلالاً وعظمة وابهة . وكان سوفوكليز ويوروبيدس مشتغلين باخراج مؤلفاتهما العديدة بابداع الروايات المحزنة (تراجيدي) وارستوفانيس بنشر رواياتهِ المضحكة (كوميدي)

في هذا العصر ايضاً نشأ سقراط رجلاً معروفاً بين الاهالي محبوباً منهم مشتغلاً بالمجادلات في الاماكن التي يغشاها عامة القوم وفي منازل الخاصة . وتيوسوويدس يكتب تاريخهُ الكامل . فلما مضت ايام هؤلاء جاء افلاطون يلقي تعاليمهُ في اروقة المجمع العلمي وشرع ينشر مؤلفاتهِ ومنشآتهِ القديمة المثال واحاديثهُ الفلسفية التي بلغت منتهى الاحكام والاتقان فيما لا يدركهُ عقل الانسان رغماً عن كونها مفرغةً في قالب الهزل والمجون . ثم ظهر اكزينوفون على مرسح الحياة الاثينية وتبعهُ الخطباء المفوهون المشهورون على التعاقب . ولقد بلغت الخطابة في اواخر هذا العصر اقصى درجات السمو والارتقاء بفضل بطلها ديموستين وارتقت الفلسفة بظهور ارسطو البعيد الغور ورأس الناظرين فيها . وصارت فنون النقش والتصوير والتزويق الى ابهى ما يتصور بفضل بركسيلدز ولسباز

واذا نظرنا من الوجهة السياسية وجدنا ان اتيكا او اثينا كانت في احسن ايام هذا العصر رئيسة على كافة الطوائف اليونانية المتحدة فاثرت وغنيت بما كان يدفعهُ هؤلاء اليها من الخراج فبلغت سفنها الحربية المئات واصبحت اعمالها الحربية في أعلى درجاتها . على ان اتيكا كانت صغيرة لا يتعدى طولها خمسين ميلاً ولا يزيد عرضها على الاربعين . ولقد بلغت في هذا القرن في نظاميها السياسي والاجتماعي أتمَّ وا كمل شكل (ديمقراطي) ومن ثم سارت نحو الاشتراكية . ولقد كانت قبل هذا العصر خاضعة لارادة افراد اقوياء من الطبقة الارسطوقراطية ثم سقطت ايضاً بعد انقضاء القرن الذي نحن بصددهِ تحت اقدام المقدونيين الذين تلاهم الرومانيون حتى اصبحت لا تتمتع من حريتها الا بظلها

فترى من ذلك ان القرن الذي قصرنا بحثنا عليهِ هو الذي كانت فيهِ اثينا متمتعة بافخر آدابها وابهى فنونها وانقى افكارها وارق فصاحتها واعظم مطامعها واكبر امانيها لذلك سنجتهد في جعل اعتبار هذا العصر خالياً من كل الحوادث والعناصر التي حلت باثينا بعدهُ وسنعمل على ان نقف بحثنا على الزمن الذي اخترناهُ هذه الليلة

أما المصادر التي استقينا منها معلوماتنا فكثيرة وليس من الضروري ان نجمع الشذرات المجردة والاشارات المطلقة والآراء المشتتة والافكار المبعثرة عن الحياة الاثينية والعقل الاثيني فان لدى المؤرخين كتب الاثينيين انفسهم التاريخية والمذكرات والروايات المضحكة والهزلية وتواريخ الاشخاص واحاديثهم وخطبهم في المجامع العامة ومجالس القضاء وكذلك ما سطروه في الاخلاق والسياسة ولديهم فوق ذلك مذكرات عن حياة هؤلاء القوم العامة منها والمنزلية أنشأها القدماء من الاثريين والمنفيين والشراح ومن شاكلهم اولئك الذين كان في مكنتهم الاطلاع على مافقدناه نحن من المؤلفات الادبية التي سطرها اهل العصور التالدة على ان لدينا شواهد واقعية من بقاياهم التي لا يزال عددها في الازدياد بواسطة التنقيب والاكتشافات من ذلك كثير من الكتابات المنحوتة في الاحجار وفي الاجداث عدد عديد من الآنية المزينة بما يصور لنا منظر حياتهم الحقيقية

ولا ندعي ان كل هذه الاشياء بمجموعها تمكننا من تصور هؤلاء القوم والوقوف على دقائق معيشتهم من حركة وسكون فلقد يكون بنا قصور في ادراك احوالهم وتصوير عيشتهم على الوجه الصحيح جداً ومع ذلك فعندنا كثير من المسائل نثق من صحة اعتقادنا فيها اذا بحثنا في شؤونها فليس ذلك من قبيل صرف الوقت في غير النافع فعلينا بتناول حوادث هؤلاء القوم الواقعية واحوالهم وعوائدهم واغراضهم السامية وما كانوا يبغضون وفضائل حكومة (اتيكا) ونقائصها ومواضع الضعف في اهلها وسخافاتهم وموضوعات سرورهم وما كانت تجيزه شرائعهم وتبيحه الهيئة الاجتماعية عندهم

نشرع الآن في وصف اثينا للالمام بها من حيث الاحوال الاجتماعية والعمرانية فنقول

كان القدماء كافة مطبوعين في كل احوالهم على نحو ما يحيط بهم من المظاهر الطبيعية فكل عوائدهم واعمالهم وازيائهم وطعامهم ومساكنهم على مقتضى طبيعة ارضهم وهواء بلادهم بل كان معظم تقاليدهم الدينية جارياً كذلك مجرى المعاش من الوجهة المتقدمة . على انَّا في يومنا هذا نرى ان الانجليزي مثلاً يأكل من ثمرات الاميركان وفاكهتهم ولحوم استراليا وكذلك هو ينسج اقطان غيره من الممالك . وما ذلك الاَّ لانهُ ميسور دائماً نقل هذه الاشياء من مكان الى آخر دون مشقة . ولئن كان القدماء يتجرون في محصولاتهم على قدر ما كان يتهيأ لهم من الوسائل الاَّ انهم كانوا يقتصرون غالباً على محصولات ارضهم ومصنوعاتها ونرى فوق ذلك ان اهل هذا الزمان منصرفون الى التقليد في طرق الحياة فنجد ان اهل البلد الواحد يشيدون المنازل على نفس الطراز الذي يشيد عليهِ غيرهم من اهل البلدان الاخرى المخالفة

لها في الاقليم وكذلك هم يفعلون في ملابسهم ومآكلهم ومشاربهم ولم يكن القدماء كذلك بل كانت ثياب الرجل ونظام منزلهِ واوقات عملهِ على حسب ما تقتضيهِ طبيعة الارض التي نشأ فيها وقد يكون ذلك من الاسباب الجوهرية في طول اعمارهم رغمًا عما كانوا عليهِ من النقص في علومهم الطبية

واذا شئنا ايها السادة ان نفهم العوائد الاثينية ونفقه حب الاثيني للهواء المطلق في عيشتهِ العامية والمنزلية ومزاجهِ العقلي وميلهِ للفنون الجميلة لزمنا ان نتعرف ارض بلدهِ وجوها وهناك ادلة على ان الاقطار اليونانية كانت في الايام الخالية مملكة ذات غابات وحراج اكثر منها اليوم وكانت غزيرة الحياة قوية الانبات اشد منها في وقتنا هذا فلقد حدث افلاطون في احدى صحفهِ عن سهل فسيح ذي اشجار باسقة تنبت على ضفتي نهر الأكياس في المكان الذي كان يرتادهُ سقراط وفيدراس للجلوس ولكن قد تبدلت اليوم الارض غير الارض واصبحت خالية من كل ذلك والراجح ان هذه الاشجار كانت مغروسة في بقعة ذات نصيب من التقديس ولسنا في ريب من ان هواء تلك البلاد قد لطف على توالي القرون وتعاقب الايام حتى اصبح جافًا جدًّا وقد فصَّل تيوسيديدس وافلاطون القول تفصيلاً في وصف تلك البلدان وجودة تربتها وجمال منظرها

كانت الارض تنبت الزيتون والكرم والشعير والحنطة والعسل وكانت قطعان الغنم والمعزى والخنازير ترعى في التلال وكان القوم يستعينون في اعمالهم الشاقة بالثيران ومنهم الذي كان يشتغل بصيد الاسماك كما هو طبيعي في كل الممالك البحرية ولا يغرب عنا انهم ما كانوا يعرفون الشاي ولا البن ولا السكر ولم يكن جو اتيكا ملائمًا لبقاء الزبدة دون حفظها بالثلج . من ذلك يتبين لنا مقدار ما كان للنبيذ والزيتون والعسل من الاهمية عند اهل تلك البلاد وقد كانوا يسيغون النبيذ الممزوج — او المقتول في اصطلاح بعضهم — بالماء بدل الجعة فكان نبيذهم بمثابة الشاي والقهوة عندنا والعسل مكان السكر وزيت الزيتون مكان الزبدة وكانوا يستعملون الزيت في مصابيحهم وشموعهم . من كل هذا نعرف ان الرجل الاثيني كان بعيداً عن الجشع في الطعام وانهُ كان متقشفًا قنوعاً في تناول النباتات دون اللحوم واذ جمع بين ذكاء الفؤَاد وبساطة العيش ومن ثم يمكننا ان نفهم المظهر الصحيح لعيشة هذا الرجل اجمالاً وتفصيلاً على ان هاتين المزيتين لم تكونا نتيجة للاخلاق الشخصية عند القوم فقط بل هما نتيجة البيئة التي ينشأ فيها الواحد منهم

ننظر الآن في تأثير هواء تلك البلاد على مزاج اهلها وطبيعتهم . اجمع الباحثون في

طبائع العالم على ان هواء اثينا جمع بين الصفاء والرقة وانهُ اصح هواء في بقاع اليونان بل في العالم جميعاً فشتاؤُها قصير غير ذي برد قارس وصيفها لطيف الحرارة بتأثير النسيم البحري فلذلك كان القوم يسيرون في الطرقات حاسري الرؤوس حفاة الاقدام مرتدين بابسط الثياب وكان الرجل منهم يفضل ان يمضي سحابة يومهِ بعيداً عن منزلهِ وقد كانت مراسحهم ودور حكومتهم مجردة عن السقوف وكان الناس لا يستخدمون النار في منازلهم للدفء بل لانضاج الطعام فقط · اذا وقر ذلك في اذهاننا عرفنا كيف كان هؤلاء القوم يسعون الى التوفيق بين مطالب انفسهم وبين مقتضيات الطبيعة ولم يكن هذا المناخ قليل التأثير في ملكات الاثينيين واذواقهم من حيث الالوان والاشكال والبناء والنقش والتزويق فهذا بناء الاكربوليس وما شابههُ من المباني الاثرية البديعة الفائقة في الجمال تشهد لتأثير هواء بلادهم فيهم

اعتاد الاثيني من اول نشأتهِ على الاشتغال بقطع الاحجار ونحتها فلما برز في هذا الفن وبانت عبقريتهُ في النحت وبرع في النقش والتزويق كان لديهِ من الكائنات الطبيعية كالاحجار والرخام ونحوها ما يحقق لهُ آمالهُ ويقرب اليهِ امانيهُ

ولا شك اننا لا نستطيع درس مدنية الاثينيين وحضارتهم اذا لم نتعرف عيشتهم الاولى وطبيعة الارض التي كانت تؤْتيهم بما يضمن لهم حياة بسيطة غير ذات ترف وهواؤُها ذا الاثر الطيب في نفوس اهلها واجتماعها وما كان فيهم من الميل الى الفنون الجميلة وعدم الخلود الى الكسل والبطالة وتجافيهم عن الملاذ

كانت اثينا متصلة بفرضتها (بيريه) بجدارين طويلين يرويها نهر الفيساس واليساس وعن غربها وشرقها تلال مرتفعات وحدائق ذات ازهار وكان الغرض من اقامة ذينك الجدارين ضمان المواصلة في زمن الحرب وقد كان سمكهما ١٢ قدماً وارتفاعهما ٣٠ قدماً ويقدر عدد سكان اثينا على اختلاف طبقاتهم ٤٠٠٠٠ نسمة

وان من بواعث الدهشة والعجب ان تكون اثينا — تلك البقعة الصغيرة — ينبوع ارق الادبيات والفنون والفلسفة وجميع التجارب الاجتماعية · كان في وسط اثينا بناء الاكربوليس الذي كان بيتاً مقدساً وبيت مال ومتحفاً وحصناً في آن واحد وكان فيها ايضاً مكان يقال لهُ 'Agora' او المجمع او السوق فكان الباعة يضعون اوعية تجارتهم في ذلك السوق على انهُ كان معدًّا ايضاً للمقابلات ومعروضات الجمهور فكأنهُ يشبه سوق عكاظ عند العرب في الجاهلية وكان هناك ايضا بناء البارثنون ومعبد الظفر وتمثال اثينا وهناك مرتفع آخر من الارض

معد للاجتماعات العمومية حيث يقصده الاهالي لاستماع من يقوم بينهم من الخطباء · اما مدافنهم وحدائقهم فكانت في الضواحي خارج سور المدينة · واهم ضواحيها بقعة سيراميكاس حيث بستان الاكاديما الذي كان بهِ جمنازيوم ومزارع وفساقي · ولما كان هذا المكان مقر افلاطون لدروسهِ الفلسفية اطلق اهل هذا العصر من الاوربيين اسم اكاديمي على المجامع العلمية · وكان عندهم جمنازيوم آخر في شرق نهر اليساس يقصده رواد الفلسفة وطلابها لاسيما ارسطو · وقد بني بعد ذلك مرسح التمثيل وقاعة الاغاني odeion وكثير من المعابد والهياكل وكذلك دار البورصة

ستأتي البقية عبدالرحمن زهدي

العناية بالاطفال (١)

قال احد علماء الاجتماع : ان ارتقاء الشعوب وتقدمها في الحضارة والعمران يحكم عليهِ طبقاً لعنايتها بصحة الاطفال · هذه حقيقة ساطعة وحكمة بالغة جديرة باعتبار الحكومات لما يترتب عليها من سعادة العباد وارتقاء البلاد اذ ان وقاية الاطفال من الامراض الفتاكة هو من اعظم دعائم المدنية بل هو ركن من اركان القوة · وقد فقه اهل الغرب كل هذه الامور ولاسيما بعد ما ظهر في بعض بلادهم ان عدد الوفيات يزيد على عدد المواليد وذلك لسعي فريق كبير من المتزوجين الى اقلال نسلهم طالبين تخفيف نفقات الاولاد ومزعجات تربيتهم عن عائقهم مدفوعين الى ذلك بتيار الحضارة العصرية التي تشتمل على كثير من السيئات كما تشتمل على المحامد والحسنات

فبعضهم كالاميركيين فرضوا الضرائب على العازبين والمتزوجين الذين ليس لهم بنون · واعطيت الجوائز والمساعدات المالية للوالدين الذين رزقوا اولاداً كثيرين وقد دلت التجارب على ان هذه القوانين بالرغم عن شدتها اتت بفوائد عظيمة حتى ان البرلمان الفرنسوي قام منذ زمن ليس ببعيد يقترح على الحكومة في احدى جلساتهِ ضرب مثل هذه الضرائب

على ان ما نشاهده في ايامنا هذه من الاهتمام بامر الاطفال ليس شيئاً يذكر بالنظر الى ما كان يفعله القدماء حرصاً على النسل وحفظاً لصحة جسمهِ · فقد روى لنا التاريخ عن اهل سبارطه انهُ كان محتماً على كل فرد من افراد الامة رزقهُ الله مولوداً ان يأتي بهِ الى لجنة مؤلفة

(١) من خطبة لحضرة الدكتور امين دمر القاها في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية في ٢٦ يونيو

من العلماء والاعيان للكشف عن مولوده فاذا كان سليم البنية قوي الجسم خالياً من الامراض الظاهرة ليس فيهِ عاهة طبيعية خلقية اعتنت الحكومة بهِ وانفقت عليهِ واعطت اهلهُ مساعدة مالية للاعتناء بتربيتهِ . واما اذا كان نحيف الجسم ضعيف البنية وفيهِ آثار مرضية ظاهرة قد تضرهُ في صحتهِ رمتهُ في هاوية واغنت اهلهُ ووطنهُ والهيئة الاجتماعية باسرها عن الاهتمام بهِ على غير طائل . فكان حكم الموت ينفذ في هؤلاء التعساء لجرم اقترفهُ سواهم ولانهم ولدوا في هذا العالم ضعاف الاجسام فعدهم الاقدمون غير قادرين على الخوض في معمعان الحياة . ومع ما في هذه العادة من الهمجية والاستبداد لانهُ لا يجوز للانسان ان يقتل اخاهُ الانسان فقد اتت بفوائد لا تنكر . ونبغ في مدينة سبارطه العالم والطبيب والجندي وضرب المثل بقوة هذا الشعب الباسل ونشاطهِ

اما في عصرنا عصر التمدن الذي تغلبت فيهِ عواطف الانسانية الشريفة والغيرة الاجتماعية الصادقة . فقد فكر فضلاء القوم في افعل الوسائط للحصول على الضالة المنشودة ورأوا التمسك بالمبدإ الفلسفي القديم القائل بمنع الضرر قبل الوقوع فيهِ او منع السبب اتقاء للنتائج . ولهذا نرى من اهل الغرب اهتماماً عظيماً بالبحث عن اسباب كثرة وفيات الاطفال وطرق مقاومتها فانشأوا لذلك الجمعيات العديدة لمقاومة الفحشاء وتخفيف الامراض المسببة عنها ومقاومة السل الرئوي ومنع تعاطي المسكرات وكل ما ينشأ عن هذه الامراض حفظاً للنوع الانساني . وغنيٌّ عن البيان ان المصاب بهذه الامراض يكون نسلهُ بعد الزواج ضعيفاً مستعدًّا للاصابة بهذه الامراض او مصاباً بها

عرفنا ما فعلهُ اهل الغرب والوسائل التي يبذلونها للحصول على اشرف غاية واعني بها الاعتناء برجال الغد فما الذي فعلهُ اهل الشرق عامة وخصوصاً اهل القطر المصري ؟ ان عدد المولودين في هذه البلاد في ازدياد مطرد والحمد لله وليس هناك ما يدعو الى القلق والاضطراب اما عدد الوفيات ومعظمهُ من الاطفال فعلى حال لا ترضي ولا يزال كثيراً جدًّا بالرغم عما بذلهُ اهل الفضل والمروءة لتقليلهِ . ونرى ان انجع دواء لهذا الداء الاجتماعي الخطير هو شرح اسباب كثرة وفيات الاطفال وتداركها بالوسائل الفعالة ولكن هذا لا يتم الاَّ بإرشاد العامة وتثقيف عقول الافراد بالقاء المحاضرات الادبية الصحية وتوزيع النشرات والابحاث على صفحات الجرائد والاكثار من الكلام في هذا الموضوع الجليل

فالواجب علينا وقد علمنا خطورة هذا الموضوع وضرورة الاهتمام بهِ ان نبحث الآن عن الاسباب الرئيسية التي تذهب بحياة الالوف من الاطفال والوسائل الواقية منها

كل حي يلد حياً على مثالهِ طبقاً لاحكام الوراثة وهذا ما يشاهد في النوع الانساني فان كان مصاباً بمرض عضال معدٍ او عادة ذميمة لا بد وان تتسرب جراثيمهُ الى نسلهِ وذريتهِ كالسل الرئوي والزهري وتعاطي الكحول وما شاكل ذلك . ولكن هناك امراضاً اخرى لا دخل للوراثة فيها بل هي اكتسابية محضة تنتج عن خرق الانسان لحرمة الشرائع الصحية وعدم العناية بتربية الاطفال وهذا ما أُريد ان اتكلم عليهِ . اما عدم العناية بتربية الاطفال وازدياد وفياتهم كما سأُبينهُ فناشىءٌ عن جهل الوالدين لاصول التربية الصحية . اما لاغفالهم اتباع القوانين الصحية كالنظافة والاستحمام والاعتناء بالملابس وما شاكل ذلك واما لسوء الارضاع . وسأسهب الكلام على هذين الامرين واشفعهما بالكلام على التدابير الصحية الواجب اتباعها للوقاية من الامراض القتالة في دور الطفولية

السبب الاول

في كثرة وفيات الاطفال . جهل الوالدين لاصول التربية الصحية

كيف يكون ذلك ؟ استميحكم ايها السادة الكلام عن الاحوال التي يشاهدها الطبيب في هذه البلاد والحقائق المحزنة التي يجب التنبيه اليها لاصلاحها فاقول اذا رغبتم في ان تعلموا شيئاً عن اعتناء السواد الاعظم من اهل الشرق بصحة اطفالهم فلا يكلفكم ذلك عناء كبيراً

انشأ اهل البر والاحسان في اماكن مختلفة من هذه المدينة التي يسمونها عروس الشرق عيادات مجانية لمعالجة المرضى عموماً والاطفال خصوصاً واخص بالذكر منهما مستوصف السبع بنات ومستوصفات جمعية رعاية الاطفال

اذا ساقنا القدر الى الاحياء التي فيها هذه العيادات المجانية فماذا نشاهد ؟

نشاهد جيشاً عرمرماً ومعظمهُ من النساء الوطنيات حاملات على اذرعهن اطفالهن طلباً للاستشفاء وندهش عند ما نرى القذارة التي تظهر على وجوه هؤُلاء الاطفال وعلى ملابسهم يأْتي اهلهم بهم الى الطبيب ويناولونهم قبل المجيء بهم قرصاً من (الطعمية) او قطعة من الخبز او الفطير او شيئاً من الفاكهة ومعظمهم او كلهم مصابون بمرض واحد هو الحمى المعدية المعوية وعوارض مرضهم الوحيد هي القيء والاسهال وان اردتم ان تعلموا سبب هذه الحمى فاجيبكم انها ناشئة عن سوء العناية بصحة الاطفال

واذا طلب الطبيب الكشف عن هؤُلاء فهناك الطامة الكبرى . انظروا ماذا يشاهد تاخذ الام تنزع ملابس طفلها مبتدئة بالقماط (اللفة) اذا كان الطفل حديث السن فالحرام فقفطان فصديري فقفطان آخر فالقميص ونزع هذه الملابس يستغرق عشر دقائق ان لم

اقل اكثر من ذلك ولو اقتصر الامر على هذا لهان ولكن هذه الملابس على كثرتها تكون قذرة جداً حتى لقد تتصاعد منها روائح كريهة لاتطاق . وهذا لان العادات الشائعة بين الجمهور الاعظم من الوطنيين تحظر على الوالدين غسل طفلهم بالماء والصابون قبل بلوغهِ الاربعين يوماً واذا كان والده او والدته مصابين بالزهري او التشويش فلا يجوز قط غسله بالماء او ملامستهُ لهُ قبل بلوغهِ السنتين من عمره كأن الماء والتشوش ضدان لايجتمعان او كأن القذارة تقي من الامراض والنظافة مجلبة لها

لقد حان الوقت لان نقلع عن هذه الخرافات التي ما انزل الله بها من سلطان ونسير طبق القوانين الصحية التي قررها العلم الحديث ونعلم حسنات هذه وسيئات تلك ونغرس في نفوس اطفالنا رغماً عن سنهم العوائد الحميدة التي تمكنهم من الدفاع عن انفسهم وتقيهم شر الامراض لان من كان يستطيع مقاومة المرض قاومهُ وسلم منهُ والعكس بالعكس طبقاً للسنة الطبيعية سنة بقاء الافضل والاختيار الطبيعي

اقسم لكم ايها السادة اني سمعت مراراً باذني آباء يعزون انفسهم بوفاة طفل لهم بقولهم « ذهب طفل يرزقنا الله غيره » . هذا طفل لاشعور لهُ ولا يرجى منهُ نفع الآن فموتهُ لايعتد بهِ . فمثل هذه الاقوال الساقطة تجرح قلب الانسانية اذا لم يكن لها تأثير في قلب الوالدين . اهكذا نعامل هؤلاء الضعفاء الذين ليس لهم حول ولا قوة ؟ ومن يكفل ان الله يرزقنا طفلاً بدلاً من الطفل الذي توفي بسبب اهمالنا . ومن يكفل ان معاملتنا للثاني تكون اقل قساوة من معاملتنا للاول . أيرجى بعد ذلك فلاح لقوم هذا مبلغ اخلاقهم

نسلم ان الطفل هو رجل الغد فلماذا لا نعاملهُ معاملة الرجال ونحن لا نعلم ما سيكون من امره في مستقبل الايام . ورب طفل ضعيف الجسم حقير ينبغ وينفع اهلهُ ووطنهُ بامره فالطفل كالنبات ينمو نمواً سريعاً ويأتي بثمار جنية

علمتم النتائج السيئة التي تعود على الطفل بسبب جهل والديهِ واغفالهما القوانين الصحية فلنشرح الآن التدابير الصحية الواجب اتباعها لحفظ صحة الاطفال

نظافة الطفل

إن مفرزات الطفل من بول وغائط تنقذف في الاشهر الاولى من العمر وهو في اقمطتهِ فيجب ان ينظف جسمهُ مراراً وان تغير اقمطتهُ حالاً بعد الافراز لانهُ اذا لامس البول او الغائط جلدهُ وقتاً طويلاً يهيجهُ فيصير لونهُ شديد الاحمرار وكثيراً مايتشقق ايضاً

اما طريق التنظيف فتكون بغسل القسم الظاهر من الجهاز التناسلي البولي بفوطة مبللة

بالماء الفاتر ويمسح الجلد مسحاً خفيفاً من غير فرك ويذر عليهِ مسحوق صحي ناعم (بودره)

حمام الطفل — اجمع الاطباء على وجوب غسل جسم الطفل كلهِ يومياً في العام الاول بتمامهِ وهذا الغسل عظيم الفوائد ولاسيما في البلاد الحارة ولا اخشى اذا قلت انهُ ضروري جداً في هذا الثغر بالنظر الى تقلب احوال جوه وفوائد ذلك ظاهرة في البالغين

نظافة عيني الطفل — يجب ان تغسل بماء البوريك بضعة اسابيع بعد الولادة لانقاء شر الرمد . اما اذا اصيب الطفل برمد في عينيهِ فيجب استشارة طبيب اختصاصي بامراض العيون بلا توان ولا تهامل اذ كثيراً ما يتسبب عن هذا التهامل فقد بصر الطفل

ملابس الطفل — نرى ان خير الملابس ما قل فيقتصر على استعمال القميص والحزام والقفطان والمئزر ويضاف اليها صدرية صوف في فصل الشتاء . اما الاحذية فلا نرى ضرورة كلية لاستعمالها الاَّ اذا أُخرج الطفل للنزهة وكان ذلك في الشتاء . اما في المنزل فلا لزوم لها على الاطلاق

الخروج بالطفل للنزهة — يجوز الخروج بالطفل بعد انقضاء الاسبوع الاول في فصل الصيف وبعد الاسبوع الثاني في الربيع والخريف واما في الشتاء فيمتنع الخروج بالطفل مدة الشهر الاول بتمامهِ

السبب الثاني

في كثرة وفيات الاطفال . سوء تدبير الارضاع

كل طبيب مارس معالجة الاطفال بضع سنوات في القطر المصري لا يسعهُ الاَّ ان يجاهر بالحقيقة التالية المحزنة :

ان الموت يفتك باطفال المصريين فتكاً ذريعاً خلافاً لاطفال البلدان الاخرى ففي فرنسا مثلاً نجد عدد وفيات الاطفال الذين لا يتجاوز عمرهم العام الواحد ١٦٧ في الالف من مجموع الوفيات كلها و ١٦٥ في الف ولادة . اما هذه النسبة في القطر المصري فمحزنة للغاية اذ هي بين الاطفال الوطنيين ٣٧٢ وفاة في الالف من مجموع الوفيات كلها و ٢٨٨ في الف ولادة

واذا بحثنا عن الامراض التي يموت بها الاطفال لمعرفة اشدها فتكاً بهم نرى بوجه التقريب من كل الف وفاة

٥٠٠ بالاسهال

١٥٠ بامراض الجهاز التنفسي

١٥٠ بالنحول

٠٥٠ بالامراض التي تنتقل بالعدوى

٠٢٥ بالسل الرئوي

١٢٥ بامراض مختلفة

فيتبين مما تقدم ان عدد وفيات الاطفال بالاسهال عظيم جداً ومن الخطإ اسناد هذه العلة الى اشتداد الحر وبروز الاسنان بل ان السبب الوحيد لهذه العلة الجارفة هي عدم انتظام الارضاع فزوال هذه الآفة موقوف على اعتناء الوالدين بارضاع اطفالهم فيدرأون عنهم شر الاسهال المميت

ومن الفضائل الاجتماعية السامية التي تحلي آداب المرأة النزاهة والتفاني في عمل الخير ذلك ان تقوم بالخير نحو طفلها لمجرد نفعهِ وحباً بصحتهِ وحسن مستقبلهِ لا لشيء آخر. فاذا ارادت السيدة ان تقوم بواجب الرضاعة المقدس ولا أخالها تمتنع عن اداء هذه الوظيفة السامية وجب عليها ان تعتني بطفلها ولا تكل الى غيرها وظيفة تغذيتهِ لاسباب تافهة اغفل ذكرها. اذ ان الله منَّ عليها بصحة جيدة وجعل ثدييها يدران لبناً غزيراً مفيداً للقيام بهذه المهمة الشريفة. ولتعلم ان هذه الوظيفة محاطة بمخاوف ومخاطر كثيرة لا يدرك اهميتها ولا يتدارك وقوعها الا قلبها الحنون الرؤوف

قد علمنا الاختبار ان السيدة الشرقية توجه عنايتها وتبذل مجهودها لكيلا يسمع لولدها صوت ولا صياح ولا بكاء فلا يزعج راحتها نهاراً ولا نومها ليلاً. وان يكون آلة صماء بيديها لا حراك لهُ واذا صاح او بكى فاقرب شيء اليها لتسكين اوجاعهِ وآلامهِ اعطاؤُهُ ثديها بلا حساب ولا نظام. وكيف تمنع ثديها عن فلذة كبدها في كل ثانية غير مكترثة لما تجره عليهِ من الامراض القتالة كالنزلات المعدية والمعوية التي تنتج من ارتباك وظائف الهضم وعدم هضم الطعام. واذا دعي الطبيب واشار بمنع كل غذاء عن الطفل لمدة معينة واستبدالهِ بجرعة كذا وماء كذا فلا تتمالك سيدة المنزل من اظهار غيظها ودهشتها منادية بالويل والثبور وعظائم الامور غير مبالية بنصيحة الطبيب ظانة انهُ يريد لطفلها الموت العاجل

ومن المضحكات المبكيات ان السواد الاعظم من الامهات يعتقد ان الاكثار من الارضاع او الطعام يجلب الصحة والعافية للاطفال وان الاعتدال والحمية الموقتة يقود الى الممات

واغرب من ذلك كلهِ ان نرى السيدة العاقلة المتعلمة التي احرزت من العلوم العصرية حظاً وافراً فضلاً عن الجاهلة والامية تجهل كل هذه الامور ولا تؤَثر فيها نصيحة الطبيب فهي تعتني بارضاع ابنها الاعتناء التام وتستمر على اعطائهِ ثديها الى ما بعد السنتين من عمرهِ وهي مقتنعة إن اللبن هو افضل غذاء للاطفال ويا ليتها تقتصر على ذلك بل تناول رضيعها كل

الاطعمة التي تتناولها هي نفسها حتى «المغلظات» التي اشتهر بتحضيرها المطبخ الشرقي «والحوادق» التي يلذ تعاطيها في البلاد الحارة وكثيراً ما جاهدت لابطال هذه العوائد المضرة ولكن بلا نتيجة والطبع غلاب · ولولا خوفي من التطويل لابنت لحضراتكم آفات الارضاع الغير المنتظم والامراض التي تنتاب الاطفال بسبب عدم انتظام الارضاع ولا سيما في البلاد الحارة

ولما كانت الرضاعة من المسائل الحيوية التي لها اعظم تأثير في صحة الرضيع اقول عنها ولو بالايجاز ما يلي

للرضاعة طرق متباينة واحوال مختلفة وافضلها موافقة على ما نظن للبلاد الحارة كمصر الطريق التي سار عليها الاستاذ الشهير «بودين» في مستوصف الرضع في باريس فأتت باحسن الفوائد وانفعها لان نمو الاطفال ظل سائراً بكل انتظام وصارت امراض الجهاز الهضمي نادرة جدًّا ولم يعد يموت طفل بالاسهال · ذلك ان الغذاء الاساسي للاطفال في العامين الاولين من سنهم هو اللبن «الحليب» ومستحضرات اللبن وهي التي يسميها الاستاذ «بودين» شوربا باللبن واليكم بيان ذلك

في التسعة الاشهر الاولى لا يعطي للرضيع الاَّ لبن والدتهِ وتكون مرات الرضاعة سبعاً في النهار والليل منها ست في النهار وواحدة في الليل ففي النهار يرضع كل ساعتين ونصف او ثلاث مرات · هذا في الاشهر الاولى من سنهِ وعند ما يبلغ الرضيع الشهر السادس والسابع ينقص عدد نوب الرضاعة من ثديي والدتهِ ويعطى بعض الاطعمة الاخرى المحضرة باللبن وبعض المواد النشوية بالكيفية الآتية

يضاف الى غذائهِ بعض المساحيق النشوية كدقيق الارز والبطاطس والارروط · وبعد انتهاء السنة الاولى يضاف اليها دقيق القمح (الغلة) او الشعير او الذرة انما يشترط بصنع هذه الاطعمة ان تضاف كمية قليلة من هذه المساحيق الممزوجة بالماء مزجاً تاماً الى مقدار كبير من اللبن بحيث يكون هناك طعام سائل ثم يضاف مقدار كبير من المسحوق كلما زاد الطفل قوةً ونموًّا

اما انواع الشوربا المصنوعة بمرق اللحم او عصير اللحم فممنوع اعطاؤُها للرضيع على الاطلاق اولاً لان ما فيها من الغذاء قليل بالنسبة الى ما في الاطعمة المشار اليها (مائة جرام من اللبن تعادل كيلو جرام من مرقة اللحم) · ثانياً لانها قد تحدث ارتباكاً في وظائف الهضم · ثالثاً لان تعاطيها يكره الرضيع بتناول الاطعمة المصنوعة من اللبن

اما البيض فيجب منعهُ لانهُ قلما يتيسر وجودهُ جديداً في المدن والعواصم ولان معدة الطفل لا تقوى على هضمهِ



الترك والعرب

جواباً على اقتراحات الباحث العثماني صاحب مقالة « البلاد العربية » المدرجة في المقطم الاغر نقول :

بما ان عنصري الترك والعرب هما الركن الاساسي للمملكة العثمانية اي مملكة الشرق الادنى التي علمها الهلال كما ان الشمس هي علم الشرق الاقصى فاشتراك هذين العنصرين معاً هو الدواء الوحيد لنهضة هذه المملكة التي اخرها تفرد العناصر ومناظرتها · على ان الترك اقتبسوا دينهم وشريعتهم وآداب لغتهم من العرب فامتزاج هذين العنصرين حسب مبتغى السلطان سليم العثماني يجعل لغتهما رسميتين تجاه الامة فتوحد بالتمادي نظراً لتقارب مباديهما لفظاً وكتابة واما الوظائف ملكية كانت او عسكرية فتكون متساوية بين جميع العناصر بالاستحقاق · وهذا الجمع بين مدنية الاتراك ونشاطهم وعلوم العرب وبسالتهم يشيد مملكة من اعظم ممالك العالم حسبما اشرنا اليه بمؤلفنا الفرنساوي الحديث « الحل العقلي للمسئلة الشرقية » الذي وضعناه هدية لرجال سياسة الشرق والغرب

ابرهيم يعقوب ثابت

بيروت

اللغة العثمانية

قرأت مقالة الباحث العثماني ومقالة الباحث السوري في الجزئين المتتاليين من المقتطف وتمعنت موضوعهما في اختيار اللغة الاكثر موافقة وكفاية للعثمانيين · فعن لي ان اتشبه بذينك الفاضلين واذكر ما اره ايضاً فاقول :

اذا نظرنا في اختيار اللغة العثمانية الى فضل الفتح والتأسيس فالرضاء باللغة التركية واجب غير اننا نكون حينئذٍ جعلنا الشعب العثماني على درجتين احداهما حاكمة والاخرى محكومة فيكون العنصر التركي على الدرجة الحاكمة وسائر العناصر في اختلافها على الدرجة المحكومة · ولكن هذا يخالف غرض الدستور العثماني ولا يرضي بهِ عنصر من العناصر · ثم ما فائدة

الاستمساك بمجد تاريخي لا فائدة وراءه ? نحن اليوم في حاجة الى مجد يبقى وتصيبنا فائدتهُ

واذا نظرنا في اختيار اللغة العثمانية الى بقاء النوع فلا يرضى عنصر من العناصر ان ينطوي سجلهُ ويمحى من الوجود ذكرهُ وان تبطل لغتهُ . كل امة تريد لنفسها البقاء فالتركي والعربي والرومي والالباني والارمني والكردي والقوقاسي وغيرهم كلفون بلغاتهم كلفهم بعصبيتهم . فلا حيلة في حمل قوم على الرضاء بلغة بدلاً من لغتهم . ولا سبيل اذن الى الاتفاق على اختيار لغة من اللغات وهذا ايضاً محال

ولكن من اين لنا ان اختيار لغة من اللغات التي تبين كفايتها يفضي الى انمحاء غيرها ? لقد عاشت الدولة العثمانية سبعة اعصر ولغتها اللغة التركية . بها تكلم ملوكها وبها كتبت صدورها وبها خاطب ابناؤها ابناءها . فاية لغة اندثرت في تلك السنين الطوال مع ما كانت البلاد فيهِ من عيش البداوة وفقدان وسائل النشر وكساد اسواق العلم ? واليوم ونحن مستظلون بظل الدستور متمتعون بنعيمهِ ولدينا ادوات كافية لطبع الكتب ونشرها وكل امة تجدُّ في حفظ لغتها وتحليتها واجادتها فمن منا يخاف على لغتهِ من الانمحاء

فاذا تقرر لدينا ذلك وجب علينا النظر في اتخاذ لغة اصلية كافية لحاجاتنا وافية برغائبنا نجعلها لغة الدولة العثمانية . ولا ارى بل لا اخال ارى ان هناك لغة في لغات العالم كلهِ تقوم مقام اللغة العربية . ألا يا حسنها من لغة . ما شاء الاديب قول جزل واسلوب هو السحر والفاظ عذاب . ولو لم يجن عليها اهلها ويهمل امرها منذ مئات من السنين لنالت الكمال

وانما اوثر اللغة العربية على غيرها لاشياء وفرت فيها واختصت فهي لغة تقبل الايجاز الى حد لا تسابقها اليهِ لغة اخرى وفائدة ذلك هو الاقتصاد في الوقت وفي الدراهم وكلاهما نقد . وان رسالة تركية يبالغ الكاتب في الايجاز فيها يبلغ عدد كلماتها المائة يمكن ان تكتب بالعربية بخمسين . فاذا كانت الرسالتان برقيتين وكان ثمن الكلمة الواحدة قرشين ربح صاحب الرسالة العربية مائة قرش واغتنم فرصة هي قصر الوقت الذي استغرقهُ تحرير رسالتهِ وبات اشد ثقة من صحة بيانهِ واصابة الغرض

واللغة التركية مستمدة ادبها وثلاثة ارباع كلماتها من اللغة العربية واللغة العربية لم تستمد من اللغات الاخرى الاّ ما يقل عن العشرة في الالف . واكثر ادباء الترك يعرفون قواعد العربية وان لم يتمكنوا من فهم الكلام العربي والوقوف على دقائقهِ . فتعلم اللغة العربية اقرب الى التركي من تعلم اللغة التركية الى العربي . واذ كانت المصطلحات العلمية على اختلاف انواعها مأخوذة من اللغة العربية يتبين للمنصف مقدار الرجحان بين اللغتين

بقي علينا ان ننظر في امكان العمل بهذا . رأبي اتخاذ اللغة العربية لغة للدولة العثمانية . ولقد يخال اكثر الناس ذلك صعباً وربما خلنهُ محالاً . وهو في اعتقادي اسهل مما يظن . ما على الحكومة الا ان تعلن نيتها وتبين عن عزيمتها فتبدأ بجعل تعلم العربية اضطرارياً في جميع مدارسها وتنشئ مدارس ليلية لهذا الغرض يذهب اليها المأمورون فلا تمضي عشرات من السنين الا وقد حصل المقصود ونيل المرام

وفي كتب اللغة العربية الجديدة اساليب هي من السهولة بمكان وكما قدمنا في اول هذه النبذة اختيار العربية لغة للحكومة لا يقتضي اهمال التركية ولا غيرها . هذا ما اراه وربما عدت الى مقال يكون اوسع مجالاً فلينتظره قراء المقتطف الكرام ولي الدين يكن

منشور يصلح النفوس

حضرة الفاضلين العالمين صاحبي المقتطف الاغر

كنت اقرأ مقتطف شهر يوليو الجاري فاطلعت على جانب من « مقدمة بخثر على مذهب دارون » لحضرة العالم الحر الدكتور شبلي شميل وقبل آخره بقليل استوقفت نظري عبارة ان لم تكن هذه اول مرة سمعت مثلها ولو بالفاظ مختلفة ولكنها اتت في وقت خصوصي فاستلفتني استلفاتاً خصوصياً وها كم اياها « فاذا كان للاقليم وسائر نواميس المطابقة والانتخاب الطبيعي والوراثة شأن عظيم في تكييف الاعضاء الحية واثر لا يمحى الا في الاجيال المتطاولة اذا تغيرت الاحوال فللتربية والتعليم والعادات والاعتقادات وكل ما يؤثر في الاخلاق (وانا ازيد على ذلك وخصوصاً الاديان) اثر في العقول ايضاً لا يزول الا بمثل تلك الصعوبة الخ »

استوقفت هذه العبارة فكري فذكرتني المنشور الذي تحدثت به التلغرافات والجرائد اخيراً وهو الذي كلف الصدر الاعظم سماحة شيخ الاسلام باصداره لجميع انحاء السلطنة يبرهن فيه بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية مساواة المسيحيين باخوانهم المسلمين

تغنت اكثر الجرائد بفوائد هذا المنشور العظيم حتى يكاد قارئها يتخيل المسلمين والمسيحيين العثمانيين متعانقين نادمين على ما سبق من الاضطهاد والفظائع ناسين كل ثار ضاربين صفحاً عن الاحقاد . اما انا وليتني مخطئاً في ظني فقد امعنت النظر طويلاً واجهدت عقلي لكي يثبت لي حقيقة تلك الفوائد فرأيتني كلما ازددت تنقيباً وتدقيقاً بعدت تلك الفوائد عني حتى كدت احسبها سراباً

قلت في نفسي ان كان منشور من الحكومة يقوّم نفوساً عوجتها قرون ويصلح اخلاقاً

تعفنت واستعصى فيها الفساد فهو كالادوية التي تنشر عنها اعلانات في الجرائد بانها « تشفي من جميع الامراض في مسافة عشرين يوماً »

وقد كنت اود ان ادع هذه الحادثة تمر كما مرَّ غيرها دون ان اكتب عنها للجمهور لانني نظراً للشباب ارى اني قليل الاطلاع والاختبار ومن انا بازاء كتابنا الفطاحل ولكن كذا نزق الشباب فاعذروهُ وها كم كلمتي ان رأيتم في نشرها اي فائدة عمومية فانشروها والاَّ فاضربوا بها عرض الحائط ولا بأس من ذلك فمن السقطات المتوالية يتعود مخيخ الطفل على وزن حركات اعصابهِ وتنظيمها الى ان يصير بعد قليل قادراً على المشي وحدهُ

لدى حكومتنا العثمانية مهمتان احداها دائمة وينظر فيها الى المستقبل البعيد واخرى موقتة وينظر فيها الى الحاضر والمستقبل القريب . الاولى اعداد امة عثمانية جديدة حية راقية . والثانية اصلاح الجيل الحاضر من الامة بقدر الامكان اتقاء لشرهِ وخوفاً من سقوطهِ سقطة قد يكون من ورائها الدمار فلا تنال حاضراً ولا مستقبلاً

اما الاساس المتين الذي تقوم عليهِ الامم وتنمو وتعيش فهو العلم الصحيح العلم الذي ينير الاذهان ويمنع تطرق الخرافات والخزعبلات اليها ويقيها من التعصبات الدينية الذميمة التي اودت بامم كثيرة وخربت مدناً وممالك باكملها واخرت المدنية اجيالاً

فالوقت والتعليم كفيلان باعداد امة المستقبل وما على الحكومة العثمانية الا ان تعمل بثبات لنشر العلم الصحيح بين جميع افراد الامة ثم تنتظر فقد لا يرى ثمرة اتعاب الصدر الاعظم وباقي ابطال الامة الاَّ احفادهم او احفاد احفادهم ولا اظن ان المنشور يرمي لهذا الغرض فهو بعيد عنهُ بمراحل

اما اصلاح الفاسد من الجيل الحاضر وهو على ظني المقصود بهذا المنشور فهو الامر الصعب او المستحيل . نفوس استأصل فيها الجهل واستعصى الفساد ليس من السهل اصلاحها فعلى عيون تلك الفئة المقصودة غشاء سميك من الاحقاد والتعصب الذميم لا يقشعهُ عنها منشور ولا مناشير

رجل اختلط دمهُ بكراهة كل طائفة غير طائفتهِ فورثها عن والديهِ ورضعها مع اللبن من ثديي امهِ ثم سمعها مع اول لفظة منها ورآها في عشرائهِ وهو صبي وشاب وكهل وزادهُ منها ما لقيهُ منها عند الطوائف الاخرى غرسها الجهل وقواها الاحتكاك وانماها الظلم وفساد الاحكام رجل مثل هذا لا يرجى اصلاحهُ بمنشور . لا يرجى ان يمحى من ذهنهِ ما رسخ فيهِ من الاعتقادات الباطلة . لا يرجى ان منشوراً ينزلهُ من مركزهِ الذي صورهُ لهُ الجهل والخيال

بانهُ عالٍ علوًّا شاهقاً عن مركز الطوائف الاخرى ليساوي تلك الطوائف التي تعود على اذلالها واحتقارها وهو معذور في ذلك لانهُ لا يمكنهُ ان يتغلب على الطبيعة

ولكن هل بسبب ذلك تترك تلك الفئة الحاضرة على حالها وتيأس الحكومة من اصلاحها. كلا فما لا يدرك كلهُ قد يدرك بعضهُ انما لتبدإِ الحكومة بالاعمال لا بالاقوال فالقول قد يقنع العاقل اما الجاهل فلا يقنعهُ الا العمل وقد لا يقتنع فيجب ان يضغط عليهِ ليطيع. لتبدإِ الحكومة بالعمل لتنشر العدل والمساواة بين جميع الطبقات فتنتخب ولاة ومأمورين عقلاء وتلاحظهم ملاحظة شديدة ولتضغط على المشايخ والقضاة والمعلمين والمفتشين والقسوس ايضاً بيد من حديد ان لم يمكنها ان تقنعهم (واقناعهم اقرب الى المستحيل) ليعملوا على نشر المحبة والمساواة بين الجميع والضغط في مثل هذهِ الاحوال انيد من اطلاق الحرية التامة لان ضغط الحاكم العاقل اسلم عاقبة بكثير من ترك الحرية المطلقة لاناس لا يفقهون معناها واليكم تاريخ بطرس الاكبر وتقدم الروسيا وغيرها من الممالك اكبر شاهد. ثم لا بأس بعد ذلك كلهِ باصدار مثل هذا المنشور واتباعهِ بعشرات مثلهُ بل بمئات والوف وتكليف من يظن انهم متعلمون وانهم هم قادة الافكار في بلادهم كالمشايخ والمعلمين والقسوس باذاعتها بين العامة في الجوامع والكنائس والمدارس فربما ادى ذلك الى فائدة وقتية وان كان لا يمكن اصلاح الماضي كلهِ فقد يصلح او على الاقل يوقف الشر عند الحد الذي وصل اليهِ فلا يتفاقم الى ان يزول الجيل الفاسد و يأتي غيرهُ

ولكنني اكرر ان واسطة الضغط في الاحوال الحاضرة اقرب الى الفائدة من واسطة التعاليم المجردة لان التسلط على الاجسام اسهل من التسلط على العقول

قد وجدنا الطبيب الماهر في شخص فطاحل الرجال كعطوفة الصدر الاعظم وسماحة شيخ الاسلام والفئة الصغيرة التي مثلها ولكن اين الممرض الماهر اين من يفهم اوامرهم و ينفذها بغيرة ونشاط واين من ينتفع بها وقد استفحل فيهِ الداء

ان مهمة رجال الحكومة العثمانية الحاضرة في اصلاح الفاسدين لمن اصعب المهام فانها تستلزم عملاً دائماً وثباتاً مستمراً وصبراً وتؤدة ومداواة الحاضر بالحاضر. فالداء الواحد قد تختلف ادواؤهُ باختلاف الاحوال والزمان وقد يكون السم دواء نافعاً

هذا قولي اذا كان الغرض الوحيد من هذا المنشور الاصلاح الداخلي اما اذا كان الغرض منهُ ايضاً افهام اوربا والعالم المسيحي عموماً حسن نيات رجال الحكومة الاجلاء واطراحهم الاحقاد الدينية جانباً فنعم ما فعلوا

اديب شاهين بالمالية

لا يعلم الغيب الاَّ الله

حضرات منشئي المقتطف الفاضلين

لا يخفى على من لهُ المام بالعلوم الطبيعية وخصوصاً علم الفلك . ان نجوم السماء اراضٍ بعضها اكبر من الكرة الارضية بالوف من المرات وهي مؤلفة مثل ارضنا من عناصر بعضها غاز مثل الاوكسجين وبعضها سائل مثل الزيبق وبعضها جامد مثل الذهب والفضة . وليس لهذه النجوم او الكواكب في الحقيقة ارتباط ولا تعلق بالحوادث الواقعة على الكرة الارضية التي تحصل لبعض الملوك والوزراء والامراء والحكام واصحاب الجرائد وغيرهم

ويقول علماء الفلك الحقيقيون ان علم الفلك لا دخل لهُ في معرفة علم الغيب وان خمسة لا يعلمهم نبيٌّ مرسل ولا ملك مقرب كما جاء في القرآن الشريف « ان الله عندهُ علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارضٍ تموت »

ويقول الفلكيون ايضاً ان الانباء بحدوث الخسوف والكسوف في المستقبل هو بطريقة حسابية وهندسية مقررة في علم الفلك . كذلك الانباء بمواليد الاهلة ومعرفة اوائل الشهور العربية وغيرها من الظواهر الفلكية . ولا يدعي الفلكي بمعرفة ما يحدث للدولة العلية او لغيرها من الدول . او ما يحدث للحجاج في الحجاز في هذا العام بل لا يعلم الفلكي ماذا يكون وقت سعدهِ او نحسهِ في ايام معلومة قبل حلولها

هذا الشيخ محمود محمد الفلكي صاحب مجلة طوالع الملوك مع ادعائهِ بانهُ حاز قصب السبق في معرفة المستحيل من العلوم الغيبية لم يذكر في تقويمهِ (الاسرار الخفية) خسوف القمر الكلي الواقع ليلة الجمعة ١٥ جمادي الاولى (٤ يونيه الماضي) ولعلهُ اعتقد ان الانباء بحوادث الهند والفرس تروج مبيع تقويمهِ اكثر من الانباء بحوادث الخسوف والكسوف

وهذا الشيخ احمد موسى الزرقاوي نشر كتاباً اسمهُ حديث الزرقاوي او ليلة في الفلك اثبت فيهِ ان الكرة الارضية ثابتة وغير متحركة وان النجوم ومنها الكواكب السيارة تدور حول الارض كما قال القزويني والفخر الرازي وغيرهما من القدماء . وجاء الزرقاوي باعجب من ذلك حيث قال ان من اراد ان يشتغل بالبورصة بافكارهِ فهو يخبرهُ بما يحدث في المستقبل من معرفة اثمان القطن والقمح وغيرهِ

ان الله عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الاَّ هو . فان كان الزرقاوي وصاحب مجلة طوالع

الملوك وغيرهم يمكنهم نفع غيرهم بمعارفهم الفلكية التي بها يتوصلون لمعرفة المستقبل حقيقة فلماذا لا يعرضون معلوماتهم على كبار الرجال من موظفي الحكومة المصرية او على اصحاب البنوك والسماسرة وغيرهم ممن يهمهم حسن الاحوال في المستقبل لماذا لا يشتري الزرقاوي وصاحب مجلة طوالع الملوك وغيرهم من اوراق النمر التي تربح من اوراق اليانصيب المتداولة للجمعيات الخيرية في مصر واسكندرية

الامر المستغرب زعم هؤلاء ان علومهم بالمستقبل مقتبسة كلها من معرفة مواقع النجوم واقتران الكواكب وحلولها في البروج الاثني عشر وهذا كلهُ متعلق بمعرفة علم الفلك · وعلم الفلك ومعلموهُ ومتعلموهُ يتبرأون من اقوالهم كلها

الاسكندرية احمد السيد

صور الاشياء

حضرات الدكاترة اصحاب المقتطف الاغر

ان صور الاشياء ثابتة في الخارج — وليس في العين نور طبيعي لم يصلها من الخارج

اثبات القضية الاولى — قال حضرة جميل افندي صدقي الزهاوي في بحثهِ المدرج بعدد يوليو سنة ١٩٠٩ من المقتطف ما نصهُ

والحق ان الاشياء الخارجية ليست لها صورة في الخارج تنطبق على الصورة التي ترسمها اذهاننا بل ليس في الوجود الا هذه الصورة التي تنشأ في دماغنا واذ كان سببها ذلك المرئي الموجود في الخارج قلنا انها هي الصورة الخارجية · اهـ · ولننقض ما ابرمهُ حضرتهُ فنقول: ينبني على عبارتهِ ان صور الاشياء في العين ايضاً غير ثابتة بل غير موجودة بالمرة لانهُ اذا انتفى السبب وهو الصور الخارجية انتفى معهُ المسبب وهو الصور التي ترتسم على الشبكية والواقع بخلاف ذلك · وقد استدلَّ على دعواهُ بما لا يثبتها وهو اننا لا نحس من المادة الا بقواها كاللون واللمس والطعم والرائحة وكلها اهتزازات في الاعصاب · وذكر اننا نرفع بأيدينا جسماً فنحس بالثقل والثقل اثر الجاذبية وهي قوة ونمد اصبعنا مثلاً الى جسم فيمانعها الجسم وذلك اثر الدافعة وهي قوة انتهى باختصار

ولنضرب صفحاً عن الطعم والرائحة والثقل لانها لا دخل لها في تكوين صورة الجسم ولنبحث معهُ في لون الجسم وحجمهِ ونثبت انهما يمثلان لهُ صورة ثابتة في الخارج ما داما ثابتين ولنبدأ

باللون فنقول : من المعلوم عند علماء الطبيعة ان الجسم الابيض يعكس جميع الالوان السبعة التي يتألف منها الطيف الشمسي بدليل رؤية القرص الملون بخطوط متجاورة تمثل الالوان السبعة ابيض امام العين عند ادارته بسرعة · والاسود يمتص الاشعة كلها فالسواد عدم اللون والازرق مثلاً يمتص جميع الاشعة ماعدا اللون الازرق فيعكسهُ وهكذا · ألم يكن ذلك كافياً لثبوت صورة الجسم الخارجية ما دام لونهُ ثابتاً ؟ ولننتقل الى الحجم فنقول : قد بيَّن علماء الطبيعة ان من خواص الجسم كونهُ غير قابل للتداخل لانهُ يعرف بذراته والذرة الواحدة لا تقبل الانكماش وانما تغيرُ شكل الجسم المكون من جملة ذرات ناشيءٌ من تقارب ذراتهِ او تباعدها وتسمى الاولى قوة الجذب والثانية قوة التنافر · فاذا كان متمتعاً بقوة الجذب بين ذراتهِ صار صلباً كالحجر والحديد والثلج · فاذا تنافرت ذراتهُ بسبب الحرارة صار سائلاً فاذا اشتدت الحرارة صار غازياً كالبخار · اذن فالجسم لهُ صورة ثابتة في وقت معين وهو زمن رؤيتهِ في حالة من هذه الحالات الثلاث · والذي يرتسم على الشبكية ويراهُ الانسان هو صورة الجسم المطابقة لصورتهِ في الخارج ولو لم تكن لهُ صورة معينة في الخارج لما تميز بعض الصور في نظر الانسان من بعض بل لما وجدت بالمرة كما اسلفناهُ · واذا قال جنابهُ ان العين ليست شاهداً عدلاً قلنا لنا شاهد عدل آخر وهو آلة الرسم (الفوتوغرافيا) التي لا تتأثر بالمؤثرات فتكون صورة طبق الاصل فثبت المطلوب ·

اثبات القضية الثانية — ذكر صاحب المقالة ان في العين نوراً ليس اصلهُ من الخارج بل هو من الدماغ حيث قال : ونعود الى النور الذي يظهر اثرهُ في الدماغ فنقول : اما النور الذي يرد من المرئيات فقد تكلم عنهُ الكثير من الفلاسفة ووفوهُ حقهُ من التنقيب · ولكن هناك انوار يحس بها الانسان بعد ان يقطع بالاغماض ارتباطهُ بالخارج او من غير ان يكون لهُ مصدر في الخارج البتة اظن ان فلاسفة العصر لم يوفوهُ حقهُ من البحث اه · والذي اراهُ انهُ هو النور الذي يرد من المرئيات يستعمل لانارة الصور عند اغماض العين بعد انطباعها على الشبكية او عند النوم في حالة الرؤيا او تبرز هذا النور في الظلمة لانارة الاشباح كعيون السنانير · أما ترى ان بعض الحيوانات تبقى مطبقة العينين بعد الولادة بضعة ايام لا تبصر كالكلاب والسنانير · فتمثيل حضرتهُ لهذا النور بما يظهر في عين الهر ونحوهِ في الظلمة لا يثبت المطلوب : لانهُ لو كان هذا النور في عينهِ من الاصل لما ولد مقفل العينين لا يبصر في النور ولا في الظلمة · اما وقد شوهد ان الضوء الخارجي هو الذي يفتح عينيهِ ويملأُهما نوراً كما يفتح ضوءُ الشمس عيون النرجس فلا مناص لنا من الحكم بان النور وصل الى عينيهِ من الخارج ·

ولو كانت عين الانسان بها نور طبيعي لرأى الانسان في الظلمة بهذا النور ولما احتاج الى ضوء من الخارج فلم يبقَ مجال للشك في ان النور بجميع انواعهِ تكتسبهُ الاعين من اضواء هذا الكون كما يكتسب القمر النور من الشمس ويرسلهُ الينا لنهتدي بهِ في ظلمات البر والبحر

محمد علي الدسوقي

مدرس عربي بمدرسة بنها الاميرية

بابُ تدبيرِ المنزِل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

نقص في مدارس البنات

يجب اصلاحهُ

ولم ارَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

احتدم الجدال منذ ايام في مجلس شورى الامة على تعليم البنات الاميرية فاختلفوا رأياً في امر ديني يرى كثيرون من العقلاء وجوب التساهل فيهِ ولكن فاتهم البحث في امر هو اولى الامور بالاهتمام بل هو النقص العظيم الذي تحتاج مدارس البنات في هذا القطر الى تلافيهِ سواء كانت اميرية او اهلية ويظهر هذا النقص لاول وهلة انهُ قليل الاهمية ولكن متى اتضح للقارئ الكريم انهُ هو السر في ارتقاء امة باسرها عقلاً وصحة جسم واقداماً علم اهميتهُ وشدة الحاجة اليهِ

لم تبلغ الدولة الرومانية اوج العزة والمنعة والسلطان الا بجنودها الباسلة القوية الاجسام ولكن هذه الجنود لم تحرز هاتين الصفتين العظيمتين الاَّ بعد ما تنبه الرومان لامر من الاهمية بمكان الا وهو ادخال فن الرياضة البدنية الى كل مدارس البنات والى حلقات كنَّ يجتمعن فيها حتى قيل انهم كانوا يعتنون بترويض ابدانهنَّ اكثر من عنايتهم بترويض عقولهنَّ فانجبن تلك الامة التي خلد التاريخ مجدها وعظم بين الامم التي كانت معاصرة لها جلالها وقدرها

فكل امة في العالم في افتقار ماس ليس الى تهذيب فتاتها وتثقيفها بالعلوم فقط بل الى تقوية جسمها وجعلهِ قادراً ان يتغلب على الامراض لان لهذا الجسم القوى السليم نفعاً عظيما في مستقبل تلك الامة ولاسيما اذا بقيت هذه الرياضة البدنية متبعة في اجيالها

كثيراً ماينبئنا البرق وتنقل الينا صحف الغرب ما يفعله النساء اللواتي يطالبن حكومة انكلترا وغيرها بحقوق يدعين بها زاعمات انهن قادرات على ادارة المهام كالرجال وان الرجال لا يرجحون عليهنَّ عقلاً ولا يزيدن عنهنَّ همة . فهذه الجرأة وتلك القوة لم يكتسبنهما الا بتلك الرياضة البدنية التي تعودنها والنشاط الذي انحدر اليهنَّ بسببها

عرفت الدول الاوربية والولايات المتحدة منافع تلك الرياضة الجلى فادخلتها الى مدارس البنات وعينت لها الجوائز كما هي الحال في مدارس الصبيان هنا . ولكن هذه الرياضة ليست على مثال واحد فما ينفع منها فتاةً قد لا ينفع فتاة اخرى بسبب مزاجها فلهذا عينت معلمين ومعلمات خبيرات بها فينتقين لهن الالعاب التي توافق امزجتهن ويرتحن اليها والملابس التي تلائمهن في اثناء اللعب . ولا يكتفين بذلك بل يعلمونهن تدبير المنزل ايضاً ويعدونهُ من اجمل فنون الرياضة وانفعها

حدَّثت سيدة انكليزية مشهورة في عالم الكتابة قالت : رأيت سيدة انكليزية تدلُّ ملابسها الفاخرة وحلاها العظيمة القيمة على انها من المثريات فلم يعجبني منها الا ظهور علامات الصحة على محياها الجميل . فسألت بعض معارفها عنها فقالوا ان ما ترينهُ من امارات الصحة عليها سببهُ الرياضة التي تداوم استعمالها في منزلها . فسعيت جهدي حتى تعرفت بها وسألتها عن انواع الرياضة البدنية التي تستعملها في منزلها وكنت اتوقع انها تذكر لي اسماء ادوات لعب جديدة اخترعت حديثاً ولكني دهشت وعجبت لما قالت ان رياضتها لا تتعدى تدبير منزلها وجعلت تقص عليَّ ما تعملهُ قالت : ان مسح المائدة رياضة جيدة فانها تقوي الذراعين وتزيد التنفس فتنفع الصدر . ومسح الارض بالماء لا تفوقهُ رياضة نفعاً للجسم وكذلك الكنس ونفض الغبار عن الامتعة . فعملي هذا فضلاً عن انهُ يكسبني صحة وعافية فانهُ يشرح صدري لانني ارى كل شيء نظيفاً ومرتباً في محلهِ وعند ما امسح ارض المطبخ اشعر حقيقة بانني ربة منزل سعيدة . واذا قرع باب المنزل وانا امسح الارض بادرت فوضعت مئزراً وقابلت الضيف معتذرة . الى ان قالت ولا انكر عليك ان عندي خدماً ولكنني تعودت هذه الرياضة لما كنت اتعلم في المدرسة فاسر بها كثيراً

فهل يرضى آباء البنات وامهاتهن في هذا القطر ان تتعلم بناتهن في مدارسهِ تدبير المنزل

حتى اذا صرن زوجات عملن بايديهم كما عملت تلك السيدة الفاضلة ؟ ٠

رأينا في القطر في السنوات الاربع الاخيرة نهضة حقيقية الى تعليم البنات ولكن هذه النهضة لا يزال ينقصها ادخال فن الرياضة الى المدارس التي انشئت لهن و ينقصها ايضاً فن تدبير المنزل وكلاهما من الاهمية بمكان ٠ ان الارض التي تلقى فيها بذوراً صالحة لا تخرج نباتها فينمو ويزهو الا اذا كانت جيدة التربة تلفحها الشمس ويمر بها الهواء الذي يروض البنات فيمد جذوره في الارض ٠ وحيوان البرية اذا حبس في قفص ليدجن وهن جسمهُ وضعف قوتهُ لانهُ معتاد الرياضة في الحراج والغابات ٠ فالرياضة واجبة للفتاة وجوبها للفتى وللحيوان الاعجم والنبات . فلماذا نهمل الاعتناء بها في مدارس بناتنا واين نحن من الغربيين الذين نروم الاقتداء بهم في امورنا

يزايل هذا القطر في كل عام مئات بل الوف من اهلهِ الى البلدان الاوربية وبينهم الشبان الذين استنارت عقولهم بنور العرفان و يعودون الينا وقد تشبهوا بالقوم في بعض عاداتهم من مستحسن ومستهجن ولكننا لم ترَ واحداً منهم كتب لنفع امتهِ منبهاً اياها الى وجوب ادخال فن الرياضة الى مدارس بناتنا لنقول انهُ عرف سراً من اعظم الاسرار في ارتقاء الغرب ٠ فمن لي بمبلغ صوتي هذا اليهم ليتحققوا صحتهُ ويعودوا الينا وفي صدورهم نهضة جديدة وهمة ماضية تلجئهم الى حث سراة امتهم عليهِ ودعوتهم اليهِ

ومما لا مشاحة فيهِ ان شبان هذا القطر المتعلمين الذين هم آخذون في الازدياد عاماً بعد عام يسعى الواحد منهم جهدهُ لكي يتزوج بابنة متعلمة مهذبة الاخلاق فاذا بقيت مدارس بناتنا محرومة ادخال فن الرياضة اليها كانت العاقبة ولا شك ضعف النسل في الطبقة الراقية من اهله ولكن ذلك لا يظهر في الحال بل يستغرق ظهورهُ عدة سنين

فعلى نظارة المعارف التنبه لهذا النقص وعلى الاباء والامهات ان يطلبوا منها تلافيهُ كما تلافتهُ في مدارس الصبيان

اما فن تدبير المنزل فالواجب على الاباء والامهات اطراح الصلف والخيلاء جانباً واجماعهم على وجوب ادخاله الى مدارس البنات لتجني الابنة نفعهُ متى صارت ربة منزل فان لم تطبخ يدها كانت خبيرة باعداد الطعام فتساعد الطباخ او تراقبهُ وان لم تمسح ارض مطبخها يدها فربما جاءها يوم عصيب تنظر فيهِ الى مسحهِ ٠ وقس على ذلك سائر الاعمال المنزلية ٠ على ان خير امرأة مدبرة هي التي تدير شوءون منزلها بيدها والسلام

رحمه صروف

الجنين في شهور الحمل

يبتدئ جنين الانسان بجرثومة صغيرة لا ترى بالعين لصغرها ثم يكبر رويداً رويداً ولكنهُ لا يبلغ حجماً يرى فيهِ الاَّ اذا اتمَّ اسبوعين من عمرهِ . ومتى بلغ عمرهُ ثلاثة اسابيع صار حجمهُ مثل حجم النملة وظهرت فيهِ مبادئ الحبل الشوكي (سلسلة الظهر) والقلب والدماغ . ومتى بلغ عمرهُ اربعة اسابيع صار مثل ذبابة الخيل في حجمهِ ويكون شكلهُ حينئذٍ مثل دودة معقوفة فاذا بُسط بلغ طولهُ نصف عقدة ويكون رأسهُ اكبر من سائر بدنهِ وتظهر فيهِ آثار عينيهِ . وفي الاسبوع الحادي عشر تظهر آثار اضلاعهِ على صدرهِ وظهرهِ ويتكوَّن قلبهُ ويكبر دماغهُ وتنبت يداهُ ورجلاهُ ويصير طولهُ نحو سنتمترين ولا يمكن تمييز الذكر من الانثى حينئذٍ

وحينما يصير عمرهُ شهرين يبقى التمييز بين الذكر والانثى صعباً وتكبر عيناهُ ولكن لا تكون اجفانهما ويظهر منخراهُ ولكنهُ يكون من غير انف بارز وتظهر فتحة فمهِ جيداً ويكون رأسهُ اكثر من ثلث جسمهِ كلهِ

وفي آخر الشهر الثالث تتضح اجفان عينيهِ ولكنها تكون مطبوقة وتظهر جبهتهُ ويظهر انفهُ ويمكن حينئذٍ التمييز بين الذكر والانثى ويصير قلبهُ يضرب بقوة وتبتدئ الدورة الدموية وتبتدئ عضلاتهُ في التكوُّن وتظهر اصابع يديهِ ورجليهِ ويصير طولهُ ١٢ سنتمتراً وثقلهُ ٢٥ درهماً الى خمسين

وفي الشهر الرابع تبتدئ اعضاؤُهُ في الحركة فتشعر امهُ بذلك وهذا هو ارتكاض الجنين ويصير طولهُ من ١٥ سنتيمتراً الى ٢٠ وثقلهُ من ٨٠ درهماً الى ٩٠

وفي الشهر السادس يظهر الشعر في رأسهِ وحاجبيهِ وتظهر رموش عينيهِ ويبلغ طولهُ من ٢٥ الى ٣٠ سنتيمتراً وثقلهُ نحو ١٤٠ درهماً

وفي الشهر السابع يتم بناء عظامهِ تقريباً ويكبر حجمهُ واذا ولد حينئذٍ فيمكن ان يعيش ولا يعيش اذا ولد قبلما يتم الشهر السابع الاَّ اذا استعملت لهُ وسائل غير عادية تمنع اختلاف الحرارة عليهِ . ومن الشهر السابع الى حين الولادة يزيد نموهُ وتزيد قوتهُ حتى يصير قادراً على احتمال تغيرات الهواء اذا خرج اليهِ . ولا صحة ما يقال من ان ابن الشهر السابع اسلم من ابن الشهر الثامن والصحيح ان ابن الشهر الثامن اسلم لانهُ اكمل بناء وتأهُّباً للحياة . واذا اكثرت الحبلى من الاكل فقد يسمن جنينها جدًّا وتجد مشقة كبيرة وألماً شديداً في ولادتهِ

وصايا صحية

اذا اكثرت الطعام لسبب من الاسباب فتعبت منهُ فارحْ معدتك وامعاءك يومًا او يومين بتقليل الطعام جدًّا فيزول التعب وتعود اليك صحتك

اذا شعرت ببداءة الزكام فاذهب الى سريرك حالاً واسترحْ فيهِ محافظاً على الدفء واكتفِ بالطعام القليل المغذي فتسلم من الزكام قبل حدوثهِ او قبل تمكنهِ منك

اذا كنت قصير القامة واردت ان تطيل قامتك قليلاً سنتمتراً او سنتيمترين فروض جسمك يومًا بعد يوم بالتعلق بشيء مرتفع او باسلوب آخر يمط الجسم مطّاً من غير ان يخلع منفصلاً منهُ فانك اذا واظبت على ذلك طال جسمك قليلاً

اذا ظهرت في وجهك نقط سوداء فاصلح طعامك اي قلّلْ من الطعام المدهن الدسم واكتفِ بالطعام البسيط المغذي واستحمَّ كل يوم بحمام حار يفتح مسام جسمك وينظفها . ولا بدَّ لك من غسل وجهك بماء فاتر كل ليلة قبلما تنام بعد ان تذيب فيهِ قليلاً من البورق ملعقةً صغيرة في طست الماء وافرك جلد وجهك جيداً حتى ينظف وتجري الدورة الدموية فيهِ واستعمل الصابون الجيد . والغالب ان هذه الواسطة تزيل النقط السوداء ما لم تكن كبيرة جدًّا

اذا كنت نحيف الجسم واردت ان تسمن ولو قليلاً فاشرب كثيراً من اللبن كل يوم مصَّهُ مصاً ولا تكرعهُ كرعاً فانك اذا مصصتهُ امتزج بلعابك وسهل هضمهُ . واكثرْ في طعامك من الارز واللوبياء والفول والحمص والزبدة واللحم المدهن والعنب والتين والزبيب والجوز واللوز والتمر والبيض والسكر فان هذه الاطعمة تزيد السمن ولكن لا تكثر منها كثيراً حتى يصيبك منها سوء هضم

واذا كنت سميناً واردت ان تخف قليلاً او يعتدل جسمك فاعصر ليمونة حامضة في كاس من الماء الفاتر واشربه في الصباح قبل الطعام فاذا فعلت ذلك يومًا بعد يوم قلَّ سمنك بعض الشيء ولاسيما اذا قللت طعامك

اذا اكثر النساء من المشي السريع يومياً الى حد التعب زال اكثر ما يشكين منهُ من السآمة والضجر

وقاية العين

ان كنت تقرأُ او تكتب او تخيط او تعمل عملاً آخر دقيقاً فاجلس بحيث يأتي النور من ورائك لا من امامك فان ذلك احفظ لعينيك واقل اجهاداً لها

لا تفرك عينيك في الصباح بل اغسلها بماء بارد او فاتر واذا وجدتهما لاصقتين بالعماص من زكام او ضعف فيهما فادهن اجفانهما في المساء بقليل من الڤاسلين واغسلها في الصباح باللبن الممزوج بالماء وليكن الغسل تنطيلاً

اضرُّ شيءٍ بالعينين طول السهر والقراءة على نور ضعيف فاذا تعبتا من ذلك فاغمضهما واتركهما مغمضتين بضع دقائق فتستريحا ولكن اذا تكرَّر اجهادُهما على نور ضعيف اصابهما ضرر دائم

القراءة في سكة الحديد والقطر سائر تتعب البصر فاذا كانت عيناك ضعيفتان فلا تقرأ في القطر

اذا وقعت قذى في عينك فلا تفركها بل اغمضها وانفخ انفك مراراً كمن يريد ان يمخط واذا كانت القذى منظورة فيسهل نزعها بطرف منديل ولكن اذا كانت من الحديد ونحوهِ عسر نزعها فلا بد من الالتجاء الى الطبيب • واذا نزعت القذى وبقيت العين محمرة مألومة منها فاقطر فيها نقطتين من زيت الزيتون النقي واتركها حتى يزول الاحمرار منها

يصيب العين لطمة احيانًا فيحمر جفناها ويزرقان وقد يسودان ويزول ذلك بوضع قطعة من اللحم النيء عليها او بدهن الجفنين وما حولها بالزبدة وتجدد الزبدة كل عشر دقائق



محصول القطن وسعرهُ

ورد التقرير الاميركي الشهري في الثاني من يوليو مقدّراً حالة القطن الاميركي ٧٤ و ٦ اعشار اي انهُ يعادل نحو ثلاثة ارباع ما لو كان تام النمو والخصب • وقد كانت درجتهُ في اول يونيو ٨١ وعشر اي اصابهُ في غضون يونيو ما اضرَّ بهِ وقلَّل نموهُ نحو ستة ونصفًا في المئة • وقد كان في اول يوليو من العام الماضي ٨١ وعشرين • وحالما ظهر هذا التقرير ارتفعت اسعار القطن في اميركا وانكلترا وارتفعت ايضًا في القطن المصري مجاراة لها ولا تزال الاسعار تتراوح بين الصعود والهبوط ولكنها لم تهبط عن الدرجة التي بلغتها اولاً دلالة على ان تجار القطن يعتقدون ان الموسم الاميركي صغير لا يزيد على ١٢ مليون بالة وان الاسعار التي بلغها

القطن الآن لا يهبط عنها · وهاك جدولاً ذكرت فيه حالة المواسم الاميركية الماضية من سنة ١٨٨٨ الى الآن وعدد الافدنة التي كانت تزرع كل سنة ومقدار الموسم بالبالات الاميركية وحالة القطن في اوال يونيو و يوليو واغسطس وسبتمبر واكتوبر من كل سنة

سنة	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	المحصول	المساحة
١٩٠٩	٨١ ١	٧٤ ٦					٣١٩١٨٠٠٠
١٩٠٨	٧٩ ٧	٨١ ٣	٨٣ :	٧٦ ١	٦٩ ٧		٣٣٣٧٠٠٠٠
١٩٠٧	٧٠ ٥	٧٢ ٠	٧٥ ٠	٧٣ ٧	٦٧ ٧	١١٥٧١٩٦٦	٣٢٠٦٦٠٠٠
١٩٠٦	٨٤ ٦	٨٣ ٣	٨٣ ٩	٧٧ ٣	٧١ ٦	١٣٥١٠٩٨٣	٣٨٦٨٦٠٠٠
١٩٠٥	٧٧ ٣	٧٧ ٠	٧٤ ٩	٧٢ ١	٧١ ٣	٠١٣٤٥٩٨٨	٢٧٠٠٠٠٠٠
١٩٠٤	٨٣ ٠	٨٨ ٠	٩١ ٤	٨٤ ١	٧٥ ٨	١٣٥٦٥٨٨٥	٣٠٠٥٣٧٠
٩٠٣	٧٤ ١	٧٧ ١	٧٩ ٧	٨١ ٣	٦٥ ١	١٠٠١١٠٠٠	٣٨٩٠٧٠٠٠
١٩٠٢	٩٥ ١	٨٤ ٧	٨١ ٩	٦٤ ٠	٥٨ ٣	١ ٧٣٨٠٠٠	٢٧٨٧٨٠٠٠
١٩٠١	٨١ ٥	٨١ ١	٧٧ ٣	٧١ ٤	٦١ ٤	١٠٦٨١٠٠٠	٢٧٦٣٤٠٠
١٩٠٠	٨٢ ٥	٧٥ ٨	٧٦ ٠	٦٨ ٢	٦٧ ٠	١٠٣٨٣٠٠٠	٢٥٤٢١٠٠٠
١٨٩٩	٨٥ ٧	٨٧ ٨	٨٤ ٠	٦٨ ٥	٦٣ ٤	٠٩٤٣٦٠٠٠	٢٤٢٧٥٠٠٠
١٨٩٨	٨٩ ٠	٩١ ٢	٩١ ٢	٧٩ ٨	٧٥ ٤	١١٢٧٥ ٠٠	٢٤٩٦٧٠٠٠
١٨٩٧	٨٣ ٥	٨٦ ٠	٨٦ ٩	٧٨ ٣	٧٠ ٠	١١٣٠٠٠٠٠	٢٤٣٢ ٠٠٠
١٨٩٦	٩٧ ٢	٩٢ ٥	٨٠ ١	٦٤ ٢	٦٠ ٧	٨٧٥٨ ٠	٢٣٤٤٥٠٠٠
١٨٩٥	٨١ ٠	٨٢ ٣	٧٧ ٩	٧٠ ٨	٦٥ ١	٠٧١٥٧ ٠٠	٢٠١٩١٠٠٠
١٨٩٤	٨٨ ٣	٨٩ ٦	٩١ ٨	٨٥ ٩	٨٣ ٧	٠٩٩٠١٠٠٠	٢٣٦٨٨٠٠٠
١٨٩٣	٨٥ ٦	٨٢ ٧	٨ ٤	٧٣ ٤	٧٠ ٧	٠٧٥٥٠٠٠	١٦٦٥٦٠٠٠
١٨٩٢	٨٥ ٩	٨٦ ٩	٨٢ ٣	٧٦ ٨	٧٣ ٣	٠٦٧٠٠٠٠٠	١٦٥٧٣٠٠٠
١٨٩١	٨٥ ٧	٨٨ ٦	٨٨ ٩	٨٢ ٧	٧٤ ٧	٩٠٣٥٠٠٠	١٩٨٥٨٠٠٠
١٨٩٠	٨٨ ٨	٩١ ٤	٨٩ ٥	٨٥ ٥	٨٠ ٠	٠٨٦٥٣٠٠٠	٢٠٣٨٩ ٠٠
١٨٨٩	٨٦ ٤	٨٧ ٦	٨٩ ٣	٨٦ ٦	٨١ ٤	٠٧٣١١٠٠٠	٢٠١٧٥٠٠٠
١٨٨٨	٨٨ ٢	٨٦ ٧	٨٧ ٣	٨٣ ٨	٧٨ ٩	٠٦٩٣٥٠٠٠	١٨٩٣٨ ٠٠

وواضح من هذا الجدول ان حالة القطن في شهري يونيو و يوليو لا تكفي للحكم على المحصول الحكم البات لانهُ يحتمل ان تحسَّن الحالة في الاشهر التالية فيزيد المحصول كما يحتمل ان تبقى على حالها او تزيد سوءًا فيقل المحصول كثيراً ولكن يظهر منهُ ايضاً انهُ اذا ساءت الحالة في تقدير يوليو عما كانت عليها في تقدير يونيو فالغالب ان يقلَّ التحسن بعد ذلك و يأتي الموسم صغيراً واذا تحقق ذلك فهذهِ ربح كبير لاهل الزراعة وتجار القطن وصناعهِ عموماً

النقابات الزراعية

يهتم جماعة من الفضلاء بانشاء النقابات الزراعية في هذا القطر برئاسة دولة الامير الحكيم البرنس حسين باشا كامل وقد وضعوا لتأليفها قانوناً شاملاً اطلع عليهِ رئيس قلم قضايا الحكومة و ينتظر من يوم الى آخر صدور الدكريتو الخديوي بهِ حتى يتيسر لهم تأليف النقابات او شركات التعاون الزراعية في القطر

والغرض من هذهِ النقابات او شركات التعاون ان تقدم الى الفلاحين ما يحتاجون اليهِ من التقاوي والسباخ والادوات الزراعية وما اشبه بارخص ما يمكن من الاثمان وتكون البضاعة من اجود الانواع فتكون التقاوي منقاة والسباخ معروفة كمية المواد الغذائية فيهِ بالتحليل الكيماوي والمحاريث من اجود ما صنع . وقس على ذلك سائر ما يحتاج اليهِ الفلاح من المواد والآلات والادوات . وزد على ذلك فان هذهِ النقابات تهتم ببيع حاصلات الفلاح كما تهتم بان تشتري لهُ ما يحتاج اليهِ . وتبذل جهدها حتى لا يغبن في الثمن بائعاً ومشترياً . واذا احتاج الى المال ليشتري بهِ لوازم الزراعة او لوازم المعيشة اعطتهُ ما يحتاج اليهِ منها بفائدة معتدلة جدًّا فتغنيهِ عن المرابي الذي يديِّنهُ بفائدة عشرين او ثلاثين في المئة ولكنها لا تسهل عليهِ سبل الاستدانة لاجل البذخ لئلا تسلمهُ ما يستدينهُ نقوداً ينفقها في ما لا فائدة لهُ منهُ بل تعطيهِ ما يحتاج اليهِ بضاعة ونحوها من لوازم الزراعة والمعيشة

ثم ان هذهِ النقابات تهتم بارشاد الفلاحين الى ما بهِ النفع لزراعتهم من حيث طرق الحرث والري والتسميد ومقاومة الحشرات والآفات وما اشبه

وغني عن البيان ان نقابات مثل هذهِ تخدم القطر المصري اجل خدمة . و يقيننا ان الواضعين لهذا المشروع الجليل قد تحوطوا من الآن لما يمكن ان يقع من الغش والتحيل فيهِ فان اعضاء النقابات ليسوا باصحاب البضائع التي تصنع او تجلب الى القطر ولا هم بالمشترين الذين تنتهي اليهم المبيعات اخيراً فالتاجر الذي يجلب السماد الكيماوي او المحاريث التجارية هو

هو سواء اشترت منهُ النقابات او اشترى منهُ الفلاحون ولا بدَّ لهُ من ربح يربحهُ من تجارتهِ فاذا دخل بين اعضاء النقابة او شاركها بوجه من الوجوه فلا فائدة للفلاح من ذلك

وايضاً ينتظر من مديري النقابات كلها ان يشتركوا فيها و يخدموها عفواً لمجرد النفع العام وهو امر محقق في القائمين بهذا المشروع الآن لانهم كلهم من الكرماء الفضلاء المتفانين في حب وطنهم . ولكن يجب ان يكون في القانون ما يكفل بقاء الادارة في يد امثالهم و يمنع دخول المنتفعين فيها لئلا تصير نقابات تجارية للكسب من الفلاحين كما صارت امثالها في البلدان الاوربية وقد نتجت عنها فوائد جمة ولكن بعضها افاد مديريهِ اكثر مما افاد المشتركين فيهِ . فعسى ان يكون اصحاب مشروعنا المصري قد تحوطوا لذلك من الآن وان تسرع الحكومة في التصديق على مشروعهم واصدار الامر العالي بهِ

هذا ومجال النفع للنقابات الزراعية واسع جدًّا واوسعهُ في رأينا ليس البيع والشراء بل تعليم الفلاحين كيفية استغلال الريع الاكبر ودفع الآفات عن الزراعة والمواشي فان محصول فدان القطن قد يكون قنطارين فقط وقد يبلغ بحسن العناية عشرة قناطير فاذا فرضنا ان حسن العناية والارشاد زادا محصول الفدان قنطاراً واحداً فالزيادة في القطر كلهِ تبلغ مليوناً ونصف مليون من القناطير وهي تساوي ستة ملايين من الجنيهات في السنة . فمهما توفر على الفلاحين بمشترياتهم لا يساوي جزءا صغيراً مما يكسبونهُ بحسن ادارتهم . وقس على ذلك محصول القمح والذرة وكل الحاصلات الزراعية فانها تتفاوت كثيراً حسب درجة الاعتناء بالزراعة والفرق فيها كبير جدًّا . ولما كان ارشاد الفلاحين من جملة الاغراض التي ترمي اليها هذهِ النقابات ان لم يكن اهمها فالامل انها تفيد القطر فائدة كبيرة جدًّا تعود بالشكر الجزيل على حضرات الفضلاء واضعي هذا المشروع ولا سيما رئيسهم الامير الجليل المتفاني في خدمة وطنهِ البرنس حسين باشا كامل

الحشرات المضرَّة بالزراعة

لا يتولد الحي من غير الحي في عصرنا هذا ولا يتولد نوع من الحيوان الاَّ من نوعهِ فاذا ظهر في هذا القطر نوع جديد من الحشرات فهو مجلوب اليهِ من بلاد أُخرى واذا اهتمت الحكومة استطاعت ان تمنع دخول الحشرات الجديدة الى البلاد . ومن الغريب ان الحشرات الجديدة قد تكون افتك بالمزروعات من الحشرات القديمة كما ان الامراض الوبائية التي تدخل بلاداً لم تدخلها من قبل تكون افتك بسكانها من الامراض الوطنية ولو كانت وبائية لان

الاجسام تعتاد الآفات التي تتكرَّر عليها فلا يعود ضررها كبيراً مثل الآفات التي لم تعتدها

وقد نبهنا الى هذا الموضوع اننا رأينا بالامس بندقاً اخضر مما يباع في اسواق القاهرة في هذه الايام وارداً في بر الاناضول على ما يظهر ووجدنا في اكثرهِ دوداً كبيراً ابيض اللون خرق قشر البندق واكل لبهُ · وبديهي ان الذين يشترون هذا البندق يرمون ما يجدون فيهِ دوداً فيتمُّ الدود نموهُ ويصير فراشاً يطير في القطر ويبزر وهو لا يجد البندق عندنا ولكنهُ يجد اثماراً اخرى تصلح لمعيشتهِ فقد يبيض على البلح او على لوز القطن او على المنجو او على غير ذلك من الاثمار ويتكاثر في القطر ويمسي آفة من شر الآفات · فلو منعت الحكومة دخول كل الاثمار والحبوب التي فيها حشرات وديدان لسلمت البلاد من آفات كثيرة · كذا تفعل البلدان الاخرى فانها تمنع دخول الاثمار المضروبة وفسائل الاشجار التي عليها حشرات وبعضها مثل قبرص يمنع دخول الاثمار والاشجار مطلقاً مهما كان نوعها مخافةً ان تصل بها الحشرات اليها فتضر بزراعتها

تسمين المواشي

من العبث الاهتمام بتربية المواشي وتعليفها في القطر المصري لاجل الذبح لان الاموال الاميرية على الاطيان الزراعية عالية جدًّا فلا يمكن تركها مراعي للمواشي · والاطيان التي تنبت نباتات المراعي تنبت المزروعات على انواعها فيمكن زرعها قمحاً وقطناً وما اشبه وربح اصحابها من الزراعة اكثر من ربحهم من المواشي لو جعلوها مراعي لها

لكن ما يقال على القطر المصري لا يقال على القطر السوري حيث المراعي واسعة والارض رخيصة ولا مال عليها او مالها طفيف جدًّا

ورعاية المواشي العادية لا تكفي لتسمينها الاَّ اذا كانت المراعي كثيرة الخصب وافرة الكلاء ومع ذلك تمضي شهور كثيرة من السنة ولا شيء فيها ترعاهُ المواشي فعلى من يريد تربيتها لاجل الذبح ان لا يكتفي بالمراعي الطبيعية بل يضيف اليها انواع العلف الاخرى التي تقيت المواشي وتسمنها

ولا يخفى ان الزراعة اسلوبان الاسلوب الاول والابسط هو استخراج خيرات الارض في شكل نبات وحبوب واثمار اي تحويل عناصر الارض وعناصر الهواء الى مواد نباتية · والاسلوب الثاني هو تحويل هذه المواد النباتية الى لحم ودهن وصوف وشعر وجلود الى حيوانات نأكل لحمها وننتعل جلودها ونكتسي شعرها وصوفها · ثم يخلُّ اللحم والجلد والصوف وتعود

عناصرها الى التراب والهواء ويدور هذا الدور الى ما شاء الله · وعمل الزارع الذي يتحوَّل بهِ التراب والهواء الى نبات وحبوب واثمار وتحول بهِ النباتات والحبوب والاثمار الى لحم وجلد وصوف هو العمل المنتج المغني بين كل اعمال الانسان وما سواهُ تنويع وتحويل وقلب وابدال

وقد تقدَّم ان سكان القطر المصري لا يهتمون بتربية المواشي للذبح بل يقول خاصتهم بعدم ذبح صغار المواشي مطلقاً لكي تبقى للزراعة · ومعلوم ان اللحم لا يستطاب الأَ من صغار العجول والحملان ولذلك يبقى القطر محتاجاً الى استيراد كثير من المواشي للذبح · واذا اتتهُ سمينة بيعت فيهِ بثمن غالٍ لا كالعجول والخراف العجاف التي تأتيهِ الآن فتباع بثمن بخس · ويستورد القطر الآن من المواشي للذبح ما يزيد ثمنهُ على مئة الف جنيه واذا كانت هذه المواشي سمينة كما يجب فقد تباع بضاعف هذا الثمن · فهنا باب زراعي واسع للذين يريدون ان يربوا المواشي في القطر السوري لكي تباع في القطر المصري واذا تألفت شركة لهذا الغرض وابتاعت وابورين لجلب المواشي واهتمت بجلب السليم السمين منها فقط وجدت في ذلك باباً واسعاً للربح

والناس مصيبون في اختيارهم اللحم السمين على اللحم المزيل لان الاول اكثر غذاء من الثاني كما يظهر من هذا الجدول

	في لحم البقر		في لحم الضان	
	السمين	غير السمين	السمين	غير السمين
مواد نتروجينية كالهبر	١٥ في المئة	١٨ في المئة	١٢٫٥ في المئة	١٥٫٠ في المئة
" غير نتروجينية كالدهن	٣٠ "	١٦ "	٣٣٫٠ "	١٨٫٠٠ ·
مواد جمادية	٠٤ "	٥ "	٣٫٠ "	٠٣٫٥ "
جملة المواد الجامدة	٤٩ "	٣٩ "	٤٨٫٥ "	٣٦٫٥ "
ماء	٥١ "	٦١ "	٥١٫٥ "	٦٣٫٥ " ·

في كل مئة درهم من لحم البقر السمين ٤٩ درهماً من اللحم المغذي و ٥١ درهماً من الماء · وفي كل مئة درهم من لحم البقر المزيل ٣٩ درهماً فقط من اللحم المغذي و ٦١ درهماً من الماء فالنسبة بين المواد المغذية في لحم البقر السمين والمزيل كالنسبة بين ٤٩ و ٣٩ · وفي كل مئة درهم من لحم الغنم السمين ٤٨ درهماً ونصف درهم من المواد المغذية و ٥١ درهماً ونصف درهم من الماء · وفي كل مئة درهم من لحم الضان المزيل ٣٦ درهماً ونصف درهم فقط من

المواد المغذية و٦٣ درهماً ونصف درهم من الماء ٠ فالنسبة في المواد المغذية بين لحم الغنم السمين والمزيل كالنسبة بين ٤٨ و ٣٦ فاذا بيع رطل اللحم المزيل بستة وثلاثين مليماً وجب ان يباع رطل اللحم السمين بثمانية وار بعين مليماً لتحفظ الموازنة بين اللحمين في مقدار الغذاء هذا فضلاً عن ان اللحم السمين اطيب طعماً وقد يكون اسهل هضماً ايضاً





الصناعة المصرية منذ مئة عام

(١)

صناعة الفخار والآجر

يصنع عرب العبابدة في جوار اصوان ضرباً من القدور يسمونهُ « البرَم » وهو اسم المكان الذي يقلع منهُ حجرها فانهم يأخذون حجراً يجوفونهُ ويسوّونهُ من الخارج مستديراً الى ان تصير ثخانة جدرانهِ ثلاثة سنتيمترات او اربعة فيستعملونهُ للطبخ فيهِ ويبيعونهُ في تلك الجهات حتى مدينة اسنا

ويصنعون هذه القدور ايضاً بطريقة أُخرى افضل من الاولى وذلك بان يدقوا حجر البرَم ويعجنوا دقيقهُ ممزوجاً بصلصال يأتون بهِ من سفح جبل اصوان فيصنعون منهُ قدوراً تدلكها النساء من الخارج بالايدي ثم يعرضونها لحرارة الشمس يومين وبعد ذلك يشوونها شيّاً خفيفاً فتصير صالحة للاستعمال

وفي ادفو معمل مهمّ لصنع الخزَف تصنع فيهِ جميع الآنية الخزفية وخصوصاً ما ضخم منها كالدنان وخلافها

وفي قنا يستخرجون من عند فم الترعة التي في جهة الشمال الشرقي منها نوعاً من الصلصال الضارب الى البياض يصنعون منهُ ازياراً وقللاً يبرد فيها الماء بتبخّر ما يرتشح منهُ ولذلك تروج تجارة هذه الآنية في جميع انحاء مصر فيصدر من قنا نحو ثلاث مئة الف منها سنويًّا .

وتباع القلة في قنا ببارة واحدة وفي الجهات الاخرى ببارتين او ثلاث اما في التجارة « جملة » فيباع الالف منها بخمس مئة بارة · اي نحو سبعين غرشاً

ويصنع في ملوي وفي منفلوط ادنان كبيرة من مثل التي تستعمل في الصباغة والدباغة وعمل السكر الخ ورغماً عن ثخانتها يلزم استعمالها زمناً قبل ان تنقطع عن الارتشاح

ويعمل البلاّص في القرية التي اخذت هذه الآنية منها اسمها حيث يعتنون بصنعها وشيها لتكون صالحة لحفظ الزيت والسمن · اما اكواز الفخار التي تستعمل في السواقي فتصنع في غالب جهات مصر بمقادير عظيمة جداً · وكثيراً ما يرى حطامها في ارباض القرى

ولا يصنع من فناجين القهوة والآنية التي تحفظ فيها الاثمار المسكرة غير شيء يسير في القاهرة

واكثر بيوت القاهرة مبنية من الآجر المشوي خلافاً لبيوت القرى المبنية جميعاً من الطوب المجفف بالشمس

ويعمل الآجر من طين يؤخذ من مسيل النيل فيصنعون منهُ قطعاً طول الواحدة منها ٢٠ سنتيمتراً وعرضها ١٠ سنتيمترات وثخنها ٥ سنتيمترات · وما يستعمل منها بدون حرقٍ يجففونهُ في الشمس خمسة ايام قبل استعمالهِ

ويضعون غالباً في الاتون (القمينة) نحو ٤ او ٥ آلاف طوبة منهُ يحرقونها ٢٤ ساعة بايقاد سوق الذرة والفول والسلجم اليابسة وفي الوجه البحري يستعملون سوق الارزّ · وبعد الانتهاء من الحرق بيومين يبرد الاتون ويستخرجون منهُ الآجر

ويصنع الكلس (الجير) في اغلب جهات الصعيد حيث تكثر الحجارة الملائمة لعملهِ في الجبال المجاورة لمسيل النيل · وكان من جملة الاسباب الداعية لتدمير هياكل الوجه البحري المبنية بالحجر السكري اللون تهافت الاهالي على اقتلاع حجارتها وعملها كلساً لما وجدوا في ذلك من السهولة والتملص من عناء جلبها من الجبال البعيدة

(٢)

صناعة نسج الاقمشة القطنية والكتانية (التيلية) الخ

يُفضَّل القطن الذي يزرع في انحاء اسنا على غيرهِ من القطن المصري ولذلك ينسج شيءٌ كثير منهُ في اسنا ويباع للاعراب ولاهالي القرى المجاورة · غير ان قوص وقنا أهم من اسنا في هذه الصناعة · ففيهما اكثر من مئتين وخمسين نولاً يستنزف اصحابها قطن الصعيد الذي يمكنهم الحصول عليهِ ويشترون ايضاً كميات ليست بقليلة من الوجه البحري · ويجلب تجار

القاهرة القطن من سوريا يبيعونهُ في هاتين المدينتين وخلافهما . ويُعطي الحائك رطلاً[1] ونصف رطل للغزَّالة فترجع ذلك لهُ بعد نحو شهر رطلاً غزلاً

وقطعة القماش التي تنسج بمرة على النول تبلغ ٦ اذرع (بلدية) في ذراع ونصف عرضاً . ويقتضى لحياكتها يومان واجرة يوم الحائك من غرش الى غرش وربع ويباع الذراع من هذا القماش بنحو غرش

ويحوكون ايضاً في قنا ضرباً من الشال القطني المخطط باقلام زرق يلبسهُ المزارعون واكثر الاهالي على اكتافهم وطول هذا الشال اثنا عشر ذراعاً وعرضهُ ذراع ونصف وثمنهُ خمسة فرنكات ويباع منهُ جانب عظيم للقوافل القادمة من دارفور وسنار وغيرهما من جهات اواسط افريقية

وينسج نساجو الاقمشة القطنية كل ما يلزم للفلاح من الانسجة الصوفية ايضاً فيشترون الغزل من النساء والرجال الذين يغزلون الصوف اثناء رعاية المواشي وفي اوقات الفراغ من العمل

وفي بني سويف نحو ٦٠٠ حائك جميعهم منقطعون لحياكة الاقمشة القطنية التي يبيعونها للاهالي ولقبائل العرب المجاورة . اما في مدينة الفيوم فتتناول هذه الصناعة نسج الاقمشة القطنية والصوفية والكتانية . ففي هذه المدينة نحو ١٠٠ نول لنسج القطن و ١٢٠ نولاً لنسج الكتان فضلاً عما يوجد منها في قرى البلاد وكثيرٌ ما هو

وقبل نسج الكتان يقصرون خيوطهُ بغليها في مزيج من ماء النطرون والكلس (الجير) الحي ثم بغسلها بماء بارد وتجفيفها

ويصنعون ثلاثة انواع من الاقمشة الكتانية وتباع الشقة منها بين ١٣ غرشاً و ٣٠ غرشاً تبعاً لجودتها وعرضها الذي يكون من ٣/٤ الذراع الى ذراع ونصف . اما طولها فيكون دائماً ٣٠ ذراعاً

ولا يصدر من الفيوم الا جانب قليل من الاقمشة الكتانية غير انهُ يصدر منها مقادير كبيرة من الخيش الى الخارج فضلاً عما يباع منهُ في داخل القطر . وهو يصنع شققاً عرض الشقة ذراعان وطولها اربعة اذرع فيصدر منها الى اوربا وسوريا نحو ٤٠ الف شقة سنوياً . ويرد الى الفيوم والى بني سويف من قطن سوريا والوجه البحري بين ست مئة قنطار والف قنطار سنوياً

(١) الرطل في قنا يساوي ثلاثة ارطال ونصف في القاهرة

ويرأس طائفة الحاكة في كل من الاماكن المهمة شيخ يتولى جباية الاموال المضروبة على ارباب هذه الحرفة والفصل في ما يشجر بينهم · وتبلغ الاموال المضروبة على طائفة النساجين نحو ثلاثة الاف غرش يوزعها مشايخ الحرفة على الصناع حسب اهمية اشغالهم

ويرسل من الفيوم الى القاهرة اسبوعياً نحو الفي شال مصنوع من الصوف الابيض الذي يكثر في تلك الجهة

اما في الوجه البحري فيحوكون الاقمشة الكتانية في كثير من الاماكن وخصوصاً في طنطا وشبين ومنوف وسمنود حيث يصنعون منها ضروباً مختلفة بين خشن ومقصور مكفوف الحواشي وصفيق يستخدمونهُ لعمل الخيم واغشية حشايا الاسرة · وفي شبين نحو ٤٠٠ نول لحياكة الكتان وفي طنطا اكثر من ذلك قليلاً

وتنفرد المحلة الكبرى باتقان صناعة الاقمشة الحريرية التي تستخدم لعمل الستائر واغطية الدواوين والمساند والاخونة (الترابيزات) من سادج ومزركش بخيوط ذهبية وفضية وحبرَ سوداء للنساء ومناديل وغير ذلك

وهناك مصابغ لصبغ الحرير بالوان مختلفة من اسود واحمر واصفر واخضر وبرتقالي · غير ان ما يصبغ بلون الورد يؤتى بهِ من القاهرة مثل خيوط الذهب والفضة التي يزركشون بها الاقمشة السابق ذكرها

اما الحرير فيؤتى بهِ من سوريا بطريق دمياط ومقابل ذلك يرسلون الى بلاد الشام جانباً من هذه المنسوجات الحريرية

وفي دمياط انوال لحياكة حبرَ الحرير السوداء وانوال اخرى خاصة بعمل الاقمشة الكتانية المزركشة بحواشٍ من حرير يصدّرون معظمها الى بلاد الشام حيث يستعملونها حُزُماً وعمائم

ويصنع قماش قلع المراكب في المنصورة والمنزلة والبرلس ودمياط ورشيد والاسكندرية وامبابه واجودهُ ما يصنع في رشيد · ويباع مما يصنع في المنصورة في سوريا وجزائر الارخبيل الرومي

ولا خلاف في ان صناعة الحياكة عريقة في مصر فلا يعلم زمن بدئها ولكنها رغماً عن ذلك لا تزال على حالتها كما كانت منذ القدم

وواضح مما تقدم ان القطر المصري تأخر في الصناعة تأخراً بيناً معيباً منذ مئة سنة الى الآن كأن النجاح الذي اصابهُ من زراعة القطن جعلهُ يغضي عن سائر ابواب الرزق

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) فوائد العفة

ونديمر كاسل بجمايكا . الخواجه شحاده خليل مالك . لماذا يستحي الناس من ذكر بعض اعضائهم مع ان عليها يتوقف وجودهم

ج . يظهر لنا ان ميل الانسان الى ستر عورتهِ والاستحياء من ذكرها قديم فيهِ وان هذا الميل كان لهُ اليد الطولى في ارتقاء نوع الانسان جسداً وعقلاً وادباً فرسخ فيهِ بكرور الايام . والامم التي يشتدُّ فيها الحياء ارقى من غيرها والامم التي يقلُّ حياؤُها تنحط رويداً رويداً لسبب طبيعي لا يخفى . افرضوا انهُ وجدت قبيلتان في جزيرتين منفردتين وكانتا متساويتين في كل شيء ثم اتفق ان احداهما مالت الى الحياء والعفة والاخرى خلعت العذار ومالت الى الشبق والتهتك فلا تمضي قرون كثيرة حتى تختلف القبيلتان اختلافاً كبيراً الاولى يقوى نسلها وتصحُّ ابدانهم وعقولهم وآدابهم فيتغلبون على كثير من المصاعب الطبيعية ويتدىء عمرانهم ويتوطد . والثانية يضعف نسلها وتعتلُّ ابدانهم وعقولهم وآدابهم ويعجزون عن المصاعب الطبيعية ويبقون على البداوة او يكون عمرانهم ضعيفاً . لان الشبق يضعف الجسم والعقل ويفسد الآداب ويضعف النسل ايضاً . ولا خوف على امةٍ العفةُ اساس تمدنها او دينها ولكن يخشى على كل امة لا عفة في تمدنها ولا يوجب دينها العفة على ابنائها

(٢) اصل الرجم

ومنهُ . نقرأُ عن احجار الرجم في الفضاء فكيف وجدت وكيف استطاعت التخلص من جاذبية الاجرام التي نزعت منها

ج . من رأي بعض العلماء ان الرجم اصلية في الكون وان الاجرام السموية تكونت منها اي من اجتماعها بعضها ببعض . والمذهب القديم ان السديم هو الاصل ثم تكونت منهُ الاجرام الكبيرة ويتفق ان يتصادم بعض هذه الاجرام فتتكسَّر وتصير الرجم منها فتبقى دائرة في الجو الى ان تدنو من جرم كبير يجذبها اليهِ . وقد ذهب الاستاذ بكرنج الآن الى ان اصل اكثر الرجم الارضية من الارض

وقد انفصلت عنها وقتما انفصل القمر

(٣) كيف وجدت المادة

ومنهُ . هل يعقل ان يكون الوجود بدون بداية وكيف وجدت المادة التي تكوَّن منها كل ما يرى وهل يرجى في مستقبل الدهر ان يهتدي العلماء الى حل هذه المعضلة

ج . ان تصور العقول لا يجري على نسق واحد فالبعض يتصورون الوجود بدون بداية والبعض لا يستطيعون تصورهُ كذلك . ولا يعلم كيف وجدت المادة ولا نعلم هل يهتدي الناس الى معرفة ذلك في المستقبل . ولا يخفى اننا نريد بالعلم هنا العلم المبني على ما ندركهُ بالمشاهدة والامتحان . وقد يعتقد الانسان اعتقاداً او يستنتج استنتاجاً عقلياً ان للمادة بداية وان الله خلقها على هذه الصورة او تلك ولكن الاعتقاد شيء والاستنتاج العقلي شيء والحكم العلمي المبني على التجارب والمشاهدات شيء آخر

(٤) غاية الارتقاء

ومنهُ . هل لناموس الارتقاء حدٌّ يقف عندهُ او هو سائر الى ما لا نهاية لهُ

ج . لا نعلم ولا نظن احداً من الناس يدَّعي علم ذلك

(٥) اميال الانسا

ومنهُ . نرى عقل الانسان وقلبهُ في نزاع دائم القلب يميل والعقل يردع فهل يرجى ان يعيش الانسان بعقلهِ فقط وتنتزع من قلبهِ جراثيم الاميال وهل هذا النزاع طبيعي نافع او هو مكتسب ضار

ج . يراد بقلب الانسان في هذا القول الاميال التي في دماغهِ واعصابهِ ودقائق جسمهِ وهي صفات او حالات موروثة نجمت اصلاً عن اسباب طبيعية كميل شعر الزنجي الى السواد والتجعد وميل شعر الصقلبي الى الشقرة والاسترسال وكشهوة الاكل والنزهة . ويراد بالعقل المعلومات الاولية او البديهيات مثل ان الكل اكبر من جزئهِ والاشياء المساوية لشيء واحد مساوية بعضها لبعض والمعلومات الاختبارية مثل ان الشمس تشرق في الصباح وتغيب في المساء والحرث والخدمة ينميان الزرع والوقاية من الامراض تقلل خطر الوقوع فيها . فاذا كانت الاميال آيلة الى نفع الفرد او النوع او كليهما فالغالب انها تبقى وتقوى . لان الذين تكون قوية فيهم يكونون اقوى من غيرهم على البقاء واخلاف النسل واذا آلت الى ضرر الفرد او النوع او ضررهما كليهما فالغالب انها تضعف وتزول لان الذين تكون فيهم لا يقوون مثل غيرهم على البقاء واخلاف النسل وعلى ذلك يتمشى الارتقاء

(٦) حرية الانسان

ومنهُ . هل الانسان حر بكل معنى الكلمة او هو آلة في يد الطبيعة تديرهُ كيفما شاءت فاذا كان حرًّا فلماذا لا يكون كما يريد ويبلغ

كل امانيهِ واذا كان آلة في يد الطبيعة فماذا يطالب على ما يفعلهُ بقوتها وارادتها

ج · هو حرٌّ من وجوه وغير حرّ من اخرى فالامور التي رسخت في اسلافهِ راسخة فيهِ لا يستطيع تغييرها مهما حاول فهو مقيد بها كما اذا ولد ابيض او اسود او طويل القامة او قصيرها فهو مقيد من هذا القبيل وغير مسؤول عن سواد لونهِ او بياضهِ وطول قامتهِ او قصرها · ولكن ميلهُ الى هذا النوع من الطعام او ذاك غير شديد فيهِ حتى يقيدهُ باكل نوع دون آخر فيستطيع ان يأكل الطعام النافع ويستطيع ان يأكل الطعام الضار فاذا اكل طعاماً ضارًّا ومرض فهو مسؤُول عما فعل ونقع نتيجة فعلهِ عليهِ · وهكذا الميل الى الكذب فانهُ موجود في الانسان ولكنهُ غير شديد فيهِ حتى يتعذر عليهِ الامتناع عنه فيستطيع ان يصدق في كل اقوالهِ فاذا كذب فهو مسئول · وظاهر من ذلك ان الحرية والتقيد على درجات مختلفة فقصير القامة مقيد بقصر قامتهِ كما تقدم ولكنهُ يستطيع اذا اراد ان يزيدها سنتمتراً او سنتمترين بالمواظبة على مط جسمهِ · وابيض الجسم مقيد ببياض بشرتهِ ولكنهُ اذا قضى عمرهُ في الشمس مكشوفًا اكتسبت بشرتهُ سمرة دائمة قد تنتقل الى نسلهِ وعلى ذلك اسمرَّ بل اسودَّ نسل العرب والشراكسة الذين سكنوا بلاد السودان اما الزنجي فلا يظهر انهُ يستطيع ان يقلل سوادهُ ولو قضى حياتهُ في شمالي اوربا · والانسان حر ان يأكل ما يشاء كما تقدم لكنهُ قد يرى في نفسهِ ميلاً يدفعهُ الى اكل بعض المآكل ويجد عناء شديداً في نهي نفسهِ عنها · والخلاصة ان الانسان حرٌّ من وجوه ومقيد من وجوه اخرى وللحرية والتقيد درجات متفاوتة

(٧) بعض الترجمات

زحلة · · · · نرجو ان تنشروا لنا ترجمة غمبتا وشوبنهور وغلادستون ونيوكم وشاركو واذا كنتم قد نشرتم ترجمات هؤُلاء الرجال قبلاً فارجو اعادة الكلام عنهم لان اعداد المقتطف القديمة غير موجودة عندي وانا في حاجة ماسة الى الاطلاع على ترجماتهم

ج · تأتينا مسائل كثيرة من هذا القبيل ولا ندري كيف يطلب اصحابها هذا الطلب فان كنا قد نشرنا ترجمات هؤُلاء الرجال في المجلد العشرين او الثلاثين من المقتطف فلماذا نعيد نشرها الآن ونضيع على الوف القراء عدداً او عددين من المقتطف لكي يستفيد مشترك واحد في زحلة لم يتفق انهُ كان مشتركاً في المقتطف لما نشرت هذه الترجمات فيهِ · ولماذا لا يطلب ان يشتري الاجزاء التي نشرت فيها تلك الترجمات ليستفيد هو ولا يضر غيرهُ · اما نحن فقد نشرنا ترجمة غمبتا في الجزء السابع من المجلد السابع من المقتطف وترجمة غلادستون في

الجزء السابع من المجلد الثاني والعشرين ولم ننشر ترجمة شوبنهور ولا ترجمة نيوكم ولا شاركو وسننشر ترجمة نيوكم في الجزء التالي فقد اتانا نعيهُ قبل كتابة هذه السطور

(٨) المعجزات والعلم

ديفه بقضاء اللاذقية . الشيخ سليمان احمد
هل في العلم دليل على امكان وقوع المعجزات الواردة في الكتب الدينية

ج . اذا اريد بالمعجزات الحوادث الطبيعية النادرة الحدوث كما يفهم بعض علماء التفسير فالعلم يؤيد وقوع بعضها واذا اريد بالمعجزات ما يجري على ضد نواميس الطبيعة وليس لهُ سبب طبيعي فالعلم لا يسلم بصحتها لان اكثرما بُحث فيهِ من هذا القبيل وجد للصحيح منهُ اسباب طبيعية وما بقي وجد غير صحيح

(٩) عمر الارض والكواكب وابعادها

ومنهُ . أليس من باب الظن والتخمين ما يقال عن عمر الارض والكواكب وابعادها واوزانها

ج بعضهُ من باب الظن كالذي يقال عن عمر الارض لانهُ مستنتج من امور غير مقرَّرة وبعضهُ يجب ان يكون صحيحاً كالذي يقال عن ابعاد السيارات واوزانها لانهُ مبنيّ على امور رياضية مقررة . فعمر الارض مثلاً يقدَّر الآن من مقدار الملح الذي في ماء البحر فان مساحة البحار ومقدار المياه التي فيها ومقدار الملح الذي في الماء يمكن معرفتها كلها بالتقريب . والملح حاصل من الانحلال والتركيب في بعض المواد التي تحملها مياه الانهر الى البحرفاذا عرفنا مثلاً ان مياه الانهر تحمل كذا قنطاراً من المواد كل سنة وانهُ يتكون منها كذا قنطاراً من الملح وفي مياه البحار كلها كذا قنطاراً منهُ فالنتيجة انهُ اقتضى كذا وكذا من السنين حتى تكون هذا المقدارمن الملح في مياه البحارولنفرض انهُ ع فعمر الارض اكثر من ع من السنين . ومعرفة ذلك كلهِ تقريبية ولكن بُعد الشمس والقمر والسيارات مبني على ان النور يسير في خطوط مستقيمة وعلى خواص اخرى من خواصهِ فاذا رصد جرم سموي من مكانين في وقت واحد وقيس البعد بينهما تماماً امكن معرفة بعدهِ . والاجرام البعيدة يقتضي حساب بعدها قاعدة واسعة جدًّا فلا يقاس بالدقة التامة لكن لا يكون الفرق بين النتيجة الحسابية والحقيقة كبيراً فاذا وجد بالحساب ان بعد نجم عشرة آلاف مليون ميل فقد يزيد عن ذلك او ينقص عنهُ واحداً في المئة او واحداً في الالف ولكنهُ لا يزيد او ينقص عشرة في المئة او عشرين في المئة

(١٠) قدم الماس

كفر المبروك . عبد الحي افندي سليم
هل كان الماس معروفاً في عهد اليونان والرومان

ج . نعم وقد ذكرهُ اليونان قبل المسيح بثلاثة قرون باسم الادماس اي الذي لا

يخضع او العاصي دلالة على صلابته وعدم احتراقه ووصفهُ بلينيوس وصفًا مسهبًا وذكر منهُ الهندي والعربي. وقد كان بليني في القرن الاول المسيحي. ويظن بعض علماء الآثار ان المصريين القدماء كانوا يعرفون الماس ويستعملونهُ في النقش على حجارة الغرانيت

(١١) سيحون وجيحون والفرات

فراشة. شيخ العرب ابو هاشم علي قريط. من اين منبع الانهار الثلاثة سيحون وجيحون والفرات وفي اي بلاد تتفرع

ج. سيحون وجيحون نهران في ولاية ادنه ببر الاناضول ينشآن في نجود كبدوكية (سواس) ويصبان في بحر الروم قرب مدينة ادنه سيحون يصب الى الجنوب الغربي منها وجيحون الى الشرق منهُ واكثر جريهما في ولاية ادنه واوائل جيحون في الطرف الشمالي الغربي من ولاية حلب. والفرات ينشأ بعضهُ في ولاية ارضروم وبعضهُ في ديار بكر ويجري في ولايات وان وسواس وحلب وبغداد والبصرة

(١٢) الالترويزم

بغداد. الخواجه هاربتون مراديان. من هم الالترويزم وما هي فلسفتهم وما منزلتها لدى طلاَّب الحقيقة

ج. ان معنى الالتروزم الغيرية نسبة الى الغير مقابلة للانانية نسبة الى انا. وضع هذه الكلمة الفيلسوف كنت واعتمدها الفيلسوف هربرت سبنسر وشرحها شرحًا مسهبًا في كتبهِ وبين اصولها ومراميها ويراد بها السعي في نفع الغير اي انها ضد الانانية التي يراد بها السعي في نفع النفس. وقد نشرنا فصلاً مسهبًا فيها في المجلد الخامس والعشرين من المقتطف والصفحة ٥٠٥ — ٥١٥

(١٣) المادية ووجود الله

ومنهُ. ما اقوى البراهين العلمية لاقناع الماديين الذين ينكرون وجود الله

ج. اذا اريد بالبراهين العلمية الاقيسة التي مقدماتها ما يعرف من حقائق الطبيعيات والكيمياء والفسيولوجيا والجيولوجيا والنبات والحيوان وما اشبه فهذه لا براهين فيها على وجود الله كما لا برهان على وجودهِ في علم الصرف والنحو والمعاني والبيان والعروض وما اشبه. واذا اريد بالعلم الاقيسة المبنية على المبادىء الفلسفية او الدينية فبراهينهُ لا تقنع الماديين. والغالب ان الماديين لا ينكرون وجود الله ولكنهم يقولون ان عقولهم لا تحدُّ او لا تدرك وجودهُ. وان قلت لهم لا بدَّ لكل موجود من موجِد قالوا لك ان الموجد موجود فيستلزم وجودهُ موجدًا لهُ وهذا دور لا يدرك العقل لهُ نهاية

ويظهر لنا ان العلماء الماديين لا ينكرون وجود الله او هم ليسوا اجحد من غيرهم لوجودهِ وان سيرتهم تدلُّ على انهم افضل من كثيرين من المجاهرين بالاعتقاد بوجود الله. ولا يفص

واحد منهم عن رأيهِ في هذا الموضوع الآ ويتكلم عن العزة الالهية بالوقار التام · اما الذين لم يبدوا هذا الوقار فانما قصدوا التهكم بالمعبودات التي يصورها بعض الناس لانفسهم ويجعلون مزاياها الغضب والحقد والانتقام وحب الرشوة والتبجيل

(١٤) العلم والشر

ومنهُ · اذا كان العلم ينقض الشر ويقللهُ فهل يغنينا عن الدين من هذا القبيل

ج · كلاَّ فان من الناس من تقنعهُ الادلة العلمية ومنهم من تقنعهُ الادلة الدينية

(١٥) الحل المغنطيسي

سان ستفانو · حسين افندي يسري · ما معنى كلمة Magnetic Induction

ج ·معناها الفعل الذي يفعلهُ المغنطيس بالاجسام القابلة للتمغنط كالحديد والنكل اذا كانت قريبة منهُ ونحن نترجمها بالحل المغنطيسي

(١٦) الرموز الكيماوية

ومنهُ · كيف تكتب الرموز الكيماوية وكيف تركب الكلمات كما نرى في $H_2 S O_4$

ج هذه عبارة الحامض الكبريتيك ونحن نكتبها هكذا هـ٢ ك ا٤ اي جوهران من الهيدروجين وجوهر من الكبريت واربعة من الاكسجين والحروف الانكليزية هي الحروف الاولى من اسماء العناصر وكذلك الحروف العربية ·ونشير عليكم ان تطالعوا كتاب الدكتور فان ديك في اصول الكيمياء وياحبذا لو رأينا من عدد كبير من القراء رغبة في مطالعة المباحث الكيماوية التي من هذا القبيل حتى ننشر لهم دروساً متوالية فيها وهي مما قضينا في تدريسهِ جانباً من العمر

(١٧) الطوفان

البرازيل · الخواجه خليل اسطفان · لا يخفى ان المطر بخار تصاعد بحرارة الشمس عن سطح البحار والبحيرات ونحوها من مجامع المياه ثم تكاثف ببرد الجو فعاد ماء ووقع مطراً والمطر يجري جداول وانهاراً ويصب في البحار وهكذا على توالي الادهار فلا يزيد الماء ولا ينقص فكيف توفقون بين هذا الامر وبين ما هو مكتوب في سفر التكوين عن الطوفان حيث يقال انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء الخ فمن اين اتت تلك المياه العظيمة وغطت الجبال الشامخة ومات كل ذي حياة كما هو مكتوب هناك والى اين ذهبت بعد مئة وخمسين يوماً الى آخر ما ذكر هنالك

ج · ان علماء التفسير على ضروب فبعضهم يفهم الكلام على ظاهره ويقولون ان الله قادر على كل شيء فيوجد الماء من لا شيء كما اوجد الكون كلهُ ثم يلاشيهِ بكلمة ولا يتعبون انفسهم بالتفسير والتأويل وهذا اخصر الطرق واسلمها من العثار

وبعضهم يقول انهُ حدث اضطراب عظيم في قشرة الارض فعلت مياه البحار بامواج

عظيمة وغمرت اليابسة سهولها وجبالها ولم تزل آثار هذا الطوفان في جبال الارض حتى الآن . ومن هؤلاء المرحوم دوق ارجيل وقد نشرنا خطبة لهُ في هذا الموضوع في المجلد الثامن من المقتطف صفحة ٥٣٨ و ٦٠٠

وبعضهم يقول ان الطوفان كان محلياً لان الناس كانوا محصورين في بقعة من بقاع الارض حول جبل اراراط فاجتمعت مياه الامطار كلها في ذلك المكان ووصلها ماء البحر ايضاً

ومنهم اناس يلجأُون الى التأويل فيقولون حدث طوفان قديم مثل سيل العرم او مثل الطوفانات التي تحدث الآن في بلاد الصين وتداول الناس خبرهُ بالاسناد الى ان وصل الى كاتب سفر التكوين فكتبهُ كما سمعهُ وكتبهُ البابليون كما سمعوهُ وقد نشرنا ترجمة خبرهم في المجلد السابع من المقتطف صفحة ٦٥٣

اما نحن فلا نرى فائدة من محاولة التوفيق بين الكتب الدينية والمبادىء العلمية وترانا ميالين الى الرأي الاخير ولكننا لا نجزم بصحتهِ

(١٨) الاغتسال بالماء البارد

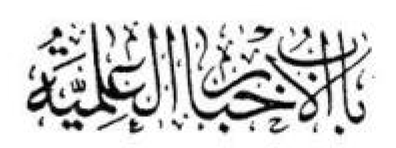
ام درمان . محمود افندي الناظر هل في سقوط ماء الدوش على الرأس مباشرةً ضرر على الدماغ وهل الافيد استعمال الماء بارداً او فاتراً

ج . لا ضرر على الدماغ من ماء الدوش والماء الفاتر اصلح اذا كان الجسم نحيفاً لا يحتمل الماء البارد واما اذا كان قوياً واحتمل الماء البارد فهو اصلح لهُ بشرط ان لا يطيل الانسان الاقامة فيهِ وان ينشف جسمهُ ويفركهُ جيداً بعدهُ حتى تسرع الدورة الدموية في جلدهِ

(١٩) الحواة والثعابين

ومنهُ . طالما رأينا في مجلتكم انكم تنسبون الحواة الى الشعوذة ولكنني رأيت ان بعضهم صادق بالامتحان وذلك انني ضربت ثعباناً بآلة حادَّة تركت فيهِ اثراً وبعد ايام حضر الحاوي فاريتهُ المكان الذي فيهِ الثعبان ولكنني لم اخبرهُ بالواقعة فاخرجهُ لي بعينهِ فكيف تؤَولون ذلك

ج . ان كان ثعبانكم قد بقي مستكناً في مكان واحد فقد لا يتعذَّر على الحاوي ان يخرجهُ منهُ . ولكن في هذه الحادثة شبهات الاولى كيف عرفتم ان الآلة الحادَّة ابقت اثراً في الثعبان وكيف تمكنتم من رؤْية هذا الاثر . وكيف عرفتم ان الثعبان بقي في المكان الذي دخلهُ امامكم وكيف عرفتم انهُ لم يخرج منهُ واتفق للحاوي انهُ قبض عليهِ خارجاً واظهرهُ لكم وهو لا يعلم شيئاً من امر هذا الاثر . اما حكمنا على شعوذة الحواة فمبني على اعترافهم لنا وعلى كشفهم لنا كيفية عملهم في اظهار الثعابين . ولا شبهة ان في الحواة شيئاً خاصاً قلما يشاركهم احد فيهِ وهو مهارتهم الفائقة في القبض على الثعابين وقلع انيابها السامَّة وخفة حركاتهم في اظهارها واخفائها



ده غويه

خسر المستشرقون ولا سيما الباحثين في العربية وفنونها وآدابها خسارة لا تعوَّض بوفاة العالم المحقق ميخائيل جان ده غويه استاذ العربية في ليون ويقال انهُ ليس في اوربا كلها من يجاريهِ في معرفتهِ العربية الآ الاستاذ وستنفلد

ولد ده غويه سنة ١٨٣٦ وتتلمذ للعالم دوزي الذي كان اعلم رجال عصره بالعربية وعكف على المؤلفات القديمة في التاريخ والجغرافية وهو الذي جمع تاريخ الطبري وصححهُ وطبعهُ وعلّق عليهِ تعاليق كثيرة ويقال ان نشر هذا التاريخ اعظم عمل عمل في القرن التاسع عشر. ونشر ايضاً ديوان مسلم بن الوليد وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبه ولهُ كتاب جغرافيي العرب في ثمانية مجلدات ومن المقالات الحافلة التي قرأناها لهُ مقالة في الانسكلوبيذيا البريطانية عن الطبري بسط فيها الكلام على التواريخ العربية والمؤرخين

وكانت وفاتهُ في ١٧ مايو الماضي في مدينة ليون

الاستاذ نيوكم

خسر علم الفلك خصوصاً والعلوم الرياضية عموماً خسارة لا تقدَّر بوفاة العالم الفلكي المشهور الاستاذ نيوكم اكبر علماء الفلك في اميركا توفي في الحادي عشر من شهر يوليو وسنأتي على ترجمتهِ في الجزء التالي

مؤتمر الطب العام

يجتمع مؤتمر الطب العام في بودابست من ٢٩ اغسطس الى ٤ سبتمبر بحماية امبراطور النمسا ومباحثهُ معروفة في التشريح وعلم الاجنة والفسيولوجيا والباثولوجيا وعلم الميكروبات والتشريح الباثولوجي والاقراباذين والطب الباطني والجراحة والتوليد وامراض العين وامراض الاطفال وامراض المجموع العصبي والامراض العقلية والامراض الجلدية وامراض مجرى البول وامراض الانف والحلق وامراض الاذن وامراض الفم وحفظ الصحة والوقاية من الامراض والطب الشرعي وامراض الجنود والامراض الاستوائية. وستتلى فيهِ الخطب الكثيرة في هذه المواضيع

وفي جملتها خطبة للدكتور بشفرد الانكليزي عن السرطان وخطبة للدكتور غرويرا الالماني عن الوراثة والانتخاب وخطبة للدكتور لافران الفرنسوي عن الطب الاستوائي (اي تطبيب الامراض الخاصة بالاقاليم الحارة قرب خط الاستواء)

اصل المصريين القدماء

يرى الدكتور اليوت سمث من فحصهِ العظام التي وجدت في المدافن المصرية القديمة ان اقدم السكان الذين بقيت عظامهم الى الآن كانوا اقصر قامة من ابناء هذا العصر واضعف منهم عضلاً ويشبهون في شكلهم العرب واهالي جنوبي اوربا وهم اشبه الناس بالبربر سكان الساحل الجنوبي من افريقية مما يلي بحر الروم ٠ ولم توجد حتى الآن آثار شعب من ذلك العصر في بلاد اخرى من البلدان المجاورة للقطر المصري فعمرانهم كان خاصاً بهم تولَّد في وادي النيل بعد ان اقاموا فيهِ السنين الطوال قبل الزمن الذي كشفت آثارهُ

ولما قامت الدولة الاولى من الدول المصرية تغير بعض السكان فاتسعت رؤُوسهم وضاقت انوفهم وتحسنت سحنتهم اي دخل البلاد شعب جديد ٠ وقلما يعرف شيءٌ عن اصل هذا الشعب ولكن يرجح ان السكان الاصليين في الوجه البحري اختلطوا باقوام اتوهُ بحراً من جزائر بحر الروم او من سواحل اوربا الجنوبية او اتوهُ برًّا من سورية او من سواحل افريقية الجنوبية ٠ ولكن شكل السكان الاصلي لم يتغير الاَّ قليلاً في ايام الدول الاولى وبقي اناس كثيرون منهم محافظين على شكلهم القديم ولم يظهر التغير واضحاً الاَّ في زمن الدول الحديثة

وما حدث في الوجه البحري حدث ضدهُ في الوجه القبلي وبلاد النوبة فان الجنس الاصلي لم يمتزج بالشعوب الجديدة من الشمال بل بالزنوج من الجنوب ٠ فاهالي الوجه البحري من المصريين القدماء وقد امتزجوا باقوام اتوهم من سواحل بحر الروم ٠ واهالي النوبة من المصريين القدماء وقد امتزجوا باقوام اتوهم من الزنوج

ماء البحر ومصل الدم

ذهب المسيو كوينتون الى ان سبب مشابهة مصل الدم لماء البحر ان الحيوانات كلها كانت تعيش اولاً في ماء البحر وكانت دقائق جسمها مغمورة بهِ فلما صار بعضها بريًّا بقي في دمها سائل مثل ماء البحر تماماً لتبقى دقائقها مغمورة بهِ ولذلك فالليكوسيت اي حويصلات الدم البيضاء تعيش في ماء البحر كما تعيش في الدم ثم وجد ان الحقن بماء البحر يقوّي الجسم في بعض الاحوال كأنهُ يصلح مصل الدم

برج بابل

زعم كثيرون من الشرّاح ان الخرائب المعروفة ببرج بابل هي من بقايا البرج المذكور في التوراة والمعروف بهذا الاسم . لكن ثبت للباحثين عن الآثار القديمة انها بقية هيكل قديم بني للسيارات السبعة حسب رأي القدماء وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وهي التي جمعها البازجي بقوله

تلك الدراري زحل فالمشتري
وبعدها مريخها في الاثرِ
شمس فزهرة عطارد قمر
وكلها سائرة على اثرِ

وكان هذا البرج مبنياً بالاجرّ سبع طبقات كل طبقة اضيق من التي تحتها وملونة بلون يخالف لون غيرها فالطبقة العليا لزحل ابعد السيارات في عرف القدماء وكانت سوداء اللون لان اجرها كان مطلياً بالقار . والتي تحتها للمشتري وكانت مدهونة بدهان برتقالي اللون . والتي تحتها للمريخ مدهونة بلون احمر دموي والتي تحتها للشمس وكانت مبنية بطوب غير مشوي ومغشاة بصفائح الذهب الوهّاج وتحتها طبقة الزهرة مدهونة بلون اصفر مفتوح وتحتها طبقة عطارد من اجرّ اطيل شيهُ حتى صار لونهُ ازرق وفي اعلى البرج كرة كبيرة مصفحة بالفضة تمثل القمر وفيها الذخيرة المقدسة التي لا يراها الاَّ كاهن الهيكل

وقد بنى هذا البرج او الهيكل العظيم نبوخذنصر ملك بابل الذي تملك بين سنة ٦٠٥ و ٥٦٢ قبل المسيح بناهُ على اساس هيكل قديم وقال في ما كتبهُ عنهُ « اني اتممت بهاء البرج بالفضة والذهب والحجارة الكريمة والاجر المدهون بالمينا وخشب الارز والشربين وهو بيت الدراري السبع التي تنير الارض بناهُ ملك قبلي منذ اثنين واربعين جيلاً ولكنهُ لم يتمهُ فبنيتهُ كما كان في العهد الماضي انتقبَّل يا نبو (عطارد) عملي وامنحني حياة دائمة وظفراً في بلدان كثيرة ليعش نبوخذنصر امامك » . وقد بقي اسم نبوخذنصر خالداً في صفحات التاريخ ولكن برجهُ خرب وصار اكواماً من الانقاض

الفرَس في عدوهِ

اتفق المصورون والنحاتون على رسم الفرس وهو يعدو انهُ يمدّ يديهِ الى الامام ورجليهِ الى الوراء حينما يرتفع كلهُ عن الارض ويقلب حافري رجليهِ حتى يتجه نعلاهُ الى الاعلى ويتقوَّس ظهرهُ الى الاسفل . وهذا الشكل من التصوير او التصوُّر قديم جرى عليهِ اليونان والرومان قبل المسيح بالف سنة الى ١٨٠٠ سنة وتابعهم فيهِ الفرس والصينيون واليابانيون ولكن يظهر من تصوير الفرَس بالفوتوغرافيا السريعة وهو يعدو انهُ حينما يرتفع عن الارض يتقوَّس ظهرهُ الى اعلى لا الى اسفل وان يديهِ تنحنيان الى الوراء ورجليهِ الى الامام

على ضد ما يصوره المصورون . واول ما يمس الارض من قوائمهِ رجلٌ من رجليهِ وهي تمسها تحت بطنهِ لا وراءه كي تساعده على الوثوب بمرونتها

اللبن والميكروبات

ثبت من البحث المدقق ان اللبن المحلوب لا يخلو من الميكروبات ابداً فاللبن الذي يحلب اولاً يكون في السنتيمتر المكعب منهُ من ١٨٠٠٠ ميكروب الى ٤٨٠٠٠ ميكروب واللبن الذي يحلب بعده يكون في السنتيمتر المكعب منهُ من ٨٦٠ ميكروباً الى ٤٨٠٠ ميكروب كأن الميكروبات تكون في اخلاف (حلمات) البقرة فيخرج اكثرها مع اللبن الذي يحلب اولاً لكن هذه الميكروبات على كثرتها قد لا يكون فيها شيء من الميكروبات المرضية اما اللبن الذي يفرز من جسم البقرة فيكون خالياً من الميكروبات حال افرازهِ . وبعد خروج اللبن يقع فيهِ ميكروبات كثيرة من ظاهر ضرع البقرة ومن الغبار المتطاير في الهواء ومن ايدي الحلاَّبات ثم من الآنية التي يحلب فيها والآنية التي ينقل بها الى ان يصل الى مَن يشربهُ . ويكون بعض هذه الميكروبات مرضياً ولذلك لا يجوز مطلقاً شرب اللبن قبل اغلائهِ ولو استلقيتهُ من ضرع البقرة

الحساب الغربي في روسيا

عزمت روسيا على ترك الحساب الشرقي والجري على الحساب الغربي وستقدم لائحة بذلك الى الدوما في الخريف المقبل ولا يخفى ان الحساب الشرقي هو الحساب القديم وفيهِ خطأٌ يبلغ يوماً كاملاً كل نحو مئة وثلاثين سنة وقد أُصلح بالحساب الغريغوري سنة ١٥٨٣

السليقة والاختبار

ربَّى بعضهم خمسة اجراء من قطط جزيرة مان الانكليزية ولم يدعها ترى الفيران مطلقاً ولما صار عمرها خمسة اشهر اتاها بفارة فنظرت اليها ولم تؤْذها وبعد شهر ونصف جوَّعها واتاها بفارة اخرى فلم تؤْذها ايضاً . ثم ادخل اليها امها فقبضت على الفارة حالاً واكلتها وبعد قليل تعلمت تلك الاجراء الاقتداء بامها في قتل الفيران واكلها . ويظهر لنا ان غريزة ذلك الصنف من القطط لقتل الفيران ضعيفة اما لقلة الفيران في جزيرة مان او لسبب آخر وانهُ لو جربت هذه التجربة بقطط بلادنا لوجدت غريزة قتل الفيران قوية فيها فتقتلها وتأكلها ولو لم تتعلم ذلك من امهاتها

كاشف جديد للدم

شرح الاستاذ مكويني في جمعية دبلن الملكية حواص مركب كيماوي اسمهُ بنزيدين benzidine فقال انهُ اذا اذيب في الحامض الخليك واتصل بقليل من الدم مع قليل من

اكسيد الهيدروجين تكوّن حالاً لون ازرق شديد البهاء • وهذا الكاشف عن الدم دقيق جدًّا فيظهره ولو كان مقداره جزءًا من خمس مئة الف جزء اي اذا اذيبت نقطة من الدم في خمس مئة الف نقطة من الماء او نحو ٣٠ اقة من الماء فالبنزيدين يظهر الدم فيها وهذا الكاشف يكشف الدم ولو كانت لطخهُ قديمة مرّت عليها السنون الطوال • والاثمار الجديدة والخضر تفعل فعل الدم في اظهار اللون الازرق ولكن يفرق بينها وبينهُ بسهولة بانها اذا سلقت بماء غالٍ لا تعود تكوّن اللون الازرق واما الدم فلا يؤثر الغليان فيهِ

السرطان

ظهر تقرير اللجنة الملكية الانكليزية المقامة للبحث عن السرطان وليس فيهِ شيءٌ حريٌّ بالذكر لان الباحثين قد غاصوا في هذا الموضوع وهم يبحثون الآن في خواص الدقائق التي يتركب منها الجسم الحي وكيفية وصول الداء اليها وفعلهِ بها • وليس في هذا التقرير شيءٌ يدعو الى الطمانينة كما في التقرير الذي قبلهُ لا لان ما ذكر في التقرير السابق قد نقض بل لانهُ لم يضف شيءٌ اليهِ من حيث الشفاء

ومن الغريب ان السرطان يصيب افضل الناس فقلما يصاب بهِ احد من المجانين او السكيرين او المومسات • وتصاب بهِ النساء المتزوجات اكثر من العازبات وذوات الاولاد اكثر من العواقر • والظاهر ان كثيرين يصابون بهِ ثم يشفون من غير ان يشعروا بذلك • افلا يصحُّ القول بان من يصاب بسرطان خفيف ولا يعالجهُ ولا ينتبه لهُ ثم يشفى منهُ هذا الانسان لو انتبه لهُ وعالجهُ بعملية جراحية لقواهُ وزاد خطرهُ بتهييجهِ وعدوى الانسجة التي حولهُ بهِ • يقول الاطباء ان استئصال السرطان عند اول ظهورهِ خير واسطة للنجاة منهُ ولكن من المؤكد ان بعض الذين يعالجون كذلك لا يشفون ومن المؤكد ايضاً ان البعض يشفون من غير علاج افلا يحتمل ان الذين يشفون بعد العملية هم من الذين يشفون من غير عملية بل ما ادرانا ان الذين لا يشفون بعد العملية اضرتهم العملية بدلاً من ان تفيدهم • هذه امور لا تحقق الاَّ بعد التجارب الكثيرة في مئات من الناس

وراثة المعارف

كتب المستر وايك كوك مقالة في مجلة المعاصر الانكليزية زعم فيها ان الانسان يرث معارف اسلافهِ ويكون عقلهُ خزانة جامعة علوم الاوائل والاواخر ولكنها لا تظهر فيهِ لتغلُّب المادة على العقل فاذا تنبَّه العقل وسكنت المادة كما في الاستهواء ظهرت فيهِ المعارف المكنونة وذكر مثالاً لذلك شاباً قليل العلم

استهوي - فانجلت له الحقائق العلمية وصار يتكلم فيها كأنهُ ابن بجدتها ويذكر مصطلحاتها كأنهُ مرن عليها كل حياتهِ واذا سئل عن مريض شخَّص داءهُ ووصف دواءهُ كأنهُ من مهرة الاطباء . واصابتهُ نوبة هستيرية مرة دامت ثلاثة عشر شهراً فاملى فيها خطباً يومية تملأ كتاباً كبيراً في تاريخ الفلسفة والكون وكل ما يتعلق بالمادة والعقل فوصف النظام الشمسي ونسبتهُ الى سائر انظمة الكون واشتقاق الارض من الشمس والادوار التي تعاقبت على الارض قبل ظهور الانسان عليها وكيفية ظهور الاحياء من حيوان ونبات وارتقائها في سلّم الخلق وقال انهُ ستكشف متحجرات احياء ارقى مما كشف ولم يذكر شيئاً عن الحلقة بين الانسان والعجماوات بل قال ان الانسان ظهر بغتةً كما يولد النابغة من والدين اميين ثم ذكر تاريخ الانسان من اول ظهورهِ الى الآن وتاريخ ارتقاء العقل والعلوم والفنون واستطرد الى وصف العالم الروحي . وهذا الرجل طبيب الآن واسمهُ جكسن دافس ويلقب بنبي بوكبسي . ويظهر لنا انهُ قرأ وهو فتى كتاباً مسهباً في هذه المواضيع ككتاب الكسموس فانطبعت صورتهُ في ذهنهِ ثم شعر بها حينما اصابتهُ النوبة المستيرية فجعل يتلوها كأنهُ يقرأها في صحيفة ذهنهِ لا انهُ ورث معارفهُ من اسلافهِ

الغلاء والشكوى

يشكو العمال في بلاد الانكليز من غلاء المعيشة فيها وقلة العمل اكثر مما يشكو غيرهم . وقد بحث مجلس التجارة الانكليزي عن اسباب هذه الشكوى وقابل بين اجور العمال في انكلترا وفرنسا والمانيا واجور السكن ونفقات المعيشة فوجد انهُ اذا انتقل العامل الانكليزي الى فرنسا وجد ان اجرة السكن فيها مثل الاجرة في انكلترا تقريباً وثمن الطعام والوقود اغلى مما في انكلترا ١٨ في المئة واجرة العمل اقل مما في انكلترا ٢٥ في المئة وساعات العمل اطول مما في انكلترا ١٧ في المئة

واذا انتقل الى المانيا وجد ان اجرة السكن اغلى مما في انكلترا ٢٣ في المئة وثمن الطعام والوقود اقل مما في انكلترا ١٨ في المئة واجرة العمال اقل مما هي في انكلترا ١٧ في المئة وساعات العمل اطول مما هي في انكلترا ١١ في المئة . فالعامل الانكليزي مرحوم اكثر من العامل الفرنسوي ومن العامل الالماني . ومع ذلك هو اكثر منهما شكوى لانهُ اوفر علماً واكثر مطامع

واتعب خلق الله من زاد همهُ
وقصَّر عما تشتهي النفس وجدهُ

ذيول النساء

لا شبهة في ان طول الذيل كان دائماً من ادلة العظمة لكن الاقدمين لم يبالغوا فيهِ كما بالغ المتأخرون ولا حصروهُ في النساء دون الرجال فقد قيل انهُ لما دخلت الاميرة اليصابات

النمسوية الى باريس لتكون زوجة للملك كارلس التاسع كان طول ذيلها ستين قدماً وان الملكة ماري ملكة اسكتلندا كان طول ذيلها ٣٦ قدماً . ولا يزال النساء الاوربيات يطلن ذيول اثوابهن التي يقابلن بها الملوك فلما توج ملك الانكليز الحالي امر ان يحدد طول الذيل فجعل ذيل لباس امرأة اللورد يردين فقط ثم يزاد نصف يرد لكل درجة فوق درجة اللورد حتى تصل الى زوجة الدوق فيكون طول ذيلها اربعة يردات اي ١٢ قدماً

غنى الاسكا

اشترت الولايات المتحدة الاميركية بلاد الاسكا من روسيا بسبعة ملايين ومئتي الف ريال وهي بلاد واسعة جداً تبلغ مساحتها ٥٨٦ الف ميل مربع وقد استخرج منها من الذهب سنة ١٩٠٧ ما يساوي ١٩ مليوناً من الريالات وبلغت قيمة صادراتها حينئذٍ ٣٣ مليون ريال وقيمة وارداتها ١٩ مليون ريال وبلغت قيمة سمك الصامون الذي صيد منها تلك السنة ١٦ مليون ريال وفيها ثلاثون الف ميل مربع من الارض الصالحة للزراعة ولرعاية المواشي اي نحو عشرين الف فدان وليس فيها الآن الا نحو اربعين الف نفس من البيض ولكنهم آخذون في الازدياد بسرعة وهم يزيدون بالمهاجرة خمسة عشر الفاً او اكثر كل سنة

قطع الخليج الانكليزي في الهواء

استتب لرجل فرنسوي اسمهُ بلريو ان يقطع من فرنسا الى انكلترا طائراً بطيارة وهي اول مرة استتب فيها ذلك وقد قطع مسافة ٣٧ ميلاً في ٣٥ دقيقة وكان لهذا الامر شأن كبير في فرنسا وانكلترا ولكنهُ لا يحل مسألة الطيران بمعنى ان يتمكن الناس من السفر بالمركبات الهوائية كما يتمكنون الآن من السفر بالمركبات البخارية

حراج اميركا

قالت جريدة العلم الاميركية ان اهالي اميركا يقطعون كل سنة ٢٣ الف مليون قدم مكعبة من الخشب وما ينمو في كل حراج بلادهم في السنة لا يزيد على سبعة آلاف مليون قدم مكعبة فهم يقطعون من الحراج اكثر من ثلاثة اضعاف ما ينمو فيها

ميكروب الجدري

اعلن الدكتور اوزولدو كروز مدير مصلحة الصحة في بلاد البرازيل ان ميكروب الجدري كشف في معملهِ كشفهُ الدكتور هنريك بيوربير والدكتور بروازك ولقد عجز العلماء عن اكتشاف هذا الميكروب قبل الآن مع قيام الادلة الكثيرة على ان مرض الجدري من جملة الامراض الميكروبية فلهذا الاكتشاف شأن كبير عندهم

شكلتن والقطب الجنوبي

يظهر من حديث لمكاتب جريدة التلغراف مع الرحالة شكلتن انهُ لو لم يمت اربعة من افراسهِ بأكلها الرمل لتمكن بها من الوصول الى القطب الجنوبي تماماً وانهُ كان معهُ غرموفون وكان هو ورفاقهُ يتسلون بهِ ومن الغريب ان طيور البنغوين كانت تجتمع حولهُ تستمع صوتهُ وقد عرتها الدهشة

هبات كارنجي للمكاتب

بلغت هبات كارنجي للمكاتب العمومية اكثر من عشرة ملايين من الجنيهات فانهُ وهب ٩٥٩ مكتبة في الولايات المتحدة

	٣٤٨٧٠٧٤٥	ريالاً
و ٨٦ مكتبة في كندا	٢٠٥٩٤١٥	"
و٣٢٩ في انكلترا	٧٨٠٩٥٥٠	"
و١٠٥ في سكتلندا	٢٥٧٥٠٨٠	"
و٤٢ في ارلندا	٧٢٤٦١٠	"
و٤ في زيلندا الجديدة	١٤٦٢٥٠	"
و٥ في الهند الغربية	١١٩٠٠٠	"
و٢ في استراليا وتسمانيا	٤٧٥٠٠	"
و٣ في جنوبي افريقية	٢٣٥٠٠	"
و١ في جزائر سيكلس	١٠٠٠٠	"
و١ في جزائر فيجي	٧٥٠٠	"
ولمكاتب المدارس الكلية	٣٦٥٣٧٥٣	"
والجملة	٥١٥٩٦٩٠٣	

الاسطول الانكليزي

عرض قسمان من الاسطول الانكليزي في شهر يونيو الماضي امام محرري الصحف الذين حضروا من المستعمرات الانكليزية وكان فيها ١٤٤ سفينة محمولها معاً ٧٧١٢٠٠ طن وفيها ٦٣٣ مدفعاً . ومن هذه المدافع ١٤٤ مدفعاً قطر فوهة كلٍ منها ١٢ بوصة اي انها من اكبر مدافع البوارج وثمن هذه السفن ستون مليوناً من الجنيهات

تعقيم اللبن عن بعد

استنبط احد الفرنسويين اسلوباً لتعقيم اللبن ونحوهِ من المواد بالاشعة البنفسجية من النور الكهربائي

تلفون من غير سلك

شاع استعمال التلفون الذي لا سلك لهُ ولكن يصعب الكلام بهِ اذا كانت المسافة طويلة عشرين ميلاً او اكثر . ويقال الآن ان ملازمين فرنسويين استنبطا تلفوناً من غير سلك يسهل التكلم بهِ ولو كانت المسافة مئة ميل

الدستور في ايران

ثار حزب الدستور في ايران على الشاه محمد علي ونشبت الحرب بينهم وبين جنودهِ وعقد الفوز لهم اخيراً فدخلوا طهران وفرَّ هو من وجههم ولجأ الى السفارة الروسية فخلعوهُ

ونصبوا ابنهُ وليَّ عهدهِ بدلاً منهُ وهو فتًى في الحادية عشرة من عمرهِ وسنفصل ذلك في فرصة اخرى

هبة ركفلر

ذكرنا غير مرة ان المستر جون ركفلر الغني الاميركي وهب اموالاً طائلة ينفق ريعها في مساعدة المدارس الاميركية واناط ذلك باناس عهد اليهم بانفاق هذا الريع وبالامس بلغ السبعين من عمرهِ فزاد هذه الاموال مليوني جنيه دفعةً واحدة تذكاراً لذلك فصارت عشرة ملايين وستمئة الف جنيه وصار جملة ما وهبهُ للمشروعات العلمية ٢٤ مليونًا من الجنيهات

اصل النيازك

النيازك او الحجارة النيزكية او الرجم على نوعين الواحد اكثرهُ حديد والآخر اكثرهُ سواد حجرية

وقد كتب الاستاذ بكرنج الفلكي الاميركي مقالة يبحث فيها عن اصل هذه النيازك ورجح ان اكثرها ارضي وقد انفصلت عن الارض لما انفصل القمر عنها لان القوة الدافعة التي دفعت جرم القمر مزقت جانباً كبيراً من قشرة الارض فدار حولها او حول الشمس قطعاً كبيرة ولكنها اصغر من القمر كثيراً ثم تصادمت وتمزقت ولا يزال كثير منها يدور حول الارض فتدنو الارض منهُ من وقت الى آخر وتقوى عليهِ فيقع عليها

سل القرود

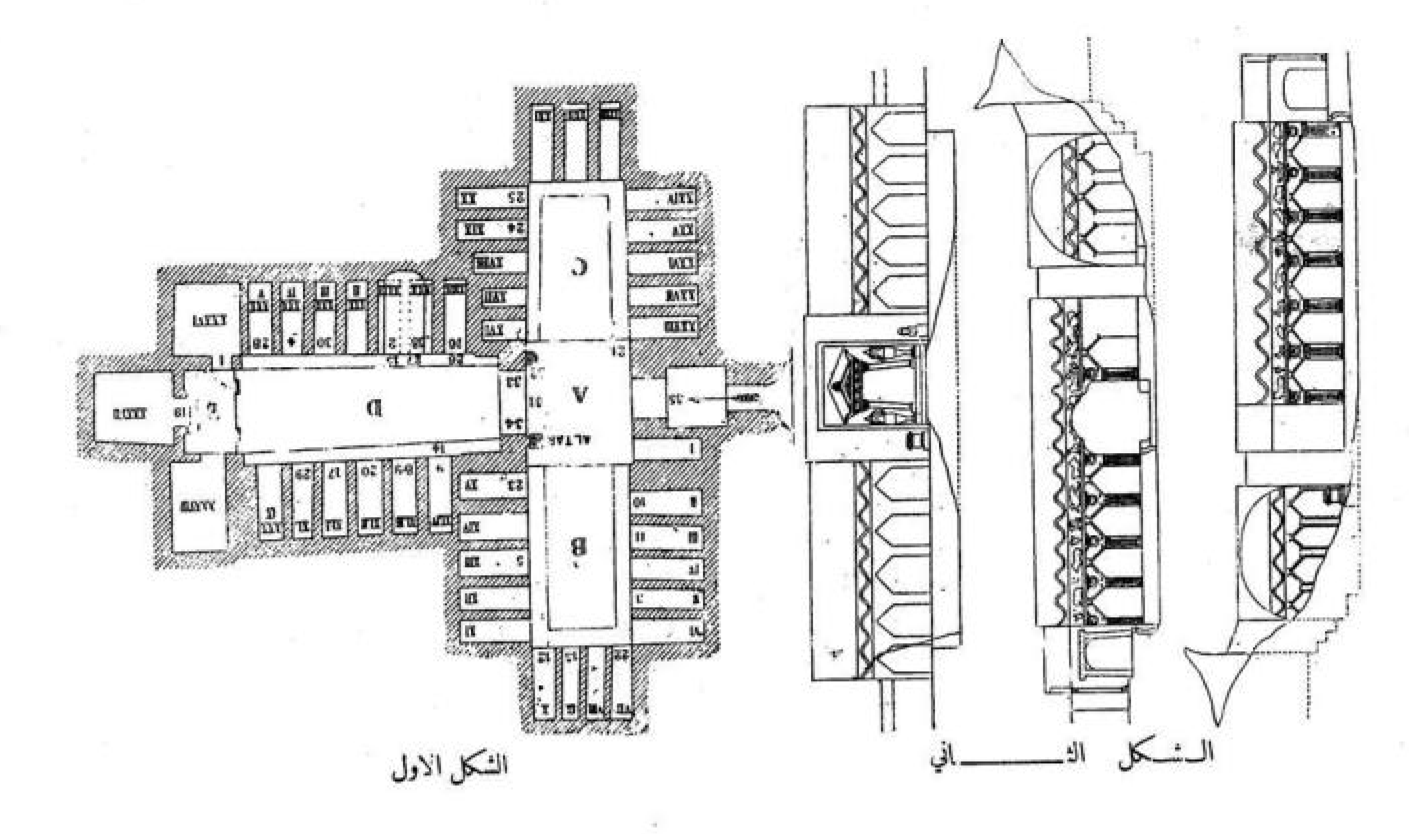
لا يخفى انهُ يموت كثير من القرود بالسل في حدائق الحيوانات وقد اعتمدت جمعية علم الحيوان في فيلادلفيا باميركا على امتحان القرود بالتبركولين قبل وضعها في حديقة الحيوانات مع غيرها من القرود فقلَّ ظهور هذا الداء من حين اعتمدت على هذه الواسطة

الحرية في يوليو

كان شهر يوليو الماضي شهر تذكار مجيد عند ثلاث من الامم الكبيرة فالامة الاميركية عيدت في الرابع منهُ لتذكار حريتها. والامة الفرنسوية عيدت في الرابع عشر منهُ لكسر نير الاستبداد فيها وقيام الحكم الدستوري والامة العثمانية عيدت في الثالث والعشرين عيد منحها الدستور بل نيلها الدستور اغتصاباً لاسؤالاً وقد ابتهجت هذه الامم كلها باعيادها وكانت الامة العثمانية اشدها ابتهاجاً لقرب عهدها بالحكم المطلق الذي ازهق نفوسها وقد احتفلت بهِ في كل مكان ولاسيما في الاستانة العلية وفي القاهرة والاسكندرية عاصمتي الديار المصرية

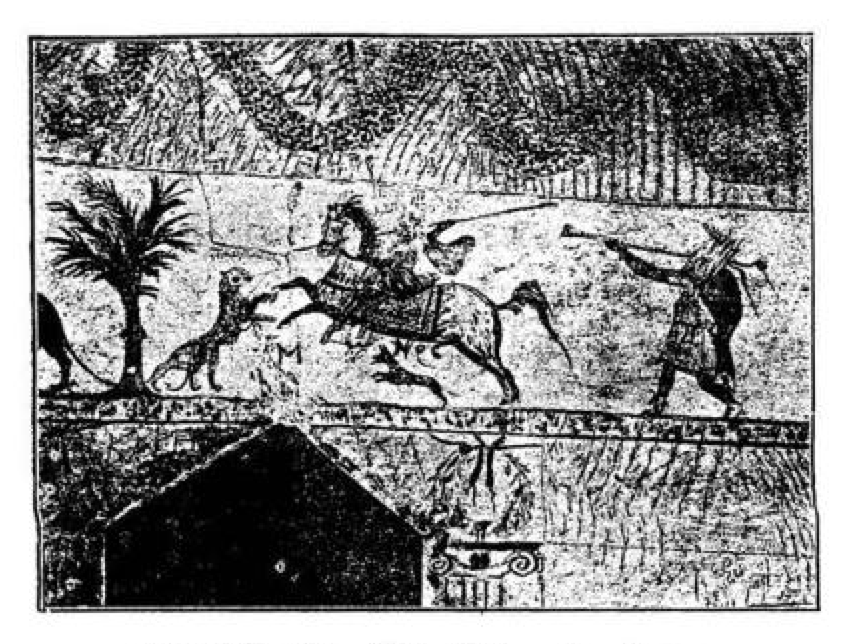
زلزلة اليونان

أُصيبت ولاية اليس من بلاد اليونان بزلزلة عنيفة دمَّرت كثيراً من بيوتها وقتلت كثيرين من اهاليها

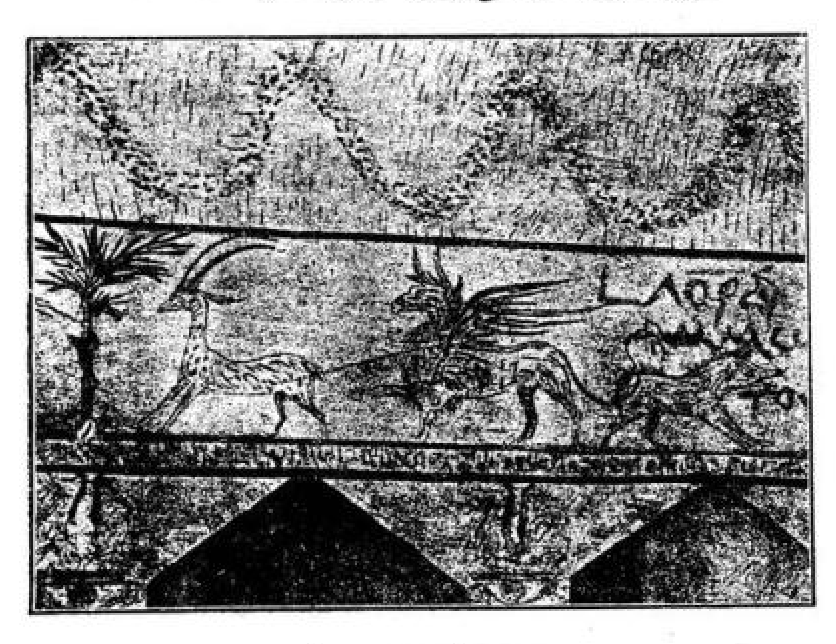


الشكل الاول

الـشكل الثـــــاني



صورة مطاردة الصيد على الواجهة الجنوبية انظر الصفحة ٧٦٩



صورة خنزير وتنين ووعل

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين


المقتطف



المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الخامس والثلاثين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٧ رمضان سنة ١٣٢٧

الطعام الكافي

يزعم البعض ان الكلام على الطعام ليس من الكياسة في شيء بل هو من ملاهي اهل البطنة. لكن زعمهم هذا لا يضعف شأن الطعام ولا يغير الحقيقة المقررة وهي ان بالطعام قوام الحياة وان مجموع اعمال الناس الجسدية واشغالهم العقلية ناتج من طعامهم . وان الاقوام الذين لا يعنون بامر طعامهم بل يكتفون بما حضر منهُ و يتبلغون بهِ تبلغاً تضعف اجسامهم وعقولهم وان الامم تتفاوت بين قوية وضعيفة وغالبة ومغلوبة وسائدة ومسودة حسب مقدار طعامها ونوعهِ فالتي تشبع من الطعام وتأكل اللحوم وما ماثلها من الاغذية غالبة سائدة والتي لا تشبع منهُ ولا تاكل كفافها من اللحوم وما ماثلها مغلوبة مسودة

بقي ان الزائد اخو الناقص من وجوه كثيرة فكما يضعف الجسم والعقل من قلة الطعام يضعفان ايضاً من كثرتهِ اذا فاقت الحد ولكن القلة شائعة اكثر من الكثرة فامم كثيرة لا تكاد تجد ما يكفيها من الطعام وافراد قليلون يأكلون فوق كفافهم لان الاقلال من الطعام يأتي الناس قسراً واما الاكثار منهُ فلا يستطيعهُ الاَّ قليلون وهو خاضع لارادتهم . والذين يموتون جوعاً يعدون بالوف الالوف واما الذين يموتون من البطنة فقلال جدًّا كما سيجيء

مَن رأَى الانكليز في بلادهم يجلس الواحد منهم على المائدة في الصباح وامامهُ السمك واللحم من الضان والبقر والخنزير والطير . والبيض والزبدة والمربيات فوق الشاي والقهوة واللبن حسب انهم غيلان فيأكل الواحد منهم في صباحهِ ما يأكلهُ غيرهُ في يومهِ ثم يتغدون و يتعصرنون و يتعشون وهم مع ذلك متمتعون بصحة لا اجود منها ونشاط لا اقوى منهُ . يبلغ الواحد منهم السبعين والثمانين وقامتهُ منتصبة ووجههُ مورَّد وعيناهُ براقتان وهم كذلك رجالاً

ونساء ومعدل اعمارهم اطول من معدَّل اعمار غيرهم واذا اخذوا في اعمالهم عملوا فيها بنشاط ما فوقهُ نشاط فكثرة الطعام لا تضرُّهم على ما يظهر

كنا مرةً في الشمال الغربي من بلاد الانكليز واستأجرنا مركبةً كبيرةً للنزهة مما يجرهُ ستة افراس وتأخر السائق عن الحضور في الصباح وكان بيتهُ قريباً من الفندق الذي كنا فيهِ فناديناهُ نستعجلهُ فوجدناهُ جالساً على مائدتهِ مع زوجتهِ واولادهِ يأكلون اللحم والبيض ويشربون الشاي واللبن ثم جاء وساق المركبة في اراضٍ جبلية تعلو الطريق فيها وتسفل وازمَّة الافراس الستة في يدهِ وهي من الخيول الانكليزية الكبيرة كانهُ يسوق حماراً او اتاناً ووصلنا الى فندق عند الظهر فأكل مضاعف ما يأكلهُ الرجل منا · وعند العصر اوقف المركبة امام اول مطعم وصل اليهِ واكل ما يشبع رجلاً من الخبز والزبدة وشرب كأساً كبيراً من اللبن · وكأن لسان حالهِ يقول انظروا بماذا تغلبنا على ربع المسكونة بقوة اجسامنا وعقولنا المستمدة من كثرة طعامنا

وفي الشتاء التالي زارنا رجل من كبار العلماء وكان في الرابعة والثمانين من عمرهِ وتناول كأساً من الشاي ثم عُرضت عليهِ كأس ثانية فتبسم وقال تسألونني كيف بقيت متمتعاً بهذه الصحة وقد جاوزت الثمانين السرُّ في ذلك انني لا ارفض كأساً ثانيةً من الشاي · الكلام مزاح ولكنهُ لا يخلو من حقيقة لان الرجل مثل غيرهِ من ابناء جلدتهِ يحوّل كل ما يستطيع جسمهُ تحويلهُ من الطعام الى قوة جسدية وعقلية

ولا يخفى ان البعض من العلماء في اوربا واميركا قاموا ينادون بان الاكثار من الطعام ضرر محض وان في الاقلال كل الفائدة وقال غيرهم ان معظم الضرر من اكل اللحوم على انواعها وان الطعام النباتي كافٍ وافٍ بالمراد · ولا شبهة عندنا ان الاكثار من الطعام حتى تعجز المعدة والامعاء عن هضمهِ مضرٌّ لانهُ يتعب الجسم ويعرضهُ للامراض ولان الطعام الذي لا يهضم لا يغتذي الجسم بهِ فيذهب سدى فوق ما ينال الجسم منهُ من الضرر ولكن لا شبهة عندنا ايضاً ان الطعام الذي تهضمهُ المعدة والامعاء لا ضرر منهُ الاَّ اذا كان الجسم غير محتاج اليهِ كلهِ فيزيدهُ سمناً · ولسنا من الذين يقولون ان اللحوم ضارَّة او ان الطعام النباتي كافٍ وافٍ بالمراد لاننا نأكل اللحوم ولا تضر بنا ولا تضرُّ باحد نعرفهُ

وقد اطلعنا الآن على مقالة مسهبة في هذا الموضوع للدكتور هتشنصن الاميركي وجدنا فيها حقائق كثيرة رأينا ان ننقلها افادة لقراء المقتطف وتقريراً للحقيقة قال

رأي الناس من اول امرهم ان لا بدَّ لهم من الطعام ولا بدَّ لهم من ان يأكلوا كل يوم

ومن المحتمل ان بعضهم صاموا اياماً فلم يأ كلوا إما لانهم لم يجدوا طعاماً يأ كلونهُ او لسبب آخر فضعفوا وماتوا فانقرض نسلهم وعاش من الناس الذين يأ كلون كل يوم واخلفوا نسلاً مثلهم . وكلما تكرر الصيام الطويل تبعهُ الموت على ما تقدَّم فلم يبقَ من الناس الاَّ الذين يأ كلون كل يوم الى الشبع

ولا بدَّ من انهُ ظهر لبعض الناس من اول الامر ان الاكثار من الطعام يتعب الجسم فاستنتجوا ان الاقلال منهُ يجلب الراحة وهي نتيجة معقولة ولكنها تناقض حقيقتين مقررتين الاولى وجود القابلية للطعام فما دامت موجودة فلوجودها معنىً لا يمكن اغفالهُ . والثانية ان الطبيعة مسرفة غير مقتصدة فتبزر الشجرة الوفاً من البزور حتى تنبت واحدة منها وتبيض السمكة الوفاً من البيض حتى يتولد منها سمكتان وما من عمل من اعمال الطبيعة خالٍ من التبذير . واسلوبها الذي جرت عليهِ حتى الآن هو انها تولّد من كل شيء اكثر مما يلزم منهُ ومتولداتها تتبارى وتتنازع البقاء فلا يبقى منها الاَّ اصلحها للبقاء . أفلا يصدق ذلك على الانسان من حيث الطعام أي انهُ ينبغي لهُ ان يأ كل كثيراً وجسمهُ يختار ما هو اصلح لهُ من طعامهِ . والحياة لا تجري على قواعد الحساب والفلسفة بل فيها مجال واسع للصدفة والاتفاق اي لما يتعذَّر علينا ان نعلم ما سيكون قبل حدوثهِ ولولا ذلك لفقدت لذتها وبهجتها . ومهما حسبنا وقدَّرنا فان النتائج لا تأتي دائماً حسب حسابنا وتقديرنا لان الفواعل كثيرة ويتعذَّر علينا حصرها كلها . والغالب انهُ يحدث ما لا ينتظر حدوثهُ لا لان الحساب والتقدير غير لازمين بل لانهما غير كافيين وشأننا في ذلك شأن المسافر الذي اذا اراد ان يأخذ معهُ ما يكفيهِ من النقود وجب عليهِ ان يأخذ اكثر مما قدَّر

هذا ما قالهُ الدكتور هتشنصن في هذا الباب ولا اعتراض عليه الاَّ في ترك الامر للمعدة في اختيار الطعام من حيث نوعهُ ومقدارهُ . فاذا عرفنا بالاختبار ما هو الطعام الاصلح الذي يقبلهُ الجسم ويغتذي بهِ وعرفنا المقدار الذي يكفيهِ منهُ وجب علينا ان نعمل على مقتضى هذه المعرفة وان لا نعمل على ضدها فالذي وجد بالاختبار ان العدس يضرهُ او يتعبهُ والفول لا يضرهُ او لا يتعبهُ لا يجوز لهُ ان يقول اني آكل العدس والفول معاً ومعدتي تختار ما هو اصلح لها منهما . والذي عرف بالاختبار او بالامتحان ان الرطل من اللحم يريحهُ ويكفيهِ والرطلين يتعبانهِ ويزيدان عما يحتاج اليهِ لا يجوز لهُ ان يأ كل الرطلين ويقول ان معدتهُ تعرف شغلها وانهُ لا يريد ان يفتئت عليها . ولا يمكننا ان نضع قاعدة واحدة تصلح لكل الناس لان الاجسام تختلف كثيراً في حجمها وعملها وعاداتها وغرائزها وقوة اعضائها المختلفة . وكل

من ينتبه الى ما ينفعهُ وما يضرهُ من الطعام في نوعهِ ومقدارهِ يعلم حدود النفع والضرر . وتجارب العلماء في هذا الباب لا تخلو من الفائدة والارشاد . هذا ولنعد الى كلام الدكتور هتشنصن قال

الحياة تستلزم الزيادة

اقرب دليل على ذلك واوضح مثل لهُ جسم الانسان ففيهِ عينان واذنان ومنخران ورئتان وكليتان ودماغان اثنان اثنان من كل عضو تقريباً وواحد من الاثنين يقدر ان يقوم وحدهُ بالعمل المطلوب واما الآخر فردف لهُ يقوم مقامهُ اذا عجز عن عملهِ لسبب من الاسباب ولكن الاثنين يعملان معاً لكي لا يضعفا بالانقطاع عن العمل . فوجود اثنين من كل عضو توسُّع وكرم ان لم يكن اسرافاً . ولا يقف الاسراف عند هذا الحد بل ان رئة واحدة تزيد عما يلزم لحياة الجسم وثلث رئة واحدة كافٍ اذا اريد الاقتصاد التام لكن الطبيعة لم تكتفِ بثلث رئة لانها حسبت حساب العوارض الكثيرة التي تنتاب الانسان او النفقات غير المنتظرة فاذا كان انسان بثلث رئة واصابهُ شيءٌ من ميكروب السل او ميكروب ذات الرئة لم يستطع مقاومتهُ . ولهذا السبب عينهِ لا يحسن بنا ان نكتفي باللازم اللازم من الطعام نعم ان الطعام غالٍ ولكنهُ ارخص من الدواء ومن اجرة الاطباء ولكلٍ منا كليتان مع ان نصف كلية يكفيهِ فلماذا لا ننزع كلية منهما ونوفر علينا حملها وتغذيتها . و يسهل نزع رطلين من كبد الانسان وما يبقى منها يكون كافياً لهُ ولكنهُ اذا فعل ذلك فالمرجح انهُ يموت اول ما يصيبهُ التهاب اللوزتين او النزلة الوافدة فتكون عاقبة الاقتصاد الموت الباكر . وقد يعيش الجندي شهراً او شهرين على الطعام القانوني الذي هو قدر الكفاية ولكن ماذا يصيبهُ بعد ذلك اذا تعرَّض للتيفويد او التدرُّن او الدوسنطاريا او الزكام الشديد . وقد جرِّب هذا الطعام القانوني في تسعة من الجنود فضعفت اجسام خمسة منهم وعاد ثمانية الى الطعام العادي وجرَّب شاب الاكتفاء القانوني ثم اعترتهُ آفة فاماتتهُ مع انها لا تميت عادة من تعتريهِ ولا سبب لذلك الأ ما عاناهُ بالطعام جسمهُ من الجوع

وكلام الدكتور هتشنصن وجيه كلهُ لا غبار عليهِ ولكن يشترط في هذا الاكثار او الكرم ان لا يتجاوز النفع الى الضرر فلو وُلد ولد بعشر كلى لوجد الزيادة عبئاً ثقيلاً عليهِ وقضى الدكتور هتشنصن بنزع ثمانٍ منها وما احسن المثل العامي ان الزائد اخو الناقص والمقياس الحقيقي في كل ذلك هو النفع والضرر . وهذا اشار اليهِ الدكتور هتشنصن في الفصل التالي

الطعام الاصلح

ان التجارب العلمية في الطعام قد لا تخلو من فائدة ولكن الذي تهمنا معرفتهُ ليس ما هو اقل مقدار يكفينا من الطعام ولا ما هو العمل المعتدل الذي نعملهُ اذا اكتفينا بذلك المقدار بل ما هو المقدار الكافي من الطعام لجعل الجسم يعمل كل ما يطلب منهُ عملهُ من غير ان تخور قواهُ اي ما هو الطعام الاصلح للجسم لا ما هو الطعام الاقل او الاوفر. والاقتصاد حسن في التجارة وتدبير الاموال ولكنهُ غير حسن في الاكل بل هو فيهِ موجب لزيادة النفقات اخيراً فهو اسراف لا اقتصاد. ومن يحاول الاقتصاد في الخبز واللحم كمن يحاول الموت جوعاً هو او اولادهُ او خدمهُ. والاقتصاد في المطبخ عين التبذير ويقع ضررهُ في الغالب على الصغار او الضعاف من العائلة. والناس الذين يأكلون حسب مشيئة غيرهم لا حسب ما تشتهي انفسهم يقل اغتذاؤُهم ويضعفون

معنى القابلية

ثم قال ما هي القابلية ما هي الغريزة التي نجدها فينا لطلب الطعام اذا جعنا والاكتفاء منهُ اذا شبعنا. أهي مجرد غريزة حيوانية موروثة من اسلافنا الاولين حينما كان الواحد منهم يجوع فاذا وجد طعاماً هجم عليهِ كالاسد الضاري والتهمهُ التهاماً. كلاَّ بل ان الناس كانوا مضطرين دائماً للاكل ولم يكن الطعام كافياً لهم لصعوبة الحصول عليهِ فكان الذي يبادر الطعام قبل غيرهِ اذا حضر ويأكل منهُ كفافهُ قبلما يفرغ يعيش اكثر من الكسول الذي لا يجد من نفسهِ شهية للطعام ولا يأكل منهُ كفافهُ او لا يبقى لهُ منهُ ما يكفيهِ. فعاش الاول واخلف نسلاً ومات الثاني وانقرض نسلهُ وهكذا توارث الناس القابلية للطعام وقويت فيهم. ولا بدَّ من ان البعض افرطوا في الاكل جشعاً وهؤُلاء اتخموا ومرضوا وماتوا ولم يخلفوا نسلاً فبقي من نوع الانسان اصحاب القابليات المعتدلة لا الذين يفرطون ولا الذين يفرطون. وغنيٌّ عن البيان ان الغرائز التي تبقى في النوع وتستمر فيهِ هي الغرائز النافعة لان الغرائز الضارة تهلك اصحابها فلا يخلفون نسلاً. هذا اذا لم يستعمل الانسان عقلهُ وارادتهُ لمقاومة الطبيعة وابقاء الضار او تخفيف ضررهِ

ولذلك فالقابلية غريزة نافعة تستحق ان يعمل بها ويجاب طلبها وهي لا تكون كذلك الاَّ اذا زادت عن الحد المحدود أي اذا كان مؤَداها ان يأكل الانسان فوق حاجتهِ ولو قليلاً لا ان يأكل اقل من حاجتهِ مثل كل الغرائز الطبيعية لان للزيادة علاجاً وهو خزن الزائد او طرحهُ او عدم استعمالهِ واما النقص فلا سبيل لتلافيهِ كما اذا كان دخل انسان اكثر من

نفقاتهِ فان الزيادة لا تضرهُ ولكن اذا كان دخلهُ اقل من نفقاتهِ فان آخرتهُ الافلاس والخراب. واوضح من ذلك انهُ يجب الاهتمام بالقابلية وحفظها وعدم مخالفتها الأ اذا ثبت ان منها ضرراً وهي خير مرشد لنا في امر الطعام

ومما يذكر بالاسف ما هو شائع الآن من ان النتائج العلمية التي نتجت من البحث العلمي في هذا الموضوع جاءت منافضة لما تقدم لانّ اناساً من صغار الاحلام اشاعوا في اول البلاد وعرضها ان كل الناس يأكلون اضعاف اضعاف ما يحتاجون اليهِ وان اكل اللحم من الموبقات او هو على الاقل من الغرائز الحيوانية التي يجب قمعها. لكن الاشاعة غير صحيحة والتجارب العلمية الحديثة التي اجراها العلماء الخالون من الغرض ابدت التجارب العلمية القديمة بنوع عام والتجارب التي اجراها اناس يقصدون ان يثبتوا ضرر اكل اللحم وضرر الاكثار من الطعام تخالف اختبار الناس بنوع عام ولاسيما في ثكنات الجيوش ومستشفيات المرضى ومصاح السقماء

التجارب العلمية

اما التجارب العلمية فاجراها العلماء اولاً في الكلاب صنعوا غرفة محكمة وقاسوا ما فيها من المواء والرطوبة والحامض الكربونيك ووضعوا فيها كلباً وغذوهُ غذاء معلوماً في نوعهِ ووزنهِ وسقوهُ مقداراً معلوماً من الماء ثم قاسوا ما نفثهُ من البخار المائي وما خرج منهُ من المبرزات على انواعها واستمروا على ذلك اياماً ثم اخرجوهُ ووزنوهُ فوجدوا ان الرطوبة التي خرجت منهُ والحرارة التي اتصلت منهُ الى هواء الغرفة ومبرزاتهِ الجامدة والسائلة الخ موازنة للطعام الذي اكلهُ والماء الذي شربهُ. ولما رأى ملك باڤاريا ذلك عرض على هؤلاء العلماء النفقات اللازمة لاجراء هذه التجارب في الانسان فاجروها وثبت منها ان جسم الانسان اكثر الآلات اتقاناً في الموازنة بين دخلهِ وخرجهِ فلا يضيع فيهِ شيء فان الحرارة التي تصدر منهُ وهو في غرفة محكمة والرطوبة التي تخرج من بدنهِ والعمل الذي يعملهُ والحامض الكربونيك الذي ينفثهُ مجموعها يوازي مجموع الطعام الذي اكلهُ والشراب الذي شربهُ مع اعتبار ما زادهُ جسمهُ او نقص منهُ. وعليهِ فاذا اراد الانسان ان يعمل عملاً ما فعليهِ ان يأكل طعاماً فيهِ المواد الكافية لذلك العمل والأ اضطرَّ ان يستخدم لهُ بعض جسمهِ

وبناء على هذه التجارب وضع العالمان بتنكفر وفويت جداول الطعام المعروفة وبيّنا ما هو اقل مقدار يكفي للمعيشة ويمنع الموت جوعاً وما هو المقدار الذي يعيش بهِ الانسان مستريحاً والمقدار الذي يكفيهِ اذا عمل عملاً معتدلاً والمقدار اللازم لهُ اذا عمل عملاً شاقاً وهذه المقادير بين حدين الحد الاوطأ ١٥٠٠ حرة والحد الاعلى ٤٥٠٠ حرة ويراد بالحرة

(Calorie) المقدار من الحرارة الذي يسخن الكيلو من الماء درجة واحدة بميزان سنتغراد . وكل التجارب العلمية التي جرت بعد ذلك ايدت النتائج المتقدمة ولم تزد عليها الا اموراً طفيفة ناتجة عن الزيادة في اتقان الآلات والادوات . وقد اعتمدت عليها الدول الاوربية في اطعام جنودها فجاءت وافية بالمراد

وقد يعترض على ذلك بان رجلاً مثل لويجي كورنارو عاش سنين كثيرة وهو مقتصر على القليل من الطعام لا يزيد في يومهِ على ١٢٠٠ حرَّة . ولكن الرجال الذين مثلهُ نادرون والنادر لا يبنى عليهِ حكم ولقد حسب الدكتور تشتندن ان ١٦٠٠ حرة من الطعام تكفي الانسان ونشر ذلك في الطبعة الاولى من كتابهِ ثم غير هذا المقدار وجعلهُ ٢٨٠٠ حرة في الطبعة الاخيرة من غير ان يبين سبب ذلك

ما يضيع من الطعام

ويزعم الذين ينادون بوجوب تقليل الطعام ان الجانب الاكبر منهُ يذهب سدىً فيتعب الجسم للتخلص منهُ فوق ما يخسرهُ الانسان بالانفاق على ما لا حاجة لهُ بهِ . لكن التجارب العلمية لم تؤيد ذلك بل اثبتت ان ما يضيع من الطعام قليل جدًّا اذا لزم الانسان حد الاعتدال في طعامهِ وهذا الضائع بين ٥ و١٥ في المئة لا غير فلا يضيع من لحم البقر سوى ٢ في المئة اي اذا اكل الانسان لحماً فيهِ مئة غرام من الغذاء لم يخرج منها من جسمهِ ضياعاً سوى غرامين والثمانية والثمانون جراما الباقية تدخل الدم غذاء للجسم . ويضيع من اللبن ٣ في المئة ومن الخبز ٦ في المئة

هذا ما ذكرهُ الدكتور هتشنصن ولقد احسن في تقييدهِ الطعام ضمن حد الاعتدال فاذا كانت حاجة الانسان تختلف بين ١٥٠٠ و ٤٥٠٠ حرة حسب عملهِ فقد يأكل ٤٥٠٠ حرة ولا يعمل ما يستدعي ٢٥٠٠ حرة فماذا يصير بالالفين الباقيين ألا يذهبان ضياعاً . رأينا مرةً فتاة عمرها نحو ١٦ سنة كانت تأكل في يومها ما يكفي اثنين او ثلاثة ولا تشعر بالشبع ولكنها تبطل الاكل متى مُنعت عنهُ . وقد راقبناها بضعة اشهر وهي على حالٍ واحدة وكانت معتدلة القامة لا سمينة ولا نحيفة وبقيت كذلك كل المدة التي راقبناها فيها وكان عملها الخدمة ولم تكن تعمل اكثر من غيرها من الخدم ولا شبهة في ان نصف طعامها كان يذهب سدى . وهذا شأن كثيرين من الذين يأكلون فوق ما تحتاج اليهِ ابدانهم او تستدعيهِ اعمالهم

موقى البطنة

قال الدكتور هتشنصن انهُ نظر في جدول الامراض التي يموت بها الناس في نيويورك

فوجد انها ٤٢ مرضاً او آفة ثلاثة منها فقط يمكن ردها الى كثرة الاكل وهي امراض المعدة وامراض الكبد والبول السكري وان ثلثي الذين ماتوا بهذه الامراض لم يكن لكثرة الاكل يد في موتهم مع ان كل الذين ماتوا بهذه الامراض لا يتجاوزون ثلاثة في المئة من عدد الوفيات كلها . اما الامراض التي سببها قلة الاكل او قلة التغذية او التي تشتد بقلة الاكل او بقلة التغذية فهي الامراض الفتاكة حقيقة كالسل وذات الرئة والاسهال والتيفويد والجوع وهذه الامراض امات ٢٥٠٠٠٠ او نحو ثلث كل الوفيات . فالامراض الناتجة عن كثرة الاكل او التي تشتد بكثرة الاكل تميت ثلاثة في المئة فقط واما الامراض الناتجة عن قلة الاكل او التي تشتد بقلة الاكل فتميت ثلاثين في المئة فلو كانت قلة الاكل تطيل الحياة وتدفع الامراض لنجت على الاقل نصف المئتين والخمسين الفاً المشار اليهم آنفاً

هذا وغني عن البيان ان معدل الوفيات يكون على اكثره بين الفقراء الذين لا يستطيعون ان يأكلوا الطعام الكافي المغذي وعلى اقله بين الاغنياء الذين يأكلون الطعام الكافي المغذي . وارقى الامم الآن هي الامم الكثيرة الطعام . ألا ترى ان اول شيء فعلته اليابان حينما ارادت ان تسير في مصاف الامم الراقية انها جعلت جنودها البرية والبحرية تقتدي بالاوربيين في اكل الطعام المقوي وحثت شعبها على ذلك

المجاعات والاوبئة

من الحقائق التاريخية ان الاوبئة تتبع المجاعات وثلثا الذين يموتون جوعاً يموتون بحمى تتغلب عليهم لان الجوع اضعف اجسامهم حتى لقد جرى الاطباء على تسمية بعض الحميات كالتيفوس والتيفويد بحميات الجوع فهل حدث في وقت من الاوقات ان اصاب البلاد مرض وبائي بسبب كثرة الاكل او خصب الحاصلات ؟ كلا

الطعام الجيد والكثير منهُ

الطبيعة حكيمة ولم تبذل قوتها عبثاً في ابقاء الاصلح من الناس والغرائز منذ الوف من السنين الى الآن . ولا بد للانسان من مقدار من الطعام يكفيهِ لحفظ حياتهِ وقيام اعمالهِ والقليل من النقص عن الحد المطلوب يضرُّ جداً ولكن القليل من الزيادة لا يضرُّ ولا سيما في الصغار وهم ينمون وفي الحوامل وهنَّ يغذين اجنتهنَّ . ولكن لا بد من ان يكون الطعام جيداً خالياً من الفساد ومن ميكروبات الامراض لان قولهم ان اكثر الاوصاب من الطعام والشراب سببهُ ما يكون في الطعام احياناً من مواد الفساد وميكروبات الامراض . اما مقدار الطعام فان كانت كثرتهُ تتعب بعض الاغنياء فقلتهُ تقتل الملايين من الفقراء

رسائل الاستانة

(٥) العناصر العثمانية — اتحادها وانشقاقها

العرب والترك والارمن

ان الاتفاق والاختلاف بين رجال تركيا الفتاة ورجال تركيا العجوز امر جلل يهم العثماني همّاً كبيراً لانهُ يقدم ويؤخر في مصالح الامة والدولة كثيراً . ولكن مهما عظم شأنهُ لم يبلغ في اعتبارنا شأن اتحاد العناصر العثمانية وانشقاقها اذ اتحادها اعم واعظم نفعاً من اتفاق الفتاة والعجوز وانشقاقها اوسع ضرراً واشد تأثيراً في تعطيل مصالح الامة من اختلافهما . وقد كانت مسألة هذه العناصر اعظم باعث لنا على السفر الى الاستانة ودرس المسائل العثمانية فيها . وكانت مسألة العنصر الارمني التي نجمت عن مذابح ادنه تشغل بالنا وتزيد همنا حينئذٍ خوفاً من ان يكون ولاة الامور في تركيا غافلين عنها غير مبالين بما لها من التأثير السيء في العالم المتمدن واشفاقاً من ان يصح فيهم ما كان يقولهُ كثيرون من الاجانب عنهم وهو ان الحكومة الدستورية الحالية ناهجة في تحقيق تلك الحوادث نهج الحكومة الاستبدادية الحميدية بدعوى انها تحقق قولاً وتطمس معالم الحق وتخالف العدل فعلاً . ومما كان يزيد خوفنا وحذرنا من ذلك الاخبار التي كانت الشركات البرقية تطيرها الينا عن افعال ديوان الحرب الذي كان يحقق قبل تعيين سعادة الفريق اسمعيل باشا فاضل رئيساً لهُ وارسال اثنين من افاضل المبعوثان الى ادنه . ولذلك لم نكد نلتقي باسمعيل باشا فاضل على ظهر الباخرة الرومانية في ازمير كما مرَّ بنا ذكرهُ في مقالة سابقة ونسمع من لسانهِ انهُ مسافر في الغد الى ادنه ليرئس ديوان الحرب فيهِ حتى كاشفناهُ بخوفنا وحذرنا وقلنا لهُ اننا لا نعلم ان كنتم انتم وولاة الامور متنبهين لما كان لمذابح الاخيرة من التأثير في العالم المتمدن ولما يقال عنا الآن بسببها ولما يخامر فؤاد كل عثماني حر يغار على شرف الدولة ومجدها وحسن سمعتها من الخوف والقلق لئلا تكونوا لاهين عن ذلك بمشاغلكم الاخرى غير مبالين بعواقب ما يسمعهُ امثالنا العثمانيون البعيدون عنكم من الاقوال التي لا تسمعونها والتعبيرات التي لا يبلغكم خبرها

فقال ولكن العالم المتمدن يعلم اننا غير مسؤولين عن تلك الحوادث وانها حدثت على غير علمنا ورضانا . قلنا نعم ان العالم المتمدن يعلم ذلك ولا يعدكم مسؤولين عن حدوث ما حدث ولكنهُ يعدكم مسؤولين عن اظهار الحق واجراء العدل بعد حدوث ما حدث . وكل عثماني

حر يطالبكم بان تفعلوا فعل الحكومات العادلة الدستورية في مثل هذه المهمة وان تزيلوا هذه الوصمة بقوة الحق والعدل عن جبين الدولة · فاعجبهُ كلامنا هذا وسرهُ ما سمعهُ عن غيرة العثمانيين على دولتهم الدستورية وحرصهم على حسن سمعتها في كل البلدان المتمدنة

فقال لنا اقوالاً سكّنت قلقنا ولكن فاتنا ان نستأذنهُ في نشرها برمتها فامسكنا عن نشرها لعلمنا انهُ ضابط وموظف في حكومة وربما حظر عليهِ نشر اقوالهِ ولكن لا بأس ان نقول ان خلاصة كلامهِ كانت ان العالم المتمدن سيعلم عن قريب ان الحكومة الدستورية العثمانية ليست حكومة تطمس الحق وتميت العدل لاغراض دينية او جنسية بل انها تفعل الواجب عليها فتظهر الحق وتجري العدل بلا محاباة ولا مراعاة كاعدل حكومة متمدنة دستورية

فقلنا لهُ اننا نطلب منكم نشر كل التقارير الحاوية للتحقيقات والشهادات والاحكام حتى يطلع عليها القاصي والداني · قال ان ذلك كلهُ سيرسل الى مجلس المبعوثان وقد عاد حضرة يوسف بك كمال من المبعوثان من ادنه وكان امس هنا وسافر الى الاستانة وسيعرض تقريرهُ على مجلس المبعوثان

فلما وصلنا الى الاستانة وذهبنا الى مجلس المبعوثان كان اول خطيب رأيناهُ وقف على المنبر في جلسة ذلك اليوم يوسف بك كمال فخطب طالباً اعانة لمنكوبي تلك الولاية حتى يبتاعوا لوازم الزراعة وخطب بعدهُ آخرون فكان حضرتهُ اخطبهم كلهم بلا خلاف · وسألنا في الاستانة عن تأثير مذابح ادنه وعما سيكون من امرها فسمعنا فيها من افواه رجال من جمعية الاتحاد والترقي ورجال من المبعوثان وكلهم من المسلمين اقوالاً توافق ما سمعناهُ من قم اسمعيل باشا فاضل · وقيل لنا ان جريدة طنين كتبت في هذه الحوادث تطلب اظهار الحق واجراء العدل وانصاف الارمن كتابة لم تفقها مقالات الجرائد الارمنية نفسها · وشعرنا انهُ وان كان لا يزال في نفوس الارمن ألم وجفاء واستياء لكنهم شعروا بمجابرة اخوانهم الترك لم اخيراً وباتوا يرجون بعد تلك المجابرة ان يقام العدل وينصف المظلوم من الظالم ولذلك وجدنا كثيرين منهم ميالين الى تناسي ما مضى وتسهيل سبيل الاتفاق والتواد في المستقبل · ومهما يكن من هذه الآمال والاميال فالذين زاروا الاستانة ايام زيارتنا لها لم يكادوا يشعرون باختلاف او انقسام بين العنصرين التركي والارمني فيها ولا لحظوا ان العثمانيين الذين يهتمون بالمسائل العمومية وامر العناصر يظهرون همهم من جهة العنصرين التركي والارمني او يبدون اقل شيءٍ من القلق الذي يبدونهُ من جهة العنصرين التركي والرومي

ولكن قال لنا بعض الخبيرين ان الامر ليس كذلك في بلاد الاناضول وان بعض الدوائر

الوطنية والاجنبية التي بينها و بين الاناضول مواصلات ومراسلات غير مطمئنة اطمئنان اهل الاستانة من هذا القبيل

ولما وقفنا على ما وقفنا عليهِ من جهة العنصر الارمني وسمعنا ممن يوثق باقوالم ان الحكومة الدستورية عاقدة النية على ان تظهر للعالم ترفعها عن التعصبات الدينية والتحزبات الجنسية في امر الحوادث الاناضولية جعلنا نبحث عما يهمنا اكثر مما يهمنا سواه وهو امر العنصر العربي الذي نُعَدُّ منهُ والذي نودُّ طبعاً ان يكون في مقدمة جميع العناصر (عثمانية كانت او غير عثمانية) رفاهة وسعادة وارتقاء ونجاحاً · ولما كان غرضنا الاول جلاء الحقائق للقراء وجب علينا ان نعترف هنا ان امر هذا العنصر لم تنجلِ لنا حقيقتهُ في الاستانة لاننا كنا نشعر كما ذكرنا امرهُ انهُ لا يسهل علينا معرفة الحقيقة عنهُ لاننا لا نسمع الاقوال الصريحة ولا نطلع على البواطن الجلية · وربما كان هذا الشعور قد تولد فينا من تأثر السليقة مما حولنا بلا دخل لادراكنا في ذلك · وربما كان قد تولد من سبب آخر وهو اختلاف الاقوال التي كنا نسمعها من العرب والترك مع شدة حرصنا على اكتشاف الحقيقة ومحاولتنا عدم الاقتناع بالاقوال التي نسمعها ما لم يقم عليها الشاهد والدليل · والشاهد والدليل لا يتأتيان في كل آن

وسواء كان السبب في شعورنا هذا صواباً او خطاء فهذا ما شعرنا بهِ بيناهُ بصراحة وحرية ليكون القارئ على بصيرة · وبعد هذا التبيان لا بأس بذكر طرف مما سمعناهُ من الفريقين · فابناء العرب لا يخلو بعضهم من عتب على الترك ولكن العاتبين عليهم وغير العاتبين والمؤاخذين لهم والعاذرين متفقون على القول بان الترك مرتابون في اخوانهم العرب اما العاتبون عليهم والمؤاخذون لهم فيقولون انهُ لا يحق للترك ان يرتابوا في العرب بوجه من الوجوه بل يحق للعرب ان يعتبوا على الترك لانهم اظهروا ارتيابهم هذا ببعض افعالهم ولانهم لم يثبتوا لنا محافظتهم على المساواة فعلاً بيننا وبينهم كما هو مقتضى القانون الاساسي الذي هو اساس نظامنا في دولتنا والذي يجب ان نجعلهُ كذلك قولاً وفعلاً لا قولاً فقط

واما العاذرون للترك من العرب والمعتذرون عنهم فيقولون ان الترك بشر مثلنا ولا عجب اذا ارتابوا فينا بعد الذي رأوهُ منا

وبين الفريقين اخذ وعطاء وجدال كثير من هذا القبيل · فالعاذرون للترك والمعتذرون عنهم يقولون لنفرض اننا نحن في مكانهم وهم في مكاننا أفما كنا نرتاب فيهم كما ارتابوا فينا · فاولاً قام منا العابد وابو الهدى والمحمة واخوهُ والشيخ فلان والسيد فلان واتباعهم وحواشيهم في عهد عبد الحميد وفعلوا ما فعلوا في عهد الاستبداد مما اسخط الترك ورسخ ذكرهُ

في اعماق نفوسهم · وثانياً لم يكد الحزب المحمدي يقوم في الاستانة حتى رنَّ صداهُ في دمشق الشام ولولا انتصار جيش الحرية هنا لخفنا من قومة عظيمة على الدستور في ولاية سورية وربما لم يقتصر ذلك على ولاية سورية وحدها بل ظهر ايضاً في ولايات أُخرى عربية · وثالثاً انشأ قوم من ابناء العرب صحفاً يحرضون فيها العنصر العربي على الاستقلال وقامت جرائد أُخرى في مصر تنتصر لاستبداد عبد الحميد على نظام الدستور وتقول للمسلمين العرب الذين يقرأونها ان مجد الاسلام قد زال بزوال حكم ذلك الظالم وتسعى في قطع العلاقة بينهم وبين الدولة العلية · ورابعاً يأتي قوم من العرب المنافقين الى هنا من حين الى حين ويتقربون الى ذوي الحل والعقد والكلمة النافذة في هذه الايام بتسويد وجوه العرب ابناء وطنهم وتبييض وجوههم فيقولون لهم ان فلاناً وفلاناً من اهل بلدنا كانوا من الرجعيين او ممن يروم فصل العرب عن الدولة او ممن يضمر الشر للدستور ولكننا وقفنا لهم بالمرصاد واحبطنا سعيهم وفعلنا كيت وكيت مما يردُّ كيدهم في نحورهم · او يقولون لهم ان السواد الاعظم من اهل بلادنا يبكون وينوحون على عبد الحميد ويحسبون سقوطهُ ذلة للاسلام والمسلمين ولكننا جادُّون في تنوير اذهانهم وازالة هذا الخطاء من عقولهم وقس على ذلك كثيراً

أفنعتب بعد هذا كلهِ على اخواننا الترك اذا ارتابوا فينا واوجسوا في نفوسهم خيفة منا

ويرد عليهم العاتبون انهُ اذا كان قد قام منا بغاة في عهد عبد الحميد فقد قام من الترك قوم اكثر منهم عدداً واشد بغياً وحسبنا ان عبد الحميد نفسهُ منهم فلا يحق لهم ان يرتابوا في امة بسبب ما جناهُ قوم يعدون على اصبع اليد الواحدة منها كما اننا نحن لا نرتاب في العنصر التركي بسبب ما جناهُ بعض افرادهِ

وانهُ ان كان قد قام في دمشق من اراد مقاومة الدستور فهؤلاء متابعون لا بادئون وقد تابعوا الجمعية المحمدية التي انشأها الترك في الاستانة · فليس من العدل ان يرتاب اخواننا الترك فينا بسبب ذلك كما اننا لا نرتاب فيهم بسبب الذين انشأوا الجمعية المحمدية منهم وفعلوا ما فعلوا

وان كان قد انشأ بعض منا جرائد او نشر مقالات تحرض العرب على الانفصال عن الدولة او تكرّه اليهم الحكومة الدستورية فكم من جريدة لنا تتغنى بمدح الحكومة الدستورية كل يوم وتقاوم الجريدة او الجريدتين اللتين شذتا عن سائر الجرائد العربية · وكم من مقالة تنشرها جرائدنا العربية كل يوم وتوصي فيها بالاتحاد والوئام وتقول انهُ لا تقوم لنا قائمة الاَّ بالاتحاد التام

وان كان بعض المنافقين يتقربون الى ذوي الحل والعقد بالافتراء على ابناء وطنهم ويقولون ان العرب يتحسرون على عبد الحميد ولا يخلصون للحكومة الدستورية فها جرائدنا تصدر طافحة باخبار اخلاص العرب للدولة العلية والحكومة الدستورية حتى انهم يجاهرون بحبها والتعلق بها من اقصاء الكرة الارضية . افليست الاعياد التي يعيدونها والافراح والولائم التي يقيمونها طوعاً من تلقاء نفوسهم وبلا تكليف احد لهم ايام الاعياد الدستورية في كل بلادهم فيها دليلاً قاطعاً على اخلاصهم وصدق ولائهم وتكذيباً لكل من يفتري سوءا عليهم فكيف يجوز بعد ذلك لاخواننا الترك ان يرتابوا منا او يسيئوا ظنهم فينا

بل كيف يجوز لهم ان يظهروا ارتيابهم هذا فينا بما كسر قلوبنا وحل عزائم ضباطنا فانهم ارسلوا فاحضروا الضباط العرب من فيالقهم في سورية ومكدونية وجمعوهم في الاستانة بعد ما كان ضباطنا اشد اعوانهم في اعادة الدستور اولاً وفي حفظهِ اخيراً ولهذا استاء ضباطنا وحاروا في امرهم لانهم لا يدرون سبباً لارتياب اخوانهم فيهم . ونحن ايضاً مستاؤون استياءهم وشاعرون بان هذا الارتياب يضرنا ادبياً اذا لم نشعر الآن بانهُ يضرنا مادياً

وعلى هذا المنوال كان يطول الجدال بين الفريقين في عدة مجالس حضرناها واوردنا طرفاً فقط مما كان يقال فيها . ولكننا ادركنا منها امراً ذكرناهُ آنفاً وهو اتفاق الفريقين على ارتياب الترك في امر العرب . وبناء على ذلك سألنا قوماً من الترك عن امر هذا الارتياب آملين ان نصل الى ما يجلو حقيقة اسبابهِ ويزيلهُ اذا كان موجوداً . وسنذكر محصل ما سمعناهُ منهم في مقالة تالية ثم ننتقل الى ما علمناهُ عن العنصرين الرومي والالباني وبالله التوفيق

ثبت ان فريد باشا ناظر الداخلية العثمانية استعفى من وظيفتهِ وان طلعت بك رئيس مجلس المبعوثان الثاني سيعين ناظراً بدلاً منهُ فتم بذلك ما كان ينتظر حينما كنا في الاستانة واشرنا اليهِ في ما مضى . اما طلعت بك فلا يزال مع وفد المبعوثان في بلاد الانكليز ولكن ما سمعناهُ عنهُ من الذين يعرفونهُ حق المعرفة يقوي الامل بانهُ ينجح في نظارة الداخلية كما نجح صديقهُ وزميلهُ جاويد بك في نظارة المالية

اما اخبار الشركات البرقية عن كريت فتوهم القارئ باكثر مما ينتظر وقوعهُ في مسألتها . فما لا يرتاب فيهِ رجال الاستانة ان دولة اليونان وحدها لا تحارب الدولة العلية مطلقاً لا على مسألة كريت ولا على غيرها . وانهُ لا يكاد يحتمل وقوع حرب بينهما الاَّ اذا اتحدت البلغار واليونان معاً وذلك قليل الاحتمال جدًّا ولاسيما في هذه الايام التي يزداد فيها

الصفاء وتحسن العلاقات يوماً فيوماً بين الدولة العلية والبلغار

بقي ان كريت نفسها تشق عصا الطاعة وتجاهر بالعصيان وذلك كان كثير الاحتمال في عهد الحكومة الحميدية ولكنهُ بعيد الوقوع في عهد الحكومة الدستورية. وعسى انهُ لا يقع مطلقاً اولاً لخير كريت نفسها وثانياً لكي لا يشغل الحكومة العثمانية عن الاصلاحات الداخلية ولكن هب انهُ وقع فعاقبتهُ معلومة ورجال الدولة يظنون انهُ لا يحملها مشقة عظيمة. قال لنا رجال من ضباط الجيش العثماني والاتحاد والترقي ونحن في الاستانة لا تقيسوا على الماضي فلو ثار الالبانيون في ايام عبد الحميد لما قمع ثورتهم جيش جرار في شهور واعوام ولكن جاويد باشا اخمد ثورتهم بجند قليل في ايام. وهكذا ثورات كريت التي كانت تدوم الزمان الطويل في سالف الاعوام لا تدوم الاَّ اياماً امام جيشنا الحالي وقوادنا الابطال الذين لا يعرفون الاَّ النصر او الموت في ساحات القتال

ولهذا كلهِ نظن ان اهل كريت لا يستفزون الدولة الى القتال الاَّ اذا استقلوا وعيل صبرهم على هذه الحال

(٦) العناصر العثمانية — اتحادها وانشقاقها

الترك والعرب ايضاً

لما مررنا بازمير ونحن ذاهبون الى الاستانة سألنا عالماً تركياً من رجال الاتحاد والترقي مسائل كثيرة عن الدستور وانصارهِ ومقاوميهِ وثبات نظامهِ وما يخشى منهُ عليهِ. وكنا نكلمهُ بالعربية المعربة فيجيبنا بمثلها ولكنهُ لا يفهم لغتنا العامية كما لا نفهم نحن اللغة التركية فلما انتهينا من سؤالهِ ما شئنا قال لقد سألتموني عن كل ما عنَّ لكم بكل صراحة وحرية وطلبتم مني ان اجاوبكم بكل صراحة وحرية فاجبتكم كذلك عما سألتموهُ عن العلماء والفقهاء كما اجبتكم عما سألتموهُ عن الاكليروس والرؤساء الروحيين عند العثمانيين غير المسلمين. فأنا اطلب ان اسألكم الآن سؤالاً واحداً بكل صراحة وحرية وارجو ان تجيبوني عنهُ كذلك ولا تؤاخذوني بسؤالهِ كما اني لم اؤاخذكم بشيءٍ سألتموهُ لعلمي انكم طلاب حقائق وانا طالب حقيقة مثلكم

فقلنا سلوا ما بدا لكم فاننا اخوان مخلصون في خدمة الدولة والاوطان. والاخلاص يوجب علينا السؤال والجواب بتمام الحرية

قال أصحيح ان العرب السوريين يكرهون الانتماء الى الدولة العلية ويطلبون الانفصال عنها والالتحاق بمصر وجعل مصر وسورية مملكة عربية مستقلة عن السلطنة العثمانية الدستورية

فلما سمعنا هذا السؤَال تبسمنا وقلنا في نفسنا لو كان الذين يلقون الاقوال على عواهنها يفكرون في عاقبة اقوالهم قبلما يفوهون بها بلا تبصر ولا روية لكان الذين يكثرون من شقشقة اللسان في مصر مثلاً يحترزون في التلفظ باقوال هي بالذات ضرب من المحال وعاقبتها الضرر على كل حال اذ صاحبنا لم يسأَلنا هذا السؤَال الا بعد ما سمع طرفاً مما يهذي بهِ بعض صغار الاحلام في مصر مثلاً

ثم قلنا لهُ انكم طلبتم منا ان نجيبكم بالصراحة والحرية وعليهِ نقول لكم انكم لو سأَلتمونا هذا السؤَال قبل اعلان الدستور لكنا نجيبكم اننا نحن انفسنا نود ذلك ونتمناهُ لانقطاع املنا من الخير والاصلاح في حكم عبد الحميد . اما الآن وقد اعلن الدستور فآراؤُنا واميالنا نحن وغيرنا قد تغيرت كلها تغيراً تاماً دفعة واحدة وليس منا من يسعى في ضم سورية الى مصر او من يفكر في ذلك . فما سأَلتمونا عنهُ غير صحيح والسوريون عموماً على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم يأبون الآن الانفصال عن الدولة العلية والالتحاق بمصر او بغيرها

فلما سمع منا هذا القول بدت عليهِ علامات الارتياح والاطمئنان وقال لنا صريحاً انهُ لا يشك في صحة جوابنا بعد الآن لا هو ولا غيرهُ من اخوانهِ . فادركنا من ذلك الحين انهُ لا بد وان يكون قد علق بنفوس الترك شيءٌ من الريب في العرب السوريين على الاقل

ولما اتينا الاستانة وسمعنا العرب يتباحثون و يتجادلون فيها بمعنى ما اوردنا طرفاً منهُ في مقالتنا السابقة رأَينا من الواجب علينا مفاتحة الترك بذلك والاطلاع على ضمائرهم وجلاء الاذهان من صدإِ الريب ان كان ثم محل لذلك

على اننا طرقنا هذا الباب مراراً فلم نكن نلح على من نسأَلهم علامات الارتياح الى البحث في هذه المسأَلة او كنا نجاب اجوبة لا تشبع او لا تفي بالمطلوب الذي نريد معرفتهُ

وكان مؤَدى الاجوبة بوجه الاجمال انهُ ليس هناك ارتياب في العرب وما يتحدث بهِ الناس خلافاً لذلك غير مطابق للواقع بل هو ناتج عن وهم او عن سوء فهم ونحو ذلك . فجعلنا نقول في نفسنا تارة يمكن ان يكون اخواننا ابناء العرب مخطئين في ظنهم وان يكون الوهم غالباً عليهم وتارةً يمكن ان اخواننا الترك يحسبون محاوبتنا عن هذه الاسئلة بالصراحة والحرية مما يؤْلم عواطفنا فيجتنبون ذلك ملاطفةً ومراعاةً منهم لنا . ونبني ظننا الاخير هذا على ما لحظناهُ من كلام العالم التركي في ازمير تمهيداً لسؤَالهِ عن العرب السوريين

ولكننا لم نقف عن السؤَال عند مثل ذلك الجواب في حديث جرى لنا مع بعضهم بل قلنا لهُ ولكن بلغنا ان ضباط الجيش استدعوا اخوانهم الضباط العرب من دمشق ومكدونية الى

الاستانة وابقوهم فيها وان ضباط العرب مستاؤُون من ذلك لظنهم انهم لم يستدعوا الى الاستانة الاَّ حذراً منهم وارتياباً فيهم مع انهم من اشد الضباط العثمانيين اخلاصاً وغيرةً على الدستور والدولة

فقال اننا لم نفعل ذلك مع الضباط العرب وحدهم بل مع آخرين من الترك وغيرهم فنقلناهم من الاماكن التي كانوا فيها الى الاستانة لاسباب اقتضتها الاحوال العسكرية لا لارتياب ولا لسوء ظن · ومثل هذا النقل والتغيير كثير في الجيش ولكن يظهر ان الضباط العرب شديدو التأثر والانفعال وشديدو الميل ايضاً الى حمل ما يجري في الجيش على التمييز بين التركي والعربي فاذا جرى مثلاً امر يمس التركي والعربي على حد سوى فالتركي يقبلهُ على بساطتهِ اذ لا وجه لهُ ليحملهُ على غير ذلك واما العربي فلكونهِ غير تركي يتبادر الى ذهنهِ انهُ لا بد لذلك الامر من سبب غير السبب البسيط ويحسب ذلك السبب طبعاً التمييز بين العربي والتركي او نحو ذلك

فرأينا حينئذٍ انهُ يحتمل ان يكون كثير مما يقال عن ارتياب الترك في العرب ناتجاً عن الوهم او الخطاء في الفهم وقلنا لمن اجابنا هذا الجواب كنا نود ان يوجه اخوانكم انتباههم الى هذا الامر الجلل ويجتنبوا كل سبب يؤَثر تأثيراً سيئاً في نفوس العرب · فنحن لا نجهل انهُ وان كان القانون الاساسي يوجب الحرية والمساواة والاخاء على العثمانيين كلهم فانتم الترك مميزون الآن بمقتضى طبيعة الحال · ولو ساعدتنا التقادير نحن العرب كما ساعدتكم لسبقناكم الى اعادة الدستور منذ زمان طويل · فالكل يقولون ان مدحت باشا هو ابو الدستور وواضع القانون الاساسي ولكن يجب ان تعلموا اننا نحن السوريين تلامذة مدحت باشا واننا تلقينا الدستور عنهُ رأساً ايام كان والياً على سورية وان قلوبنا اشربت حب الدستور وروحهُ سرت فينا منذ كان مدحت باشا بيننا · وان شباننا الاحرار المستنيري العقول والمتثقفين بالمعارف والعلوم عقدوا للدستور الجمعيات السرية منذ اكثر من ثلاثين سنة · ولو وجدوا عوناً من الجيش كما وجدتم ولو أُيدوا ممن حولهم كما أُيدتم من قومكم لفازوا باعادة الدستور قبلما يبصر اكثركم النور · ولكن الاقدار لم تشأ لهم ما شاءتهُ لكم فتفرق شملهم وقضوا معظم سني عمرهم اما مستترين في الخفاء او مهاجرين وغرباء او مجاهدين ومناضلين في سبيل الحرية العثمانية على قدر الطاقة خارج بلادهم · فحب الدستور نما في قلوب كهولهم وانتقل الى شبانهم واحداثهم · ولكن الله سبحانهُ وتعالى ابقى فخر اعادتهِ لكم · وهم يغبطونكم على ذلك الآن ولكنهم لا يحسدونكم · ولما سمعوا بفوزكم باعلان الدستور ودك صروح الاستبداد سُرّوا وفرحوا وحسبوا فوزكم فوزاً لهم واعجبوا برجالكم واطنبوا في مدح ابطالكم وجاهروا حالاً بانتصارهم لكم وتعلقهم بكم كأنكم من جملة

آحادهم بلا فرق ولا تمييز وحسبوا اعادتكم للدستور منة عظيمة قلدتموهم اياها فهم يشكرونكم عليها طول العمر ولا ينسونها لكم ابد الدهر ولكنهم يحسبون ان معاملتكم لم تكن كمعاملتهم لكم لو اعلن الدستور على يدهم اي ان يكون العثمانيون كلهم اخواناً في الحقوق والواجبات على اختلاف عناصرهم واديانهم . وهذا هو اعتقادهم الوطيد فيكم وهذا ما يطلبونهُ ويتمسكون بهِ ولا يرجعون ابداً عنهُ . على انهم مع محافظتهم على هذا المبدإ الكلي الجوهري بكل قوتهم يراعون مقتضى الحال في اخراجهِ من القوة الى الفعل . ويرون ان الحال تقتضي الآن ما لا بد منهُ في اول الامر بطبيعة الشيء وهو ان تكون الارجحية لكم في تدبير الامور حتى لا يقع ارتباك فيها ولا يتعذر على العثمانيين بلوغ النجاح بمزاحمة بعضهم بعضاً عليها . ولهذا ترونا مع تمسكنا بمبدإ المساواة التامة نظرياً مسلمين بالرجحان الآن لكم فعلياً . ونشبه حالتنا في مملكتنا بحالة البريطانيين في مملكتهم . فالانكليز منهم لا يزال لهم الرجحان فعلاً في امور كثيرة على الاسكتلنديين والارلنديين والولش وان يكن قانونهم يقضي بالمساواة قطعياً . ولكننا ننتظر منكم المراعاة التي ينتظرها سائر البريطانيين من الانكليز . ففي كل امر ترى الانكليزي يراعي اخوانهُ البريطانيين فيقول لا احسب هذه المزية لنفسي حتى احسب ما يقابلها للاسكتلندي والارلندي وابن ويلس . ولا افعل هذا الامر لابنائي الأ بعد ما ابقي محلاً لعتب ابناء اسكتلندا وارلندا وويلس وقس على ذلك . وانتم يجب ان تجعلوا هذه المراعاة دائماً نصب عيونكم وتتذكروا ان اخوانكم العرب وسائر العناصر تتأثر تأثراً عظيماً وتكبر اقل اغفال منكم لهذه المراعاة نظراً الى رجحان كفتكم الآن . واما اذا لم تراعوا هذه المراعاة مع العناصر الاخرى بل اغفلتم ذلك كما كان قومكم يغفلونهُ في العهد السابق فالشقاق يسود على الامة العثمانية عوضاً عن الاتحاد والعاقبة تكون وبالاً على السلطنة

فكان محدثنا يوافق على اقوالنا هذه ويظهر رغبة العنصر التركي الخالصة في مراعاة جميع العناصر العثمانية الاخرى وازالة كل عتب او تأثير من نفوس العرب ويعد بان قومهُ لا يغفلون شيئاً من ذلك وخصوصاً بعد ما يتفرغون قليلاً مما يشغلهم من الشواغل الاخرى الكلية ويتيسر لهم الاهتمام بهذه الامور الحرية بالاهتمام

ومع اننا شعرنا باننا لم نعرف البواطن جلياً في هذه المسألة واننا لم نقف على الاجوبة التي تمكننا من معرفة حقيقتها لكن رأينا هو ان الترك والعرب متحدون وان اتحادهم اتم من اتحاد سائر العناصر العثمانية الاخرى . وان الريب الذي يمكن ان يداخل قوماً من الفريق الواحد والاستياء الذي يشعر بهِ قوم من الفريق الآخر لا يدومان طويلاً اذا تم امران احدهما ان

الترك يراعون حاسات العرب وخواطرهم و يظهرون جلياً انهم يقدرونهم قدرهم في معاملتهم لهم والآخر ان العرب يكاشفون الترك جلياً بما يسوءهم منهم و يعاتبونهم صريحاً على ما لا يرضيهم من افعالهم ويظهرون اخلاصهم الحقيقي لهم ولا يقتصرون على الشكوى بعضهم الى بعض وعدم ابلاغ الترك شكاويهم · ولازم هذين الامرين ان يزداد الفريقان تمازجاً وتعاشراً ويزول التكلف من بينهما على قدر الامكان · وذلك مرجح الوقوع كلما طالت المدة على نواب العرب في مجلس المبعوثان فان هؤلاء النواب الذين هم من خيرة ابناء العرب يصح ان يقال انهم أُخذوا في المجلس هذه السنة على غرة لانهم وان كانوا يعرفون اللغة التركية فاكثرهم لم يعتد الخطابة بها ولا اعتاد الحالة التي اصبح فيها لما اتى الاستانة كما اعتادها ابناء الترك في تلك المدينة وغيرها · فتأتى عن ذلك طبعاً ان الذين ظهروا معظم الظهور في المجلس هذه السنة اكثرهم من ابناء الترك او الذين رضعوا اللغة التركية مع اللبن وعاشوا طول عمرهم مع اهلها · واما نواب العرب فاكثرهم لم يتيسر لهم بعد اظهار فضلهم ومنزلتهم من العلم والعقل ولا تيسر لهم ايضاً ان يطبعوا على نفوس الترك الصورة التي يحبون طبعها عن العرب · ولكن اذا اصاب ظننا فنوابنا الكرام قد الفوا اليوم الحالة التي كانت غريبة عليهم في اول هذا العام وهم يستعدون منذ الآن لاظهار فضل قومهم العرب الكرام في جلسة العام المقبل

فبحسن مساعيهم وبما تقدم من الملاحظات لا نخشى من وقوع شقاق سيء العاقبة بين العرب والترك بل نؤمل انهُ على توالي الايام يقوى اتحادهما حتى يصيرا قدوة لسائر العناصر العثمانية في الاتحاد والوئام

وحبذا لو صح ذلك على الترك والروم وسيأتي عليها الكلام

(٧) العناصر العثمانية — اتحادها وانشقاقها

الروم وشأنهم الخطير

لما كان العثمانيون متفقين رأياً على ان اعظم اسباب تأخرهم وتأخر دولتهم هو تعدد عناصرهم واختلاف اديانهم لم يكد الدستور يعلن بينهم حتى صاروا يبحثون في هل يتيسر للدستور لمُ شعثهم وجمع كلمتهم والتغلب على ما يحول دون ذلك من تعدد عناصرهم واختلاف عقائدهم · او هل يعجز عن التغلب عليهما ويفضي الامر بسببهما الى زيادة التأخر والضعف حتى تتلاشى الجامعة العثمانية ويزول كيان الامة والدولة لا سمح الله · والظاهر ان الرأي الغالب على الباحثين كان ان لا خوف من انفصال العرب عن الدولة

العثمانية مهما ارجف المرجفون · فالدستور يمكن ان يوءلف بين العرب والترك ويجعلهما عضوين حيين متفقين في جسم الامة العثمانية لانهُ مهما اختلف الترك عن العرب لم يزد اختلافهما عن اختلاف اهل بعض الولايات العربية كولاية بيروت مثلاً عن اهل ولايات اخرى عربية كولاية اليمن او احدى ولايات العراق · بل اننا اذا دققنا البحث وجدنا بين المتعلمين والمتهذبين والذين اكثروا من الاسفار ومعاشرة الامم من العرب والترك جامعات كثيرة تجمعهم معاً ولم نجد بينهم وبين المتأخرين من قومهم غير جامعة او جامعتين بحيث يسهل على هوءلاء الترك والعرب الاتحاد والاتفاق اكثر كثيراً مما يسهلان على العرب من اهل الولايات السابقة والمتأخرة وكذلك على الترك السابقين والمتأخرين

ويقال ايضاً بوجه الاجمال ان المسيحيين من ابناء العرب يفضلون الاتحاد مع الترك الدستوريين على الاتحاد مع اهل الولايات العربية التي لا يهمها امر الدستور · ولا يختلف اثنان منهم في ان الاتفاق مع رجال مستنيري الاذهان كالاعضاء الترك في جمعية الاتحاد والترقي مثلاً احب اليهم واسهل عليهم بكثير من الاتفاق مع قبائل البادية او عرب الولايات المتأخرة · وعليهِ يكون كثيرون من العرب اميل الى الاتحاد بالترك منهم الى الاتحاد بعضهم ببعض ولا يكاد يحتمل ان يتحد العرب اتحاداً عاماً ويطلبوا الانفصال عن الدولة الأ اذا اضطروا الى ذلك رغماً عنهم لسبب من الاسباب التي لا يصبر عليها الناس كأن يجور الترك عليهم مثلاً ويحملوهم فوق طاقتهم ويذلوهم ويمتهنوهم ويهضموا حقوقهم التي يمنحهم الدستور اياها فحينئذٍ تجمعهم الشدائد فيتحدون للدفاع عن حياتهم وحريتهم وحقوقهم · ولكن الامل وطيد انهُ لا يقع في عهد الدستور شيء من هذا القبيل

وكان الرأي الغالب ايضاً ان مزايا الدستور تغلب على ميل الارمن الى الاستقلال · لانهُ متى تمتع الارمن بكثير من النعم الدستورية التي كانوا لا يذوقون لذتها في عهد الاستبداد يغلب عليهم الرضى ويضعف فيهم الميل الى الاتحاد القومي على الدولة وطلب الانفصال عنها

على ان نتيجة المذابح الاخيرة لا بد وان تضاد هذا الرأي بعض المضادة لسوء الحظ ولكن سعي الحكومة العثمانية الآن في اجراء العدل واقامة الحق وانصاف المظلوم من الظالم لا بدَّ وان يزيل معظم تأثير هذه المذابح من نفوس الارمن · وحينئذٍ يصح الرأي الذي كان الناس يرونهُ بعد اعلان الدستور ويترجح ان الارمن يكونون عضواً حياً عاملاً في جسم الامة العثمانية ايضاً

على ان رأي معظم الباحثين كان بخلاف ذلك عن الروم · والمراد بالروم اليونان

التابعون للدولة العلية تمييزاً لهم عن المستقلين المعروفين باليونان · فهؤلاء الروم او الاروام تختلف حالهم عن احوال سواهم من العناصر العثمانية في كونهم من جنس واحد هم واليونان المستقلون اذ ليس بين العناصر العثمانية عنصر غيرهم لهُ من قومهِ شقيق مستقل ومملكة قائمة برأسها

ومما هو مشهور عن الروم واليونان ان الجامعة القومية شديدة فيهم جدًّا واميالهم الوطنية على غاية القوة وحب الاستقلال فيهم لا يقل عن حب الاستقلال في نفس كل امة مستقلة حية · فلذلك ولاختلاف حال الاروام عن احوال سواهم من العناصر العثمانية كما تقدم كان الرأي الغالب من بادىء الامر انهم سيكونون حائلاً هائلاً وسدًّا محكماً في سبيل اتحاد العناصر العثمانية لكي لا يتكون منها في عالم الاجتماع جسم واحد هو الامة العثمانية منفصل ومستقل عن كل امة أُخرى وخاضع لراية واحدة ولنظام دستوري واحد

وزد على ما تقدم ان ضعف الدولة وانحلال ربط الامة في عهد عبدالحميد خصوصاً قوَّى اعتقاد الناس بقرب مصير الدولة الى الزوال وزين لبعض العناصر اموراً لم تكن تحلم بها لولا ذلك · فلا عجب اذا عاشت في الروم الآمال بعد ما طوتها الايام وفكر قوم منهم في استرجاع بلاد آبائهم واجدادهم واملوا ان يكون ذلك نصيبهم من تركة « الرجل العليل » بعد اقتسامها وان يظفروا بالاستقلال والانضمام الى اخوانهم واعادة مجد مملكة اليونان · كل ذلك طبيعي والنفس ميالة اليهِ وما من عنصر الاَّ ويقع فيهِ اذا حلَّ محل الاروام وجُرِب تجربتهم

ومما يسوءُنا ذكرهُ ان رأي الباحثين تحقق ومن قلة التوفيق ان الخلاف وقع بين الترك والروم قبل ان نتخلص من محنة الترك والارمن ولا حاجة بنا الى تفصيل ما وقع بينهم وشرح اسباب ذلك الخلاف والنزاع فقد اطلع القراء عليها كلها بالاسهاب في المقطم · وانما نقول اننا لما وصلنا الى الاستانة وجدنا الخواطر مضطربة فيها بسبب هذ الخلاف اضطراباً شديداً انسى اهلها ما سواهُ من المشاغل والمشاكل وان المجادلات الشديدة التي كانت تجري حينئذٍ على بعض المسائل في مجلس المبعوثان كمسائل التعليم والجمعيات ونحوها كان الترك يحسبون ان الاروام هم الذين يضرمون نارها ويحمون اوارها وانهُ لولاهم لما عارض المعارضون تلك المعارضة فيها

وقد حادثنا رجالاً مختلفين من الترك في امر هذا الخلاف فكنا نرى منهم تألماً شديداً منهُ وتململاً وتذمراً من اضطرارهم الى الصبر عليهِ · لان الاعتقاد الغالب عليهم هو ان الروم يفعلون ما يفعلون تحككاً وتحرشاً بهم وتعمداً لتكدير صفوهم والقاء المشاكل في سبيلهم لكي

لا ينجحوا في اصلاح الاحوال وتدبير الامور علماً منهم انهُ اذا جرى الاصلاح وتحسنت امور الدولة خابت آمالهم من الحصول على التركة واسترجاع ميراث آبائهم واجدادهم فهم يخلقون المشاكل عمداً و يقصدون توسيع الخرق قصداً

ومما زاد الطين بلة حدوث مسألة كريت في هذه الآونة ووقوف الاروام في موقف حرج جداً بسببها لانهم اذا اظهروا ميلهم الى الكريتيين واليونان اسخطوا العثمانيين واذا اظهروا ميلهم الى العثمانيين اسخطوا اخوانهم في الجنس واغضبوا الذين يميلون اليهم بالطبع. فلتعدد المشاكل من جهة ولحدوث المسألة الكريتية من جهة اخرى اشتد الجفاء جداً بين الروم والترك في الاستانة خصوصاً . ولما كان الروم عثمانيين مثلنا وكانوا بحسب نص القانون الاساسي اخواننا ومنا وفينا يجب لهم وعليهم ما يجب لنا وعلينا فكل عثماني عاقل يود تدارك هذا الخلاف بما يزيلهُ ومعالجة هذه الحالة المعتلة بحسن السياسة والحكمة . اذ العلاج الوحيد الذي يجب ان يلجأ العثمانيون اليهِ وان يتسابق عقلاؤُهم في مضمارهِ هو الحكمة وحسن السياسة للتأليف بين القلوب المتنافرة والتوفيق بين المتخالفين . واما ما سواهُ مثل قيام قوم على قوم وذبحهم بعضهم بعضاً واحراق منازل بعضهم البعض فمن الوسائط الفظيعة التي كان الناس يلجأُون اليها في عهد الجهل والتوحش والخشونة ويعاب عليهم الاعتماد على اقل شيء منها في عهد العلم والتمدن والحرية

ولهذا قلنا يوماً لبعض النابغين من شبان الاتحاد والترقي لماذا لا تجتنب الحكومة ومجلس المبعوثان الآن كل مسألة لها تعلق بالاختلافات الجنسية والدينية ولماذا لا يقتصر بحثهما على المسائل العمومية التي هي اولى بالنظر والاهتمام اليوم فانهما لو فعلا ذلك لقضيا مصالح الامة واغنياها عن هذه المشاكل القومية والمذهبية

فقال واي المسائل العمومية تعنون . قلنا اننا نعني مسائل الادارة والقضاء والمالية فالبلاد العثمانية كلها بلا استثناء محتاجة الى اصلاح هذه الامور اشد الاحتياج اذ ادارة الولايات مختلة معتلة ولم تكد تختلف في عهد الدستور عما كانت عليهِ في عهد الاستبداد بل لا تزال شكوى الناس مالئة الآفاق ولولا الاحكام العرفية التي وضعت على بعض الولايات فارهبت اهالي الولايات الاخرى ولولا بعض المأمورين الاكفاء المتصفين بالحزم والشدة في حفظ الامن العام لكان اهل الولايات الآن فوضى يسودهم طغامهم ولا امان لهم على ارواحهم واعراضهم واموالهم . ثم ان المحاكم العثمانية لا تزال اسماً بلا مسمى والقضاء شبح بلا روح والعدل لا عين لهُ ولا اثر والاعشار آفة على الفلاح والضرائب تثقل كاهل الاهالي والخزينة

العثمانية في احتياج لا يوصف الى المال · ولو سألت العثمانيين كلهم لاجابوك على اختلاف مللهم ونحلهم ان حاجتنا الكبرى هي الى اصلاح هذه الامور الكبرى واننا نطلب تقديم النظر فيها على النظر في كل ما سواها فلماذا لا نصرف همنا الآن الى اصلاح هذه الامور التي تتفق العناصر كلها فيها . ثم اننا متى اصلحناها وتبين نجاحنا فيها قويت حجتنا عند الجمهور في اصلاح ما سواها وسهل علينا ان نستميلهم الى رأينا وان نحبط مساعي الذين يقصدون معاندتنا ومشاكستنا لافساد عملنا وقضاء مآربهم

فقال ان هذا ما نحن جارون فيهِ الآن وشرح لنا بعض المشروعات التي تضعها الحكومة العثمانية الآن لاصلاح الادارة والقضاء والمالية (وربما ذكرناها في مكان آخر)

ثم قال اننا نحن لا نريد التعرض للمسائل التي تلقي الاختلافات الجنسية والمذهبية بل نسعى جهدنا في اجتنابها ولكن الاروام هم الذين يفتحونها و يضطروننا الى مناقشتهم فيها رغماً عنا كمسألة التعليم مثلاً فان المشروع الذي عرض على مجلس المبعوثان كان مما يتعلق بامر التعليم والمدارس في الحال بلا نظر الى ما يكون في الاستقبال فابى الاروام ومبعوثانهم الاَّ توسيع نطاق البحث في المسألة واكراهنا على البت في امر التعليم والمدارس في المستقبل كالبت بها في الحال · وهكذا شأنهم معنا في سائر الامور فانهم يقصدون معاندتنا واعناتنا

ولما اطال الشكوى من هذا القبيل واكثر من التألم من معاندة الاروام ونسبها الى دسائس اليونان قلنا وما الذي تقصدون ان تفعلوهُ لاصلاح هذه الحال وما هو الرأي عندكم في حل هذه العقدة · فقال الرأي عندنا ان نقابلها بمزيد الصبر وسعة الصدر ونترككم وشأنهم ولا نقابلهم الاَّ بالطرق الدستورية والوسائط القانونية حتى يكلُّوا و يفرغ جهدهم و يكفوا عن معاندة لا تنفعهم ولا تضرنا لاننا واثقون بقوتنا فلا نخشى بأسهم اذا ارادوا ان يخرجوا مساعيهم من القوة الى الفعل ليضروا بنا وفي ما سوى ذلك فما دام الامر كلهُ كلاماً في كلام فاننا نقابلهم ايضاً بالكلام حتى يعودوا الى طلب الاتفاق والوئام

فلما رأينا هذا الاطمئنان التام من محدثنا وفهمنا ما ينوي بهِ الترك ومن معهم من العثمانيين من جهة الاروام احببنا ان نقف على آراء الروم ايضاً فقصدنا الفنار حيث تفضل غبطة البطريرك المسكوني بحديث طويل معنا نلخصهُ في مقالة تالية

(٨) الروم وغبطة بطريرك الفنار

مقبرة ايوب اشهر مقبرة في الاستانة تضم رفات عدد عديد من اولاد السلاطين وعظام

الوزراء وقواد الجيوش العثمانية واكابر رجال الدولة وشيوخ الاسلام والذين كان لهم الصول والطول في زمانهم من الخصيان وفيها القبور المزخرفة والترب الفاخرة · قصدناها صبيحة يوم مع حضرة الفاضل الافوكاتو خليل بولاد فاكبرنا ما فيها من المدافن والقبور وودنا لو تيسر لنا قضاء الوقت الكافي في تفقد اضرحتها وقراءة ما كتب عليها لان الانسان يستخلص منها تاريخاً نفيساً عظيم القيمة حاوياً اكثر الذين نبغوا من رجال الدولة · وحبذا لو قام من ادباء الاستانة من يفعل ذلك قبل ان تذهب عوامل الاهمال والاغفال البادية آثارها على تلك المدافن والقبور بكثير مما قد نقش على تلك الاضرحة من الاسماء والالقاب والتواريخ

وسرنا اليها في طريق ضيقة تعاف النفس المسير فيها ويقلق راكب المركبة من كثرة الطقطقة في مسيره على بلاطها · وبينما نحن نلوم الدليل لانهُ سار بنا في هذه الطريق ولم يوافقنا على المسير في قرن الذهب كما كان مرادنا كان من جملة ما اعتذر بهِ الينا اننا قربنا من بطريركية الفنار وهي مكان تاريخي شهير يقصد السياح رؤيتهُ من الاقطار · فقبلنا عذرهُ حينئذٍ وقلنا سر بنا اذاً الى بطريركية الفنار حتى اذا دنونا منها زالت الصورة العظيمة الفخيمة التي كانت مرسومة لبطريركية الفنار في الخيال وارتسمت على ذهننا صورة بيت كبير ليس فيهِ شيء من آثار الهندسة او النقش والنحت او الزينة والزخرفة وانما عظمتهُ ومهابتهُ قائمتان بكونهِ بناء قديماً ومعهداً عظيماً بل اعظم معهد نصراني في الشرق كلهِ · فشعرنا حين رؤيتهِ بمثل ما شعرنا حين رأينا الباب العالي ودخلنا منهُ الى الدواوين التي في ساحتهِ او كما شعرنا حين دخلنا مدينة اكسفورد ونظرنا مدارسها وكنائسها لاول مرة ورأينا ان قدميتها هي سرّ عظمة مبانيها ومهابتها

ثم سألنا عن غبطة بطريرك الفنار واعربنا عن رغبتنا في التشرف بمقابلتهِ فقيل لنا انهُ يقضي الصيف في مكان على البسفور وضُرب لنا ميعاد يقابلنا فيهِ اذا اتينا الفنار فشكرنا وانصرفنا

وفي يوم الخميس (٢٩ يوليو) خرجنا من مشيخة الاسلام الجليلة حيث تشرفنا بمقابلة سماحتلو شيخ الاسلام ومحادثتهِ وقصدنا الفنار فاصعدونا حالاً الى قاعة قد جلس غبطة بطريرك الفنار في صدرها وعلقت على جدرانها صور من تقدمهُ من البطاركة فاحسن غبطتهُ ملقانا · ولما وجد اننا لا نتكلم بالتركية ولا باليونانية اجلس ترجمانهُ يترجم بيننا لان غبطتهُ يفهم الفرنسوية ولكنهُ لا يحسن التكلم بها فشرحنا لهُ غرضنا من تلك المقابلة ولم نخف عن غبطتهِ ان المقطم فتح ابوابهُ لشكوى اخوانهِ من المنتمين الى طائفة الروم الارثوذكس في القدس الشريف وفلسطين وانهُ انتصر لهم ايضاً انتصاراً عظيماً وايدهم تأييداً شديداً لاعتقادهِ انهم مظلومون وان الواجب عليهِ اغاثتهم لدفع الظلم عنهم

فلما علم غرضنا (وظهر لنا انهُ لم يكن يجهل امر المقطم قبل تشرفنا بمقابلتهِ) شدد عزائمنا في القيام بخدمتنا حسبما نقضي بهِ ذمتنا وحسبما يقتضيهِ شرف الصحافة صناعتنا . وكل ذلك بعبارات منتقاة ومعانٍ سامية كان لها احسن وقع في نفسنا . ثم تنفس الصعداء وقال اننا نتَّهم في هذه الايام بمقاومة الدستور وعداوتهِ ولا ادري بأي وجه حق تجوز علينا هذه التهمة لاننا في الاصل من امة قد غرس حب الدستور في طبيعتها فصار يجري في دمائها و يتوارثهُ الابناء عن الآباء بالفطرة وزد على ذلك اننا ابناء كنيسة قد اشتهرت على مر الايام والاعوام بانها دستورية النظام وليس دستورية فقط بل دستورية ديمقراطية ايضاً . فكيف يمكن ان نكره الدستور او ان نعاديهُ حتى نتهم باننا اعداؤُهُ والمقاومون لهُ . ألا إن الذين يتهموننا بمقاومة الدستور وبالانتصار للاستبداد ويتباهون بانهم اعوان الدستور وحماتهُ هم في الواقع ابعد الناس عن جادة الدستور واقلهم عملاً بمقتضاهُ واشدهم استبداداً . لانهم يريدون ان نقول في كل شيء قولهم وان نرى رأيهم وان لا نجري الأ على هواهم ومرادهم . واذا تمنعنا عن ذلك او ابيناهُ لم يحاولوا ان يقنعونا بهِ بالبرهان والدليل او ان يحملونا على قبولهِ باظهار وجوه الفضل والصواب فيهِ بل قاموا يتوعدوننا و يتهددوننا و يجبروننا على مجاراتهم في آرائهم واهوائهم والجري على مشيئتهم ورغبتهم بالضرب والقتل والسجن والتعذيب واقبح وسائط لاستبداد . فلا ادري كيف يحسبون بعد هذا انهم انصار الدستور ويدعون اننا اعوان الاستبداد

لا احد ينكر انهُ يحق لكل حكومة ان تحافظ على كيانها وتدافع عن نفسها وتقمع كل فتنة او ثورة عليها ولم اكن قطُّ لاعترض انا او غيري على سعي الحكومة العثمانية في قمع كل ثورة تبدو من الاروام واحباط سعي كل من يكيد منهم لها او يتآمر عليها . وانما اقول انهُ يجب اولاً اثبات حصول الثورة او وقوع المكيدة والمؤَامرة . وبعبارة أُخرى انهُ اذا شاع حدوث ثورة او مكيدة يجب قبل كل شيء التحقيق الدقيق لمعرفة ما اذا كان حدوث الثورة او المؤَامرة صحيحاً او غير صحيح واذا كان صحيحاً فلمعرفة الداخلين فيها من المتهمين ومحاكمتهم ومعاقبتهم حسب نص القوانين ولمعرفة الذين لا دخل لهم فيها من المتهمين وتبرئتهم وعدم معاقبتهم

هذا الذي نطلبهُ من الحكومة العثمانية باعتبار كونها دستورية ذات نظامات ومحاكم وقوانين وهو واجب على كل حكومة دستورية واذا حادت عنهُ ولم تراعهِ لم يجز لها ان تدعي انها دستورية

فالذي حصل فعلاً في امر الذين اتهموا بالثورات او المؤامرات من الاروام العثمانيين لم يكن كذلك بل رأينا العساكر ترسل عليهم بمجرد شيوع خبر التهمة وتعمل سلاحها فيهم وتدير ايديها بالسلب والنهب في منازلهم وتستحلُّ ما لا يحلّ وتستبيح ما لا يباح في معاملاتهم قبل ان يجري تحقيق او تثبت تهمة او يعرف المذنب من البريء . فهذه الافعال ليست افعالاً دستورية بل هي افعال قلت لذوي الشان عنها انها وحشية بربرية لان كل ما تفعلهُ الحكومة الى حد التحقيق جائز لها ولا يجوز لاحد انكارهُ عليها · واما في ما وراء ذلك فلا يجوز لها ان تخطو خطوة ولا تفوه بحكم ولا تمد يداً الى احد الاَّ بعد التحقيق ومعرفة البريء من الاثيم

واطال غبطتهُ بهذا المعنى · فقلنا وأي الروم تعنون غبطتكم أروم ايفالي في ولاية ايدين قال اني اعني هؤلاء وغيرهم في كل البلاد فان الاخبار التي تأتينا من كل جهة تدل على ان الناس يعاملون هذه المعاملة فيها . ثم امر الترجمان ان يعطينا صورة من الشكاوي والتقارير المرفوعة الى بطريركية الفنار · وقد تصفحناها فاذا هي حاوية اخبار ما اصاب الاروام من ضرب العساكر لهم وسجنهم وتهديد الرعاع بقتلهم ونهب منازلهم في ايفالي وما جاورها وكذلك اخبار الذين حكم عليهم ديوان الحرب بالسجن والعقاب لامور لا تعد جرائم ولا يعاقب الناس عليها في بلاد دستورية

وورد في تقرير منها ان عزيز بك القومندان العسكري الذي اتى ايفالي في ٦ يونيو الماضي قال لمطرانها انكم انتم ايها المطارنة ورجال الاكليروس عموماً تطمعون بالجامعة اليونانية وتعللون النفس بها وتحرضون الاهالي عليها بتعليمكم لهم مع ان الواجب عليكم هو ان تقتصروا على اتمام واجباتكم الدينية وان تزيلوا الحاجز الذي تقيمونهُ بيننا وبينكم فضعوا عقولكم في رؤوسكم واعلموا اننا اعدمنا خمس مئة نفس من الصفتاء المتعصبين مثلكم في الاستانة فاحترز لنفسك مني · وكرر الوعيد ست مرات فتنصل المطران مما يتهم بهِ واحتج على ذلك الكلام · لكن عزيز بك لم يحفل بكلامهِ وقال انكم تظنون ان اوربا تدخل في مسألتكم وانكم تخرجون فائزين · نعم اننا نخسر ولكننا لا نترك لكم قبل ذلك اثراً ينظر · فارجعوا عن تعصبكم وكفوا عن بث البغض في صدور بني جنسكم للعناصر الاخرى والاَّ فعلت كيت وكيت مما لا فائدة من ذكرهِ ولا غرض في ايرادهِ وانما ذكرنا ما تقدم ليعلم القارىء مقدار التأثير الذي تؤثرهُ تلك الشكاوي في من ترفع اليهِ

وقال غبطتهُ ايضاً حدثت مسألة كريت هذه الايام وما منا من يقول انهُ يجب علينا ان

نرضى بفصل جزءٍ من املاك السلطنة عنها والحاقهِ بغيرها ولا يهون ذلك على احد من العثمانيين لكننا لزمنا السكوت في هذه المسألة علماً منا ان امرها قد خرج من ايدينا وبات في ايدي الدول من زمان طويل وانهُ لا يجري فيها غير ما يقر عليهِ قرار الدول مهما اكثرنا من القول والوعيد والابراق الارعاد . واما رجال الاتحاد والترقي فلم يشاؤُوا ان يفعلوا فعلنا بل قالوا واعترضوا كثيراً واحتجوا طويلاً . وماذا كانت النتيجة من ذلك كلهِ أغُيّر قرار الدول ام رد الى الدولة شيئاً كان قد تقرر اخذهُ منها وفصلهُ عنها . فلا فائدة اذاً من صياحهم كما انهُ لا ضرر من سكوتنا ولكنهم لا يقفون عند هذا الحد بل يتخذون سكوتنا دليلاً على اننا نكرهُ الدولة ونبغض الدستور ونطلب ان تؤْخذ املاك الدولة العثمانية منها وتعطى لغيرها . وليس في هذا الاستدلال وجه حق ولا انصاف

اننا لا نكره الاتفاق ولا نقاوم الدستور . ولكن رجال الاتحاد والترقي يرمون الى غرض لا يمكننا ان نوافقهم عليهِ ولن نرضى ان نجاريهم فيهِ . فهم يقصدون ان يغلّبوا قوميتهم على قوميتنا وان يبتلع العنصر التركي سائر العناصر العثمانية حتى لا تكون الامة العثمانية مؤلفة من عناصر مختلفة ومتحدة معاً في جسم واحد لها حقوق واحدة وعليها واجبات واحدة بل تكون الامة العثمانية كلها امة تركية يبتلع العنصر التركي سائر العناصر ويهضمها حتى تصير منهُ ولا يبقى لها وجود الاَّ فيهِ . فلهذا يريدون ان يغلبوا لغتهم على لغاتنا حتى لا يبقى شان لسوى لغتهم وان يغلبوا كل شيء خاص بهم على ما لسواهم حتى لا يبقى في السلطنة العثمانية غير الامة التركية . ونحن الروم قد حافظنا على جنسيتنا ولغتنا وعاداتنا وخصائصنا وديانتنا كل هذه القرون ولن نوافق الترك كل دهرنا على ان نضيع ما حافظنا عليهِ وان نصير منهم وان لا يبقى لنا كيان ولا وجود الاَّ فيهم

فقلنا حينئذٍ لسنا نظن يا سيدنا ان رجال الاتحاد والترقي يرتكبون هذا الخطاء بل لا بد ان يكونوا ادرى من غيرهم بان ما لم يفعلهُ الترك في اول حكمهم لا يمكنهم فعلهُ الآن بعد ان قوي امر العناصر كل هذا الزمان على اننا لو فرضنا انهم ارتكبوا ذلك الخطاء وقصدوا تغليب قوميتهم على قومية سواهم الآن نعدم نجاحهم مؤكد ولا خوف منهم من هذا القبيل لاننا اذا انعمنا النظر في طبائع العنصر التركي وخصائصهِ والقوى التي امتاز بها نجد انهُ لا يستطيع ذلك التغلب على العناصر الاخرى وابتلاعها وجعلها كلها منهُ وفيهِ ولاسيما في هذا العصر الذي انتشر فيهِ العلم بين افراد كل عنصر

فلم يوافقنا غبطتهُ على قولنا هذا وقال ان هذا ما يقصدونهُ وانهم يستطيعون تغليب قوميتهم

على قومية سواهم اذا تركوا وشأنهم . وان هذا ما حدا بهم الى ترك المسائل الكبرى العمومية واصلاح ما تفتقر البلاد كلها الى اصلاحهِ وفتح المسائل الطائفية التي يقصدون بها سلبنا امتيازاتنا التي نتمتع بها منذ اول حكمهم والتعرض لنا في مدارسنا وتعليم ابنائنا . فقلنا ولكنهم هم يشكون من ان فتح هذه المسائل الطائفية كان من قبلكم ويتألمون لانهم يحسبون انكم تقصدون بها معارضتهم لكي تمنعوهم من الاصلاح وتسدوا امامهم سبل النجاح

فقال غبطتهُ اي مصلحة لنا نحن في جر البلية على انفسنا وكيف يعقل اننا نتحرش بهم لكي يتعرضوا لنا في مدارسنا وشؤوننا وينازعونا في امتيازاتنا . انما هم قصدوا ذلك وهم ساعون فيهِ وفي فصل قومنا عن كنيستهم وفي ابعاد قومنا عن بطريركهم ولكن هذا امر لا يتم لهم في عام وعامين بل لا بد لهُ من زمان طويل

فقلنا وما الذي تقصدون غبطتكم اذاً ان تفعلوهُ والحالة هذه . قال ان نحافظ على الحال الحاضرة بكل واسطة شرعية دستورية نستطيعها وان نقاوم بمثل تلك الوسائط كل سعي في ابتلاع عنصرنا وتلاشي قوميتنا

فقلنا وهل تظنون انكم تنجحون في سعيكم ومن يؤيدكم فيهِ

قال ان املنا وطيد بالنجاح ويؤيدنا فيهِ كثيرون من رجال الدولة العلية نفسها

فقلنا أمن رجال تركيا العجوز ام من رجال تركيا الفتاة . قال من الفريقين ثم انتقلنا الى بحث آخر

ولما انصرفنا جعلنا نقلب في نفسنا اقوالهُ والاقوال التي سمعناها من بعض رجال تركيا الفتاة فرأينا ان كل فريق يتهم الآخر بانهُ هو الذي يسعى في فتح المسائل الطائفية التي تؤدي الى الشقاق والخلاف الآن وان كل فريق يقول انهُ يسعى في دفع تعدي الفريق الآخر بالوسائط الشرعية والطرق الدستورية . فقلنا أليس ذلك دليلاً على ان الوهم والخطأ في الفهم هما اللذان وسعا شقة الخلاف بين الفريقين . وهل كان هذا الخلاف يدوم ويتعاظم لو قام محبو الصلح والسلام ووفقوا بينهما وجمعوا القلوب بربط المحبة والصفاء

لما اعلن الدستور ذهب العثمانيون الى بطريركية الفنار وقبلوا يد غبطة البطريرك وقالوا لهُ اقوالاً ادت الى تقبيلهِ لهم في جباههم وقولهِ لهم اقوالاً ما سمع العثمانيون الذ واطيب منها طول زمانهم ونسي الفريقان احقادهم . فلو دامت ربط الاخلاص هذه بدوام الانتباه وحسن السياسة أفما كانت تقينا شر هذه الاختلافات والعداوات وتوطد الدستور على اركان السلام والوئام

هذا ولا يخفى عن القراء الكرام ان ما رأيناه من تعاظم الجفاء واتساع شقة الخلاف بين الفريقين واعتماد كل منهما على الوقوف بالمرصاد للفريق الآخر ساءنا كثيراً ودلنا على ان الاصلاح الذي يتمناه العثمانيون سيكون سبيله شاقًا جدًّا وزمانه طويلاً

(٩) الالبانيون والاسرائيليون

يقدر عدد السكان في تركيا اوربا اي في ولايات الاستانة وادرنة وسلانيك وموناستر وقوصوه واشقودره (بالبانيا) ويانيا ومتصرفية شالجه بنحو ستة ملايين وربع مليون نفس . ويقول الذين يوثق بقولهم ان ٧٠ في المئة من اولئك السكان ترك وروم والبان (ارنؤد) وان هذه العناصر الثلثة متساوية في العدد هناك وعليهِ يكون عدد الالبان قريبًا من مليون ونصف كعدد الترك او عدد اليونان في ولايات اوربا . والذي يعلم ما اتصف بهِ العنصر الالباني من الشجاعة والاقدام يقدره قدره من العناصر المؤلفة للامة العثمانية لاسيما وان هذا العنصر وان يكن قديم عهد بين العناصر العثمانية لا يزال في عهد السذاجة الفطرية ولم يبلغ من النشوء والارتقاء شأواً يذكر في قواه العقلية والادبية

وقد سمعنا بعض الباحثين يقولون ان هذا العنصر لا بد وان يرتقي ارتقاء عظيمًا في كل جهة تتجه اليها قواه وهم ينتظرون ان يكون له شأن خطير بين العناصر العثمانية وغيرها من الامم المجاورة

ومن غريب ما أُخبرنا عنهُ ونحن في الاستانة انهُ وان كان تعدد الاديان والمذاهب قد تطرق اليهِ كما تطرق الى سواه فاصبح فيهِ المسلمون والمسيحيون واصبح المسيحيون ارثوذكسًا وكاثوليكاً لكن الاختلاف في الاديان والمذاهب لم يفرق بين طوائفهِ قدر ما فرق بين طوائف العناصر الاخرى بل ان صلة القربى وجامعة النسب لا تزالان غالبتين عندهم على جامعة الدين ولاسيما في الجهات الوسطى والشمالية من بلادهم . فترى المسلم يقول هذا ابن عمي ولو كان ابن عمهِ مسيحيًا والمسيحي يقول كذلك . وترى المسيحي يتزوج بالمسلمة كما يتزوج المسلم بالمسيحية . وهذا مخالف لما كنا نقرأُهُ عنهم في تاريخهم فقد ورد في التاريخ ان الارنؤط كانوا كلهم مسيحيين وظلوا كذلك حتى مات آخر بطل من رؤسائهم واسمهُ اسكندر بك سنة ١٤٦٧ وبعد ذلك اخضعهم الترك واسلم كثيرون منهم وقام هؤلاء المسلمون على الذين لم يسلموا من عشائرهم وعاملوهم بالشدة والقسوة وفتكوا بهم بلا شفقة وتأصلت العداوات بينهم من ذلك الحين

ولكن يظهر ان معاهدة برلين لمت شعثهم وجمعت بين المسلمين والمسيحيين (المردة) في الشمال ثم بينهم وبين سائر الارنؤوط في الثورات المتعددة التي ثاروها لمنع اهل الجبل الاسود واليونان من اخذ ما تقرر في معاهدة برلين ان يأخذوا من بلاد الالبان

والظاهر ان اكثر ما كان من الاختلاف بينهم بسبب اختلاف رؤساء عشائرهم زال الآن وانهم وجهوا عنايتهم الى الاتحاد والالتئام في عهد الدستور . ولكن لم يتيسر لنا ونحن في الاستانة ان نقابل منهم من يكشف لنا حقيقة الحال عندهم ويوضح آراءهم او اميالهم من جهة النهضة الدستورية الحالية . وانما لحظنا من خلال الاقوال التي كنا نسمعها ان لجماعات من الالبانيين كلمة نافذة في ما يجري الآن في الدولة . وان لهم في جمعية الاتحاد والترقي مراعاة واعتباراً . وانهُ بعد ما اخمد جاويد باشا الثورة التي ابتدأت في اماكن من بلادهم يؤمل ان يخلدوا الى السكون وان يستمالوا بحسن السياسة وكف الظلم عنهم الى مجاراة سائر العناصر العثمانية في الاصلاح والارتقاء . ولكن الذين يناط بهم اصلاح الامور لا يمكنهم ان يغمضوا الاجفان عن مراقبة احوالهم واميالهم لان مثلهم على ما يظهر مثل الواقف على المحور فيمكن ان يميل الى الدولة اذا مال المحور الى تلك الجهة كما يمكن ان يميل عنها اذا مال الى الجهة الاخرى . وهذا ما يقتضي ان يحسب حسابهُ في الحل والعقد والنقض والابرام حتى يكون كل ذلك بمقدار ولا يخرج الارنؤوط عن حد الرضى والاتفاق

بقي علينا ذكر عنصر آخر من العناصر العثمانية التي لابدَّ من ان يحسب لهُ شأن في النهضة الدستورية وهو العنصر الاسرائيلي ويقدر ان عددهُ يبلغ نحو نصف مليون نفس في تركيا اوربا وتركيا اسيا . لكن يهود الاستانة فاقوا سواهم يوم الاحتفال بعيد الدستور بموكبهم ومظاهر سرورهم بالدستور وقد اخبرنا انهُ لما زحف جيش الحرية على الاستانة للدفاع عن الدستور كان بين المتطوعين من اهل مكدونية عددٌ غير قليل من الاسرائيليين فقاتلوا هم واخوانهم المتطوعون المسيحيون قتال الابطال في الدفاع عن الدستور كما شهد لهم بهِ اخوانهم المتطوعين المسلمين وقد كان بين المندوبين لابلاغ عبدالحميد خبر خلعهِ اسرائيلي من اعضاء مجلس المبعوثان . ويقال ان للاسرائيليين كلمة في جمعية الاتحاد والترقي بسلانيك وان جماعة اسرائيليي الاصل يسمون بالدغه يدهم اهم تجارة سلانيك وانهُ قام من هؤلاء الدغة اشهر الماليين العثمانيين في عهد الدستور

ومهما يكن من هذه الاقوال فالظاهر ان رجال الدولة الحالية يثقون بصدق ولاء الاسرائيليين العثمانيين للدستور وانهُ سيكون للاسرائيليين شأن في عهد الدستور غير الشأن

الذي كان لهم في ايام الظلم والاستبداد . ولذلك لا يبعد ان تكثر مهاجرة اخوانهم الغرباء الى البلاد العثمانية واستعمارهم الاراضي البائرة الآن كقفار العراق وغيرها من الجهات التي ليست آهلة بالسكان

فالبيان الذي ذكر في هذه المقالة والمقالات السابقة اولاً عن رجال تركيا الفتاة ورجال تركيا العجوز وثانياً عن العناصر العثمانية وآرائها واحوالها واميالها يجلو للقارىء بعض ما يعترض في سبيل الاصلاح . وبعض ما يساعد ايضاً على النجاح . وكان الواجب لاستيفاء الكلام على العناصر العثمانية ان نذكر الدروز والاكراد ايضاً . ولكن الدروز يتمشى عليهم اجمالاً ما قلناهُ عن العرب لانهم يعدُّون منهم في ما نحن بصددهِ وكذلك الكرد يمكن ان يعدوا في عداد الترك او العرب حسب موقع بلادهم . وسنبدي رأينا الخصوصي في الحالة في مقالة تالية ثم نختم مقالاتنا عن زيارة الاستانة بنظرة عمومية في الاستانة واهلها وضواحيها والله المستعان

العنكبوت

حقيقة في فكاهة

دخلتُ غابة باسقة الاشجار ملتفة الانجم يجري فيها نهر متعرج . فلما وصلت اليهِ شاهدت على احدى ضفتيهِ عنكبوتاً سمراء اللون جالسة على حجر تنظف وجهها بيديها كما يفعل الذباب وهي نحيفة خائرة القوى . فرأيت ان افضل ما افتتح بهِ الحديث معها السؤَال عن صحتها فقلت لها اراكِ منحرفة المزاج فما يؤْلمكِ

فقالت اني مريضة وخائفة وقلقة

فقلت ما الخبر ولم يخطر ببالي قط ان عنكبوتاً مثلكِ تمرض وتخاف وقد خصصتِ بقوة لم يخص بها سواكِ

فقالت وهذه احدى البليتين فان الناس يظنون الظنون ويستنتجون النتائج من مقدمات فاسدة لا تنتج شيئاً ومع ذلك فاني اظن ان قصتي تفتح عينيك فترى الامور على حقيقتها . أتعلم اننا نحن معشر العناكب من اكثر المخلوقات اجتهاداً واوسعهم حيلةً فنحن اول من طار في الهواء بغير جناح . نعم ان الخفافيش تطير ولا جناح لها ولكن بين قوائمها وظهرها اغشية

رقيقة كالاجنحة ومثلها السناجيب الطيارة اما نحن العناكب فليس لنا اجنحة ولا اغشية ومع ذلك تمكنّا من ركوب الهواء ولم يشاركنا في ذلك الا الانسان لكننا سبقناهُ بقرون كثيرة · قل لي متى استطاع قومك الطيران

نقلت سنة ١٧٠٩

فقالت هكذا ظننت اما نحن فقد ركبنا الهواء قبل عصر العمران واليك شرح قصتي — حدث منذ سنتين ان امي كانت جالسة في قعر بيتها فاتاها الطلق وجعلت تبيض بيضها واحدة بعد الاخرى وظلت تبيض الى ان بلغ عدد ما باضتهُ ذلك اليوم ثلثمئة بيضة وخافت ان تتفرق البيوض فلا يعود لها سبيل اليها فجعلت تغزل الخيوط من مغازلها وهي ست انابيب في ذنبها تفرز الخيوط الحريرية الدقيقة التي تسمونها نسيج العنكبوت وتضربون بها المثل في الوهن لدقتها وهي لو جُمعت بعضها مع بعض لصارت امتن من اسلاك الحديد · فافرزت كثيراً من هذه الخيوط ولفت بيضها بها وكررت لفهُ حتى صارت البيوض كلها كرة كبيرة تحيط بها خيوط صفراء كالزغب الواهي او كريش النعام · ولما تمَّ لها ذلك حملت هذه الكرة بين فكيها وخرجت من بيتها قاصدة ان تصعد بها الى مكان عالٍ لا يصل اليهِ ماء النهر اذا فاض في الشتاء · وبعد تعب كثير وجهد عنيف وصلت الى مكان عالٍ ووضعت بيوضها في ثقب غائر بين الصخور ثم عادت الى بيتها على ضفة النهر · ولو رآنا احد انا واخواتي في ذلك اليوم والايام التالية لظننا بزوراً دقيقة اجتمع عليها زغب الحرير ومع ذلك لم نخلُ دقيقةً من الخطر ففي ذات يوم زارنا طائر قبيح المخبر ولو لم يكن قبيح المنظر مبرقش بالزرقة والصفرة لكي يخفي شراسة اخلاقهِ وجعل يفتش بين الشقوق والخاريب ويستخرج الديدان والحشرات منها وياكلها ولحسن حظنا كانت امنا قد اخفتنا في نقرة عميقة فلم يهتدِ الينا · ومرَّ بنا فصل الشتاء ونحن بيض ثم خرجنا من بيوضنا في الربيع ولم نخرج منها ديداناً بل خرجنا عناكب دفعةً واحدة وهذا امر يستحق الاعتبار فان الفراش والنحل والخنافس تخرج كلها ديداناً صغيرة ثم تصير زيزاناً قبل ان تبلغ درجة الكمال اما نحن فممتازات عليها كلها لاننا نخرج من البيض عناكب كاملة كما يخرج اصدقاؤنا الجنادب · خرجنا من بيوضنا ولكننا كنا صغاراً كرؤوس الدبابيس ولما خرجنا لم نستطع ان نرى الاشياء واضحة لاننا كنا محاطات باغشية رقيقة صيانةً لنا كما تصان الجواهر في اكياسها · ولقد كنتُ اولى من مزّق كيسهُ وخرج منهُ فلما انجلت عيناي ذهلت عن نفسي بما رأيتهُ حولي من اتساع الوادي الذي كنا فيهِ وكبر كل ما حولي بالنسبة اليَّ فكنت ارى النبتة الصغيرة فاحسبها شجرة كبيرة لكنني شغلت عن ذلك حالاً

بما رأيتهُ حولي من كثرة اخواتي اللواتي خرجنَ من بيوضهنَّ مثلي وبينما انا انظر اليهنَّ سمعت صوتاً يخاطبنا بلهجة الآمر الناهي فالتفتُّ واذا المتكلم عنكبوت كبيرة جالسة في باب بيتها وهي امنا فاصغينا اليها فقصت علينا خبر ما اصابها من العناء بسببنا اما انا فلم يذهلني خبرها قدر ما اذهلني شيءٌ رأيتهُ تحتها وهو كأنهُ عنكبوت ميتة فلما اتمت حديثها قلت لها ما هذا الذي اراهُ تحت اقدامكِ يا اماه

فقالت هذا ابوك ياولدي

فقلت ولكنني اراهُ ميتاً لاحراك بهِ

فتبسمت وقالت نعم هو ميت فقد انقضت ايام الافراح ولم يعد لي بهِ ارب فقتلتهُ ومصصت دمهُ ولم يبقَ منهُ الآ جلدهُ وساجعلهُ فراشاً لي وهو فراش وثير في ليلة ندية مثل هذه

فقلت لها هل اتزوج متى كبرت وآكل زوجي

فقالت لا لانك انت ذكر يا ولدي وستأكلك زوجتك كما اكلتُ انا اباك · ولا تدنُ مني الآن لاني احياناً آكل اولادي ايضاً

هذا اول نبإٍ سمعتهُ في حياتي فما اتعس هذه الحياة هل تتصور حياةً اتعس منها

فقت لهُ بعد ان عرفت انهُ ذكر الآن عرفت لماذا انت خائف كاسف البال ولكن لك اسوة بنا فكم من رجل منا اكلتهُ زوجتهُ

فقال ألا تريد ان تسمع تتمة قصتي

فقلت بلى هات ما عندك

فقال حالما انبأتنا امي انها تأكل اولادها اطلقت ارجلي للريح وهربت من وجهها نازلاً نحو النهر حتى وصلت الى مائهِ فوجدت انني استطيع ان امشي على الماء كما امشي على اليابسة فسررت بذلك جداً

فقلت لهُ هذا امر لم اكن اعلمهُ

فقال انك لا تعلم مقدار ما نستطيعهُ اذا اضطررنا اليهِ · نعم ليس كل العناكب تستطيع ذلك ولكن بعضها يستطيعهُ وانا منهم ومن انسبائنا نوع يغوص في الماء ويسكن في فقاعة من الهواء ونوع يثب على الارض مثل القنفر ولا غرابة في مشينا على الماء فان بيننا وبين السراطين نسباً ولو كان بعيداً

فقلت لهُ اصبت فانك تشبه السرطان في شكلك

فقال نعم ولكن السرطان لا يكتفي بثماني ارجل مثلنا بل لهُ عشر ارجل ولماذا تقطع عليَّ الحديث دعني اتم قصتي . لما رأيت انني امشي على وجه الماء بادرت الى اقرب قصباء واخذت انسج بيتاً لنفسي لكي اجعلهُ مصيدةً للذبان وقبل ان اتممتهُ مشيت على قصبة فوجدت عليها حشرات صغيرة خضراء اللون خالية من الاجنحة فقبضت على واحدة منها والتهمتها فاستبطتها فجعلت التهم الواحدة بعد الاخرى حتى انتفخ بطني وشعرت كأَنهُ كاد ينشق

فقلت لهُ كيف كنت تلتهمها أكنت تبلعها بلعاً

فقال كلاَّ بل كنت اشق ظهرها من بين كتفيها وامتص دمها فلا ابقي في جسمها شيئاً غير جلدها . ولما شبعت عدت الى بناء بيتي فاتممتهُ وجلست فيهِ اترقَّب وقوع الذباب فوقع فيهِ ذباب كثير فاكلت وسمنت جدًّا حتى كنت اضطر ان اخلع جلدي مراراً لانهُ لم يمدّ يسعني وكثيراً ما كانت تنقطع يد او رجل مني وقت خلعهِ

فقلت كيف ذلك اوَ لم يكن قطعها مؤْلماً حتى تتكلم عنهُ بدم بارد

فقال بلى كنت اتألم نوعاً ولكن نحن العناكب لا نتألم مثلكم ولا مثل الديدان فاذا انقطعت رجل من ارجل الدودة ماتت حتماً واما نحن العناكب فاذا قطعت رجل من ارجلنا نبتت لنا رجل اخرى بدلاً منها وقد قطعت اثنتان من ارجلي فنبت لي غيرها . ولا داعي للاطالة في تاريخ حياتي عند ذلك النهر فادعهُ واقص عليك قصة غيَّرت مجرى اموري . كنت ذات يوم جالساً في بيتي اتردد على بابهِ داخلاً خارجاً لعلي أَلفت اليَّ ذبابة كبيرة واقفة على قصبة امامي وبينما انا انظر اليها واتأمل جناحيها اذا بالجناحين سقطا عن بدنها بغتةً واذا بتلك الذبابة قد صارت بعد وقوع جناحيها نملة كبيرة كاقبح ما يكون من النمل

فقلت لهُ الاَ تعلم ان ملكات النمل يرمين اجنحتهنَّ بعد زواجهنَّ

فقال كلاَّ لم اكن اعلم ذلك فوقفت مدهوشاً وقبل ان افيق من دهشتي جعلت النملة تناجي نفسها وتقول هلا هلا لقد كان الواجب عليَّ ان اعرف ان جناحيَّ يسقطان اليوم فلا ابقى هنا فوق الماء ولولا هذا القصب وامكان المشي عليهِ الى البر لقضي عليَّ . ما هذا امامي هذه عنكبوت اذاً آخذها معي الى قريتي وآكلها على مهلي

وانت تعلم ما حاق بي حينئذٍ فرميت بنفسي من بيتي الى الماء واخذت اسبح بكل جهدي ولم ابعد الاَّ خطىً قليلة حتى رأَيت حركة عنيفة في الماء فالتفت واذا انا بخنفسة كبيرة من خنافس الماء وقد رفعت ذبانيها وجدَّت في اثري سباحةً . ونظرتُ امامي اريد المهرب واذا انا بدودة كبيرة من الدود الذي يتكون منهُ زنبور التنين وعيناها كمصباحين متقدين فسدَّت في

وجهي مسالك الماء واليابسة ولم يبقَ امامي الاَّ الهواء فوثبت الى ورقة من ورق زنبق الماء ولجأت الى سليقة اسلافي وافرزت من مغازلي الستة التي في ذنبي ستة خيوط حريرية دقيقة فاتحدت معاً وطارت في الهواء خيطاً واحداً براقاً كالبلور فتشبثت بهِ وطرت بمجاري الرياح التي كانت تمددها حرارة الشمس وترسل بها صعداً ثم عبث بي النسيم فحملني الى حرجة من الصنوبر وسار بي فوقها وفوق السهول المجاورة لها ورأيت في طريقي كثيرات من اخواتي راكبات بالوناتها وسائرات بين الارض والسماء ولكني رأيت طيوراً صغيرة من النوع المعروف بالسنونو تنقضُّ عليها وتخطفها فقلت ويلاهُ حتى في الهواء لا نسلم من الاعداء ومن اراد السلامة لم يجدها ولو اتخذ لها نفقاً في الارض او سلماً في السماء . فاطلت خيطي وجعلت اهبط رويداً رويداً الى ان وقعت على بعض الهشيم ولم اكد اصل اليهِ حتى رأيت زنبوراً كالتنين واقفاً في انتظاري . ونحن العناكب لانخاف من الزنابير اذا كنا في بيوتنا بل نحتال عليها وننسج حولها خيوطنا حتى نمنعها من الحركة ثم نمص دمها وهي كبيرة كثيرة الغذاء فنقتات بها اياماً واما اذا رأتنا خارج بيوتنا فانها تنتقم منا فيهجم الزنبور على العنكبوت ويقبض عليها بفكيهِ ويحملها الى بيتهِ ويأكلها دفعةً واحدة ولا مأرب لي بذلك ولم تخنِي الحيلة فقطعت خيطي وارتميت في الهشيم كقطعة من الحجر فوصلت الى اسفلهِ وقد شلَّ الخوف اعصابي

وابرقت السماء وارعدت تلك الليلة وسقط بَرَد كبير وقمت في الصباح واذا الريح تهب باردةً والسماء مغطاة بالسحب فصغرت نفسي فيَّ وشعرت بوحدة ووحشة فصعدت على رأس الشجرة التي كنت فيها وافرزت الخيوط من مغازلي وصعدت بها الى الجو فساقتني الرياح ورمتني على ضفة النهر في المكان الذي قضيت فيهِ زهرة صباي . واعتدل الهواء حينئذٍ وكنت قد بلغت اشدي فتاقت نفسي الى زوجة تكون معي

فقلت مالك وللزوجة وانت تعلم عاقبة امرك معها

فقال ما العمل والحب قهار فتزوجت وقضينا شهر العسل والآن حُمَّ القضاء

قال ذلك وهو ينظر يمنةً ويسرةً كالمستجير . وبينما هو كذلك واعضاؤُهُ ترتجف خوفاً وانا انظر اليهِ مدهوشاً خرجت عنكبوت كبيرة من الغار ووثبت عليهِ فحاول دفعها عنهُ ولكنها امسكت بهِ وخطفت انفاسهُ وفي اقل من خمس دقائق تركتهُ جلداً خاوياً . انتهى عن الانكليزية بتصرُّف

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

❖ الزُّمَّج ، العَجَز ❖ Aquila chrysætus. E. Golden eagle
F. Aigle doré, aigle fauve

نوعٌ من العقبان يعرف عند الافرنج بالعقاب الذهبية وكان العرب والعجم يصيدون بهِ كما جاء في كثير من مؤلفاتهم ففي المخصَّص عن ابن دريد « الزُّمج ذكر العقبان وقيل هو جنسٌ من الطير يصاد بهِ » وعن صاحب العين « الزُّمج طائر دون العقاب في قمتهِ حمرة غالبة للقمة تسميهِ العجم دو برادران » (اي الاخوان) . وفي حياة الحيوان « الزُّمَّج مثال خُرَّد طائر معروف يصيد بهِ الملوك الطير واهل البزدرة يعدُّونهُ من خفاف الجوارح وذلك معروف في عينهِ وحركتهِ ... والمحمود من خلقهِ ان يكون لونهُ احمر وهو احد نوعي العقاب ... قال ابو حاتم [1] انهُ ذكر العقاب وقال الليث الزمج طائر دون العقاب حمرتهُ غالبة تسميهِ العجم دو برادران وترجمتهُ اذا عجز عن صيدهِ اعانهُ اخوهُ على اخذهِ » . ولا يخفى ان جوارح الطير اناثها اكبر من ذكورها واقوى منها جناحاً وكان اهل البزدرة يفضلون الاناث على الذكور من البزاة والصقور والشواهين لكنهم كانوا يصيدون بذكور العقبان لان اناثها قوية جداً وصعبة المراس . قال السيد محمد المنكلي [2] « من استعمل العقاب بغير معرفة خشي عليهِ من العطب فانهُ مع الرجل الواحد الذي ليس معهُ رفيق عدوٌّ قوي . حدثني ناصر الدين الكردي ان شخصاً من الغواة الصيادين كان معهُ عقاب فرماهُ على طريدة ففاتتهُ وكان صاحبهُ اذ ذاك فارساً فطار العقاب وانقضَّ على صاحبهِ فالقاهُ عن فرسهِ » . ولذلك قال بعضهم ان الزمج طائرٌ دون العقاب والبعض الآخر انهُ ذكر العقاب وكلا القولين قريبٌ من الصواب

---

(١) لابي حاتم كتابٌ في الطير لم اقف عليهِ ويظهر من الاقوال الماخوذة عنهُ في كتب اللغة انهُ من التآليف النفيسة وقد اخبرني الاستاذ الشيخ طاهر المغربي ان في الاستانة نسخةً مخطوطة منهُ فعسى ان احمد بك زكي باتي بنسخة من هذا الكتاب مع غيرهِ من الكتب التي شرع في استنساخها هناك

(٢) كتاب انس الملا بوحش الفلا للسيد محمد المنكلي كتبهُ في ما يظن في القرن العاشر من التاريخ المسيحي وهو مطبوع طبعاً سقيماً في باريس وفيهِ اغلاط كثيرة اكثرها تحريف عن الاصل ووجد نسخة مخطوطة منهُ في الكتبخانة الخديوية . والكتاب يبحث في الصيد والبزدرة ولم أرَ بحثاً في هذا الموضوع في المؤلفات العربية سوى في هذا الكتاب وكتاب الاعتبار لمؤيد الدولة اسامة المعروف بابن منقذ كتبهُ في القرن الثاني عشر المسيحي

اما العجز فقد جاء عنهُ في المخصص انهُ «طائر يضرب الى الصفرة يشبه صوتهُ نباح الكلب الصغير يأخذ السخلة فيطير بها من عظمهِ ويحتمل الصبي الذي بلغ سبع سنين ونحوها ويصيد الفِرَدَة والوبار ويأخذ غثرة الطير قال ابو حاتم اظنهُ الزمجة»

Circœtus gallicus. E. Short-toed eagle
F. Aigle-busard, circaète.

﴿ الصرّارة ﴾

نوعٌ من الجوارح يأكل الحيات ويعرف في الشام بابي صوي · قال ابو حاتم «الصرّارة عقاب عظيمة كدراء تضرب الى التوشيم ولا تصيد غير الحيات» (المخصص) · فوصف الصرّارة ينطبق على هذا النوع من العقبان وهو كثير في الشام ولعلها سميت بذلك من الصرّ أي التصويت وهو سبب تسميتها بابي صوي ايضاً عند عامة اهل الشام

Serpentarius Secretarius. E. Secretary bird
F. Secrétaire, serpentaire

﴿ الكاتب ﴾

نوعٌ من الجوارح يأكل الافاعي ويوجد في اواسط افريقية وجنوبها ويعرف في السودان بالحبيب وفي الحبشة بفرس الشيطان · اما تسميتهُ بالكاتب فعن المقتطف (مجلد ١٨ صفحة ٤٥٦) وهو تعريب الاسم الافرنجي · وقد سمي هذا الطائر في دائرة المعارف بابي صوي والحقيقة ان ابا صوي هو الطائر المذكور آنفاً فالكاتب لا يوجد في الشام بل في افريقية فقط

ومن المحتمل ان الكاتب كان معروفاً عند العرب ولعلهُ الشاهمرك او الشامرك او الشاهمرج (معرب شاه مرغ بالفارسية أي ملك الطير) · وزعموا انهُ يأكل الحيات (كتاب الحيوان للجاحظ ١ : ١٤ و ٤ : ٥٥ و ٦ : ١٢٤) · وقد جاء في الدميري ان الشامرك الفتى من الدجاج · وسماهُ الافرنج بالكاتب لان ريش قنبرتهِ يشبه ريشة الكاتب اذا وضعها فوق اذنهِ

Haliaëtus albicilla. E. Sea-eagle.
F. Aigle de mer, orfraie, pygargue.

﴿ عقاب البحر · الشَّميطة ﴾

نوعٌ من العقبان البحرية وهي بيضاء الذنب وأكلها السمك

ولم اقف على اسم عربي لهذا الطائر لا في كتب اللغة ولا في غيرها من المؤلفات العربية فعقاب البحر تعريب الاسم اليوناني والشميطة هي الاسم الذي يعرف بهِ هذا الطائر في بعض انحاء القطر المصري واظنها في الاصل العقاب الشميطة او الشميطة الذنب واللفظة فصيحة

في محيط المحيط « طائرٌ شميط الذنابى أي اشعلها » والشعل البياض وهذا الوصف يصدق على العقاب البحرية كما يفهم من اسمها الآخر اليوناني Pygargos

قلت ان هذا الطائر يعرف بالشميطة عند بعض المصريين وقد اخذت ذلك عن كتاب طيور مصر والشام لسافيني حيث قال ما تعريبهُ « ويسمى هذا الطائر الشميطة عند المصريين المقيمين على شواطئ بحيرة المنزلة وبحيرة البرلُّس ويطلق هذا الاسم ايضاً على كاسر العظام في بعض الاماكن الاخرى (1) »

ولعلَّ هذه العقاب تسمى العجزاء عند العرب ففي محيط المحيط « العجزاء من العقبان القصيرة الذنب والتي في ذنبها ريشة بيضاء والشديدة دابرة الكف » وفي المخصص « العقاب العجزاء اذا كان في ذنبها ريشة بيضاء او ريشتان وقيل هي الشديدة الدابرة » واللفظة قريبة المعنى من pygargos اليونانية أي الابيض العجز ومنها pygargue بالفرنسوية

بعد ما نشرت مقالتي عن كاسر العظام في مقتطف يوليو من هذه السنة وقفت على مقالةٍ للاب انستاس الكرملي في هذا الموضوع تقريباً (مجلة المشرق ٣ : ٧٣٢) وهي كغيرها من مقالات الاب انستاس حافلة بالفوائد العلمية والمباحث الدقيقة لكنني اخالفهُ في ترجمة كاسر العظام والمكلفة فهما Gypætus وليس Haliætus كما يتضح مما يأتي

اولاً — لا خلاف في ان كاسر العظام هو المسمى Phene عند اليونان و Ossifraga عند الرومان وقد اجمع المحققون من علماء الافرنج على انهما الطائر المعروف عند العلماء في يومنا باسم Gypætus barbatus (راجع لفظة Phene في المعجمات الفرنسوية و Ossifrage في معجمات الكتاب المقدس) وقد ذكر سافيني في كتاب طيور مصر والشام اسماء هذا الطائر من زمن هوميروس الى ايامهِ واوصلهُ البحث الى انهُ الطائر المعروف باسم Gypætus barbatus عند العلماء وكاسر العظام عند العرب . ولا انكر ان كثيرين من الافرنج اطلقوا لفظة Ossifraga على عقاب البحر ايضاً لكنهُ خطأ وقد اشار الاب انستاس الى ذلك . اما اشتقاق لفظة Orfraie الفرنسوية من Ossifraga فلا نقدر ان نتخذهُ دليلاً على انهما طائر واحد فلفظة Osprey الانكليزية مشتقة منها ايضاً لكنها تطلق على طائر آخر لا هو هذا ولا هو ذاك بل المسمى Pandion haliætus عند العلماء و Balbuzard عند الفرنسويين

(1) Description de l'Egypte, tome XXIII

ثانياً — ورد ذكر العقبان في التاريخ الطبيعي لبلينوس الروماني وقال عن عقاب البحر وكاسر العظام ما تعريبهُ « بقي عقاب البحر Haliæetus وهي حادة البصر ترفرف في السماء حتى اذا رأت سمكةً في الماء انقضت عليها وشقّت الماء بصدرها واخذتها » . ثم بعدهُ ما تعريبهُ « وذكر بعضهم نوعاً آخر من العقبان يعرف بذي اللحية وهو كاسر العظام التوسكاني » (الكتاب العاشر الفقرة الثالثة) . فتجد انهُ لقب كاسر العظام بذي اللحية وهو يعرف بهذا الاسم ايضاً عند العلماء لان لهُ ما يشبه اللحية ويسميهِ عرب السودان ابا ذقن كما ذكرت في مقالتي السابقة

ثالثاً — قال الاب انستاس ما نصهُ « ومن اسمائهِ كاسر العظام وكذلك معنى اسمهِ الثاني عند الفرس اي أُستخوان وعند اللاتين اي Ossifraga وعند اليونان اي Ostokopos وانما دعي بهذا الاسم لانهُ من بعد ان يأكل لحم الحيوانات يحلّق بالعظام في الجو ثم يرمي بها على الصخر فتتكسر فينتقيها اي يستخرج مخها » فهذا القول كلهُ صحيح لكن الطائر الذي تنطبق عليهِ هذه الصفة هو المسمى Gypætus وليس Haliætus او Orfraie كما تجد في اكثر كتب الحيوان الحديثة . وسآتي بشاهدين فقط واشير الى غيرها للمراجعة ففي بعض الكتب الحديثة ما تعريبهُ « وهو (اي Gypaète barbu) يصيد الحيوانات الحية في بعض الاحيان وفي غيرها يأكل لحوم الحيوانات الميتة ولهُ ميل شديد الى العظام يلقيها على الصخور فتتكسر فيأكل مخها [1] » وفي غيرهِ « ولهُ (اي Lammergeier) ميل الى العظام فيلقيها من حالق على الصخور فتنكسر ويقال انهُ يفعل ذلك ايضاً بالسلاحف في بلاد الجزائر . ويعرف في اسبانيا بكاسر العظام ويرجح انهُ كاسر العظام المذكور في الكتاب المقدس [2] » . (راجع ايضاً حيوانات فلسطين ونباتاتها للقانون ترسترام ولفظة Ossifrage في موسوعات الكتاب المقدس)

اما الطائر الآخر فلا يمكن ان يفعل ذلك لانهُ يأكل الاسماك وهي لا مخ في عظامها

❖ البازي والباز والبازي ❖ Falco. E Falcon. F. Faucon جنسٌ من الجوارح يصاد بهِ وهو انواع كثيرة . واللفظة فارسية يقابلها ما يشبهها في غيرها من اللغات

(1) Les Animaux Vivants du Monde, II, 86
(2) The Royal Natural History, IV. 253

مثل باك بالمصرية والقبطية و buteo بالرومية و buse بالفرنسوية و buzzard بالانكليزية لكن الالفاظ الثلاثة الاخيرة ليست ترجمة البازي بل تطلق على طائرٍ آخر من الجوارح سيأتي ذكرهُ

ومما يحسن الاشارة اليهِ هنا البازيار والبازِدار fauconnier والبزْدَرَة fauconnerie وهي الفاظ اخذها العرب عن الفرس

﴿ الصقر ﴾ Falco sacer. E. Saker falcon F. Sacre وفيها لغات · نوعٌ من الصقور يصاد بهِ · ولا يخفى ان الصقر في اللغة كل طائر يصاد بهِ من البزاة والشواهين وما اشبهها وهو Accipiter عند الرومان و Épervier عند الفرنسويين و Hawk عند الانكليز الأ ان اهل البزدرة وبعض مؤلفي العرب خصوا الصقر باحد انواع البزاة · قال الدميري «والصقر احد انواع الجوارح الاربعة وهي الصقر والشاهين والعقاب والبازي» · والسيد محمد المنكلي افرد باباً خاصاً للصقور وباباً آخر للبزاة والشواهين وفضلاً عن ذلك فان اهل مصر والشام في يومنا يطلقون هذه اللفظة على طائر بعينهِ وهو المذكور آنفاً

اما اصل هذه اللفظة ففيهِ خلاف فقد جاء في الالفاظ الفارسية المعربة للسيد ادّي شير ان «الصقر معرَّب عن الفارسي چَرْغ بتقديم العين وجعلها قافاً او عن التركي جاقر وهما بمعنى» وفي الفروق للاب هنري لامنس اليسوعي انها من Sacer باللاتينية (صفحة ١٦١)

﴿ الشُنقار · الشُنغار · الشُنقور · السُنقُر · السُنقُور (تترية) ﴾
Hierofalco. E. Gerfalcon. F. Gerfaut
طائر من الجوارح وهو اعظم من الصقر واجمل منهُ صورةً ويوجد في البلاد الشمالية

ويظهر من وصفهم لهُ وقولهم انهُ يؤتى بهِ من الصين والبلاد الشمالية انهُ الطائر المعروف عند العلماء باسم Hierofalco ففي حياة الحيوان الكبرى ما نصهُ «السقر (صوابها السنقر) قال القزويني انهُ من الجوارح في حجم الشاهين الأ ان رجليهِ غليظتان جداً ولا يعيش الأ في البلاد الباردة ويوجد في بلاد الترك كثيراً» · وفي عجائب المخلوقات للقزويني (طبع غوتنجن ٤١٦) «سنقر طائر من جوارح الطير في حجم الشاهين الأ ان رجليهِ غليظتان جداً قالوا انهُ يكون ببلاد الترك ولا يعيش الأ في البلاد الباردة» · فتجد ان الدميري قرأ اللفظة خطأً وكتبها السقر وهي السقر ايضاً في عجائب المخلوقات طبع مصر (سنة ١٣١٩) وصوابها السنقر

كما هي في طبعة غوتنجن وكما يتضح من ورودها في محلها حسب ترتيب الحروف الهجائية . اما في الدميري فهي خطأ في الاصل وليس في النسخ وهي ليست السقر لغة في الصقر فهذه ذكرها الدميري في محلها في باب الصقر

وقد ورد ذكر السنقر في كتاب انس الملا المذكور آنفاً (صفحة ٩٨ لكن اللفظة مكتوبة الشقر خطأ في النسخة المطبوعة في باريس) قال «وثمنهُ الف دينار الى خمسمائة دينار وذلك لانهُ قليل الخروج من بلاد الكرج لقلتهِ عندهم ولا يخرج الا على سبيل الهدية للملوك»

وفي الالفاظ الفارسية المعربة للسيد ادّي شير ما نصهُ «الشنقار معرَّب شُنْغُر وهو طائر من جنس الصقر يصيد ويعمر زمناً طويلاً وهو لا يوجد الاَّ في نواحي الصين ومقبولٌ كثيراً عند الملوك وهم يهدونهُ بعضهم بعضاً (البرهان القاطع)»

ووصف السنقر في كتب الافرنج يطابق وصفهِ في كتب العرب والفرس ففي بعض موَّلفاتهم ما تعريبهُ «والسناقر Gerfalcons) لاسيا البيض منها مرغوبٌ فيها عند البزادرة وكانوا يشترونها باثمانٍ غالية ..... وهي وان تكن اعظم من البزاة واقوى لكنها ابرد منها طبعاً ويرجح انهم كانوا يتنافسون بها لجمالها وعظم خلقها» (١)

وقد بحث كاترمير (2) في اصل هذه الالفاظ وترجمها Gerfaut وقال انها تترية مغولية وهي شُنقون بلغة المانشو وذكر انهم كانوا يلقبون بعض المماليك في مصر بالسنقور منهم قره سنقور وآق سنقور أي السنقور الاسود والسنقور الابيض

وفي اكثر المعجمات تجد لفظة Gerfaut او Gerfalcon مترجمة بالشاهين وهو خطأ ظاهر فالشاهين كثير الوجود في الهند وفارس والشام ومصر واما الآخر فلا يوجد الاَّ في البلاد الشمالية . وسيأتي ذكر الشواهين والبزاة على انواعها في العدد القادم ان شاء الله

الدكتور امين المعلوف

(1) The Royal Natural History, IV, 179.

(2) Histoire des Memlukes, I, 90.

مستقبل الهيئة الاجتماعية

ان من يقرأ علم الاجتماع و يشرف على مبادئهِ العامة لا ندحة لهُ من التشوُّف الى معرفة مستقبل العمران البشري · والانسان خلق نزوعاً الى استطلاع الخفايا واستكشاف الخبايا فلا يقنع بما يقف عليهِ من حوادث الادوار الخالية بل يريد ان يعلم شيئاً عن مصير الانسان واذا وجد رأياً لفيلسوف من الفلاسفة عما يتعلق بالمستقبل اعتصم بذلك الرأي ولو كان واهناً وربما حسبهُ حقاً راهناً · قال سبنسر في هذا الصدد « اني لا اميل الى الرجم بالغيب والتكهن بمصير المجتمع الانساني على اني قد ارى نقصاً في علم الاجتماع اذا كان يمكننا من الحكم على الحوادث الماضية فقط ولا نستطيع ان نعلم بواسطتهِ شيئاً عن الحوادث المستقبلة · وربما ارتاب الاكثرون في نفع هذا العلم اذا كانت آراؤُهُ مقصورة على الزمان الغابر او لم يكن اتخاذهُ قبساً يستضاء بهِ في البحث عن حالات المستقبل المظلمة · على ان العوامل التي تعمل في الهيئة الاجتماعية كثيرة وبينها مباينة عظيمة · ناهيك انهُ يظهر حيناً بعد حين عوامل جديدة لم تكن منتظرة · وهذا التباين يعترض دون التنبوء عما يطرأ على المجتمع الانساني في المستقبل · ثم ان تقدم العلم الطبيعي قد اثر كثيراً في النشوء الاجتماعي وسوف يظهر تأثيرهُ ايضاً في المستقبل · وكلما تقدمت العلوم الطبيعية تتقدم الصناعات البشرية وهذا التقدم يؤُول الى تغيير كبير في الهيئة الاجتماعية وعدا ذلك فان انتشار العلم الصحيح بين البشر قد غير شيئاً كثيراً من افكارهم واعتقاداتهم بالمادَّة والقوة التي تفعل في المادَّة وهذا التغيير لا بد ان يفضي الى التأثير في الاديان فيرتخي الوازع الديني الذي يعدُّ الآن اساس الالتزام الادبي وقبل ان يحل محلهُ نظام ادبي مؤَسس على حقائق علمية صرفة لا مناص من حدوث هدنة تضعف فيها الآداب لضعف الوازع الديني · ومن الغريب اننا بينما نرى فئة كبيرة من البشر ترتقي في عقائدها وافكارها الدينية وهي الفئة المنورة التي تلجأُ الى الاجتهاد فانا نشاهد فئة اخرى ترجع القهقرى وتحافظ على مآخذها الدينية فيعظم بينها نفوذ الرؤَساء الروحيين · وقد نتعذَّر معرفة النتائج التي تنجم عن هذا الاختلاف · وفوق ذلك فان هنالك تفاوتاً في اساليب التربية التي تتربى بها طبائع الانسان في العصر الحاضر فمن الناس من تتربى فيهم غرائز حب القتال وسفك الدماء فينشأُون على ما كان عليهِ الناس في عصور الهمجية يوم كانوا يغزون بعضهم بعضاً ومنهم من يعنون بتربية العواطف السامية في الانسان ومثل هؤُلاء بعثات الخير وجماعات كثيرة تتمحض لنفع الناس

وترقية اخلاقهم وهكذا فانك ترى حرباً ادبية بين البشر لا تعلم عقباها ولا يدرك مصيرها

ان المؤثرات التي تؤثر في حالة الانسان الاجتماعية تكيف بتكيف عيشته فان عاش منفرداً عن سائر البشر فيفعل كل شيء تسوقهُ اليهِ سليقتهُ ولا يؤثر فيهِ سوى محيطهِ الطبيعي وفي هذه الحالة يكون هو المسيطر الوحيد على نفسهِ واما اذا خالط الناس فيصبح عرضة لعوامل اخرى فيضطر احياناً ان يفعل افعالاً لا يهوى فعلها او يتحاشى عن امور يرغب فيها ويحدث هذا فيما اذا عاش بين جماعة معادية لجماعة اخرى فيكون هو مكرهاً ايضاً ان يعادي تلك الجماعة واذا اوعز رئيس جماعتهِ الى افرادها ان يقوموا ويحملوا على الاعداء او يغزوهم فلا مناص لهُ من مشاركتهم في حملتهم وغزوتهم واذا لم يصدع بامر الرئيس فيعاقب بان يبعد او يعذب او يطرد طرداً من بين تلك الجماعة. وكلما كانت الكراهية شديدة بين القومين قويت شوكة الرئيس فيضطرُ الافراد ان يخضعوا لزعيمهم خضوعاً مطلقاً لان المناوأة الدائمة بين القبيلتين تقتضي التضامن والاتحاد حتى تتمكن الواحدة من مصادمة الاخرى والتخلص من غوائل شرها وبالعكس فانهُ اذا كانت القبيلة عائشة بسلام وطمأنينة وليس لها اعداء فان الفرد في هذه الحالة يكون مستقلاً بنفسهِ اكثر منهُ في الحالة السابقة ولا يكرهُ الافراد على الاستسلام لمشيئة زعمائهم الاَّ في حوادث نادرة

والحالة التي يجب ان ينظر اليها في مستقبل النشوء الاجتماعي هي خضوع الفرد للغير واستقلالهُ عنهُ او معرفة الحد الذي يقف عندهُ خضوعهُ لغيرهِ ويبتدئ استقلالهُ بنفسهِ وعندما نتوخى الكلام على مستقبل الاجتماع البشري يجب اول كل شيء ان نعرف هل الدلائل الحاضرة تدل على ان استقلال الفرد بنفسهِ سوف يزيد او انهُ سوف ينقص فاذا امتدت صولة القوة الحاكمة المسيطرة على الفرد يضعف استقلالهُ ويصبح في قبضة الغير سواء كان هذا الغير ملكاً واحداً او حكومة مؤلفة من بضعة اشخاص او جمهورية مؤلفة من رئيس وبعض الاعيان او غير ذلك

خذ مثال ذلك المانيا فقد شرعت هذه الدولة في تنظيم قوتها الجندية منذ نشأتها ولا تزال في ازدياد فهي تضرب الضرائب الفاحشة على رعاياها حتى تقدر ان تقوم بنفقات الاسلحة وتعنى بتربية ابنائها على حب القتال وتعظم هيبة حكومتها يوماً فيوماً وبذلك يتداعى استقلال الفرد ويتوسع بطش القوة الحاكمة والذي يجري في المانيا يجري تقريباً في كل بلد من البلدان

واغرب من كل ذلك هو ان الحكومات الجمهورية التي يذهب الناس الى انها محكومة

من الشعب فيها من الاستبداد وحب الاثرة ما لا يعثر عليهِ في الحكومات الملكية المطلقة ومن الغلط ان تقول ان البلد الدستوري يحكم نفسهُ بنفسهِ او ان الافراد يشتركون في ادارة امورهم وتسيير شؤُونهم في حين نرى ان رئيس الامة في اميركا لهُ صولة اكثر من ملك انكلترا والصحيح ان احتكار السيطرة موجود في كل دولة فقد يكون ذلك في شخص واحد او يكون في بضعة اشخاص وكل ذلك يدل على ان استقلال الانسان بنفسهِ سوف يضعف في المستقبل فيصبح في حالة يكون فيها تحت سلطة القوة العمومية لا يقدر ان يفعل الأَّ ما يساق اليهِ ويكون مكرهاً على التفادي مما ينهى عنهُ . وقد قال الشارعون في هذا العصر « ان الهيئة الاجتماعية ترتقي ارتقاءً عظيماً اذا اصبحت القيادة في ايادي القليلين العاقلين فهؤُلاء يقرون على اجراء النافع للسواد الاعظم وهؤُلاء يخضعون لقرارات اولئك ويستسلمون الى مشيئتهم لانهم اعلم بحاجتهم وادرى بمطالبهم »

ومن المؤَكد ان القوة العمومية تبذل كل وسعها في سبيل اضعاف الفرد فمن الوسائل التي تتخذها الآن لاضعافهِ نظام العسكرية القهري فانها تحتم على كل فرد ان ينتظم في سلك العسكرية وهذا من شأنهِ ان يقلل من حرية الفرد واستقلالهِ بنفسهِ وفي الامة الحربية يكون الخضوع الاعمى عاماً بين جميع المقاتلة او العساكر فان كل فرد من الهيئة مضطر ان يخضع لمن هو اعلى منهُ رتبة والامة كلها تخضع للجيش لانها مجبورة ان تقدم لهُ ما يحتاج اليهِ حتى يذود عن حوزتها ويدرأ عنها مطامع الامم الحربية والدول القوية . والخضوع واجب بين جميع افراد الحكومة الملكية لان كل موظف يخضع لمن هو اعلى منهُ

والخضوع صفة لازمة لازبة بين افراد الامة كلهم . واذا تقلص ظل الحرب فينشأُ في الفرد ميل عظيم الى حب الاستقلال واستخدام مواهبهِ وقواهُ في سبيل منفعتهِ الخاصة ويجعل دأْبهُ مقاومة النظام العسكري القهري

وعلى الجملة فانهُ كلما عظمت حرية الفرد ضعف ذلك النظام واصبح المرءُ ملك نفسهِ ومتولي امرهِ . وما اعظم الفرق بين الحالتين ففي الحالة الاولى تكون الطاعة العمياء والاخلاص للقوة العمومية من اعظم الفضائل والعصيان نقيصة لا تغتفر فالتاريخ لا يزال كما ذكر نلسون يثني عليهِ ويطريهِ لانهُ اهلك نفسهُ في خدمة القوة العمومية او انهُ اطاعها طاعة متناهية . ويندد بالرجال الذين خانوا دولتهم وفضحوا امرها او كشفوا اسرارها . وكثيراً ما كان الملوك يعذبون القائد الخائن في القرون الاولى اشد العذاب فقد قيل ان قورش الفارسي كان يأتي بالخائن ويثقب جسمهُ ثقوباً متعددة ثم يذيب الرصاص ويسكبهُ في تلك الثقوب وبعد ذلك

يربط اطرافهُ الاربعة الى افراس لا تزال تتجاذبهُ حتى تقطع اوصالهُ · ومعاقبة الخائنين لا تزال شديدة حتى في هذا العصر على انهُ اذا ارتقت الهيئة الاجتماعية يبتدئ الفرد يدرك معنى الاستقلال الحقيقي ويصير يحسب الخضوع المطلق لارادة الغير من اسوإ السيئات والتمسك بالحرية الشخصية والاستقلال من افضل الحسنات

ومن اعظم الادلة على تضاؤُل قوة الفرد ازاء القوة العمومية انتشار التعليم الاكراهي بين الامم الراقية فان الحكومة هي التي تسيطر على ابناء الامة وتربيهم كيف شاءت واذا تجرأ الوالدون على مقاومة القوانين العمومية فانهم يعاقبون اشد العقاب ثم ان القوة العمومية تتداخل في شؤُون الافراد الخصوصية فتقول للفرد مثلاً انت لست حرًّا ان تنفق مواردك كلها كما تريد بل ينبغي لك ان تعطي شيئاً منها للحكومة لتتمكن بهِ من نفعك او نفع غيرك وان الفرد الذي يقال لهُ هذا القول او يعامل هذه المعاملة ليس خليقاً ان يدعى حرًّا او مستقلاً · وكلما عظم امر القوة العمومية واشتدت صولتها يتداعى استقلال الفرد وتوهن حريتهُ الشخصية

ومن المعلوم ان الحوادث الاجتماعية شأن غيرها من حوادث الكون يزداد تأثيرها ويشتد فعلها اذا لم تلقَ مقاومة ومصادرة من الخارج فاذا لم يعترض القوة العمومية مناوئ فلا ريب انها تكون في المستقبل قوة هائلة وتكون قوة الافراد ازاءها ضعيفة واهنة لا يؤبه لها · على انهُ لا يظهر من القرائن الحاضرة ان الافراد سوف يتعاونون ويتحدون لمقاومة القوة العمومية واذا كان ثمة اتحاد او تظاهر فهو ضعيف جدًّا ولن يؤَثر في مصير الهيئة الاجتماعية واذا تأتى عنهُ بعض النتائج فلا تكون ذات شأن عظيم وكلما كثرت المشروعات التي تتولى شؤُونها الحكومة وانتقلت الاعمال من ايادي الافراد والشركات الى ايادي الهيئة الحاكمة ضعفت قوة الفرد امام قوة الحكومة وصار العمال والصناع وسائر الافراد في قبضة الحكومة لا يستطيعون ان يفعلوا شيئاً من تلقاء انفسهم وربما اصبحوا غير قادرين على تحصيل معاشهم الاَّ اذا اندمجوا في سلك الاستخدام العمومي لان الاعمال الاستقلالية تكون عندئذٍ قد قضي عليها فتنشأ حكومة مستبدة بمقاليد الشؤُون الاجتماعية تحتم على الفرد ان يفعل فقط ما يؤْمر بهِ ويتجافى عما لا يراد على عملهِ

واذا وصلت الهيئة الاجتماعية الى هذه الحالة واصبحت القوة الحاكمة تتصرف بامور الفرد كيف تشاء فقد الفرد حريتهُ التي يتمتع بها الآن بعض التمتع وقضي على كل الاعمال الحرة التي يديرها الفرد في هذا الزمان وما ذلك الاَّ لان الانسان غير حقيق بهذه الحرية التي يستولي عليها ولانهُ غير قادر على المحافظة عليها بالطرق اللازمة

وقد قلنا ان الحرب قائمة على الدوام بين القوة العمومية وبين الفرد فالاولى تنزع الى احتكار جميع الاعمال العمومية واذا لم يتحد الافراد معاً و يقفوا في وجهها لكي يدافعوا عن استقلالهم في اعمالهم فمن المرجح فوزها في المنتهى والحال الحاضرة تدل على ان المنافسة والاحقاد سائدة على الافراد فكل واحد منهم يعمل لما يظن منهُ خيراً لهُ ولا يهمهُ خير الغير والشركات ايضاً تنافس وتباغض بعضها بعضاً وكل واحدة منهن تنصب الاحابيل لايقاع الاخرى بها على انهنَّ يغفلن عن ان هذه المناوأة تضعف شأنهنَّ وتعوقهن عن مصادرة القوة العمومية التي سوف تكون الخطر الاكبر على استقلال الفرد في المستقبل · وفوق ذلك فان الشركة التي تضع نصب عينها مقاومة الشركات الاخرى قلَّ ان تنجح او تبلغ مأربها واذا كانت هذه حالة الافراد من الاضغان والمقاومات فلا يخلق لهم حرية في اعمالهم واحرِ بهم ان يصبحوا تحت امرة حكومة مستبدة تسترقهم وتستعبدهم وتنشئ لهم نظاماً يعملون بموجبهِ فاذا ظهر ضعفهُ تنشئ نظاماً آخر بشرط ان تبقى لها السيطرة المطلقة على اعمال الافراد

وربما زعم البعض ان هذا القول مبالغ فيهِ لانهُ يرى ان معظم الامم سائر الى الحرية خصوصاً في هذه الاوقات وان استبداد الحكومات يقل رويداً رويداً على ان من اعمل فكرتهُ يرى ان الامة اذا حصلت على حرية القول والفعل فتنتهي بذلك الى حدّ معلوم ثم يطرأ عليها ردُّ فعل فتبدأ ترجع القهقرى وهذا الانفعال او ردُّ الفعل لا بدَّ منهُ في كل حال وقد بلغت حرية الفرد مبلغاً عظيماً في القرن المنصرم وخصوصاً في انكلترا فاطلقت لكل فرد من افراد الامة واصبح الرجل يقدر ان يفعل مهما شاء على انها لما افضت الى درجة معينة ابتدأت نقطة الانقلاب وجعلت الحرية تقل فنشأت شرائع جديدة قصد منها الرجوع الى الاصل او اعادة هيبة الحكومة الى ما كانت عليهِ في دور الاستبداد

قال الاستاذ هكسلي في هذا الصدد « اذا تغلبت القوة العمومية على الافراد واستحوذت على جميع اعمالهم فانهُ يحدث واحد من امرين فاما يقوم الافراد قومة واحدة في وجه الحكومة وتكون ثورتهم هذه ثورة اجتماعية صرفة يتوخون منها ارجاع حقوقهم المغصوبة وحريتهم المسلوبة فيسقطون الدولة الحاكمة ويحصل عقيب ذلك رد فعل يفضي الى تسلط القوة العسكرية فتتولى شؤُون الامة وتحكم في امرها بالاستبداد المتناهي واما يثور الافراد وينجحون في ثورتهم ولا تنجح الا الامة التي ما زال ينبض في عروقها دم الانفة وعزة النفس وينشئون حكومة دستورية بكل ما في الكلمة من المعنى اي انها تكون في يد الشعب وتضع قبلة ابصارها منفعة الافراد وهذا اعظم مستقبل يرجى للامم الحية في زمن بعيد جداً »

ثم ان البشر ينشدون الكمال في جميع ادوار العمران وكلما نشأت هيئة اجتماعية مغايرة للارتقاء الحقيقي فيقوم صنف من الناس يجعلون دأبهم مقاومة تلك الهيئة على قدر الطاقة ولم يخلُ الاجتماع البشري من امثال هؤلاء الاصناف في جميع ادواره ولا بدَّ من ظهور هذه الفئة في المستقبل كما ظهرت في الماضي فتتعهد اصلاح الفساد الذي سوف يطرأ على العمران والمرجح انها تنجح على تمادي الزمان في ايجاد هيئة اجتماعية موافقة للرقي كل الموافقة وعندئذٍ ينظر كثيراً في ارجاع حرية الافراد واستقلالهم واذا كان ناموس النشوء قد فعل في الادوار المنصرمة واوصل الحياة الى حالتها الحاضرة وساعد الاحياء على مصادرة الطوارىء الطبيعية التي كثيراً ما طرأت عليهم فهو سوف يفعل ايضاً في المستقبل ويهتدي بهِ البشر الى تكييف طبائعهم واعمالهم طبقاً لما تقتضيهِ منهم احوال الهيئة الاجتماعية المنتظرة فيجمعون كلمتهم ويلمون شعثهم حتى يتمكنوا من الدفاع عن حقوقهم والذب عن حياضهم

وهنا لا بد من ايراد كلمة عن النشوء وما يراد منهُ من الوجهة الطبيعية . ان النشوء لا يعني الترقي بل هو ظهور احد الاحياء بصورة قوية اصلح من غيرها لمقاومة العوامل الطبيعية فيكون هذا الحي اقدر من سائر الاحياء على الحياة ويترقى بانحطاطها وامتصاصها وكلما قوي تضعف ولا تلبث طويلاً حتى تنقرض طبقاً لناموس « بقاء الاصلح » ثم ان النشوء الحيوي ينطبق على النشوء الاجتماعي فكلما نشأ شعب من الشعوب وعظم امرهُ فلا بد من تدني شعب آخر . والجماعة التي تترقى تضعف غيرها فيأتي افراد الجماعة المترقية ويستقرون في اقليم مناسب لصحتهم ويطردون اهل ذلك الاقليم الى اقليم سيء فتضعف بنية هؤلاء وينشأ منهم جماعات ضعيفة سقيمة . وفضلاً عن ذلك فانهُ تحدث منافسات كثيرة بين الامم القوية وهذه المنافسات تفضي الى تفوُّق بعضها على بعض وانحطاط عدد منها فالمتفوقة تنحصر في البقاع الخصيبة الطيبة والمنحطة تهيم الى الاصقاع الباردة القاحلة وتبتدئ الشعوب المتفوقة بالتآلف والتضامن فلا يمضي زمن حتى ترى الامم الراقية متجمعة وهذا التجمع او الائتلاف ينفع العمران كثيراً

والمرجح انهُ سوف تتألف بين الامم العليا محالفة عامة تؤلف بينهنَّ ويكون من انفع افعالها انها تقضي على الحرب التي تحسب اعظم مضرة للتمدن الحاضر وقد التفتت الدول الى ذلك في هذا العصر فعقدت المؤتمرات الدولية وقصدت ان تحسم بها كل خلاف او نزاع يقوم بينهنَّ . على ان الزمن الذي تنقضي فيهِ الحروب لم يحن بعدُ ولا شك ان الحروب من اعظم المعار التي تصيب الحضارة العصرية وهي تهيج في النفوس طبائع الهمجية وترجع البشر الى حالتهم الوحشية الاولى

ثم انهُ اذا تشكلت هذه المحالفة العمومية بين الامم ترقت الهيئة الاجتماعية ترقياً محسوساً وقطعت خطوات واسعة في سبيل التقدم الحقيقي وحصل التلاؤم بين نظام المجتمع وبين احوال الافراد او بين مطالب الفرد الخصوصية وحاجاتهِ وبين المحيط ولا تعود قوانين الاجتماع تغاير منافع الاشخاص · واذا قصد الفرد ان يحيا حياة سعيدة في الوقت الحاضر وجب عليهِ ان يكيف مطالبهُ واحوالهُ طبقاً لنظام الهيئة الاجتماعية الحالية على ان ما فيها من الاختلافات وتشعب الاغراض والغايات والمنافسات الكثيرة يمنعهُ من الملاءمة بين نظامها وبين مطالبهِ الخاصة غير انهُ اذا شاعت تلك المحالفة فلا تبقى تلك العوائق ويصبح الفرد في حالة يرتاح فيها الى انظمة المجتمع ويسهل عليهِ الانقياد لها والعيشة طبقاً لمطالبها لانها لا تتقاضاهُ الاَّ ما يسهل عليهِ اجراؤُهُ ولا تتداخل في حريتهِ الشخصية الاَّ اذا حدثتهُ نفسهُ بالاعتداء على الغير والائتلاف المومأ اليهِ يعلّم الفرد انهُ عضو من اعضاء المجتمع الانساني وينبغي لهُ ان يتعاون مع سائر الاعضاء حتى تتم سعادة الجميع · واذا ادرك الافراد هذا الادراك ماتت من قلوبهم الغرائز الوحشية التي تحدو بالمرء الى الاعتداء على غيرهِ وترقت العواطف السامية التي تبعث الانسان على خدمة المصلحة العامة وزالت ايضاً جميع العقبات التي يضعها الآن ذوو المآرب الذاتية في سبيل سعادة الافراد فيبرز عندئذٍ الرجل الحقيقي الى ميدان الحياة وهو الذي يخدم اوطارهُ ويخدم ايضاً اوطار الهيئة الاجتماعية ولا يجد تناقضاً بين المنفعة الخاصة وبين المنفعة العامة لانهُ بخدمة غيرهِ يخدم نفسهُ ويخدم غيرهُ · ونرى ما يشبهُ ذلك في اعضاء الجسم الانساني · ومن الناس من تنحوا عن سائر البشر والقوا عن كواهلهم اعباء المطالب الاجتماعية الحاضرة فارتقت اخلاقهم ارتقاء مبيناً وعاشوا عيشة كاملة على حدّ ما تقدم وهذا نفس ما يرجى حدوثهُ في المستقبل عند ما يحصل تآلف الامم الذي اشرنا اليهِ فتسعى عندئذٍ في انشاء المجالس التحكيمية التي بدئ بمثلها في الوقت الحاضر وتعقد قيادتها لاصحاب الاخلاق العالية الذين يعرفون بالنزاهة والصدق وتكون تلك الذريعة من اعظم الذرائع الموصلة الى السعادة الغالية المنشودة

دمشق خليل يعقوب الخوري

حمى البول الاسود

BLACKWATER FEVER.

قلَّ من بحث من اطباء الشرق في هذا المرض الخبيث مع كثرة انتشارهِ في كثيرٍ من البلاد الحارة وبالاخص في اواسط افريقية فانهُ منتشرٌ في بعض بلدان السودان مثل بحر الغزال والرصيرص وقد شاهدت المصابين بهِ هناك واصبت بهِ ونجوتُ منهُ فرأيت ان اوافي قراء المقتطف بما يأتي كطبيب ومجرّب

ثبت بعد البحث والتحقيق انهُ ليس لهذا المرض مكروب مختص بهِ ولا هو مرض قائم بنفسهِ مثل الكوليرا والحمى التيفوئيدية بل هو نوعٌ من انواع الحمى الملارية الخبيثة وما يسبب هذه يسبب ذاك اي ان مكروب الملارية كافٍ لان يسبب الحمى السوداء او حمّى البول الاسود فان كل من سكن في بلادٍ موبوءة بالحمى الملارية وبقي فيها مدة تزيد عن السنة وأُصيب في خلالها بالملاريا مراراً عديدة اصبح معرَّضاً للاصابة بالحمى السوداء ففي بحر الغزال قلَّ ان أُصيب بها القادمون اليهِ حديثاً بل ان اكثر من أُصيب بها كان قد اقام مدة لا تنقص عن السنة وكان قد أُصيب مراراً كثيرة بالحمى الملارية

واول من ذكر هذه الحمى وبحث في اسبابها واعراضها الاطباء الافرنسيون المقيمون في مقاطعة نوسبي Nossibé الواقعة على شاطيء مدغسكر الشمالي الشرقي ثم ظهر بعد ذلك انها منتشرة ايضاً في اواسط افريقية مثل اوغندا ومستعمرة الكنغو الحرة ومستعمرة الكنغو الافرنسية وفي مديريتي بحر الغزال وسنار من اعمال السودان كما مرَّ ثم اتضح انها تعمّ اكثر البلدان الحارة مثل اميركا الجنوبية والهند الغربية وجنوبي الصين وأسام وتوجد في بعض مقاطعات الهند الانكليزية وفي غيرها ايضاً من البلدان الحارة وقد شوهد بعض الاصابات بها في بلاد اليونان و بلاد ايطاليا وسردينيا وفي فلسطين وقد عالجت مريضاً مصاباً بها في العريش كان قادماً من يافا

والاصابة بهذا المرض كالاصابة بالحمى الملارية من حيث انهُ يعاود من أُصيب بهِ فقد ذكر الدكتور مانسون خمس حوادث شاهدها في بريطانيا العظمى في اناس سكنوا المناطق الحارة وأُصيبوا بالملارية ومنهم من كان قد اصيب بالحمى السوداء قبل عودتهِ الى وطنهِ ثم اصيب بها ثانية ومنهم من بقي ثلاثة اشهر فقط في اواسط افريقية ثم أُصيب بها بعد رجوعهِ الى وطنهِ

واعرف ضابطاً انكليزياً كان قد اصيب بها وهو في شرقي افريقية ثم عاودته وقضت عليهِ بعد وصولهِ الى الرصيرص بزمن ليس بطويل وآخر كان قد اصيب بالملاريا وهو في جنوبي السودان ثم عاد الى بلادهِ استشفاء منها فاصابتهُ الحمى السوداء في مرسيليا وهو على طريقهِ وقضت عليهِ هناك. ويندر ان يصاب بها اناس ممن اتوا البلاد الموبوءة بالملاريا في اول سنة من اقامتهم فيها . وقد ظهر من التقارير التي وضعتها حكومة الكنغو الحرة عن هذه الحمى ان اكثر الاصابات حصلت في السنة الثالثة من اقامة موظفيها في تلك البلاد غير انهُ قد شوهد قليل من الحوادث في من اقام ثلاثة اشهر فقط في تلك الاصقاع . ويظهر ان هذه الحمى تصيب غالباً من انهكتهُ الحمى الملارية وتشبع جسمهُ من مكروبها. ومعظم من يصاب بها البيض واما الزنوج اهالي تلك البلاد فيندر ان يصابوا بها مع انهم معرضون للحمى الملارية ويصابون بها كثيراً . وقد ذكر ايلسمون وآيلس وغيرهما من الاطباء الذين خصصوا اوقاتهم لدرس هذه العلة بعض اصابات في الزنوج ومات بها كثير من العمال الصينيين المشتغلين في سكة حديد الكنغو

الاسباب . ليس لهذا المرض مكروب خاص كما تقدم بل هو نوعٌ من الحمى الملارية الخبيثة فيصح القول بان مكروب الملارية (البلازموديم ملاريا) هو المسبب لهُ

الاعراض . قلما تختلف اعراض الحادثة الواحدة عن الاعراض الاخرى بل ان معظم الحوادث متشابهة ولو تفاوتت في الشدة والنتيجة . وقد لا يشعر الواحد بمجيئها اذ ليس لها علامات سابقة مميزة بل قد تفاجئهُ على حين غفلة وهو يحسب انهُ سيصاب بدورٍ اعتيادي . واول ما يشعر بهِ المريض قشعريرة شديدة قد تدوم ساعةً من الزمن ثم تعقبها حرارة ترتفع الى ١٠٥ او ١٠٦ بميزان فهرنهيت ويصاب المريض باوجاع شديدة في الظهر والكبد والمثانة ويشعر بميل غريب وارتياح شديد الى افراز البول وما اشدَّ خوفهُ ودهشتهُ اذ يرى ان بولهُ صار ذا لون اسود قاتم ويصاب بقيء اصفر شديد وباسهال مفرط ثم يصفر بياض عينيهِ وبشرتهُ اصفراراً شديداً وبعد بضع ساعات من ارتفاع الحرارة تهبط الى الدرجة الطبيعية ويتغير لون البول من اسودٍ قاتم الى احمر فاتح وربما عاد الى لونهِ الطبيعي وفي اليوم الثاني تعود الحمى وجميع الاعراض بشدتها الاولى وربما كانت اشد من الاول ويبقى العليل بين هبوط وارتفاع في الحرارة الى ان تنهك قواهُ ويضعف كثيراً وفي الاحوال الخفيفة ينقطع افراز الدم من البول في اليوم الثالث وتهبط الحرارة وينقطع القيء ويدخل العليل في دور النقاهة الى ان يشفى تماماً وهو النادر واما في الحوادث الثقيلة فتبقى الحرارة مرتفعة ويستمر البول على اللون الاسود وتشتد الاعراض فيفقد العليل صوابهُ الى ان يقضي نحبهُ في نحو

اليوم الرابع من ظهور الاعراض المذكورة · وجميع الحوادث الثقيلة التي لا تقف الاعراض فيها في اليوم الثالث تنتهي على الغالب بالموت للاسباب الآتية

(١) اما ان تبقى الحمى مرتفعة جدًّا فيصاب المريض بالتهابات دماغية واحتقان في شرايين المخ

(٢) قد يبقى النزف الدموي فيموت المريض بالاغماء كما لو اصابهُ نزف دموي

(٣) قد يصاب المريض بالتهاب كلوي حادّ فيتسمم دمهُ

وقد ذكر الدكتور مانسون حادثة قضى فيها العليل نحبهُ بعد ثلاثة اسابيع من تاريخ هبوط الحمى وزوال الاعراض من التهاب بالكبد وقيء دموي وشهقة مستمرة

حالة البول · اذا فحص البول وجد حامضاً (أي غير قلوي) واذا ترك في وعاء رسب منهُ راسبٌ ذو لون قاتم تعلوهُ طبقة سائل خمري اللون واذا فحص الراسب بالمكرسكوب وجد فيهِ كثير من قشور الهيالين والهيموغلوبين غير ان وجود كريات الدم في البول نادر جدًّا وهذا ما يفرق الحمى السوداء عن النزف البولي

ومن الغريب ان اكثر الذين اصيبوا بالحمى السوداء وسلموا منها يشفون من حمى الملاريا ايضاً فكأن الدم الذي افرز حمل معهُ ميكروبات الملاريا فنقى الجسم منها

المعالجة · في اول اكتشاف هذا المرض كان اكثر الاطباء يعالجونهُ باملاح الكينا بمقادير كبيرة لغاية ١٢٠ قمحة في اليوم اعتقاداً منهم ان الكينا الدواء الوحيد الفعال ضد الملاريا ثم اتضح من التجارب العديدة التي اجراها كوخ وبلنس ان الكينا تزيد شدة الاعراض وقد زاد على ذلك ان كثرة استعمال الكينا تعرض الجسم للحمى السوداء وذلك لان الكينا تجعل الهيموغلوبين غير ثابت في كريات الدم الحمراء فيسهل خروجهُ منها ومن المعلوم ان الدم الموجود في بول المصابين بالحمى السوداء هو الهيموغلوبين وليس الكريات الحمراء فكأن الكينا تساعد الداء عوضاً ان تكون هي الدواء · وعليهِ فاول ما يجب عملهُ في معالجة هذا المرض هو ابطال الكينا حالاً وعدم استعمالها في مدتهِ

الكالومل · قد جرب الكالومل بجرع كبيرة من ٢٠ — ٣٠ قمحة فاتى ببعض الفائدة ولكنهُ قد سبب التهابات في المعدة

الحامض الثنيك · يعطى منهُ ١٥ قمحة مخففاً بماء كثير كل ساعتين جرعة على اربع مرات وتعاد الجرعة في اليوم الثالث والسادس

سليسلات الصودا · قد جربت كثيراً في افريقية فاتت بفوائد حسنة · وافضل علاج

لهذا الداء الذي استعمل كثيراً فجاء بفوائد اكيدة هو

بي كربونات الصودا	نصف جرام	جرعة كل ثلاث ساعات
سايل سليماني $\frac{1}{1000}$	١٠ جرام	
ماء كلورفوم	٣٠ جرام	

ولا يستصوب اعطاء العليل منبهات مثل الكنياك لانهُ يضر بهِ كثيراً في الكليتين واما الغذاء فيكون الحليب مضافاً اليهِ قليل من ماء الصودا ويجوز استعمال الشاي ايضاً

الوقاية . ننصح لجميع الذين يذهبون الى البلاد الموبوءة بالحمى الملارية ان يأخذوا احد املاح الكينا مثل كبريتات الكينا عشر قمحات في صباح ومساء اليوم الاول والخامس عشر من كل شهر وهذه الطريقة تفضل كثيراً على اخذ هذا الدواء بجرع صغيرة في كل يوم باستمرار وعند ظهور اول دلائل الحمى السوداء يجب ابطال اخذ الكينا حالاً وان يشرب المريض ماء الشعير فاتراً وان لا يتناول غذاء مخففاً بالصودا وان يجتنب التعرض للهواء الرطب ويحسن وضع اللبخ الحارة فوق المثانة والكبد وفي أي حال من الاحوال لا يجوز استعمال مخفضات الحرارة مثل الانتبرين والفناستين والانتيفرين لان استعمالها لا يخلو من الضرر العظيم

الدكتور نسيب تبشراني

اللغة العربية والتعريب

فرغ الناس من مدح اللغة العربية فلا حاجة بي الى وصفها بما هو دون قدرها . وانما اريد ان اجمل في هذه السطور بعض ما ينبغي الانتباه اليهِ من حاجتها الى مزيد العناية . ولا يتم ذلك باجتهاد رجل او رجلين بل بانقطاع جماعة من علمائها الى الاشتغال بها . فليس يكفي اللغة ان يتهافت الناس على تأليف كتب النحو والصرف وفنون البلاغة وهي كثيرة مأخوذة بعضها من بعض وقصارى الهمة الآن ان يشترك اولئك الفضلاء في وضع قاموس يكون كثير الكلمات قليل الشرح كافي البيان مع زيادة ما ينقصها من المفردات التي ليست موجودة فيها مع شدة الحاجة الى استعمالها ويمكن ان يكون ذلك اما بقبول الكلمات الاجنبية الدالة عليها واما باستعراب كلمات من الفارسية تفيد مفادها . وكما كانت اللغات الاورية تستعير من اللغة اللاتينية واليونانية كانت اللغة العربية ايضاً تستعير من اللغة الفارسية . فهي للعربية اقرب وبها امثل

فان اللغة العربية في حاضرها ليست بكافية لحاجات المتكلمين بها · وامراء الكلام من شعراء وكتاب يعانون الصعب في تأليف كلامهم · يتبين ذلك في كتبهم وقصائدهم من صرف فيها بعض التأمل · وما هذا بذنب اللغة ولا ذنب الكاتبين بها وانما يؤخذ بجريرتهِ من اهملوا امرها ولم يصلحوا شأنها من ائمة اللغة · واذكر ان صاحب السماحة السيد توفيق البكري كان الف مجمعاً لغوياً من نحو خمسين عالماً وكان ذلك في سنة ١٨٩١ على ما اظن · فوضع هذا المجمع بعض كلمات لم تتجاوز العشرين مثل (البطاقة) لورقة الزيارة و (المدرة) للمحامي . فانتقد ما اختارهُ بعض الناس ولم يسمع بعد ذا شيءٌ عن هذا المجمع

اجل يمكن للشعراء والكتاب ان يضعوا كلمات الاشياء التي لا تعريب لها ولكن هذا يفتح للناس باب التصرف باللغة فيذهب كل فيها مذهباً ومتى عمَّ الاجتهاد لم يؤمن الخطأُ · وهل يرضى كل الناس بكلمة رضيها احدهم كلاَّ بل يظل مكان النقص كما كان

رأيت قصصاً ترجمها الى العربية صديقي المرحوم الشيخ نجيب الحداد · فاذا هي لا تشبه شيئاً ولا يصح ان يقال في مثلها ما يقال في كتب البلغاء · وما كان ذلك عجزاً من الاديب المرحوم ولا جهلاً · ومثلهُ لا يتهم في ادبهِ ولا يطعن على فضلهِ · ولو قيل لي في ترجمة واحدة من تلك القصص لجاء ما اكتبهُ دون ما جرى بهِ قلم صديقي النجيب · وما ذاك الاَّ لوقوف اللغة العربية عند ما كانت عليهِ من منذ الف وخمسمائة عام · وانما وضع اللغات واضعوها لتكفي بحاجاتهم · وحاجات السلف لم تتعدَّ ما ابتذل من الاشياء . ولو كانت هذه البواخر واسلاك البرق والتليفونات وغيرها موجودة في ايامهم لوضعوا لها كلمات تدل عليها

ورجال القلم في هذا الزمان على مذهبين احدهما تقليد القدماء في كلامهم واخذ الجمل منهم كما قالوا · ومثلهم كثير ممن نسمع منهم ما يقولون مثل : سارت بذكرهِ الركبان وعقدت عليهِ الخناصر وشب عن الطوق وما اشبه ذلك · والمذهب الثاني جعل الكتابة العربية مثل الكتابة الافرنكية وهذا رأي سديد لولا ما يعيبهُ من الافراط · واذا كان رجال المذهب الاول مخطئين في الاستمرار على ما تقادم عهدهُ فرجال المذهب الثاني مخطئون في تركيب الكلام وصوغهِ — ثم الفريق الاول يحول دون ترقي اللغة ويشوه محاسنها بانتقاء ما سمع من كلماتها مبالغة منهُ في التشبه باهل البدو من الجاهلية وغيرها · والفريق الثاني اتفق على الفاظ يركب منها كلامهُ وكلما رأى كلمة لا يعرفها قال هذه لغوية (يريد عويصة) وقال ينبغي ان تكون كتاباتنا كلها عصرية · والحق ضائع بين رجال المذهبين

القشرة الرقيقة التي تحيط ببياض البيضة مما يلي قشرها الخارجي يقال لها غرقئ والفرنساويون يقولون (Zeste) . فاذا دعت الحاجة الى ذكر الغرقئ عابها الناس ولكن ما الحيلة وليس هنالك لفظ آخر يدل دلالتهُ . واستعمال هذه الالفاظ ليس كاستعمال ما لا ضرورة اليهِ مثل الحيزبون والدرديس والعلطبيس كما ذكرهُ الصفي الحلي في ابياتهِ المعروفة

اشعر الشعراء واكتب الكتاب في هذا الزمان عاجز عن وصف غرفة نوم او ثياب رجل . فاذا هو رضي بالسرير والغطاء والكرسي والمرآة فما يقول في غيرها . افلا يوجد شيءٌ آخر في غرف النوم ؟ ما هي (الجاكته) وما هو (البنطلون) وهل ثم شاعر تطاوعهُ نفسهُ الى ذكرها كذلك في شعرهِ ؟ ما ظننت ذلك قط . وهل في الناس صاحب يجرأُ على ان يقول « فلانة تختال في فستانها الازرق وبرنيطتها او قبعتها السوداء والى جانبها صديقتها فلانة لابسة ثوباً تايوراً » ؟ كلا ً ثم كلا ً . هذا اشبه شيء بهذيان المحموم

الفرنساويون وضعوا كلمات لاجزاء النافذة مثل Dormant, Traverse de haut, Petit bois, Crémoue, Battant Meneau, Battant de noix, كما يجدهُ القارئ في قاموس لاروس . فما يقال لهذه الاشياء باللغة العربية وهل يمكن الاستغناء عنها واهمالها والغدر باللغة العربية ام اخذ هذه الكلمات كما هي

ان لغة (الاسبرانتو) ولم يمضِ على وضعها ربع قرن يتكلم بها الآن خمسمائة الف انسان . وطبع بها الفا كتاب وينتشر بها اليوم نحو الثمانين من جريدة ومجلة وغيرهما . واللغة العربية وهي سيدة اللغات تكاد تدرس حتى في اوطانها . والذي نفع تلك هو سهولة تعلمها والذي اضرَّ بهذه هو صعوبة تعلمها . واللغة العربية لغتان متباينتان احداهما يتكلم بها العامة والاخرى تكتب بها الكتب . وتوحيدها من اصعب الامور . على ان الصعب يمسى ذلولاً وينقاد الى المراس اذا عولج بالصبر والثبات . ولو تفضل اساتذتنا اصحاب المقتطف بوضع كلمات مما تحتاجها اللغة وادخلوها بعد ذلك في قاموس لكنا لهم من الشاكرين . ولقد سررت بالكلمات التي استخرجها حضرة الفاضل الدكتور معلوف من اسماء الطيور فاذا حذا غيرهُ حذوهُ في استخراج مثلها في الملابس والاثاث وما كان من هذا القبيل وألف بعد ذا قاموس يحوي هذه المستخرجات كانت الفائدة عظيمة

ولي الدين يكن

تصديق الغرائب

ألَّف احد الاساتذة الاميركيين كتاباً في موضوع علمي شرقي وبعث بهِ الينا لننتقدهُ لهُ فرأيناهُ يذكر في اوائلهِ ان الشرقيين اميل من غيرهم الى تصديق الغرائب عن غير ان يبحثوا عن عللها ومن غير ان يعرضوها على ميزان العقل والنقد فكتبنا اليهِ نقول اننا اذا قابلنا بين معارفنا من الشرقيين والغربيين الذين تساوت وسائطهم العلمية لم نجد الشرقيين اميل الى تصديق الغرائب من الغربيين وذكرنا لهُ امثلة المرسلين الذين يصدقون كل ما يروى لهم ولو ناقضهُ العقل او الاختبار وامثلة العلماء الذين يصدقون بمناجاة الارواح وانتقال الافكار ودلالة اسارير الكف وما شاكل مما لم يقم دليل على صحتهِ · فاجابنا جواباً مسهباً ومما قالهُ فيهِ ان الحوادث التي تنسب الى مناجاة الارواح وافعالها قد بحثت فيها جمعية المباحث النفيسة بحثاً علمياً مدققاً واحتاطت لكل ما يمكن وقوعهُ من الغش فثبتت لها صحة كثير منها مثل افعال اسابيا بلادينو وهي لا تعلل الا بفرض من فرضين اما وجود الارواح وفعلها واما تأثير العقل في المادة وفعلهِ بها فعلاً مادياً

نقول وليس العبرة بالتعليل بل بصدق الحادثة التي يراد تعليلها وهو مثل قول احد ملوك الانكليز للجمعية العلمية الملكية لماذا اذا وضعنا اناء فيهِ ماء في ميزان وكان وزنهُ ووزن مائهِ كذا ارطالاً ثم وضعنا سمكة في الماء ولم يُرَق منهُ شيء بقي وزنهُ على حالهِ اي ان السمكة لا تزيد وزنهُ · فان هذه الحادثة اذا صحت لم يمكن تعليلها بنواميس المادة المعروفة ولكنها غير صحيحة واذا كان وزن السمكة رطلاً فوزن الاناء والماء يزيد رطلاً تماماً بوضع السمكة فيهِ · وما ينسب الى اسابيا بلادينو يحتمل ان يكون غير صحيح وان يكون العلماء الذين قالوا بصحتهِ مغشوشين اي مصابين بما يسمَّى بالاستهواء الذاتي ويحتمل ان تكون طرق الخداع خفية فلم يستطيعوا اكتشافها لانهُ قلما يوجد منهم او من غيرهم من يستطيع ان يكتشف كل حيل المشعوذين

كنا قبيل كتابة هذه السطور نتكلم في موضوعها مع احد آحاد العلماء فقال قولوا ما شئتم في حيل المشعوذين اما افعال المنومين فلا يمكن تعليلها بناموس طبيعي ولا ردها الى الحيل وانا لا استطيع ان اكذب مشاعري فقد رأيت بعيني المنوّم ينوّم امرأة ويضعها على كرسيين رأسها على كرسي ورجليها على كرسي آخر ثم ينتزع الكرسيين من تحتها ويبقيها معلقة في الهواء فضحكنا وقلنا لهُ هذه حيلة عملها وقد نشرنا تفصيلها في المقتطف غير مرة فلم يصدق انهُ يمكن ان توجد حيلة تجعل جسم المرأة يقف في الهواء فقلنا ليس الامر كذلك بل ان

المشعوذ اخرج من الحائط الذي وراء الكرسيين قضيباً افقياً من الحديد له عارضة من الحديد ايضاً ومدّه تحت ظهر المرأة نحملها عليهِ ورفع الكرسيين من تحتها وهي لم تكن نائمة بل كانت متناومة · فوجد ان هذا التفسير معقولاً

وكان احد المشعوذين يطلب ان تربط ذراعاه معاً وراء ظهرهِ ويجعل اثنين من الاقوياء يمسكان طرفي الحبل ثم يفك يديهِ من غير مساعدة احد ويعيدهما الى رباطهما كذلك وقد حار العلماء الاوريون والاميركيون في ذلك وحاولوا تعليله بفروض تشريحية كتمدد العضلات وقوة المخل وما اشبه مع انهُ محض حيلة ولا شأن للعلم فيهِ وقد قلنا ذلك مرةً في جمهور من الاصدقاء فلم يصدقوا فطلب كاتب هذه السطور منهم ان يربطوا يديهِ معاً وراء ظهرهِ فربطوهما وشدوا الرباط جهدهم فاخرج يديهِ منهُ الواحدة بعد الاخرى ثم ردهما اليهِ واراهم الحيلة التي استخدمها لذلك فرأوها من ابسط ما يكون

ثم ان العلماء الذين شاهدوا اعمال اسابيا بلادينو ودافعوا عنها جهدهم مثل الاستاذ لمبروزو وقالوا انها تفعلها بقوة روحية هؤلاء العلماء انفسهم يقولون انها تمزج اعمالها الصحيحة بالحيل والخزعبلات وفسروا ذلك بان رغبتها الشديدة في نجاح اعمالها تدفعها احياناً الى استعمال الحيلة اذا رأت ان الروح لم تلبها كما تريد · ويظهر لنا ان العمل الذي يكتشفون الحيلة فيهِ يقولون انهُ حيلة والعمل الذي لا يستطيعون ان يكتشفوا ما فيهِ من التحيل يقولون انهُ صحيح لا خداع فيهِ

اذا وقف الكيماوي في نادي الخطابة او نادي التعليم يظهر غرائب الاعمال الكيماوية كحرق الماس في الاكسجين واشعال الفصفور تحت الماء لم يحتج لادهاش سامعيهِ وناظريهِ الى شيء من الحيل والشعوذة · واذا لجأ الى الحيل فذلك شبهة كبيرة على قصر معارفهِ الكيماوية وفساد دعاويهِ فيها وهذا شأن مناجي الارواح فانهم اذا كانوا يناجون الارواح حقيقة وكانت الارواح خاضعة لهم فما تعملهُ وحدهُ كافٍ لاثبات دعواهم فلماذا يلجأون الى الحيلة والخداع وما ادرانا ان ما لم نكتشف خداعهم فيهِ ليس خداعاً مثل الذي كشفناهُ · وزد على ذلك فان الحق يعصم اصحابهُ عن الخداع ولا يعقل ان يكون انسان على حق ودليلهُ فيهِ واضح مقنع وهو يلجأ الى الحيل والاخاديع

هذا ودعاوي المدعين مناجاة الارواح وحلول ارواح الموتى فيهم كثيرة عند الاوريين والاميركيين تنشرها مجلاتهم كما تنشر المكتشفات العلمية · نشر الدكتور جمس هسلب في مجلة جمعية المباحث النفسية الاميركية ان رجلاً اسمهُ المستر طمسن تعلم مبادئ فن

التصوير الاولى وفي اواخر سنة ١٩٠٥ بدت منهُ رغبة شديدة في الرسم والتصوير وجعل يقول ان جفورد يريدهُ ان يصوّر. وجفورد هذا مصوّر التقى طمسن بهِ عرضاً في الريف وكان طمسن يصطاد وجفورد يصور الاراضي. ثم التقى بهِ ثانية في نيويورك وأراهُ بعض الحلى ولم يكن بينهم صداقة ولا معرفة تامة. ومات جفورد قبلما ظهرت هذه الرغبة في طمسن بستة اشهر ولم يكن يعرف شيئاً عن موتهِ حتى ذهب يوماً الى بيت جفورد ليرى صوره فسمع صوتاً يناديهِ ويقول له اترى ماذا فعلت افلا تقدر ان تأخذ صورتي هذه وتتمها. ولم يكن طمسن من الذين يعتقدون بمناجاة الارواح فظن انهُ كان يحدس حدساً لكنهُ مسك قلم التصوير بيدهِ واتمّ الصورة ثم صوّر صوراً أُخرى من الصور التي رسمها جفورد قبل موتهِ ولم يتمها فظنّ انهُ اصيب بدَخَل في عقلهِ ومضى الى الدكتور هسلب فرأى هذا ان مسألتهُ تستحق البحث وجمعهُ مع وسيط فظهر له ان روح المصوّر جفورد كانت ترشدهُ لتتميم صورهِ

هذا ما ذكرتهُ مجلة جمعية المباحث النفسية التي يقول صديقنا انها تبحث في ما يعرض عليها بحثاً علمياً مدققاً وعندنا ان الريب في صدق طمسن هذا اقرب الى المعقول من دعواهُ لاسيما وان مهارة المصور في التصوير ليست متوقفة على روحهِ والاَّ لصار كل مصور مصوّراً في يوم او اسبوع ولكنها متوقفة على تمرُّن اعصابهِ وعضلات يدهِ فلو اصيبت يمين المصور بآفة لم تقم يسراهُ مقامها مع ان روحهُ تبقى على حالها

وكتب المستر اوستن في مجلة العقل يعلّم الناس كيف يتناجون عن بعد او يتناقلون الافكار فقال

(١) انظر ملياً في الموضوع الذي تريد نقل الافكار فيهِ

(٢) اختر واحداً من اقاربك او معارفك الذين تميل اليهم او واحداً من الذين يشتغلون بذلك الموضوع او يهتمون بهِ مثلك

(٣) اختر الساعة الثانية صباحاً (اي بعد نصف الليل بساعتين) لانها خير الاوقات لما تريد ويكون الشخص الذي اخترتهُ نائماً في الغالب والنوم يوقف الشعور ولكنهُ لا يمنع ما تريدهُ

(٤) تصور ان الشخص الذي اخترتهُ قريب منك وخاطبهُ بما تريد فكرياً كأنهُ واقف امامك فتنتقل الافكار منك اليهِ ولا بأس بأن تذكر اسمهُ حينئذٍ كأنك تخاطبهُ وجهاً لوجه لكي يزيد انطباع افكارك في ذهنهِ

(٥) اجتهد في نقل افكارك الى من تريد نقلها اليهِ وهو نائم او مصاب بغيبوبة لانهُ يكون اقبل حينئذٍ للتأثر بها منهُ لو كان مستيقظاً

(٦) كرر ذلك مثنى وثلاث ورباع

(٧) كلّم من تريد نقل افكارك اليهِ بسلطة كمن يأمره امراً لأن العقول يتسلط بعضها على بعض والعقل الذي يصل اليهِ التأثير يتطلب سلطة العقل الذي يؤثر فيهِ

(٨) اجمع كل قوى عقلك ونفسك في الافكار التي تحاول ارسالها وانت ترسلها ولا تفكر الاَّ فيها كأَنك تريد ان تنقل نفسك الى نفسهِ

وقرأنا لغيرهِ ارشادات اخرى في هذا الموضوع قال فيها ان نقل الافكار لا يكون بالكلام بل بالتصوُّر فاذا اردت من شخص ان ينهض ويكتب لك كتاباً فلا تقل لهُ قم واكتب كتاباً لان نفسهُ لا تفهم كلمة قم وكلمة اكتب بل تصوَّرْ فعل النهوض من السرير وفعل مسك القلم والكتابة واسناد الفعلين اليهِ اي انقل الصور الذهنية الى عقلهِ لا الكلمات الدالة عليها فان كانت هذه الامور صحيحة لم يبقَ شيءٌ من خرافات الاقدمين الأَّ وهو محتمل الصحة

السلطة للمال

كانت السلطة للقوَّة البدنية فاختصَّ بها الاقوياء الذين يقهرون غيرهم في الحروب وتوارثها اعقابهم وقبائلهم فقام منهم الملوك بالانتخاب او بالارث . ولما كان عملهم الامارة وهي غير منتجة أي لا دخل لها لا من الارض ولا من عمل الغير تقاضوا نفقاتهم من الغنائم او من ابتزاز الاموال من الاغنياء فكانوا يغزون غيرهم من القبائل لاغتنام اموالهم ويصادرون الاغنياء من ابناء قبيلتهم ويبتزُّون ما عندهم فوق ما يضربونهُ على عامة الشعب من الضرائب وجروا على ذلك الى عهد قريب . فقد بقي ابتزاز اموال الاغنياء شائعاً في هذا القطر الى اواخر عهد اسمعيل باشا حتى كان اغنياؤُهُ يضطرون ان يخفوا اموالهم ويتظاهروا بالفقر اما الاطيان التي لا يمكن اخفاؤُها فكانت تؤْخذ منهم بثمن او بلا ثمن واذا ابوها فبالعدَّة والكرباج كما هو معلوم . وما بقي جارياً في هذا القطر الى اواخر عهد اسمعيل باشا كان جارياً في كل البلدان في المسكونة كلها ولا يزال جارياً في بعضها الى الآن

ولقد نهض الشعب من وقت الى آخر لاسترداد السلطة المغصوبة منهُ فكان يفلح تارةً ويفشل اخرى وكان يتفق ان يتسلط عليهِ رجال أُشربوا حب العدل فيعدلون فيهِ ولا يتقاضونهُ غير ما يكفي لاقامة العدل وحفظ سياج المملكة كما فعل بعض الملوك والخلفاء ولكن نعلهم هذا كان بمجرَّد ارادتهم لا بحق خوَّلهُ الشعب واحتفظ بهِ . ودامت الحال على هذا

المنوال الى ان قويت سلطة الشعب وتمَّ الاتفاق على اعادة السلطة لهُ في اكثر الممالك الاوربية فتمتع الاغنياء بغناهم ولم يعد اهل الامارة يستطيعون ان يبتزُّوا الاموال منهم بل أُجبروا على الاكتفاء بما فُرض لهم على الشعب اي بما فرَضهُ لهم نوَّاب الامة مما يلزم لنفقاتهم لا يزاد غرشاً فعاش الاغنياء ناعمي البال آمنين من مصادرة الاموال

والغنى ينمو وقلما يستطيع الغنيُّ ان ينفق كل ريع امواله فتزيد وتتراكم سنة بعد اخرى ومن ثم قام في الممالك الدستورية الاغنياء الكبار مثل بيت رتشيلد وبيت استور وبيت فندربلت وكارنجي وركفلر وغيرهم من الذين فاقوا بغناهم الملوك والامراء· ولم يكتفِ هؤلاء الاغنياء بالاحتفاظ باموالهم بل صارت لهم السلطة السياسية ايضاً في البلدان التي هم فيها حتى جعلوا جيوشها واساطيلها رهن امرهم وطوع اشارتهم تدافع عن اموالهم بدمائها· وهذا معنى ما يقولهُ الآن ساسة انكلترا وفرنسا والمانيا واميركا « مصالحنا » اي متاجر اغنياء بلادهم واموالهم المدانة للامم الاخرى · فمصالح فرنسا في مصر هي البنك العقاري الذي اكثر اسهمهِ وسنداتهِ في يد الفرنسويين وبنك الكريدي ليونه الذي اكثر اموالهِ منهم وجانب كبير من دين الحكومة المصرية الذي يخص اناساً من الفرنسويين والمتاجر التي ترد كل سنة من فرنسا وتباع في هذا القطر · وقس على ذلك مصالح المانيا وايطاليا والنمسا وبلجكا· ومن هذا القبيل مصالح انكلترا ايضاً ويزاد عليها حصتها الكبيرة من ترعة السويس وكون هذه الترعة طريقاً الى املاكها ومصالحها في الهند

واذا بحثتَ عن اصحاب هذه المصالح الحقيقيين من انكليز وفرنسويين والمانيين ونمسويين وبلجيكيين وايطاليين وجدتهم الاغنياء اصحاب البنوك والمعامل والمصانع الذين لا يتجاوز عددهم الالوف او المئات واما جمهور الشعب من الفلاحين والعمال الذين يعدُّون بعشرات الملايين فلا يملكون شيئاً من هذه المصالح وغنى مصر وغيرها من البلدان الشرقية لا يكسبهم رغيفاً فوق الرغيف الذي يأكلونهُ وفقرها لا يخسرهم غرشاً· وقس عليهم الجنود البرية والبحرية الذين يدافعون عن مصالح بلدانهم بدمائهم مسوقين الى الحروب كالانعام فانهُ ليس لهم سهم من تلك المصالح وانما هي مصالح الاغنياء وهم خدَم مسيرون في هذا التيار تيار خدمة الوطن ومصالحهِ

وقد تقدَّم لنا في مقالة سابقة ان للانكليز ٢٧٠٠ مليون من الجنيهات مثمَّرة (موظفة) في غير الجزائر البريطانية فمنها ١١٧٠ مليون جنيه في اميركا وكندا و ٥٣٥ مليون جنيه في افريقية و ٤٥١ مليون جنيه في اسيا و٣٤٧ مليون جنيه في استراليا و٢٠٥ ملايين جنيه في ممالك اوربا و١٥٠ مليون جنيه في اميركا الجنوبية· ولسائر ممالك اوربا اموال مثمَّرة في كل البلدان

ويقدَّر مجموعها كلها بنحو ستة آلاف مليون جنيه . وهذه الاموال تزيد كل سنة زيادة فاحشة فقد ذكرنا في جزء اغسطس الماضي انهُ يفضل مع الانكليز كل سنة نحو مئة مليون جنيه وهي فضلة دخلهم على نفقاتهم واحصى بعضهم ما يفضل عند غيرهم من الامم فوجد انهُ يفضل كل سنة عند اهالي الولايات المتحدة ١٢٠ مليون جنيه وعند الفرنسويين ٨٠ مليون جنيه وعند الالمانيين ٦٠ مليون جنيه وعند البلجيكيين والهولنديين والسويسريين ٥٠ مليون جنيه وعند النمسويين ٣٢ مليون جنيه وعند الروسيين ٣٢ مليون جنيه ايضاً وعند الايطاليين ١٢ مليون جنيه وعند الاسبانيين والبرتغاليين ١٢ مليون جنيه وعند الاسوجيين والنروجيين ثمانية ملايين جنيه والجملة نحو ٥٠٠ مليون جنيه

هذه الاموال الطائلة تفضل كل سنة عمَّا ينفقهُ الاوربيون واهالي الولايات المتحدة فيوسعون بها الاعمال في بلدانهم المختلفة ويثمرونها في اسيا وافريقية . واذا تذكرنا ما قالهُ الحكيم وهو ان المديون عبد للدائن فهم يستعبدون باموالهم سكان اسيا وافريقية بتدينهم اياها المئة باربعة الى ستة او سبعة في السنة ويتقاضون ربعها منهم وهو لا يقل عن ثلثمئة مليون جنيه

ولكن الذي يجول في البلدان الاوربية لا يرى جمهور الاهالي على ثروة طائلة بل بالضد من ذلك يراهم فقراء يعيشون من يدهم الى فمهم كما يقول المثل الانكليزي واذا ابطلوا العمل بسبب المرض او المطر تضوروا جوعاً وقد يموتون جوعاً بالفعل فجمهور الاهالي او تسعة وتسعون في المئة منهم لا ينالهم شيء من هذه الثروة فهي خاصة بالاغنياء وهم خدام لهم يخدمونهم بقوى اجسامهم وعقولهم كما تخدمهم الامم المديونة لهم

تدفع الحكومة العثمانية لاصحاب الديون من الاوربيين اكثر من ثمانية ملايين من الليرات كل سنة ولا يزيد دخل شعبها كلهِ على ثمانين مليون ليرة فاكثر من عشر دخلهم يذهب الى نفر قليل من اصحاب ديونها عدا ما يكسبونهُ من متاجرهم مع تركيا . وتدفع الحكومة المصرية وشعبها لاصحاب الديون المصرية من الاوربيين ستة ملايين من الجنيهات او اكثر وقد لا يزيد دخل القطر المصري كلهِ على خمسين مليوناً من الجنيهات فهو يدفع اثني عشر في المئة من هذا الدخل للدائنين . وقس على ذلك سائر البلدان المديونة لهم . واذا تأخرت بلاد عن دفع دينها او اذا ظُنَّ في بلاد انها تستطيع ان تستدين من اموال هؤلاء الاغنياء وهي لا تستدين منها او انها تستطيع ان تشتري من بضائعهم وهي لا تشتري استخدموا كل ما لديهم من الوسائل لجعلها تدفع ربى دينها على آخر بارة ولجعلها تستدين منهم وتشتري من بضائعهم وهذا سبب تعرضهم لشؤون البلدان المختلفة في اسيا وافريقية واتباعهم سياسة

الباب المفتوح واهتمامهم بالمقاطعة التجارية وعدها حرباً عدائية

وجملة القول ان السلطة الفعلية انتقلت او اخذت تنتقل من اصحاب الامارة الى اصحاب الاموال . وصار اهتمام اصحاب الامارة بالسلطة على مقدار نفعهم منها لانهم هم ايضاً صاروا شركاء مع التجار في المتاجر والاسهم والسندات . فهل خسر الشعب بما تمَّ حتى الآن من انتقال السلطة الى اصحاب الاموال وهل تزيد خسارتهُ اذا تمَّ هذا الانتقال كما ينتظر . والجواب كلاّ لان نسبة الشعب الى اصحاب الامارة كانت نسبة العبد الذليل الى سيدهِ العاتي واما نسبتهُ الى اصحاب الاموال فنسبة الخادم القوي الى سيدهِ الضعيف فتراهُ يعتصب على اصحاب الاموال من وقت الى آخر فيضطر هؤلاء ان يراضوهُ ويرفعوا اجورهُ . ولم يكن احد من عامة الشعب يطمع بالامارة اما الغنى فسبيلهُ مفتوح امام كل مجتهد مقتصد ولذلك قد ترى الواحد الآن يولد وهو من افقر الفقراء ويموت وهو من اغنى الاغنياء . وقلما كان اصحاب الامارة يهتمون بتوزيع سلطتهم على شعبهم اما الاغنياء فكثيراً ما ينفقون الاموال على الاعمال العمومية النافعة لجمهور الشعب واذا كان اولاد الملك لا يصلحون لان يخلفوهُ لم يستطيعوا ان يوزعوا سلطتهُ على شعبهِ واما اولاد الاغنياء فاذا لم يستطيعوا الاحتفاظ باموال ابيهم يذروها ويبددوها فتتوزع على الجمهور ثانية . واموال الاغنياء عملت كل الاعمال العظيمة المؤسسة على الاختراعات الحديثة التي بها قلَّت المشاق وزادت الراحة . والخلاصة ان هذا الانتقال ليس بضائر اذا نظرنا اليهِ في الامم امة امة اي ان ابناء الامة الواحدة لا يضرُّون بانتقال السلطة من امرائهم الى اغنيائهم بل يستفيدون ولكن ما يصدق على ابناء الامة الواحدة بالنسبة الى امرائها واغنيائها لا يصدق عليهم بالنسبة الى اغنياء غيرها من الامم فلتتدبر ذلك الامم الشرقية لئلاّ تضيع البقية الباقية لها من العزة والحرية باستعبادها لملوكها ولاغنياء الامم الاخرى

اما الامم التي وضع على عنقها نير الدَّين واستحكمت حلقاتهُ كالامة المصرية فسبيلها الوحيد لاسترجاع حريتها الاجتهاد والاقتصاد . الاجتهاد حتى تكثر موارد دخلها وتزيد وذلك باتقان الزراعة والصناعة وكل الاعمال المنتجة وهذا الباب واسع جدًّا لانهُ اذا استطاع زيد ان يستغل من فدانهِ ثمانية قناطير من القطن وثمانية ارادب من القمح و ١٥ اردبًا من الذرة وجب ان يستطيع ذلك كل احد لان ارض مصر تكاد تكون واحدة في معدنها . والاقتصاد في النفقات ولاسيما اقتصاد الاغنياء الذين يبذرون اموالهم على ما لا يفيد احداً . فاذا زادت ثروة البلاد وتخلصت من ديونها سهل عليها نيل كل حرية

فلسفة شوبنهور [1]

شوبنهور زعيم فلسفة التشاؤم ومن كبار فلاسفة الالمان في القرن التاسع عشر ولد سنة ١٧٨٨ وقضى صباهُ في المانيا وفرنسا وانجلترا تبعاً لرأي والدهِ في التربية • فنشأ من ذلك حرّ الفكر لم تقيّد عقلهُ قيود المدارس التي تضر الكثير وتنفع القليل • وكان غرض والدهِ ان يعدّهُ للتجارة ولكنهُ لم يحقق هذا الغرض اذ مات منتحراً نتيجة افلاس مالي • اما امهُ وكانت كاتبة بارعة في الفنون فلحظت تشوّقهُ الى العلوم فأدخلتهُ في احدى الجامعات فنبغ فيها وبدت بوادي فلسفتهِ من ذلك الوقت • فكان على شدة شهواتهِ كابحاً لها كما تشهد بذلك مذكراتهُ التي قال فيها احد مترجميهِ انها غير خليقة بالظهور امام الجمهور • ولما ترك الجامعة كانت افكارهُ قد اختمرت فألف كتابهُ المشهور : العالم ارادة وتصوّر

ولكن قضي عليهِ ان يموت قبل ان يتنبه العلماء لاقوالهِ على شدة الحاحهِ بعلو فلسفتهِ وقدرها • اما الآن فيعد في مصاف العلماء الذين قدموا الفلسفة واسفروا عن الطبيعة الخفايا الكثيرة • وقد عاش عزباً الى ان مات في سنة ١٨٦٠

١ الحقيقي والتصوري

قال شوبنهور عن كتابهِ انهُ ليس نظاماً فلسفياً بل تصوّر يمكن تطبيقهُ على كل اعمالنا • وهذا التصوّر ينحصر في القول بان كل الاشياء التي حولنا — كل هذا العالم الذي نشعر بهِ او نراهُ هو خيال ولا نعرف حقيقتهُ • مثال ذلك هذا الكتاب فنحن لا ندرك حقيقة الكتاب بل ندرك ما تدلنا عليهِ حواسنا عنهُ . فعلمنا عن الكتاب تصوري خيالي لا حقيقة • فلو زادت فينا قوة الشم مثلاً الى درجتها في الكلب لتغير ما نعرفهُ عن الكتاب

فنحن اذن نعرف ظاهر الشيء او هيئتهُ اما ذاتيتهُ او حقيقتهُ فلا نعرفها لان حواسنا تدلنا فقط على ظواهر الاشياء • فاذا اردنا ان نفهم كنه الطبيعة او سرها وجب ان نعتمد على شيء آخر غير حواسنا

ولكن علومنا ومعارفنا كلها مبنية على ادراك الحواس • اذن فعلومنا خطأ ونحن نعرف ظواهر الاشياء لا حقيقتها

ولكننا نرى في الطبيعة نواميس ثابتة تدل على قوة كامنة فيها كالجاذبية مثلاً • ويقول شوبنهور ان الجاذبية هي مظهر من مظاهر القوة العالمية التي يسميها بالارادة

(1) The World as Will and Idea by Schopenhauer

فالارادة هي الحقيقة الوحيدة التي نعرفها · ونحن نعرفها من أنفسنا اولاً فهي تعبّر عن نفسها فينا بالشهوات والغرائز وتعبر عن نفسها في العالم بكل المظاهر التي تظهر امامنا · فحركة السيارات وجري الرياح والانهار وقتال الوحوش والحياة نفسها — كل هذه تعتبر من مظاهر القوة او الارادة العالمية · فالارادة حقيقية فينا بمعنى أنها غير مبنية على الحواس التي تنقل لنا صور الاشياء او هيئتها وهي اس الحركة والعمل فينا وفي الطبيعة

٢ فلسفة التشاؤم

ولكن ما هي نتيجة هذا التصوُّر ؟ لنبحث أولاً عن حقيقة الارادة

اذا اردنا ان نأكل عنينا بذلك اننا في حاجة الى الاكل · واذا لم نكفِ هذه الحاجة شعرنا بألم الجوع

فالارادة دليل حاجة في جسمنا · وهذه الحاجة دليل ألم يهدأ بالاكل فالارادة ألم

ولكن السعادة المعروفة اليوم هي ان تهدأ نفوسنا أي ان لا نتنافر طبيعتنا مع ما هو حولنا · وبعبارة أخرى ارضاء ارادتنا

ولكن ارادتنا ألم فهل ارضاء الألم سعادة ؟

اذا اردت ان اسديك فضلاً فلا ينبغي ان اكتفي بايفاء ما عليَّ لك من الدين · ولكن هذه هي السعادة · فالطبيعة اذا أرضت شهواتنا او ارادتنا سمينا أنفسنا سعداء بمعنى انها اذ اوفت دينها ولم تزد عليهِ شيئًا اغتبطنا وفرحنا بما نحن فيهِ من السعادة

هذه هي فلسفة التشاؤم · أي ان السعادة من الاوهام الفارغة التي نجري وراءها ولا نصل اليها · والانسان عبد لارادتهِ وبالنتيجة هو اناني فاذا سعد فببؤس غيرهِ وقيمة الجنيه الذي في جيبه تزيد بقدر احتياج غيرهِ اليهِ

وقد انكر ان الله يجازي الانسان في الحياة الثانية وقال ان الانسان مقضي عليهِ بالشقاء في هذه الدنيا ودواؤُهُ الوحيد ان يتخلص من حياتهِ ويخلص غيرهُ بالتبتل وعدم ولادة الاولاد

وقد فعل بما قال بل وزاد فعاش عزبًا طول حياتهِ واشتد كرههُ للنساء لانهنَّ سبب تخليد نوع الانسان الى حد ان ضرب واحدة منهنَّ وغرّم بدفع اعانة شهرية لها الى ان ماتت

هذه هي خلاصة الخلاصة لما ارتآهُ في الكتاب المشار اليهِ واهم اعتراض على هذه الفلسفة أولاً ان السعادة ليست غرض الانسان — اذا أريد بالسعادة اطمئنان النفس الى ما حولها · وثانيًا ان الانانية التي هي اس اعمالنا حتى في تضحية انفسنا فضيلة يجب ان تمدح ونقوى على أساليب معقولة

لندن سلامه موسى

الميزانية العثمانية

خلاصة اجمالية لميزانية سنة ١٣٢٥ المالية العثمانية التي انتهى مجلس المبعوثان من المناقشة فيها في ١٣ اغسطس الماضي

المصروفات	غرش
الديون العمومية	٨٢٩ ٤٢٦ ٢٠٢
الخزينة الخاصة	٥٢ ٢٥٧ ٠٢٧
المجلس العمومي (الاعيان والمبعوثان)	٢١ ٥٣٤ ٦٠٠
الصدارة	٣ ٤٤٩ ٤٠٧
شورى الدولة	٥ ١٥٢ ٢٢٧
الداخلية	٨ ٥١١ ٢٩٢
الامن العام	٤٠ ٣٦٣ ٠١٠
الخارجية	٢١ ٨٣١ ٠٢٥
المالية	٢٧٢ ٣٢٣ ٤٨٢
ديوان المحاسبات	٠ ١ ٦٢٨ ٤٠٠
الرسومات (الجمارك)	٥١ ٤٨٣ ٨٧٦
البوستة والتلغراف	٦٩ ٢٨٩ ٩٥٣
الحربية	٨٢٨ ٠٥٤ ٢٦٣
الطوبخانة	٤٣ ١٤٥ ١٤٨
الجندرمة	١٨٠ ٠٧١ ٤٦٢
البحرية	١٢٢ ٨٨٤ ٠٨٦
العلمية (المشيخة)	٤٨ ٥٤٣ ٣٧٧
العدلية والمذاهب	٦٥ ١٩١ ٧٢٠
المعارف	٦٦ ٠٥٢ ٧٥١
الخراج والمعادن والزراعة	٣٣ ٤٢٦ ٢٩٦
التجارة والنافعة (التجارة والاشغال)	١٠٦ ٤١٢ ٣٥٥
السكة الحديدية الحجازية	٦٩ ٣٢٥ ١٢٤

الدفتر الخاقاني (قاداسترو)	١١ ٣٨٢ ٠٠٠
الصحة	١ ٠٩٢ ٠٨٠
المجموع	٣ ٠٥٢ ٨٣١ ١٧٢

الايرادات

ضريبة الاملاك والعقار	٢٤٣ ٥٧٦ ٤٠٠
ضريبة التمتع	٤٧ ٢١٧ ٥٠٠
البدل النقدي	١٢٨ ٩٦١ ٢٠٠
التكاليف الشخصية في الطرق والمعابر	٢٨ ٣٤٤ ٤٠٠
رسوم الاغنام والجمال والجواميس	١٦٦ ٩٣٤ ٩٠٠
الاعشار	٥٣٨ ٣١٠ ٢٠٠
الرسوم التي تؤخذ من الغابات الخصوصية	١٢ ٦٨٦ ١٠٠
رسوم المعادن	٥ ٥٥٥ ٨٠٠
اثمان تذاكر الضرائب	٥ ٦٦٠ ١٠٠
حاصلات الاملاك الاميرية المحولة من الخزينة الخاصة	٦٢ ٠٣٣ ٣٠٠
حصة اعانة المنافع والمعارف	٧٧ ١٢٣ ٠٠٠
رسوم التمغة	٤٢ ٥١٦ ٠٠٠
الخرج	٣٧ ٠١٢ ٨٠٠
القيديات	٢٦ ٨٨٥ ٨٠٠
رسوم المسكرات وبيع التنباك	٢٨ ٥٢٤ ٣٠٠
رسوم الكمرك	٣٩٤ ٦٢٤ ٤٠٠
رسوم البحرية	١٦ ١٥٥ ٤٠٠
رسوم صحة الحيوانات	١ ٩٣٢ ٨٠٠
الصيد البري والبحري	١٣ ٥٢٤ ١٠٠
الملح	١١٦ ٤٨١ ٨٠٠
المأخوذ من الريجي مع حصة الديون العمومية والخزينة	٩٥ ٠٩٧ ٣٠
ريجي التنباك	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
البارود	٧ ٢٦٣ ٤٠٠

المسكوكات	١١٠١٣٠٠
البوسته والتلغراف	٧٩٢٥٨٩٠٠
حاصلات تشغيل السكة الحديدية الحجازية	٧٦٠٠٠٠٠
معمل الهواء الغازي بطوله بنجه	٥٧٢٠٦٠٠
حاصلات مكتب الصنائع	٩٢٠٠٠٠
واردات كباري الخليج	٥٩٣٦٥٠٠
حاصلات المعادن	١٢٤١٣٤٠٠
الايرادات من بيع الاملاك المعجلة والايجار	٨٦٢٦٠٠٠
اثمان الاشياء التي تباع	٢٤٣٧١٠٠
حاصلات الحراج الاميرية	١٥٤٨٥٠٠٠
ويركو مصروزيلع وقبرس واينه روز وسيسام	٨٧١٣١٦٠٠
الواردات المتحصلة من معاملات الخزينة	٨٩٤٦٧٠٠
تمتعات بنوك الزراعة	٧٧٠٩٨٠٠
حاصلات المكتب الطبي	٣٠٧٧٠٠
براءات الاختراع	١٩٣١٠٠
الجزاء النقدي (الغرامات)	١٧٢٥٧٠٠
حصة الخزينة من حاصلات الشركات ذات الامتيازات ...	١١٩٣٥٠٠
من السكك الحديدية	١٧٣٢ ٤٠
من القومبانيات ذات الامتياز مقابل التفتيش	١٧٦٨٠٠٠
اعانات السكة الحديدية الحجازية	٢٤٠٥٤٠٠٠
التجهيزات العسكرية	٥٨٦٣٤٣
الحاصلات المتفرقة	٣٩٠٠١٦٠٠
المجموع	٢٥٠٧٨٩٦٢٠٠

هذا ويتعذر علينا ان نبدي اقل رأي في هذه الميزانية لان ليس لدينا شيء من تفاصيلها ولكننا كنا نود أن نذكر منها لماذا بلغت فوائد الديون العمومية ثمانية ملايين من الليرات ولو اضيف اليها الدين الذي يدفع ويركو مصر فائدة له وكم هي الفائدة الحقيقة وكم هي مبالغ

الاستهلاك · وكيف تكفي ثمانية ملايين من الليرات لجيش عامل يبلغ نحو نصف مليون الى غير ذلك مماً لا بدَّ من الوقوف عليهِ عند نشر الميزانية المفصَّلة

الاعيان والمبعوثان

جلسة الختام في هذا العام

التأم مجلس المبعوثان يوم السبت ٢١ اغسطس وقرأ الرئيس خطبة الوداع وهذا تعريبها

أيها الزملاء المحترمون

اليوم يختم اجتماع مجلس المبعوثان لعامهِ الاول وكنت اود ان اذكر مجملاً للاعمال التي قمنا بها فيهِ لو وجدت المجال ذا سعة · كان رجاؤُنا في بادىءِ الامر اننا نستطيع اتمام الاعمال التي ناطت الامة بنا البحث فيها وتقريرها في الاربعة الاشهر التي ضربت موعداً لاجتماع المجلس ولكن تواكل الحكومة وتوانيها في ارسال البيانات والنظامات التي سنتها الينا أعاقنا فلم تتمَّ اعمالنا طبق المرام · ثم اخذت تلك النظامات ترد على المجلس تباعاً فجعل ينظر فيها بعزيمة صادقة ونية صافية واذا شبح الاستبداد مثل امام عيوننا والفساد وراءهُ يرخي القائمون بهِ ستار الدين عليهِ . اولئك جعلوا شعارهم «طلب الشريعة» ليتمكنوا بهِ من خداع الجنود حماة الدستور اولئك الذين راموا اهانة الشريعة السمحاء ومحو صولة الامة ودك صروح آمالها . اولئك السفلة الذين اتخذوا الحرية التي نلناها بعد جهاد شديد سلاحاً يقضون بهِ لباناتهم فقابلوا النعمة بالنقمة والاحسان بالكفران

ولكن الجيش العثماني الباسل المملوء حمية وغيرة وطنية · ذلك الجيش الذي يضرب بسيف الامة ليذود عن حوضها ويذبَّ عن حريتها طعن برهف الحق تلك الفئة الباغية التي لا خلاق لها فانشق عمود الفجر وأجفل الليل متعثراً بثوب الخيبة والفشل · وعاد المجلس الذي التأم اياماً في سان ستفانوا للدفاع عن حقوق الامة الى هذا المكان الذي نحن فيهِ الآن عاقداً العزم على ان يدك صرح الاستبداد الى الحضيض فلا يبقى لهُ عيناً ولا اثراً

بدأ المجلس حينئذٍ يعلي كلمة الامة ويرفع قدرها ومكانتها ويوافق على النظامات التي تسعدها وتنفع الحكومة والبلاد · اما الذين يقولون ان المجلس لم يأتِ عملاً مذكوراً فاني احول انظارهم الى مجمل اعمالهِ ليبصروا خطاءهم

فقد عرضت الحكومة على مجلسنا ثلاثة وسبعين نظاماً فصادق على ثلاثة وخمسين نظاماً

منها بعد مناقشات عنيفة طال الاخذ والرد فيها ولا تزال النظامات الباقية منها معروضة على رجال القومسيونات يبحثون فيها ويدققون · ورفع حضرات النواب ٦٦٨ تقريراً قبل منها ١٥٨ تقريراً ارسلت الى النظارات لترى رأيها فيها واهملت التقارير الاخرى

ورفع الى المجلس عشرة آلاف اقتراح قبل منها ٤٥٠٠ اقتراح ورفض ٥٢٠٠ اقتراح منها وما بقي منها لا يزال معروضاً على بساط البحث . واذا علم ما تقتضيه هذه الاقتراحات من الوقت للمناقشة فيها والمناقشة في بعضها اكثر من مرة بسبب تعديل مجلس الاعيان له ثبت جلياً ان اعضاء المجلس الكرام لم يقضوا الشهور التي اجتمعوا فيها عبثاً ولا ذهبت اتعابهم سدًى ولا كانوا مشدودي الايدي · فالحق والواجب يقضيان بشكر المبعوثان ولاسيما رجال القومسيونات لما بذلوهُ من الهمة وذللوهُ من الصعاب

لما فتح مجلس المبعوثان لم يكن فيهِ شيءٌ معدًّا ولكن المساعي التي بذلها زملائي المحترمون وقلم الادارة والمراسلات والمختزلون وقلم الاوراق والجنود المحافظون على المجلس سهلت كل امر عسير · وقد افردنا غرفاً للقومسيونات من الغرف الخاصة بنظارتي العدلية والاوقاف · ولما كانت هذه الغرف وغرف المجلس لا تكفي للاعمال فكرنا في ضم بنائي نظارتي الاوقاف والعدلية الى بناء المجلس ولكن الصدر الاعظم ابلغنا ان نظارة العدلية لا تستطيع اخلاء بنائها الآن فطلبنا من جلالة السلطان الاعظم مكاناً فانعم علينا بسراي جراغان ليجتمع فيها مجلس المبعوثان

فهذا الانعام وعناية جلالة السلطان رئيس السلطتين التنفيذية والتشريعية بمجلسنا يثبت لنا ميل جلالتهِ الأكيد الى الدستور والى اعلاء مجد الوطن · فيحق لنا الافتخار بسلطان دستوري كجلالتهِ (تصفيق) · ويجب علينا ان نشكر للحكومة الحاضرة ما بذلتهُ من الهمة لانجاز القوانين وعرضها على مجلس النواب · وان نثق بان الحكومة التي قوامها رجال جد وعمل ذوو مقدرة وكفاءة ستدار دفة الاصلاح فيها بكل دقة ومهارة

مواطنيَّ الكرام

عملت واياكم يداً واحدة تسعة اشهر ولما كان المرء لا يتعلم الواجب عليهِ في المدرسة بل في ساعات العمل اقول انني كنت غير مجرب للامور فاذا كنت قد هفوت في امر فهفوتي رمية من غير رامٍ · واعتقادي ان الهفوة التي يرتكبها المرء بنية حسنة يجب ان لا تكدر احداً · وقد كان من حسنات مجلسنا اننا تعارفنا رسيكون لهذا التعارف فضل في اتفاقنا وتآمنا في العام المقبل اننا نفترق اليوم على امل اللقاء بعد ثلاثة اشهر · فالواجب علينا ان نسعى

فيها جهدنا لنشد ربط السلام بين ابناء الامة ونشرب افئدتهم حب الدستور . فادعوا لحضراتكم بالنجاح واستودعكم الله (تصفيق شديد طويل)

ثم علا الصدر الاعظم منبر الخطابة وقرأ الخطبة التالية

علمتم من الخطبة التي سمعتموها الآن ان مجلس النواب الذي اتمَّ اعماله في ٧ يونيو سنة ١٢٩٣ لم يوافق الأ على ثمانية عشر مشروعاً فواحد منها فقط ينفع البلاد وهو مشروع المجالس البلدية . اما المشروعات الاخرى فلم تكن الأ كتب شكر وامتنان اما مجلسكم هذا (اسي مجلس المبعوثان) فقد وافق بالرغم عما لقيهُ في سبيلهِ من الصعاب على ثلاثة وخمسين مشروعاً كلها تؤيد الدستور وترقي البلاد وستبذل الحكومة جهدها في تنفيذها ومن نظامات تحتاج البلاد اليها لعرضها على حضراتكم في اجتماعاتكم في السنة القادمة والحق يقال انكم ساعدتمونا في اجتماعاتكم الماضية مساعدة نافعة نشكركم عليها اجزل شكر

واخرج حسين حلمي باشا الخط الهمايوني من محفظة حرير احمر وتلاهُ وهذا تعريبهُ

لما كان اجتماع مجلس النواب في سنتهِ الاولى قد انتهى في ٨ اغسطس سنة ١٣٢٥ طبقاً للمادة ٤٣ من القانون الاساسي فقد تقرر ان يكون اجتماعهُ في السنة القادمة بارادة الله في اول شهر نوفمبر وقد اصدرنا الارادة باطالة مدة المجلس منذ اليوم وكلفنا الصدر الاعظم ان يقرأ ارادتنا في المجلس و يبلغ اعضاءهُ الكرام رضاءنا السلطاني عن الهمة الحقة الوطنية التي ابدوها

الامضاء محمد رشاد

حسين حلمي

وقرأ طلعت بك ناظر الداخلية الخط الهمايوني في مجلس الاعيان ثم تلا سعيد باشا الخطبة التالية قال—

انهُ وان كان هذا العام هو العام الاول لتنفيذ القانون الاساسي كما يستفاد من اقوال الحكومة التنفيذية فقد صادق المجلس على عدة نظامات فيها فوائد كبيرة اذا نفذت فعلاً واذا شئتم فانا نرجو من حضرة الناظر ان يكون ترجماناً في الاعراب عن عواطفنا الخالصة لجلالة السلطان الاعظم وامتناننا العظيم من الاصلاح الذي جرى ومن العناية التي يظهرها جلالتهُ لمجلس الاعيان (نوافق نوافق) واشكر هيئة الحكومة باسم مجلس الاعيان لانها تقدر خدمة الهيئة التشريعية حق قدرها . فقد انتهت مدة اجتماع مجلسي الاعيان والمبعوثان عملاً بتلك الارادة التي سمعتموها وطبقاً للقانون الاساسي . انتهى

وكان هذا ختام اجتماعات المجلسين في هذا العام

باب الزراعة

الحاصلات المصرية

جادت المزروعات هذا العام في القطر المصري شتاء وصيفاً فاعتدل الهواء في الشتاء وكان الري وافياً فلم يشكُ أحد من محصول القمح والفول بل كان الكلُّ شاكرين ولم يهبط سعر القمح لانهُ مهما زاد فهو لا يكفي حاجة البلاد فيبقى ثمنهُ مناسباً لثمن ما يرد منهُ من الخارج والقمح غالٍ في اوربا فبقي سعر الاردب من القمح المصري من ١٢٠ غرشاً الى ١٥٠ غرشاً وهو سعر غالٍ . أما التبن — ومقطوعيتهُ محصورة في البلاد ولا يحتمل ان يشتريهُ الفلاحون من الخارج ولو قلَّ عما تحتاج اليهِ بهائمهم — فهبط سعر الحمل منهُ من مئة غرش الى نحو ثلاثين غرشاً . وهبط سعر الفول ايضاً من ١٥٠ غرشاً الى ما بين ١١٠ و١٢٨ وسعر الشعير من ١٠٠ غرش الى ٨٠ غرشاً

وجاء الفيضان باكراً ووافياً والهواء معتدلاً فجادت زراعة القطن وزراعة الذرة . وقد أُصيب القطن بالدودة وأُصيبت معهُ الذرة اما القطن فإصابتهُ غير عامة ويقدر نقصهُ بسبب الدودة بنحو ٥٠ في المئة ولكن الذي لم يصب زاد نموهُ ولوزهُ عن المعتاد وتقدر الزيادة بنحو عشرين في المئة عن العام الماضي وقد عُلمت مساحة الاطيان المزروعة قطناً هذا العام بما يمكن من التدقيق فاذا هي أقل كثيراً من المساحة في العام الماضي لكن ارباب الزراعة يرجحون ان المساحة واحدة ان لم تكن هذا العام أوسع من العام الماضي فاذا ثبت ذلك فموسم هذا العام يكون اكبر من موسم العام الماضي بنحو خمسة في المئة على الاقل فيبلغ سبعة ملايين قنطار لان موسم العام الماضي بلغ نحو ستة ملايين وثلثي المليون من القناطير

وسعر القطن الآن جيد جداً فقد بلغ سعر القنطار الى حين كتابة هذه السطور اكثر من ١٨ ريالاً وسعر اردب البزرة اكثر من ثمانين غرشاً وكثيرون قطعوا سعر اقطانهم من الآن باربع مئة وعشرة غروش القنطار . فاذا بلغ الموسم سبعة ملايين قنطار وكان متوسط سعرهِ للفلاح ٤١٠ غروش بلغ مجموع ثمنهِ ٢٨ مليوناً و ٧٠٠ الف جنيه هذا عدا ما يضاف اليهِ حين بيعهِ للخارج من اجرة الحلج والحزم والرزم والشحن وربح السمسار والتاجر فيفوق

الثمن الذي يأخذهُ القطر المصري من اهالي اوربا واميركا الذين يشترونهُ ٣١ مليون من الجنيهات

ونمو الذرة جيد جدًّا لاسيما وان اكثرها مبكر والذي اكلتهُ الدودة أُعيد زرعهُ الاَّ ما كان منهُ مبكراً جدًّا وضربتهُ الدودة بعد ان بلغ اشدَّهُ من النمو . ولعلَّ ضرب الدودة لهُ هذا العام يمنع الناس من التبكير الكثير في زرعهِ في الاعوام المقبلة . والمرجح ان موسم الذرة هذا العام يكون اكبر من موسم الذرة في العام الماضي بنحو عشرين في المئة اذا سلم من الآفات الجوية

اصلاح الاطيان بالمصارف

لا شبهة في ان توفر الري الصيفي في القطر المصري يتلف الاطيان ان لم يُتلافَ هذا التلف بالمصارف فلما كانت الارض تزرع زراعة واحدة نيلية فقط كان حر الصيف وجفافهُ يجففان التربة فتستعد للزراعة الشتوية في العام التالي اما وقد شاعت الزراعة الصيفية فلم تعد الاطيان تجف صيفًا بل صارت رطوبتها تزيد فتتراكم العفونة والحموضة في طبقتها السفلى التي تنتشر فيها جذور المزروعات

وتختلف طبيعة الاطيان بين المتراخي الاجزاء الذي يمكن صرفهُ وتجفيفهُ على عشرات من الاقصاب وبين المتماسك الاجزاء الذي لا يصرف جيدًا الاَّ على اربع قصبات اوخمس والغالب ان الاخير يكون اجود من الاول اذا أُحسن صرفهُ بجعل المصارف قريبة بعضها من بعض فتشق في الارض طولاً من اعلاها الى اسفلها ويجعل البعد بين المصرف والمصرف اربع قصبات او خمسًا على الاكثر ولا عبرة بطول المصرف مهما كان ولكن العبرة بعرض القطعة التي بين كل مصرفين فاضيقها اسهلها صرفًا واقربها اصلاحًا حتى لقد تصلح الارض في سنة واحدة مهما كانت كثيرة الملوحة واذا وضع حطب القطن في هذه المصارف وردمت بقيت تصرف من اسفلها واعيد سطحها الى الزراعة فتجود المزروعات فيها اكثر مما تجود في غيرها فلا يخسر الغيط شيئًا من مساحتهِ

ولا بد من تعميق المصارف الى آخر ما يمكن بالنسبة الى المصرف العمومي الذي تصب فيهِ ويجب تسليكها من وقت الى آخر مما يتجمع فيها من الاتربة والحشائش التي تمنع جريان الماء فيها . ويجب ان يزيد الاهتمام بالصرف على الاهتمام بالري

واذا كانت الارض لا تصرف بالراحة لانخفاضها عن المصرف العمومي فهي طبعًا مما

يروى بالراحة فيجب ان تحفر لها مصارف كما تقدَّم تصب في مصرف عمومي لها وتوضع عليهِ طلمبا رافعة ترفع الماء منهُ وتصبه في المصرف العام والانفاق على الطلمبا الرافعة هنا للصرف كالانفاق على الطلمبا الرافعة في الاطيان التي لا تروى بالراحة ويجب ان لا يكون الاهتمام بها اقل من الاهتمام بطلمبا الري

صلاحية مياه الصرف

يظن البعض ان مياه الصرف كلها غير صالحة للارواء وهذا غير صحيح فاذا كانت الارض كثيرة الاملاح المضرَّة بالزراعة فالمياه التي تصرف منها غير صالحة لارواء غيرها وهذا نادر جدًّا في الوجه القبلي من القطر المصري وغير كثير الاَّ في الجهات السفلى من الوجه البحري · واذا كانت الارض خالية من الاملاح التي تضرُّ بالزراعة فالمياه التي تصرف منها تكون اجود من مياه النيل واجود من المياه التي تروى بها عادة لانها تكون حاوية لكثير من المواد التي تغذي المزروعات وقد ذابت فيها من الارض التي صرفت منها

ورب معترض يقول ان كانت هذه المياه صالحة للري وللزراعة فلماذا صرفت من الارض والجواب انها تصرف منها لسببين الاول انهُ حين صرفها يتخلل الهواء التربة بدل الماء الذي يخرج منها والهواء يساعد على حل المواد الترابية وجعلها غذاء لجذور النبات والثاني ان الجذور قد تتعفن بوجود الماء حولها أي يتولد فيها وعليها مولدات العفن فتتلف ولكن هذا لا يمنع ان يكون الماء صالحًا جدًّا لارواء الارض الجافة

وليس من الحكمة اجراء مياه المصارف كلها الى بحر الروم قبل فحصها فحصًا كيماويًا ووجودها حاوية املاحًا تضرُّ بالزراعة لان اضاعتها من غير موجب خسارة كبيرة على القطر وهو في اشد الحاجة الى الاكثار من ماء الري والى تغذية المزروعات · وقولنا هذا لا ينفي وجوب الصرف فالصرف لازم على كل حال ولكن مياه الصرف قد تكون ضارَّة بالزراعة فيجب صبها في مصرف عمومي تجري بهِ الى بحر الروم وقد تكون مفيدة لها فيجب الاحتفاظ بكل نقطة منها

ومن الامثلة التي تؤيد ما تقدم ان اراضي الفيوم المنحدرة نحو بحيرة قارون يصرف بعضها في بعض وتختلط مياه الصرف من عاليها بمياه الري التي يروى بها واطئها ومع ذلك فالاطيان السفلى القريبة من البحيرة تأتي بمحصولات من القمح والذرة والفول والبرسيم والقطن كاجود الاطيان المصرية · فلو كانت مياه الصرف كلها ضارَّة على حدّ سوى للزم ان

تكون تلك الاطيان بوراً لا تنبت شيئاً . وقد تجمع فيها بعض الاملاح من ركود الماء فيها وتبخرهِ منها من غير صرفهِ فتضر ولكن يكون ضررها من قلة الصرف لا من ان الماء الذي اتاها كان حاوياً مقداراً غير عادي من الاملاح فاضرَّ بها . وهذا لا ينفي ان تكثر الاملاح في بعض الاطيان العالية من اهالها فتصير المياه التي تصرف فيها كثيرة الاملاح وتضرُّ بالاطيان التي تنصرف اليها

العلف والمواشي

ان غلاء العلف في العام الماضي من الفول والتبن والشعير اضرَّ بمواشي القطر ضرراً كبيراً فلم نرَ في سنة من السنين المواشي نحيفة عجفاء كما رأيناها هذا العام حتى ثيران الوسايا الكبيرة تراها نحيفة لا تستطيع ان تعمل ما كانت تعملهُ قبلاً من الاعمال الشاقة في الحرث والتقصيب ومن المقرر ان الجسم النحيف الضعيف لا يكون شديد المقاومة للامراض الوبائية كالاجسام الممتلئة قوةً ونشاطاً ولذلك لا يزال الطاعون البقري يفتك بمواشي القطر مع ما اتخذ من الوسائل لاستئصالهِ . وما دامت الاطيان قليلة واثمانها غالية وكذلك اثمان الحاصلات فلا نرى مندوحة لاهالي القطر عن الاكثار من استخدام الآلات البخارية بدل المواشي لان علف المواشي صار غالياً جدًّا واذا لم تعلف جيداً ضعفت وتعرَّضت للامراض ولم تعد قادرة على القيام بخدمة الزراعة . وهذه المسألة من اهم المسائل الزراعية في القطر المصري

المواشي المجرية

لما كثر فتك طاعون المواشي في القطر المصري جابت الجمعية الزراعية الخديوية ثيراناً من بلدان مختلفة وفي جملتها ثيران مجرية بيضاء اللون طويلة القرون . وقد اشترينا البعض منها على سبيل التجربة واقمناها على التقصيب مع الثيران البلدية التي من اجود الانواع ومضى عليها الآن بضع سنوات وهي تعمل مع المواشي البلدية وقد اكد لنا مفتش زراعتنا انها تفوق الثيران البلدية نشاطاً وهمة وصبراً على التعب الشديد وانهُ اذا رأى قطعة ارض صعبة الحرث او صعبة التقصيب ارسل اليها هذه الثيران فحرثتها او قصبتها حسب المراد وهو لو ارسل اليها الثيران البلدية لعجزت عنها او لتعبت فيها تعباً شديداً . والظاهر ان اقليم القطر المصري لا يضرها لانها تأكل مثل غيرها ولا تزال على نشاطها ونحن نشغلها في مديرية الغربية قرب قلين فعسى الذين اشتروا من هذه الثيران ايضاً ان يذكروا ما رأوهُ من امرها

حياة البزور

للبزور او البذار او التقاوي حياة محدودة ولا عبرة بما قالهُ البعض من ان حبوب القمح التي وجدت في ايدي المومياء المصرية زرعت فنبتت فان هذا القول وجد غير صحيح والذين زرعوا البزور لم يدققوا فنبت في الارض بزور اخرى غيرها لان حبوب مانبت دلت على انها من قمح غير القمح المصري القديم. ولا يزال كثير من البزور المصرية التي وجدت في المدافن القديمة معروضاً في دار الآثار المصرية وهي كلها سوداء كالفحم ولا اثر فيها للحياة

والغالب ان البزور التي تزرع في الجنائن تعيش او تبقى صالحة للزرع من سنتين الى تسع سنوات كما ترى في ما يلي

بزور البصل والذرة تبقى صالحة للزرع سنتين

بزور الهليون والجزر واللوبياء والفاصوليا تبقى صالحة للزرع اربع سنوات

بزور الخرشوف والكرنب والقرنبيط والخيار والخس والبطيخ واليقطين والفجل والاسبانخ والكوسى والطماطم واللفت تبقى صالحة للزرع خمس سنوات

بزور الفول تبقى صالحة للزرع ست سنوات

بزور الكرفس والباذنجان تبقى صالحة للزرع سبع سنوات

بزور الهندباء (الشكوريا) تبقى صالحة للزرع تسع سنوات

وتختلف هذه المدة ايضاً باختلاف الاقليم والحر والرطوبة. والظاهر ان جدة البذار وقدمهُ يؤثران في محصولهِ او ثمرهِ فاذا كانت بزور البطيخ جديدة ابنة سنة فقط كبر نبات البطيخ وقلَّ ثمرهُ واما اذا كان عمرها اربع سنوات او خمساً كان ثمرها اكثر كثيراً

واذا جفت اثمار الكستنا والجوز ونحوها لم تعد تفرخ. والنباتات البرية التي تبذر في ارض من نفسها وتفرخ من غير زرع اذا جمعت بزورها في الخريف ثم زرعتها في الربيع جادت اكثر مما تجود البزور التي تقع في الارض وتبقى فيها كل فصل الشتاء ثم تنبت في الربيع

ويجب ان يكون المكان الذي يحفظ فيهِ البزار او التقاوي جافاً مطلقاً للهواء ولا يحسن ان تحفظ التقاوي في اوعية ضابطة تمنع تخلل الهواء لها. وقد يحفظ الناس التقاوي في آنية من الصفيح منعاً لوصول السوس اليها. ولكن السوس يضر بها غالباً قبل وضعها في تلك

الآتية فلا يكون وضعها فيها وافياً لما . والطرق التي افادت في حفظ البزور من السوس انما تفيد بقتل بيوض السوس وديدانهِ الصغيرة قبلما تكبر وتنخر البزور لا بمنع اماتها عن وضع بيضها على البزور لان الامات تضع بيضها على البزور وهي في الحقل او في الجرن (البيدر)

قلنا ان البطيخ النابت من بزور جديدة يكون قليل الثمر لا كالبطيخ النابت من بزور قديمة فما ادرانا ان هذا الحكم لا يتمشى على القطن فهل جربت الجمعية الزراعية الخديوية زرع القطن من تقاوي عمرها سنتان وثلاث سنوات واربع سنوات وقابلت بينها وبين القطن المزروع من التقاوي الجديدة في الجودة وعود اللوز ومقدار المحصول

هذه مسألة من اهم المسائل الزراعية وقس على ذلك كل المزروعات فان الاسلوب الجاري فيها كلها عدم تعتيق البزور بل اخذ تقاوي هذا العام من محصول العام الماضي

مررنا بالامس في غيط مزروع قطناً وقطنهُ متوسط الجودة ولكن ما وقع منهُ قرب المراوي وقرب نزول المياه الى المصارف بعد الري جيد جدًّا وكذا القطن الذي في اطراف الغيط وهذا كلهُ مما يمكن تعليلهُ بالري والصرف وتخلل الهواء للتربة ولكن في وسط الغيط اختلاف في نمو القطن لا يعلل بذلك فترى هنا شجرة اجود من غيرها جدًّا وهناك شجرة اضعف من غيرها وهذا الاختلاف غير ناتج عن اختلاف في جودة الارض بل عن اختلاف في التقاوي نفسها او عن اختلاف في زرع البزور فان البزرة قد تكون ضعيفة من اصلها وقد تكون قوية من اصلها وما يصدق على القطن يصدق على كل المزروعات فيجب ان تجرَّب التجارب التي توصل الى معرفة اجود التقاوي لاختيارها

توزيع الاطيان في القطر المصري

كان عدد الملاك في القطر المصري سنة ١٨٦٦ لا يزيد على ٧٦٧٢٦٠ نفساً اما الآن فعددهم ١٣١٠٠٨٨ نفساً فالزيادة في عدد الملاك كبيرة جدًّا في هذه السنوات القليلة تدل على اهتمام الوطنيين بامتلاك الاطيان وعلى توفر المال لدى صغارهم حتى صاروا من اصحاب الاطيان فقد كان عدد الوطنيين الذين يملك الواحد منهم ٥ افدنة فاقل ٦٠٨٣٧٣ نفساً فصار عددهم ١١٦١٠٨٠ فكان عددهم يتضاعف في ١٢ سنة اما غير الوطنيين الذين من هذا النوع فكان عددهم ٢٧٠١ فصار ٢٧٦٥ اي زاد ٦٤ نفساً لا غير وزاد ايضاً عدد كبار المالكين الذين يملك الواحد منهم ٥٠ فداناً فاكثر فكان ١٠٣٨٩ وكانوا يملكون ١٦٦٦٤٤٧ فصاروا ١٠٩٣١ وهم يملكون الآن ١٨٠٠٠٦٤ اي زاد ما يملكونهُ ١٣٣٦١٧ فداناً . وعدد الملاك بين هذين

الحدين نقص ونقص ايضاً ما يملكونهُ ولكن المجموع كلهُ بقي زائداً زيادة كبيرة كما تقدم وعدد الافدنة التي يملكونها زاد ٣٣٤٨٣٥ فداناً

اهم مزروعات القطر

اهم مزروعات القطر المصري الآن القطن والذرة والرز والقمح والفول والشعير والقصب والبرسيم فالقطن يشغل نحو ٢٢ في المئة من الاطيان والذرة نحو ٢٤ في المئة والرز نحو ٣ في المئة والقمح نحو ١٥ في المئة والفول نحو سبعة في المئة والشعير نحو ٦ في المئة والقصب نحو نصف في المئة والبرسيم نحو ٢٢ في المئة

المديريات والارض المزروعة

	مساحة الارض المزروعة	القابلة للزراعة
اسيوط	٤٠٥٤٧٠	٦٩٧٨
اصوان	٠٥٦٩١٦	١٧٩٠٩
البحيرة	٦٥٢٣٣١	١١٦٣٧٢
بني سويف	٢٢٢٥١٣	٨٩١٠
جرجا	٣٠٤٨٦٣	٨٦٠٧
الجيزة	١٦٩٥١٥	٤٧٠٧١
الدقهلية	٤٩٠٥٢٥	١٠٦٧٧٧
السويس	١٤٨٧	٤٦٨٥٨
الشرقية	٥٤٤٣٦٨	٨٢٦٣٤
الغربية	٩٥٧٨٠٣	٥٥٨٤٣٦
الفيوم	٣٠٦٦٣٤	٤٠٠٥٧
القليوبية	١٨٢٣٢٣	٢٣٦٠٠
قنا	٣٠٦٨١٥	٤١٣٠٠
المنوفية	٣٤٥٧٩٠	٣٦٤٣
المنيا	٣٧٩١٥٩	١٢١٨٩

نخل القطر المصري

المديرية	عدد النخل	عدد الملاّك
البحيرة	٢١٤٨٠٢	١٠٣٤٠
الدقهلية	١٢٤٤٤١	١٥١٢٠
الغربية	٣٤٩٠١١	١٨٠٤١
المنوفية	٠٣٧٦٤٢	٠٩٤٤٩
القليوبية	١٩٨٠١٩	١٤٦٤٦
الشرقية	٨١٦٦٤٠	٨٨٦٠٨
اسيوط	٧٣٠٠٣٨	٧٧٥٥٧
اصوان	٧٠٥٩٦١	٦١٣٣٣
بني سويف	١٨٧١٢٥	٢٧٦٨٠
الفيوم	٤٣٧٧٥٦	٣٨٢٩٦
جرجا	٥٦٦٧١٦	٦٢٣٣٣
الجيزة	٤٣٥٦٠٣	٣٠٩٢٣
المنيا	٤٨٨٠٢٣	٥٣٩٧٨
قنا	٦٢٣٨٥٧	٦٥١٢٦
العريش	٤٦٤٢٩	٢١٠٠
السويس	٣٩٤٧	١٥٤
المجموع	٥٩٦٦٠٠١	٥٧٥٦٨٤

باب الصناعة

الصناعة المصرية منذ مئة عام

(٧)

صناعة التفريخ

هذه الصناعة قديمة العهد في الديار المصرية ولها معامل في جهات عديدة منهُ اخصها في الوجه البحري

ويبنون هذه المعامل بوجهٍ عام من الطوب المجفف بالشمس على شكل مستطيل قائم الزوايا يقيمون على كلٍ من جوانبهِ صفاً من الغرف ذات طبقتين يعترض بين كل غرفة وأخرى حائط من الطوب في نصفهِ الاعلى نافذة كبيرة يمرّ فيها العامل من غرفةٍ الى أخرى تباعاً . وجميع سطوح الطبقتين العليا والسفلى مقببة وفي وسط كل منها فتحة فتستخدم الفتحة العليا لاجل خروج الدخان ودخول الهواء والسفلى للاتصال بين الطبقة السفلى والطبقة العليا

ويرصفون البيض في ارض الطبقة السفلى بعضهُ الى بعض في رصيفين احدهما فوق الآخر فيضعون في كل غرفة نحو خمسة آلاف بيضة ويحمون الطبقة العليا بايقاد الزبل والتبن الناعم ممزوجاً بالتراب الناعم

ويكون هناك ثلاثة انفار فيقيمون النار بعد ذلك نهاراً وليلاً ويتعهدون البيض بالتقليب ويتفقدونهُ من حين الى آخر لعزل الانقاف [1] عند اول تفريخ البيض الذي يبدأ في اليوم الحادي والعشرين من هذه الحضانة الصناعية

وفي كل هذه المدة يجب ان تكون الحرارة معتدلةً فتماثل ما أمكن حرارة الرقاد [2]

ويستفرخون البيض في الشتاء دفعتين او ثلاث دفعات متوالية فيستعملون نحو مئتي الف بيضة سنوياً في كل معمل يفرخ ثلاثة ارباعها فقط . ولكن ارباب المعامل لا يهمهم ذلك لانهم لا يشترون البيض غالباً بل يرد اليهم من الفلاحين فيردون لهم اربعة فراريج

---

(١) النقف الفرخ حين يخرج من البيضة

(٢) الدجاجة القاعدة على بيضها وهي الراقدة بلغة مصر

(كتاكيت) مقابل كل ست عشرة بيضة . ويباع البيض كل مئة منهُ بنحو غرشين والفراريج كل ١٠٠ نقف بعشرين غرشاً اي بعشرة اضعاف ثمن البيض

(٨)

صيد الطيور والاسماك

يشغل صيد الطيور البحرية عدداً عديداً من سكان القرى المجاورة لبحر الروم وللبحيرات التي في شمالي الدلتا فيصطادون البط وسائر الطيور المائية . واهم الطيور التي يصيدونها في سبتمبر واكتوبر السمان . فينصبون لصيدهِ اشراكاً على الشواطيء البحرية ترتفع نحو متر او متر ونصف عن الارض متجهة اتجاهاً عمودياً . فيصل السمان الى الشاطيء منهوكاً من التعب في اجتيازهِ البحر من البلاد الاوربية فيسفُّ[1] في طيرانهِ ويعلق في الشباك التي تعترض في طريقهِ فيصطادون منهُ سنوياً كميات لا يحيط بها العد

اما صيد السمك فعام في جميع الجهات ولهُ محلات خاصة على ضفاف بحيرتي البرلُّس والمنزلة أهمها قرية بلطيم في جوار بحيرة البرلُّس ويليها عدد من القرى على شاطيء هذه البحيرة وجميع اهلها صيادو سمك . وفضلاً عن صيد الاسماك فان عدداً عظيماً منهم يشتغل بتقديد بيض سمك البحر المالح وعملهِ بطارخ

ويستولي احد رؤساء البكوات على عوائد صيد السمك من هذه البحيرة فيبلغ دخلهُ من ذلك سنوياً نحو ١٠٥٠٠ فرنك (اي اربع مئة جنيه مصري تقريباً) . ويبلغ عدد الصيادين فيها نحو ٤٠٠

واهم مكان للصيد على شواطيء بحيرة المنزلة قريتا المطرية فان لاهاليهما نحو مائة وخمسين قارباً وذلك نصف مجموع قوارب الصيد في هذه البحيرة

وما يصطادهُ اهالي المطرية من السمك يرسل بعضهُ الى المنصورة ونواحيها والبعض الآخر وهو الاكبر الى دمياط حيث يقددونهُ ويبيعونهُ في القاهرة وبلاد الشام

الصناعة السورية

انتهينا في هذا الجزء من تلخيص الفصول التي كتبها المسيو جرار عن الصناعة المصرية في عهد الحملة الفرنسوية اي منذ مئة عام . ويظهر منها ان الصناعة المصرية كانت حينئذٍ

---

(١) سفَّ الطائر مرَّ على وجه الارض

اوسع منها الآن من وجوه كثيرة فلم تزد الا صناعة نقش النحاس وصناعات الورش التي ادخلها الاوربيون لتصليح الآلات البخارية ونحوها وعمل المركبات . والسبب الاكبر لقلة رواج الصناعة في هذا القطر عدم وجود قوة رخيصة فيه لادارة الآلات والادوات فليس فيه فحم حجري ولا فيه قوة مائية اي ماء منحدر لادارة الآلات . فلما رخصت مصنوعات الاوربيين بما اخترعوه من الآلات الكثيرة وباستخدام القوتين الطبيعيتين الفحم الحجري والماء الجاري لم تعد المصنوعات الوطنية تستطيع ان تناظر المصنوعات الاوربية فخسر الصناع وابطلوا الصناعة او لم يتقدموا فيها بحسب تقدم البلاد

ويظهر لنا مما كتبه فولنه وغيره من السياح عن الصناعة السورية في ذلك الحين ومما رأيناه نحن منذ خمسين عاماً ان الصناعة السورية كانت كالصناعة المصرية تغني السوريين عن المصنوعات الاجنبية فلم يكونوا يجلبون من مواد اللبس الا الطرابيش المغربية والجوخ الافرنجي اما المنسوجات الاخرى من القطن والصوف والحرير فكانت تنسج كلها في البلاد من غزل رجالها ونسائها وكذلك الاحذية كانت تصنع كلها في البلاد من جلود تدبغ فيها والامتعة الخشبية كانت تصنع في البلاد من اشجارها فكانت البيوت تسقف بالواح وجسور وعروق (رفائد) من جنوب البلاد وصورها وكذا الصناديق والخزائن والمسارج والمقاعد والسكملات فانها كلها كانت تصنع في البلاد من خشب البلاد . والفرش واللحف والوسائد والملاءات كانت تصنع كلها من انسجة البلاد وكان يؤتى بالحصر من مصر ولكن الاكياب والبلس والبسط كانت تصنع في البلاد وآنية الخزف على انواعها من خوابي وقدور وصحاف وسرج وجرار واباريق كانت تصنع في البلاد مدهونة وغير مدهونة . وكل الادوات الحديدية كانت تصنع في البلاد من حديد البلاد فان اهالي لبنان كانوا يسبكون الحديد في شعرة بعلبك وغيرها ويصنعون ادواتهم منه من الامحال الكبيرة الى المسامير الصغيرة ومن السيوف الى السكاكين . ويقال انهم كانوا يجدون الفضة في جبات صور وصيداء ولعل الفضة التي كانوا يجدونها ليست معدنية بل من النقود القديمة اما النحاس فكانوا يجلبونه من الخارج صفائح كما يجلب الآن ويصنعون منه كل الآنية النحاسية وكانوا يصنعون شيئاً من الزجاج يقوم بحاجاتهم . ولو انقطعت البضائع الخارجية عن سورية في ذلك الحين لما افتقر السكان اليها

ثم ضعفت الصناعة السورية برخص المصنوعات الاوربية حتى كادت تتلاشى ولكن سورية ليست مثل مصر من حيث القوة فان فيها فحماً حجرياً صالحاً للوقود وهو قريب من

مناجم الحديد وحديدها من اجود ما يكون وفيها قوة مائية كثيرة ويمكن زيادتها ايضاً باقامة الخزانات في سفوح الجبال اي فيها اهم لوازم الصناعة فلا شيء يمنع ان تصير مثل سويسرا او بلجكا او فرنسا او انكلترا من هذا القبيل فيصير اكثر اعتماد اهلها في معيشتهم على الصناعة مع الزراعة كما كانوا منذ مئة عام ويتقدمون عما كانوا عليهِ حينئذٍ على نسبة تقدُّم الامم الراقية في هذا العصر

ولم يكن هذا القول ممكناً منذ سنتين لانهُ كان يسهل على معمل اوربي ان يبرطل وزيراً او والياً فيتلف اكبر معمل سوري اما الآن فلم يعد ذلك في حيز الامكان بل صار من المحتمل ان يقاطع الوطنيون البضائع الاوربية ايضاً فتزيد المصنوعات الوطنية رواجاً وقد زيدت رسوم الكمرك على البضائع الاوربية الى الحد الذي يقال لهُ حماية

لكن المعامل تحتاج الى اموال طائلة لانشائها والبلاد فقيرة منهوكة فلا بدَّ لها من زمن لاسترجاع قوتها



قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

في اي سن يصح الزواج

آراء سيدات متعلمات

اشتهرت فتاة انكليزية اسمها ماي سانن بطول باعها في تدبيج المقالات العمرانية والاجتماعية وحدة ذهنها في ذلك . وقد اجتمع بهذه الفتاة منذ ايام يسيرة مكاتب جريدة الدالي مايل وسألها لماذا لم تتزوج الى الآن فاجابتهُ : « لاني لم ابلغ الخامسة والعشرين من العمر وارى ان زواج الفتاة قبل هذه السن خطأ وتسرُّع مضرٌّ لانها تكون غير ناضجة في اميالها وذوقها جاهلة نفسها وواجبات الزوجية وانما يعوزها ادراك ذلك كلهِ قبل الزواج لتستطيع حسن القيام بما يفرضهُ عليها بيتها والمجتمع الانساني . والفرد منا في عصرنا الحاضر لا مناص لهُ من التفكير في علائقهِ بالجماعة غير مقتصر على الاهتمام بامر نفسهِ ولو كنا كاسلافنا الاقدمين نقطن الغابات

والحراج لصح لنا الزواج ونحن صغار في السادسة عشرة او الثامنة عشرة من العمر »

ولما وصل هذا الجواب الى جريدة الدالي مايل فتحت للسيدات باب المناقشة في موضوعهِ فكتبت اليها المؤلفة الروائية السيدة ستانرما يأتي معارضة رأي الكاتبة الاولى قالت « ان الناس كلهم مندوبون للزواج من قبل الطبيعة فاذا لم يتزوج الواحد منهم كان مخطئاً او عاجزاً ولما كان الزواج محتوماً علينا كان الاسراع فيهِ خيراً من تأخيرهِ واضاعة الوقت سدًى »

وكتبت سيدة اخرى ما يأتي :

« التأخر في الزواج اضمن لهناء المعيشة البيتية من الاسراع فيهِ وان كان الزواج الباكر حسناً في ظاهرهِ عذباً موقعهُ من النفس في اول الامر فلهُ مقابل ذلك مخاطر لا تخفى فقد تحب الفتاة وهي في الثامنة عشرة رجلاً فاذا بلغت الخامسة والعشرين انقلب حبها احتقاراً . وبناء على ذلك ارى للفتاة ان لا تقدم على الزواج الا وهي في الثلاثين اذ تكون قد عرفت شؤون الحياة والدنيا كما هي لا كما يصورهُ لها الوهم فلا يفوتها ان زوجها مثل غيرهِ رجل لا ملاك وان لهُ حسنات وسيئات وان الطبيعة البشرية بعيدة عن الكمال

« واما الرجل فاري ان يكون اكبر من زوجتهِ بخمس سنوات فيقدم على الزواج وهو في الخامسة والثلاثين »

وكتبت اخرى وهي عزباء :

« اري الزواج الباكر خيراً من المتأخر لان الرجل كلما تقدم في السن تمكنت من نفسهِ عادة النقد بطول الاختبار فلا ينظر الى زوجتهِ بالعين التي تتمناها واما الفتيان الذين هم في عنفوان الصبا فلا تكون لهم خصلة النقد والتمحيص هذه بل ينظرون الى الامور من وجوهها المشرقة المنيرة ويغتفرون معائب الزوجة وربما حسبوا عيوبها محاسن فيتبادل الزوجان الحب الشديد ويكونان تبسماً في فم الحياة »

هذا ما قالتهُ هذه الفتاة الانكليزية واحسن ردٍّ عليهِ واوجزهُ قول الشاعر العربي :

وان قليلَ الحب بالعقل صالحٌ وان كثيرَ الحب بالجهل فاسدُ

وكتبت مؤلفة كتاب « الزواج الحديث » ما يأتي :

« لا ينكر ان اقتران الفتيان والفتيات الذين في ريعان الشباب كأن يكون الزوج في العشرين والزوجة في الثامنة عشرة من اجمل المظاهر وادعاها الى انشراح صدر الناظر ولكنهُ مظهر خادع وجمال غرَّار لاننا اذا التفتنا رأينا معظم الذين يتزوجون في هذا السن بعيدين عن الهناء والرغد في معيشتهم لا يعرفون كيف يدبرون شؤونهم ولا كيف يتفاهمون ولا اي

الاصدقاء والصديقات يجب ان يختاروا لمعاشرتهم · وكيف لا يكونون كذلك والفتاة تتقلب اميالها ثلاث مرات او اربعاً بين الثانية عشرة والخامسة والعشرين وتتقلب اميال الشاب اكثر منها في المدة المذكورة

« ثم ان الشاب الغض الصبي يكون طائشاً خفيفاً معجزاً مكباً على الملاهي والملذات شديد الحب لنفسهِ بعيداً عن نير الزواج وانما يعتاد احتمالهُ تدريجاً على تقدمهِ في السن

« ولا أرى للفتاة تقييد نفسها بالزواج الاَّ بعد ان تختبر شيئاً من احوال الحياة وشؤُون الرجال ولعلَّ اصلح سن لزواجها سن الخامسة والعشرين ولزواج الرجل سن الثلاثين

« وكيفما كان الحال فاني احذر الشبان والشابات من الاندفاع في تيار اول حب يتسلط على افئدتهم فلا يطيعوهُ طاعة عمياء ساعين الى التزوج بمن يحبون لانهُ قلما يكون الحب الاول الاَّ عن طيش واغترار فلا يصح التعويل عليهِ »

وكتبت سيدات أُخرى انكليزيات رأياً من احسن ما جاء في هذا الباب ومحصلهُ ان العمر لا يصح حسبانهُ مقياساً ثابتاً بل يجب اعتماد المدارك مقياساً فقد تكون ابنة الثانية عشرة انضج نفساً واصح ادراكاً وارصن طبعاً من ابنة الثامنة والعشرين · وما يقال في الفتيات من هذا القبيل يقال في الشبان ايضاً

ادوار مرقص

اعتناء المرأة بمنظرها

كتبت جريدة ولدن النسائية النصائح التالية للنساء اللواتي جزن سن الشباب ودخلن سن الكهولة قالت مخاطبة المرأة التي من هذا القبيل

ان كانت مشاغل البيت وهموم الحياة قد جعلتكِ تهملين منظركِ فسلمتِ للاقدار ولم تعودي تهتمين كيف تظهرين للذين يرونكِ فاعلمي ان المرأة تسرُّ دائماً بان لا تظهر عليها امارات الكبر والاهمال لا في قامتها ولا في وجهها ولا في ثيابها . واعتناء المرأة بنفسها ليس من قبيل التباهي والعجب الباطل كلا بل هي مضطرة اليهِ لكي تسر زوجها واولادها فانهم يحبون ان يروها على احسن ما تكون وهذا لا يكلفها من الاهتمام الاَّ دقائق قليلة كل يوم

فعليكِ ان تغتسلي يومياً اذا استطعت ذلك وان تكثري من استعمال الفرشاة لشعركِ وان تستريحي بعد الغداء ولو ربع ساعة استلقي فيها على ظهركِ واغمضي عينكِ ونزهي افكاركِ عن كل المشاغل والهموم ولو لم تنامي

واخرجي الى الهواء النقي كل يوم فان الهواء والشمس لازمان لصحة الاجسام وانتعاش

الابدان لزومهما للازهار والرياحين واذا كنت تكثرين المشي في البيت فلا داعي للمشي الكثير خارجاً لان زيادة تعب الجسم لا تفيد ولكن اذا كنتِ قليلة المشي في البيت فعوضي عنهُ بالمشي خارجاً في نور الشمس والهواء المطلق

واذا ظهرت الغضون حول منخريكِ وعينيكِ فافضل الطرق لازالتها فرك الجلد هناك بمادَّة مغذية مثل قشدة اللبن فركاً لطيفاً بالتأني

والاكثار من شرب الماء نافع لانهُ ينظف الامعاء والجسم · ونظافة باطن الجسم ضرورية كنظافة ظاهره

والرياضة الجسدية ضرورية لقليلات الاشغال البيتية ولكن المرأة التي تتحرك كثيراً في بيتها لا حاجة بها الى الرياضة بل هي محتاجة الى الراحة

واذا خفت من ان تسمني كثيراً فلا اسهل من مقاومة السمن بتقليل الاكل ولاسيما المآكل الدهنية والنشوية والسكرية وتكثير الرياضة · وامضغي طعامكِ جيداً

اعمال النساء

رأينا بالامس رجلاً وقف امام دكان بقال وطني فاشترى منهُ عنباً وتفاحاً وكان في الدكان رجل فوزن لهُ ما اشتراهُ ووضعهُ في سلَّة وغطاهُ واراد المشتري ان يدفع اليهِ الثمن فاشار لهُ الى امرأة جالسة امام باب الدكان ليدفع الثمن اليها وهي وطنية ايضاً فاستلمت منهُ الثمن وردت لهُ ما بقي لهُ لانهُ سلمها ريالاً والثمن اقل من ذلك وهذا المنظر نادر في بلادنا لان النساء قلما يتعاطين الاعمال واذا تعاطينها لا تكون الرئاسة لهنَّ فيها ولكنهُ غير نادر في اوربا وقد زاد شيوعاً في هذه الايام وهو الذي قوَّى الامرأة الاوربية ووسع مداركها ولعلَّ نساء الفلاحين واهالي البنادر اللواتي يتعاطين الاعمال اقرب الى رجالهنَّ في مداركهنَّ من نساء المدن اللواتي لا يتعاطين عملاً بل يكتفين باللبس والزينة

وقد تعدَّدت اعمال النساء في اوربا فهنَّ يتعاطين الاعمال الحسابية ومسك الدفاتر في الدكاكين والمخازن والمعامل والمحلات التجارية وتجليد الكتب والرسم والتصوير والتطبيب والصيدلة وخياطة الثياب ونظم الازهار وتزيين البيوت وزرع الجنائن وحفظ الكتب وتمريض المرضى والتصوير الشمسي وعمل البرانيط والتعليم عدا الاعمال الكثيرة التي يعملها النساء عندنا كغسل الثياب وطبخ الطعام والغزل والنسج ولا يكتفين بعمل هذه الاعمال في بيوتهنَّ بل يعملنها للغير لاجل التعيش

فهل الاصلح للامة كلها ان يحصل نساؤُها معيشتهنَّ بعملهنَّ كالرجال او الاصلح لها ان ينقطع نساؤُها لتدبير بيوتهنَّ وتربية اولادهنَّ . هذه مسألة من المسائل التي كثر فيها الاخذ والعطاء ولا يزال مجال القول فيها واسعاً

لزوم ايام البطالة

ما يجب عملهُ فيها وما هي منافعها

لا شيءَ اشرح للصدر وابهج للنفس من الراحة بعد العناء . فالراحة من لوازم الحياة . لا جرم ان لكل عمل قسطاً من العطلة ولكل حركة نصيباً من السكون . فالآلات الميكانيكية التي لا يفتر عن تشغيلها اقرب الى التلف من امثالها التي تراح ولو يوماً في الاسبوع

هذا شأن بني الانسان فان الراحة لازمة لهم بعدما يجهدون العقل او الجسم في اشغالهم واعمالهم اليومية والاَّ ما استطاعوا القيام باعمال عظيمة الشأن فاطلب الراحة بعد العمل الطويل الشاق كلما وجدت اليها سبيلاً . لانك اذا واصلت جهادك عراك الوهن والكسل ولم تقوَ على اتمام عمل

ان الفتيات اللواتي يرغبنَ في ان يكنَّ صحيحات الاجسام والعقول محترمات في الهيئة الاجتماعية نافعات لبني البشر طويلات الاعمار المسرَّة تملأُ صدورهنَّ تلزمهنَّ الراحة والنزهة بل يجب عليهنَّ ان يعلمن كيف يوفرن قواهن ويحافظن عليها ايام البطالة . فاذا كانت الغاية التي نتوخاها من الراحة ان نعود الى اعمالنا بهمة ماضية وجأش رابط كان علينا ان نفكر في ما يجب عملهُ في اثنائها وفي ما لا يجب . فما يجب هو ان نأكل في اوقات لا نتعداها بين الغياض والرياض حيث يخطر النسيم اذا كان ذلك ممكناً ونستحم ولكن لا نمكث في الماء الاَّ قليلاً ونرتدي ملابس غاية في البساطة ولكنها ملائمة للذوق السليم . وليكن طعامنا ناضجاً ومغذياً ولنستنشق الهواء النقي جهد طاقتنا ولننم في حجرة قليلة الاثاث بعدما نفتح كواها او كوة واحدة على الاقل وما لا يجب علينا هو ما يخالف هذا

ولربَّ معترض قال انني نأيت عن بياني وتعديتهُ الى علم حفظ الصحة . نعم ان الصحة هي الخلّ الوفي الذي يرتبط بسعادتنا فلنوثق عرى صداقتنا معهُ ولاسيما ايام الصبوة والاَّ كانت حياتنا عذاباً وآلاماً وبئس الحصاد

روت كاتبة يشار اليها بالبنان لما كتبتهُ في التربية والاخلاق انها اذا لم تعنَ بصحتها ولو بضعة ايام صارت هدفاً لسهام التجارب لان النفس من متممات الجسم فاذا كان الجسم عليلاً

كانت النفس مكتئبة ذليلة . فالنفس سرٌ او جوهر من جواهر الحياة اللوم يتعبها والهمّ يقبضها ألا يكفينا ان الحياة اتعاب وآلام فلماذا نزيد الطين بلة

***

الصحة اعظم اركان السعادة فلنحافظ على ما نملكهُ منها ونحرص عليهِ حرص البخيل على درهمهِ . ولنكن حكماء بعيدي النظر فلا نقضي ليالي الراحة في المراقص والملاهي ولا نمشي مسافة تنهك قوتنا ولا نلعب العاباً رياضية مدة طويلة والشمس في سمت الرأس . فما نحتاج اليهِ ايام البطالة هو استنشاق ما في وسعنا من الهواء النقي وتناول الطعام الخفيف المغذي وترويض اجسامنا ترويضاً كافياً لان يسرع الدورة الدموية فيها و يورّد وجوهنا . ولتكن العابنا سارة مبهجة وصديقاتنا وفيات يشاركننا في السراء والضراء ولنطالع كتباً نافعة ولا نقتل الاوقات بقراءة القصص والروايات التي تفسد اخلاقنا وتشوه آدابنا . ان فعلنا ذلك شعرنا بانشراح في صدورنا وتجديد في قوانا العقلية والجسدية فاذا عدنا الى مزاولة اعمالنا اليومية لم يعترنا ملال ولا اصابنا كلال

***

خير الصديقات في ايام البطالة صديقة طاب حديثها فكان فكاهة جنية تفرج الكرب وتسري الحزن فتحول البكاء الى ضحك والكآبة الى مسرة . يظن البعض و بعض الظن اثم ان هذه الصفات غير محمودة في البنات ألا انهم لفي ضلال . اذ اجمل خصال تزين الفتاة ثلاث رقة حديث وصفاء قلب وصدق ولاء فالاولى تبعدها عن الاغتياب والثانية تجعلها كالبلور نقاوة وصفاء في اقوالها وافكارها والثالثة تكثر لها من الصديقات . هذه خصال اذا مزجت معاً كان طبع الفتاة سبيكة من ذهب وكل فتاة تستطيع التخلق بها

اذا دخلتن المجتمعات فاغتنمنَ الفرصة لتكنَّ مخلوقات « مخلوقات » مبهجات يطفح السرور عليكنَّ وليكن هذا السرور خلقاً فيكنَّ لا تستطعن خلعهُ وابدالهُ كما تخلعن الملابس وتبدلن الازياء

قالت عالمة اميركية محترمة الرأي من العلماء . يجب علينا ان نربي فينا ميلاً الى المزل والمجون وان ندرك تماماً ان النكات اللطيفة خير ما يجب علينا التدرع بهِ ولكن في موضعهِ . على ان العقبة الكؤود التي تحول دون الكثيرات منا هي انهنَّ طبعن على التعمق في الافكار والميل الشديد الى الرزانة حتى انهُ ليعسر شرح صدورهنَّ . فقد يسرني و يضحكني ما تراهُ جارتي تافهاً لا مبهج فيهِ . ومع ذلك فالتي تكون مفطورة على المجون كثيراً ما تستطيع ان تؤثر في

اشد الناس رصانة . فما اسعد البيت الذي يضمُّ فتاة او فتاتين تفكهان سائر الذين فيهِ برقة حديثهما وفكاهتهِ

تقول فتاة وما الذي افعلهُ لا كون لطيفة المحضر حسنة المعشر فاوصيها بما يلي

اذا سمعت فكاهة او نكتة مستطرفة فعيها وقصيها على آخرين بأسلوب يبهجهم . واذا خرجت لزيارة او نزهة فكوني آذاناً واعية وعيوناً ناظرة . راقبي الحوادث واحكيها لاهل بيتك ولا تأخذ منك الخيلاء والصلف فكوني محبة لذاتك تكتمي الامور الحسنة في صدرك وتبخلي بها على غيرك

***

ذكرت ما تيسر لي مما يجب عملهُ في ايام البطالة لانهُ سهل المأخذ قريب التناول

اذا لم يستطع احد السفر من قارة الى قارة او من بلاد الى بلاد لم يصعب عليهِ ان يؤُم الخمائل الغناء او ساحل البحر في بلادهِ . ففي كل بلاد مناظر طبيعية يبسم لنا وجهها ونسمع خرير مائها ونستنشق بليل هوائها . هذه الطبيعة لها ملابس ترتديها وحلى مبهجة تظهر فيها ولما كان بحثنا في صغائر الامور يوصلنا الى كبائرها وجب علينا ان ندرس صغائر عجائب الطبيعة التي نراها في كل مكان وزمان . والا لم تفتح لنا صدرها ولا اطلعنا على اسرارها . فاقصدي ايتها الفتاة تلك المناظر كانك احدى بنات الطبيعة تحنين اليها حنين الابنة الى امها . ولا تكتفي بالذهاب والاياب على شاطىء البحر مثلاً . او بالشخوص الى الجبال والوديان وانت جامدة لا تفكرين في شيء . فليس هذا كل القصد من النزهة الحقيقية . نعم انك تنتفعين بنقاوة الهواء واشعة الشمس ولكن ينقصك امرٌ مهمٌّ جدًّا . ينقصك ان تقرإي اسرار الطبيعة فهي لا تحادثك وانت مصغية الى انغام توقع على ذوات الاوتار او الى جلبة قوم اشتد بينهم الحجاج واللجاج . وانما تحادثك متى كنت منعزلة منفردة فتبوح لك باسرارها ولا تكتم عنك مخبآتها

***

ان لون ثوبك ونقوشهُ التي ترينها بمنظار مكبر وانت على شاطىء البحر لا تعد شيئاً مذكوراً في جانب الوان ماء البحر الذي لا تدركين لهُ آخراً فهل خطر في بالك ان تضعي لتلك الالوان اسماء او تري لها نظائر واشباهاً . فبماذا شبهتها أبالفضة ام بالجمشت ام بالوان القمري ام بالزمرد ام بالورد ام بالزيتون ام باللازورد . كل هذه الالوان تتلاعب على وجه ذلك الماء وتمتزج بعضها ببعض فتملأُ الصدر مسرَّة وانشراحاً هل تأملتِ امواج البحر في يوم عاصف وهي مقبلة الى الشاطىء متسابقة متسارعة حتى اذا وصلت اليهِ تكسرت على

الصخور المحاذية للشاطيء وقبلما تتناثر ترتفع هالة من الزبد يروق العين منظرها • أرأيت هذه الامواج المرغية وجداً المزبدة حقداً تثب على الصخور كأنها افراس البحر والزبد الابيض يطوق عنقها • انك اذا انعمت النظر في ذلك طويلاً مرات عديدة ادركت فوراً لماذا كان اليونان القدماء يسمون ذلك الزبد خليلي نبتون إله البحر

∴

اذا ولعت بالطبيعة لم تبقَ همتك فاترة وانية لانك ترين نفسك في اضطرار الى الوقوف على اسرارها فلا تنظرين اليها حينئذٍ نظراً عادياً بل تنشدين مع شاعرنا العربي

فقل لمن يدعي بالعلم فلسفةً علمت شيئاً وغابت عنك اشياء

تلك المناظر تنسيك ضوضاء المدن ومتاعب الحياة فما اجمل وانفع التمتع بها في ايام البطالة

∴

اذا قصدت البحر لتسيري على شاطئهِ وتشاهدي قاصديهِ فقط فانت لم تعرفيهِ ولا سرحت ناظريك على سطحهِ الفسيح ولا اصغيت الى انغامهِ المختلفة الحانها فهو عروس الطبيعة بلا منازع بل هو اجمل من كليوباترا • تمرُّ بهِ الاجيال والاحقاب ولا تقوى على تشويههِ او تغيير الوان مائهِ او تنويع هيئاتهِ وصفاتهِ • ومهما ترددت عليهِ لا تستطيعين ان تدركي النزر اليسير جداً من اسرارهِ ولكنك مع ذلك تنشرحين صدراً وتقرين عيناً وتطيبين نفساً

∴

اذا لم يكن في وسعك قضاء ايام البطالة في السواحل البحرية فان الطبيعة تنتظرك فوق الجبال والتلال وفي المهاد وعلى الانهار وتحت باسق الاشجار

ففي كل حين تنقل حواسك الخمس الى العقل والنفس اموراً تبهجها • الصباح يسرك بنضارة النبات واريج الازهار ويريك الندى عليها كأنهُ درر متناثرة • في تلك الفترة ترسل الشمس اشعتها الذهبية الى الارض فتنعشك كأنها اكسير الحياة • والظهر ينيلك امنيتك من نعم الارض وخيراتها . والعصر يعيد اليك قوتك بلطف هوائهِ ثم تميل الشمس الى المغيب فتقصد الطيور اوكارها اسراباً اسراباً مغردة تغريداً منعشاً فتشعرين حينئذٍ ان هذه الدنيا دار سعادة وصفاء وان ايام البطالة احلاها واهناها

∴

استقبلي الصباح فوق الجبال واطيلي تأملك في المروج الخضراء والاشجار الغيباء تري بساط سندس برقشتهُ يد الطبيعة بالوان لا تحصى ولا تحصر • ولا يستطيع ملك مهما بلغ

ترفهُ وعظم شأنهُ وضخم سلطانهُ ان يكون لهُ في قصرهِ مثيل لما فاتت على قنن الجبال ابهج منهُ في قصرهِ خاطراً واسعد حالاً

سيري في الغابات ومشي نظرك في اشجارها الكثيفة الملتفة على اشكال مخروطية كأَنها اعمدة هياكل فتشعري بالتعبد والخشوع فهل هذا الشعور وراثة عن اجدادنا القدماء او هو امر فطري فينا يجعلنا نميل الى العبادة والسجود حيث نكون في اماكن تشبه الهياكل على ان هذا يرفع نفسونا ولا شك الى خالق هذه الطبيعة ومبدعها العظيم

* *

كلما توغلت في الحقول والحراج ادركت السر الذي جعل القدماء يدخلون على قصصهم الخرافية اخبار آلهة الماء وافعال الجن والغيلان وهذا من اسرار الطبيعة . ان في اصغر النباتات او الازهار اسراراً وقد امتازت الطبيعة بامر هو انك كلما حدقت النظر اليها وانعمت الفكر فيها او نظرت اليها بالمنظار ظهر لك الاحكام والاتقان فيها

لا اقصد بما تقدم ان اضطرك الى درس علم النبات وانما اريد ان احضك على فحص الازهار والنباتات التي تريها ايام البطالة وتسأَلي البعض عنها فلا تبقي جاهلة امرها هكذا يجب ان تقضي ايام البطالة حيث الطبيعة تبسم والسعادة تدرك

عربتها عن اللغة الانكليزية

اسما جبرائيل منصور



امة الملايو

هو مبحث علمي في امة شرقية اسلامية وضعهُ حضرة صالح افندي جودت احد موظفي نظارة الحقانية واهداهُ الى الامير تنكو منصور نجل السلطان عبدالحميد حليم شاه راجا قدح وقدح هذهِ احدى ولايات ملقا التابعة لمملكة سيام . والذي يقرأُ لقب صاحبها يظنها من الممالك الكبيرة ولكن يقال في هذا الكتاب ان عدد سكانها ٧٢ الف نفس اي عشر اهل القاهرة فهي مثل قسم من اقسام عاصمتنا في عدد السكان او مثل مركز من مراكز المديريات

المصرية ومساحتها كلها لا تزيد على ٢٠ الف كيلو متر وسكان عاصمتها عشرة آلاف نفس فهي مثل اصغر بندر من بنادر القطر المصري

لكن الكتاب ليس مقصوراً على تلك البلاد بل يتكلم على امة الملايو او الجنس الملقي الذي يسكنها ويسكن غيرها من البلاد المجاورة لها وهو جنس معدود بين اجناس البشر . وقد اسهب المؤلف في الكلام عن هذا الجنس فذكر تاريخهُ ووصف لغتهُ وقال ان بعضهم يكتبها بالحروف العربية ومن الغريب ان ليس فيها لا فاء ولا قاف ولا كاف ولا لام وهم ينطقون بالراء غيناً وعيناً . ويكتبون اعدادهم بارقام عربية . وقال ان ملوك قدح يدعون انهم من نسل احد قواد الاسكندر المكدوني

والكلام على امة الملايو بالذات مختصر لا يتجاوز عشرين صفحة وهو مشحون بالنوادر والحوادث التاريخية ومما قالهُ في وصفهم انهم قصار القامة قلما تتجاوز قامة الرجل منهم متراً وستين سنتيمتراً وهم اقوياء البنية اصابعهم طويلة دقيقة وارجلهم ثقيلة في السير قوية عليهِ وجماجمهم كروية منبطحة من الخلف وشعور رؤُوسهم غزيرة الآ ان الشعر يقلُّ في اجسامهم ولحاهم ولون بشرتهم بين السمرة والصفرة ووجههم مربع وعيونهم افقية عادةً الاَّ في بعض قبائلهم فانها قريبة الشبه بالمغول اذ ترى فتحات عيونهم مرفوعة نحو الاصداغ بانحراف ووجناتهم نامية العظام بارزتها وانوفهم قصيرة ولكن فتحاتها واسعة وفمهم واسع ايضاً وشفاههم غليظة واسنانهم ذات جمال بديع لولا انهم يسودونها لان سواد الاسنان جمالها عندهم وثديُ نسائهم صغيرة وليس لقوامهنَّ جمال قوام المنديات . وملابس رجالهم عادة سروال قصير ومحرمة تدعى في لغتهم سارنغ تستر نصفهم الاسفل وعمامة او قبعة من القش ويلبسون احياناً في اقدامهم احذية

« ونساؤُهم يلبسن في خصورهن سارنغ (تكون من الحرير الملون عند ذوات الثروة وهي اشبه بالجزء السفلي من الحبرة) ثم يضعن مثلها على رؤُوسهن فتسترها الى الجبهة . ويرفعن المئزر على ذراعيهن الى محاذاة الوجنتين ويمسكن طرفيهِ بيديهن فيشددنهُ بحيث تستر حافتهُ وجههن فلا ترى منهُ الاَّ العينين فهن في ذلك المئزر اشبه ببعض قرويات مصر ونساء الملايو يتحلين عادة بكثير من الحلى كالخواتم والاساور والاقراط والقلائد الخ

« ومن عادة الملايو نساء ورجالاً مضغ التنبل واسمهُ « سيره » بلغتهم (وهو نبات يشبه شجرهُ شجر الفلفل وتمضغ اوراقهُ ولها مفعول صحي قابض) ويمضغون ايضاً جوز الارك

« ينبغ » (وهو تمر النخل الهندي) لتسود اسنانهم ثم هم يطلون اسنانهم زيادة على ذلك بطلاء اسود لماع

« اما منازلهم فهي عادة من الخشب مربعة الشكل ومقامة على اوتاد من غاب البمبو بحيث تصير مرتفعة عن الارض فتقيم تحتها ماشيتهم وهم يسكنون فيها ومنازلهم مكسوة بسعف النخل « اتب » ويصعد اليها بسلم واذا اوقدوا النار اوقدوها خارج المسكن خشية الحريق والفقراء منهم يقيمون في زوارق صغيرة فوق الماء ويستظلون فيها بحصير يقيهم الشمس او المطر . وتجد قراهم محاطة بسياج او سور من الطين وفي وسطها ميدان للاجتماع

« ومن ملاهيهم المراهنة بلعب الورق والزهر والشطرنج ومضاربة الديكة ثم الصيد والمقارعة بالسلاح

« ومن اسلحتهم السيف « كليونغ » والخنجر « كريس » والمقلاع والسهام المسمومة والسباطانة (وهي انبوبة طويلة توضع بها كل صغيرة من الطين الجاف او غيره وينفخ فيها فتصيب الطيور الصغيرة في الصيد) وقد شاع عندهم الآن استعمال البندقية فابطلوا استعمال تلك الاسلحة القديمة . وكان لقرصانهم مراكب « براو » مسلحة بمدافع طويلة طالما ازعجت ذلك الارخبيل بغزواتهم حتى ارسل الله لها الهولنديين فكسروا من شكيمتها

« وامة الملايو ذات صفات غريزية فاضلة فلرجالها ذكاء متوقد وحماس غريب وهم عزيزو النفس يترفعون عن الذل اولو شجاعة قد تقودهم الى حتفهم ولكنهم مع ذلك كثيرو الحذر في المعاملات وقد زعم بعضهم ان الملايو قساة القلوب خونة ولكن معاشرهم لا يلبث ان يعترف بما لهم من كرم الاخلاق وحسن المعاشرة والصدق في القول وحفظ العهود ولهم في هاتين الصفتين الاخيرتين شهرة صادقة

« والملايو قوم معروفون بالملاحة والتجارة ومنهم يتخذ الاوربيون رجال بحريتهم في تلك الاقطار . وقد قال عنهم بعض عارفيهم « ان الملايو من الامم التي تعيش متكلة على غيرها وترزق من خدمة الامم الاخرى دون ان تسعى الى ترقية نفسها بذاتها »

« والملايو يحتقرون الزراعة ولذلك يعهدون بزراعة حقولهم الى العبيد . والعبد عندهم اما اسير حرب او سجين دين

« ومن زراعاتهم الشائعة الارز والبطاطة والبن والقصب وهم يتغذون منها ومن السمك ولا يأكلون اللحوم عادة الا في المواسم والاحتفالات

« وللملايو استعداد فطري للصناعة ومن اشهر صنائعهم الحياكة والدباغة والتجارة وعمل الاسلحة والصياغة

« وهم قبائل متعددة يخضع بعضها لدول اجنبية وبعضها لامراء وطنيين · والنظامات السياسية لاماراتهم المستقلة نظامات ارستوقراطية أي ان الامر فيها للامراء لا للامة فهي استبدادية · وعادة تكون تحت امر الحاكم عندهم (ويدعونهُ راجا او ماها راجا او جندى)

« ولم تزل عند الملايو عوائد حفظوها عن آبائهم او من خالطهم من الاجانب كالهنود والعرب وقد احترمت الممالك المستعمرة هذه العوائد ومنها امكان افتداء القتيل بالمال بدل اعدام القاتل · وحق من اهين في دعوة خصمهِ الى البراز · والرجل منهم يشتري المرأة ولهُ عليها حق مطلق · والفقير غير القادر على ثمنها يشتغل الى أجل مسمى عند اهل العروس ويكون عملهُ لديهم مهرها · ويقدم اولاد الاخت عندهم في الميراث عن اولاد الاب

« وقد كانت الديانة الشائعة بين الملايو هي الوثنية حتى القرن الثالث عشر فقدم اليها تجار من مسلمي الفرس نقلوا اليها آداب العرب ودياناتهم · وكان قدوم هؤلاء التجار في البدء الى ملقا فاعتنق اهلها الاسلام · ومن المحقق في التاريخ ان هؤلاء التجار انتقلوا الى سومترة حيث كانوا بها في عصر ماركو بولو الرحالة الشهير · وقد زاد نفوذهم في تلك الجزيرة في القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر للميلاد حتى حملوا حكام تلك البلاد على اعتناق الديانة الاسلامية . واخذ الاسلام من ذلك الحين ينتشر بينهم ويؤلف بين قلوبهم بالحسنى والمعروف »

وقد رجح المؤلف ان أصل الملايو من اواسط جزيرة سومترة وحبذا لو ذكر الادلة التي ترجح ذلك

ووصف املاك هولندا في تلك الجهات لان سكانها من امة الملايو · وقال « ان السائح اليوم في المستعمرات الهولندية ببلاد الملايو يندهش من حسن نظامها ويفتتن بجمال مزروعاتها ولكن يحزن لحالة اهلها · يسير مثلاً في حقول القصب (قصب السكر) فيجد اممًا تفلح ارضًا لا تملكها وترويها بعرق جبينها لتنتج منها رزقًا وخيرًا لغيرها قد يربو على عشرات الملايين من الفرنكات في العام · يجد اممًا قد انطمست بصيرتها فهي تظن ان الارض ليست لها وان من الواجب عليها ان تشقى لغيرها اممًا عدمت العز فظنت المذلة من واجباتها الاجتماعية ورأت الترفع عنها امرًا فريًا · ويقول لنا الاوربيون بعد ذلك انهم يطاردون الرق في العالم · وما تلك الحالة الا نتيجة الجهل الذي ابقت هولندا تلك الامم عليهِ ولم تشأ ان تكشف عنهم

ظلماته فكانت سياستها في ذلك سياسة استبدادية ظالمة سياسة استعباد وحب ذات وعدم احترام لجنس الانسان »

واسهب المؤلف في هذا الموضوع على هذا النسق ولا بدَّ من انهُ ناقل لانهُ لم يقل انهُ طاف في تلك البلاد واطلع على احوال اهلها وقد يكون ما قالهُ صحيحاً كلهُ او دون الصحيح ولكن ترى هل كانت حال اولئك الناس اصلح قبلما اخضعتهم هولندا وهل حال اليمانيين والحجازيين في اليمن والحجاز وسلطانهم امير المؤمنين اصلح من حال الملايو في جاوى . وهل حال السكان في العراق وبر الاناضول وبلاد ايران والمغرب الاقصى اصلح من حال الملايو الخاضعين لهولاندا . وهل كان حال السكان في القطر المصري منذ اربعين سنة اصلح من حال الملايو الآن . وهل حال السكان في قَدَح وهي غير خاضعة لهولاندا اصلح من حال السكان في جاوى . وهل والي اليمن او والي الحجاز احسن فيهما من راجا ولاية من ولايات جاوى او غيرها من املاك هولندا »

هذا ومن المحقق ان الحكومة الهولندية انفقت على تعليم الوطنيين في جاوى ومدورا سنة ١٩٠٦ نحو ١٩٠ الف جنيه وكان عندها للوطنيين ٣٢٣ مدرسة فيها ٧٤٩٨٤ تلميذاً من اولادهم عدا ٤٤٦ مدرسة اهلية لهم فيها ٥٠٣٤٤ تلميذاً وعدا المدارس الخاصة باولاد الرؤساء الوطنيين وعدا المدارس العالية وهي خمسة لتخريج المعلين وفيها ٣٠٠ تلميذ . وقد اسهب المؤلف في ذكر جزائر فيلبين ولم يمدح الاميركيين بكلمة على ما فعلوهُ فيها من افعال الكرام وما انفقوهُ فيها من الاموال الطائلة فان اميركا تنفق على التعليم وحدهُ في جزائر فيلبين ٥٥٠ الف جنيه في السنة فلماذا لم تستحق كلمة مدح وهذا لا يمنع حث الاوربيين وغيرهم من امم اوربا على الرفق بغيرهم من الامم الخاضعة لهم ومعاملتهم كاخوة لهم في البشرية كما انهُ لا يمنع وجوب السعي في ترقية الامم الشرقية حتى تنال كل حقوقها الطبيعية

وقد اسهبنا في انتقاد هذا الكتاب لزيادة الاعتناء بهِ ولاننا نود من كتابنا الكرام ان ينصفوا غيرهم لان مَن لم يُنصِف لم يُنصَف

شرح نهج البلاغة

أهدت الينا مطبعة دار الكتب العربية الكبرى المجلد الاول من شرح نهج البلاغة لابي حامد عبدالحميد بن هبة الله المدايني المعروف بابن ابي الحديد وهو كتاب حافل بالفوائد العلمية والتاريخية والادبية وفي المجلد الذي صدر منهُ خمس مئة صفحة كبيرة مطبوعة بحرف

دقيق خلا المتن فانهُ مطبوع بحرف كبير ومضبوط بالشكل الكامل · ومما يعاب بهِ طبعهُ ان الشرح متماسك كلهُ لا فاصل فيهِ يرتاح النظر اليهِ الاَّ حيث يدخل المتن وحيث يرد شاهد شعري وكثيراً ما تجد اربع صفحات او خمس صفحات ولا فاصل فيها مع ان في الصفحة منها ٣٥ سطراً طويلاً وحبذا لو اختار طابعو لكتاب الفصل في الصفحة الواحدة حيث يحتمل الكلام ذلك تسهيلاً للمطالعة وحبذا ايضاً لو الحقوا الكتاب كلهُ اخيراً بفهرس على حروف المعجم يستدل بهِ على موضع كل حادثة او فائدة او نكتة مذكورة في الكتاب كما يفعل الافرنج حينما يطبعون الكتب العربية · وقد وصفهُ طابعوهُ بما يأتي

« ان علم التاريخ خصوصاً تاريخ الصدر الاول من الخلفاء اهم شيء عند المحققين اذ بهِ تعرف فلسفة التاريخ الموصلة الى معرفة ما يؤدي الى سقوط الدول وقيامها ومحاسن السياسة ورديئها ولم نقف على كتاب جامع لتلك الاوصاف يتتبع مجاري الحقائق من غير اعتساف ككتاب فيلسوف زمانهِ هبة الله المشهور بابن ابي الحديد الذي شرح بهِ نهج البلاغة للشريف الرضي من كلام امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجههُ ومع هذا فقد جمع طرفاً واسعاً من الادب المتين من شعر المولدين والعرب والحكم ودقائق اللغة والكلام والفلسفة فيجد الاديب فيهِ بغيتهُ والمتكلم والفيلسوف فيهِ نهمتهُ مع مشرب عذب وخطب ومقالات في سائر المواضيع الانشائية والسياسية فلا غرو ان جاء الكتاب عشرين جزءا كلها غرر وحوى من المحاسن ما لا يمكن حصرهُ الا بالنظر وقد عزت نسخهُ بل كادت تكون في حكم المفقود فرأينا من الخدم الادبية والآداب الانسانية طبعهُ لتعميم نفعهِ فاستحضرنا جملة نسخ لتصحيحهِ وبذلنا غاية الوسع في تحسينهِ وتنقيحهِ وضبطنا كلام امير المؤمنين بالشكل لتسهل قراءتهُ وتصفو مرآتهُ وجعلناهُ في اربعة مجلدات كل مجلد يشتمل على خمسة اجزاء وقد نجز منهُ المجلد الاول المشتمل على ربع الكتاب فتقديماً للفوائد نعلن العموم ان كل من اراد ان يقتنيهُ فليطلبهُ من دار الكتب العربية الكبرى بشارع خان جعفر جوار سيدنا الحسين « لمصطفى البابي الحلبي واخوتهِ) و يدفع ٧٠ قرشاً صاغاً و يستلم ربع الكتاب ورق بدون تجليد و يأخذ وصلاً بالباقي لحين تمام طبعهِ ومن كان خارج القاهرة فليرسل ٧٦ قرشاً صاغاً فيرسل اليهِ الجزء مجلداً بالبريد وفي خارج القطر واحداً وعشرين فرنكاً »

باب المسائل

(١) مذهب دارون عند العرب

طرابلس الشام . محمد افندي صالح غنوم . بينما كنت اطالع في كتاب نظام العالم للشيخ الطنطاوي الجوهري وقع نظري على كلمات بخصوص دارون صفحة ٣٩ قال فيها « ان ما قالهُ دارون هو جزء مما قالهُ العرب فانهُ نظر في ظاهر الطبيعة وصور الحيوان واشكالهِ وقال بما قال وظن اشتقاق بعضها من بعض ومن العجيب ان بحثهُ اقتصر على رابطة القرد بالانسان اما بحث العرب فانهُ اوسع دائرة واقوى مدركاً لانهم لم يروا القرد كافياً في الارتباط لاختصاصهِ بالصورة والتقليد واشركوا معهُ ذات الصوت الجميل كالبلابل وغيرها . وقال ان بحثهم تناول كل موجود من جماد ومعدن ونبات وحيوان وانسان اما دارون فقد حصر بحثهُ في قوس من الدائرة المسماة عندهم دائرة الوجود فهل هذا صحيح نرجو من حضرتكم الجواب عليهِ

ج . كلا غير صحيح والظاهر ان قائلهُ لم يقرأ كتاباً من كتب دارون ولو قرأ فصلاً واحداً من كتبهِ لما قال شيئاً من ذلك ولا نظن ان العرب قالوا شيئاً في هذا الموضوع لم نطلع عليهِ او زادوا شيئاً عما قالهُ فلاسفة اليونان والرومان قبلهم

واذا اردتم ان تعرفوا الفرق بين ما فعلهُ هؤلاء كلهم وما فعلهُ دارون فقابلوا بين رجل رأى خريطة الولايات المتحدة الاميركية منذ ثلاثين او اربعين سنة وسكك الحديد آخذة في الانتشار فيها فقال في نفسهِ ان هذه السكك لا بد من ان تمر فوق الانهر فلا بدَّ للانهر من جسور (كباري) حديدية كبيرة متينة لحمل القطرات الكبيرة . فاذا أخذت مناجم الحديد التي قربها مناجم فحم لاجل سبك الحديد وصنعت معامل كبيرة لعمل جسور الحديد فاني اربح من ذلك ربحاً طائلاً وتصير اموالي تقدَّر بالملايين . وبين كارنجي الذي قادهُ اشتغالهُ في سكة الحديد الى هذا الفكر عينهِ فسعى في تحقيقهِ بكل جهدهِ وواظب على السعي سنين كثيرة فربح الاموال الطائلة حتى صارت ثروتهُ تقدر بخمسين مليوناً من الليرات الانكليزية ودخلهُ اليومي باكثر من ثمانية الاف ليرة انكليزية وصاحبكم المفكر الاول ليس عندهُ عشاء ليلة

أَوَلم تقرأوا ما قالهُ العلامة ولس الذي يعدُّ قسيماً لدارون في المذهب الداروني وقد بحث في هذا الموضوع والف فيهِ مجلدات

كثيرة بانياً ما كتبهُ على بحثهِ الطويل في اماكن شتى وبلدان مختلفة فانهُ قضى اربع سنوات في اميركا الجنوبية يبحث في حيواناتها ونباتاتها وثماني سنوات في جزائر ملقا يبحث في حيواناتها ونباتاتها وقادهُ بحثهُ الطويل الى الحكم بان انواع المخلوقات متولدة كلها بعضها من بعض بواسطة الانتخاب الطبيعي وهذانِ الامران أي تولد انواع الحيوانات والنباتات بعضها من بعض وحدوث هذا التولد بواسطة الانتخاب الطبيعي هما النتيجتان اللتان وصل اليهما دارون بعد ابحاث طويلة وتجارب كثيرة استغرقت عشرين سنة وشغلاً مستمراً فيها لكن ولس قال عن نفسهِ ان نسبة نصيبهِ من هذا الاكتشاف او الاستنتاج الى نصيب دارون كنسبة اسبوع الى عشرين سنة فما قولكم في مَن يقول قولاً او يرتإي رأياً ولا يؤيدهُ بدليل نظري ولا عملي ثم ندعي انهُ سبق العالمين العاملين الذين يقضون العمر في البحث والتحقيق والامتحان الى ان يصلوا الى النتيجة العلمية

(٣) تاريخ الدولة العثمانية

ومنهُ لماذا لم تكملوا تاريخ الدولة العثمانية

ج . لما شرعنا في كتابة هذه الخلاصة من تاريخ الدولة العثمانية لم يخطر لنا اننا نجد فيهِ اشياء يجب الاغضاء عنها فوقفنا وقفة الحيرة بين الامانة للتاريخ والتأدُّب في ذكر الاموات ولاسيما اذا كانوا عنوان عز الدولة ولم نجد بين الكتب التي وصلت الينا يدنا ما ينفي ذلك وبينما نحن في هذه الحيرة علمنا ان الحكومة عزمت على تأليف تاريخ مدقق للدولة العثمانية فقلنا لا بدَّ من انها تستطيع جمع ما لا نستطيع جمعهُ من المواد والتحقيقات اللازمة لهذا التاريخ ورأينا ان من الحكمة انتظار تاريخها لعلنا نجد فيه ما يوضح الحقائق فيكون اعتمادنا عليهِ ايضاً

(٤) دودة القطن وتاريخها

فراشة بالشرقية . شيخ العرب ابو هاشم علي قريط . ما رأيكم في دودة القطن واسباب نزولها هل هو ناشئ عن تأثير جوي او عوارض ارضية ومنذ كم سنة ظهرت هذه الآفة المضرة في الوجه البحري وكيف انتقلت الى الوجه القبلي

ج . ان دودة القطن وكل الديدان تتولد من الفراش كل نوع منها يتولد من الفراش الخاص بهِ . والفراش ذكر وأنثى فيتزاوج وتبيض فراشةُ دود القطن على ورق القطن وبيضها صغير جداً كحبوب الرمل ويخرج الدود الصغير من البيض ويكون اسود اللون عند اول خروجهِ ويتغذى من الورق ويكبر رويداً رويداً الى ان يصير طول الدودة منه خمسة سنتمترات فيغور في الارض ويصير زيزاً والزيز يصير فراشاً فيطير ويتزاوج ويبيض ويدور الدور على ما تقدم وفي انتهاء موسم القطن يشتو الزيز

ويبقى مختفياً الى حين نمو القطن في العام التالي وقد يظهر في زمن البرسيم ويأكلهُ والذي يبقى منهُ من سنة الى أخرى قليل جدًّا لانهُ تعتريهِ امراض وآفات تهلكهُ ولكن البقية الباقية تولد الدود ثانية بكثرة اذا ناسبتها الاحوال الجوية

ونظن ان هذا الدود قديم في القطر المصري وكان يأكل غير القطن من المزروعات ولما انتشرت زراعة القطن فضلهُ على غيرهِ لانهُ يكون نامياً في الوقت الذي يسهل فيهِ نمو الحشرات وتقلُّ تقلبات الهواء ويظن البعض انهُ قبل الاهتمام بالري الصيفي كان البرسيم يقطع ثلاث مرات فقط ويبس ولكن لما توفر الري الصيفي صار البرسيم يروى ايضاً فتبقى الرَّبة منهُ عائشة الى زمن نمو القطن فيعيش الدود عليها ويتناسل الى ان يكبر القطن ويصير غذاء لهُ . وقد كثر ظهور دودة القطن اول مرة سنة ١٨٧٩ اي منذ ثلاثين سنة وكان ذلك على اثر فيضان ١٨٧٨ الذي كان عالياً جدًّا وبقيت مياههُ عالية الى الصيف التالي فروت البرسيم وابقت دودهُ حيًّا الى ان كبر نبات القطن فانتقل اليهِ

اما الانتقال من الوجه البحري الى الوجه القبلي فسهل لانهُ يتمُّ تدريجاً من البلاد الواحدة الى التي تجاورها . والرياح تحمل الفراش وتنقلهُ مسافات طويلة

(٤) فعل انعكف

طرابلس الشام . مرشد افندي الياس ابو كرم . لقد اكثر الشيخ ناصيف اليازجي في مقاماتهِ من استعمال كلمة انعكف . ويظهر من مراجعة القاموس وغيرهِ من كتب اللغة ان وزن انفعل لا يجيء من مادة عكف فكيف فرط منهُ ذلك

ج . لا تتذكر اننا رأينا هذه اللفظة في مقامات اليازجي واذا وردت فيها بمعنى عكف اللازم فيكون ورودها تجوُّزاً او تكون مستعملة مطاوعة لعكف المتعدي وياحبذا لو ارشدتمونا الى المقامات او الصفحات التي وردت فيها هذه اللفظة

(٥) العقاب والنفس والصلاة

بغداد . هارتيون افندي موراديان . هل يمكن اثبات العقاب الابدي ووجود النفس وضرورية الصلاة من العلم الطبيعي المنتشر في عصرنا هذا

ج كلاَّ كما لا يمكننا ان نثبت منهُ ان اسم كان مرفوع واسم انَّ منصوب لانهُ لا ارتباط بين ما ذكرتم ومواضيع العلم الطبيعي فلا يمكن الاثبات بهِ ولا يمكن النفي ولكن لو قلتم انهُ يراد بالصلاة ان يغير الله مجرى الطبيعة فهل ذلك ممكن حسب مفاد العلوم الطبيعية او غير ممكن لاجبنا ان الذين يعترضون على فائدة الصلاة يقولون ان ذلك غير ممكن لان الله وضع للكون نواميس لا

يتعداها ولا يحيد عنها . ويسهل دفع هذا القول بانهُ اذا كان امامك كتاب على المائدة فهو يبقى عليها ابداً لان ناموس الجاذبية يقتضي ذلك ولكن يسهل عليك ان تقول لابنك ارفع هذا الكتاب عن المائدة فيرفعهُ اي يستعمل قوة تبطل قوة الجاذبية او تغير فعلها فاذا كان الولد يستطيع ذلك فلماذا لا تستطيع القوة الخالقة التي هي مصدر كل القوى ان تبطل قوةً او تغيرها اذا شاءت ذلك . بقي هل يسمع الله وهل يستجيب والجواب ان ذلك خارج من مدار العلم الطبيعي فلا يقدر ان يثبته ولا يقدر ان ينفيهُ ولكن ما لا يبحث فيهِ العلم تبحث فيهِ الفلسفة

(٦) العلم والشر

ومنهُ . اذا كان العلم ينقص الشر فهل يغنينا عن الدين

ج . ما هو العلم الذي تريدونهُ وما هو الشر وأي دين تعنون هل تعنون اليهودية او المسيحية او الاسلامية او البوذية او البرهمية او ماذا . وربما وجدتم ما تريدونهُ في ما يأتي : — اذا اريد بالخير ما ينفع الناس من الافعال التي يفعلونها وبالشر ما يضر الناس من الافعال التي يفعلونها فناموس بقاء الاصلح يقضي بزوال ما يضرُّ الناس رويداً رويداً وبقاء ما ينفعهم لانهُ اذا فرضنا وجود قبيلتين متماثلتين في جزيرتين متماثلتين وقام في القبيلة الواحدة اناس يسعون الى ضرر غيرهم من ابناء قبيلتهم وقام في القبيلة الثانية اناس يسعون الى نفع غيرهم من ابناء قبيلتهم ضعفت القبيلة الاولى وقويت الثانية واذا استمرَّ ذلك تلاشت القبيلة الاولى وتلاشى الشر معها وتكاثرت الثانية وتكاثر الخير معها . ولا يمكث في الارض الاَّ ما ينفع الناس ولذلك يستنتج الاكثرون ان مصير الناس الى الصلاح وهذا امر لازم عن ناموس بقاء الاصلح . ولكن لا شبهة في ان الاديان التي تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر تفيد جدًّا في الوصول الى هذه الغاية

(٧) تأَخر الاطفال عن التكلم

بني سويف . كامل افندي فهمي . ما السبب في ان بعض الاطفال لا يتكلمون الاَّ بعد مرور ثلاث سنوات او اربع من ميلادهم ثم ينطقون بكل صعوبة وربما يكون نطقهم غير فصيح

ج . الغالب ان ذلك يكون وراثيا وسببهُ ضعف في مركز النطق في الدماغ

(٨) علاج التأَخر في التكلم

ومنهُ . ما هي الطريقة او الادوية الواجب استعمالها حتى يسهل على هؤُلاء الاطفال التكلم عند بلوغهم السن المناسب

ج . تمرينهم على التكلم بالتكلم معهم دائمًا فانهم يصيرون يحاولون تقليد من يكلمهم

وذلك بمثابة تمرين مركز النطق فيقوى لان الانتباه اليهِ يوجه اليهِ الدم فتزيد تغذيتهُ ويقوى ويحسن ان يوضعوا مع اطفال يتكلمون جيداً فيحاولوا الاقتداء بهم

(٩) فوائد العقيق

خدا وندكار . نديم افندي رئيس الحكمة الابتدائية . ورد في الاحاديث النبوية ان للعقيق خواص مفيدة وهذا ما لا ريب فيهِ ولكن هل العقيق الاحمر اكثر فائدة من غيرهِ

ج . لم نجد هذا الحديث في صحيح البخاري ولا في صحيح مسلم ولا في مصابيح البغوي وقد يكون موجوداً فيها ولم نعثر عليهِ وسألنا عنهُ بعض حفاظ الحديث فقالوا انهم لا يتذكرونهُ وقال واحد منهم لعلهُ من الاحاديث الموضوعة . اما الباحثون في فوائد الجمادات فلم يذكروا للعقيق فائدة غير التحلي بهِ لجمال لونهِ واستعمالهِ فصوصاً للخواتم . واذا اردتم بالفائدة الفائدة الطبية فعلماء الطب لا يسلمون بفائدة شيء لا يؤثر في الجسم تأثيراً فعلياً كأن يبردهُ كالماء البارد او يسخنهُ كالماء الحار او ينفطهُ كالحراريق او يدر اللعاب او يفرز الصفراء او يقتل الميكروبات التي في الدم او في المعدة والامعاء او نحو ذلك من الافعال العلاجية . ولا نرى للعقيق فعلاً من هذه الافعال فلا ندري كيف تكون منهُ فائدة دوائية او يكون منهُ ضرر

(١٠) سكان البلاد العثمانية

مصر . امين افندي احمد . كم عدد سكان البلاد العثمانية وما هي نسبة الاتراك الى غيرهم من الاجناس

ج . يتكرَّر علينا هذا السؤال ولا يوجد احصاء عند الدولة حديث يمكن الاعتماد عليهِ ولا بدَّ من انها تهتم باحصاء شعبها قريباً . ويرجح الآن ان عدد السكان في املاكها باوربا سبعة ملايين وفي املاكها باسيا ١٧ مليوناً وفي طرابلس الغرب مليون والجملة ٢٥ مليوناً واذا اضيف القطر المصري فعدد السكان نحو ٣٧ مليوناً وعدد الاتراك في اوربا نحو مليونين وفي اسيا نحو سبعة ملايين والباقون روم وعرب وارمن واكراد وغيرهم من العناصر المختلفة التي تتألف منها السلطنة العثمانية

(١١) المسلمون والمسيحيون في تركيا

ومنهُ . كم عدد المسلمين . وكم عدد المسيحيين في البلاد العثمانية

ج . عدد المسلمين في البلاد العثمانية عدا القطر المصري ١٥ مليوناً وعدد المسيحيين نحو ١٠ ملايين واما في القطر المصري فعدد المسلمين الآن اكثر من عشرة ملايين



الخيل الانكليزية قبل عهد التاريخ

بينما كان الناقبون ينقبون في مكان يسمى « يشوبس ستورتفورد » ببلاد الانكليز عثروا على هيكل فرس في طبقة من التراب على عمق ست اقدام من سطح الارض واستنتج الدكتور ارفنج بعد اعمال النظر فيهِ انهُ هيكل فرس من الخيل البرية التي كانت في بلاد الانكليز في عصر البرونز اي قبل عصر التاريخ • على ان الزمان الذي تكوّنت فيهِ طبقة التراب التي وجد الهيكل فيها غير معلوم وما من دليل يدل العلماء عليهِ • وتبين من النظر في جمجمة هذه الفرس واسنانها وقوائمها انها كانت تختلف عن كل ما اكتشف من بقايا الخيل البرية التي كانت تعيش في بلاد الانكليز في آخر مدة من مدد الدور الرباعي (المسماة عند الجيولوجيين بالبليستوشين) وانها تشبه صنفاً من الخيل كان يعيش في عصر البرونز لكنها اكبر منهُ جثة

هذا والمتفق عليهِ عند العلماء ان الخيل لم تدجن في بلاد الانكليز الاّ في اواخر عصر البرونز او اوائل عصر الحديد وان الخيل الانكليزية كانت صغيرة الجثة لا يركبها الناس لصغرها وظلت كذلك حتى دخل قيصر بلاد الانكليز• ولكن اكتشاف هيكل الفرس الذي نحن بصددهِ يدل على خلاف ذلك فاذا ثبت ان هذا الفرس كان يعيش في عصر البرونز فلا بد من تغيير الرأي المتفق عليهِ والتسليم بوجود خيل كبيرة الجثة في بلاد الانكليز قبل عهد التاريخ

الارتفاع بالبلون

روت جريدة التيمس ان الملازم مينا والسنيور ياشنزا ركبا البلون البتروس في ١٢ اغسطس (آب) الماضي وصعدا فيهِ من مدينة تورين حتى بلغا ارتفاع ٣٨٧١٥ قدماً اي ٧٫٣ الميل وهناك فتح احدهما مصراع البلون فجعل يهبط بهما • واعظم ارتفاع بلغهُ الناس بالبلون قبل ذلك كان ٣٥٥٠٠ قدم فقط في ٣١ يوليو ١٩٠١ وهو اقل من هذا الارتفاع باكثر من ٣٢٠٠ قدم• وذلك يدل على الاعالي التي يمكن الناس ان يبلغوها بتحسين وسائط التنفس

زلزلة في اليابان

ورد على روتر من توكيو عاصمة اليابان ان اهالي اواسط اليابان شعروا بزلزلة شديدة في ١٩ اغسطس (آب) وانها دمرت كثيراً من مدينة ناجويا من مدائن اليابان التجارية . ومما يستحق الذكر ان الزلزلة دمرت هذه المدينة كلها تقريباً سنة ١٨٩١

ماذا يجري في المريخ

يهتم الفلكيون اهتماماً عظيماً برصد المريخ في هذه الايام وقد اذاع مرصد كيال ان بعضهم كان يرصد المريخ في ١٢ اغسطس الساعة ٢ بعد الظهر فرأى نقطة لامعة تنفصل عن الثلوج القطبية التي فيهِ وتغطي ارضاً منهُ في درجة ٣٢٠ من الطول . وروى راصد آخر انهُ رأى قطعاً مظلماً في الثلوج التي حول القطب الجنوبي من المريخ يومي ٢٠ و ٢٣ يونيو (حزيران) على درجة ١٩٠ من الطول وان هذا القطع ينتهي بنقطة مستديرة اشدّ منهُ سواداً . وكان الاستاذ لويل قد رأى شقاً في المريخ على درجة ٣٥٠ من الطول في المريخ ثم رأى غيرهُ هذا الشق في ٤ يوليو (تموز) بنظارة كاسرة قطرها ٢٧ سنتمتراً وظهر لهُ انهُ ممتد على طول الثلج كلهِ وفي ذلك اليوم شاهدوا نقطة لامعة على حافة الثلج المظلمة على درجة ٣٠ من الطول في ذلك السيار

اكتشاف القطب الشمالي

فاجأَتنا الشركات التلغرافية في اوائل سبتمبر (ايلول) باخبار الوصول الى القطب الشمالي . واول من وصل اليهِ رجل اسمهُ كوك يظهر انهُ اميركي وقد قصدهُ في سنة ١٩٠٨ . ووفق على قولهِ توفيقاً لم يوفقهُ رحالة قبلهُ فتيسر لهُ ما لم يتيسر لغيرهِ فقد ارسل تلغرافاً الى جريدة النيويورك هرالد يقول فيهِ انهُ وصل الى القطب الشمالي بعد ما قاسى ما لا يوصف من عذاب الجوع والبرد واكتشف براً تعيش فيهِ الوحوش الكبيرة التي يصطادها الاسكيمو وبراً آخر كثير الصخور والوعور . قال ومن حسن توفيقي اني وجدت صيادي الاسكيمو مجتمعين لصيد الدب ومعهم لحوم كثيرة ومئات من الكلاب القوية الشديدة على بعد ٧٠٠ ميل من القطب فقط فتيسر لي بذلك ان استعين بهؤلاء الرجال المجربين وان اتأهب من هناك لرحلتي الى القطب وقد ساعدوني مساعدة لا تثمن باعدادهم الرسوم التي اتبعها وبحثهم عن السبل التي اشير انا ومن معي منهم فيها فاستصحبت معي ١١ رجلاً و ١٠٣ كلاب و ١١ مركبة من المركبات التي تجرها تلك الكلاب على الجمد وسرنا من هناك في ١١ فبراير (شباط) ١٩٠٨ . وخالفت من تقدمني فسافرت في الليل القطبي عوضاً عن

ان اسافر في النهار القطبي فلقيت من المشقات ما لا يوصف ولكني وجدت اخيراً الطرق التي تسير وحوش الصيد فيها فسهل ذلك علينا المسير وفي ١٨ مارس (اذار) اي بعد مسيرة شهر من الزمان برحنا جزيرة هربرت وسرنا في البحر المتجمد الشمالي فوجدنا الضباب يغشاهُ على الدوام . ولما صرنا في آخر مرحلة من مسيرنا لم يكن معي غير اثنين من الاسكيمو و ٢٦ كلباً وكنا نسير سيراً طويلاً ونصبر على الشدائد لان ما نراهُ من التقدُّم كان يشدد عزائمنا . فكنا نستريح في اكواخ من الجليد ونقتات باللحم المقدد والشحم والدهن ونشرب الشاي السخن . وما زلنا نسير في ضباب مظلم حتى استضاء يسيراً في ٣٠ مارس (اذار) فالتفتنا واذا الى القرب منا برٌّ جديد فقصدناهُ على بحر من الجليد لا اثر للحياة فيهِ ولما تجاوزنا درجة ٨٦ من العرض الشمالي وجدنا حقولاً واسعة من الجليد ولما صرنا بين الدرجة ٨٧ والدرجة ٨٨ رأينا علامات تدل على قرب البر منا وكنا في مئة الميل الاخيرة نرى البر كل يوم ثم تبين لنا ان ذلك كان كلهُ سراباً نحسبهُ براً وهو ليس ببر

ثم وصف اقترابهُ من القطب فقال : لم يكن معي حينئذٍ الأ اثنان من الاسكيمو و ٢٦ كلباً وكنت ارصد الارصاد الفلكية كل يوم فوجدت في ٢١ ابريل (نيسان) انهُ لم يبق بيننا وبين القطب الأ ١٤ ثانية فقطعنا هذه المسافة القصيرة ووصلنا الى القطب حيث اقمنا يومين وكنا نجد الشمس دائماً في الظهيرة هناك لالتقاء جميع المواجر في نقطة واحدة ولا نجد شرقاً ولا غرباً ولا شمالاً بل كل شيء يظهر في الجنوب فقط . وكانت الابرة المغنطيسية في الحك تشير الى القطب المغنطيسي دائماً فكان عندنا اعظم فائدة

وفي ٢٣ ابريل (نيسان) غادر كوك ومن معهُ القطب الشمالي وقفلوا راجعين فقاسوا ما قاسوا من المشقات والاهوال وقلَّ معهم الزاد وحال الثلج والجمد دون مسيرهم في شهر سبتمبر (ايلول) فاضطروا ان يقضوا اشهراً في كهوف تحت الارض حتى شرقت الشمس سنة ١٩٠٩ فعادوا الى جرينلاند

وقد تلقى قوم هذا الخبر بالارتياب لانهُ يلزم عن بعض ما ورد فيهِ ان كوك قطع مسافة ٤٨٣ ميلاً في ٣٥ يوماً وذلك يفوق ما فعلهُ كل من تقدمهُ كثيراً وايضاً لان كوك لم يستصحب معهُ رجالاً من اهل العلم الذين نعول على قولهم غير اننا نكتب ذلك في اوائل سبتمبر واهل الدنمرك يستعدون لملاقاتهِ والاحتفال بهِ وارسلوا نسافة لاستقبالهِ ولا بد من نشر التفاصيل وانجلاء الحقيقة قريباً

عدد النجوم

يتفق الفلكيون تقريباً في تقدير عدد النجوم الى حد ويختلفون بعد ذلك كثيراً ففلكيو مرصد جرونتكن يقدرون عدد النجوم التي من القدر الاول الى القدر العاشر ونصف بنحو ٦٦٧٥٥١ نجماً وفلكيو مرصد هارفرد باميركا يقدرون عدد هذه الاقدار بنحو ٦٠٤٠٠٠ نجم ولكن الاولين يقدرون عدد النجوم الى القدر الثالث عشر ونصف بنحو ١٤٥٨٢ نجماً والاخرين يقدرونها بنحو ٦٧٦١٠٠٠ فقط . والاولين يقدرون عددها الى القدر الخامس عشر ونصف بثمانية وتسعين مليوناً والاخرين يقدرون عددها الى القدر الخامس عشر بنحو ١٨ مليوناً

ويظهر من صور النجوم التي يصدرها مرصد كرينيج بانكلترا ان تقدير المرصد الاميركي اقرب الى الصواب والله اعلم

البوارج الهوائية والحروب المقبلة

يظهر ان قوماً حولوا وجوههم منذ اليوم عن البوارج البحرية وجعلوا ينظرون الى البوارج الهوائية ويقولون ان الحرب اذا شبت نارها في الازمان المقبلة فشبوبها يكون في الهواء لا على اليابسة ولا على الماء فقد انشأ بعض الكتاب الالمان مقالة في احدى المجلات الاميركية قالوا فيها ان قوة البلون زبلين وثباته قد ثبتا الآن للعيان بالتجربة والامتحان ولا بد انهما يؤيدان بزيادة العناية والانقان الى سرعة تفوق سرعة البوارج في البحر مرتين او ثلاثا . ومع ذلك لا تبلغ قوة الالات التي تحرك هذه البلونات اثنين في المئة من قوة آلات البوارج البحرية

وكذلك نفقة صنعها ومدة صنعها لا تبلغان ١٥ في المئة من نفقة صنع بواخر من الطبقة الاولى ومن مدة صنعها

وعليهِ جاء الزمان الذي فيهِ اكتشفنا عدة جديدة للحرب والقتال وهي عبارة عن بارجة هوائية تساوي في الكبر البوارج البحرية وتصير اكبر منها على تمادي الزمان . وهي تجري في الهواء على ارتفاع ميل عن سطح الارض وتقطع في الحرب من ٦٠ الى ٦٥ ميلاً في الساعة

وتصب على الارض ناراً آكلة لا تخطئ مرماها وتكون مع ذلك بمأمن من شر عدوها لان البندقية العسكرية لا يؤدي رصاصها الى أبعد من ١٦٥٠ يرداً عن سطح الارض ولم تخترع بعد مدافع تؤدي قنابلها في العلو اكثر من ١٢٠٠ يرد . وهب انهم اخترعوا لذلك مدافع خصوصية فالبوارج الهوائية تتقي شرها بسرعة حركاتها وخفة دورانها كالطير في الهواء . فلا خوف عليها من عدوها الذي يقاتلها عن سطح الارض ولكن الخوف كلهُ عليهِ لانهُ لا ينجو من نارها اذا سلحت بمدافع سريعة الاطلاق وقنابل وخصوصاً البنادق التي تطلق بالآلات فان كل بندقية

منها تصبّ ٤٠٠ رصاصة في الدقيقة كما يصب الانسان الماء من الانبوب فنارها الحامية تأكل كل المشاة والفرسان الذين يبعدون الى حد ميلين عنها . ثم ان المدفعية الذين يكونون فيها يرون كل شبح على الارض بوضوح وجلاء لا يعلمها الا من ركب البلون ورأى الاشباح على وجه الارض

فالبوارج الهوائية تبطل اذاً الحروب البرية والبحرية المصطلح عليها الآن . وتبطل ايضاً نظام المدفعية والفرسان (الطوبجية والبيادة) اذ لا يكاد احد يرتاب اليوم في ان الناس يتصلون بعد سنين غير كثيرة الى صنع بارجة هوائية طولها مساوٍ لطول الباخرة موريتانيا اي ٧٩٠ قدماً . فهذه البارجة تكون حمولتها ١٢٥ طنّاً وتستطيع الذهاب من المانيا الى كل جهة من جهات اوربا والرجوع اليها تواً من غير ان تنزل الى البر ويكون مسيرها بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة وتبقى ثلاثة ارباع تلك المدة على ارتفاع ١٦٥٠ يرداً بمأمن من رصاص الاعداء واذا أُحسن تدبير وقودها تيسر لها البقاء في الهواء اسبوعاً او اسبوعين من غير ان تنزل الى الارض لتأخذ وقوداً غيره وتيسر لها ايضاً ان تنقل معها ٢٠ طنّاً على الاقل من الاسلحة والذخائر

وزد على ما تقدم رخص هذه البوارج الهوائية فان المانيا تنفق الآن اكثر من ٤٠ مليون جنيه في السنة على جيش عدده ٦٠٠ الف رجل تحت الخدمة و ١٢٠٠٠٠٠ رجل احتياطي . فلو صنعت اسطولاً هوائياً عدد بوارجه ٥٠٠ بارجة لما انفقت عليهِ اكثر من ٣ ملايين جنيه في السنة ولامكنها ان تضيف اليهِ كل سنة ١٠٠ بارجة جديدة بخمسة ملايين جنيه

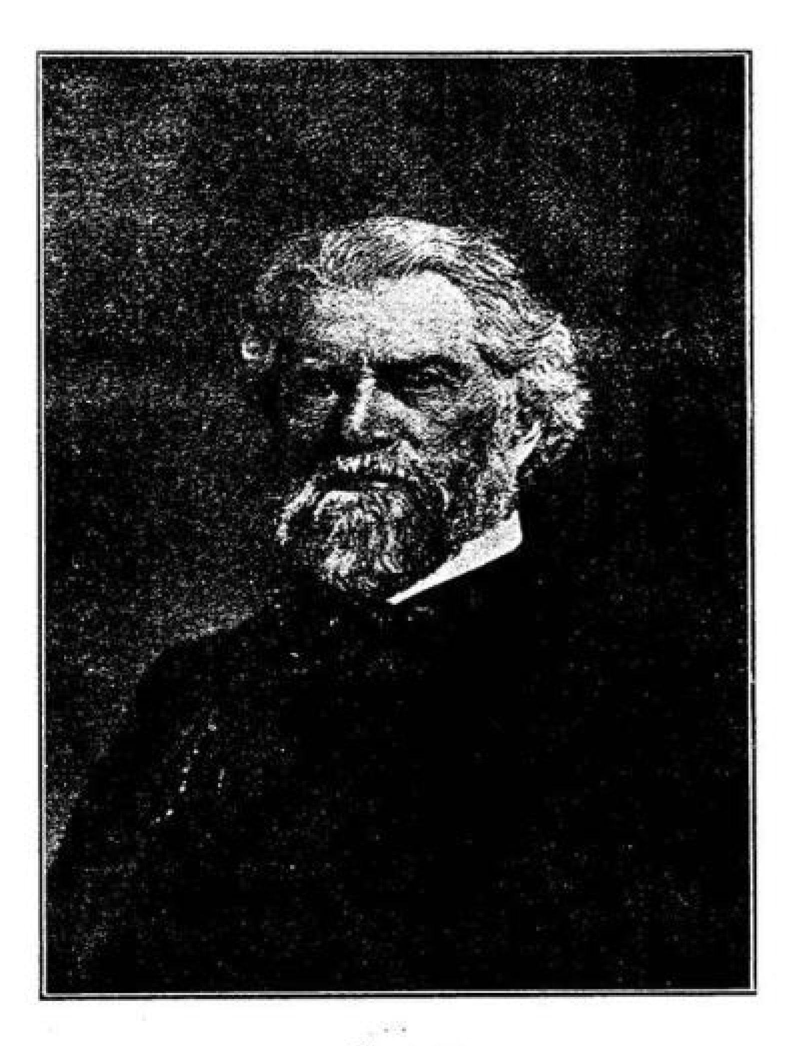
وحينئذٍ تتغير الحرب من حال الى حال فالحرب كانت كل هذا الزمان قتالاً بين امتين مسلحتين او اكثر ولكنها تصير بعد صنع البوارج الهوائية قتالاً بين عدد وآلات يديرها بعض الرجال الخبيرين المجربين . ولا يخفى ان البوارج البحرية قللت عدد الرجال الذين ينزلون الى ساحة القتال اما البوارج الهوائية فتجعل عددهم اقل من ان يذكر بالنسبة الى عدد امتهم وعليهِ يبطل النظام الحربي المعهود عندنا ويصير اعتماد الامم على قوة عقولها لا على قوة ذكورها فالسابق منها في صنع الآلات وفي الغنى هو الفائق في القوة والفائز في ساحات القتال

قالوا ولهذا بات الانكليز في قلق شديد لان تعويلهم في قوتهم هو على البوارج البحرية فالبوارج الهوائية تفتح عليهم باباً لم يكونوا يحلمون بهِ ولا حيلة لهم في سدهِ لانها غير مستعدة لذلك اقل استعداد ولان معرفتها بادارة المراكب الهوائية لا تكاد تذكر كما ثبت بالتجربة في هذه الايام

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخامس والثلاثين


المقتطف





الاستاذ نيوكم

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الخامس والثلاثين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٦ شعبان سنة ١٣٢٧

الاستاذ نيوكم

PROF. SIMON NEWCOMB

ذكرنا في الجزء الماضي نعي الاستاذ نيوكم الفلكي المشهور ووعدنا بذكر ترجمتهِ في هذا الجزء وانجازاً لذلك نقول

قالت مجلة العلم العام الاميركية : — لم يقم في اميركا جمهور كبير من العلماء كما قام في انكلترا في عصر الملكة فكتوريا وفي المانيا بعد تجديد مدارسها الجامعة ولكن قام من الاميركيين في علم واحد وهو علم الفلك علماء تحق لهم الزعامة . والفضل في ذلك للكرماء الذين وهبوا الهبات الطائلة لانشاء المراصد الكبيرة حيث يقضي العلماء وقتهم في البحث ولا يضيعوا جانباً منهُ في التعليم . وقد فقدنا الآن فلكينا العظيم الذي امتاز بهِ علم الفلك في اميركا ونحن نندب فقده لانه ليس عندنا من يقوم مقامهُ . ولد سيمون نيوكم في ١٢ مارس سنة ١٨٣٥ وقد ذكر تاريخهُ في صباهُ في الكتاب الذي نشرهُ منذ ست سنوات وقال فيهِ ان اباهُ كان معلماً وانهُ هو كان ميالاً الى علم الحساب منذ حداثتهِ وقد استطاع ان يستخرج الجذر الكعبي وعمرهُ ست سنوات ونصف سنة (وهو استخراج صعب حتى على الشبان) وقرأ كل الكتب التي وصلت اليها يدهُ ولاسيما الكتب العلمية ولكنهُ لم يدرس في مدرسة درساً قانونياً بالمعنى المتعارف . ولما صار عمرهُ اربع عشرة سنة خدم طبيباً على امل ان يقتبس منهُ بعض المعارف ولما رأى ان الطبيب دجال ولا فائدة تقتبس منهُ هرب من وجههِ ومضى الى ولاية مستشوستس بسفينة شراعية ولم يكن معهُ ما يفي باجرة السفر فعمل في السفينة بما يقوم بذلك ثم جعل يعلّم في مدرسة صغيرة وعمرهُ ثماني عشرة سنة و بعد سنتين تعرَّف بالاستاذ هنري سكرتير دار العلم السمثسونية لانهُ كان يواظب على درس العلوم الرياضية و يستعير الكتب من مكتبتها لكي

يصير قادراً على عمل الحسابات الفلكية · وقد برع في هذه الحسابات حتى اختير لعمل التقويم البحري وتيسر لهُ حينئذٍ ان دخل مدرسة هارفرد الجامعة ودرس على الاستاذ بيرس وقرأ كتب لابلاس ولاغرانج ومن ثم صار لهُ الشأن الاكبر في حساب افلاك النجيمات وامتدَّ في الحساب الى اورانوس ونبتون وغيرهما من السيارات الكبيرة والى القمر وعُدَّ من النوابغ في هذا الموضوع مثل لابلاس

وجُعل استاذاً للعلوم الرياضية في المدرسة البحرية سنة ١٨٦١ ومديراً للتقويم البحري سنة ١٨٧٧ وبقي في هذا المنصب الاخير الى ان تركهُ سنة ١٨٩٧ لانهُ بلغ اعلى رتبة بحرية فيهِ لكن مجلس اميركا استبقى خدمتهُ بنوع استثنائي · وكان استاذاً في جامعة جونس هبكنس ايضاً وقد خدم العلم خدمةً جلَّى في مباحثهِ عن نظام الافلاك وادارتهِ اعداد التقويم البحري السنوي وبكتبهِ ومقالاتهِ الفلكية القريبة المأخذ · وقد كان آية في حسن البيان ولهُ كتب مهمة في علم الاقتصاد السياسي وكان رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني وعضواً في كثير من الجمعيات العلمية

وقالت مجلة ناتشر الانكليزية بلسان السر روبرت بول الفلكي المشهور : — « لقد اصيب العلم بضربة من اشد الضربات بوفاة الاستاذ نيوكم وفقدت اميركا بفقدهِ اشهر علمائها ولم يفقد العالم عالماً مثلهُ في علم الفلك النظري بعد وفاة ادمس · ومن اهم اشغالهِ الفلكية بحثهُ في افلاك النجيمات ليعلم هل هي اجزاءُ سيار كبير تكسر في قديم الزمان كما كان يظن فبحث في حركاتها وما اعتراها من التغير مدة الوف ومئات الوف من السنين فوجد انها لم تكن مجتمعة في بقعة واحدة ولذلك فهي ليست اجزاءُ سيار تكسر بل ان كل نجيمة منها كانت مستقلة من اصلها من حين تكوَّن النظام الشمسي · واهم مباحثهِ متعلق بالقمر وحركاتهِ ولم يكن يكتفي بالمباحث النظرية بل كان ماهراً في الامور العملية ايضاً كما يظهر من بحثهِ في سرعة النور

فقد بهِ العالم اشهر علَم بين الفلكيين الاميركيين وسيبقى ذكرهُ خالداً في نفوس الذين عرفوا عملهُ. ولقد كان عزيزاً على اصدقائهِ الكثيرين في اوربا واميركا بسمو افكارهِ وكرم اخلاقهِ وشهامة نفسهِ »

وقد اشتهر بكتبهِ الفصيحة العبارة القريبة المأخذ التي ادنى بها قطوف علم الفلك من اذهان العامة · وكان ثقة في علم الاقتصاد السياسي وضمان الحياة ولهُ مقالات شتى في المجلات العلمية والادبية في المواضيع الفلكية وغير الفلكية ولا يزال قراءُ المقتطف يذكرون مقالتهُ مناجاة الارواح المدرجة في جزءِ مارس الماضي ومقالة عن الطيران والمراكب الطيارة مدرجة في جزءِ اكتوبر من العام الماضي · ويقول اصدقاؤُهُ انهُ كان من اكثر العلماء اشتغالاً ومن اشدهم دعة وفكاهة حديث · وقد نال اسمى الالقاب والرتب العلمية

الناس اخوة

أهدي ببغاء الى ابنة فألفتهُ والفها وبعد شهور قليلة دخلت ابنة عرس اليهِ وعضتهُ فاماتتهُ . فحزنت عليهِ الابنة وبقيت اياماً لا تتعزى عن فقدهِ وشاركها ابوها وامها في حزنها . ومرض جواد ووقع على الارض يتألم ورآهُ صاحبهُ وسائسهُ على تلك الحال فلم يستطيعا ان يمتنعا عن البكاء . وامثال ذلك كثيرة تقع كل يوم فلا نطيل الكلام فيها

يصاب احد معارفك او اقاربك بمرض مؤلم فيصرخ ويتوجع فتشعر كأن صراخهُ تفتت كبدك وتخرج تفتش لهُ عن طبيب او عن دواء ولو في نصف الليل وتحت المطر

ويموت جارك او صديقك او قريبك فتحزن عليهِ وتبكي وتنوح . وترى رجلاً حُكم عليهِ بالقتل وعلّق فتمرُّ عليك ايام وانت منغص العيش مكروب النفس تشعر كأن بلاطة على صدرك

هذه حال الانسان الطبيعي يتألم لاخيهِ وقريبهِ وجارهِ وابن نوعهِ ولو كان بعيداً عنهُ بل يتألم للحيوان الاعجم . وهذا الانسان نفسهُ تثور ثائرة الغضب في نفسهِ فيهجم على اخيهِ الانسان ويمزقهُ تمزيقاً لا شفقة ولا حنان فاين الحب واين الاخاء

الخلقان في الطبع الحنو حديث والجفاء قديم يتنازعان الانسان فيتغلب هذا تارة وذاك اخرى حسب عوامل الزمان والمكان . وللفضلاء اهتمام شديد بتقوية الخلق الحديث فاقاموا الادلة على ان الناس اخوة من اصل واحد ودمثوا الاخلاق بالتربية والتعليم فقويت عاطفة الحب والحنان وضعفت عاطفة البغض والجفاء حتى لقد اخترعوا الوسائل لازالة الالم من الذين يحكم عليهم بالقتل شفقة عليهم . بينما هؤلاء الفضلاء يسعون هذا المسعى الحسن يسعى غيرهم في اقامة الادلة على ان الناس غير متساوين بالفطرة وانهم مرؤُس ورئيس رجل يسعى ورجل يُسعى لهُ

قال كاتب من كتَّاب العصر في جريدة الاستقلال الاميركية يذهب كثيرون الآن من اهالي اوربا واميركا من صميم المتمدنين ان اولاد بعض الناس يولدون ليكونوا عبيداً وخداماً لاولاد غيرهم وان اتباع هذا المذهب اكثر مما كانوا منذ مئة عام

فقد عاد الاستعباد الذي يحسب الاوربيون والاميركيون انهم الغوهُ لكنهُ عاد بصورة جديدة . فلم يكتفوا بالقول ان بعض الناس مخلوقون ليكونوا عبيداً لغيرهم بل قالوا ان بعضهم

مخلوقون ليكونوا اسياداً فتكون السلطة في يدهم سياسية او علمية او دينية . واتخذوا مذهب النشوء الطبيعي عضداً لهم فقالوا ان بقاء الاصلح قضى بامتياز بعض الناس على البعض وبعض الامم على بعض وبعض الامم على بعض وان القوي ليس مكلفاً بحماية الضعيف الاَّ بمقدار ما يكلف الانسان بحماية بهيمتهِ لاجل منفعتهِ . هذه خلاصة ما يقولونهُ ولكن اللوم ليس عليهم بل على علماء الطبيعة الذين وضعوا اساس هذا المذهب مذهب بقاء الاصلح وتركوهُ على اطلاقهِ . ومثلهم في تحمل اللوم فيلسوف مثل فردريك نيتشه الالماني ينادي منذ خمسين سنة الى الآن ان نوع الانسان فسد وضعف بمقاومة ناموس الطبيعة وحماية الضعفاء والزعانف وانهُ لو أُطلقت يد الطبيعة حتى يتغلب القوي على الضعيف والصحيح على السقيم والعالم على الجاهل لزال نسل الضعفاء والسقماء والجهلاء ولم يبقَ الاَّ الامم الراقية من طوائف الناس . وفاتهُ ان هذه الطوائف الراقية متباينة ايضاً في درجات رقيها واذا أُطلق لها العنان قويت فيها الشهوات القديمة الدنيئة التي هي ارسخ في طبعها من المناقب التي اكسبها اياها التعليم والتهذيب فيقوم بعضها على بعض ويفني بعضها بعضاً والبقية الباقية منها يكون شعارها الاثرة والغطرسة . وقولنا هذا لا ينفي ما يسعى اليهِ الفضلاء مثل السر فرنسيس غلتن وحزبهِ الذين يبذلون الجهد الآن في حث الاقوياء على التزوج واخلاف النسل ونصح السقماء المصابين بامراض وراثية ان لا يتزوجوا ويخلفوا نسلاً سقيماً مثلهم لانهم لا يطلقون العنان للطبيعة

الاَّ انَّ لاصلاح النسل ونزع التباغض والتضاغن سبيلاً آخر بيولوجياً طبيعياً وهو اختلاط طوائف الناس بعضها ببعض بالتزاوج فان هذا الاختلاط يقوي انواع الحيوان كل نوع على حدتهِ كما هو ثابت علماً واختباراً فعلى مَ لا يقوي نوع الانسان ولا سيما اذا كان بين الطوائف المتقاربة

كان سكان مصر الاقدمون امة واحدة وكان عمرانهم بسيطاً ورقيهم قليلاً كما يستدلُّ من آثارهم فدخل البلاد اقوام من الشمال واقوام من الجنوب فاختلطوا بهم وكان اكثر اختلاط السكان في الوجه البحري بالاقوام الشمالية واكثر اختلاطهم في الوجه القبلي بالاقوام الجنوبية فزاد عمرانهم واسرع ارتقاؤُهم . وما جرى في هذا القطر جرى في كل الاقطار التجارية فامتزجت الشعوب بعضها ببعض وزاد ارتقاؤُها . اما الاقطار النائية التي ليست في طريق التجارة فاضطرت ان تهاجر وتختلط بغيرها او بقيت في اماكنها راضية بالضعف والصغار

وامتزاج الامم من اقوى الوسائل الطبيعية لترقيتها واضعاف خلق الاثرة والتباغض وتقوية خلق الايثار والتواد . فعلى الذين يهتمون باصلاح نسل الانسان وترقيتهِ جسداً

وعقلاً ان يسعوا في اقناع ابناء نوعهم انهم وسائر الناس من طينة واحدة ولا يمتاز بعضهم على بعض الأ بالفضائل المكتسبة . وان كانت الاديان قد فرّقت بينهم في ما مضى فعلى زعمائها ان يزيلوا اسباب التفريق الآن . وان كان رجال السياسة يسعون الى احكام اسباب العداء بين امة وامة وشعب وشعب فعلى علماء الاجتماع ان يحبطوا مساعيهم و يسفهوا اراءهم . وعلى رسل الخير دعاة الاديان ان يجعلوا غرضهم الاول التعليم بان الله صنع من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على كل وجه الارض

ولا يخفى ان الكلام لا يفيد عشر ما يفيده العمل وانهُ اذا كان عمل المعلم مخالفاً لتعليمهِ ذهب تعليمهُ ادراج الرياح . فالمبشر الذي يعلّم ان الناس من دم واحد و يقاطع اختهُ او ابنتهُ اذا تزوجت رجلاً اجنبياً لمجرد كونهِ من غير امتهِ ينقض بعملهِ كل ما يقولهُ بلسانهِ و يثبت للملإ انهُ جاهل لا يفهم معنى ما يعلّم بهِ او منافق يظهر الايمان و يبطن الكفر

ولا مثل التزاوج بين الام لتمكين عرى الاتحاد فضلاً عن فائدتهِ في تقوية النسل . وان افضل مشهد شهدناهُ وكان لهُ الوقع الاكبر في نفوسنا حلقة الامام المرغني في هذه العاصمة وقد اجتمع فيها العرب والترك والفرس والمصريون على اختلاف اممهم وكثيرون غيرهم من ام السودان وصلّوا كلهم الى قبلة واحدة وراء امام واحد وعبدوا الهاً واحداً على صورة واحدة ثم جلسوا على موائد الطعام بيضهم وسمرهم وسودهم صميمهم وخلاسيهم على اختلاف اشكالهم واديانهم كانهم من بيت واحد وكثيرون منهم مرتبطون برباط القرابة ولو كانوا من ام مختلفة . وان ابلغ عبارة سمعناها قول شيخ من ائمة هذا القطر تراهُ فتحسبهُ من الشراكسة عن اخيهِ وهو اسود وابن جارية سوداء « اخي الامام فلان قال كذا وقولهُ الصواب » . فاباحة التزاوج بين الام المختلفة والترغيب فيهِ خير واسطة تربط الشعوب واذا سلمت من التباغض الديني والمذهبي وكان العفاف عنوانها ربطت ام العالم اجمع واصلحت ما عجزت عن اصلاحهِ الشرائع والسنن . ولكن اختلاف الاديان وجعل هذا الاختلاف مصلحة من مصالح المنتفعين بهِ يبقى فاصلاً بين الام وسداً حصيناً يمنع اتصالها . فهل يسير العمران سيرهُ في الخطة التي اشرنا اليها خطة اقناع الناس انهم اخوة من دم واحد او يسير في الخطة الثانية خطة القائلين ان الناس غير متساوين واذا ساويت بينهم اليوم اختلفوا غداً وزادت نواميس الطبيعة القوي قوةً والضعيف ضعفاً الى ان ينقرض الضعيف من امام القوي و يفني الناس بعضهم بعضاً . هذان امران مقاليدها في ايدي رؤساء الام وزعمائهم

سكان القطر المصري

(١) العدد والسن

بلغ عدد سكان القطر المصري في الاحصاء الاخير ١١٢٨٧٣٥٩ الذكور منهم ٥٦٦٧٠٧٤ والاناث ٥٦٢٠٢٨٥ فالذكور اكثر من الاناث ٤٦٧٨٩ ولذلك لا صحة لما يقولهُ البعض من ان الاناث اكثر من الذكور في البلدان الشرقية او لا صحة لهُ في القطر المصري على الاقل

وعدد الذكور حين الولادة الى نهاية السنة الاولى ٢٢١٧٨٧ وعدد الاناث ٢١٥٤٨٠ اي ان عدد الذكور اكثر كثيراً من عدد الاناث اما لان المولودين منهم اكثر من المولودين منهنَّ او لانهُ يموت منهنَّ في غضون السنة الاولى اكثر ممن يموت منهم. ثم يزيد موت الذكور على موت الاناث الى السنة الرابعة فقد بلغ عدد الذكور الذين في السنة الرابعة ١٨١٨٠٨ وعدد الاناث ١٩٤٥٥٥ وبعد ذلك زادت وفيات الاناث على وفيات الذكور فبلغ عدد الذكور بين السنة الخامسة والتاسعة ٧٩٦٧٥٥ وعدد الاناث ٧٦٨٧٦٠. وبلغ عدد الذكور بين السنة العاشرة والرابعة عشرة ٦٧١٤١٧ وعدد الاناث ٥٢٣٣٠٦ وبين السنة الخامسة عشرة والتاسعة عشرة بلغ عدد الذكور ٥٢٨٧٢١ وعدد الاناث ٤١٨٦٤١ فان كان الاحصاء صحيحاً بين السنة العاشرة والتاسعة عشرة فهو من الغرابة بمكان ولا نظن ان لهُ مثيلاً في بلاد اخرى ولا يكاد يعقل ان يبلغ الفرق نحو ٢٦٠ الفاً بين الذكور والاناث في نحو مليونين من الذكور والاناث

وتنقلب الحال بعد ذلك فبين السنة العشرين والتاسعة والعشرين عدد الذكور ٨١٦٤٩٢ وعدد الاناث ٩١٨١٩٠ وكذلك بين السنة الخمسين وما فوقها فان عدد الذكور ٦٨٧٦١١ وعدد الاناث ٧٦٢٧٣٢. وان صح هذا الاحصاء فهو يدل على ان موت الذكور يزيد على موت الاناث في السنة الاولى والثانية والثالثة والرابعة ومن السنة العشرين فصاعداً وموت الاناث يزيد على موت الذكور من السنة الخامسة الى التاسعة عشرة فقط

(٢) العمل

عدد العاملين بالزراعة من اهالي القطر المصري ٢٣١٥١٤٩ العمال منهم بالاجرة ٨٣٢٧٨٥ والباقون ملاك او مستأجرون للاطيان

وعدد العاملين بصيد السمك ونحوه ١٢٤٨٨١ والعاملين بنسج المنسوجات ٨٣٢٣٨ والعاملين بالجلود كالدباغين ونحوهم ١٢١٨ والعاملين بالخشب ٧٥٠٦ وبالمعادن ٣٠١١١ وبالخزف ٩٦٥٣ والخبازين والطباخين ونحوهم ٤٠٦٦٩ والخياطين ونحوهم ٧٦٤٠٩ وصانعي الاثاث ٥٤٢٠ والبنائين ٩٤٩٢٥ وصانعي القوارب والمراكب ٣٨٦٦ والمراكية ٣٩٣٥٢ والعربجية ٢٣٦٨٨ والشيالين ١٧٧٩٧ ومستخدمي سكك الحديد ١٠٦٦٢ ومستخدمي الفنادق ١٢٠٧٣ والبقالين ونحوهم ٨٨٢٥٧ وباعة الاقمشة ١٧٥٥٤ والجيش والبوليس ٤٩٨٩٥ ومستخدمي الحكومة ٢٨٨٥٦ والتربية ١٩٩٧٢ وخدمة الدين ١٤٤٠٧٩ والخدم من كل الانواع ٢٣٥٨٥٠٦

(٣) الاديان

المسلمون من كل المذاهب	١٠٢٦٩٤٤٥
الاقباط الارثوذكس	٦٦٧٠٣٦
« الكاثوليك	١٤٥٧٦
« البروتستانت	٢٤٧١٠
البروتستانت من غير الاقباط	١٢٧٣٦
الروم الكاثوليك	٥٧٧٤٤
الروم الارثوذكس	٧٦٩٥٣
بقية الطوائف المسيحية	٢٧٩٣٧
اليهود	٣٨٦٣٥
من اديان اخرى	٢٠٦

فالمسلمون اكثر من تسعة اعشار سكان القطر المصري وبقية السكان اقل من العشر

(٤) الجنس

اكثر سكان القطر المصري مصريون اصلاً كما لا يخفى والحضر منهم ١٠٣٦٦٠٤٦ والبدو ٥٣٧٦٣١ وجانب كبير من البدو تحضر . والعثمانيون الذين لم تمض عليهم المدة الكافية في القطر المصري لحسبانهم من الوطنيين او لم يعلنوا عزمهم على حسبانهم وطنيين يبلغ عددهم ٧٠٣٥٥ وهم من امم المملكة العثمانية الاربع الامة التركية والامة السورية والامة العربية والامة الارمنية فالاتراك ٢٧٥٩١ والسوريون ٣٣٩٤٧ والعرب ٤٤٠ والارمن ٧٧٤٧ وقد حسب جميع اليونانيين وعددهم ٦٢٩٧٣ مع غير الجنس العثماني ونرجح ان كثيرين

منهم من العثمانيين كما ان اكثر المسيحيين من غير الاقباط والاروام هم من سورية وما يتصل بها كحلب وبغداد

(٥) العاهات

في القطر المصري من العميان ١٤٨٢٨٠ ومن العور ٣٦٣٧٠٢ ومن المجانين ٥٤٤٧ ومن المجذومين ٦٥١٣ . ومما يستغرب الاختلاف الكبير بين الذكور والاناث في هذه العاهات فالعمى يصيب الاناث اكثر مما يصيب الذكور فان في القطر ٧٩٢٥٣ عمياء و٦٩٠٢٧ اعمى والعوَر يصيب الذكور اكثر مما يصيب الاناث فان في القطر ٢٠٧٤٢٣ اعور و١٥٦٢٧٩ عوراء وكذلك الجنون يصيب الذكور اكثر مما يصيب الاناث فان فيهِ ٣٦٧٣ مجنوناً و١٧٧٤ مجنونة . والجذام يصيب الذكور اكثر مما يصيب الاناث فان في القطر ٤٢٨٧ مجذوماً و٢٢٢٦ مجذومة . ولم نكن نظن ان عدد المجذومين بالغ هذا الحد

(٦) القراءة والكتابة

عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة في القطر كلهِ ٦٠٩٣٢٢ الذكور منهم ٥٤٨٦٦٩ والاناث ٦٠٦٥٣ فقط

(٧) المواليد والوفيات

اختلف متوسط المواليد في الثماني السنوات الاخيرة في مدن القطر المصري من نحو ٤٢ في الالف الى نحو ٤٧ في الالف سنويًّا وفي الاقاليم من نحو ٤١ في الالف الى نحو ٤٥ في الالف وعدد الوفيات في مدنهِ من نحو ٣٨ في الالف الى ٣٢ فقط في الالف وفي الاقاليم من نحو ٢٢ في الالف الى ٢٧ في الالف والاختلاف غير كبير في عدد المواليد ولا هو مما يمكن تقليلهُ او تكثيرهُ بالوسائل الادارية او العلمية وتكاد المدن تماثل الارياف فيهِ . واما متوسط الوفيات فقليل في الارياف بين ٢١ و ٢٧ في الالف واما في المدن فكثير جدًّا بين ٣٢ و ٣٨ في الالف وهنا المجال واسع للتدابير الصحية من كل وجه وتقليل ضرر الازدحام في المدن ليقل عدد الوفيات ولا ندري لماذا هذا الاختلاف الكبير بين سنة واخرى ففي سنة ١٩٠٠ بلغ متوسط الوفيات في المدن نحو ٣٧ في الالف وفي سنة ١٩٠١ بلغ ٣٣ و ٣ اعشار فقط في الالف والفرق كبير جدًّا بين السنتين وكذلك بلغ متوسط الوفيات ٣٦ وسبعة اعشار في الالف سنة ١٩٠٢ وهبط الى ٣٣ فقط في الالف سنة ١٩٠٣ فعلى مَ هذا الفرق الكبير بين سنة والتي تليها . هذه المسألة وامثالها من المسائل الهامة التي يجب ان تعنى الحكومة بها

الحضارة الاثينية القديمة

(تابع ما قبله)

مبانيهم وطرقهم

كانت مبانيهم دليلاً على عظمة نفوسهم ودقة اذواقهم وحسب طالب الدليل في ذلك بناء الاكربوليس وما اشتمل عليهِ من النقوش ومظاهر الجمال . وكان مدخل اثينا المسمى بروبيلاس بناء فاخراً أُنفق عليهِ ما يقدر بنحو ٥٠٠٠٠٠ جنيه من نقود هذا الزمان . واذا لم يكن من اهمية هذه المباني الاَّ انها كانت تبعث الغبطة في قلوب الاهالي وتثلج صدورهم مجداً وفخاراً بانهم منشئوها ومقيمو صروحها فكفى

ولقد قال يوماً ديموستنيز « ان اثينا تحرز اعياناً باقية مدى الدهور فهي تملك ذكرى اعمالها المجيدة وجمال الاثار القديمة وكفاك من كل ذلك الاكروبوليس والبارثنون »

واذا ولج القادم باب المدينة وجد امامهُ تمثال بطل من الابطال متدرع بالرمح والمجن والمغفر . وقد بقي هذا التمثال مدة طويلة من الزمان ممثلاً القوة الحافظة لكل اهل اثينا

اما اشكال معابدهم الهندسية فكانت واحدة تقريباً غيرانها كانت تتفاوت في التزويق والسعة . وكان يضيئها فتحات في سقوفها وانعكاس الضوء من جدرانها الرخامية الشفافة . وقد كان للاثينيين حذق في الهندسة يداني دقة المصريين القدماء . وهذه مبانيهم شاهدة لهم . واذا تعرفنا مبانيهم الفاخرة وتصورنا الضوء الذي كان ينبعث من رخامهم الابيض المترقرق وتزاويقهم الذهبية . وادركنا كذلك ان تلك الخطوط والالوان والنسب انما كانت تدرك وتنفذ بابصار قوم يحبون هذه الاشياء حباً لذاتها وللذاتها . وتذكرنا ايضاً ان الاكربوليس كان ينفق في سبيل انشائهِ — فضلاً عن الذكاء الانساني — مبلغ من المال يعادل ٦ او ٧ ملايين من دنانير هذه الايام وان الرجال الذين كانوا قائمين باعباء هذا العمل يدعون اليهِ وينفقون عليهِ من مالهم انما كانوا يقنعون بالعيش في بيوت قد لا يكون من حظها الاَّ الحقارة والاستخفاف — اذا اعتبرنا ذلك كلهُ سهل علينا جدًّا ان ندرك ما كان مستقراً في نفوس اولئك القوم من روح التضامن والروح الدينية وعشقهم للفنون

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

كان عند الاثينين مظلات مشيدة من الرخام ذات ابواب وعرصات يسبهل فيها الطلاب وعامة الناس طلباً للراحة حيناً او المطالعة حيناً او المناقشة والمجادلة . وكانت جدرانها مزينة بتصاوير تمثل الرماح والتروس والحوادث التاريخية والجغرافية . كانت هذه المظلات تستعمل في بعض الاحايين لعقد المجالس القضائية او الاجتماعات العامة الاعتيادية وكانت فوق ذلك ملجأ لابناء السبيل ومن لا عمل لهم حتى يجدوا فيها عزاء وتسلية بلقاء اهل بلدهم ومجاذبتهم اطراف الحديث

بينما كانت هذه المظلات ذات سقوف كانت المراسح والمجالس الرسمية عارية عنها . واذا كانت الحال كذلك افلم يكن هناك مبانٍ اخرى مغطاة بالسقوف ? بلى . ان الاثيني كان يلحظ في كل بناء الغرض الذي شيد من اجلهِ ذلك البناء . ولنضرب لذلك مثلاً بدار الاغاني " Odium " فقد كان الغرض من تشيدها سماع التوقيعات الموسيقية واغاني المغنين . ولما كان ذلك يستلزم مكاناً محصوراً جعلوا لهذا البناء سقفاً على شكل قبة

لم يكن للاثينين في ذلك العصر خلاف ما ذكرناه من المباني الشاهقة والصروح الشامخة شيء من البيوت او القصور او الطرقات المنسقة المنظمة . ولقد وصف احد كتاب اليونان مدينة اثينا بقولهِ « ان اثينا بلدة متربة مغبرة قليلة المياه حقيرة البيوت وان الاجنبي عنها ليرتاب لاول وهلة عند رؤيتها وينكرها فلا يصدق بها حتى يرى مرسحها وسامق مبانيها . فهي ضيقة الطرق معوجة السبل

واول بقعة في اثينا حظيت بتنظيم الطرق هي مرفأها بيريه في عهد تموطقلس المشهور وعلى يدي المهندسين الكبيرين هيبو داماس وهوسيان

ولقد يدهشنا جداً ما نراه من عبادة هؤلاء القوم للفنون الجميلة ورقيهم العقلي مع ما كانوا عليهِ من التسامح والتساهل في امر قذارة طرقهم وعدم استكمالها لوسائل الراحة العامة . فكأَن الاثينين كانوا احط من الرومانيين في العناية برصف طرقهم وتنسيقها . قال المؤرخ استرابو ان اليونانيين كانوا عشاق جمال وذوي عناية بحصونهم كلفين بمرافئهم وخصب ارضهم بينما كان الرومانيون مولعين بتنسيق طرقهم وحماماتهم وتوفير المياه عندهم

اما طرقها فكانت حالكة الظلام في الليل محرومة من النور . واذا لم تكن الليلة مقمرة اضطر السارون الى حمل المصابيح او المشاعل . كان السكان في حل من قذف فضلاتهم ومياههم العفنة من نوافذهم . وما على احد الا ان ينبه السابلة بقولهِ " Existo " اي تنحَّ عن الطريق وكان في اثينا ملاحظو طرق الا انهُ لم يكن من واجبات هؤلاء الا منع الاعتداء والمزاحمة

وملاحظة المرور ومراقبة الكناسين . والنتيجة ان اثينا كانت غير مراعية القوانين الصحية حتى ابتلاها الله بطاعون كان يفتك باهلها فتكاً ذريعاً كما قال مؤرخهم ثيوسيديدس واذا تدبرنا ما قاله المؤرخ استرابو من ان الاثينيين لم يعنوا بامر المياه ووسائل توفيرها ادركنا ما كان يتكبده الاهالي اذ ذاك في نقلها الى منازلهم فمنهم من كان يحتفر الآبار او يتخذ لنفسه صهريجاً من المعدن ومنهم من كانوا يرسلون بارقائهم فيأتونهم بالمياه في قدور كبيرة

هذا ما كان من امر معاشهم وحياتهم الاجتماعية

الوطنيون والنزلاء والعبيد

واذ قد علمنا حياة الوطني بوجه عام فلنبحث الآن في حال الاهالي جميعاً وصلاتهم السياسية والاجتماعية . فالسائر في طرقات اثينا قد يرى ثلاثة او اربعة من الوطنيين البحت وعدداً آخر من العبيد . على ان هناك نوعاً ثالثاً من الاهالي اي النزلاء الاجانب عن البلد وهم الذين لا حظ لهم في تدبير شؤون البلد او وظائفه العامة . بل انهم مباح لهم تعاطي التجارة في اثينا والتمتع بحمايتها ومزاياها نظير جعل من المال يرضخون به للحكومة . ولم يكن لأحدهم ان يمتلك قيد شبر من الارض . ولم يكن هناك مظهر مخصوص لكل صنف من الناس ولم يكن الارقاء يلبسون ثياباً خصيصة كما كان عليه الامر في اسبارطه ولا يرسلون شعورهم كعبيد اسبارطه ولا يختلفون عن الاحرار في اللون الا ما كان من بعض الارقاء الاثيوبيين . كما انه لم يكن بين المجموع فرق في المهن والصناعات . واذا مررت باسكاف لم يمكنك ان تحكم عليه هل هو من الاحرار او الارقاء . هذا امر حري بالامعان والتدبر اذ انا نفهم منه ايضاً ما كانت عليه اثينا من مبادىء الديمقراطية البحتة

كان الرقيق رجلاً غير ذي ثروة ولم يكن عاطلاً ولا جندياً ولكنه كان رجلاً عاملاً . واذا شئنا ان نعرف نصيب الرقيق في الحياة العملية الاثينية تجلى لنا ذلك فيما يلي

الجمعية العمومية

كان القوم يهرعون الوفاً في ذلك اليوم يوم التئام الجمعية ويصعدون الى مرتفع من كل انحاء اثينا ومرفإها بيريه يستوي في ذلك فقيرهم وغنيهم . حقيرهم واميرهم . وملاك الضياع والزراع والتجار والباعة واهل البطالة والحدادون وصناع الاحذية والنقاشون وباعة الاسماك وارباب الفنون الجميلة لا تمييز بين بيض الايدي وسودها . يذهبون الى ذلك المرتفع من الارض وكلهم ذوو حق في التصويت ذوو حق في ان يتكلموا ليسمع منهم . ولا نغلو اذا

قلنا انهم كانوا جميعاً في مستوٍ واحد تقريباً من قوة التفكير والقدرة على الخطابة وحسن البيان. ولكنهُ لم يكن بين هؤلاء فرد واحد من الارقاء. وقد كان البعض يتخلف عن ذلك الاجتماع ممن لا تمكنهم اعمالهم من ذلك او الذين لا يحفلون بهِ او طائفة ممن الفوا نضائد النعيم ونمارق الراحة ولذةَ البطالة

اضف الى هؤلاء القاعدين ايضاً النزلاء الاجانب الذين ليس لهم حظ من الاعمال الادارية قلَّ او كثر ويهمني جدًّا في هذا المقام ايها السادة ان يستقر في اذهاننا ان الذين كانوا يغشَوْن ذلك الاجتماع هم القرويون غالباً فان في ذلك كشفاً لبعض اسرار الديمقراطية التي كانت ضاربة بجرانها في ذلك البلد الامين

يهمنا ايضاً — ايها السادة — ان نعلم ان الاثينيين البحت لم يكونوا من الارسطقراطيين الذين لا عمل لهم ولا كانوا عالةً على ارقائهم كما يذهب الى ذلك فريق من الناس. كلا! انهم كانوا جميعاً سواء في الحقوق والامتيازات الوطنية التي حرم منها ارقاؤهم والاجانب النازلون بينهم. هذا ما كان من امر النظام الاجتماعي عند القوم بوجه الاجمال

انا لا نكون مبعدين اذا قلنا ان الاثينيين هم اول من وضع النظام الحكومي للامم. ولكن الفكرة قد تبدلت اليوم عما كانت عليهِ في اعصرهم. كان الرجل الاثيني يفهم من معنى الحكومة انها عبارة عن شركة قائمة على اساس تبادل المنفعة. وعندهم ان المنافع او المصالح لا تخرج عن امور ثلاثة: سلامة حياة الجمعية. واطمئنانها. واستقرار الامن فيها. فالوطني الصميم اي كل فرد من الافراد المؤسسين لهذه الشركة يملك حق ابداء الرأي في المصالح العامة التي تقرّها الجمعية. فاذا حلَّ بالدولة خطر او نزل بها خطب جلل وجب على الشركاء جميعاً ان ينهضوا للدفاع عن وطنهم والذود عن حوضهِ. فينخرط عامتهم وخاصتهم في سلك الجند ويعملون سهامهم ورماحهم في صدور عدوهم حتى ينجاب غبار الحرب عن فوزهم او فوز عدوهم. واذا ما اصاب الدولة رخاء ونعيم كان للشركاء نصيب من ذلك الرخاء مباشرة او بالواسطة. نعرف من ذلك ان الوطني القح كان من واجبهِ ان يعمل على حفظ الحياة المشتركة ويبذل كلَّ مجهوداتهِ في جلب المنفعة ودفع المضرة. هذا هو مبلغ فهم الاثينيين القدماء لمعنى الحكومة. ولقد جاء في نظريات حكيمهم ارسطو ان مبدأ دوران دولاب الحكومة يقوم على امرين. مداولات المجلس. ونشر العدل. واني امسك عن الخوض في هذه النقطة لعدم حاجتنا اليها الآن

لم يكن الاجانب النزلاء يخولون حقوق الوطنيين الصرفة الاَّ اذا قام احدهم بخدمة جليلة للوطن على انهُ لم ينعم على احدهم بهذا الامتياز الاَّ بموافقة المجلس مرتين وباجماع ٦٠٠٠ صوت في المرة الثانية ذلك فضلاً عن التحريات الدقيقة التي تستلزمها الحال · ولم تكن هذه الحقوق والامتيازات ثابتة خالدة بل ان المتمتع بها قابل للتجريد منها اذا ارتكب جرماً او اثماً كبيراً يضر بالمصلحة العامة · اما اذا قام احد الافراد بعمل فاخر فان الامة ترفع شأنهُ وتبيح لهُ ان يتبوأ مقعدهُ من صدور المجالس وتعفيهُ من بعض التكاليف العامة

كان الوطنيون يتزوج بعضهم من بعض ولا يتزوج الاجنبيُّ من وطنية على الاطلاق. ولم يكن من حق الاجنبي ايضاً ان يقيم الدعاوي القضائية الا عن يد وكيل من الوطنيين الاصليين · وكان من الضروري ان يكون لكل اجنبي وصيٌّ وطني يحفظهُ من الاضطهاد او الاساءة · على ان هؤلاء النزلاء كانوا عرضة للاستخدام في الجندية كعساكر لا ضباط وكذلك كانوا يدعون للخدمة في السفن الحربية

لم يكن الرقيق عندهم كما يفهم عادة من هذه اللفظة ولكنهُ كان خادماً ابيض اللون كسيدهِ غير انهُ كان مسيراً لا مخيراً رقيقاً لا حرًّا · نعم ان الرقيق كان يباع ويشرى الاَّ انه كان ينال من سيدهِ كل عطف وعناية · ولئن كان هناك بعض سيئي الخلق ممن لا يرقبون في الله إلاًّ ولا ذمة قساة القلوب يسومون عبيدهم سوء العذاب ولكنهم كانوا قليلي العدد جدًّا بل كان وجودهم نادراً والنادر لا حكم لهُ · كان السيد الاثيني حريصاً على عبدهِ كثيراً فيطعمهُ مما يأكل ويعنى بعلاجهِ اذا مرض ومن ثم كانت الثقة متبادلة والمحبة نامية بين السيد والمسود · واذا غضضنا الطرف عن مسألة الاتفاق في اللون فان الاحساس الديمقراطي في السيد الاثيني كان يجذبهُ نحو رقيقهِ ولا شك في ان نتيجة ذلك وفاق اجتماعي تام — وهو غير ما عرفت بهِ الطبقات الارسطقراطية في دولة الرومان من التجبر والكبرياء والتمجد الباطل · نستخلص من ذلك ان الفضائل الانسانية كانت بمجموعها مستقرة عند الاثينيين في عصر كان العالم مائجاً فيهِ بمظالم الاسترقاق ومصارع الاستعباد · بينما كان السيد الاثيني على هذه الشمائل الطيبة والاخلاق الفاضلة كان السيد الروماني زاهياً زهو الغراب صلفاً مختالاً فخوراً متغطرساً الى الدرجة القصوى · كان الاثيني حسن العشرة · رحب الصدر · جديًّا في كل اعمالهِ عكس ما كان عليهِ الروماني

نروي عن المؤرخ بلوطارخ قصة احد الاشراف الرومانيين قال : اصدر ذلك السيد

امرهُ الى عبيدهِ ان لا يخاطبهُ احدهم في امر ما لم يسألهُ عنهُ · واتفق لهذا السيد انهُ اقام وليمة لاصدقائهِ فلما ارسل عبدهُ الى صديق لهُ يدعى قلوديوس لم يحضر فارسل اليهِ عبدهُ مرة ثانية فلم يحضر ايضاً فلما اعياه الامر استدعى عبدهُ وقال لهُ « الم تأخذ الدعوة وتوصلها الى صديقي » قال العبد « بلى ايها السيد » قال « ولمَ لم يحضر » قال العبد « انهُ ابى الحضور » قال السيد « اما كان لك ان تبلغني ذلك ؟ » قال عبدهُ « انك لم تسألني عن ذلك ايها السيد » ثم استطرد بلوطارخ من هذه القصة الى المقارنة بين اخلاق الاثينيين والرومانيين الى ان قال وان السيد الاثيني ليجاذب عبدهُ اطراف الاحاديث و يساجلهُ الابحاث السياسية و يسألهُ رأيهُ في بعض المسائل بينما يكون هذا مشتغلاً بحفر الارض وفلحها

كان نصيب العبد في العائلة نصيب احد اعضائها الاَّ انهُ كان قابلاً للمعاقبة والتعزير على انهُ ما كان للسيد الاثيني ان يقتل عبدهُ كما كان يفعل الرومانيون بعبيدهم

وان من دواعي الدهشة والاستغراب ان يتسامح الاثينيون في امر الاسترقاق مع ما كانوا عليهِ من حب اطلاق الحرية الشخصية وحرية القول والعمل الى حدٍ ان حكماءهم وفلاسفتهم مثل سقراط وافلاطون وارسطو لم يروا بأساً في الرق واتخاذ الارقاء · قال ارسطو « ان بعض الاناسي يولدون سادة احراراً بينما يولد غيرهم عبيداً اسارى » · وزاد على ذلك بقولهِ « ان الرقيق آلة حية في يد اهل الذكاء الراقي يصرفونها على حسب اهوائهم » · ومن هذا يحق لنا ان نؤمن بأن عبيد اثينا كانوا احط من الاحرار من الوجهتين العقلية والاجتماعية · ولكن بالرغم عما قالهُ ارسطو واذاعهُ بين مواطنيهِ نجد ان ارق اولئك القوم عقلاً واعني بذلك شعراءهم كانوا يعطفون على الرقيق و ينصحون دائماً الى الجمهور ان يحسن معاملتهُ لما كانوا يعلمونهُ من تكاليفهِ وواجباتهِ تلقاء سيدهِ · اما مصدر اولئك الارقاء والطريق التي كانوا يُستوردون منها فهو الاقطار المجاورة للاثينيين فاذا وقع اهلها اسرى في ايدي هؤلاء باعوهم بالمزاد في اليوم الاول من كل شهر

يتحصل مما سبق ان الاثينيين الاصليين كانوا متساوي الحقوق في المسائل المالية والاجتماعية فكان الكثير منهم اربابَ ضياعٍ او زرَّاعاً او اصحاب معامل صناعية او تجاراً او ملاَّك سفن او بحارةً او اهل حرَف وقد كان ابو الخطيب ديموستنز صانع اسياف وكانت ام الروائي يوروبيدس بائعة نباتات اي خضار

قال المؤرخ بلوطارخ يصف اعمال الحاكم الاثيني بريكليز : ان الغرض الذي كان يرمي اليهِ الحاكمُ بريكليزُ من تشييد المباني العظيمة والعمارات الشاهقة هو « خلق العمل » هو ايجاد

سبب يدفع الاهالي الى الحركة فينحل ما انعقد من ايدي الشعب وينشطون من عقال الكسل والجمود · ولان هذه الاعمال تحيي كل صنف من الصناعات والحرف وتكثر من الايدي العاملة وتجعل الاهالي اهل تكسب لا اهل بطالة · ولم يرضَ ذلك الحاكم ان يعيش عامة القوم وسوقتهم دون ان يكون لهم نصيب من العمل او ان يعيشوا عالة على غيرهم · من اجل ذلك كان لا ينفك عن التفكير في ابتكار الاعمال الكبيرة والمشروعات النافعة التي تستلزم حولها الكثير من الصناعات والفنون والتي يعوزها الكثير من الايدي » · فرحم الله ملكاً هذه اعماله

اذا حللنا اخلاق هؤلاء القوم تحليلاً ابسيكولوجياً وجدنا انهم لم يكونوا يحتقرون العمل مطلقاً ولا يستنكفون ان يزاولوا الحرف بانواعها · وجدنا انهم لم تشب صفاتهم الدناءة والملق والتزلف · لم يكن بينهم الشذوذ الذي كثيراً ما نراهُ باعيننا في هذا الزمان · ذلك الشذوذ الذي يشير اليهِ حكيمنا العربي بقولهِ

والغنى في يد اللئيم قبيح قدر قبح الكريم في الاملاقِ

ولم يكن كذلك من اخلاقهم ان يلتصقوا بالاغنياء · الامر الذي قد فشا بيننا وانحطت بسببهِ اخلاقنا اصلح الله الحال · لم يكن الثراء او حسن البزة وجودة الثياب من مميزات الانسان بل مميزاتهُ هي فضيلتهُ وعلمهُ · لم يكن سقراط رجلاً ذا ثروة ولكنهُ لما احرزهُ من الفضائل الادبية العالية كان مقبولاً محترماً من كل مواطنيهِ لا فرق بين الصعاليك والملوك

النساء وحقوقهن

لم تكن المرأة قبل ذلك الزمان في اثينا الاَّ قعيدة منزلها وحلس دارها فهي تلازمهُ حياتها وتوزع الاعمال المنزلية على ارقائها وتشتغل بغزل الاقمشة تتخذ منها لبوسها وتربي بناتها وصغار اولادها · فلم تتعد تربيتها هذه المسائل · فهي لا تبرح بيتها ابداً الاَّ مع من يصحبها من ذويها واهل بيتها · وليعلم اخواني ان هذا الاحتجاب والانزواء والعزلة عن الناس الذي جرى عليهِ هؤلاء النساء جاء من التقليد كبقية العوائد التي تسربت الى اثينا من الممالك المجاورة لها · ولا ريب في ان هذا الاحتجاب كان عاملاً على انحطاطهن في القوتين البدنية والعقلية بسبب بعدهن عن الحركة الدنيوية وجهلهن بما يحصل في العالم (ولعل هذا ايضاً هو اقوى سبب في تقهقر نساء مصر في هذا العصر) افليس من الطبيعي اذن ان يعاملهن الرجال كأن انحطاطهن هذا طبيعيٌ لا كسبي فيحتقروهن ولا يروا فيهن الكفاءة والاستعداد للاضطلاع على عظائم الامور · وعلى ذلك لم تكن الحياة الاثينية المنزلية مما كان يأبه لهُ رجالُ ذلك الزمان · بل كان

الزواج عندهم يجري مجرى عامة عوائدهم · اي انهم لم يعدوهُ من المسائل الضرورية في استكمال شروط الحياة كما هي الحال عند اهل هذا الزمان

كان الصداق عندهم امراً جوهرياً كما هي الحال في فرنسا الآن فاذا كان نقداً قدم الرجل ضمانهُ واذا كان اثاثاً لم يصح للزوج ان يعتبر ذلك ملكاً لهُ

كان الطلاق عندهم كذلك مباحاً ولكنهُ كان ميسوراً للرجل بقدر ما كان عسيراً على المرأة وما على الرجل اذا رام عن زوجتهِ فصالاً الا ان يرد الصداق اليها و يرسلها الى بيت اهلها · اما هي فمن الصعب ان تحصل على طلاقها من زوجها · و يقول بعضهم انهُ كان يوجد في اثينا رجال موكلون بمراقبة النساء مراقبة شديدة من حيث السلوك وخروجهنَّ من المنازل · على ان ذلك لم يكن في عصر تمدنها الذي نتكلم عنهُ في ليلتنا هذه بدليل قول ارسطو « ان ذلك ينافي الروح الديمقراطية · اذ كيف يسوغ لنا ان نمنع النساء الخروج اذا كان يمكنهن ان يقمن في بعض العبَر او المشاغل بما يقوم بهِ الارقاء في المشاغل الاخرى »

وقبل الانتقال من هذا الموضوع نقول : لئن كان حق المرأة وحريتها مقيدين نظرياً الا انها كانت متمتعة بهما من الوجهة العملية · وان الادوار التي تلعبها المرأة في كثير من الروايات المضحكة تدلنا على ما كان يومئذ من التأثير لطائفة النساء · قال المشترع سولون « كل امر أبرم بتأثير المرأة لا نصيب لهُ من المشروعية » وحكى ديوتنس عن رجل كان يجادل امرأتهُ في الامور السياسية · وهذه الشواهد تشير بمجموعها الى ما كان للنساء في الواقع من الحرية خلافاً لما قد يبين من نظريات القوم في مسئلة حقوق المرأة

وهنا اختم الحديث مرجئاً الى فرصة أخرى بحثي في التربية والتعليم عن الاثينيين ومواسم القوم وقضائهم وصناعاتهم واثبات انهم كانوا اقرب في احوالهم الى اهل هذا العصر من غيرهم من الامم

عبد الرحمن زهدي

تابين مارك انطونيوس لجوليس قيصر

(من رواية جوليس قيصر لشكسبير كبير شعراء الانكليز)

(تعريب عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني)

اعيروني بني الاوطان اذنا لاني قد ملئتُ اليوم حزنا

أيا رومانُ هذا النعيُ فاجعْ قد اصطكّت لهُ كل المسامع
كما انفجرت لهُ سحبُ المدامع بحزن الملك جوليس استعرنا

انا في موقف التأبين واقف فلستُ بمادح والدمع واكف
ومقترف الشرور الغرّ عارف بأن الشرّ يحيا ان دفنّا

وان الخير يطمر مع عظامِ وهذي حالة القوم العظامِ
فقيصر راشف كأس الحمامِ يفجّع بالمصائب كلّ مغنى

بروتسُ ناسبٌ شرّ الطماعه لقيصر وهو عنوان القناعه
فان صحّ المقال فذي براعه بأن القاتل الجاني تجنّى

بروتس سادتي رجل شريف وكلٌّ منكم شهمٌ منيفُ
وان فقيدنا خلٌّ عطوفُ لمن بالنفس فديتهُ تمنّى

فقاد لرومة الاعداء أسرى وذاقوا من بسالتهِ الأمرّا
ومال فكاكهم اجراهُ بحرا لذا ملأ الخزينة منهُ خزنا

وعند مجاعةٍ اذرى الدموعا مراراً نادباً من مات جوعا
نامسى في عواطفهِ قنوعا ومن عرف الطماعة لن يحنّا

فكلكمُ بمشهد الاحتفالِ رآهُ رافضاً تاج المعالي
ثلاثاً ردّهُ دون امتثالِ بنسبتهِ لاطماعٍ كذبنا

بروتسُ ناسبٌ هذا اليهِ واني لستُ معترضاً عليهِ
ولكن موقفي حرجٌ لديهِ ونحن لحبّ قيصرنا نسبنا

لقد احببتمُ الملك الحبيبا بلا سببٍ وما زدتم نحيبا

فماذا يمسك الدمع السكوبا وان جمادنا من ذاك أنّا

لأين هربت رايتها الشواعر ألست مقيمة بين الكواسر
واين عقولنا امست نوافر وكلٌّ باضطراب البال جنّا

فقلبي عند قيصر في الإوان وهل مرءٌ يعيش بلا جنانِ
فسوف يعود منطلقاً لساني بعودتهِ فليس الصمت جبنا

اذا وجدت دموعكم احبسوها بدون تأخر كي تسفكوها
(امسك الجبة) أجبة قيصرٍ لم تعرفوها وقد صبغت بطعنات لحنا

فاول لبسهِ هذه العباءه مساء الصيف لم يلقَ المساءه
فنال النصر في تلك البداءه ولكنَّ الردى فيها استكنّا

فهذي طعنةٌ كسكا جناها وهذي آخرٌ حسداً رماها
وافجع طعنةٍ اجرى دماها بروتس خائناً مولاهُ خونا

فقيصرُ كان يحسبهُ ملاكا ولم يطلب عن الحب انفكاكا
محبتهُ لهُ جرّت هلاكا فكلٌّ يلعن المكار لعنا

لدى تمثال بومباي التقاهُ ونكران الجميل جنت يداهُ
بجبتهِ تلفع مذ رآهُ يجور عليهِ بالسكين طعنا

عليهِ ذلك التمثال اجرى دموعاً اشبهت بالجري نهرا
فقيصرُ من أليم الطعن خرّا وقد وهنت قواهُ هناك وهنا

خيانتهُ قد انتصرت علينا لذلك سوف يسقط في يدينا
فكم عند البلية قد بكينا ومن ألم التفجع قد رزحنا

(يبكي القوم) اذا ابكاكمُ جرح الثيابِ وأضرم في الحشى نار العذابِ
فكم يبكيكمُ قتلُ الشبابِ تعالوا وانظروا الملك المعنّى

فهذي جثة فيها الجراحُ أليس لمثل منظرها يناحُ
فما للفاتكين بها رباحُ سينشر ظلمهم قرناً فقرنا

فلا تدعو الحزين يثير ضرًّا على قوم جزوه الخير شرًّا
سقونا اليوم كأس الحزن مرًّا بقتل مليكنا المحبوب غبنا

همُ الحكماء والشرفاء اصلا نغدرهم لهيبَ الحزن اصلى
لعلهمُ رأوا في القتل عدلا وسوف يفسرون غريب معنى

أنا رجلٌ عييٌّ قد احبَّا صديقاً في مغانيهِ تربَّى
فلا عجبٌ اذا ما زدتُ ندبا وارسلت الدموع عليهِ مزنا

فما أُوتيت من قبل الفصاحه ولكن شجعتني ذي المناحه
وقد وُكِّلتُ في نطقٍ جراحه لتشرح من غريب السرّ متنا

ولو أني بروتسُ في الخطابه لهيَّجتُ العواطف بالكآبه
وحرَّكتُ الحجارة بالنيابه ليأخذ ثار قيصرَ كلُّ مبنى

آداب المحادثة

للكاتب الفرنسوي الشهير الدوق روشفيكول

وقعت في اثناء مطالعاتي على القطعة الآتية في آداب المحادثة لصاحبها الدوق روشفيكول الفرنسوي فاستحسنت نقلها الى العربية على صفحات المقتطف لا لانها مدهشة في دقة معانيها وغرابة مبانيها فهي ليست من فرائد البلاغة. بل لما اشتملت عليهِ من صواب الملاحظات في لهجة صادقة ونصحٍ بيّن وعبارةٍ سهلة. وزادني حرصاً عليها ان موضوعها المحادثة اشد المواضيع اتصالاً بالناس لا يخلو منهُ احدهم مرة او اكثر كلَّ يوم الى آخر العمر. ومعظمهم مع ذلك يقصرون في شروطهِ تقصيراً يفضحهم لانهُ ينافي ما يدَّعونهُ من التمدن والتنور ورقة الطباع جاهدين نفوسهم في اثبات الدعوى بكيفية معيشتهم مأكلاً ومشرباً وملبساً ومركباً وزيارة واستزارة

واذا تأمل المتأمل قليلاً رأى للمحادثة شأناً كبيراً في تهذيب الاخلاق وتثقيف العقول وتنبيهِ الاذهان الى مباحث دقيقة ومشروعات جليلة كثيراً ما ينجم عنها فوائد عامة وخير شامل. وانما تكون كذلك اذا رعي حقها فلم يقتصر منها اصحابها كما يفعل ابناء الشرق على المطايبة والمفاكهة وقتل الوقت كما يقولون. وانما الوقت عمرهم وعمرهم هو كل ما يملكون. واما

ابناء الغرب فقد تنبهوا الى هذه الوسيلة الثمينة فصار احدهم يعنى كل العناية باختيار عشيره ومحدثه لمعظم قدر الحديث والعشرة في نفسه . وبلغ من شدة حرصهم على الاحاديث وجنى فوائدها واطايبها ان انشأوا لها اندية خاصة عامرة ينتابها من يختارونهُ . وقد سبقهم اسلافنا العرب الى مثل ذلك حتى كان للاديب الكبير الوزير الصاحب بن عبّاد مجلس يفوق مجالس الملوك والخلفاء يحضره جمهور غفير من اهل العلم والادب والنقد والظرف وسواهم يعرض كل منهم بضاعتهُ على قدر مجهوده و يبادل اخوانهُ وجلاسهُ الافادة والاستفادة والايناس والانس

ولا يخفى ان لذة الحديث تزيد كلما زاد شعور صاحبه ووعيه بسموه وفائدته . وقدجرى يوماً بحضرة المأمون الخليفة العباسي حامي ذمار العلوم والفنون في عصره ذكر ملذات الدنيا العظمى واطايبها الكبرى فخاض الذاكرون في البحث وعدّدوا ماعددوا فلما انتهوا قال لهم المأمون مامعناه . « اين انتم من حديث الرجال فانهُ اعظم الملذات واعذبها من النفس وقعاً » فقالوا « صدقت ياامير المؤمنين »

وصلنا الآن الى نقل ما كتبهُ روشفيكول في آداب المحادثة . اما الكاتب فاسمهُ الدوق فرنسوى دي لاروشفيكول ولد سنة ١٦١٣ وتوفي سنة ١٦٨٠ وكان مشهوراً بالانشاء الناصع الجلي والكلمات الجامعة المانعة و بقينه الغريب بخلو البشر من كل فضل وفضيلة قائلاً ان كل ما لنا منهم خيراً محضاً في اصله وفرعه ليس على شيءٍ من ذلك اذا عرضناهُ على محك النقد الصحيح بل يرجع الى حب الذات وتطلب المنفعة . وهذا الذي قالهُ روشفيكول في المحادثة

« ان الذين يستحب حديثهم من الناس قليلون جدًّا لان معظم الجلاس والعشراء يحسبون حساب نفوسهم في ما يقولون ملتفتين الى ذلك اكثر من التفاتهم الى حساب غيرهم في حق التحدث مثلهم مع انهُ يجب على المرء ان يصغي الى حديث جلاسه لكي يصغوا هم ايضاً الى حديثه . يجب ان يدع لهم مجالا للتعبير عن افكارهم ولو كانت تافهة ليس تحتها طائل وان يمازج قلوبهم وارواحهم منصرفاً اليهم بجملته محدثاً اياهم في مايروقهم مثنياً على مايستحق الثناء من اقوالهم مشعراً اياهم ان ثناءهُ عن يقين واعتقاد لا لملاطفة ومجاملة . غير قاطع عليهم حديثهم ولا معارض اياهم لمجرد ولوعه بالمعارضة كما يجري في اكثر الاحيان

« ويجب ان يدع الجدال والخصام في المواضيع العقيمة التي لايعرف لها خمر ولا خل وان يحترز كل الاحتراز من بدور اقل بادرة منهُ تدل على انه يعتقد في نفسه فضل ذكاء وسعة

اطلاع على جلسائهِ · وان لا يرى من مصائب الدهر تنازلهُ لسواهُ كرماً وتأدباً عن حق الحكم في بحث دار عليهِ الحديث

« ومن آداب المحدث بل واجباتهِ ان يجعل كلامهُ طبيعياً سهل المأخذ لا كلفة فيهِ وان يراعي حال المخاطب وطبعهُ وعلمهُ وذوقهُ في صعوبة او سهولة المبحث الذي يعرضهُ ولا يسومهُ تصريحاً ولا تلميحاً استحسان ما يقولهُ ولا الاجابة عليهِ بل يترك لهُ الخيار التام في ذلك · وان يبدي آراءهُ واميالهُ على غير تصلب وعناد مظهراً انهُ يلتمس من اقوال جلسائهِ زيادة علم واستنارة في ما هو فيهِ · وعليهِ ان يتحاشى اطالة الحديث عن نفسهِ وشؤونهِ وان لا يعين ذاتهُ مثالاً في حكاية يرويها او امر يفترضهُ

« ومن كمال الظرف ان لا يبالغ في استقصاء الموضوع الآخذ فيهِ ويعصر منهُ آخر قطرة بل يبقي فيهِ بقية لمخاطبيهِ فلا يفوتهم منهُ نصيب يسير في كلمة حكم او استدراك

« والحذر كل الحذر من القاء الحديث بلهجة المتسلط الآمر ومن الباس الامر الصغير الحقير ثوباً ضافياً من الالفاظ الطنانة والاساليب المفخمة

« وللمحدث حق الاحتفاظ بارائهِ والحرص عليها اذا رآها صواباً ولكن لا حق لهُ ان يكسر خاطر من خالفهُ فيها ويمس كرامتهُ الشخصية بعبارة او اشارة · ولا يليق بهِ اظهار سخط او استياء من تلك المخالفة · ومن السلاطة والخشونة ان يحاول ادارة دفة الحديث دون سواهُ ويقصرهُ على موضوع واحد او يسوقهُ عمداً الى الجهة التي تروقهُ خاصة · بل يجب تناول اي موضوع كان عرض اتفاقاً على ميدان البحث

« ولا ينسَ ناسٍ ان بعض المواضيع وان كانت حسنة محبوبة بحد ذاتها قد لا تروق بعض الجلاس وان كانوا على جانب من الذوق والمعرفة فيجب اذاً بعد منحها نصيبها من الوقت الانتقال الى غيرها من المواضيع التي تروق هؤلاء فلا يغبنون بالنسبة الى سائر اخوانهم

« وقصارى القول ان القاء الحديث بصورة ملائمة في وقت ملائم يقتضي حذقاً غير يسير

« والصمت يعوزهُ الحذق ايضاً لان لهُ كيفيات متباينة لا تكاد تقع تحت الحصر ومن ثم كان للبلاغة مجال فيهِ كما لها في الكلام · فقد يكون في الصمت اشارة استحسان او استهجان توقير او ازدراء الى غير ذلك · وقس على الصمت ودلالتهِ كيفية النغمة واللهجة والاسلوب والايماء فان لها صوراً شتى تدل كل صورة منها على غرض ومعنى · والذين يدركون ذلك كلهُ ويحسنون استخدامهُ حسب مقتضى الحال قلائل · وربما عجز عنهُ بعض من يضعون لهُ قواعد ويبوبون لهُ ابواباً · ولكن الحازم يسعهُ اتقاء اكثر مواضع الزلل بان يكون شديد التأمل

قليل الكلام كثير الاتهام لنفسهِ ولو جاء بالمرقص والمضطرب »

اقول وقد اشار الشاعر العربي الى هذه النصيحة الاخيرة من نصائح الكاتب الفرنساوي واصفاً رجلاً ذا علمٍ وتواضع حيث قال

ويسيء بالاحسان ظناً لا كمن يأتيك وهو بشعرهِ مفتونُ

ادوار مرقص

الجناية والتحقيق

اطَّلعنا على القصة التالية في مجلة بيرصن فعرَّبناها لما فيها من الارشاد لقضاة التحقيق ورجال البوليس والاطباء عدا ما فيها من فكاهة الحديث . والقصة عن لسان طبيب اسمه جرفِس

قال كنت سائراً مع الدكتور ثُرنديك في حي ضيق الشوارع من احياء لندن واذا نحن بامرأة تسير مسرعة وعليها دلائل الخوف ووراءها شاب حسن البزة وعلى وجههِ امارات الاضطراب . وحالما وقع نظرنا عليهِ عرف الدكتور ثرنديك وقال لهُ دعيت الآن لاحقق حادثة قتل او انتحار الا تريد ان تراها معي يامولاي فان هذه اول حادثة حققتها واراني خائفاً قلقاً

ولما قال ذلك عادت المرأة اليهِ وامسكت بذراعهِ وهزتهُ وهي تقول اسرع اسرع وكان وجهها ابيض شاحباً وقد تصبب عرقاً وشفتاها ترتجفان ونظرت الينا كأنها ولد رأى ما يخيفهُ

فقال الدكتور ثرنديك للشاب لبيك ياهارت . ثم اومأ اليَّ لاتبعهُ فتبعنا المرأة وهي تعدو امامنا

والتفت ثرنديك الى الشاب وقال لهُ هل جعلت اقامتك هنا وهل اخذت في التطبب

فقال كلاَّ يامولاي وما انا الا مساعد ورئيسي طبيب القسم هنا ولكنهُ غائب الآن . وانا شاكر لك لمجيئك معي

فقال ثرنديك اني آتٍ لارى ثمرة تعليمي فيك

واوصلتنا المرأة الى حارة بين الشوارع فرأينا جمهوراً من الناس وقوفاً امام باب فلما رأونا حادوا من طريقنا ودخلت المرأة امامنا مسرعة وصعدت على سلم الى ان وصلت الى اعلاه حيث يبتدئ سلم آخر ولما قربت الى هناك جعلت تصعد همساً ثم اشارت بيدها الى باب وقالت تجدونها هنا . وارتمت على درجة السلم التالي عياء

فصعدنا وراءها وفتحتُ الباب والتفت لارى ثرنديك فوجدتهُ صاعداً متمهلاً وهو يلتفت

يمنة ويسرة يمعن في كل مايراه . ودخلنا الغرفة وكان لها شباك واحد وكان لا يزال مغلقاً فلم نرَ شيئاً لقلة النور . والغرفة صغيرة حقيرة ولكنها مرتبة وفيها سرير على ترتيبه فيه فتاة نائمة لا يبين فيها شيء غير عادي سوى لطخة كبيرة في الوسادة التي تحت رأسها

ولما دخل الدكتور هارت مشى الهوينا الى ان دنا من السرير اما الدكتور ثرنديك فاسرع الى الشباك وفتحهُ فسطع النور في الغرفة . ورأى الدكتور هارت ما ادهشهُ فرجع الى الوراء وهو يقول اعوذ بالله ماهذا . فان النور الذي دخل من الشباك انعكس عن وجهٍ صبيح وجه فتاة في نحو الخامسة والعشرين من عمرها جاءهُ الموت فلم ينزع جمالهُ بل اضاف اليهِ السكينة والوقار . شفتان تكادان تتلامسان وعينان ذبلتا في ظل رموشهما وشعر اسود غزير يحيط بوجه ابيض نضير

ثم ازيح الدثار قليلاً فاذا تحت ذلك الوجهِ البدري جرح غائر يكاد يقطع عنقاً بلورية فنظر ثرنديك اليها نظر الحنو والشفقة وقال اليد يد وحش كاسر ولكن قضي الامر سريعاً فلم تتألم

اما الدكتور هارت فاحمرَّ وجههُ غيظاً وقبض راحتيهِ وهزها وهو يقول اين هذا اللعين لابدَّ من قتلهِ لابدَّ من شنقهِ . قال ذلك والدموع ملء عينيهِ

فقال لهُ ثرنديك هذا ما اتينا لاجلهِ ياهارت الآن فاكتب ماتراهُ فانصاع لامر استاذهِ واخرج دفترهُ من جيبهِ وجعل يبحث ويكتب مايراهُ وطلب مني ثرنديك ان اصور الغرفة واصف مافيها فاخذت قلماً وجعلت ارسم واكتب وكنت التفت اليهِ من وقت الى آخر لارى ماذا يفعل فرأيتهُ اخرج سكيناً من جيبهِ وفحص بها شيئاً وجدهُ على الوسادة فدنوت منهُ لارى ما فحص فقال لي اترى ماهذا فنظرت واذا بشيء كالرمل الفضي فقلت أليس هذا رملاً فضياً فما اتى بهِ الى هنا

فقال سنرى ما هو في ما بعد ثم اخرج علبةً من جيبهِ فيها بعض مواد الفحص كشمع الختم والانابيب الشعرية وما اشبه واخرج منها غلافاً صغيراً من الورق وضع الرمل فيهِ واقفلهُ وجعل يكتب عليهِ واذا بالدكتور هارت يقول اعوذ بالله اعوذ بالله امرأة قتلتها انظروا انظروا فنظرنا واذا في يسارها خصلة من شعر اشقر

فوضع ثرنديك الغلاف في جيبهِ حالاً وانحنى فوق اليد التي فيها خصلة الشعر فوجدها مطبوقة ولكن اناملها غير واصلة الى كفها ولما حاول فتحها وجدها يابسة كقطعة من الخشب فاخرج بلورة من جيبهِ مما يكبر المنظورات وجعل يفحص الشعر من اولهِ الى آخرهِ وقال هنا

امور اخرى غير ما يظهر لاول وهلة ماذا تقول يا هارت واعطاه البلورة فاخذها وقبل ان نظر فيها فُتح الباب ودخل ثلاثة رجال مفتش البوليس وملازم من رجال البوليس السري وطبيب القسم

فقال طبيب القسم لهارت اظنهما من اصدقائك مشيراً اليَّ والى الدكتور ثرنديك فاخبره ثرنديك بواقعة الحال وكيف دعانا الدكتور هارت للفحص الطبي معهُ

فالتفت الينا وقال ان هذا الامر لا يعنيني بل يعني مفتش البوليس ولم يكن مساعدي مخولاً بان يدعوكما معهُ . ثم خاطب هارت قائلاً لا داعي للانتظار هنا . وكان ثرنديك قد وضع ثرموتراً تحت جسم المرأة فاخرجهُ ونظر الى درجة الحرارة . ولم يشأ مفتش البوليس ان يخرجنا من الغرفة كما اشار طبيب القسم بل حسب لوجودنا فائدة والتفت الى ثرنديك لما رأى الثرموتر في يدهِ وقال لهُ منذ كم ساعة ماتت على ما تظن يا دكتور

فقال ثرنديك منذ نحو عشر ساعات . فاخرج كلٌّ من المفتش والملازم ساعتهُ ونظر اليها وقال المفتش اذاً حدث ذلك الساعة الثانية بعد نصف الليل . ورأى طبيب القسم اليد التي فيها خصلة الشعر وقال للمفتش انظر انظر فالتفت المفتش وقال امرأ امرأة . لا بدَّ من انها امرأة قوية فقد هان الامر عليك يا دكتور . وقال الملازم وهذا يفسر وضع الصندوق قرب رأسها فان المرأة التي قتلتها قصيرة القامة فلم يتيسر لها الوصول الى رقبتها بسهولة

فقال المفتش ولكنها جبَّارة فانها كادت تقطع العنق كلها ثم انحنى وجعل يفحص الجرح والتفت الى الوسادة ووضع اصابعهُ عليها وجعل يفركها ثم قال هذا رمل هذا رمل فضي فكيف وصل الى هنا

وبادر طبيب القسم والملازم الى حيث المفتش ليتحققا الاكتشاف الذي اكتشفهُ وجعلوا يتذاكرون في امرهِ وقال المفتش لثرنديك هل رأيت هذا الرمل فقال نعم رأيتهُ ولا اعلم كيف اتى الى هنا . فقال المفتش وانا ايضاً لا اعلم ثم جعل يفتش في رف الغرفة والمغسلة وقال عرفنا عرفنا انظروا هذا لوح من الصابون الرملي وفي طست الغسل ماءٌ مخلوط بالدم وفيهِ كثير من الرمل فالقاتلة غسلت يديها وسكينها من الدم بهذا الصابون ثم وقفت فوق رأس المقتولة فوقع الرمل من يديها على الوسادة فالامر بسيط جدًّا

فقال ثرنديك نعم بسيط جدًّا فكيف ترتب الحوادث بعضها مع بعض . فقال الملازم يظهر لي ان هذه المرأة قرأت طويلاً قبلما نامت فهنا كتاب على المائدة بجانب السرير وعليها شمعدان فيهِ شمعة احترقت كلها ولم يبقَ منها الاَّ طرف فتيلتها . ثم جاءت القاتلة فاشعلت الغاز

وادنت الصندوق من السرير وصعدت عليهِ وذبحتها • واستيقظت الفتاة حينئذٍ وقبضت على شعر القاتلة ولكن روحها كانت قد بلغت التراقي • وغسلت القاتلة يديها وسكينها واصلحت السرير • ولكن كيف دخلت ولم يدرِ بها احد وكيف خرجت والى اين مضت هذه امور يجب ان نكتشفها

وقال طبيب القسم أليس الاحسن ان ندعو صاحبة البيت ونسألها بعض المسائل قال ذلك ملتفتاً الى المفتش والى ثرنديك • اما ثرنديك ففتح الباب وجعل يدير المفتاح في القفل فيفتحهُ ويقفلهُ ثم قال هوذا صاحبة البيت امام الباب

فاشار اليها المفتش فدخلت ودخل رجل وراءها

فامسك المفتش دفترهُ بيدهِ وقال اخبرينا يا مسز غلدستين كل ما تعرفينهُ عن هذه الابنة وما هو اسمها

فمسحت عينيها وقالت بصوت متقطع يا مسكينة اسمها منة ألدر وهي المانية اتت من برمن منذ نحو سنتين وليس لها احد من الاقارب هنا وكانت تخدم على المائدة في مطعم فنتشرش كانت على غاية الرصانة والهدو

— اي ساعة عرفت بما اصابها

— نحو الساعة الحادية عشرة فانني ظننت انها خرجت على جاري عادتها ولكن زوجي انتبه الى ان شباكها كان لا يزال مغلقاً فصعدتُ وقرعت الباب ولما لم اسمع مجيباً فتحتهُ ودخلت فرأيت — وهنا غلبها الحزن فجعلت تبكي وتنتحب

— اذاً كان بابها غير مقفل فهل من عادتها ان تتركهُ كذلك

— اظن نعم وكانت تبقي المفتاح من الداخل دائماً

— هل كان باب الدار مقفلاً هذا الصباح

— كان مغلقاً ولا نقفلهُ لان بعض النازلين عندنا يعودون متأخرين

— اخبرينا هل لها احد يقصدها بسوء او احد ناقم عليها

— كلاَّ كلاَّ ولماذا ينقمون عليها فانها لم تختصم مع احد وخصامها مع مريم طفيف لا يعبأ بهِ

فقال المفتش مَن هي مريم هذه

— فقال الرجل الذي دخل مع مسز غلدستين وهو زوجها لا شيء لا شيء ولم يكن ذلك خصاماً

فقال المفتش — لعلهُ سوء فهم او عتاب

فقال المستر غلدستين نعم سخافة وقلة عقل من اجل شاب فغارت مريم منها وهذا كل ما جرى

فقال المفتش نعم فهمت شيئاً من الغيرة وهذا امر اعتيادي

ولما قال ذلك دخلت فتاة قصيرة القامة مجدولة العضل شعرها منفوش شديد الشقرة ·

فلما وقع نظرنا عليها وقفنا كلنا مبهوتين ودار المفتش ووضع في جيبهِ ورقة ملفوفة وقالت مسز غلدستين هذه ابنتي مريم ثم التفتت اليها وقالت لها هؤُلاء الاطباء ورجال البوليس

فنظرت الينا واحداً بعد الآخر ثم قالت هل رأيتموها ما اظنها ماتت · قالت ذلك بصوت الحزن الشديد كأَنها امرأة فقدت ولدها وهي تمني نفسها بانهُ لا يزال حيًّا · فاثر كلامها فيَّ تأْثيراً شديداً والتفت الى ثرنديك فلم ارهُ امامي وتطلعت الى الدار فرأَيتهُ يفتش في رف صغير وراء الباب الذي يفتح الى الشارع فنزلت اليهِ واذا هو يلف ثلاث قطع من الشمع باوراق رقيقة وقال لي انهم سيقبضون على هذه الفتاة المسكينة ولا اريد ان ارى ذلك فهلمَّ بنا · ثم فتح الباب ووقف لحظة يمتحن المزلاج ونظرت الى الرف الذي وراء الباب فوجدت عليهِ شمعدانين من الخزف الابيض

ولما خرجنا قال لي ارأيت المفتش وضع خصلة الشعر في جيبهِ

فقلت نعم وكان الاولى بهِ ان يبقيها في مكانها · فقال اصبت وهكذا تفسد التحقيقات الجنائية بتسرع المحققين · وعملهُ هنا لا يقدم ولا يؤَخر في هذه الحادثة ولكن كان من المحتمل ان يفسد التحقيق كلهُ

فقلت لهُ هل مرادك ان تتعرض للشهادة

فقال ان ذلك يتوقف على مقتضى الحال فقد جمعت بعض الادلة ولكنني لا اعلم الآن مقدار قيمتها ولا اعلم هل انتبه ذا المفتش والملازم ولا بدَّ لي من بذل الجهد في اظهار الحقيقة لان المسأَلة تتعلق بالامن العام وكلنا مسؤُول عنهُ

ثم افترقنا وذهب كلٌّ منا الى عملهِ الخاص بهِ ولم نجتمع ثانية الاَّ في المساء وقت العشاء فرأَيتهُ جالساً يفكر والى جانبهِ ميكرسكوب وشيءٌ من الرمل الذي وجدناهُ على الوسادة وكان مهتمًّا بعمل طوابع من السمنت فقال لي هذا السمنت اصلح من الجبس لعمل الطوابع الرقيقة وهذا الرمل جميل انظر ما اجملهُ بالميكرسكوب فنظرت واذا هو مزيج من حبوب السلكا وقطع الاصداف والمرجان فقلت هذه قطع من الاصداف والمرجان · فقال نعم ولا شيء فيهِ من الرمل الفضي فقلت كلاَّ ولكن ما هو ومن اين اتى · فقال هذا نبأٌ من قاع البحر · من قاع بحر الروم من قاع البحر المتوسط · فقلت وبماذا ينبئنا · فقال ساعرف ذلك قريباً

ثم جعل يطبع السمنت بقطع الشمع كأَنها طوابع وهي القطع التي رأَيتهُ لفها ووضعها في جيبهِ . ونظر الى الطوابع بالميكروسكوب ثم لفها كلها ووضعها جانباً . وسمعنا حينئذٍ واحداً يقرع الباب فدخل واعطى ثرنديك ورقة وقال ان المستر غلدستين عوَّقني كثيراً قبلما اعطاني هذه الورقة فلا تظن اني تأَخرت في الطريق . فاخذ ثرنديك الورقة منهُ وقرأَها وتمعن فيها ثم قام الى رف الكتب واختار منهُ كتاباً وفتحهُ وجعل ينظر فيهِ فنظرت واذا هو بلغتين مختلفتين فقال لي انهُ التوراة بالروسية والعبرانية . ثم قرع الباب ودخل حامل البريد فقام اليهِ فوجد بين مكاتيبهِ مكتوباً رسمياً ازرق الغلاف فقال هذا جواب سوءَالك ثم فضهُ واذا قاضي التحقيق يطلب منهُ بهِ ان يحضر فتح الجثة غداً الساعة الرابعة بعد الظهر لان الدكتور داڤدصن طبيب القسم عزم على فتحها حينئذٍ . فقال سنذهب ولو استاء داڤدصن من ذلك وانا ذاهب الآن الى بلتن لكي يصور لي صفحتين من هذه التوراة بالفوتوغرافيا (وبلتن هذا مساعد لهُ)

ثم تغدينا في اليوم التالي وكنت اراهُ مشغول البال كثير التفكير فقلت لهُ هل جمعت ادلة كافية تقدمها الى قاضي التحقيق . فقال ادلتي كثيرة ولكن يعوزها شيء يربطها بعضها ببعض فاذا امكنني ان اربطها معاً قبل الوصول الى المحكمة صارت مقنعة . ثم دخل بلتن ومعهُ صورتان فوتوغرافيتان في صندوق وهما صورتا صفحتين من التوراة ولكن الحروف فيهما بيضاء على ارض سوداء وقد الصقتا على كرتون كما تلصق الصور الفوتوغرافية عادةً فارانيهما ثرنديك بكل تأَنٍ ماسكاً اياهما من حرفيهما وقال اننا سنقتدي بعلماء اللغات ثم ردهما الى الصندوق وشكر بلتن . وقمنا وركبنا القطار لنذهب الى المكان الذي تفتح فيهِ الجثة ووصلنا الى شارع قديم البيوت والمخازن فجعل ينظر في اسماء المخازن والبيوت الى ان وصل الى بيت فوقف امام بابهِ ورأَى امرأَة فسأَلها عن شيءٍ وسمعتها تقول لهُ الساعة السادسة ونصف . ثم واصلنا السير الى ان وصلنا الى مكان فتح الجثة فوجدنا الدكتور داڤدصن طبيب القسم قد اتمَّ عملهُ وعزم على الخروج فقال لنا اني متأَسف لانني لم استطع ان انتظركما ولكن فتح الجثة انما هو عمل رسمي لا فائدة منهُ في حادثة مثل هذه ومع ذلك لا تزال الجثة مفتوحة وهارت هنا يريكما اياها وودَّعنا ومضى

ولما دخلنا رأَينا الدكتور هارت جالساً يكتب تقريرهُ فقام وجعل يعتذر عن الدكتور داڤدصن فقال لهُ ثرنديك لا داعي للاعتذار لانك غير مسئول عن آدابهِ ولا اريد ان اشغلك وغاية ما اريدهُ ان اتحقق امراً او امرين . فعاد الدكتور هارت الى كتابة تقريرهِ

ودنا ثرنديك من الجثة وجعل يقلّب نظره كأنهُ يبحث عن الرضوض ونحوها ثم انحنى فوق الجرح وجعل يبحث فيهِ ورأيتهُ اخرج اسفنجة وبلورة من جيبهِ ومسح جزءا من عظم الرقبة ونظر اليهِ بالبلورة ثم اخرج كماشة واستخرج شيئاً وامعن نظره فيهِ ولفهُ بورقة ووضعهُ في جيبهِ وقال لقد اكتفيت وصافح الدكتور هارت وقال لهُ سنلتقي غداً عند قاضي التحقيق . وخرجنا وجعلنا نمشي في الشوارع القريبة كمن يقتل الوقت الى ان دقت الساعة السادسة فسار بي في شارع متعرج الى ان وصلنا الى امام دكان بائع تبغ فوقف امام الباب الملاصق لهُ واخرج من جيبهِ الصندوق الذي فيهِ الصورتان الفوتوغرافيتان وجعل ينظر فيهما وهو واقف امام الباب وظلَّ كذلك الى ان جاء رجل قصير القامة مجدور الوجه تدلُّ سحنتهُ على انهُ من غرباء اليهود فقال لثرنديك عفوك فاني ساكن هنا يريد من ثرنديك ان يتنحى لهُ ليفتح الباب ويدخل

فاعتذر ثرنديك اليهِ وتنحى من امام الباب ثم قال لهُ اظنك تعرف العبرانية

فقال الرجل لماذا تسأل هذا السؤال

فقال لان معي كتابتين واحدة باليونانية وواحدة بالعبرانية ولا اعلم ايتهما باليونانية وايتها بالعبرانية . واعطاه الصورتين فمسكها وقال لهُ هذه بالعبرانية وهذه بالروسية لا باليونانية . فاخذهما منهُ وشكره على ذلك واعاد الصورتين الى صندوقهما وسرنا في طريقنا وهو يقول انتهى شغلنا ولم يبقَ الا عملية صغيرة اعملها في البيت وقد وقعت على دليل جديد غفل عنهُ دافدصن وليس من عادتي ان انتقد اعمال رصفائي ولكن هذا الرجل اظهر من قلة الادب ما لا يعذر عليهِ

وكان قاضي التحقيق قد عين الساعة العاشرة من اليوم التالي للحضور الى المحكمة ولكننا اضطررنا ان نتأخر عن ذلك ربع ساعة لان ثرنديك مرَّ في طريقهِ على دار البوليس السري وقابل رئيسهُ فلما وصلنا الى المحكمة رأينا المحلّفين (١) جلوساً وامامهم صف من الكراسي للشهود وهناك المحامي عن المتهمة ورأيت الرجل الذي طلب منهُ ثرنديك التمييز بين العبرانية والروسية وملر مدير البوليس السري وكان قد سبقنا . وكان القاضي يسأل مسز غلدستين فشرحت لهُ الامور التي شرحتها لنا ثم جيء بفتاة اسمها كاتي سلفر فلما وقفت رمت مريم غلدستين بعين الغضب

(١) المحلفون عند الانكليز جماعة من الاعيان يسمعون التداعي في الدعاوي الجنائية والمدنية ويشرح لهم القاضي القوانين المتعلقة بها ثم يتداولون ويحكمون حسبما يتراءى لهم . وسموا محلفين (جوري) لانهم يحلفون على ان يحكموا بالعدل

وكانت مريم واقفة في قفص المجرمين وشعرها منفوش على ظهرها ووجهها اصفر كوجوه الموتى وهي تنظر مدهوشة كأنها في حلم

فسألها القاضي عما تعرفهُ عن القتيلة فقالت انها تعرَّفت بها منذ ثلاث سنوات حين اتت من المانيا وان ليس لها اقارب في بلاد الانكليز ثم صار لها بعض الاصدقاء لانها كانت انيسة المحضر

فقال القاضي وهل لها احد يبغضها

فقالت نعم فان مريم غلدستين تبغضها

فقال وكيف عرفتِ ذلك

فقالت لانها تخاصمت معها من اجل شاب اسمهُ موسى كوهن فانهُ كان اولاً خاطباً مريم ولما رأى منة ألدَر احبها وترك خطيبتهُ فاغتاظت مريم ولامت منة لانها اخذت خطيبها منها وكان لمنة خطيب اسمهُ بتروفسكي فتركتهُ وقالت لمريم خذيهِ بدلاً من خطيبك

فقال لها وماذا قالت مريم

فقالت ان مريم لم يعجبها ذلك لان موسى كوهن اجمل من بتروفسكي ولم تكن تحب بتروفسكي وجعلت اباها يخرجهُ من بيتهم وعلى اثر ذلك حدث ما حدث

فقال القاضي ماذا تعنين

فقالت ان مريم حقدت على منة وقالت انها ستقتلها

فقال ومتى كان ذلك . قالت قبل الحادثة بيوم

فقال ومن سمعها تقول ذلك غيرك

قالت سمعتها واحدة ساكنة معنا اسمها ادث برَينت وسمعها بتروفسكي نفسهُ

فقال القاضي اظنك قلت الآن ان بتروفسكي خرج من البيت

فقالت نعم ولكنهُ ترك صندوقهُ في غرفتهِ واتى حينئذٍ ليأخذهُ

فقال وهل اخذهُ

قالت نعم اخذهُ وكانت مريم قد اخذت اوضتهُ وجعلتها لمنامتها وقد خرجتُ انا وادث ومريم حينئذٍ وتركناهُ في الدار ولما عدنا وجدنا انهُ اخذ صندوقهُ وذهب

ثم امسك القاضي سكيناً كبيرة بيدهِ وقال لها هل رأيت هذه السكين قبلاً

فقالت نعم رأيتها وهي سكين مريم التي تقص بها الرسوم لمحل شغلهُ تزويق الجدران

ثم نودي على بولس بتروفسكي وهو الذي ميَّز لنا الخط العبراني من الروسي فاقسم اولاً ثم يشهد مؤيداً كل ما ذكرتهُ كاتي سلثر . وجاءت بعدهُ ادث برينت فشهدت مثلهُ

فقال القاضي لا بدَّ لنا قبل سماع شهادة الاطباء من سماع شهادة البوليس فما تقول يا حضرة الملازم الفرد باتس . فوقف الملازم وقال دعاني الكونستابل سموندس الساعة الحادية عشرة والدقيقة التاسعة والاربعين فوصلت الى البيت الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثامنة والخمسين مع المفتش هريس وطبيب القسم ولما وصلت وجدت الدكتور هارت والدكتور ثرنديك والدكتور جرفس في الغرفة ووجدت المقتولة منة ادلر في سريرها مذبوحة وكانت ميتة باردة ولا يظهر انها جاهدت قبل موتها ولا اختل نظام سريرها . وكان قرب السرير مائدة عليها كتاب وشمعدان لا شمع فيهِ كأَنَّ شمعته أُشعلت كلها لان طرف الفتيلة لا يزال في الشمعدان . وهناك صندوق وضع الى جانب السرير قرب رأس القتيلة . والظاهر ان القاتل صعد على الصندوق لكي يتمكن من ذبحها لان المائدة تمنعهُ من الوصول الى رأسها وازاحتها قد توقظها . وأستنتجُ من وجود الصندوق ان القاتل قصير القامة

فقال القاضي أكان هناك شيء يدل على القاتل

— نعم خصلة شعر اشقر في يد المقتولة

ولما قال ذلك صرخت مريم غلدستين صرخة مزعجة وأُغمي على امها . واخرج الملازم غلافين من جيبهِ وقال ان الشعر الذي في الغلاف الاول هو الذي وجدناهُ في يد القتيلة والشعر الذي في الغلاف الثاني شعر مريم غلدستين

فنهض محامي المتهمة وقال من اين وصلت الى شعر المتهمة

فقال الملازم من كيس وجدتهُ معلقاً في غرفتها

فقال المحامي اني اعترض على ذلك واقول انهُ لا دليل على ان الشعر الذي في كيس في غرفتها هو شعرها

فقال القاضي للمحامي اني سانظر في اعتراضك والآن دعنا نسمع بقية تقرير البوليس

فقال الملازم لقد فحصت الشعرين وقابلت بينهما فظهر لي انهما من شعر واحد . ورأينا ايضاً قليلاً من الرمل الفضي على الوسادة

فقال القاضي رمل فضي هذا من الغرائب كيف وصل الرمل الفضي الى الوسادة

فقال الملازم لا غرابة في ذلك فقد وجدنا هذا الرمل ايضاً في طست الغسل فان القاتلة غسلت يديها من الدم ومن المحتمل انها غسلت السكين ايضاً ووجدنا على المغسلة صابوناً من الصابون الذي فيهِ رمل والظاهر ان القاتلة وقفت امام القتيلة والصابون على يديها فوقع الرمل منهما على الوسادة

فقال القاضي هذا تعليل غريب ولكنهُ وجيه وحنا المحلفون رؤُوسهم كأنهم رأوا التعليل عين الصواب

ثم قال الملازم ولدى التفتيش في غرفة مريم غلدستين وجد فيها سكين مما يستعمل لقص الرسوم ولكنها اكبر من المعتاد وكان عليها لطخ دم ولما سئلت عنها قالت انها جرحت اصبعها بالسكين فتلطخ بالدم واعترفت ان السكين لها

فوقف المحامي وقال هل فحصتم اصبع المتهمة · فقال الملازم لا اظن ولا اعلم · فكتب المحامي جوابهُ · ثم قال هل وجدتم شيئاً من الرمل الفضي في طست الغسل · فاحمرَّ وجه الملازم وقال اني لم افتش في الطست

ثم جلس المحامي وجعل يكتب ما قالهُ الملازم وظهر كأن المحلفين لم يرضوا عن هذه المسائل

وقال القاضي الآن نسمع شهادات الاطباء ونبتدئ بشهادة طبيب القسم فنهض الدكتور دافدصن وبعد ان اقسم اليمين المعتادة قال لهُ القاضي لقد رأيت المقتولة بعد قتلها وفحصت الجثة أليس الامر كذلك

ناجاب نعم وجدت جثتها في سريرها وسريرها على ترتيبهِ ويظهر انها كانت قد ماتت منذ نحو عشر ساعات واعضاؤُها متيبسة ولكن جزعها غير متيبس وسبب موتها جرح غاير في عنقها قطع العنق الى السلسلة وهو جرح سكين ماضية حزَّت العنق في حزَّة واحدة ولا يمكن ان تكون القتيلة ذبحت نفسها وقد وقف القاتل على صندوق وضع الى جانب السرير والمرجح ان القاتل قصير القامة شديد العضل ايمن لان الحز من اليمين الى اليسار والظاهر ان الموت وقع حالاً والقتيلة لم تجاهد ووجدنا في يسراها خصلة شعر امرأة وقد قابلت بينها وبين شعر المتهمة واري انهما من شعر واحد

القاضي — هل رأيت السكين التي للمتهمة

الطبيب — نعم ورأيت عليها لطخ دم فحصتهُ فوجدتهُ دم حيوان من الحيوانات اللبونة والمرجح انهُ دم انسان ولكن لا يمكنني الجزم في ذلك

القاضي — اكان يمكن ان يحدث الجرح بهذه السكين

الطبيب — نعم مع ان السكين صغيرة بالنسبة الى الجرح ولكن يمكن احداث هذا الجرح بها

والتفت القاضي الى المحامي وقال لهُ اتريد ان تسأل الطبيب شيئاً

فنظر المحامي في اوراقهِ ثم قال نعم لقد سمعنا ان على السكين لطخ دم وقيل قبلاً انهُ وجد دم في طست الغسل وان القاتل غسل يديهِ وسكينهُ في الطست فكيف بقيت لطخ الدم على السكين

فقال الطبيب يظهر ان السكين لم تغسل

المحامي — قلت ان المقتولة لم تجاهد وان الموت وافاها حالاً ثم قلت انها قبضت على شعر القاتلة وانتزعتهُ فكيف توفق بين الامرين

الطبيب — يظهر ان المقتولة قبضت على الشعر في اللحظة الاخيرة من حياتها وهي تسلم الروح · وعلى كلٍ فالشعر وجد في يدها

المحامي — هل من الممكن الحكم على شعر انهُ شعر فلان او شعر فلان

الطبيب — كلاَّ ولكن هذا الشعر خصوصي في لونهِ فيسهل تمييزهُ

وحينئذٍ جلس المحامي وقال القاضي الآن دور الدكتور ثرنديك وهو اول من رأى المقتولة وفحصها

فوقف ثرنديك واقسم اليمين وسألهُ القاضي عن عملهِ فاجاب انهُ استاذ الطب الشرعي في مدرسة سنت مرغريت · وحينئذٍ طلب المحلفون منهُ ان يبدي رأيهُ في الشعر والسكين فقال لهُ القاضي هل ترى ان هذا الشعر الذي في الغلاف الاول هو شعر المتهمة · فاجاب لا شبهة عندي انهُ شعرها

القاضي — انظر هذه السكين اتظن انهُ كان يمكن ذبح المقتولة بها

فاخذ السكين وفحصها ثم ردها الى القاضي وقال نعم كان يمكن ذبحها بها ولكني متأكد انها لم تذبح بها

فقال القاضي ما هي ادلتك على ذلك

اجاب ارى الاصلح ان اسرد لكم حوادث الواقعة كما وقعت على ما يظهر لي

فاشار اليهِ القاضي ليتكلم فقال لاداعي لاضيع وقتكم باعادة ما قيل فان الملازم بايتس وصف الغرفة والدكتور دافدصن وصف حالة المقتولة وكان لها حين رأيناها نحو عشر ساعات ميتة وقد ذبحها غيرها على الاسلوب الذي ذكرهُ الدكتور دافدصن ويظهر ان المرأة لم تستيقظ مطلقاً بل انتقلت من النوم الى الموت رأساً

فقال القاضي ولكنها قبضت على الشعر قبل موتها

فقال ثرنديك انها لم تقبض على الشعر ولكنهُ وضع في يدها وضعاً وجلب القاتل لهذا الشعر ووضعهُ في كفها دليل على انهُ كان متعمداً قتلها ومصمماً عليهِ ودليل ايضاً على انهُ يعرف البيت ويعرف اين يجد هذا الشعر فيهِ

ولما قال ذلك احدق اليهِ القاضي والمحلفون والحضور كلهم مدهوشين وساد السكوت

عليهم جميعاً الاَّ مسز غلادستين فانها ضحكت ضحكاً هستيرياً . ثم قال لهُ القاضي كيف عرفت ان المقتولة لم تنزع الشعر من رأس القاتلة

فقال الامر سهل وادلته ثلاثة وكل منها كافٍ لصحة ما اقول . فاولاً حالة يد المقتولة فان الذي يقبض يدهُ حال موتهِ تبقى يدهُ مقبوضة وتيبس كذلك وهذا ما يسمى باليبس الموتي وهو يدوم مدة ثم يزول وقد كانت يد المقتولة يابسة ولكنها لم تكن قابضة على الشعر بل كانت مطبوقة قليلاً وكان الشعر موضوعاً فيها وضعاً فسهل نزعهُ منها ولولا ذلك لتعذَّر نزعهُ فالشعر وضع فيها بعد الموت

وثانياً اذا نزعنا خصلة شعر نزعاً فاصول الشعر تكون كلها في الطرف الواحد ورؤوسهُ في الطرف الآخر اما هذه الخصلة فبعض اصولها في الطرف الواحد وبعضها في الطرف الآخر من غير انتظام فلا يمكن ان تكون قد نزعت نزعا بشدها من الرأس معاً

وثالثاً وهو الدليل الاهم والاقطع ان هذا الشعر لم ينزع من الراس نزعاً بالنتف بل سقط منهُ سقوطاً من نفسهِ وقت المشط فان في اصل كل شعرة بصلة وغلافاً فاذا نمت شعرة جديدة تحتها دفعتها من امامها فتقع او يسهل نزعها لاقل سبب ولا يقع معها من اصلها سوى غلاف اتصالها بالبصلة واما اذا قلعت قلعاً خرجت البصلة وغلاف اصلها معها . ويمكن ايضاح ذلك بسهولة لكم اذا طلبتم من المتهمة ان تنزع شعرة من شعرها وتريكم اياها وقابلتموها بهذا الشعر

ولم تحتج مريم الى اشارة من احد بل نزعت خصلة كبيرة من شعرها واعطتها للدكتور ثرنديك فوضعها في ماسك يمسكها ووضع في ماسك آخر بعض الشعر الذي وجد في يد المقتولة واعطاها للقاضي فرآها واراها للمحلفين وهو يقول لاشبهة في ذلك لاشبهة فان الفرق بينهما واضح كالشمس . وصمت المحلفون ولكن عضلات وجوههم كانت تتكلم عنهم

ثم قال ثرنديك من اين جاء القاتل بهذا الشعر لقد كنت اظن في اول الامر انهُ وجدهُ في مشط المتهمة ولكن الملازم وجد في غرفتها كيساً فيهِ مشاطة شعرها فالقاتل اخذ الشعر من هذا الكيس

فقال القاضي ارى يا دكتور ان مسألة الشعر قد انجلت لنا تماماً فلا داعي للاطالة فيها فهل رأيت شيئاً يدل على مَن هو القاتل

فاجاب نعم رأيت اشياء تدل على من هو القاتل (ثم التفت الى مدير البوليس السري فنهض ومضى الى الباب خلسة وعاد واضعاً شيئاً في جيبهِ) وبقي ثرنديك يتكلم فقال لما دخلت دار

البيت رأيت خلف الباب رفاً عليهِ شمعدانان من الخزف الصيني في كل منهما شمعة وفي صحن احدهما شمعة قصيرة طولها نحو عقدة والى جانب ممسحة الرجل التي داخل الباب شمع ناقط على الارض وآثار اقدام ملطخة بالوحل وعلى السلم آثار اقدام ملطخة بالوحل ايضاً ونقط شمع وخيط كبريت محروق في الدار واخر امام باب الغرفة · ونقطة من نقط الشمع التي على السلم مدوسة قبل ان تجمد وعليها اثر جالوش ورايت قفل باب الدار مزيتاً وكذلك قفل باب الغرفة وعلى مفتاحهِ علامة تدل على انهُ فتح من الخارج بسلك اعقف بقي اثرهُ في المفتاح وعلى وسادة المقتولة رمل يشبه الرمل الفضي ولكنهُ ليس منهُ وساعود اليهِ · وعلى المائدة التي بجانب السرير شمعدان لا شمع فيهِ ولكن موضع الشمعة فيهِ فوهة معدنية لها ثمانية السنة لمسك الشمعة وفي اسفل الفوهة فتيلة شمعة قديمة محروقة ولكن في اعلى الفوهة قليل من الشمع لاصق بها · فلو تركت الشمعة في الشمعدان حتى احترقت كلها ولم توضع فيهِ شمعة غيرها بعدها لذاب هذا الشمع القليل ولم يبقَ حيث هو فوجودهُ يدل على ان شمعة اخرى وضعت هناك ثم نزعت وبقي اثرها · ولما رأيت ذلك خطر ببالي حالاً الشمعة القصيرة التي رايتها في صحن الشمعدان عند باب الدار فنزلت واخذتها وفحصتها فوجدت فيها آثار الالسنة الثمانية التي في شمعدان غرفة النوم · والشمعدانان اللذان عند باب الدار لا السنة فيهما ولذلك فقد اخذ واحد هذه الشمعة من اسفل واطفأها وصعد بها واشعل عود كبريت في الدار واخر على السلم واشعلها بهِ ودخل الغرفة ووضعها في الشمعدان الذي وجدهُ على المائدة وقد حملها بيدهِ اليمنى وهي سخنة لان اثر ابهامهِ وسبابتهِ عليها واضحة وقد طبعت هذا الاثر في قوالب السمنت التي ترونها هنا (قال ذلك ووضع امام المجلس قطعة الشمعة والطوابع التي طبعها عنها)

فقال لهُ القاضي وماذا تستنتج من ذلك كلهِ

فقال استنتج ان رجلا دخل البيت قبل الحادثة وزيَّت القفلين واخذ خصلة الشعر ثم دخل البيت ليلاً قبيل الساعة الثانية وقلت قبيل الساعة الثانية لان السماء امطرت ليلتئذٍ من الساعة واحدة ونصف الى واحدة وثلاثة ارباع فسرى بعد المطر كما يظهر من آثار الوحل واخذ الشمعة من اسفل واطفأها وصعد بها واشعل الكبريت ليرى طريقهُ وفتح الباب بسلك اعقف ودخل ووضع الشمعة في الشمعدان وذبح المرأة وغسل يديهِ وسكينهُ ثم نزل بالشمعة وطرحها في صحن الشمعدان الذي عند الباب

اما الرمل فقد اخذت بعضهُ وفحصتهُ فوجدتهُ من رمل بحر الروم من السواحل الشرقية لان فيهِ كسر نوع من الصدف لا يكون الاَّ هناك

فقال القاضي هذا من الغرائب وكيف وصل رمل بحر الروم الى غرفة في لندن

فقال ثرنديك الامر بسيط ان الاسفنج الذي يقلع من سواحل سورية يكون فيهِ كثير من هذا الرمل · والمخازن التي تجلب هذا الاسفنج وتنظفهُ وتتاجر بهِ يكثر الرمل فيها حتى يغوص الانسان فيهِ الى كواحلهِ والعمال الذين يفرغون الاسفنج وينفضونهُ وينظفونهُ ويحزمونهُ تمتلئ ثيابهم رملاً فاذا كان القاتل واحداً منهم واخنى ذوق المقتولة فلا بدَّ من ان يقع من ثيابهِ وجيوبهِ شيءٌ من هذا الرمل · وحالما تحققت ذلك كتبت الى المستر غلدستين اسألهُ عن اسماء الذين يترددون على بيتهِ وعمل كل منهم فارسل اليَّ كشفاً بذلك ورأيت ان بينهم رجلاً يشتغل بفتح الاسفنج وحزمهِ وعلمت ان الاسفنج الجديد وصل الى لندن منذ ايام قليلة فصارت المسألة الآن هل هذا الرجل هو الرجل الذي ترك آثار انامله على الشمعة فصنعت صورتين فوتوغرافيتين من كتاب بالعبراني والروسي وجعلت هذا الرجل يمسكهما ثم ذررت عليهما ذروراً يظهر آثار الانامل عليهما وها الصورتان وآثار اناملهِ عليهما وها آثار اناملهِ على الشمعة والآثار واحدة كما ترون

ولم يكد ثرنديك يسلّم الصورتين والطوابع المطبوعة عن الشمعة للقاضي حتى قام بتروفسكي ومشى نحو الباب خلسةً واراد فتحهُ فلم ينفتح فعالجهُ فلم ينفتح وادرك حينئذٍ انهُ قد اقفل فقبض عليهِ وحاول خلعهُ وجعل يهزهُ كالمجنون وقد جحظت عيناهُ وتوترت يداهُ · ولما رأى ان الباب لا ينفتح استلَّ سكيناً من نطاقهِ وهجم على ثرنديك ولكن مدير البوليس السري كان مستعداً لهُ فقبض عليهِ والسكين في يدهِ

فقال لهُ ثرنديك اعطِ هذهِ السكين للقاضي ثم قال للقاضي انظر فيها جيداً واخبرني هل ترى عند رأسها ثلماً صغيراً مثلث الشكل

فتفحصها القاضي وقال نعم فيها ثلم صغير فهل رأيتها قبلاً

فقال كلاَّ ولكن الأولى ان اتمم كلامي ولا حاجة بي الآن ان اقول لكم ان آثار الاصابع هي آثار بتروفسكي هذا · وحسب امر المحكمة مضيت وشاهدت فتح الجثة وقد وصف لكم الدكتور دافدصن الجرح فلا داعي لاعادة وصفهِ ولكنهُ لم ينتبه الى شيء فيهِ اثبتهُ لهُ انا وهو انني وجدت في عظم الرقبة قطعة صغيرة من الفولاذ فاستخرجتها وها هي وارجح انها من هذه السكين فانظرها يا حضرة القاضي

ثم سلم الغلاف الذي فيهِ قطعة الحديد للقاضي فوضع القاضي السكين على ورقة وادنى قطعة الفولاذ من الثلم الذي فيها وقال اصبت فانها انطبقت على الثلم تماماً

ولما قال ذلك وقع بترفسكي على الارض لا حراك بهِ

ولما عدت انا وثرنديك من المحكمة قال لي ان هذه المسألة تعلمنا امراً ذا شأن فقلت وما هو قال اذا اكتشف قتيل في مكان وجب ان يُحفَظ كل ما في ذلك المكان على حالهِ لان لكل شيء دلالة قد يكون لها الشأن الاكبر في اكتشاف المجرم ويجب ان لا يدخل احد من رجال البوليس الاَّ بعد ما يدخل رجل خبير بالتحقيق اتم الخبرة · فلو لم يتفق اننا وصلنا قبل غيرنا لما وجدنا الادلة التي هدتنا الى معرفة الجاني

سياحة الياس الموصلي

عثرت في مكتبة نظارة الهند على كتاب عربي كتب سنة ١٦٨١ يتضمن وصف سياحة لاحد كهنة العراق في اوربا واميركا · والكتاب مكتوب بالخط النسخي واسم المؤلف الخوري الياس بن حنا الموصلي الكلداني · ولغة الكتاب عامية الاَّ المقدمة التي يظهر ان المؤلف سرقها من كتاب آخر لانهُ لا مناسبة بينها وبين لغة الكتاب · وقد وصف رحلتهُ من بغداد الى باريس الى مدريد ثم الى البيروه والمكسيك ومنها الى اسبانيا حيث كتب كتابهُ

وكلامهُ عن اوربا وصفي اما عن اميركا فاكثرهُ تاريخي مسنداً الى مؤرخي الاسبانيين وهو واصفاً خيرٌ منهُ مؤرخاً لانهُ في الوصف ينقل للقارىء آراءهُ وما يشعر بهِ عما رآهُ واما في التاريخ فهو ناقل غير مشبع حاشياً كلامهُ بالخرافات

١ فهرست الكتاب

قال المؤلف ما خلاصتهُ : اولاً عن اخبار سفرتي في خروجي من بغداد وسياحتي في بلاد الافرنج المتصلة حتى بلاد هند البيروه · وثانياً في اخبار خروجي من سلطنة البيروه وانحداري الى نيكيدينيا (المكسيك) ومنها لرجوعي لاسبانيا · ثم سبعة عشر فصلاً عن اكتشاف البيروه وعن ملوك الهنود · الفصل الاول عن الصين والثاني عن اكتشاف هند الغرب والثالث عن فتح البيروه والسادس عن هزيمة اهل بيروه

وبقية الفصول على هذا الشكل وبعضها مخصص للتبشير ومملوء بقصص عن ظهور العذراء ومعجزاتها

٢ حكاية السياحة

بعد ان شكر الله ومدحهُ في ما يزيد عن الصفحتين على عادة كتَّاب العرب حمل على

نصاري المشرق وصوَّب عليهم لعناتهِ لانفصالهم عن رومية قائلاً ومستشهداً بآيات من التوراة ان الله عاقبهم بما سلط عليهم من الحكام المستبدين · ثم وصف رحلتهُ من بغداد الى القدس حيث انتصر على عصبة من اللصوص بشفاعة العذراء ومن القدس سافر الى اسكندرونة حيث ركب سفينة انكليزية فمر على قبرص وكريت والبندقية حيث مكث مدة يتنزه فيها ثم اقلع منها الى رومية وهناك قابل البابا ونال منهُ كتب التوصية المطلوبة · ولكنهُ لم يمكث طويلاً في ايطاليا بل سافر منها الى فرنسا · وهناك ترك العنان لقلمهِ في مدح لويس الرابع عشر الذي دعاهُ واظهر سرورهُ بلقياهُ · ومدحهُ للويس وتفخيمهُ اياهُ يذكرني بالشعراء المصريين في مدحهم عبد الحميد · وقد هالتهُ مباني باريس وقصورها وغنى الفرنسويين ودلائل الرخاء والبركة على البلاد ونسب ذلك كلهُ الى عدل لويس الرابع عشر · ومن باريس نزل جنوباً الى اسبانيا حيث مكث قليلاً ببرشلونه · ثم التزم ان يرجع الى رومه حيث كان اخوهُ يتعلم في مدارسها فلما وصلها وجدهُ قد ختم درسهُ فودعهُ وسفرهُ الى وطنهِ · وقضى مدة يروح ويجيء بين رومه وصقلية في طلب الف قرش ولما يئس سافر الى مدريد يشتكي للملكة من سوء حالهِ فنزل عند احد الاشراف ومدح كرمهُ وكانت ام الشريف مريضة فلازمها حتى شفيت فارادت مكافأتهُ فقالت لهُ « ايش يطلب حتى تهبهُ » فشاور اخوانهُ فنصحوا لهُ بالذهاب الى اميركا بلاد الذهب · فسافر سنة ١٦٧٥ من احدى موانئ البرتغال وقد سافرت بجانب سفينتهِ اربع عشرة سفينة اخرى

وحينما كان في المحيط نشبت الحرب بين فرنسا واسبانيا وهاج البحر حتى خاف احدهم ومات من كثرة الوهم

ولما وصل الى البزيل (البرازيل) وصف حيواناً في انهرها يشبه التمساح قال وهو يخرج الى البر فاتحاً فاه فتنزل العصافير وتنقر اسنانهُ فتنظفها وهو لا يضرها

وكان الذين حولهُ ينظرون اليهِ بعين الاحترام لانهُ زار القدس ويطلبون منهُ ان يباركهم بالكلداني

قال وزرت رجلاً طاعناً في السن يقال انهُ عاش مئة وخمسين سنة قال لي انهُ لما اتى الاسبان الى بزيل ظنوهم حيتاناً عائمة في البحر

وقال عن فتح بيزارد لبيروه : وكانت قلوب الاسبان قاسية على الهنود ولا يجوز لنا ذكر اعمالهم لئلا يضجر القارئ ويتألم قلب السامع

وقال في الفصل الثالث عشر عن هنود البيروه : انهم كانوا يقربون لسلطانهم الجديد مائتي

طفل مما لا تزيد اعمارهم عن اربع سنوات وعند الزواج يوضع بين العريس والعروس قدر فيها شحم الغنم فيلقي فيها العريسان ناراً فاذا احترقت يقول لهما الشبين : الان قد تزوجتما ثم يعظهما بان لا يتعب الواحد ويشتغل ويتنزه الآخر على تعبهِ

وحبذا لو اكثر المؤلف من وصف العوائد بدلاً مما ذكره من التاريخ

لندن سلامه موسى

(المقتطف) نلتمس من حضرة الكاتب ان يخبرنا عن حجم الكتاب وكم يملأ من صفحات المقتطف لو طبع بحرفهِ وقطعهِ . ومن مشتركينا في بغداد ان يخبرونا عما يعرفونهُ عنهُ

اما الف القرش التي ذكرها حضرة الكاتب بالاستغراب فكانت تساوي حينئذٍ مئة جنيه انكليزية لان قيمة القرش كانت شلنين او اكثر قليلاً وكانت تشتري حينئذٍ ما لا يشترى الآن باقل من مئتي جنيه او ثلثمئة جنيه فهي ليست مما يستخفُّ بهِ

جزيرة كريت

يرى جمهور من الكتاب ان اهم المسائل العثمانية الحاضرة مسألة كريت فرأينا ان نصف حال تلك الجزيرة كما هي الآن لانهُ ظهر لنا ان احوالها خافية حتى على بعض رجال السياسة الذين في يدهم الحل والعقد . وقد التزمنا الاختصار التام

جغرافية الجزيرة

كريت جزيرة كبيرة في البحر المتوسط المعروف ببحر الروم جنوبي بلاد اليونان تبعد ستين ميلاً عن رأس ماليا في بلاد اليونان و ١١٠ اميال عن رأس كريو في الطرف الغربي من بر الاناضول و ١٠٠ ميل عن جزيرة رودس و ٣٠٠ ميل عن جزيرة قبرص

طولها نحو ١٦٠ ميلاً وعرضها يختلف بين ٣٠ ميلاً وستة اميال ومساحتها ٣٣٦٥ ميلاً مربعاً . وهواؤُها طيب مقوٍ للابدان . ويقع فيها من المطر سنوياً قدر ما يقع في بلاد الشام تقريباً . ويشتد الحر في سهولها في يوليو واغسطس وسبتمبر ولكن النسيم البحري يلطفهُ وحرها في بقية السنة معتدل . واكثرها جبلي ولا سيما في الجانب الغربي منها حيث جبال شامخة يقال لها الجبال البيضاء وفي وسطها جبل ايدا وهو اعلى جبالها ارتفاعهُ ٨٠٥٥ قدماً عن سطح البحر واما جانبها الشرقي فقليل الجبال وتكثر الاودية الخصيبة فيهِ . وانهارها غدران تغزر شتاء وتجف صيفاً ولكن الينابيع كثيرة فيها فتروي مزروعاتها الصيفية

وسواحلها كثيرة الاجوان وفي ساحلها الشمالي مرافئ امينة للسفن اشهرها خليج سودا وفي جنوبيها مرفأ امين ايضاً وهو المعروف بالمواني الحسنة وقد ذكر هذا المرفأ بهذا الاسم منذ ١٩٠٠ سنة في اعمال الرسل من الكتاب المقدس . ولكريت جزائر صغيرة تابعة لها

وحاصلات الجزيرة القمح والاثمار ولا سيما البرتقال والليمون والعنب واهم اشجارها شجر الزيتون وفيها الكستنا والسنديان و الخروب

وقد بلغت قيمة صادراتها سنة ١٩٠٧ نحو ١٢ مليون فرنك او دراخمة وقيمة وارداتها نحو ١٨ مليون فرنك واهم صادراتها زيت الزيتون والصابون والخروب وقموع البلوط والاثمار الطرية واليابسة والكستنا والجلود والجبن والحرير . واهم وارداتها الدقيق والرز والشعير والتبغ والسكر والزبدة والبن والمعادن

وفي احصاء سنة ١٩٠٠ وجد عدد سكانها ٣١٠ ١٨٥ نفساً ومنهم ٨٤٨ ٢٦٩ من المسيحيين و٤٩٦ ٣٣ من المسلمين و٧٢٨ من اليهود و٦١١٣ من الغرباء ومن سنة ١٨٩١ الى ١٩٠٠ زاد عدد المسيحيين فيها ٢٥٦ ٦٢ نفساً ونقص عدد المسلمين ٩٥٥ ٣٩ نفساً . ولغة السكان اليونانية يتكلمونها كلهم

واكبر مدنها خانيا العاصمة وكان عدد سكانها ٥٣٧ ٢٤ في احصاء سنة ١٩٠٠ . ورتمو وكان عدد سكانها ٣١١ ٩ وكنديا وكان عدد سكانها ٧٧٤ ٢٣ . وكان في الجزيرة كلها ٣٥٠٠ كنيسة و ٥٥ جامعاً و٥٨ ديراً

والمرجح ان عدد السكان زاد من سنة ١٩٠٠ الى الآن كما زاد بين سنة ١٨٩١ و ١٩٠٠ فيكون عدد سكانها الآن نحو اربع مئة الف نفس ونحو تسعة اعشارهم من المسيحيين

تاريخها

عمران كريت قديم جداً مثل عمران مصر وبابل وفينيقية وقد تقلبت عليها دول كثيرة وسكنها شعوب مختلفة الى ان استولى عليها آل عثمان سنة ١٦٦٩ . وشاركت اليونان في ثورتهم سنة ١٨٢١ فاحتلتها الجنود المصرية من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٠ وأُعيدت بعد ذلك الى الدولة العلية . وثار اهلها سنة ١٨٥٩ و ١٨٦٦ ثم توالت الثورات فيها الى ان تداخلت انكلترا وفرنسا وروسيا في امرها وجعلت حكومتها دستورية سنة ١٨٩٨ واقيم عليها حاكم قومسيراً سامياً وبقيت من املاك الدولة العلية ولكنها أُعفيت من دفع الجزية . وسنة ١٩٠٦ أُعطي ملك اليونان حق تعيين هذا القومسير السامي وارسال الضباط لقيادة الجندرمة الكريتية . ولا يظهر ان الباب العالي صادق على هذا الامر الاخير الا اذا كانت المصادقة سرية لم تعلن

حالتها الحاضرة

الدستور او نظام الحكومة الذي مُنحتهُ كريت في ٢١ فبراير سنة ١٩٠٧ يقضي بان يكون لها مجلس فيهِ ٦٥ نائباً ينتخبون لمدة ثلاث سنوات والمجلس يجتمع عادة شهرين او ثلاثة اشهر كل سنة من اول مايو والقومسير السامي هو رئيس السلطة الاجرائية وهو الذي يعين النظار او المشيرين وهم اربعة يجتمعون مع النواب ويشاركونهم في المذاكرات ويصوتون معهم · والمسائل الخاصة بعلاقة كريت مع الدول الاجنبية يفصل فيها معتمدو الدول الاربع الحامية لكريت

والتعليم اجباري اسماً لكل ولد عمرهُ بين ٦ سنوات و ١٠ وكان في الجزيرة في العام الماضي من المدارس الابتدائية ٦٢١ مدرسة للمسيحيين فيها ٧١٤ ٢١من الذكور و٤٣٥ ٨من الاناث و ١٩ مدرسة للمسلمين فيها ٢٤٣ ١ من الذكور و٧١٤ من الاناث ومن المدارس الثانوية ٢٩ وكلها للمسيحيين وفيها ٧٣٩ ٣ من الذكور و ٤٣٥ من الاناث وتنفق الحكومة ٧٥٠ ٠٠٠ فرنكاً كل سنة على التعليم · ونظام القضاء فيها مثل نظامهِ في بلاد اليونان · وفيها محكمتان استئنافيتان و ٥ مجالس للجنايات و ٢٦ محكمة جزئية وفيها من البوليس والجندرمة نحو ١٠٠ ٢ نفس ضباطهم من اليونان

وقد بلغ دخل الحكومة في العام الماضي ٢٢٠ ٩٥٠ ٥ فرنكاً ونفقاتها ٠٩٦ ٦٦٢ ٤ فرنكاً ونحو نصف الدخل من الجمارك وما بقي من احتكار التبغ والملح والتمغة ورسوم المحاكم

وعلى الحكومة دين يبلغ ٥٣١٧٢٢٦ فرنكاً وهي مخولة ان تعقد قرضاً جديداً بقيمة ٩٣٠٠ ٠٠٠ فرنك لتنفقهُ على المنافع العمومية وقد تنازلت لها الدولة العلية عن حقها في احتكار الملح سنة ١٩٠١ مقابل مبلغ ٥٠٠ ٠٠٠ ١ فرنك · وفيها بنك عمومي رأس مالهِ خمسة ملايين فرنك وبنك زراعي رأس مالهِ نحو ٤ ملايين فرنك · ونقودها مثل نقود اليونان اساسها الدراخمة وقيمتها مثل قيمة الفرنك تماماً اي كل ٢٥ دراخمة وربع تساوي ليرة انكليزية

هذه جغرافية الجزيرة وهذه خلاصة تاريخها وهذه حالتها الحاضرة ويظهر منها انها مستقلة استقلالاً ادارياً تاماً مثل مصر وتزيد عليها بانها لا تدفع جزية (ويركو) · فاذا امكننا ان نردها الى احضان السلطنة العثمانية حتى تكون مساوية لغيرها من الولايات في ما لها وما عليها من غير ان نضر بسكانها فحسناً نفعل لها لان اتصالها بمملكة كبيرة قوية كالمملكة العثمانية خير لها من اتصالها بمملكة صغيرة ضعيفة كالمملكة اليونانية · واذا لم نشأ ان نراعي

مصلحتها الخاصة بل مصلحة المملكة العثمانية عموماً كما هو الواجب علينا فلا غنى لنا عن استعمال السياسة في اعادتها الينا اولاً فان لم تفلح فلا بد من استعمال القوة

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى

ولكن يجب ان نحسب حسابنا قبل الاقدام على استعمال القوة لان الدول الاوربية تدّعي انها مخولة حقوقاً في كريت من حين موتمر برلين ورجال السياسة العثمانيون مسؤولون لدى الامة العثمانية عن حفظ حقوق الامة العثمانية باقل ما يمكن من النفقات مالاً ودماً ومقاماً فليحسبوا حسابهم وليعلموا انهم مطالبون بكل ما يفعلون

رسائل الاستانة

ذهب احدنا الدكتور فارس نمر الى الاستانة العلية في اواسط يوليو الماضي ليقف على احوالها ثم كتب عما رآه وسمعهُ فيها رسائل نشرت في المقطم · وقد طلب الينا ان نثبتها في المقتطف لما حوتهُ من الامور الحرية بالمراجعة فاثبتناها في ما يلي

(١) الصدر الاعظم والعثمانيون في مصر

لما وصلت الى الاستانة رأيت ان اقوم بواجب الولاء والاحترام لسمو الامير الذي استظل برايتهِ واستوطن بلادهُ فتوجهت مع سعادة الفاضل سعيد شقير باشا مدير عموم حسابات السودان الى قصر دولة الوالدة ببلدة بيك على ضفة البسفور · وهو قصر ينبسط البسفور كالبساط الازرق على جانبهِ الشرقي وترتفع اكمة ملتفة الاشجار تحكي اجمل آكام سويسرا على جانبهِ الغربي وامامهُ جنة غناء تعجز عن وصف محاسنها قرائح الشعراء · يشعر الداخل اليهِ ببسط وانشراح كما يشعر الجالس فيهِ والمتمتع بجمال المناظر التي حولهُ بمزيد السرور والارتياح · فقابلنا هناك سعادة محمود شكري باشا وقضينا مدة من الزمان نتفكه بطلاوة حديثهِ ومحاسن ما قصهُ علينا من اخبار دار السعادة ثم كتبنا اسماءنا في السجل وودعنا وانصرفنا · وفي اليوم التالي وصلني كتاب من سعادة يوسف بك صديق يخبرني فيهِ ان سمو الخديوي المعظم تعطف وعين الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الاربعاء (غد ذلك اليوم) لمقابلتنا · نتشرفنا بالمقابلة في الوقت المعين بعد خروج سعادة رشدي باشا ناظر الحقانية من مقابلة سموهِ فابقانا سموهُ في حضرتهِ ساعة من الزمن اطلعنا فيها على طرف يسير من معلومات لا تحصى وعاها ذهنهُ

مدة اقامتهِ في الاستانة · ومن جملة ما اتحفنا بعلمهِ ان حضرة الفاضل رفيق بك العظم رفع الى الصدارة العظمى عريضة عن العثمانيين بمصر يشكون فيها انهم لا يعاملون المعاملة المرومة في القطر المصري واردف سموهُ هذا الخبر بكلام لطيف يشعر بالاستغراب بعدما هو معلوم من ميل سموهِ الى رعاياهُ العثمانيين وغيرتهِ عليهم ورغبتهِ في حسن معاملتهم · فاجبت سموهُ اني لم اسمع بهذه العريضة الاَّ تلك الساعة ولا اعلم شيئاً مما هو مذكور فيها فلذلك لا ادري ما اقولهُ عنها · ثم تحوَّل سموهُ في الحديث الى موضوع آخر

وبعد ذلك بيومين تشرفنا بمقابلة فخامة حسين حلمي باشا الصدر الاعظم في قصرهِ في حي قيل لي انهُ حي الاعيان بالاستانة ويسمي نشانطاش فالتقيت هناك بمبعوث اليمن في مجلس المبعوثان واخبرني انهُ عائد الى بلادهِ قريباً بعد ان تقرر اعطاؤُها شبه استقلال اداري

ثم دخلت على فخامة الصدر الاعظم ودار الكلام بيننا بالفرنسوية لانهُ يستسهل التكلم بها على ما يظهر اكثر من التكلم بالعربية · ومن غريب ما يقال اني كنت قد قابلت كثيرين قبل مقابلتهِ وبعد التشرف بمقابلة سمو الخديوي المعظم فكان فخامتهُ اول من كلمني منهم عن العثمانيين في الديار المصرية واول من سألني عن احوالهم واخبار راحتهم ورفاهيتهم فشرحت لفخامتهِ طرفاً من اخبار تقدمهم ونجاحهم ودلائل مقدرتهم وذكائهم ونتائج سعيهم وعلو همتهم وكنت الحظ علامات السرور والابتهاج تلوح على وجههِ كلما اوردت لهُ شواهد تقدمهم وكفاءتهم · فقال لي حينئذٍ ما مضمونهُ ان ذكاء العثمانيين في مصر محسوب عليهم لانهُ بلغهُ انهم لا يعاملون كما يعامل سائر المصريين الوطنيين بل قد ضيقت عليهم سبل التمتع بمزايا الوطنية والاستخدام في الحكومة المصرية فادركت حينئذٍ وجه الشكوى التي بلغت فخامتهُ وقلت في نفسي لا بدَّ وان تكون من قبيل الشكوى القديمة التي طالما رددها العثمانيون على صفحات جرائدهم

فقلت لفخامتهِ اتصل بي ان حضرة الفاضل رفيق بك العظم رفع الى فخامتكم عريضة شرح فيها اماني العثمانيين في مصر بعد انقضاء عهد الاستبداد وابتداء عهد الدستور فقال اتعرفون رفيق بك العظم قلت نعم · قال انهُ قابلني وكلمني عن العثمانيين في مصر وشرح لي احوالهم واخبرني بمثل ما اخبرتموني بهِ عن نجاحهم ولكنهُ ذكر ايضاً ان العثماني لا يعد مصرياً في القطر المصري الاَّ بعد ما يقيم فيهِ خمس عشرة سنة ويستوفي شروطاً معلومة وانهُ بعد ذلك لا يشارك المصري في بعض مزاياهُ الوطنية وانهُ لا يعامل في مصر كما نعامل نحن المصريين في سائر الولايات العثمانية بلا فرق ولا تمييز بينهم وبين سائر العثمانيين

فقلت ان هذا الذي قالهُ حضرة رفيق بك العظم لفخامتكم مطابق للواقع وقد مضت عليهِ

سنون عديدة وقد شكت منهُ الجرائد العثمانية المصرية كثيراً في حينهِ واستغاثت بالقوميسير العثماني السامي فلم يستطع ان يغيثها لان دولة الاستبداد لم تكن تؤيد رجال حكومتها ورجال حكومتها لم يكونوا يستطيعون اغاثة رعيتها . والحكومة المصرية لم تكن تقصد غير الخير لرعاياها العثمانيين ولكن السياسة التي استصوبتها هي ان تقدم اولاً رعاياها الوطنيين والعثمانيون لم يبدوا منازعة ولا معارضة في هذا التقديم بناء على ان صاحب البيت اولى ببيتهِ . ولكن الامور تتبع بعضها بعضاً ولذلك شكا العثمانيون لما رأوا الاجانب الذين يسابقونهم في ميدان التجارة وغيرها من المعايش مشدودي الازر محميي الظهر بمساعي قناصلهم ونفوذ دولهم ورأوا دولتهم لا تسأل عنهم ولا تهتم بامورهم ولا تمد يداً ولا تفوه بكلمة لقضاء مصالحهم وترويج اشغالهم كما تفعل دول سواهم . ولولا ميل الحضرة الخديوية اليهم وعناية الحكومة المصرية العامة بهم وبسواهم لساءت حالهم وتأخروا كثيراً عن سواهم بسبب اهمال دولتهم لهم ولمصالحهم فهم ينتظرون من دولتهم الدستورية الآن اصلاح ما قصرت فيهِ الدولة الاستبدادية منذ زمان

فقال فخامتهُ ما معناهُ انهُ لا يسلم باقل فرق ولا تمييز بين العثمانيين واخوانهم المصريين الوطنيين بل يجب ان يعامل الجميع معاملة واحدة على السواء وان يكونوا متساوين في الحقوق كما يتساوون في الواجبات . قال ونحن نطلب ان تعاملوا في مصر كما يعامل المصريون هنا فقد انتظم كثيرون منهم في الجيش العثماني فعاملناهم كما نعامل ضباطنا وعساكرنا تماماً وقد جاءني رجال نظارة الحربية بالامس يسألونني عن مدة الخدمة التي نحسبها لهم فقلت لهم احسبوها من يوم دخولهم في المدرسة الحربية المصرية كما نحسبها للضباط العثمانيين من يوم دخولهم في المكتب الحربي واعتبرنا المدرسة الحربية المصرية كمكتب حربي عثماني . وهذا الذي نعامل بهِ المصريين في بلادنا نطلب ان يعامل بمثلهِ العثمانيون في بلاد مصر

ثم قال فخامتهُ فلما كلمني رفيق بك بما تقدم قلت لهُ اكتب ذلك وارسلهُ اليَّ فكتبهُ وارسل العريضة اليَّ فارسلتها الى دولة رؤوف باشا القوميسير العثماني السامي لكي ينظر فيها ويجري الواجب . ثم ذكرت شيئاً عنها للجناب الخديوي العالي فاظهر سموهُ ميلهُ وحسن استعدادهِ لازالة اسباب الشكوى فانهُ يعد العثمانيين من اخص رعاياهُ المخلصين فارسلت حينئذٍ الى رؤوف باشا اطلب العريضة منهُ لكي اطلع سموهُ على ما جاء فيها فاجابني دولتهُ انهُ كان منحرف المزاج في هذه المدة وانهُ لم يهتدِ الى المكان الذي وضع فيهِ العريضة . فان كان للعثمانيين في مصر شكاوي يريدون من الحكومة الدستورية ازالتها او اماني يتمنون منها تحقيقها فما عليهم الا ان يكتبوا عنها

فقلت اني اشكر لفخامتكم على حسن عنايتكم واعدكم بان ازف الى العثمانيين بمصر هذه البشرى المتضمنة وصيتكم . ثم انتقلنا الى حديث آخر الخصه في مقالاتي التالية

(٢) البطريرك المسكوني وجمعية الاتحاد والترقي

ان حضرة الفاضل بهاء الدين بك الذي تولى دعوة الضيوف الى الوليمة التي اولمتها جمعية الاتحاد والترقي في سراي يلديز مساء يوم الاحتفال بعيد الدستور والحرية لما علم بوصول مدير المقطم الى الاستانة تفضل فارسل اليهِ رقعة خصوصية يدعوهُ فيها الى تلك الوليمة ويخبرهُ انهُ حفظ للمقطم مكاناً خصوصياً على المائدة . فتوجهنا الى هناك ووجدنا الحفلة جامعة لكل ذي شأن ومقام من اكابر اهل الاستانة واعيانها ووجهائها كما سنذكرهُ في المقالات التي سننشرها عن حقيقة الحال في الاستانة ورأينا هناك بطاركة الطوائف المسيحية ايضاً . ولما كنا قاصدين مقابلة غبطة البطريرك المسكوني اعظم بطاركة الروم الارثوذكس ومقدام العنصر الرومي في السلطنة لمعرفة ما يقولهُ عن المسائل الواقعة بينهُ وبين الحكومة في الاستانة وعن مركز العنصر الرومي بين العناصر العثمانية بعد الحوادث التي حدثت في المدة الاخيرة من عهد الدستور المعروف عند الترك « بالمشروطية » طلبنا الى صديق من اصدقائنا الوجهاء ان يقدمنا الى غبطتهِ في تلك الحفلة كما قدمنا الى كثيرين آخرين فيها فاجابنا ان غبطتهُ لم يحضر الى الوليمة فقلنا ولماذا ألم تدعهُ الجمعية اليها كما دعت غيرهُ . قال بل دعتهُ في مقدمة المدعوين ولكن غبطتهُ رفض الدعوة وابى الحضور فقلنا ولماذا . قال اننا نحن نعلم هنا انهُ رفض الدعوة ولكن غبطتهُ ادرى باسباب رفضهِ لها . وقطعنا الحديث عنهُ

ثم زرنا غبطتهُ في بطريركية الفنار وجرى لنا معهُ حديث طويل دام ساعة و ٤٥ دقيقة شرح لنا فيها آراءهُ بالتفصيل عن كل المسائل والمشاكل الحالية وعن الخلاف الواقع بين الروم الارثوذكس في القدس الشريف وسائر بلاد فلسطين وبين رهبان دير الروم في القدس ومن جملة ذلك ايضاً اسباب عدم قبولهِ دعوة جمعية الاتحاد والترقي الى الوليمة

هذا وقد قابلنا في حياتنا عدداً عديداً من اعاظم رجال العالم في الدين والعلم والسياسة والامور الاجتماعية والمالية والاقتصادية وحادثناهم ملياً . والحق يقال اننا وجدنا غبطة بطريرك الفنار الحالي من اجلاهم فكراً واصرحهم تعبيراً واثبتهم رأياً واشدهم في نفس سامعيهِ تأثيراً بحيث لا يسع سامعيهِ الا الاعتراف لهُ بقوة الحجة ودقة الرأي وبعد النظر في الامور سواء كان على رأيهِ او لم يكن . فلما قلنا لهُ اننا قصدنا التشرف بمقابلة غبطتهِ في الوليمة ولكن قيل

لنا انهُ لم يحضر اليها قال نعم اني دعيت اليها ولكني لم اقبل الدعوة ولم احضر الى الوليمة لاسباب اربعة احب ان يعلمها الناس على حقيقتها وخصوصاً ابناء طائفتنا من قراء العربية لان كل سبب منها يوجب علينا عدم الحضور في الوليمة . فوعدت غبطتهُ بنشرها . فقال

اما السبب الاول فهو ان الوليمة كانت مساء الجمعة . ويوم الجمعة عندنا يوم صوم « وقطاعة » كما هو معلوم . فلا يجوز لبطريرك الفنار الذي يتخذهُ ابناء طائفتهِ في العالم كلهِ قدوة لهم ان يحضر وليمة تؤكل فيها اللحوم والاطعمة التي يمتنع « القاطع » عن اكلها لكي لا يكون حجر عثرة في سبيل اخوتهِ وابناء كنيستهِ

واما السبب الثاني فهو اننا نحن الرؤساء الروحيين رجال زهد وتقشف وابتعاد عن الملذات العالمية فحضور الولائم والمآدب وحفلات البسط والفرح ليس لنا بل لسوانا

واما السبب الثالث فهو ان بطريرك الفنار ليس مطلق السراح كبطريرك الارمن الارثوذكس او بطريرك الارمن الكاثوليك مثلاً بل مقامهُ مقيد بمراعاة امور واعتبارات في روسيا وبلاد البلقان وبلاد اليونان . ولهذا لم يكن يسعني قبول الدعوة وحضور الوليمة الاَّ بعد مراعاة تلك الامور والاعتبارات وذلك يستغرق زمناً ويقتضي مفاوضة

(وكنا نود ان نسأل غبطتهُ زيادة الايضاح عن تلك الامور والاعتبارات ولكن مدار حديثنا مع غبطتهِ كان على امور اهم منها فلم نشأ ان نتمادى في الكلام عنها لكي لا يضيق بنا الوقت عن الكلام على سواها) واما السبب الرابع فهو ان جمعية الاتحاد والترقي ارسلت تدعوهُ الى الوليمة بعد ما حملت عليهِ جريدتها طنين حملة منكرة وقالت فيهِ اقبح مما مالك في الخمر وطعنت على غبطتهِ طعناً شخصياً حتى انها شبهتهُ بجانٍ من كبار الجناة وقالت انهُ تحق عليهِ العقوبة التي حقت على ذلك الجاني الى غير ذلك مما لم يسبق لجريدة فضلاً عن هيئة كالجمعية ان تقولهُ في رئيس قوم محترم المقام شرقاً وغرباً كالبطريرك المسكوني في العالم . فحفظاً لحرمة المقام الذي رقتهُ طائفتهُ اليهِ يجب عليهِ طبعاً رفض دعوة الجمعية والامتناع عن الحضور في وليمتها

فقلنا عند سماعنا هذا السبب الاخير اننا لا نعرف اللغة التركية ولا نقرأ جريدة طنين ولكنا سمعنا من غير واحد من المطلعين ان جريدة طنين تنشر آراءها هي وتقول اقوالها من عندها وتحمل تبعتها ولا علاقة للجمعية بها . وقد اعلنت الجمعية ذلك صريحاً وقالت انها لا تُسأل عما ينشر فيها اذ هي ليست لسان حالها لا رسمياً ولا على وجه شبيه بالرسمي . فاكد غبطتهُ ان جريدة طنين تعبر عن آراء الجمعية واميالها وانها لسان حالها ولو اقتضت السياسة

والمصلحة تبرؤ الجمعية منها ظاهراً وانكار علاقتها بها وتنصلها من تحملها تبعة اقوالها

وقد ذكرنا السبب الرابع المتقدم آنفاً امام بعض الفضلاء الذين يستوعبون ما ينشر في جريدة طنين فقالوا لا بدَّ وان يكون هناك سوءُ تفاهم فاننا نتذكر كل ما ينشر في طنين ولا نتذكر انها نشرت شيئاً مطلقاً بمعنى ما استاء منهُ غبطة بطريرك الفنار . نعم ان محرر طنين موصوف بحرية الفكر والمجاهرة في القول بلا مداراة ولا مداجاة وانهُ يغمس قلمهُ في علقم النقد ويحمل بهِ على خصمهِ فيجرعهُ مرارتهُ بلا رفق ولا مراعاة ولكننا لا نرَ في طنين تهجماً مثل ذلك التهجم على مقام البطريرك المسكوني ولو رأيناهُ لكنا اول من يؤاخذ محرر طنين بهِ ويعترض عليهِ

وكنا قد تعرفنا بحضرة الفاضل جاهد بك محرر طنين واجتمعنا بهِ غير مرة وكان من جملة المدعوين الى وليمة اراد ان يولمها لنا كاتب من فضلاء الصحافيين الانكليز في نادي الاستانة مساء الجمعة الماضي . فعزمنا على مراجعة جاهد بك في ذلك املاً ان يصرح في جريدتهِ بما يزيل سوء التفاهم ويسهل السبيل الى ازالة الاشكال وتقريب الاتفاق الذي يتمناهُ كل عثماني يحب الخير للامة العثمانية والدولة الدستورية . — ولكننا علمنا ان الباخرة رومانيا التي تعود بنا الى هذا القطر عزمت على السفر من الاستانة عصر يوم الجمعة مع ان ميعاد سفرها المعتاد هو يوم السبت لا يوم الجمعة . فارسلنا الى حضرة الصحافي صديقنا نعتذر عن حضور الوليمة واوصينا بعض الوجهاء من اصدقائنا واصدقاء محرر جريدة طنين ان يبلغوهُ ما كنا عازمين ان نبلغهُ اياهُ شفاهاً لولا سفر الباخرة وان يرجو منهُ ما كنا قاصدين ان نرجوهُ عسى ان يكون من وراء ذلك فائدة . والامل ان حضرتهم ابلغوهُ الوصية وان تأتي بالنتيجة المرومة

فهذه هي الاسباب التي منعت غبطة البطريرك المسكوني من قبول دعوة الجمعية وحضور وليمتها في سراي يلديز ذكرناها هنا انجازاً لوعدنا لغبطتهِ وتصحيحاً لرواية الجرائد الاوربية ورجاء ان يفتح ذكرها الباب للتصافي والعتاب وزوال الجفاء الذي لا تحمد عاقبتهُ ولا تؤمن مغبتهُ

(٣) جمعية الاتحاد والترقي — الحكومة وحوادث ادنه

اشتدت رغبة المصريين في زيارة الاستانة هذه السنة اشتداداً لم يسبق لهُ نظير في سالف السنين حتى في عهد اسماعيل باشا الخديوي الاسبق على ما يقال

ولكننا لا نظن ان هذه الرغبة تدوم طويلاً لاننا وجدنا بعض العائدين منها يفضلون

قضاء الصيف في لبنان على قضائه فيها لاسباب متعددة لا محل لذكرها هنا . وقد كنا نفكر في زيارة الاستانة قبل عيد الدستور بمدة او بعده بمدة حتى لا نجد من نود مقابلته فيها مشغولاً بامر العيد ولكن اشار علينا بعض الاخصاء باغتنام فرصة العيد فيها لان كثيرين من رجال الدولة يقصدونها في ذلك الحين فيتيسر لنا الاجتماع بهم فيها حينئذٍ ولا يتيسر قبل ذلك او بعده . فاعتمدنا فجأة على السفر اليها لكي نكون يوم العيد فيها وارسلنا الى شركة رومانيا نطلب السفر في باخرتها داسيا التي كانت مسافرة يوم الجمعة في ١٦ يوليو الماضي فوجدنا المسافرين قد قطعوا كل تذاكرها ولم يبقوا مكاناً خالياً فيها ولكن حضرة وكيلها المحترم في هذه العاصمة قلدنا منة بتدبير غرفة لنا فيها بعد ما اضطر احد رجال الباخرة الى الخروج منها واخلائها لنا . وسافرنا في ذلك اليوم والباخرة مزدحمة بركابها ازدحاماً عظيماً صعب معه على خدمة الباخرة ان يحفظوا نظام الخدمة وهبت يومئذٍ ريح شديدة هاجت البحر هيجاناً عظيماً حتى ان رئيس الميناء الذي اخرج الباخرة من بوغاز الاسكندرية لم يستطع النزول منها الى زورقه والرجوع الى الاسكندرية لشدة تعالي الموج وتعاظم الهيجان فاضطر ان يذهب فيها الى الاستانة

وكانت الامواج تتقاذف الباخرة فتتود نوداناً شديداً وهي تشق العباب بسرعة ٢٠ ميلاً في الساعة حتى اعترى الدوار معظم ركابها . وطبع المرء ان ينسب كل مكروه يصيبه الى غيره ولو كان غيره براء منه فالقوا اللوم في الدوار على الباخرة . هذا يقول انها صغيرة وذاك يقول انها زائدة السرعة وآخر انها مزدحمة غير متقنة الخدمة الى غير ذلك من الاسباب التي انقلبت الى ضدها في رجوعنا بها من الاستانة والبحر رهو والامواج ساكنة والركاب جميعهم بغاية البسط والراحة . فقد كانوا يطنبون في مدح الباخرة على نظافتها وسرعتها وتوفر وسائط الراحة فيها . والواقع انها اسرع باخرة تمخر بين الاسكندرية والاستانة وانها مستوفية وسائط الراحة واسبابها وكلها من احدث طرز وقد جهزت بعدة تامة من تلغراف مركوني مما لا وجود له في كثير من اعظم البواخر المتقنة

ولما رست بنا الباخرة في ميناء ازمير نزلنا اليها مع من نزل من الركاب فوجدناها دون الاسكندرية جمالاً وتنظيماً ولكنها انظف ميناء بحري رأيناه في الشرق وفي اوربا فلا قذر على رصيف الميناء فيها ولا وحل ولا قمة وروائح منتنة ولا شيء من الاشياء الكريهة التي تستقبل الداخل عادة الى الثغور البحرية ولاسيما الثغور التجارية الواسعة كازمير . وكان حضرة صاحب السعادة عبادي باشا محافظ الاسكندرية مسافراً في هذه الباخرة ايضاً ولما وصل اليها استقبله ربانها وسائر رجالها بمزيد الحفاوة والاكرام وانزلوه في احسن مكان فيها

واحلوهُ المحل الاول في قاعة الطعام ورفعوا الراية المصرية على الباخرة اكراماً لسعادتهِ واجلالاً لمقامهِ. ولما كنا نعلم ما اتصف بهِ سعادتهُ من الغيرة على الامة العثمانية وشدة المحبة للدولة العلية دار الحديث بيننا مراراً على الاحوال العثمانية فوجدنا ان تضارب الاخبار اثر في سعادتهِ تأثيرهُ فينا فكان يغادرهُ تارة في خوف وقلق وطوراً في اطمئنان ورجاء ولذلك كان يودُّ الوقوف على حقيقة الحال مثلنا. فالتقى سعادتهُ في ازمير ببعض الفضلاء والوجهاء من الاصدقاء والاخصاء وسألهم عن الحال فاجابوهُ بما يسكن البال

واتفق اننا مررنا بسعادتهِ وهو جالس يكلم صديقاً من كريد وطنهما الاصلي فنادانا وعرفنا بهِ قائلاً ان صديقي راشد افندي الكريدلي من تجار ازمير يعرفكم بمن يطلعكم على حقائق الامور. فسلمنا على راشد افندي واذا هو رجل فاضل رقيق الجانب عظيم الاحتشام قليل الكلام ولكنهُ يتقد غيرة وحمية على الامة العثمانية والدولة العلية. فقال اني كنت بمصر واعرف المقطم منذ زمان طويل ولا ازال اطالعهُ دائماً الى اليوم وقد فهمت ما تطلبون فهلمَّ بنا نقابل الدكتور ناظم بك فانهُ بين رجال الاتحاد والترقي اشهر من نار على علم. قلنا انهُ من الذين نتوخى مقابلتهم. وبحثنا عنهُ كثيراً في اماكن متعددة فلم نجدهُ وعلمنا اخيراً انهُ توجه الى ضواحي ازمير ليخطب على الناس هنالك. والتقينا في مسيرنا بجماعة من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي احدهم عالم فاضل اسمهُ جلال افندي يدرّس في مكتب الصنائع بازمير وفي مكتب للجمعية يسمى بمكتب حديقة المعارف ولا يعرف لغة اجنبية غير التركية ولكنهُ يفهم اللغة العربية الفصيحة ويعبرعن مرادهِ بها كسائر علماء الترك وهو مطلع على الاحوال العثمانية حق الاطلاع ففهمنا منهُ شيئاً كثيراً عن مساعي الجمعية ومقاصدها. وزرنا بعض انديتها في ازمير وعددها خمسة عدا نادي الضباط داخل الثكنة. ورأينا العمل جارياً في بناء نادٍ جديد للضباط بجانب الثكنة

وفهمنا ونحن في ازمير ان جمعية الاتحاد والترقي منظمة على النمط التالي

يدخل من يشاء الانتظام بين اعضائها في نادٍ من الاندية الخاصة بهم بعد ما يقرر النادي قبولهُ فيهِ. ويختلف عدد الاندية في المدن والبلاد باختلاف كبر المدن وصغرها فعددها في ازمير مثلاً واحد للضباط خاص بهم وخمسة للملكيين قد يدخلهُ الضباط ايضاً اذا شاءوا. ثم ان الاندية الواقعة في قضاء (مركز) واحد تنتخب سبعة من اعضائها يعقدون مجلساً يسمى مجلس القضاء. ومجالس الاقضية في ولاية (مديرية) واحدة تنتخب سبعة من اعضائها يعقدون مجلس الولاية. فمجالس الاقضية تخاطب مجلس الولاية ومجالس الولايات تخاطب مجلس الجمعية

المركزي في سلانيك · وقد فهمنا ان عدد اعضاء هذا المجلس المركزي سبعة ايضاً وان محلات مجالس الاقضية والولايات واسماء اعضائها واعضاء المجلس المركزي تبقى مكتومة على قدر الامكان والقصد من كتمانها ليس التهويل والايهام كما توهم قوم بل التخفيف عن اعضائها وعدم تعريضهم لمطالب الناس · فانهُ ما دامت اسماؤُهم مكتومة ومحلاتهم غير معلومة الأعند الاخصاء لم يقصدهم القصاد لقضاء مصالحهم وبلوغ مآربهم ولم يتعرضوا هم للتجارب الكثيرة التي كثيراً ما تحول الانسان عن الجادة القويمة متى شعر بما لهُ من القوة ورأى الناس يكبرون ما لهُ من النفوذ والسطوة والصولة

ويظهر لنا ان نظام الجمعية لا بد وان يكون على هذا النمط او قريباً منهُ وانهُ ان كان يبدو في بعض افعالها ما يخالف ذلك فهو من قبيل الفرق الذي لا بدَّ منهُ بين النظري والعملي كما لا يخفى

ولما يئسنا من الاجتماع بالدكتور ناظم بك قبل سفر الباخرة من ازمير زرنا دولة كاظم باشا والي الولاية فاظهر لنا ازدياد تجارة تلك الولاية بعد اعلان الدستور وقال ان التقدم فيها يظهر من يوم الى يوم وسألناهُ عن الحركة التي كانت قد ظهرت في ايفالى وبعض اطرافها فقال لنا ان الاروام ابدوا بعض الاضطراب ولكنهم اخلدوا الى السكون والتدابير محكمة فلا خوف من وقوع فتنة في الولاية · ثم اظهر سرورهُ بزيارة العثمانيين للاستانة هذه السنة فقلنا ان المصريين سروا بانقضاء زمان الاستبداد وانتهزوا فرصة الحرية والدستور لزيارة بلاد يحبون اهلها ويميلون اليها وستأتي جماهيرهم بكثرة اليها في السنين الآتية كما اتت هذه السنة

ثم قصدنا مقابلة سعادة الفريق اسمعيل فاضل باشا قومندان موقع ازمير وهو من ضباط الجيش المشهورين ومن رجال الحرية المعدودين فعلمنا انهُ يتأهب للسفر في الغد الى ادنه ليرئس ديوان الحرب فيها ويجري العدل في امر المذابح الارمنية · وتفقدناهُ في اماكن متعددة فلم نجدهُ ثم عدنا الى الباخرة يصحبنا جماعة من المودعين الذين قابلناهم وهم غرباء وودعناهم وهم اصدقاء واحباء واذا اسمعيل فاضل باشا قد سبقنا اليها لتوديع حضرة حرمهِ المصونة ونجلهِ الكريم المسافرين الى الاستانة فقابلناهُ هناك وعلمنا منهُ ان الحكومة الدستورية والجمعية متفقتان مع مجلس المبعوثان على وجوب اظهار الحق في حوادث ادنه واجراء العدل فيها بالصرامة الواجبة بلا محاباة ولا رأفة ولذلك جدد تشكيل ديوان الحرب وصدر الامر اليهِ بالتوجه الى ادنه وتولي رئاستهِ · فقلنا اذا كان الامر كذلك فقد زال والحمد لله المحذور ولم نعد نخشى ان العالم المتمدن يتهم الحكومة الدستورية بالتشبه بالحكومة الاستبدادية في اخفاء

الحقيقة وعدم اجراء العدالة · فقال ان العالم كلهُ يعلم ان الحكومة الدستورية غير مسؤولة عن حوادث ادنه وانهُ لم يكن لها يد فيها بل جرت رغماً عنها والعالم كلهُ سيعلم ان الحكومة الدستورية ستمحو بماء العدل هذه النقطة السوداء من تاريخ الدولة العلية وانها لا تفرق بين تبعتها التركية وتبعتها الارمنية بل تنظر اليهما كليهما بعين واحدة وتعاملها معاملة واحدة · فقلنا اذاً لا خوف من ان يعترض العنصر الارمني كالعقبة الكؤود في وجه الاصلاح وفي سبيل النجاح · قال لا خوف من ذلك باذن الله وسترون قريباً مياه الصفاء جارية في مجاريها واخواننا الارمن ناسين ما كان كأنهُ لم يكن · ثم اعطانا اسماء بعض المبعوثان الذين يزيدوننا علماً بهذا الامر وبغيره متى وصلنا الى الاستانة · واتفق اننا لما دخلنا مجلس المبعوثان لاول مرة سمعنا يوسف بك كمال العائد من ادنه يطلب من المجلس اعطاء المنكوبين في ادنه ما يبتاعون بهِ لوازم الحرث والزرع ويخطب ببلاغة وحماسة وأكثر الخطباء يؤيدونهُ حتى قرر المجلس اعطاء اولئك المنكوبين ٢٠٠ الف ليرة · وقال لنا بعض المشهورين من اعضاء الجمعية ان العدل لا بدَّ وان يجري مجراهُ في امر الحوادث الارمنية ورأينا تأييد ذلك في مقالة رنانة لجاهد بك محرر جريدة طنين · ولم نكد نسمع للشكوى الارمنية حساً ولا ركزاً مدة اقامتنا في الاستانة بل كانت الخواطر كلها متجهة الى المشاكل الرومية

لا ندخل مدينة عظيمة في الممالك المتمدنة الاَّ وجدنا للسوريين اثراً ظاهراً في النجاح والتقدم واحراز قصب السبق فيها وخصوصاً في التجارة · زارنا بعض الاصدقاء منهم يوماً في الاستانة وورد بيننا ذكر الخواجا جبيب الجوهري السوري الذي طبقت شهرتهُ الخافقين فقال لنا احدهم وعندنا هنا في الاستانة من كبار التجار السوريين من فاق الاقران حتى اضحى اغنى مالك في الاستانة ما خلا واحداً من اهلها الاتراك · فقلنا ومن هو قال هو حضرة صاحب العطوفة محمد افندي عبود · فسرنا هذا الخبر سروراً عظيماً ولاسيما لما علمنا ان عطوفتهُ من العصاميين الذين حصلوا كل ما حصلوا بجدهم وكدهم · ثم عرض حضرة مخبرنا ان يرينا بعض املاك عطوفتهِ فارانا وكالة عظيمة لهُ في استنبول تعد سوقاً قائمة برأسها وهي من اجمل وكالات استنبول ان لم تكن اجملها · فصعدنا فيها حتى دخلنا على عطوفة صاحبها فاذا هو رجل عاقل فاضل تحلى بالاتضاع ودماثة الاخلاق وجرى لنا معهُ حديث طلي ادَّى الى ذهننا صورة مجملة جلية عن تجارة الاستانة والاحوال التجارية الحالية · ثم زاد عطوفتهُ هذه الصورة وضوحاً وتفصيلاً لما رد لنا الزيارة بعد ذلك ببرهة قصيرة · ومررنا ايضاً بوكالة اخرى لهُ جديدة في

شارع بيرا الكبير وهي ايضاً من اجمل وكالات ذلك الشارع واعظمها اتقاناً كأنها بنيت في مدينة من اجمل المدن الاوربية ونقلت برمتها الى الاستانة العلية

وبينما كنا نشاهد السوق الوطنية الكبيرة في استنبول وهي المعروفة عند الاتراك باسم « تشرشي » مررنا بعدة دكاكين لتجار من السوريين اشهرهم الخواجا نعسان صاحب المعمل الشهير الذي وصفهُ احدنا شاهين بك مكاريوس في احدى رسائله من دمشق فان لهُ في الاستانة فروعاً وتجارة رائجة . ورأينا البضائع السورية المختلفة الاشكال والالوان معروضة في دكاكين اخرى كثيرة

وكنا ذات يوم نحادث رجلاً اوربياً عن تجارة الاستانة فقال لنا ان انجح التجار المسلمين هنا هم من ابناء العرب فان لابن العرب مقدرة في التجارة يمتاز بها على غيره

فرأينا ان ننشر ذلك هنا لتشديد عزائم ابناء هذا القطر والقطر السوري وغيرهما من الاقطار العثمانية العربية حتى لا يهابوا الاقدام على التجارة خارج اقطارهم اذ الشواهد عديدة على انهُ اذا فتح لهم ميدان التقدم خارج بلادهم تقدموا واظهروا من المقدرة ما لم يكن يظن فيهم وهم داخل بلادهم وما لا يشهد لهم بهِ الاجنبي الاَّ بعدما يرى نجاحهم في بلاد غيرهم

(٤) تركيا الفتاة وتركيا العجوز

كان الناس يتجادلون قبل شهر مارس الماضي في ما اذا كانت جمعية الاتحاد والترقي قد مضى زمانها وانقضى ووجب حلها والاكتفاء بوجود الحكومة والبرلمان العثماني من دونها او في هل كان الاصلح بقاؤُها الى حين حتى يتوطد الدستور على اساس مكين . وكان خصومها في ذلك الحين يشكون من تعرضها للاحكام ودخولها في شؤُون الحكومة ومجلس المبعوثان وانصارها يحاولون انكار ذلك كأنهُ تهمة تؤَاخذ بها فيجب عليهم تبرئتهما منها . فلما كان ما كان ودخل جيش الحرية الى الاستانة ووضعت الاحكام العرفية عليها مع وجود مجلس المبعوثان زال ذلك الجدال ولم يبقَ لهُ عين ولا اثر . ولم نعد نسمع احداً يشكو من مداخلة الجمعية في الشؤُون العمومية بل يخال لنا ان الناس مالوا كل الميل حتى انقلبوا من الشيء الى ضده حسب العادة واوشكوا ان يعدوا الجمعية الكل في الكل وان يخصوا بها كل عقد وحل . فان هذا هو التأثير الذي يرتسم على ذهن الداخل الى الاستانة من سماعهِ اقوال الناس عنها

وسواءٌ طابق هذا التأثير الواقع او لم يطابقهُ فالانتماء الى الجمعية قد ازداد جدًّا في هذه الايام حتى كاد يشمل اكثر ابناء العصر من الذين كانوا يعرفون برجال تركيا الفتاة في ما مضى .

وليس اشمل من هذا الانتماء الى الجمعية غير الانتماء الى الدستور المعروف عند الترك «بالمشروطية» فالناس كلهم ينتمون الآن الى الدستور ومن لا ينتمي اليهِ يلقب بالرجعي وقلما ينجو من قبضة المجالس العسكرية المعروفة بدواوين الحرب في هذه الايام . ويقال بوجه الاجمال ان الرجعيين باتوا في خبر كان ولم يبقَ لهم اقل قوة ولا شأن . وانهُ لم يبقَ غير الدستور بين في سلطنة آل عثمان . ورأي الخاصة والعامة في الاستانة ان الدستور بات النظام المقرر في تركيا وان الرجوع عنهُ الى الاستبداد اضحى ضرباً من المحال . وهذه العبارة سمعناها في الجواب على سؤَالنا من افواه فخامة الصدر الاعظم وسماحة شيخ الاسلام ودولة شوكت باشا وسعادة ناظر المالية وغيرهِ من وكلاء الدولة وجناب السر آدم بلوك رئيس صندوق الدين وعدد عديد من الاعيان والمبعوثان وضباط الجيش ورجال الاتحاد والترقي والموظفين والتجار والماليين . وزاد عليها غبطة البطريرك المسكوني فقال ان الدستور مؤَيد الاركان ولكن خصومنا يريدون ان يتهمونا باننا ضدهُ ولا نؤَيدهُ وفاتهم ان الدستور مبثوث في كل قطرة من دمائنا وان كنيستنا دستورية ديمقراطية ايضاً . واردنا ان نعرف رأي الطبقات السفلى من العامة فسألنا خدمة الفنادق وسائقي المركبات وماسحي النعال فكانوا كلهم يقولون انهم لا يريدون غير الدستور وانهم يكرهون ان يعودوا الى الاستبداد ولم يشذَّ عن هذا القول الاَّ مزين (حلاَّق) كان كثيرون من مقربي عبد الحميد يحلقون عندهُ وكانت جيرتهُ تنتفع من موائد الطعام التي تخرج من يلديز فقال لنا لا فرق بين الدستور والاستبداد سوى قطع الارزاق عن هذه الجيرة واجراء ارزاق جديدة على اهل جهة اخرى

فجل العثمانيين ان لم نقل كلهم اصبحوا الآن دستوريين . والذين يعول عليهم في سياسة البلاد وتدبير الامور والاصلاح والتنظيم منهم فئتان فئة من المتقدمين في السن الذين كانوا يتولون الاحكام في العهد السابق وفئة من الذين هم احدث منهم سناً . واكثر هؤُلاء وقليلون من اولئك ينتمون الى جمعية الاتحاد والترقي والباقون يمكن ان يقال انهم قسمان . قسم عليها وهو الاقل وقسم لا عليها ولا معها بل يعد عن الحياد وهو الاكثر . وهذا التقسيم الذي يجدهُ الانسان خارج مجلس المبعوثان يجدهُ داخل مجلس المبعوثان ايضاً فللجمعية فيهِ فرقة تشمل عدداً عظيماً من المبعوثان . والباقون منهم من يكون تارةً على رأي فرقة الجمعية وتارةً على غير رأيها ومنهم من هو معارض لها او هي تعدهُ كذلك

ولا ريب في ان عدد المنتمين الى الجمعية آخذ في الازدياد وان كلمتهُ تزداد نفوذاً يوماً فيوماً لان كثيرين من المعارضين يتركون المعارضة حذراً من ان يقال انهم اعداؤُها وغير

المعارضين قد يكونون معها كما يكونون عليها

ولهذا احببنا ان نعلم ما هو المصدر الحقيقي الذي تستمد الجمعية منهُ قوتها وسطوتها فتبين لنا بعد البحث انهُ المجلس المركزي بسلانيك وان هذا المجلس يستمد قوتهُ من قوة ضباط الجيش فالاعتماد الاصلي الحقيقي هو على قوة الجيش وهذه القوة تبقى مضمونة مكفولة ما دام ضباط الجيش متحدين

فاتحاد الضباط هو الركن العظيم الذي يثبت عليهِ النظام الدستوي الحالي · والذي يسأل الضباط عن هذا الاتحاد يجيبونهُ اننا مثل سائر الناس قد يرضى الواحد منا بهذا الامر اليوم ولا يرضى بهِ غداً ولكن ليس بيننا اقل سبب يمكن ان يجعل واحداً منا يرضى بغير الدستور · فمهما اختلفنا في التفصيل فنحن نبقى متحدين في هذا الامر الجوهري وهو حفظ الدستور وتأييد من يسعى في حفظهِ · ولا خوف من ان يصيبنا في المستقبل امر يحل اتحادنا اشد مما اصابنا في الماضي فان عمال عبد الحميد اغروا عساكرنا التي اعادت الدستور واشتروها بالمال وفرقوا بيننا ولكننا تغلبنا على ذلك وحفظنا الدستور وهذا ما نحن مستعدون لفعلهِ على الدوام · وقال لنا رجل عاقل من محبي الجمعية قد يمكن ان ضباط الجيش يختلفون مثلاً في تأييد الجمعية كما هي عليهِ وان فريقاً منهم يطلب ان تكون على صورة اخرى ويسعى في انشاء جمعية ذات خطة أُخرى ولكن اختلافهم هذا لا يؤثر في الامر الجوهري الذي هو حفظ النظام الدستوري · وكل ضابط منهم يشعر اليوم بان مجدهُ وشرفهُ مقيدان بحفظ هذا النظام فلا يمكن ان يتحد مع غيرهِ على قلبهِ واعادة الاستبداد بوجه من الوجوه بل كل واحد منهم يجاهر بانهُ اذا قام غيرهُ وطمع في شيء من ذلك قاومهُ وافتدى الدستور بدمهِ · فاتحاد الضباط على حفظ الدستور مضمون على قدر ما يمكن ان يضمن اتحاد فئة من الناس في كل مكان وزمان واذا وقع بينهم خلاف او انشقاق فذلك يكون على امور اخرى عرضية بالنسبة الى حفظ الدستور

ومهما يكن من ذلك كلهِ يقال اليوم بالاجمال ان كفة الجمعية ارجح من كفة الخارجين عنها في تدبير شؤون السلطنة · وقد كانت في ما مضى تأبى الدخول في وظائف الحكومة ثم عدلت عن ذلك ورأت من الصواب ان تشارك ابناء العهد القديم من الدستوريين في تدبير الامور · فتألفت هيئة الحكومة اذ ذاك من فئتين فئة الاحداث او رجال تركيا الفتاة وفئة القدماء او رجال تركيا العجوز ولو تيسر اتفاق هاتين الفئتين في تدبير الامور لكان ذلك خير العثمانيين لانهم يجنون منهُ ثمرة اتعاب رجال ذوي حنكة واختبار ورجال ذوي همة وحمية ونشاط ولكن يظهر ان هذا الاتفاق غير ميسور · فرجال تركيا العجوز يشكون من ان رجال

تركيا الفتاة شبان قليلو التجربة والاختبار كثيرو الادعاء قليلو الاصطبار لو تركت لهم الاحكام لا نقلب النظام رأساً على عقب ولخربت السلطنة وقامت القيامة عليها في مدة قصيرة . وشبان تركيا الفتاة يقولون ان اولئك المتقدمين رجال قد تمكنت منهم الملكات الفاسدة التي تمكنت في حكام العهد الغابر فلم يعودوا يصلحون لاصلاح السلطنة وانجاحها . ويشكون من ابطائهم في فض المسائل وتسويفهم من يوم الى يوم في قضاء مصالح العباد . فرئيس تحرير طنين يحمل كل يوم حملة هائلة على فريد باشا ناظر الداخلية ويروي عنهُ اموراً يضعف بها حجة من ينتصر لرجال تركيا العجوز . وقال لنا بعضهم قولاً على غاية الغرابة ولذلك لا نضمن صحتهُ وهو ان رفعت باشا ناظر الخارجية لم يكن يعلم شيئاً من كل ما جرى في المسألة الكريتية ولم يفتح مجموعة اوراقها الرسمية الاَّ بعد جلاء جنود الدول واضطرار الدولة العلية الى مكاتبة الدول بشأنها . ونقلوا الينا عن فريد باشا ناظر الداخلية اموراً في تحقيق حوادث ادنه تأبى اثباتها هنا حتى يذيعها سوانا لعظم تبعتها وقد كنا نود ان نسألهُ عنها لما اجتمعنا بهِ في دائرة السفراء بسراي يلديز ولكننا فضلنا ترك ذلك الى فرصة اوفى بالغرض . ومع ان الاكثرين متفقون على مدح الصدر الاعظم والشهادة باقتدارهِ وذكائهِ وحبهِ للاصلاح فبعض الذين يريدون قلب وزارتهِ يدعون ان منصبهُ يقتضي ارادة اقوى وعزماً امضى في قضاء الامور

والحاصل ان تركيا العجوز غير راضية بافعال تركيا الفتاة وتركيا الفتاة غير راضية بافعال تركيا العجوز . وهذا على ما قيل لنا تأويل منشور نشرهُ المجلس المركزي لجمعية الاتحاد والترقي بسلانيك واشار فيهِ الى وجوب تعيين الاحداث في الوظائف

وقد ازدادت حجة تركيا الفتاة قوة بعد التجربة الاولى التي جربت بتعيين جاويد بك ناظراً للمالية . فان هذا الشاب المتوقد الذهن الطلق اللسان والخطيب المفوه المتقد غيرة وحمية على الدستور والحرية والمتفاني في حب الارتقاء للدولة العلية قد اثبت بعد تقلدهِ منصب نظارة المالية انهُ ابن بجدتها يشتغل شغل الرجال المجتهدين ويجاهد في اصلاح اختلال المالية العثمانية كالابطال المجاهدين ويقضي واجباتهِ في اوقاتها بلا ابهة ولا مباهاة حتى قال لنا مالي من اخبر الاجانب بمالية الحكومة العثمانية اني اصبحت شديد الامل باصلاح المالية العثمانية كثيراً بعد ما رأيت نجاح جاويد بك في اشغالهِ واني اعتقد انهُ اذا كان هذا الشاب لا يصلح المالية فلن يصلحها عثماني بعدهُ . ولهذا قويت حجة رجال تركيا الفتاة بوجوب تقليد المناصب العليا لافراد منهم بعد هذه التجربة . وعليهِ شاعت الاشاعات المتعددة عن قرب تغيير الوزارة او استبدال بعض رجالها المتقدمين بآخرين من المحدثين . ولكن الحوادث الاخيرة دلت على ان تركيا

العجوز ليست على ما يتوهم الانسان من الضعف امام تركيا الفتاة بل قد قال لنا غير واحد من الذين يعوَّل على قولهم انهُ لا يزال لتركيا العجوز قوة عظيمة وانصار عديدون وخصوصاً بين اعيان البلاد وان تركيا الفتاة لا تفوز بمرادها الاَّ بعد جهاد شديد ونزال طويل . وبعد هذا القول بقليل وقف نورادونجيان افندي ناظر النافعة في مجلس المبعوثان وكان الشائع ان فرقة الاتحاد والترقي في المجلس عزمت على اسقاطهِ واستبدالهِ بغيرهِ فجعل يرد على الاسئلة التي سئلها ولم يمض الاَّ القليل حتى صاح الاعضاء « كفى كفى » وخرج من المجلس فائزاً وهجعت الاشاعات التي شاعت عن استبدالهِ هو وآخرين من رجال الوزارة بضعة ايام ثم عادت فتجددت كما كانت . فعدوا فوزهُ هذا دليلاً على قوة تركيا العجوز في معارضة تركيا الفتاة . وقال آخرون ان في فرقة الجمعية نفسها كثيرين لا يستصوبون اخراج رجال تركيا العجوز من الاحكام بل يخالفون في ذلك رأي الآخرين من رفاقهم بحجة الاحتياج الى اختبارهم وتجاربهم ويقول جماعة من الخارجين عن الجمعية ان تقليد المناصب لفريق من شبان الاتحاد والترقي يشق على فريق آخر يحرمها فلذلك يمارض فيهِ

والخلاصة ان عدم اتفاق تركيا الفتاة وتركيا العجوز في ادارة الاحكام وتدبير الامور يؤخر طبعاً في ادراك النجاح المطلوب فهو من هذا القبيل من الصعوبات التي لا غنى عن تذليلها وازالتها لبلوغ المراد من الاصلاح والفلاح

العناية بالاطفال

(تابع ما قبلهُ)

علمتم كيف تكون العناية بالاطفال وان المسؤولية الملقاة على عاتق الوالدين عظيمة جداً لانهُ مطلوب منهم تربية ابنائهم التربية الصحية الواقية لهم من الامراض . وقد ذكرت لكم اهمها اعني الحمى المعدية والاسهال وابنت لكم التدابير الصحية الواجب اتباعها لتلافيها كالاعتناء بنظافة الطفل وبملابسهِ واستحمامهِ وتدبير الارضاع على قواعد اساسية . ولكن هناك امراضاً أُخرى قد اشرت اليها في صدر هذه المحاضرة لا تقل اهمية عن الاولى وهي تقف للاطفال بالمرصاد قبل خروجهم الى هذه الدنيا

ايها السادة

الدين والذمة يحتمان على كل فرد من افراد المجتمع الانساني النظر الى مصلحة اخيهِ في

الانسانية كنظرهِ الى مصلحتهِ الخصوصية وهذا ما نسميهِ في عصرنا الحالي التعاضد الاجتماعي وهو ينطبق تماماً على الآية الذهبية القائلة « افعلوا بالناس ما تريدون ان يفعلهُ الناس بكم » وهذا التعاضد الاجتماعي يحرم على كل عضو من اعضاء المجتمع ان يأتي عملاً يضر بالهيئة المنسوب اليها

تعلمون ايها السادة ان من الامراض ما يتطرق الى النسل والذرية بعامل الوراثة وقد ذكرت لكم اهمهُ وهو السل الرئوي والزهري والتشويش وتعاطي الكحول ولما كان انتشار هذه الامراض وتأثيرها في النسل عظيمين جدًّا رغبت في الكلام عنها لتعلموا طرق الوقاية منها

السل الرئوي

لا ازيدكم علماً بهِ هو ألدّ عدو للانسان حتى لقد قدر نطس الاطباء الوفيات بهِ بربع مجموع الوفيات كلها . ولا موجب لشرح طريق العدوى بهِ لانكم تعلمونها . وقد اكتشف اعضاء المؤتمر الدولي الصحي الذي عقد اخيراً في مدينة واشنطن طرق عدوى واعلن عنها بلسان الاستاذ كلمت وهي لا تقل اهمية عن العدوى بطريق الجهاز التنفسي وذلك ان في القناة الهضمية باباً كثيراً ما يكون سبباً في نقل العدوى فان الاغذية التي تصل الى المعدة والامعاء تكون ملوثة بجراثيم التدرن فتصاب بهِ وينتقل منها باشلوس كوخ بالدورة الى محلهِ المختار اعني الرئة . والمصاب ينقل جراثيم المرض الى اطفالهِ بهذه الطريق ايضاً او انهم يصيرون شديدي التعرض للاصابة بهِ . فالواجب على المسلول اذاً ان يتجنب الزواج قبل ان يتم شفاؤُهُ منهُ وليعلم انهُ ليس بين الامراض المزمنة ما هو اقرب الى الشفاء من السل كما اثبتهُ الاساتذة بوشار وجاكود وجرانشه

تعاطي الكحول والمشروبات الروحية

تعلمون كلكم تأثيرها في النسل بدليل ان السكير قلما يرزق بعد الزواج اولاداً اصحاء الاجسام وزد على ذلك انهم يكونون في الغالب مصابين بالامراض العصبية كالشلل والصرع والسل نفسهِ كما اعلن ذلك مؤخراً الدكتور جاك بريتليون من مشاهير اطباء باريس في تقرير رفعهُ الى اعضاء المجمع الطبي الفرنسوي

واذا بحثنا عن حالة الاحداث المتشردين في الازقة او الذين يعالجون في مستشفى المجاذيب رأينا آثاراً خلقية ظاهرة ورثوها عن والديهم واكثر اسبابها تعاطي الكحول

وقد دلت الاحصاءات الرسمية بالقطع دليل على ان تعاطي الكحول هو السبب الاساسي في ازدياد الجرائم · اما الداء الويل الذي لهُ اسوأ تأثير في النسل وفي المجتمع فهو بلا مشاحة داء الزهري

داء الزهري

يسوءُنا ان نرى سوق الآداب العمومية في كساد وتجارة الفساد تزداد رواجاً في هذه البلاد عاماً فعاماً وان الناس نفوسهم قليلو الاهتمام بمقاومة هذه الرذيلة المهلكة وتخفيف ضررها ومنع انتشارها ولا يسعنا في هذا المقام شرح هذه العلة واسبابها وعوارضها لنذكر ما هي الحكمة في معالجتها اذ ان هذا الموضوع يحتاج الى كتاب مطول بل كتب مطولة · يتساءل المصاب بهِ لماذا لا تحمل زوجتهُ ولماذا تجهض اذا حملت ولماذا لا يعيش لهُ اولادٌ ولماذا ولماذا ويجهل او يتجاهل السبب الحقيقي ويحاول كتمان الامر حتى على الطبيب الحاذق زاعماً انهُ من الامراض المخجلة التي يجب اخفاؤُها · وهو لا يخجل امام ضميرهِ عند ما تعرَّض لهُ من اجل لذة وقتية

عارٌ على الانسان ان يهمل مرضهُ هذا ويكتم عوارضهُ فيكون سبباً في اهلاك اطفالهِ وحرمانهم نعمة الحياة وقوة الصحة · نشدتك الله ايها الانسان اذا عرفت انك مصاب بداء الزهري او السل فلماذا لا تجتنب الزواج قبل ان تتم المدة اللازمة لشفائك منهُ ولماذا تقتحم هذا الخطر الاجتماعي غير مبالٍ بما تجرهُ على غيرك من المصائب والنوائب · فاعلم ان مرضك هو اقرب الامراض الى الشفاء في جميع اطوارهِ كما اثبتهُ واعلنهُ على رؤُوس الاشهاد اكبر عالم في العلوم الزهرية الاستاذ فورنيه واحذر الوقوع في ايدي الدجالين الذين يعدونك بالشفاء القريب

علمتم من هذا البحث الوجيز تأثير الامراض الوراثية من النسل وادركتم الجناية الفظيعة التي نجنيها على اطفالنا والانسانية باسرها اذا اقتحمنا خطر الزواج ونحن مصابون بامراض قد تنتقل الى ذريتنا بحكم الوراثة · فواجب الانسانية والشرف يقضي علينا اذاً ان نعتني بتربية اطفالنا اعتناء خصوصياً يقيهم مخالب الامراض القتالة حتى اذا شبوا كانوا اقوياء الجسم اصحاء البنية سليمي العقول يخدمون نفوسهم وبلادهم ويجاهدون جهاد الابطال في سبيل هذه الحياة والسلام

الدكتور امين دس

باب الصناعة

الروائح العطرية

توجد الرائحة العطرية في المملكة الحيوانية كالزباد والمسك والعنبر وبكثرة في المملكة النباتية ولذا لا تستخرج في الغالب الأ منها . وهي توجد في الازهار كالفل والورد والياسمين وفي الاثمار كجوز الطيب والفانيليا وفي قشور الاثمار كاليوسف افندي والليمون وفي الاوراق كالصعتر والنعناع وفي عصير الالياف كالكافور وفي الصمغ كالمستكا واللبان وفي الاخشاب كالقرفة والصندل وفي الجزور كالريزورم فان لهُ رائحة زكية تشبه البنفسج

يعود استعمال العطور والروائح الى قدماء المصريين فهم اول حرقوا البخور في معابدهم واستعملوا الطيب في تحنيط موتاهم وتعطروا بزيوت الازهار وقد كانوا في بادىء الامر يضعون الازهار طي الملابس حتى تيبس فتنتشر منها الرائحة اي تبخر منها الزيوت العطرية وتبق في الملابس ثم توصل كيماويو العرب الى استخراج هذه العطور بالتقطير والنقع

وكيفية التقطير مستعملة الى يومنا هذا في استخراج ماء الزهر والورد . والنقع يستعمل للازهار الزكية الثمينة وهي ان تنقع في زيت جيد فيمتص منها الرائحة بان يذوب الزيت العطري في الزيت الآخر ويستعمل للتقطير

اما عملية التقطير المستعملة عندنا فيها خسارة كبيرة كما يشاهد في البيت الذي يخرجون فيهِ فانك تشم الرائحة تعبق في انحائهِ وما هي الأ ابخرة مشبعة بالزيوت الطيارة من عدم ضبط الجهاز او عدم تبريد البخار المتكاثف كما يجب فنعاً لهذا الخلل ولزيادة المنفعة والمحصول اشير : اولاً لعدم وضع الازهار في اناء التقطير منفصلة بدون وقاية لها من ملامسة الجدران الملاصقة للنار بان توضع داخل كيس او شبكة مرتكزة على ارجل داخل الاناء الملآن بالماء . او توضع الازهار فوق الماء بقليل بحيث تقابل البخار الصاعد فيمتص منها جميع زيوتها العطرية . ثانياً ضبط وتحكيم الحاجز الطفلي الرابط جهاز التكاثف باناء التبخير والافضل استبدال الطفل بالطين الاسواني مضافاً اليهِ قليلاً من ملح الطعام . ثالثاً جعل حرارة ماء تبريد البخار المتكاثف لا تزيد كثيراً عن حرارة اليد او استعمال ملتوٍ بشكل حلزوني (ثعباني) داخل تيار ماء بارد لزيادة تبريد البخار المتكاثف وعدم انتشار شيء منهُ

فايق جرجس

الصناعة المصرية منذ مئة عام

(٣)

حياكة الحصر

الحصر من الادوات الضرورية في مصر فالحصير فراش الفلاح وسجادتهُ ومائدتهُ وغطاء كوخهِ ومقعد أحبتهِ . وقد جادت الطبيعة بالنبات الذي تحاك منهُ الحصر فجعلتهُ دانياً ميسوراً لجميع سكان وادي النيل من النوبة الى شطوط البحر المالح فتكاد لا تخلو قرية من حوكهِ

ففي الصعيد يحوكون الحصر من نبات الحلفاء الذي يكثر في الاراضي المهملة ومن الخوص . وفي الفيوم يصنعونها من الخوص والنباتات الغابية التي تكثر على ضفاف بركة قارون ويصدرون منهُ كميات وافرة الى الجهات الاخرى . غير ان اجود انواع الحصر يصنع في منوف وضواحيها فيأتون « بالقش » من ترعانه ومن جوار بحيرات النطرون يحضرهُ لهم العرب القاطنون في تلك الجهات

ويدفعون اجرة الحياكة للولد غرشاً في اليوم واجرة الرجل غرشين . ويمكن لاربعة من العملة الراشدين ان يحوكوا في اليوم حصيراً مربعاً قياسهُ اربعة امتار

ويرسل معظم ما يصنع من الحصر في جهات منوف الى القاهرة من حيث يصدَّر جانب عظيم منهُ الى الاستانة وازمير وجزائر الارخبيل الرومي وجهات سوريا كدمشق وصور والقدس وخلافها

(٤)

انواع الزيوت وكيفية استخراجها

تستعمل الزيوت المستخرجة في مصر بعضها للاكل وبعضها للاستصباح . ويستخرجونها من بزر الخس والقرطم والسلجم والكتان والسمسم . ويتفننون منها في كل مديرية بالنسبة لما يجنون من هذه البزور

ففي اعالي الصعيد لا يستعملون غير زيت الخس وزيت القرطم وفي اواسطهِ يستعملون خصوصاً زيت بزر الكتان والسمسم والسلجم وفي الوجه البحري يقتصرون على زيت بزر الكتان والسمسم

ويستخرجون من اردب بزر الخس نحو ٧٠ رطلاً زيتاً . ومن اردب بزر القرطم ٥٢ رطلاً . وهذا الزيت لا يستعمل الاَّ للاستصباح بهِ . ومن اردب بزر السلجم ٧٠ رطلاً . ومن اردب بزر الكتان ٦٠ رطلاً . ومن اردب بزر السمسم قنطاراً ثمنهُ ٣٥ فرنكاً

ويستخرجون الزيت بجرش البزر اولاً ثم بعصرهِ في المعاصر المختصة لذلك بالطريقة المعروفة . وقد يبلغ ثمن المعصرة منها ١٢٦٠ فرنكاً . ولذلك فهي اكثر نفقة من جميع الآلات المستعملة في مصر لاغراض زراعية صناعية كهذه

ويوجد من هذه المعاصر في جميع مدن القطر المصري . ففي اسيوط عشر معاصر وفي منوف ١٥ معصرة . غير انهُ يختلف بعضها عن بعض في الكبر والاهمية

اما طريقة استخراج زيت السمسم فتقوم بتحميص البزر وهرسهِ حتى يصير بقوام العجين ومن فيداس اذ ذاك بالارجل في معاصر خاصة بهِ الى ان يخرج الزيت منهُ وهو السيرج

(٥)

استخراج الخمر والخل والعرق وماء الورد

لا يعصر الخمر الاَّ في مديرية للفيوم وعصرهُ خاص بالنصارى فيمرثون العنب باليد في اناء من الفخار ثم يضعونهُ في كيس من الصوف يعصرونهُ فوق اناء آخر يشبه برميلاً مقطوعاً ثلثهُ الاعلى فينضح اليهِ العصير فيغطونهُ اسبوعاً او اسبوعين الى ان يختمر فينقلونهُ الى دَنّ مطمور في الارض الى عنقهِ ويسدُّون فمهُ بتغطيتهِ بغطاء من الخشب يطينونهُ عليهِ جيداً . ورغماً عن هذا التحفظ كثيراً ما يفسد الخمر بعد عدة اشهر ويتحوَّل الى خلّ

ويستخرجون الخل ايضاً من الزبيب القبرسي والرومي ويباع اللترمنهُ بغرشين وربع . ومن البلح ويباع اللترمن هذا بغرش وربع

ويستقطرون « العرقي » من البلح بالانبيق ويباع اللتر الجيد منهُ بنحو عشرين غرشاً وبما ان استعمال هذا المشروب مقصور على النصارى فقلما يستقطرونهُ في مصر . ولا يوجد لتقطيرهِ في القاهرة اكثر من ١٠ الى ١٢ انبيقاً . اما ماء الورد فيستقطرونهُ مثل العرقيّ بالانبيق . واستقطارهُ خاصّ بمدينة الفيوم حيث يزرعون الورد بكثرةٍ لهذه الغاية . ويستخرجون من الخمسين رطلاً من زهرهِ خمسة وعشرين رطلاً من ماء الورد

ويباع ما يستخرج منهُ في القاهرة من حيث يصدَّر جانب منهُ الى الشام ويباع الباقي في انحاء مصر

(٦)

عمل السكر

أخص الاماكن التي فيها معامل للسكر جهتا فرشوط واخميم . فيأتون بقصب السكر الى محل خاص في المعمل حيث يستخدمون النساء والاولاد لنزع ورقهِ ثم يقطعون العيدان نصفين ويهرسونها بين اسطوانتين من خشب يديرهما ثور فيتحلب العصير الى اناء كبير من الفخار يفرغونهُ في مرجل من النحاس قائم على موقدٍ فيغلونهُ نحو ساعة وينزعون عنهُ الزبد وينقلونهُ الى آنية يتركونهُ فيها نحو ١٢ ساعة ثم يعيدون اغلاءهُ ويصبونهُ اخيراً في قوالب مخروطية الشكل حيث يتبلور ويصير صالحاً للتجارة

ويستخرج من قصب الفدان عادةً نحو ٢٠ قنطاراً من السكر ونحو ١٢ قنطاراً من عسل السكر ويباع قنطار السكر باثنين وثلاثين فرنكاً . وقنطار العسل او الدبس بتسعة فرنكات

المعرض الصناعي في زحلة

لمكاتب المقطم

قدم دولة متصرف لبنان زحلة ظهر اول اغسطس فاستقبلهُ كبار موظفي الحكومة فيها واعيانها بالاكرام واقامت البلدية زينة شائقة في المساء احتفاء بهِ . وقدم زحلة ايضاً القنصلان الجنرالان لاميركا وانكلترا في بيروت وحضرة الوجيه اسبر افندي شقير قنشلير قنصلية انكلترا فيها وقنصل هولاندا وحضرة عزيز افندي الفيعاني ترجمان قنصلية روسيا ومكتوبي ولايتي سورية وحلب وجمهور كبير جداً من اعيان بيروت ولبنان

فتح المعرض الساعة ٣ والدقيقة ٤٠ ولجنة المعرض مؤلفة من حضرات فارس افندي مشرق رئيساً وابرهيم افندي منذر والياس افندي مشرق وامين بك طليع وجبرائيل بك نصار وحنا افندي راشد وسمعان افندي ابي نعمه وفضل الله افندي ابي حلقه والدكتور نخله بك الاشقر ويوسف افندي ثابت اعضاء

فهذه اللجنة ابدت همة فائقة في تنظيم المعرض وعينت خطباء الحفلة فجلسوا على دكة يتصدرهم حضرة فارس افندي مشرق والى جانبهِ بعض الاعضاء والخطباء

وتصدر المجلس العام دولة متصرف لبنان وحرمهُ المصون وعطوفة والي بيروت واعضاء مجلس الادارة الكبير وسائر مأموري لبنان والولايات المجاورة وقناصل الدول وسعادة محمد

باشا العظم وقائمقامو كسروان وزحلة والمعلقة وبعض وجهاء الولايات ولبنان ومنهم حضرة ابرهيم بك يعقوب ثابت ورئيسا بلدية بيروت واعضاؤها و بعض اعضاء محاكمها وحضرة الوجيه حسن افندي بينهم ونيافة الحبرين الجليلين مطراني زحلة للروم الكاثوليك والروم الارثوذكس واكليروسهما وحضرة اسكندر افندي زين رئيس محفل زحلة والعقيلات المشهورات بفواضلهنَّ ومنهنَّ السيدة املي سرسق ووجهاء زحلة من كرام وكرائم

وكان الى يمينهم في مكان خاص اصحاب الجرائد ومحرروها ومراسلوها وسائر الكتاب

ولما استقر بالجمهور المقام وقف حضرة فارس افندي مشرق فاثنى وشكر واستنهض الهمم لمساعدة المشروع وكلف حضرة امين بك طليع ان ينوب عنهُ بالترحيب بالجمهور فتلا قصيدة مخمسة رشيقة المعنى والمبنى استحسنها الجميع والقى حضرة اسكندر افندي معلوف باشكاتب محكمة زحلة خطبة ناب بها عن اهل زحلة فشكر لدولة المتصرف ولجنة المعرض وتطرق الى ذكر المصنوعات الوطنية ووجوب تعزيزها · وقال ان خمول الامة هو اصل لكل فساد ادبي ومادي وبارتقاء البلاد ينشر الامن والحرية والصدق وتروج الاعمال فكان لكلامهِ وقع حسن · وعقبهُ حضرة جبرائيل افندي نصار المحامي فقابل بين العصرين الغابر والحاضر وقال اننا كنا لا ننطق الاَّ بافكار المراقب فتردد صدى صوتهِ مسوقين مكرهين والاَّ اتهمنا بالمروق والفوضوية والثورة وطالما كمّت الافواه وحبس القلم اما الآن فلم يعد ثمَّ رقيب الاَّ العقل الذي هو مهبط الحرية · واستطرد الى انشاء المعرض فذكر تاريخ نشأتهِ وقال ان اول من فكر فيهِ هو الرجل الاصلاحي فارس افندي مشرق وكانت الاحوال المعاكسة لهُ محيطة بالعمل من كل جانب حتى جاء اعلان الدستور فكان كالماء للظمآن لانهُ ازال العقبة الكؤُود من طريق الاصلاح · وقال عن عمران الدول ان قيام الدولة بالسيف والمحراث فالسيف لتقويم اود المعوجين ونشر الامن في البلاد والدفاع عن الوطن من كل اجنبي وخائن والمحراث لانماء ثروتها وزيادة رفاهيتها والمع الى ذكر التنافس الدولي الاقتصادي والى حرب « المقاطعة » التي قاطع العثمانيون بها البضائع النمسوية · وقال ايضاً اننا قاطعنا البضائع النمسوية لا لنحل محلها البضائع الاجنبية التي من نوعها بل لننشط صناعتنا الوطنية والاَّ كان عملنا عبثاً على ما قيل

اذا استشفيت عن داء بداء فاقتل ما اعلَّك ما شفاكا

واستشهد بالامة اليابانية ثم انتقل الى بيان فوائد المعارض وما نتج من المنافسة وقال ان اول معرض في فرنسا لم يكن احسن من معرضنا هذا ولكن معرض باريس الاخير كان من

عجائب العالم فزمان ارتقاء العثمانية هو الزمان الذي يقول فيهِ كل فرد من افراد المملكة « انا عثماني البس من مصنوعات بلادي وآكل من حاصلاتها » هذه كلمة يجب ان يكتبها كل منا على لوح قلبهِ ويعمل بها

والقى حضرة عساف بك الكفوري خطبة باللغة التركية فقال ان فتح هذا المعرض الوطني في اوائل العام الثاني من دور الانقلاب العثماني سيكون فاتحة خير وفألاً حسناً ان شاء الله . وتكلم عن مظالم الحكم الماضي الى ان قال « وقد صار طالع كل منا في يدهِ الآن (ويقصد بذلك ان نجاحنا صار منوطاً بسعينا الخاص) فالواجب ان لا نلقي اتكالنا على حكومتنا بل ان نسعى جهد طاقتنا الى ان قال . قرأت في صحيفة المانية ان عصافير الغابات اخذت تقل وتفنى بسبب وفرة صيدها وتخريب الفتيان لاعشاشها فقامت الحكومة تحتاط لذلك بقوانين سنتها وعقابات فرضتها . وعمدت الى صنع اعشاش في الاشجار بقصد ترغيب العصافير في التفريخ وتكثير النسل . فاسفرت هذه الطريقة عن نجاح كبير . وأمن معها من فناء تلك الطيور التي تقتل الحشرات المضرة بالزراعة ولكن ذلك لم يرق الصحافة الالمانية ولماذا لان صنع الاعشاش للعصافير ينسيها كيف تصنع اعشاشها بنفسها . وهل يجوز حتى العصافير تعويدها الاتكال على الحكومة كما نريد ان نتعود نحن . وهنا انفسح للخطيب المجال في وجوب السعي وعدم الاتكال على الحكومة وابان ان خير سلاح للامة الآن لكي تدرك الارتقاء المروم هو العلم والتربية القويمة

ثم استراح الجميع مدة اديرت فيها المرطبات وعزفت الموسيقى فيها عشر دقائق

وانبرى حضرة الكاتب الفاضل ابرهيم افندي منذر فالقى خطبة انيقة افتتحها بقولهِ لا اقول — ايها الاعيان والوجهاء والسادة والسيدات فقد جعل الدستور الجميع اخواناً عثمانيين فاسمحوا لي ان اخاطبكم قائلاً ايها الاخوان السوريون

ثم تكلم عن مجد سورية القديم وابان اننا سلالة شعب نشيط عريق في الذكاء والشهامة والنشاط واستفز الهمم الى النهوض بالمشروعات الوطنية وقد بدأ خطبتهُ وختمها بابيات ابيات

وعقبهُ حضرة نعيم بك صوايا صاحب المدرسة الوطنية وهو خطيب مفوه فخطب باللغة الفرنسوية مظهراً ما للمحبة الوطن وللجامعة الوطنية من التأثير الفعال في ارتقاء الامم وابان المقصود من الحرية وما هي الحرية الحقيقية

ووقف حضرة الخطيب فلكس افندي فارس صاحب لسان الاتحاد ومما قالهُ « اذا لم نقرن الحرية التي قطرت من سيوف جندنا واشتريت بدماء ابطالنا بالمحبة الوطنية ونسقيها بالمناقب

الشريفة والمبادىء القويمة فكأنَّنا جنينا على نفوسنا . فلا نريد فقط حرية القول بل الحرية الاقتصادية . ثم تطرق الى البحث في الحرب الاقتصادية الدولية فقال نحن نريد امة تعمل في الارض وترفع رأسها الى السماء لا امة تشتغل بالاوهام وتكون اذل الاذلاء

ثم حيا القوم باسم جمعية الاتحاد والترقي وقال عنها ما معناهُ . انها لم تجاهد لتعطينا حرية بالاسم بل حرية بمعناها الحقيقي حرية جديدة حية . وختم الحفلة نيافة السيد الجليل المطران جرمانوس شحاده مطران الروم في زحلة بخطبة انيقة جدًّا (ستنشر في الجزء التالي)

وهذا المعرض مقام على ضفتي نهر البرذوني في ارض محيطها ١٢ كيلومتراً ويصل بين قسميهِ جسر انشأتهُ الحكومة اللبنانية . وهو مقسم الى اقسام عديدة فلكل نوع من المعروضات قسم واهم ما استوقف بصري صناعة الاقمشة الحلبية التي يحاكي بعضها الاقمشة التي ترد من اوربا ولكنهُ يفوقها متانة . وهي بادارة حضرة النساج الشهير فتح الله افندي الحداد الحلبي . يرى الناظر اليها اشكالاً من الاقمشة الحريرية مختلفة الالوان والتقاطع ومنها ما هو مقطع كالديما الفرنسوية وثمن الشقة منهُ مئتا قرش . والكتان (التيل) الابيض والمخطط والخام والصوف من نوع (الفاصونه) والشراشف واقمشة الفرش والديما ومناديل المائدة والمناشف . وكل هذه الاصناف مصنوعة في حلب

ورأيت حضرة فتح الله افندي المشار اليهِ واثوابهُ كلها من نسج يدهِ (وهي على الزي الافرنجي) . وعلمت ايضاً ان اعضاء لجنة المعرض ارتدوا اثواباً من حياكة حلب حين افتتاح المعرض وان في حلب اليوم ٣٠٥٠ نولاً للحياكة وقد كان فيها سابقاً اكثر من عشرين الف نول واهل ولاية حلب يشترون ثلاثين مليون ذراع خام ومعدل سعر ذراع الخام الافرنجي من جميع الانواع ½ ٢ ومعدل سعر ذراع الخام الوطني ¼ ٢ فالفرق ربع القرش وهو قليل بالنسبة الى متانة الخام الوطني والى ان جميع الاجرة التي دفعت عليهِ دفعت للعمال الوطنيين ولم يصرف في البلاد الاوربية الا قيمة الغزل القطني اما برمهُ وفتلهُ وحياكتهُ فيقوم بها عمال وطنيون . اما الصوف فتربح منهُ الصناعة الوطنية ربحاً عظيماً يزيد كثيراً على ارباح عمال الفرنجة في بلادهم . فالصوف الذي نرسلهُ الى بلادهم وتوضع عليهِ المكوس وتنفق عليهِ اجر النقل هو هو يعيدونهُ الينا باغلى الاسعار وقد يجيئوننا بهِ مقلداً مع اننا اولى بصناعتهِ واحذق من غيرنا بهِ وهم لا يفضلوننا بصناعة المنسوجات الصوفية الا باتقانها من حيث الرونق واللون والشكل على اننا متى بذلنا كل همتنا في صناعتنا الوطنية قدر العمال رويداً رويداً ان يزيدوا النسج اتقاناً واحكاماً ولاسيما اذا استعملوا الماكنات وآلات النسج للنسج عوضاً عن الايدي

وغني عن البيان ان عاملنا يرضى من الاجرة بنصف القدر الذي يأخذهُ العامل الاجنبي

اما الحرير فهو اربح المنسوجات لنا لان ورق التوت كثير في بلادنا ونحن نربي الدود ونحل الشرانق فتنحصر فائدتهُ في بلادنا ولا يستطيع الاجنبي بعد ذلك ان يشتري شيئاً من حريرنا ليصدره الى بلاده

ولا يخفى ان النسيج القطني يحسب منهُ نصف سعره قيمة الغزل وهذا نجلبهُ الآن من اوربا (الى ان تنمو زراعة البلاد ونصير ننسج لباسنا من قطن ارضنا وان غداً لناظره قريب) ونصفهُ الباقي اجرة معامل وربح التاجر فالاجانب ينتفعون منهُ بثمن الغزل فاذا عدلنا ربحنا في مقداره من الحرير والقطن بما قيمتهُ مئتا قرش كان لنا خمسة وسبعون في المئة او ٣/٤

وهذا لا يناله اكبر عامل في اعظم الممالك المتمدنة وهو باب لاثراء البلاد وتعزيز للصناعة وترويج للبضاعة واحياء للزراعة ٠ ولو كانت الحكومة والشعب ساهرين على احياء البلاد لكان موظفو الحكومة واعيان البلاد خصوصاً لا يرتدون الأ من نسيج الوطن فتتقدم صناعتنا تقدماً يغنينا عن الاقمشة الاجنبية واذا لم ننهض من خمولنا ونرفع غشاوة الجهل عن عقولنا ظل مالنا يتسرب الى جيوب الاجانب

وقد أعجبت ببضائع دمشق وهي بادارة الوجيهين راعي وخلف فان الناظر اليها يرى سجادات وبسطاً واقمشة شامية وعباءات حريرية وغبانات واواني نحاسية مفضضة وبضائع شرقية يابانية من صنعها وكلها بديعة الاشكال والالوان

ورأينا في المعرض كثيراً من اقمشة الزوق من الطراز الاول بجماله ومنها قطع قدر ثمنها من عشرين الى ثلاثين ليرة عثمانية ٠ وهناك قطعة عليها رسم دولة متصرف لبنان يظن الناظر اليها عن بعد ان دولتهُ واقف على قدميهِ لا ينقصهُ الأ النطق وهي من حياكة يوسف ابي شقرا ٠ وهناك انسجة من صنع الخواجا انطون مهنا نادرة في ظرفها

قرأت في المقطم مرة ان سيدة من كرام البلغاريين كانت مسافرة في قطار سكة الشرق ومعها موسى قبيحة المنظر كانت تعلقها في سلسلة ساعتها فلما سئلت عنها افتخرت بها قائلة انها من صنع بلادها فلما رأيت الامواس والسكاكين الجزينية الجبلية في هذا المعرض تذكرت تلك السيدة وقلت متى نفتخر بما نصنع في بلادنا

ومما عرض اطار جميل جداً عليهِ رسوم بعرق اللؤلؤ يمثل حياة السيد المسيح وقد قدر ثمنهُ بمئتي ليرة وهو من صنع بشاره الزغبي واولاده وفي وسط هذا الاطار رسم العشاء الرباني ٠ وعرضت آنية عديدة من خشب الزيتون وأخرى مطعمة بعرق اللؤلؤ وهي من صنع دمشق

الشام · ومنها عود بديع النقش قدر ثمنهُ بثلاثين ليرة ومائدة قدر ثمنها بخمسين ليرة وهما من صنع عبده النحات

وعرض الخواجا شكري اسحق المصور الزيتي المشهور ١٦ صورة كل واحدة منها آية في جمالها وعرض الخواجا جبرائيل فارس الخوري الحفار المشهور اواني لم تقع العين على اوانٍ ابدع منها نقشاً وزخرفاً · وعرض المعلم محمد حبيب بك رسوماً بقلم الرصاص ظريفة جداً · وقد اعجب الزائرون بقبر السيد المسيح المصنوع بادارة حضرة الدكتور اسكندر بك البارودي وهو على مثال قبر المسيح الذي في القدس

اما ما عرضهُ كرائم السيدات فشيءٌ كثير فمن ذلك رسم مطرَّز على قطعة من الحرير صنعتهُ تلميذات قلبي يسوع ومريم في زحله والرسم يمثل ابرهيم وهو يذبح اسحق والملاك قد امسك يدهُ · وعرضت الآنسة انيسه حاصباني رسماً من هذا النوع ايضاً · وعرضت الآنسة ملفينه جرجس الخوري رسوماً بديعة التطريز منها رسم الملك احشويرش واستير وسليمان والعشاء الرباني وقدر ثمن هذا الرسم باربعمائة فرنك · وعرضت الآنسة اسما سيور رسوماً تدل على سلامة الذوق والدقة في الصناعة · وعرضت الآنسة لبيبه برباري اشغالاً مطرزة واشغال ابرة استوقفت الانظار وعرضت ايضاً ١٨ ورقة عليها ثمانية عشر نوعاً من الزهر البديع

وعرضت مدام انطون الخوري اده رسم تركيا في العهد الغابر والعهد الحاضر وهو يمثل تركيا عجوزاً مقيدة بسلسلة وحولها جماجم وهيكل عظام وقربها جندي نائم والى جانبها فتاة الحرية وانور ونيازي وعرضت رسماً آخر يمثل بيع يوسف الصديق وهذا لا يقل عن ذاك اتقاناً

وعرضت الآنستان ماري رعد ونظله برباري قطعاً قد طرزتا عليها رسوماً بديعة جداً أُعجب زائرو المعرض بها

وعرضت اشربة متنوعة لصيدلية الجريصاتي وزيت الزيتون للخواجا عبدالله عطاالله وتبغ وتنباك ونبيذ و بطاطس و بصل من ارض الوجيه الخواجا بولاد المزارع الكبير وقد بلغ وزن رأس البطاطس اوقيتين أي نحو رطل مصري · وطلب قنصل الانكليز ستين اقة من هذا البطاطس

وعرضت آلات حديدية تدار باليد وأُخرى تدار بالبخار من محل داعوق اخوان منها ماكينات ومطابع ومكابس · وادوات مكتبية للخواجات جدعون المشهورين وماكنات كثيرة لسنجر

ومما عرض كتب قانونية وشرعية ولغوية مما ألف حديثاً · وعرض المهندس الوطني سالم افندي الرياشي خارطة من الجفصين للبنان غاية في الدقة وحسن النظام طولها سبعة امتار ونصف وعرضها اربعة امتار ملونة بالوان تشبه الوان الارض تماماً فالناظر اليها يرى لبنان ممثلاً امام عينيهِ بوهادهِ ونجادهِ وتلالهِ الجرداء وجبالهِ الشامخة كصنين وفم الميزاب ويرى المدن والقرى وطرق العربات الموصلة اليها كالباروك والى شرقيها سهل البقاع بمروجهِ الخضراء وبعلبك وآثارها وخطوط سكة الحديد والاديرة المشهورة الى غير ذلك مما يدل على خبرة هندسية فائقة الوصف وقد قدر ثمن هذه الخارطة بمئة وعشرين ليرة عثمانية



باب الزراعة

زراعة الزيتون

الزيتون شجر معروف لهُ نحو خمسة وثلاثين نوعاً منتشرة في اسيا واوربا وافريقية · ولا يزال منهُ نوع بري شائك صغير الثمر كبير العجم بالنسبة الى حبهِ · والبستاني من الزيتون يختلف في حجم ثمرهِ وشكلهِ فبعضهُ بيضي ويكاد يكون مستديراً كزيتون الفيوم وبعضهُ مستطيل كبعض الزيتون الرومي وبعضهُ بين بين كالزيتون السوري · ويختلف لونهُ من الاخضر الفاقع الذي يكاد يكون ابيض الى البنفسجي فالاسود حسب انواعهِ ودرجات نضجهِ

والزيتون كثير في كل سواحل بحر الروم وما حولها من بلاد البرتغال غرباً الى بحر قزبين وافغانستان شرقاً · وهو وطني في سورية وسواحل اسيا الصغرى ويكثر في بلاد اليونان وجزائر الارخبيل ويفضل الارض الكلسية ويجود حيث يهب عليهِ نسيم البحر وهو يعمر طويلاً ويبلغ جذعهُ مبلغاً عظيماً جداً فقد ذكر ده كندول النباتي المشهور جذع زيتونة محيطهُ ٢٣ قدماً وعمرها نحو سبع مئة سنة · ويقال ان في ايطاليا اشجاراً من عهد الجمهورية الرومانية · ويكبر شجر الزيتون في بلاد الشام حتى يبلغ ارتفاع الشجرة منهُ عشرة امتار او اكثر ومحيط جذعها نحو مترين الاً ان الذين يهتمون بزرع الزيتون في ايطاليا وفرنسا لا يدعون اغصانهُ تعلو وتتسع بل يقلمونهُ دواماً كما ترى في ضواحي مرسيليا حيث شجر الزيتون صغير مجوف الشكل نظمت اغصانهُ في شكل كاس او نصف كرة مجوفة او

كأنهُ اقداح الشمبانيا . والحكمة في ذلك ان لا يبقى من الاغصان الأ ما يحمل ثمراً وان تصل الشمس اليها كلها. واذا تركت الاغصان حتى تنمو من غير قيد كما في بلاد الشام لم تعد تحمل كل سنة بل صارت تحمل سنة وتطرد اخرى فيضيع نصف غلتها

ويوافق شجر الزيتون كل انواع الاسمدة وبفضلها اشدها حماوة كزبل الحمام وزبل المعزى وغائط الانسان ولاسيما في الاراضي الرملية . واما الاراضي الكلسية فتكفي فيها كناسة الشوارع الحاوية للقرون وفضلات الجلود وما اشبه

وتكثير السماد يزيد الثمر مقداراً وغوءًا ولكنهُ لا يزيد زيتهُ ولا يحسنهُ بل بالضد من ذلك لان زيت الزيتون البعلي القليل الخصب اكثر واجود من زيت الزيتون المسقاوي الشديد الخصب . ولكن الاشجار التي تسمد جيداً لا تتعرض للجفاف من قلة المطر كالاشجار التي لا تسمد والسماد يكثر الثمر كما تقدم

واكثر ما يعرف الآن عن زراعة الزيتون كان معروفاً عند القدماء ولو خامر معارفهم كثير من الاوهام الخرافية فقد جاء في كتاب الفلاحة اليونانية الذي ترجمهُ الى العربية قسطا بن لوقا البعلبكي المتوفى منذ نحو الف سنة « ان الزيتون يألف الارض السليمة من كثرة الانداء والعفن . واجود ما يختار من بقاع هذه الارض لغرسهِ البقعة الجرداء البيضاء الخوّارة الجافة غير المتعفنة من كثرة النداوة . ولا ينبغي ان يغرس في الارض السبخية ولا في الارض الحمراء ولا في الارض المتطامنة ذات العمق التي تدوم شدّة الحر فيها ولا تخترقها الرياح فتذهب ببخارها ولا في الارض المشققة . وقد يغرس ايضاً في الارض الرقيقة الطيبة

« ويعمد الى الارض التي يراد غرس الزيتون فيها فتحرث ليذهب عنها ما فيها من النبات ثم يحفر فيها الحفر التي يغرس فيها الزيتون بتقسيط وقسمة ليكون الغرس معتدل الصفوف في الطول والعرض . وليكن عمق كل حفرة منها ذراعين او ثلاثة وليكن بين كل حفرتين منها ثلاثون ذراعاً فان غرس الزيتون اذا كان متباعداً كان انفع لهُ . ولك ان تغرس في خلال ذلك اشجاراً صغاراً لا يبلغ طولها طول الزيتون ولا تضر بهِ . ثم تترك تلك الحفر على هيئتها سنة كاملة لكي تصيبها الرياح والحر فتجف فان ذلك حريٌّ ان يعلق بهِ الزيتون ويصلح . وينبغي ان يوقد في كل حفرة من تلك الحفر مدة شهر في كل يوم وقد يحرق فيها شيءٌ من حشيش يابس او قضبان يابسة والناس يغرسون الزيتون على صفات مختلفة

« قال قسطوس والذي اختارهُ في غرس الزيتون ان يعمد الى قضبان الزيتون الملس المستوية المتوسطة الغلظ من الشجرة المطعمة وليكن طول كل قضيب منها اربعة اذرع وارجح

ويقطع بمنشار او منجل مشحوذ الى الغاية قطعاً املس لا يضر بلحائهِ وتحفظ حدود هذه الاغصان التي كانت تليها قبل قطعها من المشرق والمغرب والجنوب والشمال وتعلم ثم تطمر بعد قطعها سبعة ايام في ارض ندية وتخرج في اليوم الثامن وتطلى اطرافها التي تجعل في الارض برماد واخثاء البقر وتغرس في اليوم الثامن حتى تواري الارض منها انصافها وتجعل حدودها في مغرسها كحدودها قبل قطعها من المشرق والمغرب والجنوب والشمال لكي لا تستنكر مغرسها ولا الرياح التي كانت تصيبها قبل قطعها ثم تحشى حفرها روثاً وتراباً يخلطان جميعاً ويقام على جانبي كل غصن منها خشبتان تركزان في الارض ويبالغ في اثباتهما ويسند غرس الزيتون اليهما بقنب يلف عليهِ لئلاَّ تقلعهُ الريح او تميلهُ. وينبغي لما والى غرس اصل الزيتون من الارض بعد ان تحشى حفرتهُ تراباً وروثاً ان يوطأ بالاقدام وطئاً شديداً ثم يشق بالفاس بعد ذلك مشقاً لطيفاً . وينبغي لما غرس من الزيتون في غير الربيع واوان الامطار ان يسقى في اليوم مرتين او ثلاث مرات حتى يعلق ويرسخ وينبغي ان لا يغرس شيء من غرس الزيتون الاَّ في ارض صحيحة ليس فيها خزف ولا حجر» (نظنهُ يريد بالخزف تراب الخزف او الصلصال لانهُ يحفظ المياه ويمنع رشحها او صرفها)

ولما وصل الى تسميد الزيتون قال كل روث ما خلا عذرة الانس صالح ان يسمد بهِ الزيتون وينبغي ان لا يبالغ في تقريب السماد من اصولهِ فان ذلك مما يضرُّ بهِ ولا يسمد الاَّ في كل عام او عامين مرَّة واحدة فان سمد في العام الواحد مرتين اضرَّ بهِ واهلكهُ وسماد الزيتون في كانون الثاني (يناير) ويجب ان تقطع فضول قضبان شجر الزيتون بعد اجتناء ثمرتها وذلك في شهر كانون الاول (دسمبر) فان ما من شجرة من شجر الزيتون تقطع فضول قضبانها الأكثر حملها واصلح حالها

واسهب في تطعيم الزيتون وكيفية اجتنائهِ وفضَّل ان يجنى قطفاً باليد قال ولذلك يتخذ لاجتنائهِ شبه الكرامي من خشب فيقوم عليها مجتنوهُ فيتناولونهُ بايديهم . وقال عن طريقة عصر الزيت اذا احمرَّ الزيتون قطف وبسط على ثوب نقي في الشمس حتى يجف بعض الجفاف وينقّى ما فيهِ من ورق وعيدان فان لم يكن الزيتون عند طحنهِ نقياً اضرَّ ذلك بزيتهِ ثم يملح بعد التنقية ويطحن برحى من ارحية الايدي طحناً رقيقاً كيلا ينكسر نواهُ فان مادة نواهُ تضرُّ بدهنهِ وتفسدهُ ثم يجعل بعد طحنهِ في زنبيل من قضبان شجر الغراب ويجمع ما يسيل منهُ من الزيت عفواً من غير عصر فاذا انقطع سيلانهُ ثقل الزنبيل بعض الثقل وجعل ما يسيل منهُ من الزيت في المرَّة الثانية على حدتهِ فاذا انقطع سيلانهُ بولغ في تثقيل الزنبيل حتى يخرج

ما بقي منهُ من الزيت · واطيب الزيت واخلصهُ ما سال في المرة الاولى ثم التي تليها وارداهُ ما سال في المرة الاخيرة فاذا فرغت من عصره وجعلتهُ في اوعيتهِ اجعل في كل وعاء منهُ كف ملح وبورق يدقان جميعاً ويخلطان وتسيطهُ بعصاً من شجر الزيتون وتتركهُ حتى يصفو ويتميز عنهُ درديهُ الى اسفل وعائهِ ثم تصفيهِ وتجعلهُ في اوعية من زجاج فانها انفع لهُ فان لم تقدر عليها فاجعلهُ في اوعية من فخار مدهونة الباطن · واعلم ان مخازن الزيت اذا كانت حارَّة ندية افسدت الزيت الذي يخزن فيها

ويلي ذلك كلام مسهب عن ترويق الزيت واصلاح ما فسد منهُ · هذا وطرق عصر الزيت واستخراجهِ كلهِ حتى من عجم الزيتون معروفة مشهورة والآلات المعدَّة لذلك لم يكن عند الاقدمين شيء منها ولكن الطريقة المذكورة آنفاً لترويقهِ وتصفيتهِ حسنة ميسورة ايضاً

موسم القطن المصري

بلغ الوارد الى الاسكندرية من القطن في هذا العام حتى الثالث عشر من شهر اغسطس ٦٦٧٥٨٧٧ قنطاراً والمظنون انهُ لا يزيد حتى آخر اغسطس على ٦٧٥٠٠٠٠ فيكون قد نقص عن ستة ملايين قنطار وثلاثة ارباع المليون فهو اقل من الموسم السابق باكثر من نصف مليون قنطار واقل من الموسم الذي قبلهُ بنحو ربع مليون قنطار · وهاك مقدار المواسم الماضية الى سنة ١٨٩٦ ومساحة الارض المزروعة ومتوسط محصول الفدان فيها

السنة	مقدار الموسم بالقناطير	مساحة الارض المزروعة	متوسط محصول الفدان
١٨٩٥—١٨٩٦	٥٢٥٦١٢٨	٩٩٧٧٣٥	٥,٢٧
١٨٩٦- ١٨٩٧	٥٨٧٩٤٧٩	١٠٥٠٧٤٩	٥,٥٩
١٨٩٧—١٨٩٨	٦٥٤٣٦٢٨	١١٢٨١٥٣	٥,٨٠
١٨٩٨—١٨٩٩	٥٥٨٩٣١٤	١١٢١٢٦١	٤,٩١
١٨٩٩—١٩٠٠	٦٥١٠٠٥٠	١١٥٣٣٠٥	٥,٦٤
١٩٠٠—١٩٠١	٥٤٢٧٣٣٨	١٢٣٠٣٢٠	٤,٤٢
١٩٠١ - ١٩ ٢	٦٣٧١٦٤٣	١٢٤٩٨٨٤	٥,١٠
١٩٠٢—١٩٠٣	٥٨٣٨٠٩٠	١٢٧٥٦٨٠	٤,٥٨
١٩٠٣—١٩٠٤	٦٥٠٨٩٤٧	١٣٣٢٥١٠	٤,٨٨

السنة	مقدار الموسم بالقناطير	مساحة الارض المزروعة	متوسط محصول الفدان
١٩٠٤ ١٩٠٥	٦٣٥١٨٧٨	١٤٣٦٧٠٨	٤و٣٩
١٩٠٥ - ١٩٠٦	٥٩٨٩٨٨٣	١٥٦٦٦٠١	٣و٨٠
١٩ ٦ - ١٩٠٧	٦٩٤٩٣٨٣	١٥٠٦٢٩٠	٤و٦١
١٩٠٧ - ١٩٠٨	٧٢٣٤٦٦٩	١٦٠٣٢٢٤	٤و٥١
١٩٠٨ - ١٩٠٩	٠٠٠٠٠٠٠	١٦٣٨٠٤٠	٠٠٠٠
١٩٠٩ - ١٩١٠	٠٠٠٠٠٠٠	١٤٦٦٥٣٠	٠٠٠٠

وقد قدّرت مساحة الاطيان المزروعة قطناً هذا العام ١٤٦٦٥٣٠ فداناً فقط وقدّرت في العام الذي قبلهُ ١٦٣٨٠٤٠ ولكننا نرجح ان تقدير العام السابق والاعوام التي قبلهُ لم يكن صحيحاً. واحوال الزراعة حتى الآن تدل على ان الموسم يكون اجود من موسم العام الماضي ومن المحقق ان الاسعار اعلى بنحو خمسين او ستين غرشاً في القنطار

دودة القطن

منشور من دولة البرنس حسين باشا كامل رئيس الجمعية الزراعية الى حضرات مندوبيها في المديريات

ورد بالتقارير التي تصلنا يومياً من حضراتكم ان الدودة ابتدأت في دورها الثالث منذ اسبوع تقريباً ويظهر ان هذا الدور ستكون وطأتهُ شديدة حيث يتضح من التقرير الذي وصلني عن احوال مزروعاتنا بتفتيش جبارس انهُ في ٤ الجاري (اغسطس) كان عدد الانفار المنوطين بجمع الاوراق المصابة باللطع ٨٢١ وجمعوا من كل فدان ١٥٠٠ ورقة مصابة باعتبار كل نفر ٣٠٩ ورقات في اليوم مع انني أؤكد انهُ في الدورين السابقين لم تتمكن البويضات من الفقس والتشرنق نظراً للعناية التي كنا نبذلها في جمع اللطع بمجرد ظهورها. فاذا كان هذا الحال في المزروعات التي لم تصل اليها اللطع طبعاً الآ من الفراش المهاجر اليها من الغيطان المجاورة تكون الحالة اسوأ في المزروعات التي فقست فيها الديدان. ولا شك انكم تعلمون ان الديدان في الدور الثالث تأتي باكبر المضار لانها تتغذى على الورقة والوسواس واللوز الصغير وما يتشرنق منها يتولد منهُ فراش دودة الدور الرابع التي تأكل البرسيم والقمح البدري

ومما يزيد الامر خطارة ان كثيرين من المزارعين لا يميلون الى تنقية الاوراق المصابة

باللطم الآن خشية مما ينتج اثناء المرور بين الخطوط من سقوط بعض الوسواس واللوز او كسر بعض الفروع · واننا نرى لهم بعض العذر في هذا التخوف ولكن فوائد جمع الاوراق المصابة وحرقها تزيد بكثير عن مضار هذا العمل خصوصاً اذا استعمل فيهِ شيء من العناية والاحتياط ولذا يلزم نشر هذه الفكرة بكافة وسائل الاعلان · وتفهيم المزارعين لها وحثهم على مضاعفة الاهتمام من الآن فصاعداً

ترون من كل ما تقدم ان الحالة تستوجب بذل كل همة وعناية من كل شخص يعيش تحت سماء مصر ويهمهُ صالح قطرنا العزيز خصوصاً من كان مثلكم تلقى العلوم الزراعية واشتغل بفن الزراعة عدة سنوات ويعلم اكثر من غيرهِ ان الزراعة القطنية هي اس الثروة وفي خلاصها من الهلاك سعادة اخواننا المزارعين وتحسن حالهم ولا شك ان سكرتير الجمعية الزراعية يشغل في مديريتهِ مركزاً عالياً تقضي عليهِ تربيتهُ وذمتهُ ان يضحي راحتهُ في سبيل القيام بواجبات وظيفتهِ ومشاركة المزارعين في التألم من كل ما يمس بمصالحهم

ومن تاريخ تفشي دودة القطن اظهر مندوبو الجمعية الزراعية بالمديريات اهتماماً عظيماً يستحقون لاجلهِ شكر المزارعين واني ممنون جدًّا من التقارير التي ترد الى الجمعية منكم يومياً فانها اعظم برهان على كثرة تجولكم بالبلاد واني اود ان تداوموا على هذه الخطة وان تثابروا في المستقبل بكل همة ونشاط على تكبد مشاق المرور يومياً بدون انقطاع في جميع انحاء مديريتكم وارشاد المزارعين وحثهم على بذل كل همة وعناية في هذا السبيل وفي مقاومة آفة الدودة العسلية حسب المنشور الذي اصدرتهُ اخيراً الجمعية الزراعية · ويجب عليكم تبليغ كل ما ترونهُ من الاهمال والتقصير لسعادة المدير الذي هو صاحب السلطة العليا بالمديرية واني اقرأ يومياً بمزيد السرور والارتياح التقارير التي ترسلونها يومياً لحضرة مدير عموم الفروع واني اتلقاها بفروغ صبر كل يوم فلا تؤخروا ارسالها بانتظام

واني احول نظركم لتبليغ منشورات الجمعية لعموم المزارعين وان تستعملوا في هذا السبيل جميع انواع النشر وخصوصاً عمل جمعيات بالمراكز والبلاد لتفهيم المزارعين ما تتضمنهُ هذه المنشورات وحثهم على اتباعها واعطائهم كل ما يحتاجون اليهِ من الاستعلامات

رئيس الجمعية الزراعية

الاسكندرية في ٥ اغسطس سنة ١٩٠٩

الندوة العسلية

المنشور الذي اصدرته الجمعية الزراعية عن الندوة العسلية واشير اليهِ آنفاً

سبق ان الجمعية الزراعية نشرت عن هذه الآفة كل ما يهم المزارعين معرفته ومنذ سنة ١٩٠٥ توزع نظارة الداخلية بناء على ارشادات الجمعية الزراعية نشرات مختصة بوصف وطرق مقاومة هذه الآفة ولكن تلبية لطلب بعض لجان المديريات نعود للخوض في هذا الموضوع فنقول :—

يصاب القطن في اواخر يوليو وشهري اغسطس وسبتمبر بمرض يعرف عند المزارعين بالندوة العسلية نسبة لافراز لزج عسلي يرونهُ على النبات ثم يعقب ذلك تغير الاوراق وبعض اللوزات الى لون اسود فتنشف وتموت وقليل من المزارعين يعرف اصل هذا المرض وسببهُ

فالندوة العسلية تتسبب عن حشرة صغيرة جداً توجد على ظهر اوراق القطن ويراها المزارعون ويسمونها منّ القطن وتسمى علمياً افيس (APHIS) القطن ولونها اخضر او اصفر ليموني ولها منقار تمتص بهِ عصارة اوراق النبات التي توجد عليهِ للتغذي عليها

وللمن انواع عديدة منها منّ القطن المصري الذي يتكاثر بالتوالد الذاتي من الانثى (أي بدون تلقيح الذكر)

ويبتدئ ظهور من القطن عادة في شهر ابريل ومايو وقد يتسبب عنهُ احياناً ضرر للقطن عند وجوده بكثرة بامتصاص عصارة الاوراق فتجعد وتذبل ويمكن اذاً معرفة الاوراق المصابة بسهولة ولكن لحسن الحظ يوجد عادة في هذا الوقت من السنة اعداء للمن تتغذى عليهِ ومنها الحشرة المنقطة اللون التي تشبه الحمرة والتي تسمى في علم الحشرات كوكسينليدس COCCINELLIDES كذا يساعد ريح الخماسين على اتلافها فينجو القطن من ضررها في ذلك الوقت

على ان القليل الذي يتبقى من المن على اشجار القطن يتوالد عليها وكذا بعض الاناث منهُ ذات الاجنحة التي تكون على الحشايش المجاورة تطير الى الاقطان فتتكاثر ايضاً حتى شهر يوليو واغسطس وسبتمبر فتكون كمية الموجود على الاقطان عظيمة

ويسبب المن الضرر للقطن على حالتين

الاولى — بامتصاص عصارة الاوراق وينشأ عن ذلك اصفرارها وسقوطها

الثانية — التي تسبب الضرر الاكثر هي ان المن له في ظهره بجوار ذنبهِ شبه قرنين يفرزان مادة لزجة عسلية وتلك المادة تسقط على وجه الاوراق التي تحتها فيصير كل سطح الورقة مغطى بالعسل وعلى هذا السائل العسلي يتراكم و يعيش مرض فطري فحمي يوجد في الهواء و يصيب الاوراق بمجرد ظهور العسل عليها و يفرز مادة سوداء كالهباب تغطي سطح الاوراق فتمنع الضوء عنها وتوقف تنفسها فتميتها وعند ما تكون الاصابة شديدة تصاب ايضاً اللوزات بنفس الكيفية بان يسقط العسل عليها من الاوراق ثم يصيبها المرض الفطري فيفرز المادة السوداء التي تغطي اللوزات فتنشف وتبقى بدون تفتيح وهذا المرض يصيب جملة انواع من المزروعات مثل البطيخ والخيار والخضارات وحتى الذرة البدرية

طرق المقاومة

من عادة المن ان يصيب فقط اطراف غيطان القطن بجوار السكك والمساقي ومن النادر ان توجد بعض اشجار مصابة داخل الغيطان والسبب الذي يمكننا ان نعلل بهِ ذلك هو ان المن لا يمكنهُ ان يتكاثر في الحرارة المرتفعة فلذا يوجد باطراف الغيطان حيث تكون حرارة النباتات بها منخفضة عن الحرارة داخلها ثم ينتقل من حشائش المساقي والجسور الى اطارف الغيط

وطرق المقاومة التي يلزم ان تتخذ هي ان نبيد المن عند اول ظهوره قبل تكاثره او افرازهِ المادة العسلية واما اذا ترك الى ما بعد افراز العسل واصابة النباتات بالمرض الفطري الفحمي فان الامل بنجاة القطن المصاب يكون قليلاً ولا بد من تقليعهِ وتوجد طريقتان لابادة المن

الاولى — طريقة رش الاقطان التي يظهر عليها المن بمحاليل مخصوصة سنذكرها وذلك بواسطة طلمبات كالتي احضرتها سابقاً نظارة الداخلية لهذا الغرض والتي تستعملها مصلحة الصحة للتطهير الصحي:

وطريقة الرش هي افيد الطرق التي بها يباد المن بشرط استعمال الطلمبات الجيدة بدقة بحيث ترش كل الاوراق بل كل الشجرة وتكرار عملية الرش واسهل المحاليل التي تستعمل مخلوط الصابون الغشيم مع الماء بنسبة عشرة ارطال من الصابون في ١٠٠٠ رطل من الماء وكذلك يمكن استعمال مخلوط من زيت الغاز ولكن الاول اسهل واقل ضرراً للنباتات

ولعدم وجود الطلمبات الآن وربما ايضاً لصعوبة استعمالها فنشير باستعمال الطريقة الثانية وهي

نزع الاوراق التي يظهر عليها المن عند اول ظهور هذه الآفة وهي اسهل وانجع الوسائل

اذا اهتم المزارع بشدة ملاحظة اول ظهور الحشرة او قلع الاشجار في حالة الاصابة الشديدة وهذه العملية يلزم لاجرائها المهارة والعناية الزائدتان حتى لا تنتقل حينئذٍ الحشرة الى النباتات السليمة المجاورة فلا تكون هناك فائدة من العمل · والاحتياطات التي يلزم ملاحظتها هي

(١) نزع الاوراق بمجرد ظهور المن عليها مهما كان قليلاً واحراقها حالاً (ويكون الابتداء في هذا العمل من خارج الغيط المصاب متقدماً الى الداخل)

(٢) تكون تنقية الاوراق المصابة باليد بمعرفة الاولاد بكل اعتناء ويلزم عدم هز الشجرة بقدر الامكان والاوراق التي عليها الحشرة تجمع في صفائح كصفائح البترول او جرادل او كيزان صفيح او اي وعاء آخر يكون حاضراً ثم توْخذ للنار وتحرق ويغسل الوعاء بعد ذلك او يدلك بالرمل او التراب لكي ينظف مما يكون قد علق بجوانبهِ من الحشرات وفي نهاية العمل تعزق الارض حول الساق الجرداء (التي صار تنقية الورق عنها) وينعم ترابها وذلك لاعدام ما يكون قد وقع عليها من الحشرات اثناء التنقية

(٣) لا يجوز باي حال من الاحوال ان يسمح للاشخاص المشتغلين باعدام ندوة العسل بالدخول بين شجيرات القطن النظيفة لان نقل الحشرة بواسطة الملابس امر موكد ويستدعي دقة الالتفات ويلزم حتماً ابطال عادة وضع الاوراق المصابة في الجلابيات او في المقاطف لما في ذلك من خطر نقل العدوى الى شجيرات القطن السليمة ولزيادة الوقاية من نقل العدوى يصير تنفيض الجلابيات لنزع ما يكون قد علق بها من الحشرة (Aphis) بعيداً عن المزارع القطنية

(٤) في حالة الاصابة الشديدة وتقليع الاشجار يلزم حرث الارض بعد اضافة جزء من الجير المطفى وربها حالاً وبذا تقتل كل الحشرات التي تكون سقطت على الارض

والجمعية الزراعية مستعدة ان تجاوب كل من يخابرها بخصوص طلب اي استعلام او تفصيل او شرح عن هذه الآفة او اي نقطة زراعية اخرى

(ملحوظة مهمة) الندوة العسلية تضر الزراعة القطنية كثيراً وهي صعبة المقاومة متى تفشت ولكن يسهل التخلص منها اذا اهتم كل مزارع بملاحظة اطراف غيطهِ وقاومها عند اول ظهور الحشرات المسببة لها

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الروائح الخبيثة

اذا شممتَ رائحة خبيثة في بيتك فابحث عن مصدرها حالاً وازلهُ . والغالب ان الروائح الخبيثة تنتشر من الكنيف او من المطبخ وقد كان الناس يعذرون اذا عجزوا عن منعها قبل استنباط المَمَصّ (السيفون) اما الآن فلا عذر لهم فيجب ان لا يخلو كنيف من ممص ولا يخلو مصب ماء من ممص وان ينظف الممص من وقت الى آخر مما يرسب فيهِ ويحسن ان يوضع فيهِ قليل من كلوريد الكلس . ويجب الاهتمام بصندوق الزبالة فلا تترك فيهِ فضلات الطعام واللحم من يوم الى آخر ولاسيما في فصل الصيف واذا دبَّ فيهِ الفساد مرةً صارت الفضلات تفسد سريعاً كلما وضعت فيهِ فيجب تنظيفهُ يوماً بعد يوم

ويقال ان الروائح الخبيثة تضرُّ بالصحة عدا ما فيها من الكراهة ويؤكد بعض الاطباء انها قد تكون سبباً للتيفويد والدفتيريا والتهاب الحلق . والظاهر ان الغازات التي تصعد من الكنف تحمل معها ميكروبات هذه الامراض اذا كانت في المبرزات فتصيب من يستنشقها اذا كان مستعدًّا لها

حفظ الفراء

انفض الفروة وامسحها بالفرشاة جيداً حتى تنظف تماماً ولفها بمنديل نظيف مع قليل من الكافور او الفلفل الاحمر واربطهُ جيداً ثم ضعهُ في كيس من الورق المتين والصق فوهتهُ حتى لا يبقى مدخل لدخول العث الى الفرو ولا الغبار ولا الهواء . ويحسن ان تفتح الكيس وترى الفروة مرة بعد اخرى في الصيف لئلاَّ تكون قد تركتَ فيها شيئاً من العث عالقاً بها فيتلفها

غرفة المريض

تختار للمريض الغرفة الكثيرة النور التي تدخلها الشمس ويجب ان تنزع منها البسط

والستائر ولاسيما اذا كان المرض معدياً . واذا كان في الغرفة موقد للنار وكانت البلاد باردة او الفصل بارداً فلا بأس باشغال النار فيهِ لانها تساعد على تهوية الغرفة وتطهيرها . ويجب ابعاد السرير عن الحائط لكي يسهل على الممرضة ان تدور حولهُ وقتما تمرض المريض او تقلبهُ او تغير امتعة السرير . وتفتح الشبابيك من اعلاها فقط ما دام المريض في الغرفة الاَّ اذا كانت منحرفة كثيراً عن سريرهِ ولم يُخشَ من قيامهِ في مجرى الهواء فتفتح كلها . والهواء النقي ضروري جدًّا ولكن الهواء البارد غير لازم وكثيراً ما يكون شديد الضرر فيجب ان يعلق ثرمومتر في غرفة المريض ويعتنى لكي لا يهبط عن درجة ستين او سبعين بميزان فارنهيت واذا هبط توقد النار فيها حتى يسخن هواؤُها

وعلى الممرضة ان تضع كل شيء في مكان خاص بهِ حتى تصل اليهِ حالاً وان تغير ملاءات المريض وثيابهُ يومياً وكلما عرق فيها وتنظف جسمهُ وشعرهُ واظافرهُ ولا تدع اقل وسخ على بدنهِ او سريرهِ او غرفتهِ

حرارة المريض

حرارة الانسان الطبيعية على الدرجة ٩٨ وعشرين بميزان فارنهيت (نحو ٣٦ و ٨ اعشار بميزان سنغراد) وقد تزيد في حال الطبيعة ربع درجة او تنقص ربع درجة باختلاف الاشخاص فاذا هبطت الى الدرجة ٩٥ خيف من الانحطاط التام فيجب ان تقوَّى بقناني الماء السخن ونحو ذلك من وسائل التدفئة ويستدعى الطبيب واذا زادت الحرارة فبلغت ١٠٥ درجات فمن ذلك خطر ولا بدَّ من استدعاء الطبيب

ويوضع الثرمومتر لقياس الحرارة اما في الفم او تحت اللسان او في الابط ووضعهُ في الابط هو الاسهل فيمسح اولاً ويوضع تحت الابط وتطوى اليد على الصدر حفظاً لهُ في مكانهِ . ولا بدَّ من انزال الزيبق كل مرة قبل وضع الثرمومتر

نبض المريض

نبض السليم العادي ٧٠ الى ٧٥ ويزيد النبض في الحميات حتى لقد يتضاعف وقد يكون ضعيفاً او متقطعاً فيجب على الممرضة ان تلاحظ ذلك وتكتبهُ وتخبر الطبيب بهِ

طعام المريض

لطعام المريض شأن كبير في شفائهِ واسترجاع قوتهِ ولا بدَّ من الاعتناء لئلاَّ يطعم اكثر مما يلزم لهُ او اقل مما يلزم لهُ والغالب انهُ يطعم اكثر مما يلزم لهُ لانك لا تسمع الاَّ

تحريض اهل المريض لهُ ليأكل اكثر فيتقوى وقد يكون في الاكثار اشد الضرر فيجب ان لا يكون مقدار الطعام اكثر مما يلزم وان يقدَّم للمريض في الوقت المناسب · ولا يحسن ايقاظ المريض من نومهِ ليأكل لان النوم انفع لهُ من الأكل الاَّ اذا امر الطبيب بذلك · واذا شفي من المرض ودخل في دور النقاهة فقد يلزم ان يوضع لهُ قليل من اللبن والبسكت الى جانب سريرهِ ليأكل ليلاً · وقد يكون المريض نائماً او غير واعٍ على شيء وتقتضي الحال اطعامهُ حينئذٍ فتوضع الملعقة في فمهِ قرب اسفل لسانهِ ويصب اللبن منها ويطبق فمهُ فيبلعهُ · واللبن خير من غيرهِ لانهُ طعام مغذٍ واما مرق اللحم او عصير اللحم فغير مغذٍ مثلهُ لكنهُ منبه ويحسن ان يضاف الى اللبن · وعندهم فناجين خاصة باطعام المرضى وهي اصلح من الملاعق لانزال السوائل في فم المريض



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

الثورة الادبية

سيدي منشئ المقتطف

قرأت في الجزء السادس من المقتطف الخطبة التي القاها امين افندي ريحاني في حفلة تهذيب الشبيبة السورية في نادي المدرسة الكلية · وقد رأيت انهُ غيَّر لهجتهُ فيها فجأةً وحاد عن موضوعهِ واخذ يطعن على اوربا ويقدح بآدابها ويذم علومها ولم يراعِ على الاقل حاسيات الاميركيين معلمي تلك المدرسة التي خطب في ناديها لان علوم الاميركيين وآدابهم مثل علوم الاوربيين وآدابهم · وهذا شيء من كلامهِ قال ان وطننا قلب العلم (وعنى بهذا القلب سورية وفلسطين وجزيرة العرب وما بين النهرين) ولكن اوربا رأسهُ فالراس منشأ العلوم والفنون على ان النور المنبثق من الراس فقط هو كالنور الاصطناعي الذي يضيئون بهِ المراسح في اوربا

هو نور بارد خامد وان لم يشترك مع حرارة القلب فلا خير فيه للانسان مهما عظمت نتائجهُ في دائرة العمران . والفنون ان لم يكن الضمير اساسها والاخلاق لباسها ونفع البشر غايتها الاولى فهي افيون لا فنون تخدر الحواس وتذهب بشيء من الهموم ولكنها تقتل النفس وتفسد الجسد . وقال ان المدنية التي يدعي التكالب فيها نشاطاً والخداع براعة والقوة حقاً هي عندي شر المدنيات وهذه مدنية اوربا اليوم مدنية كهرباء وبخار مدنية تجارة وكسب واستعمار مدنية حروب وفتوحات واستعمار . ليس فيها للضمير والذمة اثر من الآثار . مدنية جذورها حب الذات والاستئثار وليها اليأس والانتحار . وقال ان الدين يرفض بتاتاً مدنية الغرب ومع كل هذه المبالغة في الذم قال لا تقولوا اني بالغت فان كلامي من الاختبار لا من المجلات والاسفار

لذلك عنَّ لي ان اسألهُ اولاً ما هي علوم هذا القلب أليست هي علوم عقيمة وفلسفة فارغة بل هي كما قال الدكتور شميل علوم كلام لم تنفع العمران بل اضرتهُ . وثانياً ما المنفعة التي نالها الشرق واستمدت منهُ الى الغرب فقد قال الدكتور شميل ان السراج الذي كنا نعرفهُ منذ اربعين سنة هو نفس السراج الذي كان مستعملاً منذ اربعة او خمسة آلاف سنة المكتشف في خرائب مصر ليس في الزيت الذي يضاء فقط بهِ بل في نفس شكلهِ حتى يمكن ان يقال انهُ هو الذي كان مستعملاً منذ خمسة آلاف سنة ايضاً . فما هي اذاً تلك العلوم التي لم تستطع تبديل ذلك السراج الحقير بشيء افضل منهُ كل هذه الالوف من السنين ولو لم تبدلهُ علوم الغرب حديثاً بالضوء الكهربائي ونحوهِ من الاضواء الساطعة لبقي حتى الآن والى ما شاء الله وهل صعدت من هذا القلب فكرة الاختراع على عقول مخترعي سكك الحديد وسفن البخار والتلغراف الكهربائي والتلفون ونحو ذلك من المخترعات النافعة

ثم هل من الانصاف ان ينكر حضرة الخطيب ما للمدارس والكنائس الاوربية والاميركية التي في وطننا السوري من الفضل في ترقية الناشئة وتهذيب الشبيبة علماً وادباً وديناً وهو نفسهُ لو لم يدرس في مدرسة غربية لما استطاع ان ينشئ خطبة تستحق ان تنشر في المقتطف . ايحسب ايضاً ان اعمال رؤساء هذه المدارس من قبيل المتاجرة في اسهم البورصة او هل يحسب اعمال الانكليز في مصر خالية من الذمة والدين . ولقد انتقد المقتطف ديوان رستم عن تهمتهِ الامة الانكليزية بانها تشتري الناس بالمال وتقيد ضمائرهم فقال « ولا ندري كيف يستحل مثلهُ ان يتهم امة جليلة الشأن مثل امة الانكليز انها تشتري الناس بالمال وتقيد ضمائرهم وهي صاحبة الطول والحول والسيف والمدفع والفضل الاكبر على كل الممالك العثمانية وقد كان نائبها في هذا القطر مثال العفة والاستقامة وسمو المبادىء الدينية »

ولا اقصد ان اجرد وطننا عن كل العلوم النافعة كما جرَّد هو اوربا من الدين والآداب والضمير والذمة وعدَّ نشاطها تكالباً وبراعتها خداعاً وحقها قسوةً ٠ لكن نسبة علومنا الى علوم الغرب كنسبة قارب صغير يديره ُ ولد بمجذافهِ الى بارجة كبيرة تديرها اربعة آلات بخارية او كنسبة السراج المار ذكره ُ الى قنديل كهربائي عظيم

كرنجي بنسلفانيا حنا يوسف

طيران الانسان

بلغ السماء بعلمهِ فلقد غدا فيها يطير كما يشاء ويرغب
ملك البسيطة ارضها وبحارها فبخاره ُ فيها يجدُّ وينهب
حتى اذا لم يبقَ من شيءٍ سوى هذي السماء رنا اليها المأرب
فاذا رأيت الطير يلعب في العلا فالمرءُ ايضاً صار فيهِ يلعب
فلربما لم تدرِ هل نسر ترى في الجو ام رجل يجيءُ ويذهب
فكلاهما فوق الهواء معلَّقٌ ولشدة البعد الحقيقة تُحجب
يا ايها الانسان او يا ايها الطير الجديد عجيبة تستغرب
قد كنت تنظر للطيور تعجباً فانظر اليك اليوم انك اعجب
قرَّبت بين سمائها وأديمها وكذا بعلمك كل بعدٍ يقرب
فاذا جرى بُعد السماء عن الثرى مثلاً فما هو بعد ذلك يُضرب
سرِّح عيونك في فضاءٍ واسعٍ عالٍ دنا فيهِ اليك الكوكب
واعبر خضمَّا بين مملكتين لم يعبره ُ قبلك في الهواء مجرب
واستقبل القوم الأُولى فرحوا بما صنعت يداك فكلهم يترقب
جاءوا اليك مهنئين وقد رست تلك السفينة والسلامة تصحب
اهلاً بمن شاد العلوم وسادها اهلاً بمطلب من هداه المطلب
ونقلد الفخر الذي ما مثله واهنأ بما تُعطى فنعم المكسب
عقل الفتى وسع العجائب كلها او ما تراه ُ دائماً يستوعب
لكنه ُ عقلٌ بعزٍّ مثله في ارضنا فالعقل فيها مجدب
خصبت ولكن اجدبت في ساعةٍ يا ليتها ايضاً كذلك تخصب

مراد فرج المحامي

ذكرى العام

عام تولى بما يطويهِ من عبرِ — في صفحة الدهر ابقت اعجب الاثرِ
فيها النقيضان بينا السعد يخدمنا — إذ استطال علينا حادث الغيرِ
وبينا العيش قد راقت موارده — إذ داهمتهُ رياح الغدر بالكدرِ
تولدت في سما البلغار غاشية — دهماء تعبث بالآراء والفكرِ
جدت مطامعهم فينا فكفكفها — جيشان من أُسْدِ صيدٍ ومن ذُعرٍ
وفيهِ هيجت الاشجان إذ نقضت — ما ابرمت من عهود دولة المجر
ظنت بنا الجبن والإحجام فاقتحمت — ورداً يلذُّ لها لم تعنَ بالصدر
حتى اذا ما انصرفنا عن متاجرها — فأصبحت وهي اشجار بلا ثمر
ضاقت بجفوتنا ذرعاً فما وجدت — سوى التودُّد بعد الدلِّ والكبر
لبّت مطالبنا بالرغم كارهةً — من بعد ما اعتبت اعتاب معتذر

***

وفيهِ شب لظى شعواء مهلكة — لم يطف جمرتها غير الدم المدر
توثبت من بقايا الظلم مارقة — عن منهج الحق اعماها سنا البدر
تستروا برداء الدين ما علموا — بأن ما اضمروهُ غير مستتر
وطالبوا بامور لا يقول بها — عقل ولا وردت في الآي والسور
اين الشريعة مما يدأبون لهُ — والظلم اهون ما يبغون من وطر
بدت لهم من سراب البيد بارقة — توهموها لجهل رائد المطر
وبات سيدهم يرجو واقرب ما — يرجوهُ من أمل اقصى من العمر
عبد الحميد اتئد ضاق التجلد عن — شديد ظلمك اذ لسنا سوى بشر
مهلاً فان كان والاك القضا غلساً — فسوف تبصر عقبى الظلم في السحر
او كنت منتظراً في الدهر نيل منى — فاحذر من الدهر امراً غير منتظر

***

لما رأت ما رأت ابطال امتنا — ضجت فضجت لها الدنيا على الاثر
الله اكبر اي الاسد قد غضبت — واستنفرت عن عرين حف بالخطر

لوكنت تدري بما هيجت من شجن ما بات قلبك وتراً غير منشطر

⁂

يا ليلة طال مسراها فما انكشفت الا على جحفل للحرب مبتدر
مستوفز حنقٍ جاشت غواربهُ كالسيل ينصب من اعطاف منحدر
ساروا وراياتهم يوم الوغى عقدت من فوق هامة ذاك الكوكب العمري
خوافقٍ في رحاب البيد قد كتبت يد التقدير عليها آية الظفر
ما استلأموا الجون بل زروا قلوبهم على الجسوم فكان الدرع من حجر
من كل مستبسل في صدرهِ حنق دلت عليهِ لحاظ العين بالشرر
تلقاهُ في غمرات الروع مبتسماً يغشى الردى غير هيّاب ولا حذر
تخالهُ وضجيج الحرب مرتفع أخا هوى بين خفق الناي والوتر
كأنما الموت اقصى ما يؤملهُ او انهُ نال ميثاقاً من العمرِ

⁂

مذ ابصروا الملك والاخطار تكتنفهُ هبوا لنصرتهِ بالصارم الذكر
فما انثنوا دون ان قرت دعائمهُ وساد في ربعهِ أمن بلا حذر
وخانوا زمرة الغدر التي مرقت مثل الهشيم ذرتهُ الريح بالمطر
جازوا عصابتهم عدلاً بما اجترمت اذ ليس ينجع فيها عفو مقتدر
واستأصلوا الظلم من اعماق مغرسهِ جزوا الاصول وما ابقوا على الشجر

⁂

وبوأوا العرش مولى لا تليق بهِ سوى الخلافة والتيجان والسور
وافتهُ منقادة جرت مطارفها حتى كأنهما كانا على قدر
ماضي العزائم قد فاقت شمائلهُ ملء القلوب وملء السمع والبصر

⁂

في ذمة الله من فادوا بأنفسهم وذمة الغيث ما حلوهُ من حفر
وفي سبيل العلى ما سال منبجساً على شفار المواضي من دم طهُر
وليحيَ سلطاننا وتحيَ امتنا ومجدها فوق هام الانجم الزهر

دمشق جرجي حداد

باب التقريظ والانتقاد

صحيح مسلم

قال حضرة محمد افندي الزهري الغمراوي رئيس لجنة تصحيح الكتب بدار الطباعة العربية الكبرى ان اصح كتب السنة اسناداً وارقاها ارشاداً صحيحا البخاري ومسلم وخص صحيح مسلم بمزايا انفرد بها عن البخاري وقد استعيد طبعهُ لكثر نسخهُ ويعظم نفعهُ وعولنا في تصحيحهِ على عدة نسخ حازت من الصحة اعلى مكان واقتفينا في التبويب النسخة التي طبعت في المطبعة الاميرية. وقد تم طبعهُ حديثاً في مجلدين كبيرين وثمنهُ ٢٨ غرشاً غير اجرة البريد

دليل لبنان

وضع هذا الدليل حضرة الكاتب الاديب وديع افندي ابي فاضل وتكلم فيهِ عن تاريخ لبنان ووصف كل قضاء من اقضيتهِ ومعلم من معالمهِ. ومما ذكرهُ في تاريخهِ انهُ في سنة ١٢٩١ فتح الملك الاشرف عكاء وكانت احصن مدن الصليبيين فسلمت بعد سقوطها اكثر المدن الاخرى ورحل الصليبيون عن عثليت واخلوا قلعتها ويقال ان فرسان ماريوحنا الذين ساروا الى قبرس استصحبوا معهم فرقة من الموارنة رافقتهم بعدئذٍ الى رودس ثم الى مالطة ولذا ترى لغة المالطيين مزيجاً من العربية والايطالية . ولم يبين من قال هذا القول ولا درجتهُ من الصحة فان المعروف ان العرب استولوا على مالطة سنة ٨٧٠ للميلاد وبقيت في يدهم مئتين وعشرين سنة فصار اكثر سكانها منهم وتغلبت العربية على لغتها كما تغلبت على لغات اكثر البلدان التي دانت لهم والكلمات العربية في اللغة المالطية تبلغ الآن نحو سبعين في المئة ولكن لهجة المالطيين تشابه لهجة شمالي لبنان وقد اخبرنا شيخ جليل وعالم لغوي كبير من اهالي مالطة انهُ قضى عمرهُ في البحث عن سبب ذلك ولم يقف لهُ على سبب تاريخي لكنهُ اثبت بادلة لغوية ان ما حدث في لغة مالطة طبيعي لا بدَّ منهُ ولما اخبرناهُ ما هو شائع في لبنان من ان قوماً من اهلهِ او من اهل كسروان خاصة نزحوا الى مالطة واقاموا فيها وان لهجة المالطيين تشبه لهجة الكسروانيين او تشبه العربية التي اثرت فيها السريانية استغرب ذلك وطلب ان نبحث لهُ عن سند تاريخي يؤيدهُ

وفي هذا الدليل ٣٤٦ صفحة واكثرهُ بحرف دقيق وهو كثير الفوائد يحسن بكل من يحول في لبنان ان يقتني نسخة منهُ

التبخر في مصر والسودان

EVAPORATION IN EGYPT AND THE SUDAN.

اهدت الينا مصلحة المساحة المصرية تقريراً في هذا الموضوع وهو من الاهمية بمكان عظيم اذ يعلم منهُ مقدار ما ينقصهُ ماء النيل بالتبخر لعلاقة ذلك بالري ونسبة هذا التبخر الى سائر الاحداث الجوية والمدة التي عليها مدار البحث في هذا التقرير مختلفة ففي بعض الاماكن كما في اصوان ثماني سنوات وفي غيرها كما في اسنا سنة واحدة . والآلات التي استعملت لقياس التبخر مختلفة ولهذا لا تكون الدلالة واحدة وقد اخترنا الاماكن التالية وذكرنا مقدار التبخر فيها في كل شهر من شهور السنة

	العباسية	حلوان	اسكندرية	بورسعيد	اصوان	الخرطوم	سواكن	ودمدني
يناير	١٫٥	٣٫٣	٢٫٩	١٫٨	٥٫٣	٦٫٢	٣٫٦	٠٩٫٩
فبراير	١٫٩	٤٫٠	٣٫٠	٢٫٠	٦٫٦	٧٫٦	٣٫٥	١١٫٨
مارس	٣٫٩	٥٫٤	٤٫٧	٢٫٧	٨٫٣	٨٫٨	٣٫٥	١٣٫٩
ابريل	٥٫٥	٨٫٩	٤٫٢	٢٫٩	١٠٫٣	٩٫٩	٣٫٨	١٤٫٤
مايو	٧٫٣	١١٫٢	٢٫٧	٣٫٠	١٢٫٨	١٠٫٢	٤٫٥	١٣٫٢
يونيو	٧٫١	١١٫٩	٢٫٦	٢٫٩	١٤٫٧	٩٫٧	٧٫٤	٠٩٫٧
يوليو	٦٫١	١٠٫٢	٣٫٤	٢٫٩	١٤٫٠	٧٫٥	٩٫٤	٠٧٫٣
اغسطس	٥٫٨	٩٫٠	٣٫٦	٣٫٠	١٤٫٢	٥٫٥	٩٫٠	٠٤٫٨
سبتمبر	٤٫٢	٨٫١	٤٫٢	٢٫٨	١٢٫٥	٧٫١	٥٫٥	٠٦٫٢
اكتوبر	٤٫٠	٧٫٦	٤٫٠	٢٫٦	١٠٫٤	٨٫٥	٣٫١	٠٧٫٦
نوفمبر	٢٫٥	٤٫٧	٤٫٠	١٫٥	٧٫٤	٧٫١	٣٫٨	١٠٫٢
دسمبر	١٫٩	٣٫١	٢٫٦	١٫٩	٥٫٤	٦٫٢	٣٫٩	٠٩٫٧
متوسط السنة	٤٫٣	٧٫٣	٣٫٥	٢٫٥	١٠٫٢	٧٫٩	٥٫١	٠٩٫٩

ولا يخفى ان تبخر الماء يكثر حيث يكون الهواء جافًّا ويقل حيث يكون الهواء رطباً اذا

كانت درجة الحرارة واحد في الحالين • و يظهر من ذلك ان الهواء على اجفه في اصوان لان التبخر فيها اشد مما في غيرها من الاماكن المذكورة في هذا الجدول ويتلوها ود مدني في السودان ثم الخرطوم ثم حلوان ثم سواكن ثم العباسية بمصر ثم الاسكندرية ثم بورت سعيد • وحلوان اجف الاماكن هواء منها الى بحر الروم • واجف منها الطور فان متوسط التبخر فيه في السنة ٨,٤ المليمتر ولو لم نذكره في هذا الجدول اما العباسية فرطبة بالنسبة الى غيرها واذا كانت هليوبولس مثلها فيكون هواء حلوان اجف من هوائها كثيراً

وقد استنتج المستر كيلنج واضع هذا التقرير ان التبخر من خزان اصوان اكثر مما قدره السر وليم ولككس فقد حسب انه ٨ مليمترات في اليوم صيفاً والمتوسط على مدار السنة ٥ مليمترات في اليوم بانياً ذلك على بحيرة قارون فخطأه واضع هذا التقرير وبيّن ان متوسط التبخر اليومي في خزان اصوان ١٥ مليمتراً واربعة اعشار فالفرق كبير جداً بين تقديره وتقدير ولككس وبحسب تقدير ولككس يتبخر كل يوم من خزان اصوان ٢٧٠٠٠٠ متراً مكعباً من الماء وبحسب تقدير المستر كيلنج يتبخر اكثر من ثلاثة اضعاف ذلك أي يتبخر نحو ٣٠٠ مليون متر مكعب في السنة وهو مقدار كبير جداً

الاحداث الجوية سنة ١٩٠٧

METROLOGICAL REPORT FOR 1907.

ظهر التقرير العمومي للاحداث الجوية سنة ١٩٠٧ وهو شامل لاثنين وخمسين مكاناً حيث ترصد هذه الاحداث اربعة وثلاثين منها في القطر المصري والسودان وثمانية في بلدان أخرى كازمير وقبرص • فابعدها الى الشمال ازمير وعرضها ٣٨ درجة و ٣٦ دقيقة و ١٠ ثواني وابعدها الى الجنوب منجالا وعرضها ٥ درجات و ١١ دقيقة وابعدها شرقاً سواكن وطولها ٣٧ درجة و ٢٠ دقيقة وابعدها غرباً ازمير وطولها ٢٧ درجة و ٩ دقائق • واعلى ما بلغهُ البارومتر في هذه الاماكن في بورت سعيد حيث بلغ ٧٦٦,٩ مليمتراً واخفض ما بلغهُ في القلابات حيث وصل الى ٦٩٩,٤ مليمتراً

واعلى ما بلغتهُ الحرارة ٤٧ درجة وعشرين وذلك في اصوان واوطأ ما بلغتهُ ١٠ درجات تحت الصفر وذلك في ازمير اما في القطر المصري والسوداني فاوطأ ما بلغتهُ خمسة اعشار الدرجة تحت الصفر وذلك في الجيزة • وهاك اعلى درجات الحرارة واوطأها ومتوسطها السنوي لاشهر الاماكن المصرية والسودانية

	اعلى درجات الحرارة	اوطا درجات الحرارة	متوسط السنة
الاسكندرية	٣٣٫٠	٥٫٣	١٩٫٢
بورت سعيد	٣٦٫٥	٠٫٠	١٩٫٥
الطور	٤٥٫٠	٥٫٠	٢١٫٢
العباسية	٤٠٫٢	٠٫٨	٢٠٫٥
الجيزة	٤٠٫٤	—٠٫٥	١٩٫١
حلوان	٤٢٫١	١٫٦	١٩٫٨
المنيا	٤٢٫٦	١٫٩	٢٠٫١
اسيوط	٤١٫٠	١٫٠	٢٠٫٥
الواحة الداخلة	٤٥٫٠	٠٫٠	٢٢٫٥
اصوان	٤٧٫٢	٣٫٣	٢٤٫٢
وادي حلفا	٤٦٫٠	١٫٥	٢٣٫٨
الخرطوم	٤٥٫٣	٧٫٧	٢٨٫٢
كسلا	٤٤٫٠	٧٫٥	٢٨٫٠
القلابات	٤٢٫٠	١٠٫٠	٢٥٫٣
سواكن	٤٤٫٥	١٦٫٥	٢٨٫٠
بورت سودان	٤٥٫٥	١٤٫٥	٢٧٫٨
ود مدني	٤٤٫٥	٨٫٠	٢٧٫٤
الرصيرص	٤٣٫٥	١٠٫٥	٢٦٫٠
الدويم	٤٥٫٦	٧٫٦	٢٧٫٢
الايض	٤٢٫٨	—٠٫٤	٢٥٫٢

ويظهر من هذا الجدول ان مقدار الحرارة السنوي في الجيزة اقل مما هو في الاسكندرية ولكن درجة الحرارة بلغت في الصيف ٤٠ درجة في الجيزة ولم تزد في الاسكندرية على ٣٣ درجة واذا اعتبرت رطوبة الهواء مع الحرارة وكون الشعور بالحرارة يزيد بزيادة رطوبة الهواء فيكون الشعور بالحرارة على مدار السنة اقل في مصر منهُ في الاسكندرية · ومن الغريب ان ساعات شروق الشمس في الخرطوم ليست اكثر من ساعات شروق الشمس في الاسكندرية في السنة كلها

دروس الرياضة

للمدارس الثانوية

هو كتاب في علم الجبر تأليف حضرة حسن افندي صديق مدرس الرياضة في مدرسة الاقباط الكبرى جرى فيها مجرى كتب الجبر المترجمة او المؤلفة في القطر المصري من حيث شكل الحروف والعلامات والنطق بها فينطق بعلامة الجمع بكلمة زائد وبعلامة الطرح بكلمة ناقص فيقال في لفظ هذه الكمية (ح + د) حاء زائد د وهذه الكمية (ح — د) حاء ناقص دال ولا ندري مَن اول من وضع النطق بهتين العلامتين على هذه الصورة وهل كان عربياً او افرنجياً . فان اول من نقل الجبر الى العربية في سورية اميركي وهو الدكتور فانديك ومع ذلك عبّر عن هاتين العلامتين تعبيراً معقولاً وبحسب تعبيره تقرأ الكمية الاولى حاء مع د والثانية حاء الاّ دال . ولا ندري لماذا بالغ مؤلف هذا الكتاب في تكبير علامات الجمع والطرح والضرب والقسمة وفي تصغير الحروف والارقام فالارقام التي على الصفحة السابقة مثلاً في المقادير والحدود صغيرة يتعب استجلاؤها عيني الطالب ولماذا تجعل ارقام الاس كبيرة مثل ارقام الكمية نفسها . وما دامت كتبنا الجبرية منقولة عن الكتب الاوربية فلماذا لا نجري مجرى الاوربيين في مصطلحاتهم فالاوربيون يكتبون ٣ ص٢ ولا يكتبونها ٣ ص٣ وكذلك اذا كان الاس حرفاً فانهم يكتبونهُ صغيراً هكذا صن ولا يكتبونهُ هكذا صن كما في هذا الكتاب . ومما نستغربهُ التعبير عن الفائدة او الربا او المعدل بكلمة سعر كقوله في الصفحة ١٢٤ شخص وضع ½ مبلغ ليربح ربحاً بسيطاً بسعر ٥ ./ والباقي بسعر ٣ ./ اي وضع او دَيَّن ثلث ماله بفائدة اوربا او بمعدل خمسة في المئة والثلثين بفائدة او بربا او بمعدل ٣ في المئة الخ وهذه امور عرضية نشير بالانتباه لها . ثم ان اكثر المسائل في هذا الكتاب وفي اكثر كتب الحساب والجبر التي رأيناها أحاجي والغاز قلما تفيد الطالب فائدة عملية فيجب العدول عنها الى المسائل التي تقع في الاعمال والمعاملات اليومية

النعمة

مجلة البطريركية الانطاكية الارثوذكسية وهي دينية ادبية علمية منتقاة المواضيع حسنة الانشاء وصل الينا الجزء الثاني منها فوجدنا فيهِ فصلاً عن قانون الاسفار المقدسة مؤيداً بالادلة والشواهد التاريخية . ويليهِ فصل من كتاب المصابيح للشماس عبدالله بن الفضل

الانطاكي وعبارتهُ فصيحة تدلُّ على ان بعض خدمة الدين المسيحي كانوا يتقنون العربية ومما جاء في هذا الفصل قولهُ « صلاح الآخرة بالتقوى · كثرة التمني تفسد العقل وتضعف الدين وتطرد القناعة · كفى بالتجارب تأديباً وبتقلب الايام اعتباراً وبذكر الموت زاجراً عن المعاصي · للعادة على كل شيءٍ سلطان · من رغب في المكارم اجتنب المحارم · من استشعر الطمع ازرى بنفسهِ » · والفصل كلهُ على هذا النسق من الحكم وجوامع الكلم

ويلي ذلك قصيدة موضوعها حاجات البلاد لناظمها عيسى افندي اسكندر المعلوف مدير المدارس الارثوذكسية في دمشق مطلعها

بحمد الهنا مولى الرشادِ ومُوصلنا الى نهج السدادِ
نعدد جلَّ حاجات البلادِ لان حياتنا زمن الجهاد
تجرياً في ميادين اجتهاد

وقد ذكر هذهِ الحاجات واحدة واحدة كالاتحاد والاتفاق والسعي والثبات والاقتصاد والانتقاد والمدارس والجرائد والمكاتب واصلاح التربية والعلم الصحيح واحياء الصناعة والزراعة والتجارة ومما قالهُ عن العلوم

وحاجتنا هي العلم الطبيعي ليوصلنا الى النجح الرفيع
فكم للعلم من اثرٍ بديعٍ نرى منهُ كثيراً في الربوعِ
ولكن ذاك من ارض المغارب اتانا عن يد القوم الاجانبْ
فاين الشرق يأتي بالعجائب ويحكر المنافع والمكاسبْ

ومن الفوائد التي عثرنا عليها في هذا الجزء ان الارشمندريت ايليا اسطفان رئيس كنيسة السوريين في الاسكندرية عثر على نسخة يونانية خطية حديثة العهد من مناظرة القديس جريجنتيوس اسقف مدينة ظفار (مدينة حميرية قرب صنعاء) فاهداها الى المكتبة البطريركية الانطاكية وجاء في المجلة ان القديس جريجنتيوس هذا نبغ في اواسط القرن السادس للتاريخ المسيحي وكان في طغياه عدد كبير من المتمين الى اليهودية التي ضربت اطنابها في اليمن منذ تهوُّد ذي نواس احد تابعة حمير فنشبت مناظرات دقيقة البحث قوية الحجاج بين هذا القديس وهروان زعيم اليهود في حضرة سيد اليمن وقتئذٍ ابرهة الحبشي الذي كان قد استخلص الملك من التابعة · ولا تزال نسخ من هذه المناظرة محفوظة في بعض المكاتب الشهيرة في اوربا وطبعت احداها باللغتين اليونانية واللاتينية سنة ١٥٨٦ ثم اعيد طبعها في باريس سنة ١٦٥٤

مناجاة الحبيب

في الغزل والنسيب

لجامعهِ الشاعر المجيد بشير افندي رمضان وهو القائل

يا من يروم مناجاة الحبيب على   طور الهوى بالنسيب العذب والغزلِ
اقرأ كتابي وخلِ الكتب اجمعها   «في طلعةِ البدر ما يغنيك عن زحلِ»

وفي الديوان قصائد ومقاطيع لمشاهير الشعراء المتقدمين والمتأخرين كابن نباته وابن الفارض والارجاني وصفي الدين الحلي والتلمساني والمتنبي وابن سهل والبها زهير والحاجري والشريف الرضي وابي تمام وابن معتوق ومهيار الديلمي وشهاب الدين السهروردي وعنترة العبسي وابي فراس وامثالهم . وحبذا لو الحق بهِ فهرساً جمع فيهِ اسماء هؤلاء الشعراء وذكر تاريخ ولادة الشاعر ووفاتهِ ومن عاصر من الملوك او الامراء . والحاجة امس الى مجموعات مثل هذا في الوصف وفي الحكم والامثال والديوان مطبوع طبعاً حسناً في المطبعة الاهلية ببيروت ويباع في المكاتب المصرية بخمسة غروش

التقرير السنوي لدار العلوم السمثسونية

ANNUAL REPORT OF THE SMITHSONIAN INSTITUTION 1907.

يظهر من هذا التقرير ان المال الموهوب لهذه الدار بلغ في اول يوليو سنة ١٩٠٧ مبلغ ٩٨٦٩١٨ ريالاً اميركياً أي اكثر من مئتي الف جنيه وقد انفقت في غضون سنة نحو خمسين الف ريال في سبيل العلم ومن آثارها هذا التقرير

وفي هذا التقرير ٢٩ مقالة في مواضيع علمية مختلفة طبيعية وميكانيكية وجغرافية واثرية وفيهِ صور كثيرين من مشاهير علم الحيوان مثل راي ولينيوس وكيفيه وبلنفيل ولاتيريل وأون وملر واغاسز وهيكل وفن بر ولامارك وداروِن وشوان وهكسلي

الكوثر

مجلة علمية فنية سياسية لصاحبها ومحررها بشير افندي رمضان

امامنا الجزء الثاني من هذه المجلة المفيدة وهو مفتتح بفصل في الاخلاق جامع بين الامثلة الشرقية والغربية ويليهِ فصل في الاقتصاد مبني على كتب علماء الاقتصاد في هذا العصر ثم

فصل في المرأة ذكر فيهِ بعض النابغات من نساء العرب وبعدهُ فصل في الترامواي الكهربائي وفيهِ كلام عن ترامواي بيروت وشركتهِ ويلي ذلك نبذ ادبية وعلمية مفيدة · والمجلة مطبوعة في المطبعة الادبية ببيروت طبعاً حسناً جدًّا على ورق جيد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اكسيد المنغنيس الثاني

سان ستفانو · حسين افندي مصري

ما معنى كلمة Manganese Dioxide وكيف تكتب اشارتها وكيف تؤَثر على كلورات البوتاسا في استحضار الاكسجين

ج · جرت العادة بان تترجها اكسيد المنغنيس الثاني وتكتب اشارتها او عبارتها بالعربية هكذا من ا٢ وباللغات الاوربية هكذا MnO_2 وهو اكسيد المنغنيس الاسود وقد يستحضر منهُ الاكسجين بالاحماء الى درجة الحمرة فيبقى منهُ الاكسيد الاحمر فان ثلاثة اجزاء من الاكسيد الاسود اي ٣ من ا٢ = من٣ ا٤ + ا٢ واما الاكسجين المستحضر منهُ ومن كلورات البوتاسا فظاهر الامر انهُ خارج من الكلورات لا من اكسيد المنغنيس لان اكسيد المنغنيس يبقى على حالهِ ونظن ان الاكسجين يتخلص اولاً من اكسيد المنغنيس الاسود لانهُ يحل بحرارة اقل من الحرارة التي تحل بها الكلورات ويبقى منهُ الاكسيد الاسمر وهذا يأخذ الاكسجين من الكلورات حالاً ثم يحررهُ وهلمَّ جرًّا الى ان يخرج كل الاكسجين من الكلورات ولا يبقى منهُ الا الكلوريد فيكون اكسيد المنغنيس الاسود واسطة

(٢) مياه الشرب

ومنهُ · ما هي اصلح المياه للشرب ومما تتركب

ج · كل مياه الينابيع الصافية الخالية من الرائحة والطعم صالحة للشرب وكل مياه الانهر الجارية الخالية من الميكروبات المرضية ومن الروائح الخبيثة صالحة للشرب وكل مياه الامطار صالحة للشرب · والماه مركب من الاكسجين والهيدروجين كما لا يخفى وتذوب

فيهِ مواد قليلة مما يضرّ بهِ وقلما تكون هذه المواد ضارّة بالصحة . واذا خالط الماء مواد آلية ضارّة فالغالب ان تعرّضها للهواء والنور يزيل الضرر منها والحيوانات الصغيرة التي تكون في الماء غالبًا تأكل ما فيهِ من المواد الآلية . وسنكتب مقالة مسهبة في هذا الموضوع

(٣) اغلى المعادن وارخصها

ومنهُ . ما هو اغلى المعادن وما هو ارخصها

ج . اغلاها الآن الراديوم وارخصها الحديد

(٤) اسلحة البارود

فراشه . شيخ العرب ابو هاشم علي قريط . من اول من اخترع اسلحة البارود وفي اي زمن كان

يظهر من بحث الباحثين في هذا الموضوع ان الصينيين عرفوا ملح البارود من قديم الزمان ومن المحتمل انهم صنعوا البارود منهُ بمزجهِ بالفحم والكبريت ولكن المرجح ان اول من فعل ذلك روم القسطنطينية في القرن السابع واستعملوا هذا المزيج في ما يسمَّى بالنار الرومانية لمقاومة المحاصرين ثم صنع بعضهم مشعلاً وضع فيهِ باروداً وكرات من نسالة القنّب فاذا اشعل البارود دفع الكرات لتخويف الخيل والظاهر ان العرب عرفوا ذلك واستعملوا البارود لقذف المقذوفات في اسبانيا فقد قيل انهم حصنوا اشبيلية بالمدافع سنة ١٢٤٧ ويقال ان ابا يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني استعمل المدافع في حصار سيدي موسى قرب الجزائر سنة ١٢٧٣ . ثم شاع استعمال المدافع في اوربا في اوائل القرن الرابع عشر ولا يبعد ان يكون اول صانع للمدفع عربيًا او من موالي العرب ثم صنعت القربينات والبنادق في القرن الخامس عشر والسادس عشر

(٥) الاساطيل الحربية

ومنهُ . ما هي اول دولة اخترعت الاساطيل الحربية

ج . الاساطيل الحربية او السفن الحربية قديمة جدًّا استعملت في عهد المصريين القدماء واستعملها الفينيقيون واليونانيون من قديم الزمان اي منذ الف سنة او اكثر قبل المسيح

(٦) رزق الله حسون

مينابولس منيسوتا باميركا . الخواجه سليمان داود . هل لكم ان تأتوا على ترجمة الشاعر الخطير رزق الله حسون وما لهُ من المؤلفات خلا حسر اللثام واشعر الشعر والمستترات . وأي سلطان بعث اليهِ الى لندن رجلاً دسّ لهُ السم في الطعام وهل طبع كتابهُ حسر اللثام

ج . ليس لنا الآن وصول الى ترجمتهِ ولا نعرف لهُ من الكتب خلا ما ذكرتموهُ الاَّ كتاب النفثات . واما المستترات الذي ذكرتموهُ فلم نرهُ وقد بلغنا ان كتابهُ حسر اللثام طبع في القاهرة ولكننا لم نرهُ ومسألة

دس السم لهُ شائعة لكننا سمعناها عن لسان صديقهِ القس لويس صابونجي على صورة أُخرى وهي انهُ دعي مع القس لويس الى وليمة في السفارة العثمانية فحذَّرهُ القس من شرب الخمور فلم يعبأ بتحذيرهِ وشرب فتوفي تلك الليلة وكان ذلك في عهد السلطان عبد الحميد. ويروى لهُ بيتان قالهما قبيل وفاتهِ وهما

قد قضى الله ان اموت غريباً في بلاد دعيت قسراً اليها

وبنفسي مخبآت معانٍ نزلت آية الحجاب عليها

(٧) فائدة الاستهواء

ومنهُ. جرى بحث جدلي في مسألة الاستهواء بيني وبين ابن عمي الدكتور طنوس داود وهو من المضطلعين بفن الاستهواء فهو يصوّب استعمال التنويم بيد الخبير العليم بالطريقتين السلبية والايجابية فنفيت مقالهُ مستنداً على قول للمقتطف سبق في احد اجزائهِ. واذ وافانا العدد الاخير واطلع على المقالة الافتتاحية المجوز فيها المقتطف طريقة الاستهواء احتج عليَّ فما هو الرأي الاخير المعوَّل عليهِ والذي يجب ان يكون كلاماً يحسن السكوت عليهِ

ج. كلما سمحت لنا فرصة لنبدي رأينا في هذا الموضوع قلنا ما قلناهُ حديثاً في جزء مارس الماضي حيث سئلنا هل كتبنا شيئاً في التنويم وكيف تكون ممارستهُ فاجبنا اننا «كتبنا فصولاً كثيرة فيهِ ولاسيما في المجلد الثاني عشر والثالث عشر والحادي والثلاثين والثاني والثلاثين ورأينا ان لا تتعلموا التنويم ولا تمارسوهُ ولو تعلمتموهُ. واكثر الاطباء الذين يمارسونهُ دجالون ولكن بعضهم امين يستعملهُ في ما يفيد ولهُ فوائد لا تنكر». وقد اشرنا على السائل بان لا يتعلمهُ ولا يمارسهُ اذا تعلمهُ لانهُ ليس طبيباً فلا يعلم ما هي الآفات التي يصح استعمال التنويم فيها. اما استعمال التنويم لمجرَّد «الفرجة» فلا يخلو من الضرر لان الانسان الذي يتكرَّر تنويمهُ على هذه الصورة تضعف اعصابهُ بما يبذلهُ من القوة الزائدة وهو مستهوًى لاجراء الاعمال التي يطلب منهُ اجراؤها. وابن عمكم مصيب في تصويب استعمال التنويم بيد الطبيب الخبير اذا قصر استعمالهُ على ما يفيد التنويم فيهِ

(٨) الليلة

بلومفنتين (بجنوبي افريقية) الخواجه همام قبلان. تباحث البعض في جهاتنا عن كلمة ليلة عند استعمالها مضافة الى يوم من ايام الاسبوع فقال البعض وهم الاكثرون ان قولنا ليلة الاحد تدل على الليلة التي تسبق نهار الاحد وتبتدئ السبت مساء وقال الآخرون انها تعني الليلة التي تبتدئ الاحد مساء فمن هم المصيبون

ج. لم نرَ في المزهر ولا في المصباح ولا في

القاموس ولا في لسان العرب ما يدل دلالة صريحة على المراد ولكن يستنتج من قول القاموس (الفيروزابادي) في معنى الليلة الليلاء انها «اشد ليالي الشهر ظلمة او ليلة ثلاثين» ان الفريق الاول مصيب وهو ما نجري عليهِ دائمًا اي ان ليلة ثلاثين من الشهر القمري هي الليلة السابقة للنهار الاخير منهُ فان الليلة التي تليها يظهر فيها الهلال وهي ليست من ذلك الشهر بل من الذي بعدهُ

(٩) زرع الفستق

لبنان . ن . ن يشكو كل الذين يعنون بزراعة الفستق في لبنان انهم لا يجنون منهُ الا قشوراً بغير لباب رغمًا عن نمو اشجاره وافراعها في جنائنهم فان الثمرة تضمر في قشرتها فتصبح جوفاء فما هو السبب في ذلك هل ان حالة البلاد الطبيعية غير صالحة لاستثمار الفستق او اننا نجهل اصول زراعتهِ

ج . البلاد صالحة لزرع الفستق وهو يجود فيها ولكن من اشجاره ما هو ذكر ومنها ما هو انثى كالنخل والصنوبر ولا بدَّ من تذكير الانثى حتى تعقد ثمراً . وقد بلغنا ان حضرة سليم بك ثابت رئيس محكمة الاستئناف بلبنان زرع كثيراً من شجر الفستق وهو يجني منهُ فستقًا كاجود ما يكون فاسترشدوا بهِ . وان اجابكم انهُ لا يذكّر اشجار الفستق كما يذكّر النخل مثلاً فنرجح اما انهُ يوجد من اشجاره اشجار ذكور وهي تذكّر الاناث كالصنوبر او ان الفستق يتذكر من البطم . ويقال ان الذين يزرعون شجر الفستق في حلب يبقون شجرة واحدة من الذكور بين كل خمس شجرات او ست شجرات من الاناث

(١٠) ولد غريب

ومنهُ . بلغنا ان في احدى قرى لبنان ولدًا في السابعة من سنيهِ يتلو عن ظهر قلبهِ فصولاً طويلة تشبه بعض الكتب الدينية ويزعم ذووه انهم لم يلقنوهُ شيئًا منها ولا سمعها عمرهُ قط وقد تواترت الاشاعات عنهُ مما لم يبقِ مجالاً للتكذيب . والغريب من امر هذا الغلام انهُ لم يتعلَّم القراءة فما رأيكم فيهِ

ج . ان تواتر الاشاعات لا يثبت صحتها فقد تكون كاذبة او يكون فيها من المبالغة ما يخرج اصلها عن الغرابة ولو كانت من النادر وحبذا لو ذهبتم الى حيث هذا الغلام ورأيتموهُ وبحثتم عن صحة ما يروَى عنهُ . والذين يدَّعون دعاوي مثل هذه يستنتجون منها ان نفس هذا الغلام كانت قبل حلولها فيهِ في انسان آخر وان ما يتلوهُ الآن هو من محفوظاتها لما كانت في ذلك الانسان لكن الادلة التي اقيمت على صحة هذه الدعوى قليلة وغير وجيهة ويمكن ردها كلها

ولا غرابة في شيوع الاشاعات الكاذبة فان الناس قد يفعلون ذلك على غير قصد الكذب لانهم يخطئون فهم ما يسمعونهُ ثم ينسون بعضهُ ويبدلونهُ بغيره ويبالغون فيهِ

قصد اقناع غيرهم . ولو كان تواتر الاشاعات لا يبقي مجالاً للتكذيب لزمنا ان نصدق ما لا يعقل من الاوهام والخرافات

(١١) طب الخيل

ومنهُ . ما هي المؤلفات العربية في طب الخيل واين توجد

ج . ليوسف عون كتب كثيرة مترجمة عن الفرنسوية طبعت في مطبعة بولاق بمصر وهي تتكلم عن طب الخيل ولجرجس افندي طنوس عون كتاب صدق البيان في طب الحيوان وهو مطبوع في بيروت

(١٢) الملعون

ومنهُ . ما هو الاسم الطبي للداء القتال الذي يصيب الخيل ويسمى عندنا ملعوناً وما هي اعراضهُ المميزة لهُ وما هو علاجهُ

ج . لم نرَ هذا الاسم في كتب الطب البيطري التي عندنا ونتذكر اننا شاهدنا في صبانا خيلاً وحميراً أُصيبت بما سمي الملعون وماتت بهِ والذي نتذكرهُ من الاعراض التي شاهدناها حينئذٍ يشبه ان يكون الملعون هو القولنج او الجمرة واعراض القولنج عن صدق البيان هكذا « تظهر فجأة على الحيوان امارات الكآبة والقلق ويكثر التدبيك والتلويح بذيلهِ ويحث الارض بيدهِ ثم يربض ويتمرغ ويتخذ على الارض هيئات وضع مختلفة ثم ينهض وقد يصاب بأسر البول وقبض الامعاء . . . وقد يبلغ الالم احياناً اقصى درجات الاحتمال فيهيج المصاب كالمجنون ويتكرش وجههُ وينتفخ بطنهُ احياناً ثم يبرد جسمهُ ويصغر نبضهُ ويتلاشى ويموت»

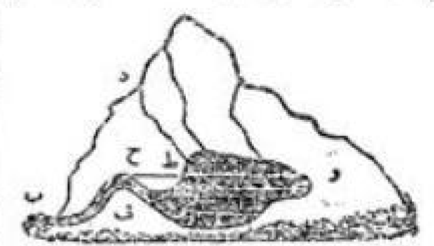
واعراض الجمرة في الخيل امارات الحزن وانحطاط القوى والمغص وتنكيس الراس وجفاف الجلد ووقوف الشعر ونوب عرق سخن وبارد واضطراب التنفس واشتداد ضربان القلب وقد يشل مؤخر الفرس وتتعاظم الاعراض قبل الموت بيرهة ومدة المرض من ١٢ ساعة الى ٣٦ ساعة . وعلاج المرضين مذكور في صدق البيان ونرجح ان الملعون هو الاول

(١٣) العين الدورية

بلومفونتين بجنوبي افريقية . الخواجه اديب ابرهيم عازار . نسمع من زمن طويل عن نبع ماء في املاك مار جرجس دير الحميري في جهات الحصن يظهر فيهِ الماء يومين في الاسبوع فيسقي املاك الدير المذكور فقط ثم ينقطع لذاتهِ وقد حاول اناس من النصيرية جر المياه الى املاكهم فلم يفلحوا لان الماء لا يخرج خارج املاك الدير فماذا تعللون هذه الاعجوبة

ج . ان الصحيح من ذلك ان تلك العين دورية لا غير والعيون الدورية قليلة ولكنها توجد في اماكن مختلفة ولها سبب طبيعي اما سائر ما بني على هذا الامر فغير صحيح . وتعليل العين الدورية ان يكون في باطن الجبل تجويف كبير يجتمع فيهِ الماء مما يتحلب اليهِ من الجبل ويكون لهذا التجويف قناة ممتدة الى اعلى

ثم الى اسفل كما ترون في هذا الشكل فيتغلب



الماء الى التجويف لكنهُ لا يخرج من القناة ف ب الا حينما يصير ارتفاع الماء على مساواة وح وحينئذٍ يبتدئ الماء ينصب من ب ويبقى ينصب الى ان يفرغ الماء كلهُ او يصير علو سطحهِ في التجويف على موازاة ف ب فينقطع جريان الماء حينئذٍ ويأخذ يتجمع في التجويف ثانية الى ان يعلو سطحهُ فيهِ ويصير الى حد وح فيعود الى الجريان من ب وهلم جرّا. ومن الينابيع الدورية ما ينقطع جريانهُ تماماً بين كل دورين كالينبوع المذكور آنفاً ومنها ما يشح ثم يغزر على التوالي لانهُ يكون مؤلفاً من نبعين احدهما ينقطع والآخر لا ينقطع ومن هذا القبيل نبع نهر بيروت

(١٤) دين الحكومة العثمانية

ومنهُ . كم مبلغ الدين الذي على الحكومة العثمانية

ج . بلغ دين الحكومة العثمانية في اواسط السنة الماضية ١٠٤٧٤٨٨٦٨ ليرة عثمانية وكان عليها لروسيا من الغرامة الحربية مبلغ ٢٤٥١٣٠٠٠ ليرة عثمانية وعلى سكة دمشق مبلغ ٢٧٣٤٩٤

(١٥) اعتبار العربية

ومنهُ . ما هو اعتبار اللغة العربية عند الدول الاوربية هل يعدونها نظير لغاتهم او يعدونها لغة اسيوية نظير لغة الهنود والصينيين

ج . يعدونها كما هي لغة سامية اسيوية ولها مقام رفيع عندهم فالانكليز يعفون دارسها من درس اللغة اليونانية او اللاتينية اذا اشترط درس لغة منها كما في علم الطب وعلماء اوربا يعترفون انها من اوسع اللغات ومن اقدرها على التعبير عن المعاني الفلسفية والعلمية ويفتخرون بمعرفتها

(١٦) ضرر البودرة

الخرطوم . رزق افندي واصف . ما هو ضرر البُدرة التي يضعها النساء على وجوههنَّ

ج . سدّ مسام الجلد لكنهُ دون ما يبالغ فيهِ

(١٧) حدوث الصواعق

ومنهُ . كيف تحدث الصواعق

ج . تتجمع الكهربائية الايجابية في الجو بتحوُّل البخار الى نقط ماء او بسبب آخر فتحلُّ كهربائية الارض التي تحتها الى قسميها السلبي والايجابي فتتجاذب كهربائية الجو الايجابية وكهربائية الارض السلبية وتتحدان ويحدث من اتحادهما نور وصوت وهما البرق والرعد وقد ينتج عن ذلك افعال شديدة كحرق الاخشاب وصهر المعادن وتكسير

الحجارة وما اشبه

(١٨) حرق منديل بالصاعقة

ومنهُ . قيل ان شخصاً كان ماسكاً منديلاً حريرياً امام انفهِ فنزلت عليهِ صاعقة احرقت المنديل ولم تمس الرجل بضرر فما سبب ذلك

ج . ان افعال الصوعق غريبة مختلفة ولا يمكن تعليلها تعليلاً موكداً الاَّ اذا عرفت حالة كهربائية الاجسام التي تصاب بها وكهربائية الاجسام المجاورة لها ففي الحالة التي ذكرتموها قد يكون الجاذب لكهربائية الجو جسم آخر غير جسم ماسك المنديل وهو اشد جذباً لها والمنديل في محيط فعل المزج الكهربائي وفي نهايتهِ فانفعل بهِ ولم ينفعل بهِ جسم ماسكهِ . او يكون السبب ان جسم الانسان حسن الايصال فاوصل المجرى الكهربائي بسهولة ولم يقاومهُ واما منديل الحرير فقاوم المجرى الكهربائي فاحترق لان الحرير غير جيد الايصال للكهربائية . وهذا التعليل اوجه من الاول ولكن هل الحادثة صحيحة

(١٩) سرعة الصوت

ومنهُ . عند ما نطلق بندقية او مدفعاً نرى نور الطلقة قبلما نسمع صوتها بزمن فما سبب ذلك وكم تكون المدة بينهما

ج . سببهُ ان النور اسرع من الصوت وفي المسافات القصيرة على الارض تحسب المدة التي تلزم لسير النور صفراً لان سرعتهُ نحو ١٩٢ الف ميل في الثانية من الزمان واما سرعة الصوت في الهواء فنحو ١١٢٠ قدماً في الثانية فاذا حسبتم المدة بين رؤية النور وسماع الصوت بالثواني وضربتموها في ١١٢٠ وجدتم المسافة بالاقدام ولكن صوت اطلاق المدفع اسرع في اولهِ من الصوت العادي

(٢٠) وسائل ترقية المرأة

ومنهُ . ما هي اهم الوسائل التي يمكن استعمالها لترقية المرأة المصرية

ج . التعليم والتمرين ولا يكون التمرين الاَّ بالمعاشرة والمخالطة فاذا كانت عوائدنا تحتم علينا بمنع المرأة عن المعاشرة والمخالطة فالتعليم يفيدها بعض الفائدة ولكنها تبقى عاجزة عن مجاراة المرأة التي تعاشر وتخالط

(٢١) تأخر التكلم

سوا كن ١٠ . ع . لي ابنة في السنة الرابعة من عمرها صحتها جيدة ولكنها لم تتكلم حتى الآن سوى النطق بكلمات لا تتجاوز عدد الاصابع فما سبب ذلك وما علاجهُ

ج . يظهر ان السبب ضعف في مركز النطق في الدماغ فمرّنوها على التكلم رويداً رويداً ولا يبعد ان تتغلب على هذا الضعف من نفسها فتصير تنطق مثل غيرها . والاَّ فمن المحتمل ان تشفى من ذلك بعملية جراحية تزيل الضغط عن الدماغ او عن مركز النطق فيهِ . وان كانت تستعمل يدها اليسرى فعلموها استعمال اليمنى بدلاً منها وان

كانت تستعمل اليمنى فعلموها استعمال اليسرى بدلاً منها لعلَّ المبادلة بين يديها تريح جانباً من دماغها فيقوى فيهِ مركز النطق

(٣٣) اللكنة

مصر . الخواجه سيمون مني . لي ولد يبلغ من العمر ثلاث سنوات . حينما كان عمرهُ سنتين ونصف سنة كان سريع التكلم شديد الذاكرة طلق اللسان حتى كان يدهش من كان يسمعهُ يتكلم وقد اصيب منذ مدة بارتباط في لسانهِ عند التكلم فاذا اراد ان يقول اشترِ لي كرةً يقول اش اش اش اشترِ لي كرةً وهكذا في باقي الكلام واحياناً يغتاظ من ذلك فيسكت عن الكلام فما سبب ذلك وما علاجهُ

ج . ان شرح اسباب اللكنة او الثرثرة يطول لانها كثيرة والغالب انها تشفى من نفسها من غير علاج او تحسن بالتقدم في السن ويحسن بكم ان تحثوا ولدكم حتى يمرن نفسهُ على لفظ الحروف التي يلكن فيها وان يصرخ بها صراخاً شديداً من صدره حتى تقوى اعضاء الصوت ويصير يستطيع ان يتنفس بسهولة وهو يتلفظ بها

(٣٤) اول خط تلغرافي

كفر المبروك . عبد الحي افندي سليم . في اي سنة انشئ اول خط تلغرافي على وجه البسيطة

ج . سنة ١٨٣٧ فانهُ في تلك السنة قام مورس في اميركا وستانهل في بافاريا وهوِيتستون وفربس في انكلترا وصنع كلٌّ منهم تلغرافاً مخالفاً لتلغراف غيرهِ ففضل تلغراف مورس لبساطتهِ وهو المستعمل في القطر المصري

(٣٤) الصين والطباعة

ومنهُ . احقيقي ما يقال من ان الصينيين هم المخترعون لآلة الطباعة

ج . هم اول من عمل طوابع للحروف او للكلمات (لان حروفهم كلمات) تجمع بعضها مع بعض ويطبع الورق بها بالحبر ولكن آلات الطباعة المستعملة الآن من اختراع الاوربيين وفي كل آلة منها من آيات الصناعة ما يدهش العقول

(٣٥) اول مجلس نيابي

ومنهُ . ما هو اول مجلس نيابي على وجه الارض

ج . البارلمنت الانكليزي فانهُ انشئ في اوائل القرن الثالث عشر اي منذ سبع مئة سنة

(٣٦) قوة اليونان الحربية

مصر . يوسف افندي د . كم عدد جنود اليونان البرية والبحرية

ج . عدد الجنود البرية وقت السلم نحو ٢٩ الفاً ووقت الحرب نحو ٥٠ الفاً وعدد البحارة والجنود البحرية نحو اربعة آلاف وميزانية الحربية نحو ٤٧٠ الف جنيه في السنة



جمهورية جنوبي افريقية

صار للانكليز الآن ثلاث جمهوريات او بلدان كبيرة مستقلة استقلالاً اداريا وهي استراليا في الاوقيانوس الباسيفيكي ومساحتها ٣٠٦٥١٢٠ ميلاً وعدد سكانها ٤٥٧١٧١٣ وكندا في اميركا الشمالية ومساحتها ٣٧٤٥٥٧٤ وعدد سكانها ٥١٥٣٧٨٩ ومستعمرات جنوبي افريقية ومساحتها نحو ١٢٤٨٠٠٠ وعدد سكانها نحو ٨٣٠٢٠٠٠ وقد أُعطيت هذه المستعمرات في شهر يوليو الماضي حكومة واحدة جمهورية دستورية خاضعة للسلطنة البريطانية

الرجال بالعزائم

ان الملازم شكلتن الذي طبق ذكرهُ الخافقين لانهُ كاد يبلغ القطب الجنوبي وأُحلَّ ارفع محل في بلاد الانكليز كان عاملاً بسيطاً وهو شاب يعمل بتكويم الفحم في اميركا الجنوبية وقد بلغت نفقات رحلتهِ الى جهة القطب نحو ٤٥ الف جنيه دفع منها ٢٥ الف جنيه من اموال زوجتهِ واصدقائهِ وبقي عليهِ ٢٠ الف جنيه ولم يطلب من الحكومة جنيهاً واحداً بل عزم ان يوفيها كلها من دخل كتبهِ ومقالاتهِ لكن الحكومة قررت اعطاءهُ هذا المبلغ عفواً

المسكرات والصحة

قال الاستاذ ليثتن في المؤتمر الدولي الذي عقد حديثاً في لندن ان كريات الدم الحمراء تضعف مقاومتها للامراض المعدية في الذين يشربون المسكرات وقال السر توماس هويتكر ان شركات ضمانة الحياة تعلم ان عمر شاربي المسكرات اقصر من عمر غيرهم بنحو ٢٥ الى ٣٠ في المئة أي اذا كان متوسط عمر الذين لا يشربون المسكرات اربعين سنة فمتوسط عمر الذين يشربونها ثلاثون سنة الى ٢٨ سنة . وقال الاستاذ كارل غريغور وهو ثقة في امراض المجموع العصبي ان ١٥ الى ١٧ في المئة من اولاد السكيرين يصابون بآفات عقلية او يصابون بالتدرُّن واما الذين لا يشربون المسكرات فلا يصاب من اولادهم بالآفات العقلية او التدرُّن الاَّ خمسة في المئة فقط

لورد كتشنر

حالما تنتهي مدة لورد كتشنر من قيادة جيوش الهند يرقى الى رتبة مشير ويمضي الى اليابان نائبًا عن ملك الانكليز وجيوشهِ لحضور الاستعراض العظيم الذي يقام فيها في شهر نوفمبر المقبل ثم يمضي الى استراليا وزيلندا الجديدة ويشير عليهما بما يراهُ مناسبًا لترقية قواتهما الحربية ويعود الى بلاد الانكليز ليتولى القيادة العامة للجنود الانكليزية في البحر المتوسط وافريقية

نقل المناظر بالتلغراف

التلكسوب يقرّب رؤية الاشباح البعيدة فيرى الانسان بهِ ما لا يراهُ بعينهِ ولكن يشترط في ذلك ان النور المنعكس او الصادر من الشبح يصل الى التلكسوب والتلكسوب يجمع مقدارًا كبيرًا منهُ على عين الرائي فيتمكن من الشعور بهِ ولولا ذلك لكان النور الواصل الى عينهِ قليلاً جدًّا لا يكفي لرؤية الشبح . والكهربائية تنقل الحركات والاصوات من مكان الى آخر وتنقل ايضًا الخطوط ورسوم الاشباح فيمكننا ان نرسم صورة رجل في القاهرة وننقلها بالتلغراف الى الاسكندرية فترتسم هناك كما ارتسمت هنا وقد شرحنا كل ذلك في اجزاء المقتطف الماضية . ولكن الكتابة التي تنقل بالتلغراف والصورة التي تنقل بهِ على ما تقدَّم تنقل جزءًا بعد جزءٍ اي كلما مرَّ قلم التلغراف في القاهرة على حرف ارتسم ذلك الحرف بقلم التلغراف في الاسكندرية وكذلك كلما مرَّ قلم التلغراف على جزءٍ من الصورة في القاهرة رسم قلم التلغراف ذلك الجزء في الاسكندرية . ولكن الذي يرى الشبح لا يرى جزءًا منهُ بعد آخر بل يراهُ كلَّهُ دفعةً واحدة فهل في الامكان نقل الصورة كلها دفعة واحدة حتى يراها الرائي البعيد بواسطة التلغراف كما يراها مَن ينظر اليها عن قريب او كما يراها بالتلسكوب

وقد كتب الدكتور الفرد غرادنوتز في مجلة المعرفة الانكليزية يقول انهُ رأى آلة صنعها ارنست رومر البرليني تنقل الصور دفعة واحدة والمثال الذي رآهُ منها صغير تبلغ نفقات عملهِ ٢٥٠ جنيهًا واما الآلة الكبيرة التي تنقل بها الصور من بلاد الى اخرى فتبلغ نفقات عملها ٢٥٠ الف جنيه . والاعتماد في هذه الآلة على عنصر السلينيوم المعروف بتأثرهِ بالنور فيكون في الآلة التي ترسل الصور بطريات من السلينيوم يقع عليها النور من الصور فتتأثر بهِ وترسلهُ في مجاري كهربائية الى الآلة التي يراد ارسال الصورة اليها وهذه المجاري تؤثر في بطرياتها التي من السلينيوم تأثيرًا يستحيل الى صورة كالصورة التي سببتهُ . ولولا غلاء هذه الآلة لقلنا ان استعمالها يشيع حالاً

فيضان هذا العام

جاء النيل وافياً ومبكراً جدًّا في هذا العام على غير عادتهِ في اكثر السنوات الماضية ولذلك كان الري الصيفي متوفراً والمرجح ان تكون المياه قد بلغت اعلى منسوب يمكن وصولها اليهِ في الرصيرص وخشم القربة في العشرين يوماً الاولى من الشهر الجاري حيث بلغت في الرصيرص نحو ٢١ متراً وفي خشم القربة نحو ١٥ متراً و ٦٧ سنتمتراً . وكان اعلى مقاس للنيل في الرصيرص في العام الماضي ٢٢ متراً و ٣٤ سنتمتراً بلغها في الثاني والعشرين من شهر اغسطس . وفي خشم القربة ١٥ متراً و ٧٠ سنتمتراً بلغها في الثالث والعشرين منهُ . وعليهِ فان اعلى مقاس للنيل هذا العام ينحط في الرصيرص نحو متر و ٣٤ سنتمتراً عما كان عليهِ في العام الماضي اما في خشم القربة فان الفرق بين المقاسين في السنتين لا يكاد يذكر

وينتظر ان يتجاوز مقاس النيل في حلفا نحو ثمانية امتار بين ٢٣ و ٢٤ الجاري مع ما كان عليهِ الفيضان من الانحطاط في الرصيرص هذا العام بالنسبة الى فيضان العام الماضي . ومعلوم ان مقاس النيل في حلفا بلغ اعلى منسوبهِ في العام الماضي وهو ثمانية امتار و ٥٢ سنتمتراً في التاسع من شهر سبتمبر فيكون قد جاء مبكراً فيها هذا العام نحو ١٥ يوماً عن موعدهِ في العام الماضي وقد اخذ النيل الآن في الانحطاط المتوالي فعسى ان لا يكون الانحطاط مستديماً وسريعاً حتى تتوفر المياه للزراعة الصيفية في الصيف القادم

غنى كندا بالقوة المائية

قدر المقدرون ان في بلاد كندا باميركا من القوَّة المائية ما يساوي ٢٥٦٠٠٠٠٠ حصان ولا يخفى ان قوة الحصان البخاري على مدار السنة اذا عمل كل يوم تبلغ نحو ٢٢ طناً من الفحم الحجري فكأن في كندا من القوة المائية ما يساوي ٥٦٣ مليون طن من الفحم الحجري اي نحو ٢٥٠ مليون جنيه في السنة

الميزانية العثمانية

ظهر من الميزانية العثمانية في باب النفقات ما يأتي وهو بالليرة العثمانية

	١٣٢٤	١٣٢٥
دائرة الصدارة	٠٠٨٥٤٣٩	٠٠٣٤٤٩٤
شورى الدولة	٠٠٨٦٩١٩	٠٠٥١٥٢٢
نظارة الداخلية	١٠٦٠٧٤٠	١٠٨٥١١٢
نظارة الخارجية	٠٢٤٧٧٢٤	٠٢١٨٣١٠
الديون العمومية	٨٧٤٢٣٣٦	٨٢٩٤٢٦٢
المجلس العمومي اي الاعيان والمبعوثان		٠٢١٥٣٤٦
الخزينة الخاصة		٠٥٢٢٥٧٠

ثم ظهرت كلها وسنذكرها في الجزء التالي

طيارة المسيو بلريو

ان الطيارة التي قطع بها المسيو بلريو Blériot من فرنسا الى انكلترا هي الحادية عشرة من الطيارات التي صنعها لهذه الغاية وقد شرع في عملها في شهر دسمبر الماضي وامتحنها اول مرة في ١٨ يناير وكانت مساحة سطحها ١٤ يرداً مربعاً فزاده حتى صار ١٧ يرداً وفيها آلة بترول تديرها قوتها ٢٢ حصاناً وثقلها ١٣٢ ليبرة فقط واعاد تجربتها مراراً فاقامت في الجو في ٤ يوليو خمسين دقيقة و٨ ثوانٍ وطارت في ١٣ يوليو ٢٦ ميلاً . وهيكلها من خشب الآش والحور وهو مشدود باسلاك معدنية من اسلاك البيانو وثقلها ٤٥ ليبرة وطولها ٢٣ قدماً ويسهل عليها حمل ٦٦٠ ليبرة وثقل ما يتصل بها من العجلات ونحوها ٦٦ ليبرة وقد ثبت من هذه الطيارة انهُ يمكن عمل آلة تطير في الهواء وتحمل اكثر مما ينتظر حملهُ بقواعد الحساب والطيران . ولكن الطيارات لا تستطيع ان تقطع مسافات طويلة جدًّا لانها لا تستطيع ان تحمل كل ما يلزم لها من الوقود لقطع المسافات الطويلة لاسيما وان اكثر الآلات المعروفة اتقاناً يضيع بها اربعة اخماس القوة . واطول مدة اقامها انسان في الجو بطيارة او آلة طيران غير البالون ساعتان و ٢٧ دقيقة و ١٥ ثانية . ويقال ان المسيو بلريو قد انفق على آلات الطيران حتى الآن عشرين الف جنيه

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يجتمع مجمع تقدُّم العلوم البريطاني في ونبغ بكندا في ٢٥ اغسطس برئاسة السر جوزف طمسن استاذ الطبيعيات في جامعة كامبردج

اقدم كسوفات التاريخ

في اللغة الصينية شعر يشير الى كسوف قديم وقع منذ اكثر من ٢٧٠٠ سنة وهذه ترجمتهُ

« لما اقترنت الشمس بالقمر في الشهر العاشر
في اليوم الاول من الشهر وهو سن ماو
كسفت الشمس
وذلك شؤْم كبير
ثم صغر القمر وصغرت الشمس
ولذلك ستسوءُ حال الناس على الارض
انذار سوء من الشمس والقمر
لانهما لم يبقيا في خطتيهما
ساءت الاحكام في البلاد كلها
لان السيادة ليست في يد الصلاَّح
خسوف القمر امر عادي
واما كسوف الشمس فما اشأمهُ »

وقد ظهر بالحساب ان هذا الكسوف وقع في ٢٩ اغسطس سنة ٧٧٥ قبل المسيح فهو اقدم كسوف ذكرهُ التاريخ

مدد العصور الجيولوجية

اختلف الجيولوجيون والبلينتولوجيون والفلكيون والطبيعيون في تقدير الزمن الذي مرَّ من حين ظهرت الاحياء على الارض الى الآن بين مئة مليون سنة ومئتي مليون سنة وهذا الزمن يقسم الى خمسة ادوار

الاول الدور الاركيوزويك اي دور الحياة الاقدم ومدتهُ ٥٢ مليون سنة

والثاني البليوزويك اي دور الحياة القديمة ومدتهُ ٣٤ مليون سنة

والثالث الميسوزويك اي دور الحياة المتوسطة ومدتهُ ١١ مليون سنة

والرابع السنوزويك اي دور الحياة المشتركة ومدتهُ ٣ ملايين سنة

والخامس الانثروبوزويك دور الحياة الانسانية وهو من مليون سنة الى مئة الف سنة

فاذا حسبنا المدة كلها من حين ظهور الاحياء الى الآن يوماً كاملاً فالدور الاول منهُ يساوي ١٢ ساعة و ٣٠ دقيقة والدور الثاني ٨ ساعات و ٧ دقائق والثالث ساعتين و ٣٨ دقيقة والرابع ٤٣ دقيقة والخامس دقيقتين . ثم اذا حللنا الدور الاخير وجدنا عصر التاريخ منهُ لا يزيد على خمس ثوانٍ والعصر المسيحي كلهُ لا يزيد على ثانيتين . وادلة هؤلاء العلماء لا تبقي مجالاً للشك في ان الاحياء وجدت على وجه هذه البسيطة منذ الوف وملايين من السنين ولو كان تحديد الزمن متعذراً

حالة مصر المالية

يظهر من تقرير الجمارك المصرية عن شهر يوليو الماضي ان قيمة الواردات لا تزال آخذة في القلة وقيمة الصادرات لا تزال آخذة في الكثرة . فقد نقصت قيمة الواردات في شهر يوليو ١٦٩٨٢١ جنيهاً عما كانت عليهِ في شهر يوليو من العام الماضي . وبلغ النقص من اول هذه السنة الى آخر يوليو ١٦٣٣٨٠٠ جنيه وزادت قيمة الصادرات في شهر يوليو ١٤٠٦٢١ جنيهاً عما كانت عليهِ في شهر يوليو من العام الماضي وبلغت الزيادة من اول هذه السنة الى آخر يوليو ١١٢٣٠٨١ جنيهاً فكأنهُ توفر مع القطر المصري من اول السنة الى آخر يوليو مليونان وثلاثة ارباع من الجنيهات بين زيادة في قيمة الصادرات واقتصاد في الواردات ولولا الزيادة الكبيرة في اثمان ما ورد من مواد الطعام الضرورية كالدقيق والقمح والذرة لكان المتوفر اكثر من ذلك كثيراً . فانهُ ورد من مواد الطعام هذه الى آخر يوليو ما ثمنهُ مليونان و ١١١ الف جنيه وكان ثمن هذه الواردات في العام الماضي مليوناً و ٦٥٨ الف جنيه فقط وفي ما سوى ذلك نقصت قيمة الواردات كلها تقريباً . اما الصادرات فاكثر زيادتها في ثمن القطن والبصل والبيض والجلد وهي من

الحاصلات الزراعية الثابتة . والامل وطيد ان تستمر هذه الحال بزيادة قيمة الصادرات والاقتصاد في الواردات وان تزيد حاصلات القمح والذرة حتى تغني البلاد عما تستورده منهما فاذا استمرت الحال كذلك سنتين اخريين انتعشت البلاد مما اصابها في السنتين الماضيتين

تلغراف مركوني
والامبراطورية الانكليزية

من رأي السنيور مركوني انهُ يمكن ربط الامبراطورية البريطانية بتلغرافهِ على هذه الصورة يقام لهُ مركز في مالطة وهي تبعد عن انكلترا ١٦٠٠ ميل ومركز في القاهرة وهي تبعد عن مالطة ١٠٥٠ ميلاً ومركز في عدن وهي تبعد عن القاهرة ١٣٠٠ ميل ومركز في بمباي وهي تبعد عن عدن ١٦٥٠ ميلاً ومركز في كولمبو وهي تبعد عن بمباي ٦٠٠ ميل ومركز سنغافورة وهي تبعد عن كولمبو ١٥٥٠ ميلاً ومركز في برث وهي تبعد عن سنغافورة ٢١٠٠ ميل ومركز في ادليد وهي تبعد عن برث ١٢٠٠ ميل ومركز في سدني وهي تبعد عن ادليد ٧٠٠ ميل ومركز في ولنتن بزيلندا الجديدة وهي تبعد عن سدني ١٢٠٠ ميل وجملة هذه المسافات ١٢٩٥٠ ميلاً ويتفرع من سنغافورة فرع الى الصين طولهُ ١٦٠٠ ميل . ويمكن الوصل بين الهند وجنوبي افريقية من مدينة الراس الى موريتيوس ٢٢٠٠ ميل ومن موريتيوس الى جزيرة نلسن ١٤٥٠ ميلاً ومنها الى كولمبو ١٠٠٠ ميل . وتربط كندا بجميكا وهذه بغينيا البريطانية وبثرست في غربي افريقية

نفقة تسجيل الاختراع

تبلغ نفقة تسجيل الاختراع عشرة فرنكات في بلجكا و ٥٠ ماركاً في المانيا (٢٣٩ غرشاً) ومئة فرنك في فرنسا و ٣٥ ريالاً في اميركا ومئة جنيه في انكلترا .

الاجنة والمواد الكيماوية

وجد بالامتحان انهُ اذا اذيبت املاح المغنيسيوم في ماء البحر وكان فيهِ بيض نوع من السمك المعروف باسم فندولس هتروكليتس ولد السمك من البيض بعين واحدة ولا يعلم سبب ذلك ولا لماذا تؤثر املاح المغنيسيوم في عيون الاجنة

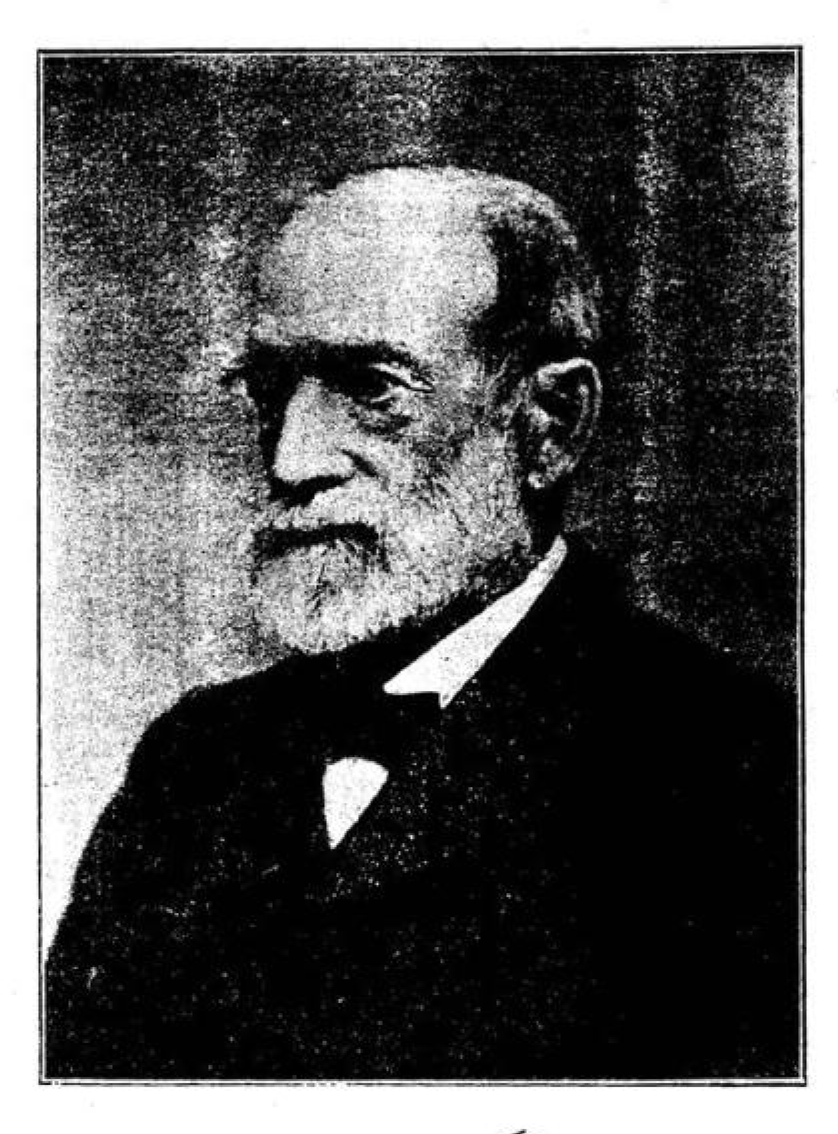
الجوارح والزراعة

قال الدكتور مجلفري ان جوارح الطير كلها تفيد الزراعة باكلها الحيوانات والحشرات التي تضرُّ بها فالعقاب تأكل الارانب وقد احصى بقايا مئتي ارنب حول عش من عشاش العقبان . والبومة تأكل الجرذان والفيران ولكن الجوارح تصيد العصافير ايضاً على اختلاف انواعها وبينها ما هو مفيد للزراعة باكلهِ الحشرات فينقلب نفع الجوارح الى ضرر

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخامس والثلاثين


المقتطف





الدكتور جورج بوست

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الخامس والثلاثين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٨ شوال سنة ١٣٢٧

الدكتور جورج بوست

منذ اثنين واربعين سنة اجتمع ثلاثة من الاطباء في دار صغيرة بمدينة بيروت اميركيان وارمني تلميذ لاحدهما وهم الدكتور كرنيليوس ڤان ديك والدكتور يوحنا ورتبات والدكتور جورج بوست . انتدبتهم لجنة المدرسة الكلية السورية الانجيلية لعمل جليل عمَّ نفعهُ البلاد العربية بل البلاد العثمانية كلها وهو انشاء مدرسة طبية ضمن المدرسة الكلية

كان الدكتور ڤان ديك كهلاً قصير القامة نحيف الجسم خفيف اللحية وكان السوريون قد عرفوا منهُ عالمًا عاملاً نشر بينهم كتبًا علمية في الجغرافية والجبر والهندسة وكان يعرف العربية مثل اربابها ويتكلمها بلهجة صحيحة كاحد ابنائها واذا حدَّثك استشهد بالاشعار والامثال وجوامع الكلم كأنهُ حفظ فن المحاضرة على اربابهِ

وكان الدكتور ورتبات كهلاً قصير القامة كث اللحية ليس بالنحيف ولا بالسمين ولم تكن لهُ مؤَلفات عربية معروفة ولكن كان لهُ مؤَلفات انكليزية . وكان يتكلم الانكليزية ويكتبها مثل البارعين من ابنائها اما العربية فكانت لغتهُ التي رضعها مع اللبن واخذ قواعدها عن علمائها

وكان الدكتور بوست شابًا في مقتبل العمر متوسط القامة برَّاق العينين اسود الشعر يتكلَّم العربية بلهجة طرابلسية فانهُ تعلمها في طرابلس الشام

اجتمع هؤلاء الثلاثة واقتسموا العلوم الطبية كلها لقلة عدد التلامذة في السنين الأُول فاستقلَّ الدكتور ڤان ديك بتعليم الكيمياء والباثولوجية والتشخيص الطبيعي والدكتور ورتبات بتعليم التشريح والفسيولوجيا والدكتور بوست بتعليم النبات والمواد الطبية والجراحة . وقرنوا كلهم التعليم العلمي بالتعليم العملي في كل العلوم التي علموها اي انهم كانوا يفرضون على التلامذة العمل بما يتعلمونهُ

اين هؤلاء الاساتذة الآن اركان المدرسة الطبية ومؤَسسوها . ذهبوا في طريق كل حي

بعد ان طببوا وعلَّموا والَّفوا وخدموا البلدان العربية اكبر خدمة تذكر في تاريخ ارتقائها العلمي
كان الدكتور بوست اصغرهم سنًّا واعلاهم همةً واكثرهم اشتغالاً لا يكلُّ ولا يملُّ .
لازم التدريس والتطبيب والتأليف والبحث عن النباتات في كل الاقطار العربية الى ان
انتهت السنة المدرسية الماضية فاستعفى من التدريس ومدَّ يدهُ حين استعفائهِ وقال لاخوانهِ
الاساتذة انظروا الى هذه اليد فقد قبضتْ على آلات الجراحة السنين الطوال ولم تكلَّ ولا
ضعفت ولا ارتجفت ومرادي ان اطرح هذه الآلات منها الآن بارادتي قبلما تضعف فاضطر
ان القيها منها رغمًا عني . وكأنَّ ميكروب الامراض الذي بقي زمانًا طويلاً ينفي وجودهُ ولم
يسلّم بهِ الاَّ بعد ان زالت كل شبهة فيهِ حمل عليهِ حينئذٍ اذ رآهُ اعزل فارداهُ

عرفناهُ في مدرسة عبيه الاميركية سنة ١٨٦٥ قبيل انشاء المدرسة الكلية وكان يدرس
معنا الصرف والنحو في فرقة واحدة ويبحث ويدقق كابناء اللغة . وخطب وهو هناك خطبة
علمية في الهضم شرح فيها هذا العمل الطبيعي اوضح شرح مبينًا اعضاءهُ برسوم رسمها على لوح
اسود بالطباشير الملوَّن وكان هذا الطباشير شائعًا حينئذٍ . ولم يكتفِ بذلك بل قبض على
كلب وبنَّجهُ واماتهُ ثم شقهُ واراناوضع اعضاء الهضم فيهِ وشكلها . ثم لما أُنشئت المدرسة
الطبية وانتدب لتدريس النبات والتشريح والمواد الطبية كما تقدم الَّف كتبهُ المشهورة في
هذه العلوم الثلاثة باللغة العربية . وكانت طريقتهُ في التعليم مثل طريقة رصيفيهِ الدكتور
ڤان ديك والدكتور ورتبات وهي قرن العلم بالعمل فكان على تلامذة النبات مثلاً ان يشرحوا
الازهار والاثمار ويجمعوا امثلة كثيرة من النباتات المختلفة ويجففوها ويحفظوها ويعينوا
انواعها وفصائلها . وعلى تلامذة المواد الطبية ان يتمرنوا على تمييزها بصفاتها الظاهرة وخواصها
الكيماوية . والعمل الاكبر كان في علم الجراحة فانهُ كان يفرض على تلامذتهِ عمل كل الاعمال
الجراحية في المستشفى الذي كان تابعًا للمدرسة الكلية ولذلك امتاز تلامذة هذه المدرسة بانهم
اشتغلوا بكل فروع الطب كأنهم اختصاصيون في كل فرع منها فلا ينتدب واحد منهم لعملية
جراحية ويحجم عنها مهما كانت كما لا يحجم عن معالجة اي مرض كان من الامراض الباطنة
ومن امراض النساء والاطفال

ولا شبهة في ان الدكتور بوست بلغ غاية ما يطلب في التعليم الآن حيث قرن العلم بالعمل
وبلغ ايضًا غايةً اخرى وهي البحث في العلم والاكتشاف فيهِ لتوسيع نطاقهِ . وكان اكثر اشتغالهِ
من هذا القبيل في البحث عن نباتات سورية وفلسطين وشبه جزيرة سينا ولهُ في ذلك كتاب
كبير جليل حتى لو لم يكن لهُ غيرهُ ولو لم يشتغل بغير علم النبات لعدَّ من العلماء الذين وسَّعوا

نطاق العلم بجمع المواد اللازمة لهُ . اما المشاق التي تجشمها في سبيل هذا العلم والاسفار التي سافرها والايام والسنين التي قضاها في جمع النباتات وتجفيفها وتبويبها فما يملأُ شرحه مجلداً كبيراً

وكان لهُ في المدرسة الكلية معرض للمواد الطبية ومعرض للمستحضرات الجراحية وما استخرجهُ من الحصى والاورام والعظام وما اشبه ومعرض لامثلة الحيوانات والنباتات ومعرض اكبر من هذه كلها للنباتات التي جمعها هو وتلامذتهُ ورتبها وبوبها . وكان يقضي في هذا المعرض اكثر اوقات الفراغ وقلما كان يخرج منهُ قبل الساعة الحادية عشرة او الثانية عشرة ليلاً . اجتهاد علَّم تلامذة المدرسة الكلية الاجتهاد وهمة عالية قلما رأى ابناء سورية مثلها

وكان من اكثر الاطباء والجراحين اشتغالاً بالطب والجراحة . كان يعالج المرضى ويعمل العمليات الجراحية في بيتهِ وفي والمستشفى وبيوت المرضى في بيروت ولبنان وسائر المدن السورية حتى كنا نعجب كيف يجد وقتاً للاكل والنوم والتدريس

واهتمَّ بغير ذلك من الاشغال العلمية فجمع فهرساً للكتاب المقدس بمساعدة بعض التلامذة ووضع قاموساً تفسيرياً للكتاب المقدس وانشأ مجلة الطبيب بالاشتراك مع الدكتور لويس ثم استقلَّ بها ثم عهد بتحريرها لغيرهِ

وبنى بيتاً جميلاً في بيروت قرب المدرسة الكلية وانشأ حولهُ حديقة غنّاء جمع فيها انواعاً شتى من الاشجار والانجم والازهار والرياحين . وبيتاً آخر في عاليه يشرف على وادٍ عميق وغرس حولهُ كثيراً من الاشجار الجبلية واخيراً اهتم بانشاء بناء كبير في المدرسة الكلية جعلهُ دوراً للمعارض العلمية وهو من اجمل ابنية المدرسة واوسعها وكان مع ذلك كلهِ يجد وقتاً للخطب العلمية والمواعظ الدينية ولمسامرة الاصدقاء

وقد عيب عليهِ حرصهُ الشديد او تدقيقهُ في تقاضي اجرة عملهِ . وقد كان كذلك عن طبع لا عن جشع فانهُ كان مع هذا الحرص كريماً اذا رأى داعياً للكرم . نُدبنا مرة لجمع مبلغ من المال لجمعية خيرية فقصدناهُ ونحن نقدم رجلاً ونؤخر أخرى . ولما اخبرناهُ بغرضنا اعطانا اكثر مما اعطانا غيرهُ من المشهورين بكرمهم ولم يشأ ان يذكر اسمهُ بل قال قولوا من صديق . واختلف مرة مع صديق لهُ على عشر بارات ثم استدعاهُ ذلك الصديق لتجبير يد حماتهِ فجبرها وعادها مراراً كثيرة الى ان شفيت ولم يشأ ان يأخذ اجرة

توفي الى رحمة ربهِ في الثامن والعشرين من شهر سبتمبر الماضي وهو في الحادية والسبعين من عمرهِ وسيبقى ذكرهُ خالداً في نفوس زوجتهِ واولادهِ وتلامذتهِ وكل الذين انتفعوا بعلومهِ وكتبهِ واستفادوا من الاقتداء بهِ في همتهِ واجتهادهِ

الطبيعيات وارتقاؤُها

من خطبة السير جوزف طمسن رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني

انعقد المجمع البريطاني في هذه السنة في مدينة ونيبغ من اعمال كندا وحضره نحو ١٥٠٠ عالم من خيرة العلماء الانكليز والاميركان فخطب رئيسهُ السير جوزف طمسن خطبة الرئاسة فآثرنا تلخيصها للقراء لما فيها من الفوائد الجمة

استهلَّ الخطيب كلامهُ بذكر تاريخ الاجتماعات السالفة واثنى على اهالي كندا ورؤساء المجمع السابقين وغيرهم من العلماء الذين كانت لهم اليد الطولى في تقدم العلم الحديث ثم تخلص الى انتقاد طريقة التعليم في بعض المدارس الجامعة في بلاد الانكليز وفضَّل عليها الطريقة المتبعة في مدارس كندا وكان معظم انتقادهِ على اعطاء الجوائز الكثيرة في المدارس الانكليزية فقال ان جامعة كمبردج وحدها تمنح من الجوائز سنوياً ما قيمتهُ ٣٥٠٠٠ جنيه ومثلها اكسفرد فتنصرف بذلك قوى الطلبة النابغين الى فرعٍ واحدٍ من العلوم طمعاً في اكتساب جائزة ويهملون غيرهُ من الفروع · ويراد بالجوائز هنا ما يعطى من الاموال للنابغين لكي ينفقوا منها في تعليمهم · ثم قال انهُ لا يخفى ان الفروع العلمية لا ينفصل بعضها عن بعض فكلما تقدم العلم تقاربت فروعهُ وزادت العلائق بينها كالطبيعيات فانها لا تنفصل عن الرياضات فلا يحسن اتقان بعضها واهمال البعض الآخر · وشدَّد النكير على اهمال العلوم الرياضية في بعض المدارس · ثم اثنى على الطريقة المتبعة عند بعض الطلبة وهي انتقالهم من كلية الى أخرى في بلادٍ غير بلادهم وقال انها خير الوسائل لازالة النفور بين شعبٍ وآخر ولتسهيل ذلك يجب على كل مدرسة ان تعترف بشهادات غيرها من المدارس حتى لا يكون عدم اعترافها عثرةً في سبيل انتقال الطلبة · الى ان قال ما خلاصتهُ

جرت العادة ان رئيس المجمع يقدّم خطبةً موضوعها الاكتشافات الحديثة في العلم الذي يختص بهِ فسأتبع خطوات غيري من الرؤساء السابقين واتلو على مسامعكم شيئاً عن ارتقاء علم الطبيعيات في السنوات الاخيرة فاقول

منذ آخر اجتماعٍ لنا في كندا اي سنة ١٨٩٧ حدثت امور ذات شأنٍ في العلوم الطبيعية واكتشفت خواص جديدة للمادة والكهربائية · وفي هذه الفترة التي مضت احسن مثالٍ لما قد ينتج من التقدم في العلم بسبب اكتشافٍ واحد كاكتشاف اشعة رنتجن مثلاً · فاكتشاف كهذا اشبه شيء باكتشاف الذهب في بلادٍ قليلة السكان فيسرع المهاجرون اليها

في باديء الامر لاستخراج الذهب منها ثم يجدون ان في البلاد خيرات كثيرة قد تكون افضل من الذهب فيستثمرونها . وهكذا كان الامر في اكتشاف اشعة رنتجن . وقد وجدنا بها ان في الغازات ذرات مكهربة بعضها سلباً و بعضها ايجاباً . وظهر لنا مظهر جديد من مظاهر الكهربائية وتركيب المادة . فعلمنا منها ان الكهربائية مؤلفة من دقائق كالمادة فكما ان الهدروجين مؤلف من ذرات تسمى دقائق فكذلك الكهربائية مؤلفة من دقائق عديدة لكل واحدة منها مقدار معلوم ومحدود اي ان الملء الكهربائي مؤلف من املاء كثيرة

قال هلمتز سنة ١٨٨٠ ان الادلة على كون الكهربائية مؤلفة من دقائق اقوى من الادلة على ان المادة مؤلفة من دقائق . وقد زادت هذه الادلة ثبوتاً ووضوحاً في هذه الايام اذ يمكننا ان نقيس مقدار الملء الواحد فنجده هو هو ولو كان من مصادر مختلفة . وصرنا نستطيع ان نقدر كمية الدقائق في اي عنصر من العناصر بقياس ما فيه من الاملاء الكهربائية

وللاساليب الكهربائية فائدة عظيمة جداً في درس خواص المادة والسبب في ذلك انهُ اذا كهربنا دقيقة من الدقائق نقدر ان نحقق وجودها . اما اذا كانت خالية من الكهربائية فتخفى عنا ما لم تكن مجموعة مع غيرها من الدقائق الكثيرة . و يتضح هذا الامر بطريقة حسابية بسيطة فان الغاز المسمى نيوناً يوجد منهُ مقدار قليل في الهواء واقل كمية منهُ امكن اظهارها بواسطة السبكتروسكوب هي الكمية الموجودة في جزء من عشرين من السنتيمتر المكعب من الهواء . والنيون جزء من مئة الف جزء من الهواء فالنيون الموجود في الجزء من العشرين جزءاً من السنتيمتر المكعب من الهواء لا يزيد جرمهُ على جزء من مليوني جزء من السنتيمتر المكعب وهذه الكمية قليلة جداً ولكن فيها عشرة ملايين مليون دقيقة من هذا الغاز . فاذا قابلنا ذلك بعدد البشر في المسكونة وهو الف وخمسمائة مليون وجدنا ان اقل كمية يمكن اظهارها من النيون يزيد عدد دقائقها على عدد سكان الارض سبعة آلاف ضعف . اي انهُ لو اردنا ان نثبت وجود الانسان على هذه الارض بالطريقة المستعملة لاثبات وجود النيون بالسبكتروسكوب لوجدنا الارض خالية من السكان . ولكن طريقة الكهربائية ادق من السبكتروسكوب لاظهار الدقائق الخفية فانهُ يمكننا اظهار ثلاث دقائق او اربع منها في السنتيمتر المكعب . و يقال انهُ يمكن اظهار الدقيقة الواحدة المكهربة من الهاليوم ولو كان غير مكهرب للزم ان يكون عدد الدقائق مليون مليون دقيقة في السنتيمتر المكعب قبل ان يُشعر بوجوده . وقد تقدمنا كثيراً في معرفة ماهية الكهربائية ولاسيما السلبية فعرفنا انها مؤلفة من وحدات كلها من نوع واحد وان هذه الوحدات صغيرة جداً وهي اصغر بكثير من اصغر

الجواهر الفردة فان الواحدة منها يبلغ حجمها $\frac{1}{1700}$ جزء من جوهر الهيدروجين ونصف قطرها يبلغ جزءا من مئة مليون مليون من السنتيمتر · فالفرق بين الوحدة الكهربائية والجوهر الفرد كالفرق بين ذرة من الغبار وهذه الغرفة التي نحن فيها · وهذه الوحدات تتحرك بسرعة شديدة قد تبلغ احياناً سرعة النور

قلت اننا تقدمنا كثيراً في معرفة الكهربائية السلبية فما هو مبلغ ما نعرفهُ عن الكهربائية الايجابية وهل هي مؤلفة من دقائق كالسلبية وهل هذه الدقائق مؤلفة من وحدات وكل وحدةٍ من هذه الوحدات فيها من الكهربائية نفس الكمية التي في الوحدات السلبية وهل هذه الوحدات الايجابية مساوية للوحدات السلبية في الحجم والخواص الطبيعية او هي مخالفة لها · اننا نعلم بالاختبار ان الوحدات السلبية هي واحدة ولو اخرجناها من مواد مختلفة فهل هذا شأن الوحدات الايجابية ايضاً وهل نقدر ان نخرج من الاكسجين وحدة ايجابية كما نخرج من الهيدروجين وحدة سلبية

اما رأيي فهو اننا نقدر على ذلك ولو كانت حقيقة الكهربائية الايجابية لم تنجلِ لنا حتى الآن كحقيقة الكهربائية السلبية · واذا عرفنا حجم الوحدات الايجابية والسلبية امكننا ان نعرف في المستقبل ماهية الدقائق الكهربائية وربما قدرنا على فهم ماهية المادة وعلاقتها بالكهربائية · ويمكننا ان نفرض ايضاً ان المادة ليست سوى اجتماع وحداتٍ من الكهربائية السلبية والايجابية وان القوى التي تمسك الجواهر الفردة والدقائق بعضها ببعض والخواص التي تتميز بها المواد ليست سوى قوى كهربائية ناتجة عن الوحدات الايجابية والسلبية وتجمع هذه الوحدات على اشكال مختلفة في الجواهر الفردة

ولما كانت القوة التي في الملء الكهربائي تزيد بصغر دقائق الجسم لانها تكون على سطح الدقائق فالقوة التي في الدقائق الكهربائية السلبية اعظم من القوة التي في الدقائق الكهربائية الايجابية · وفي الجرام من الهيدروجين ستمائة الف مليون مليون مليون جوهر فاذا فرضنا ان في كل جوهر دقيقة من الكهربائية · ففي الجرام كلهِ من القوة ما في خمسة اطنان من الفحم الحجري اذا أُحرقت · وعليهِ ففي المادة قوة عظيمة جداً ولكنها مرتبطة بدقائقها ارتباطاً لا ينفك فاذا انفك جانب منها نسف الارض نسفاً

ومباحثنا هذه متعلقة كلها بالمادة المؤلفة منها الارض والشمس والنجوم · وهذه الاجرام ليست سوى جزء صغير من العالم وجزر صغيرة في المحيط الاعظم الاثيري وهو المادة التي تملأ العالم بأسره

فالاثير ليس من اوهام الفلاسفة وتخيلاتهم بل وجوده امر ضروري لا غنى لنا عنهُ

كالهواء الذي نتنفسهُ . ولا يغرب عن بالنا ان معيشتنا على هذه الارض متوقفة على ما نستمدهُ من الشمس وهذا يصل الينا بواسطة الاثير . فالشمس مصدر الليل والنهار والربيع والحصاد وهي ايضاً مصدر القوى المخزونة في الفحم الحجري والطعام وكل ما يعوَّل عليهِ لعمل الاعمال على وجه الارض . ونقدر ان نتصور مقدار القوة التي تأتينا من الشمس متى عرفنا ان الحرارة التي تقع على الفدان المربع متى كان الجوُّ صحواً والشمس مشرقة تعادل قوة ٧٠٠٠ حصان . ولا يستبعد ان المهندسين يتمكنون في المستقبل من ايجاد طريقة لاستخدام هذه القوة متى لاسيما قل الفحم الحجري ووجدت مجاري الماء عاجزة عن القيام بما يطلب منها ويحتمل ان حركة الاشغال تنتقل اذ ذاك الى صحراء افريقية حيث يسهل جمع الحرارة التي تقع على الارض

وهذه القوة التي تأتينا من الشمس لا بد ان تمرَّ بهذا الفضاء الواسع ولا بد من مادة في هذا الفضاء تخزن تلك القوة وترسل الينا الحرارة والنور بسرعتهما المعروفة . فدرس هذه المادة المسماة بالاثير من اهم ما يجب على علماء الطبيعة

من الآراء المعوَّل عليها الآن ان القوى التي تأتينا من الشمس تصل الينا بتموجات كهربائية وسط الاثير اي ان هذه القوى مصدرها الكهربائية والاثير نفسهُ هو مصدر هذه القوى الكهربائية والمغنطيسية . ولكن ما هي خواصُّ هذا الاثير وهل هو كثيف او لطيف وهل لهُ قوام وهل هو متحرك او ساكن . هذه مسائل تخطر على بال كلٍّ منا

ولنذكر الآن الحقائق المعروفة عن الاثير . اذا وقع النور على جسمٍ ما وامتصهُ ذلك الجسم اندفع الى الجهة التي يسير فيها النور . ومن القواعد الطبيعية انهُ اذا اكتسب جسم حركة ما فلا بد من ان جسماً آخر فقد تلك الحركة التي اكتسبها الاول اي ان الحركة في العالم واحدة لا تنقص ولا تزيد . فالجسم الذي يقع عليهِ النور ويدفعهُ الى الامام يكتسب مقداراً من الحركة او الزخم . ولا بد من ان تموجات النور نفسها تفقد هذه الحركة عينها ويستنتج من ذلك ان لهذه التموجات حركة خسرت جزءا منها ووجود الحركة او الزخم يستلزم وجود جسمٍ متحرك فالاثير الذي يسير فيهِ النور يسير جزءٌ منهُ مع النور . وقد اظهرت التجارب ان هذا الجزء المندفع مع النور قليلٌ جدًّا بالنسبة الى الاثير الذي يمرُّ فيهِ النور ففي كل كيلومتر مكعب من الاثير الساكن الذي فيهِ نور مثل كثافة نور الشمس على سطح الارض جزءٌ من خمسين مليون جزءٍ من الميلغرام من الاثير المتحرك

اذا ارسلنا مجرى كهربائياً في الاثير اندفع مع هذا المجرى جزءٌ منهُ وتجمع حول

الوحدات السلبية ويعلم بالتجارب ان هذا الاثير المجتمع على الوحدات السلبية كثيف جداً تزيد كثافتهُ على كثافة الرصاص الفي مليون مرة . لكن لا يعلم هل كثافة الاثير تبلغ هذا المقدار في اماكن اخرى فاذا كان الاثير قابلاً للضغط تكون هذه الكثافة حول الوحدات نتيجة الضغط اما اذا لم يكن قابلاً لذلك فتكون كثافتهُ واحدة اينما كان . اما هذه الكثافة العظيمة فيظهر لنا لاول وهلة انها مما يعسر تصديقهُ اذ يصعب علينا ان نتصوَّر انفسنا مغمورين بمادة اشد كثافة من الرصاص بما لا يقدر لكن يجب ان لا ننسى ان المادة اكثرها خروق ويمكن ان نشبهها بقفص الطيور فالاثير الذي يصيب اسلاك القفص جزء صغير جداً بالنسبة الى حجم القفص . فاذا فعلنا ذلك لا نجد صعوبة في فهمنا كيف نتحرك المادة في الاثير مهما عظمت كثافتهُ وما علينا سوى توسيع المسافة التي بين اسلاك القفص كما زادت الكثافة

ولنبحث الآن في مقدار الاثير الذي تحملهُ المواد وتدفعهُ معها وما قد ينتج عن ذلك من التأثير . فقد وجد ان المقدار الذي يرافق الاجسام يكون بنسبة القوة الموجودة في تلك الاجسام . ولكن هل يزيد وزن الجسم بسبب الاثير المتصل بهِ . تلك مسألة يجب البحث فيها فاذا كان الاثير غير خاضع لناموس الجاذبية فلا يزيد بهِ وزن الاجسام واذا كان خاضعاً لهُ فانهُ لا ينتظر ان يزيد شيء في هذا الوزن لان كمية الاثير المرافقة للاجسام تكون سابحة في بحر من الاثير . ولكن اذا كان الامر كذلك اي ان هذا الاثير لا يزيد في ثقل الاجسام فان الجسم الحائز على مبلغ عظيم من القوة الكامنة اي على مقدار عظيم من الاثير يكون بعضهُ خالياً من الوزن او لا تأثير لهُ في وزن الجسم . فيكون هذا الجسم المفروض اقل وزناً من جسم آخر مثلهُ في الحجم واضعف منهُ في القوة الكامنة فيهِ اي ان كميتين من المادة الواحدة متماثلتين في الحجم قد تكونان مختلفتي الوزن . وهذا مخالفٌ لنظام الثقل المعروف عند علماء الطبيعة من زمن نيوتن اي ان الاجسام المتساوية في الحجم يكون ثقلها واحداً مهما اختلفت انواعها . لكنهُ في زمن نيوتن لم تكن الاجسام التي لها خواص الراديوم معروفة فهذه الاجسام يصدر منها على الدوام مقدارٌ من الحرارة وعلى الغالب تنقص بسبب ذلك قوتها . وقد جرَّبت بعض التجارب لارى هل يختلف وزن الراديوم عن غيرهِ اذا تساوى حجماهما فلم اصل الى نتيجة ثابتة لان مقدار الراديوم كان قليلاً جداً والنتيجة التي وصلت اليها هي ان الفرق ما بين الراديوم وغيرهِ من المواد في نسبة الحجم الى الوزن ليس اكثر من واحد في الالفين . ونحن الآن نعمل هذه التجارب باكسيد الاورانيوم لانهُ يظن ان فيهِ نفس القوة الكامنة التي في الراديوم فمعهُ كمية كبيرة من الاثير لكن النتيجة لم تعلم بعد

الدول البحرية ونفقاتها

الدول البحرية الكبرى سبع بريطانيا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة وروسيا وايطاليا واليابان وكل دولة منها تنفق في السنة مبالغ وافرة على سفنها البحرية والبحارة والجنود الذين فيها وعلى بناء السفن الجديدة · وتنفق ايضاً على حماية سواحلها وتعطي المعاشات لرجالها الذين اتموا خدمتهم واحيلوا على المعاش وعلى السفن التجارية التي تحوَّل الى سفن حربية اذا اقتضت الحال ذلك · وقد نشرت نظارة البحرية الانكليزية نفقات هذه الدول عن عشر سنوات من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٠٩ ما عدا اليابان فان نفقاتها لم تحسب الاَّ بعد سنة ١٩٠٦ والنفقات كلها بالجنيهات الانكليزية

نفقات بريطانيا

السنة	مجموع النفقات البحرية	نفقات بناء السفن الحربية	مجموعها
١٩٠٠	٢٩ ٩٩٨ ٥٢٩	٠٩ ٧٨٨ ١٤٦	١٠٥٧ ٧٨٥
١٩٠١	٣٠ ٩٨١ ٣١٥	١٠ ٢٤٠ ٢٥٦	١٣٩ ٩٤٠
١٩ ٢	٣١ ٠٠٣ ٩٧٧	١٠ ٤٣٦ ٥٢٠	٠٨٩ ٤٦٥
١٩٠٣	٣٥ ٧٠٩ ٤٧٧	١١ ٤٧٣ ٠٣٠	١٥٥ ٢٢٥
١٩٠٤	٣٦ ٨٥٩ ٦٨١	١٣ ٥٠٨ ١٧٦	٠٨٥ ٨٨٠
١٩٠٥	٣٣ ١٥١ ٨٤١	١١ ٢٩١ ٠٠٢	١١٦ ٥٧٠
١٩٠٦	٣١ ٤٧٢ ٠٨٧	١٠ ٨٥٩ ٥٠٠	٠٨٣ ٢٦٠
١٩٠٧	٣١ ٢٥١ ١٥٦	٠٩ ٢٢٧ ٠٠٠	١١٩ ٩٣٧
١٩٠٨	٣٢ ٣١٩ ٥٠٠	٠٨ ٦٦٠ ٢٠٢	٠٧٣ ٧٥١
١٩٠٩	٣٥ ١٤٢ ٧٠٠	١٠ ٢٥٦ ١٩٤	٠٨٧ ٣٩٥
والجملة	٣٢٧ ٨٩٠ ٢٦٣	١٠٥ ٩٢٠ ٠٢٦	١٠٨٩ ٢٠٨

وما قيل عن سنة ١٩٠٩ هنا وفي ما يلي هو بحسب التقدير لا بحسب الحقيقة لان السنة لم تنتهِ حتى الآن ويضاف الى هذه النفقات ما استدانتهُ الحكومة الانكليزية وانفقتهُ فوق نفقاتها الحربية وهو عشرون مليون جنيه فصارت جملة النفقات الانكليزية في عشر سنوات ٣٤٧٨٩٠٢٦٣ اى نحو ٣٥٠ مليون جنيه . ثم ان السنة المالية الانكليزية تبتدئ في اول ابريل وتنتهي في آخر مارس

نفقات فرنسا

سنة	مجموع النفقات البحرية	نفقات بناء السفن الحربية	محمولها
١٩٠٠	١٤ ٩٥٥ ٣٨٧	٤ ٧١٨ ٥٦٦	٣٩ ٩٧٦
١٩٠١	١٣ ٨٠٢ ٢٦٦	٤ ٩٩٠ ٩٨٧	٤٢ ٤٨٧
١٩٠٢	١٢ ١٨٤ ٦٨٣	٥ ٣٨٩ ٣٨٣	٤٥ ٩٥٦
١٩٠٣	١٢ ٢٩٢ ٢٢٧	٥ ٧٢٢ ٧٦٠	٣١ ١٤٢
١٩٠٤	١٢ ٣٨٢ ٤٣٣	٥ ٦٣٦ ٧٣٢	٤٥ ٣١٨
١٩٠٥	١٢ ٦٦٧ ٨٥٦	٥ ٧٣٩ ٢٣٠	٣١ ٣٨١
١٩٠٦	١٢ ٢٤٥ ٧٤٠	٥ ٧٠٢ ٢٦٧	١٩ ٣٣٨
١٩٠٧	١٢ ٤٨٦ ٧٩٣	٥ ١٣٢ ٤٩٤	٣٣ ٦٠٢
١٩٠٨	١٢ ٧٩٧ ٣٠٨	٥ ٣١٥ ٧٩٠	٢١ ٢٠٥
١٩٠٩	١٣ ٣٥٣ ٨٢٥	٥ ٧٦٠ ١٧٦	٠٠٠ ٠٠٠
والمجموع	١٢٩ ١٦٨ ٥١٨	٥٤ ١٠٨ ٣٨٥	٣١٠ ٤٠٥

ويظهر من ذلك ان نفقات فرنسا على بناء السفن الحربية أكثر من ثلث نفقات بريطانيا على بنائها ولكن ما بنتهُ فرنسا اقل من ثلث ما بنتهُ بريطانيا . والسنة الفرنسوية المالية تبتدئ وتنتهي كالسنة الميلادية

نفقات المانيا

سنة	مجموع النفقات البحرية	نفقات بناء السفن الحربية	محمولها
١٩٠٠	٠٧ ٦٤٨ ٧٨١	٣ ٤٠١ ٩٠٧	٣٥ ٨٤٠
١٩٠١	٠٩ ٥٣٠ ٣٣٣	٤ ٩٢١ ٠٣٦	٦٢ ٦٤٠
١٩٠٢	١٠ ٠٤٤ ٠٣١	٥ ٠٣٩ ٧٢٥	٣٠ ١١٩
١٩٠٣	١٠ ٤٠١ ١٧٤	٤ ٩٢٩ ١١٠	٦٤ ٣٤٠
١٩٠٤	١٠ ١٠٢ ٧٤٠	٤ ٦٤٤ ٨٦٢	٤٤ ٠٧٢
١٩٠٥	١١ ٣٠١ ٣٧٠	٤ ٩٦٨ ٧٣٨	٤٥ ٧٢٩
١٩٠٦	١٢ ٠٠٥ ٨٧١	٥ ٣٤٢ ٤٦٦	٥٣ ١٨٠
١٩٠٧	١٤ ٢٢٧ ٠٠٦	٦ ٢٨٥ ٢٢٥	٣٣ ٩٨٥
١٩٠٨	١٦ ٥٩٦ ٥٦١	٨ ٣٦٦ ٤٣٨	١٠٤ ٩٧١
١٩٠٩	١٩ ٥٣٨ ١٨٨	١٠ ٧٥١ ٤٦٨	٠٠٠ ٠٠٠
والمجموع	١٢١ ٣٩٦ ٠٥٥	٥٨ ٦٥٠ ٩٧٥	٤٧٤ ٨٧٦

فقد كانت نفقات المانيا نحو ثلث نفقات انكلترا لكنها تضاعفت منذ سنة ١٩٠١ . وتبتدئ سنتها المالية في اول ابريل وتنتهي في آخر مارس

نفقات الولايات المتحدة الاميركية

السنة	مجموع النفقات البحرية	نفقات بناء السفن الحربية	محمولها
١٩٠٠	١٣ ٣٨٥ ٥٧٤	٤ ٣٤٤ ١٢٧	٣٠ ٥٧٦
١٩٠١	١٦٠١٢٤٣٨	٥ ٢١٩ ٣٥٧	٣٨ ٥٧٤
١٩٠٢	١٦٢٠٣٩١٦	٤ ٧٠١ ١٢١	٣٧٤٤٥
١٩٠٣	١٦ ٨٢٤ ٥٨	٥ ٣٢٧ ٣٦٧	٨٤ ٢٠٦
١٩٠٤	٢٠ ١٨٠ ٣١٠	٦ ٥٣٩ ٩٩٠	١٦١ ١٥٠
١٩٠٥	٢٤ ٤٤٤ ٩٤٨	١١ ٣٧٤ ٨٧٦	٧٤ ٠٠٠
١٩٠٦	٢١ ٣٥٨ ١٩٩	٨ ٦٠٠ ٧٧٩	٣٧ ٢٨٣
١٩ ٧	٢١ ٢٦٠ ٧٣٢	٦ ٧٨٣ ٧٠٥	٢٠ ٦٣٣
١٩٠٨	٢٦ ٤٣٨٤٣٤	٧ ٨٠٠ ٢٩٩	٠٠٠٠٠
١٩ ٩	٢٨ ٧٧٨ ٧٧٧	١٠ ٠٧٥١٠١	٠٠٠٠٠
المجموع	٢٠٤ ٨٨٧ ٣٨٦	٧٠ ٧٠٦ ٧١٧	٥٥٣ ٢٠٨

فالولايات المتحدة تتلو بريطانيا في النفقات البحرية وفي مقدار ما بنتهُ من السفن الحربية وتبتدئ سنتها المالية في اول يوليو وتنتهي في آخر يونيو

وقد بلغت نفقات روسيا البحرية هذه السنوات العشر ١٦٧٥٣٣٦٤ جنيهاً وما انفق منها على بناء السفن الحربية بلغ ٣٣٣٩٥٣٧١ جنيهاً ومحمول السفن التي بنتها ٣٥٢٧٠٠ طن

وبلغت نفقات ايطاليا البحرية كلها ٥٣ ٠٤١ ٢٥٠ جنيهاً وعلى بناء السفن الحربية ١٤٣٣٧٦٥٩ جنيهاً ومحمول تلك السفن ١٣٣٠٠ طن

وبلغت نفقات اليابان في الاربع السنوات الاخيرة ٢٧٤٩٨٢٤٠ جنيهاً وعلى بناء السفن فقط ٩٤٤٨١٩٢ جنيهاً

ويظهر من بحث لورد براسي ان عدد الرجال في السفن الانكليزية الحربية ١٢٨٠٠٠ وفي السفن الفرنسوية ٥٧٠٠٠ وفي السفن الاميركية ٥٦٠٠٠ وفي السفن الالمانية ٥١٠٠٠ وينفق الانكليز عشرة ملايين ونصف مليون كل سنة على اجور رجال البحرية وعلى اكلهم وشربهم وينفق الالمانيون لهذه الغاية مليوناً وثلاثة ارباع المليون فقط

وعند الانكليز ٦٤ من البوارج الكبيرة وعند الاميركيين ٣١ وكذا عند الالمانيين وعند الفرنسويين ٢٤ . وعند الانكليز ٤٩ من الطرادات التي من الدرجة الاولى وعند فرنسا ١٥ وعند الولايات المتحدة ١٥ ايضاً وعند المانيا ١٢ . وعند انكلترا ٣٠ من الطرادات التي من الدرجة الثانية وعند فرنسا ١٢ وعند المانيا ٦

وواضح من ذلك ان قوة بريطانيا البحرية أكثر من قوة أكبر دولتين من الدول البحرية وانها تنفق على قوتها البحرية أكثر من أكبر دولتين من تلك الدول . ولا نرى سبباً لصخب بعض رجالها وطلبهم المزيد من بناء السفن الحربية الكبيرة الا انهم يطلبون تشغيل معاملهم وزيادة كسبها من مال الامة لان البارجة الكبيرة التي يبلغ ثمنها مليونين من الجنيهات يعمل في بنائها الوف من العمال فيكتسبون معيشتهم ويكسب اصحاب المعمل ربا رأس مالهم واذا لم تبنَ حاقت الخسارة بهم جميعاً . اما الخوف من ان المانيا او غير المانيا تستطيع ان تتغلب على انكلترا بحراً فمن الاوهام التي ينفيها اقل بحث في قوة الدولتين

ولقد كانت دولتنا العثمانية منذ مئة سنة في المقام الاول بين الدول البحرية ثم انحطت رويداً رويداً حتى لم تعد دولة بحرية ولاسيما في عهد السلطان المخلوع . مع ان سواحلها ومدنها على البحار الثلاثة الكبيرة بحر الروم والبحر الاسود والبحر الاحمر وهي لا تستطيع ان تصير من الدول البحرية الاولى لان ذلك يقتضي نفقات باهظة تعجز عنها ميزانيتها ولا تستدعيها حال تجارتها ولكنها تستطيع ان تصير مثل النمسا مثلاً ويمكن البلوغ الى ذلك اولاً بانفاق عشرة ملايين من الجنيهات تستدينها وتشتري بها بوارج وطرادات وسفناً أُخرى من الطراز الاول . وثانياً بربط اربعة ملايين من الليرات في ميزانيتها نصفها للنفقات البحرية والنصف الآخر لبناء السفن الجديدة بدل المليون والربع التي ربطتها في ميزانية هذه السنة فان ايطاليا تربط الآن في ميزانيتها نحو سبعة ملايين من الجنيهات تنفق منها مليونين او أكثر على بناء السفن الحربية والباقي لسائر النفقات البحرية واليابان تربط ثمانية ملايين من الجنيهات تنفق منها نحو ثلاثة ملايين على بناء السفن الحربية والباقي لسائر النفقات البحرية . ولكن يشترط اولاً توسيع الترسانات (دور الصنعة) العثمانية وتجهيزها باحدث الآلات والادوات اللازمة لبناء السفن الحربية الصغيرة والكبيرة ايضاً حتى تستطيع الدولة ان تبني سفنها في بلادها كما تفعل ايطاليا واليابان فلا تخرج الاموال التي تنفقها من بلادها بل تبقى فيها وتردُّ الى شعبها وان تكون مؤونة بحارتها وجنودها البحرية وملابسهم وسائر لوازمهم من بلادها فانها اذا فعلت ذلك فالنفقات التي تنفقها على بحريتها لا تذهب

الى غيرها ولا تخرج من البلاد بل تبقى فيها فيسهل تحملها مهما كانت باهظة فان انكلترا على كثرة نفقاتها البحرية التي تبلغ نحو اربعين مليونًا من الجنيهات في السنة لا تخسر منها شيئًا بل تعود الى شعبها على صور مختلفة ولهذا تنفق الحكومة الانكليزية مئة وستين مليونًا من الجنيهات كل سنة ولا تخسر بلادها شيئًا يذكر منها لان الاموال التي تنفقها تبقى في البلاد الانكليزية تخرج من صناديق المولين الى صناديق الحكومة ثم تعود الى صناديق المولين ولا يضيع منها شيء ويصيب كل نفس من الامة الانكليزية اربعة جنيهات في السنة من الضرائب التي تتقاضاها الحكومة الانكليزية ويصيب كل نفس من الامة المصرية اقل من جنيه واحد ومع ذلك يخسر المصري اكثر مما يخسر الانكليزي لان الجنيه الذي يدفعهُ المصري يخرج ثلثهُ من بلادهِ ربا دين الحكومة المصرية واما الاربعة الجنيهات التي تصيب الانكليزي في بلادهِ فلا يخرج منها شيء مع ان ربا دين الحكومة الانكليزية ٢٨ مليونًا من الجنيهات لان هذا الدين للامة الانكليزية فيبقى رباهُ لها

والخلاصة انهُ لا بدّ من بناء السفن الحربية في البلاد العثمانية نفسها اذا اردنا تقوية بحريتنا من غير خسارة كبيرة على بلادنا

الوصول الى جوف الارض

للفلكي كميل فلامريون الفرنسوي اقتراحات غريبة يرسلها إرسالاً ويعززها بالادلة العلمية ويبذل جهدهُ في تحقيقها . وكأنهُ يذهل عن ان النظريّ شيء والعمليّ آخر وما كل ما يظهر امكانهُ نظراً يتيسر اتمامهُ عملاً . ومن مقترحاتهِ الحديثة حفر بئر يبلغ عمقها ثلاثة اميال او اربعة لاكتشاف ما في الارض الى هذا العمق من المعادن والمتحجرات وللوصول الى حرارة كافية لادارة الآلات وقد قال في هذا الصدد ما ترجمتهُ

ان سكان الارض لم يعرفوا حتى الآن احوال هذه الكرة التي يسكنونها فقد رادوا سطحها وساروا فيها برًّا وبحراً حتى لم يكد يبقى منها بقعة الأ وطئتها اقدامهم او سارت فيها سفنهم . وقد عرفوا بواسطة قواعد علم الفلك شكل الارض وحجمها وثقلها واما باطنها فلا يزالون يجهلون تركيبهُ جهلاً تاماً . وكل الاسراب التي حفروها انما خرقوا بها بعض الغضون التي على وجه الارض . واعمق الآبار التي احتفروها انما وصلوا بها الى ما عمقهُ ميل وربع

ميل وعمق الارض الى مركزها اربعة آلاف ميل فما امرايهم وآبارهم سوى خموش طفيفة في وجه الارض

ولقد خطر لي منذ عهد طويل ان احفر بئراً لاجل البحث العلمي تصل الى اعمق ما يمكن الوصول اليهِ بواسطة الوسائل العلمية والصناعية الحديثة · ثم عنَّ لي هذا الخاطر وزادت رغبتي في تحقيقهِ على اثر الزلازل الحديثة واختلاف علماء الجيولوجيا في ما هو عليهِ باطن الارض · فانهُ لا يعلم حتى الآن هل باطن الارض سائل او جامد · وقد بحث العلماء في هذه المسألة بحثاً دقيقاً من قديم الزمان ولم يهتدوا الى حلها حلاً مقنعاً حتى الآن

ولقد كان المرجح الى عهد قريب ان اكثر الارض سائل من شدة الحرارة والجامد منها قشرة رقيقة بالنسبة الى سائرها وكان دليلهم على ذلك ارتفاع حرارتها بالتعمق فيها وخروج النيران من البراكين وانبثاق المعادن المصهورة منها · وقد استدلوا من ذلك على ان الجامد من الارض لا يزيد سمكهُ على خمسين او ستين ميلاً وما تحتهُ في حالة الذوبان من شدة الحرارة

ولكن علماء الجيولوجيا المعاصرين لا يرون صحة هذا الاستنتاج لانهم يقولون انهُ لو كان باطن الارض مصهوراً اي ذائباً من الحرارة لفعل بهِ جذب القمر فعلاً ذريعاً ورفعهُ مرتين كل يوم كما يرفع ماء البحر بالمد فيشق قشرة الارض وينبثق منها ويحرق كل ما عليها فلا تبقى صالحة لسكن الانسان ولا الحيوان · وان سرعة انتقال امواج الزلازل في قشرة الارض وضعف هذه الامواج يدلان على ان سطحها ليس سريع الانفعال كما لو كان باطنها مملوءًا بمواد مصهورة

واحدث الآراء التي ارتآها العلماء ان باطن الارض صلب كالفولاذ ومرن مثلهُ · الاَّ ان ذلك رأي قد يكون صحيحاً وقد يكون غير صحيح لانهُ لم تقم الادلة القاطعة على اثباتهِ حتى الآن · ولا فيهِ ما يستدلُّ منهُ على احوال باطن الارض تحت اقدامنا فكل ما فيها مجهول لدينا ولا سبيل لنا الى معرفتهِ الاَّ باختراق قشرتها

والامر الذي نعلمهُ عن ثقة من هذا القبيل ان الحرارة تزيد بالتعمق في الارض ومقدار زيادتها درجة بميزان سنتغراد لكل اربعين متراً ولكن هذه الزيادة في الحرارة ليست واحدة في كل مكان ففي بعض الاماكن يلزم التعمق ستين متراً لترتفع الحرارة درجة وفي غيرها يلزم التعمق سبعين متراً الى مئة متر او اكثر وقرب البراكين ترتفع الحرارة درجة كلما تعمقنا ١٦ متراً او ١٢ متراً · الاَّ ان هذا الاختلاف لا ينفي كون الحرارة تزيد بالتعمق في الارض في كل مكان فهو امرٌ مضطرد

فما هو سبب هذه الحرارة الارضية · لقد كان المظنون انها بقية من الحرارة القديمة التي

كانت تشمل الارض عند انفصالها عن الشمس او عن السديم الذي تكوَّن منهُ النظام الشمسي وانها تستمر على زيادتها الى ان تصل الى مركز كرة الارض وتكون درجتها هناك مئتي الف من درجات سنتغراد فتصهر كل الحجارة وكل المعادن التي في باطن الارض لانها كلها تصهر قرب الدرجة ٣٠٠٠ فقط فكيف بها والحرارة مئتا الف درجة ٠ وهذا هو اساس ما اعتقدهُ العلماء قديماً من ان باطن الارض مصهور بالحرارة المركزية ولكن يحتمل ان تكون الحرارة في صخور الارض فقط اي في قشرتها ويكون سببها وجود عنصر الراديوم فيها او نحوهُ من العناصر التي تشعُّ الحرارة . ولا يمكن القطع في هذه المسألة الاَّ اذا بلغنا هذه الصخور ورأينا ما فيها وذلك بحفر بئر عميقة جداً وامتحان طبقات الارض التي تحفر هذه البئر فيها

ثم ان هذه البئر تكون مصدراً لحرارة دائمة لا تنفد يمكن استعمالها في المعامل الصناعية بدل الوقود . فانهُ يظهر بالحساب المدقق اننا نصل الى حرارة تغلي الماء على عمق ميلين وهذه هي الفائدة الاولى من حفر هذه البئر . والفائدة الثانية معرفة ما نجهلهُ الآن من باطن الارض ٠ ومَن يدري ما نراهُ فيها من الغرائب الجيولوجية والبلينتولوجية وما نجدهُ من معادن الحديد والنحاس والذهب والفضة والبلاتين والراديوم ومن العناصر التي لا نعرفها الآن ومن متحجرات الازمنة الجيولوجية الاولى

ولا بد من ان هذه البئر توصلنا الى ينابيع حارة كما وجد الذين حفروا سرب سمبلئن فانهم وجدوا ينابيع تبلغ حرارة مائها الدرجة ٤٨ بميزان سنتغراد ٠ وتوصلنا ايضاً الى انهار جارية تحت الارض وشلالات تنصبُّ منها يمكن استخدام قوة انصبابها لتحريك الآلات. وبحيرات كبيرة وقد يكون فيها سمك حيٌّ وحيوانات فصفورية تنير اعماق الارض كالحيوانات الفصفورية التي في قاع البحر وكهوف فيها حيوانات غريبة الاشكال مما يعيش تحت الضغط الشديد. فيسير علم الجيولوجيا في خطة علم الفلك من حيث اكتشافاتهُ العجيبة ولا يبقى دونهُ بمراحل كما هو الآن لان الانسان الذي اخضع كواكب السماء للتلسكوب وقاس ابعادها واقدارها ووزنها وحلَّلها واخترق الابعاد التي تقاس بملايين الاميال لا يزال يجهل ما تحت قدميهِ ولا يبعد عنهُ سوى اميال قليلة

اما هذه البئر فيجب ان يكون عمقها ميلين او ثلاثة او اربعة ٠ ويجب ان يكون قطرها مئتي متر الى ثلثمئة متر وان تبطن من الداخل ببطانة متينة من صفائح الحديد ويلقى التراب الذي يحفر منها في البحر ٠ ولا يحسن حفرها قرب البحر لئلاَّ يرشح ماؤهُ اليها ويفضل حفرها في سهل فسيح وافضل البلدان لذلك بلجكا وهولاندا ورومانيا وروسيا واذا نقل ترابها

بسكك الحديد الى البحر تكونت منهُ بلاد غير صغيرة

قلتُ ان الحرارة تزيد درجة لكل ثلاثين او اربعين متراً من العمق وعليهِ نصل الى حرارة الماء الغالي على عمق ميلين ولا بدَّ من ان نتعمق في الارض اكثر من ذلك اذا اردنا ان نبحث في قشرة الارض بحثاً دقيقاً ولكن ما هما الميلان وما هي الاربعة الاميال بالنسبة الى الارض كلها

ولا بدَّ من ان تعترض حفر هذهِ البئر عوارض كثيرة ولكن لا يتعذَّر التغلب عليها بعد ان بلغت الوسائل العلمية والميكانيكية ما بلغتهُ

اما الاموال اللازمة للانفاق على هذا العمل فيسهل جمعها بالاكتتاب وقد تبرَّع احد الكرماء بالارض اللازمة لحفر البئر وتبرع آخر بجانب كبير من الحديد اللازم لتبطينها وهو مما يستعمل لتصفيح المدرعات . واهتم بعضهم بعمل اكتتاب في اميركا لهذا المشروع . ولكنني ارى انهُ يمكن حفر هذهِ البئر من غير نفقة وذلك باناطة حفرها بالجنود فان الجنود يقضون جانباً كبيراً من وقتهم من غير عمل فعلى مَ لا يقضونهُ في عمل نافع مثل هذا فاذا اقيموا على هذا العمل وقسموا فرقاً بعضها لحفر وبعضها لنقل الاتربة وبعضها لادارة الآلات اللازمة لذلك وتناوبوا الاعمال نجوا من السآمة . ولماذا لا تستخدم الجيوش في الاعمال التي تنفع الناس كما تستخدم في الاعمال التي تضرهم

وهذا الرأي ليس جديداً بكليتهِ فقد ارتأى البعض خرق الارض كلها من الجهة الواحدة الى الاخرى وجرت مناظرة في هذا الموضوع بين موبرتوي وڤولتر وخرق الارض كلها من المستحيلات ولو تمَّ نزل فيهِ الانسان من الطرف الواحد الى الطرف الآخر ثم عاد الى حيث كان بقوة الجذب لاغير ولا يقتضي سفرهُ هذا ذهاباً واياباً سوى ٨٤ دقيقة اما حفر بئر عمقها ثلاثة اميال او اربعة ففي حيز الامكان وفوائدهُ كثيرة

انتهى كلام فلامريون والذين حفروا الاسراب الطويلة تحت الجبال الشامخة وهم يحفرون الآن ترعة بناما قد لا يعجزون عن حفر هذه البئر ولكن الاسراب والترع منها فائدة مالية كبيرة فينفق عليها الماليون اموالهم قصد الربح المالي اما بئر فلامريون ففائدتها الكبرى علمية وقد تكون منها فائدة مالية وقد لا تكون ولذلك لا يقدم على الانفاق عليها الا محبو تقدُّم العلوم الذين ينفقون على المدارس والمكاتب او محبو الغرائب مثل الذين انفقوا على اكتشاف القطبين ومع ذلك نرى ان في حفر هذه البئر من المصاعب الطبيعية ما تعجز عنهُ الوسائل الصناعية المعروفة ولاسيما اذا اصابت ماء متصلاً بوجه الارض كما يرجح فان ضغط الماء يبلغ حينئذٍ ستة آلاف طن على كل متر مربع من بطانة البئر

المريخ وما يعلم من امرهِ

في اعالي عاليه وصوفر على ربى لبنان لا اصفى من اديم السماء ولا ابهج من مجالي كواكبها. القمر فتيٌّ يدنو من الكمال والمريخ يرقبهُ من الشرق والزهرة ترصدهُ من الغرب وهو بين الاثنين كفريدة بين درتين او كهل بين ضرتين تراهُ عين العامة فتحسبهُ اكبر منهما وابهى وترقبهُ عين الخاصة فتعلم انهُ دونهما حجماً وبهاء «والذنب للطرف لا للنجم في الصغر»

والمريخ من الكواكب التي اتجهت اليهِ الانظار في هذه الايام ونحن نكتب هذه السطور في ربى لبنان لانهُ بلغ اقرب بعدهِ عن الارض في الرابع والعشرين من سبتمبر وقد شوهدت فيهِ خطوط حسبها البعض ترعاً صناعية واستنتجوا منها انهُ مسكون بمخلوقات عاقلة حفرت تلك الترع فاغتنموا الآن فرصة اقترابهِ من الارض روجهوا اليهِ آلات الرصد وسنرى ما يكتشفونهُ او يحققونهُ ونلحقهُ بهذه المقالة اذا وصلنا القاهرة قبل طبعها والاَّ نشرناهُ في باب الاخبار العلمية

والمقالة مبنية على مقالتين نُشرتا في الجزء الاخير من مجلة الكسموبولتن الاميركية الاولى للسر روبرت بول الفلكي الانكليزي استاذ علم الفلك في جامعة كمبردج والثانية للاستاذ وليم بكرنج الفلكي الاميركي استاذ علم الفلك في كلية هارفرد وهما تتضمنان زبدة ما عُلم حتى الآن من امر المريخ وخلاصة ما بُني عليهِ من النتائج والظنون

مقالة السر روبرت بول

لنلتفت اولاً الى الامور التي يشبه فيها المريخ الارض اذا أُريد النظر اليهِ كدار للاحياء فالمريخ ليس كبيراً كالارض ولا كالزهرة ولكنهُ اكبر كثيراً من النجيمات واكبر جدًّا من القمر. وهو من حيث جرمهُ ليس فيهِ ما يمنع كونهُ داراً للاحياء بل ان صغر الكوكب يزيد صلاحيتهُ لاقامة الاحياء التي لها حركات مستقلة. فثقل الاجسام على سطح المريخ اقل من ثقلها على سطح الارض فتكون حركاتها عليهِ اسهل من حركاتها على الارض حتى اذا ارادت الطيران مثلاً لم تجد فيهِ من الصعوبة ما تجدهُ فوق سطح الارض

والشمس تشرق على المريخ كما تشرق على الارض وترسل اليهِ نورها وحرارتها كما ترسلها الينا ولكنهُ ابعد من ارضنا عنها فلا يصل الى سكانهِ منهما مقدار ما يصل الينا ولكن ذلك لا يستلزم ان تكون حرارة هوائهِ قليلة جدًّا لان الحرارة لا تتوقف على القرب والبعد من

الشمس فقط . انظر الى الارض فان شدة الحرارة عند خط الاستواء وشدة البرد عند القطبين ليستا ناتجتين عن قرب خط الاستواء من الشمس و بعد القطبين عنها . وقنن الجبال العالية يغطيها الثلج الدائم وبطون الاودية تحتها شديدة الحر مع ان قنن الجبال اقرب الى الشمس من بطون الاودية . ولذلك لا يصح الحكم على ان هواء المريخ ابرد من هواء الارض لان المريخ ابعد عن الشمس من الارض بل قد يكون الامر على الضد من ذلك . ويظهر مما رُئي في المريخ بالتلسكوب ان الحرارة على سطحهِ اشد من الحرارة على سطح الارض بنوع عام

وقد عُلم من عهد السر وليم هرشل الفلكي الشهير انهُ اذا جاء فصل الشتاء في المريخ تكون على كلٍّ من قطبيهِ بقعة بيضاء كبيرة ثم تضيق رويداً رويداً بمجيء فصل الصيف ان لم تزل تماماً . ويظهر بقياس التمثيل بين المريخ والارض ان فيهِ ماء وهذا الماء يجمد ويصير ثلجاً وجليداً عند القطبين في فصل الشتاء ثم يعود ماء في فصل الصيف . ولا اقول ان علماء الفلك مجمعون على ان تينك البقعتين ثلج وجليد كما يظهران لعين الرائي فان بعضهم ينفي ذلك وبعضهم زاد تطرُّفاً وظن انهما غاز الحامض الكربونيك وقد جمد من شدة البرد . اما انا فلا أرى موجباً لهذا الفرض الغريب لاسيما وان ليس لهُ مثيل في الارض وان فرض وجود الماء كافٍ لتعليل ما يرى على سطح المريخ

فاذا حسبنا ان تينك البقعتين ناتجتان من تجمد الماء بالبرد كما يذهب الاستاذ لول واكثر الذين رصدوا المريخ وجدنا ان فيهِ شيئين من الزم لوازم الحياة المعروفة وهما الماء والحرارة بل ان اقليم المريخ اقل برداً من اقاليم الارض الباردة لان ثلج قطبيهِ لا يستمرُّ على مدار السنة كما يستمر الثلج على قطبي الارض ولو كان ابعد من الارض عن الشمس

و بين المريخ والارض اختلاف من وجه آخر وهو ان ليس فيهِ بحور واسعة كبحور الارض كما يستدل من ارصادهِ الكثيرة فسطحهُ برٌّ لا بحر فيهِ . وقد ظنَّ قبلاً ان البقع التي ترى على سطحهِ بحور واسعة وان البقع المحمرة برور ولكن ثبت الآن او كاد يثبت ان ليس الامر كذلك فالجانب المسود من سطحهِ والجانب المحمرُّ كلاهما برٌّ لا بحر فيهِ والماء انما يوجد حول القطبين حينما يذوب ثلجها في فصل الربيع . وقد ابان الاستاذ لول ان هذا الماء ينتشر على سطح المريخ ثم يغيض سريعاً

ومن المشابهات بين المريخ والارض ان النهار والليل يتعاقبان فيهِ كما يتعاقبان فيها ويومهُ اربع وعشرون ساعة ونصف ساعة اي انهُ يتم دورتهُ على محورهِ في هذه المدة . فالفرق قليل جداً بينهُ وبين الارض من هذا القبيل

بقي امر آخر يجب الالتفات اليهِ اذا أُريد البحث عن وجود الاحياء في المريخ وهو ان وجود الاحياء على الارض مرتبط بنوع هوائها وكثافتهِ فهل للمريخ هواء يحيط بهِ كما يحيط الهواء بالارض . والمرجح ان للمريخ هواء ولكن هواءه لطيف جدًّا بالنسبة الى هواء الارض فاذا راقب الارض مراقب من القمر رأى الغيوم الكثيفة تحيط بها وقد لا تنجلي لهُ جبالها ووهادها وبحورها وبرورها لكثرة ما يراهُ حولها من الغيوم اما المريخ ففي جوهِ شيء من الغيوم لكنها قليلة لا تذكر في جنب غيوم الارض

ولا نعلم تركيب هواء المريخ فقد يكون مؤلفًا من النيتروجين والاكسجين مثل هواء الارض ولكن قد لا يكون فيهِ شيء منهما بل هناك ادلة تدل على انهُ مؤلف من غاز اثقل من الاكسجين فان دقائق الغاز سريعة الحركة فاذا لم تكن جاذبية السيار الذي هي فيهِ شديدة افلتت منهُ وابعدت عنهُ . والمرجح ان جاذبية المريخ ليست كافية لحفظ الاكسجين في جوهِ . ويظهر بادئ بدء ان انتفاء الاكسجين من جو المريخ ينفي وجود الاحياء فيهِ لكن قد لا يكون الامر كذلك فان الاحياء الارضية وجدت الاكسجين في جو الارض فاستخدمتهُ بالانتخاب الطبيعي لانهُ اصلح من غيرهِ لتوليد القوة باتحادهِ مع الكربون وبذلك تعلل دورة الدم في جسم الحيوان . ويتضح هذا من النظر الى شجر الصنوبر فانهُ يزرع في الجبال الصخرية حيث يقل وجود التربة الكافية لنموهِ لكن جذورهُ تتشبث بالصخر حيث تجد شقًا فيهِ لتتناول ما تجدهُ من الغذاء وتنتشر عليهِ حتى تعلق بهِ من كل ناحية وتقوى على مقاومة الرياح والعواصف . وهذا كلهُ من اوضح الامثلة على ان الحي يوفق نفسهُ للاحوال التي يوجد فيها ويستخدمها لنفعهِ ولذلك لا يمكننا الحكم بان الاكسجين لازم للحياة لزومًا لا انفكاك عنهُ حتى يتعذر وجود الاحياء بدونهِ ولو كانت من الانواع العليا

هذه زبدة ما يعلم من امر المريخ مما يتعلق بالموضوع الذي نحن فيهِ ويظهر منهُ انهُ ليس في المريخ ما يجعل وجود الاحياء فيهِ محالاً او بعيد الاحتمال جدًّا . ولكن اذا وجدت الاحياء هناك فضعف الجاذبية على سطح المريخ يقضي بان تكون تلك الاحياء كبيرة الحجم بالنسبة الى ما يقابلها على سطح الارض . وعلى الارض حيوانات مختلفة الاقدار جدًّا فمنها ما هو في غاية الكبر كالفيل والحوت ومنها ما هو في غاية الصغر حتى ان الالف منهُ تسبح في خرب ابرة . واذا كبر جرم السيار صغرت الحيوانات التي تسكنهُ واذا صغر كبرت ولو ظهر ذلك مخالفًا لما ينتظر . فاذا انتقل انسان الى عالم كبير جرمهُ مثل جرم الشمس وكان ذلك العالم معدًّا لمعيشة الاحياء لم يستطع ذلك الانسان ان يعيش فيهِ لان ثقلهُ يزيد ستة وعشرين ضعفًا بزيادة

الجاذبية نحو مركز ذلك العالم فلا يقوى على حمل نفسهِ . واذا انتقل الى عالم صغير جدًّا خفَّ ثقلهُ كثيراً فزادت قوتهُ على مقاومة اثقال الاجسام لان اثقالها تكون قليلة . فالحيوانات الكبيرة تصلح لسكن الاجرام الصغيرة والحيوانات الصغيرة لسكن الاجرام الكبيرة

هذا من حيث وجود الاحياء على سطح المريخ ولكن ان قيل هل تلك الاحياء عاقلة او غير عاقلة قلنا ان ذلك ليس مما يمكن اثباتهُ او نفيهُ بالتلسكوب لانهُ مهما قرب المريخ منا يبقى بعيداً عنا ٣٥ الف الف ميل والتلسكوب يقرّب الابعاد حقيقة ولكنهُ مهما قرَّبها لا يقرّبها الى اكثر من جزء من الف جزء من بعدها فاذا نظرنا المريخ بهِ وهو على اقرب بعدهِ عنا رأيناهُ على ٣٥ الف ميل على الاقل اي اننا لا نستطيع ان نرى جسماً باقوى تلسكوب اوضح مما نراهُ بعيوننا اذا كان بعدهُ عنا ٣٥ الف ميل . فلو رُفعت الولايات المتحدة الاميركية فوق اوربا وجعل بعدها عنها عشرة اضعاف ما هو الآن فما ذا يراهُ الناس منها بعيونهم . لا يرون شيئاً من مدنها ومبانيها الفخيمة ولا من انهارها الكبيرة . وقد يرون اكبر بحيراتها كنقطة صغيرة وقد يرون تغيراً في حراجها الواسعة حينما يسقط ورقها ولكن سكان البلاد واعمالهم لا يظهر منها شيء . وهذا شأننا في نظرنا الى المريخ باقوى نظاراتنا فلا سبيل لنا لنعرف هل هو مسكون او غير مسكون

وعندي انهُ اذا قايسنا بين الارض والمريخ ترجح لنا ان الاحياء العاقلة غير موجودة فيهِ فان الاحياء العاقلة وجدت على الارض منذ عشرات الالوف من السنين ولكن سبقتها عشرات الملايين من السنين والارض مسكونة باحياء غير عاقلة فمرَّت عشرات الملايين من السنين قبلما وصلنا الى الاحياء العاقلة . والمدة التي وجدت فيها الاحياء في الارض قصيرة جدًّا بالنسبة الى الدهور المتطاولة التي مرَّت على الارض قبلما وجد فيها حيٌّ . فالمدة التي وجدت فيها الاحياء العاقلة في هذهِ الارض ليست سوى نقطة في اوقيانوس الزمان . ولا يبعد ان يكون تاريخ المريخ مثل تاريخ الارض فيمر على الاطوار التي مرَّت عليها الارض وتتولد فيهِ احياء عاقلة كما تولدت فيها ولكن يبعد من التصديق ان تجتمع فيهِ وفي الارض احوال واحدة في وقت واحد وهذهِ الاحوال لم تصر في الارض الأ في برهة من تاريخها نسبتها الى تاريخها كلهِ كنسبة نقطة الى بحر

ولكن اذا سئلتُ عن رأيي في وجود الاحياء في المريخ مهما كان نوعها اجبت اني اعتقد انهُ لا يخلو من المخلوقات الحية ودليلي على ذلك قانون المرجحات فان الاحياء موجودة على الارض في كل مكان وفي كل الاحوال فلا يبعد ان تكون موجودة في المريخ ايضاً

مقالة الاستاذ وليم بكرنج

قد يعسر الفصل بين المعلوم والمستنتج ولكن اذا حدَّدنا المعلوم من امر المريخ بما اتفق علماء الفلك على التسليم بهِ والمستنتج بما يرجحون احتمالهُ فرأيي في المريخ يمكن تلخيصهُ في ما يأتي

المعلومات الفلكية المحققة هي ان بعد المريخ عن الشمس يساوي بعد الارض ونصف بعدها . وسنة المريخ تساوي ٦٨٧ يوماً من ايامنا ودائرتهُ كثيرة الاهليجية وقطرهُ اكثر قليلاً من ٤٢٠٠ ميل وحجمهُ تسع حجم الارض والجاذبية على سطحهِ خمسا الجاذبية على سطح الارض ولهذا الامر الاخير شأن كبير في معرفة مقدار ما فيهِ من الماء والهواء وبالتالي صلاحيتهِ لسكن الاحياء . وميل خطهِ الاستوائي على دائرتهِ مثل ميل الارض ولذلك ففصولهُ مثل فصول الارض ولكنها طويلة فكل فصل منها مضاعف فصل الارض . ويومهُ ٢٤ ساعة و٣٧ دقيقة

ويسلم اكثر علماء الفلك بالامور التالية وهي ان على كلٍ من قطبي المريخ بقعة بيضاء تتسع شتاء وتضيق صيفاً وهي من الجليد وحينما تذوب تحيط بها منطقة من الماء تضرب الى السواد في لونها ثم تزول ولا ماء فيهِ غير ذلك وذوبان الجليد يدل على ان الحرارة تكون حينئذٍ ٣٢ درجة بميزان فارنهيت (١) . وهذا يدلُّ على شدَّة التبخر نهاراً باشتداد الحر وعلى سرعة رسوب الندى والصقيع ليلاً باشتداد البرد ولذلك فاقليم المريخ غير صالح لنا من قبيل الحر والبرد ولو في الانحاء الاستوائية منهُ لشدة برد الليل فيهِ . وهواؤُهُ الطف من هواء الارض فوق اعلى جبالها ولذلك لا يصلح لان تتنفسهُ احياءٌ مثل الحيوانات الارضية . وقد شوهدت الغيوم في جوهِ وعرفت جهتها وقيست سرعتها ويندر ظهورها الاَّ في الصباح والمساء

وعلى سطح المريخ اماكن قاتمة تسمى بحوراً وترعاً وبحيرات او واحات واماكن فاتحة وهي الصحاري والقفار وبقع بيضاء . والفلكيون الذين يحاولون تعليل ما يرون يقولون انهُ نباتات في اطوار مختلفة من النمو وعندي ان البقع البيضاء نباتات مزهرة وهي تظهر صيفاً قرب خط الاستواء

هذه خلاصة ما يعلم من امر المريخ . والمسألة التي يهتم بها الناس الآن هي هل هذه الترع صناعية . ولا دليل ينفي كونها صناعية ولكن القول بانها صناعية لا يزال من باب الظن فقط فما هو السبيل للبت في هذا الامر . ان الذين شاهدوا ترع المريخ رأوا ان شكلها يدل

(١) (المقتطف) لا يصح ذلك الاَّ اذا كان الضغط هناك مثل الضغط على سطح الارض عند البحر

على انها صناعية فانها مستقيمة في الغالب ويكاد عرضها يكون واحداً على طولها ويكاد لونها يكون واحداً وذلك كلهُ مما يحمل على الاعتقاد بانها صناعية · ولكن توجد ترع على القمر تظهر مستقيمة وصناعية مثل ترع المريخ ولو كانت اصغر منها وهي تظهر وتختفي حسب الفصول كترع المريخ · ومعلوم ان ترع القمر لا يمكن ان تكون صناعية · وقد شوهدت ترع مثلها في جزائر هواي وسببها نمو النبات حول شقوق في الارض يصعد منها بخار الماء فيحتمل ان تكون ترع المريخ شقوقاً فيهِ حدثت بقوة بركانية انتهى

وقد قدم العالم ولمار كمفرت مقدمة لمقالتي السر روبرت بول والاستاذ بكرنج قال فيها انهُ يستحيل علينا ان نرى سكان المريخ ولكن لا يتعذر علينا ان نتصور حالهم بعين الخيال فالمريخ عالم في حالة الاحتضار واذا كان مسكوناً فسكانهُ مهتمون بامر واحد فيهِ حياتهم وهو تأجيل اجلهم على قدر الامكان فان ماءهم كاد ينفد لانهُ صار الآن محصوراً في ناحيتي القطبين كما اشار السر روبرت بول والاستاذ بكرنج وهو يرسب هناك شتاء طبقة رقيقة من الثلج والصقيع ثم يذوب حالما يدنو الصيف · ولا بد من ان يكون سكان المريخ قد نفوا من بينهم كل الضغائن والمناقشات السياسية والجنسية واتحدوا معاً على امر واحد وهو استنباط الوسائل لجر هذا الماء من ناحيتي القطبين الى سهول المنطقة الحارة والمنطقتين المعتدلتين حتى تروى بهِ فتخرج لهم ما يقوتهم من الزرع اي ان اعمال الري شغلهم الشاغل · وعند الاستاذ لول ان ما يرى على سطح المريخ من الخطوط والنقط يدل على اعمال الري هذه · فالخطوط ترع يختلف طولها من ٢٥٠ ميلاً الى ٣٠٠٠ ميل والنقط واحات يصب فيها الماء عند ملتقاها وقد رأى حتى الآن ٤٣٧ من الترع و١٨٦ من الواحات وان كان في المريخ مدن فهي في هذه الواحات · والترع تظهر في فصل الربيع فتبتدئ من عند القطبين وتمتد رويداً رويداً نحو خط الاستواء ثم تقصر رويداً رويداً عند اقتراب فصل الشتاء

ومن رأي الاستاذ بكرنج اننا لا نرى الترع نفسها لانها ادق من ان ترى على بعد المريخ الشاسع ولكننا نرى الارض التي ينمو فيها الزرع على جانبي كل ترعة منها · ومن رأي الاستاذ لول ان هذه الترع صناعية ولكن جمهور الفلكيين على انها طبيعية حدثت بفعل طبيعي

ثم افاض كمفرت في وصف سكان المريخ وما يجب ان يكونوا عليهِ من القامة والقوة · وفرض وجود العقلاء في المريخ مبني على فرض ان الترع المشار اليها صناعية فاذا ثبت ان في القمر خطوطاً مثل ترع المريخ وان في الارض خطوطاً طبيعية تشبهها انتفى حسبانها صناعية فانتفى ايضاً ما بني عليهِ وهو وجود العقلاء في المريخ · ولا ندري كيف يوجب الاستاذ لول

كون هذه النزع صناعية بناء على استقامتها وانتظامها وهو يرى سطوح البلورات وزواياها على غاية الانتظام ولا يد للصناعة فيها وكذلك ترى تولد الخطوط والزوايا المنتظمة في ما يجمد من المواد السائلة والمصهورة

والبحث في المريخ وفي اكثر المواضيع الفلكية لا يأتي احداً بفائدة ما ولكن الاشتغال بهِ يلذ العقل وينعش النفس ولا يحيا الانسان بالخبز وحده'

مستقبل الطيران

ابنا في مقالة أخرى في هذا الجزء ان دول اوربا تنفق النفقات الباهظة على اساطيلها . نعم ان الاموال التى تنفقها تبقى في بلادها فهي ليست اموالاً ضائعة يكتسبها الغير ولكن الاساطيل لا تنتج شيئاً بل تتلف بمرور الزمن وتقتضي نفقات طائلة لحفظها فوق نفقات بحارتها وجنودها فلو استخدمت الاموال التي تنفق على بنائها وحفظها في احياء الارض الموات او في اصلاح الزراعة والصناعة لزادت بها راحة الناس ورفاهتهم فهي من هذا القبيل خسارة كبيرة يخسرها نوع الانسان

وقد ظهرت الآن في افق المخترعات الحديثة آلة قديمة الاستنباط حديثة الاستعمال يظن البعض انها ستكون ضربة قاضية على السفن الحربية فتفقد ما لها من الشأن وتنجو الامم من نفقات بنائها وحفظها . وهذه الآلة هي الطيارة في اشكالها الحديثة اي ذات السطح الواحد وذات السطحين وذات الثلاثة السطوح او ذات الجناح وذات الجناحين وذات الاجنحة الثلاثة فقد روي عن ملك ايطاليا انهُ قال منذ سنتين « لماذا تنفق مليونين من الجنيهات على بناء بارجة والدلائل كلها تدلُّ على ان طيارة واحدة لا يزيد ثمنها على ثمن الاوتوموبيل تجعلها قطعاً من الحديد لا قيمة لها الاَّ كالحديد القديم »

فاذا حققت الايام ما قالهُ هذا الملك فتكون الطيارة أكبر منقذ لدول الارض بل لشعوبها من عبء النفقات الطائلة التي تنفق على بناء السفن الحربية . والظاهر ان هذا هو رأي جماعة كبيرة من رجال السياسة ولذلك تراهم يرقبون حركات الطيران بعين ساهرة ويحرصون لئلا تستأثر دولة من الدول باختراع جديد في هذا الباب فيكون لها بهِ الفوز على غيرها . ويعتقد بعضهم انهُ لا تمرُّ سنتان او ثلاث منذ الآن حتى تصير آلات الطيران كالاوتوموبيلات عدداً واستعمالاً

واذا بلغت آلة الطيران هذا المبلغ حتى تتلف البارجة الكبيرة وتصيرها قطعاً من الحديد بما تلقيهِ عليها من المواد الجهنمية فلا يبعد ان تصير وسيلةً للتخريب والتدمير · قال بعض الضباط في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية « لا شبهة عندي انهُ قد يمكن محق قوة جيش وقوة اسطول في برهة وجيزة من الزمن بواسطة ست من آلات الطيران وهذا ليس من متولدات الخيال بل هو حقيقة راهنة »

ويحتمل ان خوف الردى يمنع من الردى فتلجأُ الدول كلها الى التآخي وتغضي عن احقادها القديمة لئلا يفني بعضها بعضاً · لكن ذلك بعيد الوقوع ما دام في الارض اناس يكتسبون باثارة الحروب وعمل ادواتها وهم اصحاب ثروة طائلة يستخدمون بها من يشاؤُون لما يشاؤُون

لكن الآت الطيران لا تصل الى ما اشرنا اليهِ من النفع او الضرر الاَّ اذا صارت تطير وافقتها الرياح او ضادتها وصارت تستطيع ان تحمل بضعة رجال وبضعة قناطير من المواد المهلكة · وهي في حالها الحاضرة لم تصل الى هذا الحد فهل تصل اليهِ في القريب من الزمان ؟

حادث المستر سند محرر مجلة المجلات الانكليزية المسيو مرجيوس ده بولوتوف الرومي في هذا الموضوع وقال ان المسيو مرجيوس هذا واخاهُ جورجيوس من امراء الروس ولاولهما آراء سديدة في الطيران تحققت كلها على حداثة سنهِ وسيصير من اشهر الذين ركبوا الهواء وحققوا امر الطيران · وقد رسم آلة منذ ثلاث سنوات لو صُنعت لكان الفوز لها لا لآلة ريط الاميركية فانهُ حالما اطلع على رسم آلة ريط قال انها جامعة ما يلزم للطيران مع ان جمهور الناس كان يهزأُ بها وانبأ بما سيكون لها من النجاح · وهو اول من اشار بقطع المسافة بين فرنسا وانكلترا ولو لم يتأخر الصناع في عمل طيارتهِ لقطع بها تلك المسافة قبل غيرهِ على الراجح وقد قال لي حينئذٍ ان لاثام سيخفق لخلل في آلتهِ واما بلريو فسيفلح . وقال لي منذ سنة ان آلة لبودي افضل من آلة كلمنت فحققت التجارب قولهُ ولكن ليس لنبي كرامة في وطنهِ فان اللجنة الروسية التي جاءَت باريس لاختيار آلة من آلات الطيران لم تعمل بقولهِ بل اختارت آلة كلمنت · ولما رأيت منهُ ذلك قصدتهُ بعد تجارب رمس وحادثتهُ المحادثة التالية فسأَلتهُ اولاً عمَّا يراهُ في تلك التجارب

فقال ان آلة ريط الاميركية التي أُصلحت فازت على غيرها كما كان ينتظر وقد فاق البعض في السرعة والبعض في المدة والبعض في الارتفاع لكثرة التجارب التي جربوها ولكن لم نرَ شيئاً جديداً لا في الطيارات نفسها ولا في الآلات التي تحركها

فقلت لهُ اذاً كان ما جرى من قبيل الاعلان لا غير

فقال لقد كان كذلك تقريباً فان كل الطيارات التي أُطيرت في رمس أُطيرت قبل الآن وكلها لعبٌ متقنة التركيب لا اكثر ولا اقل . ولا تبلغ هذه الطيارات ما ينتظر لها الاَّ اذا صارت تطير ولو في ريح شديدة

فقلت لهُ ما هي الطيارة المنتظرة او ماذا تظن انهُ يشترط في الطيارة حتى تفي بالمراد

فقال ان الطيارة المنتظرة التي تفي بالمراد يجب اولاً ان يكون فيها آلة قوتها مئة حصان على الاقل وقد ابنتُ ذلك منذ سنتين فهزأ الناس بي حينئذٍ اما الآن فصار همهم كلهُ مصروفاً الى تقوية هذه الآلة . ويجب ثانياً ان تكون في شكلها مثل التربيد . وثالثاً ان يكون فيها ثلاثة سطوح او اجنحة حتى يقل اضطرابها و يسهل عليها الانزلاق في الهواء . ورابعاً ان يوضع بترولها حيث لايخشى من انفجاره وان يكفيها ست ساعات على الاقل ولو كانت سرعتها خمسين ميلاً في الساعة ورابعاً ان تستطيع حمل اربعة رجال او ما يوازيهم ثقلاً

فقلت لهُ وما رأيك في طيارة المستقبل وما يرجى منها من النفع والضر

فقال اننا الآن في معرض الظن وقد ينقض المستقبل كل ظنوننا ومع ذلك فاني انتظر ان يزيد نجاح الطيارات فوق البحر على نجاحها فوق البر . ويظهر لي ان طيارة المستقبل ستكون مركبة هوائية ومائية معاً اي انها تطير في الهواء وتسبح في الماء ويكون ثقلها خمسة اطنان وتحركها آلة بخارية من نوع التربين قوتها ١٢٠٠ حصان فتنزلق على وجه الماء وترتفع في الهواء ويجب ان تقطع ستين ميلاً في الساعة

فقلت لهُ وهل في الامكان رفع خمسة اطنان وجعلها تسبح في الهواء

فقال نعم وفي الامكان رفع عشرين طناً وتكون القوة اللازمة لرفعها اقل من اربعة اضعاف القوة اللازمة لرفع خمسة اطنان . والعبرة كلها بالقوة التي يمكننا استخدامها فاذا صنعنا آلة ترفع خمسة اطنان امكننا ان نصنع بعدها آلة ترفع خمسين طناً فتكون قوتها سبعة آلاف حصان ولا بدَّ من الاجنحة في الحالين

فقلت لقد قال اديصن ان البريد سينقل في المستقبل بطيارات تسير بهِ مئة ميل في الساعة فهل تظن ان ذلك ممكن

فقال بل هو مؤَكد ولا ارى لماذا نقيد السرعة بمئة ميل في الساعة . ولكن طيارات مثل هذه تكون خالية من الاجنحة

فقلت كيف تطير اذاً اذا كانت خالية من الاجنحة

فقال اظن انها تكون في شكل التربيد (او السيكار الافرنجي) ويكون فيها آلة بخارية قوية جدًّا فتدير رفاصها بقوة فائقة ويقيم سائقها والذين معهُ في قلبها ٠ وليس في علم الهندسة الآلية ما يضع حدًّا لثقل الطيارة ولا لسرعتها ولكن لا بدّ من ان يزيد اتقان آلاتنا البخارية عمَّا هي عليهِ الآن

فقلت اظن الزلق اسرع من الطيران

فقال نعم ولكن مجال الزلق محدود فاذا طرتَ طيرانًا يعليك في الجو لزمك ان تسير ١٥ ميلاً حتى تعلو ميلين وحينئذٍ تستطيع ان تزلق بآلتك ١٥ ميلاً من غير ان تحرق شيئًا من البترول وذلك بقوة الجاذبية الارضية او قوة الثقل واذا اسرعت في نزولك قلّ ميل النزول وزادت مسافتهُ

فقلت لهُ اين هي آلة الطيران التي عزمتَ ان تهديها الى القيصر

فقال هي الآن في شالون وسآتي بها الى انكلترا قريبًا وسترى ما يكون من امرها

انتهى الحديث الذي نشرهُ المستر ستد ٠ وفي كلام المسيو بولوتوف عبارة حرية بالنظر وهي قولهُ « ان ليس في علم الهندسة الآلية ما يضع حدًّا لثقل الطيارة ولا لسرعتها » فاننا نرى ان هذا الحكم يصح اذا لم يلتفت الى متانة المواد التي تصنع منها الطيارة ولكن اذا اعتبرت متانة المواد فلكل شيءٍ حد ولا نرى ان الاخشاب والمعادن المعروفة تكفي متانتها لاحتمال القوة المطلوبة اذا كانت الآلة صغيرة خفيفة كما يجب ان تكون ليتيسر طيرانها ويظهر لنا ان هذا سيكون اكبر عائق في سبيل آلات الطيران

اما الذين فازوا في سباق رمس ونالوا الجوائز فهم المسيو فارمن وقد نال الجائزة الكبرى وهي الفا جنيه لاجل طول مسافة الطيران فانهُ طار ١١٢ ميلاً ونال جائزة الركاب وهي ٤٠٠ جنيه لانهُ حمل الركاب في طيارتهِ وهي جارية اسرع مجرى ٠ ونال المستر لاثام الجائزة الثانية لانهُ طار مسافة ٩٦ ميلاً ونصف ميل والجائزة الاولى للعلو وهي ٤٠٠ جنيه لانهُ علا بطيارتهِ ٥٠٠ قدم ٠ ونال المستر كرتس الاميركي جوائز السرعة وهي تساوي ٢٣٠٠ جنيه لانهُ طار ١٢ ميلاً ونصف ميل في ١٥ دقيقة و٥٠ ثانية ثم ١٨ ميلاً و$\frac{3}{4}$ الميل في ٢٦ دقيقة و٤٠ ثانية وتلاهُ المسيو بلريو فانهُ طار ١٢ ميلاً ونصف ميل في ١٥ دقيقة و٥٦ ثانية

رسائل الاستانة

(١٠) ما علينا وما لنا

لما اطلعنا ونحن في الاستانة على ما اطلعنا عليهِ مما ذكرنا طرفًا منهُ في مقالاتنا السابقة اعملنا النظر في مقارنتهِ ومقابلتهِ لنستخرج ما يوافقنا ومالا يوافقنا فيهِ ونبني رأينا عليهِ

فنصبنا ميزان العقل والحكم ووضعنا في الكفة الواحدة من كفتيهِ

(١) المصاعب والمتاعب التي لا بد ان تنجم عن الاختلاف في الاميال والآراء والافكار بين العثمانيين من رجال تركيا الفتاة ورجال تركيا العجوز

(٢) الاخطار والمشاكل والمصاعب التي لا بد منها بسبب اختلاف العناصر والاديان

(٣) الاخطار والمصاعب التي لا بد منها لكون النهضة الدستورية الحالية لم تقم في الحقيقة الاَّ باتحاد ضباط الجيش ولا تدوم الاَّ اذا دام اتحاد ضباط الجيش . فاساس كيانها وضمان دوامها هو اتحاد الجيش على حفظها

(٤) القصور والتقصير اللذين لا بد منهما لكون السواد الاعظم من الامة العثمانية يجهل الدستور ومزاياهُ وهو غير مستعد لهُ الاستعداد الكافي ولكون معظم مأموري الحكومة قد ربوا وشبوا على النظام الاستبدادي في الاحكام ولم يألفوا النظام الدستوري . ولكون الرجال الدستور بين الاكفاء قلالاً في السلطنة حتى كان اكثر الذين يحدثوننا في الاستانة يشكون من قلة الرجال

(٥) عواقب الخلل الهائل الذي استحوذ على اعمال الدولة في بلادها كلها حتى صيَّر بلادها مثلاً في التأخر وسوء المآل

(٦) المصاعب والمتاعب التي لا بدَّ منها بسبب قلة المال وفقر الحال وقلة الاشغال . والمشقات والاثقال التي لا بد من تحملها في اصلاح بلاد واسعة الارجاء ممتدة الاطراف مفتقرة الى الاصلاح كل الافتقار في كل ولاية ومتصرفية وقضاء وناحية

ووضعنا في الكفة الثانية من كفتي الميزان الاسباب والعوامل الحافظة والمؤيدة للدستور والساعية في ادامة هذه النهضة الدستورية واجراء الاصلاح المأمول وهي

(١) جلالة السلطان محمد الخامس بشهادة الثقات الذين عرفوا جلالتهُ وعاشروهُ واطلعوا على نياتهِ ورغباتهِ في حالات شتى من حالاتهِ . وحسبنا ان نذكر ثقة منهم حتى يحكم

القراء بقوة ملاحظتهِ ودقة مراقبتهِ وصحة حكمهِ وهو سمو الخديوي المعظم عباس باشا الثاني فقد أكد لنا سموهُ صحة كل ما شاع وذاع عن تمسك جلالتهِ بالدستور وتباهيهِ بان يلقب بالسلطان الدستوري واخلاصهِ في تأييد كل انصار الدستور وشد ازر كل السابقين في اصلاح سلطنتهِ وتحسين حال دواتهِ . وشهد سموهُ مع ذلك ان جلالتهُ شديد الورع والتقى كثير التدين والتعبد عن اعتقاد ثابت وايمان صحيح يغار على دين الاسلام غيرة صادقة خالصة من كل شبه ريب كما يغار على الدستور ويحب الخير لامتهِ وتبعتهِ حباً صحيحاً اكيداً ويود الحسنى لكل الناس . وقد ادرك الناس حسن صفاتهِ هذه فتعلقوا بهِ وجعل حبهم لهُ يزداد يوماً فيوماً . وقد شهدنا نحن ايضاً ما يؤيد ذلك حين وضع جلالتهُ حجر الزاوية في مدفن شهداء الحرية من الجنود العثمانية يوم الاحتفال بعيد الدستور في ٢٣ يوليو الماضي فقد كنا في وسط الجماهير التي تنظر الى جلالتهِ وتهتف لهُ وهو يمر بعساكرهِ فما كنا نسمع من افواههم الاَّ العبارات الدالة على حبهم لهُ وتعلقهم بهِ لحسن مناقبهِ بخلاف العبارات التي كانوا يفوهون بها مقرونة باللعنات في كلامهم عن عبدالحميد اخيهِ . وكذلك في حفلة السلاملك يوم الجمعة في ٣٠ يوليو فقد كنا واقفين مع وجيه من اصدقائنا في الحديقة الفاصلة بين سراي دولمه بغجه حيث يقيم جلالتهُ والجامع الذي يصلي فيهِ ننتظر خروجهُ في موكبهِ من السراي الى الجامع وقد اخبرنا صديقنا ان حفلة السلاملك اصبحت في عهد جلالتهِ على غاية من البساطة الدالة على حسن الذوق وبغض الفخفخة بخلاف ما كانت عليهِ من الابهة الزائدة والفخفخة الباطلة والعظمة المتجاوزة حد كل ذي ذوق مهذب في زمان عبدالحميد . فلما خرج جلالتهُ ومرَّ بموكبهِ من امامنا رفع يدهُ الى جبينهِ ليحيي الجمهور وقد اطلق لحيتهُ فزادت منظرهُ جلالاً وكمالاً فلم نشعر الاَّ ورجل عجوز بجبة خضراء قد هجم على المركبة المذهبة التي كان يسوقها حوذي بثياب حمراء مقصبة ويجرها جوادان كريمان والقى فيها ورقة كانت بيدهِ فاراد جلالتهُ ان يتلقفها فافلتت من يدهِ وسقطت عندقدميهِ في المركبة فاكب عليها مستعجلاً كمن يحاول ان يقبض على طائر قبل ان يفرَّ من بين يديهِ ثم رفعها وطواها وسلمها الى رمزي بك باورهِ لكي يعطيهُ اياها بعد رجوعهِ من الجامع

فابتهجت نفسنا بهذه الغيرة الفطرية التي بدت من جلالتهِ على مصلحة رجل فقير من رعيتهِ وبهذا الاهتمام الذي ظهر من جلالتهِ طبعاً بلا تصنع ولا تكلف . والتفتنا الى الرجل الذي القى العريضة في المركبة فاذا اربعة من رجال البوليس قد احدقوا بهِ واخذوهُ الى جانب وجعلوا يسألونهُ عن اسمهِ وبلدهِ وصناعتهِ الخ فعلمنا انهُ رجل من الاناضول وسمعنا

واحداً من رجال البوليس يلومهُ قائلاً لماذا فعلت هذه الفعلة فازعجتنا وسط الحفلة ولماذا لم تعطني عريضتك فكنت اقدمها عنك . فنظر اليهِ الرجل مغضباً وقال وما لك ولي . انا قدمت عريضة الى سلطاني وسلطاني قبل عريضتي مني فما دخلك بينهُ وبيني . فلم نتمالك عن الضحك وانصرفنا ونحن نقول ما دام هذا اعتقاد العوام في السلطان فلا ريب في انهم يحبونهُ ويكرمونهُ ويطيعونهُ كما يطيع الابناء آباءَهم

وقد قال لنا الجناب العالي ايضاً ان جلالة السلطان يدهش الذين حولهُ والذين يعاشرونهُ ويسمعونهُ بمقدار ما احاط بهِ علماً في هذه السنة من الشؤون السياسية واحوال السلطنة العمومية بعد ما قضى ثلاثاً وثلاثين سنة من عمرهِ مقتصراً في علمهِ على اخص المسائل الخصوصية ومضطراً الى عدم السؤال عن مسألة من المسائل العمومية . واشار الى جوابين اجابهما جلالتهُ في موقف حرج من المواقف الدقيقة السياسية فادهش بهما سموهُ وفخامة الصدر الاعظم معاً لما تضمناهُ من حسن التخلص من بعض المسائل الوعرة الدقيقة

هذا ولا يخفى ان كلمة جلالتهِ تزداد نفوذاً يوماً فيوماً وان منزلتهُ تعلو في النفوس عاماً فعاماً كما هو شأن الملوك والسلاطين كلما طال زمان ملكهم . فحبهُ الخالص للدستور وغيرتهُ الخالصة على تأييدهِ وشد ازر انصارهِ من التوفيقات العظيمة التي وفقت بها الامة العثمانية ومن الاسباب التي تقوي الرجاء في النجاح واجراء الاصلاح

(٢) سماحة شيخ الاسلام وغيرهُ من اكابر العلماء والائمة فان ميلهم الى الدستور واضح كميل جلالتهِ . ورغبتهم في تأييد انصارهِ ومساعدتهم لهم على الاصلاح واضحتان اليوم وضوح الصباح . قال لنا سماحة شيخ الاسلام لما تشرفنا بمحادثتهِ في المشيخة الاسلامية يوم الخميس في ٣٠ يوليو الماضي . اني واثق بان الاستبداد قد زال وعودتهُ محال لان الملة كلها تريد الدستور وتكره الاستبداد والعلماء لا يريدون الا ان تكون امور الدولة شورى والطبقة العليا كالطبقتين الوسطى والسفلى تريد الدستور وتطلب الاصلاح والتقدم والترقي . وذلك ليس بشفاهها فقط بل من صميم افئدتها ايضاً فرغبة الجميع خالصة في اصلاح امورنا وحسن النية موجودة عند الجميع الآن

وهذه الاقوال وغيرها مما سمعناهُ من فم سماحتهِ يمكن لاهل مصر ان يسألوا سماحتهُ عنها ويسمعوها من شفتيهِ متى مر بهذا القطر فاننا لما اظهرنا لسماحتهِ ما للمشيخة الاسلامية الجليلة من علو المقام والاكرام في نفوس علماء مصر وعامتها قال انهُ يرجو ان يحج قريباً فيمر بمصر في عودتهِ من الحجاز ويتعرف بمصر وعلمائها . وكان يعبر عن مرادهِ باللغة العربية الفصحى كما

فعل سائر الذين اجتمعنا بهم من علماء الاستانة وازمير فانهم يفهمون اللغة العربية المعربة ويعبرون عن مرادهم بها ولكنهم لا يفهمون اللغة العامية

والمعاني التي سمعناها من فم شيخ الاسلام في حديث دام نحو نصف ساعة سمعناها بمزيد الشرح والاسهاب من العالم الفاضل مصطفى افندي فوزي مشاور الحقوق في نظارة المالية ومعلم المجلة الشرعية في مكتب النواب الشرعيين في الاستانة . وقد وافق حضرتهُ حضرة جلال الدين افندي معلم مكتب الصنائع ومكتب حديقة المعارف بازمير على ان جمهور العلماء يؤيد الدستور ظاهراً وباطناً ويطلب الاصلاح ويرغب في التقدم والنجاح وان العلماء ساعون في ذلك ضمن الدائرة المختصة بهم وعلى قدر طاقتهم وكل يوم يمرُّ يزيدون مجاهرةً بذلك وينفون كل ريب من نفوس العامة في كون الدستور اصلح لهم وكون الاصلاح واجباً لسعادتهم ورفاهتهم

(٣) القوات العسكرية فقد قدمنا انها هي اساس هذه النهضة الدستورية وان اتحادها هو الشرط الذي لا غنى عنهُ لدوامها ولبلوغ النجاح بها . ومن حسن التوفيق ان هذه القوات العسكرية كلها على اختلاف درجاتها وطبقاتها اصبحت بحيث تعد شرفها ومجدها وفخر كل كبير وصغير من رجالها قائمة بحفظ الدستور وبالنجاح في الاصلاح وترقية شأن الدولة والامة فاصبح اكبر مطمع لها واعظم شيء تطمح اليهِ ابصارها حفظ الدستور وشرف السلطنة واصلاح احوال الدولة والامة . فهذا الافتخار بكون رجال الجيش هم معيدي الدستور وحماتهُ وبانهم ركن الاصلاح في السلطنة يغلب حب الافتخار بالرئاسة الشخصية والاطماع الذاتية فيحفظ الاتحاد بين ضباط الجيش ويقي من انقسامهم وانشقاقهم سعياً وراء الغايات الخصوصية وقضاء المآرب الذاتية كما يستدل عليهِ الانسان من اقوال الضباط انفسهم . وحسبنا ان نورد هنا طرفاً من اقوال محمود شوكت باشا كبيرهم في حديث جرى لنا معهُ بالسرعسكرية صباح الخميس في ٢٩ يوليو . قال ان العود الى الاستبداد محال وكلنا نحن رجال الجيش متفقون على ان نفدي الدستور بدمائنا ونحسب ان وجودهُ ودوامهُ وتقدم بلادنا في زمانهِ اعظم فخر لنا . ونحن باذلون الآن جهدنا حتى لا نترك سبيلاً الى حدوث ما يكدر الصفاء او يقف في طريق الاصلاح . نعم اننا اطلنا مدة الاحكام العرفية الى شهر مارس القادم كما قلتم ولكن اي بلاد لم تطل مدة الاحكام العرفية فيها اعواماً بعد الحرب او الانقلاب ففرنسا ابقت الاحكام العرفية عدة سنين بعد حربها مع المانيا ونحن ننتظر ان تحصل عندنا التنسيقات قريباً فيخرج بها الوف من الخدمة وكذلك ان تنزل درجات كثيرين من اكابر الضباط والموظفين فلا

يستغني عن الاحكام العرفية في مثل تلك الاحوال وان كانت احكامنا العرفية غير ثقيلة الوطأة على الاهالي الآن

فقلنا نعم ولكن التجار يقولون انها تؤثر في التجارة وتوقف حركة الاشغال قال الامل ان تدور الحركة وتروج الاشغال قريباً فالناس يريدون حدوث كل امر حسن سريعاً ولكن لا بد من الصبر فكل شيء يجيء في ميعاده · وكان يتكلم باللغة العربية واللهجة البغدادية بلكنة تركية

(٤) مجلس المبعوثان فانهُ سبب قوي من اسباب الرجاء في مستقبل الزمان · وانما قلنا في مستقبل الزمان حتى لا نخالف اهل الاستانة في ما يقولونهُ عنهُ الآن · فان كثيرين من رجال الدولة والموظفين من العثمانيين والاجانب يحسبون ان مجلس المبعوثان لم يحقق آمالهم ولا يفي بالغرض المطلوب منهُ · اما نحن فنعتقد انهم يظلمونهُ بحكمهم هذا عليهِ وانهم يطلبون منهُ ما لا يجوز ان يطلب من مجلس فضلاً عن انسان · فليس من العدل ولا العقل ان يطلب من مجلس عقد اول مرة في العمر ما يطلب من مجلس مرت عليهِ القرون كمجلس انكلترا او فرنسا مثلاً او ان ينتظر من اعضائهِ الذين لم يرقَ اكثرهم منبراً للخطابة الا فيهِ ان يضارعوا النواب الذين اشتهروا في العالم بالبلاغة في الخطابة · بل الواجب ان يحفظ ما فعلهُ المجلس في هذا العام ويقارن بما يفعلهُ في العام المقبل ويحكم عليهِ بما تدلُّ عليهِ تلك المقارنة · فنحن املنا قوي ان مجلس المبعوثان يحقق الآمال ويكون اعظم عامل من عوامل الرجاء في التقدم والارتقاء واصلاح الاحوال · وقد بان بعض فضلهِ في اعمالهِ وفي اعمال وفده الذين عززوا مقام الدولة عند الانكليز وتركوا لمجلسهم ذكراً عطراً بينهم

واملنا اقوى في ان نواب العرب يحققون آمال قومهم من كل وجه في العام المقبل فاننا بعد ما اجتمعنا بجماعة من اكابرهم واصدقائنا الافاضل مثل عطوفة شفيق بك العظم مبعوث دمشق وحضرات العالم الفاضل الشيخ عبد الحميد الزهراوي مبعوث حمص ورضى بك الصلح مبعوث بيروت والحسيني بك مبعوث القدس الشريف وغيرهم واطلعنا على ما ينوونهُ لخدمة اهل بلادهم علاوة على ما فعلوهُ في هذا العام ايقنا انهم هم واخوانهم الذين كانوا غائبين عن الاستانة مع الوفد يكونون اعظم حماة الدستور واعوان رجال الاصلاح في البلدان العربية

(٥) جمعية الاتحاد والترقي فانها الآن روح النهضة الدستورية والمحرك الاول لآلة الاصلاح العمومية · وقد كثر انتقاد الناقدين لهذه الجمعية وقام لها خصوم كثيرون ولكننا نعتقد ان خصومها يوافقون انصارها على ان الافعال العمومية التي فعلتها من يوم اعلان الدستور

الى هذا اليوم تدل بوجه الاجمال على ان رجالها ذوو حزم واقدام وثبات وحسن سياسة ورغبة خالصة في حفظ الدستور وخير الدولة والامة . ولا نقصد بهذا الكلام ان نعارض خصومها وانما نقصد ان نذكر ما يستنتجهُ الانسان من اعمال النظر في قراراتها واعمالها بوجه الاجمال . فقد يمكن ان تكون اخطأت في معاملة بعض الافراد او خالفت خطتها العمومية في بعض الامور الجزئية . كل هذا ممكن وسبحان من تنزه عن الغلط وتفرد بالكمال ولكن ما رأيناهُ منها بوجه الاجمال يربي في النفوس حسن الثقة بها وبمقاصدها وبمقدرة رجالها وبشرف غايتها . فان كانت هذه الجمعية غير الجيش او لم يكن جزءٌ من الجيش الجزء الاهم منها فهي ليست دونهُ شأناً واعتباراً من وجوه كثيرة

(٦) حسن النية والرغبة الخالصة في حفظ الدستور والاصلاح عند اكابر رجال الدولة الحاليين وعند ذوي الشأن في السلطنة وعند جمهور الخاصة من العقلاء والمتعلمين والمتهذبين المجردين عن المآرب الخصوصية في الامة العثمانية . فما لا ريب فيهِ عندنا ان هؤُلاء العثمانيين يريدون الدستور ويطلبون الاصلاح ويرغبون فيهِ رغبة خالصة ونية حسنة خالية من كل ما يضر الدولة

(١١) النتيجة

اذا احسنا اعتبار ما علينا وما لنا مما وزناهُ بميزان العقل والاعتبار في مقالتنا الماضية استنتجنا ان الحالة التي نحن فيها الآن لا تزال حالة تجربة واختبار فيمكن ان تنتهي باجراء الاصلاح المطلوب وبلوغ النجاح المروم كما هو المأمول ويمكن ان تنتهي بالفشل والاخفاق وخيبة المساعي والآمال لا سمح الله . وقد سألنا حضرة احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان في آخر اجتماع اجتمعنا بهِ في ذلك المجلس عما وجدنا بزيارتنا للاستانة فاجبناهُ بنحو ما استنتجناهُ آنفاً فظن ان استنتاجنا لا بد ان يكون من تأثير كلام الاجانب معنا قائلاً ان كثيرين منهم يقولون ان العثمانيين والمبعوثان باقون في حيز التجربة والامتحان حتى الآن والحال ان زمان التجربة والامتحان قد مضى وان الاصلاح اضحى امراً مقرراً والنجاح حقيقة ثابتة جلية كالصبح للعيان

ولعلمنا ان ما استنتجناهُ انما استنتجناهُ مما رأيناهُ وما سمعناهُ من العثمانيين قبل الاجانب اذ كان اكثر كلامنا مع العثمانيين والقليل منهُ مع الاوربيين اتخذنا قول احمد رضا بك هذا حجة على صحة استنتاجنا لاننا لم نكن نعلم انهُ مطابق لاستنتاج الاجانب قبلما سمعنا ذلك

منهُ وعذرناهُ على اقتناعهِ بان زمان التجربة والامتحان قد مضى وانقضى وان الاصلاح والنجاح اصبحا امرين ثابتين اكيدين لعلمنا انهُ في وسط الحركة الاصلاحية وفي مركز النهضة الدستورية · فلا يكاد يرى او يسمع الاَّ ما كان موافقاً لهما وما يشعر بان الناس عموماً معترفون بحدوثهما ومتحققون حصولهما فلذلك يحسب كما يحسب كثيرون من رجال تركيا الفتاة ان الحالة طبق المرام وانهُ ليس في الامكان اصلح مما هو كائن · مع ان رجال تركيا العجوز مثلاً يرون ان الحالة مؤدية الى الاضمحلال وانهُ ليس في الامكان اسوأ مما هو كائن كما ذكرنا في احدى مقالاتنا السابقة · ولكنا نظن ان من يمعن النظر عن الجانبين ويتبع جادة الاعتدال بين القولين يوافقنا على اننا لا نزال في حالة التجربة والامتحان

واستنتجنا ايضاً من زيارتنا للاستانة ان اصلاح السلطنة العثمانية اعسر اصلاح في العالم وان النجاح فيهِ يقتضي ان يكون المصلحون مستكملين الصفات التي اتصف بها اعظم المصلحين في العالم وان يكونوا من ابرع من قام على وجه الكرة الارضية في السياسة الخارجية والادارة والسياسة الداخلية · وقد كنا نعلم ذلك قبل زيارتنا للاستانة ولكننا بعد ما زرناها ورأينا ما رأينا وسمعنا ما سمعنا تجلى لنا هذا الامر بصورة واضحة جلية يرى الانسان فيها كل مصاعبهِ ومتاعبهِ واخطارهِ ومشقاتهِ · وثبت لنا ان هذا الاصلاح الكبير الشاق العسير لا يتم في عام او عشرة اعوام بل لا بد لبلوغهِ الغاية المطلوبة من الكمال من زمان طويل تتوالى عليهِ الاعقاب · لانهُ ان كان اصلاح الديار المصرية قد استغرق ربع قرن حتى بلغ هذه الغاية التي لا تزال بعيدة عن الكمال المطلوب بعداً كبيراً ومصر ليست في المساحة الا ولاية من ولايات تركيا الكبيرة ولا نظير لما بينها في سرعة المواصلة وجودة التربة وسهولة المراس وسلاسة القياد وقد جرى الاصلاح فيها بارشادِ وسعي وجدِ من اقدر دولة استعمارية واخبر امة في الاصلاح بين الامم الاجنبية · فما بالك بالسلطنة العثمانية وهي جامعة لكل المصاعب والمشاق التي يمكن ان تحول في سبيل الاصلاح واهل البدو فيها يبلغون جانباً عظيماً من اهل الحضر وقد باتت مساحة متسعة منها براري وقفاراً

فهل يستطيع العثمانيون هذا الاصلاح وهل يبلغون المطلوب فيهِ · هذه مسألة نهتدي الى الجواب عنها من اختبار غيرنا من الامم · قال الناس بعد الاختبار لا مستحيل على اهل الثبات والجد ولاقدام · وقال بونابرت وانعم بهِ من قائل المحال كلمة واجبة الحذف من قواميس البشر · فلماذا يستحيل علينا ما لم يستحل على سوانا اللهمَّ اذا سرنا اليهِ في طريقهِ ووطنا النفس على ان لا نرجع عنهُ الا بعد بلوغهِ

اما الطريق اليهِ فمفتوحة الآن امامنا وليس من يعترض مسيرنا فيها · فقد ابنا ان الذين يقدمون و يؤَخرون في الدولة من جلالة السلطان فنازلاً راغبون في الاصلاح رغبة حقيقية و يريدون النجاح باخلاص وحسن نية · فليس فيهم من يعارض في الاصلاح او يصدُّ عن النجاح · واما العزم على بلوغ النجاح وعدم الرجوع عنهُ فالذي ظهر لنا كما ظهر لسوانا ان رجال الجيش ورجال الاتحاد والترقي عازمون على ذلك عزماً اكيداً وما رأينا من افعالهم في السنة الماضية يقوي املنا في انهم يسيرون اليهِ في طريقهِ ولا يحيدون عنها في المستقبل · لانهُ يصعب علينا ان نصدق ان قوماً دلت افعالهم على عقلهم وذكائهم وعلى رغبتهم في لم شعث الامة العثمانية والجمع بين عناصرها يرتكبون اليوم او غداً خطاء يفسد كل ما يصلحونهُ ويخرب كل ما يبنونهُ · وذلك بان يسعوا في تغليب قوميتهم على قومية سواهم وفي جعل الامة امة تركية لا امة عثمانية · لاننا لا نقدر ان نتصور انهم يجهلون اليوم ما يعلمهُ اقل الناس علماً وهو انَّ السعي في تغليب قوميتهم هذه سعي في قلب سنَّة طبيعية عجز اقدر الناس عن قلبها في هذا العصر — عصر النور والعلم والحرية · وانهم اذا سعوا فيهِ اضاعوا سعيهم سدى من جهة واقاموا قيامة العناصر كلها عليهم من جهة أخرى فكانوا كالساعي الى حتفهِ بظلفهِ اذ اصدق اصدقائهم ينقلب يومئذٍ عليهم ويقاومهم مقاومة الد اعدائهم ولا لوم عليهِ في ذلك ولا تثريب بل اللوم كلهُ يكون عليهم

ولهذا نعتقد ان رجال الاصلاح يجعلون اجتناب هذا المأزق نصب عيونهم من اول امرهم ولا يقتصرون على اجتنابهِ بل يسعون ايضاً في اظهار حسن نيتهم من جهة كل عنصر من عناصر امتهم بان يشركوا نخبة رجالهِ معهم ليس في المشورة والرأي فقط بل في السياسة وتدبير الامور ايضاً كلما سنحت لهم الفرصة ووافقت الاحوال وبذلك يتلافون مصاعب اختلاف العناصر على قدر الامكان

هذا ومهما كان الخطر والضرر في تعدد العناصر واختلاف العقائد فاجتنابهما واجراء الاصلاح معهما ممكنان بالسياسة وحسن التدبير · ولنأخذ لذلك مسألة العنصر الرومي مثلاً فقد ابنا في ما مضى انها اشد مسائل العناصر خطراً واصعبها علاجاً ولكننا نرى مع ذلك ان تدبيرها على وجه يؤْمن بهِ شرها ليس من المحال · فالروم بشر وهم يقدمون المصلحة على سواها من الاعتبارات كسائر البشر · فمتى رأوا اننا اصلحنا الاحوال ونظمنا الامور واجرينا العدل وروجنا الاشغال وفتحنا الابواب لكسب المال واعلينا مجد الدولة وجعلنا رعيتها محترمة مكرمة حيث حلت كما هو شأن الدول المصلحة القوية ادركوا الفرق العظيم بين حالهم وحال

اخوانهم اليونان التابعين للحكومة اليونانية ففضلوا الانتماء الينا على الانتماء اليهم وتعلقوا بنا دون سوانا . واذا طردناهم من النافذة عنا عادوا من الباب الينا لعلمهم ان انتماءهم الينا انفع لهم بكثير من انتمائهم الى الحكومة اليونانية وان ما يجدونهُ من رغد العيش والعز والنعيم في جاه الدولة العلية اشهى بكثير من الجامعة اليونانية . وقد ذكرنا رأينا هذا امام رجل من اشهر انصار الاتحاد والترقي في الاستانة نخالفنا فيهِ وقال ان الروم لا يرضيهم غير الانتماء الى حكومة اليونان على كل حال واستشهد على ذلك باهل كريت واصرارهم على الانتماء الى اليونان مع ان الدولة العلية اباحت لهم ملء الاستقلال في امورهم الداخلية وانما طلبت منهم الاعتراف بالسيادة العثمانية . ولكننا نرى انهُ لا يردُ بكريت على رأينا لعدم مشابهة حالتها للحالة العثمانية التي فرضنا انها ترغب الروم في الانتماء الينا بعد اصلاح امورنا . فكريت ولو استقلت في شؤونها الداخلية لم تصر حالها افضل من حالة اليونان حتى تنسيها الجامعة اليونانية . وانما يصح الاستشهاد بها متى بلغت حالة تضارع الحالة التي فرضنا ان الروم يبلغونها بعد تقدم الاصلاح عندنا . واستشهدنا نحن على صحة رأينا بالمصريين في عهد المحتلين . فالمحتلون ينتمون الى امة اجنبية عن المصريين جنساً ولغةً ودِيناً واخلاقاً وعادات وقد حاربت المصريين واحتلت بلادهم بعد محاربتهم واستلمت زمام امورهم . فاتفقت الاحوال كلها على ايقاد نار البغض في صدور المصريين للمحتلين وعلى توسيع شقة النفور بينهم . ومع ذلك نسي جمهور المصريين ذلك كلهُ وهان عليهم احتلال المحتلين لبلادهم لما اصطلحت احوالهم وارتقت امورهم وشعروا بنعم الاصلاح الذي تمَّ بمعونة المحتلين وارشادهم . واصبحوا يعدون المحتلين من المحسنين لا من المسيئين . فتغلب الانكليز بالاصلاح الذي اجروهُ في مصر على اسباب النفور والجفاء والحقد والبغض التي كانت تبعد المصريين عنهم . ونحن نتغلب بالاصلاح ايضاً على كل ميل في الاروام الى الجامعة اليونانية وهذا التغلب أيسر من تغلب الانكليز على اميال المصريين لاسباب لا تخفى على اللبيب

وكذلك يتقى ما في اختلاف الاديان من المشقات والعقبات في سبيل الاصلاح ومن الخطر والضرر على النجاح باجراء العدل والمساواة والجري على مقتضى الدستور قولاً وفعلاً . وقد اظهر المصلحون العثمانيون رغبتهم في ذلك وعزمهم عليهِ والامل ان لا يحيدوا عنهُ مهما اضطروا الى تعديل خطتهم الاصلية مراعاة لاوهام العوام . فالظاهر ان عدم استعداد السواد الاعظم من الامة العثمانية لقبول المزايا الدستورية دلَّ المصلحين على صعوبة تنفيذ كل شرط من شروط الدستور دفعة واحدة . فقد اظهر التحقيق في حوادث اذنه ان اعظم سبب هاج

الترك على الارمن واستفزهم الى قتلهم هو انهُ بعد ما أُعلن الدستور جعل جهلاء الارمن يتباهون بمساواتهم لاعظم من في بلادهم ويسيرون مرحاً وهم يشمخون بانوفهم ويرفسون الارض بارجلهم ويتحدثون بالاستقلال · ومضى الزمان الذي كانوا فيهِ يذلون لغيرهم ونحو ذلك من الاقوال والافعال التي كان الترك يحسبونها تحدياً لهم او تعييراً واهانة فيغضبون منها ويسخطون على الارمن بسببها حتى تعاظمت الاحقاد بين الفريقين وجرى ما جرى مما دلَّ على انهما لم يدركا روح الدستور ولذلك حوَّلا نعمة المساواة الى ضد المقصود منها فجنيا الشر منها عوضاً عن ان يجنيا الخير

ونقل الينا ونحن في الاستانة انهُ لما قامت الجمعية المحمدية واثارت احقاد العامة على رجال الاتحاد والترقي بدعوى انهم يريدون ابطال الشريعة المحمدية والديانة الاسلامية نصب الثائرون يومئذٍ اول مشنقة لاخت احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان وكانوا قاصدين ان يشنقوها في مقدمة الذين يشنقونهم من المصلحين لو ظفروا بها بحجة انها تحرض المسلمات على مخالفة الشريعة وعلى سلوك سبيل يحرمهُ الاسلام · فرأَت بعد ذلك انهُ ليس من الحكمة مهاجمة اوهام العامة كلها دفعة واحدة وقيل لنا انها عدَّلت خطتها الآن وعدلت عن كثير مما كانت تعلمهُ وتجاهر بهِ قبل تلك الحادثة

فمداراة اوهام العوام توَّخر تنفيذ الدستور ولكنهُ مهما أُخر فتنفيذهُ اوجب واجب والاَّ فلا امل في اصلاح ولا نجاح

فاذا استمر المصلحون على الخطة الحميدة التي ابتدأوا بها من حسن النية والرغبة الحقيقية في الاصلاح واعتصموا بحسن السياسة في اتقاء اخطار تعدد الاجناس واختلاف الاديان حق لنا ان نعلل النفس ببلوغ النجاح على شرط ان يستوفوا امرين لم نشتهر بهما نحن الشرقيين لسوء الحظ احدهما الدأب والثبات فقد جرت عادتنا في اعمالنا ان نكد ونجد بهمة فائقة وعزيمة ماضية في بادىء الامر ثم لا يمضي علينا زمن حتى نملَّ ونضجر وتصغر منا تلك الهمة وتضعف تلك العزيمة ونهمل الامر الذي شرعنا فيهِ او نتركهُ ناقصاً بخلاف الامم الراقية فان رجالهم يثبتون على ما يشرعون بهِ ويدأبون عليهِ مهما لقوا في سبيلهِ من المشقات والعقبات حتى يتموهُ ولو بعد الاعوام الطويلة · والآخر اننا لا نحسن التعاون على الاعمال ولا تنظيم الامور التي يشترك كثيرون في عملها بل اعتدنا ان نعمل اعمالنا منفردين بعضنا عن بعض ولم نعتد ان نتحد جماعات ونعملها معاً ولذلك ترى افرادنا ناجحين في اعمالهم واشغالهم يضارعون افراد ارقى الامم الاخرى في ذلك ولكنهم اذا اتحدوا وارادوا التعاون على الاعمال وتنظيم الامور اخفقوا

لانهم يزاحمون بعضهم بعضاً ويعترض بعضهم في سبيل بعض فيخرب قوم ما يبنيه الآخرون وينقض البعض ما يبرمهُ البعض الآخر · ولهذا تجد اعمال الجماعات منا واداراتنا ومشروعاتنا العمومية متأخرة او مختلة بخلاف ما يشاهد عند غيرنا من الامم الراقية · والاصلاح المطلوب يقتضي استيفاء هذين الشرطين اي الثبات والدأب والاتحاد والتعاون تمام الاستيفاء · ولهذا نؤمل ان يمتاز بهما المصلحون العثمانيون على سائر الشرقيين حتى يفلحوا في الاصلاح

ومما يقوي الامل بنجاحهم في الاصلاح انهم ادركوا الحاجة في تدارك هذا القصور الى الاستعانة بالخبيرين من الاجانب · فجاويد بك ناظر المالية يستعين بمستشار فرنسوي وهما يُعمان الآن مشروعاً لاصلاح امر الاعشار وغيرها من الامور المالية · ونجم الدين افندي ناظر العدلية يستعين بالكونت استروروجو على اصلاح العدلية والمحاكم وقد أنبئنا انهما هيئا مشروعاً لتعيين قضاة صلح يجولون في البلاد ويفصلون في الدعاوي · واخبرنا الكونت استروروجو الذي يجيد عدة لغات ويعد من اللغويين المستشرقين انهُ يهيئ الآن عدة مشروعات للاصلاح القضائي مطابقة لمجلة الاحكام الشرعية · وسيستعينون بالجنرال فندر جولتز باشا الالماني لتنظيم العسكرية · وعينوا الاميرال غمبل الانكليزي لتنظيم البحرية وكروفرد الانكليزي للجمارك العثمانية وعينوا اخيراً رجلاً بلجيكياً لتنظيم البوستة والتلغرافات العثمانية وهلمَّ جرًّا · وقد اخبرناهم اننا كنا نفضل ان الاستعانة بالاجانب تقتصر على ما لا يتيسر لاصلاحهِ خبيرون من العثمانيين · وفي ما بقي يستعينون اولاً بالعثمانيين ولاسيما العثمانيين الذين شبوا على الاصلاحات المالية والقضائية والادارية واشتهروا في اصلاح البوستات والتلغرافات والجمارك ونحوها في البلدان المنظمة كالديار المصرية · فكانوا يعتذرون عن عدم فعلهم ذلك اعذاراً اوجهها ان القصد من الاستعانة بالاجانب مزدوج فهو الاصلاح والتنظيم من جهة واكتساب ميل الامم الاجنبية وثقتها من جهة اخرى لما في ذلك من الفائدة للعثمانيين وخصوصاً من دخول الاموال الاجنبية الى السلطنة ومن عمل الاجانب الاعمال العظيمة النافعة فيها · على انهُ مهما كان هذا العذر وجيهاً فظاهرٌ انهُ ليس عذراً مقنعاً ولا يقبل عند اصحابهِ في احوال اخرى مطلقاً · ومن سوء الحظ اننا وجدنا رجال الاصلاح في الاستانة قليلي العلم باحوال العثمانيين خارج تركيا اوربا وبعض الاناضول وغير ملمين بما يمكن ان تجنيهُ السلطنة من النفع من مساعي المقتدرين من هؤلاء العثمانيين لو استعانت بهم · وما ذلك الآ لانهُ لم يكن لهم اتصال بهم في الماضي ولقلة اتصالهم بهم الآن فلذلك كنا نطلب منهم في كل مكان ان يرسلوا رجالاً منهم يتعهدون احوال العثمانيين ويتعرفون برجالهم ويعرفون المنزلة

التي وصلوا اليها من العلم والحضارة والثروة سواء كانوا في بلادهم او في البلدان التي هاجروا اليها . فانهم يكتشفون بذلك اموراً كثيرة تساعدهم في اصلاحهم وتعينهم عند احتياجهم الى المعونة

على انهُ مهما سعت الهيئة الحاكمة في الاصلاح وجدَّت وكدَّت واحسنت الرغبة والنية فسعيها يكون قاصراً لا يفي بالمرام ان لم تكن الهيئة المحكومة اعظم عون لها ونصير . فاذا شئنا ان يبلغ المصلحون منا النجاح المروم من الاصلاح وجب ان نساعدهم في اعمالهم بكل امكاننا وان نصبر عليهم ونحتمل معهم ونشعر بالاثقال العظيمة الملقاة على عاتقهم ونكون دائماً اقرب الى التماس العذر لهم والدفاع عنهم وتشديد عزائمهم باقوالنا وافعالنا منا الى لومهم واعناتهم وقلة الصبر عليهم واظهار ما يضعف عزائمهم . فالواجب على الامة ان لا تنسى مطلقاً ان الاصلاح العثماني اعسر امر في العالم وان القائمين بهِ هم افراد قليلون من ابنائها فاذا لم يجدوا منها كل ما يهوّن عليهم مشقة عملهم ويشدد عزيمتهم ويزيد رغبتهم في خدمتهم خارت عزائمهم وقلت رغبتهم وضاع الاصلاح علينا . ولهذا نرى ايضاً انهُ يجب على الكتَّاب وارباب الاقلام منا ان يسيروا على غاية الحكمة في لومهم ونقدهم فيحفظوهما الى الوقت الذي يجب فيهِ اللوم حرصاً على المصلحة العمومية ويجب فيهِ النقد اصلاحاً لخطاء يضرُّ بالجمهور . ولا يلجأوا اليهما في غير هاتين الحالتين حذراً من ان ينقلبا بالشر على الامة عوضاً عن الخير . اذ من اسباب تأخرنا نحن الشرقيين ان العاملين النافعين منا يكونون دائماً قليلين واما الناقدون واللائمون فيكونون كثاراً لا يحصون

والخلاصة ان الامل في الاصلاح والنجاح قوي اذا ظلت الاحوال الداخلية والخارجية موافقة لها ولكنهما يقتضيان زماناً اطول مما يظنهُ اكثر العثمانيين . اما نحن فغاية ما نؤمل ان نراهُ في حياتنا هو اصلاح في الامن العام وفي العدل في الاحكام وفي الحرية والامور المالية والاحوال العمومية . واما الزمان الذي فيهِ ينتشر العلم بين طبقات الامة ويبلغ الاصلاح الغاية التي عندها ينفذ الدستور كلهُ فعلاً فتتساوى النحل والملل العثمانية في كل مزاياهُ وفي تدبير امورها وتزول من بينها الحواجز والفواصل الحائلة الآن دون اتحادها ويصير العثماني يشبه نفسهُ بابناء كل امة دستورية في التمتع بالنعم الدستورية — فهذا الزمان لا نصل اليهِ في حياتنا وربما لم يرهُ ابناؤنا بل يكون من نصيب احفادنا او نصيب اولادهم بعدهم . ولا غرابة في ذلك ولا مبالغة فما افسدتهُ الدهور لا يصلح في زمان قصير وحياة الامة لا يطول في جنبها تعاقب اعقاب قليلة . انتهى

فارس نمر

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

الشَّاهِين[1] (فارسية) Falco peregrinus. E. Peregrine F. Pèlerin ou faucon commun

طائرٌ من الجوارح بين الصقر والحرّ طويل الجناحين لون رأسهِ وظهرهِ وذنبهِ اسود ضارب الى الزرقة اما صدره فابيض مائل الى التوشيم والتنقيط

ويصعب كثيراً معرفة الشاهين من وصفهِ في الدميري والقزويني وكتب اللغة واحسن وصف لهُ وجدتهُ في كتاب انس الملا للسيد محمد المنكلي قال « الشاهين قصير الساقين قصير الفخذين .... اذا كان فرخاً تكون خطوط صدره عريضة كبيرة . قصير الرقبة بغلظ عريض الهامة غائر العينين محدَّب الظهر قصير الذنب .... اخضر الكفين طويل الاصابع زائد سواد الخدَّين طويل الجناحين » . وهي صفة الطائر المسمى F. peregrinus عند علماء الحيوان

وقال سافيني في كتاب طيور مصر والشام ان الشاهين المذكور في المؤلفات العربية هو هذا الطائر وذكر ان فورسكال سماهُ الشاهين ايضاً . وهو الشاهين في كتاب طيور شمال افريقية الشرقي لفون هوغلن[2] . وهؤلاء الثلاثة من الثقات المعوَّل عليهم في هذه المباحث . وقد سألت جماعة من المصريين لقيتهم في حديقة الجيزة عن الشاهين فاروني هذا الطائر وقالوا انهُ يسمَّى عندهم صقر شاهين فالصقر عند المصريين كل طائر يصيد ما خلا النسر والعقاب اي كما هو في كتب اللغة ويميزون الصقور بعضها عن بعض بقولهم صقر باز وصقر شاهين وصقر الجراد وصقر الغزال الخ . وهذا الاخير هو المعروف بالصقر عند بزادرة الافرنج والعرب كما ذكرت في الجزء الماضي من المقتطف

وذكر ترسترام طائراً آخر احمر اللون سماهُ الشاهين وهو المسمى B. ferox عند علماء الحيوان لكن وصفهُ مخالف لوصف الشاهين في المؤلفات العربية ولعلهُ السوذنيق . وقد فسروهُ بالشاهين قال الراجز

قد اغتدي والليل ذو بريقِ بملجمٍ أحمر سوذَنيقِ
أجدل او شَرْقٍ من الشُّروقِ

(١) ان بعضهم يكتب الشاهين علماً لرجل بالجيم الفارسية اي جاهين ولا سيما في مصر وهو خطأ فاللفظة فارسية ويكتبها الفرس دائماً بالشين لا بالجيم

(2) Heuglin, Ornithologie Nordost Africa's

والاقوال متناقضة كثيراً في السوذنيق لذلك ضربت صفحاً عنها (انظر المخصص والمعرب للجواليقي والالفاظ الفارسية المعرّبة)

اما الشاهين في الهند وبلاد الفرس [1] فهو الطائر المعروف عند العلماء باسم F. peregrinator ويسميهِ الانكليز Royal falcon ويظهر لي ان الشاهين في الاصل هو هذا الطائر اي كما سماه بزادرة الفرس ثم اطلق العرب هذه اللفظة على الطائر الذي نحن بصددهِ وذلك لشدة المشابهة بينهما

❖ الحُرّ ❖ Falco lanarius E. Lanner. F. Lanier طائر من الجوارح اصغر من الصقر والشاهين طويل الجناحين اصقع أي لهُ بياض في وسط رأسهِ اسفع الظهر أي سوادهُ مشرب حمرة اغبر البطن . ولعلهُ سمي بالحرّ لانهُ من عتاق الطير او ان اللفظة مصرية الاصل وهي هُرْ او حُرْ بالمصرية القديمة وتطلق على احد انواع الجوارح من الطير ومنها هُر او هُور او هُورُس احد آلهة المصريين القدماء وكانوا يصوّرونهُ برأس كرأس الصقر كما يُرى على كثير من آثارهم

واللفظة مستعملة في يومنا عند عرب الشام وافريقية ويطلقها بعضهم على الشاهين الذي مرّ وصفهُ والبعض الآخر على هذا الطائر وهو اقرب الى الصواب لان وصفهُ ينطبق على ما جاء عنهُ في كتب اللغة فالحرّ في لسان العرب « الصقر وقيل هو طائر نحوهُ وليس بهِ أنمر اصقع قصير الذنب عظيم المنكبين والرأس وقيل انهُ يضرب الى الخضرة وهو يصيد » . وفي المخصص لابن سيده « الحرّ نحو الصقر اغبر أسفع (وفي حياة الحيوان عن ابن سيده انمر اصقع) قصير الذنب عظيم المنكبين والرأس وقيل الحرّ من الصقور شبه البازي يضرب الى الخضرة اصفر الرجلين والمنقار صائد . وقيل بل الحرّ الصقر والبازي » . (انظر حيوان فلسطين ونباتها للقانون ترسترام والحرّ في معجم دوزي ووصف هذا الطائر في كتاب طيور مصر لشلي ([2])

❖ الباشَق (معرب باشه بالفارسية) . العَلاَّم . الطَوْط . الحُمَيْمِق . ابو الاخذ العقصي ❖
Accipiter nisus E. Musket or sparrow-hawk. F. Épervier commun
ويعرف هذا الطائر بالباشق في مصر والشام ويسمّى باشه في الهند وبلاد فارس ولا خلاف في صحة استعمال هذه اللفظة وترجمتها

(1) The Royal Natural History, IV, 182 & 184
(2) The Birds of Egypt, by G. E. Shelly, 188.

اما العقصي المذكور في كتاب حياة الحيوان فهو ذكر الباشق وظنهُ الدميري طائراً آخر قال « واما العقصي فهو اصغر الجوارح نفساً واضعفها حيلةً واشدها ذعراً وايبسها مزاجاً يصيد العصفور في بعض الاحايين وربما هرب منهُ وهو يشبه الباشق في الشكل الاَّ انهُ اصغر منهُ » . وفي كتاب انس الملا للسيد محمد المنكلي ما نصهُ « وذكر الباشق العقصي » ومؤلف هذا الكتاب كان من البزادرة المولعين بالصيد ويعوّل عليهِ في هذه الامور اكثر من الدميري

❖ اللُّوَيحِق . ابو لاحِق ❖ Astur palumbarius. E. Goshawk. F. Autour

طائر من الجوارح اغبر الظهر ابيض الحاجبين والصدر مائل الى التوشيم . وهو احد انواع البزاة والبازي المذكور في الدميري وغيره من المؤلفات العربية . قال سافيني ما تعريبهُ « ويعرف هذا الطائر باللويحق وابي لاحق عند عرب البادية » . وفي المخصَّص « اللُّويحق طائر اغبر يصيد الوبر واليعاقيب » (اي الحجل) . وفي محيط المحيط « الأُويحق طائر يصيد اليعاقيب وابو لاحق البازي »

❖ اليُؤْيُؤ . الجلم . ابو رياح ❖ Falco æsalon. E. Merlin F. Émerillon.

طائر من الجوارح يشبه الباشق واصغر منهُ قليلاً ويعرف في مصر بالجرادية وصقر الجراد

واليؤيؤ في حياة الحيوان « طائر كنيتهُ ابو رياح وهو الجلم وهو من جوارح الطير يشبه الباشق » . وفي باب الصقر « اليؤيؤ ويسميهِ اهل مصر والشام الجَلَم لخفة جناحيهِ وسرعتهما ولان الجلم هو الذي يجز بهِ وهو المقص » . وهو طائر صغير قصير الذنب . قال الناشئ في وصفهِ

ويؤيؤٍ مهذَّبٍ رشيقِ كأَنَّ عينيهِ لدى التحقيقِ
فصَّان مخروطان من عقيقِ »

وقد عوَّلت في تحقيق امر هذا الطائر على ما ذكرهُ سافيني في كتاب طيور مصر والشام

❖ العُوَيسق ❖ F. tinnunculus. E. Windhover or kestrel. F. Cresserelle

طائر من الجوارح في حجم الباشق او اصغر منهُ قليلاً احمر اللون منقَّط بسواد . وهو كثيرٌ في مصر ويسمونهُ صقر الجراد كاليؤيؤ

ولم يرد ذكر العويسق في كتب اللغة ولا في معجم دوزي بل ذكرهُ الامير اسامة ابن منقذ في كتاب الاعتبار صفحة ١٦٢ ولم يصفهُ بل قال انهُ من الجوارح وسماهُ العوسق .

وجاء في تذكرة داود الانطاكي في الباب الرابع فصل البزدرة ما نصهُ « الباشق وهو اخف الطير واسرعها نهوضاً والانثى منهُ تسمى العويسقة او هي صغارهُ »

والعُوَيْسِق يعرف في جبل لبنان بهذا الاسم وهو الطائر المسمَّى عند علماء الحيوان F. tinnunculus وقد اريتهُ الى صديق يعرف العويسق فقال انهُ هو بعينهِ . واظن ان كلمة العويسق في كتاب الاعتبار خطأ في النسخ وصوابها العويسق وكذلك في تذكرة داود الانطاكي فانها وردت الفويسقة في النسخ المطبوعة التي وقفت عليها وصوابها العويسقة كما هي في النسخة المخطوطة المحفوظة في المكتبة الخديوية وكما ينطقون بها في جبل لبنان

❖ اللَّزَيْق ❖ Falco vespertinus. E. Red-legged falcon طائرٌ من الجوارح اصغر من الباشق احمر المنسر والرجلين جفون عينيهِ حمر

ولم يذكر اللزيق بهذا المعنى في كتب اللغة وذكرهُ اسامة ابن منقذ(١) في كتاب الاعتبار المذكور آنفاً في صفحة ١٦٢ قال « فجاء جارح مثل العوسق احمر المنسر والرجلين جفون عينيهِ حمر فقالوا هذا اللزيق » . وهو وصفٌ في غاية الدقة ينطبق تماماً على الطائر المعروف عند العلماء باسم F. vespertinus (انظر وصفهُ في طيور مصر لشلي صفحة ١٩٣)

❖ السُّبَر . السُّبَرَة ❖ Circus. E. Harrier. F. Busard طائرٌ من الجوارح اعظم من الباشق واصغر من الصقر طويل الجناحين والساقين والذنب وهو انواعٌ كثيرة مختلفة الالوان

وقد وصفهُ السيد محمد المنكلي قال « السُّبَر نوعٌ من البازي الا انهُ طويل الجناح جداً وهو اطول نفساً من البازي سريع النهوض من الارض خلف الطريدة في المحل الصعب فيغني عن صاحبهِ اذا لم يكن لهُ الجلجل وهو اجود ما يكون على السمان والدراج والحجل على انواعهِ . وذكورهُ اطير من الاناث ولعل الذكر يكون قدر الانثى » . وهذا الوصف ينطبق على الطيور المسماة Harriers بالانكليزية كما يتضح لدى المراجعة(٢) . وفي لسان العرب « السبرة طائر تصغيرهُ سبيرة وفي المحكم السبر طائر دون الصقر »

---

(١) الامير اسامة ابن منقذ من امراء الشام تقلد ولاية بيروت عدة سنوات في اواسط القرن الثاني عشر المسيحي وكان ابوهُ كثير الولع بالصيد يقتني الفهود والكلاب والبزاة فهو ثقةٌ يعوَّل عليهِ في هذه الامور

(2) The Royal Natural Hist, IV, 242. The Birds of Egypt by Shelley, 181.

◈ الكُوهي (معرّبة) ◈ Elanus cœruleus. E. Black-winged hawk
طائرٌ من الجوارح في حجم الباشق اسود الظهر ابيض البطن احمر العينين

ولم ترد هذه اللفظة في كتب اللغة ولعلها فارسية بمعنى الجبلي وقد وردت في تاريخ ابن اياس صفحة ١٠٣ حيث قال « عشرة كواهي برسم الصيد » . وذكر الكوهي في تذكرة داود الانطاكي في الكلام عن البزدرة في الباب الرابع لكنهُ لم يصفهُ وفي كتاب انس الملا صفحة ٩٨ حيث قال « وواحد الكواهي كوهي وهكذا يسمى في سائر الكتب وكل البلاد الأ في الشام ومصر فانهم يؤنثون مفردها فيقولون كوهية وهو غلط وعيب عند اهل العراق والاعاجم » . وورد ذكر الكوهية في كتاب طيور مصر والشام لسافيني وكتاب طيور شمال افريقية الشرقي لفون هوغلن واطلق كلاهما اللفظة على هذا الطائر

◈ اليُوَيُّو ◈ Falco babylonicus طائر من الجوارح في حجم الحرّ وشبيه بهِ

قال ابن سيده « اليُوَيُّو طائر كالباشق الأ انهُ اطول جناحاً واخبث صيداً » وقال الدميري « اليويو طائر بالعراق اطول جناحاً من الباشق واخبث صيداً وهو الحرّ » . واظنهُ هذا الطائر . (انظر وصفهُ في كتاب طيور مصر لشلي صفحة ١٨٩)

◈ البَيْدَق (فارسية) السَّقَاوَة ◈ Falco subbuteo. E. Hobby F. Hobereau
طائر من الجوارح في حجم الباشق

قال الدميري « واما البيدق فلا يصيد الأ العصافير وهو قليل الغناء قريب الطبع من العقصي » . اما السقاوة فذكرها داود الانطاكي والسيد محمد المنكلي واظنها هذا الطائر

◈ المُرْزَة . العُقَيْب ◈ Buteo. E. Buzzard. F. Buse طائرٌ من سباع الطير يصيد الارانب والجرذان وفيهِ جبنٌ وفتور

وجاء في المخصّص ان « المرزة طائر يشبه العقاب لا ينفع ولا يضرّ وقيل بل المرزة الحدأة التي تصيد الجرذان . وعقيب الجرذان تصيد الارانب والجرذان بغثاء اللون اعظم واغلظ من الحدأة قلما تفضلت على الحدأة » . واظن العقيب هو النوع المسمى Buteo lagopus

◈ الحِدَأَة ◈ Milvus. E. Kite. F. Milan طائرٌ من سباع الطير لكنهُ ليس من عتاقها وهو هذا الطائر الكثير الوجود في القاهرة وغيرها من مدن مصر ويعرف عند العامة بالحِدَاية

واللفظة متشابهة في كثير من اللغات فهي خات بالفارسية ودايه بالعبرانية و Kite بالانكليزية الخ

❖ القَرِيْم . الكَتّاف ❖ Pandion haliaëtus. E. Osprey. F. Balbuzard
طائر من الجوارح يألف المياه ويأكل السمك

ولم اقف على اسم عربي لهذا الطائر في المؤلفات العربية والاسمان اللذان ذكرتهما اخذتهما عن سافيني وفون هوغلن . ولعل العقاب النسارية التي ذكرها ابن سيده هي هذا الطائر ومن اسمائهِ التي ذكرها فون هوغلن وسافيني المنصور (المنسور) والناسوري

❖ الزُّرَّق ❖ E. Tiercel or Tarsel. F. Tiercelet ذكر البازي في كل جنسٍ من اجناسهِ

وفي محيط المحيط « الزرّق طائر صياد بين البازي والباشق وقيل هو البازي الابيض . وقيل احسن الوان البازي الاسود الظهر الابيض الصدر الاحمر العينين »

وفي حياة الحيوان « الزرّق طائر يصاد بهِ بين البازي والباشق قالهُ ابن سيده وقال الفراء هو البازي الابيض وهو صنف من البازي لطيف الا انهُ احرّ وأيبس مزاجاً ولذلك هو اشد جناحاً واسرع طيراناً واقوى اقداماً وفيهِ ختل وخبث وخير الوانهِ الاسود الظهر الابيض الصدر الاحمر العين قال الحسن بن هانئ في طربدتهِ يصفهُ

قد اغتدي بسفرةٍ معلّقه فيها الذي يريدهُ من مرفقه
مبكراً بزرّق او زرّقه وصفتهُ بصفةٍ مصدّقه
كأن عينيه لحسن الحدقه نرجسةٌ نابتةٌ في ورقه
ذو منسرٍ مختضبٍ بعلقه كم وزّةٍ صدنا بهِ ولقلقه
سلاحهُ في لحمها مفرّقه »

وفي كتاب انس الملا للسيد محمد المنكلي ما نصهُ « والزرّق ذكر البازي في كل جنسٍ من اجناس البزاة »

وفي حياة الحيوان في باب الصاد « قال الجاحظ قال اياس بن معاوية الصئبان ذكور القمل وهو من الشيء الذي يكون ذكورهُ اصغر من اناثهِ كالزراريق والبزاة فالبزاة هي الاناث والزراريق الذكور وليس فيهِ ذكر شيء من الصواب » (انظر ايضاً كتاب الحيوان للجاحظ ٥ : ١١٢) . ولا ادري ماذا يريد الجاحظ بقولهِ « وليس فيهِ ذكر شيء من

الصواب » فان كان مراده ُ ان الصنبان ليست ذكور القمل فهو مصيب · اما في ما سوى ذلك فالصواب في جانب ابن معاوية لان ذكور القمل والبزاة اصغر من اناثها

وفي تذكرة داود الانطاكي « البازي معتدل المزاج سهل الانقياد والانثى منهُ تسمى زرّقه »

وقال سافيني في كتاب طيور مصر والشام ان الكوهي هو الزرّق ولعل الذي حملهُ على ذلك قول الدميري انهُ اسود الظهر احمر العين لكنني ارجح قول محمد المنكلي واياس ابن معاوية · ثم ان الكوهي في حجم الباشق او اصغر منهُ ولا يقوى على صيد الاوز والقلق كما ذكر ابو نواس في ابياته · اما قول الدميري انهُ احمر العين فمخالف لوصف ابي نواس فانهُ شبه عينهُ بالنرجس وهو اصفر · وقولهُ « مبكرًا بزرّقٍ او زرّقه » يريد بالزرّقه البازي الانثى كما جاء في تذكرة داود

اما الكونج فاظنهُ ذكر الصقر Sacret · قال الدميري « الصنف الثاني من الصقور الكونج ونسبتهُ من الصقور كنسبة الزرّق الى البازي الا انهُ احرُّ منهُ ولذلك هو اخف منهُ جناحاً واقل بخراً ويصيد اشياء من صيد الماء ويعجز عن الغزال الصغير » · وفي معجم فولرس الكونج باللغة الهندية طائرٌ ولم يصفهُ

هذا ما امكنني تحقيقهُ من اسماء الجوارح من الطير وبعضها لم اتأكد من صحة تطبيقهِ على الاسماء المعروفة عند علماء الحيوان · ويصعب كثيراً تمييز الجوارح بعضها من بعض فذكورها في غالب الاحيان اصغر من اناثها وتختلف عنها في اللون والشكل وتتغير كثيراً كما تقدمت في العمر ولم تكن هذه الامور معروفة عند كثيرين من اللغويين والمؤلفين فاختلفوا في وصف الجوارح · هذا فضلاً عن ان الطائر الواحد كانت تختلف اسماؤُهُ باختلاف القبائل والامكنة وشاعت اسماء اعجمية لبعضها وجهل الاسم العربي كالشاهين مثلاً فهو معروف عند العرب ولم يذكروا لهُ اسماً عربياً في ما اعلم وسماه ابن سيده ملاعب ظلّهِ وملاعب ظلّهِ طائر آخر يعرف بالقرلّى وسيأتي ذكرهُ

بقيت اسماء كثيرة من الجوارح لم اهتدِ الى تحقيقها منها الشرق واظنهُ السبر Circus والشعْر والطرفيل والنيفق وغيرها

الدكتور امين المعلوف

سورية ولبنان

(١) نظرة عامة

لما تبلج فجر الحرية وانهزم ليل الاستبداد تاقت نفسي الى رؤية البلاد التي ولدت فيها وشبيت وتغذى جسمي من خيرات ارضها وعقلي من علوم مدارسها قبل ان الجأتني يد الاستبداد الى هجرانها · لكن الدستور الذي اطلق الحرية للعثمانيين وفتح السجون للمسجونين قيّد الصحافيين بمراقبة مجاري الاحوال وحملهم اعباء ثقيلة في تقصي الاخبار وبسط الاماني والآمال فتضاعف اشتغالهم وتعذَّر عليَّ التفرغ للراحة وزيارة مسقط رأسي قبل اواخر هذا الصيف · وقد ودَّ البعض ان يقفوا على ما رأيتهُ فيهِ بعد هذا الهجران الطويل فكتبت السطور التالية موجزاً المقال على قدر الامكان

مما يعرف بالبداهة ان الانسان لا ينتبه لسير الافعال المتصلة ولاسيما اذا كانت بطيئة فينمو ابنهُ يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى ولا ينتبهُ لنموهِ · يراهُ طفلاً ثم شاباً فلا يستغرب ذلك لان نموهُ بطيء متصل · ولكنهُ اذا فارقهُ طفلاً ثم عاد اليهِ بعد عشرين سنة ووجدهُ رجلاً رأى الفرق كبيراً ولو كان عادياً واذا فارق شيئاً ثم عاد اليهِ فرآهُ قد نما نمواً غير عادي فهناك الدهشة الكبرى وهذا عين ما جرى لي فاني برحت سورية في اوائل سنة ١٨٨٥ ثم عدت اليها للاصطياف سنة ١٨٨٧ ولم تعد عيني تكتحل بمرآها الا الآن · وقد شاهدت جانباً كبيراً منها في صباي منذ نحو خمسين سنة ثم شاهدتهُ منذ خمس وعشرين سنة وكان ذلك آخر عهدي بهِ فلما رأيتهُ الآن بلغت دهشتي اقصاها لانني رأيتهُ قد نما في الخمس والعشرين سنة الاخيرة اضعاف ما نما في التي قبلها لاسيما وان احوال الحكومة العثمانية كانت قد ساءت في هذه السنين الاخيرة واستحكمت حلقات الضيق على الاهلين حتى اضطرَّ كثيرون منهم الى المهاجرة فقصدوا الديار المصرية وانتشروا في اميركا الشمالية والجنوبية وبلغوا استراليا وجزائر البحر وحلك ليل الاستبداد وجرى من الفظائع في البلاد ما لم يجرِ في عهد نيرون وصودر الناس في املاكهم واموالهم وكُمَّت الافواه عن الشكوى وراجت سوق الجاسوسية واتخذها الاشرار وسيلة للايقاع بالابرياء وضربت الرشوة اطنابها في البلاد فهضمت الحقوق واستحلت المحرمات · وكانت اخبار ذلك تصل الينا من افواه الثقات فلا نشك في صحتها وفي ان البلاد انحطت عما كانت عليهِ لما فارقناها وحتى الآن لم نقابل احداً يؤْخذ بقولهِ من رجال لبنان ومدن

الساحل الأ سمعناه يشكو من سوء الحال الماضية والحاضرة ايضاً

ولم نكن نجهل ان الشكوى قد لا تكون دليلاً على عظم البلوى بل على زيادة الشعور الناتجة عن تحسن الحال · ولكن الاخبار التي كانت تروى عن الحالة الماضية وما جاهرت بهِ الجرائد العثمانية بعد اعلان الدستور وما يجاهر بهِ رجال الحكومة انفسهم الآن كل ذلك ادلة قاطعة على ان احوال الحكومة كانت في الدرجة القصوى من الاختلال والفساد

ولم نكن نجهل ايضاً ان اموال المهاجرة افادت سورية عموماً ولبنان خصوصاً فزاد عمرانهُ وبنيت فيهِ البيوت الفخيمة وغلت اسعار املاكهِ · وان سكة الحجاز افاضت الاموال على دمشق وما يجاورها فان اخبار ذلك كانت ترد علينا من افواه الثقات ولكن الذين كانوا يصفون لنا حال البلاد لم يكونوا يصورونها كما رأيناها لانهم كانوا يرون البلاد ترتقي ارتقاء متدرجاً فلا تتسنى لهم المقابلة بين حالها الماضية وحالها الحاضرة ولان غواشي الظلم التي كانت مخيمة على البلاد امتزجت بكل ما يدعو الى البهجة والحبور فكدرت الصفاء وازالت الرواء · وحتى الآن لا تزال الشكوى عامة من كل شيء حتى من جمعية الاتحاد والترقي التي لها الفضل الاكبر في انقاذ البلاد ومن الدستور الذي هو اكبر نعمة انعم بها الله عليها ومن المهاجرة التي لها اليد الطولى في ارتقائها

وفي الربيع الماضي زار لبنان معتمد الدولة البريطانية في القطر المصري مستشفياً من انحراف الم بصحتهِ ونزل في فندق ببرمانا قضى فيهِ اياماً ثم عاد الى القطر المصري مدهوشاً مما رآهُ من آثار الحضارة ومعالم العمران معجباً بما شاهدهُ من جمال البلاد الطبيعي والصناعي لا يكاد يجد الفاظاً للتعبير عن ذلك · وقد يظن لاول وهلة انهُ توقع ان يرى الجبل صخوراً قاحلة وسكانهُ همجاً مثل عامة سكان الجبال فلما رأى ما هو ارقى من ذلك ولو قليلاً اعجب بهِ ودعاهُ حب المجاملة الى وصف لبنان امام ابنائهِ وصفاً يفوق الحقيقة ومدح سورية مدحاً لا تستحقهُ · ولكن الذي يعرف طباع الانكليز يعلم انهم لا يميلون الى المجاملة ولا يطنبون في مدح ما لا يستحق المدح فتاقت نفسي الى رؤية البلاد باسرع ما يمكن وبادرت الى تدبير اشغالي حتى تمكنت من زيارتها الآن

قمت من القاهرة وطني الثاني في السادس من سبتمبر (ايلول) وركبت باخرة نمسوية مما يمخر بين مصر والشام فوجدتها من انظف البواخر واوفاها خدمة ولقد فضلتها على غيرها مع طول شقة السفر فيها لانها تقف في يافا وحيفا فيتسنى لي ان اراها واقابل بين حاضرها وماضيها فوجدتهما قد نمتا نمواً عجيباً منذ خمس وعشرين سنة الى الآن لكن هذا النمو

اقتصر على ما يتعلق بالسكان ولم يتناول ما يناط فعله بالحكومة فبنيت البيوت الفخيمة وانشئت الاسواق الكبيرة واتسع نطاق التجارة وزادت الواردات والصادرات حتى غصت بها الجمارك وبدت على الناس دلائل الثروة والرفاهة. وقد زرت عكاء مدة قيام السفينة في حيفا فلم اجد فيها مباني جديدة لان مبانيها القديمة تملأ ما بين اسوارها ولكنني وجدت فيها من دلائل الرفاهة معملاً للثلج يدار باحدث الآلات البخارية آلة الانثراسيت · واتفق ان وصل الى يافا حافظ بك السعيد مبعوثها وسعيد بك الحسيني مبعوث القدس يوم وصولي اليها فلم ارَ من السكان اهتماماً باستقبالها لكني رأيت وجهاء المدينة يفدون للتسليم عليهما ومذاكرتهما في مصالح البلاد دلالة على ان زمان البهرجة قد مضى وجاء زمان التعقل والتروي · ولقيت في يافا وحيفا جماعة من الوجهاء والفضلاء منهم عمر افندي البيطار وجرجي بك دباس ويوسف افندي عرقتنجي وعبد اللطيف افندي العمري وعلي بك رضا واسكندر افندي فيعاني وانطون افندي متى · وكان حديثهم متجهاً كلهُ الى حال البلاد الادارية والاقتصادية كانتقاء المأمورين وتوسيع الجمارك وانشاء المرافىء واصلاح الشوارع وما اشبه · ولأهل حيفا اهتمام شديد بانشاء مرفإٍ لمدينتهم وقد حادثت ربان السفينة في امره وحسبت نفقاته بناء على ما اعلمنيهِ من طول اللسان الممتد تحت البحر من جبل الكرمل وعنقهِ فلم اجد انها تزيد على مئة الف جنيه الى مئة وعشرين الفاً فاذا انشئ تحوَّل جانب كبير من تجارة سورية الى حيفا وعسى ان لا تستأثر النزالة الالمانية التي هناك بالجانب الاكبر من تلك التجارة · وقد اتسعت تجارة يافا الآن وتبلغ قيمة صادراتها نحو ٦٥٠ الف جنيه وقيمة وارداتها نحو ٤٥٠ الف جنيه ويصدر منها كل سنة نحو مليون صندوق من البرتقال · اما بيروت فمبانيها وامورها التجارية والصناعية تقتضي رسالة مسهبة فارجئها الى فرصة أُخرى

ويقال بنوع عام عن مدن الساحل التي رأيتها يافا وحيفا وعكاء وبيروت ان كل ما يناط فيها بالاهلين قد تقدم تقدماً عظيماً منذ خمس وعشرين سنة الى الآن لا يفوقهُ تقدم مدينة مصرية في هذه المدة عدا القاهرة والاسكندرية · واما ما يناط بالحكومة فبقي على حالهِ او انحطَّ عما كان عليهِ كأن الاهلين تقدموا رغماً عن الحكومة والحكومة تأخرت رغماً عن الاهلين · ولم ارَ للحكومة الحميدية اثراً يذكر في هذه المدن سوى برج ساعة في يافا وبرج ساعة في حيفا وداراً حسنة للحكومة فيها · واما التنظيم فلا اثر لهُ وطرق المركبات امست احافير ومزالق وحدائق النزهة لا وجود لها الاَّ في بيروت ولا مصارف لمياه الامطار ولا مماشي للشوارع ولا غرابة في ذلك لان الذين اساءوا سياسة الرعية وأفسدوا امورها لا ينتظر

منهم ان يحسنوا مظاهرها ويصلحوا مرافقها ولا انا ممن يفتش عن سيئة في زمان كله سيئآت فقد مضى ذلك الزمان بعجره وبجره وعلى رجال الحكومة الدستورية الآن ان يجاروا الرعية ويسبقوها في ميدان العمران

وصلت بيروت عند الفجر ونظرت اليها نظرةً عامة ولم اقف فيها بل ذهبت الى الحدث مسقط رأسي لازور مدفن والدي فرأيت انها نمت منذ خمس وعشرين سنة الى الآن اكثر مما نمت في كل سنيها الغابرة مع انها كانت مقرًّا للامراء الشهابيين وزادت دهشتي لما رأيت ان الذين كنت اعرفهم ولا شيء لهم من الثروة قد تاجروا واثروا او هاجروا ورجعوا بأموال وافرة وانشأ بعضهم بيوتاً تجارية في باريس ونيويورك وقد بنوا كلهم البيوت الكبيرة وانشأوا المخازن الواسعة لخزن بضائع سكة الحديد

ثم صعدت الى ظهور الشوير حيث تقضي عائلتي فصل الصيف واخترت طريقاً مررت فيهِ اولاً منذ نحو خمسين سنة وثانياً منذ نحو ثلاثين سنة وكان في النوبتين على غاية الوعورة يسير فيهِ البغل والفرس متعثراً ويقف مرةً بعد اخرى يستنشق الهواء ولو نطق لاستنزل النقم على الانسان الذي كلفهُ ذلك العناء. وكانت الطريق مجمعاً للحجارة التي يجمعها اصحاب الحقول من حقولهم ويطرحونها فيهِ او مسيلاً لمياه الامطار وكانت بيوت القرى من الساحل الى الشوير صغيرة مثل سائر بيوت لبنان ما عدا مساكن الامراء اللمعيين في برمانا وبعض البيوت في بيت مري وبعبدات وما عدا اديرة الرهبان على رأس كل صومعة. وكانت جوانب الآكام جرداء اكثرها وهي من اصلح الاراضي لزرع الصنوبر فما اعظم الفرق بين ما رأيتهُ حينئذٍ وما رأيتهُ الآن. صعدت بمركبة يجرها جوادان لا يكادان يشعران بالتعب لسهولة الطريق مع تمججها الكثير وقد طالت لكثرة عطفاتها وكأنها طالت وتلوَّت لتمتع الراكب باختلاف المناظر شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً فمن قنن الآكام الى بطون الاودية قرًى ومزارع بنيت فيها البيوت الفخيمة بناء محكماً وسقفت بالقرميد ولبعضها واجهات على اعمدة من الرخام والارض حولها نضرة بما فيها من التوت والكرم وجوانب الآكام مغطاة كلها بحراج الصنوبر زمرد وزبرجد والوان العقيق والبيوت بينها صناديق من الفضة متوجة باليواقيت

ولقد جلت في ايطاليا وسويسرا وفرنسا وانكلترا وشاهدت مجالي الغنى والمجد والعمران ومحط ثروة الهند الشرقية والهند الغربية ولكنني لم ارَ هناك ما هو ادل على الغنى في القرى والمساكن مما رأيت في قرى لبنان. واتفق ان امطرت السماء في اليوم السابق مطراً غزيراً غسل وجه

الارض وجرف ما سنتهُ حوافر الخيل وعجل المركبات من الطرق فتجلت الطبيعة بابهى مجاليها

وظلت المركبة تسير بي الهوينا الى ان بلغت ظهور الشوير وهناك لم اكد اصدق عيني فاني رأيت هذه الظهور آخر مرة منذ نحو ثلاثين سنة وكانت قفراً اجرد لا شجر فيهِ ولا نبات ولا ما يدل على وجود الانسان الأ خان حقير يستريح فيهِ المكارون اما الآن فحراج وكروم وبيوت فخيمة كاكبر بيوت المدن وفندقان كبيران وقهاوي ودكاكين · والمصطافون من مدن الساحل والديار المصرية جلوس في القهاوي او مشاة في الطرق للنزهة او وقوف في شرفات المنازل وبعد قليل اطللت على الشوير نفسها تلك القرية القديمة التي نزلت اليها في صباي على درج متخرب كثير العثرات اما الآن فيوصل اليها بطريقين من طرق المركبات المنبسطة وقد زادت عمارتها مع انها كانت من القرى الممتازة بجودة مبانيها لان البناء صناعة اهلها ولكن شتان بين مبانيها القديمة وبين المباني التي انشئت فيها منذ ثلاثين سنة الى الآن ثم التفت شرقاً وغرباً من الخنشارة الى بكفيا فاذا على كل ما فيها من البيوت والكنائس والاديرة دلائل التجدد والسعة والثروة

وان قلمي ليعجز عن وصف ما رأيتهُ بعد ذلك في بكفيا وبرمانا وبيت مري وعاليه وسوق الغرب وعاريا وبحمدون وصوفر وحمانا وزحلة مدينة لبنان الكبرى · دخلت بيتاً من بيوت عاريا منذ ثلاثين سنة وهو لوجيه من اكبر وجهاء لبنان وكان اكبر بيوت عاريا واكثرها اتقاناً لانهُ بني على نسق البيوت الصغيرة في بيروت · ثم دخلتهُ الآن فوجدت ان صاحبهُ قد زادهُ بناءً واتقاناً فصار اكثر من ضعفي ما كان لكن القرية التي لم يكن فيها بيت يضاهيهِ وهو في حالهِ الاولى صار فيها الآن بيوت اكبر منهُ واجمل وهو في حالهِ الحاضرة · ودخلت داراً في بكفيا منذ ثلاثين سنة كانت اكبر دورها بل اكبر قصورها وطالما أضيف فيها امراء اوربا واولاد ملوكها ودخلتها الآن وقد زادها صاحبها بناءً واتقاناً ولكني رأيت في بكفيا دوراً كثيرة اكبر منها وافخم وقد تأنق صاحب دار منها فجعل درجها من المرمر · ويقال ان شمالي لبنان الذي لم ارهُ حتى الآن اكثر عمارة من الجهات التي رأيتها وكل ذلك جديد فيهِ لم يكن منذ ثلاثين سنة · ولم يكتفِ السكان ببناء المباني وغرس الكروم والحراج بل استخدموا كل وسائل العمران الجديدة فترى حقولهم مسيجة بالاسلاك المعدنية ذات الرؤُوس وبيوتهم موقيَّة من الصواعق بقضبان الصاعقة وعلى صهاريجهم الطلمبات لرفع الماء منها · وقد مررت قبل كتابة هذه السطور في قرية حمانا فرأيت نجاراً يدير مناشيرهُ ومخارطهُ بآلة بخارية ومغربلاً يغربل قمحهُ بآلة اميركية

فمن اين هذه الثروة وما هو مصدر هذا الارتقاء · أمن خيرات لبنان ام من مساعي حكومته ام من عدل الولايتين المجاورتين له · كلا لا شيء من ذلك بل من المهاجرة التي اغدقت عليهِ ينابيع الثروة وعلمت ابناءه الاقتداء بالامم المتمدنة · ولقد هاجر اللبنانيون تجاراً ولو ببضائع زرية ليس لها كبير قيمة ولا هي من بضائع كبار التجار فركبوا البحار كما كان يفعل اسلافهم الفينيقيون وضربوا في ولايات اميركا الشمالية والجنوبية ووصلوا الى استراليا والترنسفال واقاموا في عواصم اليابان واكتسبوا من الامم التي اتجروا في بلادها وعادوا بالاموال الوافرة فبنوا البيوت وابتاعوا الاملاك وكرروا السفر ولا يزال هذا شأنهم الى الآن فاستفادوا وافادوا مدن الساحل المجاورة لهم · والذين لم يهاجروا شاركوا المهاجرين في الكسب لانهم عاملوهم او باعوهم بعض املاكهم باغلى الاسعار حتى ان ما يساوي مئة جنيه من مزارع التوت وكروم العنب يبع بثلاثمئة جنيه او باربع مئة فتوزعت بذلك الاموال المكتسبة من المهاجرة على سكان الجبل وما يجاوره وهذا شأن كل القرى السورية التي هاجر سكانها للمتاجرة · وسأعود الى تفصيل هذا الاجمال في الفصول التالية واصف ايضاً ما لقيته من كرام السوريين عموماً واللبنانيين خصوصاً من الحفاوة التي لا استحق عشر معشارها تحدثاً بفضل اصحابها · ثم استطرد الى سياسة البلاد الحاضرة ورأي اصحابها فيها

(٢) الزراعة والصناعة والتجارة والامارة والضيافة

لا مندوحة للكاتب العربي عن الرجوع الى تقسيم المعايش كما جرى عليهِ حكماء العرب الى زراعة وصناعة وتجارة وامارة · ويضاف الى ذلك باب خامس وهو الاكتساب من الزوار والسياح والمصطافين وقد اطلقت عليهِ اسم الضيافة ولو كانت الضيافة اصلاً لاكتساب الاسم لا المال

الزراعة — وجدت الزراعة قد اتسع نطاقها في جهات سورية ولبنان خلافاً لما ينتج عن مهاجرة السكان وفساد الاحكام وربما لم تتسع كما يجب لان خمساً وعشرين سنة من سني الرخاء يزيد السكان فيها اربعين او خمسين في المئة فيجب ان يزيد سكان سورية ولبنان فيها سبع مئة الف نفس وعدد المهاجرين الآن ليس اكثر من مئتي الف فيبقى نحو خمس مئة الف نفس زادوا في البلاد منذ خمس وعشرين سنة الى الآن ولا يظهر لنا ان الزراعة زادت على هذه النسبة ولو كانت زيادتها كبيرة

واكثر الزيادة في غرس الجنائن والبساتين والتوت والكرم وفي زرع الاحراش في لبنان

ولاسيما في المتن من مديرياته فان جوانب اكامهِ اكتست باشجار الصنوبر · ولو بذلت العناية لزرع الحراج في كل لبنان من جهتيهِ الغربية والشرقية وفي كل الجبال السورية ومنعت المعزى من رعيها واستئصال الحراج الطبيعية لكان من ذلك مورد ثروة كبيرة جداً ولزاد بالحراج مقدار المطر ولغزرت الينابيع ولو لم يزد لان جذور الاشجار تقي التراب من جرف المطر لهُ والتراب يمتص الكثير من ماء المطر فيغور في الارض ويجري مع ينابيعها بدلاً من ان ينحدر عنها ويجري مع مياه الغدران

ولكل الدول المتمدنة اعتناء عظيم بتحريش بلادها وحفظ حراجها وقد رأينا الناس في سويسرا لا يقطعون من اشجار حراجهم الاَّ عدداً معلوماً كل سنة واشجاراً معينة جارين في ذلك على نظام معلوم حتى يزيد عدد الاشجار في الحراج ولا ينقص · ونتذكران فرنقو باشا متصرف لبنان الثاني ووالد دولتلو يوسف باشا فرنقو المتصرف الحالي وزع بزور الصنوبر على ضياع كثيرة ورغب الاهلين في زرعها وهي الآن باسقة الاشجار تردد آيات الثناء عليهِ · ولو حذا حذوهُ كل المتصرفين والولاة لكانت جبال سورية الآن مثل جبال سويسرا في كثرة حراجها وغياضها

قال لنا امير من امراء لبنان انهُ جرب التحريش فوجد نفقاتهِ كبيرة جداً تزيد عما ينتظر منهُ من النفع · وقد اصاب لانهُ من الذين لا يعملون بايديهم ولا يراقبون املاكهم بانفسهم فلا عجب اذا كلفهُ زرع الحراج نفقات كثيرة اما الفلاحون والملاك الذين يراقبون املاكهم بانفسهم ويقتصدون في نفقاتهم ولا تذهب اموالهم اجوراً لخدمهم فلا يكلفهم زرع الحراج ما يكلف غيرهم

ويظهر لنا انهُ لا بد لحكومة سورية وحكومة لبنان من ان تجريا مجرى الحكومة المصرية في ضرب الضرائب على الاراضي البور التي يمكن ان تزرع حراجاً او زراعة اخرى اجباراً لاصحابها على زرعها واستثمارها · وليس من العدل ولا من الحكمة ان يكون لزيد مئة دنم او مئة فدان من الارض البور التي تحميها الحكومة من اعتداء الاخرين عليها وتزيد لهُ قيمتها بما تفعلهُ لترقية البلاد بنوع عام وهو لا يدفع شيئاً للحكومة عن هذه الحماية وهذه الترقية بل يترك ما في ارضهِ من الخيرات الطبيعية يضيع سدًى من غير ان ينتفع بهِ احد · فاذا ضربت الضرائب على الاراضي البور اضطر اصحابها ان يزرعوها او ان يبيعوها لمن يزرعها فتحصل الفائدة المطلوبة من استثمارها

ويسهل منع المعزى من الاضرار بالحراج بل من استئصالها وذلك بضرب الضرائب

الثقيلة عليها فاذا ضربت الحكومة ريالاً او ريالين على كل رأس من المعزى اضطر اصحابهُ ان يذبحوهُ فتنجو البلاد من آفة لا اضرَّ منها عليها

ولم ارَ تقدماً يذكر في اتقان الزراعة فلا يزال الزيتون يحمل سنة ويبطل الحمل اخرى مع ان اهالي ايطاليا وفرنسا يعالجونهُ حتى يحمل كل سنة . ولا تزال الكروم في لبنان قليلة الحمل مع ان الجزويت اتوا بدوالي تحمل اكثر منها كثيراً وقد رأينا الكروم في سويسرا وايطاليا وحملها يزيد على حمل كروم لبنان ورأينا في الكرم الواحد من لبنان دوالي كثيرة الحمل جدًّا مع ان اكثر دوالي الكروم قليل الحمل فلو اعتني بالزراعة الاعتناء الواجب لاكثر اربابها من زرع ما يكثر حملهُ لا غير

اما زراعة التوت والليمون وسائر اشجار الفاكهة في مدن الساحل وغوطة دمشق فنظن انها بلغت حد الاتقان لانهُ ليس افخر من برتقال يافا ومشمش صيدا وتفاح الزبدانة وعنب دمشق ودراقنها (خوخها) وكمثراها

⁂

الصناعة — لقيت الصناعة السورية من مزاحمة البضائع الاوربية ما اضعفها وكاد يقضي عليها فبطلت صناعة الفخار الأ الجرار والاباريق وضعفت صناعة الصابون وقلت انوال الحياكة بعد ان كانت منتشرة في كل المدن والقرى ولكن البقية الباقية من الصناعة السورية ليست مما يستخف بهِ فكل المصنوعات الخشبية تصنع الآن في البلاد السورية ويصدر من مصنوعات دمشق المطعمة مقدار ليس بالقليل يرسل الى اوربا واميركا والقطر المصري . وقد استحضر السوريون احدث الآلات والادوات لاتقان اعمال النجارة وتسهيلها حتى اننا رأينا نجاراً في قرية حمانا من قرى لبنان يستعمل آلة بخارية لادارة مخارطهِ ومناشيرهِ . ولاهالي دمشق والزوق وبكفيا تجارة واسعة بمنسوجاتهم الحريرية والصوفية والقطنية فترسل الى اوربا واميركا والقطر المصري والحجاز وبر الاناضول وقس على ذلك المصنوعات الصوفية على انواعها . وقد شاعت الآن صناعة جديدة — صناعة حبك الدانتلات على انواعها وهي خاصة بالنساء . ففي بيروت معمل فيهِ الف بنت يعملن بهذه الصناعة ويشاركهن في ذلك كثيرات من بنات لبنان . وقد شاهدت بنات الجبل لابسات افخر الملابس كبنات المدن فقيل لي انهنَّ يلبسن كذلك من عمل ايديهنَّ فان الابنة منهنَّ تكتسب في يومها من بشلكين الى خمسة بشالك من صناعة الحبك وعمل النول . وترسل هذه المصنوعات الى اميركا حيث يروج اللبنانيون سوقها فيكون كل ربحها لهم . وقد رأيت مخازن دمشق مملوءة بالمنسوجات الدمشقية قلدوا بها الكشمير في

كل اشكاله . ونهض الدماشقة الآن يتباهون بلبس المنسوجات الوطنية ولكنهم يجلبون الغزل من اوربا فلو انشئ في البلاد معمل يغزل القطن المصري او قطناً سورياً طويل الشعر كالقطن المصري ونسجت المنسوجات منهُ وعرف الناس مزيتهُ من حيث متانتهُ ولمعانه لدفعوا ثمنهُ مضاعف ما يدفعون ثمن ما ينسج من غزل اوربي وكانوا هم الرابحين . اما اتقان الدماشقة لصناعة الخشب المخروط والمطعم ولصناعة البلاط المنزل فسأعود اليهِ في الكلام عن مباني دمشق

∴

التجارة — السوريون بنوع عام تجار ابناء تجار ورثوا الميل الى التجارة من اسلافهم الفينيقيين الذين كانوا يأخذون مصنوعات صور وصيداء وارواد من الخز والصوف والكتان والجلود والارجوان ويسيرون بها بحراً الى سواحل اوربا وافريقية والهند ويتاجرون بها ويجلبون بدلاً منها الذهب والفضة والنحاس والقصدير والعاج والابنوس . ومن اسلافهم العرب الذين كانت قوافلهم حلقة الاتصال بين الشرق والغرب

والمهاجرة التي شاعت منذ ثلاثين سنة الى الآن انما هي ضرب من المتاجرة فان الذين يهاجرون يذهبون ال اوربا واميركا وافريقية واستراليا وجزائر البحر بمصنوعات بلادهم ويتجرون بها ويعودون بالاموال التي كسبوها منها. وقد توطن بعض المهاجرين في البلاد التي هاجروا اليها كما فعل اسلافهم الفينيقيون الذين عمروا قرطاجنة وكانوا اكبر انداد الرومانيين نعم ان مفهوم التجارة في هذا العصر اسمى من ان يتناول بيع السلع الصغيرة بالتفاريق كالمسابح والدمالج وما اشبه مما يبيعهُ بعض المهاجرين ولكن معنى التجارة الاصلي بيع البضاعة مهما كان نوعها وهذا ما يفعلهُ المهاجرون . ولبعضهم بيوت تجارية كبيرة تتعاطى التجارة باوسع معانيها وتقدر البضائع التي في مخازن بعضهم بمئات الالوف من الليرات وترى بيوت السوريين التجارية منتشرة في اكبر عواصم الدنيا مثل لندن وباريس ونيويورك والاستانة ولفربول ومنشستر والاسكندرية وريوجنايرو ويوكوهاما وهي تتاجر بكل البضائع الشرقية والغربية ولا شبهة في ان فساد الحكومة الماضي الجأ الوفاً الى المهاجرة ولم يكونوا ليهاجروا لولا ذلك ولكن هذه المهاجرة لم تضر بهم ولا ببلادهم بل استفادوا هم واستفادت البلاد ايضاً وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم . ولا نشير على الحكومة الحاضرة ان تقف في سبيل المهاجرة بوجه من الوجوه . وان كان ستون في المئة من المهاجرين قد عادوا الى بلادهم في العصر الماضي مع فساد احكامها فاذا صلحت الاحكام عاد تسعون في المئة من المهاجرين وصارت مهاجرتهم اسفاراً تجارية لا غير

وللبلاد ربح آخر من المهاجرة لا ينال بدونها وهو ان المهاجرين يعودون واسعي الاخبار عارفين باساليب العمران الجديدة ولا بد من ان يفيدوا بلادهم بها كما يشاهد الآن عياناً · نعم ان بعضهم يعودون بالامراض والاسقام ولكنهم قلال بالنسبة الى غيرهم وليس في الدنيا خير محض لا يمازجهُ شيء من الشر

ولم اجد سبيلاً للوقوف على ما زاد في ربح البلاد من الزراعة والصناعة والتجارة منذ خمس وعشرين سنة الى الآن ولكني وقفت على دليلين قاطعين على زيادة السعة او زيادة الاموال في البلاد · الاول ارتفاع اجور العمال · فالبناء الذي كانت اجرتهُ نصف ريال منذ ثلاثين سنة صارت اجرتهُ الآن ريالاً ونصفاً · والمئة التي كانت تستدان بخمسة عشر منذ ثلاثين سنة صارت تستدان الآن بستة الى تسعة في السنة · وقد بلغني عن بعض المهاجرين الذين رجعوا من اميركا انهم لما لم يجدوا من يستدين منهم اموالهم بفائدة اودعوها بعض الصيارفة واعطوهُ اجرة ايداعها

∴

الامارة — اريد بالامارة خدمة الحكومة والتوظف في وظائفها وهي مورد عذب كثير الزحام كان كذلك في العهد الماضي لا طمعاً بالراتب لانهُ لا يشبع من جوع بل طمعاً بما يكتسب من مال الرشوة · فاذا بطلت الرشوة تماماً لم يعد فيها مطمع ولو تضاعف الراتب · وخدمة الحكومة على ما لها من الشأن الكبير ليست من المعايش الكبيرة لان رجال الحكومة من اعلاهم الى ادناهم لا يزيدون على واحد او اثنين في الالف من عدد السكان · ولم اكن لاهتم بهذا الموضوع وانا اتكلم عن المعايش بنوع عام لولا اني رأيت في لبنان امراً لا يصح السكوت عنهُ وهو ان طلاب الوظائف فيهِ يقلقون راحتهُ ويحبطون مساعي متصرفهِ في اصلاحهِ فالمتصرف يشكو منهم والموظفون يشكون منهم ولم اكلم وجيهاً من وجهاء الجبل الا رأيتهُ يشكو منهم · وقد ذكروا لي اموراً في حد الغرابة فيخسر الواحد من طلاب الوظائف مئات والوفاً من الليرات للحصول على وظيفة لا ليكتسب من راتبها بل ليقهر خصومهُ او ليزيد نفوذهُ في بلدهِ واذا لم يفلح في نيل الوظيفة عرقل الحكومة في اعمالها بما يلقيهِ في طريقها من المشاكل والعثرات

وارى ان دواء هذا الداء سهل جداً وهو ان تجري حكومة لبنان مجرى الحكومة المصرية فلا تعزل موظفاً ابداً الا اذا ارتكب ذنباً يوجب عزلهُ بعد محاكمتهِ فيثبت الموظفون الحاليون في وظائفهم من قائمقامين ومديرين وقضاة وكتاب وما اشبه ولا يبقى لاحد مطمع

فيها وتزول المضار الناتجة عن تطلب الوظائف

وينتظر اهالي الولايتين سورية وبيروت من الحكومة الدستورية ان تمهد الوظائف لابنائهما الاكفاء لانهم اعرف بالبلاد من غيرهم وهذا لا ينفي توظيف الاتراك في الولايتين كما لا ينفي توظيف ابنائهما في ولايات اخرى . وما الوظيفة في الحكومة سوى عمل يقتضي ان ينتدب لهُ اقدر العمال عليهِ فيجب ان تكون الكفاءة الشرط الاول الذي يشترط في مأمور الحكومة . ولا يخفى ان معرفة اللغة العربية من اهم لوازم الكفاءة في هاتين الولايتين فاذا تساوت بقية الاوصاف وجب ان يفضل ابن البلاد على غيره لخدمة بلاده

***

الضيافة — بلاد الشام كلها اي ولاية سورية وولاية بيروت ومتصرفية لبنان ومتصرفية القدس اكثر البلدان العثمانية مقصداً للسياح والزوار لان فيها بيت المقدس قبلة المسيحيين ومحط آمال الاسرائيليين وفيها دمشق الفيحاء باب الكعبة واقدم مدن الدنيا وفيها جبل لبنان الذي لا يفوقهُ جبل في جودة مائهِ وطيب هوائهِ واعتدال الحر والبرد فيهِ وقد صارت ولايتا سورية وبيروت الآن طريق الحج الى مكة المكرمة فلا عجب ان قصدهما الزوار والسياح والمصطافون من كل اقطار المسكونة ولاسيما اذا ضرب الامن اطنابهُ فيهما وبذلت العناية التامة في اراحة الواردين اليهما. اما الربح الذي تنالهُ البلاد منهم فاكثر مما يظن فان اهالي سويسرا مثلاً يربحون من زوار بلادهم ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات كل سنة والمجلس البلدي بباريس يربح من زوارها كل سنة سبعة ملايين من الجنيهات وميزانيتهُ كلها اربعة عشر مليوناً

وقد رأينا من اهتمام اللبنانيين بالمصطافين ما يذكر لهم بالشكر فانهم انشأوا الفنادق الكبيرة واتقنوها ولاسيما في صوفر وزحلة وعاليه وسوق الغرب وبمكين وبحمدون وعين زحلتا وظهور الشوير . وكل قرى الجبل الكبيرة الغزيرة الماء تصلح للاصطياف اذا بنيت فيها الفنادق المتقنة وربطت مع بيروت بالبوسطة والتلغراف . وطرق المركبات منتشرة الآن في كل انحاء الجبل ومتصلة بكل قراهُ الكبيرة ولكن يعوزها كلها « المونسات » والاصلاح المستمر . وحبذا لو وسعت كلها حتى يسير عليها الاتوموبيل بسهولة . ولا بد من رشها كلها في القرى وحولها حيث يكثر السير عليها فيكثر الغبار فيها

ومن العبث ترك الامور العمومية كاصلاح الطرق ورشها للاهالي انفسهم لانهم قلما يجمعون على شيء واذا اجمعوا عليهِ اليوم نقضوهُ غداً فيحسن بحكومة لبنان ان تنشئ ادارة مخصوصة تتولى امر الطرق والمنافع العمومية وترصد عليها ريع الاراضي المشاع او تضرب

ضرائب جديدة على الاملاك التي تنتفع من اصلاح الطرق على نسبة انتفاعها منها

هذا كلام مجمل عن معايش السكان ولا يسعني المقام الآن لزيادة الاسهاب . وقد سألت دولة والي سورية عن نسبة بلاد الشام الى غيرها من ولايات السلطنة العثمانية التي رآها فقال ان ما رآهُ منها حتى الآن يجعلها من ارقى الولايات العثمانية ولا يفوقها الاَّ ولاية سلانيك وانهُ اذا استتب الامن والعدل فيها فاقت كل الولايات العثمانية

(٣) الطرق والمصايف وبيوت السكان

رأيت التغيير كبيراً في سورية ولبنان كما تقدم في رسالتي السابقتين واكبرهُ في الطرق والمصايف وبيوت السكان وها انا شارح ذلك بشيءٍ من الاسهاب

***

الطرق — لما اتيت حيفا وسمعت صوت القاطرات فيها ورأيت سكتها الحديدية قلت هنا مبدأ تغيير كبير ستنال منهُ البلاد الثروة الطائلة والنفع العميم . لان كسب الناس بعضهُ من استثمار الارض واستعمال القوى الطبيعية وبعضهُ من الاقتصاد في قوتهم وقوة دوابهم ومواشيهم باستخدام البخار للعمل والنقل . ولم ترجح كفة اوربا علينا في الزراعة والصناعة والتجارة الاَّ منذ اعتمدت على البخار في اعمالها

وقد اقيم في حيفا نصب جميل تذكاراً لفتح هذه السكة وهو من الرخام يمثل دقة الصناعة ولو لم يمثل فخامتها . وقد ظهرت فوائد السكة بارتفاع اثمان الاراضي وكثرة البضائع المشحونة الى حيفا ومنها . ولا بد من انشاء مرفإٍ لهذه المدينة ورصيف كبير لتفريغ البضائع لان رصيفها الحالي لا يليق بقرية صغيرة . وانشاء المرفإ لما لا يقتضي نفقة كبيرة . وقد يظن لاول وهلة انهُ يضر بمرفإ بيروت و ببيروت نفسها ولكنني لا ارى الامر كذلك لان خيرات البلاد كثيرة وهي قابلة النمو الى حد يفوق التصديق فينال كل من المرفأين حظاً وافراً منها وهب انهُ اضر فالتنازع يقع بين المدن كما يقع بين افراد الانسان والحيوان ولا عذر للمقصر فيهِ

وستشمل فوائد هذه السكة كل البلاد التي تمر فيها وتصل اليها ولاسيما بلاد حوران حيث تزيد غلة القمح على طعام السكان . وكان نقلهُ الى السواحل البحرية يتعذر في غالب الاحيان لغلاء اجرتهِ . وقد شرعت دمشق تجني فوائدها بنقل فواكهها وبقولها الى الاماكن القاصية عدا مصنوعاتها المختلفة

ولما وصلت الى بيروت ورأيت السكة الحديدية الصاعدة الى دمشق والسكة الذاهبة الى المعاملتين وازدحامهما بالركاب والبضائع زالت من نفسي غصة كنت اشعر بها كلما رأيت قطرات سكة الحديد تنساب في البلدان الاوربية سهولها وجبالها والبلاد السورية خالية منها

والقطر بين بيروت ودمشق يسير الهوينا لشدة الميل لكن الراكب لا يمل لكثرة ما يراهُ من المناظر البهجة على الجانبين بين آكام توشحت بالحراج والكروم ووهاد تغطت بالحدائق والبساتين و بين هذه وتلك بيوت القرى واكثرها جديد ابيض الجدران احمر السطوح تدل على رفاهة السكان ورخاء المعيشة · وكلما وصل الى محطة والمحطات كثيرة رأى كثيرين في انتظار القادمين او توديع الذاهبين وهم رجال ونساء بوجوه طليقة وثياب نظيفة

وقد تساهلت سكة الحديد للمصطافين في الاجور حتى صار بعضهم يستسهل قضاء الصيف في عاليه او بحمدون وما يجاورهما وينزل الى بيروت ويصعد منها كل يوم · روي عن الاستاذ الحوراني انهُ سئل اين نقضي فصل الصيف الآن فقال في « التران » (القطر) لانهُ يصعد وينزل كل يوم

ورأى المصطافون ان يجعلوا السفر نزهة حتى لا يملوا فتراهم في القطر يأكلون النقل ويشربون القليل من العرق او نحوهِ على جاري عاداتهم قبل العشاء ولم اسمعهم يتحدثون باشغالهم ومتاجرهم كأنهم ترفعوا عن هموم الحياة ومشاغلها لكن لا يندر ان يحدثوك عن احوال الحكومة وما هي سائرة اليهِ

ومتى اجتازت السكة صوفر ووصلت الى ظهر البيدر صارت الارض قاحلة على الجانبين لشدة البرد هناك شتاء وتراكم الثلوج ولكنك لا تلبث ان تطل على سهل البقاع وهو مزروعاً وغير مزروع من اجمل بقاع الدنيا لاختلاف الوان ارضهِ ومزروعاتهِ لاسيما وان جانباً كبيراً منهُ بساتين من شجر التوت وجنائن من الفاكهة يحيط بها شجر الحور كالسوار بالمعصم · ولهذا الشجر ربع كبير لانهُ لا يشغل الاَّ مساحة ضيقة من الارض وقد يبلغ ثمن الشجرة منهُ مئة غرش او مئتي غرش اذا بلغ عمرها عشرين سنة الى ثلاثين ويسع الفدان الوفاً من اشجارهِ ومتى زرع مرة لا يعاد زرعهُ ثانية لان خراعيب الشجرة المقطوعة تقوم مقامها · ولا بد من ان يكثر السكان من زرعهِ في كل الاماكن التي يكثر ماؤُها متى تيسرت لهم وسائل نقل خشبهِ ورخصت

وينساب القطر في البقاع يسرع تارة ويبطئ أُخرى على غير انتظام · لكن الراكب

لا يمل لانهُ يرى اكام لبنان الشرقي والغربي تتغير امامهُ دواماً وهي متساندة بعضها فوق بعض كالقباب وقد اختلفت الوانها فازرت بقوس السحاب · والسند الغربي منها كثير القرى والدساكر والكروم والبساتين واما الشرقي فيكاد يكون قاحلاً لكن محلهُ زادهُ مهابة · ثم تبتدئ البساتين على جانبي الخط قرب محطة رياق حيث يلتقي خط دمشق بخط حلب وبعلبك وتستمر الى ان يدخل الخط منفرجاً في الجبل الشرقي تجري فيهِ المياه فتحيي ما زرع فيهِ من شجر ونجم · والماء حياة الحيوان والنبات ولا ادل على ذلك من هذا الوادي الذي يكاد يكون شقًّا بين صخرين شاهقين يرتد عنهما الطرف كليلاً فان السيول جرفت اليهِ ما استقرَّ فيهِ من التراب وانبثقت الينابيع من جوف الجبل فسقت ما زرعهُ الانسان من شجر ونبات فزكا زكاءً عجيباً

والوادي ضيق جدًّا كثير التعرج لكنهُ غض الشجر ملتفهُ تترقرق المياه فيهِ كالصهباء وتنساب كبطون الحيات · ثم ينفرج عند الزبداني عن جنائن كجنائن الخلد وفراديس جمعت الخر ما ولدتهُ يد الانسان من ثمار الارض · ترى العنب والتفاح والاجاص (الكمثرى) فتظنها ثمرات صناعية لا طبيعية لجمال الوانها وانتساق اشكالها · وتجد من النكهة والفكاهة في رائحتها وطعمها ما لا تجدهُ في غيرها · والاولاد يبيعون سلالها للركاب وهم بثياب نظيفة ووجوه صبيحة فلا يخطر ببالك ان تغسل شيئاً تشتريهِ منهم . وقد تشتري سلة بغرش فتجد فيها اقة او اكثر من العنب الفاخر

ومن هناك تصير الينابيع تجري الى جهة دمشق الى ان تدخل غوطتها المشهورة هي وسكة الحديد وهنا يقف القلم عن الوصف عجزاً

ولا أدري لمن الفضل الاكبر في خصب هذه الغوطة أللصناعة ام للطبيعة خمسون الف فدان كانها بستان واحد من ملتف الشجر من كل انواع الفاكهة التفاح والمشمش والدراقن (الخوخ) والسفرجل والكمثري والكرز ومن الاشجار المثمرة وغير المثمرة كالزيتون والجوز والحور والدردار وكروم العنب المختلفة الاشكال والانهر تجري في اعاليها واسافلها متدفقة متزاحمة على ارتفاعات مختلفة وبعضها شديد التحدر جدًّا فيرغي ويزبد كالبحر الخضم حتى ان الماء الذي حُوِّلت قوتهُ الى كهربائية لانارة دمشق واجراء الترامواي فيها يبلغ ارتفاعهُ مئة قدم مع انهُ لم يحجز الَّا مسافة قصيرة جدًّا · وكأَن وقوع هذه الغوطة بين جبال شاهقة نقية الهواء وريها من ينابيع صافية خالية من كل شائبة زادا في نماء اشجارها وزكاء اثمارها

٭٭

والخط بين بيروت والمعاملتين لا تقل مناظرهُ جمالاً عن مناظر الخط بين بيروت ودمشق فمن الجهة الواحدة ترى البحر يرغي ويزبد هائجاً مائجاً او يتجعد ويتنفس هاجعاً خاشعاً وهو في الغالب ازرق كاللازورد شفاف كالبلور انبسطت الجنائن والبساتين على ساحلهِ حتى لثمت صفحة خدهِ ومن الجهة المقابلة ربى لبنان بحراجها ووعورها وبيوتها وقصورها مخاريط متساندة متلاصقة عرّت صخورها الامطار وخدّدت جوانبها السيول ولكن بقي فيها من التربة ما يكفي لنمو الصنوبر والسنديان والملول والتين والكرم والزيتون

ويمر الخط في طريق ملوك بابل واشور في سكة الفراعنة والبطالسة والقياصرة الى ايام بونابرت ملوك لم تزل آثارهم على صفحات تلك الصخور الشواهق شاهدة على سعي الناس في طلب الكسب ولو بتحمل اشد المشاق وقتل الالوف من العباد. وقد استتب لابناء هذا العصر ما عجز عنهُ اولئك الملوك العظام مع شديد بطشهم وواسع ملكهم وكثرة من ساقوا من الجنود والاسرى لان هؤلاء قطعوا الصخر ومهدوا طريقاً على شاطىء البحر فسارت فيهِ المركبات والقطرات واما اولئك فاضطروا ان يسيروا بخيلهم ومركباتهم فوق الصخور والعراقيب

وقد انعمت نظري في بيوت السكان من نهر بيروت الى اسكلة جونيه ومن ساحل البحر الى اعلى ما يصل اليهِ البصر لاستدل منها على مبلغ ثروتهم ورفاهتهم لان ذلك اصدق دليل على نجاحهم وصلاح حالهم. وغني عن البيان ان اكثر هذه البيوت جديد لم يكن شيء منهُ منذ ثلاثين سنة واتفق اني لقيت حينئذٍ سيدة اميركية ربيت في الشام ووقفت نفسها على خدمة ابنائهِ وهي الدكتورة ماري ادي فسألتها عن معيشة السكان في بيوتهم فاكدت لي انها صالحة جدًّا وقد ترقت كثيراً عما كانت عليهِ منذ عشرين سنة او ثلاثين. ولما اشرف القطر بنا على جونيه لم اصدق اني ارى امامي القرية الصغيرة التي رأيتها منذ ثلاثين سنة فانها اصبحت مدينة كبيرة ببيوت فخيمة تضاهي بيوت المدن الاوربية وقد بنت تلك السيدة مستشفى للمسلولين الى شمالها لطيب هوائها وبنت لهم مستشفى آخر في الشبانية بوادي حمانا الذي تغزل في وصفهِ لامرتين الشاعر الفرنسوي. والمسلولون يقيمون هناك في فصل الصيف وهنا في فصل الشتاء فيشفون في المصحين بطيب الهواء وجودة الغذاء

هذه هي الطرق الحديدية التي رأيتها ولا بأس بها ولا بمركباتها ولا بما يراهُ الركاب من المعاملة. بل ان معاملة الركاب فيها احسن من معاملتهم في القطر المصري فاذا كان مع راكب صندوق كبير يتعذر دخولهُ في مركبة الركاب وضعوهُ في مركبة الامتعة من غير اجرة. ولم ارَ شيئاً من الخلل الاَّ في عيد الفطر اذ ازدحمت المركبات بالركاب ازدحاماً يفوق الحد وابى

بعضهم ان يدفع الاجرة المطلوبة منهُ ففض الكوميساريه الطرف تجنباً للنزاع . ثم ان احد الركاب اغتنم فرصة دخول القطر في نفق مظلم فاطلق مسدسهُ مراراً من النافذة فاقلق الركاب ولكن قبض عليهِ قبل ان هرب . واتفق اني دعيت للعشاء مع دولة والي بيروت عشية ذلك اليوم فقال في حديث طويل انهُ منع اطلاق البارود في رمضان فقلت لهُ ولكنهم اطلقوهُ في القطر فقال نعم ولكننا قبضنا على الذي اطلقهُ حالاً وسيعاقب عقاباً صارماً . فدل بذلك على تيقظهِ التام

***

اما طرق المركبات فالتي رأيتها منها في المدن في يافا وحيفا وبيروت ودمشق اكثرها لا يصلح ان يكون في مزرعة صغيرة نعم ان في يافا شارعاً جديداً طريقهُ جيد وكذلك في دمشق طريق جديد خارج المدينة ولكن الطرق الداخلية كلها وطرق بيروت الا القليل منها كثيرة الحفر والحجارة خالية من المماشي الجانبية . ومن الغريب انك ترى في دمشق اسواقاً واسعة مسقوفة بقناطر من الحديد مثل احسن اسواق المدن الاوربية الكبرى ولكن ارضها تراب غير مستو ولا مماشي فيها فيختلط المارة بالبغال والجمال والمركبات على انواعها . والحوادث قليلة ولكن هذا الاختلاط يعيق الناس والدواب عن السير ويضيع الوقت سدى . وقد سألت اولياء الامر في بيروت ولبنان ودمشق وحيفا ويافا لماذا لا يصلحون الشوارع ويرصفونها فشكوا كلهم شكوى واحدة وهي قلة المال لدى المجالس البلدية

ومن الغريب ان الرجل الذي ينفق خمسة آلاف جنيه على بناء بيت يبخل بخمسة جنيهات في السنة على اصلاح الطريق الموصل اليهِ بل قد يحتال حتى يأخذ شبراً من الطريق . هذه حال لا ترضي بوجه من الوجوه ويجب ان يقدم توسيع الشوارع على بناء البيوت وان يقدم اصلاحها على اصلاح المساكن . والظاهر ان الناس عرفوا كيف يعيشون ويحسنون معيشتهم افراداً مستقلين ولكنهم لم يعرفوا حتى الآن كيف يعيشون جماعات فكل بيت جديد على حدتهِ حسن البناء والاثاث والرياش ولكن مجموع البيوت غير منتظم والمنافع العمومية التي يشترك الجمهور فيها مهملة كل الاهمال لان الحكومة لا تهتم بها الاهتمام الواجب ولا المجالس البلدية تقوم بما يجب عليها . ولعل الحال تتغير قريباً فان الولاة الثلاثة الذين حادثتهم في هذا الموضوع والي بيروت ووالي سورية ومتصرف لبنان رأيتهم مهتمين باصلاح الحال

وطرق لبنان احسن من طرق المدن ولكنها تفتقر كلها الى المؤنسات والى الاصلاح المستمر . ولا بد من توسيع اكواعها لكي تصلح لسير الاوتوموبيل عليها فاذا صارت كلها

صالحة لسيره لم تبقَ قرية من قرى لبنان الأ صارت صالحة للاصطياف . نعم ان الاموال اللازمة لاصلاح الطرق كثيرة ولكن الفائدة التي يجنيها الجبل من اصلاحها تربو على ما ينفق اضعافاً مضاعفة

وفي لبنان طريق قديم للمركبات وهو طريق الدلجنس بين بيروت ودمشق وقد ردتهُ شركة الدلجنس الى الحكومة العثمانية فوهبهُ السلطان عبدالحميد لنظارة الحربية كأن الجيش العثماني لا يحق لهُ ان يمر في لبنان الأ على هذا الطريق . ولا غرابة في ما عملهُ عبدالحميد لان اعمال المجانين لا قيد لها ولكن الغرابة في ان الحكومة الدستورية لم ترَ حتى الآن فساد هذه الهبة وضررها بحقوق السلطنة

وقد ارادت متصرفية لبنان ان تصلح هذا الطريق وتضع رسماً طفيفاً على ما يمرّ عليهِ من الدواب والمركبات لكي تنفق منهُ على اصلاحهِ فابت عليها نظارة الحربية ذلك . فان كان المراد الاعتراض على وضع الرسم فالاعتراض حسن ويحسن بلبنان ان يصلح هذا الطريق و يبقيهُ حرًّا كما هو الآن والنفقات التي تنفق على ترميمهِ واصلاحهِ لا تضيع لان نفعهُ كبير جدًّا للجبل كلهِ . وان كان المراد ان يباح للبنان ترميم الطريق واصلاحهُ ثم يمنع ابناؤهُ من السير عليهِ من غير ان يدفعوا رسماً للحكومة العثمانية فذلك اجحاف مضر بمصلحة لبنان . وخير من هذا وذاك ان تلغي الحكومة الدستورية ما فعلهُ عبدالحميد لانهُ مناقض لسلطتها على لبنان ومضر بمصلحة سكانهِ وهو جزء لا يتجزأ من املاكها فتترك الطريق لهُ ليصلحهُ وينتفع بهِ

وقد انشئت طرق لبنان كلها باموال يدفعها سكانهُ المكلفون فيدفع العامل الفقير منهم الذي لا يملك شروى نقير كما يدفع الغني صاحب الاملاك الواسعة والثروة الطائلة مع ان الثاني يستفيد من انشاء الطرق واصلاحها اضعاف اضعاف ما يستفيدهُ الاول . واهالي بيروت الذين لهم املاك واسعة جدًّا في لبنان لا يدفعون غرشاً واحداً لانشاء هذه الطرق واصلاحها وقس عليهم رهبان الاديرة مخالفين بذلك القاعدة القائلة مَن لهُ الغنم عليهِ الغرم . ولا بد من تغيير هذه الحال عاجلاً او آجلاً . واصحاب الاملاك الذين يعارضون حكومة لبنان في وضع ضرائب خصوصية على املاكهم لاجل الطرق يضرون انفسهم ويضرون الجبل كلهُ لان الطرق تضاعف قيمة الاملاك واما الضرائب فلا تكون الاجزاء طفيفاً منها

المصايف — كل قرى لبنان الجبلية تصلح للاصطياف وكذلك قرى الجبال المجاورة ليافا وحيفا وعكاء وصور وصيداء وطرابلس واللاذقية ودمشق ولكنني لم ارَ الاَّ مصايف

لبنان وهي اشهرها ولعلها افضلها لجودة مائها وبرد هوائها وسهولة الوصول اليها · وقد بنيت في بعضها الفنادق (اللوكندات) الكبيرة كفندق صوفر الذي يعدُّ من الطبقة الاولى بفخامة بنائهِ وحسن روائهِ وفنادق عاليه وبمكين وسوق الغرب وبحمدون وعين زحلتا وظهور الشوير وزحلة وبعلبك ودمشق · وكلها مثل فنادق القاهرة التي من الدرجة الثانية في فرشها وطعامها ونظافتها واستتباب وسائل الراحة فيها لكن الخدم اللبنانيين لم يبلغوا مبلغ الخدم الاوربيين في تنظيم المائدة وتنظيف غرف النوم ولا منظرهم يرضي الناظر مثل منظر الخدم الاوربيين ولاسيما الندل الذين يخدمون على المائدة فان الخادم يجب ان يكون نظيفاً في لبسهِ لبقاً في حركاتهِ · والاجرة التي تأخذها الفنادق وهي ثمانية فرنكات في اليوم ليست قليلة بالنسبة الى رخص البلاد فان الفنادق التي تأخذ ثمانية فرنكات في سويسرا اكثر منها اتقاناً واكثر اساليب لتسلية المصطافين

اما الطعام فجيد وهو كثير يزيد على الحاجة وكذلك الفاكهة فانها في فنادق لبنان اكثر منها في فنادق اوربا فترى على المائدة صحاف التين والعنب والكمثرى والتفاح والبطيخ صباحاً وظهراً ومساء حتى لو اراد احد ان يعيش على الفاكهة وحدها كما يفعل المتحمسون في وصفها علاجاً لكل الامراض لرأى ما يكفيهِ منها

والغالب ان يكون الفطور من لبن وشاي او لبن وقهوة وجبن ومربى وعسل وبيض مسلوق او مقلو · والغداء من مقبلات ولونين من اللحم ولون من السمك او الطير والعشاء من شوربا ولونين من السمك او الطير ولا يقدم الشاي بين الغداء والعشاء

ولا بدَّ من زيادة الاعتناء بالنظافة والخدمة ومن إلباس الخدم كلهم ثياباً نظيفة جداً ولو وقت الخدمة على المائدة

ولا بد ايضاً من رش الطرق التي في المصيف والقريبة منهُ مرتين او ثلاثاً في النهار حتى لا يثور منها شيء من الغبار فيستسهل المصطافون المشي فيها دواماً وتؤْخذ نفقات الرش من اصحاب الفنادق ومن اصحاب البيوت لانهم كلهم يستفيدون منهُ سواء اجروا بيوتهم او لم يؤْجروها

ولا بد ايضاً من انشاء الحدائق والمتنزهات العمومية وساحات الالعاب الرياضية فان في كل مصيف ومشتى من مصايف اوربا ومشاتيها حدائق ومتنزهات وساحات ووسائل مختلفة لتسلية النزلاء وترغيبهم في اطالة اقامتهم كما ترى في بريطن وايستبرن ولندن وجنيف وغيرها من المدن الاوربية

ولا يستهان بالمصايف والمشاتي فان بلداناً كثيرة تعيش منها وتعتمد عليها كأكبر وسيلة لمعيشة سكانها . وليس في القطر المصري مصيف لسكانهِ غير رمل الاسكندرية ورأس البر وهما لا يغنيان عن الاصطياف في بلاد جبلية طيبة الهواء كربى لبنان . ويذهب الآن مئات والوف من سكان هذا القطر الى اوربا لتغيير الهواء فيها فاذا وجدوا وسائل الراحة والرفاهة في لبنان كما يجدونها في اوربا فضلوهُ عليها من كل وجه لاسيما وان القطرين مشتركان في اللغة والمشرب

ومدن الساحل كلها صالحة لان تكون مشتىً لاهالي دمشق ولبنان وللاوربيين الذين يشتون في جنوبي ايطاليا وفرنسا لاسيما وان كثيرين منهم يفدون الى القدس الشريف في الربيع للزيارة فاذا وجدوا في يافا وحيفا وصور وصيداء وبيروت وطرابلس فنادق متنزهات ووسائل للتسلية اقاموا فيها اياماً واشهراً كما يقيم بعضهم الآن في فنادق القطر المصري

ولا ما يمنع بيروت عن ان تكون مقصداً للسياح من كل الاقطار اذا توفرت لهم فيها وسائل الراحة والنزهة واصلحت طرقها التي فيها والتي في ضواحيها حتى يتيسر لهم الخروج للنزهة يوماً بعد يوم. وهذه الاماني لا تحقق في القريب العاجل ولكن ما رأيتهُ من تقدم البلاد السريع في خمسة وعشرين عاماً يوطد الآمال ببلوغ المراد بعد زمن غير طويل

ولا يقتصر الاصطياف على النزول في الفنادق بل يتناول استئجار البيوت المفروشة وغير المفروشة . وطالما سألني سراة المصريين هل نجد في لبنان بيوتاً معدة لنزولنا فيها وجامعة اسباب الراحة فكنت احار في الجواب لاني لم اكن واقفاً على الحقيقة اما الآن فاقول ان البيوت المعدة لذلك موجودة ولكنها لا تفي بالمراد تماماً كالبيوت المعدة لنزول المصطافين والمشتين في اوربا ولاسيما في البلاد الانكليزية حيث تجد البيت الواحد شققاً مختلفة وفي كل شقة غرف منامة وغرفة جلوس وغرفة طعام وللبيت كلهِ مطبخ مشترك او مطابخ مختلفة وحديقة يتنزه المصطافون فيها وفي كل شقة كل ما يلزم لها من الاثاث والرياش . فهل يفعل اهالي لبنان وبيروت مثل ذلك في القريب العاجل ترغيباً للمصطافين والمشتين . اظنهم يفعلون وهم الرابحون لان هذا المورد ليس مما يستخف بهِ

وتختلف اجور البيوت المعدة للاصطياف مدة فصل الصيف من نحو عشرة آلاف غرش الى نحو الفي غرش حسب كبر البيت وصغرهِ وكونهِ مفروشاً او غير مفروش وحسب القرية التي هو فيها . والغالب ان تبلغ اجرة البيت نحو ثلاثة او اربعة في المئة من ثمنهِ فتكاد تكون مثل ريع الاملاك في لبنان

بيوت السكان — تأنق سكان لبنان وبيروت في بناء بيوتهم وزخرفتها. اما اهالي بيروت فقد جروا في هذا المضمار منذ اربعين سنة او خمسين ولم تزل البيوت التي بنيت حينئذٍ مثل بيوت سرسق وبسترس والجدي وبيهم وحماده والعريس من افخم مباني بيروت وافخرها . ثم كثر ما بني على نسقها ولا يزال البناء مستمرًا . والغالب ان يكون البيت الواحد طبقتين او ثلاثًا وفي كل طبقة دار فسيحة طولها عشرة امتار الى خمسة عشر مترًا او اكثر وعرضها خمسة امتار الى ستة او سبعة وحولها غرف كثيرة بعضها كبير للجلوس والاستقبال والطعام وبعضها صغير للمنامة . ودائرة المطبخ والخدم متصلة بالبيت ولكنها تكاد تكون منفصلة عنهُ وهي في الغالب الى الجانب الجنوبي الشرقي . وللدار واجهة بثلاث قناطر على ثمنين من الرخام . وقد بنيت البيوت الجديدة في لبنان على هذا النسق بين كبيرة وصغيرة . وزيد اتقان بعضها كما في زحلة وبكفيا فبنيت جوانب الابواب والشبابيك واعتابها بالحجر النحيت وزخرف بعضها بنقوش حسنة وسقفت كلها بالقرميد دفعًا للوكف ولتجمع الثلج . وقد كانت سطوح البيوت قبلاً مستوية فيضطر اصحابها ان يحلوها مرارًا في الشتاء او يحدلوها اذا كانت ترابًا ويجرفوا الثلج عنها اذا كانت في الجبال فكفوا الآن مؤُونة ذلك كلهِ . ولكنك ترى بيتًا انفق صاحبهُ نفقات طائلة على بنائهِ وزخرفتهِ وصنع لهُ طنفًا تحت القرميد من الحجر النحيت ثم تركهُ من غير حمام ومن غير مستراح او بنى فيهِ مستراحًا ولكنهُ لم يضع فيهِ آلة ذات ممص وحوضًا للماء . فهذه الشوائب يجب تداركها حالاً ولاسيما في البيوت المعدة للتأجير

واكبر نقص في لبنان من هذا القبيل ان ليس فيهِ ادارة هندسية صحية لتنظيم المباني والشوارع فكل احد يبني على هواهُ وعلى الصورة التي يختارها والغالب انهُ يزحم الطريق على ضيقها حتى يتعذر توسيعها في المستقبل. ولكن انشاء ادارة تنظيم فيهِ متعذر الآن فلم يبقَ الا ان يرى اللبنانيون انفسهم ان تنظيم مبانيهم الزم لرونقها وروائها من نحت حجارها وطلي جدرانها

ويظهر ان اكثر الذين بنوا البيوت الكبيرة في لبنان غير قادرين على المعيشة فيها من حيث احوالهم المالية وانهم بنوها لا عن حاجة اليها بل لمجرد التباهي بها . فلا يندر ان يبني الواحد منهم بيتًا بكل ما معهُ من النقود او يشرع في بناء بيت ثم يجد ان نقودهُ لا تكفي لاتمامهِ فيهاجر ثانية ليأتي بما يتمهُ بهِ وبعضهم استدان واتم البيت الذي شرع في بنائهِ وهذا خطأ مبين لان الدين يأكل البيت لا محالة . اما الذين بنوا البيوت بكل ما جمعوهُ في المهاجرة من

النقود فلا سبيل الى لومهم لانهم لم يجدوا وسيلة أُخرى « يوظفون » فيها اموالهم بعد ان غلت اسعار الاملاك (الارزاق) غلوًّا فاحشًا ولم يعد ريعها يزيد على واحد او اثنين في المئة من ثمنها

واكثر الذين حادثتهم وحادثوني في هذا الموضوع من وجهاء بيروت ولبنان مجمع على ان اللبنانيين اخطأُوا في بناء هذه البيوت . اما انا فلا ارى رأيهم لان البيت الكبير الجميل يرفع شأن صاحبهِ ويزيد عزة نفسهِ فيزيد همةً واقدامًا واستسهالاً للصعاب ويصير يفضل المهاجرة والمتاجرة على العمل بيديهِ في الحقل والكرم والبستان ثم ان البيت الكبير المتقن يقتضي ان تجاد لوازم المعيشة فيهِ من فرش واثاث وكل ذلك مما يذكي الهمة ويدعو الى السعي والاولاد الذين يربون في بيت كبير حسن المندام يشبون على طلب المعالي والترفع عن الاعمال الشاقة القليلة الكسب

اخبرتني سيدة اميركية لقيتها في دمشق وهي من اوسع السيدات علمًا انها بحثت عن احوال المهاجرين السوريين في اميركا بحثًا مدققًا واطلعت على مباحث الحكومة الاميركية عنهم فوجدت ان المهاجر الايطالي او الرومي يكتفي بالعمل الشاق عاملاً في بناء البيوت ومد السكك باجرة محدودة لا تكاد تكفيهِ طعامًا وشرابًا سواء اجتهد او لم يجتهد . واما المهاجر السوري فيترفع عن ذلك ويشارك التجار في البيع والشراء والغالب انهُ يحمل بضاعتهُ ويجول بها من مكان الى آخر فيكون كسبهُ على قدر اجتهادهِ ومهارتهِ واقتصادهِ لاسيما وانهُ لا يشرب المسكرات مثل سائر المهاجرين

وواضح من ذلك انهُ لو ذهب الفلاح السوري الى اميركا وخدم هناك اجيرًا عند فلاح او فاعلاً عند بناء لما استطاع ان يوفر من اجرتهِ شيئًا يذكر ولسهل عليهِ ان يعود الى عمل الحقل كما كان قبل ذهابهِ ولكنهُ لو فعل ذلك لما رأيت شيئًا من هذا الارتقاء الذي يرى الآن اما وقد ترك المعول والمحراث وراءهُ ودخل المخزن او حمل « الكشة » واعتمد على مهارتهِ في البيع والشراء وتجوالهِ للكسب في اماكن مختلفة ولم يتقيد باجرة محدودة بل راقب الفرص واغتنمها وربح اكثر مما يربح المهاجر الرومي والايطالي وعاد بمال وافر فكبرت نفسهُ وناظر امراء بلادهِ واعيانها في دورهم بعد ان ابتاع اكثر املاكهم

هذا وقد كان لبناء البيوت الكبيرة في لبنان فائدة كبيرة لمدينة بيروت وتجارها لان اللبنانيين جلبوا اكثر مواد البناء من بيروت . والقطاعون الذين قطعوا الحجارة والبناؤُون الذين بنوها والمورقون الذين ورقوها والنجارون الذين صنعوا منجورها والمكارون الذين نقلوا

موادها كل هؤلاء انفقوا اجورهم على بضائع اشتروها من بيروت ونحوها من مدن الساحل فالمهاجرة التي عمرت لبنان زادت عمارة بيروت وسائر المدن الساحلية

وقد كنت اعجب كيف تيسر لاهالي بيروت ودمشق وما يتبعهما ان يسيروا في سبيل الارتقاء في العشر السنوات الاخيرة مع اشتداد الظلم والقهر في سائر الولايات العثمانية الى ان اجتمعت اخيراً بدولتلو ناظم باشا والي بيروت فاكد لي انهُ حمى الاحرار وجرى على موجب الحكومة الدستورية كل مدة ولايتهِ على سورية وبيروت وكان الجواسيس يلحون احياناً في الوشاية بزيد او عمرو فتأتي الاوامر من الاستانة مشددة فيغضي عنها ما استطاع الى الاغضاء سبيلاً · وسمعت من كثيرين من العارفين بهِ ما يؤيد ذلك وحسبهُ فخراً انهُ بقي هذا الزمن في الديار السورية ولم يرتشِ بغرش ولو اراد لجمع مئات الالوف من الليرات كما فعل غيرهُ من الولاة · والوالي الذي لا يرتشي لا يصادر الناس في اموالهم ولا يقف في سبيل تقدمهم ولذلك تيسر لاهالي هاتين الولايتين ان يسيروا شوطاً طويلاً في سبيل الارتقاء

الاستاذ لمبروزو

هو الدكتور قيصر لمبروزو ولد في مدينة ڤيرونا في الثامن عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٣٥ ويتصل نسبهُ باسرة اسرائيلية نبغ كثيرٌ من افرادها فكان بين اسلافهِ عددٌ من المؤلفين والاحبار والمحامين والاطباء وجدهُ لامهِ شاعرٌ يدعى داود لاوي كانت لهُ يدٌ في ثورة ايطاليا التي آل امرها الى الاستقلال

ظهرت على صاحب الترجمة دلائل النجابة منذ حداثتهِ فرأى كثرة الآثار في بلادهِ ومال الى درس تاريخها فقرأ مؤلفات ليڤيوس وطاشيتس وغيرهما وألف مقالة في عظمة رومية وانحطاطها وذلك قبل ان يبلغ الثانية عشرة من العمر · وبعد ذلك بسنة عثر على كتاب في درس الآثار لرجل يدعى بولس مرزولو وهو على جانبٍ عظيمٍ من العلم الا انهُ لم يكن قد نال الشهرة التي يقتضيها علمهُ فكتب لمبروزو مقالة نقد فيها الكتاب واظهر محاسنهُ ونشر المقالة في احدى الصحف اليومية فسرَّ المؤلف بها وطلب ان يراهُ فلما التقى بهِ استغرب حداثة سنهِ فاستحكمت الصداقة بين الاثنين من ذلك الحين ودامت زمناً طويلاً

وترك لمبروزو الدروس المتبعة في المدارس العالية واخذ يتعلَّم اللغات الشرقية بارشاد

صديقهِ مرزولو فاتقن العبرانية والكلدانية والمصرية القديمة والصينية واخذ يسعى الى اكتشاف طريقةٍ يردّ بها هذه اللغات الى اصل واحد · لكن مرزولو رأى ان درس اللغات الشرقية لا يقوم بمعاش صديقهِ فاشار عليهِ بدرس الطب ففعل وتخرَّج فيهِ في مدينة بادوى ثم سافر الى فينَّا وباريس للتوسُّع في المعارف · وكان لهُ ميلٌ شديد الى البحث في الامراض العصبية والعقلية فكتب مقالتين في هذه الامراض وهو تلميذ · ثم لما نشبت الحرب بين النمسا وايطاليا سنة ١٨٥٩ انتظم في الجيش الايطالي طبيباً متطوعاً وبقي ست سنوات في الخدمة الف في اثنائها مقالةً في البِلَّغرا كسبتهُ شهرةً واسعة ونال بها جائزة علمية وهي الجائزة العلمية الوحيدة التي نالها مدة حياتهِ · واغتنم فرصة وجودهِ بين العساكر فدرس اخلاقهم واشكالهم المختلفة وفحص منهم لا اقل من ٤٠٠٠ رجل فحصل بذلك على خبرة واسعة كانت لهُ بها فائدة عظيمة في المباحث التي ألَّف فيها . ثم انتقل مع فرقتهِ الى مدينة پاڤيا حيث تمكن من مداومة البحث في الامراض العقلية في بيمارستانها · الاَّ ان رؤساءهُ العسكريين لم ترق لهم هذه الامور فضيَّقوا عليهِ فاعتزل الخدمة واخذ يلقي خطباً على بعض الطلبة في الجامعة وبعد سنة من الزمان عُيّن استاذاً للامراض العقلية براتب زهيد · وفي هذه الاثناء القى خطبةً في « النوابغ والجنون » فاكتسب بها شهرة عظيمة وعرف بعدها انهُ من العلماء المفكرين

ولم تقف شهرتهُ عند هذا الحدّ بل وفّق الى اكتشاف عظيم الاهمية لفوائدهِ العلمية والاجتماعية الاَّ انهُ سبب لهُ كرهاً شديداً عند كثيرين من مواطنيهِ وهو انهُ رأى ان كثيرين من المرضى في البيمارستان مصابون بداء يسمَّى البلاغرا تظهر اعراضهُ في الجلد اولاً ثم في الجهاز العصبي وهو كثير في ايطاليا ومصر · فوجد ان سبب هذا الداء اكل الذرة الصفراء المتعفنة واستخرج من هذه الذرة سمًّا لقح بهِ بعض الحيوانات فاصابها داء البلاغرا · فاشار على الحكومة ان تمنع بيع الذرة المتعفنة فقامت عليهِ قيامة اصحاب الاملاك في لمبارديا حيث تزرع الذرة وقال عنهُ احد الاطباء في اجتماع عقد لهذه الغاية انهُ مهووس وان تجاربهُ وامتحاناتهِ لا اساس لها الاَّ مخيلتهُ فطلب لمبروزو تشكيل لجنة علمية وجرّب تجاربهُ امامها فكذبهُ الاعضاء وقالوا انهُ دس الاستركنين في العصير الذي استخرجهُ من الذرة وطلبوا طردهُ من الجامعة · فانبرى للدفاع عنهُ صديق يدعى الفرد موري وعرض المسألة على برتلو الكيماوي الفرنسوي المشهور فامتحن برتلو المادة السامة المستخرجة من الذرة وقال انها تشبه الاستركنين كثيراً لكنها تختلف عنهُ في امورٍ كثيرة فثبت بذلك اكتشاف لمبروزو · وبقي لمبروزو يجاهد عدة سنوات على المنابر وصفحات الجرائد وهو يطلب من الحكومة تحسين احوال

الفلاّحين فقاومهُ خصومهُ مقاومة عنيفة جعلت مركزهُ حرجاً في الجامعة فاستقال منها وجعل استاذاً للامراض العقلية في تورينو حيث كانت تقيم اسرة امرأتهِ

وبقي في تورينو مدةً يبحث في اسباب الجرائم واسَّس متحفاً صار فيما بعد داراً لمباحثهِ في هذا العلم . وهو اوَّل من طبَّق علم تحقيق الشخصية على الجرائم وكان عندهُ مجموعة من الجماجم فريدة في بابها منها جمجمة احد مشاهير القتلة فبحث فيها بحثاً مدققاً و بنى على ذلك رأيهُ في الجرائم وهو ان الميل اليها رجوعٌ الى اصلٍ قديم . ووجد ان بعض المميزات في اعصاب المجرمين وتركيب اجسامهم توجد في بعض الشعوب من البشر وفي القرود ايضاً ووجد ان اكثر المجرمين مصابون بامراض عقلية ونشر آراءهُ هذه في كتابٍ سماهُ « الرجل الجاني »[1] وطبعهُ سنة ١٨٨٩ . وكانت اراؤُهُ في النوابغ من الناس تشبه آراءهُ في المجرمين وزعم ان النبوغ نوعٌ من الصرع الخفيف ونشر ذلك في كتاب سماهُ « الرجل النابغة[2] » ونقل هذا الكتاب الى لغات كثيرة

ولهُ آراء غريبة في الجرائم السياسية الكبيرة التي تلطخ بها التاريخ فقال ان الامراض العقلية وبائية كغيرها فالاضطهادات التي كانت تقع على الاسرائيليين ابناء جلدتهِ كانت من هذا القبيل

واشتغل في اخريات ايامهِ في مناجاة الارواح وكان رأيهُ فيها انها صادرة عن احوالٍ عقلية خارقة العادة . وكان من منشئي مجلة الامراض العقلية

ومن تلامذتهِ واتباعهِ صهراهُ زوجا ابنتيهِ وهما الاستاذ فريرو والسنيور كرارا وازيكو فرّي والبارون رونكوروني وباتريزي وزبوليو وغيرهم . ولابنتيهِ شهرة في عالم الادب وقد كتبتا ترجمة حياتهِ حينما احتفل بمضي ثلاثين سنة من تعيينهِ استاذاً في تورينو

توفي بمرض القلب في التاسع عشر من اكتوبر الحالي (تشرين الاول) فيكون عمرهُ اربعاً وسبعين سنة . وكانت لهُ شهرة واسعة بين العلماء فنقلت كتبهُ الى لغاتٍ كثيرة وجمع من بيعها ثروة طائلة

(1) L'uomo Delinquente.
(2) L'Uomo di genio.

البرنس ايتو الياباني

نقل الينا البرق ان احد الكوريين الناقمين على اليابان اغتال البرنس ايتو الياباني لان الكوريين يحسبون انهُ هو العلة في استيلاء اليابان على بلادهم وقد نشرنا ترجمتهُ في مقتطف يناير سنة ١٩٠٣ وقلنا فيها حينئذٍ ما نصهُ

هو زعيم الامة اليابانية سواء كان في المنصب او خارجاً عنهُ. ومن حين أُلفت الوزارة الاولى الدستورية في اليابان وهو الرئيس لها فعلاً ان لم يكن اسماً لانهُ اذا اريد تأليف وزارة جديدة ليس هو رئيساً لها فاول شيءٍ يفعلهُ الوزير المكلف بتأليفها انهُ يزورهُ ويستشيرهُ في الذين يختارهم لوزارتهِ . واهالي اليابان كبيرهم وصغيرهم يثقون بهِ ثقة تامة ولو تحاملت عليهِ الجرائد الصغيرة من وقت الى آخر وطعنت عليهِ حتى يقال انها لا تهاب شأن العظماء

والامبراطور يثق بهِ كما تثق بهِ الامة ويعدهُ صديقاً حميماً لهُ وهذا يزيدهُ رفعة في عين الامة لانها تنظر الى امبراطورها نظر العابد الى المعبود فلا تستطيع الاَّ استحسان ما يستحسنهُ

وحاول المستر ستد تشبيه المركيز ايتو بيسمارك وبنابوليون الاول ثم قال انهُ لم يقم في اوربا رجل يشبههُ تماماً بل هو منقطع النظير كما ان ارتقاء اليابان السريع منقطع النظير فانها نشأَت من لا شيءٍ تقريباً وفي ثلاثين سنة قبضت على ميزان القوة في الشرق الاقصى وللمركيز ايتو الفضل الاول واليد الطولى في هذا النشوء والارتقاء وما من احد بلغ الستين فقط من عمرهِ وهو يستطيع ان ينظر الى ماضي بلادهِ ويرى فيها الفرق الذي يراهُ هذا الوزير الآن

وهو بعيد عن الدعوى تكلمهُ في شؤُون بلادهِ فلا تسمع منهُ كلمة عجب . اتى انكلترا اول مرة سنة ١٨٦٣ في سفينة شراعية لطلب العلم وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة . ولما عاد الى بلادهِ ظهرت نجابتهُ في المذاكرات مع السفراء فولي عملاً متصلاً بمرفإٍ أُعطي للاجانب ثم جعل وكيلاً لناظر المالية سنة ١٨٧٠ فذهب الى اميركا ليدرس الشؤُون المالية فيها وبعد ثلاث سنوات جعل ناظراً لنظارة الاشغال العمومية وعمرهُ اثنتان وثلاثون سنة وسنة ١٨٨٥ عهد اليهِ في تأليف وزارة جديدة وبقي رئيساً للنظار ثلاث سنوات واعيد الى رئاسة النظارة سنة ١٨٩٢ فادار رحى الحرب الصينية اليابانية وبقيت وزارتهُ الى سنة ١٨٩٦ ورقي حينئذٍ الى رتبة مركيز ودعي لتأليف الوزارة ايضاً سنة ١٨٩٨ و ١٩٠٠

وقد اوفدهُ الامبراطور الى اوربا واميركا مراراً في مهام السلطنة ولاسيا سنة ١٨٨٢

حين اوفده ليبحث في تأليف دستور يوافق بلاد اليابان ثم اوفده اخيراً لعقد المعاهدة الانكليزية اليابانية وهي المرة الخامسة التي زار فيها اوربا في مهمة سياسية

اما انشاؤه الدستور الذي قلب بهِ حكومة اليابان من الحكم الاستبدادي المطلق الى الدستوري المقيد فلم يكن بالامر السهل وقد قال عنه ما ترجمته

« لقد كلفني هذا العمل عناءً كثيراً فانه لم يكن في اليابان دستور استرشد بهِ الى معرفة الامور التي لا بدَّ منها . ولما اقررت على ما ظننته لازماً للبلاد كنت في ريب من إمكان العمل بهِ وكان لا بدَّ من احكام قواعده حتى تكون ثابتة لا تتغير وذلك يستلزم النظر في عواقبها قبل الاقرار عليها وكان لا بدَّ من الاحتفاظ بكل حقوق الامبراطور المقدمة . وقد قمت بالعمل الذي طلب مني ويسرني ان الدستور الذي وضعته لبلادي لم تدع الحاجة الى تغيير شيءٍ منه حتى الآن »

وصرف همه الى اصلاح الحربية والبحرية فتمكن من قهر الصين وهو الذي جعل في اليابان عمارة بحرية تضاهي عمارات الدول الاوربية

وسنة ١٩٠٠ انشأ حزباً سماه المجتمع السياسي الدستوري وقال في المنشور الذي نشره على اعضائهِ ما ترجمته « اذا كان قصد الحزب السياسي ان يكون مرشداً لبلاده كما هو الواجب على كل الاحزاب السياسية وجب عليهِ اولاً ان ينظم نفسه تنظيماً تامًّا وان يخلص الخدمة لبلاده وان يتجنب الخطأ الفاحش وهو اعطاء الوظائف لغير الاكفاء لكونهم من حزبهِ»

هذا من حيث كونه زعيماً سياسياً اما من حيث كونه رجلاً في هيئة اليابان الاجتماعية فقد زاره المستر ستد في مصيفهِ قرب توكيو فقابله في القسم الاوربي منه لان منازل الكبراء في اليابان فيها قسمان قسم اوربي وقسم ياباني وجلس معه في غرفة تطلُّ على جبل فوجياما وهناك نظارتان يرى بهما الحجاج وهم صاعدون على ذلك الجبل ومائدة عليها كثير من الجرائد والمجلات الانكليزية لانه كثير المطالعة . فتكلم عما تمَّ في اليابان من التقدم السريع وقال ان كل ما اقتبسناه من الاوربيين صبغناه بالصبغة اليابانية قبل اقتباسهِ وكذا فعلنا بكل ما اقتبسناه قبله كمذهب بوذه ومذهب كنفوشيوس هذا كان شأننا في الماضي وسيبقى كذلك . ولام المرسلين الذين اتَّهموا اهالي اليابان بفساد الآداب وقال انه مسرور لانه ليس في بلاده ديانة ظاهرة بل فيها قواعد ادبية توجب على المرء ان يكون عادلاً مستقيماً فهي في غنىً عمَّا في بعض الاديان من الاوهام والخرافات

قال المستر ستد دُعينا للطعام فخرجنا الى حديقة غناء تعتني زوجة المركيز بما فيها من

الازهار ونقضي اكثر وقتها فيها ومررنا الى ان بلغنا القسم الياباني من بيته ودخلنا غرفة المائدة فاذا الطعام كلهُ اوربي من آخر ما يكون والغرفة نفسها مزدانة ابدع زينة وفيها كثير من الازهار التي رتبتها زوجته . ودار الكلام بعد الطعام على الصين فقال ان لا بدَّ لها من امبراطور حازم والاَّ مزَّقتها الفوضى سنين كثيرة الى ان يقوم فيها زعيم قادر على لمّ شعثها وانقاذها من الدمار . ومن رأيهِ انهُ لا يمكن اصلاح الجنود الصينية ما دام قوادها من الصينيين

وزار عواصم اوربا بعد ذلك ولقي الحفاوة والاكرام من ملوكها ولاسيما من قيصر روسيا وامبراطور المانيا وملك ايطاليا ووصل الى لندن في اواخر دسمبر سنة ١٩٠٢ وعلى اثر زيارتهِ عُقدت المحالفة بين انكلترا واليابان

وارسلتهُ اليابان الى سئول عاصمة كوريا مدة الحرب بينها وبين روسيا لكي يفض ما بينها وبين كوريا من المشاكل ثم انابتهُ عنها في بلاط امبراطور كوريا كجنرال مقيم وعهدت اليهِ بتدبير امور البلاد فلا يجري امرٌ هامٌّ في حكومتها الا بمصادقتهِ وفقاً للمعاهدة التي امضيت بينها وبين كوريا في ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٧



موسم القطن الهندي

قدرت الحكومة الهندية موسم القطن الهندي في شهر مارس الماضي ٣٦٤٣٠٠٠ بالة وفي كل بالة ٤٠٠ ليبرة لكن الموسم بلغ ٤٦٣٠٠٠٠ بالة فزاد ٩٨٧٠٠٠ عما قدر بهِ اي نحو اربعة آلاف قنطار مصري . وقد بلغ محصول المواسم الخمسة الماضية ما تراهُ في هذا الجدول وكل موسم منها ينتهي ٣٠ يونيو

٣٠ يونيو سنة ١٩٠٤ بلغ الموسم	٤٤٦٦٠٠٠
" " " ١٩٠٥ " "	٤٠٢٣٠٠٠
" " " ١٩٠٦ " "	٤٧٥٢٠٠٠
" " " ١٩٠٧ " "	٥١٦٢٠٠٠
" " " ١٩٠٨ " "	٤٤٠١٠٠٠
" " " ١٩٠٩ " "	٤٦٣٠٠٠٠

وكان تقدير الحكومة دائماً دون الحقيقة بنحو ٢٥ في المئة . كأن المزارعين الذين تعتمد على اقوالهم يقدرون الموسم باقل مما هو رغبة في زيادة اسعاره

وقد تضاعف محصول القطن في بلاد الهند منذ ٢٥ سنة الى الآن فكان اولاً نحو مليونين وربع مليون بالة فصار الآن اربعة ملايين ونصف مليون بالة او اكثر

ومما يستحق ان يقع موقع الاعتبار في القطر المصري ان اكثر من نصف القطن الهندي يغزل وينسج في بلاد الهند نفسها وما بقي منهُ يرسل اكثره الى قارة اوربا والى الشرق الاقصى ولا يرسل منهُ الى البلاد الانكليزية الا جانب صغير جدًّا نحو سبعين او ثمانين الف بالة

محصول القطن الاميركي

بلغ موسم القطن الاميركي الذي انتهى في ٣١ اغسطس ١٣٫٨٠٠٫٠٠٠ بالة فهو اكبر موسم استغلَّ من اميركا حتى الآن . وكانت حالتهُ في اول سبتمبر سنة ١٩٠٨ حسب تقدير مكتب الزراعة الاميركي ٧٦٫١ وكانت حالة موسم هذا العام ٦٣٫٧ ولذلك يقدَّر نقص موسم هذا العام عن موسم العام الماضي مليوني بالة او اكثر من كل موسم القطر المصري . وهذا هو سبب الارتفاع الكبير في سعر القطن

القطن المصري

اما موسم القطن المصري فلا يعلم مقدارهُ حتى الآن ولكن لا شبهة في ان الدودة والندوة اضرَّتا بهِ في جهات كثيرة ولولا ذلك لزاد على سبعة ملايين من القناطير اما الآن فالمبالغون في جودتهِ لا يقولون انهُ يزيد على ستة ملايين وثلاثة ارباع المليون ويقول غيرهم انهُ لا يبلغ ستة ملايين . وهب انهُ بلغ ستة ملايين قنطار فقط فالاسعار الحاضرة توصل ثمن المحصول الى نحو ثلاثين مليون جنيه اي ان القطر المصري سيأخذ ثمن ما يصدر منهُ من موسم هذا العام مع اجرة حلجهِ وشحنهِ وربح السمسار والتاجر الخ نحو ثلاثين مليوناً من الجنيهات او اكثر يوفي بها ثمن الواردات وفائدة دين الحكومة والاهالي

زراعة القمح في مصر

بلغ ثمن ما ورد من القمح الى القطر المصري في الستة الاشهر الاولى من هذه السنة ٤١ الف جنيه وما ورد من الذرة ١١٠ آلاف جنيه وما ورد من الشعير ٩٨ الف جنيه وما

ورد من الطحين مليونًا و ٣٤٣ الف جنيه والجملة نحو مليون وستماية الف جنيه وهو مقدار كبير جدًّا يزيد على ايجار مئتي الف فدان من اجود الاطيان · افلا يمكن ان يعتنى بزراعة القمح في القطر المصري حتى يكفى موُّونة جلب الطحين من الخارج . وهل من ذلك زيادة في الربح لهُ او هو خسارة لا يندب اليها · فلا يخفى ان اطيان القطر التي يمكن زرعها وريها الآن تزرع كلها فاذا اردنا ان تزرع مئتي الف فدان أُخرى قمحًا وجب ان نهمل زرعًا آخر مما تزرع بهِ تلك الاطيان الآن فهل الاربح للقطر المصري ان يكثر من زرع القمح او الاربح لهُ ان يكثر من زرع القطن او نحو ذلك من المزروعات التي تزرع الآن · ولقد حاول البعض ان يصلحوا قمح القطر المصري بزرع القمح الصلب فيهِ اي القمح الاصفر الشفاف وهو يقابل القمح السلموني في الشام والقمح الصعيدي المواني في القطر المصري او القمح المندي الذي شاعت زراعتهُ حديثًا في بعض جهات القطر

والمزارعون في القطر المصري يهتمون اولاً بكثرة المحصول وثانيًا بكثرة تبنهِ ليكون علفًا للمواشي ولا بدَّ من ان يكون القمح مما لا يضربهُ العفن فان القمح المصري موقيٌّ من هذه الآفة ولكن القمح الاجنبي غير موقيٍّ منها

وتوجد انواع كثيرة من القمح معروفة بغزارة محصولها وكثرة تبنها وامتناعها على العفن ولكن قد لا يصلح لها اقليم القطر المصري · وقد ظهر من التجارب المختلفة ان القمح المندي والقمح الجزائري اصلح من غيرهما لاقليم مصر وفيهما الخواص المشار اليها آنفًا

والقمح المصري ثلاثة انواع وليس فيها نوع فيهِ الصفات التي توَّهلهُ لان يصير من الانواع البالغة في الجودة فالنوع الذي سنابلهُ محشوكة الحب لا يصلح للتصدير لان حبوبهُ غير منتظمة في جرمها والانواع التي سنابلها غير محشوكة الحب قمحها لين وهو لا يصلح للتصدير الى اوربا حيث تطلب الانواع التي قمحها صلب

اما القمح المندي الذي زرع في القطر المصري فاجود من القمح المصري وقد أُدخل الى هذا القطر من عهد غير بعيد في اواخر القرن الماضي فاتسعت زراعتهُ ولكنهُ لم يبقَ على جودتهِ الاولى بتوالي زرعهِ في هذا القطر ولا بدَّ من اصلاح هذا الامر قبلما يصير القطر المصري قادراً على اصدار القمح · وثقل الاردب من القمح المندي ٣٥٠ رطلاً ومن القمح المصري ٣٢٩ رطلاً فقط

ولا يعلم تمامًا مقدار محصول القطر من القمح ولكن يعلم ان مساحة الارض التي تزرع قمحًا في الوجه القبلي والوجه البحري تبلغ نحو مليون وربع من الافدنة فاذا حسبنا متوسط

غلة الفدان اربعة ارادب ونصف اردب فالمحصول كلهُ نحو خمسة ملايين ونصف مليون اردب ثمنها حسب الاسعار الحاضرة نحو ثمانية ملايين جنيه عدا ثمن تبنها

وزراعة القمح ليست دون زراعة القطن لان الفدان الذي يبلغ محصولهُ ثلاثة قناطير من القطن يبلغ محصولهُ خمسة ارادب من القمح على الاقل ثمنها بالاسعار الحاضرة مع ثمن تبنها نحو الف غرش والقمح ليس معرَّضاً للآفات كالقطن ولا يقتضي زرعهُ وخدمتهُ نفقات كثيرة مثلهُ . واذا امكن زرع القمح الجيد الذي يطلب في اسواق اوربا حتى لا يكسد في القطر اذا زاد عن المقطوعية المحلية ففي تعميم زرعهِ فائدة كبيرة للقطر لانهُ لا ينتظر ان يهبط ثمنهُ كثيراً مهما جادت المواسم في الدنيا . وزد على ذلك انهُ اذا اجيدت زراعة القمح بلغ محصول الفدان عشرة ارادب كما في قمح فنلند الذي يزرع في انكلترا. والقطر المصري من اصلح البلدان لزرع القمح فلا مانع يمنع ان تصير غلة الفدان فيهِ عشرة ارادب فاكثر

حقائق عن القطن

قدَّر محل اليزون الاحصائي المقطوعية التي لا بدَّ منها من القطن الاميركي بنحو ١٢٦٦٥٠٠٠ بالة ومن القطن المصري بنحو ٩٥٠٠٠٠ بالة وقد قدَّر المقطوعية من الموسم الماضي من القطن الاميركي ١٢٤٣٨٠٠٠ بالة فكانت ١٢٨٧٦٠٠٠ وقدَّرها من الموسم الذي قبلهُ ١٢٥٠٠٠٠٠ فكانت ١٢١٢٧٠٠٠ ولذلك فتقديرهُ يقرب من الحقيقة فيزيد عليها او ينقص عنها اقل من نصف مليون بالة

والظاهر ان المقطوعية من القطن المصري تزيد الآن عمَّا كانت عليهِ في العام الماضي والذي قبلهُ فقد اخذت معامل انكلترا منهُ حتى الخامس والعشرين من اكتوبر ٣١٠٠٠ بالة واخذت في العام الماضي الى هذا التاريخ ٢٤٠٠٠ بالة وفي الذي قبلهُ ٣٠٠٠٠ بالة . ونقص المخزون من القطن المصري هذا العام عما كان عليهِ في العام الماضي وما قبلهُ فبلغ هذا العام ٤٩٠٠٠ بالة وكان في العام الماضي ١٥٤٠٠٠ بالة وفي الذي قبلهُ ١٨١٠٠٠ بالة وقد بلغت اسعار الكنتراتات حتى كتابة هذه السطور في ١ نوفمبر ٢٢ ريالاً ونصف لينابر و ٣٠ ¼ لنوفمبر من الموسم المقبل دلالةً على ان تجار القطن يحسبون ان قلة الموسم الاميركي هذا العام سترفع سعر القطن في العام المقبل ايضاً



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصلٍ واحدٍ فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

حرية الارادة

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اني اشكركم على ما اجبتموني بهِ عن سؤالي واستأذنكم في ابداء ملاحظة صغيرة فاقول

لقد حررتم الانسان من وجوه وقيدتموهُ من وجوه ولا استطيع ان افهم كيف يكون الانسان حرًّا ومقيداً معاً في وقت واحد . فاذا كانت الصفات التي ورثها من اسلافهِ راسخة فيهِ لا يستطيع تغييرها وهي نفسها قد رسخت فيهم لاسباب طبيعية فكيف يستطيع ان يمنع رسوخ صفات أُخرى فيهِ وهو ليس حرًّا في مجيئهِ الى هذا العالم ولا في ذهابهِ منهُ وهو خلاصة والديهِ واسلافهِ يولد كما شاءت الطبيعة فربما ولد كسيحاً لا قوة لهُ او جباراً عظيم القوة او ابله او فيلسوفاً او مؤمناً او كافراً فهل يلام اذا ولد مقعداً او ابله وهل يشكر اذا ولد جباراً او فيلسوفاً فالمقعد لا قوة لهُ على القيام والابله لا قوة لهُ على الفهم . وقد يوجد البطل في عصر لا يستطيع فيهِ السيادة و يوجد مَن هو اقل منهُ بأساً في عصر آخر فيسود ويحكم العباد . والانسان نتاج الطبيعة في كل حال من احوالهِ حتى في ادق اعمالهِ فاذا قلنا انهُ حرٌّ في ان يعمل هذا العمل او ذاك ويبني هذا او ذاك ويتكلم الصدق او الكذب وجب علينا ان نبين كيف استمدّ تلك القوة فاذا كانت الموهبة والقوة والارادة وجدت كلها فيهِ بقوة طبيعية فهو اذاً آلة في يد الطبيعة وليس حرًّا البتة . واذا كان بأكلهِ هذا الشيء او ذاك يمرض ومرضهُ جزاء عملهِ فاين الحرية لمن ينال القصاص واذا كان مرض الانسان وموتهُ جزاء تجاوزهِ السنن الطبيعية فما هو ذنب الاشجار في اعتلالها وموتها هل اعتلالها وموتها جزاء تجاوزها السنن

الطبيعية او ذلك سنة طبيعية · وقد رسخ في الاذهان ان الانسان حرٌّ يفعل كما يشاء لكني لا اظن ان احداً يستطيع ان يبرهن ذلك

شحاده خليل مالك

[المقتطف] اذا ابدلتم كلمة « جزاء » بكلمة « نتيجة » لم تبقَ صعوبة في تطبيق كل ما ذكرتموهُ على القاعدة التي ذكرناها وهي ان صفات الانسان وافعالهُ واميالهُ بعضها راسخ فيهِ يتعذَّر عليهِ تغييرهُ وبعضها غير راسخ حتى الآن فيسهل عليهِ تغييرهُ اي يسهل عليهِ العمل بهِ او عدم العمل بهِ · والاحياء كلها تحت سلطة قوتين طبيعيتين قوة تميل بها الى التغيير المستمر وقوة تقاوم قوة التغيير وتميل بها الى الاحتفاظ بحالتها الحاضرة واستمرارها بالوراثة · فاذاحدث في الحي تغيرٌ ما واَّد فيهِ صفة جديدة حتى اذا لم يحدث لهُ ما يغير هذه الصفة بل حدث ما يبقيها فيهِ ودام ذلك سنة بعد اخرى وقرناً بعد آخر فان تلك الصفة تثبت فيهِ ويصير تغييرها صعباً او متعذراً مع انهُ كان في اول الامر سهلاً ميسوراً · وفي الانسان صفات كثيرة من هذا القبيل موروثة من اسلافهِ وراسخة فيهِ فيتعذَّر عليهِ تغييرها وفيهِ صفات اخرى موروثة ايضاً ولكنها غير راسخة إما لانها غير قديمة او لانهُ حدثت اسباب اضعفتها فلا يتعذَّر عليهِ مقاومتها بارادتهِ ولا تظهر هذه المقاومة الاَّ في الانسان من كل انواع الحيوان

ولقد قلتم انكم لا تفهمون كيف يكون الانسان حرًّا ومقيداً في وقت واحد · لكن ذلك سهل الفهم لان ليس المراد ان الانسان حرٌّ ومقيد في الشيء الواحد في وقت واحد بل هو حرٌّ في اشياء ومقيد في اشياء اخرى كما يكون مثلاً غنياً في عقلهِ وفقيراً في مالهِ · ورسوخ الصفة لا يأتي دفعةً واحدةً فان للصفة كمًّا كما لكل شيء يزيد وينقص فاذا فرضنا انها مؤَلفة من الف جزء من الاجزاء فيرسخ جزءٌ منها في زيد وينتقل الى ابنهِ ويزيد فيهِ جزءٌ آخر وينتقل الجزءان الى ابن ابنهِ ويزيد فيهِ جزءٌ ثالث وهلمَّ جرًّا الى ان تستكمل الصفة قوتها · ومقاومة الصفة كلها صعب ولكن مقاومة جزء واحد منها او اجزاء قليلة منها اقل منهُ صعوبة فالميل الى اكل اللحم موجود في الانسان ولكنهُ ليس راسخاً فيهِ رسوخ الميل الى شرب الماء ولذلك تراهُ يستطيع ان يمتنع عن اكل اللحم دواماً ولو بصعوبة ولكنهُ لا يستطيع ان يمتنع عن شرب الماء دواماً · والظاهر انكم حسبتم اننا نريد بالمسؤُلية المسؤُلية الادبية الدينية فنحن لم نرد ذلك بل اردنا النتيجة المترتبة على العمل وكون الانسان هو المسبب لها اذا كان العمل مما يستطيع ان يعملهُ ويستطيع ان لا يعملهُ وعليهِ لا يكون مرض مَن يأ كل طعاماً ضارًّا قصاصاً ادبياً لهُ بل نتيجة مترتبة على عملهِ او على طاعتهِ للدافع الطبيعي الذي دفعهُ الى اكل الطعام الضار

مركز المرأة

« المرأة من حيث مرتبتها في الوجود مدعوة الى عمل مختص بها خارج عن دائرة اعمال الرجل » تولستوي

« المرأة للدار والرجل للمعامل وميادين القتال » رسكن

قرأت ما جاء في مقتطف اكتوبر تحت عنوان « اعمال النساء » وسوءالهُ في الاخر « فهل الاصلح للامة كلها ان يحصل نساؤُها معيشتهنَّ بعملهنَّ كالرجال او الاصلح لها ان ينقطع نساؤُها لتدبير بيوتهنَّ وتربية اولادهنَّ » . ولما اراهُ في بعض فتياتنا العصريات من الميل الى الخروج عن الحد المرسوم لهنَّ طبيعياً رأيتُ ان اقول هذه الكلمة البسيطة

قبل ان اخط حرفاً في جوهرهذه القضية اسلم تسليماً كلياً مع القائلين بان للمرأة ما للرجل من كل الحقوق ولها ان تشغل ما يشغلهُ من الوظائف والقيام بالاعمال على صنوفها واسلم معهم بان للمرأة ما للرجل من قوة العقل والادراك الى آخر ما يطلبون من هذا القبيل فضلاً عن ذلك اطلب من الذين يبحثون في هذه القضية بحثاً فسيولوجياً — ابسيكولوجياً . ان يسلموا معنا ولو مناً وكرماً منهم بما تقدم وليحصروا البحث في نقطة النقط وهي نقطة النظام الاجتماعي

من المسلم بهِ عقلاً ونقلاً ان من انقطع لشيء احسنهُ ومن شغل نفسهُ بوظيفتين رئيستين لم يحسنهما . ولكل من المرأة والرجل وظيفة طبيعية رئيسية واحدة واذا ترك احدهما وظيفتهُ الطبيعية اخلَّ بها لخروجهِ عن حد النظام المرسوم لهُ واختل نظام الاجتماع وفقاً لذلك بلا جدال وقد يؤُول امرهُ الى الفناء

ولنا في الطبيعة من نظام الفلك ودورة الكواكب والاجرام كما لنا في فصول السنة الاربعة كما لنا في النبات والحيوان نظام حكيم اوجدتهُ الحكمة الفائقة درساً لنا ومثالاً لتعلمنا قوة عمل النظام في حياة الكون

لكل انسان الحرية في ان يعطي المرأة ما شاء من الوظائف ولكن وظيفتها « ام » « وزوجة » ولا يجب ان تكون غير ذلك اذا كانت تصلح لغيرهِ كما يقضي بذلك حكم تكوينها الطبيعي اولاً وحكم نظام الاجتماع ثانياً . وبرهان ذلك اولاً ان المرأة اذا ضمت الى وظيفتها وظيفة الرجل مع العلم ان وظيفتها عظيمة وشاقة ووظيفتهُ كذلك فكأنها وضعت فوق عنقها نيراً فوق نيرها ولا ادري كيف ان امرأة ترهق نفسها باعمال الرجل تستطيع احتمال الحَمل وآلام الوضع ولا كيف تحسن تربية اولادها وتدبير منزلها حين قيامها بعمل الرجل

ثانياً · ان كل امرأة تشغل مركزاً من مراكز الرجل فهي قد اخلتهُ منهُ وبالتعبير الصريح طردتهُ منهُ ومتى تعدد ذلك اصبح الرجال خلواً من الاعمال واذا قوي تيار ذلك الامر انعكست الاية واصبح الرجل ذنباً والمرأة رأساً واصبحت هي التي تسعى في مجاهل الارض لاعالتهِ بعد ان كان ذلك من امرهِ كما هي الحال في مصر بين رعاع المصريين اذ تشتغل المرأة ولو فيما يندي الجبين خجلاً وتعول الرجل وهو جالس مع رفاقهِ في المحاشش

واثباتاً لما تقدم اذكر عبارة قرأتها في احدى الجرائد الانكليزية محصلها

« قبض البوليس على رجل كان يحاول خطف رغيف ولما مثل امام القضاء قال : يقولون ان الله يساعد من يساعد نفسهُ وانا ما طرقت باباً الاَّ وجدتهُ مغلقاً في وجهي فقد ذهبت الى مصلحة التلغرافات لعلّي اجد عملاً اشتغل بهِ فوجدت كل الاشغال بيد النساء · طرقت السكك الحديدية فما وجدت سوى يد المرأة قابضة على زمام اغلب الاعمال · ذهبت الى المحال التجارية فوجدت النساء بايديهنَّ معظم الاعمال والمحال تموج بهنَّ جيئة ورواحاً وهكذا كلما طرقت باباً وجدت المرأة من خلفهِ فلم استطع الاَّ ان اخطف رغيفاً اسد بهِ جوعي فقيل لهُ : ولكن قبل ان تساعد نفسك بخطف الرغيف يجب ان تقضي في السجن ستة اشهر · ثم سيق الى السجن »

واظن مثل هذا الامر غير محتاج الى تفسير وشرح بل هو ناطق بان المرأة اذا خرجت عن الحد المرسوم لها فقد عرضت الاجتماع للتقوُّض والفناء · وعلى ذلك اقول ان الاصلح للعالم وليس للامة فقط ان ينقطع النساء لتدبير بيوتهنَّ وتربية اولادهنَّ فتكون الامرأة امرأة بالمعنى الصحيح

اكتفي بما تقدم ومن شاء ان يناقشني فليبرهن اولاً كيف تستطيع المرأة ان تكون اماً وزوجة وهي تقضي نهارها وليلها خارج منزلها وكيف تحسن تدبير منزلها وتربية اولادها وهي تشتغل بعمل آخر

كامل جرجس

مساحة البلاد العربية

سيديَّ منشئي المقتطف المحترمين

رأيتُ في الجزء السادس من المجلَّد الرابع والثلاثين من المقتطف كلاماً للباحث العثماني في مساحة الولايات العربية وعدد سكانها فانتظرتُ ان اري حضرتهُ يذكر بين البلاد العربية

جزءاً كبيراً من ولايتي ديار بكر وبدليس وهو الجزء من الولايتين الذي يتكلم سكانهُ باللغة العربية وعدهم نحو ثلاث مئة الف نفس على اقل التقدير ولكن حضرتهُ لم يذكر ذلك ولعلهُ لم يبلغهُ ان في هاتين الولايتين من يتكلمون بالعربية ولا عجب في ذلك فان وسائط معرفتنا بلادنا قليلة. فأستأذن حضرتهُ في زيادة الجزء المشار اليهِ من الولايتين المذكورتين على البلاد العربية التي ذكرها وفي ضم ثلاث مئة الف نفس على عدد المتكلمين بالعربية في بلادنا العثمانية

عمانوئيل قرياقس

مديات (ما بين النهرين) اناويس

سياحة الخوري الياس الموصلي

سيدي منشئ المقتطف

اجابة لسؤالكم عن حجم كتاب سياحة الياس بن حنا الموصلي الكلداني اخبركم انهُ ثمانية عقد وربع في ست وربع وفي كل صحيفة ثمانية عشر سطراً وعدد الصفحات المكتوبة مئة وتسعة وثلاثون ولو طبع بحرف المقتطف وحجمهِ لبلغ ستين او خمساً وستين صفحة

وتبتدئ الديباجة بقول المؤلف: «الحمد لله الذي خلق البرايا بحكمتهِ ...» وفي آخر الكتاب هذه العبارة: «قد تكمل هذا الكتاب بعون الله الوهاب في بورط صانتا ماريا التي هي مقابلة لمدينة كادس على يد الحقير الكواليير اندراوس بن مقدسي عبدالله الكلداني في اول يوم شهر آذار المبارك سنة الف وسبعمائة تسعة وتسعين في اول نساختهُ . ونساختهِ الثانية في كانون الاول من سنة ١٧٥١ والحمد لله دائماً» ثم: «دفع شماس كوركيس لشماس حنا عشرين بغدادية ثمن نسخ هذا الكتاب»

ويقول صاحب كاتالوج المكتبة ان هذه النسخة منقولة عن نسخة في الشرق ولكنهُ لم يذكر البلد

لندن سلامه موسى

[المقتطف] وجاءنا من حضرة الكتبي المشهور جرجي افندي غرزوزي ان الكتاب المشار اليهِ طبع في بيروت وبعث الينا بنسخة منهُ وعليها حواشي للاب انطون رباط

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

نوابغ نساء العصر

فلورنس نيتنغايل

نشرنا ترجمة هذه السيدة الفاضلة في المجلد الثالث والثلاثين والصفحة ٣٣٤ من المقتطف وقلنا هناك ان ملك الانكليز منحها نشان الاستحقاق الذي لم يمنحهُ الاَّ للاربعة والعشرين الذين هم اعظم رجال مملكتهِ مثل لورد كلفن الطبيعي الشهير والسر وليم هيجنس الفلكي الشهير ولورد كروس ولورد كتشنر . والظاهر انهُ لم يكن في الحسبان انهُ يعطيهِ لامرأة لكن فلورنس نيتنغايل استحقتهُ باعمالها المبرورة كما استحقت ان تمنح حرية مدينة لندن ولم تمنح هذه الحرية لامرأة قبلها الاَّ للبارونة بردت كوتس التي اشتهرت بصداقتها الكثيرة . وقد بلغت فلورنس نيتنغايل التاسعة والثمانين في شهر مايو الماضي

البارونة غربنبرج

يقال ان نساء فنلندا التابعة لروسيا بارينَ الرجال في كل الاعمال فتراهنَّ في المخازن والدكاكين والبنوك والمدارس والمكاتب . ويحقُّ لهنَّ ان يكنَّ نائبات في مجلس النواب وقد كان في مجلس نواب فنلندا ٢٥ من النساء ومنهنَّ البارونة غربنبرج وهي طويلة القامة صبيحة الوجه شائبة الشعر قوية العارضة في الخطابة ابوها البارون غربنبرج عضو في مجلس الشيوخ في فنلندا . ساحت في انكلترا والولايات المتحدة للبحث عن الاحوال الاجتماعية والمعاشية واشتركت في تأسيس جمعية النساء الدولية في مدينة وشنطون سنة ١٨٨٨ ولما عادت الى وطنها رأست جمعية اعطاء النساء حقوق الانتخاب ولا تزال رئيسة لها الى الآن وانشأت مجلة في هذا الموضوع ولم تزل تكتب وتخطب حتى اعطي نساء بلادها حق الانتخاب لمجلس النواب فينتخِبنَ ويُنتخَبنَ

كرستل مكملن

خطيبة اسكتلندية مشهورة دافعت عن حقوق النساء في شهر نوفمبر الماضي في مجلس الاعيان وكان مجتمعاً كمجلس استئناف أعلى وبقيت تخطب ثلاث ساعات ونصف ساعة وهي تسرد الدليل تلو الدليل والحجة بعد الحجة ووزير الحقانية يصغي الى اقوالها ولم يعترضها مرة واحدة ولا هي تلعثمت في كلمة واحدة وكان موضوع دفاعها ان لنائلات الدبلوما من جامعات اسكتلندا حق الانتخاب مثل نائلي تلك الدبلوما

الدكتورة غرت اندرسن

هي اول سيدة انكليزية انتخبت لرئاسة مجلس بلدي في مدينة من مدن الانكليز وكان انتخابها لهذه الرئاسة في شهر نوفمبر الماضي . كان ابوها من قبلها رئيساً للمجلس البلدي في تلك المدينة وتلاهُ اخوها في الرئاسة ثم تلاهُ زوجها . ولكن رئيس المجلس البلدي في بلاد الانكليز يقضي بين الناس اما هي فلم تعطَ حق القضاء حتى الآن لانهُ مختص بالرجال . وهي اول دكتورة اجيز لها تعاطي صناعة الطب في البلاد الانكليزية وبقيت سنين عديدة تمارس التطبيب في لندن ولا طبيبة فيها غيرها

الدكتورة انا شو

هي لاهوتية اميركية وتلقَّب بفم الفضة الاميركية لبلاغة مواعظها . درست علم اللاهوت في جامعة بوستن ونالت منها الدبلوما وسيمت للخدمة الدينية في كنيسة المثودست وهي الآن رئيسة جمعية المطالبات بحقوق الانتخاب

اللباقة والجمال

كتبت احدى السيدات في جريدة المرأة تقول « رأيت فتاة من بنات عمي فوجدتها كاسفة البال حمراء الانف مستسلمةً لليأس لا ثيابها لابقة ولا شعرها منتظم ولا وجهها بشوش فقلت لها على مَ لا تصلحين شأنكِ فاجابت كيف اصلحهُ وهل في يدي تغيير خلقتي فقلت لها اعملي بما اقولهُ لكِ وانا الكفيلة باصلاح شأنكِ فقالت لي افعلي ما تشائين وانا طوع امركِ . فحللت شعرها وكانت تجمعهُ وتعقصهُ فوق نقرتها ثم رفعتهُ الى اعلى رأسها وجمعتهُ وانزلتهُ على

وجهها ثم رفعتهُ وعقصتهُ حتى بقي جانب منهُ مكللاً وجهها فتحسن منظرهُ كثيراً ومنعتها عن الاكل الثقيل في المساء وعن اكل الحلوى على انواعها وجعلتها تقتصر على اللبن والخبز الاسمر الجيد والسمك والخضر والفواكه وتكثر من شرب الماء بين طعام وطعام وكانت مصابة بسوء هضم فشفيت منهُ وزال احمرار انفها وزالت الكآبة من وجهها والزمتها بالخروج من البيت كل يوم ولو ساعة من الزمان وجعلتها تفتح شباكاً في غرفتها ليلاً وهي نائمة وتعمل جانباً من اعمال البيت كالكنس وترتيب الاسرَّة وتمرّن عضلاتها ببعض التمارين الرياضية واشرت عليها بابتياع الثياب التي تناسب شكلها وقامتها . فصارت كأنها شخص آخر منتصبة القامة بشوشة الوجه طلقة المحيا وصار يسهل عليها ان تتكلم مع الذين يكلمونها وتباسطهم في الكلام ولم يمضِ عليها بضعة اشهر حتى ملأت عيني شاب من درجتها فخطبها وتزوج بها

الرياضة للنساء

يراد بالرياضة ما يسمَّى بالجمنستيك وهو حركات منتظمة لتقوية عضلات الجسم وتمرينها على الاعمال الشاقة ولو لم تبقَ بها القامة جميلة معتدلة وهذا ليس ما يطلب في رياضة النساء وانما يطلب في رياضتهنَّ جودة الصحة واعتدال القامة والقوام ولا تجود الصحة الأَّ اذا تنقى الدم بالتنفس الصحي وتقوت العضلات التي تساعد على هذا التنفس فان المرء قد يروّض جسمهُ كثيراً ولا تكون رياضتهُ مما يحسن صحتهُ وقوامهُ . فالفتاة التي تريد ان تستفيد من الرياضة لا يطلب منها ان تحرك حركات عنيفة تقوي يديها ورجليها بل يطلب منها ان تقوي عضلات صدرها حتى يجود تنفسها وتنتصب قامتها و يعتدل قوامها

الالعاب الرياضية

قلما يعتني الشرقيون بالرياضة البدنية لاسيما في المدن الكبيرة وهي ضرورية جدًّا للذين لا يتعاطون اعمالاً بدنية وهم كثيرون في مدينة مثل مصر القاهرة . فمنهم موظفو الحكومة وارباب الاقلام والتجار وخلافهم وقلما تجد بين هؤُلاء من يقضي اوقات الفراغ في الرياضة البدنية فاذا انصرف الواحد منهم من اشغالهِ ذهب الى القهوة او غيرها من محلات اللهو بينما نرى كثيرين من الاجانب يصرفون زمناً معيناً من اوقات الفراغ عندهم في الرياضة البدنية . وقد سرّنا ان بعض الشبان من اعيان المصريين اخذوا يهتمون بالرياضة البدنية وقد نال احدهم منذ نحو اسبوعين الجائزة الاولى في صند الحمام . فاتقان الصيد والسباحة

وركوب الخيل ولعب السيف وما اشبه من الامور المستحبة في الرجال وبعضها يستحب في النساء ايضاً هذا فضلاً عن فائدتها صحياً وادبياً فانها تمنع الشبان عن بعض الملاهي المنكرة التي لا تجلب لهم سوى الاضرار المادية والادبية

والالعاب الرياضية متيسرة لجميع الطبقات من الناس . والغني في حاجة اليها اكثر من غيره . وهي كثيرة جداً نذكر بعضها لفائدة القراء

الكرة والصولجان — وهي التي يسميها الانكليز پولو ويلعبونها في الجزيرة وقد اخذها الافرنج عن العرب وهؤلاء اخذوها عن الفرس . وكانت شائعة كثيراً في العراق والشام ومصر يلعبها الخلفاء والامراء . فميدان الظاهر في القاهرة كان مرسحاً للعب الكرة قبل ان بني فيه الجامع المعروف . والكرة والصولجان من الالعاب الرياضية المفيدة جداً ولا شيء يعلم الانسان اتقان الفروسية مثلها لكنها من الالعاب العنيفة التي لا يصلح لها الا الاشداء وهي لا تخلو من خطر في بعض الاحيان

التنس — من الالعاب اللطيفة الشائعة كثيراً يلعبها الرجال والنساء وفي مصر القاهرة اندية خصوصية لها

التزلج — من الالعاب الجديدة في القاهرة وفيها مرسحان او ثلاثة للتزلج واحد في الجزيرة وواحد في شارع سليمان باشا والدخول مباح لكل شخص مقابل مبلغ يسير يدفعهُ

الصيد — للصيد فائدة كبيرة فهو رياضة للبدن والنظر والسمع وخفة الحركة . ولا اكثر من الصيد في مصر ولا سيما صيد الطيور كالاوز والبط والقمري والاطرغل (الترغل) والسماني (الفري) والحمام . وفي صحراء مصر الغزال والرئم والوعل اي المعز الجبلي والاروية اي الضأن الجبلي والضبع والثعلب والذئب . ولبعض امراء مصر واعيانها ولع بالصيد لكنهم قليلون بالنسبة الى الاجانب

السباحة — من الرياضة المفيدة جداً لا سيما في البحر الملح . والسباحة في النيل والترع خطرة كما يعلم من كثرة حوادث الغرق . وذكرت الجرائد من نحو سنتين ان شركة تفكر في بناء حوض للسباحة في الجزيرة فعسى ان يتحقق ذلك

ركوب الخيل — لا نرى من يركب الخيل في مصر بقصد الرياضة الا الاجانب وعدد قليل جداً من الوطنيين . وركوب الخيل من انواع الرياضة المستحبة كثيراً

ومن انواع الرياضة السير على الاقدام ولعب كرة القدم والجباز (الجمناستيك) والكِيل والبليارد وكل ذلك افضل كثيراً من الجلوس حول طاولة البوكر

باب التقريظ والانتقاد

معجم الطالب

طالما شعرنا وشعر كل كاتب بحاجة ماسة الى قاموس عربي غزير المادة نزيه الالفاظ قريب المأخذ رخيص الثمن يكفي طالب اللغة ويغني المتعمق فيها عن المطولات لا تخجل فتاة من البحث فيهِ ولا يأنف والد من وضعهِ في يد ابنهِ وابنتهِ . وقد التقينا هذا الصيف في قرية الشوير بصديق قديم تجمعنا بهِ محبة العلم وهو الاستاذ العالم العامل جرجس افندي همّام واذا في يدهِ كتاب يهديهِ الينا وهو نسخة من المعجم المطلوب والضالة المنشودة . كتاب صغير الحجم غزير المادة فيهِ نحو الف وثلثماية صفحة من الورق الرقيق تجمع اكثر من ثلاثين الف كلمة مطبوعة بحرف دقيق واضح ومفسرة تفسيراً صحيحاً جامعاً فلا يستغني عنهُ كاتب ولا طالب علم . فشكرناهُ على هذه الهدية النفيسة لاسيما وانها كانت فاتحة ما رأيناهُ من دلائل الارتقاء الادبي في ديار الشام . وهاك بعض الامثلة نقلناها عنهُ عرضاً اظهاراً لكيفية ذكرهِ الالفاظ وتفسيرها

(العذير) بفتح فكسر العاذر وقول العرب عذيرك من فلان اي هات من يعذرك منهُ فيلومهُ ولا يلومك ج عذُر

(الاعذار) مصدر اعذر . وطعام الختان خاصةً وقيل طعام يتخذ لسرور حادث

(المعذرة) بفتح الاول وتثليث الذال بمعنى العذر ج معاذر

(عذق ـــَ عذقاً) النخلة قطع سعفها والشاة وسمها بصوفة ليعرفها وفلاناً بشرّ رماهُ ووسمهُ بهِ

(الغَبَس) بفتحتين بياض فيهِ غبرة ومن الليل ظلامهُ المختلط بضوء النهار

(الاغبس) ما لونهُ الغبسة . وذئب اغبس اذا كان لونهُ كذلك . وهي غبساء من ذئاب غُبْس

(غبش ـــَ غبشاً) واغبش الليل خالط ظلمتهُ بياض في آخر الليل

(الاغبش) ما لونهُ الغبشة ج اغباش وليلة غبشاء من ليالٍ غبش

(فال ـــِ فيولةً) رأي فلان ضعف ولم يصب

(الفائل) اسم فاعل وهو فائل الراي ضعيفهُ

(الفيل) بالكسر حيوان لبون عظيم الجثة له خرطوم طويل يقوم مقام اليد في الانسان. وداء الفيل يحدث منهُ غلظ في الساق تتخلله عجر نائتة. واصحاب الفيل جنود ابرهة الاشرم الحبشي

وكل كلمات هذا القاموس مفسرة على هذا النسق من الايضاح والاختصار فنحث رؤساء المدارس واساتذتها وتلامذتها على اقتنائهِ والانتفاع بهِ

الارض والسماء

دروس الحياة الانسانية

لقينا في سياحتنا هذا الصيف اديباً طالما اتحف المقتطف بمقالاتهِ الحسان وهو الشاعر المطبوع والكاتب البليغ امين افندي ظاهر خيرالله فاهدى الينا نسختين من كتابين الفهما حديثاً الاول موضوعهُ الارض والسماء وهو اشعار ادبية اخلاقية نظمها على اسلوب الياذة هوميروس كبير شعراء اليونان بدأها بموشح وصف فيهِ دار الارباب وڤينيس (اي الزهرة) توغر صدر زفس (المشتري) على البشر ومنرڤا تسأل لهم المزيد من رحمتهِ وهو يعلن استقلالهُ بالتدبير فقال

ارسلِ الفكرَ رائداً للخفايا لا تغرّنك الامورُ الظواهرْ
كم رأينا مُنًى تقودُ منايا وعدوّاً في ثوبِ خلٍّ مناصرْ
هذه الدارُ دارُ إفكٍ ومكرِ
وولاهُ بادٍ وضامرُ غدرِ
فتقلّدْ دوماً صفيحةَ فكرِ
وانقُدِ القولَ حين يعرضُ نقدا فاصلاً بين خالصٍ وزيوفِ

دور

واذا رُمتَ ان تُصيبَ المرامي فتجرّدْ عن عالمِ الاملاء
تابعاً قولَ سادةِ الإفهامِ كلُّ سرٍّ في الارض ضمنَ السماء
من وراء المنظورِ ما لا يُنظرْ
وهوَ اقوى مما نراهُ واقدرْ
عرضٌ ما نرى وما غاب جوهرْ
فلإدراك جوهرٍ كن مجدّاً وتوقّلْ متنَ السحاب اللطيفِ

دور

إملإِ القلبَ خشية ووَجيبا تلكمُ الدارُ موطنُ الاربابِ
وتلفتْ ترَ اجتماعاً مهيباً ترَ زفساً قد حلَّ في المحرابِ
بازغ النورِ اذهلَ الأفكارا
سلبَ الروع أغمضَ الأبصارا
كلُّ هذا الوجود منهُ استنارا
ذاك نورٌ من وجه زفس تبدَّى نجلا طرَّةَ الظلامِ الكثيفِ

دور

كان زفسٌ من فوق عرشٍ منيرِ وفنيسٌ كذا منرفا أمامهْ
وعلى الجانبين كلُّ قديرٍ محكمٍ حجةً عزيزٍ كرامهْ
وفنيسٌ قالت اري الأملاءْ
قد تعالت اعناقهم خُيلاءْ
ملأُوا ارضهم ورادوا السماءْ
نتخطَّوا ما سنهُ زفسُ حدًّا وأَرونا اذى العدوّ المخيفِ

دور

ربَّما وطأُوا متونَ السحائبْ وعلَوا يطلُبونَ هذي الديارا
كغزاةٍ مستنصرين القواضبْ والانابيبَ كي تذوقَ البوارا
ومنرفا قالت ضلالُ ابنِ حوّا
ملأَ الارضَ كلها والجوّا
فلنبدْ كلَّ ما تمثَّل دَجْوا
ليروا مسلك الفضيلةِ قصدا ويهيموا بكلِّ قصدٍ شريفِ

دور

زَفسُ صيِّرْ أروُضهم دار خُلدِ وأنشر الفضلَ بينهم والعفافا
مدنياً منهمُ مناهلَ رُشدِ فيحبوا الوئام والإِنصافا
فتراهم مثل الملائك طهرا
يحسنون الاعمال سرًّا وجهرا
حسبوا زاهرَ الشمائل دُرًّا

وأنتقوا جوهرَ الكرامة عقداً فغدا الليثُ منهم كالخروفِ

والكتاب كلهُ على هذا النسق وقد ضمنهُ اساليب مختلفة من الشعر وعلّق عليهِ حواشي شرح فيها ما غمض من الفاظهِ ومعاني اياتهِ وما فيها من النكات البيانية . وقدَّم لهُ مقدمة مسهبة ذهب فيها الى ان بدء الشعر كان لمخاطبة الخالق استغفاراً عن الذنوب واستمداداً للنعم واعترافاً بالآلاء ثم استطرد الى الشؤُون التي دعت شعراء العرب الى نظم اشعارهم كارشاد البنين وتدوين العظات والوصف والغزل والنسيب وما اشبه وذكر امثلة لذلك كلهِ من بليغ اشعار العرب

والكتاب الثاني دروس في الحياة الاجتماعية وهو قصص ادبية وصف بها حياة عائلة في مدينة نيويورك وتأثير الوالدين في اولادها . والكتاب نظماً ونثراً كمقامات الحريري والهمذاني لولا خلو نثرهِ من السجع لكنهُ قصة واحدة مثل قصة العائلة السويسرية او مثل كتاب جان جاك روسو

ومؤَلف هذين الكتابين شاعر مطبوع لم نرَ شاعراً اسرع منهُ خاطراً اقترح عليهِ بعضهم امامنا وزناً وقافيةً فنظم عليهما بيتين من غير تردد فاخذنا القلم لنكتبهما فنظم خمسة ابيات وكان في النظم اسرع منا في الكتابة وجعل القافية المقترحة ختاماً للابيات وضمنها اسمهُ فقال

تكسى من المدح البهيّ مطارفاً نظم الامين امين خير اللهِ

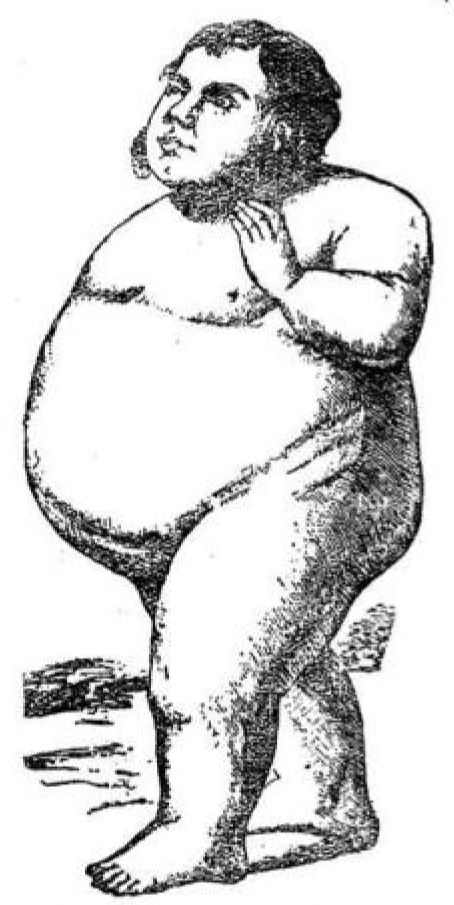
تاريخ الانسان الطبيعي

عرَّب هذا الكتاب عن اللغة الفرنسوية حضرة الكاتب المجتهد الياس افندي الغضبان «وذيَّل اكثر مواضيعهِ بالآراء والحوادث العلمية التي خطرت لهُ او عثر عليها في اشهر مؤَلفات علماء العرب»

ويبتدئ الكتاب بفصل عن تكوُّن الارض بانفصالها عن الشمس وجمودها باشعاع الحرارة منها وظهور الاحياء عليها ويذهب المؤَلف الى ان النبات ظهر اولاً وشمل الارض قبلما ظهر الحيوان عليها وهو قول قديم لا يعوَّل عليهِ الآن . ثم يتدرَّج الى الكلام على الافعال الجيولوجية التي غيرت وجهها والى نشوء الانسان فيها والمشابهة بينهُ وبين القرود . وانتقل من المعلومات الجيولوجية والبلينتولوجية الى الاخبار التاريخية والمنقولات السابقة لعهد التاريخ ثم تدرَّج الى الكلام على اجناس الناس المعروفة الآن الزنجي والاصفر والابيض

وفروعها المختلفة واستطرد الى ما يتعلّق بذلك من المعلومات الطبيعية كالوراثة وتولُّد الشواذ والجبابرة والاقزام والسمن المفرط والهزال المفرط وما اشبه وذكر امثلة كثيرة لما تقدم واوضحها بالصور والرسوم من ذلك قوله عن السمن المفرط او الربالة كما سمّاها

« ان اغلظ جسمٍ بشري شوهد على وجه المعمور كان مما لا يقبل الريب جسم الرجل



الانكليزي من ولاية غال المسمى او بكانس . ذلك انهم لما رغبوا في زنتهِ واذ لم يتهيأ لهم ميزان متين ليزنوهُ فيهِ رأوا اذ ذاك ان يضعوهُ فوق ارجوحةٍ ذات عجل وبها توصلوا الى تقدير ثقلهِ وقد بلغت زنتهُ ٩٩٠ ليبرة !!!

« هذا وانهم قد تجولوا بهذا الهولة الانكليزي في مدينة لوندرا محمولاً على مركبةٍ من

مركبات البضاعة تقطرها اربعة ثيرانٍ من اشد الثيران . ومما يحكى ان اوبكانس لما اراد يوماً من الايام ان يقوم من مقعدهِ متنقلاً فقد اضاع موازنة ذاتهِ وسقط فوق خنزيرةٍ كانت ترضع سبعة عشر خنوصاً فشدخها وهرس بضعة من صغارها . ثم اقتضى الامر ان يكلفوا مئة اشخاص اشداء ليقوموا برفعهِ واعادتهِ الى مقعدهِ . وقد لاقوا بذلك مشقةً قوية وعناء جسيماً . ولما قضى نحبهُ اقتضى لعمل تابوتهِ عشرون لوحاً من الخشب . وبعد ان اضجعوهُ فيهِ حملوهُ على مركبةٍ يجرها رأسان من اشد الخيل . ثم انهم كسوا خمسة عشر غلاماً فقيراً بالجوخ المستخرج من سترتهِ (ريدنجوت) (اكذوبة)»

ويتضح من ذلك ومما نقلناهُ في بعض اجزاء المقتطف الماضية عن هذا الكتاب انهُ جامع بين الفكاهة والقضايا العلمية . وقضاياهُ العلمية تتناول مباحث كثيرة جيولوجية وبليئتولوجية وبيولوجية وفسيولوجية ولو لم يكن المؤلف ثقةً في علم منها . وقد طبع طبعاً حسناً جدًّا على ورق جيد في نحو خمس مئة صفحة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) سكان سورية

بلوفنتين بجنوبي افريقية . الخواجه ابرهيم عازار . هل يعدُّ سكان سورية من الشعوب الاوربية حسب نظام لبنان المصادق عليهِ من الدول سنة ١٨٦٠

ج . ان نظام لبنان لا يتعرَّض لهذا الموضوع ولكن لا شبهة في ان كثيرين من سكان اوربا الآن وكثيرين من سكان سورية هم من اصل واحد فاليهود الذين لهم السيادة الآن في اوربا في انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا لان منهم الوزراء والعلماء ورؤساء المجالس البلدية هم من جنس اليهود سكان سورية ومن جنس كثيرين من المسيحيين والمسلمين الذين اصلهم يهود وتنصروا

او اسلموا . وقد سكن سورية كثيرون من اليونان والرومان والصليبيين وقتما تغلبت هذه الاقوام عليها واختلط نسلهم بنسل سكانها الاصليين فاذا زعم رجال الحكومة عندكم انهُ لا يحق للسوريين ما يحق للاوربيين فزعمهم فاسد علمًا ويجب على الحكومة العثمانية ان تؤيد كون شعبها مثل الاوربيين في كل الحقوق واذا لم تستطع ذلك بالمخابرات السياسية ولا بالقوة الحربية فالشعب العثماني يعرف كيف يؤيده بمقاطعة البضائع الاوربية لان هذه الحرب المالية صارت امضى من القلم ومن السيف

(٢) اول من قال بالجوهر الفرد

مديات (ما بين النهرين) . القس عمانوئيل قرياقس اناويس . من هو اول من قال بالجوهر الفرد ومن هو اول من نفاه وما رأي العلماء الآن فيهِ

ج . قال بهِ اولاً ليوسبوس الذي نشأ في بداءة القرن السادس قبل المسيح ثم فصلهُ ديموقريطس الذي نشأ في اواسط القرن الخامس قبل المسيح وقد ورد تفصيل ذلك في شعر نظمهُ لوقريطيوس الذي نشأ في القرن الاول المسيحي حيث قال ما مفادهُ ان الاستقراء يدل على ان التحليل اسرع فعلاً من التركيب فكان الواجب ان لا يبقى شيء مركبًا لو كان كل شيء قابلاً للتحليل فبقاء المركبات يدل على ان فيها اجزاء لا تقبل الانحلال وهي الجواهر الفردة . والظاهر ان اول من نفى الجوهر الفرد انكساغوراس الذي ولد سنة ٥٠٠ قبل المسيح وقال ان جواهر الهيولى تتجزأ الى ما لا نهاية لهُ

اما الآن فالمظنون ان الجوهر الفرد الكيماوي الذي لا يتجزأ كيماويًا بل ينتقل من مركب الى مركب آخر صحيحًا مؤلف من وحدات كهربائية صغيرة جدًّا وقد اتضح ان الجوهر من الهيدروجين مؤلف من نحو ١٧٠٠ من هذه الوحدات . راجعوا خطبة رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني في اول هذا الجزء

(٣) نقود اسلامية مصورة

ومنهُ . المشهور ان المسلمين لا يرسمون صوراً على نقودهم وعندي نقود اسلامية قديمة فيها صور الملوك الذين ضربوها فأية دولة من دول الاسلام كانت تجيز ضرب النقود ذات الصور

ج . راجعوا ما كتبناهُ في المجلد الرابع من المقتطف والصفحة ٢٣٠ وما بعدها عن النقود العربية تجدوا هناك ان من اقدم النقود العربية ذات الصور درهمًا على وجههِ الواحد صورة فارس متقنة الصنعة وعلى دائرهِ « لا اله الاَّ الله محمد رسول الله صلى الله عليهِ الناصر لدين الله امير المؤمنين » وعلى وجههِ الثاني « السلطان القاهر ابو الفتح سليمان بن قلج ارسلان ناصر امير المؤمنين » . وعلى دائرهِ « ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ

على الدين كلهِ ضرب بمدينة قيصرية سنة سبع وتسعين وخمسماية » فهو من ضرب سليمان الثاني من السلاجقة ٠ ووجد فلس على وجهِ الواحد صورة رأسين متواجهين وحولها بالخط العربي نجم الدين ملك ديار بكر وعلى الوجه الثاني صورة العذراء تتوج الامبراطور يوحنا الثاني وحولها بالخط العربي« ابو المظفر البي بن ترتماش بن ايل غازي بن ارتق » وهو من ارانقة ماردين ٠ ويقال ان بعض نقود الامويين رومي وعليهِ صور رومية وكتابات عربية لكننا لم نرَ شيئًا من ذلك

(٤) ازالة صداء النقود

ومنهُ عندي نقود نحاسية قديمة قدعلاها الصدأ فما هو احسن مركب كيماوي يزال بهِ صدأها بدون ان تتضرَّر كتابتها ونقوشها

ج ٠ نحن ننقها في زيت الزيتون فيسهل نزع الصدإ عنها

(٥) المدارس الاجنبية والتعليم الاجباري

سان باولو بالبرازيل ٠ الخواجه يعقوب صقر ٠ هل تقدر الحكومة العثمانية ان تضع يدها على المدارس الاجنبية وتجعل التعليم اجباريًا

ج ٠ لا يبعد انها تقدر ان تضع المراقبة الشديدة على المدارس الاجنبية اذا لجأت الى القوة ولكن لا فائدة لها من ذلك بل قد تبطل تلك المدارس وهي من الزم اللوازم لترقية بلادها اما جعل التعليم اجباريًا فلم يحن وقتهُ لانهُ ليس في المملكة العثمانية معلمون كافون لتعليم كل الاولاد ولان تعميم التعليم يقتضي مليوني ليرة في السنة على الاقل

(٦) المحاكم واللغة التركية

ومنهُ ٠ هل تقدر الحكومة العثمانية ان تجعل لغة المحاكم في سورية باللغة التركية وتهمل اللغة العربية واذا فرض وقدرت على ذلك واهملت اللغة العربية فهل يعود ذلك عليها بالنفع

ج ٠ لا شبهة ان توحيد اللغة في البلاد العثمانية انفع لها من استعمال لغات مختلفة ولكن توحيد اللغة الآن ضرب من المحال ولا يعقل ان الحكومة العثمانية تقدم عليهِ ٠ وجعل التركية لغة المحاكم لا يوجب توحيد اللغة وهو ليس من المستحيلات لذاتهِ ولا هو مضيع لحقوق المتخاصمين اذا وجد في البلاد محامون يحسنون التركية مع العربية فالمحاكم المختلطة في مصر تستعمل اللغة الفرنسوية وابناء البلاد الذين ترفع دعاويهم اليها لا يحسبون انهم يغبنون لان المرافعة فيها تكون بالفرنسوية ولكن ليس في البلاد العثمانية العربية الآن محامون يحسنون التركية فلا سبيل للمرافعة بها

(٧) الطب والحقوق والعقل

ومنهُ ٠ ايهما ادعى الى توسيع العقل علم الطب او علم الحقوق

ج ٠ اذا اريد بتوسيع العقل زيادة

المعلومات فعلوم الطب وما تبنى عليهِ من العلوم الطبيعية اكثر معلومات من علم الفقه واذا اريد استنباط الاقيسة والبراعة في انتاج النتائج من المقدمات فعلم الحقوق ادعى الى ذلك

(٨) الفضة الجلاتينية

قنا. محمد افندي نور . ما هو الدواء الجديد المسمَّى Argent colloïdal وهو يستعمل كثيرًا في هذه الايام وما هو تركيبهُ وكيف يستحضر

ج . الدواء الذي تشيرون اليهِ ويسمَّى Collargol ايضًا ليس سوى نوع من الفضة المستحضرة بطريقة خصوصية ويوجد منهُ صنفان يستحضر احدهما بطريقة كيماوية ويسمَّى Argent colloïdal chimique اي الفضة الجلاتينية الكيماوية . ويستحضر بفعل كبريتات الحديد بنترات الفضة مع وجود حامض الليمون معهما . وهو حبيبات سوداء ذات لمعان معدني تذوب في الماء . والنوع الثاني يسمَّى Argent Colloïdal électrique اي الفضة الجلاتينية الكهربائية و يستحضر بامرار قوس كهربائي بين صفيحتين من الفضة منغمستين في الماء المقطَّر . وهو سائل ضارب الى الاحمرار يحتوي اللتر منهُ على ٢٥ سنتغرامًا من الفضة اي انهُ بنسبة ١ الى ٤٠٠٠ وهو انقى من الصنف الكيماوي وافضل منهُ للاستعمال وهو يستعمل حقنًا تحت الجلد في الامراض العفنة

(٩) الموت واسبابهُ

القاهرة . اسكندر افندي تادرس . متى حلَّ الاجل هل يجب ان تصيب الجسم علة توقف حركة القلب ليموت الانسان او قد تقف حركتهُ بدون علة بمجرَّد المشيئة الربانية

ج . ان العلم الطبيعي لا يبحث الاَّ عن العلل الثانوية او المباشرة وبموجبهِ لا بد من سبب طبيعي للموت ولكن الفلسفة التي تبحث عما وراء الطبيعة تقول ان وراء العلل الطبيعة علة اخرى وهي علة العلل فتستخدم العلل الطبيعية لاحداث ما يحدث في الارض

(١٠) السن والزواج

اميركا الشمالية . ١٠ . ن . هل من ضرر اذا تزوج شابٌ عمرهُ ٢٢ سنة بفتاة عمرها ٢٤ سنة . واذا تزوجت فتاة عمرها ما بين ٢٥ و ٣٠ سنة فهل يلحق بها ضرر او شيء آخر يؤَثر في حياتها الزوجية

ج . لا مانع من زواج شاب بفتاة اكبر منهُ بسنتين لكن الاصلح ان يكون الرجل اكبر من امرأتهِ ببضع سنوات . اما اذا تزوجت فتاة وعمرها يزيد على ٢٥ سنة فقد يؤَثر ذلك في الولادة اذ تكون مفاصل العظام التي يتألف منها الحوض اكثر تماسكًا بعضها ببعض فتتعسَّر الولادة بسبب ذلك . ولا تاثير على حالتها الزوجية في ما سوى ذلك

(١١) لبس الصوف

اسبريتو سانتو (البرازيل) . الخواجه

خليل حنا سلمون . ما رأيكم في لبس قمصان الصوف وهل هي افضل من قمصان القطن وهل تشيرون بترك الصوف على من اعتاد لبسهُ

ج . لا ضرر من لبس قمصان الصوف وهي في اكثر الاحيان افضل من لبس قمصان القطن . اما من اعتاد لبس الصوف فلا نشير عليهِ بتركهِ لان ذلك قد يؤْذيهِ كثيراً

(١٢) دواء الدودة الوحيدة

ومنهُ . ماهو افضل دواء للدودة الوحيدة

ج . افضل دواء لها زيت السرخس الذكر المستحضر حديثاً ويجب على من يريد اخذهُ ان يصوم مدة كافية قبل ذلك . ومن الادوية الفعالة ايضاً الحشيشة الحبشية المعروفة بالكوسو ولا بد من استشارة الطبيب قبل اخذهما

(١٣) الروماتزم

ومنهُ . ما هي الاعراض التي تظهر في بداءة المرض العصبي (روماتزم) وما هي اسباب هذا المرض وهل هو وراثي او اكتسابي وما هي الوسائط الواقية منهُ

ج . لا يصح تسمية الروماتزم بالمرض العصبي اذ ان الامراض العصبية شيء آخر لكن اكثر الناس يستعملون هذين الاسمين لمرض واحد . ولفظة الروماتزم مبهمة ايضاً والغالب انكم تريدون بها المفصلي واهم اعراضهِ الم مع ورمٍ والتهابٍ في المفاصل ولا بد من مشاورة الطبيب لوصف العلاج اذ يلزم فحص القلب والكليتين وغيرها من الاعضاء قبل ذلك

الادوية والمسهلات

ومنهُ . ما رأيكم في تعاطي الادوية والمسهلات على انواعها وهل تضعف الجسم كما يقول البعض . وما هو احسن دواء او واسطة لمنع الامساك

ج . ان الاكثار من تعاطي الادوية بدون موجب لذلك مضرٌ جدًّا . فبعض الامراض تستوجب المعالجة واخذ الادوية عدة سنين وبعضها يكون الوقاية فيهِ افضل كثيراً من اخذ الادوية . اما المسهلات اللطيفة فلا بأس بأَخذها من وقتٍ الى آخر لاسيما في البلاد الحارة ويفضل حينئذٍ اخذ المسهلات التي تحرك الكبد . ونعرف اناساً لم يأخذوا دواء في عمرهم قط وهم على تمام الصحة . اما الادوية التي تمنع الامساك فكثيرة جدًّا وافضلها ما كان فيهِ شيء من التمر الهندي او الراوند او خلاصة الكسكارا سجرادا . ومن الوسائط المستعملة لمنع الامساك اكل الفواكه والبقول والرياضة ومسح البطن بالماء البارد ودلكهُ والحقن الباردة

(١٥) فقد الشم

طنطا . حبيب افندي فهمي . عندنا سيدة أُصيبت من زمنٍ قريب بزكام شديد وشفيت منهُ تماماً وعلى اثر ذلك فقدت حاسة الشم وقد عالجها بعض الاطباء ولم تشفَ

فالرجاء افادتنا عن سبب ذلك وعن علاجهِ

ج . يرجح ان فقد الشم في الحادثة التي تشيرون اليها ناتج عن تأثير الالتهاب على اطراف عصب الشم وهذه الحالة تزول مع الوقت في غالب الاحيان وتعالج بنضح الانف بالمحلول الآتي

كربونات الصودا	١٠ قمحات
بورق	٨ قمحات
لسترين	درهم واحد
ماء	اوقية طبية

اما اذا كان غشاء الانف متضخماً وفي الانف زوائد يجب عرض المريضة على طبيب اختصاصي لازالة ذلك بعملية جراحية

(١٦) منابع النيل

كفر المبروك . عبد الحي افندي سليم . هل وصل الناس الى جبال القمر التي يقال ان النيل يخرج منها

ج . نعم وصلوا اليها الآن وقد وصل اليها العرب واليونان قبلهم

(١٧) بلاد الهند

ومنهُ . هل في الهند بلاد ليست تحت سيطرة الانكليز او الفرنسويين او غيرهم من الشعوب الاوربية وان كانت توجد بلاد كهذه فما هي القاب حكامها

ج . لا يوجد في الهند بلاد ليست تحت سيطرة الاوربيين فبعضها ولايات خاضعة تمام الخضوع للانكليز وبعضها امارات لها نوعٌ من الاستقلال لكنها كلها تحت حماية بريطانيا العظمى وقليل منها تابع لفرنسا

(١٨) عدد المسلمين وعدد المسيحيين في الهند

ومنهُ . كم عدد المسلمين وكم عدد المسيحيين في الهند

ج . المسلمون في الهند نحو ٦٢٫٥٠٠٫٠٠٠ والمسيحيون ٢٫٩٢٣٫٢٤١ وذلك حسب تعداد سنة ١٩٠١

(١٩) دواء لتنقية الدم

ومنهُ . ما هو افضل دواء لتنقية الدم

ج . الدم نقي من طبعهِ ما لم يكن الانسان مصاباً باحد الامراض التي تدخل جراثيمها في الدم فالدواء اذ ذاك يتوقف على ماهية المرض . فاذا كان الداء ملاريا مثلاً فالكينا تنقيهِ واذا كان المرض المعروف بالزهري فاحسن شيء لتنقيتهِ الزئبق ومركبات اليود وكل ذلك يكون برأي الطبيب المعالج اما الادوية التي يعلنون عنها في الجرائد انها منقية للدم فلا يمكن الحكم بفائدتها قبل معرفة تركيبها

(٢٠) بلاد التبت

ومنهُ . نرجو ان تذكروا لنا شيئاً عن التبت وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وهل هي مستقلة ادارياً وخارجياً او تابعة للصين وما هو اعتقاد اهلها

ج . التبت بلاد جبلية شديدة البرد واقعة بين كشمير في شمال الهند وبلاد الصين

مساحتها ٤٦٣,٢٠٠ ميل مربع ويقدر عدد سكانها بين ثلاثة وستة ملايين نفس وعاصمتها لاسا حيث يقيم اللاما الاعظم وهو حاكم البلاد الديني والسياسي . والبلاد خاضعة للصين لكنها مستقلة اداريًّا ويدين اهلها بالبوذية

(٣١) دواء البواسير

القدس الشريف . م . ج . ن . قرأت في جريدتكم المقطم اعلاناً عن داء يسمى Elixir de Virginie Nyrdahl وذكرتم ان هذا الدواء يشفي البواسير بدون عملية فهل ذلك صحيح واين يباع هذا الدواء وما هي طريقة استعماله

ج . الاعلانات التي ترونها في الجرائد هي بلسان اصحابها والجرائد ليست مسؤُولة عنها ولا نقدر ان نحكم هل هذا الدواء نافع او غير نافع ويقول اصحابهُ انهُ يحتوي على الهامليس والفلفل الاحمر البرازيلي وكلاهما يستعملان للبواسير كما جاء في الكتب الطبية

ويباع هذا الدواء في جميع مخازن الادوية والصيدليات في مصر ولعلكم تجدونهُ في القدس الشريف ايضاً وثمن الزجاجة اربعة فرنكات ونصف وطريقة الاستعمال مكتوبة عليها

(٣٢) السكك الحديدية في البلاد العثمانية

لبنان . ن . خ . المرجوان تكتبوا لنا مقالة مسهبة عن السكك الحديدية في البلاد العثمانية وتاريخ نشأتها والشركات القائمة بها

ج . تجدون مقالة مسهبة عن السكك الحديدية في البلاد العثمانية في المجلد السابع والعشرين من المقتطف صفحة ٩٩٦ وكلاماً مسهباً عن سكة حديد الحجاز في المجلد الثالث والثلاثين صفحة ٨٠٩

(٣٣) ارز لبنان

البترون بلبنان . انطون افندي الشلفون . زرت في هذه الاثناء ارز لبنان بجوار بشري فقيل لي ان بعض اشجاره قائم هناك قبل زمن الطوفان فهل ذلك صحيح وهل من نصوص تاريخية تؤيد ذلك

ج . كلاَّ

(٣٤) عنوان كتاب

دمنهور . محمود افندي حلمي . اطلعت على كتاب باللغة الانكليزية عنوانهُ From the earth to the moon and round it اي من الارض الى القمر وحولهُ تأليف جول فرن فهل القصة المذكورة فيه صحيحة

ج . كلاَّ بل هي تصورية مثل كل قصص جول فرن

(٣٥) غروب الشمس

بني سويف . اذا كان الغروب بالساعة الافرنكية على ٥ فلماذا لا يكون دائماً على هذا الوقت لان الزمن من الغروب الى الغروب ٢٤ ساعة

ج . اذا غربت الشمس الساعة الخامسة

بالحساب الافرنجي فيكون المراد ان المدة من نصف النهار الى الغروب ٥ ساعات ويكون طول النهار حينئذٍ من شروق الشمس الى غروبها ١٠ ساعات . ومعلوم ان النهار يطول صيفاً ويقصر شتاء فلا يبقى غروب الشمس على ساعة واحدة

(٢٦) لماذا تعوم الابرة على وجه الماء

ومنهُ . اذا وضعت ابرة فوق ورقة ووضعت الورقة فوق الماء داخل اناء ونزعت الورقة بلطف من تحت الابرة بقيت الابرة عائمة على وجه الماء مع ان الابرة حديد وهو اثقل من الماء كثيراً فكيف تطفو على وجههِ

ج . اذا دققتم النظر في الابرة وهي عائمة على وجه الماء وجدتم سطح الماء مجوَّفاً تحتها فان جاذبية الملاصقة بين دقائق الماء اشد مما هي بين الماء وحديد الابرة ولذلك تتكوَّف دقائق الماء على بعضها وتبتعد عن الابرة وزد على ذلك انهُ يحيط بالابرة طبقة من الهواء لاصقة بها فتدفع الماء عنها فكأن الهواء الذي يملأ هذا التجويف حول الابرة قد اضيف اليها فصارت بهِ اخف من الماء . ولكن اذا نظفتم الابرة بسائل ما يزيل الهواء عن سطحها ويجعل الماء يلصق بها فانها تغرق في الماء حالاً لانهُ لا يعود يندفع عنها ولا تعود هي تدفعهُ

(٢٧) شرب الماء

ومنهُ . من المعلوم ان ثلاثة ارباع اللحم ماء فلماذا نحتاج الى شرب الماء وقت اكل اللحم

ج . الماء الذي في اللحم لا يكفي للاستغناء عن شربهِ ولكن اذا اقتصر الانسان على اكل اللحم والفاكهة امكنهُ ان يستغني بهما عن شرب الماء اما وهو يأكل خبزاً ومواد أُخرى جافة فلا غنى لهُ عن الماء

(٢٨) دوران الارض

ومنهُ كيف يستدل على ان الارض تدور حول الشمس

ج . ان جرم الشمس وبعدها عن الارض يُعلمان بالقياس والحساب الرياضي الذي لا شبهة فيهِ ويظهر منهما ان حجم الشمس يزيد على حجم الارض نحو ١٣٠٠٠٠٠ ضعف وان متوسط بعدها عن الارض نحو ٩٣ مليون ميل فقولنا ان الشمس تدور حول الارض كل اربع وعشرين ساعة هو بمثابة قولنا ان جسماً حجمهُ اكبر من حجم الكرة الارضية مليون مرة وثلثمئة الف مرة يدور حول الكرة الارضية بسرعة اربع مئة الف ميل كل دقيقة امن الزمان . وليس ذلك فقط ولكن فرض دوران الشمس حول الارض يقتضي ان تكون النجوم كلها دائرة حول الارض وكل نجم منها اكبر من الشمس مراراً كثيرة وابعد منها عن الارض بما لا يقدَّر . فاذا فرضنا ان القطر المصري كلهُ يدور حول نملة فذلك اقرب الى التصديق من فرض ثبوت الارض ودوران الشمس والنجوم كلها حولها . وهناك ادلة أُخرى على

دوران الارض حول الشمس ترونها في كتب الفلك وفي بعض اجزاء المقتطف الماضية

(٣٩) حرارة القمر

ومنهُ . لماذا لا نشعر بحرارة من اشعة القمر مع ان اشعة الشمس منعكسة عن القمر

ج . ان اشعة الشمس فيها اشعة نور واشعة حرارة فاذا انعكست عن جسم صقيل كالمرآة انعكست اشعة النور واكثر اشعة الحرارة ولكنها اذا انعكست عن جسم غير صقيل بل كثير الجبال والوهاد كسطح القمر لم تنعكس اشعة الحرارة مع اشعة النور لان الجسم غير الصقيل يمتص اكثر اشعة الحرارة ولذلك فالنور الواصل الينا من القمر قليل الحرارة جدًّا يشعر بحرارتهِ ببعض الآلات

باب الاخبار العلمية

اكتشاف القطب الشمالي

ذكرنا في الجزء الماضي آخر ما وصل الينا من اخبار اكتشاف القطب الشمالي ونزيد على ذلك الآن ان الكبتن بيري احد روَّاد الاصقاع الشمالية ارسل تلغرافًا من لبرادور فحواهُ انهُ وصل الى القطب الشمالي في شهر ابريل من هذه السنة اي بعد وصول الدكتور كوك اليهِ بسنة . ثم لما بلغهُ ان الدكتور كوك سبقهُ الى اكتشاف القطب ارسل تلغرافًا آخر يكذّب فيهِ دعوى كوك وينكر عليهِ الوصول الى القطب . فاشتد النزاع بين الرجلين وانصارهما من ذلك الحين ولا تزال نار الجدال محتدمة بين الطرفين الى الآن . الأ ان الدكتور كوك اظهر من اللين وكرم الاخلاق شيئًا كثيرًا فانطلقت الالسنة بمدحهِ واشتد ساعد انصارهِ

وفي اثناء ذلك كان الدكتور كوك قد وصل الى كوبنهاغن عاصمة الدنمارك فاستقبلهُ وليُّ عهدها وعلماؤُها واعيانها وجمعٌ غفير من اهاليها ومعهم سفير الولايات المتحدة ومكاتبو الجرائد فأُولمت لهُ الولائم واحتفل بهِ احتفالاً شائقًا . ودعاهُ الملك اليهِ وانعم عليهِ بمدالية الجمعية الجغرافية الدنماركية ومنحتهُ جامعة كوبنهاغن لقب دكتور . ثم سافر الى وطنهِ اميركا ووصل الى نيويورك في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر الماضي فاستقبلهُ مواطنوهُ استقبالاً يليق بشأنهِ

اما الكبتن بيري فوصل الى مدينة سدني في اسكوسيا الجديدة في اليوم نفسهِ فاستقبلهُ

انصاره ومريدوه وقامت الحرب القلمية بينهم وبين انصار كوك كما ذكرنا وادعى انصار بيري ان كوك لم يبلغ قمة جبل مكنلي في سنة ١٩٠٦ كما زعم وجاؤوا برجل كان مرافقاً له عند ما صعد في الجبل المذكور فشهد بما ايد دعواهم فطلب كوك ارسال بعثة الى قمة الجبل حيث يمكنها ان تجد الاوراق التي طمرها

ولنأتِ الآن على شيءٍ من تاريخ هذين الرجلين بيري وكوك ثم نصف رحلتهما الى القطب الشمالي بوجه الاختصار فنقول

ولد الدكتور كوك في ولاية نيويورك سنة ١٨٦٥ من والدين المانيين رحلا الى الولايات المتحدة في اواسط القرن الماضي . وتلقب اسرتهُ في المانيا بكوخ الى هذا اليوم وتوفي والدهُ وهو صغير السن فاعتنت والدتهُ بتعليمهِ فدخل المدرسة الابتدائية في بروكلن ثم درس الطب في جامعة نيويورك ونال شهادتها سنة ١٨٩٠ . وقرأ سنة ١٨٩١ في الجرائد ان بيري يؤلف بعثةً لارتياد الاصقاع الشمالية وان هذه البعثة يلزم لها طبيب فرافقها من سنة ١٨٩١ الى سنة ١٨٩٢ وذهب بعدها في بعثة أخرى بلجيكية نحو القطب الجنوبي من سنة ١٨٩٧ الى ١٨٩٩ ثم عاد الى نيويورك وتزوج وفي سنة ١٩٠٣ نزعت بهِ نفسهُ الى السفر مرَّة أخرى فالف بعثة غايتها الوصول الى قمة جبل مكنلي في الاسكا وهو اعظم جبال اميركا الشمالية ارتفاعاً يبلغ علوهُ عن سطح البحر ٢٠٣٩٠ قدماً . وبعد ان بقي هناك ثلاثة اشهر رجع ولم ينل بغيتهُ فعاد الى ذلك سنة ١٩٠٦ وبعد مشاقٍ كثيرة وصل الى قمة الجبل

وكان له صديق من اغنياء نيويورك يدعى برادلي فاتفق الاثنان على ان يذهبا الى الاصقاع الشمالية بقصد الصيد حتى اذا وجد كوك سبيلاً الى الوصول الى القطب الشمالي فعل ذلك فسافرا في شهر يوليو سنة ١٩٠٧ ومعهما كل ما يمكن ان يحتاج اليهِ كوك في سيرهِ الى القطب ولم يبخل عليهِ صديقهُ برادلي بشيءٍ فكان معهُ ما يكفي من الكرونومترات والترمومترات والبارومترات وما اشبه وكل ذلك من احسن صنع . واخذ معهُ من لوازم السفر ما خفَّ حملهُ وزادت الحاجة اليهِ فكان معهُ خيمة من الحرير وقارب من النسيج وكانت انيتهُ كلها من معدن الالومينيوم . واخذ معهُ من المآكل مقداراً من اللحم المسحوق في علبٍ من الصفيح لكنهُ لم يأخذ معهُ شيئاً من الخضر ولا المشروبات الروحية ولا الملح فالاسكيمو لا يأكلون الخضر ومع ذلك لا يصابون بالاسقربوط . ولم يكن معهُ من الصابون الاَّ قطعة واحدة

فلما وصل الى محطة اناتوك وجد الاسكيمو مجتمعين هناك يصيدون الدباب فانتقى من بينهم اقدر الرجال واقوى الكلاب وبقي طول

مدة الليل القطبي يستعد للسير الى القطب والليل هناك يبتدئ في سبتمبر وينتهي في اوائل مارس . فكان نحو ٢٥٠ رجلاً وامرأة من الاسكيمو يجمعون فراء الحيوانات ويخيطونها اثواباً . واللبس الكامل في الشتاء هناك جوربان من فراء الارانب وحذاءان من جلد البيدستر وثوب من فراء الدباب وجبة من فراء الثعالب الزرق وقبعة من الفرو لها هدبان يكتنفان الوجه . واطال الدكتور كوك شعر رأسهِ وحفا شاربيهِ ولحيتهُ كما يفعل الاسكيمو فان ذلك يقيهم من الصقيع

وفي اوائل يناير سنة ١٩٠٨ نقل امتعتهُ الى ارض السمير بعد ان عبر مضيق سمث وبقي في السمير الى ١٩ فبراير وكان الركب مؤلفاً منهُ ومن عشرة رجال من الاسكيمو ومعهم ١١ مزلقة و١٠٣ كلاب . وكان الصيد كثيراً في البلاد التي قطعوها بين ١٩ فبراير و ١٨ مارس

وكان يترك في طريقهِ من اعياهم التعب من الرجال والكلاب فلم يبقَ معهُ في آخر المدة سوى اثنين من الاسكيمو الاشداء وهما شابان في مقتبل العمر

ووصف سيرهُ وانتقالهُ فقال . كنا نسير كل يوم الى ان يأخذنا التعب ثم ننزل ونبني بيتاً من الثلج نتقي بهِ البرد ثم نعمل الشاي ويأكل كل واحد منا نصف ليبرة من اللحم المسحوق وقطعة من البقسماط ونطعم كل كلب ليبرة من اللحم المسحوق وندخل في اكياس النوم وننام ثم نستيقظ ونجدّ في السير الى ان ينهكنا التعب فننزل ونبني بيتاً ونأكل وننام وهكذا كان كل يوم مثل الذي قبلهُ

وكانت الرياح شديدة جدًّا في غالب الاحيان والحرارة بين ٤٠ و ٤٥ درجة تحت الصفر من بمقياس فارنهيت . ولما بلغنا الدرجة ٨٤ والدقيقة ٤٧ من العرض والدرجة ٩٦ والدقيقة ٣٦ من الطول رأينا ارضاً عن يسارنا ارتفاعها نحو الف قدم ولم نتمكن من ارتيادها ولم نعلم مساحتها وهل هي جزيرة او جزء من برّ واسع . فاجتزناها وسرنا وكان سيرنا صعباً جدًّا في هذه المدة ولم نكن نقطع اكثر من عشرة اميال في اليوم وذلك في العشرة الايام الاولى من شهر ابريل

وفي الحادي والعشرين من ابريل اخذت مقاس العرض فوجدتهُ ٨٩ درجة و٥٩ ثانية و ٤٦ دقيقة اي ان القطب الشمالي كان على مرأى منا ولم يكن بيننا وبينهُ سوى ١٤ ثانية قطعناها سريعاً ولما تحققت اننا بلغنا القطب اخبرت رفيقيَّ بذلك فرقصا طرباً ثم رفعنا العلم الاميركي وكان الوقت ظهراً فكان الواحد منا ينتقل بخطوةٍ واحدة من النصف الواحد من الارض الى النصف الآخر ومن نصف النهار الى نصف الليل

وبقي الدكتور كوك ورفيقاهُ يومين

في القطب وعادوا منهُ في ٢٣ ابريل · وكان الرجوع شاقًّا جدًّا فلما وصلوا الى مضيق جونس عبروهُ في قارب النسيج الذي كان معهم وكان طعامهم قد نفد فاخذوا يصيدون ثيران المسك بالشراك ويقتاتون بلحومها

اما الكبتن بيري فهو رحالة مشهور كان سابقًا من الضباط المهندسين في بحرية الولايات المتحدة ثم استقال من الخدمة رغبةً منهُ في استطلاع الجهات المجهولة من الاصقاع الشمالية · فكانت رحلتهُ الاولى الى غرينلاندة سنة ١٨٨٦ وفي رحلتهِ الثانية سنة ١٨٩١ الى ١٨٩٢ اثبت ان غرينلاندة جزيرة وان لا اتصال لها ببرٍ آخر فاكتسب بذلك شهرة عظيمة · ثم رحل الى غرينلاندة مرة اخرى سنة ١٨٩٣ وعاد منها سنة ١٨٩٥ بعد ان قاسى اهوالاً شديدة وهلك اكثر الذين كانوا معهُ وسافر اليها ايضًا في سنتي ١٨٩٦ و ١٨٩٧ وعاد ومعهُ ثلاثة احجار نيزكية احدها اكبر ما وجد حتى الآن

اما رحلتهُ القطبية الاولى فكانت سنة ١٨٩٩ وعاد منها سنة ١٩٠٠ بعد ان وصل الى الدرجة ٨٤ والدقيقة ١٧ من العرض الشمالي · وفي رحلتهِ سنة ١٩٠٥ الى ١٩٠٦ وصل الى الدرجة ٨٧ والدقيقة ٦ اي فات ما وصل اليهِ الرحالة نتسن والدوق دابروزي · ولا يرتاب احدٌ انهُ في رحلتهِ هذه الاخيرة بلغ القطب الشمالي فهو مشهور باستقامتهِ فلو بقي بينهُ وبين القطب بضعة اميال فقط لما انكر ذلك · والادلة تزداد من يوم الى آخر على ان كوك صادقٌ ايضًا في روايتهِ فقد قابل بعضهم الرجلين اللذين كانا معهُ وشهدا امامهُ بما يؤيد رواية كوك · واكثر الذين رأوا كوك وحادثوهُ من العلماء وغيرهم يشهدون بصحة كلامهِ

خرائب شوشن القصر

كشف رجال البعثة الفرنسوية آثاراً جديدة ذات اهمية في قرية السوس في العراق وهي المسماة شوشن القصر في الاسفار المقدسة وكانت عاصمة مملكة عيلام · فوجدوا في المكان المعروف بالقلعة بقايا ثلاث مدن خربة الواحدة فوق الاخرى ويرجع تاريخ هذه المدن الى ٤٠٠٠ سنة ق · م · ووجد تحت ذلك آثارٌ يستدلُّ منها ان المكان كان مأهولاً قبل زمن التاريخ · وكشفوا ايضًا عن ثلاثة اعمدة من الحجر الاسود كانت شريعة حمورابي مكتوبةً عليها · وعلم من هذه الآثار ان البابليين استولوا على تلك المدينة نحو ٢٨٠٠ سنة قبل التاريخ المسيحي وعاد العيلاميون واستقلوا بها الى ان كانت سنة ٦٤٩ قبل المسيح حين فتحها اشور بانيبال واحرقها

الزائدة الدودية

يعتقد اكثر الاطباء ان الزائدة الدودية من الاعضاء الاثرية في الانسان وان لا فائدة

لهُ منها ويزعم غيرهم انها ليست كذلك بل لها وظيفة معروفة فهي غدة ليمفاوية عاملة . ويقول الدكتور شبلي ان التهاب الزائدة الدودية سببهُ في غالب الاحيان دخول الديدان المعوية اليها من الامعاء وان كثرة امراضها في هذه السنين ناتجة عن عدم تعاطي الادوية التي تطرد الديدان وذلك من وقت الى آخر كما كان يفعل اسلافنا

جوائز علمية

منحت كلية باريس الطبية الدكتور هفكن جائزة قدرها ١٦٠ جنيهاً مكافأةً لهُ على ما كتبهُ عن التطعيم بمادة الكوليرا

وعينت المدرسة الطبية الاهلية في المكسيك جائزة الف جنيه لمن يكتشف سبباً لحمى التيفوس او مصلاً شافياً لها وجائزة خمسمائة جنيه لمن كانت ابحاثهُ اعظم مساعد لذلك . ويجوز لجميع الاطباء من كل الامم ان يتباروا في هذا المضمار على شرط ان تكون مقالاتهم باللغة الاسبانية . ويبقى الباب مفتوحاً الى آخر فبراير سنة ١٩١١

عيد اختراع البواخر

احتفل الاميركيون في الولايات المتحدة بمرور مائة سنة كل اختراع البواخر فصنعوا باخرة على مثال الباخرة كليرمنت وهي اول باخرة انزلها فولتن في نهر هدصن

درعٌ تقي من الرصاص

اخترع احد الالمان درعاً تقي من الرصاص وقد اخذت الحكومة الالمانية تساومهُ لتشتري الاختراع منهُ

مدفع جديد

اخذت الدوائر الحربية تهتم بامر الوقاية من المراكب الهوائية وقد صنعوا في المانيا مدفعاً يستعمل في ساحة القتال كغيرهِ من المدافع ثم اذا شاؤُا اوقفوهُ عمودياً او اداروهُ الى أي جهة ارادوا وصوبوهُ الى المراكب الهوائية

مذنب هالي

ورد في اخبار روتر ان مذنب هالي شوهد في كمبردج يوم الخميس في ٢١ اكتوبر

القمح البري

لا يخفى ان زراعة القمح قديمة جدًّا في كل انحاء المسكونة فقد كانت معروفة عند قدماء الصينيين والمصريين والاشوريين وغيرهم ولكنَّ القمح البري لا يزال مجهولاً . وقد وجد احدهم منذ خمسين سنة عشبة في راشيا احدى قرى جبل الشيخ قال الاستاذ كورنيك في ذلك الحين انها القمح البري عينهُ ولم تزل هذه العشبة في معرض ڤينا النباتي واطلق عليها اسم Triticum dicoccoides وخالفهُ كثيرون من العلماء في رأيهِ وقالوا انها ليست

سوى قمح وقعت حبوبهُ في البرية فآل امرهُ الى الانحطاط

وقد وجد الآن ما يؤيد كلام كورنيك فان المسيو آرونسن من سكان حيفا عثر على كثير من هذا القمح البري في اماكن عديدة من فلسطين حيث التربة قليلة مثل خان جب يوسف وقرية يعونة والجهة الشرقية من جبل كنعان وبين مجدل شمس وعرنة في جبل الشيخ

ولهذا الاكتشاف اهمية من وجهين فان صح ان هذا النبات هو اصل القمح المعروف فزراعة القمح لم تنشأ في بلادٍ كثيرة التربة كالعراق او مصر بل في بلاد صخرية قليلة التربة مثل جبال فلسطين حيث وجد القمح البري والشعير البري ٠ واذا كان في استطاعة القدماء ان يحسنوا القمح ويبلغوهُ الى الدرجة التي بلغها ففي امكاننا ان نزيدهُ تحسيناً بالوسائل العلمية الحديثة

الشفق القطبي الجنوبي

ظهر الشفق القطبي في استراليا في الخامس والعشرين من سبتمبر الماضي وكان اجمل شفق قطبي نظر هناك منذ خمسين سنة الى الآن واثرت مغنطيسية الافق حينئذٍ في الآلات المغنطيسية وفي اسلاك التلغراف حتى صارت تعمل من غير بطريات وبقيت كذلك نصف ساعة من الزمان والظاهر ان قوة المجرى الكهربائي كانت ١٥٠ فولطاً ٠ وآخر مرة ظهر الشفق القطبي هناك بهذا الجلاء كان منذ خمسين سنة تماماً

زلزلة بلوخستان

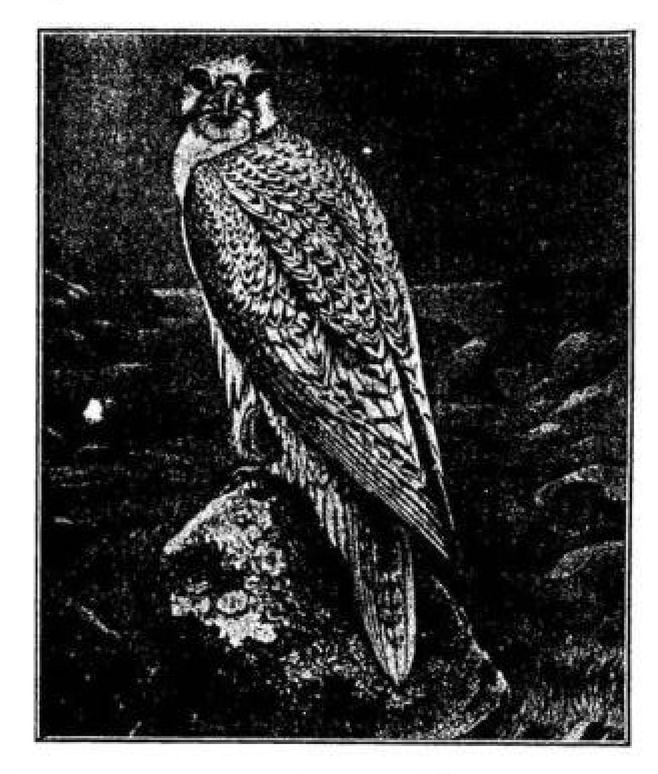
دلَّ مقياس الزلازل في بلاد الانكليز في ٢٢ اكتوبر الماضي على حدوث زلزلة كبيرة في مكان يبعد عنهُ نحو ٣٧٥٠ ميلاً وورد تلغراف في اليوم التالي من الهند ان زلزلة عنيفة حدثت في بلاد بلوخستان

هبات علمية اميركية

وهب المستر سلوان واخوهُ جامعة يابل ٩٥٠٠٠ جنيه لبناء معمل للعلوم الطبيعية ووهب المستر تشارلس برات الدار العلمية في بروكلين المنسوبة الى ابيهِ ٣٥٠٠٠٠ جنيه ووهب اثنان جامعة كولمبيا ٤٧٢٠٠ جنيه

بخار الماء في كلف الشمس

ذهب فريق من الفلكيين الى وجود بخار الماء في كلف الشمس واقاموا على ذلك ادلة لا محل لذكرها هنا لكن الفلكي متشل نشر مقالة في هذه الايام ابان فيها ان الادلة التي استدلوا بها على ذلك من السبكترسكوب ليست قاطعة وانها يمكن ان تدلَّ على وجود بخار الماء في الكلف كما يمكن ان تدل على عدم وجودهِ ٠ وعليهِ فهذه المسألة باقية في معرض البحث ولم يبت الرأي فيها حتى الآن





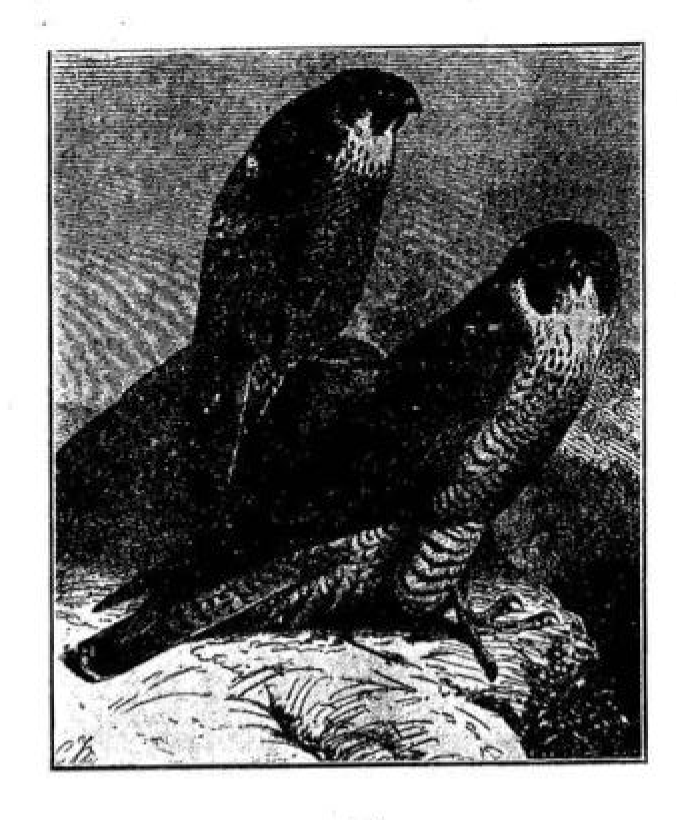
السُنقر الايض (آق سنقر)
Le gerfaut blanc



الصقر
Le sacre



العُقيب
La buse



الشاهين
Le pèlerin



البرنس ايتو وزير اليابان

فهرس الجزء الخامس من المجلد الخامس والثلاثين


المقتطف



المقتطف

الجزء السادس من المجلد الخامس والثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٧

مذنب هلي

اين الرواية بل اين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرُّصاً واحاديثاً ملفَّقة ... ليست بنبع اذا عُدَّت ولا غرب
عجائباً زعموا الايام مجفلة ... عنهنَّ في صفر الاصفار او رجب
وخوَّفوا الناس من دهياء مظلمة ... لما بدا الكوكب الغربيُّ ذو الذنب

أيدري قرَّاء هذه الابيات من ائمَّة العربية وادبائها ان ابا تمام الطائي ناظمها عنى بالكوكب الغربي ذي الذنب مذنَّب هلي بعينهِ الذي انبأتنا الاخبار البرقية انهُ ظهر الآن في السماء . نعم ظهر ولكنهُ لا يزال بعيداً عنا جدًّا لا يرى الا بالتلسكوب وهو مقترب من الارض وسرعتهُ فائقة فسيدنو حتى يرى بالعين في اوائل الربيع المقبل . وقد انبأ علماء الفلك بقدومهِ منذ سنين كثيرة وكانوا يرقبون ظهورهُ في هذا الخريف فظهر كما انبأوا لدقة الحساب الفلكي

اما قولنا ان النجم الذي اشار اليهِ ابو تمام في قصيدتهِ انما هو مذنب هلي فمبني على ان ابا تمام انشأ قصيدتهُ هذه في مدح الخليفة المعتصم على اثر فتح عمورية سنة ٢٢٣ للهجرة ويظهر بالحساب ان مذنب هلي يتم دورتهُ في نحو ٧٦ سنة فيدنو من الارض ويرى كل ٧٦ سنة واذا تقهقرنا بالحساب الى الوراء وجدنا انهُ ظهر سنة ٨٣٧ مسيحية اي سنة ٢٢٢ هجرية . وقد ذكر مؤرخو العرب انهُ ظهر نجم ذو ذنب حينئذٍ ارتاع لهُ الناس قال ابن الاثير في حوادث سنة ٢٢٢ « وفي هذه السنة ظهر عن يسار القبلة كوكب فبقي يرى نحواً من اربعين ليلة ولهُ شبه الذنب وكان اول ما طلع نحو المغرب ثم رُئي بعد ذلك نحو المشرق وكان طويلاً جدًّا فهال الناس ذلك وعظم عليهم . ذكرهُ ابن ابي اسامة في تاريخهِ وهو من الثقات الاثبات »

ثم ذكر فتح عمورية في حوادث السنة التالية اي سنة ٢٢٣ هجرية فلا شبهة اذاً في ان

النجم ذا الذنب الذي ذكرهُ ابو تمام انما هو مذنب هلي بعينهِ وانهُ ظهر قبيل فتح قلعة عمورية الذي قال فيهِ ابو تمام

فتح تفتَّح ابواب السماء لهُ وتبرز الارض في اثوابها القشبِ
يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلاً معسولة الحلبِ

اول من رصد هذا النجم وعرف سيرهُ والفلك الذي يسير فيهِ المستر ادمند هلي Halley الانكليزي الذي قال فيهِ لالند الفلكي الفرنسوي الشهير انهُ اعظم فلكي انكليزي نشأ في عصرهِ

ولد هلي سنة ١٦٥٦ وعكف على العلوم الرياضية والفلكية ورصد الافلاك بما استطاع اقتناءهُ من آلات الرصد واراد ان يحقق مواقع النجوم الجنوبية فرأى ان يرصدها من جزيرة القديسة هيلانة التي نفي اليها بونابرت بعدئذٍ وكان ابوهُ على شيءٍ من الثروة فاعطاهُ ما يلزم لنفقاتهِ فذهب الى تلك الجزيرة ورصد النجوم الجنوبية ووضع لها زيجاً طبع سنة ١٦٧٩ ووجد ان بعضها تغيَّر في اشراقهِ عمَّا كان في الازياج السابقة

وكان الناس يجهلون حينئذٍ امر النجوم ذوات الاذناب ويتخوَّفون منها كما كانوا يتخوفون في زمن ابي تمام وقبلهُ وكان الفيلسوف اسحق نيوتن قد اكتشف ناموس الجاذبية وحقق ان الكواكب السيارة خاضعة لهُ وظن ان ذوات الاذناب جارية مجراها. والظاهر ان هلي ظن ذلك ايضاً وكان صديقاً لنيوتن فذاكرهُ في هذا الموضوع فاشار عليهِ نيوتن ان يرصد ذوات الاذناب وينظر في رصود غيرهِ لها ثم يبني حكمهُ على ما يراهُ

واتفق ان ظهر مذنب كبير في السماء سنة ١٦٨٠ فادهش الناس بسيرهِ وبهائهِ وحركتهِ فانهُ دنا من الشمس بسرعة فائقة حتى غاب عن البصر ثم ظهر ثانيةً وامتدَّ منهُ ذنب طويل جداً ثم تنقَّل في السماء الى ان غاب عن الابصار في اوائل السنة التالية. ورآهُ هلي وهو ذاهب الى باريس والتقى هناك بالفلكي كاسيني ورصداهُ كلاهما ورصدهُ نيوتن بنظارتهِ واستنتج ان ذوات الاذناب اجسام مثل السيَّارات في مادتها وحركتها وان اذنابها بخار لطيف تسببهُ حرارة الشمس حينما تدنو المذنبات منها وحسب فلك هذا المذنب بناء على ما قاسهُ من حركتهِ

وفي الخامس عشر من اغسطس سنة ١٦٨٢ ظهر المذنب الذي نحن في صددهِ الآن وهو مذنب هلي فرصدهُ فلمستيد فلكي المرصد الملكي في جرينوج ورصدهُ هلي ايضاً وظهر لهُ ذنب في السادس والعشرين من الشهر طال ١٢ درجة ورآهُ حينئذٍ فلكيو باريس وجعل

ذنبهُ يطول باقترابهِ من الشمس ونتأت منهُ ذؤَابة اتجهت نحو الشمس وكأَنها لقيت فيها ما صدها فعادت الى المذنب

ورصد هلي هذا المذنب كما تقدَّم وجمع ارصاد غيرهِ من الفلكيين لكي يستدل بها على الفلك الذي يسير فيهِ حول الشمس اي على شكل فلكهِ ومقدارهِ وسرعة سيرهِ فيهِ حتى يعرف الزمن الذي يلزم لاتمام دورتهِ في فلكهِ وعودهِ الى المكان الذي رُئي فيهِ حينئذٍ . واشار عليهِ نيوتن ان يبحث في التواريخ القديمة عن اوقات ظهور ذوات الاذناب واوصافها ليرى فيها مذنباً يماثل هذا المذنب في شكلهِ ووضعهِ وحركتهِ فوجد ان المذنب الذي ظهر سنة ١٥٣١ والمذنب الذي ظهر سنة ١٦٠٧ يماثلان هذا المذنب من كل الوجوه فحكم ان الثلاثة مذنب واحد وان هذا المذنب يتم دورتهُ في نحو ٧٦ سنة وقدم نتيجة بحثهِ الى الجمعية الملكية سنة ١٧٠٤ في رسالة انبأَ فيها برجوع هذه المذنب سنة ١٧٥٨ وكان عمرهُ حينما انبأَ بذلك خمسين سنة فلم يكن ينتظر ان يرى ذلك المذنب ثانيةً فاوصى علماء الفلك ان يرصدوهُ بعدهُ وكرَّر عليهم هذه الوصية قبل وفاتهِ

ولما دنا الوقت لظهور هذا المذنب جعل علماء الفلك يعيدون الحساب ويدققون فيهِ . وحساب سير المذنبات من اصعب ما يكون لاسيما اذا أُريد التدقيق في معرفة تأْثير السيَّارات في سيرها لكن كان بين علماء الفلك حينئذٍ رجلان من اكبر علماء الرياضيات وهما كلرو ولالند فأَتما حسابهما في اوائل نوفمبر سنة ١٧٥٨ وفي الرابع عشر من ذلك الشهر قدَّم كلرو رسالة في هذا الموضوع الى اكادمية العلوم بباريس بيَّن فيها ان جذب المشتري سيؤَخر رجوع المذنب الى نقطة الراس اي الى اقرب بعدهِ عنا ٥١٨ يوماً وجذب زُحل سيؤَخرهُ مئة يوم ولذلك لا ينتظر وصولهُ الى نقطة الراس قبل ١٣ ابريل سنة ١٧٥٩ وقال ان مشاغلهُ الكثيرة جعلتهُ يهمل فواعل اخرى طفيفة قد تغير ميعاد وصولهِ الى نقطة الراس شهراً من الزمان

فظهر المذنب كما انبأَ ووصل الى نقطة الراس في ١٢ مارس سنة ١٧٥٩ اي قبل الميعاد بشهر

ومن الغريب ان اول من رأَى المذنب في ظهورهِ هذا فلاَّح سكسوني كان يرصد الافلاك بنظارة طولها ثماني اقدام وكان ماهراً في صناعة الرصد فرأَى نقطة بيضاء في قبة السماء لم يرَها قبلاً فظنَّ انها الضالة المنشودة وجعل يرصدها ليلة بعد ليلة وهي تزيد كبراً وجلاء الى ان تحقق انها مذنب هلي نفسهُ . ولما بلغ علماء الفلك ان فلاحاً رأَى المذنب قبلهم اخذ الغيظ من بعضهم فتهكموا عليهِ اولاً ونفوا صحة قولهِ ثم اضطروا ان يسلموا بهِ

وظهر هذا المذنب واضحاً في البلدان الجنوبية فرصدهُ الاب كردو في بونديشري ببلاد

الهند وقال انهُ كان في ٣٠ ابريل مثل نجم كبير يحيط بهِ شيء كالضباب ولهُ ذنب طولهُ ٣٠ درجة ورصدهُ المسيو له نو في جزيرة بوربون وقال ان طول ذنبهِ كان ٣ درجات في ٢٩ مارس فبلغ ٤٧ درجة في ٥ مايو ثم رُصد في لسبون وباريس وطولوز

ولما ثبت ان هذا المذنب دوري اي انهُ يعود في زمن معلوم اهتمَّ العلماء بمعرفة تاريخهِ وكان هلي قد حقَّق ازمنة ظهورهِ الماضية الى سنة ١٤٥٦ فحقق المستر رسل هند ازمنة ظهورهِ السابقة وبيَّن ان المذنب الذي ظهر سنة ٨٣٧ مسيحية هو مذنب هلي نفسهُ وهو الذي قلنا ان ابا تمام اشار اليهِ في قصيدتهِ التي مدح بها الخليفة المعتصم . ولقد كان تأثير ظهورهِ في اوربا حينئذٍ اشد من تأثير ظهورهِ في اسيا فان لويس الاول ملك فرنسا ابن شارلمان جزع منهُ جزعاً شديداً واستدعى منجميهِ وطلب منهم ان يخبروهُ عما ينبئ بهِ . قال رئيس المنجمين في هذا الصدد ما ترجمتهُ

ظهر في السماء نجم يتبعهُ الشؤم دائماً ولما بلغ الامبراطور خبرهُ قلق اشد القلق ولم يهدأ لهُ روع حتى جمع بعض العلماء وانا معهم ولما دخلت سألني بلهفة قائلاً ما معنى هذا النجم وبماذا ينبئ فقلت لهُ امهلني ريثما ارقبهُ واستدلّ من النجوم على معناهُ ووعدتهُ بان آتيهُ بالجواب من الغد . فادرك ان ذلك محاولة مني لكي اتبصَّر ولا اقول لهُ شيئاً يغيظهُ وقال لي اصعد على سطح القصر الآن وعد حالاً واخبرني بما رأيت فاني لم ارَ هذا النجم البارحة وانت لم تدلني عليهِ وانا اعلم انهُ مذنَّب فاخبرني عما ينذرني بهِ. ثم قال وهنا امر آخر اراك تخفيهِ عني وهو ان هذا النجم يدل على موت ملك وقيام آخر

ولما رأى المنجمون الحاضرون حكمة الملك الفائقة لم يسعهم الاَّ ان يعترفوا بان النجم المشار اليهِ نذير من الله ينذر باقتراب ايام السوء لكثرة معاصي الشعب . فبادر الملك الى اصلاح سيرتهِ وبناء الكنائس وانشاء الاديرة في كل ممالكهِ تسكيناً لغضب الله

وقد بحث المهندس ديونيس دي صجور في كل الاخبار الواردة في التواريخ عن ظهور هذا المذنب حينئذٍ ولاسيما في الاخبار الصينية فثبت لهُ انهُ مذنب هلي نفسهُ وانهُ بلغ نقطة الراس في ٢٨ فبراير سنة ٨٣٧ وانهُ اقترب من الارض في شهر مارس حتى بقي بينهُ وبينها مليونا ميل فقط وان ذنبهُ طال حتى فاق في طولهِ نصف قبة السماء

ولما ظهر هذا المذنب سنة ١٠٦٦ للميلاد اتفق ان ظهورهُ كان لما فتح وليم الظافر انكلترا فعلَّق الانكليز بهِ ما حلَّ بهم من المحن وقالوا ان حجمهُ كان مثل حجم البدر وان ذنبهُ كان كذنب التنين او كالسيف المسلول وانهُ خرج من فيهِ خطان طويلان من اشعة النور وصل

احدهما الى فرنسا والآخر انقسم سبعة اقسام انتشرت فوق ارلندا

وقد ذكر ابن الاثير ظهور هذا المذنب في حوادث سنة ٤٥٨ هجرية الموافقة لسنة ١٠٦٦ مسيحية قال « في العشر الاولى من جمادي الاولى ظهر كوكب كبير لهُ ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث اذرع وهي ممتدة الى وسط السماء وبقي الى السابع والعشرين من الشهر وغاب ثم ظهر ايضاً آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نورهُ عليهِ كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا . ولما اظلم الليل صار لهُ ذنب نحو الجنوب وبقي عشرة ايام ثم اضمحل » ومعنى قولهِ « غاب » انهُ دنا من الشمس حتى لم يعد يُرى ولما ابعد عنها قليلاً رُئي ثانية

وكان لظهور هذا المذنب سنة ١٤٥٦ ميلادية الموافقة لسنة ٨٦٠ هجرية شأن كبير شرقاً وغرباً لان ظهورهُ كان بُعَيْد فتح القسطنطينيَّة وايغال السلطان محمد الفاتح في اوربا وقد ذكرهُ ابن اياس في حوادث سنة ٨٦٠ فقال وفي اثناء هذا الشهر (جمادي الاولى) ظهر في السماء نجم بذنب طويل جدًّا وكان يظهر من جهة الشرق ودام يطلع نحواً من شهرين وكان من نوادر الكواكب فتُكلم في ما يدلُّ عليه من الامر وزاد الكلام بسببهِ . ثم اختفى واقام مدة طويلة نحواً من ثلاث سنين حتى وقع بمصر الطاعون والحريق . قال صاحب مرآة الزمان ان اول ما ظهر نجم الذنب عند ما قتلَ قابيل اخاهُ هابيل وظهر عند وقوع الطوفان وعند وقود نار ابرهيم الخليل وعند هلاك قوم عاد وثمود وعند هلاك فرعون وعند قتل الامام عثمان بن عفان وعند قتل الامام علي وعند قتل جماعة كثيرة من الخلفاء وفي الغالب يحدث عند ظهور نجم الذنب حادث عظيم وقد جُرّب ذلك وصحَّ من فناء وقتل وفتن وخسف وزلازل وغير ذلك » . انتهى ما ذكرهُ ابن اياس في تاريخهِ ويظهر منهُ ان اهل الشرق كانوا يخافون من ظهور النجم ذي الذنب مثل اهل الغرب وينسبون اليهِ كل ما يصيبهم من الرزايا

اما كتَّاب الغرب فقالوا انهُ ظهر في ٢٩ مايو وسار في السماء نحو القمر وكان ذنبهُ شبيهاً بالسيف العثماني وبلغ نقطة الراس في التاسع من شهر يونيو ثم ارتد راجعاً . وزعم بعضهم انهُ كسف القمر فعلاً لشدَّة ضيائهِ . ولكن اتفق ان القمر كُسف حينئذٍ كسوفاً عاديًّا فحسبوا ان المذنب كسفهُ . وكانت غرَّة جمادى الاولى في ٧ ابريل تلك السنة والظاهر ان ابن اياس اراد جمادى الثانية

وكتب المؤرخ بلاتينا حينئذٍ في كتابهِ الذي طبع في البندقية سنة ١٤٧٩ يقول . ظهر

نجم ناري شعري اياماً فقال اهل الحساب انهُ سيتلو ظهورهُ وباء وقحط ومصائب شديدة فامر (البابا) كالكستوس بالابتهالات لدفع غضب الله ... وامر ان يستجلب رضا الله بالتوسل المستمر ...

وظهر هذا المذنب آخر مرة سنة ١٨٣٤ وبلغ معظم بهائهِ في السنة التالية كما حسب علماء الفلك وقد حسب الكونت ده بونتكولان سنة ١٨٦٤ انهُ سيبلغ نقطة الراس في ظهورهِ الاخير هذا في الرابع والعشرين من شهر مايو سنة ١٩١٠ لكن وقع في حسابهِ بعض الخطإِ. ورجَّح المستر كروملين ان المذنب يبلغ نقطة الراس في ١٦ ابريل المقبل ويمر حول الشمس بسرعة ١٨٠٠ ميل في الدقيقة ويصير على ١٢ مليون ميل من الارض. واذا اتفق انهُ جذب الارض حينئذٍ جذبةً عنيفة اراح سكانها من هذا الجهاد الشديد وهذا الطمع الاشعبي وعلم اهالي اوربا واهالي اسيا ان الناس كلهم شرَع ليس في اصلهم شرف يفاخرون بهِ غير الطين والماء. ولكن هذا الاتفاق بعيد الحدوث جدًّا لا يقع في دورة من مليون دورة فلا وجه للتخوُّف منهُ. ولا يبعد ان تشيع الاوهام والتخرصات على اثر ظهور هذا المذنب كما شاعت في عهد ابي تمام لاسيما وان بعض الجرائد الاوربية ستتخذ ظهورهُ فرصةً لاشاعة الاخبار المدهشة والاراجيف المقلقة. فعسى ان لا تترجم جرائدنا عنها شيئاً من هذا القبيل لان كل ما يقلق البال يؤَثر في الصحة ومجرى الاعمال. وحسب الجمهور ان يعلم ان هذه المذنبات نفسها اجسام صغيرة جدًّا في الغالب كالنيازك وان اصطدامها بالارض بعيد الوقوع جدًّا وان اذنابها التي تلاقي الارض احياناً كثيرة لكبرها واتساعها غازات لطيفة لا تؤَثر في الارض اقل تأثير

ويظهر من حساب الاستاذ ملوسفتش ان هذا المذنب يبلغ نقطة الراس في التاسع عشر من ابريل المقبل ومن حساب الاب مرل مدير مرصد بركلندس انهُ يبلغ نقطة الراس في ١٨,٦٣ من ابريل اي انهُ يبلغ اقل بعدهِ عن الارض في التاسع عشر من ابريل ويكون بعدهُ حينئذٍ عن الارض نحو ١٣ مليون ميل ورجح ان ذنبهُ يغمر الارض في الثامن عشر من شهر مايو. وسيرى في اول العام الجديد في برج الحوت كنجم من نجوم المساء ويعود الى الظهور بين نجوم المساء في شهر مارس وفي شهر مايو ومن المحتمل انهُ يقرب من الشمس حتى يرى وقت كسوفها في الثامن من شهر مايو المقبل

اما الكلام على المذنبات عموماً وما يراهُ العلماء في سبب وجودها وحقيقة اذنابها فترى فيهِ مقالة مسهبة في جزء يوليو من هذه السنة

سر الوجود

ما هي الحياة اين كان الاحياء قبلما ولدوا والى اين يمضون بعدما يموتون . وما هي الحكمة في هذا الخلق . لماذا يولد مئة طفل فلا يبلغ العشرين ثلاثون منهم ولا يبلغ الخمسين عشرة ولماذا تبيض السمكة مليون بيضة فلا يبلغ الأ اثنان من اولادها اشدها وتثمر الشجرة الوفاً من الاثمار قبلما يتفق لاحدى بزورها ان تنبت وتخلف نسلاً . وعلى مَ تظهر الازهار والرياحين في الغابات والادغال حيث لا تراها عين انسان ولا يتمتع بها ذوق حيوان

يجيبك العالم الطبيعي بسلسلة من العلل والمعلولات مفادها ان كل حلقة من حلقات الوجود متصلة بغيرها وان الغرض منها ترقية الاحياء بنوع عام . يقول لك ان قوى الطبيعة وميكروباتها تجتمع على عناصر الجماد فتحلها وتركبها وتجعلها غذاء للنبات فينمو بها ويصير غذاء للحيوان . وكلما سقطت ورقة او نبتت شجرة اقبلت عليها الميكروبات فحللتها واعادتها الى التراب غذاء لما يخلفها . وكلما مات حيوان انحلَّ جسمهُ وعاد الى الارض والهواء غذاء للنبات وان لم يمت اكلهُ غيرهُ من الحيوان غذاء لهُ . وانواع النبات والحيوان ترتقي جيلاً بعد جيل وقرناً بعد آخر حسب النواميس الطبيعية القاضية ببقاء الاصلح للبقاء . والانسان غير مستثنًى من ذلك بل تجري عليهِ نواميس الطبيعة كما تجري على غيرهِ يولد معرَّضاً للآفات الطبيعية فتغلب عليهِ او يغلب عليها ويموت من غير نسل او يخلف نسلاً وتتوالى الاعقاب والاحقاب والارتقاء مستمرٌّ وما الفرد سوى دقيقة في جسم هذا الوجود يقوم بهِ جزءٌ من اجزاء هذا الرقي . هذه خلاصة اقوال العلماء الطبيعيين فهل كشفتِ الغطاء عن سر الوجود وازاحت الستار عن معنى الحياة

وقف كاتب هذه السطور عند هذا الحد واطلق للخيال العنان فلم يرَ امامهُ الأَ ظلاماً دامساً فارتدَّ على نفسهِ وهو يقول

عفت اليراع سآمةً وفرارا — من بادرات تلجم الافكارا
وخرجت في ليل كأَنَّ نجومهُ — احقاق فصفور اصابت نارا
جبتُ الجزيرة لا ارى لي مؤْنساً — والنيل حولي لا يزيل اوارا
حتى بدا نور الصباح فشمتهُ — نور المدى فاتيتهُ محضارا
وطلبت عن هذا الوجود وسرهِ — كشفاً يزيح عن الوجود ستارا
فاجابني سرُّ الوجود صحيفة — طويت فقلتُ أنشر امنت عثارا
فنشتُ عن سر الوجود وقصدهِ — وسألتُ عنهُ النطس والاحبارا

طالعتُ ما كتبوا فما من مقنع وكتبت ما قالوا فلستُ أُماري
اسماك هذا النيل لا تحصى وفي تاريخها قد جازت الادهارا
عاشت وماتت بين حبٍ او قلىً تحنو وتقسو لا هوًى لا ثارا
حرباً وسلماً واعتداء واحتكا مَا لا ترى منها لها انصارا
وطوائف الاحياء يعيي وصفها قسُّ البيان وعدُّها المقدارا
من مثلٍ مكروب حقير لا يرى او مثل تمساح طوى الانهارا
والنيل قلْ ما شئت في تعظيمهِ نهر جرى كي يدرك الابحارا
لو الف نيل جُمّعت ما ماثلت من اوقيانوس واحد معشارا
بحر خضمٌ والخلائق ملئهُ تبغي البقا والى الفنا تتبارى
كانت كذلك في العصور الغابرات المبقيات على الصفا آثارا
منها توالدت الصخور وطالما قلب غدا صخراً وماء غارا
والطيرُ في انواعها وضروبها سامت ذكاء تعلقاً ومطارا
اسرابها تغدو وتقطع رُحّلاً خوف الردى والى الردى تتجارى
ونبات هذي الارض من ارز الى زوفا يبيد وان يعش اعصارا
فعلى مَ هذا الخلق ان كان الفناء مصيرهُ والناس فيهِ توارى

فاجابني رِكزٌ خفيٌّ قائلاً اسمعْ وقلْ قولي « امنتَ عثارا »
هذي الخلائق كلهنَّ دقائقٌ والكون من مجموعها قد صارا
والفرد فيها ليس من مجموعها الاَّ هباء او قذًى منهارا
ورقيُّ هذا الكون يستدعي — اندثار دقائق ونفايةً وبوارا
هذهِ تعاليم الفلاسفة الاولى جعلوا دجى الليل البهيم نهارا

انموت في سبل الرقيّ ضحيةً ونصير من اجل الرقيّ غبارا
نورَ الخلائق مصدر النور الذي يهدي الكواكب في السماء مدارا
ان لم تنر عقل ابن آدم لم يجد نور الهدى بل زاد عنك نفارا
فاهدِ ايا نور البصائر معشراً تخذوا الحقيقة خلةً وشعارا
انضوا عوامل عقلهم فتثلمت واستوقفوا المبغى فزاد فرارا
ظلَمٌ ونور العقل قصّر عن هدًى وبغير نورك لا نشيم منارا

سورية ولبنان

(٤) الهيئة المحكومة والهيئة الحاكمة

الهيئة المحكومة — لم تكد قدماي تطآن البر في مدينة يافا حتى سمعت مرَّ الشكوى من رجال الحكومة . فمن قائل ان الرشوة لا تزال جارية مجراها . ومن قائل ان الفوضى ضاربة اطنابها . ومن قائل ان الوظائف تعطى بالصنيعة لا بالكفاءة فلم تزل الحال كما كانت في العهد الماضي . ومن قائل ان الموظفين الجدد الذين عينوا بايعاز جمعية الاتحاد والترقي قليلو الخبرة في الامور الادارية فيديرهم الذين تحتهم كما يشاؤُون او يجهلون العربية فتدار الامور حسب ميل المترجم . وسمعت مثل ذلك في حيفا وعكاء وبيروت . والمسيحيون يشكون خاصة من الشروع في تجنيد اولادهم حالاً قبلما يوجد الضباط منهم . والكل يشكون مر الشكوى من جعل المرافعات باللغة التركية واستخدام قضاة لا يفهمون العربية

ولم اكد استريح من وعثاء السفر في حدث بيروت حتى جعل اهلها يقصُّون عليَّ كيف فازوا في انتخاب عضو منهم لمجلس الادارة في لبنان بعد ان اظهر الجفاء لدولة المتصرف وكيف اظهر المتصرف ارتياحهُ لانتخابهِ لانهُ نابغة حر الفكر قوي العارضة وكيف عاد الى بيتهِ بموكب حافل لسرور حزبهِ بفوزهم . وشاهدت هناك اناساً يهتمون بالسياسة ولم اكن اتصور انها تخطر لهم ببال . ثم رأيت مثل ذلك في كل مكان نزلتهُ في لبنان . واكثر الذين حادثوني في المواضيع السياسية رأيتهم يشكون من المتصرف ومن مجلس الادارة ومن محاكم القضاء ومن القائمقامين ومن المديرين ومن كل رجال الحكومة . وتلوت بعض الجرائد في بيروت ولبنان فرأيتها تردد شكوى الاهلين وتزيد عليها حتى ان من يسمع شكوى الشاكين او يقرأ جرائدهم يحسب ان البلاد خربت او عمتها الفوضى وانتفى منها الامن . ولكنني لم ارَ شيئاً يدل على ذلك لا في احوال الناس ولا في معاملاتهم ولا بلغني انهُ حدثت حادثة واحدة جنائية في الاربعين يوماً التي اقمتها في بيروت ولبنان ودمشق تدل على فساد الاحكام . نعم وقع بعض الجنايات قبيل ذلك ولكنها ليست من فساد الاحكام وتراخي الحكام بل من حدة دم الاهلين وهي اشبه بالمبارزات الشخصية التي تحدث في فرنسا منها بسطو اللصوص للقتل والنهب الذي يحدث في بلدان أُخرى

ومن الغريب اني لم اسمع احداً يشكو من اسباب الشكوى الحقيقية اي من الاعمال التي

يناط عملها بالحكومة وهي لم تعملها حتى الآن فسكك بيروت اكثرها احافير ومهاوٍ ولم اسمع احداً يشكو منها كأنهم يحسبون وعورتها وتخربها مما لا بد منهُ · وسكك دمشق الداخلية مرصوف اكثرها بحجارة كبيرة من الزلط فتسمع للمركبات السائرة عليها قرقعة تصم الآذان وكثير منها ضيق جداً لا يسع الأ مركبة واحدة فاذا التقت مركبتان اضطرت احداهما ان ترجع القهقرى الى ان تبلغ اول الشارع · وقد اعتادت الخيل ذلك على ما يظهر فتسير طرداً وعكساً على حدٍ سوى · والكهربائية رخيصة جداً في دمشق لانها تتولد من غير نفقة لكن المصابيح التي نصبت في الشوارع ضئيلة النور غالباً لقدمها حتى يصح فيها قول من قال انها وضعت لتدل على الظلام · وقس عليها قناديل الغاز في بيروت فان هذه ضئيلة النور وبعيدة بعضها عن بعض · وللحكومة او للمجالس البلدية حق المراقبة على هذه وتلك ولكن لا مراقبة على ما يظهر ولم اسمع من الناس شكوى منها · وطرق المركبات قلما ترش في لبنان ولولا الامطار الجارفة التي وقعت هذا الصيف لساءت حالها جداً ولم اسمع احداً شكا منها · وقد اشترى اهالي عاليه نبع ماء في حمانا ليجروهُ الى قريتهم ويعطوا منهُ جانباً لسوق الغرب فقام بعض اهالي حمانا وحفروا الارض فوق النبع وتحتهُ حتى يغور ماؤُهُ او يجري في حفرهم ويضيع على اهل عاليه المال الذي دفعوهُ ولم اسمع شكوى منهم بل سمعتهم يؤكدون ان الماء سيصل اليهم في العام المقبل ولو لم يطلعني متصرف لبنان على حقيقة الحال لبقيت احسب الامر كما قالوا

والخلاصة ان شكاوي الناس من حكامهم كثيرة ولكن حال الامن وحال المعاملات لا تؤيدانها · واما الشكاوي الثلاث المذكورة آنفاً وهي شكوى المسيحيين من المبادرة الى تجنيد ابنائهم قبل وجود الضباط منهم وشكوى الجميع من جعل المرافعات بالتركية ومن استخدام المأمورين الذين يجهلون العربية فحقيقة بالنظر ويضاف الى ذلك شكويان الواحدة شكوى اهالي لبنان من منع السفن البخارية عن مرافئهم والثانية شكوى اهالي الاقضية في الولايتين من تأليف المحاكم فيها فابسط الكلام عليها

***

تجنيد المسيحيين — لا مشاحة في ان الحروب من اكبر الويلات على نوع الانسان ومن آثار الهمجية الباقية الى الآن وان على كل محب لابناء نوعهِ ان يبذل جهدهُ في ابطالها ولكن ما دامت شراً واجباً وما دام التخلص منها ضرباً من المحال فلا سبيل الى الهرب من تجنيد الجنود واعداد معدات القتال · ولا تدفع الحرب الآن الا بالاستعداد لها · والمسيحيون منتدبون للدفاع عن وطنهم كالمسلمين وهو فخر يلامون اذا احجموا عنهُ اشد اللوم · ولا تشتد

الالفة بين طوائف الامة العثمانية ما لم يشترك كل ابنائها في السراء والضراء وفي كل ما يعلي شأن الوطن

ولكن لا مشاحة ايضاً في ان كثيرين من ابناء الطوائف المسيحية قد تعلموا وتهذبوا وترفهوا وصار يصعب عليهم تحمل شظف العيش وفي ان عاداتهم مخالفة من وجوه كثيرة لعادات غيرهم من الطوائف الاخرى فاذا كان ضباطهم منهم او من الاوربيين صارت الخدمة العسكرية اسهل عليهم مما لو لم يكن الامر كذلك . ومن المرجح انهم يعظمون المصاعب الآن ومتى انتظم ابناؤهم في الخدمة وجدوها اخف مما ظنوا ولكن لا يمكن نزع ما هو راسخ في النفوس دفعة واحدة . فالتؤدة واجبة في هذه الحال . ولو عولت الحكومة المركزية على تجربة تجنيد المسيحيين اولاً في بعض الولايات التي لا يمتنع اهلوها عن تجنيد ابنائهم وتركت الولايات الاخرى على حالها القديم سنتين او ثلاثاً الى ان تظهر صحة التجربة لاصابت غرضين في وقت واحد فان دخلها من البدل العسكري لا يقل كما ينتظر ان يقل الآن ورعاياها المسيحيين يرون من الاصلاح في احوال جنودنا ما يرغبهم في الانتظام في الجندية

∴

استعمال اللغة التركية في المرافعات — هذه الشكوى عامة ولا بد للحكومة المركزية من ان تعيد النظر وتتدارك الخطب قبل تفاقمه او تؤجل العمل بقرارها بضع سنوات الى ان يكثر متعلمو التركية في الولايات العربية والاً فانها تقيم قائمة اولاد العرب عليها وهم ليس لهم الآن جامعة تجمعهم ولكن امراً مثل هذا يجمع شملهم لا محالة لانهُ ليس اقدر على جمع الشمل من الاشتراك في محنة . ويعجبنا ما فعلهُ احد قضاة الانكليز في القطر المصري وهو انهُ طلب من كاتب المحكمة ان يكتب اقوال الخصوم والشهود كما قالوها حرفياً بلغتهم العامية حتى لا تخسر شيئاً من معناها ولا من قوتها بالنقل الى اللغة المعربة التي يكتب بها الكتاب عادة . فكيف يكون حال القاضي الذي لا يفهم العربية وكل اعتماده على لغة الترجمان وذمتهِ . وهب ان الترجمان من اطهر الناس ذمةً فمن يكفل انهُ لا يضيع المعنى بالترجمة عن غير قصد منهُ . ومتى كثر المحامون العارفون باللغة التركية سهلت المداعاة بها

لغة المأمورين — وما قيل عن المرافعات وجهل القضاة للعربية يقال عن جهل المأمورين ايضاً لها ولكن عذر الحكومة المركزية في ذلك واضح وهو قلة المأمورين الذين يحسنون العربية واذا لم يكن لك ما تريد فارد ما يكون . ويحسن بها ان تفعل ما تفعلهُ الحكومة الانكليزية وهي ان ترغّب المأمورين في تعلم لغة البلاد التي توظفهم فيها باعطائها الجوائز لمن يتعلمها منهم

و بتفضيلهِ على غيرهِ فاذا فعلت حكومة الاستانة ذلك ووضعت نصب عينها ان تغيير لغة واسعة منتشرة مثل اللغة العربية ضرب من المحال وانهُ يصعب عليها ان تحكم ابناء العرب بالعدل والانصاف باناس يجهلون اللغة العربية لم يتعذر عليها ان تجد الحكام الاكفاء العارفين بالعربية ولو بعد بضع سنين

***

مرافئ لبنان — القانون الاساسي العثماني يجيز للسفن ان ترسو وتشحن وتفرغ الشحن في كل مرفإٍ فيهِ مأمور جمرك ومرافئ لبنان جامعة هذا الشرط فلا وجه لمنع السفن من الدخول اليها . ولعل شركة المرفإ في بيروت اوجست ان يقلَّ دخلها بذهاب السفن الى مرفإ جونيه او غيرهِ من المرافىء اللبنانية فسعت الى اصدار هذا المنع ولكننا نرجح ان الحكومة المركزية ترى ان ذلك في غير محلهِ ما دام لبنان جزءا لا يتجزأ من البلاد العثمانية . ثم ان السفن الاوربية اذا وجدت شحناً كافياً لها في مرافىء لبنان فانها تذهب اليها وتشحنهُ لا محالة ولا تعتد بمنع لا تعدهُ قانونياً ولا نظن ان الحكومة المركزية تقيم مشكلة دولية من اجل امر طفيف مثل هذا

***

محاكم الاقضية — تتألف محاكم الاقضية الآن من قاضٍ موظف ومن عضوين يختارهما اهل القضاء . و يقول الشاكون ان اهل السطوة والنفوذ يختارون هذين العضوين فيجريان في الاحكام على غرض الذين يختارونهم . ولا شبهة ان هذا المبدأ حسن جدًّا وهو ان يختار الناس قضاتهم بانفسهم فاذا افسدهُ اهالي الاقضية باختيار اناس لا ذمة لهم فاللوم عليهم لا على الحكومة . ويجب ان يصلحوا انفسهم قبل الاهتمام باصلاح حكومتهم ومع ذلك لا تعفى الحكومة من النظر في هذه الشكوى بجعل انتخاب هؤلاء الاعضاء حرًّا على قدر الامكان

ولما سمعت هذه الشكاوي وامثالها قصدت اصحاب الدولة والي بيروت ووالي سورية ومتصرف لبنان وباحثتهم فيها وفي غيرها من الشؤون المهمة وها انا مورد الآن خلاصة ما استنتجتهُ من الحديث معهم ومع غيرهم من رجال الحل والعقد . وكل ما ساذكرهُ تبعتهُ عليَّ وحدي لانني لم اطلع احداً منهم عليهِ قبل نشرهِ ولكنني اعتقد انهُ لا يناقض شيئاً مما قالوهُ لي

تمهيد

تفضل دولتلو متصرف لبنان فقابلني في مصيفهِ بعاليه ودامت المقابلة ساعة ونصف ساعة فشرح لي فيها كثيراً من احوال لبنان فوجدتهُ خبيراً باموره ورجالهِ يحفظ حتى الارقام في ميزانية دخلهِ وخرجهِ ويعرف ما بين سكانهِ من المناظرات والمشاحنات ويتألم من كثرة شكاويهم لاسيما وانهُ لا يرى لها مسوغاً . ولما قلت لهُ ان الشكوى قد لا تكون دليلاً على البلوى بل على زيادة الشعور وتحسن الاحوال وقدمت لهُ الامثلة على ذلك من القطر المصري ووصفت لهُ حال البلاد كما كانت لما فارقتها منذ خمس وعشرين سنة وحالها الآن ابرقت اسرتهُ وظهرت عليهِ امارات الرضى والسرور وجعل يشرح لي ما فعلهُ للبنان وما يشكو منهُ كما سيجيء

وتفضل والي سورية دولتلو اسمعيل فاضل باشا فقابلني في سراي الحكومة بدمشق وكانت المقابلة يوم جمعة فاتى السراي لهذه الغاية ودامت المقابلة اكثر من ساعة . ورد لي الزيارة في النزل الذي كنت فيهِ وزارت عائلتي عائلتهُ فسرّت سروراً لا مزيد عليهِ بما لقيتهُ من حضرة حرمهِ ثم زرتهُ مودعاً وكنا في هذه الزيارات نتذاكر في امور الدولة بنوع عام وامور سورية بنوع خاص فوجدتهُ متوقداً غيرةً على مصلحة دولتهِ جامعاً بين الرقة والحزم عازماً ان يقوم بمهام الولاية مهما كانت شاقة وان يستعمل اللين اولاً فان لم يجدِ نفعاً فالشدة . والناس لا يجهلون مصلحتهم ولكنهم لم يروا من تصرف الحكومة معهم في العهد الماضي ما يحملهم على الثقة بها فاذا ثبت لهم الآن ان الحكومة الدستورية مخلصة ومهتمة بما يرقيهم ويعلي شأنهم انقادوا اليها عن طيب نفس

ولا يخفى ان دولتهُ جندي باسل فلا ينتظر ان يكون واسع الخبرة في الامور الادارية ولكن الرجال الذين يعتمد عليهم واسعو الخبرة جدًّا واخص منهم ثلاثة تحدثت معهم وهم حضرات الدفتردار والمكتوبجي ومدير الامور الاجنبية ولا بد من ان يكونوا اكبر عضد لهُ . ثم ان السوريين عموماً قد برهنوا في ما مضى على انهم يستطيعون ان يتقدموا ولو كانت حكومتهم ضدهم فلا يعقل انهم يقفون عن التقدم والحكومة غير واقفة في سبيلهم بل مؤيدة لهم ولذلك لا يحتاج واليهم الى دهاء سياسي غير عادي لسياستهم . اما اهالي الجهات القاصية كحوران ونحوها فيحسن برؤسائهم ان يجربوا الثقة بالحكومة والانقياد لها الآن فيروا من عدلها وانصافها غير ما اعتادوه . قيل لي ان جماعة منهم ابوا الانقياد فارسل اليهم الوالي مأموراً ومعهُ نفر من الجند وامرهُ ان يطلب منهم الطاعة والاَّ فيهددهم باطلاق النار عليهم و يطلقها

فعلاً اذا اصروا . وعليهِ ان يعود بجنودهِ حالما يتم مأموريتهُ سواء اطاع اولئك العصاة سلماً او حرباً حتى لا يثقل عليهم . فذهب المأمور بجنودهِ وطلب من العصاة الطاعة فابوا فامر الجنود ان يصطفوا ويسددوا بنادقهم فلما رأى العصاة ذلك اطاعوا قبل ان تطلق عليهم بندقية وللحال رجع الجنود عنهم من غير ان يثقلوا على احد منهم . فحادثة مثل هذه لا بد من ان تؤَثر اعظم تأثير في البلاد المجاورة

وتفضل والي بيروت دولتلو ناظم باشا فقابلني في بيتهِ مقابلة خصوصية . ذهبت اليهِ مهنئاً بعيد الفطر وشاكراً اهتمامهُ بامر عائلتي فانهُ لما بلغهُ ان المركبة انقلبت بها قرب صوفر بعث اليَّ بطاقة تركية العبارة يقول فيها ما ترجمتهُ « ان الحادث الفجائي الذي بالعون الصمداني كانت نتيجتهُ السلامة قد افعم فؤَادي سروراً فمع كمال الشكر والحمد اظهر لكم حاساتي الخالصة » . ثم رد اليَّ دولتهُ الزيارة وتناول الشاي مع عائلتي ودعيت معهُ للعشاء في دار صاحب السعادة سليم بك ايوب ثابت وابن عمهِ الخواجه قسطنطين نعمه ثابت وطال الحديث مع دولتهِ في المرات الثلاث عن احوال بيروت والبلاد السورية بنوع خاص وعن احوال السلطنة بنوع عام . وهو الوالي الذي حمى الاحرار في زمن الاستبداد على ما بلغني . وعلمت ممن اثق بهِ ان سفراء الدول شهدوا لهُ بان مذابح الاستانة لم تكن بامرهِ ولا برضاهُ بل كانت على ضد ارادتهِ وانهُ بذل جهدهُ في منعها خلافاً لما يتهمهُ بهِ خصومهُ

والولاة الثلاثة يحسنون الفرنسوية ويكثرون من استعمال الفاظها في التركية اذا تكلموا بها واولادهم يتكلمون الفرنسوية ايضاً وقد وقع نظري عرضاً على دفتر لابن ناظم باشا وهو فتىً في نحو الثانية عشرة من العمر فرأيتهُ قد كتب فيهِ دروسهُ الجبرية باللغة الفرنسوية وما كتبهُ آية في جودة الخط ودقة العمل الرياضي ورأيت ناظم باشا مهتماً بتعليم بناتهِ اللغة الانكليزية مع الفرنسوية

آتي بعد هذا التمهيد على بعض ما علق بذاكرتي من الاحاديث مع هؤلاء الولاة ورجالهم

متصرف لبنان

رأى متصرف لبنان ان اجور مأموري الحكومة لم تزل على ما كانت عليهِ حين كانت لوازم المعيشة رخيصة جدًّا والجبل في حالة الفقر المدقع . ومعلوم ان قلة راتب المأمور تجربة كبيرة في سبيل الارتشاء فلا يهون عليهِ ان يرى بيتهُ عارياً من الاثاث وزوجتهُ واولادهُ دون امثالهم في اكسيتهم واطعمتهم ثم تعرض عليهِ مئة جنيه رشوة فيرفضها . ولذلك اهتم بزيادة

اجور رجال الحكومة كلهم من اعضاء مجلس الادارة الى انفار الجندرمة فضاعف رواتب اعضاء المجلس · كان راتب العضو منهم الف غرش في الشهر فجعلهُ الفين وحبذا لو استطاع ان يجعلهُ ثلاثة او اربعة لانهم مضطرون ان يقضوا وقتهم كلهُ في خدمة الحكومة وان يقيموا فصل الصيف في مكان وفصل الشتاء في مكان آخر وقد لا يكون لهم دخل يعتمدون عليهِ غير راتبهم · وضاعف ايضاً رواتب القضاة كلهم وزاد اكثر من ثلاثين في المئة على رواتب سائر المأمورين وزاد عدد انفار الجندرمة من ٨٢٠ الى ٩٤٠ وكان راتب النفر ١٥٠ غرشاً فجعلهُ ٢٠٠ غرش في الشهر وزاد رواتب ضباطهم على هذه النسبة وبلغ مجموع الزيادات نحو ٨٠٠٠ ليرة في السنة · واراد في اول الامر ان يزيد مال الاعناق ومال الاملاك لكي يجد المال اللازم لهذه الزيادات فقاومهُ اهل البلاد فعدل عن ذلك واهتم بضبط الايرادات غير المقررة كرسوم المحاكم والتسجيل (التصديق) وتذاكر السفر وما اشبه وتسمى عندهم بالمهمولات فوجد المال المطلوب لزيادة الرواتب

وهو يعترف ان لبنان محتاج الى اصلاحات كثيرة فطريق دمشق يحتاج الى ترميم واصلاح مستمر وقد بذل جهدهُ في جعل حكومة الاستانة توافقه على ذلك · وسائر طرق لبنان تحتاج الى زيادة الاعتناء في رصها وترميمها ولا بد من انشاء طرق كثيرة غيرها وتعميم المنافع العمومية كالبوستة والتلغراف · لكن يصعب تدبير الاموال اللازمة لذلك مع ان ما ينفق في هذا السبيل بمثابة رأس مال يزيد بهِ دخل اهالي لبنان وتزيد راحتهم ورفاهيتهم وتقل نفقاتهم · فاذا فرضنا ان في لبنان الآن نحو عشرة آلاف دابة من دواب الحمل والنقل بين جمال وخيل وبغال وحمير وانهُ يقتصد من قوة كل دابة منها في اليوم ومن عليقها غرشان اذا سارت على طريق ممهد بدلاً من السير على طريق وعر كثير العثرات وانها تعمل ٢٥٠ يوماً في السنة فيكون الوفر السنوي من كل دابة ٥٠٠ غرش ومن عشرة آلاف الدابة خمسين الف ليرة · وهذا التعديل يقل عن الحقيقة ولا يزيد عليها ناهيك عن انهُ اذا أُصلحت الطرق كلها تضاعف حمل الدواب ضعفين او ثلاثة لان احمالها تصير توضع في عربات بدلاً من ان تحملها على ظهرها . ولا يخفى ما في ذلك من الاقتصاد الكبير

ثم ان اصلاح الطرق وفتح مكاتب البوستة والتلغراف في كل قرية كبيرة يزيد عدد المصطافين وتربح البلاد منهم الآن ربحاً طائلاً لان نفقات العائلة المصطافة لا تقل عن مئة ليرة في فصل الصيف وقد تبلغ ثلثمئة او اربع مئة او اكثر · فاذا اخذنا اقل النفقات وهو مئة ليرة وحسبنا عدد العيال المصطافة في كل لبنان من سورية ومن غيرها خمسة آلاف عائلة

فالاموال التي ينفقونها في الجبل تبلغ نصف مليون ليرة واذا تسهلت كل وسائل الراحة فلا يبعدان يتضاعف عدد المصطافين فيتضاعف المال الذي ينفقونهُ

ثم ان طرق لبنان ينفق على انشائها الآن المكلفون من ابنائهِ لا غير واما اصحاب الاملاك الواسعة فيهِ من اهالي بيروت فلا ينفقون غرشاً في هذا السبيل مع ان املاكهم تربح ربحاً طائلاً من انشاء الطرق واصلاحها بارتفاع اثمانها وسهولة نقل حاصلاتها اذا كانت ارضاً وبغلاء ايجارها اذا كانت بناء · فنظام لبنان مختل من هذا القبيل فيجب اصلاحهُ · وليس مرادي إعنات اصحاب الاملاك بل الاستعانة بهم على ما لا بدَّ منهُ خدمةً لمصالحهم ومصالح غيرهم · وقد ظهر لي ان دولة المتصرف يحجم عن امر مثل هذا لانهُ يعلم ما يجرُّ اليهِ من القلاقل ولكن ان احجم هو فاهالي لبنان انفسهم واصحاب الاملاك فيهِ يجب عليهم ان لا يتغاضوا عن مصلحتهم ويجب على الجرائد ان تنهض هممهم · ويا حبذا لو استعان دولتهُ بجرائد لبنان وبيروت على ارشاد الرأي العام كما فعل رجال الحل والعقد في مصر فقد اخبرت دولتهُ بما فعلتهُ الجرائد المصرية في امر الكتاتيب فانها حركت غيرة الامة كلها حتى فعلت العجائب · ولا يزال سعادة ناظر المعارف المصرية يستعين بالجرائد وذلك بنشر كل ما يجدُّ عن الكتاتيب لكي يغار المحسنون بعضهم من بعض ويقتدي بعضهم ببعض

وجملة القول ان الاربعين الف الليرة او نحوها التي كفت حكومة لبنان وادارتهُ منذ خمسين سنة لا تكفي الآن ولا بد لهُ من مئة الف ليرة على الاقل · والحصول عليها ليس بالامر العسير اذا اعيد مسحهُ ولا يستلزم أن يزاد غرش واحد على الاملاك التي كانت عامرة في زمن المسح الاول ودفعت قسطها بالعدل · وكل ما فيهِ من الصعوبة ان زمن المسح الجديد يطول وقد يستغرق سنتين او اكثر ونفقاتهِ غير قليلة ولكن لا تتعذر استدانة النفقات اللازمة لهُ الى ان يتم المسح وتوضع الضرائب على كل الاملاك عقارات كانت او مسقفات حسب ريعها وعلى الاراضي البور الصالحة للزراعة

وكذلك لا بد من تعميم البوستة والتلغراف في كل انحاء الجبل ومن جلب الماء الى القرى المحرومة منهُ او التي هو قليل فيها · وحبذا لو ربطت مراكز الحكومة كلها بالتلفون كما في القطر المصري وكما في بلاد الحبش

ولا بدَّ للحكومة اللبنانية من اخذ الامور بالحزم فاذا ثبت لها نفع شيء من الاشياء وجب ان تجري فيهِ ولا تحجم عنهُ امام المعارضة لان في البلاد فئة تطمع في الوظائف فتنتقد اعمال الحكومة مهما كانت لكي تضطر المتصرف الى مراضاتها · وحبذا لو تمكن دولتهُ من جعل

وظائف المأمورين ثابتة فلا يعزل مأمور الاَّ لذنب يقتضي عزلهُ بعد المحاكمة كما هو جارٍ في القطر المصري فيبطل هذا الطمع في الوظائف

وقد ابنت لدولتهِ ان رجال الاصلاح في مصر كانوا يلقون من المقاومة مثلما يلقى هو في لبنان لكنهم لم يعبأوا بها ولولا ذلك لما اصلحوا القناطر الخيرية ولا بنوا خزان اصوان ولا عملوا عملاً كبيراً من الاعمال التي عملوها وعادت على البلاد بالنفع . وقد كان اصحاب الاطيان يرشون المهندسين لكي يبعدوا خطوط السكك الحديدية والسكك الزراعية عن اطيانهم اما الآن وقد رأوا نفعها فصاروا يرشونهم لكي يخططوها ضمن اطيانهم . فوافقني دولتهُ على ذلك كلهِ . وعسى ان لا يرى من وجهاء لبنان الاَّ كل ما يشد ازرهُ في ما ينويهِ لهُ من الاصلاح

والي سورية

والي سورية صاحب الدولة الفريق اسمعيل باشا فاضل قدم دمشق منذ عهد قريب فقد التقيت بهِ في بيروت يوم وصولهِ اليها في ١٠ سبتمبر الماضي وصعد الى دمشق في اليوم التالي فاختبارهُ لولايتهِ قليل ولكن الرجل الواسع الخبرة لا يصعب عليهِ ان يحكم حكماً صائباً من اول نظرة . وقد سألتهُ كيف وجد سورية بالنسبة الى سائر الولايات العثمانية فقال ان ما رآهُ حتى الآن منها يحملهُ على الحكم بانها متقدمة اكثر من كل الولايات العثمانية ما عدا سلانيك. وهو في قولهِ سورية يعني ما رآهُ من ولايتي سورية وبيروت او البلاد السورية عموماً . ثم ان ما رآهُ من همة السكان يحملهُ على الاعتقاد انهُ اذا استتب الامن والعدل في هذه البلاد فاقت سلانيك في وقت قصير . وسألتهُ عما رآهُ من قبول اهالي الشام للحكومة الدستورية فاجاب انهُ يرى العامة راضين كلهم وكذلك اكثر الخاصة . ولا يعقل ان الناس يرون صلاح الحكومة الدستورية ومزاياها الكثيرة ويبعدون عنها الى ان قال . نعم يقال ان العرب يودون الاستقلال والانفصال عن سائر العثمانيين ولكن كل من يتأمل احوال البلاد العربية الآن يرى ان اهاليها من ابعد الناس عن ادارة الملك لانقسامهم ولما حل- ببلادهم من التأخر والذين يسمون انفسهم عرباً من اهالي الشام والولايات التي تتكلم العربية اكثرهم ليسوا من الجنس العربي . واستطردنا الحديث الى اللغة العربية فقال لا صحة لما يقال من ان الاتراك يودون اماتة اللغة العربية بوجه من الوجوه فانهم يعلمون انها لغة دينهم وكتابهم ولا تستغني عنها لغتهم هذا فضلاً عن ان اماتة لغة يتكلمها ملايين من الناس في كل الاقطار

امر مستحيل لذاتهِ . ولا يتهم الاتراك هذه التهمة الأ الذين يريدون ان يصطادوا في الماء العكر او الذين خسروا مزاياهم الماضية ويودون انتقاض الحكومة الدستورية ليعودوا الى مفاسدهم السابقة ومن هؤلاء لا من سواهم يخشى الضرر . اما جمهور الشعب فعلى غاية الخضوع والصلاح

ثم اخبرني كيف جال ليلاً متنكراً وسمع احاديث العامة في مجالسهم وقهاويهم فرآهم قريبين من الصلاح بعيدين عن الشر لا يحتاجون الأ الى من ينصح لهم فينقادون لنصحهِ

وفهمت منهُ ان غرض الحكومة الدستورية الحاضرة ان تكون سياسية محضة وان تترك لارباب الدين الاهتمام بالامور الدينية لاسيما وان رعاياها من اديان مختلفة اسلامية ومسيحية ويهودية ولكل دين منها مذاهب شتى فيتعذر على الحكومة ان تكون دينية وترضي الجميع على حد سوى ولكن لما كانت مرتبطة باجراء بعض العادات الدينية وكان ابطال هذه العادات مما يتعذر اجراؤهُ دفعة واحدة فلا بد لها من التدرج في ذلك تدرجاً . والظاهر انهُ ابطل الولائم التي كانت تولم في شهر رمضان لانها ليست من الفروض الدينية ولان نفقاتها كثيرة وفوائدها قليلة وهي ليست من خصائص رجال الحكومة

وبيَّن انهُ عازم على استعمال اللين في كل الامور والاقناع بالحسنى فان لم يجدِ اللين والاقناع نفعاً فلا بد من الالتجاء الى القوة وامرها سهل عليهِ لانهُ جندي محنك

وبلغني انهُ يشتغل بامور الولاية نهاراً وليلاً وينظر في كل المسائل الهامة . وقد انعم الله عليهِ بزوجة من نوابغ النساء وفضلياتهن فتساعدهُ في افكارهِ وتوجد البهجة والسرور في بيتهِ . ولا يخفى ان ذلك اكبر مساعد لاصحاب الاشغال المهمة على تدبير اشغالهم . وهو بشوش الوجه انيس المحضر على غير ما ينتظر من قواد الجيوش عادة

والي بيروت

والي بيروت دولتلو حسين ناظم باشا اشهر من نار على علم وهو من اخبر الناس بشؤون الولايتين سورية وبيروت وشؤون السلطنة عموماً وقد اخبرني انهُ بدأ الاشتغال محرراً في جريدة ورأى السلطان السابق حرية افكارهِ وبلاغة قلمهِ فاستدعاهُ اليهِ وصرفهُ عن التحرير . ولما عين لولاية سورية طلب ان تعطى الحرية التامة لجرائدها وبيَّن للدولة ان ذلك من افضل الطرق للاصلاح فكانت النتيجة ان الحكومة الحميدية اوجست منهُ خيفة ووبخنهُ على ما فعل وشددت المراقبة على المطبوعات بنوع عام وعلى الجرائد بنوع خاص

وقد ظهر لي من الحديث معهُ انهُ يرى ما يراهُ كل خالي الغرض محب لمصلحة العثمانيين وهو انهُ لا بد للقضاة من معرفة العربية وان تكون المرافعات بها في كل البلاد التي لغة اهاليها العربية · وهو ينوي ان يبذل جهدهُ في عمل كل ما يلزم من الاصلاح لمدينة بيروت · ولا يزال اهالي دمشق يذكرونهُ بالشكر لما اتمهُ في مدينتهم من الاعمال النافعة حتى الناقمون عليهِ منهم ففي عهدهِ انشئت سكة الحجاز وهو الذي اعاد بناء ما احترق وتهدم من الجامع الاموي ولم يستخدم لذلك غير الدماشقة وهو الذي بنى سراي الحكومة وغيرها من المباني العمومية وانشأ شارعاً كبيراً بنيت البيوت الكبيرة على جانبيهِ وانشأ في آخرهِ متنزهاً على نفقتهِ الخاصة

ويظهر لي انهُ يكرم الصحافة ويقدرها قدرها ويعلم نفعها للبلاد ولا غرابة في ذلك لانهُ كان صحافياً ولا يزال يفتخر بذلك · قال لهُ بعضهم على مسمع مني ان المقطم اقام عليك النكير لما سجنت فلاناً فقال نعم وقد ارتفعت منزلتهُ في عيني من ذلك الحين لاني رأيتهُ يقوم في وجه الولاة ولا تأخذهُ في الحق لومة لائم اما انا فسجنت فلاناً اطاعة لامر لم يكن في طاقتي ردهُ ولذلك فاني أهنئ المقطم بانهُ كان نصير الحرية في زمن الاستبداد

وهو عصبي المزاج شديد التأثر والظاهر ان وفاة ابنتهِ وكانت من نوابغ الفتيات اثرت فيهِ تأثيراً شديداً جداً فقد رأيت الدموع تجول في عينيهِ اذ حدث امرٌ ذكرهُ بها · وعلمت انهُ يجول في شوارع بيروت ليلاً متخفياً ليقف على احوال الامن وقد ابطل اطلاق البارود مطلقاً · ويرى الفضل للاوربيين في خدمة البلاد العثمانية بمدارسهم وقد سمعت الثناء العطر عليهِ من رئيس المدرسة الكلية السورية الاميركية لما اظهرهُ من الاهتمام بامرها · ورأيت الطمأنينة مستولية على بيروت حتى في ايام العيد التي تكثر فيها الضوضاء عادة ولم ارَ من احد ما يسوءِ ذكرهُ حتى البحارة رأيت منهم لطفاً وانساً غير عاديين

واذا طالت اقامتهُ في بيروت كما يرجو اهاليها وساعدهُ مجلساها البلديان على انفاذ ما يريدهُ لها من الاصلاح زالت منها الشوائب التي تشوب محياها الآن ولكن لا يبعد ان ترى الحكومة الدستورية شدة حاجتها اليهِ في الاستانة العلية لتستفيد السلطنة كلها من واسع اختبارهِ

(٥) مدنهما

حسب البعض من الذين قرأوا رسائلي السابقة انني كثير التفاؤل بالخير نظرت الى الحسنات في سورية ولبنان واغضيت عن السيئات وراقتني الظواهر فغفلت عما تحتها من عوامل الخراب . ولكن لو وقف الذين يقولون هذا القول موقفي ورأوا البلاد منذ خمسة وعشرين عاماً وامعنوا نظرهم حينئذٍ في احوالها المعاشية والاجتماعية وعادوا اليها الآن وقابلوا ماضيها بحاضرها وحكّموا العقل والروية لرأوا ما رأيت وحكموا بما حكمت

ولا يخفى ان المسائل العمومية لا يؤْخذ فيها بما يصيب البعض من نفع او ضرر وربح او خسارة بل بالنتيجة العمومية بما يلحق مجموع السكان . فان كثيرين من اصحاب البيوتات القديمة ضعف شأْنهم وتقدم عليهم الذين كانوا دونهم بل لا يندر ان ترى الآن خادماً صار اغنى من سيدهِ واجيراً امتلك ما كان لمؤْجرهِ فلا عجب اذا شكا ذلك السيد وهذا المؤجر من تغير الحال وانذرا بسوء المصير . ولكن ثروة البلاد لم تقل بانتقال الاملاك من زيد الى عمرو ومن خالد الى بكر بل زادت لان عمراً وبكراً جلبا مالاً اعطياه لزيد وخالد بدل املاكهما فزادت ثروة البلاد بسعيهما

الا ان البعض سألوني هل رأيت في البلاد مصادر ثروة حقيقية ثابتة يمكن الاعتماد عليها وهل تدل حالة مدنها على ذلك فاجيب انني اشرت الى هذا الموضوع في الكلام على معايش السكان ولم يفتني الانتباه لهُ وانا في سورية ولبنان فكنت اذا دخلت مخزناً اسأل عن اثمان البضائع ومصادرها والاماكن التي تباع فيها وهل يشتري الناس نقداً او ديناً وكم يهلك من الدين . واذا رأيت اثاثاً في دار او دكان اسأل عن المعمل الذي صنع فيهِ واذا دخلت معملاً لا التفت الى زخرفة مصنوعاتهِ بل اسأل عن مقدار ما يصنع منها في السنة والاماكن التي تباع فيها وربح المعمل منها وموادها الاصلية . واذا مررت في الشوارع التفت الى البيوت القديمة والجديدة اقابل بينها ولاسيما في الاحياء التي عرفتها من قبل . وقد كانت الفرصة قصيرة جداً لم تمكني من الوقوف على عشر ما أُريد الوقوف عليهِ ولكن ما رأيتهُ وما سمعتهُ يكفيان للحكم الاجمالي . واذ قد تمهد ذلك اذكر بعض ما يناسب المقام عن مدن سورية ولبنان

***

بيروت — بيروت اكبر الثغور السورية اتسع نطاقها على اثر الحرب الاهلية التي نشبت في

لبنان سنة ١٨٦٠ وعمت جانباً كبيراً من سورية فان كثيرين من المنكوبين لجأوا اليها حينئذٍ واستوطنوها والاموال التي جمعت لمساعدتهم من اوربا واميركا والتي اعطتهم اياها الحكومة العثمانية تعويضاً انفقوا اكثرها في بيروت فاتسعت تجارتها وزادت عمارتها وكثر سكانها . كان سكانها يقدرون حينئذٍ بنحو اربعين الفاً وهم الآن نحو مئة واربعين الفاً

واكثر اعتماد اهالي بيروت على التجارة فهم تجار سورية يجلبون وارداتها ويرسلون صادراتها . وبيوتهم التجارية منتشرة في عواصم اوربا وبر الاناضول والقطر المصري . وتبلغ قيمة صادراتهم في السنة نحو مليون جنيه اكثرها من الحرير وقيمة وارداتهم نحو مليوني جنيه فيدفع الفرق بين ثمن الوارد والصادر من اموال المهاجرين والسياح والمصطافين . واذا ضبطت قيمة الصادر والوارد فلا يبعد ان تزيد على ذلك كثيراً . وقد تعزز مركزها التجاري بانشاء المرفإ فيها ووصول سكة الحديد اليها ولكن هذا المركز يهدد الآن بانشاء مرفإ في حيفا وبمد سكة الحديد من حلب الى طرابلس . ولا بد لتجار بيروت من ان يجمعوا كلمتهم على ما يحفظ شأن مدينتهم

والصناعة الكبيرة ضعيفة في بيروت لان ليس فيها قوة مائية فتضطر ان تستخرج القوة من الفحم الحجري الذي يجلب اليها من اوربا . واكبر معمل صناعي فيها معمل النجارة وعمل الاثاث المعروف بمعمل السيوفي وهو مثل اكبر معامل النجارة في اوربا تصنع فيهِ الخزائن والمناضد والموائد والكراسي وما اشبه والغالب انها تصنع من خشب الجوز او من غيرهِ من الاخشاب الغالية وتنقش وتحفر وتطعم . وتصنع فيهِ ايضاً الابواب والشبابيك ونحوها . واكثر مصنوعاتهِ من الاثاث وهو يعتمد على الآلات البخارية في ما يمكن عملهُ بالآلات وعلى مهارة الصناع في ما يصنع باليد ففيهِ آلة بخارية قوتها ستون حصاناً وآلات كثيرة لكل نوع من العمل بين مناشير ومخارط ومثاقب ومقاشط ومطارق ومجالي وكلها تتحرك بسرعة فائقة بقوة البخار وتغني عن الوف من العمال ومع ذلك يبلغ عدد العمال فيهِ اربع مئة

ولا شيء ادق من الآلات اذا اريد الانتظام مع الدقة . رأيت قطع الخشب توضع في الآلة التي تصنع ارجل الكراسي فتخرطها وتضلعها وتخرجها متشابهة متماثلة تماماً في كل شيء كانها افرغت في قالب واحد وقس على ذلك سائر القطع التي تتركب منها انواع الاثاث

واما النقوش من اوراق وازهار وشرائط وطيور وملائكة وما اشبه فيصنعها الحفارون بايديهم بعد ان يرسمها الرسامون

وكل الاخشاب التي يصنع منها الاثاث في هذا المعمل تجفف اولاً في فرن ينتزع الرطوبة

منها فيمتنع تشققها والتواؤها اذا جف المواد او ترطب

والعمال في هذا المعمل وطنيون كلهم وبينهم بنات يعملن الاعمال اليدوية الدقيقة ويدهنَّ الخشب ويبردخنهُ . واكثر الاخشاب يؤتى بها من بر الاناضول فالعمل وطني بموادهِ وصناعهِ . وتباع مصنوعاتهُ في ولايتي بيروت وسورية وفي جبل لبنان ويرسل منها الى حلب فترى البيوت والدكاكين مزدانة بالخزائن والموائد والكراسي والمرايا من عمل هذا المعمل وهي مثل ما يؤتى بهِ من الاثاث الاوربي لانها تتبع الاشكال الاوربية في الغالب . ويا حبذا لو اهتم باعة الاثاث في مصر بجلب بضاعتهم من هذا المعمل بدلاً من جلبها من اوربا لا تنشيطاً للصناعة الوطنية لان كلمة تنشيط لا معنى لها في التجارة بل لان مصنوعات هذا المعمل مثل مصنوعات اوربا اتقاناً وامتن منها وارخص

والظاهر ان ربح هذا المعمل كان قبل اعلان الدستور اكثر منهُ الآن لان البلاد لا تزال مضطربة ولان صاحبهُ وسعهُ كثيراً ولكن لا بد من رد الفعل حالما تطمئن الخواطر فيزداد ربحهُ بازدياد الثروة العمومية التي تنتج عن استتباب الامن واجراء العدل

وفي بيروت معمل آخر عمالهُ من النساء والبنات وهو لحبك الخُرَج والدانتل وما اشبه وقد اخبرني مديرهُ انهُ باع من مصنوعاتهِ في اميركا في الستة الاشهر الاولى من هذه السنة ما ثمنهُ خمسون الف ريال اي عشرة آلاف جنيه

وفيها معامل للمركبات ومعمل للطيوب ومعمل للادوية ولكن هذه المعامل كلها واشباهها لا تجعلها مدينة صناعية بمعنى انها تصدر مقداراً كبيراً من مصنوعاتها حتى اذا ضعف مركزها التجاري تجد في الصناعة ما يسد مسد التجارة لان الصناعة الكبيرة لا تفلح في هذا العصر الاَّ اذا كانت القوة رخيصة وليس في بيروت ولا حولها فحم حجري لاستخراج القوة منهُ ولكن على مقربة منها قوى مائية كثيرة فشلال جزين تبلغ قوتهُ ثلاثة آلاف حصان على ما اخبرني حضرة مهندس سورية السابق بشاره افندي وماء نهر ابرهيم تزيد قوتهُ على ذلك فهل يقوم من اهالي بيروت رجال ذوو همة واقدام يحولون هذه القوة الى كهربائية ويأتون بها الى مدينتهم لانشاء المعامل الصناعية فيها . ذلك مرهون بالمستقبل

اما الصناعة الصغيرة اليدوية كالصياغة والنحاسة والحدادة والنجارة والدباغة والخياطة والسكافة وما اشبه فشائعة في بيروت وفي كل مدن سورية وقراها والصناع ماهرون جداً في صناعاتهم حتى لا تكاد البلاد تحتاج الى شيء من المصنوعات الاجنبية الاَّ ما رخَّصت المعامل الكبيرة عملهُ فكف الصناع الوطنيون من المناظرة فيهِ . وفي لبنان مناجم غنية من الحديد وتراب

صالح للخزف ورمال الساحل صالحة لعمل الزجاج ويقال ان فيهِ فحماً حجريّاً جيداً فاذا ثبت ذلك فلا يبعد ان تنشأ في بيروت وحولها معامل كبيرة للمصنوعات الحديدية والخزفية والزجاجية ومعامل لنسج الحرير

وصناعة الادب رائجة في بيروت فترى علماءها وادباءها يحررون الجرائد ويؤلفون الكتب وانديتها الادبية حافلة بالادباء والفضلاء · ولم يكن فيها قبل الدستور من الجرائد اليومية غير اثنتين فكثر عددها الآن ولكن قلما تصلها الاخبار اليومية من اقطار المسكونة كما تصل الجرائد المصرية

ولاهالي بيروت املاك واسعة في ساحل بيروت وجبل لبنان فانهم حلُّوا محل الامراء الشهابيين فيها ولبعضهم املاك كثيرة في هذا القطر ايضاً وهذه الاملاك كلها من جنائن وبساتين وحراش ومباني لها ريع كبير لكن ملاَّ كها قليلو العدد · ولا يزال في ضواحي بيروت قليل من بساتين التوت لتربية دود الحرير ويقال بالاجمال ان ربح اهالي بيروت من الزراعة قليل وخاص ببعض اغنيائها فلا يعتد بهِ

ومن حسنات الدهر ان بيروت صارت داراً للمدارس كما كانت في عهد الرومان واشهر مدارسها المدرسة الكلية السورية الانجيلية التي انتشر تلامذتها في اقطار المسكونة يعلمون ويطببون ويتولون الاعمال الكبيرة سياسية وادارية وتجارية · وقد اتسع نطاقها منذ خمس وعشرين سنة الى الآن اتساعاً لا مثيل لهُ فزاد عدد تلامذتها واساتذتها اكثر من عشرة اضعاف وزيدت مبانيها على هذه النسبة · ولا شبهة في انها من اقوى دعائم الارتقاء العقلي والادبي وحرية الفكر والبحث في المملكة العثمانية · وفيها المدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة وكلية القديس يوسف ومدارس كثيرة للبنات وكلها كثيرة التلامذة من سورية ومن القطر المصري ايضاً

والمعاملات التجارية في بيروت على ما يرام فلا يضيع غرش على تاجر ولا يخشى احد من ضياع اموالهِ · وقد ارتفعت اثمان الاراضي واجور البيوت والمخازن لكثرة الطلب عليها ولتوفر النقود · والناس في سكينة وطمأنينة حتى التجارة صاروا على جانب من الدعة ولين العريكة

اما حالة بيروت الهندسية فعلى اسوإ ما يكون فان عدد سكانها اكثر من عدد سكان جنيفا مثلاً وموقعها الطبيعي اجمل من موقع جنيفا ولعلهُ اجمل موقع في الدنيا ولكن شتَّان بينها وبين جنيفا في سعة الشوارع والساحات والمتنزهات وجمال المباني التي حولها بل شتان بينها وبين بورت سعيد وسكانها لا يبلغون ثلث سكان بيروت وما بيروت من هذا القبيل الاَّ قرية

كبيرة نعم أقيمت فيها مدة غيابي مباني كثيرة ولكنها مثل مبانيها السابقة الأ بناء اوروزدي باك الالماني فانهُ يعد من المباني الفاخرة اينما كان وبرج الثكنة العسكرية وسبيل عصور فانهما من المنشئات الهندسية الجميلة ولكن شوارع بيروت لم تزل على حالها او زادت تحفراً . ولا تصلح هذه المدينة باقل من ثلثمئة الف جنيه تفتح بها الشوارع الواسعة وترصف بالحصى والقطران ونقام لها المماشي على جوانبها . واذا كان هذا المال غير ميسور وجب ان يستدان ثم يوفى اقساطاً من عوائد الاملاك والشرفيات(1) وتصنع للمدينة خريطة منظمة يجرى عليها في المستقبل ولا يحاد عنها ولا يسمح ببناء بيت على شارع عمومي الأ اذا كان منطبقاً على رسم معلوم . فاذا اصلحت على هذه الصورة صارت مشتى لاغنياء سورية ولكثيرين من اغنياء اوربا وربحت منهم ربحاً طائلاً

دمشق — دمشق اكبر مدن سورية واقدمها بل اقدم مدن المسكونة الباقية الى الآن . عُرفت بهذا الاسم في كل اللغات القديمة فهي بالعبرانية دمسك وبالمصرية تمسكو وبالاشورية دمسكي وكفى بذلك دليلاً على قدمها . وهي الآن مركز ولاية سورية وقد كانت دار الخلافة في عهد بني امية وعاصمة ملوك كثيرين من قبلهم ومن بعدهم لكن لم يبقَ فيها من مبانيها القديمة الأ الجامع الاموي والقلعة واثار السور القديم والدرب المستقيم وسأعود الى وصف هذه الآثار في فرصة اخرى

والمدينة زراعية صناعية تجارية وقد كانت كذلك من قديم الزمان فطمع بها الغزاة واجتاحوها مراراً كثيرة وحلَّ بها من الرزايا ما خرَّب الممالك وعفا آثارها اما هي فكانت تنهض بعد كل رزيئة وتسترجع مجدها السالف الى ان فتحت ترعة السويس وحوَّلت طريق التجارة عنها

تحيط بها الغوطة المشهورة جنائن اثمار وفواكه وخضر وبقول مساحتها نحو اربعين الف فدان ويتصل بها سهل فسيح تجود فيهِ الحبوب على انواعها لا تقل مساحتهُ عن مئة وخمسين الف فدان . وقد لا يقل ريع الغوطة والسهل عن مليون ونصف من الجنيهات وفي دمشق وضواحيها نحو ثلثمئة الف نفس فيصيب النفس منهم خمسة جنيهات في السنة وهو كسب كبير يساوي كل ما يكسبهُ الواحد من السكان في القطر المصري في سنتهِ

(1) اذا فتح شارع في بيروت فالذين يقع عليهم ضرر من فتحهِ ياخذون عوضاً والذين يستفيدون من فتحهِ يدفعون شيئاً من المال مقابل ما استفادوهُ يسمى شرفية . وهو اسلوب عادل وحبذا لو اتبع في القطر المصري

وقد اشتهرت دمشق من قديم الزمان بانها مدينة صناعية حتى ان بعض المصنوعات تسمى بالنسبة اليها في اللغات الاوربية كالسيوف الدمشقية والمنسوجات الدمشقية· وطالما نقل الغزاة الصناع منها الى عواصمهم ففقدت بهم بعض صناعاتها القديمة ولكنها لم تزل داراً لكثير من الصنائع · وصناعها من امهر الناس في شغل البلاط والنحاس والحديد والخشب والصوف والجلد والنسج وترسل مصنوعاتهم الى كل الاقطار من بلاد فارس شرقاً الى اميركا غرباً· وصناعاتهم في الغالب صغيرة يعمل بها الصانع وحده وقد تكون كبيرة اي في معامل واسعة حيث تتوزع فروع العمل على الصناع فيعمل بعضهم في هذا النوع وحده وبعضهم في غيره ويستعمل البخار او الكهربائية لادارة الآلات بدل الناس · وقد شاهدت معملاً منها وهو معمل الخواجات نعسان فيهِ سبع مئة عامل يعملون بسبك النحاس ورسمهِ ونقشهِ وتنزيلهِ وصقلهِ ونشر الخشب وحفرهِ وتطعيمهِ وتدار آلاتهُ بالكهربائية · ومصنوعات هذا المعمل النحاسية والخشبية من ابدع ما رأتهُ العين باشكالها ورسومها وهي تتناول كل اثاث يصنع من الخشب او من المعدن بين كراسي وموائد ومقاعد وخزائن وبين برواز وقناديل وثريات وطسوت واباريق وكوانين وما اشبه · والامتعة الخشبية مطعمة بالصدف والعاج والابنوس والباغا والبقم وغيره من الخشب الملون · والمعدنية اكثرها من النحاس المنقوش نقوشاً عربية وبعضها مرصع بالفضة والذهب والمينا والحجارة الكريمة · ويكثر فيها القناديل والثريات المعدة للانوار الكهربائية وهي اجمل مما هو من نوعها من المصنوعات الاوربية وارخص · ابتعت ثرياً منها للكهربائية فرآها احد تجار الثريات الكهربائية في القاهرة وثمَّنها بضاعف الثمن الذي اشتريتها بهِ واكَّد لي انهُ يسهل عليهِ ان يبيعها بهذا الثمن

ومن الغريب ان بعض العمال في المعمل اولاد صغار قد لا يزيد عمر الولد منهم على سبع سنوات ومع ذلك تراهُ يحفر النحاس بالمطرقة والازميل بدقة واحكام كأنهُ اكتسب المهارة بالوراثة · وبلغني ان لهذا المعمل فروعاً في مصر وتونس والجزائر حيث يبيع الكثير من مصنوعاتهِ فضلاً عما يشتريهِ السياح من دمشق نفسها وعما يبيعهُ المهاجرون في اميركا الشمالية والجنوبية

ولم ارَ معامل النسج ولكنني رأيت منسوجاتها وهي من الحرير والصوف والقطن والمطرز والموشى على ضروب واشكال شتى ولاسيما ما يقلد بهِ الكشمير الهندي والظاهر ان سوقها رائجة جداً

اما صناعة الرخام والحجر الكلسي الشبيه بهِ فلصناع دمشق فيها القدح المعلى كما يشهد تجديد الجامع الاموي وما فيهِ من بديع صنعة الفسيفساء وكما تشهد دور دمشق الكبيرة قديمها وحديثها · واصحاب هذه الدور يقابلون الزوار بالترحاب ويسمحون لهم بمشاهدة واجهاتها وغرفها وما فيها من دقة الصناعة في الرخام والخشب · على ان هذه الدور حقيرة من خارجها لا يدل ظاهرها على باطنها

وقد كانت دمشق مركز تجارة واسعة لانها واقعة في طريق القوافل بين شمالي سورية والفرات ودجلة وخليج فارس وبلاد العرب والقطر المصري وهذا الذي كان يساعدها دائماً على استرجاع عظمتها بعد كل رزيئة حلت بها الى ان فتحت ترعة السويس فحولت طريق التجارة عنها كما تقدم لكن فتح سكة الحجاز وسكة بيروت اعاد اليها بعض شأنها التجاري · ولا تعلم قيمة صادراتها ووارداتها بالتحقيق ولكن المرجح انها نحو مليون ونصف من الجنيهات ولعل دخل السكان من الزراعة والصناعة والتجارة لا يقل الآن عن ثلاثة ملايين من الجنيهات فيكون دخل الواحد منهم عشرة جنيهات في السنة وتكون ثروتهم مضاعف ثروة السكان في القطر المصري لان دخل الواحد من هؤلاء لا يزيد عن خمسة جنيهات في السنة

ثم ان لاهالي دمشق مورداً آخر للكسب وهو ان مدينتهم مركز الولاية ومقام الفيلق الخامس وايراد الولاية المقرر نحو اربع مئة الف جنيه في السنة ينفق جانب كبير منها في دمشق

فمن رأى ذلك وعلم تاريخ هذه المدينة وما حل بها من الارزاء منذ مئات من السنين الى الآن ووجد انها صبرت على مضض الدهر وغير الايام وخرجت من العصر الحميدي باسواق جديدة عامرة ومباني كبيرة فاخرة ومعامل واسعة النطاق وسكة تدر عليها الخيرات لم يحسب كثير التفاؤل اذا رأى فيها دلائل الارتقاء وقدر لها مستقبلاً سعيداً في عهد حكومة دستورية ترفع الجور عن الاهلين وتبذل الوسع في معاضدتهم

وقد تبارى الكتاب في وصف دمشق اذا اشرف الرائي عليها من الصالحية فقصدت الصالحية لاراها منها ولكن اتفق ان ضباباً اكتنفها تلك الساعة فحجب عني رؤيتها لكني رأيتها في اليوم التالي من أعلى مأذنة في الجامع الاموي فاذا هي كبناء واحد تعلوهُ القباب والمنائر وتتخللهُ سقوف الاسواق حنايا من المعدن كانصاف الاساطين والغوطة حولها كسوار من الزمرد حول عقود من اللؤلوء

وشوارع دمشق على ضيقها ولاسيما القديمة منها انظف من شوارع بيروت واذا فتحت فيها الاسواق الواسعة كسوق مدحت ورصفت بالاسفلت واعتني بنظافتها صارت من اجمل المدائن . ولا بد من الاعتناء بمجاري مياهها حتى لا تشاب بميكروبات الامراض وذلك كلهُ يناط عملهُ بالمجلس البلدي ولعلهُ يؤلف الآن من وجوه المدينة اصحاب المصالح الكبيرة فيها فينضوا عزيمتهم الى اصلاح مدينتهم وجعلها الاولى بين المدائن الشرقية نظافة وانتظاماً

بعلبك — مدن سورية كثيرة شاهدت منها بيروت ودمشق ويافا وحيفا وعكاء وبعلبك . وقد تقدم الكلام على بيروت ودمشق . وذكرت يافا وحيفا وعكاء بالايجاز التام لانني لم اقم فيها الأ ساعات قليلة ومع ذلك لا يسعني الأ ان اعود الى حيفا فاقول ان امامها مستقبلاً مجيداً اذا انشئ لها المرفأ المطلوب وعسى ان يهتم سكانها من الآن لكي لا يستأثر الالمانيون الذين نزلوها بتجارتها . وقد كانت عكاء مرفأ دمشق لكن مد سكة الحديد الى حيفا لا اليها سيحول التجارة كلها الى حيفا . وقد شاهدت الجمال آتية الى عكاء بالحنطة وهي قطار كبير جدًّا يمثل تجارة البلاد وثروتها وكأنهُ النفس الاخير من حياة دامت الوفا من السنين وقد اخذت تتقمص الآن بصورة القطر البخارية . فنودع هذا الحيوان الكريم الذي خدمنا وخدم اجدادنا قروناً كثيرة يقطع الفلوات المحرقة ولا يشكو ضيماً وينقل تجارة الشرق الى الغرب والغرب الى الشرق ذلولاً صبوراً

اما بعلبك فمن اقدم مدن سورية وقد كانت محطاً للقوافل السائرة بطريق تدمر . ويحيط بها وينبسط امامها سهل فسيح لا تقل مساحتهُ عن مئة الف فدان وهو من اخصب سهول الدنيا ترويهِ الامطار شتاء والجبال على جانبيهِ كثيرة الينابيع فتجري اليهِ وترويهِ صيفاً

وبعلبك مشهورة بقلعتها وهي هيكلان عظيمان من اجمل ما بناهُ الرومان في عصر مجدهم وانخمهِ واكملهِ وساعود الى وصفها في الكلام على مشاهد سورية وعظمة هذين الهيكلين تزيد المدينة الحاضرة حقارة بالنسبة اليهما . ولا شبهة في انها كانت في عصر الرومان من المدن العظيمة الراقية كما يستدل من آثار المباني العمومية الباقية فيها عدا هيكليها ولا يحتمل ان تعظم مدينة الأ وفيها اسباب الثروة من زراعة وصناعة وتجارة . وكانت بعلبك كذلك فان سهل البقاع من اخصب السهول وهو المصدر الاول لثروتها . وقد كانت فيها صناعة واسعة بقيت الى عهد غير بعيد حتى أُطلق اسم البعلبكي على انواع من الثياب التي كانت تنسج

فيها · ووقوعها بين تدمر وساحل البحر جعلها محطة من محطات التجارة بين الشرق والغرب وأضيف الى ذلك كونها دار عبادة وكعبة تحجة في زمن الزمان فكانت النذور ترد اليها من كل الاقطار و يتبارى المتعبدون باقامة التماثيل في معابدها

اما الآن فالمدينة لا تذكر بين المدن الكبيرة ولم ارَ فيها تغييراً يذكر بعد ان زرتها آخر مرة منذ خمس وعشرين سنة الأ بناء بعض البيوت والفنادق الكبيرة · وقد بنى بعضهم بيتاً اوفندقاً على آثار مشهدها الروماني القديم ولم يشأ ان يتركها مكشوفة ليراها السياح الذين يقصدون بعلبك كل سنة بالالوف ليشاهدوا آثارها ورأيت متنزه رأس العين وكان في النوبة الاولى التي شاهدتهُ فيها منذ ثلاثين سنة اجمل منهُ الآن · وطريق المركبات الواصلة اليها من محطة سكة الحديد تعمي السائر فيها بغبارها

فموقع المدينة الطبيعي والجغرافي وتاريخها المجيد قبل ان تولاها فساد الاحكام يدلان على انها اهلٌ لتكون من المدن العظيمة الزاهرة وهي مقرّ أسرتين كريمتين من اعلى أسر سورية همة وهما آل مطران وآل حيدر وقد عرفتُ منهما رجالاً نوابغ يفتخر بهم في كل بلاد فلا يكبر عليهما وقد انتشر لواء العدل والامن ان تتضافرا على اعادة بعلبك الى سالف مجدها

زحله — زحلة اكبر مدن لبنان واكثرها ارتقاء رأيتها اول مرة منذ نحو خمس وثلاثين سنة وكان اكثر مبانيها باللبن (الطوب الاخضر) واخذني الذين زرتهم حينئذٍ الى الكنيسة الكبرى فيها واروني اياها متباهين بانها مبنية كلها بالحجر · اما الآن فصار فيها مئات من البيوت الكبيرة وكلها بالحجر النحيت المزخرف وفيها سوق جديدة تسمى سوق البرازيل لان اصحاب البيوت التي بنيت فيها جلبوا اموالها من تلك البلاد · ولم يكن فيها حينما زرتها اولاً فندق واحد ولا ما يقوم مقامهُ فاضطررت في زيارتي الاولى ان انزل عند احد الاصدقاء وفي زيارتي الثانية ان انزل في خيمة من خيام السفر اما الآن فرأيت فيها فنادق كبيرة جامعة كل وسائل الراحة

وهي مثل غيرها من مدن سورية زراعية صناعية تجارية فحولها كروم العنب تمتد الى مسافة شاسعة واهلها مشهورون بزرع الكرم والاعتناء بهِ والظاهر ان تربة ارضهم صالحة لذلك ويرسل العنب منها الى بيروت والى كثير من قرى لبنان ويصنع منهُ الزبيب والدبس وتعصر الخمر · وسهل البقاع على مقربة منها ولاهلها زراعة واسعة فيهِ امتلاكاً والتزاماً · وفيها الصنائع الوطنية المعروفة وهي مختصة بعمل اللبد وصنع الاكاف منهُ · وماؤُها غزير ولا يتعذر عليها ان تحول قوة انحداره الى كهربائية تنير بها بيوتها وشوارعها وتدير

الآلات ولها تجارة واسعة بالحبوب ولكن المورد الذي استوردت منهُ الاموال فبنت بها بيوتها انما هو المهاجرة

وهي في مطئن من الارض يعلوها الجبل من جهات ثلاث وينفرج امامها وفي وسطها وادٍ ملتف الشجر اكثرهُ من شجر الحور فاذا نظرت اليها من مكان مرتفع رأيت بيوتاً مترادفة على جانبي الوادي اكثرها كبير ناصع البياض بواجهات على اعمدة من الرخام وسقوف مسنمة من القرميد الاحمر والماء ينحدر اليها من علو شاهق والوادي في وسطها كبساط من الزبرجد. وفيها من المباني الكبيرة الجميلة دار للحكومة ومدرسة كلية وطنية وبناء للمرسلين الاميركيين وبناء آخر لليسوعيين لكن طرقها وشوارعها لا تليق بها ولا يزال فيها كثير من البيوت القديمة الزرية مما بني بالاِبن فاذا بقيت اموال المهاجرة تنهال عليها واستمر عمرانها على هذا النسق من التقدم والتأنُّق فلا يبعد ان تزول منها البيوت القديمة الرثة بعد سنين قليلة وتصلح طرقها وشوارعها ويزيد تردد المصطافين عليها

وفي لبنان قرى كثيرة اتسعت فصارت كالمدن الصغيرة مثل عاليه وقد كانت قرية حقيرة منذ ثلاثين سنة وكان المثل يضرب بقلة ذكاء اهلها وهي الآن من مدن لبنان بكثرة مبانيها وتردد الناس عليها واكثر الفضل في ذلك لسكة الحديد فانها جعلتها مصيفاً لاهالي بيروت. ومثل سوق الغرب وبمكين وبحمدون وصوفر وبكفيا وظهور الشوير فانها كلها بنيت فيها المباني الكبيرة بعضها باموال المهاجرة وبعضها باموال التجارة وبعضها باموال المصطافين وقليل منها بالاموال المكتسبة من الزراعة والصناعة. ويظهر لي ان الموارد الاولى اي المهاجرة والمتاجرة والاصطياف ليست مما ينضب بل لا يبعد انها تغزر رويداً رويداً ولاسيما مورد الاصطياف اذا بذل اللبنانيون وسعهم في اعداد لوازمهِ كاصلاح الطرق ورشها وانشاء المكاتب للبريد والتلغراف او التلفون في كل صيف

وخلاصة المقال ان ما رأيتهُ من التقدم في مدن سورية ولبنان يدل على ان البلاد سائرة في سبيل الارتقاء سيراً حثيثاً وان اسباب هذا الارتقاء لا يحتمل زوالها الَّا اذا حلت بالبلاد كوارث غير عادية

الطبيعيات وارتقاؤُها

تتمة خطبة السير جوزف طمسن رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني

ومن الامور التي نجهلها الآن العلاقة بين القوة المستترة والقوة المحركة فهل هما قوة واحدة وهل القوة المحركة في الاثير هي القوة المستترة في الاجسام فاذا كان الامر كذلك امكننا ان نفرض ان الاشياء المنظورة في هذا العالم تستمد قوتها المستترة من قوة محركة في عالم غير منظور هو الاثير

فالاثير اذاً اشبه شيء بالمصارف المالية تودع الاجسام فيهِ قواها وتسحبها عند اللزوم ومقدار الاثير المرافق للاجسام يختلف حسب زيادة القوة المستترة فيها ونقصانها · ولما كانت الاجسام تشع قوة محركة على الدوام فتنقلب تلك القوة الى حرارة فحجمها في نقص مستمرٍ · فالشمس والارض وغيرها من الاجرام ينقص حجمها يوماً بعد يوم وذلك بنقصان الاثير الذي كان متصلاً بها ولكن هذا النقصان قليل جدًّا و يزداد بطئًا بطول الزمان

ولا بد في هذا المقام من ذكر التقدم العظيم الذي حدث في هذه السنوات الاخيرة في فرعٍ من فروع الطبيعيات اي البحث في الاشعاع الذي اظهرهُ لنا اكتشاف اشعة رنتجن فمن خواص هذه الاشعة انها اذا وقعت على بعض المواد كاملاح الاورانيوم اكسبتها نوراً فصفوريًّا فخطر لبكرل ان يبحث في ما اذا كان هذا النور الفصفوري يولد اشعة رنتجن فاخذ املاح الاورانيوم وعرَّضها لنور الشمس فصارت تشع نوراً فصفوريًّا ثم بحث فيها فوجد ان لها خواص اشعة رنتجن · وعلم بعد ذلك ان ليس من الضروري عرضها لنور الشمس لتتولد فيها تلك الخواص بل هي موجودة فيها ولو كانت في الظلام أي انها من المعدن نفسهِ وليس من الصفة الفصفورية المكتسبة فالاورانيوم واملاحهُ تنبعث منهُ اشعة كاشعة رنتجن وتعمل عملها · ووجد شمد بعد ذلك ان هذه الخواص موجودة ايضاً في الثوريوم · ثم اكتشف الراديوم والبولونيوم والاكتينيوم وغيرها من العناصر وكلها تفعل فعل اشعة رنتجن

وقد وجد ايضاً انهُ يمكن فصل الاورانيوم الى مادتين مادة منهما لها خواص الاشعاع والثانية عكس ذلك · وانهُ اذا حفظت هاتان المادتان بضعة اشهر فقدت الاولى منهما تلك الخواص واكتسبتها الثانية · ويمكن تفسير ذلك بالرأي الذي قدمهُ رذرفورد وسودي وهو ان العناصر الاشعاعية ليست دائمة بل تتحول الى عناصر اخرى ذات ثقل جوهري اقل من ثقلها فالاورانيوم يتحول بعضهُ الى الراديوم وهذا يتحول بعضهُ الى غاز اشعاعي والغاز الى آخر وهلم

جزءًا ومدة هذا التحوّل قد تكون الوف الملايين من السنين كما في الاورانيوم او بضع ثوان كما في الغاز المنبعث من الاكتينيوم

وجواهر هذه العناصر عند تحولها من حال الى اخرى ينبعث منها مقدارٌ عظيم من القوة فتكون الجواهر المتولدة اضعف من الاولى وهلمَّ جرًّا · وقد علم بالتجارب ان هذا التغير في الجواهر لا علاقة لهُ بعمر الجوهر الواحد اي ان عدد الجواهر التي تتغير في مدة معلومة واحد مهما كانت اعمارها فجوهر الراديوم الذي يكون عمرهُ الف سنة مثلاً قد يعيش الف سنة اخرى كالجوهر المتولد حديثًا · ويظهر من ذلك لاول وهلة ان اسباب هذا التغير خارجية لكنها على الراجح داخلية كأَن بعض الجواهر يولد قويا فيعيش كثيراً وبعضها يولد ضعيفاً فيعيش قليلاً

اما القوة التي تولدها الاجسام الشعاعية فعظيمة جدًّا فالغرام الواحد من الراديوم يولّد قوة تعادل القوة المتولدة من حرق الف كيلو غرام من الفحم الحجري · ولكن كيف تأتي هذه القوة وما هو مصدرها · هذه مسألة يصعب حلها · ويحتمل ان يكون سبب ذلك ان في كل جوهرٍ من الجواهر اجهزة كهربائية مختلفة الحجم بعضها صغير وبعضها اكبر منهُ بنحو ١٠٠٠٠٠ ضعف · فالقوة المؤثرة في الجهاز الصغير اعظم كثيراً من القوة التي في الجهاز الكبير فاذا انفجر الجهاز الصغير حتى صار في حجم الكبير تولّد من ذلك قوة عظيمة جدًّا · فهل يمكن ان الوحدات الكهربائية الايجابية كانت قبلاً صغيرة جدًّا كالوحدات السلبية وبسبب تقادم العهد عظمت وتحولت الى حجمها الكبير وبقي عددٌ منها في حجمهِ الصغير فيكون الانفجار الذي يحصل فيها مصدر هذه القوى الهائلة

وللراديوم شأن كبير لدى الجيولوجيين كما لهُ شأن كبير لدى الطبيعيين والكيماويين فاكتشاف خواصهِ قد غير كثيراً في الآراء المعروفة في عمر الارض · فقبل اكتشافهِ كان يظن ان الحرارة المنبعثة من جوف الارض لا يوجد ما يعوّض عنها · فقد كان في الارض مقدار معلوم من الحرارة عند اول تكوينها وهذه الحرارة تنقص رويداً ولا يوجد ما يعوّض عنها فلا يمكن ان يتعدى عمر الارض مقداراً من السنين والاَّ لكانت ابرد مما هي · وقد قدّر اللورد كلفن هذا الزمن باقل من مئة مليون سنة

فالراديوم وان يكن مقدارهُ قليلاً في الارض اي بنسبة خمسة غرامات الى كل مكعب طول جانبهِ مئة ميل لكنهُ ينبعث منهُ من الحرارة ما يزيد على الحرارة التي تتوزّع من الارض في الفضاء · فالطريقة التي كانت متبعة في تقدير عمر الارض لا يعوّل عليها الآن · ولو كان الراديوم في جوف الارض على النسبة التي هو فيها على سطحها لزادت حرارة جوف الارض

كثيراً عمَّا هي عليهِ الآن ولما وجدت صخور على عمق يزيد عن خمسة واربعين ميلاً عن سطح الارض . ومن الغريب ان الاستاذ ملن في اثناء بحثهِ عن الزلازل وصل الى نتيجة تقرب من هذه وقدَّر المسافة التي تصل اليها الصخور ثلاثين ميلاً وقال ان الارض بعد ذلك متشابهة في البناء (اي ليس فيها اجسام صلبة كالصخور واجسام هشة كالتراب)

واذا كان اكتشاف القوة الاشعاعية قد نفى الطريقة المتبعة في تقدير عمر الارض فقد جاءنا بطريقة غيرها . فمن المعلوم ان غاز الهليوم ينبعث من الاجسام الاشعاعية لكنهُ فيما عدا الزبرجد لا يوجد في الجمادات التي لا عناصر اشعاعية فيها فينتج عن ذلك ان الجمادات التي فيها غاز الهليوم جاءها الغاز من تلك العناصر . والجمادات التي فيها اورانيوم وهو منشأ الراديوم والهليوم يتولَّد فيها الهليوم بمعدَّل معلوم والهليوم لا يتحوَّل كسائر العناصر الاشعاعية بل يبقى ثابتاً ويتجمَّع في الجماد الذي تولَّد فيهِ فاذا عرفنا المقدار منهُ في قطعة من الصخور وما يتولَّد منهُ كلَّ سنة عرفنا المدَّة التي تجمَّع فيها المقدار الموجود منهُ في الصخر او بعبارة اخرى عرفنا عمر الصخر . وقد قدَّر الاستاذ سترُوت وهو مكتشف هذه الطريقة عمر قطعة من الجماد المسمى ثوريانيت فوجدهُ ٢٤٠ مليوناً من السنين

وللباحثين مجالٌ واسعٌ لدرس الخواصّ الطبية والفسيولوجية التي تنشأ من الراديوم فما عرف منها الآن كافٍ لان يجعلنا نرجو الوصول الى فوائد كثيرة تخفف آلام الانسان وقد ثبت الآن ان هذه الاشعة شفت عدداً كبيراً من المصابين بالقرحة الأكالة فيجب علينا الانتباه التام في درس هذه الخواصّ لئلا يفوتنا شيء من فوائدها . ولا يخفى ان ثمن الراديوم باهظ جدًّا ولا يسع جميع المستشفيات عمل التجارب بهِ لكنهُ بفضل كرام القوم كالسر ارنست كاسل واللورد ايفه وغيرهما اقيم معهدٌ في لندن تحت رعاية جلالة الملك للبحث في خواصّ الراديوم الطبية ولمعالجة المصابين بامراض يؤثر فيها العلاج بهِ

وقد كان لهذه الاكتشافات الحديثة في الطبيعيات تأثير عظيم في المشتغلين بهذه العلوم فزادت الآمال باكتشافات جديدة اذ ان مجال الاكتشاف لم يزل واسعاً وقد كنا نظن ان الذين سبقونا لم يتركوا لنا شيئاً منها . فاننا لم نصل بعد الى الغاية القصوى من العلم وكلما بلغنا ذروة منهُ نرى امامنا ارجاء واسعة كلها فوائد ومهما نظرنا الى الامام لا نجد الغرض الاخير الذي نسعى اليهِ فلم يزل بيننا وبينهُ ذرى كثيرة سيصل اليها الباحثون ويرون ان وراءها آمالاً واسعة فكلما تقدمنا في العلم زاد شعورنا بقدرة الخالق وقلنا «عظيمة هي اعمالك يا رب»

ما هي الحياة

من مقالة للدكتور كنج الاميركي

لو سألنا سائل ما هي الاجزاء الحية من اجسامنا وهل كل جزء منها حي ام بعضها حي والبعض الآخر ميت لاجاب كل منا بمقدار ما عنده من العلم وربما اجاب البعض ان كل اجزاء الجسم حية ما خلا العظام

اننا نعلم بالاختبار انهُ كثيراً ما يدخل الجسم الحيواني موادّ معدنية كالرصاص والدبابيس والابر والمسامير والخواتم وما اشبه وتبقى زمناً طويلاً في الجسم ولا ينتج عنها ضررٌ ما . ومثلها الحصوات التي تتكوَّن في الجسم والاجنة الميتة فانها تبقى في الجسم سنوات كثيرة ولا تؤذي حاملها وامثلة ذلك كثيرة جدًّا

ثم ان الاصداف والزوائد الجلدية كالقرون والانياب والحوافر والاظفار والشعر والصوف بعضها حيٌّ وهو الجزء الاقرب الى الجسم وبعضها ميت وهو الجزء الابعد . فهذه الاجزاء الميتة تشبه الفحم الحجري والصخور الطباشيرية وعروق المرجان وامشاط الذبل المتولدة من اجسام حية لكنها ميتة

فما هو الحد الفاصل بين الجزء الحي والجزء الميت من قرن الثور او ناب الفيل مثلاً . والجواب عن ذلك انهُ لا فاصل بينهما فالانتقال من الحياة الى الموت لا يكون الا تدريجاً ولا نعلم اين تنتهي الحياة واين يبدأ الموت . في الجسم الحيواني اجزاء كثيرة ميتة عدا الزوائد التي مرَّ ذكرها فالنازات والمواد البرازية في القناة الهضمية ومفرزات الكليتين والكبد كلها موادّ ميتة . ومثلها اللبن فهو ليس سوى محلولٍ من بعض الاملاح والسكر والمواد النتروجينية وفيه بعض الحويصلات المتفتتة المصابة بالتحوُّل الدهني فيتكون منها السمن . اما الدم وهو من اهمّ اجزاء الجسم فبعضهُ حي وبعضهُ ميت فكرياتهُ حية والسائل ميت ونسبة السائل الى الكريات كنسبة الماء الى الحيوانات التي تعيش فيهِ . والكريات الدموية تعيش في كثيرٍ من السوائل التي لا حياة فيها فاذا نزف دم انسان وادخلنا الى اوعيتهِ الدموية محلولاً من ملح الطعام عاشت الكريات الدموية فيهِ . وهي تعيش ايضاً في محلول الملح خارج الجسم كما اثبت الدكتور روس من زمن قريب فانهُ وضع كريات بيضاء في محلولٍ مؤلف من ثلاثة اجزاء من شترات الصوديوم وجزء واحد من كلوريد الصوديوم الى مئة جزء من الماء فبقيت الكريات حية مدة ثلاثة ايام

ومن المواد الميتة في جسم الحيوان السائل البلوراوي والسائل التاموري والسائل البريتوني وغيرها من سوائل الجسم · فيظهر مما تقدم ان خلايا الجسم الحيواني حية وسوائلهُ ميتة · ولنبحث الآن في الموت . هل اذا مات حيوان ماتت كل اجزائهِ الحية دفعة واحدة او يبقى بعضها حياً مدة من الزمن · فقد علم بالاختبار ان بعض خلايا الكبد تستمر على الافراز بعد الموت وكذلك الخصيتان وثبت ايضاً انهُ يمكن نقل قطع من جلد رجلٍ ميت الى جلد رجلٍ حيٍ بطريقة التطعيم فتعيش فيهِ ونقل قطع من عظام الاموات الى الاحياء فتبقى حية · فقد نقلوا مفصلاً بتمامهِ من رجل ميت ووضعوهُ مكان مفصلٍ مصابٍ بآفة مرضية فعاش المفصل المنقول · فالانتقال من الحياة الى الموت لا يكون دفعة واحدة بل تدريجاً كما هي الحالة في نشوء المواد الحية من المواد الميتة

ومن المعلوم ان اهم الخصائص التي تتميز بها الحيوانات الحية الحركة والنمو والتوليد · اما الحركة فاساسها الكهربائية فالحركة العضلية وحركة الخلايا وانقسام الخلايا وارتباطها بعضها ببعض كل ذلك نوعٌ من القوة الكهربائية المغنطيسية وهذه القوة تتولد بواسطة التحليلات الكيماوية في الجسم · فكل تغيير يحصل في الخلايا من التغذية وغيرها ينتج عنهُ مجرى كهربائيٌ وكل خلية في الجسم بطرية كهربائية قائمة بنفسها

واحسن مثالٍ لتولد الكهربائية في الجسم الحيواني نجدهُ في السمك الرعَّاد والانقليس الكهربائي والورنك وغيرها من الاسماك الكهربائية · ففي هذه الاسماك جهاز كهربائي متقن التركيب مؤلف من مئات من الارصفة وفي كل رصيفٍ عددٌ لا يحصى من الاقراص الصغيرة الواحد فوق الآخر وبينها سائل زلالي فيتكوَّن من هذه الارصفة جهاز شبيه بجهاز ولطا الكهربائي ويتصل بهِ اعصابٌ توصل بينهُ وبين النخاع المستطيل فيكون اطلاق المجرى الكهربائي تحت تصرُّف الحيوان فيرسل المقدار الذي يريدهُ وفي اي وقتٍ اراد

فالقوة الكهربائية والقوة العصبية واحدة اي انهُ اذا تحرَّكت عضلة من العضلات بفعل عصبٍ بها تكون القوة الصادرة من ذلك العصب قوة كهربائية وقد بيَّن ذلك الاستاذ سالومونصن باجلى وضوح فقاس المجاري التي تسبب حركة العضلات بواسطة المقاس الكهربائي المسمى كلفنومتر اي كما نقاس الكهربائية وصوَّر هذه المجاري على الالواح الفوتوغرافية

واذا صحَّ قولنا ان كل حيوانٍ وكل خليةٍ منهُ جهازٌ كهربائي وجب فصل الكهربائية المتولدة كما نفصلها في الاجهزة الكهربائية المعروفة والأ تبدَّدت سريعاً وتوزعت في ما يحيط بالحيوان من الاجسام · فاذا دققنا النظر وجدنا في الجسم الحيواني فواصل عديدة اي مواد

غير موصلة منها الجلد والصوف والشعر وغير ذلك من الزوائد الجلدية وتزيد هذه الفواصل احيانًا بلبس الصوف والحرير والشعر وما اشبه · ولهذه الاسباب نشعر بنشاط اذا كان الهواء جافًا و بانحطاطٍ اذا كان رطبًا فانهُ في الحالة الاولى تبقى كهربائيتنا فينا لان الهواء الجاف مرصل رديء للكهربائية واما الهواء الرطب فموصل جيد فنخسر بهِ مقداراً من الكهربائية

هذا ما يختص بسطح الاجسام الحية المتصل بالهواء وهي متصلة ايضًا بالارض فتقيها الاقدام من توزُّع الكهربائية · وقد ارسلت قطعًا من حوافر الخيل الى الاستاذ ستراتون وطلبت منهُ ان يمتحن قوة فصلها فوجد قوة الفصل في الاجزاء المقطوعة من باطن الحافر ٤٧٠ مليون أُهْمٍ وقوة الفصل في اسفل الحافر ٢٢٠٠٠ مليون اهم وكان المجرى الكهربائي الذي اطلقهُ مؤلفًا من ١٢٠ ولطًا والكلفنومتر حساسًا لكنهُ لم يتحرك الاَّ قليلاً جدًّا

ثم ارسلت ٦٧ قطعة من انسجة حيوانية ونباتية الى الاستاذ مورتيمر وهي متنوعة كثيراً من حوافر الدواب واظلاف الغنم واظفار الارانب والدجاج ومشيمة جنين وحبلهِ وسلاه أي غلافهِ وقشر البيض والنارنج والتفاح والجوز واللفت والبصل · فلم يجد في شيءٍ منها ان القوة الفاصلة في النسيج الداخلي اقوى من القوة الفاصلة التي في الغلاف

فالكرة الارضية لو لم يكن حولها هذا الجو الفاصل فيقيها من توزع الكهربائية منها ولو لم تكن اكثر الاجسام الحية مكتنفة ايضًا بما يقيها من خسارة الكهربائية او بعبارة أُخرى من خسارة الحياة لما بقي حي على هذه الارض ولكانت الارض كالقمر لا حياة فيها

وغايتي من هذه المباحث كلها وضع تعريفٍ للحياة فقد عرَّفها سبنسر بانها « المطابقة المستمرة بين الاحوال الداخلية والاحوال الخارجية » وعرفها بلانفيل بقولهِ « انها حركة عامة ومستمرة من التركيب والتحليل » وانتقد سبنسر هذا التعريف بقولهِ انهُ ينطبق على ما يجري في البطرية الكهربائية فانها ايضًا حركة عامة ومستمرة من التركيب والتحليل · ففي الزمن الذي كتب فيهِ سبنسر اي سنة ١٨٦٦ لم يكن علم الحياة قد وصل الى الدرجة التي هو فيها الآن ولم يعلم سبنسر ان الجسم الحيواني مؤلف من ملايين من البطريات الكهربائية اي ان كل خلية بطرية كهربائية قائمة بنفسها وان الحياة تصدر من اتفاق هذه البطريات في العمل

فبعد هذه المقدمات اطرح للقراء التعريف الآتي للحياة فاقول · ان الجسم الحي سواء كان خليةً واحدة بسيطة او حيوانًا لبونًا تام الارتقاء مؤلفٌ من مجموع ذرات من المادة ينتج من الفعل والانفعال اللذين بينها و بين الاحوال المحيطة بها كالنور والحرارة والهواء

والماء قوة كهربائية مغنطيسية ويشترط ان تحفظ هذه القوة لمنفعة الفرد الذي تولدت منهُ ويكون حفظها بواسطة غلافٍ فاصل وبغير هذا الفاصل لا توجد الحياة مهما تولد من القوى في الاجسام لان هذه القوى توزع في الفضاء وتنتقل الى الاجسام الاخرى المحيطة بها . ولم يثبت الى الآن ان للخلايا نفسها غلافاً كهذا ولكن يظهر من بعض التجارب ان لها شيئاً من ذلك

اما البروتوبلازم فمن المواد التي لا هي حية ولا هي ميتة بل بين بين . فاذا اجتمع مقدار منهُ واحاط بهِ غلافٌ وتكونت فيهِ الكهربائية صار حياً والاَّ فلا

ومن المعلوم ان المواد الجمادية لا تتحول الى مواد آلية حيوانية حية مباشرةً بل لا بد من تحويلها اولاً الى مواد آلية نباتية لان للنبات خواص يقدر ان يحول بها المواد غير الآلية الى آلية . اما الحيوان فلا يقدر على ذلك بل لا بد لهُ من اخذ هذه المواد من النباتات او الحيوانات الاخرى . وعليهِ فلا نقدر ان نضع تعريفاً للحياة يشمل الحياة الحيوانية والحياة النباتية وبعض المواد حيٌّ كالحيوان وبعضها ميت كالجماد وبعضها بين الحياة والموت كالبروتوبلازم

الكوليرا والصحة في مكة المكرمة (1)

[لخصنا المقالة التالية من رسالة فرنسوية للدكتور قاسم بك عز الدين المفتش العام للصحة والكورنتينات في الاستانة فانهُ اقام سنوات في الحجاز ودرس الاوبئة والاحوال الصحية فيهِ فرأينا ان نتحف قرَّاء العربية بالفوائد التي وردت في رسالتهِ هذه]

الامراض المسلطة على مكة

الامراض الصدرية كالنزلة الشعبية وذات الرئة كثيرة في الشتاء لكن التدرُّن الرئوي نادر

ضربة الشمس والاحتقانات الدماغية كثيرة في زمن الحرّ الشديد في عرفات ومنى والمدينة نفسها

امراض العين والكبد كثيرة ايضاً لكن الجذام نادرٌ جدًّا ولم ارَ الاَّ مجذوماً واحداً في مدة خمس سنوات

امراض القناة الهضمية تشاهد على مدار السنة لكنها تزداد في مدة الصيف فتأخذ

(1) Dr. Cassim Izzeddine. Le Choléra et l'Hygiène à La Mecque. Paris 1909.

الدوسنطارية شكلاً وبائياً وتكثر الوفيات بها لاسيما بين الاطفال · وأرى السبب في ذلك ما يحدث من الضعف في القناة الهضمية لشدة الحرّ فيؤثر فيها اقل تغيير كما كل الاثمار الفاسدة والسمك العفن الذي يؤتى به من جدة

الحميات الغيلية كثيرة ولاسيما في الصيف ويصعب معرفة اسبابها لان الهواء جافٌ ولا مستنقعات في المدينة · وقد شاهدت عدة حوادث من النوع الخبيث انتهت كلها بالموت ماعدا حادثة واحدة · ولا ريب عندي في صحة التشخيص فان الحمى الخبيثة التي شاهدتها في البصرة اعراضها كاعراض هذه تماماً ولا نزاع في ان الحميات الغيلية كثيرة في البصرة

ولا مستنقعات في مكة لكن الرطوبة كثيرة حول الينابيع والآبار حيث يقع الماء وفي بعض النواحي مياهٌ راكدة لكنها لا تشبه المستنقعات ولا بدَّ من ان البعوض يلقي بيوضهُ في مثل هذه الاماكن · وحدث مرَّة ان الحمَّى الملاريَة تفشَت بكثرة في محلة السليمانية فبحثت عن اسبابها ووجدت هناك مصنعاً كبيراً كانوا يملأُونهُ ماء قبل قدوم الحجاج · فعند ظهور الحمى كان في هذا المصنع مقدار قليل من الماء عليهِ طبقةٌ من الخزّ واظن ذلك سبب الحمى

اما الجدري فانهُ يتخذ شكلاً وبائياً في مكة ولم تمرّ سنةٌ من السنين التي اقمتها هناك الاّ وحدث وباء منهُ وفي سنة ١٨٩٥ كانت الوفيات بهِ ٧٧٠ ولما رأيت ذلك اشرت على الحكومة بانشاء معملٍ لمادة الجدرية فانشأت معملاً كان لهُ فائدة عظيمة للبلاد فكان العرب يقصدونهُ لاخذ الانابيب والتطعيم وكنا نرسل الانابيب الى المدينة المنورة والطائف وجدة وينبع

ثم اتى المؤلف على ذكر الحصبة وابي الركب والنزلة الوافدة وقال ان كثرة الوفيات في شهر مايو سنة ١٨٩٤ كان سببها الحمى الخبيثة وليس الامراض المعدية وتلويث بئر زمزم كما زعم الاستاذ بروست (١)

الكوليرا في مكة

ان الاوبئة التي ظهرت في مكة من حين الى آخر لم تدرس درساً وافياً فاخطأ المؤلفون الاوربيون في وصفها · وقد شهدت مدة اقامتي في الحجاز الاوبئة التي تفشت في سنة ١٨٩٠ و ١٨٩١ و ١٨٩٣ و ١٨٩٥ ودرستها درساً مدققاً ولم اكتفِ بذلك بل جمعت من افواه الشيوخ ومن المرحوم الشريف عون الرفيق باشا الذي كان امير مكة في ذلك الحين ما قدرت ان اجمعهُ من تاريخ الاوبئة التي ظهرت قبل مجيئي الى الحجاز وبقيت متتبعاً لاحوال

(1) Proust. Politique sanitaire, 195-196

مكة الصحية بعد خروجي منها فاخذت اخبار الوبائين اللذين ظهرا في سنة ١٩٠٢ وسنة ١٩٠٧ — ١٩٠٨

اما الاوبئة التي تفشت في مكة فهي هذه

١ وباء سنة ١٢٤٦ هجرية كان ظهوره في شهر ذي القعدة (ابريل ١٨٣١) وهي اول مرة عرفت فيها الكوليرا في مكة وكانت وطأتها شديدة جدًّا

٢ وباء سنة ١٢٥٦ (١٨٤١) ظهر في اواخر شوال (دسمبر) وكان خفيف الوطأة

٣ وباء سنة ١٢٦٣ (١٨٤٧) ظهر في رجب (يونيو) اي خمسة اشهر قبل العيد وكان اخف قليلاً من الاول

٤ وباء سنة ١٢٦٦ (١٨٥١) ظهر في ذي القعدة (سبتمبر) وكان اخف من الذي قبله

٥ وباء سنة ١٢٧١ (١٨٥٦) ظهر في ذي القعدة (يوليو) وكان خفيفاً

٦ وباء سنة ١٢٧٢ (١٨٥٧) ظهر في ذي القعدة ايضاً (اواخر يونيو واوائل يوليه وكان خفيفاً

٧ وباء سنة ١٢٧٥ (١٨٦٠) ظهر في ذي القعدة ايضاً (مايو ويونيو) وكان خفيفاً

٨ وباء سنة ١٢٨٠ (١٨٦٥) ظهر في ذي القعدة ايضاً (ابريل) وكان شديد الوطأة لكنهم بالغوا فيه كثيراً في اوربا فزعم الاستاذ بروست ان ثلاثين الفاً من الحجاج ماتوا به في منى وقد قيل لي في مكة ان هذا الوباء كان اخف وطأة من وباء سنة ١٨٣١ ومثل وباءي سنة ١٨٩٠ و ١٨٩١ فلا يمكن ان يكون عدد الوفيات في منى اكثر من ١٥٠٠٠ ولا ريب ان هذا الوباء كان في غاية الاهمية ليس لشدته بل لسرعة انتشاره في جهات عديدة

٩ وباء سنة ١٢٨٨ (١٨٧٢) ظهر في شعبان (اكتوبر) اي اربعة اشهر قبل العيد ولم يكن شديداً

١٠ وباء سنة ١٢٩٤ (١٨٧٨) ظهر في ذي الحجة (دسمبر) وكان خفيفاً

١١ وباء سنة ١٢٩٧ (١٨٨١) ظهر في ذي القعدة (اكتوبر) وكان اشد مما قبله

١٢ وباء سنة ١٢٩٨ (١٨٨٢) ظهر في ذي القعدة ايضاً (سبتمبر) وكان اخف مما قبله

١٣ وباء سنة ١٢٩٩ (١٨٨٣) ظهر في ذي الحجة (اكتوبر) وكان اشد مما قبله

١٤ وباء سنة ١٨٩٠ مسيحية ظهر في ٢٨ يوليو اي في اليوم الثاني من ايام العيد وعدد وفياته ٢٥٣٨

١٥ وباء سنة ١٨٩١ ظهر في الخامس من ذي الحجة (١١ يوليه) وعدد وفياته ٢٩٤٢

١٦ وباء سنة ١٨٩٣ ظهر في ٢٣ ذي القعدة (٨ يونيو) وكان اشدها فتكاً توفي به في مكة وحدها ١٣٤٣٦ وفي ضواحيها ١٨٩٠٠

١٧ وباء سنة ١٨٩٥ ظهر في ٢٧ شوال (٢١ ابريل) وكان خفيفاً جداً عدد وفياته في مكة ٢٧٨ فقط

١٨ وباء سنة ١٩٠٢ ظهر في ذي القعدة (٢٠ فبراير) وعدد وفياته نحو ٤٠٠٠

١٩ وباء سنة ١٩٠٧ و١٩٠٨ ظهر في ذي القعدة (١٣ دسمبر) وعدد وفياته ٤٧٣٩

هذه هي الاوبئة التي تفشت في مكة والمشهور عند اهاليها انها انتقلت اليها من الهند اما مباشرة او عن طريق بلاد اخرى كجزيرة جاوى وبلاد اليمن وجزيرة قمران وبلاد الفرس والعراق

وقد وصلتُ الى النتائج الآتية من درس هذه الحوادث

اولاً لم ينشأ الوباء ولا مرة في مكة بل جاءها من الخارج

ثانياً كانت اكثر الاوبئة الشديدة في زمن الحر كوباء سنة ١٨٣١ و١٨٦٥ و١٨٩٠ و١٨٩١ و ١٨٩٣ وبعضها في فصل الشتاء كما في سنتي ١٩٠٢ و ١٩٠٨

ثالثاً قد يكون الوباء خفيفاً في زمن الحر كما في سنة ١٨٥٦ و ١٨٥٧ و ١٨٦٠

رابعاً يكون الوباء خفيفاً في زمن الحر المعتدل كما في سنة ١٨٤١ و ١٨٧٢ و ١٨٧٨ و١٨٨١ و١٨٨٢ و١٨٨٣ ويكون احياناً شديداً في مثل ذلك كما في سنة ١٨٤٧ وسنة ١٨٥١

خامساً لم يظهر الوباء قط في الاشهر الستة الاولى من السنة الهجرية اي محرم وصفر وربيع الاول وربيع الثاني وجمادى الاولى وجمادى الآخرة . وظهر مرة واحدة في رجب (١٨٤٧) اي خمسة اشهر قبل العيد ومرتين في اواخر شوال واربع مرات في ذي الحجة واحدى عشرة مرّة في ذي القعدة . فيظهر جلياً ان لهذا الداء علاقة بالحج فيجيء بمجيء الحجاج ويذهب بذهابهم

الوسائط التي تنتقل بها الكوليرا الى مكة

من الامور المسلَّم بها عند جميع الذين كتبوا في هذا الموضوع ان الكوليرا لا تنشأ في مكة بل تأتيها دائماً من الخارج لكنَّ الوسائل التي تنتقل بها الجراثيم من الهند الى الحجاز لم تزل على بساط البحث وقد أُتيح لي ان اتباحث في هذا الموضوع مع زميليَّ المرحوم الدكتور فوم والدكتور فرنديربلس وذلك عند ما كنا في محجر جزيرة قمران في سنة ١٨٩٦ . ثم جاء بعدنا الدكتور بوريل ودرس المسألة عينها ونشر آراءهُ في مؤلف سمَّاهُ « الكوليرا والطاعون في الحج الاسلامي [1] » وكان ملخص آرائهِ ان الحجَّاج القادمين من الهند يحملون في امعائهم الباشلوس الضمي (ميكروب الكوليرا) وهو في حالة الضعف لا ضرر منهُ فاذا شربوا ماء فيهِ المكروبات الموافقة لنموهِ انتشر الوباء في مكة وجزيرة قمران وهذه المكروبات هي التي سماها متشنيكوف مكروبات المساعدة . وقد بنى الدكتور بوريل رأيه هذا على ابحاث الدكتور فرنديربلس حيث وجد في قمران الباشلوس الضمي والمكروبات المساعدة لهُ . وقال انهُ لا بد من وجود الباشلوس والمكروبات عينها في آبار مكة ونسب تفشي الداء الى هذه الاسباب ومن الادلة التي اتى بها لاثبات ذلك ان الكوليرا ظهرت في مكة سنة ١٩٠٢ دون ان تحدث اصاباتٌ بها بين المقيمين في قمران لان هؤلاء استعاضوا عن ماء الآبار بالماء المقطَّر . فرأي الدكتور بوريل هو ان الكوليرا تنتقل من الهند الى مكة وقمران بواسطة الجراثيم الكامنة وهو ينكر بتاتاً انتقالها مع البضائع وامتعة المصابين

ولما جئت الى قمران سنة ١٨٩٦ اتيتها من مكة حيث درست هذا الداء درساً وافياً وعرفت الاحوال التي يظهر فيها والطرق التي ينتقل بها فلم تقنعني آراء رصيفيَّ الدكتور فرنديربلس والدكتور بوريل ولي رأي آخر اطرحهُ على بساط البحث

ليس من السهل معرفة الباشلوس الضمي من شكلهِ فقط ولا دليل على ان الباشلوس الذي وجد في قمران هو الباشلوس الضمي عينهُ ولو كان مشابهاً لهُ تمام المشابهة فقد تأكد وجود هذا الباشلس في حج سنتي ١٨٩٦ — ١٨٩٧ ولم تحدث اصابات بالكوليرا في ذينك العامين لا في مكة ولا في قمران فلو كان هو الباشلوس الضمي عينهُ لانتشرت الكوليرا في مكة على الاقل لان اهلها لم يشربوا الماء المقطر . وعندي انهُ لا علاقة بين الباشلوس الكامن وانتشار الكوليرا فهذا الداء ينقلهُ الحجَّاج من بمباي حيث الداء مستوطن كما اشتدت وطأتهُ

---

(1) Choléra et Peste dans le Pelèrinage musulman, 1904

في تلك المدينة وزادت الاصابات فيها ٠ وظهور الداء في قمران قبل ظهوره في مكة من الادلة التي تثبت ذلك فالكولرا تنتقل بواسطة المصابين في غالب الاحيان اما انتقالها بالبضاعة فنادرٌ جدًّا لا يمكن اثباتهُ ويرجح انتقالها في بعض الاحيان مع امتعة المصابين

وكثيراً ما تصل البواخر الى قمران ويعلن عنها انهُ لم تحدث اصابات وبائية فيها فملاحظة الحجاج على الطريق صعبة جدًّا وقد تحدث اصابات لا يعلم بها ضباط الباخرة

اما الطرق التي اشير باتخاذها لمنع انتقال الكوليرا الى الحجاز فهي هذه

اولاً يجب عزل الحجاج عند ما تشتد وطأة الكوليرا في بمباي ووضعهم تحت المراقبة خمسة ايام قبل سفرهم تطهر في اثنائها امتعتهم

ثانياً تراعى الاحوال الصحية في البواخر التي ينقلون عليها ويعطى لكل حاجٍ مضاعف المساحة التي تعطى لهُ اعتيادياً على ظهر الباخرة

ثالثاً البواخر التي تنقل الحجاج من بمباي تمنع من الاختلاط بالمدينة واذا كان لا بد من ذلك يجب ان تبقى خمسة ايام تحت المراقبة

رابعاً ينتقى الاطباء والموظفون الصحيّون في البواخر من ذوي الخبرة الذين كانوا في وظائف الحكومة ولا يكون للشركات صاحبة البواخر سلطة عليهم بل يكونون تحت سلطة مصلحة الصحة في المواني التي يسافرون منها ٠ ويساعدهم في الباخرة معاونون يقيمون مع الحجاج ويراقبونهم واذا حصلت اصابة بالكوليرا مدة السفر وجب على القبطان اعادة الباخرة الى بمباي وانزال الحجاج منها فيعودون الى اوطانهم ويمنعون من السفر تلك السنة وتمنع الباخرة من قبول غيرهم من الحجاج

خامساً اذا حدثت اصابات في جزيرة قمران يمنع الحجاج الذين ظهرت بينهم الاصابات من استئناف السفر الى مكة

اما اذا كانت الكوليرا خفيفة الوطأة في بمباي فلا داعي لعزل الحجاج قبل سفرهم بل يراقبون مدة السفر كما لو كانت الكوليرا شديدة واذا حدثت اصابات في الباخرة او في جزيرة قمران وجب اعادةُ الحجاج الى اوطانهم ولا يسمح لهم بتتميم فريضة الحج تلك السنة ٠ ولي الأمل انهُ بهذه الوسائل يمتنع انتشار الكوليرا في الحجاز

وسنأتي في العدد التالي على ملخص وصفٍ لوبائي سنة ١٨٩٣ و ١٨٩٥ والاحتياطات الصحية التي يشير باتخاذها في مكة

برنارد شو ورواياته

(١) المجد الحربي

هل الشجاعة الحربية فضيلة او هي رذيلة ؟ وذلك الضابط او العسكري الذي تلمع في صدره النياشين هل نعده في عداد الرجال الذين نفتخر بهم او في عداد الطغام الذين نرجو زوالهم من الارض

لا ينتهي الانسان من قراءة رواية المستر شو « الانسان والسلاح » Arms and Man حتى تتجلى امامهُ حقيقة جديدة عن اوهام الناس في الحروب والوطنية اذ يرى كذب الشعراء في الامجاد الحربية وبطلان الاسباب التي تحشد من اجلها الجنود وتراق في سبيلها الدماء

كيف يقال ان في الحرب مجداً وهي مبنية على خداع العدو اي على انتهاز فرصة ضعفهِ للهجوم عليهِ . اننا في معاملاتنا العادية نلوم الخادع الماكر الذي يعيش بخداع الناس وغشهم — نسترذل عملهُ في معاملاتنا العادية ولكنا نمجدها في الحياة الحربية

يقول المستر شو في مقدمتهِ لهذه الرواية : « اننا ننظر الى وظيفة العسكري كأحط وظيفة تنتزل اليها شهامة الرجل ويحق لنا ذلك اذ ما هي حقيقة هذه الوظيفة ؟ هي ان يعتمد الانسان على قوتهِ الجسدية . هي ان يكرهُ اعداءهُ حتى يقتلهم . هي ان لا يقتلهم وهم مسلحون حتى يردوا وحشيتهُ بمثلها بل ينتهز فرصة يكونون فيها نياماً او في حالة لا تمكنهم من الدفاع عن نفوسهم . هذه هي صفوة الفضائل الحربية التي يتغنى بها الشعراء »

ولقد فضل المومسة التي تبيع جسمها وتضحي طهارتها لتنال لقمة تسد بها رمقها على القائد الذي نال شهرتهُ ببيع اجسام الالوف بعد ان نشر الخراب طولاً وعرضاً الى ان قال . هل نحن محقون في تبجيل من وظيفتهُ لا تزيد على وظيفة مكروب الطاعون او الكوليرا التي تبتدئ بالقتل وتنتهي بالقتل ؟ أليست هذه وظيفة كل حربي من القائد الى الجندي

وصف احد كتاب الاميركان المستر شو بقولهِ « اننا نرى الاشياء بعيوننا العادية اما هو فكأنهُ يراها بمكرسكوب فيطلع على دقائق الاشياء التي تخفى عن ابصارنا البسيطة » . ويظهر لك صدق هذا القول اذا قرأت رواية من رواياتهِ التمثيلية التي يحلل فيها عواطفنا الكاذبة كالحب والمجد والشرف التي تعودت ان تراها موصوفة بأنها من الاخلاق السامية — هذه العواطف التي تعودنا احترامها يريها لك كأنها بنيان من تراب اساسهُ الخرافات اذا وضعتهُ

تحت اشعة العقل انهار الى الارض . وما هذا المجد الحربي الا توحش ورثناه من آبائنا ايام كانوا في دور الحيوانية ؟ ما هو حبك لوطنك وتفضيله على بقية الاوطان الا قصراً في النظر تستحق العقاب عليهِ لا الشكر

ومن الغريب ان المستر شو يرى الفوضى ديناً في اخلاقنا الاجتماعية وهو سوشيالي في مبادئهِ المعاشية ! والفوضوية ضد السوشيالية على خط مستقيم كما لا يخفى فغرض السوشيالية ان تقيد حريتنا التجارية وتوقف المزاحمة الاقتصادية وهذا النظام مطلوب مفيد ظهرت بعض فوائدهِ التي جُربت في الممالك الاوربية فيستغرب من المستر شو ان يعتقد صحة هذا النظام المعاشي مع رغبتهِ في فوضى نظامنا الاجتماعي فهو لا يرى فرقاً بين الموسة والمتزوجة ولا يرى ان من العقل ان نحمي الوطن ضد العدو او ان نقدس الشرف الاصطلاحي او ان نحب عائلاتنا لانهُ يجب علينا ان نحب الجميع بلا تفضيل ونمزق كل القيود التي تربط الزوج بزوجتهِ والأب بابنهِ والانسان بوطنهِ

(٢) الثورة الاصلاحية Revolutionist's Handbook

في « كتابهِ الثوروي » الذي اضافهُ الى احدى رواياتهِ ترى آراءهُ وما يطلبهُ من الاصلاح في المجتمع الانساني . ففي الفصول الاولى بيَّن كل اغلاطنا في المدنية واوضح ان الفرق بينها وبين الهمجية معدوم او قليل ثم اقترح العلاج في الفصل الاخير من هذا الكتاب — علاجاً يؤدي الى تقدم الانسانية وترقيها

ونعني بتقدم الانسانية افضلية الانسان الحالي على الانسان الماضي عقلاً وجسماً . فقد قال المستر شو اننا اذا قارنا انفسنا بآبائنا لم نرَ فرقاً محسوساً في ترقينا عليهم . تصوَّر مثلاً حالة المصريين القدماء في عهد رعمسيس الثاني وقارنها بحالة المصريين الآن وبين العصرين ٣٥٠٠ سنة . فهل المصريون الآن ارقى من اسلافهم عقلاً او اقوى منهم جسماً قد نقول مثلاً اننا نسافر الآن بواسطة البخار الذي كانوا يجهلونهُ وان وسائط النقل عندهم كانت لا تزيد على الحمير او الخيول او نحوها واننا نحن نركب المواطر والمركبات والترام وغيرها وتستنتج من هذا دليلاً على تقدمنا عليهم . ولكنك اذا بحثت واعملت نظرك في لب هذه الحقيقة بدلاً من سطحها وجدت ان التقدم موهوم فان الفلاح الذى يتربع اليوم في الدرجة الثالثة من قطراتنا ليس اذكى عقلاً ولا اقوى جسماً من اخيهِ او ابيهِ الذي عاش في مصر في عهد رعمسيس الثاني . فهو لا يعرف ماهية هذه الآلة الماثلة التي تجر القطر

واذا عرف فمعرفتهُ لا يمدح عليها او لا تفضلهُ على المصري القديم الأ كما يفضل هو علينا بمعرفتهِ تحنيط الموتى الذي عرفهُ وجهلناهُ . وبعبارة أُخرى ان معرفة امور كثيرة ليست دليلاً على التقدم كما ان جهل امور كثيرة ليس دليلاً على التأخر فكم من امور دينية وصناعية عرفها المصريون وجهلناها نحن بلا خسارة علينا

ونحن وان كنا اختلفنا عنهم في الفروع فاننا وهم سواء في الاصول فبيوتنا كبيوتهم وطعامنا كطعامهم والفرع الوحيد من اعمالنا الذي تقدمنا فيهِ تقدماً محسوساً هو الآلات الحربية — أي اننا تقدمنا في ما يقطع اوصال الانسانية بدلاً من ان يلثمها

والعلاج الذي يشير بهِ المستر شو ضمانة لتقدمنا هو اصلاح الزواج . قال فقد ظهر في تاريخ الانسان كثيرون من النوابغ الذين فاقوا بعقولهم ابناء عصرهم كافلاطون وغاليليو ونيوتن — رجال افادوا العالم باعمالهم التي ملأُوا بها حياتهم . ولكن بموت هؤُلاء النوابغ ماتت قرائحهم وخسرنا خسارة كبرى

فالثورة الاصلاحية التي يطلبها هي تخليد هؤُلاء النوابغ او بعبارة اوضح تخليد قرائحهم حتى تفيد الانسان وتؤُول دائماً الى ترقينا الترقي الصحيح . والسبب في عدم وصول ابناء افلاطون الى مستوى عقل ابيهم و بعبارة أُخرى السبب في عدم وراثتهم قريحة والدهم هو جهل الامة التي عاش فيها افلاطون اذ لم تستعمل قوتهُ بطريقة تؤَدي الى وراثة نسلهِ لهذه القوة العقلية فانهُ بديهي اننا نرث كثيراً من والدينا جسماً وعقلاً فاذا نظمنا التزاوج — لا الزواج — بين الافراد تنظيماً علمياً يؤُول الى تخليد القوى عقلاً او جسماً وزوال الضعيف كان ذلك خطوة في سبيل التقدم الحقيقي . واذا لم يؤُول الزواج الى تحسين الشعب وتقدمهِ فلا فائدة منهُ والغاؤُهُ افضل من بقائهِ فالغرض الاسمى من الزواج يجب ان يكون تخليد الشعب وتحسين عناصرهِ ولكن هذا الغرض ضائع الآن بقوانين الزواج فاذا عدلنا الزواج بشكل نمنع بهِ المريض من التزوج بالمريضة والابله بالبلهاء وقبيح الشكل بالقبيحة . ثم زوجنا القوي بالقوية والرياضي او الفلكي بالرياضية او الفلكية — فبهاتين الطريقتين يمكننا تحسين الشعب ولكن قد يعترض القارئ الآن انهُ لا يمكن اجبار اثنين على الزواج اذا لم يتحابا فالجواب انهُ اذا لم يكن الغرض من الزواج ارضاء الشهوة الحيوانية بل خدمة الامة بتقديم ابناء اصحاء لها وجب ان يسقط كل اعتبار آخر

تتوقف اليوم معيشة المرأة على عمل الرجل فاننا نمنعها من العمل ونكلف الرجل القيام

بنفقاتها فالنتيجة من هذا النظام ان نصف الامة عاطل لا يعمل وقوتهُ الجسمية والعقلية في خمول يرثهُ نسل الزوجين اذ ان الطفل ليس ابن ابيهِ فقط بل ابن ابيهِ وامهِ · وثانياً ان المرأة باعتمادها على الرجل تنكر على نفسها وحي طبيعتها بانتقاء من تفضلهُ وتقبل من تراهُ اقدر من غيرهِ مالاً فيمكننا ان نلخص الاصلاح المطلوب بما يأتي

اولاً جعل المرأة مستقلة عن الرجل معاشياً حتى يسقط الاعتبار المالي في اختيارها لزوجها والطبيعة افضل حاكم فاذا اوحت اليها فهي تتبع وحيها في بقاء الانسب

ثانياً ان نمنع زواج العاطلين ونقوي تزاوج اللائقين · فلا ينبغي ان نزوج المجرم او المريض ويجب ان نقوي الزواج بين اللائقين كالقوي مع القوية جسماً او عقلاً

ثالثاً يجب ان نضع امام اعيننا قصداً سياسياً لاصلاح الشعوب ونتخذ الطرق الطبيعية لتحسينها فانهُ اذا كانت الطبيعة على توالي الزمن قد قدرت على تكويننا من الحيوانات الدنية — وبعبارة اخرى اذا كنا نعرف ان الانسان الحالي نشأ من الخلية البسيطة — اذا كنا نعرف هذه القوانين وماهياتها التي كانت العامل القوي في اخراجنا من دور الحيوانية الى دور الانسانية فلماذا لا نستعملها في اخراج او انشاء انسان ارقى من الانسان الحالي عقلاً وجسماً

وليس برنارد شو اول من فكر في هذا الموضوع فقد سبقهُ نيتشه الفيلسوف الالماني واله هذه الفكرة مرتئياً اننا يجب ان نضحي كل عزيز لدينا في الوصول الى تتميمها

الفكرة عالية والمقصد نبيل ولكني ارى انهُ لا سبيل الى الغاء الزواج حتى تلغى الغرائز الحيوانية التي فينا وهو ما لا نصل اليهِ الاَّ بعد قرون

سلامه موسى

[المقتطف] لبرنارد شو اقوال ثقيلة حذفناها من هذه المقالة لانها لا تناسب آداب الاجتماع الآن لا في هذه البلاد ولا في البلدان الاوربية فالمجاهرة بها من باب وضع الشيء في غير محله فهو يبيح مثلاً التزاوج من غير قيد وهذا امرٌ تأباهُ آداب الاجتماع في عصرنا في اكثر البلدان الراقية لان الادلة متوفرة على ضررهِ فاذا تغيرت احوال الاجتماع وتوفرت الادلة على نفعهِ حق للذين تتوفر لديهم تلك الادلة ان يغيروا نظامهم ويعملوا بما يصلح لهم

معجم الحيوان

﴿ البومة · ام الخراب · النُهام ﴾ E. Owl. F. Hibou
طائر من طيور الليل وهو انواع كثيرة

﴿ البومة البيضاء · المصاصة ﴾ Strix flammea E. Barn owl F. Effraye
نوعٌ من البوم يعرف بهذين الاسمين في مصر والشام (سافيني وترسترام وهو غلن)

﴿ الثَبَج ؟ ﴾ Scops giu. E. Scops owl, screech owl. F. Duc. طائرٌ من الهام يصيح الليل اجمع كأنهُ يئن (المخصص ولسان العرب)

﴿ الخَبَل ﴾ Syrnium aluco. E. Tawny owl F. Chat-huant
طائرٌ يصيح الليل كلهُ ماتت خبَل ماتت خبَل (المخصص ولسان العرب) وهذا الصوت يشبه كثيراً صوت البوم المسمى Syrnium عند علماء الحيوان

﴿ البُوه · البُوهة ﴾ Bubo. E. Eagle owl طائر من طير الليل وهو نوعٌ من البوم يعرف بهذا الاسم الى يومنا في مصر كما ذكر سافيني وهوغلن وقد تكون اللفظة يونانية كما قال الاب انستاس الكرملي او هي حكاية صوت هذا الطائر

وفي لسان العرب « البوهة الرجل الضعيف الطائش قال امرؤُ القيس

ايا هند لا تنكحي بوهةً   عليهِ عقيقتهُ احسبا

وقيل البوه الكبير من البوم · قال روءبة يذكر كبرهُ

كالبوهِ تحت الظلّةِ المرشوش

وقيل البوهة والبوه طائر يشبه البومة الاَّ انهُ اصغر منهُ والانثى بوهة قال ابو عمرو هي البومة الصغيرة ويشبه بها الرجل الاحمق وانشد بيت امرىء القيس » انتهى · والذي اراهُ ان امرأ القيس لم يلقب هذا الرجل بالبوهة لحمقهِ فقط بل لقبح منظرهِ ولانهُ اجهر مثلها اي لا يحتمل ضوء النهار ولذلك نعتهُ بالاحسب ايضاً والاحسب كما فسرهُ المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي هو « الذي ابيض جلدهُ وشعرهُ لآفة تعرض للمادة الملونة فتقل من جسمهِ وتفقد تماماً » وهو ما يسمى Albinos باللغة الفرنسوية والاسم منهُ الحسبة Albinisme ويكون الاحسب اجهر اي لا يبصر في ضوء الشمس · ولا يستغرب تنبه امرىء القيس لهذا الداء فقد كان العرب

على جانب عظيم من الفراسة لا يفوتهم شيء من الامور التي كانوا يشاهدونها فكيف برجل مثل امرىء القيس

﴿ الهامة · الصدى ﴾ Athene glaux. E. Little owl F. Chouette

نوع من البوم وهي طائرة صغيرة كدراء غبراء عظيمة الرأس اينما درت ادارت رأسها قبلك · والهامة تأوي الى القبور والاماكن الخربة المظلمة

وقد جاء في المخصص ان « الهامة طائرة كدراء غبراء مثل لون البوم بعظم البومة · والهامة الظيمة الرأس وهي زرقاء تنظر من كل مكان اينما درت ادارت رأسها قبالك ولا تقبل بصدرها والجميع الهامات والهام · ولا تطير البومة ولا الهامة بالنهار ولكن يكونان في الغيران ظاهرتين · ويتطير بالهامة ويتنكد بها وقوم لا يتطيرون بها ولا يتنكدون فلا تضرهم باذن الله تعالى · وقوم كثير يتيمنون بها وقالوا لا ترى الا بالليل في رؤوس الجبال وبعض اهل الجاهلية كانوا يقولون انها هام الناس اذا مات الانسان خرجت من رأسهِ هامة وذلك باطل · قال ابو خيرة تصيح عند القبور وخالفهُ ابو الدقيش · قال ذو الرمة

يا ايهاذيًا الصدى الضبوحُ اما تزال ابداً تصيحُ

وقال بعضهم البومة بضخم العقاب والهامة طائرة صغيرة · قال ابن خازم السلمي وقتل لهُ ابن بهراة

فان تك هامةٌ بهراة تزقو فقد ازقيت بالمروين هاما

وهذا في مذهب من قال يخرج من هامتهِ طائر يصيح عند قبرهِ » انتهى

وفي حياة الحيوان « الصدى طائر معروف تقول العرب انهُ يخلق من رأس المقتول يصيح في هامة المقتول اذا لم يؤخذ بثارهِ · · · · وتزعم العرب في الجاهلية ان الانسان اذا مات او قتل تتصور نفسهُ في صورة طائر تصرخ على قبرهِ وفي ذلك يقول توبة الحميري احد عشاق العرب

ولو ان ليلى الاخيلية سلّمت عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ

لسلّمت تسليم البشاشة او زقا اليها صدًى من جانب الغور صائحُ

قيل انها مرّت بقبرهِ فانشدت ذلك (وفي رواية أخرى سلمت عليهِ) فارتفع شيء من القبر كالطائر نفرت منهُ ناقتها فسقطت ميتة ودفنت الى جانبهِ » انتهى

ومثلهُ قول المجنون

فلو تلتقي في الموت روحي وروحها ومن دون رمسينا من الارض منكبُ

لظل صدى رمسي وان كنت رمة لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

وقال سافيني ان الهامة الطائر المسمى Strix flammea لكني ارى من وصف الهامة في المخصص ولاسيما في قوله ان العرب يتيمنون بها انها الطائر الذي ذكرته لان بعض العرب في يومنا هذا يتيمنون بها ايضاً (انظر حيوان فلسطين للقانون ترسترام) وقد كانت رمز الحكمة عند قدماء اليونان

◈ السُبَد · الضُوَع ◈ Caprimulgus E. Goatsucker, churn-owl, nightjar. F. Tette-chèvre, engoulevent.

طائر من طير الليل اكبر من الخطاف وشبيه به ريشه اغبر اصدأ مخطط بخطوط سود وهو مسرول الساقين واسع الفم مفلطح الرأس والمنقار وحول منقاره شعر · ويعرف في الشام بابي عُمَيّ وفي مصر بابي النوم وفي المغرب بطير الموت وفي السودان بالقرّة لكنهم يطلقون هذه اللفظة هناك على نوع من الحجال ايضاً

والسُبَد في المخصص « طائر دون الصقر يطير بالليل ينفخ ثم يقع قريباً سريع الامتلال وعن ابي عبيد هو طائر لين الريش اذا قطر على ظهره قطرتان من ماء جرى » (اي الماء)

وفي لسان العرب « السبد طائر اذا قطر على ظهره قطرة من ماء جرى وقيل هو طائر لين الريش اذا قطر الماء على ظهره جرى من فوقه للينه ··· وقيل السبد طائر مثل العقاب وقيل هو ذكر العقبان ···· وقال الاصمعي السبد هو الخطاف البرّي وقال ابو نصر هو مثل الخطاف اذا اصابه الماء جرى عنه سريعاً » · فالاصمعي وابو نصر عرفا ان السبد من رتبة الخطاف قبل ان يعرف ذلك علماء الحيوان بمئات من السنين فهؤلاء لم يتفقوا على وضعه في هذا الباب الا من زمن قريب · فوصف السبد في المخصص ولسان العرب ينطبق تمام الانطباق على الطائر المسمى ابا عمي في الشام

اما الضوع فاظنه السبد ايضاً وقد اختلفوا في وصفه وتحريمه وتحليله لشدة مشابهته للبوم ففي حياة الحيوان في باب البوم ما نصه . « قال الرافعي ذكر ابو عاصم العبادي ان البوم حرام كالرخم وكذلك الضوع وعن الشافعي رحمه الله قول انه حلال وهذا يقتضي ان الضوع غير البوم لكن في الصحاح ان الضوع طائر من طير الليل من جنس الهام » وفي باب الضوع « قال النووي الاشهر انه من جنس الهوام وقال الجوهري انه طائر من طير الليل من جنس الهام وقال المفضل هو ذكر البوم »

وفي لسان العرب « الضوع طائر من طير الليل كالهامة اذا احسّ بالصباح صدح · قال الاعشى يصف فلاة

لا يسمع المرء فيها ما يؤنّسهُ بالليل الأ نئيم البوم والضوعا

وقال المفضل هو ذكر البوم وقال ثعلب الضوع اصغر من العصفور »

وفي المخصص « الضوعة صغيرة ولونها الى الصفرة عاليتها رقشة وباطنها صفرة وزرقة قصيرة العنق والزمكّي اصغر من العصفور سميت ضوعة من قبل صوبت لها يصوّت في وجه الصبح ٠٠٠٠ وقيل الضوع من العصافير الخ »

وفي كتاب الحيوان للجاحظ (٢ : ١٠٩) « يقال للطائر الذي يخرج من وكره بالليل البومة والصدى والهامة والضوع والوطواط والخفاش وغراب الليل » ٠ فقد ذكر الجاحظ طيور الليل المعروفة عندهم ولا بد انهُ ادخل بينها الطائر المسمى ابا النوم وهو كثير في بلاد العرب وليس هو البوم ولا الصدى ولا الهامة ولا الوطواط ولا الخفاش ولا غراب الليل فلم يبقَ الاَّ الضوع . ثم لو كان الضوع هو البوم او جنساً من العصافير كما جاء في بعض كتب اللغة لما اختلف الائمة في تحليلهِ وتحريمهِ لكنهُ طائر من طير الليل يشبه البوم في بعض احوالهِ ويشبه العصافير في غيرها وهو سبب اختلافهم والله اعلم

وفي مجلة المقتبس (١ : ٣٧٥) مقالة لاحد قرائها في بغداد لم يذكر اسمهُ جاء فيها ان استاذي الدكتور بوست رحمهُ الله مخطئ في تسمية احد انواع الببغاء في اميركا بالمكّاء وان المكّاء هو هذا الطائر اي المسمى Goatsucker بالانكليزية وتفسيرها مصّاص المعز واستشهد على ذلك بصاحب الاوقيانوس وكاتب آخر تركي . ولا ريب ان المكّاء ليس هذا الطائر الذي ذكرهُ الدكتور بوست ويسمى Macaw بالانكليزية واظنهُ استعار لفظة المكّاء العربية لمشابهة بين الاثنين . وليس المكّاء مصاص المعز ايضاً بل هو نوعٌ من القنابر يعرف عند علماء الحيوان باسم Certhilauda desertorum وهو كثير في بلاد العرب وبادية الشام وشمال افريقية . ولا ادري كيف سماهُ عاصم افندي « جوبان الداديجي » اي خادع الرعاة ولعل الذي حملهُ على ذلك قول الشاعر

اذا غرَّد المكّاء في غير روضةٍ فويلٌ لاهل الشاء والحمراتِ

وفسرهُ البطليوسي بقولهِ ان المكاء انما يألف الرياض فاذا غرَّد في غير روضةٍ فانما يكون ذلك لافراط الجدب وعدم النبات . وهو تفسير غريب لان المكاء لا يألف الرياض بل البادية وقول بعضهم انهُ يغرّد في الرياض مأخوذ عن هذا البيت واظنهُ لامرىء القيس فان صحّت رواية البيت فلا بد ان لهُ تفسيراً آخر

ولا انكر ان بعض مؤلفي الافرنج قالوا ان المكّاء هو مصّاص المعز ويحتمل ان اللفظة

مستعملة بهذا المعنى في بعض الانحاء او انهم اخذوا ذلك عن عاصم افندي لكن وصف المكّاء في كتب اللغة لا ينطبق مطلقاً على مصّاص المعز بل على نوع القنابر الذي ذكرتهُ واللفظة مستعملة الى هذا اليوم في المغرب كما سيجيء · وهذا ما جاء عن المكاء في بعض كتب اللغة وغيرها

ففي لسان العرب « المكاء طائر في ضرب القنبرة الأ ان في جناحيهِ بلقاً سمي بذلك لانهُ يجمع بديهِ ثم يصفر فيهما صفيراً حسناً قال الشاعر

اذا غرّد المكّاء في غير روضةٍ   فويلٌ لاهل الشاء والحمراتِ

وفي التهذيب المكّاء طائر يالف الريف وجمعهُ المكا كي من مكا اذا صفر »

وفي المخصّص « المكّاء طائرٌ دقيق ابيض طويل الرجلين والعنق وساقاهُ بيضاوان كبياض جسدهِ · صغير المنقار قصير الزمكّي · يكون في كل زمان ولهُ صفير حسن وتصعيد في الجوّ وهبوط وهو في ذلك يصفر »

وفي عجائب المخلوقات « المكّاء طائر من طيور البادية يتخذ الخوصة عجيبة من العوسج و يبيض فيها ورأى بعض الاعراب مكّاء بالشام سائراً يحنّ الى وطنهِ وقال

فدىً لك يا مكّاء مالك ههنا   عمارة الخوص فكيف تبيض »

وفي حياة الحيوان « المكّاء طائر يصوّت في الرياض يسمى مكّاء لانهُ يمكو اي يصفر كثيراً · · · · قال البغوي هو طائر ابيض يكون بالحجاز لهُ صفير الخ »

وقد وصفهُ السائح الانكليزي ريشاردسن بما يقرب من وصف ابن سيده قال[1] «وكنا نرى من حين الى آخر طائراً يسمى المكا Moukha وهو في حجم المزار ابيض ضارب الى السمرة لم نسمع احسن من تغريدهِ · اما طيرانهُ فعجيب فانهُ يسير مسافة على وجه الارض ثم يقف ويطير صعداً في الهواء بضع عشرة قدم وهو في ذلك يصفر صفرتين او ثلاثاً ثم ينشر زمكّاهُ ويهبط الى الارض وهو يغرّد تغريداً مطرباً » · واللفظة الانكليزية قرأها دوزي مكّاء وهو من المعوَّل عليهم لاسيا في لغة المغرب (انظرها في معجم دوزي)

وجاء في « حيوان فلسطين ونباتها » للقانون ترسترام في وصف القنبرة المساة Certhilauda ما تعريبهُ « وهو كثير في جنوب فلسطين وشرقي الاردن و يألف البادية في شمال افريقية وغرب اسيا وحسبهُ بعضهم من نوع الهدهد لانهُ اخرج الجناحين ولانهُ يشبههُ في الطيران »

(1) Travels in Morroco, by Richardson, II. 246.

وللشنفرى في وصف طيرانهِ ما ينطبق على قول ابن سيده وريشاردسن وترسترام قال

ولا خرقٍ هيقٍ كأنَّ فؤادهُ   يظلُّ بهِ المكَّاء يعلو ويسفلُ

فهذا التصعيد والهبوط لا تراهُ في مصَّاص المعز بل في القنبرة والمدهد والسقساق وما اشبه

وجاء في حاشية الدكتور جورج يعقوب على عجائب المخلوقات ان بعضهم فسَّر المكاء بمصَّاص المعز والبعض بالقنبرة المسماة Certhilauda desertorum (1)

ومحصَّل ما تقدَّم ان المكاء طائر من القنابر لهُ تصعيد في الجوّ وهبوط وهو في ذلك يصفر صفيراً حسناً. لونهُ ضارب الى البياض لكنهُ اخرج الجناحين اي فيهما بياضٌ وسواد لذلك سمي بالاخرج ايضاً . وهو يبني الخوصاً (عشاً على الارض) من العوسج

اما السبد اي مصاص المعز فخالف لهُ تمام المخالفة فهو من طيور الليل لا تصعيد لهُ وهبوط كالقنابر او المداهد ولا هو حسن الصوت ولا لونهُ ابيض ولا هو اخرج الجناحين ولا يبني الخصوصاً من العوسج او غيرهِ بل يلقي بيضهُ على الارض لا في حفرةٍ كالاخوص ولا في عش كغيرهِ من الطيور وكل ذلك يتضح من مراجعة وصفهِ في كتب الحيوان

الدكتور امين المعلوف

المقرن

او ملتقى البحرين

شاهدتُ في الخرطوم أعجبَ منظرٍ   فيهِ أطلت تأملي وتفكري
ما عشتُ لا أنساهُ بل يبقى لهُ   يحلو على مرّ الزمان تذكري
ويسرني اني على القراء ما   شاهدت اعرض وصفهُ واقولُ

من نحو خمس سنين ألزمني السفر   لزيارة الخرطوم امرٌ لي صدر
فوردتها وصدرتُ عنها نائلا   ما شئتهُ وحمدتُ وردي والصدر
وبرحتها ولها اشتياقي كلما   ذُكرت يدور بخاطري ويجولُ

(1) Dr. Georg Jacob. Arab. Geographen, 123.

لم ابقَ فيها غير بضعةِ اشهرٍ ووددتُ لو سمح الزمانُ باكثر
لكنَّ ذا الوقتَ القصيرَ قضيتهُ في خبرِ ما عنها رواهُ مخبري
فوجدتهُ محضَ الصوابِ تكلما ما شابَ صحةَ قولهِ تدجيلُ

جوَّلتُ فيها ما اردتُ ممتعاً نظري بها لشؤونها مستطلعا
فرأيت انوارَ الحضارة فوقها أجلى من الصبحِ المنير واسطعا
وعلى مرابعها السلام مخيما والامنُ يمتعُ روقهُ ويطولُ

هذا بمقلة حائرٍ متعجبٍ ابصرتهُ فنفى ارتياباً حفَّ بي
ولأم درمان ابتغيت زيارة اقضي بها مما أشاهدُ مأربي
واليك مجمل ما رأيتُ وانما تفصيلهُ مالي اليهِ سبيلُ

كحل الرقادِ مسحتهُ عن ناظري وبكرتُ في يومٍ بكور الزاجرِ
وركبتُ مع غيري القطار فقلّنا وغدا بنا يجري كعدو الطائرِ
حتى اتى جرفاً عليهِ تحتما فيهِ الوقوف كأنهُ مغلول

فهبطت منهُ النيلَ ضفتهُ الى حيث «المعدية» استوت مستعجلا
كانت هناك معدةً لركوب من يبغي الى قصر الخليفة موصلا
فدخلتها وعلوت فيها سلما ووقفت أطلق ناظري وأجيلُ

سرَّحتهُ فاذا ضحى من خدرها قد اسفرت مفترَّة عن ثغرها
وتدفقت انوارها فتمزَّقت بشعاعها سحبُ الظلام بأسرها
والكونُ اصبح كلهُ متنعما ثملاً بصهباء السرورِ يميلُ

والوحش يطفر والطيور تزقزق والدوح يرقص والغصون تصفقُ
وعلى الجيوب تهب انفاس الصبا فتخالها مسكاً فتيقاً يعبق
والورد بالزهرِ البديع تختما وعليهِ من قطر الندى اكليلُ

والأزرقُ الجاري يريكَ بمائهِ ذوباً من الفيرزِ لونَ سمائهِ
تحكي عذوبتهُ الشهادَ وما لهُ من مشبهٍ بنقائهِ وصفائهِ

يجري صحيحاً والنسيمُ مسلما أبداً يهبُّ عليهِ وهو عليلُ

اذ ذاكَ نبهني صفيرُ الباخره فنظرتها واذا بنا هي ماخره
زَفراتها فوقَ المياهِ الزاخره جاش البخارُ بجوفها وتصاعدَت
وجرَت بنا غرباً تشقُّ البحرَ ما وتكرُّ فوق عبابهِ وتصولُ

واذا بهذا الازرقِ الضحضاح بال بحر الخضمِّ الايض الطامي اتصل
وسمعتُ صوتاً من ورائي صارخاً « ذا مجمع البحرين فانظر بالعجل »
فنظرتهُ متفرساً متوسماً وحلا لي التشبيهُ والتمثيلُ

شبهتُ ابيضهُ بجوَّابٍ حضر بعد الغيابِ وعاد من اقصى السفر
فاغبرَّ من وعث المسير وطولهِ واكدرَّ حتى ابيضَّ من فرط الكدر
ولذاكَ لاحَ مقطباً متجهما وبدت عليهِ نحافة ونحول

والازرقُ الصافي حكى بنقائهِ قلبَ الوفيِّ بودهِ وولائهِ
حصباؤُهُ درٌّ واما ماؤُهُ فمذابُ فيروزٍ على حصبائهِ
وبنهلةٍ من مائهِ تلقى الظما ريَّان لا يقوى عليهِ غليلُ

هذا المكانُ لهُ يقال المقرنُ إذ فيهِ للبحرين ملقى بيّنُ
جمعتهما الاقدار فيهِ وكان في الـ حسبان ان حصولهُ لا يمكنُ
مثل الشيئين اللذين عليهما لا يستحيل الى اللقاء وصول

وكأنني بهما غداة تقابلا وتلاقيا فيهِ ولم يتواصلا
رجلان من اهل الفرنجة لم يكن من قبل بينهما التعارفُ حاصلا
فتوقفا عنهُ وكلٌّ منهما لم يبدُ منهُ على القبول دليلُ

سارا معاً وكلاهما متجنبٌ لرفيقهِ خطواتهِ مترقبُ
تلقاهُ يرمقهُ بعين محاذرٍ متفحص لكن لهُ لا يقربُ
حتى يرى بعد المسير وبعلما ان التعارف صالح مقبولُ

فيميل حينئذٍ اليهِ ويبسط كف السلام وللتعارف ينشطُ

حتى ترى الرجلين صارا واحداً في كل ما فيهِ التمازجُ يضبطُ
عقدا اتفاقاً لا يحلُّ وابرما عقداً على الاخلاص ليس يحولُ

او عاشقان تلاقيا في موعدٍ لشكاية الشوق المقيم المقعدِ
لكنما خوفَ الرقيب وللحيا او لاتقاء السامع المتعمدِ
سكتا عن الشكوى كأن قد أُلجما وعليهما سترُ الجوى مسدولُ

حتى اذا عينَ الرقيب تجنبا وعلى حيائهما الشديد تغلبا
باحا بشكوى عذبة وتطارحا عتباً الذَّ على الفؤَاد واعذبا
وغدا ائتلافهما وثيقاً محكما لاتقض يعروهُ ولا تبديلُ

وكذلك البحرانِ حين تلاقيا ما انفكَّ بينهما التقاطع باديا
هذا على حدةٍ جرى وبلصقهِ ذاك استقلَّ بجريهِ متفاديا
فرأيت للمائين خطاً معلما وكلاهما عن جارهِ مفصولُ

من بعد ما جريا على هذا النمط ميلاً وهذا لم يمازج ذاك قط
جذبتهما نحو التآلف قوة فاندس ذاك بماء هذا واختلط
وتمثل البحرانِ بحراً اعظما اياهُ نعني اذ نقول النيلُ

هذا الذي مصرُ العزيزة ترفدُ بمياههِ وبهِ نعيش ونوجدُ
يروي اراضيها ويسقي زرعها وبفيضهِ يغني البلاد ويسعدُ
و « بطميهِ » في كل عام اذ طما تزكو الغلال ويخصب المحصولُ

ومفاوز السودان تسأل قطرةً تطفي بها من حرِّ ظمأ زفرةً
فيصد عنها وهو يعلو ظهرها ويردها ظمأى تردّدُ حسرةً
« كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمولُ »

مصر القاهرة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٩ اسعد داغر

الكرة والصولجان

كرةٌ وضعت لصوالجةٍ فتلقفها رجلٌ رجلُ

اللعب بالكرة والصولجان قديم جدًّا كان شائعًا في مصر والشام في زمن المماليك الى عهد غير بعيد ثم نسي امرهُ الى ان اعادهُ الضباط الانكليز في هذه الايام وهم يلعبونهُ في ميدان الكرة في الجزيرة وفي كثيرٍ من مدن السودان و يسمونهُ بولو Polo • ولا يعلم تاريخ اللعب بالكرة تمامًا و يقال ان على بعض الآثار المصرية والهندية رسومًا بارزة تمثل فرسانًا بايديهم الصوالجة • والمشهور ان اصلهُ من بلاد الفرس فقد ذكر صاحب الاغاني ان عديًّا بن زيد كان يختلف مع ابن احد المرازبة الى الكتّاب فتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من افهم الناس بها وافصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشّاب فخرج من الاساورة الرماة وتعلّم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها • ولا يخفى ان عديًّا هذا كان في زمن الجاهلية

وجاء في بعض التواريخ اليونانية ان لعب الكرة والصولجان كان معروفًا عند الروم في القسطنطينية يلعبهُ القياصرة والامراء والخاصة منهم و يعدونهُ من الالعاب الشريفة وقد وصفهُ احد مؤرخيهم قال (١) «ينقسم جماعة من الفرسان الى فرقتين متساويتين عددًا ويضعون في ميدان اللعب كرةً من الجلد في حجم التفاحة ثم يأخذ كل واحد منهم عصًا في رأسها حلقة محبوكة بالخيوط كالشبكة و يطلق العنان لفرسهِ وهو يدفع الكرة بهذه العصا نحو غرض منصوب في طرف الميدان • ولكلٍ من الفرقتين غرضٌ تدفع الكرة اليهِ فالفرقة التي توصل الكرة الى غرضها اولاً هي الغالبة • الى ان قال ولا يخلو هذا اللعب من الخطر لان على اللاعب ان ينقلب بفرسهِ و يميل في عدوهِ لاحقًا بالكرة اينما اتجهت» • ثم ذكر عددًا من الامراء قتلوا وهم يلعبون

وذكر الطبري في تاريخهِ ما يأتي «وكان اردشير بن بابك لما افضى اليهِ الملك اسرف في قتل الاشكانية الذين منهم كل ملوك الطوائف حتى افناهم ثم تزوج بجارية رآها في دار المملكة ولم يكن يعلم انها ابنة الملك المقتول من الاشكانية فحملت منهُ واخبرتهُ بعد ذلك انها من نسل اشك فنفر منها ودعا بشيخ يثق بهِ وامرهُ بقتلها • الاَّ ان الشيخ استبقاها حتى وضعت غلامًا فسماهُ شابور وهو سابور الجند عند العرب • وبقي اردشير بعد ذلك دهرًا لا يولد لهُ فحزن لذلك • ثم دخل عليهِ الشيخ بعد حين واخبرهُ ان ولدهُ حيٌّ فامرهُ اردشير ان يهيئهُ في مائة غلام من اترابهِ واشباههِ في الهيئة والقامة ثم يدخلهم عليهِ جميعًا لا يُفرق بينهم في زيٍ

(١) قالهُ كاترمير في تاريخ المماليك

ولا قامةٍ ولا ادب ففعل ذلك . فلما نظر اليهم اردشير قبلت نفسهُ ابنهُ من بينهم واستحلاهُ من غير ان يكون اشير لهُ اليهِ . ثم امر بهم جميعاً فاخرجوا الى حجرة الايوان فاعطوا صوالجة فلعبوا بالكرة وهو في الايوان على سريرهِ فدخلت الكرة في الايوان الذي هو فيهِ فكاع الغلمان جميعاً ان يدخلوا الايوان واقدم سابور من بينهم فدخل فاستدل اردشير بدخولهِ عليهِ واقدامهِ وجرأتهِ انهُ ابنهُ »

وذكر المسعودي في مروج الذهب ان هرون الرشيد كان اول من لعب بالكرة والصولجان من الخلفاء . وشاع هذا اللعب بعد ذلك بين السلاطين والامراء والخاصة من المسلمين في مصر والشام والعراق ولم يزل شائعاً بين الاتراك والجراكسة في بر الاناضول الى هذا اليوم . وكان اكثر الناس ولعاً بهِ سلاطين المماليك في مصر فانشأوا لهُ الميادين وغرسوا حولها البساتين وصاروا يركبون اليها ويلعبون بالكرة . فمنهم الملك الصالح نجم الدين ايوب فقد ذكر المقريزي انهُ انشأ الميدان الصالحي باراضي باب اللوق وصار يركب اليهِ ويلعب فيهِ بالكرة وما برح هذا الميدان تلعب فيهِ الملوك بالكرة من بعد الملك الصالح الى ان انحسر ماء النيل من تجاههِ فانشأ الملك الظاهر بيبرس الميدان الظاهري في طرف اراضي باب اللوق وما زال يلعب فيهِ بالكرة هو ومن بعدهُ من ملوك مصر الى ان كانت سنة اربع عشرة وسبعمائة فانشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون ميدان سرياقوس (وهي في جهة الناصرية الآن) سنة ٧٢٣ وكان يتوجه اليهِ في كل سنة ويقيم بهِ الايام ويلعب فيهِ بالكرة الى ان مات فعمل ذلك اولادهُ من بعدهِ . فكان السلطان يخرج في كل سنة من القلعة الى الميدان الناصري على النيل ومعهُ جميع اهل الدولة من الامراء والكتاب وقاضي العسكر وسائر ارباب الرتب ويسير الى السرحة بناحية سرياقوس وينزل بالقصور ويركب الى الميدان هناك للعب الكرة ويخلع على الامراء وسائر اهل الدولة ويقيم في هذه السرحة اياماً ولم يزل هذا الرسم مستمراً الى سنة ٧٩٩ . وانشأ الملك الناصر ميداناً آخر في القلعة سنة ٧١٢ وكان ينزل اليهِ ويلعب فيهِ بالكرة مع امرائهِ يومي الثلثاء والسبت

وقد قتل كثيرٌ من الامراء بلعب الكرة فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٥٥ ان قايماز الارجواني امير الحج سقط عن الفرس وهو يلعب بالاكرة فسال مخهُ من منخريهِ واذنيهِ فمات . وجاء في تاريخ ابن اياس ان الملك السعيد محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس كان يلعب بالكرة في ميدان قلعة الكرك «فتقنطر» بهِ الفرس فانكسر ضلعهُ فمات من يومهِ وذلك سنة ٦٧٨ هجرية

ولم يزل المماليك والانكشارية يلعبون بالكرة والصولجان الى ان بادوا فنسي هذا اللعب في مصر والشام لكنهُ لم يزل معروفاً في بر الاناضول الى هذا اليوم كما اخبرني بعض ادباء الاتراك

وكان للعب الكرة شأن عظيم عند سلاطين المماليك وامرائهم فكانوا يعينون اميراً لحفظ الصوالجة والاعتناء بها منهم الامير حسام الدين الجوكان دار او الجوكاندار اي صاحب الجوكان وقد فسرها صاحب كتاب الانشاء قال « الجوكان دار هو الذي يحمل الجوكان وهي عصاً مدهونة طولها نحواً من اربعة اذرع وبرأسها خشبة مخروطة محدودبة تنيف



لعب الكرة والصولجان عند الفرس

عن نصف ذراع » . فالجوكان هو ما يسميهِ الانكليز Polo stick واللفظة فارسية قديمة الاستعمال في تلك اللغة وهي في الاصل چول گان من چول منحنٍ وگان اداة نسبة فخففوها وقالوا چوگان . والجوكان هو الصولجان بالعربية معرَّب چولگان بالفارسية قبل ان خفف الفرس هذه اللفظة . وقالوا ايضاً الصولج والصولجة والصَّوجان وكلهُ معرَّب چولگان او چوگان وهو عصاً يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب كما في التهذيب . والصولجان ايضاً عصاً كان يحملها الملوك وهي من شعارهم كالتاج

اما الروم فاخذوا لعب الكرة عن الفرس كما مرَّ وسموهُ چوكانيون من چوكان بالفارسية

ومن الرومية اشتقّت لفظة Chicane الفرنسوية في بعض معانيها (١)

وقد ورد ذكر الجوكان كثيراً في تواريخ الفرس واشعارهم اخصها كتاب الملك (شاهنامه) الذي نظمهُ شاعرهم الفردوسي للسلطان محمود الغزنوي في القرن الرابع للهجرة فوصف لعب الكرة والصولجان وصفاً بديعاً وذكر ان الامير سياوش بن كيكاوس كان يلعب بالكرة والصولجان . ويرجع ذلك الى زمن بعيد في تاريخ الفرس لا يعرف تماماً لكنهُ كان قبل المسيح ببضع مئات من السنين وفي اكثر نسخ «شاهنامه» المصوَّرة رسوم بديعة الشكل تمثل سياوش يلعب بالكرة والصولجان . والرسم الذي في هذه المقالة منقول في الاصل عن نسخةٍ قديمة من ديوان حافظ احد شعرائهم كتبت سنة ٩٥٦ هجرية الموافقة لسنة ١٥٤٩ مسيحية . والفردوسي اقدم من ذلك كثيراً لكني لم اتمكن من نقل صورة عن كتابهِ الأ ان هذا الرسم كافٍ لان يعرف منهُ ان لعب البولو عند الانكليز ليس سوى لعب الكرة والصولجان المعروف عند العرب والفرس من قبلهم من عهد بعيد . ويحتمل ان الفرس اخذوا لعب الكرة عن الترك لاسيما اذا صح قول المرحوم وفيق باشا الصدر الاسبق في معجمهِ التركي ان كلمة چوكان تركية الاصل وليست فارسية بل مشتقة من مصدر جوكمك اي الانحناء والضغط وقد اخذها الفرس عن الترك . وهذا غير بعيد فالخيل نشأت اولاً في اواسط اسيا والامير سياوش الذي ذكرهُ الفردوسي اقام في بلاد الترك وتزوج ابنة ملكهم ولعلهُ تعلم لعب الكرة هناك . لكنَّ الفرس يعتمدون اشدَّ الاعتماد على الفردوسي ويعرفون عدد الالفاظ العربية والتركية في ديوانهِ ويقولون ان هذه اللفظة فارسية ثم ان وجود اللام في الصولجان العربية مما يدل على ان اللفظة فارسية كما مرَّ . وقد اسهبت في ذكر اصل اللفظة بناء على طلب صديقين هما الدكتور ميرزا مهدي خان زعيم الدولة ورئيس الحكماء ومن علماء الفرس المشهورين وعزتلو يوسف سامح بك من موظفي الحربية ومن ادباء الترك المعوَّل عليهم وكلٌّ منهما تمسك برأيهِ

فلعب الكرة والصولجان قديم جدًّا ولا يزال معروفاً في بلاد التبَّت واليابان والهند والاناضول وقد تعلمهُ الافرنج من الشرق كما يستدل من اسمهِ باليونانية البيزنطية اي چوكانيون واللفظة الفرنسوية Chicane وان يكن قد تغيَّر معناها الآن ثم نسي امرهُ عند الافرنج الى ان اعادهُ الضباط الانكليز فتعلموهُ من الهنود ولعبوا بهِ لاول مرةٍ في بلاد الانكليز سنة ١٨٧١ وانتشر بينهم انتشاراً كبيراً ولهم فيهِ مؤلفات كثيرة . اما لفظة بولو الانكليزية فيظن انها من بولو بلغة التبَّت ومعناها كرة

امين المعلوف

(١) قاله كاترمير في تاريخ المماليك

مناجاة الارواح

لا بدَّ من العود الى هذا الموضوع مرةً بعد أخرى لانهُ من اهم المواضيع العصرية لاسيما واننا ابداً رأينا في كل الحوادث الدالة على مناجاة الارواح وهو ان ليس فيها دليل قاطع على انها خالية من الخداع ومتى احتُمل وقوع الخداع في عمل بطل الاستدلال بهِ وضعفت الثقة بعاملهِ . وقد قرأنا الآن مقالة مسهبة في هذا الموضوع لسكرتير الجمعية التي تبحث في المسائل النفسية نشرها في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وذكر فيها اعمالاً لاسابيا بلادينو شاهدها بنفسهِ هو وجماعة من البارعين في اكتشاف حيل المحتالين وكانوا قد أرسلوا الى ايطاليا من قبل جمعية المباحث النفسية ليمتحنوا اعمال اسابيا هذه فرأينا من الانصاف ان نذكر خلاصتها حتى يطلع القراء على المسألة من وجهيها

يقال ان رجال العلم المعتادين على المباحث الطبيعية هم اقل من غيرهم استعداداً لاكتشاف خداع الخادعين لانهم الفوا الاعمال الطبيعية التي لا تخدع احداً . قال الكاتب ولذلك اختير اثنان من الماهرين في فن الشعوذة ليشتركا في امتحان اسابيا بلادينو وهما المستر كرنجنون والمستر بغدلي اما المستر كرنجنون فمشعوذ مشهور وهو يستعمل مهارتهُ للفكاهة لا للتعيش وقد استخدمتهُ جمعية المباحث النفسية في اميركا لامتحان مدعي مناجاة الارواح واكتشاف اخاديعهم فامتحنهم وكشف اضاليلهم وكتب عنهم مقالات كثيرة في مجلة الجمعية بين فيها كيف يخدعون الناس وألف كتاباً كبيراً في هذا الموضوع سماه الظواهر الطبيعية والسبرتزم صرَّح فيهِ بانهُ لم يرَ عملاً من الاعمال الدالة على مناجاة الارواح حقيقة

والمستر بغدلي من اعضاء مجلس الادارة في جمعية المباحث النفسية وقد مارس الشعوذة مدَّة للفكاهة ولاظهار اخاديع المشعوذين المدعين مناجاة الارواح وامتحن كل اعمال مدعي مناجاة الارواح منذ ثلاثين سنة الى الآن واستنتج من ذلك ان مناجاة الارواح خداع في خداع . واضيف اليهما كاتب هذه المقالة وهو لم يمارس فن الشعوذة ولكنهُ تعلم طرقها واساليبها من اربابها ومن المدعين مناجاة الارواح انفسهم حتى صار يعتقد ان كل الذين يشتغلون بمناجاة الارواح خادعون ماكرون

قال الكاتب هؤلاء اعضاء اللجنة التي انتخبت للبحث في هذا الموضوع وقد رأوا انهُ لا يكفي ان يقتنعوا بصحة ما يرونهُ اولا يرونهُ بل يجب ان يخبروا عما حدث وعما رأوا بالتفصيل والدقة

حتى يقف الجمهور على ما وقفوا هم عليهِ . وان يصفوا ايضاً كل ما اتخذوهُ من الوسائل لمنع الخداع ولذلك اختاروا واحداً ماهراً بالكتابة المختزلة اجلسوهُ معهم حيث يستطيع ان يرى ويكتب ما يراهُ وما يسمعهُ . وجرى الامتحان في الغرفة التي كنت انام فيها في احد الفنادق بنابلي علقنا ستارة سوداء ذات فلقتين امام زاوية الغرفة فحجبت منها جزءا مثلثاً طول قاعدتهِ نحو ست اقدام ووضعنا داخل الستارة مائدة صغيرة مستديرة ووضعنا عليها لعباً صغيرة اشتريناها من نابلي وهي دف ومزمار وبيانو و بوق وجرس وما اشبه . وعذرنا في اختيار هذه الاشياء ان الافعال التي تحدث بواسطة اسابيا هي في الغالب تحريك الاجسام الصغيرة ونقلها من مكان الى آخر على بُعدٍ قليل منها فلا فرق بين ان نختار هذه الاشياء او غيرها . ووضعنا الستارة لان اسابيا تعتقد ان المكان المستور يساعد على جمع القوة ولعلها مصيبة في ذلك لانهُ يظهر ان القوة صادرة من الستارة . اما هي فلم تنظر الى ما وراء الستارة ولا كانت تعلم ما فيها. ووضعنا امام الستارة مائدة صغيرة طولها قدمان وثلاثة ارباع القدم وعرضها نحو قدم ونصف وجلست اسابيا الى جانب هذه المائدة وظهر كرسيها الى الستارة وبُعدها عنها نحو قدم او قدم ونصف وجلس كل واحد منا على جانب من الجوانب الثلاثة الباقية وامسكنا يديها ووضعنا رجليها بين ارجلنا وفي بعض الاحيان كان واحد منا يجلس تحت المائدة ليمسك رجليها بيديهِ

وكان امامها على نحو ست اقدام منها قنديل كهربائي مدلًّى من السقف فيهِ اربعة مصابيح مختلفة النور بعضها اقوى من بعض ولها مفاتيح الى جانب الشخص الذي يكتب الكتابة المختزلة فيفتحها ويقفلها كما يشاء . فاذا كان النور على اقواهُ امكننا ان نقرأ بهِ الخط الدقيق في طرف الغرفة البعيد عنا واذا كان على اضعفهِ امكننا ان نرى بهِ وجه اسابيا ويديها . وفي بعض الاحيان كانت تقفل المصابيح كلها فنصير في ظلام دامس

جلسنا مع اسابيا احدى عشرة جلسة كنا وحدنا في بعضها واشترك معنا بعض اصدقائنا او اصدقائها في البعض الآخر . وقد نجحت في بعض الجلسات اكثر مما نجحت في غيرها وكان انجحها الجلسات التي حضرها اصدقاؤها . ويظهر ان للنور شأناً في بعض الاعمال فبعضها لا يظهر جيداً الاَّ في النور الضئيل وبعضها يظهر جيداً مهما كان النور . وكانت الاعمال في الجلسات الاولى ابسط مما صارت في الجلسات الاخيرة وكانت تتوالى بسرعة آخذاً بعضها برقاب بعض او تتباطأ فيكون بينها فترات طويلة او قصيرة . واذا تباطأت طلبت اسابيا إضعاف النور لكننا لم نرَ ان اضعافهُ كان يسرع الاعمال بل ان الاعمال كانت على اقلها في الجلسات التي كان فيها الظلام على اشدهِ

وهاك وصف جلسة من الجلسات · يُخرَج كل ما لا لزوم لهُ من الاثاث قبل الوقت المعين لمجيء اسابيا بنصف ساعة وتوضع الستارة وتوضع الاشياء داخلها كما تقدم ويبقى منا اثنان في الغرفة وينزل الثالث لاستقبال اسابيا فتأتي ومعها زوجها فيتركها هناك ويمضي ويصعد بها الرجل الذي قابلها الينا على السلالم وهي خمسة لان الغرفة في الدور الخامس فتجلس في مكانها على الكرسي وظهرها الى الستارة · وقد تبتدئ الاعمال او الظواهر حال وصولها وقد تتأخر نصف ساعة فاكثر الى ساعة او ساعة ونصف · ويظهر كأن التأخر ينتج اما عن ان اسابيا تأتي طربة فتكثر من الكلام ولا تلتفت الى اظهار الظواهر المطلوبة واما عن انها تصل متعبة غير قادرة على شيء · فاذا كانت في الحالة الاولى لم يكن لنا سبيل الاَّ الانتظار حتى تتعب من الكلام وتسكت ومتى تعبت اخذت تتثاءب فنعلم ان الظواهر ستبتدئ حالاً ولاسيما اذا اردفت التثاؤب بسعال شديد

وقد تقع في غيبوبة وقد تبقى مستيقظة وقد تكون بين بين وهو الاكثر · وحينما تكون في هذه الحالة تكون اهدأ منها وهي مستيقظة وتدعي حينئذٍ انها لا تتذكر شيئاً مما حدث واذا وقفت في الغيبوبة التامة ظهر كأنها نائمة وقد ترتمي بين ايدينا كأنها لا تقوى على الحركة · وكلامها في هذه الحالة قليل ونغمتها منخفضة جدًّا وتشير حينئذٍ الى نفسها بضمير الغائب لا بضمير المتكلم وتدعي انها تحت سلطة روح رجل اسمهُ يوحنا كنج وانهُ هو الفعَّال الاصلي في اكثر الاعمال المنسوبة اليها · واذا كانت في الحالة الوسطى بين اليقظة والغيبوبة تراها في خلاف دائم بينها وبين هذه الروح · والروح تعلن مرادها بهز المائدة او رفعها مشيرة بما يلزم عملهُ لادارة الجلسة والتحكم بالنور واسابيا تعترض على ذلك غالباً اعتراضاً شديداً · فاربع هزات تدل على طلب الاقلال من النور فتهتز المائدة واسابيا تعترض على ذلك لكن المائدة تعيد هزها الى ان ترضخ اسابيا لحكمها وتطلب اقلال النور

اما الاعمال او الظواهر فاولها ارتفاع المائدة التي كنا جلوساً حولها فانها تأخذ اولاً تهتز ثم ترتفع عن الارض قدماً او قدمين وتبقى مرتفعة مدة قصيرة وتعود الى مكانها وقد تكون يدا اسابيا عليها وقد لا تكونان عليها بل تكونان مرتفعتين عنها قدماً او قدمين ونحن ممسكون بهما بايدينا او تكونان موضوعتين في حضنها · وارتفاع المائدة من اكثر الافعال حدوثاً وهو يقع والنور في الغرفة على اسطعهِ ولم يكن في طاقتنا ان نمنعهُ ولم يكن مع اسابيا شناكل مما ترفع بهِ الموائد عادة ولم نستطع ان نشعر بانها كانت تحرك ركبتيها او رجليها · وكان بينها وبين المائدة فسحة ظاهرة وكانت المائدة ترتفع احياناً على قائمتين من قوائمها الاربع

وتبقى كذلك نحو دقيقة ونحن ندفعها من الاعلى بايدينا لتنخفض فتنخفض ثم ترتفع كأنها متصلة بشيء مرن ثم تثب عن الارض وترفع قوائمها الاربع

ومن الاعمال الكثيرة الحدوث حركة الستارة وراء اسابيا . وكانت اسابيا في الغالب تطلب تقليل النور لاجل هذه الحركة ولكن كان يبقى من النور ما يكفي لرؤيتها وكانت تمديدها نحو الستارة ونحن ممسكون بها حتى تصير على قدم منها او على ثلثي قدم فتنتفخ الستارة اي تقترب من اسابيا من وسطها . وقد تفعل الستارة ذلك اذا مدَّ احدنا يده اليها بناء على طلب اسابيا . وكنا نتأكد دائماً انهُ لا اتصال بين يد اسابيا والستارة وذلك بامرار ايدينا بينهما ولم نكن نرى من الستارة مقاومة لمن يدفعها الى مكانها . ولا كان في الامكان جذب الستارة بخيط او شنكل من غير ان يرى تأثيره فيها لانها رقيقة جدًّا . وكانت تتحرَّك احياناً حركات عنيفة فتندفع حتى يعلو طرفها الاسفل فوق المائدة التي كنا حولها . كل ذلك واسابيا امامنا لا تتحرك ونحن نراها بعيوننا ويداها على المائدة ونحن ممسكون بهما ورجلاها تحت المائدة بعيدتان عن الستارة

ومن هذه الاعمال ان شيئاً غير منظور كان يلمسنا من وقت الى آخر والنور كاف لان نرى به وجه اسابيا ويديها وكان ذلك الشيء يلمس اذرعنا واكتافنا ورؤوسنا ونحن لا نراه بل نشعر كأنَّ انامل يد تلمسنا

ومنها لمسنا من وراء الستارة يد حقيقية ذات كف واصابع واظافر فكانت تقبض على ايدينا واذرعنا واكتافنا ورؤوسنا وكان ذلك يحدث ويدا اسابيا على المائدة امامنا ونحن ممسكون بهما . واول مرة حدث ذلك لي كنت جالساً امام اسابيا على الجانب المقابل لها من المائدة وكرنجتون وبغدلي على جانبي المائدة عن يمينها ويسارها وكانا يقولان انهما يشعران بيد تلمسهما من وراء الستارة فقلت لاسابيا انني اود ان اشعر بمثل ذلك فامرتني ان اقف الى جانب المائدة وامد يدي فوق رأسها الى جهة الستارة فمددت يدي على نحو ثلاث اقدام فوق رأسها فشعرت حالاً بنقر على انامل ثم شعرت ان يداً حقيقية قبضت على اصبعي السبابة باربع من اصابعها ثلاث من الاعلى والابهام من الاسفل وشدَّت على اصبعي حتى شعرت ان اظافرها غرزت في لحمي ثم قبضت على يدي كلها وشعرت حينئذٍ براحتها قابضة على يدي وكان كرنجتون وبغدلي قابضين على يدي اسابيا حينئذٍ . فلا بد من شخص آخر وراء الستارة قبض على يدي ولم يكن وراءها احد

ثم ان اليد التي قبضت على يدي ظهرت للعيان من فتحة الستارة ومُدَّت فوق رأس اسابيا

وكانت احياناً بيضاء كيد الميت واحياناً في لونها الطبيعي ورأيناها مرةً وشعرنا بها في وقت واحد وذلك انها خرجت من عند طرف الستارة مما يلي الحائط وامسكت بالمستر بغدلي وجذبتهُ حتى كادت تقلبهُ عن الكرسي

وكنا نسمع قلقلة داخل الستارة كلما تحركت كأنَّ احداً يهز المائدة التي داخلها وما عليها وكانت المائدة تهتز احياناً اهتزازاً عنيفاً حتى يسقط ما عليها وتخرج من الغرفة وتستقر على مائدتنا فيكون طرف سطحها على المائدة وقوائمها الى جهة الستارة افقية كأنَّ يداً ممسكة بقوائمها من وراء الستارة وتكرَّر ذلك مراراً حتى اضطررنا ان نربطها في المكان الذي كانت فيهِ ومن ثم جعلت الاشياء التي وضعناها عليها تنتقل الينا الواحد بعد الآخر فأتى المزمار ولمس رأسي ووثب الدف الى حضني والبيانو الى رأس صديق كان جالساً معنا في احدى الجلسات ودق الجرس وخرج من وراء الستارة وهو يدق في الهواء فوق رأس اسايا ثم عُلق بشعرها فمددت يدي لانزعهُ فسبقتني اليد من وراء الستارة ونزعتهُ وجعلت تدقهُ فوق رأس اسايا ثم رمتهُ على المائدة امامنا وكان النور كافياً حينئذٍ للكاتب ليرى اليد التي امسكت الجرس وهو على ثماني اقدام او تسع من اسايا

ووضعنا طيناً على لوح صغير ووضعناهُ على المائدة داخل الستارة حتى اذا لمستهُ يد الشبح انطبعت اناملها في الطين . وترى رسم ما حدث حينئذٍ في الشكل المتقدم فان اسايا كانت جالسة عند الرقم ١ وانا عند الرقم ٢ ويمين اسايا في يدي وكنت قد دعوت صديقاً لنا اسمهُ المستر ريان فكان جالساً عند الرقم ٣ ويسار اسايا في يدهِ ووقف المستر كرنجنون ورائي عند الرقم ٤ وكان اللوح على المائدة المستديرة عند الرقم ٥ فخرج من وراء الستارة ورأى المستر كرنجنون حينئذٍ انهُ مرَّ من طرفها عند الرقم ٦ وسار في الهواء الى فوق كتف المستر ريان ورأيتهُ انا

حينئذٍ فنزل رويداً رويداً من فوق يمين المستر ريان التي كانت ممسكة يسار اسايا ومرَّ فوق المائدة واستقرَّ على يدي التي كانت ممسكة يد اسايا

ومن الظواهر التي ظهرت ايضاً انوار بدت مرتين فوق رأس اسايا ومرةً عند الستارة بعيداً عنها وبعض هذه الانوار ازرق الى الخضرة وبعضها اصفر وبعضها كالشرر المتطاير من القطب الكهربائي

وسنتمم هذه المقالة في الجزء التالي ونذكر رأينا في تعليل ما فيها

باب الزراعة

تربية دود الحرير في القطر المصري

لا يخفى ان لتربية دود الحرير شأناً كبيراً جداً في كل البلدان التي تعتمد عليها . وقد جرَّب كثيرون ادخال ذلك الى القطر المصري فلم يفلحوا مع ان التوت كثير فيهِ وتربتهُ واقليمهُ صالحان لشجر التوت حتى يجود فيهِ كما يجود في اكثر البلدان صلاحية لهُ وسبب عدم نجاحهم تسلُّط الحر الشديد حر الخماسين في فصل الربيع حينما يكون الدود عائشاً . وقد جرَّبت تربية دود الحرير في الزيتون بضواحي القاهرة في هذه السنة وفي السنة الماضية فوجدت انهُ يمكن التخلُّص من الحر بهاتين الطريقتين

الاولى ان يربَّى الدود في بيوت كبيرة لا في اخصاص كما يفعل اهالي سواحل بيروت ويجب ان توضع السقائل لهُ على الجدران التي لا تصيبها الشمس وان يكون في الغرف التي يربى فيها شبابيك بحرية (شمالية) تفتح دائماً الاَّ ايام الحر الشديد ويطعم الدود حينئذٍ كلما جفَّ ورقهُ ولو اقتضى الحال ان يطعم عشر مرات في كل اربع وعشرين ساعة وتقلل العلفات وقت الصوم واذا هبَّت رياح الخماسين يُصَبّ ماءٌ على بلاط الغرف لتبريد الهواء ويواظب على الاطعام حتى ينتهي الموسم في ٤٠ يوماً الى ٤٥

والثانية ان يبكر في التخييل واظهار الدود حتى ينتهي الموسم قبل اشتداد الحر . وقد قسمت البزر الذي كان عندي هذه السنة الى ثلاثة اقسام وجعلت قسماً منها يخرج اولاً وقسماً يخرج بعدهُ بعشرة ايام وقسماً يخرج بعد هذا باسبوع وكان البزر كلهُ جيداً ليس فيهِ اقل

مرض وسلم كلهُ وشرنق ولكن الذي خرج اولاً كبر كثيراً وكانت شرانقهُ كبيرة سميكة جيدة جدًّا والذي خرج بعدهُ كان اصغر منهُ وشرانقهُ اصغر من شرانقهِ وارق لان الحر اضرَّ بهِ والذي خرج اخيراً كان اصغر من الجميع وشرانقهُ صغيرة رقيقة اصغر من شرانق الثاني وارق منها لان الحر اضرَّ بهِ كثيراً

فاذا اخرج الدود باكراً في اوائل شهر مارس وربي في البيوت واطعم دائماً حتى يسرع نموهُ نجا من الحر وجاءت شرانقهُ كبيرة سميكة جيدة الحرير

ويظهر لي ان التوت الذي في جنينة الجناب الخديوي حول سراي القبة يكفي لتربية دود ينتج مئتي اقة او ثلاثمائة اقة من الشرانق فعسى ان تجرَّب تربية الدود عليها وتتبع الارشادات التي ذكرتها حتى اذا ثبتت صحتها اكثر اصحاب الاطيان الواسعة من زرع التوت وتربية دود الحرير فيصير في البلاد محصول ثمين مع محصول القطن نعوم مغبغب

اصلاح المواشي المصرية

كتب المستر غودتشليد في كتاب الجمعية الزراعية الخديوية مقالة في هذا الموضوع قال فيها ما خلاصتهُ ان موسم القطن لا يجود في القطر ما لم تحرث ارضهُ جيداً ولذلك فالمواشي القوية القادرة على العمل ضرورية جدًّا ولكن هذه المواشي نادرة في القطر المصري وغالية الثمن لقلة الاهتمام بتربيتها فيهِ . ولا يجوز اهمال امر مثل هذا لهُ علاقة شديدة بالزراعة ولاسيما بزراعة القطن

ولعلَّ تربية المواشي اكثر فروع الزراعة اهمالاً في القطر المصري ولذلك ذكرنا الامور التالية لعلها تأتي بفائدة للذين يلتفتون اليها

في المواشي المصرية صفات حسنة يجب تقويتها وصفات رديئة يجب اصلاحها . الأَّ ان الصفات الحسنة اقل من الصفات الرديئة . ومما يذكر بالاسف ان البلاد المصرية اقل البلدان صلاحية لتربية المواشي فانهُ ليس فيها مراعٍ والمراعي الطبيعية ضرورية والأَّ كان علف المواشي غالياً جدًّا بسبب غلاء الارض ولذلك لا يستطيع كبار الفلاحين ان يعتنوا بتوليد المواشي وتربيتها فيشترونها من صغار الفلاحين وهؤلاء يولدونها كيفما اتفق ويرعونها ما يجدونهُ من الحشائش على جسور الترع وما يقتلعونهُ وقت خف الذرة ويضطر كبار المزارعين ان يشتروا ما يجدونهُ عند هؤلاء الفلاحين الصغار . ولا بدَّ من ان تقل المواشي الجيدة سنة بعد سنة بغلاء الاطيان ما لم تبذل الوسائل اللازمة لاصلاحها

فماذا يجب ان يُعمل لاجل اصلاح المواشي او لاجل تكثير المواشي القوية القادرة على الحرث الجيد والخدمة الكافية حتى يجود موسم القطن ولاسيما بعد ان اخذت بلدان كثيرة في مناظرة القطر المصري

والجواب انهُ لا بد من تعيين لجنة تعتني بتأصيل المواشي وانتاج الجيد منها وهذه اللجنة تعين لها لجاناً فرعية في المديريات والمراكز لكي توزع الثيران القوية كما فعلت حكومة الهند فاستفادت بلاد الهند من ذلك فائدة كبيرة

الا ان هذه اللجنة تجد امامها مصاعب كثيرة اولها ان تعلم ماذا تختار من المواشي للشروع في الاصلاح المطلوب . واول ما يخطر على البال جلب الثيران من اوربا لتطلق على البقر الاهلية ولكن هذا النوع من التوليد او التجنيس غير مناسب والمرجح انهُ يضر ضرراً كبيراً لشدة البعد بين المواشي البلدية والمواشي الاوربية . فانهُ اذا كان البعد شاسعاً بين صنفين ممتازين من الحيوان فالغالب ان نسلهما يعود الى الاصل الذي تولَّد منهُ ذانك الصنفان أي يأتي مشابهاً للاصل القديم الذي تولدت منهُ المواشي الاوربية فتكون النتيجة الضرر بدل النفع وهذا ما يسمى في علم الاحياء بالرجوع الى الاصل . واذا لم يظهر هذا الرجوع الى الاصل في النتاج الاول ظهر في ما ينتج منهُ . ولذلك يرجح ان اطلاق الثيران الاوربية على الاناث البلدية يفسد النتاج ولا يصلحهُ ولو وجد صنف اوربي جيد متولد من الاصل الذي تولدت منهُ المواشي المصرية لكانت ثيران هذا الصنف تجيد المواشي المصرية كما تجيد الاحصنة الانكليزية المؤصلة نتاج الافراس العربية لان الاحصنة الانكليزية ناتجة من اصل عربي ولكن لا يظهر انهُ يوجد صنف جيد من البقر الاوربية اصلهُ مصري

وزد على ذلك ان اقليم مصر مخالف جدًّا لاقليم اوربا من حيث الحر والبرد فلا تحتملهُ المواشي المعتادة اقليم اوربا . والمواشي المصرية اعتادت بعض الامراض التي تنتشر في القطر المصري فلم تعد تموت بها وهذه الامراض تميت المواشي التي يؤْتى بها من الخارج

فلذلك كلهِ ولأن في المواشي المصرية صفات جيدة تجعلها اصلح من غيرها لاقليم مصر يُفضَّل ان يقع الاختيار على اجود المواشي المصرية وتبذل العناية في تقوية الصفات الجيدة التي فيها واضعاف الصفات الرديئة وذلك بان تشتري اللجنة اجود الثيران واجود الابقار وتختار من نتاجها اجود الثيران للنتاج كما جرى في كل البلدان التي أُصِلت مواشيها وحسّن نوعها بناء على ناموس الوراثة العام . وينظر في الاختيار الى الصفات التي يراد تقويتها في النتاج

وألحق الكاتب بمقالتهِ صور ثورين مصريين وصور ثور انكليزي من النوع المعروف بقصير القرون. ويظهر من هذه الصور الفوتوغرافية الاصل ان الثور المصري حتى اجودهُ دقيق ضامر من وراء كتفيهِ اضلاعهُ قليلة التقوُّس ولذلك يكون صدرهُ ضيقاً فلا تتسع رئتاهُ واحشاؤُهُ الاتساع اللازم للقوَّة. وظهرهُ ضيق وكفلهُ ضيق ايضاً. وضيق الكفل يضعف قوتهُ على جر الاثقال وجر المحاريث الثقيلة. واما صور الثور الانكليزي فتدل على انهُ واسع الصدر والظهر والكفل وكل ذلك لازم لزيادة القوة وكثرة اللحم. ثم قال ان الذين انيط بهم اصلاح نسل المواشي نظروا الى ثلاثة امور وهي كثرة اللبن وكثرة اللحم وعظم القوة فاصَّلوا بعضها من الجهة الاولى حتى صار عندهم ابقار غزيرة اللبن جدًّا واصَّلوا بعضها من الجهة الثانية حتى صار عندهم ابقار كثيرة اللحم واصَّلوا بعضها من الجهة الثالثة حتى صار عندهم ثيران قوية جدًّا على العمل فاذا امكن تأصيل المواشي حتى تكون غزيرة اللبن وكثيرة اللحم وشديدة القوة في وقت واحد فذلك غاية المراد ولكن الصفات اللازمة لمزية الواحدة تمنع تقوية المزية الاخرى فيتعذر ان تجتمع هذه المزايا كلها في حيوان واحد او في صنف واحد من المواشي اذ قد وجد بالاختبار ان البقرة الغزيرة اللبن تكون ضيقة المقدَّم صغيرة القد وهذا الشكل لا يصلح لكثرة اللحم ولا لشدَّة القوة. والمواشي الصالحة للذبح يجب ان تكون غزيرة اللحم دقيقة العظام. والصالحة للشغل يجب ان تكون غليظة العظام وعظامها موضوعة على شكل يجعلها قادرة على الشد. وهذا النوع الاخير من المواشي هو ما تمس الحاجة اليهِ في القطر المصري. ومن المحتمل انهُ اذا أُصلحت مواشي القطر من هذا الوجه أُصلحت ايضاً من الوجهين الآخرين فيزيد لحمها ويزيد لبنها ايضاً اما اللحم فيزيد اتساع جرم الحيوان واما اللبن فلا يحتمل انهُ يقل عما هو الآن وقد يزيد لان البقرة القوية التي تلد عجلاً كبيراً تهيئ الطبيعة لهُ فيها لبناً غزيراً يكفيهِ

واستطرد الكاتب الى كيفية تربية المواشي التي يراد اصلاح النسل بها وكيفية تدبير العلف لها وربما لخصنا ذلك في فرصة أُخرى. ونحن نرى كما يرى هو انهُ لا بدَّ من ان تهتم الحكومة باصلاح مواشي القطر على طريقة علمية ولكننا لسنا على ثقة ان الثيران القوية لازمة لحرث ارض القطن لاننا لا نرى ان تعميق الحرث يجيد موسم القطن فاننا نرى بالاختبار ان الارض الشديدة الخصب تنمي ورق القطن ولا تكثر لوزهُ. رأينا قطناً زرع في الربيع الماضي في ارض جيدة بعد تقصيبها فنما فيها حتى صار شجراً كبيراً علو الشجرة منهُ متران او اكثر وكانت الاشجار كثيرة الاغصان غضة الورق لا يستطيع المرء ان يمرَّ بينها الاَّ بكل

صعوبة ومع ذلك لم يحاسب الفدان منها على قنطار من القطن مع انها لو زرعت شعيراً مثلاً لحاسب الفدان منها على عشرة ارادب او اكثر

موسم القطن

اختلف المقدرون في تقدير موسم القطن الاميركاني فقدَّرهُ بعضهم باحد عشر مليوناً ونصف مليون من البالات وهو اعلى تقدير لهُ وقدَّرهُ غيرهم بتسعة ملايين وثلاثة ارباع المليون وهو اوطأ تقدير

اما الموسم المصري فالمبالغون في قلتهِ يقولون انهُ لا يبلغ خمسة ملايين قنطار والمبالغون في جودتهِ لا يوصلونهُ الى اكثر من ستة ملايين وربع مليون فاذا فرضنا انهُ بلغ اكثر التقديرين فتكون نسبتهُ الى الموسمين السابقين هكذا

	سنة ١٩٠٩	سنة ١٩٠٨	سنة ١٩٠٧
	تقديراً	حقيقة	حقيقة
المحصول	٦٢٥٠٠٠٠	٦٧٥١٠٠٠	٧٢٣٥٠٠٠
متأخرات من الموسم الماضي	٠٣٥٥٠٠٠	٠٤٦٣٠٠٠	٠١٧٢٠٠٠
فالجملة	٦٦٠٥٠٠٠	٧٢١٤٠٠٠	٧٤٠٧٠٠٠

المقطوعية

	تقديراً	حقيقة	حقيقة
المرسل الى انكلترا	٣٣٥٠٠٠٠	٣٢٠٦٠٠٠	٣٤٠٥٠٠٠
" " اوربا	٢٨٥٠٠٠٠	٢٨٤١ ٠٠	٢٩٠١٠٠٠
" " اميركا	٠٧٠٠٠٠٠	٠٧٦٦٠٠٠	٠٦٠٦٠٠٠
المقطوعية المحلية	٠٠٢٢٠٠٠	٠٠٤٦٠٠٠	٠٠٣٢٠٠٠
اجمال المقطوعية	٦٩٢٢٠٠٠	٦٨٥٩٠٠٠	٦٩٤٤٠٠٠
الموجودات	٦٦٠٥٠٠٠	٧٢١٤٠٠٠	٧٤٠٧٠٠٠
فالزيادة او النقص في آخر الموسم	٣١٧٠٠٠ نقص	٣٥٥٠٠٠ زيادة	٤٦٣٠٠٠ زيادة

واذا اضيف الى المتأخرات التي كانت في الاسكندرية ما كان في لفربول وسائر اوربا فالمحتمل بقاؤُهُ في آخر اغسطس المقبل من القطن المصري هو ١٨ الف بالة مقابل ٩١ الف بالة في آخر اغسطس هذا العام و ١١٩ الف بالة في العام الماضي . واما اذا ثبت ان محصول هذا

العام اقل من ستة ملايين قنطار وبلغ خمسة ملايين او خمسة ونصفاً قصّر عن طلب المعامل كثيراً ولا يبعد ان يزيد سعرهُ حينئذٍ زيادة فاحشة ويزيد سعر الموسم المقبل ايضاً فيبلغ سعر القنطار ستة جنيهات او اكثر

ربح الزراعة ومصاريفها

اطلعنا على التفصيل التالي في حساب المدرسة الزراعية في الجيزة عن سنة ١٩٠٦ وهو يذكر في باب الايرادات ثمن الحاصلات كلها وفي باب المصروفات المصروفات كلها ومعها مال الحكومة وايجار الارض وثمن الماء فحذفنا هذه الثلاثة لان المراد معرفة مصاريف الزراعة بالنسبة الى ايراداتها

٣٠ فداناً و ١٨ قيراطاً من القطن العفيفي

مليم	جنيه		مليم	جنيه	
٨٨٣	١٧	حرث سنة ١٩٠٥	٥٠٠	٦٢٥	ثمن ٨ و ١٦٦ قنطار بسعر ٣٧٥
٦٢٦	٦٣	اجور عمال	٣٧٥	١٥	ثمن حطب قطن
٢٤٠	٣٤	مصروف ثيران			
٣٧٥	٦	تقاوي			
٧٣١	٢٩	سماد كيماوي			
٠٠٠	٣٠	سباخ بلدي			
٨٩٦	٤٨	جمع القطن			
٥٠٧	٣	منثورات			
٢٥٨	٢٣٤	والجملة			
٦١٧	٤٠٦	صافي الايراد			
٨٧٥	٦٤٠		٨٧٥	٦٤٠	

اي ان صافي ايراد فدان القطن نحو ١٣٠٠ غرش يخرج منها المال والايجار ومصاريف الري . وقد ذكر في المصروفات ان الايجار والماء والمال كل ذلك بلغ ١١٩ جنيهاً اي ان ايجار الفدان ومالهُ وريهُ بلغ ٣٨٧ غرشاً والاطيان التي محصول القطن فيها يبلغ خمسة قناطير ونصف قنطار لا يكون مالها اقل من مئة وعشرين غرشاً فيكون الايجار ومصاريف الري ٢٦٧ غرشاً وهذا غريب جداً وحبذا لو فصل

ومما يستحق الذكر ان مصاريف تسميد الفدان بالسماد الكيماوي والبلدي بلغت نحو مئتي غرش

٦ افدنة من القطن العباسي

مليم	جنيه		مليم	جنيه	
٩٠٧	١٠	اجور عمال	١٢٠	١٢٢	ثمن ٥٣ و ٣٠ قنطار سعر ٤٠٠
١٦٠	٤	اجور ثيران	٠٠٠	٣	حطب القطن
٢٧٥	١	تقاوي			
٣٢٢	٧	سماد كيماوي			
٧٨٢	٩	جمع القطن			
٤٤٦	٣٣				
٦٧٤	٩١	صافي ايراد			
١٢٠	١٢٥		١٢٠	١٢٥	

فصافي ايراد الفدان ١٥٢٨ غرشاً يخرج منها ايجار الارض والمال ومصاريف الري ٠ وقد كانت مصاريف الزراعة عن الفدان في القطن العفيفي نحو ٧٦٠ غرشاً وفي القطن العباسي نحو ٥٥٧ غرشاً وهذه المصاريف كثيرة في الحالين

وبلغت مصاريف زراعة ١٢ فداناً من القمح ٥٨ جنيهاً وبلغ محصولها مئة اردب واردبين وثلاثة ارباع بيع الاردب منها بمئة وعشرين غرشاً فبلغ ثمنها ١٢٣ جنيهاً وثمن تبنها وهو ٨٩ حملاً نحو ٤٥ جنيهاً والجملة ١٦٨ جنيهاً فصافي الايراد ١١٠ جنيهات يطرح منها المال والايجار ومصاريف الري

وبلغت مصاريف زراعة ٦ افدنة من الشعير ٣٠ جنيهاً وايرادها من ثمن الشعير والتبن ٥٦ جنيهاً

ومصاريف اربعة افدنة و ١٢ قيراطاً من الذرة ١٤ جنيهاً وايرادها من الذرة والحطب ٣٩ جنيهاً فصافي الايراد ٢٥ جنيهاً

واذا كان ما ذكر من مصاريف الايجار والمال والري مقسماً بالقسط على الزراعات فصافي ربع الفدان من القطن العفيفي ٩٣٥ غرشاً ومن القطن العباسي ١١٤١ غرشاً ومن القمح ٦٤١ غرشاً ومن الشعير ٦٥٧ غرشاً ومن الذرة ٤٣٣ غرشاً٠ وسنورد خلاصة التفصيل الذي ذكر مع هذه الارقام في الجزء التالي

باب التقريظ والانتقاد

عبرة وذكرى
او
كلمة حول الدستور

فصول ادبية فلسفية تتعلق بالشورى انشأها حضرة الكاتب العصري المجيد الدكتور ايوب ثابت اجابة لطلب صديقه نجيب افندي شوشاني ونشرت في جريدتي الوطن والثبات تباعاً فكان اقبال الناس على مطالعتها كبيراً وكان لها وقع في النفوس. وقد اعيد طبعها الآن في كراس واحد وأُضيف اليها قصيدتان لحضرة منشئها من موضوعها . كتب هذه الفصول قبل الانقلاب الاخير لكنهُ سبق فانبأ بحدوثهِ واشار ببقاء جمعية الاتحاد والترقي كحارس ساهر على الدستور ريثما «يرسخ ويتأيد الحكم النيابي في البلاد» . الى ان قال وليس من خطر في بقائها او تداخلها في الشؤون بل الخطر كل الخطر انما هو في تقلص نفوذها والويل وشقاء الامة انما هما في ملاشاتهِ. وهاك فصلاً من هذه الفصول لما فيهِ من الفوائد وللدلالة على سائر ما كتب المؤلف

كيف نشأت السلطة

خلق الناس في الحقوق سواء ... فتقوى قوم وسادوا البقيه
زعموا ان الملك آتٍ اليهم ... بدء بدء من سلطة علويه
فكأني بهم يقولون وهماً ... نحن لسنا من طينةٍ ادميه
اورثوهُ بعد الممات بنيهم ... امشاعٌ حقوقنا البشريه
ظلموا الشعب واستبدوا دهوراً ... انما لم يدم رقاد البريه
قام فيهم ذوو العقول فنادوا ... انتم الملك والملوك الرعيه
ليس حقاً ان يحكم الكل فردٌ ... انما حق الحكم للاكثريه
ناهضوهم مستهلكين ففازوا ... وغدا الكل في الحقوق سويه

كل ما يرجع الحكم فيهِ مما يتعلق بالمجتمع الانساني الى ما قبل زمن التاريخ لا يتعدى

حد الحدس والتخمين او اذا تعدى الى ما وراء ذلك فلا يخرج عن حدود الآراء العلية

ومما يدخل تحت هذا الباب مما نحن في البحث فيهِ هو كيفية نشوء السلطة

كيف نشأت السلطة — صوِّر لنفسك الارض والجليد لا يزال كاسياً لجزء كبير من سطحها على اثر دور جليدي انتابها والوحش من الوعل الارلندي الى دب الكهف الى واحد القرن الصوفي الى المموت الشعري يضرب في اكنافها والانسان بينها لا كساء لهُ الأ ما كان من جلدها ولا قوت غير ما ينازعها ولا مأوى غير ما يشاركها من كهف او شق في صخر ولا سلاح يدفع بهِ هجماتها الأ ما كان من قرنها او الحجر الصوان فاذا ما تصورت كل ذلك تمثل لك ما يقارب حالة اجدادك الاولين وانتجت لنفسك ان وجود الانسان على مثل تلك الحالة بين تلك الاوساط والعوامل اضطرهُ حفظاً لكيانهِ الى التعاضد والتضام فكان ذلك بدء تشكيل «الجماعة» او سمها ما شئت

ثم عد فصوِّر لنفسك احد افراد «الجماعة» ممن ميزتهم الطبيعة بشدة بأس او سمو عقل وقد دفعهُ حب الذات الى الانتفاع مما ميز بهِ فيخيل لك كيف نشأت السلطة وكان هو مغتصبها

او اذا انكرت هذا المذهب فصور لنفسك ان «الجماعة» ادركوا وجه الضعف في استبقاء السلطة مشتتة وانتجوا ان جمعها يكسبهم قوة في تنازع البقاء فارتأوا عقد السلطة لواحد منهم او اكثر فالمدار واحد يدفعهم الى ذلك عامل حب الذات فيخيل لك كيف نشأت السلطة وكان هو مكتسبها

انما لا مهرب لك كيف تصورت نشأتها من التسليم بانها اما مغتصبة واما مكتسبة

هل من حقوق الشعب تقييد الملك — فاذا ذهبت الى انها مغتصبة اوجب عليك مذهبك هذا التسليم والاقرار بحق الشعب وهو الممثل المعنوي «للجماعة» في استرداد السلطة من الممثل المعنوي لمغتصب السلطة من «الجماعة» وهو الملك

او اذا ذهبت الى انها مكتسبة سألناك هل كان اكتسابها بقيد ام من غير قيد . فاذا قلت بل هو بقيد قلنا ان اقل ما يمكن ضمن هذا القيد «للجماعة» هو حق التمتع بالحرية الشخصية التي هي حق من حقوق الانسان الطبيعية . اذ لا يعقل ان الانسان معا هو مفطور عليهِ من حب الذات يرضى بالتنازل عن كل حقوقهِ لغيرهِ . او ما ترى الرقيق المولود في العبودية يحن دوماً الى الحرية فكيف يخيل لك ان المولود فيها يرضى بالتنازل عنها . فاذا صحَّ هذا الفرض اي ان العقد المعقود بين «الجماعة» ومكتسب السلطة تضمَّن وضمن «للجماعة» حق التمتع

بالحرية الذاتية وهو كما ترى فرض معقول نتج ان كل ما كان من شأنهِ مساس هذه الحقوق كان منافياً ضرورة لمضمون هذا القيد . فلما كان الامر كذلك وكان الحكم الاستبدادي المطلق منافياً لهذا الحق تأتى عن ذلك بداهةً انهُ منافٍ لمضمون القيد ايضاً وكان حلولهُ محل الحكم المقيد اخلالاً بالشرط او القيد المعقود بين « الجماعة » ومكتسب السلطة . فلذلك ولان للانسان حقوقاً طبيعية ولهُ حق التمتع بها ولا يقوى على ذلك والسلطة مطلقة فقد حق للشعب وهو الممثل المعنوي « للجماعة » ان يعتبر العقد المعقود لغواً وان يعيد السلطة الى القيد او يستردها اليهِ من الممثل المعنوي لمكتسب السلطة في « الجماعة » وهو الملك

بل هب ان السلطة كانت مكتسبة من غير قيد فذلك لا يكون منهُ ان حقوق الانسان الطبيعية دخلت ضمن الحق المكتسب . ذلك لان هذه الحقوق هي حقوق معنوية وانما هي للانسان بصفتهِ انساناً اي بشراً لا كفرد او مجتمع من الناس وهو وان حق لهُ التمتع بها لا يحق لهُ التصرف بها من مثل التنازل عنها . لذلك كان ادخالها ضمن الحق المكتسب على فرض امكان وقوع ذلك عقداً فاسداً من اساسهِ وحق للشعب ان يعتبرهُ ملغى وان يظل متمتعاً بحريتهِ الذاتية وهي حق من حقوقهِ الطبيعية ما دام حياً

ثم لو فرض ان للجماعة حقاً في التصرف في حقوق الانسان الطبيعية وانهم تنازلوا عنها لصاحب السلطة المكتسبة فانما يتقيد بهذا الفعل فاعلهُ دون غيرهِ ذلك لان هذه الحقوق ملازمة للانسان ولكل فرد من المجتمع الانساني حق التمتع بها فتنازل فريق عنها لا يفقد هذا الحق من غيرهِ . فلذلك ولان الشعب لم يكن من الفئة المتنازلة عنها قد حق لهُ ان يعتبر العقد لغواً وان يظل متمتعاً بحقوقهِ الطبيعية ما دام حياً

فترى مما تقدم وقد ذهبنا واياك على ما شئت من المذاهب ان لا مهرب لك كيف تصورت نشوء السلطة من الاقرار والتسليم بانها إما مغتصبة من الشعب وإما مكتسبة منهُ . فلما كان امرها كذلك وكان للانسان حقوق طبيعية لهُ حق التمتع بها وكان لا يقوى على ذلك والسلطة مطلقة مستبدة حق لهُ توصلا الى حقوقهِ ان يقيد السلطة كيف شاء وليس هو بعملهِ هذا متعدياً او مستبداً بل كانت هي المتعدية المستبدة لو انكرت عليهِ هذا الحق . فكما ان العمران لا يقوم بدون وجود السلطة فهو ايضاً لا يتم والشعب مقيد مفقود الحرية . بل ما افلحت الامم المعاصرة وترقت في سلم المدنية الاَّ بعد ان قيدت السلطة بالدستور وحلت قيود الشعب واليك التاريخ اذا رجعت اليهِ تجد الصواب في هذا القول

والفصول كلها على هذا النسق من البحث الاجتماعي الفلسفي . وقد بيَّن فيها ان لا ترقي

الأ بعد تقييد الملك وان لا دخل للمذهب في ترقي الامم وانحطاطها ولا دخل للمذهب في سياسة اوربا والحقها بقصيدتين عامرتين في موضوعها عنوان الاولى وسلام على العظام البلية وعنوان الثانية « الحياة بعد الموت »

كتاب الحضارة القديمة

انتُدب حضرة العالم الاثري احمد بك كمال امين متحف القاهرة لالقاء المحاضرات في الجامعة المصرية عن الحضارة القديمة فالقى محاضرات كثيرة في تاريخ مصر القديم الى آخر العائلة الرابعة عشرة من الدول المصرية وجمع فيها خلاصة ما يعلم من احوال المصريين الاجتماعية في ذلك العهد . والمطلع على هذه المحاضرات يرى منها ان المصريين الاقدمين كانوا قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة ارقى مما انحطوا اليهِ منذ مئة سنة واثباتاً لذلك ننقل بعض ذكرهُ المؤلف في الكلام على المعارف عند المصريين قال

« نبغ في عصر الملك (شوبسيسكاف) من الاسرة السادسة رجل من ارباب الرتب العالية طال عمرهُ حتى رأى الملك (نفر كارى) ولقب نفسهُ في نقوش قبرهِ ناظراً لدار الكتب فكان هذا العنوان كافياً وحدهُ للدلالة على اتساع دائرة المعارف وعلى تقدم العلوم في عصر ذلك الملك حتى استوجب نشر المؤلفات وبناء خزانة فاخرة لها ادخروا فيها السجلات وكتب التاريخ والتقارير والتحريرات المتبادلة بين الملك وكبار العمالات والامراء . وحفظوا فيها ايضاً وقفيات للمعابد ولافراد الامة واوراقاً شاملة لمسائل شتى مما كانت تقضي بهِ الامور في مملكة منظمة كمصر . وذلك خلاف ما كان يوجد فيها من النصوص الدينية القديمة . وما كان يتلى من الصلوات في عصر الاسر الاول وما كان يرتل من العبارات الدينية قبل (مينا) ومن المدائح لمعبودات النور وفيها الكتب السحرية والرمزية مثل كتاب الموتى وكتاب الرتب الدينية الخاصة بالمقابر وغير ذلك من الرسائل العلمية المدونة في الطب والهندسة والحساب والفلك والآداب والحكايات الفكاهية اللطيفة الخ »

وغنيٌّ عن البيان ان المباني المصرية والآثار كلها من كتابات وتماثيل ونقوش تدلُّ على مقدرة فائقة في نقل الاثقال ومهارة بالغة في الصناعة وحضارة واسعة تناولت كل المعايش وكل الحاجيات والكماليات من الحرث والزرع والخبز والطبخ الى ايلام الولائم والجلوس في مجالس الشراب والغناء والتضمخ بالعبير والملاب والتزين بالحلى المرصعة والحلل الموشاة

وفي هذه المحاضرات كثير من الصور والرسوم وبعضها غاية في الاتقان

آداب السلوك

ان من ادل الادلة على فائدة هذا الكتاب واحتياج الجمهور اليهِ نفاد الطبعة الاولى والثانية منهُ وظهور هذه الطبعة الثالثة مع كساد بضاعة الادب في بلادنا . والكتاب كذلك يحسن ان تكون نسخة منهُ في كل بيت وان يطالعهُ كل احد ولو كان التأدب وحسن السلوك فيهِ طبعاً ولا تخلو صفحة منهُ من فائدة او فوائد مثال ذلك قولهُ

ومما يحرم فعلهُ في الهيئات الاجتماعية وضع اليد على الشعر ، ولمس الوجه والرأس عموماً ، وتقليم الاظافر ، وحك الجلد ، وادخال الاصابع في الاذن ، والبصق ، والتثاؤب ، والجشاء ، الى غير ذلك من النقائص التي يشمئز الحضور من رؤيتها * ولا مراء ان قواعد الرقة والادب وما اصطلح الناس عليهِ من سنن الحشمة والحياء ، ورسوم الزيارات والمقابلات ، يمكن ان تعود بالفوائد والصلاح اذا استعملت حق الاستعمال ، او بالضرر والفساد اذا لم تراعَ فيها شروط الكمال ، كما لو احتفلنا بهذه الرسوم وقدمناها على غيرها من الواجبات الحقيقية ، وجعلناها اهم شاغل نصب اعيننا ، فانها تصبح وقراً على كاهلنا ، وعثرة في سبيلنا ، ونصبح هزأة للآخرين * اما اذا كانت طبيعية المجرى ، غريزية المبدإ ، خالية من التصنع والتكلف ، فقد نجونا من شرها * وقد اصاب من شبهها بثوب ناصع البياض يزين لابسهُ في حسن التحكيم ، ولا يعوقهُ عن الحركة والمسير ، واقل قصور او شذوذ عما يقتضيهِ الذوق السليم يشين الاديب ويعيبهُ ، ويظهر كبقعة سوداء على ذلك الثوب الابيض ، والآداب اشبه شيء بالزيت الذي يصبُّ على ادوات الآلة لتسهل بهِ حركاتها وتسرع في دورانها وتتقي بهِ خطر الاحتكاك ، وهذا هو تأثير التأدب في السلوك والمعاملات ، فانهُ يسهل حركة الاعمال ويفتح ابواب التقدم والارتقاء * وقد قيل : كل شيء يرخص اذا كثر الأ الادب فانهُ اذا كثر غلا

وقولهُ

وكثيراً ما يستدلُّ على اخلاق الشخص واطوارهِ من النظر الى ترتيب ثيابهِ ونظافتها ولونها ومقاسها * فاذا رأيت شاباً حسن الهندام نظيف الثياب ثمينها كان في الغالب كريماً محباً للترتيب مواظباً على عملهِ ثابتاً في مبادئهِ ، واذا فضل اللون الاسود او الادكن في ثيابهِ كان رزيناً وقوراً * واما اذا بلغ في وقاية ملابسهِ من الاوساخ والغبار حتى صار يمنع نفسهُ عن الكدّ خوفاً عليها من التلف فهو محبٌّ لذاتهِ غير مكترث بذويهِ ومعارفهِ ، واذا بالغ

في النظافة الخارجية واهمل ثيابهُ الداخلية ونظافة جسمهِ كان مرائياً مداهناً —

يعطيكَ من طرفِ اللسانِ حلاوةً ويروغُ منكَ كما يروغُ الثعلبُ

واذا اعتنى كثيراً بنظافة جسمهِ وترتيب ملابسهِ الداخلية دون الخارجية كان سليم النية منصفاً ينظر الى حقائق الامور لا الى ظواهرها ولا يهمهُ مدحهُ الناس او ذموهُ * ومن كان ثوبهُ نظيفاً لكنهُ غير مرتب غلب في طباعهِ الاسراف والكسل ، واذا كان بعض ملابسهِ مرتباً دون البعض الآخر فهو محب للعمل لكنهُ قليل الصبر ، واما اذا تفاوت بعضها عن بعض في الشكل او الحجم او القيمة او القدم فهو ضعيف الرأي قصير النظر لا لا يصلح ان يدير عملاً من الاعمال

وفي آخر الكتاب وصف اربعين لعبةً من الالعاب البيتية وشرح ٢٥ احجية وكلام مسهب على لغة الازهار والاشجار وعلى خرافات اهل الغرب وما اشبه

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مدارس الاطفال الصناعية

رأينا منذ مدة مقالة للادي دارون زوجة السر جورج دارون بن دارون الشهير وصفت فيها مدارس الاطفال الصناعية في بلاد اسوج فاستغربنا تعلُّم الاطفال للصنائع وعملهم بها ولكننا لما زرنا دمشق هذا الصيف ورأينا معمل الخواجه نعسان وجدنا فيهِ اولاداً لا يزيد عمر الولد منهم على سبع سنوات وهم يعملون في صنع الادوات النحاسية والخشبية ولاسيما في حفر النحاس بمهارة غريبة ويأخذون اجوراً غير قليلة بالنسبة الى سنهم فعدنا الى مقالة لادي دارون فوجدنا ان المدارس الصغيرة تفتح في بلاد اسوج من الصبح الى الساعة الواحدة بعد الظهر فقط فاذا كانت المدرسة لا تسع كل الاولاد أُخرج الصغار منها الذين سنهم من ٧ الى ٩ سنوات وعُلّموا فيها بعد الظهر فقط فيكونون بلا مدرسة من الصبح الى الساعة

الواحدة بعد الظهر . وقد اهتم بامرهم بعض السيدات وانشأت لهم مدارس صناعية يتعلمون فيها النجارة والحدادة والحياكة والحباكة والسكافة والخياطة وعمل السلال وحفر الخشب وما اشبه من الصنائع ويعملون فيها قبل الظهر ويذهبون الى المدارس التي يتعلمون فيها القراءة والكتابة بعد الظهر . وكل الاولاد الذين تعلموا في هذه المدارس الصناعية لم يرتكب احد منهم جريمة لما شبوا ولا دخل محكمة . والمدرسة تطعمهم الظهر والمساء بدل عملهم فيها والاولاد يقبلون عليها سواء اطعموا فيها او لم يطعموا لان الطعام لا يقدَّم في فسحات الاعياد ومع ذلك يترددون عليها حينئذٍ رغبةً في العمل . وهم يتعلمون في هذه المدارس الصناعية صبياناً وبنات معاً والبنات منهم يساعدن الطباخين في طبخ الاطعمة وكلهم يصلحون احذيتهم وثيابهم ولكنهم يفضلون خياطة الثياب الجديدة على ترقيع الثياب القديمة وعمل حذاء جديد على اصلاح حذاء قديم ولذلك لا يتعبهم المعلمون والمعلمات في اصلاح الاشياء القديمة

ومن المصنوعات الكثيرة التي ذكرت لادي دارون انهم صنعوها البرانيط والاحذية والثياب على انواعها والمراويل والكراسي والموائد والرفوف والمعاجن والحصر والمناقض وكل الادوات الحديدية كالمطارق والرفوش والمزالق . وفي مدينة ستكهلم الآن ست عشرة مدرسة من هذه المدارس وفي اسوج كلها ٧٢ مدرسة . وقد اقتدت بها فنلندا والدنمارك ونروج وبولندا وفرنسا وروسيا وبلاد اليونان ووددت ان تقتدي بها انكلترا ونحن نود ان تقتدي بها مصر وكل البلاد العثمانية فيتعلم اولاد الامة في صغرهم صناعات تفيدهم في كبرهم وينجون من سآمة الدرس الكثير في المدارس

والنساء انشأن هذه المدارس في بلاد اسوج فهل يقوم من نسائنا سيدات يسرن في خطتهنَّ وينشئنَ مدارس صناعية للاطفال افادةً لهم وانقاذاً من السآمة والضجر

جمعيات النساء

كان عدد الاناث في القطر المصري في التعداد الاخير الذي تمَّ منذ سنتين ٥٦٢٠٢٨٥ وعدد اللواتي يعرفنَ القراءة والكتابة منهنَّ ٦٠٦٥٢ اي نحو واحدة في المئة واكثر هؤلاء من الاوربيات والسوريات ولا سبيل الى ابلاغ غير المتعلمات ما يكتب في المواضيع النسائية والمتعلمات قليلات العدد جدًّا بالنسبة الى غير المتعلمات كما تقدَّم فما هو السبيل الى مخاطبة غير المتعلمات

نشرنا في بعض الاجزاء الماضية كلاماً لجمهور من الاطباء قالوا فيه ان وقاية الاطفال

من الادواء المميتة تقدم بتعليم امهاتهم كيف يعتنين بهم . فما هو السبيل الى تعليم النساء هذا الشيء الضروري وغيره من لوازم الصحة والراحة وهنَّ يجهلن القراءة ولا يرجى ان يكثر عدد المتعلمات منهنَّ الاَّ بعد سنين متطاولة بل اننا نشك في امكان انشاء مدارس للبنات تكفي لربع ما يبلغ منهنَّ سن التعلُّم سنويًّا

ان مَن ينظر الى قلة عدد المتعلمات وقلة مَن يمكن تعليمهُ سنويًّا من غير المتعلمات يكاد يقع في اليأس من اصلاح الحال ولكن اذا اعتبرنا ان المرء يتعلم بالاذن اكثر ممَّا يتعلم بالعين اي انهُ يتعلَّم ممَّا يسمعهُ اكثر مما يقرأهُ بدت امامنا بارقة من الامل . كنا قُبَيل كتابة هذه السطور في نادٍ فيهِ جماعة من الوجهاء فقال لنا وجيه منهم لماذا لا تعيدون تلك الجمعية الادبية التي كنتم تلقون فيها الخطب والمباحثات فقد سمعت فيها مباحثة في الموضوع الفلاني دارت بين فلان وفلان . ثم سرد لنا خلاصة تلك المباحثة مع انهُ قد مضى عليها الآن نحو ثلاث وعشرين سنة فأيَّد لنا بقولهِ هذا ما يقال من ان الانسان يتعلَّم ويحفظ ممَّا يسمعهُ اكثر ممَّا يتعلَّم ويحفظ ممَّا يقرأهُ

واذا كان الامر كذلك فالسبيل الى النساء غير المتعلمات سهل وهو ان تعقد لهنَّ جمعيات في بنادر القطر وجهاتهِ المختلفة يتردد عليها بعض النساء المتعلمات ويشرحنَ لهنَّ الامور الصحية اللازمة لتربية الاطفال وتدبير المنزل . ولا نرى ما يمنع الرجال من ان يقوموا بهذا العمل اذا تعذَّر وجود النساء للقيام بهِ واذا ابى السامعات ان ينظر الرجال الى وجوههنَّ ولا نظن ان نساء البنادر والارياف يأبينَ ذلك فليضعن البراقع على وجوههنَّ

ويظهر لنا اذا بذلت الهمة في هذا السبيل اي في تعليم النساء بالخطب السهلة الفهم ما تلزم معرفتهُ لهنَّ من امور تدبير المنزل وتربية الاطفال استفادت البلاد في سنتين ما تستفيدهُ من المدارس في سنوات كثيرة . فهل في البلاد ذوو غيرة وحمية ينفقون في هذا السبيل فيكسبوا الشكر الجزيل ويخدموا بلادهم اكبر خدمة

مدرسة في محلها

لا يخفى ان بنات الفلاحين اذا تعلمن في المدارس صعب عليهنَّ العود الى بيوت آبائهنَّ والتزوج برجال من اهلهنَّ فتعليمهنَّ قد لا يفيدهنَّ مطلقًا وقد يضرُّ بهنَّ ولا تستفيد منهُ عيال الفلاحين لانهنَّ لا يعدن اليها والفلاَّحون عماد البلاد واصلاح شؤُونهم اهم اصلاح تحتاج اليهِ . وقد بلغنا انهُ انشئت مدرسة داخلية في مدينة اسيوط تعلم البنت كل ما يلزم

لادارة البيت مع تعليمها القراءة والكتابة ومبادىء العلوم وتمنعها من لبس ثياب غير الثياب التي تلبسها في بيت ابيها بشرط ان تكون نظيفة دائمة فهي تقصد ان تصلح بيوت الفلاحين المصريين وتجعلها مثل بيوت الفلاحين الاوربيين من غير ان تزيد نفقاتها

هذه مدرسة في محلها والبلاد في اشد الحاجة الى امثالها فعسى ان تبحث نظارة المعارف عنها وتنسج على منوالها في المدارس التي تنشئها في بلاد الفلاحين ولو كانت داخلية

فوائد للسيدات

الاعتناء بالشعر

يشتكي كثيرٌ من السيدات من قصر شعرهن وتقصفهِ وتشققهِ فلا بد لهنَّ من الاعتناء بهِ لحفظهِ في حالة صالحة واستعمال المشط والفرشة صباحاً ومساء وفرك فروة الرأس بهما فركاً جيداً فان ذلك ينبه جذور الشعر ويزيد في نموّهِ · ويجب ان يكون المشط والفرشة من احسن جنس لا تشقق ولا تشعث فيهما ولا بأس بقص اطراف الشعر من وقت الى آخر فان ذلك يزيد في نموّهِ · وافضل الادوية التي تمنع سقوط الشعر ما كان فيها مركبات البارافين كزيت البترول وغيره وهي كثيرة

واذا كان الشعر جافاً قصماً فيمكن تليينهُ بدهنهِ ببعض الزيوت وافضلها لذلك زيت الخروع النقي الخالي من الرائحة · ويلمّ الشعر بعد غسلهِ بفركهِ بمنديل من الحرير الناعم

ازالة الشعر

لا واسطة لازالة الشعر من الوجه سوى الكهربائية · والوسائط المستعملة اعتيادياً اما مضرَّة او لا فائدة منها بل ربما زاد نموُّ الشعر باستعمالها

ازالة الغضون من الوجه

لا يخفى ان الغضون اي التجعدات في الوجه يزيدها التقدم في العمر وضعف الجسم والمرض والهموم والاحزان · وافضل طريقة لازالتها ومنعها الدلك باحد المراهم الملطفة مثل « الكولد كريم » لكن الفائدة بالفرك لا بالمرهم ثم يمسح الوجه بغسول قابض مؤَّلف من ربع اوقية من العفص ونصف اوقية من الغليسرين وخمس اواقيّ من ماء الورد · وافضل الوسائل لمنع الغضون انبساط الوجه والاخلاق الحسنة الرضية وتقوية الجسم بالرياضة والهواء النقي

ازالة النمش

الادوية التي يقال انها تزيل النمش كثيرة وتحتوي غالباً على موادّ سامة او مهيجة وهي لا ضرر منها اذا استعملت باعتناء تام · ومن الوسائل المستعملة لازالة النمش دهن الوجه باللبن الرائب وعصير الحصرم وعصير الفريز (الفرولا) وفركهُ بقطعة من الخيار او الليمون الحامض

غسل الوجه

كثيرٌ من السيدات يغسلن وجوههنَّ صباحاً مساء باللبن الحليب مع مثل مقدارهِ من الماء النقي وهي طريقة حسنة جدًّا · وبعضهنَّ يغسلنهُ بالماء فقط ويضفن اليهِ قليلاً من ماء الورد · ولا بد ان يكون الماء ليناً اي مماً يرغو الصابون فيهِ جيداً واذا كان قاسياً اي مماً لا يرغو فيهِ الصابون يفضل استعمالهُ فاتراً ولا بأس باضافة قليل من البورق اليهِ · اما الصابون فيجب ان يكون من افضل جنسٍ

الاعتناء بالايدي

يجب على النساء الاعتناء بايديهنَّ ما امكن لاسيما اذا كنَّ من اللواتي يشتغلنَ بها فيجب غسلها جيداً ثم فركها بالنخالة قبل تنشيفها فانهُ يزيد في نعومتها وبياضها · واذا كان فيها خشونة تغمس في الماء الفاتر نحواً من خمس دقائق ثم تغسل وتنشَّف جيداً وتفرك بعصير الليمون وتدهن بمرهم الكولد كريم ويرش عليها قليلاً من النخالة الناعمة وتصقل بقطعة من الجلد اللين

الاعتناء بالاسنان

يجب تنظيف الاسنان مرتين في اليوم بفرشة ناعمة ومسحوق لا مواد مضرة فيهِ · ومن العوائد المستحسنة المضمضة بالماء بعد الطعام وقد يضاف اليهِ قليل من كربونات الصوداء فان ذلك يزيل ما يتبقى من فضلات الطعام كالدهن والحوامض · ولا بد من غسل الفم ايضاً بعد تعاطي الادوية ولاسيما مركبات الحديد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) مطبوخ الارمن والتغيرات الجوية

حمص . مصطفى افندي الترك . ان مطبوخ الارمن السنوي قسم الشهر اربعة اقسام يذكر في كل ربع منها ما يقع فيهِ من التغيرات الجوية قبل وقتهِ فنراهُ يصيب في بعض منها ويخطئ في بعض كما هو المشاهد فما مفتاح هذا العلم واستنباطهُ ومع اصابتهِ في البعض كيف اخطأ في البعض الآخر

ج . اذا اردتم بالتغيرات الجوية التغيرات الفلكية كظهور الهلال والبدر والكسوف والخسوف ومواقع السيارات فذلك يعرف بالحساب الفلكي لان سير هذه الكواكب معروف . وما يحدث هذه السنة من الكسوفات والخسوفات يتكرر كل ١٨ سنة و ١١ يوماً او ما يحدث كل ١٨ سنة و ١١ يوماً يتكرر في الثاني عشرة السنة والاحد عشر يوماً التي تتلوها وهكذا فكان يسهل على القدماء ان ينبئوا بما يحدث من هذا القبيل في مستقبل الازمان ويكون خطأهم قليلاً . ولكن اذا اردتم بالتغيرات الجوية وقوع الامطار وهبوب الرياح والعواصف والايام الغائمة والصاحية فذلك مما لا يعلم قبل حدوثهِ مطلقاً الاَّ اذا حدث شيء منهُ في بلاد وعُلمت جهة حركتهِ وسرعتها وارسل خبرها بالتلغراف الى المكان المتجهة اليهِ فانهُ يمكن الانباء بحدوثها فيهِ قبل حدوثها بيوم او بضعة ايام . وما صدق غير ذلك فصدقهُ اتفاقي

(٢) حرارة الشمس

مصر . عبد المجيد افندي سليمان . يقول العلماء ان الشمس تفقد مع الزمان جزءا من حرارتها فاين تذهب تلك الحرارة

ج . ان حرارة الشمس تشعُّ منها دائماً في الفضاء الذي حولها ويصل الى الارض جزء صغير منها وهو الجزء الذي تعترضهُ الارض في سيرها في الفضاء

(٣) الجاذبية الشعرية

ومنهُ . ما سبب ارتفاع السائل في الانبوبة

الشعرية او انخفاضهُ على حسب ما اذا كان السائل من طبيعته ان يلصق او لا يلصق بالانبوبة فاننا لم نجد تعليلاً لذلك في الكتب العلمية التي بين ايدينا

ج . سببهُ في الحالة الاولى ان جاذبية الالتصاق بين الانبوبة والسائل اشد من جاذبية الملاصقة بين دقائق السائل وفي الثانية ان جاذبية الالتصاق اضعف من جاذبية الملاصقة

(٤) النبات والطب

ومنهُ . لماذا ابطل علم النبات من المدرسة الطبية المصرية . أوَلا ترون علاقة بين هذا العلم والعلوم الطبية توجب جعلهُ من علومها اوَلا يمكن لطالب الطب ان يدرس علم النبات من كتبهِ بدون مساعدة استاذ في بلد مثل مصر

ج . نظن ان تدريسهُ أُبطل لانهُ يدرَّس في المدارس الاخرى التي يتخرج فيها الطالب قبل دخول المدرسة الطبية . ودرسهُ مفيد جدًّا للطبيب ولكنهُ ليس ضروريًّا لهُ . ويصعب درسهُ او يتعذَّر في هذه البلاد من غير ارشاد استاذ

(٥) غروب الشمس

بني سويف . كامل افندي فهمي . يفهم من جوابكم على سؤالي في العدد السابق عن غروب الشمس ان المدة من نصف النهار الى نصف النهار هي ٢٤ ساعة وان المدة من الغروب الى الغروب ليست كذلك اذ لو كان كذلك لوجب ان يكون وقت الغروب بالساعة الافرنكية ثابتاً لا يتغير كما انهُ دائماً على الساعة الثانية عشرة في الحساب العربي لان الساعة العربية مساوية للساعة الافرنجية . واذا كانت المدة من الغروب الى الغروب ليست ٢٤ ساعة دائماً فلماذا يقولون ان وحدة الزمن وهي الساعة هي جزء من ٢٤ من المدة التي بين الغروب والغروب التالي لهُ ولماذا تكون الساعة العربية دائماً مضبوطة على الساعة الثانية عشرة وقت الغروب

ج . ان الساعة جزء من اربعة وعشرين جزءا من اليوم والقياس الصحيح لليوم هو من بلوغ نجم الهاجرة الى بلوغهِ الهاجرة في اليوم التالي ولا يقال انهُ من الغروب الى الغروب الأ توسعاً لان المدة من الغروب الى الغروب تطول وتقصر كما تقدم والساعة العربية لا تكون دائماً مضبوطة على الساعة ١٢ وقت الغروب واذا كانت تدل دائماً على ١٢ وقت الغروب فهي غير مضبوطة

(٦) دوران الشمس

ومنهُ . لقد استعظمتم سرعة الشمس اذا كانت هي التي تدور حول الارض في جوابكم على سؤالي عدد ٢٨ مع ان تلك السرعة ليست مستحيلة فاذا قورنت بسرعة النور او الكهربائية نجد ان النور اسرع منها فنرجو بياناً شافياً لا يقبل الشك

ج . لم نقل ان هذا هو الدليل الوحيد على ان الارض هي التي تدور حول الشمس بل قلنا صريحاً ان هناك «ادلة اخرى على دوران الارض حول الشمس ترونها في كتب الفلك» واذا اردتم زيادة التفصيل فعليكم بمطالعة كتاب في علم الفلك او بمطالعة بعض الفصول التي كتبناها في المقتطف في هذا الموضوع . اما كون النور يسير بسرعة فائقة فلا يؤْخذ دليلاً على ان الاجسام الجامدة تستطيع ان تسير بهذه السرعة ولا تتمزَّق لان النور ليس مادة بل هو تموُّج او تحرك في دقائق الاثير وهذه الدقائق تتموج كما يتموَّج الماء اذا رمي فيهِ بالحجر من غير ان يحول من محلهِ اما دوران الشمس او النظام القديم فيقتضي ان تدور النجوم كلها حول الكرة الارضية بسرعة تفوق سرعة النور اضعافاً كثيرة جدًّا

(٧) الراي السديمي

ومنهُ . يقولون ان جميع الكواكب كانت كتلة واحدة فكيف كانت طريقة انفصال اجزائها الى كواكب

ج . اذا دار الجسم على نفسهِ بسرعة فقد تنفصل منهُ اجزاء تدور حولهُ كما ينفصل الوحل من على عجل المركبات وهي مسرعة في سيرها . والظاهر ان النظام الشمسي اي الشمس وسياراتها كان كلهُ كتلة واحدة دارت على نفسها اما بسبب بردها وتقلصها اي بصدم جرم سماوي لها فلما دارت انفصلت عنها مادة السيارات واستدارت وبقيت تدور حولها وترون تفصيل ذلك في مقالاتنا عن الراي السديمي في المجلد السابع من المقتطف

(٨) ظهور التدخين في مصر

فراشه . الشيخ ابو هاشم علي قريط من قبيلة اولاد علي . من هو اوَّل من استعمل التدخين في القطر المصري وفي اي زمن كان ذلك

ج . لا نعلم من ادخل التدخين الى مصر ولا من استعملهُ اولاً والشائع انهُ جاء من اميركا عن طريق اوربا وكان ظهورهُ في الشرق سنة ١٠٠٠ هجرية الموافقة لسنة ١٥٩١ مسيحية وقد ارَّخهُ بعضهم بهذين البيتين

سألوني عن الدخان وقالوا
هل لهُ في كتابكم إيماء
قلت ما فرَّط الكتاب بشيءٍ
ثم ارَّخت يوم تأتي السماء

ولعله دخل الى مصر في تلك السنة او ما يقرب منها

(٩) حرارة ماء الآبار

ومنهُ . لماذا يكون ماء الآبار بارداً في الصيف وحارًّا في الشتاء

ج . اذا قسنا حرارة ماء الآبار بالترمومتر اي ميزان الحرارة وجدناها واحدة تقريباً صيفاً وشتاء لانها مكتسبة من حرارة جوف الارض وهي واحدة في الاعماق المتساوية .

لكنَّ حرارة الهواء وسطح الارض تتغير بتغيّر الاحوال الجوية فترتفع صيفاً وتزيد عن حرارة ماء الآبار فيظهر لنا ان ماء الآبار صار بارداً بالنسبة اليها وتنخفض شتاء فتنقص عن حرارة ماء الآبار فيظهر لنا ان ماء الآبار صار حارًّا

(١٠) تأثير الخصاء

لندن . سلامه افندي موسى . ما هو تأثير الخصاء في قوة العقل والجسم في الرجال والنساء

ج . تختلف نتيجتهُ في ما اذا كان قبل البلوغ او بعده. فخصاء الصبي يمنع فيهِ ظهور العلامات التي تميز الرجل عن المرأة مثل نمو شعر اللحية والشاربين وخشونة الصوت وهو يؤَثر ايضاً في الصفات الادبية التي يمتاز بها الرجال او هي فيهم اقوى مما هي في النساء كالاقدام وعلو الهمة والشجاعة والكرم وما اشبه. ولا ريب انهُ يضعف القوى العقلية ايضاً لكن ذلك ليس مطّرداً فقد نبغ من الخصيان اقوام اشتهروا في التاريخ مثل كافور الاخشيدي صاحب مصر . وهو يزيد المادة الدهنية في الجسم ويكسب الجلد نعومةً لكنهُ يضعف القوة العضلية . واذا كان بعد البلوغ فانهُ يؤَثر في بعض هذه الصفات ولا يؤَثر في غيرها . اما تأثيرهُ في النساء فمثل تأثيرهِ في الرجال مع مراعاة الصفات التي يمتاز فيها النساء عن الرجال

(١١) الادبيات في غير مصر

ومنهُ . ما هي حالة الادبيات العربية في غير مصر

ج . راقية جدًّا في بيروت وقد نشطت ايضاً في دمشق وطرابلس ولبنان وحلب وبغداد

(١٢) المسيحيون المتكلمون بالعربية

ومنهُ . كم عدد المسيحيين المتكلمين بالعربية في السلطنة العثمانية

ج . ليس لدينا احصاء مدقق لهم ولكننا لا نظن ان عددهم يقل عن ثمانمئة الف نفس

(١٣) لغة مصر العامية

ومنهُ . هل تختلف لغة مصر العامية عن عامية مراكش او بلاد العرب كثيراً

ج . ان الاختلاف ليس قليلاً ولكنهُ لا يمنع التفاهم اذا تأنى المتكلمون واصغى السامعون اما اذا تكلَّم اهل البلاد الواحدة بعضهم مع بعض فقلما يفهم كلامهم من كان من بلاد أُخرى

(١٤) توحيد مفضل بن عمر

اورنبرغ (روسيا) . رضاء الدين ابن فخر الدين . في خزانة كتبي الخصوصية كتاب عتيق مكتوب بقلم ليس برديء ولا جيد بل بين بين غير معلوم تاريخ الكتابة كتب قبل البسملة هذه العبارة «كتاب توحيد مفضل بن عمر رحمة الله عليهِ» وديباجتهُ

بعد البسملة هكذا « روى محمد بن سنان قال حدثني المفضل بن عمر كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر وانا متفكر في ما خص الله بهِ سيدنا محمداً صلى الله عليهِ وسلم واله من الشرف والفضائل وما منحهُ واعطاهُ وشرَّفهُ وحباهُ مما لا يعرفهُ الجمهور من الامة وما جهلوهُ من فضلهِ وعظيم منزلتهِ وخطر مرتبتهِ فاني كذلك اذ اقبل ابن ابي العوجاء فجلس» الخ وعند تمام الكتاب مسطور هذه الجملة « قال المفضل فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف احد بمثلهِ . تم بعون الله وتوفيقهِ والله اعلم »

فاني فتشت عن ترجمة المفضل بن عمر كي اعرف عصرهُ ومصرهُ وسائر احوالهِ وقلبت اوراق كتب التراجم والطبقات التي عندي ولكن ما وقفت على اثرهِ في شيءٍ وما وجدت محمد بن سنان ولا ابن ابي العوجاء بل لم اقف على كتاب اسمهُ توحيد المفضل في اسماء الكتب التي لديَّ ولذلك جئت اليكم معتذراً لتفيدوني وتعرفوني هذا الكتاب وترجمة حال صاحبهِ ولو بالاختصار خدمة للعلم واهلهِ

ج . لم نعثر على اسم المفضل بن عمر في كتبنا ولا في المكتبة الخديوية ولم نجد ذكراً لكتابهِ في التوحيد في فهرست المكتبة الخديوية ولكن عثرنا على اسم رجل من الرواة اسمهُ محمد بن سنان القزاز ذكرهُ الطبري مراراً واخذ عنهُ ولعلهُ محمد بن سنان المذكور في ديباجة هذا الكتاب وكان معاصراً للطبري . وقد ولد الطبري سنة ٢٢٤ هجرية وتوفي سنة ٣١٠

(١٥) الجنس السوري

نيواورليان . الخواجه شديد نعمة عطايا والخواجه ميشيل فضل الله كحيل . هل الجنس السوري مغولي او قوقاسي

ج . كل العلماء الباحثين في هذا الموضوع من لينيوس وبلومنباخ الى هكسلي وفيرخو وفلور وبروكا وتوبينار متفقون على المزايا التي تميز الجنس القوقاسي عن الجنس المغولي وهذه المزايا تجعل السوريين كلهم من الجنس القوقاسي حتماً بعضهم من الفرع الاشقر منهُ حسب تقسيم هكسلي وبعضهم من الفرع الاسمر . وليس ذلك فقط بل ان الجنس القوقاسي يسمى عند علماء الانثولوجيا اي علماء الانسان بالجنس المديترَّاني نسبة الى بحر الروم المعروف بالمديترانيان او المتوسط فالسوريون اخص فروع الجنس القوقاسي وقد كان وطن هذا الجنس اصلاً غربي اسيا وجنوبي اوربا وشمالي افريقية اي سورية وبر الاناضول والروملي وبلاد اليونان وايطاليا ومصر وتونس والجزائر او الاراضي المحيطة بالبحر المتوسط او بحر الروم . واقسام هذا الجنس اولاً الساميون في سورية والعراق وبلاد العرب وشمالي افريقية . ثانياً الآريون في الهند

وايران وبلاد الارمن وبر الاناضول واوربا وفروعهم الهنود والافغان والفرس والارمن واليونان والطليان والكلت والتيوتون والصقالبة. وثالثًا الحاميون في شمالي افريقية وشرقيها ومنهم سكان مصر الاصليون والبربر والبجاة. ورابعًا القوقاسيون بالذات وهم الشركس والكرج والابخاس وخامسًا الباسك سكان جبال البرينيز الغربية. وقد وردت علينا مسائل كثيرة من هذا القبيل. واذا كان احد من جهلة الاميركيين يعتقد ان السوريين من الجنس المغولي فما على السوريين الا ان يردوهُ الى علماء الاثنولوجيا Ethnology او يروهُ اي كتاب كان من كتب الاثنولوجيا فيجد فيه ان السوريين من صميم الجنس القوقاسي

(١٦) السوريون والعرب

ومنهُ. هل السوري والعربي من سلالة واحدة

ج. ان اكثر السوريين من الفرع السامي من الجنس القوقاسي كالعرب وبعضهم من الفرع الآري اي من اصل يوناني ولاتيني

(١٧) منّ النبات

اسيوط. وليم افندي مشرقي. ما هو المن الذي يصيب المزروعات والاشجار ويسبب سقوط ازهارها مثلما حصل هذه السنة ببعض بلاد الوجه القبلي وسقط اكثر ازهار اليوسف افندي وكيف يوجد في الطبيعة وهل من واسطة لمنعهِ عن الكرنب

ج. المن اسم عام لحشرات دقيقة خضراء او سوداء تمتص عصارة النبات وهو يوجد بالتوالد بعضهُ من بعض والغالب ان النمل الصغير ينقلهُ من شجرة الى أخرى لانهُ يغتذي بالعصارة العسلية التي يفرزها وتوجد حشرة كبيرة نوعًا تأكلهُ وهي اكبر عدوٍ لهُ فاذا وجدت على شجرة فالغالب انها تنقيها من المن واذا ذرَّ الرماد على الكرنب فالغالب انهُ يميت ما عليهِ من المن

(١٨) الحامض الفصفوريك

ومنهُ. كيف أكتشف وجود الحامض الفصفوريك في الارض الزراعية

ج. خذ عشر غرامات من التراب بعد تجفيفه وتنعيمهِ جيدًا وغطهِ بالحامض النيتريك المركز في اناء زجاجي واحمهِ في حمام رملي الى ان ينقطع تولد بخار الحامض النيتروس دلالة على انحلال كل المواد الآلية وبخّر المزيج في صحفة من الخزف الصيني واحرقهُ حتى ينقطع صعود الابخرة الحامضة وسخّن الباقي مرارًا مع قليل من الحامض النيتريك المخفف واكسر القطع المتولدة بقضيب من الزجاج ورشحها وعدّل اكثر الحامض النيتريك الذي فيها واحمها الى درجة ٧٠ سنتغراد واضف اليها كثيرًا من مذوب المولبدات الامونيك ثم مذوب المغنيسيا وهو يصنع من مذوب الكلوريد المغنيسيك والكلوريد الامونيك وحرك المزيج بقضيب

من الزجاج من غير ان تمس بهِ جوانب الاناء وغطِ الاناء واتركهُ عشر ساعات فيرسب الفصفات الامونيك المغنيسيك

(١٩) مؤلفات لوز

ومنهُ . هل للسر جون لوز مؤلفات في الطب البيطري او في الكيمياء الزراعية او علم الزراعة او علم النبات

ج . لهُ تقارير كثيرة عن التجارب الزراعية التي اشار اليها المقتطف مراراً كثيرة ولا نعلم ان لهُ كتباً اخرى

(٢٠) دواء للصلع

غراياهو (البرازيل) . الخواجه الياس الخوري . قرأت اعلاناً في بعض الجرائد جاء فيهِ ان رجلاً فرنسويًّا اكتشف دواء يمنع سقوط الشعر ويشفي من الصلع فهل ذلك صحيح

ج . لا نظن ان احداً اكتشف دواء للصلع ولو صح ما جاء في الاعلان الذي تشيرون اليهِ لطبقت شهرتهُ الخافقين

(٢١) القمر والمطر

ابو حمد . . . افندي لبيب . ما هو التعليل الطبيعي في تأخر المطر حينما يكون القمر في التربيع الثالث او بدراً كاملاً

ج . ان المطر لا يتأخر حينما يكون القمر في التربيع الثالث ولا حينما يكون بدراً ولا نعلم علاقة للقمر بالمطر على الاطلاق

(٢٢) كتب الادلاء الانكليزية

اسنا . الياس افندي جرجس . ما هي افيد كتب الادلاء باللغة الانكليزية للمسافر الى بلاد الانكليز وفرنسا والولايات المتحدة واين تباع في مصر

ج . كتب بدكر Baedeker وهي تباع قرب لوكندة شبرد وكل باعة الكتب الاوربية يبيعونها

(٢٣) مدارس انكلترا

ومنهُ . ما هي افيد مدرسة لشخص حائز على معلومات الشهادة الابتدائية حتى يكمل دروسهُ في البلاد الانكليزية وكم هي المصاريف المتوسطة التي تكفيهِ في السنة وهل يقبل في مدرسة عالية او تجهيزية بدون شهادة من نظارة المعارف

ج . المدارس الانكليزية كثيرة واشهرها عند ابناء هذا القطر اكسفرد وكمبردج والمصاريف السنوية نحو ثلثمائة جنيه ويمكن قبول الطالب بدون شهادة اذا جاز الامتحان هناك

(٢٤) شركة جريشام

سانتوس . الخواجه زخور الخوري . لقد عثرنا في مقتطفكم الاغر على فقرة عن شركة جريشام للتأمين على الحياة ذكرتم فيها رأسمالها الاحتياطي ومدخولها السنوي والمدفوع للمؤمنين ويظهر من تلك الارقام ان المدفوع للمؤمنين معدلهُ اكثر من المدخول السنوي فاخذتنا الدهشة وهي شركة يشار اليها بالبنان فكيف ترضى بعمل فيهِ خسارة مستديمة

ج . لا نذكر اننا كتبنا شيئاً مما ذكرتموه ولكن يطبع على غلاف المقتطف اعلان من هذه الشركة يذكر فيهِ ان رأس مالها الاحتياطي ٩٨٠٠٠٠٠ جنيه ومدخولها السنوي ١٤٠٠٠٠٠ جنيه والمدفوع للمؤمنين ٢٣٠٠٠٠٠٠ جنيه فاذا كان هذا هو مرادكم فايضاحهُ ان المدفوع للمؤمنين هو كل ما دفعتهُ الشركة للمؤمنين من اول انشائها الى الآن . اي ان رأس مال الشركة الاحتياطي وقت نشر الاعلان كان تسعة ملايين وثمانمئة الف جنيه ومدخولها السنوي من المؤمنين ومن تشغيل اموالها مليون واربع مئة الف جنيه وجملة الاموال التي دفعتها الى المؤمنين من اول انشائها سنة ١٨٤٨ الى الآن ٢٣ مليون جنيه . وقد سألنا ادارة هذه الشركة في مصر عن دخلها السنوي وما تدفعهُ الآن سنوياً للمؤمنين فاجابتنا ان دخلها في سنة ١٩٠٨ بلغ ١٤٠٦٧٦٢ جنيهاً ودفعت من ذلك لورثة الذين ماتوا من المؤمنين ٤٩٧٤٩٧ جنيهاً ودفعت للذين انتهت مدة تأمينهم ولم يموتوا ٣٢٦٧٨٧ جنيهاً فجملة ما دفعتهُ عن التأمين ٨٢٤٢٨٥ جنيهاً واذا اضيف هذا المبلغ الى نفقات الادارة ونحوها تلك السنة بلغ الباقي من دخلها فيها نحو ٢١٤١٩٨ جنيهاً اي زاد مالها الاحتياطي بهذا المقدار ولا اشكال في ذلك

(٣٥) سبب الزلازل

جاميكا . الخواجه نجيب يوسف . حدث هنا منذ مضي سنتين ونصف سنة زلزلة مهولة ولم تزل تتبعها هزات متواترة فما هو سبب تلك الزلزلة والهزات المتواترة

ج . ان سبب الزلازل هبوط جزء من قشرة الارض فاذا كان في قلب جبل غار كبير او ارض رخفة وكان سقف ذلك الغار او تلك الارض صخراً كبيراً فانهُ يكون حاملاً ثقل ما فوقهُ من الجبل فاذا زاد ضغط الهواء على الجبل لسبب من الاسباب الجوية فلا يبعد ان ينقد ذلك السقف ويهبط فيهز الارض ويزلزلها وقد تزول الموازنة من الاماكن المجاورة فتصير سقوف الكهوف الصغيرة تهبط الواحد بعد الآخر فيكون من ذلك هزات صغيرة . هذه اهم اسباب الزلازل الكبيرة والهزات الصغيرة

(٣٦) تعقيم الماء

ومنهُ . هل تصفية ماء الشرب بقطعة من القماش كافية لمنع بعض الميكروبات وما اسهل طريقة لتعقيم الماء

ج . غير كافية واسهل طريقة اغلاؤهُ جيداً ثم يبرَّد في آنية نظيفة و يشرب والترشيح بمرشح باستور كافٍ لتنقيتهِ غالباً

(٣٧) غور ماء نهر

ومنهُ . يوجد هنا نهر فتح بغتةً هوَّة في قعرهِ وغار الماء فيها فكيف تعللون ذلك

ج . اذا كان الامر كما ذكرتم فالظاهر ان سقف الكهف الذي خسف واحدث الزلزلة او احدى الهزات التي تلتها كان تحت النهر فانفتحت الهوة فيهِ . ومن المحتمل ان الماء يجري من هناك الى البحر او الى مكان شديد الحرارة في جوف الارض فيستحيل بخاراً ويخرج من بعض الثقوب

(٢٨) مناقب الصخور

اسكلة طرابلس . شكري افندي فاخوري . اين توجد آلات لثقب الصخور الصلبة

ج . توجد في معامل الآلات الحديدية في بلاد الانكليز وغيرها فاطلبوها باسم Darlington Rock-boring Machine او باسم Diamond-drills

(٢٩) نسف الصخور

ومنهُ . كيف تنسف الصخور النارية والكلسية

ج . تنسف بالبارود او بالديناميت كما تنسف في بلاد الشام ولكن اذا كان المقدار كبيراً فالغالب ان الذخير يشعل بسلك كهربائي عن بعد

باب الاخبار العلمية

مجلس المبعوثان والنطق السلطاني

افتتح مجلس المبعوثان في ٢١ نوفمبر في سراي جراغان افتتحهُ الحضرة السلطانية وتلي فيهِ النطق السلطاني وهذه ترجمتهُ

ايها الاعيان والمبعوثان المحترمون

نرحب باعضاء المجلس العمومي شاكرين الله تعالى شكراً لا حدَّ لهُ لانهُ اراد ان يبتدئ ملكنا بدور الدستور المسعود وان نفتتح في اول سنة من جلوسنا الاجتماع الثاني لمجلس النواب الذي هو مثال الحكم الدستوري المشروطية والمشورة اللذان يأمر بهما الشرع الشريف والعقل والنقل هما السبيل الوحيد الى النجاة والسلامة . فبي مثابرتنا على السير في هذا السبيل نستطيع الوصول الى القوة والاتحاد اللذين هما من اشد اللوازم لحياتنا السياسية والاجتماعية . فالمحافظة على القانون الاساسي وتأييد قواعدهِ وتطبيقها هي من اخص رغائبنا وسنشتغل بعون الله وعنايتهِ وروحانية النبي وامدادهِ بكل قوتنا نحن ورعايانا لبلوغ هذه الغاية

لقد سررنا كثيراً في اثناء سياحتنا في بروصه وازميد واقتربنا من افراد رعيتنا وشاهدنا افكار الاخاء تزداد وتتقوى بين

ابناء الوطن. واني اعد تعميم الخدمة العسكرية التي هي من نتائج القانون الاساسي الطبيعية الذي يقضي بمساواة افراد الامة في الحقوق والواجبات من اهم الحوادث التي قضى بها انقلابنا السياسي. فهذا التعميم مؤدٍ الى تكامل شأن الملة واعلائهِ وستعلّم الجندية اولاد الوطن مبادئ الاخاء الصحيحة العثمانية تعليماً وثيق العرى متيناً. وان المناورات التي اجرتها جنودنا وبحارتنا ودلائل الانتظام والترقي التي اظهرتها فيها جديرة بالتقدير لاسيما وانها حدثت لاول مرة. وعلينا ان نعزّز قواتنا البرية والبحرية التي يعتمد عليها واجب الدفاع عن الوطن وتأييد السلم العام.

اما احوالنا الداخلية فهي محمودة لا توجب الخوف. فقد اسرعت الحكومة الى اتخاذ التدابير اللازمة على اثر الحوادث التي وقعت في قضاء الزيدية التابع للواء الحديدة من ولاية اليمن وفي متصرفية العسير فالقبائل التي خرجت عن الطريق القويم عادت اليوم الى الطاعة. وقد ظهر بعض حوادث في برازان ولومه التابعتين لولاية الموصل وقوصوه الا انها ليست بذات اهمية فمتى اتسعت المعارف وتعممت نعم الدستور تنقطع هذه الحوادث وامثالها بلا شك

ويجب علينا ان نبدأ حالاً باستثمار خزائن بلادنا الواسعة لزيادة الرفاه العام ويجب بذل الوسع ايضاً في نشر المعارف التي لم تبلغ الى الآن الدرجة المطلوبة. وترقية صناعاتنا واشغالنا العمومية لنبلغ الدرجة التي تتطلبها حالتنا

واشد رغائبي هو ان ارى التوازن في المالية لان التوازن هو اساس الاصلاح فقد اعتني عناية عظيمة بترتيب الميزانية العمومية التي قدمت اليكم غير انهُ بالرغم عن ذلك لم يتم التوازن المقصود الاَّ ان الامل معقود باتمام ذلك متى صودق على زيادة رسوم الجمارك واعطي بعض الامتيازات بحصر بعض الاصناف وحسنت طريقة توزيع الضرائب وجبايتها فتزداد بذلك الثقة المالية بنا اكثر مما ازدادت منذ حين حينما عقد القرض الاخير

اشتغل مجلسكم في دوره الاول باقامة القانون الاساسي على اساس دستوري وعلى اسس النظام العام. وسيشتغل هذا العام بمشروعات النظامات التي ستعرضها عليهِ هيئة الحكومة وهي تتعلق بشؤون البلاد الاجتماعية والاقتصادية وبتأييد النظام والامن العام بقوة القانون. ومن هذه النظامات نظام التجارة البرية والبحرية. ونظام الاموال غير المنقولة ونظام قضاة الصلح المتنقلين ونظام ادارة الولايات العمومية ولائحة تتعلق بقانون الجزاء

ان علاقاتنا مع الدول ودية ونرى بمزيد المنة ان غاية الدول ترمي الى حفظ السلم

العام وهذا الامر يجد منا تأييداً كبيراً ·
ونحن مع رغبتنا الشديدة في المحافظة على هذه المبادىء محافظة شديدة ترغب حكومتنا في ان تكون عاملاً قوياً في حفظ السلم العام واود ان اذكر خصوصاً المساعي الخصوصية التي قامت بها هيئتا مجلسي الاعيان والمبعوثان في دورها الاول سائلاً الله ان يوفق اشغالكم في المستقبل ونحن نفتتح الآن الدور الثاني لمجلس النواب »

الجامعة المصرية

فتحت الجامعة المصرية ابوابها لقبول الطلبة في ٢٧ نوفمبر الحالي وقررت القاء الدروس الآتية

١ محاضرات باللغة العربية في آداب اللغة العربية والاستاذ حفني بك ناصف

٢ محاضرات باللغة العربية في الرياضيات العالية والاستاذ صابر صبري باشا

٣ محاضرات باللغة العربية في الطبيعة والاستاذ اسمعيل حسنين بك

٤ محاضرات في آداب اللغة الانكليزية والاستاذ المستر ملر

٥ محاضرات في آداب اللغة الفرنسوية والاستاذ المسيو بوفيليه

٦ محاضرات باللغة الفرنسوية في الاقتصاد السياسي والاستاذ المسيو جرمان مارتان

٧ محاضرات باللغة الفرنسوية في علوم العرب والاستاذ السنيور ناللينو

٨ محاضرات متنوعة باللغة الفرنسوية تلقيها المادموازل كوفر بر في مواضيع مختلفة تختص بالسيدات ويكون الحضور خاصاً بهنَّ فقط

واوقات التدريس من الساعة الرابعة ونصف الى الساعة السابعة

ثوران بركان تنريف

ثار بركان تنريف فانفتحت فيهِ اربع فوهات جرت منها الحمم مسافة ثلاثة اميال ونصف في عرض ١٣٠٠ قدم فملأَت وهدةً عمقها ثمانون قدماً واجتازتها وقد اخذ الاهلون يفرّون من الجزيرة

وبركان تنريف جبل علوهُ ١٢٢٠٠ قدم في جزيرة تدعى بهذا الاسم عدد سكانها ١١٢٠٠٠ نفس وهي احدى جزر كناري · واكثر جبال كناري براكين خامدة وجبل تنريف هذا اعظمها ارتفاعاً وقد ثار آخر مرة سنة ١٧٩٨ ولم تزل الغازات تخرج من شقوق فيهِ منذ ذلك الحين

تقدم الطيران

لم تزل اخبار الطيران ترد علينا تباعاً وقد جاء في الاخبار التلغرافية ان فارمن طار مسافة ١٤٤ ميلاً وهي اطول مسافة امكن

قطعها بالطيران الى الآن

وقد اقلع من مرسيليا جماعة من اصحاب الطيارات ووجهتهم القطر المصري وهم غير الذين اتفقت معهم شركة واحات عين شمس

الثوم عند قدماء المصريين

المسيو لوره ثقة يعوّل عليهِ في درس النباتات المصرية القديمة وقد نشر حديثاً خلاصة بحثهِ عن الثوم عند قدماء المصريين فقال انهُ كان كثيراً في مصر في زمن الفراعنة وورد ذكرهُ في بعض الكتابات القديمة ووُجد النبات نفسهُ في احد القبور في طيبة وهو اقرب الى الثوم الذي يزرع في الواحات منهُ الى الثوم الذي يزرع في مصر في يومنا . وقد جاء في احدى كتابات البردي ان رعمسيس الثالث ارسل هدايا كثيرة الى كهنة طيبة وبينها نبات يدعى «خِذجانا» توصل المسيو لوره الى معرفتهِ بمقابلة هذه اللفظة بما جاء في سفر العدد في الترجمة القبطية القديمة وتحقق لديهِ انهُ الثوم والآية في سفر العدد هي هذه «قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكلهُ في مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرّاث والثوم» (عدد ١١ : ٥) فلفظة الثوم يقابلها شوم بالعبرانية وشومو بالاشورية فهي متشابهة في اللغات السامية لكنها خدجانا بالمصرية القديمة

ومما يذكر استطراداً ان «البطيخ» يسمى «أَبَطِيخِيم» بالعبرانية بصيغة الجمع «وبدوغا» او «بَطيخه» بالقبطية والمصرية القديمة «والبصل» يسمى «بَصَل» بالعبرانية و«بزل» او «بَجَر» بالقبطية والمصرية القديمة

السود في افريقية الشرقية

نشر المستر ونستن تشرتشل مقالة في احدى المجلات بحث فيها في مسألة البيض والسود في افريقية الشرقية وهو يرى انهُ لا خوف من مزاحمة الاوربيين لاهلها بل الخوف من مزاحمة الاسيويين لهم فالاوربيون لا يطيقون الاقامة فيها زمناً طويلاً ولا دليل على انهم يقدرون ان يستوطنوها في المستقبل

اما الهنود فهواء البلاد يوافقهم ولهم فيها حقوق فلولاهم لم تصل الى ما هي عليهِ الآن وليس من حسن السياسة طردهم منها . وهو يرى انهُ لا بأس باتفاق العناصر جميعها على تقدّم تلك البلاد ونفعها

مذنب هلي

نشرت المجلة الفلكية تقويماً لمذنب هلي عن شهري ابريل ومايو جاء فيهِ ان مرور المذنب في نقطة الراس يكون في اليوم ٦٥ و١٩ من شهر ابريل فيكون في اقرب نقطة من الارض في ٢٠ مايو وتكون المسافة بينهُ وبينها

١٤ مليون ميل . ويصير امام الشمس في ١٨ مايو كما ذكرنا في المقالة التي صدرنا بها هذا الجزء من المقتطف

الداء الاسود

انفذت الحكومة السودانية اثنين من ضباط القسم الطبي لدرس الداء الاسود (كلازار) في جهات النيل الازرق

موتمر لدرس الراديولوجيا

سينعقد في معرض بروسل القادم موتمر مشترك لدرس الراديولوجيا (علم الاشعاع) والكهربائية وذلك في شهر مارس سنة ١٩١٠

الكابتن بيري

ثبت للجنة التي عُينت لفحص اوراق الكابتن بيري انهُ بلغ القطب الشمالي وقد قدَّمت تقريرها الى الجمعية الاهلية الجغرافية في وشنطون فقبلتهُ باجماع الآراء ومنحت الكابتن بيري مداليتها الذهبية وقرَّرت تعيين لجنةٍ اخرى للبحث في ما اذا كان احدٌ قد بلغ القطب قبلهُ

القمح وتحسين زراعتهِ

جرى البحث في مجمع تقدم العلوم البريطاني عن القمح وتحسين زراعتهِ فقرأ بعضهم رسالةً جاء فيها ان المواد النيتروجينية ضرورية جدًّا لنمو القمح وزيادة محصولهِ اما المواد الفصفورية وان تكن اقل من المواد النيتروجينية اهمية فانها تسرع في نموهِ ويحسن استعمالها في البلاد الباردة جدًّا حتى ينتهي الموسم قبل حلول البرد الشديد . وقرأ آخر خطبةً جاء فيها انهُ ليس من الموَّكد ان مقدار النيتروجين والفصفور والبوتاسا في التربة يزيد مقدار هذه المواد في القمح لكن الرطوبة لها تأثير شديد في تركيب الحبة ومقدار النيتروجين فيها فقد زرع قمحًا فيهِ ١٢٫٥ بالمائة من النيتروجين في ارض جديدة رطبة فكان في المحصول ٩٫٩ بالمائة من النيتروجين وزرعهُ في ارض قديمة على مقربة من الاولى لكنها اكثر منها نشوفة فوجد مقدار النيتروجين في المحصول ١٢٫٤ بالمائة اي ان الرطوبة تقلل كمية النيتروجين في القمح

ثم بحث بعض الاعضاء عن جودة القمح في نظر الطحان والخباز فقال احدهم ان دقيق القمح الجيد يجب ان يكون عجينهُ مرنًا متماسكًا حتى يسهل عمل الارغفة منهُ على اشكالٍ مختلفة وفي اي حجم كان وان كمية الماء اللازمة لعجنهِ من الامور التي ينظر اليها الخبازون بعين الاهمية . ثم ان الارغفة بعد خبزها يجب ان يكون شكلها حسنًا وهواؤُها كثيرًا (اي تكون اسفنجية القوام) ويتم ذلك بمعرفة العلاقة بين هذه الخصائص والتركيب الكيماوي في انواع القمح . ثم قام غيرهُ وقرأ رسالة عدَّد فيها ما عرف الى الآن

من هذه العلائق وقال انهُ يجب علينا ان ننظر الى تركيب القمح الكيماوي من وجوهٍ عديدة ككثرة المواد النيتروجينية فيهِ وكبر الحبيبات النشائية وغير ذلك . وذكر غيرهُ انهُ مزج نوعين من القمح احدهما من الاسمر الصلب والآخر من الابيض اللين فكانت النتيجة من مزجهما احسن مما لو خبز كلٌّ منهما على حدة

ثم بحث آخر في الموضوع من وجه آخر وهو تأصيل القمح وقال ان القمح يجب ان يربَّى منهُ النوع الذي يوافق التربة التي يزرع فيها ولاسيما في الاصقاع الباردة التي لا يصلح لها الأ القمح السريع النمو . وقال غيرهُ ان انتخاب القمح الجيد الاصل لهُ اهمية كبيرة في مقدار المحصول وجودتهِ

التحريش

ومن المسائل التي جرى فيها البحث في مجمع ترقية العلوم البريطاني امر الحراج وزيادة الاعتناء بها فقال احدهم ان ثمن الخشب في ارتفاعٍ سنة بعد أُخرى وسبب ذلك ضيق الحراج فالواجب على كلّ بلاد ان تعتني بحراجها اشدَّ الاعتناء وتغرس الاشجار في الاماكن التي لا تصلح لغير ذلك

لحم المعادن

لا يخفى ان لحم الحديد قديم جدًّا ولعلهُ يرجع الى الزمن الذي اكتشف فيهِ هذا المعدن وهو سهل لان من خواص الحديد انهُ يلتحم بسهولة متى احمي وطرق . وكانت الطريقة المتبعة في لحم بعض المعادن ان يكون اللحام معدنًا آخر من خواصهِ انهُ يصهر على درجة اقل من الدرجة التي يصهر عندها المعدن المراد لحمهُ . اما الآن فانهم يلحمون اكثر المعادن كما يلحم الحديد واذا احتيج الى درجة مرتفعة من الحرارة استعملت الكهربائية وقد نجحوا حديثًا في لحم الالومينيوم ويقال انهُ يكون في المحل الذي لحم فيهِ اقوى مما هو في غيرهِ اي انهُ اذا قصم قضيبٌ ملحوم منهُ ينقصم في مكان غير المكان الملحوم

ماذا يرى في المريخ

اجلى رصد المريخ عن اكتشاف ترع جديدة فيهِ وظهور بعض الترع القديمة مزدوجًا او مركبًا من ترع كثيرة ويظهر من رسمين رسما لهُ في الربيع والصيف ان الخطوط التي عليهِ اوضح واكثر عددًا في الصيف منها في الربيع .وقد قدَّر بعضهم ان عمق ترع المريخ ٥٠٠ قدم اذا كانت على اضيق ما يمكن او ٣٧٠ قدمًا اذا كانت سعتها ٤٥٠٠ قدم واذا كانت على هذا الحد من العمق والسعة فهي ترع للنقل ولو استعملت احيانًا للري على ما قالهُ الدكتور بكلفنن في الجمعية الملكية ببلاد

الانكليز · وكتب المستر هنت الى جريدة نانشر مرتئياً ان هذه الترع لخزن القوة فترفع المياه الى اعالي الترع بطلمبات هوائية وقت عصف الرياح ثم تجري المياه منها وقت السكون فتولد كهربائية للنور والحرارة ولادارة الآلات · ولا سبيل لسكان المريخ الى توليد الحرارة والقوة بغير ذلك بعد ان فرغ المريخ من الوقود فتكون هذه الترع للنقل والقوة والري

خريطة كبيرة للارض

اجتمع اربعة وعشرون من نواب بريطانيا وفرنسا والمانيا والنمسا وروسيا واسبانيا والولايات المتحدة وكندا واستراليا في دار وزارة الخارجية ببلاد الانكليز للبحث في رسم خريطة كبيرة للارض كلها تكون بمقاس $\frac{1}{1000000}$ اي بنسبة بوصة لكل ستة عشر ميلاً ليعتمد عليها في كل البلدان فقرَّ رأيهم على ان تختار دولهم من تعتمد لاخراج ذلك من القول الى الفعل

قطر برنان

ذكرنا منذ سنتين ان المستر برنان استنبط طريقة لجعل قطرات سكة الحديد تسير على قضيب واحد من الحديد بدل السير على قضيبين وسميناها قطرات الدوَّامة لانها تثبت على الخط الواحد ولا تنقلب عنهُ بواسطة دوامات فيها تدور بسرعة فائقة · وقد تمكن الآن من عمل مركبة كبيرة ثقلها ٢٢ طناً وتحمل ما ثقلهُ ١٥ طناً ووضع فيها دوامتين سرعة كلٍ منهما ثلاثة الاف دورة في الدقيقة من الزمان وجربها في العاشر من نوفمبر فركب فيها اربعون نفساً فسارت بهم سبعة اميال في الساعة · وهو يتوقع ان يحسن هذه المركبات كثيراً حتى تصير سرعتها ١٥٠ ميلاً

السر ارنست شكلتن

انعم جلالة ملك الانكليز على السر ارنست شكلتن بلقب سر وقد قوبل باحتفال عظيم في جمعية باريس الجغرافية في ١٥ نوفمبر الحالي فخطب فيها مفصلاً رحلتهُ الى القطب الجنوبي ولما اتم الخطبة نهض البرنس رولند بونابرت رئيس الجمعية وقال انهُ منذ انشئت جمعيتنا هذه سنة ١٨٢٧ وهي تهتم باعلاء شأن كل من فاق اقرانهُ من اهل السياحة بمنحها اياهُ وسامها الاكبر الذهبي فمنحتهُ للسر جون فرنكلن والسر جيمس كلارك وروس ودومون دورفيل ونانسن من رواد القطبين ويسرها الآن ان تضيف الى اسماء هؤلاء العظام اسماً آخر باهدائها اليهِ وسامها الذهبي وهو اعظم ما يمكنها منحهُ

وقد حظي السر ارنست شكلتن بمقابلة ملك اسوج ايضاً فانعم عليهِ بوسام النجم القطبي

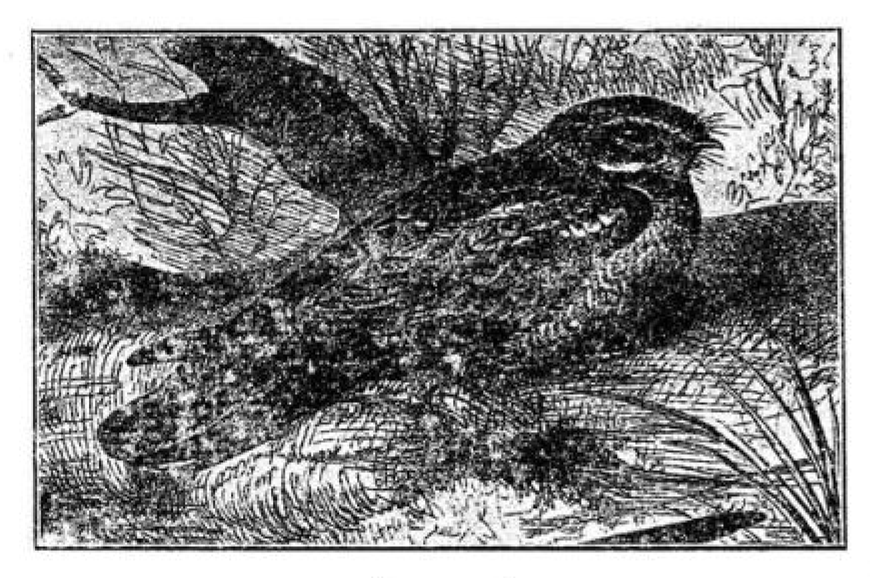
فهرس الجزء السادس من المجلد الخامس والثلاثين

فهرس المجلّد الخامس والثلاثين

تنبيه — الصفحتان ٧٤٩ و ٧٥٠ يجب ان تكونا بعد الصفحة ٧٥٢

تكرَّر نمر الصفحات ١٠٤١ — ١٠٤٨ مرتين

البومة



السُبَد وهو الضُوَع